

تاريخ الأدب العربي

تأليف

الدكتور محمد فروغ

الجزء الثاني

الأدب في المغرب والأندلس
عصر المرابطين والموحدين

دار العلم للملايين



مکتبۃ لسان العرب

أ. علاء الدين شوقي

www.lisanarb.com



مكتبة لسان العرب

www.lisanarb.com

lisanerab.com

رابطہ بدیل

تاريخ الأدب العربي

الجزء الخامس

الأدب في المغرب والأندلس
عصر المرابطين والموحدين

تأليف

مفروق

عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة
عضو المجمع العلمي العربي في دمشق
عضو المجمع العلمي العراقي في بغداد
عضو جمعية البحوث الإسلامية في بومباي

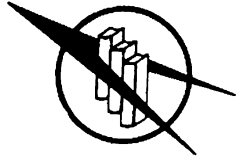
دار العالم للملايين

ص. ست: ١٠٨٥ - بيروت
تيلكس: ٢٣١٦٦ - ليشانث

دار العلم للملايين

مؤسسة علمانية للناشرين والناشرية والشر

شارع ساراليس - خلف مكتبة الحلو
ص.ب. ١٠٨٥ - تلغراف، ٣٤٤٤٥ - ٨١٦٦٣٩
بهرقينا، ملايين - تليكس، ٢٣١٦٦ - ملايين
ببوت - شبكات



جميع الحقوق محفوظة

لا يجوز نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب في أي شكل
من الأشكال أو بأية وسيلة من الوسائل - سواء التصويرية
أم الإلكترونية أم الميكانيكية - بغية ذلك النسخ التوثيقي
والشبهيل على الشريطة أو غيرها أو حفظ المعلومات واسترجاعها
- دون إذنت من الناشر.

الطبعة الأولى ١٩٨٢

الطبعة الرابعة

تيسان / أبريل ٢٠٠٦

الكلمة الأولى

هذا هو الجزء الخامس « من تاريخ الأدب العربي »، وهو يُورِّخُ للأدب العربي في المغرب (من قارة إفريقية) وفي الأندلس وصقلية (من قارة أوربة). وقد رأى القارئ الكريم أنني في هذه السلسلة قد أرختُ للأدب في المشرق ثم للمغرب، لا لأنَّ الأدبَ المشرقيَّ منفصلٌ من الأدبِ المغربيِّ، بل لأنَّ هذا الفصلَ جعلَ مُعالجةَ الموضوعِ أيسرَ عليَّ.

وهذا الجزء الخامس يبدأ نحو سنة ٤٩٠ للهجرة (١٠٩٦ م) - قبل قيام البابوية بالحروب الصليبية على المسلمين والإسلام في الشرق - ثم ينتهي نحو سنة ٦٣٩ للهجرة (١٢٤٠ م). وهذه المدة عينها تكادُ تنطبقُ أنطباقاً تاماً على المدة التي حكَمَ المرابطون والموحِّدون في أثنائها في الأندلس.

إنَّ كُلَّ تقسيمٍ للأحقابِ السياسيَّةِ خاصَّةً (والاجتماعية عامَّةً) تقسيمٌ عرْفيٌّ، ولكن لا بُدَّ من ذلك، من الناحية العملية. ثم يظلُّ في هذا التقسيمِ ثغراتٌ لا حيلةَ للمؤلفِ في سدِّها. ويزيدُ في هذه الثغراتِ في وقتنا هذا - وقتِ تنضيدِ الحُرُوفِ بالحسابِ (بتشديد السين) - فإنَّ « صفَّ الأحرفِ » سريعٌ جدًّا، فيضطرُّ المؤلفُ إلى تصحيحِ مِثاتِ الصَّفحاتِ في الأزمنة القصيرة. ثم إذا وقع خطأ في الترتيب (من المؤلف) أو في التنضيد (من العمَّال) فإنَّ إصلاحه أكثرُ صعوبةً ممَّا كان في عهدِ « الصف » بالحروفِ المنفردة، وخصوصاً في الكُتُبِ الكبيرة المبنية على نظامِ جامعٍ في التأليف.

وقد وقَّع في هذا الجزء أيضاً أشياء من الاضطراب أصْلحنَّا أوجهاً منه ثم بقيتِ أوجهٌ سيِّرةٌ جدًّا لا تكادُ تترصُّ سبيلَ القارئِ إلا قليلاً. وكان من أمنيَّتِي أن يتناولَ الإصلاحَ هذه أيضاً، ولكنَّ الكمالَ في الأعمالِ الإنسانية مستحيلٌ.

وقد بقيتِ من هذه السلسلةُ جزءٌ واحدٌ يبدأ بقيامِ بني نصرٍ أو بني الأحمر (في الأندلس) ثم ينتهي بمجيء الأتراك العثمانيين إلى المغرب (نحو سنة

٩٣٠ هـ = ١٥٢٣ م)، وربّما امتدَّ ذلك الجزء السادس بِضِعَّةٍ عَشْرَ عَاماً بِحَسَبِ تَرَاجُمِ
نَفَرٍ مِنَ الَّذِينَ تَرَجَّمَتْ لَهُمْ، وَذَلِكَ بَعْدَ جَيْلٍ مِنَ الدَّهْرِ (نَحْوَ ثَلَاثَةِ وَثَلَاثِينَ عَاماً) مِنْ
سُقُوطِ دَوْلَةِ بَنِي نَصْرِ (٨٩٧ هـ = ١٤٩٢ م)، وَخُرُوجِ الْعَرَبِ مِنَ الْأَنْدَلُسِ - فِي الْعَامِ
الَّذِي حَمَلَتْ الرِّيحُ فِيهِ كُولُومْبُوسَ إِلَى الْعَالَمِ الْجَدِيدِ (قَارَّةَ أَمِيرِكََا) وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ
وَصَلَ إِلَى الْهِنْدِ.

هَذَا الْجُزْءُ السَّادِسُ مَوْجُودٌ شَيْئَةً تَامٌ. وَحِينَئِذٍ يَصِلُ هَذَا الْجُزْءُ الْخَامِسُ إِلَى يَدِ
الْقَارِئِ أَكُونَ أَنَا قَدْ دَفَعْتُ ذَلِكَ الْجُزْءَ السَّادِسَ إِلَى الْمَطْبَعَةِ أَوْ عَلَى وَشْكَ أَنْ أَدْفَعَهُ
إِلَى الْمَطْبَعَةِ، مَرَّةً وَاحِدَةً أَوْ أَقْسَاماً مُتَلَاخِقَةً.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ فِي كُلِّ أَمْرٍ وَفِي كُلِّ حِينٍ عَلَى مَا أَقْدَرَ عَلَيهِ، وَهُوَ الْمُسْتَعَانُ فِي كُلِّ عَمَلٍ؛
وَلَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا السَّعْيُ. وَمَا الْوَصُولُ عَلَى الْعَامِلِينَ الْمُخْلِصِينَ إِلَى تَحْقِيقِ أَشْيَاءٍ مِنْ
أَمَالِهِمْ - بَعْدَ عَوْنِ اللَّهِ - بِعَزِيزٍ.

ع. ف.

فِي الثَّلَاثِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَوَّالِ ١٤٠١،

١٩٨١ / ٨ / ٢٣

تاريخ الأدب العربي الجزء الخامس

المرابطون في الأندلس: معركة الزلاقة - المغرب وصقلية
 - الحياة السياسية في الأندلس - والحياة الاجتماعية -
 الحياة الثقافية خاصة: في العلوم الرياضية والطبيعية - في
 الطب خاصة: آل زهر - الفلسفة - الأدب - صورة الحياة
 العامة: الحياة الثقافية - تاريخ الفكر - اللغة - النثر -
 الشعر خاصة ٣٣ .

٧٠	ابن الملح	٥٠٠
٧٣	تميم بن المعز الصنهاجي	٥٠١
٧٧	عز الدولة الصمادحي	
٨٠.....	ابن اللبّانة	٥٠٧
٨٨	ابن طاهر القيسي	٥٠٧
٩١	ابو العرب مصعب بن محمد	٥٠٧
٩٣	ابن القصيرة الولي	٥٠٨
٩٥.....	سراج بن عبد الملك بن سراج	٥٠٨
٩٦	ابن قزمان الكبير	٥٠٨
١٠٠	أبو الحسن بن الحاج	٥١٠
١٠٢	الجزار السرقسطي	٥١٥
١٠٦.....	ابن النحوي التوزري	٥١٣
١٠٩	ابو القاسم بن الجد	٥١٥

١١٢	ابن القطاع	٥١٥
١١٥	ابن صارة الشنتريني	٥١٧
١٢١.....	أبو بكر بن عطية	٥١٨
	بنو القبطرونه:	
	- أبو محمد طلحة	
	- أبو الحسن محمد	
١٢٢.....	- أبو بكر عبد العزيز	
١٢٦	محمد بن بشير	٥٢٠
١٢٨	أبو بكر بن رحيم	٥٢٠
١٣١	المتنيّ الجزيري	٥٢٠
١٤٤.....	أبو بكر الطرطوشي	٥٢٠
١٥٢	ابن السيد البطليوسي	٥٢١
١٥٩	ابن أخت غانم	٥٢٥
١٦١	الأعمى التطيلي	٥٢٥
١٦٨.....	أبو عمرو الأندي	٥٢٥
١٧٠	أبو الحسن بن الباذش	٥٢٨
١٧٢	ابن الطراوة	٥٢٨
١٧٤	ابن الزقاق البلنسي	٥٢٩
١٨٠.....	أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسي	٥٢٩
١٨٦	الفتح بن خاقان الإشبيلي	٥٢٩
١٩٢	ابن عبدون	٥٢٩
٢٠١	ابن حمديس الصقليّ	٥٢٩
٢١١.....	الرشيد العبادي	٥٣٠
٢١٣	أبو الحسن بن جودي	٥٣٠
٢١٥	ابن باجه	٥٣٣

٢١٨	ابن خفاجة	٥٣٣
٢٢٥	أبو الفضل بن شرف	٥٣٤
٢٣٠	أبو العباس بن العريف	٥٣٦
٢٣٢	ابن برنجال	٥٣٦
٢٣٣	الإمام المازري	٥٣٦
٢٣٧	أبو الطاهر التميمي القرطبي	٥٣٨
٢٤٥	ابن الفخار المالقي	٥٣٩
٢٤٩	أبو العلاء عبد الحق بن الجنان	٥٣٩
٢٥١	أبو بكر بن الجنان	
٢٥٤	ابن مجبر الصقلي	٥٤٠
٢٥٦	ابن بقي الأندلسي	
٢٦١	ابن أبي الخصال الغافقي	٥٤٠
٢٦٤	رفيع الدولة الصمادحي	٥٤١
٢٦٨	أبو محمد بن عطية	٥٤١
٢٧١	الخزومي الأعمى الغرناطي	٥٤١
٢٧٣	ابن بسام الشتريني	٥٤٤
٢٨٠	أبو القاسم الكلاعي	
٢٨٤	أبو بكر بن العربي	٥٤٣
٢٨٩	أبو بكر الحشفي	٥٤٤
٢٨٩	ابن سلام المالقي	٥٤٤
٢٩٠	القاضي عياض	٥٤٤
٢٩٥	أبو بكر الأبيض	٥٤٤
٣٠٠	جعفر بن محمد الشنتمري	٥٤٧
٣٠٣	ابن ينق الشاطبي	٥٤٧
٣٠٥	ابن وكيل الاقليشي	

٣٠٧.....	ابن السراج الشتريني	٥٤٩
٣٠٩	يونس بن عيسى المرسي	
٣١٣	الحجاري صاحب المسهب	٥٥٠
٣٢٤	أبو جعفر بن عطية	٥٥٣
٣٢٧.....	أبو محمد بن الحاج	
٣٢٨	ابن قزمان الأصغر	٥٥٥
٣٣١	ابن الإمام الشلي	٥٥٥
٣٣٤	أبو بكر الصيرفي	
٣٣٨.....	أبو جعفر بن سعيد	٥٥٩
٣٥٠	نزهون بنت القلاعي الغرناطية	٥٦٠
٣٥٢	أبو العباس الجراوي المالتي	٥٦٠
٣٥٤	أخيل الرندي	
٣٥٧.....	أبو بكر اليكي	
	عصر الموحدين: الحياة الاجتماعية في أيام الموحدين -	
	... وفي أيام المرينيين - ... وفي أيام الحفصيين - الحديث	
	خاصة - الفقه - الفلسفة والتصوف - التاريخ -	
	الجغرافية - العلوم الرياضية والطبيعية - اللغة والنحو -	
٣٥٩	في الأدب وتاريخه - في النقد	
٣٨٦	ابن خيرة المواعيني	٥٦٤
٣٩٠	أبو حامد الغرناطي	٥٦٥
٣٩٨	ابن ظفر الصقلي	٥٦٥
٤٠٣.....	ابن المنخل الشلي	
٤٠٧	أبو غالب الغرناطي	
٤١١	ابن ميمون القرطبي	٥٦٧
٤١٣	أبو الحسن بن عياش	٥٦٨
٤١٦.....	أبو عامر بن الحمارة	٥٧٠

٤١٩	الأصم المرواني	
٤٢٢	ابن حبوس	٥٧٠
٤٢٥	أحمد بن مالك السرقسطي	٥٧١
٤٢٨	ابن سعد الخيزر البلنسي	٥٧١
٤٣٠	الرصاصي الرقاء البلنسي	٥٧٢
٤٣٦	ابن هردوس	
٤٣٧	أبو الحسن بن نزار	
٤٣٩	أبو جعفر الوقشي	٥٧٤
٤٤٢	أبو بكر بن خير الإشبيلي	٥٧٥
٤٤٣	اليسع بن عيسى بن حزم	٥٧٥
٤٤٥	الوهراني صاحب المنامات	٥٧٥
٤٥١	يونس بن محمد القسطلي	٥٧٦
٤٥٣	ابن سيد اللص الإشبيلي	٥٧٦
٤٥٥	أبو الطيب المسيلي	٥٧٨
٤٥٦	ابن بشكوال	٥٧٨
٤٥٨	الخنزرجي الصقلي	
٤٦١	ابن الفراء الضريد	
٤٦٣	عبد الحق الإشبيلي	٥٨١
٤٦٥	أبو القاسم السهيلي	٥٨١
٤٧٠	ابن طفيل	٥٨١
٤٧٣	ابن غلنده	٥٨١
٤٧٥	أبو الحسن بن لبّال	٥٨٣
٤٧٧	ابن غالب الغرناطي	
٤٨٠	الكتندي	
٤٨٢	ابن زرقون	٥٨٦

٤٨٤	أبو بكر بن مغاور	٥٨٧
٤٨٦	ابن مجبر	٥٨٨
٤٩٠	حفصة بنت الحاج الركونية	٥٨٩
٤٩٣	الإمام الشاطبي	٥٩٠
٥١٢	ابن مضاء	٥٩٢
٥١٥	أبو الحسن الجبائي	٥٩٣
٥١٨	أبو مدين	٥٩٤
٥٢١	ابن صاحب الصلاة	
٥٢٤	ابن رشد	٥٩٥
٥٣٠	أبو القاسم بن البراق	٥٩٦
٥٣٩	أبو بكر بن زهر	٥٩٥
٥٤٤	عبد المنعم بن الفرس	٥٩٨
٥٤٦	ابن محشرة	٥٩٨
٥٦٧	عبد الوهّاب القيسي المشي	٥٩٨
٥٥٠	صفوان بن ادريس	٥٩٨
٥٥٣	ابن عميرة الضبي	٥٩٩
٥٥٥	حمدة بنت زياد	٦٠٠
٥٥٧	ابن الفرس (أو المهر) الغرناطي	٦٠١
٥٦٠	أبو جمفر الذهبي	٦٠١
٥٦٢	أبو العبّاس السبتي	٦٠١
٥٦٤	الحكم الجلباني	٦٠٣
٥٦٨	أبو ذرّ الحثني	٦٠٤
٥٧٠	أبو عمران المارتلي	٦٠٤
٥٧١	السيد أبو الربيع الموحدى	٦٠٤
٥٧٤	أبو الحجّاج البلوي	٦٠٤
٥٧٩	ابن شكيل الصدي	٦٠٥

٥٨١	أبو عبد الله بن يربوع	٦٠٦
٥٨٢	ابن بدرون	٦٠٨
٥٨٥	الكانمي الأسود	
٥٨٧	ابن سيدراي	٦٠٩
٥٨٩	أبو العباس الجراوي	٦٠٩
٥٩٣	الجزولي النحوي	
٥٩٤	أبو جعفر المؤدّب الحميري	٦١٠
٥٩٥	أبو البقاء البنسي	٦١٠
٥٩٧	ابن خروف	٦١٠
٦٠٢	أبو محمد بن الحسن القرطي	٦١١
٦٠٣	عبد البر بن فرسان	٦١١
٦٠٦	ابن حوط الله الحارثي	٦١٢
٦٠٨	ابن جبير	٦١٤
٦١٣	ابن حزمون المرسّي	
٦١٧	ابن المرخي المغربي	٦١٦
٦١٨	أبو القاسم بن سميد	٦١٧
٦٢٢	أبو طلحة الإشبيلي	٦١٨
٦٢٤	الشريشي	٦١٩
٦٣٠	ابن عبد ربّه المالقي	٦٢٠
٦٣٢	أبو عبد الله محمد بن أصبغ (ابن المناصف)	٦٢٠
٦٣٤	ابن سالم المالقي	٦٢٠
٦٣٥	أبو الحسن بن حريق	٦٢٢
٦٣٧	ابن الفكّون	
٦٤٠	أبو القاسم بن هشام القرطي	٦٢٣
٦٤٥	عبد السلام بن مبيش	٦٢٥

٦٤٧.....	أبو اسحاق بن أصبغ القرطبي	٦٢٧
٦٤٨	أبو الحسن بن الفضل المعافري	٦٢٧
٦٥٥	أبو زيد الفازازي	٦٢٧
٦٥٧	أبو الحجّاج التادلي بن الزيات	
٦٥٩.....	أبو عبد الله محمد بن حماد الصنهاجي	٦٢٨
٦٦٣	ابن معط الزواوي	٦٢٨
٦٦٧	أبو الوليد الشقندي	٦٢٩
٦٧٤	أبو الروح عيسى بن عبد الله النفزي	٦٢٩
٦٧٦.....	المأمون الموحي	٦٢٩
٦٧٨	ابن إدريس التجيبي	٦٣٠
٦٧٩	أبو القاسم البلوي الإشبيلي	٦٣٢
٦٨٨	ابن طلحة الأنصاري	٦٣٢
٦٩٠.....	ابن دحية الكلبي	٦٣٣
٦٩٧	مرج الكحل	٦٣٤
٦٩٩	أبو الربيع بن سالم الكلاعي	٦٣٤
٧٠٥	أبو يحيى بن هشام القرطبي	٦٣٥
٧٠٧.....	أبو بكر الصابوني الإشبيلي	٦٣٦
٧١٥	ابن نعم الحضرمي	٦٣٦
٧١٧	أبو الحجّاج الإشبيلي	٦٣٦
٧٣٠	ابن خبارة الخطّابي	٦٣٧
٧٢٢.....	محيي الدين بن عربي	٦٣٨
٧٣٤	سهل بن محمد الأزدي الغرناطي	٦٣٩
٧٣٩	أبو بكر بن قسّوم	٦٣٩

ألا مقدمة (١)

يَخْرِصُ الْمُؤَلِّفُ عَادَةً عَلَى أَنْ يَكُونَ كُلُّ كِتَابٍ لَهُ تَامًا فِي مَوْضوعِهِ. إِنَّ هَذَا السَّنِيَّ إِلَى الْكَمَالِ مَدْوُوحٌ، وَلَكِنَّ الْوَصُولَ إِلَى الْكَمَالِ مُسْتَحِيلٌ.

إِنَّ أَوَّلَ مَا يَصْطَدِمُ بِهِ مُؤَرِّخُ الْأَدَبِ كَثْرَةُ الْأَدْبِ وَالشُّعْرَاءِ. وَسَأَكْتَفِي هُنَا بِالْقَوْلِ الْمَشْهُورِ لِأَبْنِ قُتَيْبَةَ: لَوْ عَدَدْتُ كُلَّ مَنْ قَالَ شِعْرًا شَاعِرًا لَعَدَدْتُ جَمِيعَ الْعَرَبِ. فَلَا بُدَّ، إِذَنْ، مِنَ التَّخْيِيرِ وَمِنَ الْجَهْدِ فِي ذَلِكَ التَّخْيِيرِ عِنْدَ انْتِقَالِهِ الْأَدْبَاءِ وَالشُّعْرَاءِ وَالْمُؤَرِّخِينَ لِلأَدَبِ وَالنُّحَاةِ وَالنُّقَادِ مِمَّنْ يَجِبُ ضَمُّهُمْ - أَوْ يَحْسُنُ ضَمُّهُمْ - إِلَى كِتَابِ عَامٍّ فِي تَارِيخِ الأَدَبِ الْعَرَبِيِّ.

تَمَّ تَبَدُّو مَصَاعِبُ أُخْرَى. هُنَالِكَ أَشْخَاصٌ مُكْثَرُونَ مِنَ النَّثْرِ وَالشُّعْرِ، وَلَكِنْ تِتَاجَهُمْ نَازِلٌ عَنِ مَرْتَبَةِ الْجُودَةِ. إِنَّ هَوْلَاءَ، بِلَا رَيْبٍ، مِنْ صُورَةِ الْجَانِبِ الأَدْبِيِّ فِي حَيَاةِ الأُمَّمِ. وَلَكِنْ بَمَا أَنَّ الْمُؤَلِّفَ فِي تَارِيخِ الأَدَبِ مُضْطَّرٌّ إِلَى التَّخْيِيرِ مِنْ أَصْحَابِ النِّتَاجِ الْجَيِّدِ، فَمِنَ الأَوَّلَى أَنْ يُهَيِّلَ هَوْلَاءَ الأَدْبَاءِ الْعَادِيِّينَ الَّذِينَ لَا نَجْدُ فِي تِتَاجِهِمْ جَانِبًا جَدِيدًا أَوْ جَانِبًا مُفِيدًا وَأَنْ يُتْرَكَ مَكَانَهُمْ لِأَوْلَئِكَ المُقْلِينَ مِنْ ذَوِي الإِنْتِاجِ الْجَيِّدِ، مَا أَمَكَّنَ ذَلِكَ.

وهنالك أدباء وشعراء لهم نتاج جيد، ولكننا نجهدل تواريخ وفياتهم، وربما جهلنا عصرهم أيضاً، فلا حيلة لمؤلف كتاب في تاريخ الأدب قائم على الحوليات (توالي السنين) في هؤلاء. أما إذا كان مؤلف يضع قاموساً في الأدب (على أحرف الهجاء)، فإن بإمكانه أن يضم إلى قاموسه هذا أشخاصاً جهل أعمارهم أو أعصارهم. ونجد أيضاً جماعة مشهورين نعرف تاريخ وفياتهم، ولكن ليس لدينا نصوص من نتاجهم. إننا لا نستطيع أن نسلك هؤلاء في سلسلة بحثنا إذا لم يكن لدينا نص من نتاجهم يقوم دليلاً أو شبه دليل على مكانتهم.

تَمَّ يَأْتِي هَوْلَاءَ الَّذِينَ هُمْ شُعْرَاءُ (أَوْ أَدْبَاءُ) بِالْعَرَضِ كَالنُّحَاةِ وَالْفَلَسَفَةِ وَالْعُلَمَاءِ

والفقهاء، فما نفعل بهم؟ لقد ضَمَمْتُ أنا نفرًا من هؤلاء إلى هذه السلسلة كَأَبْنِ بَاجَةَ
وَأَبْنِ طُفَيْلٍ (مخترع القصة العلمية) وَاَبْنِ رُشْدٍ (الحفيد: الفيلسوف) ثم الشاطبي
صاحب «جزر الأمان» (وهي أرجوزة في القراءات: قراءات القرآن الكريم) وَاَبْنِ
مالك النَّحْوِيِّ.

من مشاكل التحقيق:

يقول أبْنُ خَلْدُونٍ^(١): إِنَّ مِنْ «مغالط»^(٢) المورخين «الثقة بالناقلين». ولقد
قصد أبْنُ خَلْدُونٍ، بلا ريب، أولئك المورخين الذين لا ينظرون في مصادر أخبارهم
أو يتشيعون لآراء ومذاهب فيجانبون الحق ويجيدون عن الصواب فيما رووا.

ونحن اليوم حينما نأتي إلى تاريخ الأدب نقف من المعاصرين لنا ومن الذين سبقونا
كثيراً أو قليلاً كما وقف أبْنُ خَلْدُونٍ من المورخين الذين سبقوه. ومع أن عدداً كبيراً
من المصادر والمراجع التي نعتمدها اليوم قد ظهرت وعلى صفحاتها الأولى «أنها
مُحَقَّقَةٌ» أو مُحَرَّرَةٌ^(٣) أو أنها بأعنته فلان وفلان، فإننا نجد فيها مغامراً^(٤) مختلفة.
ففي كتاب «زاد المسافر» (بيروت ١٩٧٠ م) لا نجد في «فهرست الأعلام» رقماً
منطبقاً على صفحات ذلك الكتاب. إن «المخزومي الأعشى الشريف» المذكور في
الفهرست على أن اسمه يرد على الصفحتين ٧٥ و ٨٣، بينما هذا الاسم يرد على
الصفحتين ١١٧ و ١٢٥. وكذلك شأن جميع الأسماء في ذلك الفهرس.

ويبدو أن الناشر الجديدة (للطبعة الثانية) قد أراد أن يُحْدِثَ تبديلاً في شكل
طبعته الثانية فضم أرقام صفحات المقدمة التي كان «مُخْرَجُ الكتاب» قد أعدّها
للطبعة الأولى إلى صفحات متن الكتاب في نسق واحد، وغاب عنه أن فهرس

(١) المقدمة (المطبعة الأدبية، بيروت ١٩٠٠ م)، ص ٩ (دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٦٦ م)، ص ١٢.

(٢) المغلطة (بالتفتح): الكلام يُغلط (سوءاً) أو يُغالط به (قصداً).

(٣) التحقيق هنا: ضبط النسخ في المخطوط الذي طبع منه الكتاب المحقق. والتحرير ضبط الألفاظ من حيث الصحة.

(٤) المغمر: المريب (الظن: أمر خطاه ظاهر).

الكتاب (للأعلام الأشخاص - للمدن والأماكن - للقوافي) قد وُضِعَتْ للدلالة على صَفَحَات الطبعة الأولى.

- وفي كتاب « النبوغ المغربي » للأستاذ عبد الله كَنُون ثروة من التراجم المغربية والأخبار والمختارات نظماً ونثراً في مُعْظَم فَنُونِ الأدب. ولكن ترقيم الصَفَحَات مضطرب: يبدأ الجزء الأول بالصفحة « واحدة » وينتهي بالصفحة ٣٣٨. ثم يبدأ الجزء الثاني بالرقم « واحد » إلى « تسعة » ثم من ٣٤١ إلى ٩٩٣ (فيكون هنالك أرقامٌ يَدُلُّ كُلُّ رَقْمٍ منها على صَفْحَتَيْن). هذا خطأ الناشر والطابع، وليس خطأ من المؤلف. ومع أن عدد الصَفَحَات المكرورة كان قليلاً (نحو مائة صفحة) فإنه لا يساعد على الوضوح عند إحالة القارئ إلى صفحة من تلك الصفحات المكرورة.

وهنالك مشاكلٌ سَامِرَةٌ بها سريعاً: سَنَوَاتٌ وَفَيَاتٌ مُتَبَاعِدَةٌ (وهو كثير) - مصادرٌ تَحُلُطُ بين ترجمتي شخصين أو أكثر - إحالة القارئ على مصدرٍ ثم تَجِدُ الصفحةَ المُحَالِ عليها تسردُ ترجمةَ شخصٍ غير المقصود - اضطرابٌ في الفهارس الهجائية: أسماء في متن الكتاب لا تظهَرُ في الفهرس وأسماء في الفهرس لا تَجِدُها في الصَفَحَاتِ المذكورة - أسماء يَرِدُ كُلُّ اسمٍ منها (في الفهرس) في مكانين مُختلفين بصيغتين مختلفتين - أسماء جُمِعَ اثْنانِ منها أو أكثرٌ في واحدة - ترتيبٌ مُخالِفٌ للمؤلف: الأَصْمعي، الأفلاطونية، أكل المرار (حق الألف المدودة، وهي في الحقيقة أَلْفانِ، أن تأتي قبل ذلك: قبل تسع صَفَحَاتٍ في الفهرس الذي أعنيه)، الأغاقي (فقد جعل مرتب الفهرس الفين بعد الفاء)، آل البيت (الألف المدودة أيضاً جاءت متأخرة تسع صفحات وفُصِّلَ بينها وبين أختها باسم آخر هو « الأغاقي »)... العزيز بالله، الأيوبي، الهلاليون، أوف، اليوسفي، اليونان، أمرؤ القيس، أمغار، أنخل، مُحسن الأمين، محمد (ص)، محمد الفضل، محمد البرنسي (تأخرت الباء عن الفاء)، محمد الفاسي، محمد بن ابراهيم (تأخرت الألف عن الفاء)،..... محمد بن المنصور، محمد بن تاويت (تأخرت التاء عن الميم).

وفي كتاب آخر (في حرف الميم من الفهرس): أبو مدنين، المسيلي، الحاسي، الموارقة، معروف، مالك، المتنبي، ابن مقدم، مضر، المؤمناني، المالقي، الخ.

إِنَّ مِثْلَ هَذَا يَحْدُثُ فِي الْكُتُبِ الضَّخْمَةِ.

ولكن هنالك فارقاً بين أمرين: بين أمرٍ يَغيبُ أحياناً عن المؤلف (أو المحقق) أو لا يسترعي انتباهه عند التصحيح (مع أن التصحيح أحياناً يقوم به أكثر من واحد أكثر من مرة) وأمرٍ يُعْمِلُه المؤلفُ أو المحقق حيناً يعهدُ به إلى نفرٍ أقلَّ منه درايةً.

أما أخطأ الأمرِ الأوَّلِ (الأخطاء العارضة) فيمكنُ استدراكها حيناً يُعيدُ المؤلفُ الطبع. لَمَّا صَدَرَ الجزء الثالث من هذه السلسلة (تسعمائة صفحة من المتن ثم من الحواشي بالحرفِ الدقيق - ما عدا المُقَدِّمات والفهارس - والمتن مشكولٌ شكلاً كاملاً في الأكثر) كان فيه مائة غلطةٍ أو أكثر. وقد صُحِّحت هذه في الطبعة التالية (ولعله لا يزال في ذلك الجزء شيءٌ من الأخطاء). وفي كلِّ طبعةٍ يُحاولُ المؤلفُ تصحيحَ غلطةٍ هنا وغلطةٍ هناك.

ولكنَّ هنالك أمراً آخرَ: هنالك نفرٌ من المؤلفين أو المحققين للمصادرِ يعتمدون مُساعدين من طلابهم أو أصدقائهم أو زملائهم أو يتخذون مُستأجرينَ لذلك يقومون بعددٍ من الأعمال في الكتاب المحقق (صُنِعَ الفهارس مثلاً). وهذا الاعتماد ظاهرٌ جداً. لا يُمكنُ لحقِّقِ كتابٍ (على هذا المستوى) أن يَشكُلَ بيتاً من الشعر مثلَ هذا الشكل: فهل لهم سائل عنهم فيخبرهم (ويضع ضمةً على الراء مكان الفتحة). وكذلك لا يمكن أن يغفلَ محققٌ عن أن بيتَ الشعر:

هو البحر غص فيه إذا كان ساكناً على الدرِّ وأحذره إذا كان مزبداً

للمتنبي وليس لأبي الصلت أمية بن عبد العزيز.

ويردُ بيتانٍ من الشعر مرتين في كتابينٍ لمُحَقِّقٍ واحدٍ. يردانِ مرةً على الصورة

التالية (٢: ٥٩٣):

- قل لابن شلبون مقال تزّه غيري يجاريك الهجاء فجارٍ
(إنّا اقتسنا خطيننا بيننا فحملت برّة واحتملت فجارٍ)

ويلى البيتانِ (هنا) هذه الجملةُ (في النصِّ نفسه):

- وهذا (البيت الثاني) مُضْمَنٌ من شعر النابغة الذبياني.
وكذلك يَرِدُ هذانِ البيتانِ مرَّةً ثانيةً (٥ : ٢٧٤) على هذه الصورة الأخرى:

- قل لابن شلبون مقال تنزهه غيري مجاريك الهجاء فجار
أنا اقتسنا خططينا بيننا فحملت برّة واحتملت فجارى

الملاحظة على الرواية الثانية:

- انَّ المحقّق لم يُشيرْ هنا إلى أنّ البيت «إنا اقتسنا...» مأخوذٌ من النابغة. وهو يعرف ذلك بلا شك. ثم إنّ الرواية الثانية قد أفسدتِ الجِناسَ التامَّ في «فجارٍ (في البيت الأوّل: الفاء للعطف؛ جار: فعل أمر من جارى)، ثمّ في فجارٍ (اسم للفجور: الانفماس في المعاصي، معدول عن الفاجرة ومبني على الكسر بلا تنوين). وليس من المعقول أن تكونَ الروايتانِ مَضْبُوطَتَيْنِ ومُحرَّرَتَيْنِ بقلمِ مُحقِّقٍ واحدٍ. ولا ريبٌ في أنّ الذي ضَبَطَ الروايةَ الثانيةَ أقلُّ معرفةً بالنحو وتاريخ الأدب من الذي ضَبَطَ الروايةَ الأولى.

وكذلك ليس من الممكن أن يكونَ محقِّقُ الكتابِ قد ضَبَطَ الظاءَ بالكسر في البيت التالي: عاثتِ باحتك الظُّبا... (يقصد الأطباء جمع ظبي: الغزال)، بينما المقصود الظُّبا (بضمّ الظاء جمع ظبّة - بضمّ ففتح بلا تشديد - : حدّ السيف). لعلّ نفرًا من هؤلاء الذين يساعدون المحقِّقَ ليسوا جهالاً ولكنهم يَفْصِدُونَ أن يُوقموا المحقِّقَ في مثل هذه المآخذ. هنالك كتابٌ كبيرٌ قيّمٌ فيه كثيرٌ من هذه الأمور، فرجائي إلى محقِّقه - وهو زميلٌ وصديقٌ أجله وأعرفُ مقدارَ علمه. ولقد اعتمدتُ كتابه اعتماداً كثيراً ونوّهتُ بعمله في مواضعٍ من الأجزاء الأندلسية في هذه السلسلة - رجائي أن يرّوّه بقلبه على أجزاء ذلك الكتابِ وأن يُعيد هو بنفسه وضعّ «فهرس الأعلام» من جديد.

ويلحقُ بهذه المشاكلِ شيءٌ اسمه «التحقيق»:

تناولتُ كتاباً على صفحته الأولى «نشرٌ وتحقيقٌ: تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، تأليف خالد بن عيسى البلوي الأندلسي، ثمّ (بجرف أصغر): مقدّمة للكتاب «بقلم الحسن السائح».

إِنَّ الحَسَنَ السَّائِحَ قد حَقَّقَ «رِحْلَةَ البَلَوِيِّ» (ص: هـ)، ثم أَخْتَارَ أَنْ يَنْشُرَ المَقْدَمَةَ التي صَنَعَهَا لِلرَّحْلَةِ المُحَقَّقَةِ نَشْرًا مُسْتَقْلًا (ولا أَعْلَمُ فَائِدَةَ ذلك)، غيرَ أَنَّ هذِهِ المَقْدَمَةَ (المطبوعة وحدها مُسْتَقْلَةٌ في الكِتَابِ الذي تَنَاوَلْتَهُ) - في الحَقِيقَةِ - مَحَاوِلَةٌ لِمَجْمَعِ ما تَفَرَّقَ في عَدَدٍ مِنَ الكِتَابِ مِمَّا يَتَمَلَّقُ بِالْبَلَوِيِّ. وَبعض ما جَمَعَهُ الحَسَنُ السَّائِحُ مِنَ الكِتَابِ قَلِيلٌ الصِّلَةُ بِتَحْقِيقِ «رِحْلَةِ البَلَوِيِّ».

وَمِنذُ مَطْلَعِ هذِهِ المَقْدَمَةَ يَبْدَأُ صَاحِبُهَا بِاسْتِطْرَادٍ، هُوَ: «أَشْتَهَرَ المَغَارِبَةُ وَالْأَنْدَلِيسِيُّونَ بِتَأْلِيفِ الرِّحْلَاتِ.....» (ص ١). ثم يَتَكَلَّمُ عَلى المَنهاجِ الذي اتَّبَعَهُ في التَّحْقِيقِ وَعَلى أَصُولِ (يَقْصِدُ: مَخْطُوطَاتِ) الرِّحْلَةِ كَلامًا في صُلْبِ المَوْضُوعِ. فَإِذَا جَاءَ إِلى حَيَاةِ البَلَوِيِّ بَدَأَ بِعَنْوَانٍ هُوَ «قَبِيلَةُ البَلَوِيِّينَ» فيَتَكَلَّمُ عَلى نَفَرٍ مِنَ المَعْرُوفِينَ بِالْإِتِّسَابِ إِلى هذِهِ القَبِيلَةِ (ص ٣ - ٤). غيرَ أَنَّهُ لا يَذْكَرُ اسْمَ القَبِيلَةِ (وَأَسْمَاءَ: بَلِيٌّ مِثْلَ عَليٍّ، رَاجِعِ القَامُوسِ ٤: ٣٠٥). وَلِكنَّهُ يُلْحِقُ بِكَلِمَةِ «بَلَوِي» حَاشِيَةً يَقُولُ فِيهَا: «البَلَوِيُّ مُفْرَدٌ بَلِيٌّ (كَذَا) كَعَمَلِي. وَالبَلِيَّةُ النَّاظِقَةُ يَمُوتُ صَاحِبُهَا فَتُشَدُّ إِلى قَبْرِهِ حَتَّى تَمُوتَ» (ص ٣).

وَبَعْدَ كَلامٍ عَلى حَيَاةِ البَلَوِيِّ يَنْتَقِلُ الحَسَنُ السَّائِحُ إِلى «فَنَ الرِّحْلَاتِ وَدَوَاعِيهِ: الرِّحْلَاتِ العَرَبِيَّةِ الإِسْلامِيَّةِ في المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ» (ص ٦١ - ٧١). ثم يَنْتَقِلُ إِلى الكَلامِ عَلى الجِغرافيَّةِ في رِحْلَةِ البَلَوِيِّ، فيَتَكَلَّمُ عَلى الجِغرافيَّةِ عِنْدَ العَرَبِ (ص ٧٣ - ٨٦) وَعَلى أَدبِ الرِّحْلَاتِ وَالْأَسْلُوبِ الأَدْبِيِّ في رِحْلَةِ البَلَوِيِّ (ص ٨٨ - ٩١)، وَلِكنَّ لا نَرى في هَذَا الفِصْلِ الطَوِيلِ «الْأَسْلُوبِ الأَدْبِيِّ في رِحْلَةِ البَلَوِيِّ» (ثَلَاثَ صَفْحَاتٍ كَامِلَةً) شَيْئًا يَتَمَلَّقُ بِالْبَلَوِيِّ مِنَ قُرْبٍ أَوْ مِنْ بَعْدٍ.

- إِنَّ هذِهِ المَقْدَمَةَ، في الحَقِيقَةِ، مُتَكًّا لِتَطْلِيقِ حُرِّ بَدْوَرٍ حَوْلَ البَلَوِيِّ.

- لا اعْتِراضَ لِي الآنَ عَلى الحَسَنِ السَّائِحِ: إِنَّ ما قَعَلَهُ في رِحْلَةِ البَلَوِيِّ يَفْعَلُهُ كَثِيرُونَ مِنَ أَوْلِيائِكَ الذِّينَ يَظُنُّونَ أَنَّ كُلَّ مَن تَنَاوَلَ كِتَابًا لَهِم بِجَهْلِ كُلِّ شَيْءٍ مِنَ التَّارِيخِ وَمِنَ الأَدبِ وَمِنَ العِلْمِ فيُحَاوِلُونَ أَنْ يَحْشُرُوا كُلَّ ما يَعرُفُونَهُ في كُلِّ مُناسِبَةٍ.

- لَيْسَ مَعْنَى ما تَقَدَّمَ أَنَّ هذِهِ «المَقْدَمَةَ» التي صَنَعَهَا الحَسَنُ السَّائِحُ لِلتَّحْقِيقِ الذي قامَ بِهِ لِرِحْلَةِ البَلَوِيِّ لا جُهْدٌ فِيهَا أَوْ لا فَائِدَةٌ مِنْهَا. إِنِّي أَحْبَبْتُ هَذَا العَرَضِ

الذي طال فوق ما يَجِبُ أَنْ أَكْثِفَ عَنْ عِدَدٍ مِنَ الْمَصاعِبِ الَّتِي يَلَاقِيهَا مُؤَلِّفُو الْكُتُبِ الواسعة حيناً يُريدونَ أَنْ يُقَدِّمُوا لِلقَارِئِ أَكْثَرَ مَا يَمَكِنُ مِنَ المَعَارِفِ فِي أَقَلِّ مَا يَمَكِنُ مِنَ اللفظِ وعلى أَوْضَحِ مَا يَكُونُ مِنَ العَرَضِ.

- ولقد أَحَسَّ العَلَامَةُ الحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ السَّائِحِ صُنْعاً فَنَشَرَ « تاج المَفرق » لخالِدِ بْنِ عيسى البَلَوِيِّ (بِإِشْرَافِ اللِّجْنَةِ المُشْتَرِكَةِ لِنَشْرِ التُّرَاثِ الإِسْلَامِيِّ بَيْنَ المَمْلَكَةِ المَغْرِبِيَّةِ وَدَوْلَةِ الإِمَارَاتِ العَرَبِيَّةِ المُتَّحِدَةِ). - مطبعة فضالة في المَحَدِيَّةِ، بالمَغْرِبِ - بلا تاريخٍ لِلطبعِ).

ومن مشاكل الفهارس ما يلي:

أَنْ نَفَرَا مِنَ المُوَلِّفِينَ وَمِنَ المُحَقِّقِينَ لِلكُتُبِ لَا يَضَمُونَ الفهارسِ بَأَنفُسِهِمْ، بَلْ يَمَهِّدُونَ بوضعها إلى آخَرِينَ. وهؤلاء الآخرون (وخصوصاً إذا كانوا أكثر من واحد) يَتَّبِعُونَ مَنهجاً شَكلياً في وضع الفهارس المِجاثِيَّةِ لأعلام الأشخاص: يُثَبِّتُونَ رَقْمَ كُلِّ صَفْحَةٍ يَرِدُ فِيهَا الأَسْمُ المَقْصُودُ وَرُوداً ظاهراً، من غيرِ نَظَرٍ في قِيَمَةِ وَرُودِهِ فِي كُلِّ صَفْحَةٍ. فَلأخْذِ مَثَلاً واحداً لم أَنخِيره، بل وَقَعَ نَظَرِي عَلَيْهِ اتِّفَاقاً:

في « فهرست الأعلام » (ص ٨): أثير الدين أبو حيان النحويِّ الغرناطيِّ (٢) ٤٣، ٤٤، ١٩٥، ٢١٢، ٢٢٨ - ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٤٢ الخ.

وبالرجوع إلى الصَّفَحَاتِ المذكورة نجدُ أَنَّ الكَلَامَ على أثير الدين قد وَرَدَ عَرَضاً فِي الصَّفَحَاتِ ٤٣، ٤٤، ١٩٥، ٢١٢، ٢٢٨، ٢٢٩، ثم وَرَدَ مُتَّصِلاً على الصَّفَحَتَيْنِ ٢٣٠ و ٢٣١. فالترقيم، إِذْنًا، يجب أن يكون ٤٣، ٤٤، ١٩٥، ٢١٢، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠ - ٢٣١، الخ. إن الذي صنع هذا الفهرسَ جعل الاستمرارَ في الكلام على أثير الدين في الصَّفَحَاتِ ٢٢٨ إلى ٢٣٠، مَعَ أَنَّ الكَلَامَ المُتَّصِلَ على أثير الدين جاء على الصَّفَحَتَيْنِ ٢٣٠ و ٢٣١ (وقد أهمل صانعُ الفهرسِ الصَّفْحَةَ ٢٣١، لأنَّ أَسْمَ أثير الدين أبي حيان لم يَرِدْ فِيهَا صَراحةً، مَعَ أَنَّ النَصَّ فِي تلكِ الصَّفْحَةِ مُتَمَلِّقٌ بِأبي حيان).

ومن المشاكل أيضاً الوصولُ إلى بحوثٍ وتراجُمٍ مفصَّلةٍ ودقيقةٍ في المَجَلَّاتِ : لا شكَّ في أَنَّ قَارِئَ هذه السِّلْسِلَةِ قد رأى منذ مطلعِ الجزءِ الأوَّلِ أَنَّ كُلَّ تَرْجُمَةٍ

مقسومة أربعة أقسام : ١ - الترجمة الشخصية، ٢ - خصائص صاحب الترجمة، ٣ - مختارات من آثار (صاحب الترجمة) ٤ - ** المصادر والمراجع.

ويرى القارىء أيضاً أنني أوردُ في هذا القسم الرابع تلك الكتب التي ألفت في صاحب الترجمة المقصود ثم ما وردَ عنه في عددٍ من المصادر العامة. وأنا لا أستطيع، مع الأسف، أن أستفيدَ كلَّ ما قيل عنه في كلِّ مصدرٍ عامٍّ أو مرجعٍ عامٍّ. ومما يزيدُ في أسفي أنني لا أستطيع أن أستشهدَ بمقالاتٍ واسعةٍ دقيقةٍ جليلةٍ تصدرُ في المجلات (ابتداءً بمجلةِ المجمعِ العلمي العربي بدمشق مثلاً، مروراً بمجلةِ «العربي» في الكويت وAntea بعددٍ من المجلات المتخصصة التي تكثرُ اليوم، كمجلةِ معهدِ المخطوطات العربية التي تُصدرها جامعةُ الدول العربية والتي تتضمَّنُ أعدادها أحياناً كتباً برمتها حتى لتتألفُ من كلِّ عددٍ من أعدادِ هذه المجلةِ كتابٌ كامل).

غيرَ أنَّ وصولَ المؤلفِ إلى بُحوثِ هذه المجلاتِ طويلُ الطريقِ وشاقٌّ أيضاً. أمَّا وصولُ القارىءِ إليها فيمكنُ أن يكونَ من بابِ المستحيلِ.

وهذا الذي ينطبقُ على المجلاتِ العربية ينطبقُ أيضاً على المجلاتِ في اللغاتِ الأخرى، وخصوصاً تلكِ المجلاتِ التي تنشرُ مقالاتها وبحوثها بلغاتٍ مختلفة.

ولكن ما الطريقُ إلى استخدامِ هذه المجلاتِ (بعد أن يكونَ القارىءُ العالمُ أو القارىءُ المؤلفُ قد أطلعَ على ما نُشرَ فيها)؟

لقد حاولَ نفرٌ من القائمين على عددٍ من هذه المجلاتِ أن يُوجدوا حلاً لهذه المشكلة فحرضوا - في أحيانٍ معينة - على أن يجعلوا بُحوثَ جزءٍ من أجزاءِ مجلَّتهم في شهرٍ ما (أو فصلٍ ما) تُعالجُ موضوعاً واحداً (فيكاد ذلك الجزء يكونُ كتاباً مستقلاً). غيرَ أن هذا الحلَّ ظلَّ حلاً جزئياً قاصراً. وكذلك حرَّضت مجلاتٌ عدَّةٌ على إصدارِ فهرسٍ عامة (مرةً في كلِّ عشرِ سنواتٍ مثلاً). ولكن هذه الفهارسُ أيضاً حلٌّ جزئي.

هنالك، إذن، ثرواتٌ أدبيةٌ وعلميةٌ وتاريخيةٌ مفرقةٌ في أعدادِ المجلاتِ الخاصةِ والعامةِ لا سبيلَ سهلاً إلى الوصولِ إليها. ولكن لا أريدُ من قارىءِ هذه الكلمة أن يذهبَ به الظنُّ إلى أنني أقصدُ أن تقفَ هذه المجلاتُ عن الصدورِ، ولكنني أقصدُ أن

الفائدة العَمَلِيَّة من أجزاء هذه المجلدات - بعد زَمَنٍ طويلٍ أو قصيرٍ من صدورها - تُصَبِّحُ فائدةً ضئيلةً في أكثر الأحيان .

ومُعْظَمُ المصادر والمراجع مما رَجَعْتُ إليه في هذا الجزء الخامس كُنْتُ قد رَجَعْتُ إليه في الجزء الرابع . وفي الجزء الرابع قَبْتُ به . أما ما رَجَعْتُ إليه في هذا الجزء مما لم أكنُ قد رَجَعْتُ إليه من قبلُ فَيَرِدُ فيما يلي :

- اختصار القدر المَعْلَى في التاريخ المَعْلَى لِأَبْنِ سَمِيدٍ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى : أَخْتَصَرَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَلِيلٍ (تَحْقِيقُ إِبْرَاهِيمِ الْإِبْيَارِيِّ) ، الْقَاهِرَةُ (الْمِهْنَةُ الْعَامَّةُ لِشُؤْنِ الْمَطَابِعِ الْأُمِيرِيَّةِ) ١٩٥٩ م .
- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى لأحمد بن خالد الناصري السلاوي، القاهرة (المطبعة المصرية) ١٣١٢ هـ .
- الأصالة (مجلة تصدرها إدارة الشؤون الدينية في الجزائر) .
- أعلام الجزائر .
- البحث العلمي (مجلة يصدرها المركز الجامعي للبحث العلمي: جامعة محمد الخامس - الرباط) .
- البلغة في أئمة اللغة
- تاريخ الجزائر العام، تأليف عبد الرحمن محمد الجيلاني، الجزائر (المطبعة العربية) ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٣ م .
- تاريخ النقد الأدبي في الأندلس، تأليف محمد رضوان الداية، بيروت (دار الأنوار) ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م .
- تحفة القادم = المقضب من تحفة القادم .
- التشوُّف إلى رجال التصوُّف، تأليف يوسف بن يحيى التادلي (ابن الزيات) - (اعتنى بتصحيحه أدولف فور)، الرباط (معهد الأبحاث العليا المغربية) ١٩٥٨ م .
- جذوة الاقتباس .
- الخريدة: خريدة القصر وجريدة العصر للمعاد الكاتب الأصغفاني:
- قسم شعراء الشام (عني بتحقيقه شكري فيصل): مطبوعات الجمع العلمي العربي بدمشق، دمشق (المطبعة الهاشمية) ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٤ م .
- قسم شعراء مصر (نشره أحمد أمين، شوقي ضيف، احسان عباس)، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر)، القاهرة (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٥٢ م .
- قسم شعراء المغرب (تحقيق محمد المرزوقي، محمد العروسي المطوي، الجيلاني بن الحاج يحيى)، تونس (الدار التونسية للنشر) ١٩٦٦ م وما بعد (ثلاثة أجزاء) .

- الداية = تاريخ النقد الأدبي في الأندلس.
- رحلة التجاني لأبي محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني (قدّم لها حسن حسني عبد الوهاب)، تونس (المطبعة الرسمية) ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٨ م.
- زاد المسافر لأبي بحر صفوان ابن ادريس التجيبي المرسي، بيروت (دار الرائد العربي) ١٩٧٠ م.
- طبقات السبكي: طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي، القاهرة (المطبعة الحسينية) ١٣٢٤ هـ.
- النصون الياضعة في محاسن شعراء المائة السابعة لابن سعيد أبي الحسن علي بن موسى، (بتحقيق ابراهيم الاياري)، الطبعة الثانية، القاهرة (دار المعارف بصر)، مصر (مطابع دار المعارف) ١٩٦٧ م (تاريخ تقديم الطبعة الثانية).
- مجلة البحث العلمي = البحث العلمي.
- القدح المثلّي = اختصار القدح المثلّي.
- مجلة المقتبس لصاحبها محمد كرد علي، القاهرة ثم دمشق.
- المطرب من أشعار أهل المغرب لابن دحية أبي الخطاب عمر بن حسن (بتحقيق ابراهيم الاياري، حامد عبد المجيد، أحمد أحمد بدوي)، القاهرة (المطبعة الأميرية) ١٩٥٤ م.
- المطرب (المخرطوم): المطرب من أشعار هلال المغرب لابن دحية أبي الخطاب عمر بن حسن.
- المعجم لابن الأبار: المعجم في أصحاب أبي عليّ الصديقي، تأليف محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار (بتحرير فرنسيسكو كوديرا أي زايدن)، مطبع روخس) ١٨٨٥ م.
- معجم أعلام الجزائر.
- معجم الصديقي = المعجم لابن الأبار.
- معجم المطبوعات العربية والمصرية، جمعه ورتبه يوسف اليان سركيس (منشورات مكتبة يوسف اليان سركيس)، مصر (مطبعة سركيس) ١٣٤٦ - ١٣٤٧ هـ = ١٩٢٨ م.
- معجم المؤلفين، تأليف عمر رضا كحالة، دمشق (مطبعة الترمي) ١٩٥٧ - ١٩٦١ م.
- المقتضب من تحفة القادم لابن الأبار أبي عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي الأندلسي (اختيار وتقييد أبي اسحاق ابراهيم بن محمد بن ابراهيم البلفيقي) - (بتحقيق ابراهيم الاياري)، القاهرة (المطبعة الأميرية) ١٩٥٧ م.
- المكتبة العربية الصقليّة: نصوص في التاريخ والبلدان والتراجم جمعها ميخائيل أماري، لبيسك (مطبعة بروكهاوس) ١٨٥٧ م؛ نشرت بالتصوير، بغداد (مكتبة المثني بلا تاريخ).

- منهاج الرعييني = برنامج الرعييني .
- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي لأبي المحاسن يوسف بن تغري بردي (تحرير أحمد يوسف نجاتي)، القاهرة (دار الكتب المصرية) ١٩٥٦ م .
- النباهي = قضاة الأندلس (راجع الجزء الرابع).
- نوهض .

إنَّ تحريرَ المخطوطات (نشرَ نصوصها مضبوطةً بحسبِ الأصلِ المأخوذةِ عنه) وتحقيقتها (تحريري صِحَّةِ كِلابِها وجُمليها وأختلافِ ألفاظها) منهجٌ قام به المستشرقون لَمَّا بدأوا طبعَ كتبِ التراثِ العرَبِيِّ (دواوينِ الشعرِ القديمِ وكتبِ التاريخِ ومجاميعِ الأدبِ وكتبِ الفقهِ وغير ذلك). ذلك هو التاريخُ، لأنَّ المطبعةَ ظهرتْ في أوروبةَ قبلَ أنَ تنتقلَ إلى بلادِ العربِ والاسلامِ .

ولكنَّ لا بُدَّ منَ كَلِمَةٍ في «تصحيحِ الكتبِ» العربيةِ التي صدرتْ في أوَّلِ عهدِ البلادِ العربيةِ بالمطبعةِ، مطبعةُ بولاق (من أحياءِ القاهرة - ولعلَّها المطبعةُ التي كان نابليون قد جاءَ بها). كانَ يُصحِّحُ تلكَ الكتبِ في المطبعةِ الأميريةِ (بولاق) أديبٌ أسمه نصرُ الهوريني .

هو أبو الوفاء نصرُ بنُ الشيخِ نصرِ يونسَ الهورينيُّ المصريُّ الأزهريُّ، كانَ عارفاً بالفقهِ واللُّغةِ والأدبِ والتاريخِ. وقد أرسلته الحكومةُ المصريةِ (الأميرية: في أيامِ مُحَمَّدِ عليٍّ مؤسسِ الأسرةِ العلويَّةِ) إماماً للبعثةِ المصريةِ التي كانَ أفرادُها يدرسونَ في فرنسة^(١). ويبدو أنَّه قد بقِيَ في فرنسةَ مُدَّةً مَكثتَه من أن يتعلَّمَ اللُّغةَ الفرنسيَّةَ .

(١) كانَ مُحَمَّدُ عليٌّ باشا مؤسسَ الأسرةِ العلويةِ في مصرٍ قد أرسلَ نِعْماً من نيهامِ الطلَّابِ لمتابعةِ الدراسةِ في أوروبةِ (فرنسةِ والكلترةِ وفي الروسية؟) في العلومِ النظريةِ وفي الفنونِ العمليةِ. ولم يكنِ في الشرقِ العربيِّ قبلَ مُحَمَّدِ عليٍّ نهضةٌ عصريةٌ في الدولةِ، ولكنَّ احتكاكَ العربِ بأوروبةِ بعدَ حملةِ نابليونِ على مصرِ والشامِ، من ١٧٩٩ إلى ١٨٠١ للميلاد (١٢١٥ - ١٢١٧ هـ) دفعتْ مُحَمَّدَ عليٍّ باشا إلى تناولِ أسبابِ الحضارةِ المادِّيةِ من الغربِ الأوروبيِّ. وبِحسبِ أن نعلمَ هنا أنَّ البعثاتِ التي أرسلها مُحَمَّدُ عليٌّ باشا إلى أوروبةٍ قد ساعدتْ على تطوُّرِ الحياةِ العلميةِ والحياةِ الأدبيةِ بين العربِ. وقد انتقلَ أثرُ هذا التطوُّرِ من مصرٍ إلى سائرِ البلادِ العربيةِ. أمَّا ما درجَ عليه نَفَرٌ من المتأدِّبينِ من نسبةِ بوادرِ النهضةِ =

ولما عاد نصرُ الهورينيُّ من فرنسةَ إلى القاهرة تولى رئاسةَ التصحيح (تصحيح الكتب المطبوعة) في المطبعة الأميرية (مطبعة بولاق). وقد صحَّح عدداً كبيراً من الكتب. ولا شك في أنه كان له معاونون في التصحيح، ولكن هذا لا يمنع من أن يكون هو المسؤول عن الكتب التي صحَّحها هو وعن الكتب التي قد صحَّحها أخواه أيضاً. ونحن نعرف أن الكتب التي خرَّجت من المطبعة الأميرية في بولاق كانت مضبوطةً ضبطاً يدعو إلى الإعجاب (يزيد في الدقة كثيراً على بعض ما يُسمى اليوم «تحقيقاً»). ومن المنتظر أن يكون أعوانُ الهورينيِّ في تصحيح الكتب بارعين مثله في أمر اللغة. غير أننا لا يجوز أن ننسى أن كثيراً من الضبط لنصِّ الكتب المطبوعة في المطبعة الأميرية كان يرجع إلى التآني الذي أمتاز به القرن الماضي - إذا قورن ذلك التآني بالسرعة الطاغية على الناس في القرن الحاضر.

وكانت وفاة نصرُ الهورينيِّ سنةَ ١٢٩١ للهجرة (١٨٧٤ م)^(١)

إن نصرأ الهورينيِّ يستحقُّ دراسةً تُنصفه وتضعُ جهوده في ضبط الكتب التي صحَّح «ملازمها» (كما نقولُ في عالم الطباعة) في إطارها الصحيح بالكشف عن أمانة هذا الرجل ومقدرته وفي العمل الذي قام به في تصحيح الكتب. وقد كنتُ أقترحتُ على الدكتور إبراهيم مذكور - رئيسِ مجمع اللغة العربية في القاهرة - أن يتولَّى أحدُ أعضاء المجمع من الإخوة المصريين هذا العمل (وأهل مكة أدرى بشعابها). ولعله فاعلٌ - إن شاء الله.

ونعودُ إلى المستشرقين وتحقيق الكتب.

كانتِ الغايةُ من تحقيقي الكتب العربية - لما بدأ المستشرقون ينشرون تلك الكتب - إخراجَ كتب التراث العربي بالنص الذي جاء على أقلام مؤلفيها. كان من المنتظر أن نرى كتباً نُشرت بالتصوير ثم كتباً نُشرت بالحروف مجردة من الشكل

الأدبية إلى نفر من الأدباء والصحابين في لبنان فيجب أن نصحه بأن هذا الذي كان في لبنان جاء بعد النفتح العربي في مصر بنحو جيل من الدهر أو يزيد. ولهذا القصة حديث طويل سيأتي.

(١) بروكس، الملحق ٢: ٧٢٦ - الأعلام للزركلي ٨: ٣٥١ (٢٩) معجم المطبوعات العربية لسركس. الصفحات ١٩٠٢ - ١٩٠٤.

(ضبطِ الكَلِمَاتِ بِالْحَرَكَاتِ) ومن علاماتِ الوقفِ (إِشَارَاتِ التَّنْقِيطِ) كَمَا يَتْرُكُ مُحَقِّقُ
الكتابِ للقارئِ حُرِّيَّةَ آخْتِيَارِ «الْقِرَاءَةِ» الْمَوَاقِفِ بِحَسَبِ أَجْتِهَادِ الْقَارِئِ.

وكانتِ الكُتُبُ الْكَبِيرَةُ (العديدةُ الأجزاء) يَتَوَلَّى نَشْرَهَا فِي الْعَادَةِ بِضَعْفِ نَفَرٍ.
فَكِتَابُ الطَّبْرِيِّ فِي التَّارِيخِ: «تَارِيخُ الرُّسُلِ (أَوِ الْأُمَمِ) وَالْمُلُوكِ»، مِثْلًا، أَشْرَفَ عَلَى
تَحْقِيقِهِ الْمُسْتَشْرِقُ دِهْ حَوِيَهَ الْمُولَنْدِيُّ (فَهُوَ مُحَرِّرُ الْكِتَابِ أَوْ الْمُشْرِفُ عَلَى تَحْقِيقِهِ).
وَقَدْ عَاوَنَهُ فِي هَذَا التَّحْقِيقِ نَفَرٌ مِنَ الْمُسْتَشْرِقِينَ مِنْهُمْ نَوْلْدِكَةُ الْأَلْمَانِيُّ وَعُوَيْدِي
الْإِيطَالِيُّ وَهَوْتْسَا الْمُولَنْدِيُّ وَغَيْرُهُمْ.

وَمُحَقِّقُو «تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ» لَمْ يَكْتَفُوا بِإِبْرَازِ النِّصِّ، بَلِ اسْتَعْرَضُوا الْقِرَاءَاتِ
الْمُخْتَلِفَةَ فِي الْمَخْطُوطَاتِ الْعَدِيدَةِ. ثُمَّ إِنَّهُمْ تَوَلَّوْا ضَبْطَ كَثِيرٍ مِنَ الْكَلِمَاتِ (وخصوصاً فِي
الأشعارِ) بِالْحَرَكَاتِ. فَلَيْسَ مِنَ الْحِكْمَةِ أَنْ نَتْرُكَ الْحُرِّيَّةَ الْمَطْلُوعَةَ لِكُلِّ قَارِئٍ فِي آخْتِيَارِ
الْقِرَاءَةِ الَّتِي يُرِيدُهَا (وَإِنْ كَانَ الْفَرْدُ بَعْدَ الْفَرْدِ مِنَ الْقُرَّاءِ الْعُلَمَاءِ لَا يَحْتَاجُ إِلَى هَذَا
الضَّبْطِ. وَرَبَّمَا كَانَ مِثْلُ هَذَا الضَّبْطِ لِمِثْلِ هَذَا الْفَرْدِ حَجْرًا عَلَى عِلْمِهِ وَدِرَايَتِهِ). غَيْرَ
أَنَّ مُحَقِّقِي تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ كَانُوا يَسْتَحِقُّونَ الشُّكْرَ عَلَى تِلْكَ التَّبِعَةِ الَّتِي حَمَلُوهَا فِي
ضَبْطِ أَقْسَامٍ مِنَ نِصِّ الْكِتَابِ بِالْحَرَكَاتِ.

وَلَقَدْ أَطْلَعْتُ الْكَلَامَ - مِنْ قَبْلُ فِي هَذِهِ الْمَقْدِمَةِ - عَلَى الْأَخْطَاءِ الْعَارِضَةِ فِي نَشْرِ
كُتُبِ التُّرَاثِ الْعَرَبِيِّ، وَلَكِنْ لَا بُدَّ مِنَ التَّنْبِيهِ عَلَى نُقْطَةِ أُخْرَى هُنَا. لَمْ يَبْقَ هُنَاكَ
رَيْبٌ فِي حِمْلَةِ الْأَسْتِعْمَارِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ وَجْهِ مِنْ وَجُوهِ حَيَاتِهِمْ حَتَّى وَصَلُوا إِلَى
«الشَّهَادَاتِ» يُعْطُونَهَا لِنَفَرٍ مِمَّنْ يَطْلُقُونَ أَيْدِيَهُمْ فِي حَضَارَتِنَا وَثِقَاتِنَا لِيُخْبِرُوا
حَضَارَةَ قَوْمِنَا وَثِقَاتَهَا قَوْمِنَا بِأَيْدِيهِمْ. وَيَتَوَلَّى «تَحْرِيجَ» هَؤُلَاءِ النَّفَرِ مُسْتَشْرِقُونَ
نَعْرِفُ كُتُبَهُمْ فَلَا يَسْتَحِقُّونَ بِهَا شَهَادَةً عَادِيَةً.

حَضَرْتُ مُؤْتَمَرًا فِي أوروْبَةِ (عَامَ ١٩٧٩) فَالْتَمَيْتُ بَعْضَ الْمُسْتَشْرِقِينَ مَقَالًا فِي «الْعُلُومِ
عِنْدَ الْعَرَبِ». لَمْ يَكُنْ فِي هَذَا الْمَقَالِ شَيْءٌ مِنَ الْعِلْمِ (إِذْ يَبْدُو أَنَّ ذَلِكَ الْمُسْتَشْرِقَ لَمْ
يَكُنْ «جِصَانًا» فِي الرِّيَاضِيَّاتِ)، وَلَكِنْ كَانَ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ الْحِقْدِ وَالتَّحَامُلِ. وَلَقَدْ
رَدَدْتُ عَلَى هَذَا الْمُسْتَشْرِقِ مِجْمَلَةً وَاحِدَةً، فَقُلْتُ لَهُ: أَنَا أَعْلَمُ تَارِيخَ الْعُلُومِ عِنْدَ الْعَرَبِ
لَطَلَّابِ الْبِكَالُورِيَا اللَّبْنَانِيَّةِ. وَلَوْ أَنَّ طَالِبًا عِنْدِي كَتَبَ مِثْلَ هَذَا الْمَقَالِ الَّذِي قَرَأْتَهُ

أنت علينا الآن لَمَا أَسْتَحَقُّ عليه ثمانية من عشرين (مع نظرة من الرحمة إلى الطالب).
ويبدو أن هذا سوء ليس خاصاً بالعرب.

فيا يلي قِصَّة لَعَلَّهَا واقعةٌ أو لَعَلَّهَا كانت مثلاً مضرّوباً.

قيل إنَّ ألكساندر دوماس الصغير (الابن) سألَ أبنَتَهُ مرَّةً فقال لها: أقرأتِ روايتي الأخيرة؟ فأجابته على ذلك بقولها: وهل قرأتها أنت؟

ولا شك في أن نَفراً كثيرين يضعون أسماءهم على كُتُب وهم لا يدرون ما فيها. جَرَّت عادةٌ منذُ زمنٍ قريبٍ في بعضِ البلاد العربية أن يَضَعَ نَفَرٌ كثيرين (ثمانية أو تسعة) - يَمَنُ كانت أسماءهم من أَلحِ الأسماء في ذلك الحين - أسماءهم، مثلاً، على كتابٍ لتعليم النحو العربي في المرحلة الابتدائية. وكانت الأسماء تُسَرَّدُ على غِلافِ الكتابِ بحسبِ شهرة تلك الأسماء عند أنصافِ المتعلمين. ولا ريبَ في أن الكتابَ كان من تأليفِ صاحبِ الأسمِ الأخير في القائمة الطويلة. أمَّا صاحب الأسمِ الذي ظهر مراراً أولاً في تلك القائمة فلم يكن صاحبه يُعْرِفُ من الكتابِ إلا أن أسمه وُضِعَ على غِلافه وإلَّا نصيبه السمين من حقوق التأليف.

وأحبُّ أن أعودَ قليلاً إلى أولئك الذين يعمدون إلى غيرهم بتحقيق أقسامٍ من الكتب التي ينشرونها فيقومُ غيرهم بتشويه هذا التحقيق قصداً، أنتقاماً من أولئك المُحقِّقين لأسبابٍ كثيرة.

ليس من المعقول أن يكونَ عمقُ العددِ الكبيرِ من الكتبِ والمؤلفِ في فنونِ الأدبِ والشعرِ والبلاغةِ جاهلاً حقائقِ النحوِ المشهورة، ولا أن يعمدَ بتحقيقِ جزءٍ من كتابٍ ينشره إلى رجلٍ جاهلٍ بتلك القواعد. وليس لهذه الأخطاء النحوية العاديةِ إلا تفسيرٌ واحدٌ: إنَّ هؤلاء الذين أُجبروا على معاونةِ المُحقِّقِ قد أرادوا أن يَنْتَقِمُوا من المُحقِّقِ فدسّوا هذه الأخطاء في كتبه.

جاء في كتاب..... (٣: ٣٢٥ تم ٦: ٢٣٠) هذان البيتان:

أما في الدهر من أفني إليه بأسراري فيؤنس بالجواب؟
أنلني، يا خير البرية خطة ترقمني قدراً وتكسبني عزاً،

فاعتزَّ في أهلي كما اعتزَّ بيدق على سفرة الشطرنج لما أثنى فرزاً.

وقد جاءت كلمة « فيؤنس » في البيت الأول ثم كلمة « فاعتز » في البيت الثالث بحركتين بالرفع (بالضمة) وحقها النصب (بالفتح) لأنها بعد فاء السببية (وقد جاءت الأولى بعد استفهام وجاءت الثانية بعد فعل الطلب - أي بعد فعل أمر).
فهل يُعقل أن يُخطيء استاذ كبير مثل هذا الخطأ. أليس قولي: « إن الذين ساعدوه في التحقيق قد دسوا عليه هذا الخطأ » دافعاً عنه.

ومثل ذلك (وأهون منه في كتب النحو) جزم الفعل المضارع بعد اسم الشرط.
هنالك مثلاً بيت (٥: ٥٩٢):

من يتغي اليوم صديقاً كما يرضى فقد زلت به بغيته.

يجب أن نقول « يتغ » (مجزومة لأنها اسم الشرط، وعلامة جزمها حذف حرف العلة). والفاء في « فقد » (في الشطر الثاني) رابطة لجواب الشرط. وجواب الشرط « قد زلت به بغيته » (في محل جزم جواب الشرط).

وأسهل من ذلك البيت التالي: (٥: ٥٩١):

كن وحيداً ما عشت تحيا بخير سالماً من شرور كل البرية.

يجب أن يقال « تحي » (مجزومة في جواب الطلب). وعلامة جزمها حذف حرف العلة من « تحيا ».

ولا نزال في النحو. هنالك مقطوعة (٢: ٣٩٠) في صدرها:

بجامع جلس رب الزعامه أقم تلق العناية والكرامه
ويم نحوه في كل وقت وصل به تصل دار الاقامه

فإن كلمة « رب » محركة بالجر (بالكسر)، ظناً من الذي حركها بالكسر أنها بدل من « جامع ». وحق « رب » أن تحرك بالنصب (بالتفتيح) لأنها منادى مضاف (يا رب الكرامة). والبيتان يجب أن ينقطا كما يلي:

بجامع جلس، رب الزعامه، أقم تلق العناية والكرامة؛

وَيَمَّ نَحْوَهُ فِي كَلِّ وَقْتٍ وَصَلَّ بِهِ تَصِيلَ دَارَ الْإِقَامَةِ.
(ولم ينس الناشر هنا أَنَّ «تَلَقَّ» و «تَصِيلَ» مجزومتان في جواب الطلب بعد «أَقِمَّ» و «صَلَّ». و تنتقل قليلاً إلى فهم معاني الشعر.

هنالك بيتٌ يَرِدُ في مكانين (٤ : ٣٨١ و ٤٦٥) هو:

فلا صدرَ إلا فيه صدر مُثَقَّفٌ وحول الوريثد للحسام ورود.
إنَّ كلمة صدر (الثانية) مضبوطة مرّةً بضمةً واحدة (صدرٌ مُثَقَّفٌ: أعلى الرمح)، وهذا صحيحٌ. و في المكان الآخر ضُبِطَ التعبيرُ بضمّتين في جُزئيه: صدرٌ مُثَقَّفٌ (ولا معنى له). فهل من الممكن أن يكون ضابطُ هذا التعبير الواحدِ ضبطينِ مختلفينِ (أحدهما صواب والثاني منها خطأ) رجلاً واحداً؟

وهذا البيت (٤ : ٦٨):

لكن معاني حسنه تَمَّت كما قد تَمَّ عن صدأ الحديد فرنده.
يجوز أن تكون تَمَّت (في الشطر الأول) بالتاء. ولكن الشطر الثاني يحتاج إلى «تَمَّ» (بالنون): ظهر (إنَّ اللعان من خلال الصدأ يدلّ على جودة حديد هذا السيف).

وبيت آخر (٣ : ٣٩٣):

أقلُّ عتابك إنَّ الكريم يجازي على حبه بالقلبي
القلبي (بالكسر): البغض. وكلمة «مجازي» مضبوطة بكسرة تحت الزاي وينقطتين تحت الباء.

والحق أن يقال: يُجَازَى (بالبناء للمجهول، كما تدلّ الآيات التالية لهذا البيت).

وبيت أخير هنا (٤ : ١٨٤):

- ولأبي جعفر بن سعيد في قوادة:

متاعة للنعل من كيسها موسرة في حمال اعسار.
إنَّ الكلمة الأولى في البيت يجب أن تكون «متاعة». والكلمة الثانية يمكن أن

تكون « النعل »، والنعل: الزوجة (أصبح المعنى مفهوماً).

وأخيراً هنا جُملةٌ من النثر (٣ : ١٢٣) في الكلام على صُنع أوتارٍ للعود (آلة الطرب المعروفة). يقول زريابُ المغنّي العازف المشهور والذي ذهب إلى الأندلس ثم أدخل تطوُّراً على العود...: « وأوتاري من حرير لم يغزل (؟) بماء سخن ». يجب أن نقرأ: لم يُغسَل أو لم يُغَمَس (وهذا أمر معروفٌ عن زريابٍ في تاريخ الموسيقى).

ثم شيءٌ يسيرٌ من البلاغة. في كتابٍ آخر (٧ : ١٣ - ١٤) يرِدُ هذان البيتان:
كلف بالغيث ما عَقَلْتُ نفسه السلوان مذ عقلا.

.....

أضمنتم أم جيرتكم ثم ما آمنتم السبلا؟

إنَّ اللغة والمعنى والبلاغة تقضي أن يقولَ الشاعرُ ما « عَقَلْتُ »، وإلا فَسَدَ « الجناسُ » الذي أراده الشاعر. إنَّ « عقلت » و « عقلا » لا جناسَ فيهما. ثم لا وجه هُنالك لقول الشاعر « آمنتم » (بمَدَّة على الهمزة) ولا ظلُّ للمعنى. والصواب « آمنتم » (بشدة على الميم). ومراجعة الأبيات بين هذين البيتين تدلُّ على ذلك بوضوح.

وكذلك جاء في هذا الكتاب (١ : ١٦٩) تلك المقطوعة المشهورة:

شدوا المطيَّ، وقد نالوا المني بمني

وقد تكلفَ المحقِّقُ وَضَعَ فَتَحَتَيْنِ على كلمة « بمني » فأفسد على الشاعر « محاولةً تامَّ التجنيس » بين « المني » و « بمني ». ومِنَى في الأصل ممنوعةٌ من الصرف (للعلمية والتأنيث).

ومع أن القاموس المحيط (٤ : ٣٩٢) يقول: مِنَى مثل إلى.... وتُصَرَّفُ (فإنَّ مَنَعَهَا من الصَّرْفِ - وَهُوَ أَعْلَى طَبَقَةَ في اللغة - يَدُلُّ، في هذا البيتِ على رِقَّةِ الحِسِّ في الشاعر.

يقول المقرِّي (نفع الطيب ٤ : ٥٠٠): « وقد عرَّفْتُ بآبن الأبار في أزهار الرياض بما لا مزيد عليه... »

ونأتي إلى كتاب المقرِّي « أزهار الرياض » فنَجِدُ على صفحة الغلاف منه:

« ضبطه وحقّقه وعلّق عليه مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي »
ونبحث عن ابن الأبار في « أزهار الرياض » فيردّنا الفهرس الهجائي إلى الصّفحات
٢٣، ٢٤، ٢٥ من الجزء الأوّل (ص ٣٤٠، تحت « ابن الأبار »)، ثمّ إلى الصفحة
٣٧٩ من الجزء الثاني (ص ٣٩٩، تحت « أبو عبد الله بن الأبار »)، ثمّ إلى الصفحة
٦٣ من الجزء الثالث (ص ٣٣١، تحت « أبو عبد الله بن الأبار محمد بن عبد الله
القضاعي »).

فأين يتكلّم المقرّي، إذن، في « أزهار الرياض » على ابن الأبار بما لا مزيدَ
عليه... (من التفصيل)؟

إنّ المقرّي، يُخصّ ابن الأبار بأربع وعشرين صفحةً من الجزء الثاني من كتابه
« أزهار الرياض » (٢: ٢٠٤ - ٢٢٧). ولكنّ الفهارس الهجائية لا تُشير إلى هذه
الصّفحات أبداً.

فهل من المعقول أن يكونَ الأفاضلُ الذين ضبطوا نصّ « أزهار الرياض »
وحقّقوه وعلّقوا عليه - كما قالوا هم أنفسهم - هم الذين صنعوا هذه الفهارس
الناقصة (فيما يتعلّق بابن الأبار) نقصاً معيّباً؟

٢٢ من ذي القعدة ١٤٠١

١٩ / ٩ / ١٩٨١.

ع. ف.

المرابطون في الأندلس

معركة الزلاقة

كَانَ الْإِسْبَانُ يُلْحِقُونَ عَلَى مَمْلِكِ الطَّوَانِفِ، يَسْتَوْلُونَ عَلَيْهَا أَوْ عَلَى أَقْسَامِ مِنْهَا حَتَّى كَادَتْ تَنْقَرِضُ. وَكَانَ الْفُونْسُ السَّادِسُ (١٠٦٥ - ١١٠٩ م) يَقُودُ جِيُوشًا كَثِيفَةً مِنَ الْبُشْكُنْسِ وَالْجَلَالِقَةِ وَالْإِفْرَنْجِ (مَنْ مُعْظَمُ أَمْخَلِ أَوْرُوبَةِ) وَيَطُوفُ بِدَوْلِيَّاتِ مَمْلُوكِ الطَّوَانِفِ يُفْسِدُ وَيَقْتُلُ وَيَسْبِي.

اسْتَنْجَدَ مَمْلُوكُ الطَّوَانِفِ بِيُوسُفَ بْنِ تَاشَفِينِ، فَجَازَ يُوسُفُ بْنُ تَاشَفِينِ إِلَى الْأَنْدَلُسِ وَأَلْتَقَى الْفُونْسَ السَّادِسَ فِي الزَّلَاقَةِ (سَاقَرْلِيَّاسَ)، إِلَى الشَّالِ الشَّرْقِيِّ مِنْ مَدِينَةِ بَطْلَيُْوسَ، عَلَى الْهَدُودِ بَيْنَ إِسْبَانِيَّةِ وَالْبُرْتِغَالِ الْيَوْمِ، فِي ١٢ رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ ٤٧٩ (١٠٨٦/١٠/٢٢ م). وَقَدْ انْتَصَرَ يُوسُفُ بْنُ تَاشَفِينِ عَلَى الْفُونْسِ السَّادِسِ وَرَدَّ خَطَرَهُ عَنْ مَمْلُوكِ الطَّوَانِفِ. ثُمَّ إِنَّ يُوسُفَ بْنَ تَاشَفِينِ تَرَكَ جَمِيعَ الْغَنَائِمِ لِلْمَمْلُوكِ الطَّوَانِفِ وَتَرَكَ لَهُمْ أَرْبَعَةَ آلَافِ جُنْدِيٍّ مِنْ جُنُودِ الْبَرْبِرِ وَعَادَ إِلَى مَرَّاكُشَ. وَتَسَمَّى يُوسُفُ بْنُ تَاشَفِينِ بَعْدَ مَعْرَكَةِ الزَّلَاقَةِ بِاسْمِ «أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ».

غَيْرَ أَنَّ مَمْلُوكَ الطَّوَانِفِ عَادُوا إِلَى التَّنَازَعِ وَإِلَى اسْتِنْجَادِ بَعْضِهِمْ بِمَمْلُوكِ الْفِرَنْجَةِ عَلَى بَعْضٍ. وَلَمَّا جَازَ يُوسُفُ إِلَى الْأَنْدَلُسِ لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ جَعَلَ مَمْلُوكُ الطَّوَانِفِ يَتَأَمَّرُونَ مَعَ الْإِسْبَانِ عَلَيْهِ. رَجَعَ يُوسُفُ عَنِ الْأَنْدَلُسِ ثُمَّ عَادَ إِلَيْهَا مَرَّةً ثَلَاثَةَ (٤٨٣ هـ = ١٠٩٠ م) وَجَعَلَ يَسْتَوْلِي عَلَى دَوْلِيَّاتِ الطَّوَانِفِ وَاحِدَةً وَاحِدَةً. وَفِي مَدَى عَشْرِ سَنَوَاتٍ دَخَلَتْ جَمِيعُ الْأَنْدَلُسِ فِي حُكْمِ الْمُرَابِطِينَ وَأَنْجَابَ عَنْهَا الْخَطَرُ. وَأَمْتَدَّ عُمُرُ الْحُكْمِ الْإِسْلَامِيِّ - بِفَضْلِ يُوسُفَ بْنِ تَاشَفِينِ - مِائَةَ عَامٍ. غَيْرَ أَنَّ نَفَرًا مِنْ مُؤَرِّخِي السِّيَاسَةِ وَالْأَدَبِ يَحْمِلُونَ عَلَى يُوسُفَ بْنِ تَاشَفِينِ وَيَتَهَمُونَهُ بِالْأَسْتِنْدَادِ وَبِحُبِّ الْإِسْتِيلَاءِ عَلَى الدَوْلِيَّاتِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ الصَّغِيرَةِ. وَالْوَاقِعُ أَنَّ يُوسُفَ بْنَ تَاشَفِينِ قَدْ أَحْسَنَ

صُنْعاً لِأَنَّهُ حَفِظَ الْعَرَبَ وَالْعُرُوبَةَ وَالْإِسْلَامَ فِي الْأَنْدَلُسِ . أَمَّا الَّذِينَ ذَمُّوا يُوسُفَ بْنَ تَاشَفِينَ فَكَانُوا نَفَرًا مِنَ الْأَدْبَاءِ وَالشُّعْرَاءِ الَّذِينَ كَانُوا يَتَكَسَّبُونَ شَيْئًا مِنَ الْمَالِ مِنَ الْبَلَاطَاتِ الْكَثِيرَةِ .

وبعد معركة الزلاقة أدركت البابوية وأوروبية أن لا قدرة لها على مجابهة يوسف ابن تاشفين فتركوا الأندلس وشأنها إلى حين ثم وجهوا قواهم إلى المشرق وقاموا بالحروب الصليبية (٤٨٩ هـ = ١٠٩٦ م)، بعد عشر سنوات من معركة الزلاقة .

ويعدُّ يوسفُ بنُ تاشفينَ من عظماء الملوك؛ ومن حسنِ حظِّ العربِ والإسلامِ أنَّه عاشَ خمسِينَ سَنَةً في الحكمِ (٤٥٠ - ٥٠٠ هـ) . ثم تعاقبَ على عرشِ المرابطين أربعة سلاطين لم يكن في أيامهم ما يُذكرُ .

المغرب وصقلية

لم تستطع دولة المرابطين من قبل أن تستولي على المغرب كله، فقد استمرت دولة بني زيري الصنهاجية في المغرب الأدنى (القطر التونسي) وظلت ليبيا تابعة للدولة الفاطمية في مصر. أما في المغرب الأوسط (القطر الجزائري) فقد نشأت دولة بني حماد (٤٠٥ - ٥٤٧ هـ) في منطقتي مدينة الجزائر ومدينة قسنطينة (قسنطينة)، وكانت تقابل أحياناً دولة المرابطين .

ويعمُّ المغربُ كله، في أثناء هذه الحقبة أمران: زحفُ العربِ (البدو) على المغرب ثم استيلاء النورمان على جانب من الساحل الإفريقي .

١ - لما قطع المعز بن باديس الدعوة للفاطميين، سرح الفاطميون (٤٤٣ هـ) جمعاً من عرب بني هلال وبني سليم كانوا ينزلون في صعيد مصر. وقد أنتشرت هاتان القبيلتان في المغرب، من طرابلس الغرب إلى أواسط الجزائر، تميثُ فساداً بالقتل والتدمير. وحينما يذكر ابن خلدون العرب بالسوء وبأنهم أبعد الناس عن العمران وأنهم يخربون القصر حتى يأخذوا أخشابهم لنارهم ولبناء خيامهم فلأنما يعني البدو، قياساً على ما فعله بنو هلال وبنو سليم في المغرب (وفي القيروان من القطر التونسي، خاصة).

٢- في سنة ٤٨٤ هـ استولى النورمان على جزيرة صقلية من أيدي العرب. ومع أن النورمان أحسنوا السيرة مع عرب صقلية واتخذوا الحضارة العربية حضارة لهم ولم يقبلوا أن يشتركوا في الحروب الصليبية محافظة على صلاتهم الحسنة بمسلمي الجزيرة، فإنهم كانوا طامحين إلى توسيع نفوذهم السياسي والاقتصادي. ففي سنة ٥٤٣ هـ استولى النورمان على طرابلس الغرب، بعد أن كانوا، سنة ٥٣٩ هـ، قد استولوا على جانب كبير من الساحل الإفريقي. وزاد بؤس المغرب حينما اجتمع عليه الدمار على يد البدو من بني هلال وبني سليم وعلى يد النورمان في وقت واحد.

الحياة السياسية في الأندلس...

امتد حكم المرابطين على الأندلس نصف قرن من الزمن أو يزيد قليلاً، من سنة ٤٨٤ إلى سنة ٥٣٩ للهجرة (١٠٩١ - ١١٤٤ م). وقد كان أمير المسلمين (سُلطان المرابطين)، في أثناء تلك الحقبة، يُعين أحد أبنائه على الأندلس والياً ثم يجعل معه ولاة آخرين في قواعد البلاد (المدن الكبيرة). وحكم المرابطين في الأندلس كان - مثل كل حكم في كل مكان آخر وكل زمان آخر - أمناً وعدلاً وأزدهاراً في أيام قوتهم ثم ضعفاً واضطراباً عاماً في أيام ضعفهم، حينما مال أمرهم إلى الزوال.

استطاع المرابطون أن يوحدوا البلاد التي كانوا يسيطرون عليها: المغرب والأندلس والسودان الغربي. ثم إنهم نشروا الأمن في هذه الأقطار وأبعدوا العدوان المسيحي عن الأندلس - ذلك العدوان الذي كان قد أذل الأندلسيين في أيام ملوك الطوائف - ثم قطعوا دابر الفتن. وحكم المرابطون بالشرع الإسلامي فألغوا الضرائب الكثيرة والجائرة من تلك التي كان ملوك الطوائف يجمعونها بأسماء مختلفة وبوسائل مختلفة وبتسليط الجباة اليهود على الرعية. إن المرابطين لم يفرضوا من الجبايات إلا ما أوجبه القرآن الكريم أو جاء فيه حكم في الحديث أو السنة.

تلك عوامل ساعدت على الأمن فعاد كثيرون من الذين كانوا قد هجروا أراضيهم إلى أراضيهم فانتشرت الزراعة وازدهرت الصناعة وآتت التجارة الداخلية والتجارة الحماجية حتى أن أوروبا المسيحية كانت تعتمد، في تجارتها - في

الصادر والوارد - أسواق الأندلس وطرق مواصلاتها. ويحسُّ أن نُشير هنا إلى بلدة ألمرية (وهي مرفأ في جنوبي الأندلس)، وقد أصبحت في تلك الفترة مركزاً صناعياً وتجارياً زاهراً لصناعة الحرير وصناعة النحاس.

... والحياة الاجتماعية

وكان لاختلاط المغاربة بالأندلسيين حسنات وسيئات. إنَّ اختلاط الشعب القوي بالشعب الضعيف (إذا اتفقا في الحضارة والثقافة) يزيد في قوتيهما. فأزدياد السكَّان في الأندلس ثم قيام المرابطين بالدفاع عن الأندلس والأندلسيين في وجه العدوان الإسباني الأوروبي المسيحي كانت لها نتائج حميدة. ولكن لما ضعفت السلطة قليلاً ثم زاد المنصرُّ المغربي حدث شيء من الاضطراب: إنَّ المرابطين المغاربة البربر كانوا أقرب في طباعهم إلى البداوة والجفاء، فكانوا يعيشون في الأكثر في شبه عزلة عن سكَّان الأندلس، ثم إنهم استطاعوا لِمكان قوتهم السياسية والحربية أن يتسلطوا على الأندلسيين فنشأ شيء من التُّفُّور بين المرابطين والأندلسيين، وخصوصاً حينما كانت جماعات من المرابطين يتجولون في البلاد ويَحْمِلون أسلحتهم، وربما اعتدوا في أثناء ذلك على الناس.

ولقد شجَّع ذلك نفرأ من سُفهاء الأندلس فتلتَّموا - تقليداً للمرابطين - وحملوا السلاح يمثِّلمهم وطافوا في البلاد يعيشون في الأرض فساداً. ذلك كان بطبيعة الحال في زمنٍ ضعفت السلطة المركزية في أعقاب الحكم المرابطي في الأندلس.

والمرأة الأندلسية برززة من أول أمرها. ولكن بروزها في المجتمعات زاد مع مجيء المرابطين. من المعروف أنَّ رجال المرابطين يتلثمون - من أجل ذلك يُعرف المرابطون أيضاً باسم اللثمين - ولكن نساء المرابطين لا يتلثمن. فأزداد ظهور المرأة - المرابطية والأندلسية - في المجتمع وقصدها الشعراء للمديح وأصحاب الحاجات في الدولة.

ولقد قلَّ، في أيام دولة المرابطين في الأندلس، تسلُّط النصارى واليهود في الأمور، ذلك التسلُّط الذي كان يُشجِّع عليه من قبل ضعف ملوك الطوائف وعدوان

ملوك الإيبان .

وعظم نفوذ الفقهاء في الأندلس حتى شاركوا الولاة في الحكم وحتى أنغمس نفرٌ كثير من منهم في أنتهاز الفرص لجمع المال من وجوه مختلفة. وقد كان من أثر ذلك أن نَمَّ الناسُ من الفقهاء ومن الولاة المرابطين معاً .

الحياة الثقافية خاصة

وإذا نحن أتينا إلى التفصيل في المظاهر الأدبية والثقافية خاصة عسر علينا الفصل البات بين عصر ملوك الطوائف وعصر المرابطين، فإن نفراً كثيرين من العلماء والأدباء عاشوا في العصرين معاً. ويزيد هذا العسر إذا نحن جئنا إلى شاعرٍ مثل ابن عبدون (ت ٥٢٩)، فإنه أدرك خمسة وأربعين سنة من عهد المرابطين في الأندلس، ولكن شهرته تقوم على قصيدته «البشامة»: الدهرُ يفتحُ بعد العين بالآخر. وهذه القصيدة من إنتاج عصر ملوك الطوائف.

ونحن نستطيع أن نقول إن الثقافة عامة والأدب خصوصاً قد انحطاً في عهد المرابطين عمّا كانا عليه في عصر ملوك الطوائف. إن دولة المرابطين كانت دولة بدويّة في الأكر، وكان همها الأولُ تشيبت أركان الحكم. ثم إنها كانت أيضاً دولة دينية سلفيّة لم تنظر بعين الرضا إلى الثقافة النظرية - والفلسفة منها خصوصاً - إلى جانب أن الولاة المرابطين (والسلاطين أو الخلفاء المرابطين أيضاً) لم يكونوا ذوي دراية وافية باللغة العربية. من أجل ذلك بارّ الشعرُ في بلاطات المرابطين في المغرب والأندلس، ونفّر الشعراء الذين كانوا يرتزقون في بلاطات ملوك الطوائف رزقاً كبيراً من حكم المرابطين ثم حملوا على الحكام كلهم حتى على أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، وهو الذي مدَّ عمر العروبة والإسلام في الأندلس - بانتصاره الباهر في معركة الزلاقة على الجيوش الأوروبية - مائة عام .

★ ★ ★

من أشهر الذين اشتغلوا بتفسير القرآن وبالحديث عبد الحق بن غالب بن عطية

(٤٨١ - ٥٤٢ هـ) من أهل غرناطة، تولى القضاء في المرية وفي غرناطة. وقد كان عارفاً بتفسير القرآن حافظاً للحديث وأديباً وشاعراً ونحوياً، ألف تفسيراً (للقرآن) وإفياً زاد فيه على جميع الذين تقدموه (في الأندلس) وأدرك به شهرة واسعة^(١). ثم نجد في علماء الحديث أبا الحسن رزين بن معاوية بن عمار القنبري (ت ٥٢٤ هـ)، له في الحديث تصانيف منها: تجريد الصحاح الستة^(٢) - أخبار مكة والمدينة وفضلها - (تجريد) ما يتضمّن صحيحاً مسلم والبخاري والموطأ والسنن للنسائي والترمذي^(٣). ثم نجد أيضاً أبا محمد عبد الله بن علي اللخمي الرشاطي (٤٦٧ - ٥٤١ هـ) من أهل المرية، وله من الكتب: الإعلام بما في كتاب المؤلف والمختلف للدارقطني من الأوهام^(٤) - اقتباس الأنوار والتاس الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار.

وكذلك نجد أبا بكر محمد بن خلف بن سليمان المعروف بابن فتحون الأوربلي (ت ٥١٩ هـ)، وله ذيل على كتاب «الاستيعاب»^(٥)، كما أن له كتباً في الحديث.

وراج الكلام - في عصر المرابطين - على الفقه الخالص، على فروع الفقه (من العبادات والمعاملات) من المذهب المالكي، ولم يكن ثمة عناية بالتحريج العقلي للأحكام الفقهية، بل كان ذلك ممقوتاً حتى أن كتب الغزالي (ت ٥٠٥ هـ)، وهي التي كانت تنحو نحو التصوف المعتدل في تفسير الأحكام، قد أحرقت علناً في المغرب.

(١) لابن عطية هذا ترجمة معددة.

(٢) الصحاح الستة (في أحاديث رسول الله) هي: الجامع الصحيح لأبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ = ٨٧٠ م) والجامع الصحيح لأبي الحسين مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١ هـ = ٨٧٥ م) ثم كتب السنن الأربعة لأبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه (ت ٢٧٣ هـ = ٨٩٢ م) ولأبي داود سليمان بن الأشعث الجعفاني (ت ٢٧٥ هـ = ٧٨٩ م) ولأبي عيسى بن محمد بن عيسى الترمذي - ويعرف كتابه في السنن أيضاً باسم «الجامع الصحيح» (ت ٢٧٩ هـ = ٨٩٢ م) ولأبي عبد الرحمن أحمد بن علي النسائي (ت ٣٠٣ هـ = ٩١٥ م).

(٣) في بروكلمن، الملحق ١: ٦٣٠، له: كتاب التجريد في الجمع بين الموطأ والسنن الخمس. أما الموطأ فهو لأبي عبد الله مالك بن أنس (ت ١٧٩ هـ = ٧٩٥ م). راجع فيما بقي الحاشية السابقة.

(٤) الدارقطني هو أبو الحسن علي بن عمر الشافعي إمام أهل عصره في الحديث (ت ٣٨٥ هـ = ٩٩٥ م)، من أهل بغداد.

(٥) لابن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ).

وأشتهر في هذا العصر الفقيه أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشيد (٤٥٠ - ٥٢٠ هـ) جدّ الفيلسوف أبي الوليد محمد بن محمد بن أحمد بن رشيد (ت ٥٩٥ هـ) فقد كان من أهل الدراية في الفقه ومن المؤلفين فيه.

ومع أن القاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي (٤٧٦ - ٥٤٤ هـ) - وحياته تنطبق على عصر المرابطين في الأندلس أنطباقاً كاملاً - كان فقيهاً في الدرّجة الأولى، فإنه كان أيضاً من علماء الحديث واللغة والنحو والتاريخ (راجع ترجمته).

ومن أعلام النحو في القرن السادس أحمد بن خلف الأنصاري المعروف بابن الباذس الغرناطي (ت ٥٤٠ هـ). وأشهر منه في ذلك ابن السيد البطلنوسي (ت ٥٢١ هـ).

وفي هذا العصر نفرٌ من المؤرّخين منهم أبو عامر بن مسلمة (٤٣٢ - ٥١٠ هـ)، كان وزيراً في إشبيلية وكانت له عناية بالتاريخ، ألف «حديقة الأرتياح في وصف حقيقة الراح» وغيره.

ويلمّع في هذا العصر - في فلسفة التاريخ - أبو بكر الطرطوشي (٤٥١ - ٥٢٠ هـ) صاحب كتاب «سراج الملوك»، وقد أشار الطرطوشي في هذا الكتاب إلى أشياء سيوفيتها ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) حقها في مقدّمته.

وفي نطاق تراجم الأدب له خاصّة، وما يتعلّق بها من النقد كثيراً أو قليلاً، هنالك الفتح بن خاقان (ت ٥٢٩ هـ) وابن بّسام الشنبري (ت ٥٤٢ هـ) وأبو عامر محمد بن يحيى بن ينق (ت ٥٤٧ هـ). وهنالك الحجاري صاحب كتاب «المسهب» (ت نحو ٥٥٠ هـ) وله في هذا الجزء ترجمة وافية. ومع أن أبا بكر يحيى بن محمد الأنصاري الغرناطي المعروف بابن الصيرفي (ت ٥٥٧ هـ) قد أدرك حِقبة طيبة من عصر الموحّدين، فإننا نذكره هنا لأنه كان كاتباً للأمير المرابطي أبي حامد بن تاشفين، وقد ألف ابن الصيرفي لأبي حامد هذا كتاباً عنوانه «أخبار دولة لَمْتونة».

ومن المتصوّفة في هذا العصر أبو العباس أحمد بن محمد المعروف بابن العريف الصنهاجي الأندلسي (ت في مرّاكش ٥٣٦ هـ) له كتاب «محاسن المجالس» (بروكلمن،

الملحق ١ : ٧٧٦) وعبدُ السلام بنُ عبدِ الرحمن بنِ برَاجان اللُّخميّ الإشبيلي (ت ٥٣٦هـ) له كُتُبٌ منها: « شرح معاني أسماء الله الحُسنى » (بروكلمن ١ : ٥٥٩) ثم أبو القاسم أحمد بنُ قسي الثَّلبي (ت ٥٤٦هـ) له: « شَرَحُ حَدِيثِ خَلْعِ النَّعْلَيْنِ وَأَقْتِبَاسِ الْأَنْوَارِ مِنْ مَوْضِعِ الْقَدَمَيْنِ » (بروكلمن ١ : ٥٥٩، الملحق ١ : ٧٧٦).

- في العلوم الرياضيّة والطبيعية:

وقلَّ علماء الرياضيات والطبيعات في هذا العصر عمّا كنّا قد عرّفنا منهم في العصر السابق. ومع ذلك فإننا نذكرُ من هؤلاء ابن مسعود الإشبيلي (ت ٥٢٦هـ) وكانت له مشاركة في الفلك وفي حساب الأنساب (المثلثات). ثم هنالك جابر بنُ أفلح (ت ٥٤٠هـ)، وكانت له معرفةٌ بالجبر والفلك وعلم الحيل (الميكانيك)، كما كان له عددٌ من الكتب في الفلك خاصةً. وهنالك أيضاً من هؤلاء أبو الصلت أمية بنُ عبد العزيز الدائي الأندلسي (ت ٥٢٩هـ)، وكان بارعاً في علم الحيل (من الفيزياء) كما كان أديباً شاعراً. ثم هنالك ابنُ باجه (ت ٥٣٣هـ)، ولها في هذا الجزء ترجمتان مُستقلتان.

- في الطبّ خاصةً: آل زُهر:

والطبّ من العلوم الطبيعية، وقلَّ من العلماء بالرياضيات والطبيعات من لم يشغل بالِ الطبّ.

وتجدُرُ الإشارةُ في عصر المرابطين إلى آل زُهر، وهم أسرةٌ كان لها وجاهةٌ، في الأندلس وفي المغرب معاً، كما كان لها مكانةٌ في الفقه والعلم والأدب ثم في التطبيق خاصةً. وأصل آل زُهرٍ من شاطبة (في شرقي الأندلس) ثم أنتقلوا إلى إشبيلية. واتسعت شهرة آل زُهر في الأندلس والمغرب وفي المشرق وفي أوروبا المسيحية أيضاً. وكان أولهم أبو العلاء زهر بنُ عبد الملك (ت ٥٢٥هـ = ١١٣٠م)، وقد كان له رفقٌ وعناية بالمرضى يَحْتالُ في معالجة الذين يكرهون تناول الأدوية بأنواع من الأغذية. وأمّا أشهر آل زهر وأعظمهم في الطبّ والتطبيق فهو أبو مروان عبد الملك بنُ زُهر (٤٦٤ - ٥٥٧هـ) - وهو ابنُ أبي العلاء زُهر - له تشخيصٌ سريريٌّ (بالمراقبة اليومية) ومعرفةٌ بالأورام الحبيثة (السرطان) وبالليل المعوي. وكان يلجأ إلى

التغذية الصناعية في معالجة الذين يَعْجزون عن البلع، وذلك بإدخال الطعام من شقٍّ يُخَدِّثُهُ في المريء (أنبوب الطعام) أو مِنَ المستقيم (بالحقن الشَّرْحِيّ: من بابِ البَدَن).

وكذلك بَرَعَ في الطِّبِّ ابنُ بَاجِه (ت ٥٣٣ هـ) مُعاصِرُ آلِ زُهْرٍ ومُنَافِسُهُ. وقد كانَ آلُ زُهْرٍ مُتَسَلِّطِينَ في مُجْتَمَعِهِمْ فيقالُ إِنَّهُم دَسَّوْا لَهُ السُّمَّ لِأَنَّ مُقَدَّرَتَهُ في التَّطْبِيبِ كانتُ تَزَاجِمُهُمْ على مَكَانَتِهِمْ وعلى مَكَاسِبِهِمْ. ولقد لَحِقَتْ أبا مروانَ بنُ زُهْرٍ مِحْنَةٌ، إِذِ أَتَهُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الزَّيْغِ في أُمُورِ الدِّينِ فَسَجِنَ مُدَّةً في مَدِينَةِ مَرَّاكُش.

ثمَّ جاءَ الحَفِيدُ ابنُ زُهْرٍ (٥٠٧ - ٥٩٥ هـ) - وهو أبو بكرٍ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ المَلِكِ (ابنُ أَبِي مَرِوانَ عَبْدِ المَلِكِ وَحَفِيدُ أَبِي العَلَاءِ زُهْرٍ بنِ عَبْدِ المَلِكِ)، وقد كانَ نَجْمًا لامِعًا في أَسْرَتِهِ وزَمَانِهِ. ولكنَّ حَيَاتِهِ تَقَعُ في أَيَّامِ المُوحِّدِينَ بَعْدَ انْقِضائِهِ حُكْمِ المُرابِطِينَ.

وَبَرَزَ أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدٍ العَافِقِيُّ (ت ٥٦٠ هـ) في مَعْرِفَةِ الأَدْوِيَةِ، لَهُ كِتابُ «الأَدْوِيَةِ المُفْرَدَةِ» لا نَظِيرَ لَهُ في الجُودَةِ (طبقات الأَطْبَاءِ ٢: ٥٢).

- الفِلسفة:

ولم يَكُنْ حَظُّ الفِلسَفَةِ قَلِيلًا في أَيَّامِ المُرابِطِينَ، فقد عاشَ في ذلكَ العَصْرِ ابنُ السَّيِّدِ البَطْلَيْوْسِيُّ (ت ٥٢١ هـ) فَهُوَ - بِالإِضَافَةِ إلى بَراعتِهِ في اللِغَةِ والنحوِ ثمَّ في الفِقه - قد مَدَّ بَصَرَهُ إلى الفِلسَفَةِ اليُونانِيَةِ في أَثناءِ مُعالِجَتِهِ عَدَدًا مِنَ المُشْكَلاتِ في الفِكرِ الإِسْلامِيِّ. وَلَهُ مِنَ التَّصانِيفِ «شرحُ الخَمْسِ المُقالَاتِ الفِلسَفيَّةِ» (بروكلمن، المَلْحَق ١: ٧٥٨).

ثمَّ نَجَدنا هُنَا أيضاً أبا الصَّلْتِ أُمَيَّةَ بنَ عَبْدِ العَزِيزِ الدائِيَّ (ت ٥٢٩ هـ) فقد كانَ مُشارِكًا في عَدَدٍ مِنَ العُلُومِ كَعِلْمِ الحَيْلِ (المِكانِيك) والطبِّ والفِلسَفَةِ، إلى جِانبِ بَراعتِهِ في النَظْمِ.

ثمَّ هُنَاكَ ابنُ بَاجِه (ت ٥٣٣ هـ) أَوَّلُ الفِلسَافَةِ العَقْلِيِّينَ على الحِصْرِ. لَقَدْ أَقامَ ابنُ بَاجِه الفِلسَفَةَ العَقْلِيَّةَ على أَسْسٍ مِنَ الرِياضِيَّاتِ والطَّبِيعِيَّاتِ قَبْلَ أنْ يَفْعَلَ أَحَدَ غَيرِهِ ذلكَ - وَإِنْ كانَ أَفلاطونُ وأرسطو قد عُنِيَا بِالنَظْمِ، مَعَ الإِيقانِ بأنَّ أَفلاطونَ قد خَلَطَ النَظْمَ بِأَشياءَ كَثِيرَةً مِنَ الحِيايِلِ.

ثم هنالك أيضاً أبو محمد عبد الله بن محمد بن خلف الأنصاريّ الإشبيليّ (ت ٥٣٧ هـ) له: كتاب «النكت والأمالي في النقص على الغزاليّ» (بروكلمن، الملحق ١: ٧٦٢).

- الأدب

قيل إنّ الأدب لم يزدْهَرُ في أيام المرابطين لأنّ المرابطين كانوا لا يفهمون الشعر (ولا يتقنون اللغة العربية). وهنا موضع ملاحظات:

★ إنّ يوسف بن تاشفين وحده كان لا يقرب الشعراء:

- لم تكن معرفته بالعربية واسعة.

- كان في سبيل إنشاء دولة. وحينما تكون الدول في عُنفوان قوتها في دور التأسيس، فقلماً يلتفتُ القائمون بذلك عادة إلى الشعر (كما اتفق مثلاً للمنصور العباسي مع بشار بن بُرد).

- إنّ الشعراء الذين كانوا يتكسبون من ملوك الطوائف (بحق وبلا حق) لما أهملهم يوسف بن تاشفين تقولوا عليه مثل تلك الأشياء.

★ ولكن علي بن يوسف بن تاشفين ونفراً ممن جاءوا بعده إلى إمارة المسلمين وإلى الولاية على المدن الأندلسية أستمعوا إلى الشعراء وأجازوهم على القصائد.

فمن كبار الشعراء وشاهيرهم في أيام المرابطين في الأندلس الأعمى التطيلي (ت ٥٢٠ هـ) وابن الزقاق وابن عبدون وابن خفاجة وابن بقي (ت ٥٤٠ هـ).

أما الصورة الأدبية في هذا العصر فيجب أن نبدأ فيها بالكلام على المعتمد بن عبّاد الإشبيلي (ت ٤٨٨ هـ)، ونحن نشير إلى شعره الذي قاله في أسره في أغات (قرب مدينة مراكش). إنّ هذا الشعر من إنتاج عصر المرابطين. ولا غرابة إذا قلنا إن شعره هذا كان أصدق أشعاره عاطفةً وتعبيراً عن حاله معاً. من ذلك مثلاً قوله يتذكّر أيامه الناعمة الخوالي في قصور إشبيلية:

كنتُ جِلْفَ الندى وربّ السّاحِ وحبيبَ النفوسِ والأرواحِ؛

إذ يمسي للبذل يوم العطايا، ولقبض الأرواح يوم الكِفاح،
 وشالي لقبض كُلِّ عَنانٍ يُقِيمُ الخيلَ في مَجَالِ الرماح^(١).
 وأنا اليوم رهنُ أَسْرٍ وفقرٍ مُستباحُ الحمى مَهِيضُ الجَنَاح^(٢):
 لا أُجيبُ الصريخَ إن حَصَرَنا س، ولا المُتغَيِّبَ يوم السَاح^(٣).
 عاد بشرى الذي عهدتُ عبوساً: شَغَلَتني الأشجانُ عن أفراحي^(٤).
 فالتاحي إلى العيون كريمةً؛ ولقد كان نُزهةَ اللَّمَّاح^(٥)!

وبعد أن كانت حركة التوشيح قد قَوِيَّ ساعدها منذ مطلع عصر ملوك الطوائف (ومنذ مطلع القرن الخامس)، عاد الشعراء إلى أصطناع الجزالة (سياقة الألفاظ الدقيقة الدلالة في التركيب المتن). ولكن التقليد ظلّ بادياً على قصائد هؤلاء الشعراء وخصوصاً من أثر ديوان المتنبي وديوان المَعْرِي المَشْرَقِيِّين. ولم تكتسب القصائد المُقلَّدة كثيراً من صحّة الشعر المَشْرقي ومَنَاتِهِ.

غير أن هذا كلّه لم يمنع جانبا من الشعر الأندلسي من الاستمرار على سَنِيهِ الأول من حيث الرِقَّةُ والبراعةُ في وصف الطبيعة، كما نرى عند ابن الرِّقاق (ت ٥٣٠ هـ) وعند خاله ابن خَفَاجَة (ت ٥٣٣ هـ)؛ ولا مَنَعَ هذا أيضاً من بقاء الموشح الجميل، كما نرى عند ابن بَقِيّ القُرْطُبي (ت ٥٤٠ هـ).

ولكنّ المستغرب في هذا الباب أنّ الغناء كان في هذا العصر ملتصقاً بالقصيد لا بالموشحات، مع أنّ الموشحات كانت قد نُظِمت في الأصل لمواكبة الغناء. لقد كان الفيلسوف ابن باجَه (ت ٥٣٣ هـ) - وابنُ باجَه كان عالماً وشاعراً وموسيقياً أيضاً - يعلم الموسيقى، وكانت عنده قِيانٌ (جَوَارٍ مُغَنِّيَاتٍ) يصنعُ لهنّ التلاحينَ، ويعلمهنّ الغناء.

(١) عنان الفرس: زمامه، لجامه، رسنه. اقمع (أدخل) الخيل في مجال الرماح (في المركة).

(٢) مستباح الحمى (غير قادر عن الدفاع عن ملكي). مهيض: مكسور.

(٣) الصريخ: نداء الحرب. المغني: طالب الإحسان. السّاح: الكرم.

(٤) البشر 'بالكسر': طلاقة الوجه. السرور. الشجن (بفتح ففتح): الحزن.

(٥) والتاحي (النظر إلي).

لا يغيّبُ في هذا العصر تقليدُ الناثرين في الأندلس للناثرين المشاركة في الأسلوب (مع التقيصير) وفي الأغراض (مع عدد من أوجه البراعة). أما في الأسلوب فقد طمّنت الصناعة والسّجع منها خاصةً على مُعظّم أبواب النثر، وإن لمعَ فيها أحياناً جُملاً مُغرّبةً في الخيال الجميل قليلاً أو كثيراً، كقول أبي الفضل بن شرفٍ (ت ٥٣٤ هـ) مثلاً^(١) (تاريخ الأدب الأندلسي: عصر الطوائف والمرابطين لإحسان عباس، ص ٢٨٣): «العالمُ معَ العلمِ كالناظر للبحر يستعظمُ منه ما يرى، وما غاب عنه أكثر - التعليم فِلاحة الأذهان، وليست كلّ أرض مُنبئةً - الفاضلُ في الزمنِ السوء كالصباح في البرّاح»^(٢)، قد يُضيه لو تركته الرّياح».

وفي تقليدِ المشاركة نجدُ أبا عبد الله بن أبي الحِصال (ت ٥٤٠ هـ) مجري على خُطى ابنِ نباتة الفارقي الخطيب (ت ٣٧٤ هـ) وأبي العلاء المرعي (ت ٤٤٩ هـ) والحريري صاحب المقامات (ت ٥١٦ هـ). وأما محمد بن عبد الغفور الكِلاعي (ت ٥٤٢ هـ) فقد أشتدَّ إعجابه بالمرعي ولم يُقلِّدهُ فقط في أسلوب رسائله، ولكن في معاني عناوين تلك الرسائل أيضاً، فقد كتب^(٣) رسالة «الساجمة والغريب» معارضة لرسالة «الصاهل والشاحج»^(٤) لأبي العلاء (المرعي). ثم عارضه بتأليف سماه «ثمرّة الألباب» مُضاهياً بذلك «سقط الرّند»^(٥).

ومن الممكن أن نضمُّ أبا الحسين سراج بن عبد الملك بن سراج (ت ٥٠٨ هـ) إلى هذا العصر في هذا الباب، فإنه أبتدأ نوعاً من الرسائل جرى فيها مجرى التفكّه والسُّخرية حيناً أنشأ رسالة يشفع فيها لرجل يُعرف بالزُّرّيزير، فنشأ بعد ذلك نهجٌ في رسائل عُرفت بالزُّرّوريات لأنَّ ابنَ سراج كان قد تكلم على صاحبه الزُّرّيزير مُوازنًا بين هذا الرجل وبين الصفات المتصلة بهذا الطائر.

-
- (١) لابن شرف هذا (ت ٥٣٤ هـ) ترجمة مفردة.
 - (٢) البراح: الأرض الواسعة لا نبات فيها.
 - (٣) ابن عبد الغفور (ت ٥٤٢ هـ) له ترجمة مفردة.
 - (٤) الساجمة: الهامة. الغريب الشديد السواد (الغراب). الصاهل: الحصان. الشاحج: المهار. والشحج يقال أيضاً لصوت البغل والغراب.
 - (٥) سقط الرند (ديوان شعر أبي العلاء المرعي).

ونجد في هذا العصر نوعاً غريباً من الرسائل. إن نفرأ من أهل الأندلس لم يَكْتَبْ لهم حظاً بالذهاب إلى الحج، فكانوا يكتبون رسائل «موجهة إلى حضرة رسول الله ومطوية على كثير من التشوق والتوسل» ثم يبعثون بها مع نفرٍ ذاهبين إلى الحج ليضعوها لهم على قبر الرسول في المدينة. وربما جعلوا مكان الرسائل قصيدة. ونشير هنا إلى أبي عبد الله بن أبي الخصال (ت ٥٤٠ هـ) فقد أنشأ لهذا الغرض رسائل ونظم قصائد.

والمقامة تلحق بالرسالة. كثر اهتمام الأندلسيين في هذا العصر بالمقامات - وبمقامات الحريري خاصة - فتدارسها الأدب وشروحها وحاولوا النسخ على منوالها. من ذلك مثلاً مقامة للفتح بن خاقان (ت ٥٢٩ هـ) ومقامة لأبي إسحاق بن خفاجة (ت ٥٣٣ هـ) ومقامة لأبي عبد الله بن أبي الخصال (ت ٥٤٠ هـ) ثم المقامات اللزومية للسرّسّطي الأشركيوي (ت ٥٣٨ هـ) - راجع ترجمته.

غير أن بديع الزمان الهمذاني (ت ٣٩٨ هـ) كان قد ذهب بالبراعة في مادة المقامة (في القصة والموضوعات) كما كان الحريري (ت ٥١٦ هـ) قد ذهب فيما بعد بالأسلوب فيها (الصناعة اللفظية والمعنوية). وجميع المقامات التي أنشئت بعد ذلك كانت تقليداً نازلاً عن المرتبة التي ارتفعت إليها مقامات البديع ومقامات الحريري.

- فمن أصحاب المقامات الوزير أبو الوليد محمد بن عبد العزيز المعلم، وردّ في مقامة له (الذخيرة ٢: ١١٤):

.... وكان لي أليف، وعقيد شريف، من صرحه الإخوان، وصيابة الفتيان،
ومصاص^(١) أعيان الزمان. وحين سولت لي همّي ما سولت^(٢) وخيلت لي أمنيّ ما
خيلت، أجلنا قدام الرأي وأسهننا بين القرب والنأي^(٣): شاور في أمري قريحته

-
- (١) الأليف: الذي تعود صحبتك. العقيد: الكريم. صيابة (سادة) الفتيان (الرجال الشجعان البارزين في قوسم اللبّيقين في سلوكهم). المصاص: الخلاصة.
- (٢) سول فلان لفلان أمراً: زبته له وجبته إليه وأغراه به.
- (٣) أجال: أدار. القدح (بالكسر): قطعة من خشب عليها رقم أو علامة تستخدم في لعب الميسر (القمر). أجلنا قدام الرأي: تبادلنا الرأي وقلبناه على وجوهه. النأي: البعاد، الفراق.

وَنَخَلَ لِي نَصِيحَتَهُ، وَقَالَ: أَرَى الْأَ تَرِيمَ بَيْضَتِكَ وَأُرُومَتَكَ^(١)، وَأَنْ تُوَطِّنَ أَرْضَكَ وَلَا تُفَارِقَ عَشِيرَتَكَ. وَأَرَبًا بِكَ عَنْ مَضَلَّتِ الْمُنَى، وَأَعْيِدُكَ مِنْ تُرْهَاتٍ لَعْلَ وَعَسَى^(٢)، فَتُخَسَّبَ كُلُّ بَيْضَاءِ شَحْمَةٍ وَتَطْنَنَّ كُلُّ سُدَاءِ تَمْرَةٍ^(٣). وَرَبِّيَا سَقَطَ الْعِشَاءُ بِكَ عَلَى سَرَحَانَ، وَكُلُّ النَّاسِ بِكَرٍّ، وَفِي كُلِّ وَادٍ بَنُو سَعْدٍ^(٤).....

- ومن المترسلين الذين يقلدون أسلوب المقامات في رسائلهم الوزير الكاتب أبو عبد الله محمد بن مسلم، قال (الذخيرة ٣: ٤٣١ - ٤٣٢):

.... حَتَّى وَصَلْنَا إِلَى دَارٍ مِنْفَرَجَةٍ الْأَقْطَارِ، مُسْتَوْفِرَةً الْأَنْوَارِ^(٥) مُتَدَفِّقَةَ الْأَنْهَارِ، هَوَاوَاهَا جَلَاءٌ لِلغَمِّ وَزِيَادَةٌ فِي العُمَرِ، وَضِيَائُهَا شِفَاءٌ لِلْكَظْمِ^(٦) وَانْتِشَاحٌ لِلصَّدْرِ. وَكَأَنَّ مِيَاهَهَا تَتَبَعْتُ مِنْ بَنَانٍ سَيِّدَهَا فَصَارَتْ عَيْنًا سَلْسِيلًا وَكَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا^(٧)؛ أَوْ كَأَنَّهَا مَسَّتْ عَيْنًا حَيَوَانًا فَأَنْبَتَتْ مِنَ الزَّرْبُوجِدِ رَيْحَانًا وَمِنَ الزُّمُرُدِ شَجَرًا فَيُنَانًا^(٨)، وَجَعَلَتْ مِنَ النَّارَنْجِ عَقِيَانًا وَمِنَ الْأَسِّ لَوْلُؤًا وَمَرْجَانًا^(٩). وَمِيلٌ بِنَا إِلَى التَّاجِ - وَهُوَ مَصْنَعٌ عَلَى مَفْرَقِ القَصْرِ مِنْ جَانِبِ البَحْرِ - مُرَدٌّ مِنْ قَوَارِيرِ^(١٠)

- (١) محل لي نصيحته: منحي خلاصة تفكيره في نصحي (إزادة الخبر لي). رام بريم: ترك، هجر. البيضة: الحصى (المسكن، دار القوم) ما يجب على المرء حمايته (الوطن). الأرومة: الأصل.
- (٢) أربأ بك (أرفع، أنزهك، لا أرضي لك). مضلت المني (الأماني الباطلة). الترهة: الفلاة الواسعة، التمني الكاذب. لعل وعسى (كتابة عن نمي ما لا يكون).
- (٣) أي تجدد بظواهر الأمور.
- (٤) سقط العشاء بك على سرحان (ذئب): مثل، أصله: خرج رجل يطلب شيئاً يتعناه (بأكله في المساء)، فلفني في طريقه ذئباً فأكله الذئب. كل الناس بكر - في كل واد بنو سعد، مثلان معناها أن الناس يشبه بعضهم بعضاً.
- (٥) مستوفزة الأنوار: (ليس في القاموس معنى موافق لها - لعل المقصود: منتشرة الأنوار).
- (٦) الكظم: ذهاب الغضب.
- (٧) بنان: رؤوس الأصابع. تتبعت من بنان سيدها (الكرام): بكثرة. عيناً سلسيلاً (ماؤها ساطع، سهل في الحلق).
- (٨) مزاجها زنجبيلاً مزوجة بشيء طيب - (الزنجبيل نبت حرّيف الطعم طيب الرائحة).
- (٩) عيناً حيواناً: شيئاً حياً (٢). الزبرجد والزمرّد (حجران كريمان أخضران). الرجمان نبت طيب الرائحة. الفينان (الواسع)، واسع الظل.
- (١٠) النارنج: نوع من الليمون. العقيق والمرجان: (أحمران).
- (١٠) ميل المجهول من مال. ميل بنا: ذهبوا بنا، قادونا المصنع: البناء العظيم. مرّد: مصقول، أملس. قوارير: زجاج

وَأَلْبَسَ الصُّبْحَ الْمُسْتَنِيرَ، وَقَلَّدَ قِلَادَةَ الطَّاوُوسِ وَنَقَطَ نَقَطَ الْعُرُوسِ (١).....

- وكان للجدِّ والهزل دَوْرٌ في هذا العصر، وفي النثر والشعر. فمن الذين سلكوا هذا المسلكَ الأديبُ أبو عبدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْعُودٍ، قال من رُقعة كتبها إلى ابنه لما توجَّهَ أبْنُه إلى الغرب (غرب الأندلس) - وقد بلغه عنه أنه آنغمسَ في اللهو والشراب - قال:

.... فَازَا، يَا بُنَيَّ، مَنْ اسْتَشْفَرَ الْبِرَّ وَالتَّقْوَى وَاسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى (٢) وَاعْتَصَمَ بِجِبِلِّ الْقِنَاعَةِ وَالرِّضَا، وَتَحَصَّنَ بِالْعَفَافِ وَتَبَلَّغَ بِالْكَفَافِ (٣)، فَلَمْ يَزَاجِرِ الْأَقْدَارَ وَلَا غَالِبَ اللَّيْلِ وَالتَّهَارِ (٤).... فَأَخْبِرْنِي، يَا تَاجَرَ الْبَحْرَيْنِ وَسِمَسَارَ الْعِرَاقَيْنِ وَدَلِيلَ الْمِجَازَيْنِ وَخَرِيَّتَ الْفَلَاتَيْنِ وَابْنَ عَظِيمِ الْقَرِيَّتَيْنِ (٥)، أَتُنْصِنُ بِكَ مِنْ خَرَاجٍ وَوَلَاجٍ مَاضٍ عَلَى السُّرَى وَالإِدْلَاجِ (٦)، جَرِيءٍ عَلَى اللَّيْلِ الدَّاجِ، كَالسِّرَاجِ الْوَهَّاجِ

(١) قِلَادَةُ الطَّاوُوسِ (كتابة عن تنوع الألوان وجالها). نَقَطَ الْعُرُوسِ: صَعِبَ أَصَابِعَ يَدِ الْعُرُوسِ بِالْمَهْنَاءِ (٤).

(٢) اسْتَشْفَرَ: لَبَسَ (لباس) الْبِرِّ وَالتَّقْوَى. الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى (المنينة): الرِّبَاطُ الْمَكِينُ (كتابة عن الأتحاد).

(٣) تَبَلَّغَ: أَقْصَرَ عَلَى الْاِكْتِفَى. الْكَفَافُ (ما يكفي لحفظ الحياة) الْحَدُّ الْأَدْنَى تَمَّاجِجًا إِلَى الْإِنْسَانِ.

(٤) لَمْ يَزَاجِرِ الْأَقْدَارَ (لم يحاول أن يتغلب على عمى الأيام). وَلَا غَالِبَ اللَّيْلِ وَالتَّهَارِ (الزمن وما يأتي به من خير أو شر).

(٥) نَاحِرَ الْبَحْرَيْنِ (التاجر باللؤلؤ). وَسِمَسَارَ الْعِرَاقَيْنِ (البصرة والكوفة): طَرِيقَ التَّجَارَةِ مِنَ الْمَهْدِ وَالصَّيْنِ. وَدَلِيلَ الْمِجَازَيْنِ: مَكَّةَ وَالمَدِينَةَ (٣) لِشَرَفِ الزِّيَارَةِ إِلَيْهَا. الْخَرِيَّتَ: الدَّلِيلَ الْحَاقِذَ الْحَبِيرَ. الْفَلَاتَانِ (العلاة): الْأَرْضُ الْوَاسِعَةُ الْحَالِيَةَ. الْفَلَاتَانِ لِلتَّقْبِيَةِ (٣) ابْنِ عَظِيمِ الْقَرِيَّتَيْنِ - الصَّوَابُ «أحد ابني عظيمي القريةين» (مكة والطائف). فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ٣٤: ٣١، وَقَالُوا: «لَوْلَا نُزُلُ (بالسواء) لِلْمَجْهُولِ مَعَ تَشْدِيدِ الزِّيَادَةِ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرِيَّتَيْنِ عَظِيمٍ»، أَيِ الْوَلِيدِ مِنَ الْمَغِيرَةِ (ت ١ هـ = ٦٢٢ م) زَعَمَ قَرِيْبِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَأَحَدَ أَغْنِيَائِهَا الْكِبَارِ، (من أهل مكة) تَمَّ عُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودِ التَّقْفِيِّ (ت ٩ هـ = ٦٣٠ م) مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ، وَكَانَ أَيْضًا عَظْمَاءً فِي قَوْمِهِ (وقد أسلم، ولكن قومه قتلوه).

(٦) خَرَاجٌ: كَثِيرُ الْخُرُوجِ. وَوَلَاجٌ: كَثِيرُ الْوُلُوجِ (الدخول). وَفِي نَاجِ الْعُرُوسِ (الكويت ٦: ٢٦٤): «وَرَجُلٌ خَرَاجٌ وَوَلَاجٌ (بتشديد الراء واللام) أَوْ خُرُوجٌ وَوُلُوجٌ (بتسهيل الراء واللام) أَوْ خُرُوجَةٌ وَجَمْعٌ (بضم ففتح ففتح فيها): كَثِيرُ الدَّخُولِ وَالخُرُوجِ (عظيم النشاط، له مقدرة في معالجة الأمور). مَاضٍ (صاحب عزم) عَلَى السُّرَى (السفر في الليل) جَرِيءٍ عَلَى الإِدْلَاجِ: سِيرَ اللَّيْلَ كُلَّهُ (بلا توقف).

صَحَّ عِنْدِي أَنْ الْعَسَلِ فِي تِلْكَ الْجِهَةِ مُمَكِّنٌ غَيْرُ غَالٍ وَمُنْحَطٌّ غَيْرُ عَالٍ، فَتَنَاوَلْنَا
إِقَامَتَهُ وَتَرْكِيبَهُ، وَأَتَقْنَا صِنَاعَتَهُ وَتَرْبِيئَهُ. لَقَدْ نَسِيتُ، يَا بُنَيَّ، أَنْ أُبْعَثَ إِلَيْكَ
بِنَسْخَةٍ فِي تَرْبِيبِ الْعَسَلِ الْمَشْرُوبِ مُطَابِقَةً لِّلْمَرْغُوبِ التَّنَقُّطَتِهَا مُغْتَنًا عَنِ فُلَانِ الْيَهُودِيِّ
كَانَ أُنْتَخَبَهَا لِلْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ وَأَصْحَابِهِ...^(٢)

- ولأبي عبد الله محمد بن مسعود هذا أرجوزة خاطب بها الوزير ابن بقتة^(٣) على
لسان جارية كان الوزير قد أهداها إليه وضاعت حالها بين يديه، فقال (الذخيرة ١ :
٥٥٣ - ٥٥٤) على لسان الجارية تشكو إلى الوزير ما تلاقيه في دار ابن مسعود:

وَهَبَّنِي لِأَوْحَدٍ مُنْقَطِعِ	فِي الْقُبْحِ وَالْفَقْرِ خَفِيِّ الْمَوْضِعِ.
جَمَلْتَنِي أُسِيرَةً مَمْلُوكَةً	لَطْلَمَةً حَائِلَةً صُعْلُوكَةً ^(٤) ،
يُعْزَى، عَلَى الْفَالِ، إِلَى مَسْعُودِ،	وَهُوَ شَقِيٌّ لَيْسَ بِالْمَحْمُودِ ^(٥) .
كَمَا يُكْتَسَى بِأَيِّ الْبَيْضِ	أَسْوَدُ كَالسَّرْوَةِ فِي الظُّلْمِ ^(٦) .
أَلَا وَهَبَّتَنِي لِشَخْصٍ تَاجِرٍ،	وَلَمْ أَكُنْ عِنْدَ فَقِيرٍ فَاجِرٍ.
أَوْ لَيْتَنِي كُنْتُ لِبَعْضِ الْجُنْدِ	فَرِيًّا حَازَ نَفْسَ الْمَجْدِ،
يَضْرِبُ بِالسِّيفِ وَلَا يُقَاسِي	خُطَّةَ خَنْفِ بَسْوَالِ النَّاسِ ^(٧) .
قَدْ كَسَدَتْ آدَابُهُ وَالشِّعْرُ،	فَمَا لَهُ عِنْدَ الْبَرَايِمَا قَدْرُ.
وَلَوْ تَرَاهُ سَائِرًا لِلسُّوقِ،	إِذَا بَدَأَ فِي كُسْوَةِ الْغُرُنُوقِ ^(٨) ،

(١) الداجي: المظلم. العارض: الغيم المقبل بظلم. التَّجَاج: الكثير الماء (غزير المطر).

(٢) المنصور بن أبي عامر: الحاجب كبير الوزراء بالأمور في آخر الخلافة مروانية في الأندلس (ت ٣٩٢ هـ).

(٣) قراءة هذا الاسم محيرة (راجع الذخيرة ١ : ٥٥٧، الحاشية ٥).

(٤) الطلعة: الوجه. حائل: متحول (متغير)، لا يعرف له لون ثابت. صعْلوك: فقير.

(٥) يعزى: ينسب. على الفأل: إذا تعالنا به (ظننا فيه خيراً).

(٦) السروة شجرة طويلة مائلة في خضرتها إلى السواد (... لشدة سواده لا يرى).

(٧) خُطَّة (طريقة) خُف (ذل).

(٨) الغرُنوق: طائر طويل الساق. إذا بدا في كسوة الغرُنوق (عارياً أو كالعاري).

مُشَمَّرًا فِي الْوَحْلِ عَنْ سَاقِيهِ مُدَاوِلًا عَصَاهُ فِي كَفَيْهِ .
فَمَرَّةٌ يُعْطِي وَأَلْفًا يَمْنَعُ ، وَمَرَّةٌ يَمْشِي وَعَشْرًا يَقْضِعُ .

ونشأت في هذا العصر « مجاميع الشعر » ، بدأها الفتح بن خاقان (ت ٥٢٩ هـ) بكتابين: « مطمح الأنفس ومسرح التأنس في مُلح أهل الأندلس » جمع فيه غاذج ثلاث طوائف من الذين قالوا الشعر قبل أيامه^(١): ثمانية عشر من الوزراء وتسعة عشر من الفقهاء وأربعة عشر من الأدباء ، ذكر في مقدمة « المطمح » أن الذي ندبه إلى جمعها الوزير أبو العاصي حكيم بن الوليد^(٢) . والذي يبدو أن الفتح بن خاقان قد جمع هذه الغاذج هوناً وعفو يديه لمُلحة في كل نموذج عدها أهلاً لأن تُذكر في كتابه . ولست أدري بأي شيء استحق « الفقيه أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مسرة » (ت ٣١٨ هـ) مكاناً في « المطمح » (ص ٥٨) بهذين البيتين وحدهما:

أَقْبَلَ فَإِنَّ الْيَوْمَ يَوْمٌ دَجَنٌ إِلَى مَكَانٍ كَالضَّمِيرِ مَكْنِي^(٣)
لَنَا بِحُكْمٍ فِيهِ أَشْهُى فَنِّ فَأَنْتَ فِي ذَا الْيَوْمِ أَمْشَى مِنِّي^(٤) .

مع أن الفتح بن خاقان قد ذمه وكشف عن إلحاده .

وأما « قلائد العقيان ومحاسن الأعيان » فهو أكبر حجماً من « المطمح » وأوفى اختياراً . ولكن يبدو أن الفتح قد قصره على المعاصرين له وزاد في مدحهم على حسب ما نال من عطائهم .

وللغاذج التي اختارها الفتح في كتابيه « المطمح » و « القلائد » مقدمات إنشائية لفظية ليس فيها فائدة تاريخية ولا هي صالحة لأن تكون أساساً لمعرفة خصائص الشاعر . ولا ريب في أن الصفات التي كان يخلعها الفتح على كل شاعر كانت تستند إلى رضا الفتح عنه . فالغالب أن الفتح قد أراد التكسب في « القلائد »

(١) راجع بالنسبة ٢٩٨ .

(٢) راجع مقدمة المطمح (منقول بعضها في نفع الطيب ٧ : ٦٠) .

(٣) دجن: غيم . مكني (مستور عن عيون الناس) .

(٤) لنا بحكم فيه (نحن نحكم فيه بما نشاء : نفعنا ما نشاء من لهُ) . أمشى مني : أقدر على المشي مني (أبرع مني في ذلك اللون من اللهُ) .

من الشعراء الذين سلكهم في كتابه.

قال الفتح بن خاقان في مطلع «ترجمة» الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي^(١) في «المطمح» (ص ٤): «تجرّد للعليا وعرد في طلب الدنيا حتى بلغ المنى وتوسّع ذلك الجنى^(٢). فما دون سابقه وارتقى إلى رتبة لم تكن للبينيه مطابقة^(٣). فالتاح في أفياء الخلافة وأرتاح إليها بعطفه كثنوان السّلاقة^(٤). وأستورزه المستنصر، وعنه كان يسمعُ وبه يُنصِرُ.....^(٥)».

هذا كلام قد يكون حلوًا في الخيال، وهو منطوق على شيء من الحقيقة. ولكن لا يستطيع أحد أن يصل إلى هذا الشيء من الحقيقة إلا إذا كان عارفاً بالمصحفي وبأحواله معرفة تامة. وإنّ مما يؤسف له أنّ هذه الخطّة الرديئة قد تركت أثرها ظاهراً على كثيرين من الذين جمعوا مختارات من الشعر كأبن بسام (ت ٥٤٢ هـ) في «الذخيرة» حتى نصّل إلى لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ) في «الكتيبة الكامنة» وسواها. وكذلك فعل الحجاري (ت ٥٥٠ هـ) لما وضع كتابه «السّهب». ثم أنتقل هذا السوء (مع الإيجاز) إلى «المغرب» لابن سعيد العنسي (ت ٦٨٥ هـ).

- النقد:

نبدأ في النقد الأدبي في هذا العصر بالفتح بن خاقان (ت ٥٢٩ هـ) مع أنّ نقده، يتعلّق في الأكثر بالشاعر لا بشعره. ثم إن أحكامه شخصية قاصرة في جمل عاطفية مسجوعة. ومع ذلك ففيها بذور من النقد مفيدة في عدد من الأحيان. فمن أحكامه التي لا فائدة فيها قوله في أبي عامر بن شهيد (المطمح ١٦): «عالم بأقسام البلاغة ومعانيها، حائز قصب السبق فيها. لا يشبهه أحد من أهل زمانه، ولا يُنسى في نسق

(١) للمصحفي هذا ترجمة مستقلة (ت ٣٧٢ هـ).

(٢) الجنى: النمر. توسّع (ليست في القاموس): أجاز الأمر لنفسه، وجد ذلك الأمر سائفاً.

(٣) اللبينة: (٥) اللبين الذي يرمى على لبن الحيوان - البقر، مثلاً.

(٤) التاح: عطش، تغبّر (لا معنى لها هنا) - لعله يقصد رؤى. الثنوان: السكران. السلاقة: الخمر.

(٥) المستنصر: الحكم (مكت في الخلافة في الأندلس من ٣٥٠ إلى ٣٦٦ هـ) ابن عبد الرحمن الناصر. عنه

يسمع وبه يبصر (يعتمد عليه في أعماله).

من درّ البيان وجُمانه. توغّل في شِباب البلاغة وطُرُقها، وأخذ على مُعاطبها ما بين مَقربها ومَشْرِقها. لا يقاومه عمرو بن بحر ولا تراه يعترف إلا من بحر.....»، وأما أحكامه التي تنطوي على شيء من الفائدة فقوله في أبي حفص احمد بن بُرد (المطمح ٢٤): «وأبو حفص هذا بديع الإحسان بليغ القلم واللسان، مليح الكتابة فصيح الخطابة. وله رسالة السيف والقلم وهو أول من قال بالفرق بينهما. وشعره مُثَقَّف المباني....».

وعرّض ابنُ خَفَاجَةَ (ت ٥٣٣ هـ) في مقدمة ديوانه لشيء من النقد المنظّم فأعتمد في تقديم الشاعر على ما في شعره من جَزَالَةٍ وِرْقَةٍ. ثم هو يرى أنّ الشعرَ قائمٌ في الأصل على التخيل (على الزيادة فيما يرى الشاعر في الواقع) وليس في ذلك شيءٌ من الكذبِ ضرورةً. وابنُ خَفَاجَةَ أميلٌ إلى الأخذ بالجانب الفني (جمال التعبير وغرابته) منه إلى الجانب الأخلاقي (موافقة الشاعر في أقواله لعادات زمانه ومكانه) لأنه يذهب إلى أن الشعرَ تعبيرٌ عن الواقع الشخصي للشاعر نفسه.

ولأبي الطاهر الاشتروكي (ت ٥٣٨ هـ) أحكامٌ سابقها في مقامتين له: أحكامٌ عامّةٌ قليلةٌ الفائدة جمَعَ أكثرها من أقوال الذين سبقوه (راجع ترجمته).

ومَعَ أن ابنَ بَسَامٍ (ت ٥٤٢ هـ) صاحب «الذخيرة» قد سار في تعريف الشعراء على خطى الفتح بن خاقان أو قريباً من ذلك في النثر الأنيق المسجوع، فإن في كتابه «الذخيرة» أسساً للنقد متفرقة لا نجد فيها شيئاً من الابتكار. كان ابنُ بَسَامٍ يُريد إبرازَ بدائع الأدب الأندلسي لوماً لأولئك الذين يروون الإحسان في شعرِ المُشَارِقَةِ وهدم. ثم إنه يميلُ إلى الجانب الأخلاقي في الشعر فيَحْمِلُ على الهجاء ويُهْمِلُ إيراد ما قُبِحَ منه. وأما كُرَّةُ ابنِ بَسَامٍ للإكثار من المعاني الفلسفية في الشعر وتُفَوِّره من الاستعارات البعيدة ثم استحسانه الإشارةَ إلى الأحوال دون التفصيل فيها إلى جانبِ مَدْحِهِ للبديهة والآرْجَمال فأشياءٌ مشهورةٌ عند ابنِ رَشِيْق (ت ٤٥٦ هـ). وابنِ بَسَامٍ لا يَنْسَحُ في كتابه الواسع مكاناً للموشحات.

أما الذي قَصَدَ إلى النقد في هذا العصر ثم توفّر عليه فكان ابنُ عبدِ الغفور الكِلَاعِي (ت ٥٤٣ هـ) في كتابه إحكام صنعة الكلام، مع العلم بأن هذا الكتاب

أَصْقُ بِعِلْمِ الْبَلَاغَةِ عَامَةً مِنْهُ بِفَنِّ النِّقْدِ خَاصَةً. وَأَكْثَرُ أَهْتَامِهِ فِي هَذَا الْكِتَابِ بِالنَّثْرِ، وَقَدْ وَقَّاهُ حَقُّهُ مِنْ جَعْلِهِ أَنْوَاعاً وَمِنْ تَعْرِيفِ تِلْكَ الْأَنْوَاعِ. وَهُوَ يُفَضِّلُ النَّثْرَ عَلَى الشَّعْرِ.

وَمَعَ تَأْخُرِ ابْنِ خَيْرَةَ الْوَاعِيْنِي (ت ٥٦٤ هـ) فِي الزَّمَنِ فَإِنَّا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَسْلُكُهُ فِي عَصْرِ الْمُرَابِطِيْنَ. لِابْنِ خَيْرَةَ كِتَابٌ فِي النِّقْدِ مِنْهَا «الرَّيْحَانُ وَالرَّيْحَانُ» أَعْتَمَدَ فِيهِ كَثِيراً مِنْ كِتَابِ الْمَشَارِقِ. فَهُوَ يَرَى حُسْنَ مَخْرَاجِ اللَّفْظَةِ الْمُفْرَدَةِ (بِتَبَاعُدِ مَخْرَاجِ حُرُوفِهَا طَلَباً لِلوُضُوحِ فِي اللَّفْظِ) وَحُسْنَ تَأْلِيفِهَا (تَرْكِيْبِهَا فِي الْجُمْلَةِ) مَعَ الْمَوَافَقَةِ بَيْنِ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى. وَيَرَى أَيْضاً الْإِبْتِعَادَ (فِي الشَّعْرِ) عَنِ الضَّرُورَاتِ (الْجَوَازَاتِ الشَّاذَّةِ) وَعَنِ الْحَشْوِ وَالِإِخْلَالِ (زِيَادَةِ الْأَلْفَاظِ أَوْ نَقْصِهَا عَمَّا يَجِبُ). وَلَكِنْ لَا بَأْسَ بِالْكَذِبِ (الْمُبَالَغَةِ) فِي الشَّعْرِ. أَمَّا الْخَطَابَةُ فَيَجِبُ أَنْ تَكُونَ أَقْرَبَ إِلَى الْوَاقِعِ.

صورة الحياة العامة

كَانَتِ الصَّلَاتُ بَيْنَ الْعُدُوتَيْنِ: الْعُدُوَّةِ الْأُورُوبِيَّةِ (الْأَنْدَلُسِ) وَالْعُدُوَّةِ الْإِفْرِيْقِيَّةِ (الْمَغْرِبِ) وَثَبَتَةً دَائِماً، وَكَانَ التَّبَادُلُ الْاجْتِمَاعِيُّ وَالثَّقَافِيُّ كَثِيراً. وَلَمَّا بَسَطَ الْمُرَابِطُونَ نَفُوذَهُمُ السِّيَاسِيَّ عَلَى الْأَنْدَلُسِ كَثُرَتْ تِلْكَ الصِّلَاتُ وَتَوَثَّقَتْ. وَقَبْلَ مَجِيءِ الْمُرَابِطِيْنَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ كَانَتِ الْأَنْدَلُسُ مِنَ النَّاحِيَةِ السِّيَاسَةِ فِي دَرَكِ الْمُحْطَاطِهَا. فَلَمَّا انْتَصَرَ يُوْسُفُ بْنُ تَاشَفِيْنَ عَلَى الْإِسْبَانِ وَحَطَّمْ مَقَاوِمَتَهُمُ الْمَسْكِرِيَّةَ، إِلَى حَيْثُ اسْتَرْوَحَ الْمُسْلِمُونَ فِي الْأَنْدَلُسِ رِيحَ الْقُوَّةِ وَتَجَدَّدَ أَمْلُهُمْ فِي الْبَقَاءِ. وَأَدْرَكَ نَصَارَى الْأَنْدَلُسِ أَنَّهُمْ قَدْ هُزِمُوا فِي مَعْرَكَةٍ فَاصِلَةٍ (مَعْرَكَةُ الزَّلَاقَةِ) وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَتْرَكُوا الْقِتَالَ. ثُمَّ إِنَّ نَصَارَى أُوْرُوبَةَ (بِزَعَامَةِ الْبَابُوِيَّةِ) زَادَتْ فِي عَزِيْمَتِهَا عَلَى الْحَرْبِ. وَلَمَّا أُيْقِنَتِ الْبَابُوِيَّةُ أَنَّهَا لَنْ تَقْوَى عَلَى مُجَابَهَةِ يُوْسُفَ بْنِ تَاشَفِيْنَ وَجَهَتْ وَجْهَهَا نَحْوَ الشَّرْقِ وَنَقَلَتْ حَرْبَهَا الصَّلِيْبِيَّةَ مِنْ الْأَنْدَلُسِ إِلَى فِلَسْطِيْنَ.

بَعْدَ الْقَضَاءِ عَلَى مَلُوكِ الطَّوَائِفِ أَصْبَحَ لِلْأَنْدَلُسِ حَاكِمٌ وَاحِدٌ، كَانَ أَمِيْرًا مِنَ الْمُرَابِطِيْنَ. وَكَانَ هَذَا الْأَمِيرُ الْمُرَابِطِيُّ يُعَيِّنُ عَلَى قَوَاعِدِ الْأَنْدَلُسِ (الْمُدُنِ الْكَبِيْرَةِ فِيهَا) وُلَاةً. وَيَبْدُو أَنَّ الْوَلَاةَ كَانُوا دَائِماً مِنَ الْمُرَابِطِيْنَ (أَهْلِ الْمَغْرِبِ) وَلَكِنْ الْوُزَرَءُ كَانُوا

بالإمكان أن يكونوا من الأندلسيين، فلقد وَزَرَ ابنُ باجُهَ مَثَلًا لأبي بكرِ بنِ إبراهيمِ اللمتوني في غرناطة. وكذلك لم تكنْ مُدَّةُ الوِلاَةِ على الأندلس تطولُ في العادة - وإن كان سيرُ بنُ أبي بكرٍ قد ظلَّ في ولايته إشبيليةَ سبعمائةً وعشرينَ سنةً - كيلا يُحاولَ أحدٌ منهمُ الاستبدادَ بالبلدِ الذي تحتَ يدهِ.

ثم إن المرابطين حَرَصوا على دوامِ العَدَلِ في الرعيَّة، فقد كتب أبو القاسمِ بنُ الجَدِّ (على لسانِ يوسفَ بنِ تاشفين) رسالةً إلى أبي محمدِ بنِ فاطمةَ (أحدِ عمَّالِه - ولا ريبَ في أنَّ فحوى هذه الرسالةِ يُمكنُ أن يُنطبقَ على أهلِ المغربِ وعلى أهلِ الأندلس) يقولُ:

«.... فاتَّخِذِ الحقَّ إمامك ومَلِكْ يدَكَ زمامه، وأجرِ عليه في القويِّ والضعيفِ أحكامك. وارفعِ لدَعْوَةِ المظلومِ حجابك ولا تَسُدَّ في وجهِ المُضطهدِ بابك. ووطِّئِ للرعيَّة - حاطها اللهُ - أكنافك. وابذلْ لها إنصافك. واستعملْ عليها مَنْ يَرْفُقُ بها وَيَعْدِلُ فيها، واطْرَحْ كلَّ من يَحيفُ^(١) عليها ويؤذيها. ومن سَبَّ عليها من عمَّالكِ زيادةً أو خرقًا في أمرها عادةً، أو غيَّرَ رسمًا أو بدَّلَ حُكْمًا، أو أخذَ لنفسه منها درهماً ظلمًا، فاعزله عن عمله وعاقبه في بدنه، وألزمه ردَّ ما أخذ - تعدّيًا - إلى أهله واجمله نكالًا^(٢) لغيره حتى لا يُقدِّمَ منهم أحدٌ على مثلِ فعله....» (قلائد العقيان ١٢٧ - ١٢٨).

وكان لوزراء المرابطين سُلْطَةٌ واسعة لا تقتصر على المغرب فقط بل تناول الأندلس أيضًا، كما كان للقضاة مثل تلك السلطة، ذلك لأنه كان للفقهاء أثرٌ كبير في نُصرة المرابطين، فقد كانوا حَبَّبوا حُكْمَ المرابطين إلى الناس - بعد أن كان حكمُ ملوكِ الطوائف قد أَمَلَّ الناسَ لكثرة ما كان في عهدهم من الترفِ ومن الحُرُوبِ التي ضيَّعتْ بلادًا كثيرةً فنقلتها من حُكْمِ ملوكِ الطوائفِ المسلمين إلى حكمِ ملوكِ الإِسبانِ النصراني.

(١) حاف: جار وظلم.

(٢) النكال: العقاب (بشدة تردع الآخرين من الوقوع في الذنوب).

وهؤلاء القضاة الذين أصبحت لهم السلطة الواسعة على الناس في المغرب والأندلس معاً، بما كان المرابطون قد خولّوهم من المكانة لم يتركهم سلاطين المرابطين بلا نصّح أو تذكير بلزوم العدل في الناس والرفق بهم. إن القاضي لما أصبحت له السلطة والرقابة على القضاء والفتيا والشورى والخطبة (يوم الجمعة) وعلى أحكام السوق كلّها (رقابة سلوك الناس ثم الفصل في منازعاتهم)، مما كاد يجعله حاكماً فرداً، مال في عدد من الأحوال إلى شيء من الاستبداد وإساءة التصرف. من أجل ذلك كتّب ابن القصيرة الإشبيلي (ت ٥٠٨ هـ) إلى قاضي الجماعة بقُرطبة ابن حمدين (تولّى القضاء من سنة ٤٩٠ إلى وفاته في المحرم من سنة ٥٠٨) - على لسان أمير المسلمين يوسف بن تاشفين - (الذخيرة ٢ : ٢٦٦):

«.... استهدى الله يهديك، وأستعين به يُعذك في صدرك ووردك^(١). وتولّ القضاء الذي ولاكّه الله بجدّ وحزم وجلدٍ وعزم. وأمنّ القضايا على ما أمضاها الله تعالى في كتابه وسنة نبيه.. وآس^(٢) بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع قوي في حيفك ولا يتأس ضعيف من عدلك. ولا يكن عندك أقوى من الضعيف حتى تأخذ الحق له، ولا أضعف من القوي حتى تأخذ الحق منه.....» (إن هذه الرسالة - والجمل الأخيرة منها خاصة - مأخوذة من رسالة عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري في القضاء).

ومع هذا كلّه فقد أساء نفر من القضاة تصرّفهم في الرعية وأموال الرعية، حتى قال الشاعر الأندلسي ابن البني يهجو قاضي قضاة قرطبة ابن حمدين نفسه (المعجب ١٢٢: راجع نفع ٣ : ٤٤٨ - هي للأبيض).

أهل القضاء، لبستموا ناموسكم كالذئب أدلج في الزمان العام^(٣)

(١) الصدر (الرجوع عن الماء بعد التراب) والورد (بالكسر) والورود (الذهاب إلى الماء للتراب): في جميع أعمالك.

(٢) أسى بين الشخصين: سوى بينهما.

(٣) عم (بفتح فتحة) الليل: بدأ ظلامه. أدلج: سار في أول الليل. الناموس: الثريزة (القانون) - لبس ناموسك (تخذم عمك في القضاء ساراً على استغلال القضاء وظلم الناس).

فَمَلَكْتُمُو الدُّنْيَا بِمَذْهَبِ مَالِكٍ^(١) ، وَقَسَمْتُمُو الْأَمْوَالَ بَيْنَ الْقَاسِمِ^(٢) .
وَرَكِبْتُمُو شُهَبَ الدَّوَابِّ بِأَشْهَبِ^(٣) ، وَبَاصْبَغٍ صُبِّغَتْ لَكُمْ فِي الْعَالَمِ^(٤) .

★ ★ ★

والمغاربة كانوا دائماً كَثَرًا في الأندلس، ولكنهم الآن أصبحوا أهلَ طَبَقَةٍ سَائِدَةٍ وأخذ كثيرون من الأندلسيين يقلدونهم في اللثام^(٥) خاصة وسيئون التصرف في الأمور أيضاً، بالإضافة إلى حياة الترف البالغ التي كانوا يَحْيَوْنَهَا. وبرزت المرأة في الأندلس - تشبهاً بالمرأة الصنهاجية من المثلثين^(٦) - فوق ما كان لها من البروز قبل الحكم المرابطي في الأندلس. ثم لم يَخُلُ عصر المرابطين في الأندلس من مثل رجل شُعُوبِيٍّ كأي عامر بن غرسية (راجع أخباره المفصلة في الجزء الرابع).

الحياة الثقافية

إِنَّ الاتِّجَاهَ الدِّينِيَّ الواضِحَ في نشأة دولة المرابطين ظَهَرَ بارزاً جِدًّا في الحديث. غَيْرَ أَنْ جُهْدَ المُحَدِّثِينَ أَنْصَرَفَ إلى أمورٍ جانبيةٍ في الأكثر: في مَخْتَارَاتٍ مَعْيَنَةٍ من كتب الحديث وفي تعريفِ رِجَالِ السَّنَدِ في الحديث وفي أشياء من أصول التَّحْدِيثِ،

- (١) مذهب مالك (بن أنس): المذهب الرسمي في المغرب والأندلس - ملكتم الدنيا بمذهب مالك: استغلتمم
انتاؤم إلى المذهب الرسمي للحصول على المغنم الشخصية.
- (٢) وقسموا (اقتسمتم) الأموال (بينكم) بين القاسم = أبو عبد الله عبد الرحمن بن قاسم الصنقي (بضم
ففتح) فقيه مصري ١٣٢ - ١٩١ هـ) تفقه على الإمام مالك وصحبه عشرين سنة. وانتفع به أصحاب
مالك بعد موت مالك. وهو صاحب «المدونة» (المصدر الرئيس في الفقه المالكي)، وعنه أخذها
سحنون (ت ٢٤٠ هـ).
- (٣) ركبت شهب الدواب (البغال): نلت المناصب العالية وتمتعت بالحياة الناعمة. وأشهب بن عبد العزيز
القيسي (١٤٥ - ٢٠٤ هـ) فقيه مصر في زمانه صحب الإمام مالك زماناً.
- (٤) أبو عبد الله أصبغ بن الفرج المصري (ت ٢٢٥ هـ) كان تلميذ ابن القاسم. صبغت لكم (اللقمة) بأدم
(بفتح ففتح): وضع لكم دسم على خبزكم (تنصت في الحياة).
- (٥) اللثام: القناع - جعل الأندلسيون يضمنون اللثام على وجوههم (تقليداً للمرابطين ليتصرفوا كأنهم
حكام أو أعيان).
- (٦) كانت المرأة من المرابطين برزة (تكشف عن وجهها - بخلاف الرجال من قومها).

نذكر من هؤلاء: الحسين بن محمد الفسائي الجبائي (ت ٤٩٨ هـ) له «تقييد المَهملِ وتمييز المُشكِل من رجال الصحيحين»، وله «الكُنَى والألقاب». وقد كان بارعاً في التحديث، رحلَ الناسُ إليه وأخذوا عنه. وهناك رزيق بن مُعاوية العَبْدَرِيّ (ت ٥٢٤ هـ) له «التجريدُ في الجَمْع بين الموطأ والصحيح الخمس»، وله «أخبارُ مكة والمدينة وفضائلها». ولعبد الله بن عليّ الرُّشاطي (ت ٥٤١ هـ) تصانيفُ في صحيح كُتُب الحديث وفي أنساب الصحابة. وكذلك لابن وكيل الإقليشي (ت ٥٤٩ هـ) مُختاراتٌ من كتب الحديث وشيء من التأكيد على الجانبِ الصوفي منها. ومثله في الميل إلى الجانبِ الصوفي عبدُ المهيد بنُ عمَرَ الميانيشي (ت ٥٧٩ هـ). وكان لمحمد بن علي بن ياسين الأنصاري الجبائي مُختاراتٌ من روايات من أسم كل واحدٍ منهم محمد. وأشهرُ هؤلاء في العصر الذي نُعالجه أبو بكر بن العربي (ت ٥٤٣ هـ) والقاضي عياض بن موسى (ت ٥٤٤ هـ).

وكان الميلُ في هذا العصر إلى الفقه السلفي مع التشدد في الجوانب النظرية منه وفي الفروع أيضاً. لقد رَفَعَ المرابطون (في المغرب وفي الأندلس) لواءَ السُنَّة ورفَقُوا الرأيَ والفلسفة، وبلغَ من تشدُّدهم أن أحرقوا كُتُب الإمام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) مع العلم بأن الصلوات بين الغزالي ويوسف بن تاشفين كانت حسنة، وكان من المنتظر أن يستجيب الغزالي لدعوة يوسف بن تاشفين في الهجاء إلى المغرب لولا وفاة ابن تاشفين في سنة ٥٠٠ هـ. غير أن هذا التشدد لم يمنع من الجدَلِ ومن اتجاه نفرٍ من الفقهاء نحو عِلْم الكلام من أمثال ابن السيد البطلانيوسي (ت ٥٢١ هـ) ويحيى ابن عمَرَ بن سعدون القرطبي (ت ٥٦٧ هـ). ولقد ذهبَ بالشهرة في أصول الفقه والكلام وفي فروع الفقه أيضاً أبو بكر بن العربي والقاضي عياض.

ثم يحسنُ أن نذكرَ من فقهاء هذا العصرِ أبا الوليد بن رُشدِ الجدِّ (ت ٥٢٠ هـ) ومحمد بن عليّ المازري الصقلي (ت ٥٣٦ هـ) ثم أبا بكر بن العربي والقاضي عياضاً أيضاً.

ثم ننتقلُ إلى العلومِ الرياضية والعلومِ الطبيعية.

كان إبراهيم بن يحيى المعروفُ بابن النقاش الزرقالي (ت ٤٩٣ هـ) بارعاً في علوم

الفلك النظرية والعملية له كتاب العمل بالصحيفة الزيجية (للاستدلال على حركات النجوم) وكتاب حركات النجوم الثابتة (الثابتة بالإضافة إلى الأرض)، وله أيضاً «المدخل إلى علم النجوم». ثم هو أبرع أهل زمانه في رصد النجوم.

ولأبي الصلت أُمِّيَّة بن عبد العزيز (ت ٥٢٩ هـ) براعة في الطب والأدب وغيرها، ولكن براعته البارزة كانت في الفيزياء وفي علم الحيل (الميكانيك) خاصة.

واشتهر في هذا العصر عالمان في الجغرافية أحدهما الشريف الإدريسي (ت ٥٦٠ هـ) صاحب كتاب «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» ألفه حينما انتقل إلى جزيرة صقلية لملكها رُجَارَ (روجر) الثاني النورماني، ولذلك يُعرف كتابه أيضاً بعنوان «الكتاب الرُّجاري». ولقد استعان الشريف الإدريسي في تأليف هذا الكتاب بنفر من العلماء كان يبعث بهم إلى الأقطار المختلفة (والقريبة منه) مع المساحين والرسامين لدراسة طبيعة البلاد التي يذهبون إليها. ولقد وضع الشريف الإدريسي للعالم المعروف في زمانه خارطة على شيء كثير من الدقة واصطلاح فيها على أن يكون الجنوب في جانبها الأعلى (بخلاف ما عليه الاصطلاح اليوم من أن الشمال هو الجانب الأعلى). ثم إنه رسم العالم على كُرَّة من الفضة. ثم يأتي هنا أبو حامد محمد بن عبد الرحيم المازني (ت ٥٦٥ هـ)، وكان رحالة كثير الأسفار بعيدها زار بلاد البلغار والروس والحزر وخوارزم (في الجانب الشرقي من أوروبا خاصة). وللمازني كتب منها: المغرب في عجائب المغرب - تحفة الكبار في أسفار البحار.

واشتهر في هذا العصر يحيى بن محمد بن العوام (ت نحو ٥٨٠ هـ) صاحب كتاب «الفلاحة النبطية» جمعه من مصادر مختلفة يونانية في الأكثر ثم أضاف إليه ملاحظاته الكثيرة.

ولمَعَ الطِّبُّ في هذه الحقبة من التاريخ لمعانا شديداً. لقد ازدان هذا العصر بأثنين من بني زُهْرٍ أوَّلها أبو العلاء زُهْرُ بنُ عبد الملك (ت ٥٢٥ هـ) وكان بارعا جداً في التطبيق فنال منزلة سامية عند المرابطين، ولكنه كان أيضاً بذيء اللسان كثير التكبر. أهدى إليه رجل نسخة من كتاب «القانون» لابن سينا (ولم يكن كتاب القانون قد وصل بعد إلى الأندلس) فازدرى الكتاب وجعل يقطع منه طرراً (قطعاً)

يَكْتَبُ عَلَيْهَا وَصَفَاتِهِ. وَإِذَا كَانَ هَذَا الْعَمَلُ فِي نَفْسِهِ يَدُلُّ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الثِّقَةِ بِالنَّفْسِ وَعَلَى شَيْءٍ مِنَ الْبِرَاعَةِ، فَإِنَّهُ - فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ - يَدُلُّ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْجَهْلِ وَقِلَّةِ التَّهْذِيبِ. وَكَذَلِكَ بَرَعَ أَبُو مَرْوَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ زُهَيْرٍ (ت ٥٥٧ هـ) فِي التَّطْبِيبِ وَاشْتَهَرَ بِهِ وَكَانَ نَاجِحاً جَمَعَ مِنْ صِنَاعَتِهِ ثَرَوَةً عَظِيمَةً. وَلَكِنْ كَانَتْ لَهُ آرَاءٌ شَاذَةٌ مِنْهَا أَنَّهُ مَنَعَ الْحَمَامَ (الْإِغْتِسَالُ بِالْمَاءِ) ظَنًّا مِنْهُ أَنَّ الْمَاءَ يُدْخِلُ عَلَى الْجِسْمِ عَفْوَنَةً تَضُرُّ بِهِ. وَلَعَلَّ ابْنَ زُهَيْرٍ هَذَا كَانَ مُتَأَثِّراً بِسُلُوكِهِ فِي ذَلِكَ بِنَصَارَى أَوْ رُوبَةَ النَّسَبِ كَانُوا يَمْنَعُونَ الْإِغْتِسَالَ، لِأَنَّ الْإِغْتِسَالَ يُزِيلُ أَثَرَ مَاءِ «التَّعْمِيدِ» الَّذِي كَانَ يَطْفُلُهُمْ يُغَسُّ فِيهِ لِإِدْخَالِهِ فِي النَّصْرَانِيَّةِ.

وَمِنَ الْبَارِعِينَ فِي الْمُدَاوَاةِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْغَافِقِيُّ (ت ٥٦٠ هـ) كَانَ عَارِفاً بِالْأَدْوِيَّةِ الْمَفْرُودَةِ جَامِعاً لِمَا عَرَفَ الْأَوَائِلُ (الْقَدَمَاءُ: الْيُونَانِ) مِنْهَا (طَبِيقَاتُ الْأَطْيَاءِ ٣: ٥٢). وَكَانَتْ لَهُ كُتُبٌ مِنْهَا: «دَفْعُ الْمَضَارِّ الْكُلِّيَّةِ لِلْأَبْدَانِ الْإِنْسَانِيَّةِ» (٤).... (بِرُوكْلَمَنْ ١: ٦٤٣). وَفِي تِلْكَ الْحِقْبَةِ نَفْسِهَا عَاشَرَ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ أَسْمَ الْغَافِقِيُّ الَّذِي بَلَغَ أَشَدَّهُ فِي الْقَرْنِ الْهَجْرِيِّ السَّادِسِ، وَكَانَ كَحَالاً (طَبِيباً لِلْعِيُونَ)، وَلَهُ كِتَابٌ مَطْبُوعٌ (بِرُوكْلَمَنْ، الْمَلْحَقُ ١: ٨٩١).

* * *

وَنَضِجَتْ الْفَلَسَفَةُ فِي الْأَنْدَلُسِ فِي هَذِهِ الْحِقْبَةِ بِظُهُورِ ابْنِ بَاجَةَ (ت ٥٣٣ هـ) خَاصَّةً. كَانَ ابْنُ بَاجَةَ عَالِماً وَأَدِيباً وَمُوسِيقِيّاً وَفِيلَسُوفاً وَطَبِيباً. غَيْرَ أَنَّ شُهْرَتَهُ بِالْفَلَسَفَةِ غَطَّتْ عَلَى كُلِّ فَنٍّ آخَرَ لَهُ، فَهُوَ الَّذِي بَنَى التَّفَكِيرَ الْفَلَسَافِيَّ عَلَى الرِّيَاضِيَّاتِ وَالتَّطْبِيعِيَّاتِ وَأَقْتَرَبَ بِالْفَلَسَفَةِ مِنْ أَنْ تَكُونَ عِلْماً ثُمَّ قَالَ إِنَّ التَّصَوُّفَ يُمِيتُ الْحَيَاةَ وَيَمْنَعُ التَّفَكِيرَ السَّوِيَّ فِي الْمُتَّصِفِ. وَبِحَسْنِ أَنْ نَذَكَّرَ فِي هَذِهِ التَّوْطِئَةِ ابْنَ السَّيِّدِ الْبَطْلَيْوْسِيِّ (ت ٥٢١ هـ) فَلَقْدَ كَانَ هُوَ أَيْضاً أَدِيباً وَلُغَوِيّاً وَفَقِيهاً وَفِيلَسُوفاً. وَتَجَدَّرُ الْإِشَارَةُ هُنَا إِلَى كِتَابِهِ «الْحَدَائِقُ» وَهُوَ خَمْسُ مَقَالَاتٍ فِلَسَفِيَّةٍ سَهْلَةٍ الْأَسْلُوبِ مُوجِزَةٌ الْبَحْثِ تَتَنَاوَلُ عِدَّةً مِنَ الْآرَاءِ الْيُونَانِيَّةِ عِنْدَ أَفْلَاطُونٍ خَاصَّةً - لَا تَتَّفَقُ دَائِماً مَعَ آرَاءِ أَفْلَاطُونِ، وَتِلْكَ مُشْكَلَةٌ مَعْرُوفَةٌ فِي الْفَلَسَفَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ لَا مَجَالَ لِلتَّبَسُّطِ فِيهَا فِي هَذِهِ الْأَسْطُرِ.

ويبرز في هذا الدور أبو بكر الطرطوشي (ت ٥٢٥ هـ) فيلسوفاً اجتماعياً سابقاً في تحليل التاريخ على ابن خلدون. وابن خلدون يشير إلى ذلك صراحةً ويرى أن كثيراً من آرائه التاريخية قد وردت عند الطرطوشي هذا، ولكن ابن خلدون - كما يقول ابن خلدون نفسه - قد زاد على الطرطوشي في تنظيم هذه الآراء وفي التبسط فيها وضرب الأمثلة عليها - راجع ترجمة الطرطوشي (في هذا الجزء) وترجمة عبد الرحمن ابن خلدون في الجزء التالي).

وبينا كان ابن باجه يرفض التصوف كان أبو العباس أحمد بن محمد بن العريف (ت نحو ٥٣٦ هـ) يثق في التصوف طريفاً جديداً هو الزهد في كل شيء إلا في الله، وذلك هو التخلي الكامل عن كل أمر من أمور الدنيا. ونحن نشم في ذلك شيئاً من رائحة الهندوكية. ولابن العريف هذا كتاب «معاصر المجالس» ذكّر فيه الصفات التي رآها هو ضرورية في المتصوف. وكانت له أيضاً قصيدة صوفية. ويبدو أن التصوف قد انحرف انحرفاً أكبر مع أبي القاسم أحمد بن القيسي (؟) الذي قتله المرابطون سنة ٥٤٦ هـ، فإنه كان قد أقام للمريد من أتباعه رباطاً في غربي الأندلس (البرتغال اليوم)، وله كتاب «شرح حديث خلع النعلين» (صاحب هذين النعلين: رسول الله) واقتباس الأنوار من موضع (؟ موطأ) القدمين (بروكلمان، الملحق ١: ٧٧٦).

ويبدو أن اهتمام المؤرخين في هذا الدور كان منصرفاً إلى كتب التراجم وكتب الخصائص الجانبية، فمن هؤلاء المؤرخين: ابن مديني (ت ٤٩٥ هـ) ومحمد بن علقمة الصديقي (ت ٥٠٩ هـ) له «البيان الواضح في الملم الفادح» (في تاريخ مدينة بلنسية وتغلب الإسبان عليها وميختها). ثم هنالك عبد الجبار بن عبد الله بن أصبغ (ت ٥١٦ هـ) له «عيون الإمامة ونواظر السياسة» ومحمد بن فيره بن سكرة الصديقي (توفي ٥١٦ أيضاً) ثم محمد بن يحيى بن يثق (ت ٥٤٧ هـ) له كتاب «ملوك الأندلس والأعيان والشعراء» ثم أبو بكر يحيى بن محمد بن يوسف الأنصاري القرناطي له «أخبار دولة لمتونة» (المرابطين) ثم محمد بن أحمد الطرطوشي البلوي (ت ٥٥٩ هـ) - وهو مؤلف موسمي - له من الكتب: كتاب «أنموذج العلوم»

وكتاب « دُرُرُ القلائدِ وَغُرُرُ الفوائدِ » وكتاب « أخبارُ الأندلسِ وأمرائها وطبقاتِ علمائها وشُررائها ». ثم هنالك أليْسَعُ بنُ عيسى بنُ حَزَمِ الغافقيُّ (ت ٥٧٥ هـ) له: كتابُ « فضائلِ أهلِ المَغْرِبِ » وكتابُ « المُعْرَبِ في عَمانِ أهلِ المَغْرِبِ ». وأشهرُ هؤلاءِ كُلُّهُمُ ابنُ بشكوالِ (ت ٥٧٨ هـ) صاحبُ كتابِ « الصلَّةِ ».

تاريخ الفكر

ما دامت حركة المرابطين قد بدأت دينيةً وِرْدَةً فعلياً على ما انتشر من الترف وتوابعه في عصر ملوك الطوائف، فقد كان من المنتظر ألا تَلْقَى الفلسفةُ في أيام المرابطين أرضاً صالحةً وخصوصاً إذا نحن عَلِمْنَا أن الفلسفةَ في الأصل نتاجُ يونانيٍّ غريبٍ وَوَتَيْيٍّ. من أجل ذلك يقولُ عبدُ الواحدِ المَرَاكِنِيُّ (المعجب ١٢٣، راجع ١٢٨): « ولم يكن يقربُ من أمير المسلمين وَيَحْطِي عِنْدَهُ إِلَّا مَنْ عَلِمَ عِلْمَ الفُرُوعِ - أَعْـسِي فروعَ مذهبِ مالِكٍ - فَفَقَّتْ في ذلك الزمانِ كُتُبُ المذهبِ وَعَمِلَ بِمُقْتضاها وَنَبَذَ ما سِواها، وَكَثُرَ ذلك، حَتَّى نَسِيَ النَظَرُ (أي التَفَكُّيرُ بالتأويل) في كتابِ اللهِ وَحَدِيثِ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فلم يكن أَحَدٌ من أهلِ ذلك الزمانِ يَعْنِي بِها كُلَّ الأعتناء. ودانَ أهلُ ذلك الزمانِ بِتَكْفِيرِ كُلِّ مَنْ ظَهَرَ مِنْهُ الخَوْضُ في شيءٍ مِنْ عِلْمِ الكلامِ. وَقرَّرَ الفقهاءُ عندَ أميرِ المسلمين تَقْبِيحَ عِلْمِ الكلامِ وَكراهةَ السَلْفِ لَهُ وَهَجْرَهُمْ مَنْ ظَهَرَ عَلَيْهِ شيءٌ مِنْهُ وَأَنَّهُ بِدْعَةٌ في الدين، وَرَبَّما أَدَّى أَكْثَرُهُ إلى آخْتِلالِ في العقائدِ.... فكان (أميرُ المسلمين) يُكْتَبُ عَنْهُ في كلِّ وقتٍ إلى البلادِ بِالتشديدِ في نَبَذِ الخَوْضِ في شيءٍ مِنْهُ؛ وَتَوَعَّدَ مَنْ وَجِدَ عِنْدَهُ شيءٌ مِنْ كُتُبِهِ. ولَمَّا دَخَلَتْ كُتُبُ أَبِي حامِدِ الفِرْزَالِيِّ - رَحِمَهُ اللهُ - المَغْرِبَ أَمَرَ أميرُ المسلمين بِإحراقِها وَتَقَدَّمَ بالوعيدِ الشديدِ مِنْ سَفْكِ الدَمِّ وَاستئصالِ المالِ إلى مَنْ وَجِدَ عِنْدَهُ شيءٌ مِنْها. وَأَشَدُّ الأَمْرِ في ذلك ».

ثم « اسْتُفْتِيَ في ذلك الأمرِ الفقيهُ أبو الحسنِ البَرَجِيُّ فَأَفْتَى بِتأديبِ مُحْرِقِها وَتَضْمِينِها ثَمَنَها. وَتابَعَهُ على ذلك أَثنانِ آخِرايْنِ مِنَ الفقهاءِ » (تاريخ الأدب الأندلسي: عصر الطوائف والمرابطين ٥٨ - ٥٩). وَمَعَ ذلك فلم يَمْنَعِ هذا كُلَّهُ من أن

ينصرفَ نَفَرًا إلى الفلسفة كابن السيد البَطْلِينُوسِيَّ (ت ٥٢١ هـ) الأديب الذي أَلَفَ أيضاً في الفلسفة. غيرَ أن كتابه «الحداثق» مزيجٌ من الآراء الإسلامية والآراء اليونانية والآراء الهندية وشيءٌ من علم الكلام. وقد سَمَى ابنُ السيدِ البطلينوسيِّ كتابَه هذا «كتابَ الحداثق في المطالبِ العاليةِ الفلسفيةِ المويضة» (القاهرة ١٣٦٥ هـ = ١٩٤٦ م). وهذا الكتاب في الحقيقة نَتَفٌّ من آراءٍ مختلفة: ففي أصلِ العالمِ يأخُذُ من أفلاطونَ فيما يتعلق بالمادة والصورة وبترتيب الفيض، كما يأخُذُ عن نيقوماخوسَ الجَرَشِيَّ أنَّ العدَدَ هو أوَّلُ الموجودات. ويأخذ من أرسطو كلاماً في طَبَقَاتِ النفوسِ: النفسِ النباتية والنفسِ الحيوانية (البهيمية) والنفسِ الإنسانية، ويُعرجُ في أثناء ذلك على آراء الفارابي في صلة العقول (في أثناء الفيض عن الموجود الأول: الله) بالأفلاك.

أما فيلسوفُ هذا العصر والفيلسوفُ الأوَّلُ في ترتيب الزمن فهو ابنُ باجِه صاحبُ كتاب «تدبير المتوحد». ولقد كان في عِداء المرابطين للتفلسفِ أثرٌ في اتجاهِ ابنِ باجِه نحو القولِ بأن «الْمُتَوَحِّدَ» هو الرجلُ ذو الفِطْرَةِ الفائقة الذي يُضْطَرُّ إلى أن يعيشَ بين عوامِ الناسِ.

ويذكرُ بروكلمن (الملحق ١: ٤٨١) أن لأبي الحسنِ سَلَامِ بنِ سَلَامِ الباهليِّ (ت ٥٤٤ هـ) كتاباً في الأخلاق (القاهرة ١٢٩٨ هـ). أما الشاعرُ أبو عامرِ الشنتريني (ت ٥٤٥ هـ) ففي أبياته آراءٌ في الموت والحياة (تاريخ الأدب الأندلسي: عصر الطوائف والمرابطين ١٢٨ - ١٢٩) لا تبلغُ إلى أن تكونَ تفلسفاً (ولم أعثرُ على الشنتريني هذا في فهرس كتاب «الذخيرة» (بيروت ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م).

اللفة

وفي أيام المرابطين اتسعت الدراسات اللغوية، ففي باب المُحمدين من «بغية الوعاة» للسيوطي، ومن الذين وقعتْ وَقَيَاتُهُم بين ٥١٦ و ٥٤٠ للهجرة (١١٢٥ - ١١٤٥ م) جماعة منهم (على ترتيب الوقيات): أبو عبد الله محمد بن الفرَجِ الكَتَّانِي الصِقْلِيَّ المعروف بالذكي (ص ٩٠) وأبو عبد الله محمد بن عبد الله بن خَلْصَةَ الأندلسي

(ص ٥٢) وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن أمين السعدي الغرناطي (ص ١٧) وأبو جعفر محمد بن حكيم بن باقي الجذامي السرقسطي المقتول في تِلْسان سنة ٥٣٨ (ص ٣٨) وأبو الطاهر محمد بن يوسف السرقسطي المعروف بابن الأشركوني والمتوفى في قرطبة سنة ٥٣٨ أيضاً (ص ١٢٠) وأبو الحسن محمد بن أحمد بن خَيْثَمَةَ القيسي (ص ١٧) وأبو عبد الله محمد بن مسعود بن خَلْصة بن أبي الخصال الغافقي (ص ١٠٤). كلُّ هؤلاء كانوا بارعين وجامعين لفنون كثيرة من اللغة ومن العربية (النحو) وغيرها. ويحسُّ أن نُشيرَ إشارة خاصة إلى ابن القطّاع الصِقْلِيّ عليّ بن جعفر السعدي (٣٣ - ٥١٤ هـ) وإلى ابن السيد البَطْلَيْوْسِيّ (ت ٥٢١ هـ). ثم هنالك أبو بكر محمد بن عبد الملك بن السراج الشنبري (ت ٥٤٩) النحوي أحدُ أئمة العربية المُبرِّزين فيها (ويكفيه فخراً أنه أستاذ أبي محمد عبد الله بن بَرِّي المِصْرِيّ اللُّغَوِيّ النُحَوِيّ) قرأ العربية بالأندلس وقَدِمَ مِصْرَ سنة ٥١٥ وأقام بها وأقرأ الناس العربية. ثم أنتقل إلى اليمن. ثم إنه عاد إلى مِصْرَ فكان له في جامعتها (بالفسطاط) حَلْقَةٌ لإقراء النحو. وكانت وفاته في مِصْرَ (نفع الطيب ٢: ٢٣٨؛ راجع الوافي بالوفيات ٤: ٤٦، بغية الوعاة ٦٨ - ووفاته هنا ٥٥٠؛ راجع بروكلمن ١: ٣٧٧، الملحق ١: ٥٤٣).

النثر

وإذا نحن نظرنا إلى النثر على أنه أسلوبٌ للتعبير - في هذه الحقبة أيضاً - وجدنا أن التقليد فيه للمشاركة كان أكثر من تقليد الأندلسيين للمشاركة في الشعر. ولقد غلبَ السجعُ والاقْتباسُ (من القرآن الكريم والشعر والأمثال وغيرها) ولزوم ما لا يلزم خاصة غلبت ظاهرة على نثرهم. ولكن النثر الأندلسي ظل في جميع فنونه أقلّ متانة من النثر المشرقي وأقلّ ابتكاراً. أما المِثَالان العظيمان اللذان كانا يُحْتَدَيَانِ في النثر فكانا الجاحظ وأبا الغلاء المعري. وأغرمَ السرقسطي (ت ٥٣٨) وابن عبد الغفور (ت ٥٤٢) بتقليد المعري في لزوم ما لا يلزم خاصة ثم في فنون كثيرة أيضاً.

وكذلك كان تقليد الأندلسيين، في هذا الدور أيضاً، للرسائل الديوانية وللمقامات التي ابتكرها المشاركة تقليداً كبيراً.

ومَعَ أن الذين نقدوا الفنونَ المختلفةَ (من النثر والشعر والفلسفة) كانوا كثيرين، فإنَّ النقدَ عندهم كانَ فِطْرِيًّا لفظيًّا. إنه كانَ أحكاماً مُفْرَدَةً لا تَرْجِعُ إلى منهجٍ مُتَّسِقٍ ولا إلى قواعدٍ مُحْكَمَةٍ، ولكنَّ كانَ فيه أحياناً عصبيةٌ أندلسيةٌ ولَدَتْهَا في نفوسِ هؤلاءِ الناقدينَ نفورٌ على أولئك الذين كانوا يُفَرِّقونَ في الإعجابِ بالأدبِ المشرقيِّ وبالآدابِ المشاركةِ. ويبدو لنا أن ابنَ بَسَّامِ الشَّنْرَبِيَّيَ قد ألَّفَ كتابه الواسعَ القِيمِ «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» لمقاومة تلك النزعةِ المُتطرفةِ في الإعجابِ بالأدبِ المشرقيِّ. وفي مقدمة «الذخيرة» زفرةٌ من أثر هذه النزعة. يقول ابن بَسَّامٍ مثلاً (الذخيرة: ١: ١٢):

«.... إن أهل هذا الأفق (أي أهل الأندلس) أبوا إلا مُتابمةَ أهل المشرق، يَرُجِعونَ إلى أخبارهم المُعتادة رُجوعَ الحديثِ إلى قَتادة^(١)، حتى لو نَعَقَ بتلك الآفاقِ غُرَابٌ أو طَنَّ بأقصى الشام والعراقِ ذُبَابٌ، لَجَثَّوا على هذا صنماً وتَلَّوا ذلكَ كِتَاباً مُحْكَمًا^(٢). (هذا) وأخبارهم (أي أخبارُ أهل الأندلس) الباهرةُ وأشعارهم السائرة مرمي القَصِيَّةِ ومُناخ الرَّذِيَّةِ^(٣)، لا يُعْمَرُ بها جَنانٌ ولا خَلْدٌ^(٤)، ولا يُصَرَّفُ فيها لسانٌ ولا يَدٌ. فغاظني منهم ذلكَ وأنفتُ مِمَّا هنالك. وأخذتُ نَفْسِي بجمع ما وجدتُ من حَسَنَاتِ دهري وتَسَّعَ محاسن أهل بلدي وعَصْرِي.... وقد مَجَّتِ الأسماعُ «يا دارَ مِيَّةَ بالعَلِيَاءِ والسَّنَدِ»، ومَلَّتِ الطِّبَاعُ «لخَوْلَةَ أَطْلالُ بِرُفَّةٍ تَهْمَدِ....»^(٥).

(١) قَتادة بن دَعامة (بكر الدال) البصري (٦١ - ١١٨ هـ) مفسرٌ للقرآن وحافظٌ للحديث.

(٢) جئا: اعتمد على ركبتيه. كتاب محكم: لا خطأ فيه.

(٣) في القاموس المحيط (٤: ٣٧٨): القَصِيَّةُ الناقَةُ الكرمية النجبية المُبعدة (بالبناء للمجهول) عن الاستعمال. والرذلة (بفتح فسكون) ضدُّها. والرَّذِيَّةُ: الناقَةُ المريضة أو الضعيفة. مرمي القَصِيَّةِ ومُناخ (مسكن، منزل) الرَّذِيَّةِ (لا تنشر أخبارهم وأشعارهم كالناقَةِ القَصِيَّةِ التي يَضُنُّ أهلها بها عن السفرِ عليها) كالناقَةِ الرَّذِيَّةِ التي لا تستطيع السفر).

(٤) لا يعمر بها جنان (بالفتح: قلب) ولا خلد (بفتح ففتح: البال، الذاكرة) - لا يجيها أحد ولا يحفظها أحد.

(٥) مَجَّ: قذف (الماء) من فمه، كره (الشيء). «يا دار مِيَّة» مطلعُ مَلَقَةِ النابغة الذبياني. و «لخَوْلَةَ أَطْلالُ» مطلعُ مَلَقَةِ طرفة بن العبد.

وأما النقدُ (رؤية الحسَنَاتِ والسيئاتِ في القطعة المنقودة) فكان أحكاماً في جُمَلٍ يُمكنُ أَنْ تَعْنِيَ أشياءَ كثيرةَ ويمكن أيضاً ألا تَعْنِيَ شيئاً أبداً. وربما كان لها صلةٌ بالأديب الذي تنقدُ نتاجه وربّما لم يكن لها صلةٌ بذلك كلّه. بدأ ابنُ بسّامٍ كلامه على أبي عامرٍ أحدَ بنِ عبدِ الملكِ بنِ شُهيدٍ بالمقطع التالي (الذخيرة ١: ١٩١ - ١٩٢):

«وكان أبو عامرٍ شيخَ الحضرةِ العُظمى^(١) وقتاها، ومبدأ الغاية القُصوى ومُنْتهاها. وَيَنبوعَ آياتها ومادّة حياتها وحقيقة ذاتها وابنَ ساستها وأساتيها^(٢) ومَعنى أسماؤها ومُسَمّياتها: نادرةُ الفلَكِ الدوّارِ وأعجوبةُ الليل والنهار. إنَّ هَزَلَ فَسَجَعُ الحمامِ، أو جدّ فزئيرُ الأسدِ الضرغامِ. نَظَمَ كما اتَّسَقَ الدرُّ على النحورِ، ونَثَرَ كما خُلِطَ المِسْكُ بالكافورِ، إلى نوادرٍ كأطرافِ القنا الأملود^(٣) تشقُّ القلوبَ قبلَ الجلودِ، و(إلى) جَوابِ يَجْرِي بِجِري النَّفسِ وَيَسْبِقُ الطَّرْفَ المُختَلِسَ^(٤)».

وبعدَ أن كان ابنُ بسّامٍ قد نَقَمَ من الأندلسيين تقليدَهُمُ المشاركةَ واقتباسَهُمُ منهم، رأينا عنده هو مثلُ ذلك كلّه. ولا يَفْعَلُ أحدٌ في هذا النصِّ لآبِ بسّامٍ عن اقتباسِ ابنِ بسّامٍ من بيتِ أبي الطيّبِ المُنْتَبِي:

رامياتٍ بأسهمٍ ريشها الهدى بَ تشقُّ القلوبَ قبلَ الجلودِ^(٥).

ومَعَ أنَّ ابنَ بسّامٍ كان أحياناً كثيرةً يَرْجِعُ إلى الكلامِ الواضحِ الدقيقِ في دراسةِ الشعرِ والشعراءِ، فإنَّ جماعةَ غيرِ ابنِ بسّامٍ، من أهلِ عصرِهِ، كالفتحِ بنِ

(١) فني (الرجل ذو النجدة والقدرة) الحضرة العظمى (عاصمة الدولة: قرطبة) - كان مشهوراً في قرطبة يرجع الناس في القول إليه.

(٢) الأساة جمع أس (طبيب).

(٣) القنا جمع قنّاءة: قصبة، رمح. الأملود أو الأملد: اللّين الناعم من الفصون (يبدح الرمح إذا كان ينثني من غير أن ينصف).

(٤) الطرف: البصر. المختلس (النظرة السريمة). ويجوز أن تكون «المختلس» بكسر اللام (أي النظر السريع الخاطف).

(٥) الهدب (بالضم) جمع هدبة (بالضم): شمرة الجفن. ريشها الهدب (بوضع عيادة في أسفل السهم ريش ليساعده على المرور باستقامة وسهولة في الهواء) والمُنْتَبِيّ يشبه أهداب عيون المحبوبة بريش السهام (وعيون المحبوبة بالسهام).

خاقان مثلاً، كانوا لا ينتقلون عن الألفاظ القليلة المجدوى في نقد الشعر والنثر. ولملكك تعجبُ إذا عَلِمْتَ أن ابنَ بَسامٍ وأندادَه في هذا المضمار لا يُشيرون، في مُعْظَمِ الأحيان، إلى سَنَةِ المَوْلدِ أو الوفاة ولا يُعرجون على حادثٍ مُعَيَّنٍ في حياة الأديب. قال الفتحُ بنُ خاقانٍ (قلائد العقيان ١٤٤) في الوزير الكاتب أبي محمد بن القاسم^(١):

«رَجُلٌ زَهَتْ بِهِ السِّيَاسَةُ والتَّدْبِيرُ، وَجَبَلٌ دُونَهُ يَلْمَمُ وَثِيرٌ^(٢)، وَوَقَارٌ لَا يُسْتَفْزَهُ وَلَوْ دَارَتْ عَلَيْهِ العُقَارُ^(٣). إِذَا كَتَبَ بَاهَتِ البُودُورُ رُفْعَتَهُ، وَقَرِطَتْ أَفئدَةَ المعاني نَزَعَتَهُ^(٤). وَضَعَتَهُ الدَّوْلَةُ فِي مَفْرِقِهَا، وَأَطْلَعَتَهُ فِي مَشْرِقِهَا، فَأَظْهَرَ جِوَاهِرَها وَعَطَّرَ صَبَاهَا وَشَاهَلَهَا^(٥)....»

ويلحقُ بالنقد الأديبي تاريخُ الأدبِ، ومُمَثِّلاً عصرِ المرابطين في ذلك ابنُ بَسامٍ والفتحُ بنُ خاقانٍ نَفْسُها. ومن المُولَمُ أن كتابَ ابنِ القَاطِعِ الصِّبْغِيِّ (ت ٥١٤) «الدُّرَّةُ الخَطِيرةُ فِي شُعراءِ الجَزِيرَةِ (صقلية)» لم يَصِلْ إلينا.

الشعر خاصة

لقد أُصِيبَ الشَّعْرُ فِي عَصْرِ المرابطين بالكساد.

ولكن «للكساد» في هذا الموضوع مَعْنَيان.

(١)

(٢) بللم وثبير جبلان.

(٣) العقار (بالضم): الحمر.

(٤) الرقعة التي يكتب عليها (بأسلوبه أو بخطه) تزيد (في البهاء: الجمال) على القمر ليلة البدر. فرطت أفئدة المعاني فنزعته (٢) - إذا نزع (مدّ قلبه إلى الدواة ثم أخرجه وبدأ يكتب به أتمى بعمان صائبة كل الصواب) الأصل الاستعارة أن الرجل يزرع (بكسر الزاي) السهم في وتر القوس ثم يرسلها فتصيب الهدف.

(٥) المفروق: مكان افتراق الشعر في مقدم الرأس (أكرم موضع في الإنسان). الصبا (بالفتح) ريح الشرق. والشمال (بالفتح) ريح الشمال (والصبا والشمال، في نجد، محبوبتان للرطوبة وللبرودة التي فيها) بخلاف ما يعرف في الشام أو غربي آسية، مثلاً، حيث يكون الصبا شديدة الحرارة والجفاف، والشمال شديدة البرد والجفاف).

ذكر المستشرق نيكل^(١) كساد الشعر فقال: « بعد سقوط ملوك الطوائف في أثناء عصر المرابطين انحطَّ نَظْمُ الشعر المألوف (الفصيح) انحطاطاً كبيراً. وكان يوسف (ابن تاشفين) - كما كنا قد رأينا - لا يكاد يفهم الكلام العربي السائر، دَعَكَ من الأسلوب الأدبي الكثير الصنعة. أما ابنه عليٌّ فكان أحسن معرفة باللغة العربية، ولكن تفكيره كان مُتَّجِهاً إلى الأمور الدينية وإلى الرصانة (في أحوال الحياة). وقد كان ثمة قلة من أحياء ذلك العصر المجيد (عصر ملوك الطوائف) لا يزالون على قيد الحياة ثم استطاعوا أن يجدوا ملجأ لهم في بلاطي شاطبة وسرقسطة حيث كان الأمراء المرابطون من الشبان يُحاولون أن يُنافسوا أسلافهم (ملوك الطوائف) أو يزيدوا عليهم (في تشجيع الشعر). ثم إن الموشع والزجل على الأخص، وقد كانا أقرب إلى أفهام الناس - لقرَّبهما من مستواهم الفكري والخلقي - أصبحا زياً شائعاً، وكان ابن قزمان (في الزجل) سيّد الجماعة^(٢) ».

أما الخلل جنثالث بالنيثيا (تاريخ الفكر الأندلسي ١٢٣) فقد كان أكثر تشاؤماً، إذ قال: كان « عصر سيادة المرابطين على الأندلس عصر تأخرٍ وأنكماشٍ للثقافة الأندلسية، وكان يوسف بن تاشفين - أولُ أمراء هذه الدولة - لا يكاد يفقه العربية ».

وأحبَّ إحسانُ عباس (تاريخ الأدب الأندلسي: عصر الطوائف والمرابطين ٩٠) أن يلزَمَ جانب الشعراء، فقال: « حتى إذا حلَّ عصر المرابطين تراجعت منزلة الشاعر أكثر من ذي قبل، وأصبح التصريح بكساد الشعر أشدَّ وأوضح - ذلك أن الشاعر، حتى في أسمى ما غدا يستطيع بلوغه من مكانة، لم يبق (في طَوْقه منافسة رَجُلِ السيف (وهو من المُلثمين) والفقير والكاتب (وهما في الغالب من الأندلسيين). ولعلَّ الأعمى التَّطيليُّ قد عبَّرَ في بعض لَحَظَاتِ الإحساس (بالتَّعَسُّ) عن هذا المعنى

(١) عبد الرحمن (١٠٠١ ر) نيكل مستشرق أصله من بوهيمية (إحدى مقاطعات تشيكوسلوفاكية) أميركي الجنسية (مولده عام ١٨٨٥ ووفاته نحو ١٩٦٠ م. هو صاحب النظرية العربية للشعر البروفنسا (الفرنسي القديم) وأكثر اختصاصه في أدب العرب في الأندلس (الزجل والموشعات على الأخص).

بأجلى عبارة حين قال:

أيا رَحْمَتا للشعر أَقْوَت رُبوعه، على أنها للمكْرُمات مناسك^(١)؛
وللشُعراء اليوم نُلت عُرُوشهم: فلا الفخر مُختال ولا العِز تامك^(٢).
ويا «قام زيد»، أغرضي أو تعارضي؛
فقد حال من دون المنى «قال مالك»^(٣).

وكان حسن أحد مَخمود (قيام دولة المرابطين ص ٤٤٤) حسن التعليل لكساد الشعر لما قال: «لا نُنكِرُ أن مجيء المرابطين إلى شبه الجزيرة (إلى الأندلس) قد صحبه كسادٌ في سوق الشعر إلى حد كبير، فقد كان عهدُ يوسف (بن تاشفين) في الأندلس عهدَ جهادٍ وكِفاحٍ وحربٍ، وليس بعهدٍ ترفٍ ورفاهيةٍ وإقبالٍ على المَلذَّات...، صَوَّرَ ذلك كُلُّه صاحبُ «الذخيرة» أبلغَ تصويرٍ إذ قال (٢: ٦٦٩):
فلَمَّا صَمَّتْ ذِكْرُ ملوك الطوائف بالأندلس طُويَ الشعرُ على عَرَّة^(٤) وبريء من حُلوه ومُرَّة، إلا نَفْثَةً مَصْدُورٍ أو أَلْفَاتَةً مَذْعُورٍ. وهو (يَقْصِدُ: عبد المجيد بن عبدون) اليوم ببلدة بآبرة يرتشفُ فضلَ ثيابه^(٥)، ويأكلُ من بَقِيَّةِ زادِهِ «مِمَّا كان قد ناله في أيام ملوك الطوائف».

إنَّ الشعرَ الذي كَسَدَتْ سُوْقُهُ كان شعرَ التَكْسَبِ؛ وإنَّ تلك العاصفة التي أثارها نفرٌ من الشعراء والمُشايخين للشعراء على يوسف بن تاشفين خاصة كان سببها كثرة ما

(١) أقوت الدار: خلت (من سكانها). الربع (بالفتح): المكان المسكون. المنك (هنا): المكان الذي يقوم به الإنسان بعبادة مفروضة (كالطواف حول الكعبة).

(٢) نل فلان الدار (هدمها)؛ وتل الهرش (أبطله، أذهب سلطانه وأهله). التامك: السنام (كناية عن الملوك).

(٣) «قام زيد» كناية عن الاشتغال بالنحو (واللغة والأدب). أعرض: صد، انصرف (ترك المجال لغيره). تعارض الأمران: (هنا)؟ استعدَّ للمقاومة وللنزاع. «قام مالك» (صاحب الذهب المالكي) كناية عن سيادة الفقه.

(٤) طوي الشعر على عرَّة (كناية عن رضا الشعراء بالمجال السيئة التي وصلوا إليها). الفر: التني في الثوب، مكان الطي منه.

(٥) الثاد جمع ثمد (بفتح فسكون: الماء القليل).

كان ينالُه الشعراء من أمراء الطوائف ثم ضياع تلك المغام في أيام السلطان يوسف ابن تاشفين. ونحن نعلم، من تاريخ الحضارة، أن الدول في أيام قيامها قلما تخفيل بالشعر وبسائر الفنون، إذ نراها مهتمّة بالفكر وبالعلم - رأينا ذلك في دولة الخلفاء الراشدين وفي مطلع الدولة الأموية وفي مطلع الدولة العباسية أيضاً. ثم إذا نحن استعرضنا العلم والثقافة والشعر نفسه أيضاً في عصر المرابطين لم نجدُها أدنى مما كانت من قبل. وكان بعضها أحسن حالاً، إلا شعر التكبّس. وكتاب «الذخيرة» (وهو من نتاج عصر المرابطين) أحسن الأدلة على كثرة الشعر وكثرة الشعراء في ذلك الحين.

ثم إن الشعراء قد مدحوا سلاطين المرابطين (بعد يوسف بن تاشفين) ومدحوا أمراء المرابطين على المدن الأندلسية كثيراً. إن الأعمى التطليلي (ت ٥٢٠ هـ) قد قصّر ديواناً برّمته على السلطان الثاني من المرابطين - علي بن يوسف بن تاشفين - بعد الحملة التي قادها علي على الفونسو صاحب طليطلة (وكان الإسبان قد آسردوا طليطلة منذ عام ٤٨٥ هـ = ١٠٨٥ م) وأستنقاذ طليطلة (راجع بروكلمان ١ : ٣٢٠). وكذلك مدحهم ابن خفاجة (ت ٥٣٣ هـ) وأكثر.

وأما سائر الشعراء الكبار الذين امتلأ بهم عصر المرابطين في الأندلس فمنهم ابن صارة الشنتريني (ت ٥١٧ هـ) ثم بنو القبطر نوّه ثم عبد الجبار المعروف بالمتني الجزيري وابن الرقاق وابن عبّودين وابن حمديس وابن خفاجة وابن شرف أبو الفضل جعفر بن محمد (ت ٥٣٤ هـ) وابن بقبّي (ت بعيد ٥٤٠ هـ).

ومع أنّ فنون الشعر الكبرى لا تختلف كثيراً بين عصر وعصر، فإن الأغراض (الموضوعات الجزئية) تتبدل. فمن الأغراض التي برزت في هذا العصر النقد الاجتماعي الذي نشأ من كره الأندلسيين للجنود الصنهاجيين (البربر من جيوش المرابطين) كما نرى عند أبي بكر الأبيض (ت ٥٤٤ هـ) وأبي بكر اليكبي (ت نحو ٥٦٠ هـ) وعند ابن خفاجة نفسه (راجع تاريخ الأدب الأندلسي: عصر الطوائف والمرابطين ١٤٣ وما بعد). ولا غرابة في أن يكثر رثاء المدن التي كانت تتساقط في عهد ملوك الطوائف في يد الإسبان أو بعد مطلع عهد المرابطين، كما نرى عند

الأعمى التطيلي ثم عند ابن عبدون خاصة (ت ٥٢٩ هـ) ثم عند ابن خفاجة أيضاً. ومع هذا فقد وجد ابن خفاجة نفسه مندوحة من اطمئنان النفس فتوقر في أثنائها على وصف الجنائن.

وكان من المنتظر أن نجد - لَمَّا اضطربت أحوال هذا العصر - اتجاهين متناقضين في الشعر: مدحاً للرسول وآله، كما نجد عند أبي عبد الله محمد بن مسعود بن خلصة بن أبي الحِصَالِ التُّوَيْفِيُّ نحو ٥٤٠ للهجرة وعند أبي عبد الله أحمد بن إبراهيم النُمَيْرِيِّ من أحياء النصف الأول من القرن السادس (راجع تاريخ الأدب الأندلسي: عصر الطوائف والمرابطين ١٦٩ وما بعد، ثم بروكلمن ١: ٥٤٥). وكذلك نجد عند ابن خفاجة، في مثل هذا الباب، ذكراً للجِجَارِ وللأماكن المقدسة، تقليداً للشريف الرضي. أما الاتجاه الآخر فهو الميل نحو الهزل والخلاعة، كما نرى عند أبي الحكم عبيد الله بن المظفر الباهلي المرسي المري (من أهل المريّة) والتُّوَيْفِيُّ في دِمَشْقَ سَنَةِ ٥٤٩، وكان له « نهج الرضاة لأولي الخلاعة » - ويبدو أن شعره قد ضاع -، ولكننا نجد له في « نفع الطيب » أبياتاً في هذا المعنى، منها (٢: ١٣٤ - ١٣٥) في أحدٍ معاصريه:

... وهو على خِيفَةٍ به أبدأ معترفٌ أنه من الثُقَلَاءِ
يُمَتُّ بِالثَّلْبِ وَالرَّقَاعَةِ وَالسُّدِّ سُخْفٌ، وَأَمَّا بغيرِ ذاك فلا(١).
إِنْ أَنْتَ فَاتَّحْتَهُ لِيَتَّخِبَرَ مَا يَصْدُرُّ عَنْهُ فَتَّحَتَ مِنْهُ خَلَا(٢).

وله أيضاً معارضةً لمقصورة ابن دُرَيْدٍ منها:

وكلُّ مَلُومٍ فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ فُرْقَةٍ لَوْ أَلْزَقُوهُ بِالغَيْرِ.

وفي « قلائد العيَّان » للفتح بن خاقان (ت ٥٢٩ هـ) أشياء من الهزل والتجني والسَّخْفِ عَلَى الْأَعْيَانِ تَدْخُلُ فِي هَذَا الْبَابِ وَيُمْكِنُ تَأْوِيلُهَا بِهَذَا السَّبَبِ مِنْ أَضْطِرَابِ

(١) الثلب: الانتفاص من قدر الناس وذكر معايبهم (أو نسبة المعاييب أو العيوب إليهم).

(٢) إذا أنت فاتحته (خاطبت) لتخبر (تعرف) ما يصدر عنه (عما له من القيمة الذاتية التي تمكنه من الكلام المفيد) فتحت منه (كشفت منه) خلا = خلاه: قراغاً).

الأحوالِ وضياعِ المُثلِ العُلْيَا في زمنِ تُصبحُ أسبابُ الحياةِ المادِّيَّةِ مقياساً للمعاملةِ.
 فقد قال في الوزير أبي محمد بن عبد الغفور (ص ١٨٢) - ثراً:
 « قد كنتُ نَوَيْتُ أَلَا أُثْبِتَ له ذِكْرًا وَلَا أُعْمِلَ فيه فِكْرًا^(١)، وأدَعَهُ مُطَرِّحًا
 وَأَقْطَعَهُ الإِهْمَالَ مَسْرَحًا^(٢)، لِتَهْوِيَهُ وَكَثْرَةَ تَقَعْرِهِ^(٣). فإنه بادي المَهْجِ واعِرٌ
 المنهج^(٤)، له ألفاظٌ مُتَعَدَّةٌ وأغراضٌ غَيْرُ مُتَوَقَّدةٍ لَا يُفَكُّ مَعْمَاها^(٥) وَلَا يُعْلَمُ
 مَرَمَاها، مَعَ نفسٍ فاسدةٍ الأَعْتقادِ^(٦) ثابتةٍ على الأحقادِ.... »

ابن الملح

١ - هو أبو بكر محمد بن إسحاق بن الملح أو ابن الملح اللخمي، أصله من شلب،
 كانت له مدائح في المعتضد العبّادي وابنه المعتمد. وكانت وفاة ابن الملح في رمضان
 من سنة ٥٠٠ (ربيع عام ١١٠٧ م)، وقد أسن كثيراً.

٢ - كان أبو بكر بن الملح في أول حياته مُشتغلاً بالفتوة والبطالة ثم أناب (تاب)
 في أواخر أيامه وزهد. وكان إلى جانب معرفته بالفقه شاعراً وخطيباً. ومن
 خصائص شعره أنه كان يُغْرِقُ أحياناً في الصناعة من تشايبه واستعارات خاصة.
 ومن أغراض شعره الفخر والمدح والعتاب والغزل والنسيب والوصف. وشعره
 مقاطعٌ ومطولاتٌ.

-
- (١) الأ أذكره في كتابي «قلائد العقبان» ولا أفكر في أمره.
 (٢) أتركه ملقى جانباً، مرمياً، مهملًا. أقطعها (أمنحه قطعة من الأرض) الإهمال (قلة المبالاة أو الاهتمام
 به) مسرحاً (يفعل ما يشاء، يشرح كالبهايم).
 (٣) التهور: السقوط في الأخطاء والمخاطر لقلة التفكير وللطيش. التفرغ: التشنق (الكلام من أقصى الفم
 وتكلف الكلام الغريب مع قلة فائدة).
 (٤) بادي (ظاهر) المهج (بفتح ففتح): الحمق (بالضم) والطيش. واعر (صلب، صعب) المنهج (الطريقة،
 السلوك).
 (٥) المعنى: الأحمية، المنز.
 (٦) الرمى: الغاية، المقصد. فاسد الاعتقاد (سوء العقيدة) لا يؤمن بالحق.

- قال أبو بكر بن الملح في الغزل:

ظَنِيَّ بِمَوْجِ الْهَوَىٰ بِنَازِرِهِ حَتَّىٰ إِذَا مَا رَنَا بِهِ انْبَعَثَا^(١).
 مُبْتَدِعُ الْبُحْلِ، لَا كَفَاءَ لَهُ: يُمَدُّ شَكْوَى صَبَابَتِي رَفْنَا^(٢).
 أَنْكَرَ سُقْمِي، وَمَا قَصَدْتُ لَهُ، وَلَا تَعَرَّضْتُ لِلْهَوَىٰ عَيْثَا^(٣).
 أَقْسَمَ فِي الْحَبِّ أَنْ أَمُوتَ بِهِ، فَمَا قَضَىٰ بِرِّهَ وَمَا حَنَّنَا^(٤).

- وقال في النسيب:

لَا حَدَّ لِلْوَجْدِ إِلَّا أَنْتَ عَارِفُهُ^(٥)، كَأَنَّ قَلْبَكَ لِلْأَشْوَاقِ مِيزَانُ.
 وَلَا صَبَابَةَ إِلَّا أَنْتَ وَاسِعُهَا، كَأَنَّ صَدْرَكَ لِلْأَشْجَانِ مِيدَانُ^(٦).
 بَرِنَا نُرَاقِبُ إِعْلَانَ الصَّبَاحِ بِهِ، كَأَنَّآ فِي ضَمِيرِ اللَّيْلِ كِتْمَانُ^(٧).

- وقال يمدح المعتمد بن عبادٍ بقصيدة فيها مدحٌ ووصفٌ وفخرٌ، منها:

وَالرَّوْضُ يَبْعَثُ بِالنَّسِيمِ كَأَنَّهَا أَهْدَاهُ يَضْرِبُ لِاصْطِبَاحِكِ مَوْعِدَا^(٨).
 سَكَرَانُ مِنْ مَاءِ النَّعِيمِ، وَكُلَّمَا غَنَّاهُ طَائِرُهُ وَأَطْرَبَ رَدْدَا.
 يَأْوِي إِلَى زَهْرٍ كَانَ عُيُونُهُ رُقْبَةً تَقْعُدُ لِلْأَجَبَةِ مَرَصِدَا^(٩).
 زَهْرٌ يَفُوحُ بِهِ اخْضِرَارُ نَبَاتِهِ كَالزَّهْرِ أَسْرَجَهَا الظَّلَامُ وَأَوْقِدَا^(١٠).

(١) رنا: نظر (إلى). انبعث: ثار (الهوى في).

(٢) الصبابة: الحب، الشوق. الرفث: الكلام الفصيح.

(٣) ما أحببته عيثاً (لعباً ولهواً)، ولكن جداً (لأنه مستحق أن يكون محبوباً).

(٤) أقسم أن أموت بحبه. لم يف بوعده (لم يحق)، وما حنت: ما أخلف وعده (لأنني مت من هجره).

(٥) الوجد: شدة الحب.

(٦) الصبابة: الشوق. الشجن (يفتح لفتح): الحزن.

(٧) كان الليل شديد الظلمة فلم يرنا أحد.

(٨) الاصطباح: نثر الحمر صباحاً.

(٩) المرصد: الكمين.

(١٠) الزهر (بالضم): النجوم.

قد خفتَ موقِعهُ لَدَيْهِ، وربما
أعلىَ محلَّ الشِعْرِ أَنْ قصائدي
خطبته تركب بطن كَفِي منبرا،
أبغى لَدَيْكَ العيشَ أخضَرَ يانِعاً
يقظانَ تحسبني الكواكبُ ناظراً
وإذا تكتفني النهارُ لَبِسُهُ
سَمَحَ النسيمُ يعطفه فتأوداً (١) .
جعلتَ مديحك بالمعاني مقصداً .
ودعتكَ تعمُرُ ظهرَ كَفَكِ مسجداً (٢)
فأجوبُ جُنْحَ الليلِ أسفَعُ أسوداً (٣) ،
فيها أراقبُ للغزاةِ مورداً (٤) .
وهجاً لفوحاً أو سراباً مُزبداً (٥) .

- وكان لأبي بكر بن الملح ابنان شاعران. وكان أحدهما أبو القاسم أحد قدي
اشتغل منذ مطلع شبابه بالزهد وكتب التصوف. فقال له أبوه: يا بُني، هذا الأمرُ
ينبغي أن يكون في أواخر العمر. أما الآن فينبغي أن تعاشر الأدباء والظرفاء
وتأخذ نفسك بقول الشعر ومطالعة كتب الأدب. فلما عاشر نفراً من الظرفاء زينوا
له شرب الخمر، فتهتك في الخلاعة ثم قرأ إلى إشبيلية وتزوج امرأة لا تليق به -
كانت تضرب الدف في الأعراس - فصار يضرب معها بالدف. فكتب إليه أبوه:

يا سخنة العين يا بُنيًا
أبكيَتَ عيني، أطلتَ حزني،
حططتَ قدرِي وكان أعلى
- في كلِّ حالٍ - من الثُريا .
ليتك ما كنتَ لي بُنيًا (١)
وشرُّ مَشْمولَةٍ الحميًّا (٢) ،

- (١) العطف: الجانب الأعلى من الجسم (الكتف). تأود: ماس، قائل.
(٢) قصائدي (التي ألقىها من ورقة أحلها في كفي) نخطب (تتكلم) في فضائلك (مدحك). وقصائدي (حينما
تذكر أنت فيها) تملأ ظهر كَفَكِ بالتقبيل؟.
(٣) الياغ: (التمر) الناضج. الأسفَعُ: الأسود.
(٤) الغزاة النسب. المورد (المطلع). أنا سهران في نظم مديحك طول الليل (حتى ليظن الناس أنني أريد
أن أرى الشمس كيف تطلع).
(٥) تكتفني: أحاط بي (وفي أثناء النهار) أسير إليك، سواء أكان اليوم وهجاً لفوحاً (حاراً يلفح الوجه)
أو سراباً مُزبداً: ماء كثيراً بارداً (٢).
(٦) سخنة العين: دامة العين (حزينة). يا بنيًا: يا ابني الصغير - ليتك لم تولد لي (لم تكن ابناً لي).
(٧) الحميًّا: الخمر.

حَتَّى ضَرَبْتَ الدُّفُوفَ جَهْرًا وَقُلْتَ لِلشَّرِّ: جِيءَ إِلَيَّ؟
فَالْيَوْمَ أَبْكِيكَ مِثْلَ عَيْنِي، إِنْ كَانَ يُغْنِي البُكَاءُ شَيْئًا.

٤- ** القلائد ٢١٤ - ٢١٥؛ الذخيرة ٢: ٤٥٢ وما بعد؛ المغرب ١: ٣٨٣ - ٣٨٤؛
الخرريدة (المغرب) ٢: ٤٦٦ - ٤٦٧؛ نفع الطيب ٤: ٧٠ - ٧١، ١٤٨، ١٤٩،
٢٦٣؛ الخرريدة (الاندلس) ٢: ٤٨٨ - ٤٩٠.

تميم بن المعزّ الصنهاجي

١ - هو أبو يحيى تميم بن المعزّ^(١) بن باديس بن النصور^(٢) بن زيري بن مناد
الصنهاجي ولد في المنصورة^(٣)، في ثالث عشر رجب من سنة ٤٢٢
١٠٣١/٧/٦ م).

كانت عاصمة بني زيري القيروان. ففي صفر من سنة ٤٤٥ (ربيع ١٠٥٣ م) عهد
المعزّ إلى ابنه تميم بالولاية على مدينة المهديّة. ولما توفيّ المعزّ^(١) ظفر تميم بالملك. وقد
كانت في أيامه أحداث كثيرة: لم تكد تخلو سنة من ثورة داخلية أو هجوم خارجي
براً أو بحراً. وقد تغلب تميم على جميع القائميين بهذه الحركات. ولكن عهد تميم اضطرب
بثلاثة أحداث كبيرة: هجوم قبائل بني هلال وبني سليم على القيروان وما حولها، في
أيام أبيه المعزّ واستمرار آثار تلك الهجمة إلى أيامه. ثم احتلال الجنويين الإيطاليين

(١) والمعز اسم وليس في الأرجح لقباً (راجع وفيات الأعيان ٥: ٢٣٥). والنصور مثل ذلك.

(٢) المنصورة التي يقال لها صيرة من بلاد إفريقية (وفيات الأعيان ١: ٣٠٥)، وهي المنصورة (ويقال لها
المنصورة) بلد قرب القيروان (تاج العروس - الكويت - ١٤: ٢٢٢).

(٤) هنالك اختلاف يسير في تاريخ وفاة المعزّ. ذكر ابن الأثير (١٠: ١٥) وفاة المعزّ في أخبار سنة ٤٥٣.
وفي الحلة السراء (٢: ٢١) كانت وفاته ٤٥٤، وفي وفيات الأعيان (١: ٣٠٥ و ٢٣٤: ٥٥) أنها كانت في
رابع شعبان من سنة ٤٥٤ (١٢/٨/١٠٦٣ م). أمّا البيان المغرب فيجعل وفاة المعزّ سنة ٤٥٤ (١:
٢٩٥ راجع السطرين الخامس والسادس)، ولكن سنة وفاته ترد (في المكان نفسه، السطر الرابع من
أسفل) هكذا ٤٥٥. ولكن في هذا التاريخ غلطة مطبعية تظهر من مراجعة الجملة كلها: «مولده
سنة ٣٩٩، وولي الملك سنة ٤٠٧..... وتوفي سنة ٤٥٥ وعمره ثمان وخمسون سنة، فكانت مملكته
سبعاً وأربعين سنة» (فتكون وفاته عند ابن عذارى أيضاً سنة ٤٥٤ هـ).

لمدينتي المَهْدِيَّةِ وَزَوَيْلَةَ (سنة ٤٨٠ هـ = ١٠٨٧ م)، ثم استيلاء النورمان على صِقْلِيَّةِ (سنة ٤٨٤ هـ). وكانت صِقْلِيَّةً تابعةً، منذ القرن الثالث للهجرة، للدُولِ التي تقومُ في القيروان.

وكانت وفاة تميم بن المُعَرِّ في رَجَبٍ من سَنَةِ ٥٠١ (أواخر الشتاء من عام ١١٠٨ م).

٢ - كان تميم بن المُعَرِّ شجاعاً حازماً حسنَ السيرة كريماً مُحبباً للعلماء . وهو شاعرٌ مُكثِرٌ من فُحولِ الشعراء من الملوك . وأكثرُ شعره الحماسةُ والغزلُ والخمر . وكان ناقداً يعترضُ الذين يمدحونه أو يناشدونه فينتقدُ ألفاظهم فلا يتخلص منه إلا الماهرُ منهم . غير أننا نجد في شعره ، على جماله وعدوبته ، ما أخذ لَفْوِيَّةً ونَحْوِيَّةً .

٣ - مختارات من شعره:

- قال تميم بن المُعَرِّ الصنْهاجِي في الحماسة:

فإمسا الملك في شرفٍ وعِزٍّ	عليّ التاجُ في أعلى السَريِّرِ ،
وإمّا الموتُ بينَ طبِّا العوالي ،	فلستُ بخالدٍ أبَدَ الدهورِ ^(١) .
وذي عَجَبٍ من طولِ صَبْرِي على الذي	ألاقي من الأرزاء ، وهو جليل ^(٢)
يقول: ألا تشكو؟ فقلتُ: متى شكا	شبا السيفِ عَضْبَ الشفرتينِ صَقيلِ ^(٣)
وإنَّ امرأً يشكو إلى غيرِ نافعٍ	ويسخو بما في نفسه لَجَهولِ ^(٤) .
عدائي أن أشكو إلى الناسِ أنِّي	عليلٌ ومَنَ أشكو إليه عليل ^(٥) .

(١) الطبيا جمع طيبة (بضمّ ففتح): حدّ السيف . والعوالي: صدور الرماح . وكان بإمكان الشاعر أن يقول: « طبيا المواضي » (فلا يختل الوزن ويصحّ المعنى).

(٢) العجب: الاستغراب: الرزء (بالضمّ): المصيبة الكبيرة . الجليل: العظيم .

(٣) الشباة (بالفتح): حدّ السيف . العضب: القاطع ، الحادّ . من حقّ « صقيل » (هي نكرة) أن تكون منصوبة على الحال .

(٤) سخا: جاد . بما في نفسه (بأسراره وحقائق أمره) .

(٥) عدائي: صرفي .

سَأَسْكُتُ صَبْرًا وَاحْتِسَابًا فَإِنِّي أَرَى الصَّبْرَ سَيْفًا لَيْسَ فِيهِ قُلُوبٌ^(١)
- وَقَالَ يَصِفُ مُنَافِقًا:

رَأَيْتُكَ قَاعِدًا عَنِ كُلِّ خَيْرٍ وَأَنْتَ الشَّهْمُ فِي « قَالُوا وَقَلْتُ »^(٢)
وَطَّرَارًا لَهُ لُطْفٌ وَحِذْقٌ وَالْفَاظُ يُنَمِّقُهَا وَسَنَتٌ^(٣)
وَيَقُتُّ إِلَيْهِ مِنْ حَسَبٍ وَيَتَّبِعُ، وَلَوْلَا ذَلِكَ مِنْهُ لَهَا وَيَقُتُّ^(٤) .
وَقَدْ يَعِدُّ الْوَعْدَ وَلَيْسَ يُؤْفِي وَلَيْسَ بِقَائِلٍ يَوْمًا: « فَعَلْتُ »^(٥) .
كَخَزِّ الْمَاءِ فَوْقَ الْمَاءِ طَافٍ يَرُوقُ وَمَالَهُ أَصْلٌ وَنَبْتُ^(٦)
- وَمِنْ شِعْرِهِ الْوُجْدَانِيُّ فِي الْخَمْرِ وَالغَزَلِ:

* مُدَامٌ يَطُوفُ بِكَأْسِ الْمُدَامِ قَلَمٌ أَذْرُ أَيْهَا أَشْرَبُ^(٧) !
فَهَذَا الصَّدِيقُ، وَهَذَا الرَّحِيقُ، وَهَذَا الْهَلَالُ، وَذِي الْكُوكَبِ^(٨) .
وَهَذَا يَمُدُّ بِالْحَاطِظِهِ، وَهَذَا بَأْبَابِنَا تَلَمَّبُ^(٩) .
وَمَا الْبِدْرُ وَالنَّجْمُ مِنْ ذَا وَذَلِكَ وَلَكِنَّهُ مِثْلُ يُضْرَبُ^(١٠) !

-
- (١) الاحتساب: طلب الأجر من الله. فلول جمع فلّ (بالفتح): الكسر في حدّ السيف.
(٢) الشهم: الذكي، السديد الرأي، الصور.
(٣) الطرّار: النّال الذي يشقّ الجيوب عمّا فيها ويحتطفه. السمّت: الهيئة، الوقار.
(٤) الحسب: الفعل الحميد (والشاعر يقصد النسب: الأسرة المشهورة). البيت (البيت المشهور بالزعامة أو النفس، الخ).
(٥) وفي وأوفى بمعده: برّ به ونفّده.
(٦) خزّ الماء: ما يعلو وجه الماء من الطحلب (تعليق من خريدة المغرب ١: ١٤٤).
(٧) مدام الأولى اسم غلام. مدام الثانية: خمر.
(٨) الرحيق: الشراب الحلو. في البيت تشابيه بليغة: مدام (الغلام) صديق وهلال، ومدام (الخمر) رحيق وكوكب.
(٩) يمدّ بالحاطن: يجعلنا ننظر إلى بعيد (إلى ما لا يجوز لنا أن ننظر إليه - لا يجوز لنا أن نشتهي). اللبّ (بالضم): العقل.
(١٠) البدر ليس مثل مدام (الغلام)، والسجم (الكوكب) ليس خمرًا، ولكن جرت العادة بتشبيه بعض هذه الأشياء ببعض.

* هُمْ عَرَّضُونِي لِلصَّبَابَةِ وَالهُوَى
 جُفُونِي جَنَّتْ قَتْلِي عَلَيَّ صَبَابَةً؛
 * وَجَاهِلِيَةَ بِالْحُبِّ لَمْ تَذَرِ طَعْمَهُ،
 أَقَامَتِ عَلَى قَلْبِي رَقِيبًا وَحَارِسًا
 أَذْرَتْهُ الْهُوَى، حَتَّى إِذَا صَارَ كَالرَّحَا
 * أَلَمْتُ بِوَجْهِهِ كَبَدْرِ الدُّجَى
 كَبَدْرِ السَّمَاءِ بَدَا طَالِمًا
 * وَإِذَا حَرَكْتُ الْمَثَانِي عِنْدُ
 وَسَعَى بِالْكُؤُوسِ بَدْرٌ مُنِيرٌ
 مَا أَبَالِي إِذَا شَرِبْتُ ثَلَاثًا

- ومن أبيات له في دلائل التقوى:

* مَا اخْتَلَفَ الصُّبْحُ وَالْمَسَاءُ
 إِلَّا وَاللهِ فِيهِ سِرٌّ
 * فَكَّرْتُ فِي نَارِ الْجَحِيمِ وَهَوْلِهَا،
 وَأَنْفَذَ الْحُكْمَ وَالْقَضَاءُ،
 بِحُكْمٍ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ .
 يَا وَيْلَتَاهُ، وَلَاتَ حِينَ مَنَاصِ (٨) .

(١) الصبابة: الشوق. صرفوا رطلي: ردّوهم (لم يقبلوا دعوتي).
 (٢) دان: قريب (مقرب) - رقيبها وحارسها يمنان غيرها من الدون إلى قلمي (لا أستطيع أن أحب سواها).
 (٣) الرحا والرحى: الطاحون من حجرين يدور أعلاهما على أسفلها حول قطب (أسطوانة قصيرة) في نصف الرحا الأسفل. - جميع الحبين جعلتهم من مذهبي.
 (٤) المعجر ثوب أصفر من الرداء وأكبر من المقنعة تلقه المرأة على رأسها ثم تلبس فوقه جلبابها.
 (٥) المثاني (هنا): الآلات الموسيقية. عنيد (٤). الشجي: الحزين (المؤثر في العاطفة).
 (٦) الرحيق: الشراب الحلو (هنا) الخمر. صرفا: غير ممزوجة بماء. حيا: ألقى (علينا) السلام، (أشار إلينا بالكأس).
 (٧) الجور: الظلم.
 (٨) لات حين مناص: ليس (في يوم القيامة) مناص (مفرّ من الناس، لسوء أعمالي في الدنيا).

فَدَعَوْتُ رَبِّي أَنْ خَيْرَ وَسَائِلِي، يَوْمَ الْمَعَادِ، شَهَادَةُ الْإِخْلَاصِ^(١).
 * فَلْتُنْ صَبَّوْتُ لَقَدْ صَبَا أَهْلُ النَّهْيِ، وَلَنْ هَقَوْتُ فَلَسْتُ بِالْمَعْصُومِ!^(٢)

٤- ديوان تميم بن المرز بن الله الفاطمي، القاهرة (دار الكتب المصرية) ١٩٥٧ م.

٤- ** البيان المغرب ١: ٢٩٨ - ٣٠٤؛ الحلة السراء (مع ترجمة أبيه) ٢: ٢١ - ٢٦؛
 ابن الأثير ١٠: ١٥ - ١٦؛ وفيات الأعيان ١: ٣٠٤ - ٣٠٦؛ الخريدة (المغرب)
 ١٤١: ١ - ١٦٠؛ الأعلام للزركلي ٢: ٧١ - ٧٢ (٨٢).

عز الدولة الصَّهَّادِحِيّ

١- هو عزُّ الدولة أبو مروان عبد الله^(٣) بن محمد المعتصم بن مَعْن بن صَّهَّادِح .
 في سنة ٤٨٣ هـ جاز يوسف بن تاشفين إلى الأندلس جوازَه الثالث وهو يُضِيرُ
 الاستيلاء على الأندلس فبدأ بقرنطرة. وكان المعتصم بن صَّهَّادِح مكرماً بعيد التفكير
 فأراد تألف يوسف بن تاشفين لعله يترك الاستيلاء على المرية، فأرسل ابنه عزُّ الدولة
 ليُهَيِّئَ يوسف بن تاشفين بالفتح. ولم يخف على يوسف مقصد المعتصم فاعتقل عزُّ
 الدولة وسجنه مُقَيِّداً. ولكن المعتصم آخِثَالٌ في إنقاذ عزُّ الدولة ونقله من طريق تُغْر
 مالقة إلى المرية. حينئذٍ أسرع يوسف بن تاشفين فأرسل جيشاً آخِثَلُ المرية
 (٤٨٤ هـ).

وانتقل عزُّ الدولة وشيكا إلى شالي إفریقیة ولجا إلى أحمدي المرابطين في بجاية
 لصلية كانت له به من قبل ولازمه أماناً عنده يُنادمه، وقد صرف أهتمامه عن الكفاح
 واكتفى بشرب الخمر ومُعاشرة الملاح.

وفي سنة ٤٨٤ هـ، أو في السنة التي تليها، أرسل الشاعر ابن اللبانية إلى عزُّ

(١) المعاد: يوم القيامة. شهادة الإخلاص: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

(٢) صبا: مال (إلى اللهب والفرز). النهي: العقل. هنا: خطأ، أذنب.

(٣) في المغرب (٢: ٢٠١): هو الواثق عزُّ الدولة أبو محمد عبد الله. وفي الحلة السراء (٢: ٨٨): هو عزُّ
 الدولة أبو مروان عبيد الله (عبيد بالتصغير). وفي نفع الطيب (٧: ٤٠): هو عزُّ الدولة أبو مروان
 عبد الله.

الدولة بَيْتَيْنِ مِنَ الشَّعْرِ يَذْكُرُ فِيهَا أَنَّهُ كَانَ يِنَالُ مِنْ عَطَايَا بَنِي صُهَادِحَ مِنْ قَبْلُ،
فَأَرْسَلَ عَزَّ الدَّوْلَةَ إِلَيْهِ مَبْلَغًا يَسِيرًا قَطْعًا لِلْسَانَةِ.

ولما سار يحيى بن أبي بكر، سنة ٥٠٤ هـ (١١١٠ - ١١١١ م)، لفتح طَلَيْطَلَةَ
كان عَزَّ الدَّوْلَةَ مَعَهُ. ولعلَّ عَزَّ الدَّوْلَةَ لَمْ يَعْشُرْ بَعْدَ ذَلِكَ طَوِيلًا.

٢ - قال الشُّقْنُودِيُّ: إِنَّ عَزَّ الدَّوْلَةَ أَشْعَرُ مِنْ أَبِيهِ (نفتح ٣: ٣٦٩). وَمُعْظَمُ مَا
وَصَلَ إِلَيْنَا مِنْ شَعْرِ عَزَّ الدَّوْلَةَ الشُّكُوى وَالْعِتَابُ وَالنَّسِيبُ. كَانَ نَسِيبُهُ يَحْمِلُ
خِصَائِصَ مُؤَلَّدَةٍ، أَمَّا عِتَابُهُ فَجَزَلُ الْأَلْفَاظِ عَلَى عَمُودِ الشَّعْرِ. وَيَشْكُو عَزَّ الدَّوْلَةَ مِنْ
أَنَّهُ، فِي أَعْتِقَالِهِ فِي أَيَّامِ أَبِيهِ تَمَّ فِي اعْتِزَالِهِ بَعْدَ سُقُوطِ دَوْلِ الطَّوَانِبِ، لَا يُحَارِبُ وَلَا
يَقَاتِلُ، مَعَ أَنَّهُ فِي أَيَّامِ دَوْلَةِ أَبِيهِ كَانَ مُنْصَرِّفًا إِلَى اللُّهُوِّ وَحَدِّهِ، وَقَدْ زَادَ انْهَاكُهُ فِي
الْمَلَادِّ بَعْدَ ذَلِكَ.

٣ - مختارات من شعره:

- لَمَّا اغْتَقِلَ عَزَّ الدَّوْلَةَ الصُّادِحِيَّ فِي غَرْنَاطَةَ وَثُقَفَا (قَيْدًا) كَتَبَ إِلَى أَبِيهِ:
أَبْعَدَ السَّنَا وَالْمَعَالِي خُمُولُ؟ وَبَعْدَ رُكُوبِ الْمَذَاكِي كُيُولُ^(١)؟
وَمِنْ بَعْدِ مَا كُنْتُ حُرًّا عَزِيزًا أَنَا الْيَوْمَ عَبْدٌ أُسِيرٌ ذَلِيلٌ؟
حَلَلْتُ رَسُولًا بِغَرْنَاطَةِ فَحَلَّ بِهَا بِي خَطْبٌ جَلِيلٌ^(٢).
وَتُقِفْتُ إِذْ جِئْتُهَا مُرْسَلًا، وَقَدْ كَانَ يُكْرَمُ قَبْلِي الرَّسُولُ^(٣).
فَقَدْتُ الْمَرِيَّةَ - أَكْرَمَ بِهَا! - فَمَا لِلْوُصُولِ إِلَيْهَا سَبِيلٌ^(٤).

- قَادَ الْأَمِيرُ بِحَمِيٍّ بِنَ أَبِي بَكْرٍ غَزْوَةً إِلَى طَلَيْطَلَةَ، وَكَانَ مَعَهُ عَزَّ الدَّوْلَةَ، فَلَمَّا
وَصَلَ الْجَيْشُ إِلَيْهَا وَنَصَّبَ الْجِيَامَ فِي سَاحَتِهَا اتَّفَقَ أَنْ سَقَطَ لَوَاةٌ مِنْ يَدِ حَامِلِهِ.

(١) السنا: الضوء، ضوء القمر (الشهرة). المذاكي: الخيل (القاموس ٤: ٣٣٠) لا مفرد لها. الكبول جمع
كبل (بالفتح): قيد.

(٢) خطب: مصيبة. جليل: عظيم.

(٣) ثقف الرجل: وضع في رجليه أو يديه الثقب (القبود).

(٤) المرية: مدينة ساحلية في جنوبي الأندلس.

فانكسر عودُهُ. فنشَاءَمَ قومٌ من ذلك فقال عِرٌّ الدولة:

لم يَنْكَسِرْ عودُ اللِوَاءِ لِطَيْسِرَةٍ يُغْشَى عَلَيْكَ بِهَا، وَإِنْ تَتَأَوَّلَا
لَكِنْ تَحَقَّقْ أَنَّهُ يَنْدَقُّ فِي نَحْرِ الْعَدُوِّ، لَدَى الْوَعْيِ، فَتَمَجَّلَا.

- لَمَّا لَجَأَ عِرٌّ الدَّوْلَةَ إِلَى صَدِيقِهِ الْمُرَابِطِيِّ فِي بَحَايَةِ (الجزائر اليوم) تَذَكَّرَ عِرُّهُ
الْقَدِيمَ فَقَالَ يَشْكُو:

لَكَ الْحَمْدُ؛ بَعْدَ الْمُلْكِ أَصْبِحُ خَامِلًا
وَقَدْ أَصْدَأْتُ فِيهِ الْهُوَادَةَ مُنْصَلِي،
وَلَا مِسْمِي يُضْعِي لِنَعْمَةِ شَاعِرٍ،
طَرِيدًا شَرِيدًا لَا أَوْمَلُ رَجْعَةَ
وَقَدْ كُنْتُ مَتْبُوعًا فَأَصْبَحْتُ تَابِعًا
وَقَوْلِي مَسْنُوعٌ وَفِعْلِي مُحْكَمٌ،
وَقَدْ كُنْتُ غِرًّا بِالزَّمَانِ وَصَرَفِهِ،
بَارِضٍ اغْتَرَابٍ لَا أَمِيرٌ وَلَا أَهْلِي^(١)
كَمَا نَسَيْتُ رُكْنَ الْجِيَادِ بِهَا رَجُلِي^(٢)
وَكَفَيْتِي لَا تَمْتَدُّ يَوْمًا إِلَى بَدَلٍ؛
إِلَى مَوْطِنٍ بُوْعِدْتُ عَنْهُ وَعَنْ أَهْلِي.
لَدَى مَعْشَرٍ لَيْسُوا بِمَجْنِسِي وَلَا شَكْلِي؛
وَهَا أَنَا لَا قَوْلِي يَجُوزُ وَلَا فِعْلِي.
فَقَدْ بَانَ قَدْرُ الْعِرِّ عِنْدِي وَالذُّلُّ^(٣)

- وَقَالَ فِي مِثْلِ ذَلِكَ:

إِنْ يَسْلَمِ النَّاسُ مِنْ هَمٍّ وَمَنْ كَمَدٍ
لَمْ أَبْقِ مِنْهُ لَغَيْرِي مَا يُحَاذِرُهُ،
فَإِنِّي قَدْ جَمَعْتُ الْهَمَّ وَالْكَمَدَ^(٤)؛
فَلَيْسَ يَقْصِدُ دُونِي فِي الْوَرَى أَحَدًا^(٥)

- وَمِنْ شِعْرِهِ فِي النَّسِيبِ:

أَهْوَى قَضِيصَبَ لُجَيْنٍ
إِنْ كَانَ مَوْتِي بِلُحْظٍ
قَدْ أَطْلَعَ الْبَدْرُ فِيهِ^(٦)؛
مِنْهُ قَعَيْشِي يَلِيهِ.

(١) لا أمر ولا أهلي (لا أضر ولا أنعم).

(٢) الهوادة (السكون: البقاء بلا عمل) أصدأت منصلي (سيفي): جعلت الصدا بعلوه.

(٣) غرّ: قليل الاختيار، جاهل. صرف الزمان: تقلبه (مصائبه). بان: ظهر.

(٤) الكمد: الحزن والغم.

(٥) الوري: الناس، البشر كلهم. - اجتمع الكمد كله عليّ حتى لم يبق أحد يخاف أن يجلّ به شيء منه.

(٦) لجين: فضة. قضيب لجين: كتابة عن القامة الرشيدة الجميلة. البدر (كتابة عن الوجه الجميل).

يا رب، كم أتمنى
ولا أرى منه شيئاً
طوبى لدارِ حوثه
وأنته وأبيه،
بل ألف طوبى لعبد
في موضع يلتقيه!

★★-٤ المغرب ٢: ٢٠١ - ٢٠٢، الحلة السراء ٢: ٨٩ - ١٩٢، نفع الطيب ٧: ٤٠ -
١٤٣ نيكل ١٨٤ - ١٨٥.

ابن اللبّانة

١- هو أبو بكر محمد بن عيسى بن محمد اللخميّ الدائي، وُلد في مدينة دانية ونسب إلى أمه التي كانت، فيما يبدو، تتبع اللبّان، ولا نعرف شيئاً عن أبيه عيسى. وكذلك لا نعرف شيئاً عن حياته الأولى.

بدأ ابن اللبّانة حياته العامّة بالدوران على بلاطات ملوك الطوائف للتكسب بشعره. اختار أن يذهب إلى المريّة ليمدح أبا يحيى محمد بن معن المعروف باسم المعتصم بن صّادح (٤٤٤ - ٤٨٤ هـ)، سنة ٤٦٠ هـ أو قبل ذلك بقليل. ويبدو أنه لم يستطع في أول الأمر أن يتّصل به، ثم اتّصل به ومدحه. ولكن هذا الاتّصال لم يطل لأنّ شاعراً آخر اسمه أبو عبد الله محمد بن الحداد الوادي آشي - كان قد نال حظوة عند المعتصم بن صّادح وأصبح وزيراً له - سرعان ما أفسد ما بين المعتصم بن صّادح ابن اللبّانة. فغادر ابن اللبّانة المريّة وذهب إلى بطليوس ليمدح أميرها المتوكّل على الله أبا حفص عمر. ولكن المتوكّل على الله كان، فيما يبدو، قليل الاحتفال بالشعر في ذلك الحين لأنّه كان يحكم بطليوس بالاشتراك مع أخيه المنصور يحيى (٤٦٠ - ٤٧٣ هـ). وفي سنة ٤٧٣ هـ (١٠٨٠ - ١٠٨١ م) توفي يحيى وانفرد المتوكّل بالحكم.

وبارح ابن اللبّانة بطليوس إلى قرطبة. وأغلب الظن أنه جاء إلى قرطبة سنة

(١) الجفاء: البمد. النيه: التكبر.

٤٦٩ هـ لِيَهْتَمَى المَعْتَمَدَ بنَ عَبَّادٍ بِفَتْحِهِ قَرْطِيَةَ لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ. ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى بِلَاطِ المَعْتَمَدِ فِي إِسْبِيلِيَةِ وَنَالَ فِيهِ حُطُوءَةً أُنْسَتْهُ مَرَارَةً الْأَيَّامِ الحَالِيَةِ.

وَفِي سَنَةِ ٤٨٤ هـ اسْتَوْلَى المَرَابِطُونَ عَلَى إِسْبِيلِيَةِ وَحَلَمُوا المَعْتَمَدَ بنَ عَبَّادٍ أَسِيرًا وَحَبَسُوهُ فِي سَجَنٍ أُغْمِتَ (قَرِبَ مَرَاكِشَ)، فَظَلَّ ابْنُ اللَّبَّانَةِ وَفِيًّا لِلْمَعْتَمَدِ يَزُورُهُ بَيْنَ الفَيْئَةِ وَالْفَيْئَةِ وَيَمْدَحُهُ. وَلَمْ يَبْلُغْ ابْنُ اللَّبَّانَةِ إِلَى المَرَابِطِينَ، بَلْ كَانَ مُنْحَرَفًا عَنْهُمْ كَمُعْظَمِ الشُعْرَاءِ فِي ذَلِكَ الحِينِ، لِأَنَّ يَوْسُفَ بنَ تَاشَفِينَ كَانَ يَبْنِي دَوْلَةَ وَمُلْكَأً وَلَمْ يَكُنْ يَلْتَمِي بِأَلَا إِلَى المَدَائِحِ وَالْأَهَاجِيِّ.

ثُمَّ أَنَّ ابْنَ اللَّبَّانَةِ جَاءَ إِلَى جَزِيرَةِ مَيُورِقَةَ فِي آخِرِ شَعْبَانَ مِنْ سَنَةِ ٤٨٥ هـ، قَبْلَ وَفَاةِ المَعْتَمَدِ بنِ عَبَّادٍ، لِيَمْدَحَ، فَمَا يَبْدُو، أَمِيرَهَا نَاصِرَ الدَوْلَةِ مَبْشَرَ بنَ سُلَيْمَانَ الَّذِي كَانَ قَدْ جَاءَ إِلَى حَكْمِ الجَزِيرَةِ فِي تِلْكَ السَّنَةِ نَفْسِهَا. وَبَعْدَ وَفَاةِ المَعْتَمَدِ فِي أُغْمَاتِ (٤٨٨ هـ) عَادَ ابْنُ اللَّبَّانَةِ إِلَى مَيُورِقَةَ وَمَدَحَ نَاصِرَ الدَوْلَةِ بِقِصَائِدٍ كَثِيرَةٍ. غَيْرَ أَنَّ نَاصِرَ الدَوْلَةِ غَضِبَ مِنْ ابْنِ اللَّبَّانَةِ، فَغَادَرَ ابْنُ اللَّبَّانَةِ جَزِيرَةَ مَيُورِقَةَ وَانْتَقَلَ إِلَى بَجَايَةِ (فِي المَغْرِبِ الأَوْسَطِ) لِاجْتِنَاءِ إِلَى بَنِي حَمُودٍ، فِي أَوَاخِرِ أَيَّامِ النُّصُورِ (بَجَايَةَ ٤٨٣ - ٤٩٨ هـ) أَوْ فِي أَيَّامِ ابْنِهِ بَادِيَسَ (٤٩٨ - ٥٠٠ هـ).

وَذَهَبَ ابْنُ اللَّبَّانَةِ إِلَى تِلْمَسَانَ ثُمَّ عَادَ ثَالِثَةً إِلَى مَيُورِقَةَ وَتَوَفِّيَ فِيهَا سَنَةَ ٥٠٧ هـ (١١١٣ م) قَبْلَ وَفَاةِ أَمِيرِهَا مَبْشَرَ بنِ حَمُودٍ وَاحِدَةً.

٢- كَانَ أَبُو بَكْرٍ بنِ اللَّبَّانَةِ أَدِيبًا كَاتِبًا شَاعِرًا مُكْتَرَفًا وَمُجِيدًا فِي الشِّعْرِ وَفِي النَّثْرِ. وَلَهُ قَصِيدٌ وَمَوْشِحٌ وَقِصَائِدٌ طَوَالٌ وَمُقَطَّعَاتٌ. وَهُوَ مُتَصَرِّفٌ فِي المَعَانِي قَلِيلٌ التَّكْلِيفِ قَدْ جَمَعَ بَيْنَ سُهُولَةِ التَّرْكِيبِ وَرَشَاقَةِ التَّعْبِيرِ، يَعْتَمَدُ فِي ذَلِكَ جُودَةَ طَبْعِهِ وَقُوَّةَ قَرْبِحَتِهِ، وَلَا يَغْرِفُ عِلَلَ الشِّعْرِ وَعُلُومَهُ. وَلَهُ مَدِيحٌ كَثِيرٌ أَحْسَنَهُ فِي بَنِي عَبَّادٍ. وَمِنْ فَنُونِهِ أَيْضًا الشُّكُوبُ وَالعِتَابُ وَالرِّثَاءُ وَالهِجَاءُ وَالغَزَلَانُ المَذْكُورُ وَالْمُؤَنَّثُ، وَلَهُ أَيْضًا وَصْفٌ لِلطَّبِيعَةِ. ثُمَّ هُوَ مُؤَلِّفٌ، لَهُ: كِتَابُ مَنَاقِلِ الفَيْئَةِ - نَظْمُ السُّلُوكِ فِي وَعْظِ المُلُوكِ - سَقِيطُ الدَّرَرِ وَلَقِيطُ الرِّزِّهِ (فِي شِعْرِ بَنِي عَبَّادٍ).

- قال أبو بكر بن اللبّانة يَصِفُ جزيرةَ مَبْرُوقَةَ (المغرب ٢ : ٤٦٦):

بَلَدٌ أَعَارَتْهُ الهَامَةُ طَوْقَهَا، وكسَاهُ حَلَّةٌ رِيشَهُ الطَاوُوسُ^(١).
وَكَأَنَّمَا نِلَكَ المِياهُ مُدَامَةً، وكَأَنَّ قِيعَانَ الدِيَارِ كُوُوسُ^(٢)!

- وقال يهجو رجلاً اسمه ابن السَّيِّد:

يَرُوقُكَ في أَهْلِ الجَمَالِ ابنُ سَيِّدٍ كَتَرَجَمَةَ راقَتَ وِليسَ لَهَا مَعْنى^(٣).
حَكى شَجَرَ الدِفْلاءِ حُسْنًا وَمَنْظَرًا؛ فَمَا أَحْسَنَ المَجْلَى وما أَقْبَحَ المَجْنى^(٤)!

- وقال يَمْدَحُ^(٥):

بَكَتْ عِنْدَ تَوْدِيعِي، فَمَا عَلِمَ الرِّكْبُ أَذَاكَ سَقِيطُ الطَّلِّ أَمْ لَوْلُو رَطْبُ^(٦)!
وَتَابَعَهَا سِرْبٌ؛ وَإِنِّي لَمَحْطِيءٌ، نُجُومُ الدِّيَاجِي لا يُقالُ لَهَا: سِرْبُ^(٧)!
لَئِنْ وَقَفْتَ شَمْسُ النِّهَارِ لِيُوشِعَ، لَقَدْ وَقَفَتْ شَمْسُ المَهِوى لِي وَالشُّهْبُ^(٨)

- (١) طوق الهامة: الريش الملون حول عنق الهامة (ويكون عادة كثير الألوان). الحلة: الثوب من الحرير. - كتابة عن أن أرض جزيرة مبروقة كثيرة المروج كثيرة الأزهار.
- (٢) المدامة: الخمر. القيعان جمع قاع: بقعة منخفضة تتجمع فيها المياه.
- (٣) يروقك: يمججك، يركك. الترجمة: فاتحة الكتاب (مقدمته).
- (٤) الدفلى والدفلاء: شجيرة لها زهر حسن ولكن لا رائحة له ولا ثمر لها. المجلى: المظهر، المنظر. المجنى: قطع (الزهر) أو قطفه قبيح إذا لا رائحة له.
- (٥) في فوات الوفيات (٢ : ٣٢٥) أن هذه الأبيات من قصيدة في مديح المتمد بن عباد، وفي فلتاند العتيان (ص ٢٨٥ - ٢٨٦) بيت فيه ذكر ميروق (مبروقة؟) ثم ذكر ناصر الدولة (بن سليمان صاحب ميروق من سنة ٤٨٥ - ٥٠٨ هـ). وفي المغرب (٢ : ٤٦٠) قصيدة من هذا البحر وعلى هذا الروي في التوكل بن الأفضس.
- (٦) الركب: الجماعة يركبون الجبل أو الإبل ويسهرون معاً. سقيط الطل: قطرات الندى التي تتكون ليلاً على أوراق الشجر. الرطب (صفة للؤلؤ): الذي له بريق (٢). - لما بكت الهبوبة وتساقت دموعها على خديها ظنّ الذين يرافقوني أن دموعها ندى أو لؤلؤ.
- (٧) وتابعا سرب: يكي معها لبيكاتها سرب (السرب في الأصل القطيع من بقر الوحش = الغزلان، الظباء). نجوم الدياجي (جمع دجى: الليل المظلم) = كناية عن النساء الحسان.
- (٨) إذا كانت الشمس قد توقفت فوق الأفق ليوشع ولم تب حتى استمر يوشع في خوض المعركة، فإن =

عَقِيلَةٌ بَيْتِ المَجدِ؛ لَمْ تَرَها الدُّجى، ولا لَمَحَتْها الشَّمسُ وَهِيَ لَهَا يَرَبُ (١)
وَبَحْرٍ - سِوَى مَجْرِ المَوى - قَد رَكِبْتُهُ لأَمْرٍ؛ كِلا البَحْرَينِ مَرَكِبُهُ صَفَبُ (٢)
وَلَمَّا رَأَتْ عَينِي جَنابَ مِيورِقِي أَمِنْتُ وَحَسَبُ المَرءِ بَغِيثُهُ حَسَبُ (٣)
نَزَلتَ بِكافُورٍ وَتَبَرٍ وَجَوهرِ يُقالُ لَهُ الحَصْبَةُ وَالرَّمْلُ وَالتُّرْبُ (٤)
وَقُلْتُ: المَكانُ الرِّحْبُ فِيهِ؛ فِقِيلَ لي: ذُرَى ناصِرِ العَليَّةِ أَجمَعُهُ رَحْبُ (٥)
حَوَى قَصَباتِ السَّبْقِ عَفَواً، وَلو سَمَى لها البَرَقُ حَظْفاً جِاءَ مِنْ دُونِها يَكبُو (٦)
وَيَرْتاحُ عَندَ الجُودِ حَتّى كَأَنَّهُ - وَحاشاهُ - نَشوانٌ يَلْذُلُهُ الشُّرْبُ (٧)
سَأَلْتُ أَخاهُ البَحْرَ عَنهُ فَقالَ لي: شَقِيصِي إِلا أَنَّهُ الباردُ العَذْبُ!

- وَمِنْ موشَعاتِ أَبِي بَكرِ بْنِ اللَّبَّانَةِ هَذِهِ الموشَعَةُ الَّتِي يَمَدِّحُ بِها بَاديسَ بْنِ المَنصُورِ (٤٩٨ - ٥٠٠ هـ) مِنْ بَنِي حَمَّادِ أَصحابِ قَلْعَةِ بَنِي حَمَّادٍ وَبِجائِةٍ وَغَيرِها فِي المَغربِ الأوسَطِ:

فِي نَرَجِسِ الأَحْداقِ وَسَوسِ الأَجِبادِ نَبْتُ المَوى مَغرُوسٌ بَينَ القَنا المِياذِ (٨)

* * *

- = اللواتي وقفن لوداعي شمس الموى (المهوبة) والشهب (الفتيات الجميلات المرافقات لها). يقصد أن الشمس وحدها وقفت ليوشع. أما هو فوقف له الشمس والنجوم.
- (١) العفيلة: الكريمة المخدرة، المصونة. الدجى: الليل، ظلام الليل. الترب: المائل لغيره في العمر. - هي مكرمة مصونة لا تتبدل في الأعمال لا نهاراً ولا ليلاً.
- (٢) بحر: هو البحر الذي تجري فيه السفن. لأمر: لبلوغ أمر عظيم. كلا البحرين: البحر والموى (الحب).
- (٣) الجناب: الجانب. حسب المرء بغيته: يكفي الإنسان أن ينال بغيته (ما ينبغي، ما يطلب).
- (٤) نزلت في جزيرة حجارتها ورملها وترابها تشبه الكافور والذهب واللؤلؤ.
- (٥) الرحب: الواسع، المتسع للضيوف. الذرى: المكان المرتفع كالدروة.
- (٦) حوى قصبات السبق: سبق الناس أجمعين. عفاً: على مهل ومن غير استعداد لذلك. ومن غير أن يجهد (يتعب). ولو أن البرق أسرع ليفعل فعل (المدحج) لجاء البرق وراه. تمباً أيضاً. يكبو: يسقط على وجهه.
- (٧) يرتاح: يطرب، يسر.
- (٨) نرجس الأحداق: العيون التي تشبه النرجس. سوسن الأجباد: الأعناق التي تشبه السوسن (الزئبق) ببياضها. القنا: الرماح. المياذ: الذي يهتز (كناية عن قامات النساء الحسنات).

وفي نفا الكافور والمنديل الرطب
 والهودج المزور بالوشي والعصب
 نادى بها المهجور من شدة الحب:
 قُضِبَ من البلور حُسينَ بالقضب.

أذابت الأشواق روعي على أجاد أعارها الطاووس
 من ريشه أبراد^(١)

* * *

كواكب أتراب تشابهت قسداً
 عضت على العناب بالبرد الأندى،
 أوصت بي الأوصاب وأغرّت الوجداء.
 وأكثر الأحاب أعدى من الأعداء.

تفتّر عن أغلاق لآلىء أفراد فيه اللى مخروس
 بالسن الأعهاد^(٢).

* * *

خرجتُ مُحتملاً أنبي سنا البرق
 أقطعُ أميلاً غرباً إلى شرق،

(١) النفا: الرمل الأبيض. نفا الكافور: أبيض كلون الكافور. والمنديل (أجود أنواع العود = نبت طيب الرائحة) الرطب (المجهد الذي تنوع منه رائحة قوية). الهودج: شبه غرفة تحمل على الجمل وتركب فيها النساء. المزور: المربوط، المعلق، المستور. الوشي: نسيج فيه نقوش. العصب: نوع من الثياب الحريرية. قضب من البلور: نساء بيض (جيلات) طويلات القامة حنين: جاهن، قام حولن سور من الرجال الشجمان القضب: السيوف. الأشواق (فاعل)، روعي (مفعول به). الأبراد جمع برد: ثوب من حرير.

(٢) كواكب أتراب: فتيات جيلات مثانات في الأعمار. القذ: القامة. عضت على العناب بالبرد الأندى: لمن شفاء شديدة الحمرة وأسنان شديدة البياض. أوصت...: سببت (تلك الشفاء والأسنان) لي الآلام وجعلتني شديد الحب لها (لصاحباتها). تفتّر (تفتتح، تنكشف) عن أغلاق (جمع علق بكسر العين: الشيء النفيس) لآلىء أفراد (مثل اللآلىء الفريدة، الكبيرة، الثمينة: الأسنان) اللى: السمرة في الشفاء (الشفاء). الغمد: قراب (بيت) السيف. ألسن الأعهاد: رموش العيون.

مُوَّمَّلًا حَالًا تَكُونُ مِنْ وَفْقِي.

فَقَالَ مَنْ قَالَا وَفَاءَ بِالصِّدْقِ:

دَعِ قَطْعَكَ الْآفَاقِ، يَا أَيُّهَا الْمُرْتَادُ وَاقْصِدْ إِلَى بَادِيَسَ خَيْرِ بَنِي حَمَّادٍ^(١).

- وقال أبو بكر بن اللَّبَّانَةِ، لما استولى المرابطون على إشبيلية وخلعوا المعتمد بن عبادٍ وحملوه مع أهلِهِ الباقين على قِيَدِ الْحَيَاةِ أُسْرَى إِلَى الْمَغْرِبِ:

تَبْكِي السَّمَاءُ بُمَزْنٍ رَائِحِ غَادِي
عَلَى الْجِبَالِ الَّتِي هَدَّتْ قَوَاعِدَهَا،
وَكَانَتْ الْأَرْضُ مِنْهُمْ ذَاتَ أُوْتَادٍ^(٢)
فَالْيَوْمَ لَا عَاكِفٌ فِيهَا وَلَا بَادٍ^(٣).
يَا ضَيْفُ، أَقْفَرِ بَيْتَ الْمَكْرُمَاتِ فَخُذْ
فِي ضَمِّ رَحْلِكَ وَاجْمَعْ فَضْلَةَ الزَّادِ.
وَيَا مُوَّمَّلَ وَاذِيهِمْ لَيْسَكُنَّهُ،
خَفَّ الْقَطِينُ وَجَفَّ الزَّرْعُ بِالْوَادِي^(٤).
وَأَنْتَ يَا فَارِسَ الْخَيْلِ الَّتِي جَعَلْتِ
تَحْتَالِ فِي عُدَدٍ مِنْهُمْ وَأَعْدَادٍ^(٥).
أَلْقِ السِّلَاحَ وَخَلِّ الْمَشْرِقِيَّ فَقَدْ
أَصْبَحْتَ فِي لَهَوَاتِ الضَّيْبِ الْعَادِي^(٦).
لَمَّا دَنَا الْوَقْتُ لَمْ تُخْلِفْ بِهِ عِدَّةً؛
وَكُلَّ شَيْءٍ لِيَقَاتٍ وَمِيْعَادٍ^(٧).
كَمْ مِنْ دَرَارِيٍّ سَعِدَ قَدْوَتُهَا، وَوَهَتْ
هَنَّاكَ مِنْ دُرَرٍ لِلْمَجْدِ أَفْرَادٍ^(٨).

(١) خرجت محتالا (لكتب الرزق) أبني (أطلب) سنا البرق (لعان البرق: الخير). من وفقي: توافقي،

تنطبق على ما أريد. المرتاد: الذي يذهب أمام القوم ليكتشف لهم مكاناً فيه مرعى وماء.

(٢) المزن (المطر) رايح (في المساء) غاد (في الصباح). البهلول: السيد الجامع لصفات الخير.

(٣) ذات أوتاد (ثابتة، راسخة).

(٤) العاكف: المقيم (في البلد)، المتوطن. البادي: الطاريء على البلد (الزائر) راجع القرآن الكريم ٢٢: ٢٥، سورة الحج.

(٥) القطين: الساكن خف: رحل.

(٦) العدة: الآلات، الأدوات. الأعداد (العدد)، الكثرة من الناس.

(٧) المشريقي: السيف. اللهوات (جمع اللهاة): اللحمة المشرقة على الحلق في أقصى سقف الفم. الضيغم: الأسد. العادي: الهاجم، الجريه الوثاب.

(٨) لم تخلف (أنت) عدة (وعدا) - صبرت على ما جاء به القدر.

(٩) الدراري: النجوم. - نجوم السعد غابت (فانتشر الضؤم في العالم). وهي: ضعف وانقطع (سلك المقدم). الدرر: حبات اللؤلؤ. أفراد (بمقصد فراد أو فرائد جمع فريدة: اللؤلؤة الكبيرة النادرة الثمينة).

١٠٠. إن يُخَلِّمُوا فَبِنُو الْعَبَّاسِ قَدْ خَلِّمُوا ،
 حَمَوًا حَرِيمَهُمْ حَتَّى إِذَا غَلِبُوا
 حَانَ الْوَدَاعِ فَضَجَّتْ كُلُّ صَارِخَةٍ
 سَارَتْ سَفَائِنُهُمْ وَالنُّوحُ يَصْحَبُهَا
 كَمْ سَالَ فِي الْمَلِكِ مِنْ دَمْعٍ ، وَكَمْ حَمَلَتْ
 مِنْ لِي بِكُمْ ، يَا بَنِي مَلِكِ السَّمَاءِ ، إِذَا
 - وَقَالَ فِي مِثْلِ ذَلِكَ :

لِكُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ مِيقَاتُ
 وَالذَّهْرُ فِي صِيفَةِ الْحَرْبِ لِمُنْفِيسٍ ،
 وَحَنْ مِنْ لُغْبِ الشُّطْرَنْجِ فِي يَدِهِ ،
 فَأَنْفُضْ يَدَيْكَ مِنَ الدُّنْيَا وَسَاكِنِهَا ،
 وَقُلْ لِعَالَمِهَا السُّفْلِيِّ قَدْ كَتَمْتُ
 وَلِلْمُنَى مِنْ مَنَايَاهُنَّ غَايَاتُ (٧)
 أَلْوَانُ حَالَاتِهِ فِيهَا أَسْتِحَالَاتُ (٨)
 وَرَبِّيَا قُمِرَتْ بِالْبَيْذِيقِ الشَّاةُ (٩)
 فَالْأَرْضُ قَدْ أَقْفَرَتْ وَالنَّاسُ قَدْ مَاتُوا .
 سَرِيرَةُ الْعَالَمِ الْعُلُويِّ أَغْمَاتُ (١٠)

- (١) قبل سقوط المعتد بن عبَّاد عن عرش حصص (أشبيلية) سقط بنو العبَّاس عن عرش بغداد .
- (٢) سيفوا أسرى متتابعين في حبل واحد (بعد المعركة ذلوا).
- (٣) حان: قرب. صجَّت: بكت. المفدأة: التي ينفذها الناس (بجربوها) والغادي: الذي ينفذ (بجرب الناس). جميع الناس حزنوا.
- (٤) يحدو بها: يسوقها. ساروا متودين (بعد أن كانوا قواداً).
- (٥) الفطائع جمع قطيعة: قطعة من الأرض. والملموح (هنا) أنها السفينة.
- (٦) بنو عبَّاد أصلهم من المناذرة أبناء ماء السماء (وماء السماء هي أم المنذر بن امرئ القيس، ملك الحيرة) (ت ٦٠ قبل الهجرة = ٥٦٢ م). ماء السماء (الثانية): المطر. الحنق: القلب. الصادي: العطشان.
- (٧) وللمنى (جمع أمنية: رغبة) من مناياهنَّ غايات (جمع غاية: نهاية). - لكل أمنية (نعمة، حال حسنة) نهاية (موت، كما يكون للبشر).
- (٨) الاستحالة: التبدل، التغير. أحوال الدهر لا تبقى على وتيرة واحدة.
- (٩) الشاة (يقصد الشاه - الملك - أعظم قطع الشطرنج) فإذا مات الشاه انتهت دورة اللعب بالشطرنج، ولو بقيت جميع الحجارة الباقية سليمة. البيذيق: الجندي: أصفر حجارة الشطرنج.
- (١٠) سريرة العالم العلوي (المعتد بن عبَّاد): خلاصة الوجود الإنساني. أغمات قرب مدينة مراكش سجن فيها المعتد بن عبَّاد.

طَوَتْ مِظَلَّتْهَا لَا بَلْ مَدَلَّتْهَا
 مَنْ كَانَ بَيْنَ النَّدَى وَالْبَاسِ أَنْصَلَهُ
 رَمَاهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ تَسْتَرُهُ سَابِقَةً
 وَكَانَ مَلُوعًا عِيَانِ الْعَيْنِ تَبَصَّرَهُ
 انْكَرَتْ إِلَّا التَّوَاتُاتِ الْقِيُودَ بِهِ
 حَسِبْتُهَا مِنْ قَنَاهُ أَوْ أُعِنْتَهُ
 دَرَّوهُ لَيْشًا فَخَافُوا مِنْهُ عَادِيَةً

- وَقَالَ يَصِفُ الرُّوضَ وَنَسِمَ الرُّوضُ:

وَالرُّوضُ إِنْ بَعَدَتْ عَلَيْكَ قُطُوفُهُ
 وَاقْتَكَّ عَنْهُ الرِّيحُ وَهِيَ بَلِيلٌ (٨)
 حَسْبُ النَّسِيمِ مِنَ اللَّطَافَةِ أَنَّهُ
 صَحَّتْ بِهِ الْأَجْسَامُ وَهُوَ عَلِيلٌ (٩)

٤- ** * فَلَائِدُ الْعُقَيْانِ ٢٨٣ - ٢٩٠؛ الْمَرْبُ ٢: ٤٠٩ - ٤١٦؛ فَوَاتُ الْوَفِيَاتِ ٢:
 ٣٢٤ - ٣٢٧؛ الْوَافِي بِالْوَفِيَاتِ ٤: ٢٩٧؛ ابْنُ الْأَثِيرِ ١٠: ١٨٨ - ١٩٢، ٢٤٩ -

- (١) المظلة: الغطاء السقف. المذلة (كتابة عن سقف السجن). - كانت تحقق فوق رأسه رايات المرز (في الملك والحرب) فأصبح فوق رأسه سقف السجن.
- (٢) الندى: الكرم. البأس: القوة (الحرب). النصل: حد السيف. هندي: (سيف) من صنع الهند. الهنيدة: المائة من الإبل.
- (٣) السابقة: الدرع. مصيبات (الأولى) مصائب، نواصب. النبلة: السهم. مصيبات (الثانية): اسم فاعل من أصاب (أصاب مقتلاً من الإنسان).
- (٤) المرعى (مكان الرعي). مرعاه: رعاية (المتعمد بن عبادة للناس). مرعاه: مرعى (كان الناس يجدون في حكم المتعمد بن عبادة أمناً وازدهاراً).
- (٥) رأيت المتعمد بن عبادة في سجنه (في حال نفسية سامية، كما كنت أراه في قصره) لولا القيود التي كانت في رجليه. ثم إن الشاعر يشبه المتعمد بن عبادة بالروض وما فيه من أزهار وثمار، ويشبه قيوده بالأفاعي. وكل إنسان يستطيع أن يرى الفرق بين الأفعى وبين النبات.
- (٦) القنا جمع قناة: رمح. أعتة (جمع عنان بالكسر): لجام، رسن. ولكن كانت في الحقيقة ثقافاً (قيوداً) للمجدد (للمتعمد بن عبادة).
- (٧) دروه (عروفه) ليشاً (أسداً). عادية: اعتداء. ومن عادة الأسد المدوى (الاعتداء) على غيره.
- (٨) إذا لم يكن للستان قُطُوف (أثمار) تأكلها وافاك (جاءك منه) هواه بليل (رطب).
- (٩) عليل: مريض. والهواء العليل (إذا كان هبوه خفيفاً لطيفاً متعشاً).

٢٥٠ المطرب ١٧٨ - ١٧٩، المعجب ١٤٧، ١٤٩ - ١٥٠، جيش التوشيح
 ٥٩ - ٧٢، راجع ١٢٤ نفع الطيب ١: ٦٦٢، ٣: ١٩٩، ٣٣٣، ٣٤٥، ٣٦٨ -
 ٣٦٩، ٦١٢، ٤: ٩٤ - ٩٨، ١٠٢ - ١٠٣، ١٥٦، ١٥٦ - ٢١٤، ٢١٨، ٢٢٢،
 ٢٢٣، ٢٤١ - ٢٤٢، ٢٤٢ - ٢٤٦، ٢٤٨، ٢٥٥ - ٢٥٨، ٢٦٠، ٢٧٤ - ٢٧٥،
 ٢٧٩ - ٢٨٠، ٧: ٤٢ - ٤٣، شذرات الذهب ٤: ٢٠؛ نيكل ١٦٣ مختارات
 نيكل ١١٣ - ١١٦ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٨٥٣؛ الأعلام للزركلي ٧:
 ٢١٤ (٦: ٣٢٢). بالنشأ ١٥٧.

ابن طاهر القيسي

١ - أسرة ابن طاهر هذا أسرة عربية كبيرة العدد واسعة الثروة عالية المكانة
 ترجع بنسبها إلى قيس عيلان. وكان مسكنها في مرسية من كورة تدمير (في الطرف
 الجنوبي الشرقي من الأندلس). ونشأ في هذه الأسرة «أعلام وحملة سيوف وأقلام»،
 كما يقول لسان الدين بن الخطيب (أعمال الأعلام ٢٠١) ثم صارت لهم - في مطلع
 الفتن - الرئاسة على مرسية.

وكان أبو بكر أحمد بن طاهر (والد صاحب هذه الترجمة) قد استبد بأمر كورة
 تدمير كلها، وكان حكمه صالحاً على الناس فاجتمعوا على طاعته والاعتراف بحقه.

أما صاحب الترجمة نفسه فهو أبو عبد الرحمن محمد بن أحمد بن إسحاق بن طاهر،
 كان مولده نحو سنة ٤١٥ هـ (١٠٢٤ م). واتفق أن أحمد بن طاهر فليج في أواخر
 أيامه فقام ابنه أبو عبد الرحمن محمد مكانه وسد مسده. فلما توفي ابن طاهر الكبير،
 (سنة ٤٥٥ هـ)، خلفه ابنه أبو عبد الرحمن.

طمع المعتمد بن عباد ملك إشبيلية (٤٦١ - ٤٨٤ هـ) بالاستيلاء على مرسية،
 فوطأ (سنة ٤٧٤ هـ) رايوندو الثاني صاحب (حاكم) برشلونة، وحاصر الملك المسلم
 والملك النصراني مرسية المسلمة - وتلك عادة كانت، مع الأسف، مألوفة في أيام
 ملوك الطوائف - ولكن الملكين لم ينجحوا في الاستيلاء على مرسية.

ثم استطاع المعتمد - في حديث طويل - أن يتولى على مرسية (بقيادة عامله
 على «حصن بلج» - على مقربة من جيان -، عبد الرحمن بن رشيق). ودخل ابن

رشيق مدينة مرسية وأخذ صاحبها ابن طاهر واعتقله. ثم إن المعتمد أمر بإطلاق سراح ابن طاهر، فانتقل ابن طاهر إلى شاطبة، ثم ذهب إلى بلنسية وبقي فيها إلى أن توفي سنة ٥٠٧ هـ (١١١٣ م). وفي العام التالي نُقل رُفاته إلى مرسية.

٢- أبو عبد الرحمن بن طاهر القيسي أديبٌ نائرٌ يُعيدُ النثرَ المسجوعَ جِدًّا وهزلاً، ورويةً وارجحاً، ومحلُّه من الأدب معروفٌ، إذ هو المثلُّ السائر في البلاغة والبيان. ثم هو ظريفُ التوقيع^(١) خفيفُ الروح عذبُ النادرة والفكاهة. وكانت به دُعاة غلبت عليه لا يتركها مجال. وهو مع ذلك قد روى الحديث وروى الحديث عنه آخرون. وكذلك كان جواداً ممدحاً مدحه أبو بكر بن عمّار (قتل ٤٧٧ هـ) يوم كان أبو بكر بن عمّار لا يزال ناشئاً في الأدب خاملاً. وأغراضه في رسائله كثيرة. وهو يُكثرُ الاستشهادَ بالشعر ولكن لا يقوله. وقد ألف ابن بسام صاحب «الذخيرة» كتاباً في رسائل ابن طاهر عنوانه: «سلك الجواهر في ترسيل ابن طاهر» (الذخيرة ٣: ٢٥).

٣- مختارات من نثره:

- من كتاب لابن طاهر القيسي خاطب به أبا الحسن يحيى بن إسماعيل المأمون بن ذي النون صاحب طليطلة^(٢):

...الآن عاد الشباب خير معاده، وابتض الزمان بعد سواده، وترك الزمان فضل عنانه^(٣)، فله الشكر المردد بإحسانه. ووافاني - أيدك الله - كتابٌ كريمٌ كما طرّزَ البدرُ النهرَ، أو كما بللَ الغيثُ المطرَ، وطوّقتي طوقَ الهامة^(٤) وألبسني ظيلٌ

-
- (١) التوقيع: تعليق جملة في آخر الرقعة التي تقدّم إلى الحكومة بطلب ما (بصرف - لا بصرف - إن الله مع الصابرين - كما تدن ندان... الخ كما يعرف منه ماذا يراد أن يفعل بطلب الطالب).
- (٢) يحيى بن إسماعيل المأمون بن ذي النون حكّم في طليطلة (جنوب مدريد) من ٤٦٧ إلى ٤٧٨ هـ.
- (٣) العنان (بالكسر) اللجام. ترك (له) الزمان فضل (زيادة أو بقية عنانه): تركه بفعل ما يشاء.
- (٤) وطوّقتي (جعل حول عنقي طوقاً عقداً) طوق الهامة (مثل طوق الهامة: ثابتاً). وطوق الهامة ريش مخالف في لونه لون الريش في سائر جسم الهامة.

العمامة^(١)، وأثبت لي فوق النجم منزلةً وأراني الخطوبَ نائيةً عني ومعتزلة. فوضعتُه على رأسي إجلالاً ولتَمَّتْ كلَّ سطوره احتفاءً واحتفالاً.

- وله من رسالة يجري فيها مجرى الهزل:

.... مَمْلِي ومَمْلُكَ مَمْلُ رَجُلِي مِنَ الْعَرَبِ^(٢) اسْتَقْرَى عَقِيلَةَ رَبِيبٍ^(٣)، بَل سَلِيلَةَ فَضْلٍ وَحَسَبٍ. فَأَجَزَلْتُ قِرَاهُ وَأَكْرَمْتُ مَنَوَاهُ^(٤). فَلَمَّا اطْمَأَنَّ بِهِ الْمَجْلِسُ وَانْتَضَمَ النَّاسُ، سَعَتْ إِلَى بَعْضِ أَوْطَارِهَا فِرَاقَهُ مَا تَحْتَ إِزَارِهَا^(٥). فَجَعَلَ يُنْشِدُ:

يَا أُخْتَ خَيْرِ الْبَدَنِ وَالْحَضَارَةِ، مَاذَا تَرَيْنَ فِي قَتِي قِرَارَةٍ^(٦)،
أَصْبَحَ يَهْوَى حُرَّةً يَمُطِّارُهُ؟ إِيَّاكَ أَغْنِي وَاسْمَعِي، يَا جَارَةَ^(٧).

وكذلك غَيْرُكَ الْمُعَاظِبُ فِي شَوْوِي وَأَنْتَ الْمُرَادُ، وَإِلَيْهِ الْإِيْمَاءُ^(٨) وَفِيكَ يَبْدَأُ الْقَوْلُ وَيُعَادُ. وَاللَّهِ أَنْتَ مَا أَعْطَرَ خِلَالِكَ وَأَكْثَرَ اهْتِبَالِكَ^(٩). لَا زَالَتْ أَيْدِيكَ كَالْأَطْوَاقِ وَمَعَالِيكَ مُعْطَرَّةَ الْآفَاقِ.

- وله من رسالة في التعزية (الذخيرة ٣: ٨٤ - ٨٥):

الدنيا - أعزك الله - ليست بدارٍ قَرَارٍ. والمرء منها على شفا جُرْفٍ هَارٍ^(١٠). وَإِنَّمَا

(١) وألبسني ظلَّ العمامة (ما يدفع عني حرَّ الشمس من غير أن يؤذيني البرد): تفضَّل علي بنعمة بعد نعمة.

(٢) العرب: البدو.

(٣) استقرى: طلب القرى (بكسر القاف) الضيافة. العقيلة: السيدة المهدرة، الزوجة الكريمة، سيد القوم. الربيب: القطيع من الماشية. عقيلة وربوب (٤): اجل بنات قومها.

(٤) أجزلت: أكثرت. أكرمت منواه (مقامه، بالضم): أقامته عندها.

(٥) أوطارها: أغراضها، غاياتها. راقه: أعجبه. الإزار: ما تلبسه المرأة على جسمها (يبدو أن إزارها انكشف عن بعض جسمها).

(٦) قزارة: قبيلة من العرب.

(٧) مطارة: تستخدم العطر بكثرة. ذات رائحة عطرة. «إياك أعني....» مثل (أنا أنكلم عن غيرك وأعنيك).

(٨) الإيماء: الإشارة.

(٩) الاهتبال: اعتنام الفرصة (هنا: الذي يدرك حاجة السائل من التلميح).

(١٠) على شفا (طرف) جرف (شق الوادي إذا حفر الماء في أسفله) هار (الرمل المتساقط النهار) - مكان فيه خطر (يحشى منه السقوط).

هي جسرٌ على الطريق وعدوٌ في ثياب صديق^(١). ولما بلغتني وفاة فلان - رحمه الله ونصر وجهه وبرد شواه^(٢) - علمت أنك الجبل الذي لا يرتقي الجزع ذراه^(٣). وإن كان سهم المنايا قد أصاب حياً واستلب كريماً^(٤)، فقد أبقي الله بك الصدع مرؤوباً^(٥) والجزع مغلوباً.

٤- ** فلائد العميان ٦٤ - ٧٩؛ المغرب ٢: ٢٤٧؛ الذخيرة ٣: ٢٤ وما بعد؛ الحلة ٢: ١١٦ وما بعد؛ أعمال الأعلام ٢٠١ - ٢٠٢؛ الخريدة (الاندلس) ٢: ٣١٣ - ٣٣٠؛ الاعلام للزركلي ٦: ٢٠٧ (٥: ٣١٥) ووفاته فيه نحو ٤٨٠ هـ (وهو تقدير خاطيء).

أبو العرب مصعب بن محمد

١ - هو أبو العرب مصعب بن محمد بن أبي الفرات القرشي العنبري الزبيري الصقلي، وُلد في صقلية سنة ٤٢٣ (١٠٣٢ م). وقد تركها بعد أن استولى عليها النورمانيون، سنة ٤٦٤، وانتقل إلى إشبيلية (في الأندلس) - بدعوة من المعتد بن عبّاد (وفيات الأعيان ٣: ٣٣٣) - وكان المعتد يعرف له قدره ويبالغ في إكرامه. وقد حظي كذلك عند عدد من ملوك الطوائف وتردد إليهم. وانتقل أخيراً إلى بلاط ناصر الدولة مبشر بن سليمان في ميورقة (٤٨٥ - ٥٠٨ هـ) فتوفي في (جزيرة) ميورقة بعيد سنة ٥٠٧ (١١١٣ م).

٢ - أبو العرب مصعب بن محمد عالمٌ بالأدب وأديبٌ شاعرٌ متينُ الأسلوبِ عالي

(١) يقول أبو نواس:

إذا امتحن الدنيا ليسب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق.

(٢) نصر (بيض ونور) وجهه (يوم القيامة) وبرد شواه (إقامته في الجنة).

(٣) الجزع: الحزن مع الخوف. الذرى: أعلى الشيء.

(٤) استلب (الموت): أخذ.

(٥) الصدع: الشق. مرؤوب: مضموم، مجموع (إن موت ذلك الميت لم يفرق قومه لأنهم وجدوا سيّداً لهم

بعده لا يقل عنه).

النفس ، ولكن أثر أبي تمامٍ وأثر المتنبي يظهران في شعره واضحين . وأبرز فنونه المدح والوصف والخمر والحكمة .

٣ - مختارات من شعره :

- قال أبو العربِ مُصَنَّبٌ بنُ مُحَمَّدٍ في الخمر وفي الساقية :

- ★ أبهى المناظرِ في عَيْني وأحسُّها كَأْسٌ بكفِّ رَخيِمِ الدَّلِّ سَمَارٍ^(١) .
 كأنه إذ يُسَقِّي سادةَ زُهْرًا نَجْمٌ يُوْرَعُ نَجْمًا بَينَ أَقْمَارٍ^(٢) .
 ★ بِكْرٌ حَصانٌ إذا ما الماء واقعها أُبْدَتْ لنا زَبْدًا في سَوْرَةِ الفَضْبِ^(٣) .
 كادتْ تَطِيرُ نَفارًا حينَ نَافَسها ، لولا الشبَّاكُ التي صَيَّغَتْ من الحَبِّبِ .

- وله من قصيدة يمدح بها المعتمد بن عباد :

- يُشاهِدُ أسرارَ الزمانِ جَلِيَّةً بَيطَنَةَ مدلولِ البصيرةِ مُلَهَمِ .
 أيادِ أبانت عنه وهي صوامتُ ؛ وربُّ مُبَسِّسِينَ ليس بالمتكَلِّمِ :
 فلا الفَرَضُ الأقصى عليه بعاذبِ بعيدِ ، ولا المُعْتاصُ عنه مُبَيِّمِ^(٤) .

- وقال يمدح رجلاً بالقدرة على الظفرِ بكلِّ هاربٍ من سُلطانِه :

- كأنَّ فِجاجَ الأرضِ يُمناكَ ، إن يَيرِزُ بها خائفٌ تَجمَعُ عليه الأنامُ .
 فأتى يَفرُّ المرءُ عنك بِجرْمِه ، إذا كان يَطوي في يَدَيْكَ المَراحِلَ ؟
 - وقال في الحنين إلى وطنه صِقلِيَّةَ :

- الإمَّ اتَّباعي للأمافي الكواذبِ ، وهذا طريقُ الجديِ بادي المذاهبِ !
 أهُمَّ ولي عَزمابِ : عزمٌ مُشرِّقٌ وآخِرٌ يُفري هِمَّتِي بالمفاربِ .

(١) رخم : عذب (مطرب) . الدل : إظهار المرأة (على الحب) . سمار : كثير (حسن) السهر مع التدمان :

(٢) سادة زهر : بيض (كناية عن شرفهم ومكانتهم) .

(٣) بكر (خمر لم يشرب من إنائها أحد بعد) حصان (لم تلمسها كفت إنسان) . واقعها : جامعها (مزجت بالماء) .

(٤) العاذب : البعيد . المعتاص : الصب .

ولا بُدَّ لي أن أسألَ العيسَ حاجةً
 عَلَيَّ لآمالي اضطرابٌ مؤمِّلِي،
 فإيا نفسُ، لا تَسْتَضْجِي الهونَ إِنَّه
 ويا وَطَنِي، إنْ بِنْتُ عنكَ فَإِنِّي
 (إذا كان أصلي من تُرابٍ فَكُلُّها
 وما ضاقَ عَنِّي في البسيطة جانبُ
 إذا كُنْتَ ذا هَمٍّ فَكُنْ ذا عَزِيمَةٍ،
 تشقُّ على أخفافِها والنفوارب^(١).
 ولكن على الأقدارِ نُجْحُ المطالب^(٢).
 - وإنْ خَدَعْتَ أسبابُه - شرُّ صاحب^(٣)
 سأوطنُ أوكارَ العِتاقِ النَّجائبِ^(٤).
 بلادي، وكُلَّ العالمينَ أِقارِي^(٥).
 - وإنْ جَلَّ إِلَّا اعْتَضْتُ عنه بجانب.
 فما غائبٌ نال النجاحَ بغائب^(٦)!

٤-★★ التكملة ٣٨٦ (رقم ١٠٩٩ خريدة القصر (الأندلس) ٢: ١٠٢ - ١١٠٨ وفيات
 الأعيان ٣: ٣٣٣، ٣٣٤، نوح الطيب ٣: ٥٦٩ - ٥٧٠، ٤: ٢٦٠ - ٢٦١
 الأعلام للزركلي ٨: ١٥١ (٧: ٢٤٩).

ابن القصيرة الولي

١- هو أبو بكر محمد بن سليمان الكِلاعيُّ الإشبيليُّ الوليُّ الأندلسيُّ، لَمَلَّ مَوْلَدَه
 كان نحوَ ٤٢٠ هـ (١٠٢٩ م). نشأ ابنُ القصيرةِ في دولةِ المُعْتَضِدِ بنِ عبادٍ (٤٣٤ -
 ٤٦١ هـ) ثمَّ بَقِيَ عندَ المعتمدِ ونُكِبَ مَعَه، سنة ٤٨٤ هـ (١٠٩١ م). ولكنَّ يوسفَ بنَ
 تاشفينَ عادَ فقرَّبَه وضمَّه إلى كُتَّابِه. فانتقل ابنُ القصيرةِ إلى مَرَاكُشَ وبَقِيَ فيها إلى
 أن تُوُفِّي، سنة ٥٠٨ هـ (١١١٤ - ١١١٥ م).

٢- كان ابنُ القصيرةِ كاتباً مُتَرَسِّلاً مُجيداً. وكان له نَظْمٌ.

- (١) العيس: النياق. الحفَّ (بالضمِّ) للبعير كالقدم للإنسان. الغارب: أعلى الكتف. تشقُّ على أخفافها الخ:
 حاجة في مكان بعيد لا تستطيع أن تصل إليه النياق.
 (٢) اضطرب: تحرك (تقلَّ في البلاد).
 (٣) الهون: الهوان، الذلُّ.
 (٤) بان: ابتعد. العتاق النجائب: الإبل الأصيلة (القادرة على السير).
 (٥) راجع ص ١٨٥.
 (٦) يقول أبو تمام (ت ٢٣٢):
 ما أب من أب لم يظفر بمجنته ولم يغب طالب بالنجح لم يغب.

- كتب ابن القصيرة رسالة إلى الفتح بن خاقان منها:

وافنتي - أطال الله بقاءك - أحرفٌ كأنها الوشم في الحدود تَمِيسُ في حُللٍ
إبداعها^(١)، وإنك لسابقُ الحُلبَةِ لا يُذكرُ غبارُكَ في مضارها ولا يُضَافُ سرارُكَ إلى
إيدارها^(٢).... وما أنتَ في البلاغةِ إلا نُكتةٌ فلكها^(٣) ومُعجزةٌ تُشرفُ الدوُلُ
بتملكها. وما كان أخلقك بملكٍ يُدنيك ومَلِكٍ يَقْتَنِيكَ^(٤). ولكنّها الحظوظُ لا تَعْتَمِدُ
مَنْ تَتَجَمَّلُ به وتَشْرَفُ ولا تَقْفُ إلا على من تَوَقَّفُ^(٥). ولو أنفقتُ بحسبِ الرُتبِ لما
ضربتُ إلا عليك قباها ولا عطفَتُ إلا عليك أنوابها^(٦).

- وكتب عن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين إلى طائفةٍ مُتعديةٍ (لعلّ الرسالة إلى
بعض ملوك الأندلس بعد معركة الزلاقة):

أما بعد، يا أمةً لا تَمِيلُ رُشدَها ولا تَجْري إلى ما تَقْتَضِيهِ نَعْمُ اللهِ عندها ولا
تُقْلَعُ عن أذى تَفْسِيهِ قُرْباً ويُعدأ جُهدَها^(٧). فإنكم لا تَرَعُونَ لِجَارٍ ولا لغيره حُرْمَةً ولا
تُراقِبُونَ في مَوْمنِ الآ ولا ذِمَّةً^(٨). قد أعماكم عن مَصالحِكم الأشر^(٩)، وأضلكم ضلالاً
بعيداً البَطَرِ، وتَبَدَّثُمُ المعروفِ وراءَ ظُهورِكُمْ.... ليس فيكم زاجرٌ، ولا منكم إلا غَوِيٌّ
فاجرٌ.

- (١) الوشم: علامات ترسم على الجسم طلباً للجمال في الأكثر. تيس تبايل، تتخايل، تعتز وتفتخر.
- (٢) سابق الحلبه: الحصان الذي يأتي أولاً. السرار: حال القمر في آخر الشهر. الإيدار: امتلاء القمر في نصف الشهر. - ظلامك خير من نورهم.
- (٣) النكتة: النقطة البارزة. الفلك: مدار النجوم. نكتة فلك البلاغة: أبرز رجالها.
- (٤) ما أخلقك: ما أحقك. يدنيك: يقربك. يقتنيك: يخص نفسه بك.
- (٥) لا تعتمد من تتجمل به: لا تحسب حساب الذي يريدك قيمة، لا تطلبه وتقربه ابتداءً. من توقف: من طلب هو (التقرب من الملوك).
- (٦) ولو أن الدنيا عاملت الناس بحسب أقدارهم لقربتك (يا فتح بن خاقان). ضربت عليك قباها، الخ: أوتك، اعترت بك.
- (٧) تفسيه: تنشره. جهدها: أكثر ما تستطيع.
- (٨) رعى حرمة: حافظ على كرامته. ولا تراقبون... الخ: لا تحفظون له عهداً ولا حقاً.
- (٩) الأشر: النشاط (الاعتداد بالقوة).

٤- ** خريدة (الأندلس) ٢: ٣٤٢ - ٣٤٨؛ أعتاب الكتاب ٢٢٢ - ٢٢٤؛ قلاند
 العقيان ١١٧ - ١٢٠؛ المغرب ١: ٣٥٠ - ٣٥١؛ المحمدون ٣٥٨؛ الوافي بالوفيات
 ١٢٨: ٣ - ١٢٩؛ الصلة ٥٠٢؛ المجب ١١٥ - ١٢١؛ الأعلام للزركلي ٧: ٢٠ (٦):
 (١٤٩ - ١٥٠).

سراج بن عبد الملك بن سراج

١- أبو الحسين سراج بن عبد الملك بن سراج (ت ٤٥٦ هـ) بن عبد الله بن
 محمد بن سراج، وُلِدَ في قُرْبَةِ سَنَةِ ٤٣٩ هـ (١٠٤٧ - ١٠٤٨ م) واقتصَرَ في تَلْقَى
 العلم على أبيه عبد الملك (ت ٤٨٩ هـ) ثم تَصَدَّرَ للتدريس. ويبدو أَنَّهُ وَزَرَ للمُعْتَمِدِ
 ابن عبادٍ في إشبيلية. وكانت وفاة ابن سراج في ثاني عَشْرِي جُمَادَى الثانية من سَنَةِ
 ٥٠٨ (١١١٤/١١/٢٣ م).

٢- كان أبو الحسين بن سراج عالمَ زمانه في الحديث والفقه، كما كان بارعاً في
 اللُغَةِ والنحو مُلمِّعاً بالتاريخ والأدب. وكان شاعراً أَكثَرَ شِعْرِهِ الغزلُ والنسيب
 والحكمة.

٣- مختارات من شعره:

- قال أبو الحسين بن سراج في الحكمة:

بُتَّ الصنائع لا تحفل بموقمها: في مَنْ نأى أودنا، ما كُنْتَ مُقْتَدِراً^(١)؛
 كالغيث ليس يُبالي حينما انسكبَتْ، منه الغائمُ، تُرباً كان أو حَجَراً.

- وقال في النسيب:

لَمَّا تَبَوَّأَ مِنْ فُؤَادِي مَنْزِلاً: وغدا يُسَلِّطُ مَقْلَبِيهِ عَلَيْهِ^(٢)،
 نَادَيْتُهُ مُسْتَرْحِماً مِنْ زَفْرَةٍ: أَفْضَتْ بِأَسْرَارِ الضميرِ إِلَيْهِ:

(١) بُتَّ: نشر، فرَّق. الصنائع جمع صنيعه: عمل المروف. نأى: بعد.

(٢) تَبَوَّأَ: نزل، سكن في منزل الخ.

رُفِقاً بِمَزَلِكِ الَّذِي تَحْتَلُّهُ، يَا مَنْ يُخَرَّبُ بَيْتَهُ بِيَدَيْهِ!

٤-★★ قلائد العقبان ٢٣١-٢٣٢ معجم الأدباء ١١: ١٨١-١٨٢ بغية الملتمس
٢٩١-٢٩٠ (رقم ٧٨١)؛ المغرب ١: ١١٦-١١٧ معجم ابن الأثير ٣٠٥-
٣٠٧ خريدة (الأندلس) ٢: ٥١٩-٥٢١ المحمّدون من الشراء ٤٨٩-٤٩٠
الخريدة (الأندلس) ٢: ٤: ٥١٩-٥١٢ بغية الوعاة ٢٥١-٢٥٢ الديباج
المذهب ١٢٦.

ابن قزمان الكبير

١- هو أبو بكر محمد بن عبد الملك بن عيسى بن قزمان - يُعرفُ بابن قزمان
الكبير، تميّزاً له من من ابن أخيه أبي بكر محمد بن عيسى بن عبد الملك بن عيسى بن
قزمان الزجاجي المتوفى سنة ٥٥٥ (١١٦٠ م) - وُزَرَ أَوْلَ مَا وَزَرَ لِأَبِي حَفْصِ عُمَرَ بْنِ
مُحَمَّدِ الْمُتَوَكَّلِ صَاحِبِ بَطْلَيْوَسَ (٤٦٠-٤٨٧ هـ)، ولكن لعلّه لم يَزِرْ لِلْمُتَوَكَّلِ إِلَّا بَعْدَ
أَنْ انْفَرَدَ الْمُتَوَكَّلُ بِالْحُكْمِ، سَنَةَ ٤٧٣ (١٠٨٠ م). نال ابن قزمان هذا في أوّل الأمر
مكانة سامية وحياة ناعمة. ولكنّ الدهر عاد فقساً عليه قسوة شديدة؛ - جاء في
قلائد العقبان (ص ٢١٣) أَنَّ الْقَاضِيَ ابْنَ حَمْدَانَ تَعَمَّدَ الْإِسَاءَةَ إِلَيْهِ. وَلَكِنْ لَا أَعْلَمُ
مَنْ كَانَ ابْنُ حَمْدَانَ هَذَا. هنالك ابن حمدان تولى القضاء سنة ٥٢٩ (قضاة الأندلس
١٠٣)، في أيام ولاية يحيى بن علي بن غانية (ت ٥٤٣) والي غرناطة (راجع نفع
الطيب ٤: ٧٦)، ومن البعيد أن يكون ابن حمدان هذا مقصوداً برواية صاحب
القلائد^(١). وكانت وفاة ابن قزمان الكبير في سادس رجب من سنة ٥٠٨
(١١١٤/٧/٣ م).

٢- كان ابن قزمان الكبير وزيراً جليلاً من أسرة كان لها تقدّم في مناصب
الدولة، إلا أنه هو كان ضيق الصدر قليل الأنس بالناس. ثم إنه كان من أهل
البلاغة والبيان، كاتباً مترسلاً وشاعراً مجيداً. وفي شعره ونثره دُعابة ومجون

(١) في دائرة المعارف الإسلامية (٣: ٨٤٩) أن ابن قزمان ذلك كان في خدمة ابن حمدان هذا.

أحياناً، ولكنه مُجون مستور كما ترى في قطعتهِ النثريةِ في المختارات. وهو بارِعٌ في الوصفِ والغزل.

٣- مختارات من آثاره:

- قال ابنُ قُزَمانَ الكبيرُ في وصفِ جيشٍ ذاهبٍ إلى المعركة:

ركبوا السيولَ من الخيولِ وركبوا فوق العوالي السمرِ زُرْقَ نطافٍ^(١).
 واستودعوا الخللَ الجداولِ واصطفوا بيضَ الرؤوسِ من الحبابِ الطافي^(٢).
 وتجللوا الغدرانَ من ماذبيهم مُرَجَّةً إلّا على الأكتاف^(٣).
 - وقال بين الوصفِ والغزل:

قُلْتُ للعَيْنِ حينَ أذرتَ على الخَدِّ يدِ دُموعاً لا تَسْتَفِيقُ انهبالا^(٤)،
 جَزَعاً من صُدودِ أَحورَ قد حَيَّ حَيْرَ بالاً، وكم جَنى بَلْبالا^(٥):
 لا ترومي مِثالَ ما لم تَنالي والمَجِيهِ كما رأيتِ الهِلالا.
 فأجابت: لقد أَحَلتَ مِثالاً هو أنأى مِنَ الهِلالِ مَنالا.
 إنْ بَدَرَ السماءَ يَطْلُعُ للأدِّ صايرِ مُمَسى ومُصَبِحاً وزوالا^(٦).

(١) ركبوا خيولاً كثيرة (كأنها سيول). العوالي صدور الرماح. الأسمر: الجفاف الذي خرج بلونه عن لون النبات (لأن الرماح تعمل من القصب الفارسي). نطاف (بالكسر) جمع نطفة (بالضم): الماء الصافي (كتابة عن النصل الحديد في أعلى الرمح). زرق جمع أزرق (حينما يكون الماء في الحوض العظيم صافياً يبدو أزرق اللون (لانعكاس لون السماء فيه).

(٢) الخلة (بالكسر): غمد (بالكسر) السيف، بيته. الجداول (كتابة عن السيف) لأنه بياضه واهتزازه يشبه الجدول (مجري الماء في السهل). اصطفى: اختار. البيضة: الخوذة يضعها المحارف زمل رأسه. حباب الماء: فقاقيع مكورة بياض. وضعوا سيوفهم في أعهادها ولبسوا الخوذة (بضم ففتح) على رؤوسهم (لأنهم قاصدون إلى الحرب في مكان بعيد).

(٣) تجلّلوا: لبسوا. الماذي: الدرع اللينة. الغدران: مجرى من الماء يغادر النهر (٤). مرَجَّة: الدروع ليثة تهتز على أبدانهم (لأنها مصنوعة من الزرد: حلق من حديد). إلّا على الأكتاف فإنها ثابتة لأنه يكون على الأكتاف صفائح من حديد (٤).

(٤) أدري: نثر.

(٥) جزعاً: خوفاً. أحور: من كان في عينيه حور (بفتح ففتح: شدة بياض العين وشدة سوادها). جنى: ارتكب (سبب). البلبال: اضطراب الفكر.

(٦) الزوال: وقت مرور الشمس فوق الرؤوس (نصف النهار، الظهر).

وإذا ما استرَّ أبَ وقد ذا بَ اِكْتِثَاباً مِنْ أَنْ يُغَبَّ وَصَالاً^(١).
 وَهُوَ الْبَدْرُ قَدْ أَجَدَّ مَلَالاً وَاجْتِنَاباً كَمَا أَجَدَّ كَمَالاً^(٢).
 يَتَوَارَى مِنَ الْعُيُونِ نَهَاراً، وَمَعَ اللَّيْلِ لَا يَزُورُ خَيْالاً^(٣).

- وله في الحكمة بيتان فيها تشاؤمٌ وقسوة:

لَا تَطْمَئِنُّ إِلَى أَحَدٍ وَاحْذَرْ وَشَرِّزْ وَاسْتَعِذْ.
 فَالْكُلُّ كُلُّبٌ مُؤَسَّدٌ إِلَّا إِذَا وَجَّهُوا أَسَدٌ.

- وكتب رسالةً تهنئةً ومُداعبةً إلى عروس^(٤):

الْكَلْفَةُ بَيْنَنَا - أَعَزَّكَ اللَّهُ - جِدُّ سَاقِطِيَّةٍ، وَالحَالُ الْجَامِعَةُ لَنَا فِي أَقْصَى حَدِّ
 الْمُوَانَسَةِ وَالْمُبَاسِطَةِ^(٥). فَلَا نُكْرَهُ أَنْ تَتَبَّكَ السِّرِّ الْمُحَجَّبِ، وَلَا غَرَوُ أَنْ نَتَكَاشَفَ
 الْمَغْيِبِ^(٦). وَاتَّصَلْ بِي دُخُولِكَ بِعَقِيلَةِ أَتْرَابِهَا وَبِوَيْضَةِ خَدْرِهَا وَرَبَّةٍ مِحْرَابِهَا^(٧)،
 تُشَاطِرُكَ نَسْلَكَ كَمَا شَاطَرْتِكَ أَصْلَكَ^(٨)، (وَهِيَ) الَّتِي لَمْ تَكُنْ تَصْلُحُ إِلَّا لَهَا وَلَمْ تَكُنْ
 تَصْلُحُ إِلَّا لَكَ^(٩). فَخَدَمْتِكَ بِالنِّيَّةِ وَحَضَرْتِكَ عَلَى بُعْدِ الْمَشَقَّةِ وَتَقَاذُفِ الطَّيِّبَةِ^(١٠).

- (١) استرَّ: خفي (في آخر الشهر). أب: رجع (في أول الشهر). غبَّ الزيارة: جاء يوماً وترك يوماً.
 (٢) البدر أيضاً يَلُّ من الطلوع على الدنيا فيغيب عنها حيناً. هو دائماً يحدُّ كماله (طلوعه بديراً) ويحدُّ
 ملاله (غيبته عن سماء الدنيا بديراً).
 (٣) يوازن الشاعر هنا بين حبيبه والبدر (حبيبه بخالف البدر: لا يأتي لزيارتي نهاراً ولا أراه في منامي
 ليلاً).

(٤) العروس تقال على المرأة وعلى الرجل (وليس في القاموس عريس).

(٥) الحال الجامعة: (الموَانَسَةُ وَالْمُبَاسِطَةُ).

(٦) تتحدَّث في الأمور التي لا يزوج بها المتزوجون للمعرَّاب.

(٧) الدخول (اجتماع الرجل بالمرأة ليلة العرس). عقيلة (سيِّدة) أتْرَابِهَا (مِثْلَاتِهَا). وَبِوَيْضَةِ خَدْرِهَا (المصونة
 التي لا يطلع أحد على أحوالها). وَرَبَّةٍ (صاحبة) مِحْرَابِهَا (كناية عن كثرة صلاتها وتقواها).

(٨) شترت معك في الاتيان بنسل كما قد جئت من أصل واحد (من أسرة كبيرة واحدة).

(٩) قال الشاعر العبَّاسي أبو العتاهية (ت ٢١١) يمدح الخليفة المهدي:

أنته الخِلافة منقادة إليه تجرُّ أذيالها.

فلم تك تصلح إلا له ولم يسك يصلح إلا لها.

(١٠) بعد المشقة (كذا في الأصل: بالميم) والصواب: المشقة (بالضمة): السفر البعيد، المسافة الطويلة. وتقاذف =

وسألت الله أن يُبارك لك ويبارك عليك، ويجمع بينكما في خيرٍ وعافيةٍ على أسعدِ الجَدِّ وأمينِ الطيرِ إلى آخرِ القافية^(١). ثم ترقبتُ كتابك مُودِعاً من وصفِ حالِكَ ما يُنبئُ فحواه عن اجتماعِ شَمْلِكَ ونعمةِ بِالكِ. فراثني التواؤهُ وَقَدَحَ في نشاطي توقُّهُ وإبطاؤهُ^(٢). وتسلَّطتُ عليّ الظُنُونُ وَخِفْتُ ما عسى ألا يكون. وساء لي أن أَسْمَطِرَ مِن الأملِ جَهما، وأستنصرَ لذي ذلك العملِ كَهما^(٣)، ويَحيدُ صاحبِكَ مُعَرِّداً عن المناجزة لا يُدأُّ بالمناجزة^(٤)، منقطعاً عن موضعِ الحججِ، مبدعاً به عن مستقبلِ مَفَرِّقِ الطريقِ ولَقَمِ المنهجِ^(٥) :

تريسدُ جَوًّا وَيُريسدُ بَرًّا كأننا أُسِطَطَ شَيْئاً مُرًّا^(٦) .

ثم قُلْتُ: لَمَلَّه قد حَظِي بما جُنِي له فافتتحَ الحِصْنَ الذي نازَلَه قسراً، وتخلَّه كيف شاء مَجالاً ومَكْرًا، وأفضى به انصداعُ ما صدَّعَه إلى التَّيَّامِ، وانشعابُ ما شَعَبَه إلى انتظامِ والتحامِ. ولُهي بتوابعِ هذه الحالِ التي هي أخت الإمرَةِ وجامعَةُ أَفانينِ^(٧) المِسرَةِ عن صديقي يَصِلُهُ بكتابِ إليه يُعلمه^(٨). وإن يكن ذلك فهناك وظَفِرَت يداك، وإن يكن ما عداه - ويكفي الله - فَمَعَ اليومِ غَدًا^(٩)، وفي اللَّمَمِ خِلالَ ذلك

= الطيبة: التردد في الجهات (مناطق البلاد) لعل الزوج كان قد قضى وقتاً طويلاً في البحث عن زوجة له.

(١) الحد: الخط. أمين الطير (في أحسن الساعات الميمونة: المباركة). إلى آخر القافية: إلى آخر الجمل التي تمر عن هذا المعنى.

(٢) التواء الكتاب (ترك إرساله). قدح في نشاطي (جعل رغبتني في صداقتك فائزاً؟).

(٣) المهام (بالفتح): السحاب لا ماء فيه. الكهام (بالفتح): (السيف) المفلول (الذي لا يقطع).

(٤) صاحبك (كناية عما لا يجوز ذكره). عرد: أحجم، تأخر. المناجزة: القتال. لاذ: لجأ. المناجزة: الفصل بين المتقاتلين.

(٥) مبدع به: مخدول، منقطع. اللقم: الطريق الواضح.

(٦) جَوًّا (في الداخل). بَرًّا (في الخارج). أسطط: أعطي سعوطاً (بالفتح): دواء يستنشق فيمطس منه.

(٧) لُهي (مثل فرج) ولُهي (بالبناء للمجهول): تلهي، استعاض بالزح عن الجد (بالكسر). أَفانين (جمع) فنون جمع فن: أنواع. أخت الإمرَة (الإمارة) - لذّة الزواج مثل السرور بتولي الإمارة والملك.

(٨) كأن الجملة هنا ناقصة كلمة أو أكثر.

(٩) فَمَعَ اليومِ غَدًا: إن لم تنجح الآن فيمكن أن تنجح في مرة قادمة.

مُتَعَلِّلٌ^(١). ثمَّ لا يَشْغَلُ عَنِ الْكِتَابِ جَدَلٌ وَلَا يَجُولُ دُونَهُ خَلَلٌ^(٢).

٤- ** * فَلَائِدُ الْمُقْيَانِ ٢١٣ - ١٢١٤ الذَّخِيرَةُ ٢: ٧٧٤ - ١٧٨٦ خَرِيدَةُ (الْأَنْدَلُسِ) ٢: ٢٨٧ الْمَغْرِبِ ١: ٩٩ - ١١٠٠ دَائِرَةُ الْمَعَارِفِ الْإِسْلَامِيَّةِ ٣: ١٨٤٩ نِيكَل ٣٠٢، مَخْتَارَاتُ نِيكَل ١٧٨ - ١٧٩، الْأَعْلَامُ لِلزُّرْكَلِيِّ ٧: ١٢٧ (٦: ٢٤٨).

أبو الحسن بن الحاج (*).

١- هو أبو الحسن جعفر بن إبراهيم بن أحمد بن حسن بن سعيد بن أحمد بن سعيد المغافري من أهل لورقة؛ سَمِعَ مِنْ أَبِي عَلِيٍّ حُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّدِّيقِ (ت ٥١٤ هـ). اتَّصَلَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الْحَاجِّ بِبَنِي عَبَّادٍ لِيَتَكَسَّبَ عِنْدَهُمْ بِالشِّعْرِ فَلَمْ يَنْلُ عِنْدَهُمْ حِظْوَةً لِأَنَّ أَحْوَالَهُمُ السِّيَاسِيَّةَ كَانَتْ قَدْ سَاءَتْ. وَيَبْدُو أَنَّهُ كَانَ فِي أَوَّلِ حَيَاتِهِ مُنْدَفِعاً فِي اللُّهُوتِ مَالاً إِلَى الزُّهْدِ وَالنَّسْكِ. وَلَعَلَّ وَفَاتَهُ كَانَتْ نَحْوَ سَنَةِ ٥١٠ هـ (١١١٦ م).

٢- كان أبو الحسن بن الحاج شاعراً مُجِيداً مُحْسِناً جَيِّدَ الْمَعَانِي فَصِيحَ الْأَلْفَاظِ مَتِينِ السَّبْكِ، وَفَنُونَ شِعْرِهِ الْمَدِيحُ، مَدَحَ بَنِي عَبَّادٍ وَبَنِي رُحَيْمٍ، وَالْعِتَابُ وَالْمُجَلَّةُ وَالغَزَلُ وَالنَّسِيبُ وَالْوَصْفُ الْبَارِعُ، يُلِمُّ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ كُلِّهِ بِالْحِكْمَةِ. وَهُوَ عَظِيمُ الْإِجَادَةِ فِي الْمُقَطَّعَاتِ لَهُ فِي كُلِّ مَقْطُوعَةٍ لَفْتَةٌ بَارِعَةٌ.

٣- مَخْتَارَاتُ مِنْ شِعْرِهِ:

- قَالَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الْحَاجِّ يُعْرَضُ بِالْبِخْلَاءِ:

عَجَبًا لِمَنْ طَلَبَ الْحَا مِدَّ وَهُوَ يَمْنَعُ مَا لَدَيْهِ،

(١) اللُّمُّ: الذُّنُوبُ الصَّغِيرُ (هَذَا: التَّجْبِيلُ وَمَا يَشْبَهُهُ). خِلَالُ: فِي أَثْنَاءِ. مُتَعَلِّلٌ: شَيْءٌ مِنَ التَّنَوُّعِ.
(٢) ثُمَّ لَا يَشْغَلُ عَنْ... (وَمَعَ ذَلِكَ فَكُلُّ مَا اتَّفَقَ لَكَ لَا يَجِبُ أَنْ يَمْنَعَكَ عَنْ أَنْ تَكْتُبَ إِلَيَّ رِسَالَةً قَصِيرَةً).
الْجَدَلُ: الْفَرَحُ. الْخَلَلُ: نَقْصَانُ الْحَالِ أَوْ فُسَادُهُ.

(*) وَصَفَهُ الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ (الْقَلَائِدُ ١٥٨) بِذِي الْوِزَارَتَيْنِ. كَمَا ذَكَرَ ابْنَهُ مُحَمَّدًا (الْقَلَائِدُ ١٦٣) بِأَنَّهُ ذُو الْوِزَارَتَيْنِ أَيْضًا.

ولباسٍ آمالٍ هـ في الهدى لم يَسُطُ يَدَيْهِ
لَمْ لَا أَحِبُّ الضيفَ أو أرتاحُ من طَرَبِ إليه،
والضيفُ يأكلُ رزقَهُ عِنْدِي وَيَحْتَدِي عَلَيْهِ^(١)!

- وله في صديقي سَيِّءِ الظُّنُونِ يُسَوِّغُ احتالَهُ إياه على ما فيه:

لي صاحبٌ عَمِيَّتْ عَلَيَّ شُؤْنُهُ: حركاته مجهولةٌ وسُكُونُهُ.
يرتابُ بالأمرِ الجَلْبِيِّ تَوَهَّأً، وإذا تَيَقَّنَ نازَعْتُهُ ظُنُونُهُ.
ما زِلْتُ أَحْفَظُهُ على شَرِّ قَمِي بِهِ كالشَّيْبِ تَكَرَّهُهُ وَأَنْتَ تَصُونُهُ^(٢)!

- وقال في الأصدقاء عند الرخاء لا عند الحاجة إليهم:

كلُّ من تَهْوَى صديقٌ مُنْجِصٌ لك ما لا تَتَّقِي أو تَرْتَجِي^(٣).
فإذا حاولتَ نصرأ أو جَدَأً لم تَقِفْ إِلَّا بِيَابِ مُرْتَجٍ^(٤)!
- وله في معنى قريبٍ من ذلك:

كَفَى حَزْناً أَنْ المِشَارِعَ جَمَّةٌ وَعِنْدِي إِلَيْهَا غَلَّةٌ وَأَوَامٌ^(٥).
ومن نَكَدِ الأَيَّامِ أَنْ يَغْدَمَ الغِنَى كَرِيماً، وَأَنَّ المَكْثَرِينَ لِشَامٍ^(٦)!

- وقال يعرَضُ ببني عَبَّاد:

تَمَرَّ عن الدنيا ومَعْرُوفٍ أَهْلِهَا إِذَا عُدِمَ المَعْرُوفُ فِي آلِ عَبَّادٍ.
أَقَمْتُ بِهْمِ ضَيْفًا ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ بِغَيْرِ قَرَى، ثُمَّ انصرفتُ بِلا زادٍ^(٧).

- (١) إنَّ الله تعالى يرسل رزق الضيف إليّ ثم يأتي الضيف فيأكل ما أرسله الله إليه ويمدني (يشكرني) أنا.
(٢) يصونه: يحافظ عليه (لأنَّ ذهاب الشيب هو الموت) شرق (يفتح فكسر) فلان باللاء: عصر.
(٣) محض إنسان إنساناً النصيحة: كان مخلصاً في النصح. تتقي: تحاف. ترتجي: تأمل، تنتظر، تريد لنفسك.
(٤) الهدا: العطاء. مرتج: مقلق.
(٥) المشرع: مكان الشرب. جمّة: كثيرة. غلّة: شدّة العطش وحرارة الجوف. الأوام: اشتداد العطش حتّى يضحّ منه الإنسان.
(٦) المكثّر: الذي عنده مال كثير.
(٧) قرى: ضيافة.

- ٤- ** * ثلاثه العقيان ١٥٨ - ١٦٣ : بغية المتنسى ٢٤١ - ٢٤٢ (رقم ٦١٦)؛ المغرب ٢ :
 ٢٧٧ - ٢٨١ : الخريدة (المغرب والأندلس) ٢ : ١٣٩ - ١٤٧ ؛ المطرب ١٧٥ -
 ١٧٧ : معجم ابن الأبار ٦٩ - ٧٠ ؛ بغية الوعاة ١٢٤١ نفع الطيب ٢ : ١٠٨ ، ٣ :
 ٢٥٩ - ٢٦٠ ، ٢٦٢ - ٢٦٣ ، ٥٩٦ - ٥٩٧ ، ٤٠٥٩٧ : ٢٢٦ .

الجَزَارِ السَّرَقِطِي

١- هو أبو بكر يحيى السَّرَقِطِي (من سَرَقِطَةَ، في شَمَالِي الأندلس) كانت جِرْفَتُهُ الجِزَارَةَ أَوْ البِقَابَةَ - وهي بَيْعُ اللحم - . ويبدو أَنَّهُ ترك الجِزَارَةَ مَدَّةً وأرادَ أن يتكسَّبَ بالشعر فلم يُوفِّقَ، فعاد إلى القِصَابَةِ . ثم إنَّ الأبياتَ الثلاثةَ في المختارات تدلُّ على أَنَّهُ عَيَّنَ مَدَّةً في ديوانِ الحِرَاجِ (لجمع الضرائب)، مع أَنَّهُ كان في أوَّلِ حياته يشكو العُمَالِ (جامعي الضرائب)، ثم رأيناه يدافعُ عنهم في الأبياتِ الثلاثةَ المذكورةَ . ولعلَّ وفاته كانت نحو سنة ٥١٥ هـ (١١٢١ م) . ويبدو أَنَّهُ كان صديقاً لابنِ حِداي الذي غادر الأندلس إلى القاهرة سَنَةَ ٤٩٥ هـ (راجع القطعة الأولى في المختارات) .

٢- كان الجَزَارِ السَّرَقِطِيُّ شاعراً مَقْصِداً ووشاحاً جيِّدَ الطَّبَعِ (قليل التكلُّف) سهلَ الشعرِ إلى حدِّ الضَّعْفِ أحياناً . والهزلُ يَغْلِبُ على شعره . وفنونه المدحُ والأسْتِعْطَافُ، وهو فيها كثيرُ الشكوى . وله خمریاتٌ وشيءٌ من الحكمة ومن القِصَصِ، ومن الهجاءِ مع التهكمِ .

٣- مختارات من شعره:

- كتب الوزيرُ أبو الفضلِ بنُ حِداي^(١) إلى ابنِ الجَزَارِ السَّرَقِطِيِّ:
 تركتَ الشعرَ من ضَعْفِ الإِصَابَةِ وعُدتَ إلى التِجَارَةِ والقِصَابَةِ^(٢) .
 فردَّ ابنُ الجَزَارِ على هذا البيتِ بقصيدةٍ منها:

(١) أبو الفضل يوسف بن أحد حِداي طبيب أصله من الأندلس ثم انتقل إلى مصر سنة ٤٩٥ هـ أو بعد ذلك بقليل (عيون الأنباء ٣ : ٥١) .
 (٢) الإِصَابَةُ: الصواب (التوفيق في العمل) . القِصَابَةُ: القطع (مهنة القصاب: الجَزَارُ، بائع اللحم) .

تَمِيبُ عَلِيٍّ مَأْلُوفَ الْقَصَابَةِ .
 وَلَوْ أَحْكَمْتَ مِنْهَا بَعْضَ فَنٍّ
 فَإِنَّكَ لَوْ نَظَرْتَ إِلَيَّ فِيهَا
 لَهَالِكَ مَنْظَرِي؛ وَلَقُلْتُ: هَذَا
 فَتَكُنَا فِي بَنِي الْعَزِيٍّ فَتَكَا
 وَلَمْ نُقْلِعْ عَنِ الثَّوْرِيِّ حَتَّى
 وَقَدْ شَهِدْتَ لَنَا كَلْبٌ وَهَرٌّ
 وَمَنْ يَغْتَرُّ مِنْهُمْ بِامْتِنَاعِ ،
 وَيَبْرُزُ وَاحِدٌ مِنْهُ لِأَلْفِ
 أَبِي الْفَضْلِ الْوَزِيرِ، أَجِبْ نِدَائِي،
 وَإِصْفَاءً إِلَى شَكْوَى شُكُورِ
 وَحَقِّكَ، مَا تَرَكْتُ الشِّعْرَ حَتَّى
 وَحَتَّى زُرْتُ مُشْتَاقًا خَلِيلِي

وَمَنْ لَمْ يَذَرِ قَدْرَ الشَّيْءِ عَابَةً .
 لَهَا اسْتَبَدَّلْتَ مِنْهَا بِالْحِجَابِ (١) .
 وَحَوْلِي مِنْ بَنِي كَلْبٍ عِصَابَهُ (٢) ،
 هَزُنٌ صَيَّرَ الْأَوْضَامَ غَابَهُ (٣) .
 أَقْرَ الدُّعْرَ فِيهِمْ وَالْمَهَابَهُ (٤)
 مَزَجْنَا بِالْدَمِّ الْقَائِي لُعَابَهُ (٥) .
 بَأَنَّ الْمَجْدَ قَدْ حُرْنَا لُبَابَهُ (٦) .
 فَإِنَّ إِلَى صَوَارِمْنَا إِيَابَهُ (٧) .
 فَيَغْلِبُهُمْ، وَتِلْكَ مِنَ الْغُرَابِ .
 وَفَضْلُكَ ضَائِمٌ عِنْدَكَ الْإِجَابِ ،
 أَطَلَّتْ عَلَى صِنَاعَتِهِ عِتَابَهُ
 رَأَيْتُ الْبُخْلَ قَدْ أَوْصَى صِحَابَهُ (٨) ؛
 فَأَبْدَى لِي التَّحْيِيلَ وَالْكَآبَةَ (٩) .

(١) الحجابة (في الأندلس): رئاسة الوزارة.

(٢) عصابة: جماعة. من بني كلب = من الكلاب (في هذا تورية: بين بني كلب القبيلة الماهلية وبني الكلب، أي الكلاب).

(٣) حال: أخاف. الهزير: الأسد. الوض (يفتح ففتح): الخشية أو الدفء الذي يقطع الجزار عليه اللحم. الغاب في الأصل جمع غابة. صيَّرَ الأوضام غابه (يفترس الغنم على الوض كما يفترس الأسد فرائسه في الغابة).

(٤) بني العززي: المعزى.

(٥) الثوري (هنا) الثور (ذكر البقر) تورية مع الثوري المنسوب إلى قبيلة نور (راجع القاموس ١: ٣٨٤). القائي (من الفارسية، قان: دم): الشديد الحمرة. اللعاب: الريق في الغنم.

(٦) كلب (أي الكلاب) وهرة (أي الحررة) تُقَرُّ لَنَا (لجماعة الجزارين) بَأَنَّ خِلَاصَةَ الْمَجْدِ لَنَا نَحْنُ (لأنها تأكل من فضلات اللحم التي نلقىها إليها).

(٧) والذي لا يابه بنا (من الغنم والبقر) إِذَا مَرَّ بِنَا (اغتراراً منه بأنه ناج) فسيأتي دوره في الذبح يوماً ما.

(٨) كان الجزار السرقسطي قد ترك الجزارة وجعل يمدح الوجاه فلم يعطوه على المدح بالشعر. البخل أوصى صحابه (أصحاب المال) يمنع ما لهم عن الناس.

(٩) التحييل (كيلا يقابلني) والكتابة (الحزن).

وظنّ زيارتي لطلابٍ شيء ، فنأفرتني وغلظت لي حجابيه^(١) .

- كان والدُ الجزّارِ يحيى السرقسطيُّ قد تقبّل أرضاً للأحباس (ضمن قطعة من أراضي الأوقاف) ليزرعها ثم يؤدّي عنها خراجها فضاع (خسر) واجتمع عليه خراجُ الأرض (تراكمت عليه الضرائب) فكتب (يحيى عن والده) إلى العاملِ (جامع الضرائب) يستقبله (يطلب منه إعفاءه من ضمان الأرض مع إسقاط الضرائب عنه):

يا أبا جعفر، لعمّ من عثارِ
سيدي، أسمع لعبدك القنّ يحيى
كان لي والدٌ، وكان - لعمري -
كاملُ الرأي تاجرُ البرّ والبحر
مثل ما سميّ اللديغُ سليماً؛
وكذا يسلكُ النجيبُ ويقفو
لو وردتُ البحارَ أطلبُ ماءً
أو لمتُ العودَ النضيرَ بكفي
فاكتراها - ولم يكن مستخيراً -
وغيثاً فما يقرُّ قراري^(٢) .
خبراً مضحكا من الأخبار^(٣) :
في بني العصر بالفلاحة دار^(٤) .
ر، وناهيك، فارس في التجار^(٥) ،
وأنا بعده على ذاك جار^(٦) .
نهج آثار^(٧) :
جفاً قبل الورود ماءً البحار^(٨) ؛
لذوى بعد نضرة وأخضرار .
وقت شؤم بطالع الإذبار^(٩) .

(١) الحجاب: الستر (منع العامة من الدخول على الملوك).

(٢) أبو جعفر (هنا) اسم العامل الذي كان يجمع الضرائب على الأراضي في أيام الجزّار السرقسطي . لعمّ: رفعاً لك من عثرتك . غيثاً: أغثني، أنقذني . لا يقرُّ فراري: لا أستطيع الهدوء والاطمئنان (لكثرة الضرائب التي تطالبي بها).

(٣) القنّ: العبد الدائم أو المرتبط بالأرض .

(٤) دار (حقها أن تكون دارياً - هي خير كان) . - من هذا البيت وما بعد يبدأ الشاعر بالتهكم بأبيه: دار بالفلاحة (يقصد: غير دار بها) كامل العقل (يقصد: ناقص العقل) الخ .

(٥) ناهيك: يكفيك . التجار (بتسهيل الجيم) كالتجار (بتشديد الجيم) .

(٦) اللديغ: الذي لدغته الحية (يسى سليماً تفاقلاً بأنه شفى من اللدغة) . وأنا سائر على خطي والذي (جاهل مثله في هذه الأمور) .

(٧) النجيب: الولد الذكي . يقفو: يتبع . نهج: طريق .

(٨) الورد (بالكسر): الذهاب إلى الماء) .

(٩) أكثرى (ضمن، استأجر) هذه الأرض من غير أن يستخير الله (أن يطلب من الله أن يكون في عمله

جَذْبَةً، بَعْضُهَا مِنْ الشُّومِ أَضْحَى فِي عُلُوِّ وَبَعْضُهَا فِي انْحِدَارِ^(١).
 لَمْ يَزَلْ زَارِعاً بِهَا حِمْلَ بَغْلٍ رَافِعاً مِنْهُ نِصْفَ حِمْلِ حِجَارٍ.
 سَاءَ فِي مَا أَصَبْتُ فِيهَا، وَلَكِنْ سَرَّني مِنْهُ خَيْبَةُ العَشَارِ^(٢).
 مَا أَبَالِي؛ وَقَدْ غَدَا لِي رُكْنًا صَاحِبُ الشَّرْطَةِ الكَرِيمِ النِّجَارِ^(٣).

- وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ بِنِ الجَزَارِ السَّرْقِطِي فِي الحِكْمَةِ (نَفْحِ الطَّيْبِ ٣ : ٥١٨):

إِيَّاكَ مِنْ ذَلَّلِ اللِّسَانِ، فَإِنَّا عَقَلُ الفَتَى فِي لَفْظِهِ المَسْمُوعِ.
 وَالمَرْءُ يَحْتَسِبُ الإِنْسَاءَ بِنَقْرِهِ لِيَرَى الصَّحِيحَ بِهِ مِنَ المَصْدُوعِ^(٤).

- وَقَالَ فِي بَقَاءِ الذِّكْرِ الحَسَنِ بَعْدَ ذَهَابِ المَالِ وَذَهَابِ أَصْحَابِ المَالِ المُوْهَبِ

(نَفْحِ الطَّيْبِ ٣ : ٤٦٤):

ثَنَاءُ الفَتَى يَبْقَى، وَيَنْقُضُ ثَرَاؤُهُ. فَلَا تَكْتَسِبِ بِالمَالِ شَيْئاً سِوَى الذِّكْرِ.
 فَقد أَبْلَتِ الأَيَّامُ كَفْباً وَحَاتِماً، وَذَكَرُهَا غَضُّ جَدِيدٍ إِلَى الحِشْرِ^(٥).

- وَله مِنْ مَوْشَحَةٍ:

وهِمْ بِاقتِضَاحٍ فِي الفَيْدِ المِلاخِ وَقُمْ لِاصْطِيَاخِ^(٦)
 بِكَاسِ المَدَامِ تَمَّ اشْرَبَ هَبِيَا وَاسِقِ النَّدَامِ^(٧)

★ ★ ★

(خير). بل اتفق أن كان الوقت وقت شوم وأن الكواكب كانت في الإدبار، أي في الرجوع (كواكب نحس).

(١) جذبة (مؤنث جذب: مجذب، قليل الخصب بالكسر).

(٢) سرني خيبة العشار (جامع العشور: الضرائب). وعند الزمن الأقدم كان الناس يكرهون دفع الضرائب.

(٣) النجار: الأصل والحسب.

(٤) المصدوع: المشقوق.

(٥) كعب بن مامة وحاتم الطائي من الأجواد (الكرماء) في الجاهلية.

(٦) هم (بكسر فسكون) فعل أمر من هام بهم (أحب حباً شديداً). الاقتضاح: اشتهاه الإنسان بما لا يليق. الفيد جمع غيداء (المرأة الجميلة) التي تنابل في مشيها. الميحة: الحسنة المنظر (في اللون خاصة؟). تم (انقض باكراً) الاصطياع: شرب الخمر صباحاً.

(٧) الدمام: الخمر. ندام (بالكسر) وندماء (بالضم) جمع نديم: المصاحب على شرب الخمر والمسامر (الشريك في الحديث في الليالي).

فتاة كعاب نعيم الشباب عليها مذاب^(١)
كروض الغام لها المسك ريا والدر ابتسام

- وشكا جماعة من الناس عمّالهم (جامعي الضرائب) فوقع على كتاب شكواهم:
نَسَبْتُمُ الْجَوْرَ لِعَمَالِكُمْ وَنِسَبْتُمْ عَنْ سُوءِ أَعْمَالِكُمْ^(٢).
لا تَنسَبُوا الْجَوْرَ إِلَيْهِمْ، فَمَا عُمَالِكُمْ إِلَّا كَأَعْمَالِكُمْ.
تَاللَّهِ، لَوْ مَلَكَتُمْ سَاعَةً مَا خَطَرَ الْعَدْلُ عَلَى بَالِكُمْ!

٤-★★ الذخيرة ٣: ٩٠٥-٩٠٨؛ المغرب ٣: ٤٤٤-٤٤٥؛ زاد المسافر ١٤٠-١٤١؛
جيش التوشيح ١٤٧-١٥٧ (راجع ٢٥٩-٢٦١)؛ فتح الطيب ٣: ٤٦٤، ٥٩٨،
٦٠٩.

ابن النحوي التوزري (*)

١- هو أبو الفضل يوسف بن محمد بن يوسف المشهور بابن النحوي التوزري وُلدَ
في القيروان، سنة ٤٣٣ هـ (١٠٤١ م) وقرأ العلم في بلده ثم دخل المغرب وتطوّفَ
فيه واستقر في قلعة بني حماد قرب بجاية. وقد حج وزار مصر.
تصدّر ابن النحوي التوزري للتدريس وأقرأ النحو خاصة، وكان لا يقبلُ على
التدريس شيئاً، بل كان يعيش من ضيعة له في توزر. وكانت وفاته في قلعة بني حماد
سنة ٥١٣ هـ (١١١٩ م) في الأغلب.

٢- ابن النحوي التوزري عالم قصّر حياته على طلب العلم ونشره، وكان فقيهاً
يميل إلى الاجتهاد. ثم هو شاعرٌ ومُصنّفٌ، له الوصية، وتُنسبُ إليه قصيدة
« المنفرجة » (وتسمى أيضاً: الفرج بعد الشدة) نظمها شُكراً لله، فقد كان ضاع له
مالٌ ثم رُدَّ إليه. وقد نالت هذه القصيدة شهرة كبيرة فسرّحها كثيرون وخمّسها

* تورر في القطر التونسي

(١) الفتاة الكعاب: التي كعب أو استدار ثديها (في أول شبابها).

(٢) الجور: الظلم.

آخرون، وقد كثر اعتقادُ الناسِ فيها وجعلوا قراءتها وسيلةً إلى تفرّجِ كروبهم ونيلِ أمانيتهم. وقد نُسبتَ هذه القصيدةُ إلى محمد بنِ أحمد بنِ إبراهيم العطارِ القرشيّ الأندلسيِّ المتوفى سنة ٥٩٠ هـ (١١٩٤ م)، كما نُسبتَ إلى الغزالي (بروكلمان ١ : ٣١٦، راجع أيضاً طبقات السبكي ٥ : ٢٤ - ٢٥). وقصيدةُ « المنفرجة » خاصةٌ قريبةُ المعاني جداً ثلاثم أذواقَ عامةِ الناسِ وهي منظومةٌ على بحرِ الحنّبِ المُرْقَصِ القليلِ في الشعر. وتراكيبها سهلةٌ جداً أيضاً تُضَعَّفُ أحياناً كثيرةً.

٣- مختارات من شعره:

- مختارات من قصيدة « المنفرجة »:

اشتدّي، أزمّة، تنفرجي؛	قد آذنَ ليلك بالبلج ^(١) .
وظلامُ الليلِ له سُرُجٌ	حتّى يَفتّشَ أبو السُرُجِ ^(٢) .
وسحابُ الخيرِ له مطرٌ،	فإذا جاء الإبانُ تجي ^(٣) .
وفوائدُ مولانا جملٌ	لسروجِ الأنفسِ والمُهَجِ ^(٤) ؛
ولها أَرَجٌ مُخيّ أبداً،	فاقصِذْ مُخيّ ذاك الأَرَجِ ^(٥) .
والخلقُ جميعاً في يَدِهِ:	فذوؤ سَمَةٍ وذوؤ حَرَجِ ^(٦) ؛
ونزولُهُم	فإلى دَرَكٍ وعلى دَرَجِ ^(٧) ،
ومعايشُهُم	ليست في المَشْيِ على عَوَجِ ^(٨) .

(١) الأزمة: الضيق والشدة. البلج: الضوء. - آذن ليلك بالبلج (البياض): قرب طلوع النهار.

(٢) سرج (هنا): نجوم. أبو السرج: الشمس.

(٣) الإبان (يكسر الهمزة وتشديد الباء): الزمن، الموسم.

(٤) مولانا: ربنا (الله). جل: كثيرة. سروج (جمع سرج) وسروج (يفتح السين): السريع من الخيل والإبل، والشروح (لم يتضح لي معنى البيت معها).

(٥) أَرَج: رائحة طيبة. أبداً: دائماً. مخيّ ذاك الأَرَج: الله. - لا تحاول أن تستعيد نشاطك بسمِ الرائحة الطيبة، بل الجأ إلى خالق هذه الرائحة.

(٦) ... من الخلق (الناس) من هو في سَمَةٍ من العيش ومن هو في ضيق.

(٧) الدرك: للنزول (إلى أسفل) والدرج: للصعود (إلى أعلى). - كلُّ أعمالِ البشر مقدرَةٌ عليهم.

(٨) لا يستطيع الناس أن يمشوا (بالسير الأعوج: خلافاً للقانون الإلهي) لبلوغ ما يريدون بإرادتهم.

جِئْتُمْ نُسِجَتٍ بِيَدِ حَكَمَتٍ
 فَإِذَا اقْتَصَدْتَ ثُمَّ انْفَرَجَتْ
 شَهَدَتْ بِعَجَائِبِهَا حِجَجٌ
 مُسِيحَ الْعَقْلِ الْآتِيهِ هُدًى،
 وَخِيَارُ الْقَوْمِ هُدَاتُهُمْ،
 وَإِذَا كُنْتَ الْمَقْدَامَ فَلَا
 وَإِذَا أَبْصَرْتَ مَنَارَ هُدًى
 وَالرِّفْقُ يَدُومُ لِصَاحِبِهِ،
 ثُمَّ اتَّسَجَتِ بِالْمُنْتَسِجِ: (١).
 فَبِمُقْتَصَدٍ وَبِمُنْفَرَجٍ: (٢).
 قَامَتْ بِالْأَمْرِ عَلَى الْحِجَجِ: (٣).
 وَهَوَى مُتَوَلِّ عَنْهُ هُجِي: (٤).
 وَيُؤَاهَمُ مِنْ هَمَجِ الْهَمَجِ: (٥).
 تَجَزَعُ فِي الْحَرْبِ مِنَ الرَّهَجِ: (٦).
 فَظَهَرَ فَرْدًا فَوْقَ الثَّبَجِ: (٧).
 وَالخَرْقُ يَصِيرُ إِلَى الْمَرْجِ: (٨).

- ولأبي الفضل النحويّ التوزيريّ أبيات يتشوق فيها إلى مصر:

أَيْنَ مِصْرُ، وَأَيْنَ سُكَّانُ مِصْرٍ!
 حَدَّثَنِي عَنْ نَيْلِ مِصْرٍ، فَإِنِّي
 وَالرِّيَاضِ الَّتِي عَلَى جَانِبَيْهِ؛
 رَقَّ قَلْبِي حَتَّى لَقَدْ خِلْتُ أَنِّي
 بَيْنَنَا شِقَّةَ النَّوَى وَالْبُعَادِ: (١).
 مُنْذُ فَارَقْتُهُ إِلَى الْمَاءِ صَادٍ: (٢)،
 وَاجْمَعَاهُ مِنَ الْأَحَادِيثِ زَادِي.
 بَيْنَ أَيْدِي الزَّوَارِ وَالْعَوَادِ: (٣).

- (١) للأمر الجارية في عالنا حكمة أرادها الله ثم هي تنفذ بسمي الإنسان (المنتسج).
 (٢) اقتصدت: اعتدلت، استقامت (صلحت).
 (٣) عجائب الحكمة الإلهية قامت المحجج (السنوات الكثيرة المتوالية) دليلاً عليها. قامت بالأمر على المحجج (٢) جمع حجة (بالضم).
 (٤) من عمل الأمور بعقل مدح (كان مدوحاً، محموداً). ومن تولى (مال، انحرف) عن العقل في أعماله هُجِي (كان مهجواً، مذموماً).
 (٥) الهمج: الرُّعَاعُ من الناس لا نظام لهم.
 (٦) الرهج: غبار الحرب (لا تخف من غبار الحرب، فإن الغبار لا يقتل. ولكن أقدم على القتال لأن الأعمار بيد الله).
 (٧) أظهر (ارتفع، تسلق) فرداً (وحدك) فوق الثبج (ما بين الكاهل إلى الظهر: المكان العالي).
 (٨) الخرق: الجهل والحمق (قلّة العقل). المرج: (بفتح الراء): الحيرة واضطراب الأمور.
 (٩) الشقّة: المسافة. النوى: البعد، البعد.
 (١٠) صاد: عطشان.
 (١١) ... - خلت (ظننت) أني ... مريض.

ما تراني أبكي على كلِّ ربيعٍ ! ما تراني أهيِّمُ في كلِّ وادٍ (١) !
 رَوْشٌ من رواشٍ النيسلِ خيرٌ - بعدُ - مِنْ دَجَلَةٍ ومن بَعْدَادٍ (٢).
 إِنَّ مِصْرًا لها مَعَانٍ، لَعَمْرِي، قد تَأَبَّتْ على جميعِ البلادِ (٣).
 هذه الأَرْضُ إِنَّمَا هي نَادٍ؛ مِصْرٌ من بَيْنِهَا سِرَاجُ النَادِي (٤).

- ٤ - قصيدة « المنفرجة »، الاسكندرية (طبع حجر) ١٣٠٤ هـ (مع تخميس لها)؛ مطبوعة مع « منبّهات ابن حجر - ص ٥٥ - ٥٧)، الاستانة (دار الطباعة العامرة) ١٣١٥ هـ؛ مكة ١٣١٧ هـ؛ ذيل « جالية الكدر » للبرزنجي؛ القاهرة (مطبعة التقدم) ١٣٢١ هـ.
- ★★ الأضواء البهجة في إبراز دقائق المنفرجة، لأبي يحيى زكريا الأنصاري (ت ٩٢٦ هـ)، القاهرة ١٣٢٣ هـ.
- المنفرجة على المنفرجة لعبد الله بن عبد العزيز الصوفي، مصر ١٣٣٢ هـ (١٩١٤ م).
 المغرب ١: ٣٢٥، طبقات السبكي ٥: ٢٤ - ٢٥؛ الخريدة (المغرب) ١: ٣٢٥ - ٣٢٦؛
 التشوّف ٤٧٢، نيل الابتهاج ٣٤٩؛ بغية الوعاة ٤٢٤؛ بروكلمن ١: ٣١٦، الملحق ١:
 ٤٧٣ - ٤٧٤؛ الأعلام للزركلي ٩: ٣٢٥ - ٣٢٦ (٨: ٢٤٧)؛ مجمل الأدب التونسي
 ١١٧٢؛ نويص ٢٠٧ - ٢٠٨؛ راجع تخميساً لها في « عنوان الدراية » ٢٧٢ وما بعده؛
 سركيس ٢٦٦ - ٢٦٧.

أبو القاسم بن الجَدِّ

١ - هو أبو القاسم محمد بن عبد الله بن يحيى بن فرح بن الجَدِّ الفهريّ - ويُعرفُ بلقب « الأحَدَب » أصله من مدينة لَبْلَةَ، في الجنوب الغربيّ من الأندلس (وقيل من شِلْبِ المجاورة لِلبَلَّة).

وسكن أبو القاسم بن الجَدِّ مدينة إشبيلية، فلما ولّى المعتمد بن عباد ابنه يزيد الراضي على الجزيرة الخضراء (في جنوبيّ الأندلس) جعل أبا القاسم بن الجَدِّ وزيراً

(١) ألا تراني بعد مفارقة مصر أبكي في كلِّ مكان (حزناً) وأمضي هاماً (حيران).

(٢) الروشن: الشرفة (المعجم الوسيط ١: ٣٤٨).

(٣) تأبّت على: استعصت، صمب وجودها.

(٤) النادي: مجتمع الناس، مجلس الأشراف.

معه. ثم انتقل الرازي إلى الولاية على رُنْدَةَ فانتقل أبو القاسم معه أيضاً. وبقي أبو القاسم مع الرازي إلى أن قُتل الرازي (٤٨٤ هـ) في حَمَلَة يوسف بن تاشفين للقضاء على ملوك الطوائف.

ثم إنَّ أبا القاسم بن الجَدَّ اعتزل الحياة السياسيَّة واستقرَّ في بلده لَبْلَة فولَّاه أهلها خِطَّة الشُّورى فيها (المغرب ١: ٢٤١) فكان يُفقي في لَبْلَة.

وبعد أن استولى المرابطون على الأندلس اتصل بهم أبو القاسم بن الجَدَّ فدعاه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين إلى مَرَاكُشَ فانتقل أبو القاسم إليها ثم استمرَّ يعيشُ فيها. وقد تولى الكتابة لعلي بن يوسف بن تاشفين وكتب عنه رسالة (سنة ٥١٢ هـ)، ولعله كان في هذا المنصب من قبل علي بن تاشفين أيضاً.

وكانت وفاة أبي القاسم بن الجَدَّ، سنة ٥١٥ هـ (١١٢١ م)، في مدينة مَرَاكُشَ.

٢- كان أبو القاسم بن الجَدَّ من أهل التَّفَنُّن في المعارف، بارعاً في الحديث والفقهِ خاصَّةً، ثم كان أديباً كاتباً: مُنْشِئاً بارعاً ومُتَرَسِّلاً قديراً وشاعراً أيضاً. وكانت بينه وبين الفتح بن خاقان (ت ٥٢٩ هـ) مراسلة. وشعره وُجِدانيٌّ يدورُ على الوصفِ والعتاب في الأكثرِ ثم إخوانيَّات. ويبدو أن نثره أكثرُ من شعره وأعلى مكانةً^(١).

٣- مختارات من آثاره:

- قال أبو القاسم بن الجَدَّ (يُصِفُ قصيدة):

لَيْنَ راقٍ مَرَأى لِلحِسانِ وَسَمَّعُ، فَحَسناؤُكَ الغَراءَ أَهسى وَأَمْتَعُ.
عروسٌ جَلاها مَطْلَعُ الشَّمسِ فأنجَلتُ إليها النجومُ الزاهراتُ تَطْلَعُ.
رَفَفتُ بها بِكرًا تَضَوَّعَ طيِّبها؛ وما طيِّبها إلاَّ التَّنْهَ المَضَوَّعُ.

(١) في المطرب (ص ١٩٠) لأبي القاسم بن الجَدَّ ابن عم أديب شاعر هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن يحيى ابن الجَدَّ، ولد سنة ٤٩٦ وتوفي سنة ٥٨٦ هـ.

لها من طرازِ الحُسْنِ وَشَيِّ مُهْلَلٌ، ومن صيغة الإحسان تاجٌ مُرَصَّعٌ^(١).

- وكتب عن أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين إلى أهل غرناطة مُهَدِّدًا:
كُتِبْنَا - عَصَمَكُمُ اللَّهُ بِتَقْوَاهُ وَيَسِّرْكُمْ لِمَا يَرْضَاهُ، وَجَنَّبَكُمْ مَا يُسْخِطُكُمْ وَيُنْعَاهُ^(٢) -
مِنْ حَضْرَةِ مَرَاكِشٍ^(٣) حَرَسَهَا اللَّهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ التَّاسِعَ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ الصَّوْمِ الْمُعْظَمِ سَنَةِ
سَبْعٍ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَقَدْ اتَّصَلَ بِنَا أَنْكُمْ مِنْ مُطَالِبَةِ فُلَانٍ عَلَى أَوْلَاكُمْ فِي عُنْفَوَانٍ
عَمَلِكُمْ^(٤)، وَأَنَّهُ لَا يَغْنَمُ تَسْفِيًا وَتَأْلِيًا مِنْ قِبَلِكُمْ^(٥). فَأَلَى مَقَى تَلْحَوْنَ فِي الطَّلَبِ
وَتَجِدُونَ فِي الْعَلَبِ وَتَقْرَعُونَ النَّبْعَ بِالغَرَبِ^(٦)... لَقَدْ آتَى^(٧) لِحَرْكِيكُمْ فِي أَمْرِهِ أَنْ
تَهْدَى وَلِلنَّائِرَةِ بَيْنَكُمْ أَنْ تُطْفِئَ وَلِذَاتِ بَيْنِكُمْ أَنْ تَنْصَلِحَ وَلِوُجُوهِ المَرَاشِدِ قِبَلِكُمْ أَنْ
تَنْضَحَ^(٨). وَإِذَا وَصَلَ إِلَيْكُمْ خِطَابُنَا هَذَا فَاتْرَكُوا مُتَابِعَةَ المَهْوَى وَاسْأَلُوا مَعَهُ الطَّرِيقَةَ
المُثَلَّى وَدَعُوا التَّنَافَسَ عَلَى حُطَامِ الدُّنْيَا. وَلِيَقْبَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ عَلَى مَا يَنْغِيهِ وَلَا
يَسْتَغْلِبُ بِمَا يُنْصِبُهُ وَيُعَيِّنِيهِ^(٩). فَلَا بَدَّ لِكُلِّ عَمَلٍ مِنْ أَجَلٍ وَلِكُلِّ وِلَايَةٍ مِنْ غَايَةٍ^(١٠). وَلَنْ
يَسْبِقَ شَيْءٌ أَنَاهُ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَمْرًا سَنَاهُ^(١١). وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ

(١) مهلل: رقيق (نفس، عين، جيل).

(٢) تقواه: طاعته والخوف منه. جنبكم: أبعد عنكم. بسخطكم: بنفضكم (إذا عوقبتم على سوء تأنونه). ينعاه (عليكم): يبيح به، يؤاخذكم عليه.

(٣) الحضرة: المكان الذي يوجد فيه كبير القوم. حضرة مراکش: عاصمة المغرب الأقصى.

(٤) مطالبة فلان: ما يطلبه منك (الثائر، العاصي، الخارج على الدولة). على أولكم: كما كنتم من قبل في أول الأمر (على المعصية). العنقوان: الشدة.

(٥) لا يزال يجد فيكم من يقوم له بالفتنة وجمع حوله الأنصار منكم.

(٦) نصرؤن على محاربة الدولة وتجحدون حتى تنتصروا، وتقراعون (ندقون، تقالتون) النبع (أغصان الشجر المتين، الرماح، قوة الدولة) بالغرب (بأغصان الشجر الضعيف، بقوة مسيرة).

(٧) أن: قرب الوقت.

(٨) النائرة: الهائجة، الفتنة، الثورة. ذات البين: ما بين قومين، الصلة. قبلكم: عندكم.

(٩) الحطام: ما يتكسر من أطراف الأشياء اليابسة، قشر البيض (أشياء لا قيمة لها). أنصتبه الأمر: أتمبه. عناء: أتمبه جدًا (من غير أن يستطيع التغلب عليه).

(١٠) لكل عمل أجل: مدة (إشارة إلى انقراض دويلات الطوائف). ولاية: حكم. غاية: نهاية.

(١١) أناه: حينه، زمنه (لا يأتي شيء قبل أوأته). سنأه: سأله (الاقموس ٤: ٣٤٥). - الأني (بالفتح أو بالكسر): الحين.

لكم^(١). والله يعلم وأنت لا تعلمون^(٢). وَفَقَّكُمْ اللهُ لِمَا فِيهِ صَوْنٌ أَدْيَانِكُمْ وَتَسْدِيدٌ أَعْمَالِكُمْ وَأَعْرَاضِكُمْ، بِنِّهْ^(٣).

٤- ** فَلَائِدُ الْعُقَيَانَ ١٢٣ - ١٢٩ الصَّلَاةُ ١٥٤٤ الخَزِيدَةُ (الْأَنْدَلُسُ) ٢: ٢٥٧ - ٢٦٨
الخَزِيدَةُ (المَغْرِبُ وَالْأَنْدَلُسُ) ٣: ٣٩٣ - ٤٠١، الذَّخِيرَةُ ٢: ٢٨٥ - ٣٢٢، المَغْرِبُ
١: ٣٤١ - ٣٤٢، المَطْرِبُ ١٩٠ - ١٩٢، دَائِرَةُ المَعَارِفِ الْإِسْلَامِيَّةِ ٣: ١٧٤٨
الأَعْلَامُ لِلزَّرْكَوِيِّ ٧: ١٠٣ - ١٠٤ (٦: ٢٣٨).

ابن القطّاع

١- هُوَ أَبُو القَاسِمِ عَلِيُّ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الحُسَيْنِ بْنِ أَحْمَدَ
ابنِ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادَةَ اللهِ بْنِ الأَعْلَبِ السَّعْدِيِّ بْنِ اِبْرَاهِيمَ بْنِ الأَعْلَبِ؛ وَيُعْرَفُ بِابْنِ
الْقَطَّاعِ السَّعْدِيِّ الصَّقَلِيِّ.

وُلِدَ ابْنُ الْقَطَّاعِ الصَّقَلِيُّ فِي صِقَلِيَّةَ، فِي العَاشِرِ مِنْ صَفَرٍ مِنْ سَنَةِ ٤٣٣
(١٠٤١/٩/٩م). وَقَرَأَ ابْنُ الْقَطَّاعِ فِي بَلَدِهِ عَلَى نَقَرٍ مِنْهُمْ العَالِمُ اللُّغَوِيُّ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدٌ
ابْنُ عَبْدِ البَرِّ الصَّقَلِيِّ.

وَلَمَّا أَشْرَفَ الإِفْرَنْجُ (النورمانديون) عَلَى اِحْتِلَالِ صَقَلِيَّةَ، فِي حُدُودِ ٥٠٠ هـ
(١١٠٦م) رَحَلَ ابْنُ الْقَطَّاعِ إِلَى مِصْرَ وَاشْتَغَلَ فِيهَا بِإِقْرَاءِ كِتَابِ الصِّحَاحِ
لِلجَوْهَرِيِّ وَبِتَعْلِيمِ أَوْلَادِ الأَفْضَلِ بْنِ بَدْرِ الجَمَالِيِّ.

وكانت وفاة ابن القطّاع في القُسطاطِ (مِصْرَ القَدِيمَةَ)، سَنَةَ ٥١٥ هـ (١١٢١ -
١١٢٢م) فِي الأَعْلَبِ.

٢- كان ابن القطّاع الصَّقَلِيُّ إِمَاماً فِي اللُّغَةِ خَاصَّةً وَفِي الأَدَبِ وَاسِعَ الاطِّلاعِ؛
وكان له شِعْرٌ كَثِيرٌ حَسَنٌ. وكان له أيضاً مَوْلَفاتٌ مِنْها: الجَوْهَرَةُ الخَطِيرَةُ فِي شِعْرَاءِ

(١) قرآن كريم (٢: ٢١٦)، البقرة.

(٢) قرآن كريم (٢: ٢١٦).

(٣) الصون: الصيانة والحفظ. النحو: القصد. الفرض: الغاية، الهدف. التّة: الإنعام.

الجزيرة (أي صقلية)، وقد اشتمل هذا الكتاب على يائته وسبعين شاعراً وعشرين ألف بيت من الشعر) - كتاب الأفعال (هدب فيه كتباً في الأفعال لابن القوطية وابن طريف وغيرها) - كتاب الأسماء أو أبنية الأسماء (جمع فيه أبنية الأسماء كلها) - فرائد الشذور وقلائد النحور (في الأشعار) - كتاب العروض والقوافي - لمح الملح (في شعراء الأندلس) - كتاب ذكر تاريخ صقلية.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال ابن القطاع الصقليُّ يفتخِرُ بشعره:

يا رَبِّ قَافِيَةَ بَكَرٍ نَظَّمْتُ بِهَا في الجِيدِ عِقْدًا بِدُرِّ المَجْدِ قَد رُصِيفَا؛
يَوَدُّ سَامِعُهَا لو كَانَ يَسْمَعُهَا بِكُلِّ أَعْضَائِهِ - مِنْ حُسْنِهَا - شَفَعَا!

- وقال يتغزل:

إِيَّاسَكَ أَنْ تَدُنُو مِنْ رَوْضَةٍ بَوَجَّنتِيهِ تُنْبِتُ الوُرْدَا؛
وَاحْذَرْ عَلَى نَفْسِكَ مِنْ قُرْبِهَا فَإِنَّ فِيهَا أَسَدًا وَرَدَا!

- وقال في الزهد والحكمة:

فَلا تُنْفِدَنَّ العُمَرَ في طَلَبِ الصِّبَا وَلا تَشَقِّقَنَّ يَوْماً بِسُعْدَى وَلا نُعْمَ؛
وَلا تُنْدِبَنَّ أَطْلالَ مِيَّةٍ بِاللَّوَى وَلا تَسْفَحَنَّ ماءَ الشُّؤُونِ على رَسْمِ .
فَإِنَّ قُصَارَى المَرَّةِ إِدْرَاكُ حَاجَةٍ؛ وَتَبْقَى مَذَمَاتُ الأَحاديثِ وَالإِثْمِ!

- من مقدمة «كتاب الأفعال»:

.... اعلم أن أفضل ما رغب فيه الراغب وتعلق به الطالب معرفة لغة العرب التي نزل بها القرآن وورد بها حديث النبي عليه السلام لتعلم بها حقيقة معانيها ولتلا يصيل من أخذ بظاهرها. وقد قال بعض الحكماء: اللغة أركان الأدب والشعر ديوان العرب. بالشعر نظمت الآثار وباللغة نثرت الجواهر^(١). لولا اللغة لذهبت الآداب،

(١) الجوهرة: اللؤلؤة (نثرت الجواهر: كتبت المقاطع النفيسة). المائرة (بضم التاء): العمل الحميد.

ولولا الشعرُ لَبَطَلَّتِ الأَحْسابُ. بلغة العربِ نَزَلَ القرآنُ، وبشعرِهِم مَيَّرَ الفُرْقَانُ^(١). من ذمَّ شِعْرَهُم فَجَرَ، ومن طَعَنَ على لُفْتِهِمْ كَفَرَ^(٢). سألتني - أراك الله السُّؤلَ^(٣) وبلَغَكَ المأمولَ - أن الأَخْصَ لك ما انغَلَقَ وبَعِدَ، وأخْصَصَ لك ما عَسِرَ وانغَقَدَ من كتابِ «أُنْبِيَةِ الأفعالِ» لأبي بكرِ مُحَمَّدِ بنِ عُمَرَ بنِ عبدِ العزيزِ المعروفِ بابنِ القوطيةِ^(٤). وهذا الكتابُ في غايةِ الجودَةِ والإحسانِ، لو كان ذا ترتيبٍ وبيانٍ، لأنَّهُ قد أرى^(٥) فيه على كُلِّ من أَلَفَ في معانيه. إلا أَنَّهُ لم يذكُرْ فيه سِوَى الأفعالِ الثلاثيةِ وما دَخَلَ عليها من المَهْمَزِ. ولم يَسْتَوْعِبْ ذلكَ. وتَرَكَ نحواً مما ذكر^(٦)، وخَلَطَ في التَّبويبِ وقَدَّمَ وأخَّرَ في التَّرتيبِ. وجعلَ التُّلاثيَّ في اتِّفاقِ معنى في أبوابٍ، وباختلافِ معنى في أبوابٍ، والشَّائِي المُضاعَفَ في أبوابٍ، والمُتَّفِقَ والمُخْتَلَفَ منه في أبوابٍ. فَاتَّعَبَ الناظِرَ وأنصَبَ الخاطِرَ^(٧). وصارَ الطالبُ للحرفِ يَجِدُهُ مُتَّفِراً في الكتابِ في عدَّةِ أبوابٍ. ولم يذكُرْ فيه الأفعالَ الرَّباعيةَ الصَّحيحةَ والسُّداسيةَ المَزِيدَةَ ولا التَّنائيةَ المُكْرَرةَ. فَاجْتَنَبْتُ إلى ما سألتَ وأسَعَفْتُكَ^(٨) بما أردتُ، على ما في ذلكَ من التَّعَبِ الطويلِ والنَّصَبِ الجزيلِ، لأني أحتاجُ (إلى) أن أُعْرِضَ الكُتُبَ لِكُلِّ حرفٍ عَرْضَةً^(٩)، وألْحِقَ به ما تَرَكَ من عدَّةِ دواوِينٍ..... فَرَدَدْتُ كُلَّ فِعْلِ إلى مِثْلِهِ، وَقَرَنْتُ كُلَّ شَكْلٍ بِشَكْلِهِ. وَرَتَّبْتُهُ خِلَافَ تَرْتِيبِهِ وَهَدَبْتُهُ خِلَافَ تَهْذِيبِهِ.

(١) بشعرهم... بمقارنة شعرهم بلغة القرآن الكريم، ظهر أن أسلوب الفرقان (القرآن) مميَّز (مختلف، فوق الشعر).

(٢) فجر: استهتر في ارتكاب المعاصي. طعن على لفتهم: عابها، ذمها.

(٣) السؤل = السؤل = السؤال: ما يطلبه الإنسان، الحاجة (أراك الله...).

(٤) راجع ترجمة ابن القوطية (ت ٣٦٧).

(٥) أرى: زاد.

(٦) استوعب: استوفى (ذكر جميع ما أرادته). ترك نحواً (مقداراً) مساوياً للذي أثبتته في كتابه) مما ذكر (أنه سيعالجه). الأفعال الثلاثية (صحيحة فعل: علم، أخذ، سمى). وما دخلها من المَهْمَزِ (صيغة أفعال: أعلم، أخذ، ألقى).

(٧) أنصب: أجهد، أتعب.

(٨) الفعل الرباعي الصحيح (فعلل: دحرج). السداسية الزيادة (استفعل وافموعل: استعلم، استعبرتم اخضوضر، احلولي). المكررة التنائية (قلقل، جمجع). أسعف: ساعد.

(٩) عرضة: استعراض الكتاب مرّة جديدة.

وذكرت ما أغفله من الأفعال الثلاثية والمزيدة بالهمزة والثنائية المكررة. وأوردت الأفعال الرباعية الصحيحة والأفعال الخماسية والسداسية المزيدة. وأثبتها على حروف المفجّم حتى لا يحتاج الناظر (إلى) أن يخرج من باب إلا وقد استوعب جميع الأفعال. وأعلّمت ما أوردته (ابن القوطية) بحرف «القاف» وعلى ما أوردته أنا بحرف «العين»، ليُعرفَ بذلك ما أوردته وما أوردته، وما ترك وما زدت.....

٤- كتاب الأفعال (رتبه سالم الكرنكوي)، حيدر آباد الدكن (مطبعة دائرة المعارف العثمانية) ١٣٦٠ - ١٣٦٤ هـ.

★★ معجم الأدياء ١٢: ٢٧٩ - ٢٨٣ خريدة (المغرب) ١: ٥١ - ٥٥: إنباه الرواة ٢: ٢٣٦ - ٢٣٩: المحمدون ٦٣ - ٦٤: وفيات الأعيان ٣: ٣٢٢ - ٣٢٣: بنية الوعاة ٣٣١ - ٣٣٢: شذرات الذهب ٤: ٤٤٥: دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٨١٨ - ٨١٩: بروكلمن ١: ٣٧٥، الملحق ١: ٥٤٠: الأعلام للزركلي ٥: ٧٦ (٤: ٣٦٩).

ابن صارة الشنتريني

١- هو الأستاذ الأديب الكبير الشهير (نفع الطيب ٤: ٣٠١، ٣٢٥، ٣٤٤) أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد البر بن صارة (أو سارة) الشنتريني، من أهل شنترين الغرب (في البرتغال اليوم).

كان ابن صارة «قليل الحظّ إلا من الحرمان»: كان رجلاً «أعان الدهر على نفسه» فما رفق في معاشرته أحد ولا صبر على عمل. من أجل ذلك كان يتكسّب ببيع المحقرات (الأشياء التافهة)، كما اشتغل حيناً بالتأديب والتعليم. ولقد تطوّف في الأندلس شرقاً وغرباً وراء الرزق ومدح نفرأ من الأمراء وكتب لبعضهم (كان كاتباً عندهم). ثم استقرّ في بطليوس وعاش في بلاط بني الأفطس أيام المتوكل أبي حفص عمر الذي جاء إلى الحكم سنة ٤٦٠ هـ (١٠٦٨ م) شريكاً فيه مع أخيه يحيى. فلما مات يحيى، سنة ٤٧٣ هـ (١٠٨٠ - ١٠٨١ م) انفرد هو بالحكم.

لما استولى المرابطون على بطليوس (٤٨٧ هـ = ١٠٩٤ م) وقتلوا المتوكل انتقل ابن صارة إلى إشبيلية (وكانت إشبيلية أيضاً في يد المرابطين) واشتغل في الوراقة

(نسخ الكتب وتجليدها) وعاش عيشة بؤس. ولما رجع القاضي أبو بكر بن العربي من الشرق، سنة ٤٩٣ هـ، سكن إشبيلية فمدحه ابن صارة. ولما جاء أبو بكر بن إبراهيم والياً على غرناطة من قبيل المرابطين ذهب ابن صارة إلى غرناطة ودخل عليه مع الشعراء ومدحه. ثم مدحه أيضاً في نوروز سنة ٤٩٩ هـ (رجب ٤٩٩ هـ = آذار - مارس ١١٠٦ م). وكذلك مدح أبا العلاء بن زهير (ت ٥٢٥ هـ) وأبا أمية بن عصام قاضي الشرق (شرق الأندلس)، ولا أعلم متى فعل ذلك.

ولا يبدو أن ابن صارة تكسب بالشعر ما يذهب بشقائه فاعتزل الحياة العامة في أواخر أيامه - وكانت وفاته بالمرية، سنة ٥١٧ هـ (١١٢٣ م).

٢- ابن صارة الشنترفي أديب ناثر ناظم: كان شاعراً بارعاً مقتدراً صحيح اللغة متين الأسلوب يحب المعاني الغريبة والتلاعب بالألفاظ مع قدرة على التوليد والاختراع. وقد أولع بالقطعات القصار فأرسلها أمثالاً. وكذلك كانت له براعة وقدرة في القصائد الطوال.

أما فنونه فهي المديح والرثاء (فقد رثى ابنته رثاء فيه زهد فيها وفي الدنيا) والهجاء (وقد أكثر منه وخصوصاً في أيام شقائه الأولى) والوصف (وصف الطبيعة، وله أوصاف مستجادة في النار ووصف للشهاب). وتكثر الشكوى في شعره. وله حكمة وزهد وغزلان، مذكر ومؤنث.

٣- مختارات من شعره:

- قال ابن صارة الشنترفي يمدح الأمير أبا بكر بن إبراهيم لما جاء أبو بكر إلى غرناطة والياً عليها:

اليوم أخمدت الضلالة نارها، واسترجعت دار الهدى عمارة^(١)؛
واستقبلت حدق الوري غرناطة، وهي الحديقة فوّت أزهارها^(٢).

(١) استرجع: قال: إننا لله وإننا إليه راجعون، المقصود: استرد. المار: الساكنون.

(٢) فوّت: أزهارها: جملة ألوانها كثيرة.

فَكَأَنَّ تَشْرِيناً بِهَا نَيْسَانُهُ
 مَا شِئْتُ مِنْ نَهَرٍ كَصَدْرِ عَقِيلَةٍ
 أَوْ جَدُولٍ كَالنَّضْلِ فِي يَدِ نَائِرٍ
 اللَّهُ أَرْوَعٌ مِنْ ذَوَائِبِ حِمِيرٍ
 مَا هَالَهُ بَيْدٌ تَعَسَّفَهَا، وَلَا
 فِي فِتْيَةٍ تَسْرِي إِلَى قَصْرِ الْهُدَى
 خَضَبُوا السَّوَاعِدَ بِالرَّقَاقِ تَقَاوُلًا
 غَرَسُوا الْأَيَادِي فِي ثَرَى مَعْرُوفِهِمْ
 ضَرَبُوا سُرَادِقَ بَأْسِهِمْ مِنْ دُونِهَا
 لَبَسُوا الْقُلُوبَ عَلَى الدَّرُوعِ قَدْوَحُوا
 شُهْبٌ إِذَا أَوْقَتْ عَلَى أَفْقِ الْوَعَى

يَكْسُو رُبَاهَا وَرَدَّهَا وَبَهَارَهَا (١).
 شَقَّتْ أَنَامِلُهَا عَلَيْهِ صِدَارَهَا (٢)،
 أَمَى صَحِيفَتَهُ وَهَزَّ غِرَارَهَا (٣).
 رَاعَ الْعُدَاةَ فَمَا تَبَعُ قَرَارَهَا (٤).
 لُجَجٌ يَجْنَحُ اللَّيْلِ خَاضَ بِجَارَهَا (٥).
 فَتَنَّتْهُمْ سَدَا الدُّجَى أَقْمَارَهَا (٦)،
 أَنْ سَوَّفَ تَخَضَّبُ بِالنَّجِيعِ شِفَارَهَا (٧)
 فَجَنَّوْا بِالنَّيْنَةِ النَّئَاءَ ثِمَارَهَا.
 وَقَدْ اشْرَبَ الْكُفْرُ يَهْدِمُ دَارَهَا (٨).
 أَرْضَ الْعَيْدَى وَاسْتَأْصَلُوا كَقَارَهَا (٩).
 جَعَلَتْ أبا يَحْيَى الْأَمِيرَ مَدَارَهَا (١٠).

- (١) تشرين (الشهر العاشر في التقويم الميلادي) يبدأ فيه الخريف وتساقط ورق الشجر. نيسان (الشهر الرابع) فيه يبدأ الربيع واكتساء الأشجار بالورق وتفتح الأزهار في الحقول. البهار: الزهر الأصفر أو زهر الربيع عامة.
- (٢) الشاعر هنا يشبه مجرى النهر في المرح الأخضر بمقيلة (سيدة كريمة) تكشف بأطراف أصابعها ثيابها (الخضراء) عن (صدرها الأبيض). الصدار (ثوب قصير يغطي الصدر).
- (٣) النصل (السيف). أمى (رقق السيف وجلاه). الفرار: حدّ السيف، والمقصود السيف كله.
- (٤) الأروع: الشجاع. الذؤابة: ضفيرة من الشعر (رئيس القوم). حير: عرب الجنوب (اليمن) أي الملوك. راع: أخاف.
- (٥) ما هاله (لم تخف) بيد (أي الصحارى) تَمَسَّهَا (قاسى المشقة في قطعها) ولا لجج (أمواج) يجنح الليل (في الوقت الذي يشتد فيه الظلام).
- (٦) فنية (أقارب الأمير المدوح؟). سدوا الدجى أقمارها (أقمارها بدل من الدجى): سدوا (غطوا) - بفتح الطاء) الأقمار (لأنهم أجمل من الأقمار).
- (٧) خضبوا (صفوا) السواعد (جمع ساعد: ما بين المرفق إلى الكف) بالرقاق (٢). النجيع: الدم. الشفرة (حديدة السيف).
- (٨) السرادق (الخيمة الكبيرة) البأس (القوة، الحرب) من دونها (دفاعاً عن بلادهم). اشرباً: مدّ عنقه (رغب في، أراد).
- (٩) لبسوا القلوب على الدروع (استهانوا بالموت). دوح البلاد: جال فيها وعرف جميع نواحيها (استولى عليها). استأصل (اقتلع، قضى على).
- (١٠) شهب (جمع شهاب: نجم). أوفى على أفق الوعى (اقترب من ميدان المعركة) جعلت أبا يحيى مدارها =

حاشا لِأَزْنَدِ شِرْعِنَا مِنْ كَبْوَةِ
 أَوْلِيٍّ أُمَّةِ أَحْمَدٍ، أُنْهَجْتَهَا
 فَحُطِرِ الرَّعِيَّةَ فِي مَرِيعِ جَنَابِهَا
 وَاقْدِفِ نُحُورَ الْمُشْرِكِينَ بِمُخْفَلِ
 وَاحِلِ عُرَى تَلِكِ الْجَاهِجِ، إِنَّهَا
 وَكَأَنِّي بِكَ قَدْ ثَلَّتْ عُرُوشَهُمْ
 لَا تَرَضَ مِنْهُمْ بِالنَّفُوسِ تَحُوزُهَا
 صَمَّتْ سَيُوفُكَ فِي الْعُمُودِ وَجَرَّدَتْ
 لِمَا احْتَسَتْ خَمَرَ الْهِيَاجِ نِصَالُهَا
 - وقال في الغزل:

ومهففي أبصرتُ في أطواقه قمرًا بأفئاقِ الماسِ يُشْرِقُ^(١).

- =
- (١) دارت حوله لتحميه أو اقتدت به في الدوران معه في ميدان القتال.
- (٢) الزند (قطعة من حديد تندح بها النار من الحجر الصوان). شرعنا (الإسلام). الكبوة: العفرة، السقوط. أوري: أوقد.
- (٣) أُولِيٍّ = يا وليَّ (الوالي، الأمير). أحمد (محمد رسول الله). أهبج فلانٌ فلاناً (أفرجه، سره). الجور: الظلم. الجار (الجير، المنقد، الهامى، المدافع).
- (٤) حاط بمحوط (حفظ). المريع: الخصب. الجنب (الجنب من الأرض). رأب فلان الصدع: جمع شقيه وأصلحه. الثأى: الحرم (بالفتح)، الشق. اصطنع أحرارها (قرَّب إليك الأحرار لا الأشرار).
- (٥) المحفل: الجيش العظيم.
- (٦) احلل عرى الجاهج (الرووس): اخلع رؤوس هؤلاء القوم عن أجسادهم (٢). الهدى: دين الهدى (الإسلام). الزنار: شعار النصارى يلقونه على أوساطهم.
- (٧) ثل: هم. بيضة الملك: ما يدافع الملك عنه (العاصمة). الجبار: الملك. = سلبت الجبار (مفعول به أول) بيضة ملكه (مفعول به ثان مقدم).
- (٨) لا تقعح بأن تأخذ سمر القنا (الرماح) أرواحهم، بل يجب أن تستولي أنت على بلادهم.
- (٩) احتسى: شرب. خر الهياج (القتال، الحرب): الدم. الطاغية: المستبد الظالم. الحار: السكر. إكثاره القتل فيهم جعل ملوكهم كأنها أصابع صداع (بالضم: وجع في الرأس).
- (١٠) المهففي: الدقيق الحصر. الطوق: العنق، قبة القميص. قمر (كتابة عن الوجه).

يُفْضِي إِلَى الْمُهْجَاتِ مِنْهُ صَعْدَةٌ مَتَأَلَّقَ فِيهَا سِنَانٌ أَزْرَقُ^(١) .
 - وَقَالَ يَرِيثِي أَيْبَةً لَهُ مَاتَتْ (وَنَجِدُ فِي هَذَا الرِّثَاءِ شَيْئاً مِنَ الْإِسْتِخْفَافِ بِالْأَنْثَى إِذَا مَاتَتْ):

أَلَا يَا مَوْتَ، كُنْتَ بِنَا رَوْوَفَاً فَجَدَّدْتَ الْحَيَاةَ لَنَا بِزَوْرَةٍ .
 حَمَادٍ لِيَفْعَلِكَ الْمَشْكُورَ لَمَّا كَفَفْتَ مَوُوتَةً وَسَتَرْتَ عَوْرَهُ^(٢)؛
 فَأَنْكَحْنَا الضَّرِيحَ بِلَا صِدَاقِ، وَجَهَّزْنَا الْفَتَاةَ بِغَيْرِ شَوْرَةٍ!

- وَقَالَ يَصِفُ شَيْهَاباً تَرَكَ وَرَاءَهُ خَطًّا طَوِيلًا مِنَ النُّورِ:

وَكُوكِبٍ أَبْصَرَ الْعِفْرِيَّةَ مُسْتَرْقَاً فَانْقَضَ يَذْكِي عَلَى آثَارِهِ لَهْمَةً^(٣) .
 كِفَارِسٍ حَلَّ إِحْضَارُ عِمَامَتَهُ فَجَرَّهَا كُلُّهَا مِنْ خَلْفِهِ عَذَبَةً^(٤)!

- وَقَالَ فِي وَصْفِ النَّارِ:

لِأَيِّبَةِ الرَّزْدِ فِي الْكُوَانِينِ جَمْرٌ كَالدَّرَارِيِّ فِي دُجَى الظُّلْمَاءِ^(٥)!
 خَبِرُونِي عَنْهَا وَلَا تَكْذِبُونِي: أَلَدَيْهَا صِنَاعَةُ الْكِيمِيَاءِ؟
 سَبَّكَتْ فَعَمَّهَا صَفَائِحُ تَبِيرٍ رَصَّعَتْهَا بِالْفِضَّةِ الْبِيضَاءِ!
 كُلَّمَا رَفُرَفَ النَّسِيمُ عَلَيْهِمَا رَقَصَتْ فِي غَلَالَةِ حَمْرَاهِ!
 لَوْ تَرَانَا مِنْ حَوْطِهَا قَلْتِ: شَرِبٌ يَتَعَاطُونَ أَكُوسَ الصَّهْبَاءِ^(٦) .

(١) يفضي: يصل. المهجة: دم القلب. صعدة (قصة، رمح) (كتابة عن القامة الطويلة الرشيقة). متألَّق: لامع. السنان (نصل حديد في أعلى الرمح) أزرق (كتابة عن العين). - قد هذا المحبوب كالرمح وعينه زرقاء كنصل الرمح، من أجل ذلك هو يقتل الهيتين.

(٢) حماد (اسم فعل): حدأ (لفعلك). العورة: العيب (ما كان النظر إليه عيباً).

(٣) مسترقاً: يستمع سراً (أخبار السماء). فانقض (الكوكب): سقط بسرعة. على آثار (العفريت): ورائه. لهبة (مفعول به من يذكيه).

(٤) كالفارس الذي حلَّ إحضار فرسه (ركضه السريع) عمامته، فأصبحت عمامته منشورة كأنها عذبة (قطعة متدلّية من العمامة). لهذا الشهاب الساقط رأس مكورة (كرأس الإنسان) ووراءه ذنب طويل من النور.

(٥) الرزد (هنا): الحطب أو الفحم المستدير (كزبد الإنسان) أو النار (لأن الرزد - أي قطعة الحديد - هي التي تفتح النار من حجر الصوان). الدراري: النجوم.

(٦) الشرب (بالفتح) الجماعة يشربون (الخمير) معاً. الصهباء: الحمر الحمراء.

- وقال في وصف النار أيضاً:

باتت لنا النارُ درياقاً، وقد جمَلتْ
زهراءُ قدَّتْ لنا مِنْ دَفْنِهَا لِحْفاً
تُبِيحُنَا قُرْبَهَا حِيناً وَتُبْعِدُنَا:
عَقَابُ الْبَرْدِ تَحْتَ اللَّيْلِ تَلْسَعُنَا^(١).
لَمْ يَلْعَمِ الْبَرْدُ فِيهَا أَيْنَ مَوْضِعُنَا^(٢).
كَالْأَمِّ تَقْطِعُنَا حِيناً وَتُرْضِعُنَا!

- وقال يتغزل:

تَمَنَيْتُ مِنْهُ قُبْلَةً حِينَ زَارَنِي
وَقُلْتُ لَهُ: جُدْ لِي بِشَفْرِكَ إِنِّي
فَقَبَلْتُهُ ثِنْتَيْنِ فِي الْحَدِّ وَالْحَدِّ.
أَقُولُ بِتَفْصِيلِ الْأَفَاحِ عَلَى الْوَرْدِ^(٣)!

- وقال يصف الشقاء من كَسْبِ المعيشة بصناعة الوراقة (نسخ الكتب):

أما الوراقةُ فهيَ أُنكدُ حِرْفَةٍ؛
شَبَّهْتُ صَاحِبَهَا بِصَاحِبِ إِبْرَةٍ
أوراقُها وَثَارُها الحِرْمَانُ.
تَكسو العُرَاةَ وَجِسْمُها عُرْيَانُ.

- وقال يتهكم بالنزن يعبون الجهالة (ويفضلون العلم عليها):

عابوا الجهالةَ وَأَزْدَرَوْا بِحَقْوَتِهَا
وَهَيَّ الْقِيَّ يَنْقَادُ فِي يَدِهَا الْغِنَى،
وَتَهَاتَفُوا بِحَدِيثِهَا فِي الْمَجْلِسِ^(٤).
وَتَجِيئُهَا الدُّنْيَا بِرُغْمِ الْمَغْطَسِ^(٥).
إِنَّ الْجَهَالََةَ لِلْغِنَى جَذَابَةٌ
جَذَبَ الْحَدِيدُ حِجَارَةَ الْمَغْنِطِيسِ!

- وقال يصفُ البرد الذي يهبُّ على غرناطة من جبل سُلي:

يَجِلُّ لَنَا تَرَكُ الصَّلَاةِ بِأَرْضِكُمْ
فِرَاراً إِلَى أَرْضِ الْجَحِيمِ، فَإِنَّا
وَشُرْبُ الْحَمِيمِ وَهُوَ شَيْءٌ مُحَرَّمٌ،
أَحَنُّ عَلَيْنَا مِنْ سُكْرِ وَأَرْحَمِ.
فَإِن كُنْتَ، رَبِّي، مُدْخِلِي فِي جَهَنَّمَ
فَفِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ طَابَتْ جَهَنَّمُ.

(١) الدرياق = الترياق (دواء يشفي كل داء).

(٢) قدَّتْ: قطعت، فصلت، خاطت، صنعت. اللحف (بالضم) جمع لحاف (بالكسر): الدثار (بالكسر) ثوب سابغ يغطي البدن ليمنع عنه البرد.

(٣) الأفاح (زهر الأضخوان) كناية عن الأسنان (القم). الورد (كناية عن الحدود).

(٤) ازدرى فلان شيئاً: احتقره. تهااتف: هتف (صاح) بعضهم لبعض (استهزاء بشيء ما).

(٥) المغطس: الأنف. برغم الأنف: بالكره، بالإكراه.

٤-★★ قلائد العقيان ٢٢٩ - ٣١٤؛ المغرب ١: ٤١٩ - ٤٢٠؛ المطرب ١٧٨ وفيات الأعيان ٣: ٩٣ - ٩٥؛ الخريدة (المغرب والأندلس) ٢: ٣١٥ - ٣٣١، ٣: ٥٧٧؛ الخريدة (الأندلس) ٢: ٢٥٦ - ٢٨٢؛ بغية الوعاة ٣٢٥؛ شذرات الذهب ٤: ٥٥؛ نفع الطيب ١: ٤٩٩، ٢: ٣٠ - ٣١، ٣١، ٦٥٢ - ٦٥٣، ٣: ٢١٦، ٤١٤، ٤٣٨، ٤٤١ - ٤٤٢، ٤٤٩، ٤٥٨ - ٤٥٩، ٥٦٧، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٤: ٨٦؛ ١١٧، ٩١ - ١١٨، ١١٨، ٣٠١، ٣٢٥، ٣٤٤ - ٣٤٥؛ نيكل ١٢٣٣ مختارات نيكل ١٥٥ - ١٥٧؛ الأعلام للزركلي ٤: ٢٦٨ (١٢٢ - ١٢٣).

أبو بكر بن عطية

١- هو أبو بكر غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن عبد الرؤوف بن تمام بن عبد الله بن تمام بن عطية بن خالد بن عطية المحاربي، ولد سنة ٤٤١ هـ في غرناطة. روى أبو بكر بن عطية عن أبي علي الساسي. ثم رحل باكراً سنة ٤٦٩ إلى المشرق فحج ولقي نفراً من العلماء. ولما عاد إلى الأندلس تصدر للإفادة فروى الناس عنه (راجع قضاة الأندلس ١١٠). وزهد في أواخر حياته. وكانت وفاته سنة ٥١٨ هـ (١١٢٤ م) في غرناطة بعد أن كف بصره.

٢- كان أبو بكر بن عطية عالماً محدثاً وله شعر في الزهد والشكوى والعتاب.

٣- مختارات من شعره

- قال أبو بكر بن عطية في الشكوى من البشر:

كُنْ بِذَنْبِ صَائِدٍ^(١) مُسْتَأْسَأَ وَإِذَا أَبْصَرْتَ إِنْسَاناً فَفَرَّ.
 إِنَّمَا الْإِنْسَانُ بَخْرٌ مَا لَهُ سَاحِلٌ فَاحْذَرُهُ: إِيَّاكَ الْفَرَزُّ^(٢).
 وَاجْعَلِ النَّاسَ كَشَخْصٍ وَاحِدٍ تَمَّ كُنَّ مِنْ ذَلِكَ الشَّخْصِ حَبِيرٌ^(٣)!

(١) صائد (كذا في الأصل). اقرأ: صائت: عابٍ (يعوي). فر: هرب.

(٢) الفرز: الملكة، الهلاك.

(٣) اجعل جميع الناس كأنهم شخص واحد (شريد).

- وقال في عتاب صديقي (المغرب ٢: ١١٨):

وكنتُ أظنُّ أنّ جبالَ رَضْوَى تزولُ وأنَّ ودك لا يزولُ.
ولكنّ الزمانَ له انقلابٌ وأحوالُ ابنِ آدمَ تَسْتَحِيلُ.
فإن يكُ بيننا وصلٌ جميلٌ، وإلا فليكنْ هجرٌ جميلٌ!

٤-★ ★ قلائد المعيان ٢٣٧ - ٢٣٩، الصلة ٢: ٢٤٣١ (رقم ٩٧٧)؛ بغية الملتبس ٣٢٧ (رقم ١٢٧٧)؛ الخريدة (المغرب والأندلس) ٣: ٤٨٨ - ٤٩٠؛ الخريدة (الأندلس) ٢: ٥٢٦ - ٥٢٨؛ المطرب ٢١٥؛ نفع الطيب ٢: ٥٢٣ - ٥٢٦؛ أزهار الرياض ٣: ٩٩ - ١٠١ نيكل ٢٦٤؛ مختارات نيكل ١٧٧ - ١٧٨.

بنو القبطرونه^(١)

١- بنو القَبْطَرُونَه ثلاثة إخوة من أهل قُرْطِبَة ومن ذوي الوجاهة والنسب والذكاء والعلم والأدب، ولعلهم كانوا متقاربين في السن. ووَزَرَ بنو القَبْطَرُونَه كلُّهم لِعَمَرَ المتوكِّل بنِ الأَفْطَسِ صاحبِ بَطْلَيْوُسَ (٤٦٠ - ٤٨٧ هـ). وبعد استيلاء المرابطين على الأندلس، سنَّة ٤٨٤ هـ (١٠٩١ م)، دَخَلَ بنو القَبْطَرُونَه الثلاثة في خِدْمَةِ المرابطين.

وكان بنو القبطرونه يأخذون الحياة هُوناً فانصرفوا إلى اللَّهْوِ والخمر والنساء والصَّيْدِ وإلى قول الشعر في هذه الوجوه من الحياة وفي المديح للتكسب. وكان شعرهم، عموماً، وُجْدَانِيّاً عَدْباً. ولا يبدو من حياتهم وشعرهم أنهم كانوا من ذوي المبادئ السامية، بل كانوا يهتمون بيومهم ولا يهتمون بالغد قبل أن يأتي. ثم كانوا يهتمون بحظّ أنفسهم في الحياة ولا يبدو أنهم كانوا يَحْفَلون بأحوال البلاد وأحوال الأُمّة. وكانوا كلُّهم أيضاً أصدقاء للفتح بنِ خاقان (ت ٥٢٩ هـ)، وكان الفتح مثلهم

(١) بنو القبطرونه (القبطرونه، الخ) هم أبناء سعيد بن عبد العزيز بن يحيى، ويبدو أن أصلهم من المولدين. والأغلب أن لقب «القبطرونه» دُخِلَ من كابو طورنو (الراس المستدير، التلفت) Cabo torno (راجع قاموس اللغة الإسبانية - أصدرته الأكاديمية الإسبانية، مدريد ١٩٤٧ - الطبعة السابعة عشرة، ص ٢١٠ و١٢٣٢).

في النظر إلى الحياة، وإن كانوا هم أحسن منه تستراً ومُدَاراةً.

(أ) كان أبو محمد طلحةُ أَسَنَ مِنْ أَخَوَيْهِ وَأَكْثَرَ وَجَاهَةً، كَتَبَ (وَزَرَ) لِلْمَتَوَكَّلِ بْنِ الْأَفْطَسِ وَكَانَ يَسَامِرُهُ، وَلَعَلَّهُ اتَّصَلَ بِالْمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَّادٍ. ثُمَّ كَتَبَ لِيُوسُفَ بْنِ تَاشَفِينَ. وَلَمَّا تَوَفَّى يُوسُفُ بْنُ تَاشَفِينَ، وَخَلَّفَهُ ابْنُهُ عَلِيُّ (٥٠٠ - ٥٣٧ هـ) ظَلَّ أَبُو مُحَمَّدٍ بِنِ الْقِبْطَرُونَةِ عَلَى اتِّصَالِ بِالْبَلَاطِ الْمُرَابِطِيِّ.

(ب) أَمَّا أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدٌ فَكَانَ أَيْضاً شَاعِراً بَارِعاً، وَلَكِنْ أَخْبَارُهُ أَقَلُّ مِنْ أَخْبَارِ أَخَوَيْهِ.

(ج) وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ الْعَزِيزِ فَلَعَلَّهُ أَصْفَرُ الْإِحْوَةِ الثَّلَاثَةِ سِنِئاً، وَتَذَكَّرَ الْمَصَادِرُ أَنَّهُ كَانَ فَتًى جَمِيلاً وَأَنَّهُ تَوَلَّى الْوِزَارَةَ قَبْلَ أَنْ يَلْتَحِيَ وَلُقَّبَ «الرئيس الكاتب الوزير الخطير». ويبدو أن مكثه عند بني الأفطس في بطنليوس يلي لهم الوزارة قد طال حتى لُقِبَ «البطنليوسي». وكانت وفاته سنة ٥٢٠ هـ (١١٢٦ م).

٢- كان شعرُ بني القبطرونه وجُدَانِيّاً عَذْباً وَأَكْثَرُهُ مَقْطَعَاتٌ فِي أَغْرَاضِ عَارِضِيَّةٍ. وَشِعْرُهُمْ سَهْلٌ عَذْبٌ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَعَانٍ مَبْتَكِرَةٌ وَلَا بَعِيدَةٌ الْفَوْرِ.

٣- مختارات من أشعارهم:

- كَتَبَ أَبُو مُحَمَّدٍ طَلْحَةُ بْنُ الْقِبْطَرُونَةِ إِلَى أَبِي نَصْرِ الْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ الْأَنْدَلُسِيِّ صَاحِبِ كِتَابِ «قَلَانِدِ الْعِيقَانِ» (وَقَدْ غَادَرَ أَحَدُهَا بِلَدِهِ):

أَبَا النَّصْرِ، إِنَّ الْجَدَّ لَا شَكَّ عَائِرٌ، وَإِنْ زَمَاناً شَاءَ بَيْنَكَ جَائِرٌ^(١).
فَلَا تُوَجِّتْ مِنْ بَعْدِ بُعْدِكَ رَاحَةً، وَلَا حَنْتَ عَلَيْهَا الْمَزَامِرُ^(٢).
وَلَا اكْحَتَلْتِ مِنْ بَعْدِ نَائِكَ مُقْلَةً، وَلَا ضَمَمْتِ عَلَيْهَا الْمَحَاجِرُ^(٣).

(١) الجَدُّ (الخطُّ) عَائِرٌ (واقع، ساقط): حَظِي سَيِّءٌ. بَيْنَكَ: فِرَاقَكَ (البعد عنك). جَائِرٌ: حَائِدٌ عَنِ الصَّرَابِ (ظالم).

(٢) الرَّاحَةُ: الْكَفُّ. الرَّاحُ: الْحُمْرُ. حَنْتَ: رَنَّتْ (صدر عنها صوت حينما تنقر أوتارها أو ينفخ فيها). لَا دَارَتْ بَعْدَكَ الْحُمْرُ وَلَا صَدَحَتْ الْمَوْسِقِيُّ (لَا كَانَ بَعْدَكَ سُرُورٌ وَلَا لَهْوٌ).

(٣) النَّايُ: الْبَمَادُ. الْمَجْرُ (بفتح فسكون فكسر): التَّجْوِيفُ الَّذِي تَكُونُ الْمُقْلَةُ فِيهِ.

ولي رَغْبَةٌ جاءَتْكَ وَهِيَ مُدَّةٌ
 لتَعْلَمَ أَنِّي عن جوابِكَ عاجزٌ
 وكيفَ أُجاري سابقاً لم تَقُمْ له
 إذا قِيلَ: من هذا؟ يقولون: كاتبُ!
 وإنْ أَخَذَ التحقيقُ فيكَ بحَقِّه
 تُسْمِعُكَ الألبابُ وهي أواسفُ،

- وقال في الخمر:

إذا ما الشوقُ أرقني
 فضضتُ الطينةَ الحمراء
 - وقال يرثي امرأته أمَّ الفضل:

مَعاذَ اللهِ أنْ أسلو ببيدرٍ
 ولا لإراكية نَهَضتْ بِحقو
 ولا تقاحية طلعتْ بِمُحَدِّ

(١) مدَّة: حزينَةٌ في طلب الأشياء (منك).

(٢) أجاري: أسبق. السابق: الحصان. لم تقم له: (لم تنافسه) هبوب الصبا (الرياح الشرقية، الريح) والعاصفات (جمع عاصفة) الخواطر (التي تهب فجأة - وتكون عادة سريعة عنيفة).

(٣) الألباب (العقول) أواسف (جمع أسفة: حزين). الألحاط (العيون) مواطر (تطر، تدمع): باكية، حزينه.

(٤) أرقني: أقلق نومي، منع نومي. كتب: قرب.

(٥) فضضت (نزعت، أزلت) الطينة الحمراء (الحمم الذي يكون على دَنِّ الخمر أو على قنينة الخمر) عن صفراء كالذهب (خر صافية عتيقة).

(٦) معاذ الله (لا قدر الله) أن أسلو (أنسى أمَّ الفضل، ولو كان بجانبني بدر: امرأة أخرى جميلة) وأن أصبو (أشتاق، أميل) إلى كأس خر (ينسني أمَّ الفضل).

(٧) أراكية: شجرة (كناية عن المرأة الرشيقه الجميلة). نهضت: قامت، بدا لها. الحقو (بالفتح أو بالكسر): حيث يعقد الإنسان إزاره (الجانب الأدنى من الخصر). الردف (بالكسر): أحد قسيمي مؤخره الإنسان. وعظيم خصر (المقصود معظَّم خصر): دقيق الخصر (?).

(٨) ... ولا خذ أحمر جميل، ولا نهد بارز على صدر فتاة.

وَأَنْ أَلْهُو مِنَ الدُّنْيَا بَشِيئَةً ، وَأُمُّ الْفَضْلِ ، يَا أَسْفَا ، بِقَبْرِ !

★ - وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَبْطَرُونِ فِي النَّسِيبِ :

ذَكَرْتُ سَلِيمِي وَحَرَّ الْوَعْيِ كَجَنِينِي سَاعَةً فَارَقْتُمَا (١) .
وَأَبْصَرْتُ بَيْنَ الْقَنَسَا قَدَّهَا ، وَقَدْ مِلَّنْ نَحْوِي فَقَبَّلْتُمَا (٢) ؛

★ - وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ الْقَبْطَرُونِ يَدْعُو صَدِيقًا إِلَى جَلْسَةِ أَنْسٍ :

هَلُمَّ إِلَى رَوْضِنَا ، يَا زَهْرًا ؛ وَلُحٌّ فِي سَهْلِ الْمُنَى ، يَا قَمَرًا (٣) .
هَلُمَّ إِلَى الْأَنْسِ ؛ سَهْمُ الْإِخَاءِ لَقَدْ عَطَلْتُ قَوْسَهُ وَالْوَتَرَ (٤) .
إِذَا لَمْ تَكُنْ عِنْدَنَا حَاضِرًا ، فَمَا لِنُصَوِّنَ الْأَمْرَانِي ثَمْرًا .
وَقَعْتَ مِنَ الْقَلْبِ وَقَعَ الْمُنَى ، وَحَسَنْتَ فِي الْعَيْنِ حُسْنَ الْحُورِ (٥) .

- وَهُوَ يَرْتِي امْرَأَتَهُ :

يَا رَبَّةَ الْقَبْرِ ، فَوْقَ الْقَبْرِ ذُو حُرْقٍ تَبَايَنْتَ فِيكَ أَحْوَالِي أَسَى ، فَمَضَى إِلَى لِقَائِكَ صَبْرِي طَالِبَ الْوَسَنِ (٦) ؛
وَخَالَفَ الْقَلْبُ فِيكَ الْعَيْنَ مِنْ كَمَدٍ فَاسْوَدَّ بِالْغَمِّ وَابْيَضَّتْ مِنَ الْحَزَنِ (٨) ؛

★★★ - كَانَ لِلْمَتَوَكَّلِيِّ عَمْرٍاءَ بْنِ الْأَفْطَسِيِّ صَاحِبِ بَطْلَيْوُسٍ مُنِيَّةً (رَوْضَةً وَسَاعَةً ،

(١) الوعى: الحرب.

(٢) القنسا: الرماح. قدها: قامتها. ذكرتها الرماح بقامتها. فلما مالت الرماح نحوي (لتقتلني) قبلت تلك الرماح (هذا من قول عنتره: ولقد ذكرتك والرماح... راجع عنتره في الجزء الأول من هذه السلسلة).

(٣) يا زهر، يا قمر (أيها الذي تشبه الزهر والقمر). لِح (فعل أمر من لاح): ظهر، حضر.

(٤) ... تعال إلينا. سهم الإخاء.... (٤).

(٥) في الإحاطة: وحزت من العين حسن الحور (أنت منّا كالبيوؤ من العين: لا يستغنى عنك، ولا نفع للعين بغير بيوؤ).

(٦) فوق (عند) القبر ذو حرق (يقف زوجك). الشجو والشجن: الحزن.

(٧) تبائن: اختلف. الأسى: الأسف، الحزن. الوسن: النوم.

(٨) الكمد: الحزن الشديد... قلبي الأبيض أصبح أسود (بالحزن) وبيوؤ عيني الأسود صار أبيض (لا يرى) من كثرة البكاء.

ضبعة خيبة)، وكان بنو القبطرونه يَقْضُونَ فيها بعضَ أَيَّامٍ لهوهم . ففي ليلة سَكروا
فَقَلَبَهُمُ النُّومُ . وَقُبِّلَ الصُّبْحُ اسْتَيْقَظَ أَبُو مُحَمَّدٍ فَقَالَ :

يا شَقِيحِي ، وَاغَى الصَّبَاحُ بوجهِ
سَتَرَ اللَّيْلَ نُورَهُ وَهَيَّأَهُ^(١) ؛
فاصْطَبَّحْ وَاغْتَنِمْ مَسْرَةَ يَوْمٍ .
لَسْتَ تَدْرِي بِمَا يَجِيءُ مَسَاؤَهُ^(٢) .
ثمَّ اسْتَيْقَظَ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ :

يا أُخِي ، قُمْ تَرِ النَّسِيمَ عَلِيلاً :
بَاكِرِ الرُّوضِ وَالْمُدَامَ شَمُولاً^(٣) .
لا تَنَمْ وَاغْتَنِمْ مَسْرَةَ يَوْمٍ ؛
إِنَّ تَحْتَ التُّرَابِ نَوْمًا طَوِيلًا !
في رِياضِ تَعَانَقَ الزَّهْرُ فِيهَا
مِثْلَ مَا عَانَقَ الحَلِيلُ خَلِيلًا .
ثمَّ اسْتَيْقَظَ أَبُو الحَسَنِ فَقَالَ :

يا صَاحِبِي ، ذَرَا لَوْمِي وَمَعْتَبَتِي ،
قُمْ نَصْطَبِّحْ خَرْمَةً مِنْ خَيْرِ مَا ذَخَرُوا^(٤) ؛
وَبَادِرًا غَفْلَةَ الأَيَّامِ وَاغْتَنِمَا .
فَالْيَوْمَ خَمْرٌ ، وَيَبْدُو فِي غَدٍ خَبْرٌ^(٥) .

٤- ** * فَلَائِدُ العَمِيانِ ١٦٩ - ١٧٦ ؛ المَغربُ ١ : ٣٦٧ - ٣٦٨ ؛ الحَريْدَةُ (الأندلس) ٢ :
٤١٢ - ٤١٩ ؛ المَغربُ ١٨٦ - ١٨٧ ؛ المَحبُ ١٧٣ ؛ الإحاطَةُ ١ : ٥٢٨ - ٥٣١ ؛
نَفعُ الطَّيِّبِ ١ : ٦٣٤ - ٦٤٠ ، ٤ : ٥٥ ؛ دَائِرَةُ المَعَارِفِ الإِسْلامِيَّةِ ٣ : ٨١٣ - ٨١٤ ؛
نِكَلُ ١٧٣ - ١٧٩ .

مُحَمَّدُ بنُ بَشِيرٍ

١- هو أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الصَّمَدِ بنِ بَشِيرِ التَّنُوخِيِّ المَهْدَوِيِّ ، كانَ مِنْ

(١) وَاغَى : أَقْبَلَ ، جَاءَ . نُورُ الصَّبَاحِ وَهَيَّأَهُ (جَمالَهُ) سَتَرَ اللَّيْلَ (أَذْهَبَ سِوَادَ اللَّيْلِ) .

(٢) اصْطَبَّحَ : شَرِبَ الخَمْرَ صَباحاً .

(٣) عَلِيلٌ : مَرِيضٌ (خَفِيفٌ ، فِيهِ بَرْدٌ يَسِيرٌ وَرَطوبَةٌ يَسِيرَةٌ يَنْعَثانُ الجِسمُ) . المُدَامُ : الخَمْرُ . شَمُولٌ (مَشْمُولَةٌ ،
الرَّيحُ البَارِدَةُ) : بَارِدَةٌ .

(٤) وَذَرَا ، يَذُرُ : يَرْبِتُ دَخْرٌ = إِذْخَرُ : خَيْأً (مَدَّةً طَوِيلَةً) .

(٥) بَادِرٌ : سَبِقٌ . خَمْرٌ (لَهُوَ) . يَبْدُو خَمْرٌ (يَجِدُ مَا يَسِيءُ إِلَى الإِنسانِ) : خَبَرُ المَوْتِ .

شعراء الأمير علي بن يحيى بن تميم الصنهاجي، وقد مدحه لمأفّح مدينة قابس (تونس)، سنة ٥١١ هـ. وكانت وفاته في حدود ٥٢٠ هـ (١١٢٦ م).

٢- كان محمد بن بشير أديباً شاعراً جمّع رقّة المعنى ومثانة السبك إلى وضوح الأغراض. وكانت له براعة في الوصف.

٣- مختارات من شعره:

- قال محمد بن بشير قصيدة يصف فيها الأسطول الذي أنشأه الأمير علي بن يحيى في ثغر المهديّة. وكان هذا الأسطول مزوداً أسلحة نارية: من هذه القصيدة:

وأعددت للأعداء كلّ مصمّم	يسير إليهم قاصداً وهو أهوج ^(١) ؛
كَيْسَلِ الرواسي مِنَعَةً، غير أنها	على تَبَجِ الدّماءِ تَردي وتُدَلج ^(٢) .
كأنّ القنا والتبّل في جنباتها	سِبَالٌ بأكنافِ الهضابِ وعَوْسج ^(٣) .
يُعيدُ مضيءَ الجوّ أقتَمَ حالِكاً	دُخانٌ لظي من نارها يتوهج ^(٤) .
إذا نَضْنَضتْ من ألسنٍ لهيبيّة	بمِارجٍ نارٍ يستقلّ ويعرج ^(٥) ،
رأيتَ صِلالاً أُخرجتْ من جهنّم	تُحرقُ أكبادَ العداةِ وتُنضج ^(٦) .

٤-★★ مجمل تاريخ الأدب التونسي ١٧٥ - ١٧٦.

- (١) المصمّم: الذي عزم ثم لا يريد أن يرجع عن عزمه. القاصد: المتجه اتجاهاً مستقيماً. أهوج: مجنون.
- (٢) الرواسي: الجبال. المنعة (في القاموس: بفتح ففتح): الحصانة، والمنيع ما يصبب الوصول إليه. تبج: الدماء: وسط البحر. تردي: سير بلا مبالاة (واثقة من نفسها). أدلج: سار ليلاً.
- (٣) القنا جمع قنّاء: رمح. النيل جمع نيلة: سهم. السبلة (بفتح ففتح) = السنبلة: مجموع ثمر القمح (إشارة إلى ما فيه من النوك). العوسج: نبات ذو شوكة. أكناف جمع كنف (بفتح ففتح): طرف. الهضاب: الأراضي المرتفعة. - يشبه المراكب الحربية هضاب على أطرافها شوكة كثيرة (لكثرة السلاح في تلك المراكب).
- (٤) أقم حالك: (شديد السواد). لظي: نار. يتوهج: يتقد، يشتمل، بتلألاً.
- (٥) نضضت الحية: أخرجت لسانها (وحركته ميمناً وشلالاً). المارج: لهيب النار الذي لا يخالطه دخان. يستقلّ: يندفع اندفاعاً مستقيماً. يعرج: يبيل، ينحرف. واستعمل الشاعر يعرج (بفتح الراء لم يستقم شبه) بمعنى عرج.
- (٦) الصلال هنا لا توافق المعنى. والشاعر يقصد الأصلال جمع صلّة (بكر الصاد): الحية الحبسنة.

أبو بكر بن رحيمة

١ - هو أبو بكر محمد بن أحمد بن رحيمة صاحب الديوان المشرف ذو الوزارتين كان من بيت جاه ووزارة، مدح الأمير أبا اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف بن تاشفين بقصيدتين في سنة ٥١٥ هـ (١١٢١ م). وكانت وفاته سنة ٥٢٠ هـ (١١٢٦ م).

٢ - كان أبو بكر محمد بن رحيمة شاعراً كثيراً مطيلاً أكثر فنونه المدح والوصف والغزل والنسيب.

٣ - مختارات من شعره:

- قال أبو بكر محمد بن رحيمة من قصيدة يصف فيها الرياض:

لله يوم ضربنا للمدام بها رواق لهُو بطاسات وجامات^(١)،
وللبلابل الحان مرجمة تَجِيْبُنَّ غوايننا بأصوات^(٢)،
وللرياحين أنفاس مُعْبِرَةٌ مَعَ الرياح تُوافينا لأوقات.
حدائق أحَدَتْها للمنى شجر خُضْرٌ وأودِيَةٌ حَفَّتْ بروضات^(٣).
جنان أنس رعى الرحمن بَهْجَتَها حَسِبْتُ نَفْسِي منها وَسَطَ جنات.
منازل - لست أهوى غيرها - سَقِيَتْ حَيًّا يَمُّ وَخُصَّتْ بالتحيات^(٤).

- وله في النسيب:

خَلِيْلِي، سِيرا وارْبِعا بالمناهل وَرُدًّا تَحِيَّاتِ الخَلِيْطِ المَزايِلِ^(٥).

- (١) الرواق: جانب البيت (مجر مسقوف). رواق هو: مدة طويلة من اللهو. الطاس والجام: وعاءان تشرب بها الخمر.
(٢) المرجمة: المترددة في الحلق. الألحان المرجمة: المتلاحقة. الفواقي: النساء الجميلات، المنقيات.
(٣) أحَدَتْها = أحَدَتْ (أحاطت) بها.
(٤) الحيا: الطر.
(٥) ريع: وقف. المنهل: مكان استقاء الماء (وتكون عنده مساكن). الخليط: الساكن مع غيره، العشير. المزاييل: الذي ينوي الرحلة والسفر.

فإن سألَ الأحبابُ عنيَ تَشوقاً
 لعلَّ الصِّبا تأتي فتُحنيَ بِنَفْحَةٍ
 فيا ليتَ أعناقَ الرِّيحِ تُقلِّني
 وتُنزِلني ما بينَ تلكَ المنازلِ^(١).

- موشحة لابن رحيم:

هَزَّ أرتياحي راحٌ بِراحي مِسْكِيَّةُ الأَنفاسِ سَحَبَ الوِشاحِ^(٢)

* * *

ما لَذَّةُ الدنِيا إِلاَّ كُؤُوسُ:
 سُلَافَةٌ تَحيا بِها النَفوسُ؛
 تُديرها سُقيانا لِنا شُموِسُ^(٣)

في روضِ راحٍ غَسَّضَ النَّواحي يُهَدِّيكَ عَرَفَ الأَسِّ مَعَ الرِّواحِ^(٤)

* * *

يا شادناً أخوى رَقَفْتُ أَمري
 إِلَيْكَ، والشكوى عُنوانُ صَبري
 لا تَحشَّ أَنْ أَهوى سِواكَ، عمري^(٥).

- (١) البلابل جمع بلبل: شدة الهم.
 (٢) الصبا: ربيع الشرق. من تلقاء: من نحو، من عند. قاتلي (المحبوب الذي كاد حبه يهلكني).
 (٣) ليت أعناق الرياح تقلني: ليت الريح تحملني (بسرعة إلى المحبوب).
 (٤) الارتياح: السرور والنشاط (في نفس الإنسان لطلب اللهو أو لفعل جيد أو غير جيد). راح: خمر (كأس خمر) براحي (على كفي). الوشاح: نسيج عريض تلفه المرأة حول القسم الأعلى من جسمها. سحب الوشاح (٤).
 (٥) السلافة: الخمر الحالصة، الصافية. تديرها (تدور علينا بها) سقيا: لسقيانا (لنشرها) شموِس (نساء جيلات).
 (٦) في القاموس (١: ٣٢٤، السطر التاسع): يوم راح (برفعها): شديد الريح. روض راح: ذكي الرائحة وزكيتها (٤). غسّض: ناضر. الرواح: المساء.
 (٧) الشادن: ولد الطيبة. الأخوى: الأسمر الشفة. عمري = طول عمري.

أَنْتَ أَقْرَاحِي مِنَ الْمِلَاحِ أَغْنَى عَنِ النَّبْرَاسِ ضَوْءُ الصَّبَاحِ^(١)

* * *

أَهْوَاكَ لِلْفَضْلِ وَلِلتَّسْلَاءِ
وَذَلِكَ النَّبْلِ مَعَ السَّاءِ
وَالْمَقْلِ وَالنُّجْلِ وَهَنْ دَائِي^(٢).

مَرَضَى صِحَاحٍ تَبْرِي صِرَاحٍ وَلَا تَنْسِي، يَا نَاسُ، وَرَبُّ جَنَاحِي^(٣)

* * *

صِلْنِي، أَيَا خَلِّي، أَخْشَى تَلَافِي.
وَالْمَوْتُ فِي الْوَصْلِ مَعَ الْعَفَافِ
وَلَيْسَ مِنْ قُبْلِ وَلَا ارْتِشَافِ^(٤)

ثَغْرُ الْأَقَاحِي عَلَى السَّمَاحِ لَذِي الْعَلَا مِنْ بَاسٍ وَلَا جُنَاحِ^(٥)

* * *

لَا أُنْسَ مَا عَشْتُ يَوْمًا شَرِبْتُ
مَعَ مَنْ بِهِ هِمْتُ يَوْمًا فَقُلْتُ

(١) الملاح: النساء الجميلات. النبراس: السراج.

(٢) النبل: الشرف. الساء: الرفعة. المقل (الميون) النجل (الواصة).

(٣) مرضى (فاترة، ناعسة: تظهر كأنها مريضة). تبري = تبريء: تشفي. صراح (بالضم): صراحة (بالفتح)، بلا شك. يا ناس (أيها الناسي). رش (ضع ريشاً) في جناحي (كناية عن المساعدة على القوة والحياة والثروة).

(٤) تلافي (يقصد تلفي): هلاكي. قبل (يجب أن تكون بضم ففتح). جمع قبلة (بالضم). ارتشاف: شرب من ريق المنيب.

(٥) الثغر (الفم) الذي فيه أسنان مثل بتلات الأصحوان (رقيقة بيضاء منتظمة). السامح: الكرم. لذي العلا من باس: من (يفتح فسكون) باس (قَبِلَ ؟) أو من (هكسر فسكون) باس (شدة، مانع، حرج). وموَدِّي القراءتين واحد. « لدى العلا » (٤). جناح: ذنب.

حِينَ تَنَاشَيْتُ وَقَدْ طَرَبْتُ^(١) :

بِسَالِهِ، يَا صَاحِبَ، دُرُّ كَأْسِ رَاحٍ وَدَعَّ كَلَامَ النَّاسِ مَعَ الرِّيحِ^(٢)

٤- ** فَلَائِدُ الْعُقَيَانَ ١٢٩ - ١٤٤ هـ المَحمَدُونَ ٧٩ - ١٨١ هـ الخَريْدَةُ (الأندلس) ٣٦٩ - ٣٨٣ هـ ؛ بَغِيَّةُ الْمَلْتَسِ ٤٢ - ٤٣ (رقم ٣٠) ؛ المَغرب: ٢ : ٤١٧ - ٤١٨ هـ ؛ جِيشُ التَّوَشِيحِ ١٧٠ - ١٨١ هـ ، رَاجِعِ ٢٦٦ - ٢٦٨ هـ ؛ نَفْحُ الطَّيْبِ ١ : ٦٧٣ ؛ نَيْكَلُ ٢٦٠ - ٢٦١ هـ ؛ مَخْتَارَاتُ نَيْكَلِ ١٧٣ - ١٧٤ هـ .

الْمُتَنَبِّي الْجَزِيرِي

١- هُوَ أَبُو طَالِبٍ (أَوْ أَبُو الْوَلِيدِ) عَبْدُ الْجَبَّارِ الْمَعْرُوفُ بِالْمُتَنَبِّي الْجَزِيرِي وَبِالْمُتَنَبِّي الشَّقْرِي (نَسَبُهُ إِلَى جَزِيرَةَ شَقْرٍ قَرِبَ شَاطِئَةِ)^(٣) . وَبِالْمُتَنَبِّي الْأَنْدَلِسِيِّ أَيْضًا . يَبْدُو أَنَّهُ فِي الْقِسْمِ الْأَوْفَرِ مِنْ حَيَاتِهِ لَمْ يَطْرَأْ عَلَى الدَّوْلِ (لَمْ يَتَكَسَّبْ مِنْ مَلُوكِ زَمَانِهِ) ، وَلَكِنَّهُ فِيهَا بَعْدُ اتَّصَلَ بِالْمُرَابِطِيِّينَ وَمَدَحَ عَلِيَّ بْنَ يُوْسُفَ بْنِ تَاشَفِينَ . وَكَانَ لَا يَزَالُ حَيًّا فِي سَنَةِ ٥٢٠ هـ (١١٢٦ م) .

٢- الْمُتَنَبِّي الْجَزِيرِيُّ شَاعِرٌ وَنَاطِرٌ ، وَلَكِنَّ شِعْرَهُ أَعْلَى طَبَقَةٍ مِنْ نَثَرِهِ . وَشِعْرُهُ رَقِيقٌ يَدُورُ أَكْثَرَهُ عَلَى الْفَزْلِ وَالْوَصْفِ . وَيَبْدُو مِنْ أَرْجُوزَتِهِ عَلَى الْأَخْصِ أَنَّهُ كَانَ مُتَفَنَّئًا فِي وَجْهِ الْعِلْمِ وَالْفَلَسَفَةِ ، وَفِي الْمُنَاطِقِ وَعِلْمِ الْكَلَامِ خَاصَّةً . وَهُوَ أَشْعَرِيُّ الرَّأْيِ . يَعْتَقِدُ بِالصِّفَاتِ الَّتِي هِيَ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى وَيَكْرَهُ الْمَلَاخَةَ وَالْمُجَادِلِينَ بِغَيْرِ عِلْمٍ . وَهُوَ أَرْجُوزَةٌ بِدَآئِهَا بِالْكَلَامِ عَلَى أَشْيَاءٍ مِنَ الْعِلْمِ وَالْفَلَسَفَةِ يَجْمَعُهَا مِنْ نَفَرٍ مِنَ الْفَلَسَفَةِ الْقَدَمَاءِ وَالْمُتَأَخِّرِينَ بِلَا قَاعِدَةٍ ثَابِتَةٍ . ثُمَّ قَصَّ فِي هَذِهِ الْأَرْجُوزَةِ أَحْدَاثَ التَّارِيخِ ، مُنْذُ خَلَقَ آدَمَ ، مَزْجُوجَةً بِكَثِيرٍ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ (الْمُخْرَفَاتِ الْمَأْخُودَةِ عَنِ الْيَهُودِ) . ثُمَّ جَاءَ

(١) هَامٍ : شَفَّ حَيًّا . أَحَبَّ حَيًّا شَدِيدًا . تَنَاشَى (لَيْسَتْ فِي الْقَامُوسِ) : دَارَ فِيهِ الْكُفْرُ .

(٢) دَر (الْمَقْصُودُ أَدْر) . الرِّيحُ : الْخَمْرُ .

(٣) جَزِيرَةُ شَقْرٍ أَرْضٌ مَحْصُورَةٌ بَيْنَ نَهْرِ شَقْرِ وَرَافِدِهِ لَهْ شَالَهُ . وَشَاطِئَةُ قَرِيبَةٌ مِنْ مَنْتَصَفِ السَّاحِلِ الشَّرْقِيِّ مِنَ الْأَنْدَلُسِ . وَشَقْرٌ بِالْفَتْحِ (تَاجُ الْعُرُوسِ - الْكُوَيْتِ ١٢ : ٢٢٢) ، وَبِالضَّمِّ (وَقِيَّاتُ الْإِعْيَانِ ١ : ٥٧) .

إلى تاريخ الإسلام في المشرق والأندلس (ولم يُعرَّج على تاريخ المغرب في قاره إفريقية)، فَلَ ذلك كله على غاية من الإيجاز واعتمد في ذلك (كما يقول هو) المؤرخ المسعودي وغيره. ولكنه كان أكثر توسعاً في تاريخ الأندلس. وقد وصل في القصص (في السرد) إلى أيام علي بن يوسف بن تاشفين (٥٠٠ - ٥٣٧ هـ). وتبلغ هذه الأرجوزة أربعاً وأربعين وستين بيتاً^(١).

٣ - مختارات من آثاره:

- كان المتنبي الجزيري مرةً في باب الحنش بمدينة بلنسية فأبصر فتاة جميلة في أذنيها قرطان كأنها كوكبان فقال فيها قصيدةً مطلعها:

معرش الناس، بباب الحنش بَدْرُ تَمَّ طالِعٌ في غَبَشِ^(٢).
عَلَّقَ القُرْطَ على مِسمِهِ مَنْ عليه آفةُ العَيْنِ خَشِي!

- وله في الحمر (يجري في سبيل أبي نواس):

وخارٍ - أنختُ به - مسيحي رخيماً الدلّ ذي وتّرٍ فصيح^(٣).
سَقاني تَمَّ غَنّاني بصوتٍ، فداوى ما بقلبي من جروح.
وفضّ فَمَ الدنانِ على اقتراحي ففاح البيتُ منها طيبَ ريح^(٤).
فقلتُ له: «لِكم سَنَةٌ تراها؟» فقال: «أظنُّها من عهدِ نوح.»
فلَمّا أن سدا الناقوسُ صوتاً دعاني: أن هَلُمَّ إلى الصبوح^(٥).
وحَيّاني - وفدّاني - بكأسٍ، وقبّلني فردّ إليّ روعي.

- من الخطبة التي قدّم المتنبي الجزيري بها أرجوزته:

- (١) يمكن أن تصبغ هذه الأرجوزة أربعاً وخمسة وستين بيتاً. في الذخيرة (١: ٩٣٢)، في الحاشية بيتان: أولهما قراءة مختلفة من بيت في المتن، وثانيهما بيت جديد.
- (٢) باب الحنش: محلة في بلنسية، أو في سرسطة. الغيش: ظلمة آخر الليل.
- (٣) الدلّ = الدلال: الفنج، تجرّو المحبوب على الحبّ.
- (٤) الدنّ: وعاء الحمر الكبير.
- (٥) الصبوح: شرب الحمر صباحاً.

.... لَمَّا كَانَتْ مُخَاطَبَةُ الرَّئِيسِ تَنْوُبُ عَنْ لِقَائِهِ الَّذِي هُوَ حَيَاةُ النَّفْسِ وَرَبِيعُ الْقُلُوبِ وَكَانَتْ حَالِي (١) قَدْ أَنَاخَتْ بِذُرَاهِ الرَّحْبِ (٢)، وَأَمَالِي قَدْ كَرَعَتْ فِي مَوْرِدِهِ الْعَذْبِ، إِذْ هُوَ سَمَاءٌ تُنْطَرُ وَبِحَرِّهَا لَا يُكْدَّرُ وَغَيْثٌ مُنْرَعٌ (٣) يَجِيءُ بِهِ الْمُجْدِبُ. وَمَا زَلْتُ أُرُومُ لِقَاءَهُ عَلَى تَرَاحِي الْأَيَّامِ فَيَحُولُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ قَدْرٌ لَا يُرَامُ (٤) وَعِقَالٌ تَقَاضِيهِ غَيْرُ مُطْلَقٍ (٥) وَبَابُ الرَّجَاءِ بِهِ (٦) مُغْلَقٌ. فَأَعْمَلْتُ الْمِدَادَ (٧) وَالْأَقْلَامَ بِرَجَزٍ صَنَعْتُهُ وَكَلَامٍ وَضَعْتُهُ. وَالغَرَضُ فِيهِ امْتِدَادُهُ، وَالقَصْدُ مِنْهُ اسْتِمْنَاحُهُ (٨). وَهُوَ فِي مَعْنَى مَا تَضَمَّنَتْهُ كُتُبُ التَّوَارِيخِ: قَطَفْتُ عَيُونََ زَهْرِهَا وَالتَّقَطْتُ مَكْنُونََ دُرِّهَا (٩). وَاقْتَصَرْتُ عَلَى أَقْلَهَا دُونَ أَكْثَرِهَا تَمَّا لَا يَسَعُ جَهْلُهُ. وَحَذَفْتُ كُلَّ حَدِيثٍ يَتَغَلَّلُ وَخَيْرٌ يَتَسَلَّلُ (١٠)، إِلَّا مَا زِدْتُ حَلَاهُ رَوْنَقًا وَمُجْتَلَاهُ تَأَلَّفًا (١١) مِنْ شَأْنِ فَتْحِ الْأَنْدَلُسِ وَمَا اتَّصَلَ بِذَلِكَ مِنْ أَخْبَارِ أَمْلَاكِيهَا الدُّرُسِ (١٢) إِلَى وَقْتِنَا هَذَا وَمَنْ وَلِيَهَا مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ وَغَيْرِهِمْ. وَذَكَرْتُ مَنْ وَلِيَ بِالْمَشْرِقِ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ بَعْدَ الْمُطِيعِ اللَّهُ (١٣) إِلَى وَقْتِنَا هَذَا -

(١) اقرأ: رحالي.

(٢) أناخت (بركت، نزلت) في ذراه (مكانه العالي، السامي) الرحب (الواسع).

(٣) المرع: الخصب.

(٤) تراخي الأيام: تطاولها. امتدادها. يجول (يعترض) بيني وبينه. قدر (أمر مكتوب على الإنسان) لا يرَامُ (؟) مبني للمجهول من «رام - يرم» : بارح، ترك) لا يستطيع الإنسان أن يتجنب وقوعه.

(٥) عقال (رباط). التقاضي: مطالبة الغريم (المدين) بما عليه من مال. (والمقصود هنا: المربوط به).

(٦) اقرأ: دونه (دون علي بن يوسف بن تاشفين). أو «باب الرجاء به» (بالقدر) دونه مغلق.

(٧) الداد: الحبر الأسود. عملت: استخدمت (؟) لم أستطع أن أركب جلاً وآتي إليه فركبت الحبر والأقلام: وجهت إليه هذه الأرجوزة).

(٨) الاستمناح: طلب المنح (العطاء).

(٩) العين: المنتخب، النفيس من كل شيء. الزهر بفتح ففتح كالزهر بفتح فسكون. المكنون: الخبياً (لنفاسته) الدرّة (اللؤلؤة).

(١٠) يتغلل: أسرع، دخل، جرى، تطبّط بالطمر (وهذه المعاني لا توافق المقصود) اقرأ: يتعلم (بالعين المهملة): يضطرب. يتسلسل (يستمر ويتشعب).

(١١) إلّا ما زدت حلاه (زينته) رونقاً (جمالاً) ومجتلاه (منظره) تألّفًا (لعاناً).

(١٢) أملاك جمع ملك. الدُّرُس (الذين درسوا): فنوا (بضم النون)، ماتوا.

(١٣) المطيع العبّاسي (٣٣٤ - ٣٦٣ هـ).

وهو وقت التاريخ الذي ذكرته في الأرجوزة - والإمام الآن فيه القائم بأمر الله^(١) ابن القادر بالله. وقصدتُ إلى معنى الاستدكار به^(٢) لجوامع التاريخ والأخبار وسلكتُ مذهبَ الاختصار، رجاء أن تُطَلِّعني قريحتي على مغزاهُ وتُنشِطَ مِنِّي إلى قرب مرَّماه^(٣). وقدمتُ أولاً (في الأرجوزة) مقدماتٍ من أصول الاعتقادات.

- من أرجوزة المنتبى الجزيري (في الغاية وفي حمد الله وفي العلم والدين والتاريخ) :

... أهدي من القريض ما نَمَقْتُهُ
إلى رئيسِ سَيِّدِ أُمَّلْتُهُ^(٤)؛
في كَلِمِ كُلُّوَلُو العُقودِ
أُنْظِمُ ما ضَمَّنَهُ المَسْعُودِي
وغيره من سائر الأئمة
في كلِّ مَنْ وُلِّيَ أَمْرَ الأُمَّةِ؛
مُقْتَصِراً منه على عيونِهِ
وحاذِفاً للحشو من فُنُونِهِ.
والحمدُ للمُبْتَدِعِ السَّليهِ
والأرضِ ذي الآلاءِ والنِّعماءِ^(٥)
وكلِّ شيءٍ عنده معلومٌ،
فَهُوَ الإِلَهُ الواحِدُ القَيُّومُ.
إيَّاهُ فَاعْبُدْ، أَيْها الإنسانُ،
فهو اللطيفُ القادرُ المَنَّانُ.
عَلَّمْنَا بالقَلَمِ البَيانِنا
حَتَّى عَلِمْنَا قَبْلُ ما قد كانا^(٦)؛
مِنْ أَمْرِ بادَتْ بِصَرْفِ الأَدْهِرِ
أَشْهَدُنا مِنْ ذاكِ ما لم نَحْضُرِ^(٧)؛
سُبْحانَهُ مِنْ واحِدِ قَدِيرِ
مُصَرِّفِ الأَزْمَانِ والدَّهْوَرِ.

- (١) القائم العباسي (٤٢٢ - ٤٦٧ هـ = ١٠٣٠ - ١٠٧٤ م)، وهذا يدل على أن المنتبى الجزيري بدأ نظم أرجوزته باكراً (في أيام يوسف بن تاشفين).
- (٢) استدكار (القاموس ٢: ٣٦): حفظ. جوامع التاريخ: الأحداث الجامعة لمظاهر كثيرة، المهمة، البارزة.
- (٣) مغزاه: خلاصته والمقصود منه. تنشيط منِّي (توقِّي) إلى مرماه (نهايته): حتى أجد في نفسي همّة للاتِّهاف منه (للبلوغ بتدوين الأحداث إلى أيامي).
- (٤) سأشرح المختارات من هذه الأرجوزة شرحاً يقتصر على الأمور التي لا تفهم الأبيات إلا بها.
- (٥) الآلاء جمع ألي وإلى: النعمة. النعماء: الاطمئنان والسكون والمال.
- (٦) ... ما قد كان من قبل.
- (٧) صرف الدهر: أحداثه ومصائبه.

أَفْ لِقَوْلِ الْفَيْسَةِ الْبَصْرِيَّةِ
 فَاخَذَرُ - هَذَا اللَّهُ، يَا ذَا الْفَهْمِ -
 وَقُلْنَا بِمَا يَقُولُ أَهْلُ الْحَقِّ
 وَكُلُّ مَا تُذَرِّكُهُ مَوْجُودٌ
 فَالْجَوْهَرُ الْحَامِلُ لِلْأَعْرَاضِ،
 وَالْعَرَضُ الْمَحْمُولُ كَالْأَلْوَانِ
 أَوْصِيكَ، يَا مَنْ يَطْلُبُ الْعُلُومَا
 وَلَا تَقُلْ بِالْمَيْلِ لِلتَّقْلِيدِ،
 وَاتَّخِذِ الْعِلْمَ لِنَفْسِ الْعِلْمِ،
 وَالْعِلْمُ، إِنْ أَرَدْتَ حَدَّ مَطْلَبِهِ:
 وَالْعِلْمُ عِلْمَانِ، أَيَا مَنْ يَبْحَثُ:
 إِنَّ الْقَدِيمَ عِلْمُ رَبِّ الْعَرْشِ
 أَهْلِ الْهَوَى وَالْفِرْقَةِ الْغَوِيَّةِ^(١)
 قَوْلُهُمْ وَاخْتَذَرُوا مَقَالَ جَهْمِ^(٢)
 مِنْ مُشَبِّهِي صِفَاتِ رَبِّ الْخَلْقِ^(٣)
 مُؤَلَّفٌ مَبْمُضٌ مَحْدُودٌ^(٤)
 وَهُوَ الَّذِي لَيْسَ بِذِي أِبْعَاضٍ^(٥)
 وَحَرَكَاتٍ الْجَزْمِ وَالْإِسْكَانِ^(٦)
 أَنْ تَعْرِفَ الْمُؤَهِّمَ وَالْمَعْلُومَا
 فَذَلِكَ رَأْيُ الْكَوْدَنِ الْبَلِيدِ^(٧)
 لَا لِلْمُبَاهَاةِ وَلَا لِلنَّخْصِ^(٨)
 مَعْرِفَةُ الشَّيْءِ عَلَى مَا هُوَ بِهِ.
 عِلْمٌ قَدِيمٌ تَمَّ عِلْمٌ مُخَدَّثٌ.
 بَارِي (الْبَرِّيَّاتِ) الشَّدِيدِ الْبَطْنِ؛

- (١) الفتنه البصرية: المعتزلة (فرقة كانت تقم العقل على الرواية الدينية وتقول بأن الإنسان محير يفعل الخير والشر بإرادته واختياره).
- (٢) جهم بن صفوان (١٢٨ هـ = ٧٤٥ م) قال: إن المرء مجبر على أعماله (لأن الفاعل الحقيقي لها هو الله). وقال: إن الإيمان هو المعرفة بالله فقط، أما الكفر فهو الجهل به فقط. وامتنع عن إبداء رأيه في صفات الله (أنكر صفات الله): إن علم الله حادث (أي إن الله يعمل الأمور بعد أن تحدث تلك الأمور) راجع «الفرق بين الفرق» لعبد القاهر البغدادي (القاهرة ١٣٦٧ هـ ١٩٤٨ م)، ص ١٢٨.
- (٣) أهل الحق (من مشبهي الصفات لله): الأشعرية.
- (٤) كل شيء مدرك بالحواس مركب من عناصر مختلفة تم هو قابل للقسمة ومحدود (بمكان معين وزمان معين).
- (٥) كل موجود له جوهر (أصل ثابت) وعرض (صفات طارئة متبدلة). الحديد جوهر، فإذا أحمر بالنار أصبحت الحرارة فيه عرضاً (لأنها تزول). وإذا صبغناه صبغاً أحر (مثلاً) فلونه الأحمر عرض (لأنه كان بإمكاننا أن نصبغه بصبغ أصفر أو أزرق، الخ) ليس بذی أبعاض: غير القابل للقسمة أو للتجزؤ.
- (٦) الجزم: الجسم.
- (٧) الكودن: البغل.
- (٨) النخص (مصدر): الحصام والمجادلة.

وَمُحَدَّثٌ فَذَاكَ عِلْمُ الْخَلْقِ
 وَكُلَّ عِلْمٍ مُحَدَّثٍ عِلْمَانِ:
 كَالْعِلْمِ أَنْ أَتَيْنِي ضَعْفُ (الواحد)
 وَبَعْدَهُ فَالْعِلْمُ بِأَسْتِذْلَالِ
 مَا فِيهِ يَنْظُرُ مَنْ يُفَكِّرُ
 وَصَانِعُ الْعَالَمِ فَرْدٌ صَمَدٌ،
 (تَمَّ اسْمٌ فِي) التَّفَكِيرِ نَحْوِ النَّفْسِ
 بِحَجْمِ جِسْمِ الْعَالَمِ الْمُحِيطِ
 وَانظُرْ إِلَى التَّسْخِيرِ فِيهَا لِأَزْمَا
 مِنْ ذَاتِهَا فِي حَالَةِ التَّصْرِيفِ
 لِقُوَّةِ الْعَقْلِ الَّذِي يَحْمِلُهَا
 إِذْ هُوَ أَعْلَى رُتْبَةً وَأَشْرَفُ
 لَكِنَّهُ تَلَحُّقُهُ الْآفَاتُ
 فَدَلَّ ذَاكَ أَنْ رَبًّا فَوْقَهُ
 مِنْ نَاطِقِي وَغَيْرِ مَا ذِي نُطْقِي.
 عِلْمٌ ضَرُورِيٌّ بِلَا بُرْهَانٍ
 وَأَنَّهُ مَا قَائِمٌ (كَالْقَاعِدِ).
 وَالتَّنَطُّقُ الْبَحْثُ عَنِ الْأَحْوَالِ (١):
 يُدْرِكُ هَذَا كُلُّ مَنْ يَتَّبِعُ (٢):
 وَالصَّنْعُ لَمْ يَشْرِكْهُ فِيهِ أَحَدٌ (٣).
 تُبْصِرُ قُوَّاهَا فِي مَحَلِّ الْقُدْسِ (٤)
 وَالتَّسْتَدِيرِ الشَّكْلُ الَّذِي التَّخْطِيطِ (٥)
 يَوْمُهَا كَمَا يَوْمُ الْعَالَمِ (٦)
 (مُنْقَادَةٌ فِيهِ) إِلَى التَّكْلِيفِ (٧)
 فَهَوَّ إِلَى اخْتِيَارِهِ يَنْقَلِبُهَا (٨).
 مِنْهَا إِذَا حَصَلَتْهُ وَالطَّفُّ (٩)
 مِنْ غَيْرِهِ وَالعَجْزُ وَالْمَاهَاتُ.
 بَيْنَ الْبِذَاتِ وَالْأَسْمِ خَلْقُهُ (١٠).

- (١) بالاستدلال: بإقامة الدليل. المنطق يبحث في أحوال الموجود (ما هو؟ كيف هو؟ أين هو؟ الخ).
 (٢) ما = الذي. إذا نظر الإنسان بعقله في شيء من الأشياء أو في أمر من الأمور أدرك (عرف) ذلك الشيء أو ذلك الأمر.
 (٣) صانع العالم (الأصح: مبدع العالم): الله. فرد: لا ند (مساو) له. صمد: مفعود إليه.
 (٤) محلّ القدس (الألوهية): المبدأ الأعلى. هذا رأي أفلاطون في وجود النفس مفارقة (مستقلة عن الجسد).
 (٥) كان القدماء يعتقدون أن هذا العالم بجموعه جسم يشبه جسم الحيوان (الكائن الحي) وأن له نفساً كليّة تحييه وتحركه.
 (٦) وهذه النفس الكليّة (التي تحرك العالم كلّهُ) هي بدورها مُسَخَّرَةٌ (خاضعة في أفعالها) للعقل الكليّ الذي يدير هذا العالم (لأنّ الله عندهم منزّه عن أن يتصل بالعالم المادّي. من أجل ذلك، وهب الله للعقل قوّة يسيطر بها على العالم). أمّ: قصد. وللعقل أيضاً سلطة على هذا العالم.
 (٧) النفس الكليّة تخضع (من تلقاء نفسها) للعقل.
 (٨) العقل يقبّل النفس كما يشاء.
 (٩) إذ هو (أي العقل). حصلته (أدركت كتبه، فهست أحواله). أطف (في « مادته » من مادة النفس).
 (١٠) باين (خالف) خلقه (الذين خلقهم) بذاته (جوهره) كما خالفهم في اسمه (خالق، ومخلوقون).

أقول قولاً ليس بالمفئد،
 إن مقال المسلمين اتفقا
 من غير أصلٍ أو مثالٍ شيءٍ
 أبدعَ تكوينَ المبادي الأولى
 وكان بدء الخلق في يوم الأحد
 ونعمة الله ببعث الرسل
 أولهم آدم الصفي،
 أرسلهم طراً ليهدوا الناس
 فبينوا الحلال والحراما
 حتى بدا الصبح لذي عينين
 تألفهم صحابة أجماد
 حتى هدى الله بهم من أهدى،
 ثم تولّى عمر الفاروق
 واستعمل البعث والأجنادا
 حتى أتته ميحة الشهادة
 فصير الشورى إلى أصحابه

ولي لسان كسبا المهدي^(١) :
 أن إله العالمين خلقا -
 مكوّن من ميسر أو حي -
 بقدره عظيمة لم تزل^(٢) .
 وتم في يوم القروبة العبد^(٣)
 بحمدها ينطق كل مقول^(٤) .
 وآخر عمم سد النبي
 مؤلفاً بالدعوة الأجناسا
 وأنفذوا الأمور والأحكاما
 وأسمعوا من كان ذا أذنين .
 أسد حروب قادة أنجاد^(٥) .
 لولاهم لأصبح الناس سدى .
 فالتأمت من بعده الفتوق^(٦) ،
 وألف الحروب والجهادا .
 فهيا الله له السمادة .
 ستتهم (إذ كان) يشكو ما به^(٧) .

(١) فند فلان قول فلان (كذبه، أبطله). الهجا: الحد. المهدي (يفصل في الأمور بلا تردد).

(٢) أبداع: أوجد من العدم. المبادي الأولى (المبادئ، العالية): العقول والنفوس السماوية (التهانوي ١: ١٠٦ س)، ولعلها هنا: العقل والنفس والصورة والمادة والعلّة.

(٣) بقدره الله القديمة والتي لا تزال باقية له.

(٤) المقول: اللسان.

(٥) الأجداد جمع مجيد (الذي له مجد: شرف ومكانة). والأنجاد جمع نجد (بفتح فكسر أو بفتح فضم): الرجل

ذو العزيمة الماضي في الأمور.

(٦) عمر الفاروق بن الخطاب. التأم: اجتمع. الفتوق (الشق) الذي حدث بعد وفاة الرسول من الردة

(المصيان للسلطة المركزية للخلافة في المدينة).

(٧) لما طعن عمر بن الخطاب عين سنة من الصحابة (عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وطلحة بن عبيد الله =

فَأَثَرُوا عُثْمَانَ بِالْخِلَافَةِ،
بُؤْساً لِقَوْمٍ قَتَلُوا عُثْمَانَ
تَمَّ تَوْلَاهَا أَبُو السَّبْطَيْنِ
عَلِيٌّ ذُو الْعِلْمِ وَذُو الشَّجَاعَةِ
وَنَثَرَتِ الْحُرُوبُ بِالْحَوَارِجِ
تَمَّ عَلِيٌّ (قَدْ نَحَا) مُعَاوِيَةَ
فَاجْتَمَعُوا لِلْحَرْبِ فِي صَيْفِنَا
وَدَامَ فِي حُرُوبِهِ عَلِيٌّ
حِينَ (أُصِيبَ مِنْ) يَدِ ابْنِ مُلْجَمٍ
تَبَّأَ لَهُ مِنْ خَارِجِيٍّ فَاسَقَى
فَاغْتَالَهُ وَهُوَ يُنَادِي سَحْرَا
تَمَّ تَوْلَى الْحَسَنَ الْإِمَامَةَ
فَحَقَّقَ اللَّهُ بِهِ الدِّمَاءَ
(إِذْ) سَلَّمَ الْأَمْرَ إِلَى مُعَاوِيَةَ
فَسَارَ فِيهَا آبِنُ أَبِي سُفْيَانَ

وكان للإله ذا مخافة .
إذ تقموا استخلاصه مروانا^(١) .
الحسن (الإمام) والحسين:
والزهدي في الدنيا وذو البراعة .
- أصلهم بالنار ذو المعارج^(٢) .
فاضطرب الأمر بعمره الداهية^(٣) .
وأيتما البنات والبنات
حتى دهاه حادث دهي،
(وخضب) المفرق منه بالدم .
خالف في التنزيل أمر الخالقي،
قوموا إلى الصلاة يدعو منذرا .
فمنحت بينه السلامة .
وأذهب المحنة والأواء^(٤) .
- حياته - وصار عنها ناجية^(٥) .
بسيرة للعادل والإحسان^(٦) .

- = والزيير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص) وكانوا يطمحون إلى الخلافة وأمرهم،
إذا هو مات، أن ينتخبوا واحداً منهم للخلافة. بعد أن يتشاوروا فيها بينهم .
(١) لما تولى عثمان الخلافة (بعد عمر بن الخطاب) جعل مروان بن الحكم كاتباً له (وزيراً ومستشاراً) وكان
مروان هذا يسمى (طريد رسول الله)، لأنه كان أولاً من كتبة الوحي ثم أتهم في أمانته . وكان مروان
مستبداً بكثير من أمور عثمان .
(٢) أصلهم (أحرقهم) ذر المعارج (الله) بالنار .
(٣) نحا: قصد . كان عمرو بن العاص أحد دهاة العرب، وكان يمالئ معاوية بن أبي سفيان على علي بن أبي
طالب لأن معاوية كان قد وعده بالولاية على مصر مدى الحياة وعلى أن تكون مصر طعمة (بالضم) له
(بأن يكون خراجها أو ضرائبها له) .
(٤) المحنة (المصيبة على المسلمين بالاعتقال بين الصحابة على الخلافة) . الأواء: الشدة والضيقة .
(٥) اعتزل الخلافة ودفعها إلى معاوية .
(٦) ابن أبي سفيان: معاوية .

وكان فرداً في النهى والجلم
 فانتقل الأمر إلى يزيد
 مجترماً في قتله الحسينا
 وغلب البغاة عبد الملك
 وقد توفاه مزيل ملكه
 وكان في السيرة لدناً لينا
 وقد بنى الجامع في دمشق
 في وقته فتح أندلوسا
 في عام تسعين مضت واثنين
 ثم تولى الأمر، بعد، عمر
 زهداً وعلماً واعتدالاً وتقى
 قفا سبيل جدّه الفاروق
 وانقرض الأملاك من أميّه،

حتّى رماه حينه بسهم^(١)
 فعاد عن مناهج التسديد^(٢)
 وجاء في الحرّة فغلاً شينا^(٣)
 بالحزم والجهد وعزم موشك^(٤)
 قولّي الوليد بعد هلكه
 مستمسكاً حتّى أذيق الحينا^(٥)
 مقتصداً في ذاك وفق الصديق
 طارق مولى ابن نصير موسى
 ثم سقاه الدهر كأس الحين....
 وكان في العدل إماماً يؤثر^(٦)
 حتّى اغتدى في الأمر فرداً منتقى
 ودحض الباطل بالحقوق^(٧)
 والموت قصر كل نفس حية^(٨)....

(١) فرداً: لا شبه له في النهى (العقل) والحلم (سعة الصدر). الحين (بالفتح): الموت.

(٢) حاد: مال. التسديد: الاستقامة والصواب.

(٣) كان قتل الحسين بن عليّ في أيامه جرماً هو المسؤول عنه. وكانت وقعة (معركة) الحرّة قرب المدينة، وبعد الانتصار في تلك المعركة أباح مسلم بن عقبة المريّ (قائد الحملة) المدينة (بالاستيلاء على أموالها ونساؤها). الشين: العيب.

(٤) البغاة: الطالبون (للخلافة)، لأن مروان بن الحكم (والد عبد الملك) كان لما تغلب على خصومه في معركة مرج راهط وحاز الخلافة دونهم، قد أرضى نفرأ منهم بأن سآهم أولياء للعهد يأتون إلى الخلافة بعده (كان قد قطع لكل واحد منهم عهداً، في ستر عن الآخرين).

(٥) اللدن: الطريّ. اللين يتسكين الياء كالتّين (بتشديد الياء). الحين (بالفتح): الموت.

(٦) عمر بن عبد العزيز. أثر فلان فلاناً: فضّله (على غيره).

(٧) كان عمر بن عبد العزيز سبط (بالكسر) عمر بن الخطاب، كانت أمّه بنت عاصم بن عمر بن الخطاب. دحض: أبطل، أزال. بالحقوق (بردّ الحقوق إلى أصحابها) - كان أهل البيت المالك من الأمورين يتناولون رواتب من بيت المال ففتح عمر بن عبد العزيز ذلك.

(٨) الأملاك: الملوك (جمع ملك). قصر: غاية، نهاية (في الذخيرة ١: ٩٣٣ قصري، وليست هذه في القاموس ولا في تاج العروس).

فصار في الأمرِ بنو العباسِ .
وصيّرَ الأمرُ إلى المنصورِ
إذ كان ذا سياسةٍ وحزمٍ .
وصار هرونُ الرشيدُ تالياً
فشيّدَ الملكُ وأعلى كعبه
واستوزرَ البرامكَ الأعجادا
حتى دهاهمُ حادثُ الأيامِ ،
وجاءها المأمونُ عبدُ اللهِ
حتى اغتدّت في زينة العروسِ
إذ بايعَ الناسُ له وسلّموا
وكان في سيرته المأمونُ
ذا بصيرٍ بالعلم والكلامِ .
وصيّرَ الملكُ إلى المعتصمِ
فاستفتح المعتصمُ العموريّة
فعاقه عن ذلك أمرٌ مزعجُ
وأنّ الأفشينَ بدا من كفره
وقتلَ المعتصمَ الأفشينا

ولم يكن في حكمهم من باسٍ .
فأحكَمَ التدبيرَ للأُمورِ ،
مُسدّدَ الرأي قويّ العزمِ .
للملكِ الهادي إماماً والياً^(١)
حزماً وعزماً وأذلّ صغبهُ .
فاستوثقَ الملكُ بهم وزادا^(٢)
وكلُّ عيشٍ فإلى انصرامِ .
فانزاحَ عنها كلُّ أمرٍ داهٍ^(٣) .
وغاب عنها كوكبُ النحوسِ ،
فأشرقَ الدهرُ وكاد يُظلمُ .
عدلاً رضاً له تقى ودينُ ،
مُوهباً بالنشرِ والنظامِ^(٤) .
فأحسنَ السيرةَ (إذ لم) يظلم .
ثم أراد غزو قسطنطينيّة^(٥) .
من نائرٍ قام عليه يخرجُ^(٦) ،
ما كان قد أجنّه في صدره^(٧) .
إذ كان بالبغى يكيّدُ الدينا :

- (١) موسى الهادي أخو هرون الرشيد وسلفه في الخلافة .
(٢) الأجداد جمع مجيد : ذو الجهد (الشرف والمكانة) . استوثق : أخذ وثيقة من شخص (المقصود « نبت ») .
(٣) الداهي : المصيب (الذي يأتي بمصيبة) .
(٤) الكلام = علم الكلام (وكان المأمون معتزلاً يرى تقديم العقل على الرواية الدينية) . الموهب : حسن القول ، القادر على الكلام الجيد . النظام : نظم الشعر .
(٥) كان ملوك الروم (في أيام الدولة الأموية) من مدينة أموريوم (في آسيا الصغرى ، على مقربة من أنقرة) .
(٦) هذا النائر كان بابكاً الحرّمي .
(٧) الأفشين (حيدر بن كاوس) كان قائد الجيش العباسي (ولكنه كان يالئ بابكاً الحرّمي لأنه كان في الحقيقة يطن الكفر ويظهر الإسلام) . أجنّه : كتمه .

أحرقه بالنار لما أن بغي،
ثم انتهى ملك بني العباس
واستوثق الملك بهذي الناحية
وبعدَه الناصرُ ذو البِلاءِ،
وبعدَه المُستنصرُ بنُ الناصرِ،
لما انقضت دولة آلِ عامرٍ
فأظلمت في عصره الآفاقُ
ولم يزلَ فيهم سُلَيْمانُ يَلِي
فاستوثقَ الأمرُ له والطاعةُ
فاغتاله الصَّقلُبُ في الحَمَامِ
ثم انقضى (عهد) بني حمودٍ
وظهر المُستظهر المرواني

وهكذا يَجْزِي الإلهُ من طغى.....
ودبَّرَ الأتراكُ أمرَ الناسِ (١).
لِعابدِ الرحمنِ بنِ معاوية (٢)،
خمينَ عاماً، صاحبُ الزهراء (٣).
وبعدَه هشامُ آلِ عامرٍ (٤).
قام بها مَهديُّ آلِ الناصرِ (٥)
وعمَّها الشِّقاقُ والنِّفاقُ (٦).
حتَّى انبرى له ابنُ حمودٍ علي (٧).
وكان - فيما زعموا - تلقاعه (٨).
وجرعوه أكُوسَ الحِجَامِ.
والحربُ والفتنةُ في مزيد.
وشغره من أحسن المعاني.

- (١) الأتراك (يقصد الناصر دويلات الشرق: السامانية والغزنوية؟).
- (٢) استوثق (ثبت) الملك (الحكم) بهذي الناحية (في الأندلس) لعبد الرحمن الداخل (بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان). سمي الداخل لأنه كان أول من دخل الأندلس من أمراء بني أمية بعد سقوط الدولة الأموية وقيام دولة بني العباس.
- (٢) عبد الرحمن بن محمد المقتول بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل. وعبد الرحمن الناصر (الثالث) أول من تسمى بلقب خليفة في الأندلس وكانت أيامه أيام قوة وعزّ وازدهار. بنى قصر (مدينة) الزهراء.
- (٤) الحكم المستنصر ابن عبد الرحمن الناصر وخلفه في الخلافة. هشام آل عامر: هشام المؤيد (بن الحكم المستنصر وخليفته) جاء إلى الخلافة صغيراً فاستبد بأموه المنصور بن أبي عامر (الحاجب: رئيس الوزراء) بأموه، ثم استبد بأموه أيضاً ابنان للمنصور بن أبي عامر.
- (٥) المهدي هو محمد بن هشام، الحادي عشر في سلسلة الجالسين على عرش الأندلس.
- (٦) في أيامه بدأت الفتنة (القتال على الخلافة) بين العرب والبربر.
- (٧) سليمان المستعين جاء إلى عرش الأندلس بعد محمد المهدي وأسمت الفتنة في أيامه. علي بن حمود استبد بأمر قرطبة وحكم مستقلاً.
- (٨) تلقاعه (في القاموس ٣: ٨٢) بكسر التاء واللام وتشديد القاف: الكثير الكلام، الأحق، الداهية. ولا تستقيم في الوزن هنا إلّا بسكون اللام.

وقتلوه بعدَ ذلك صَبْرًا
 فبايعوا للنَّاصِرِ المُستَكْفِي
 ففَرَّ عنهما ثم عاد المُعتَلِي
 ثم أتى من بعده المُعتَدَّ
 فنَقَموا استخلاصه للحائِكِ
 وخلعوا مُعتَدَّهُمْ هِشامًا
 لَمَّا رأى أعلام أهلِ قرطبة
 (إذ) عُدِمَتْ شاكلةٌ للطاعة
 فقدموا الشيخَ مِن آلِ جمهورٍ
 ثم ابْنَه أبا الوليدِ بعده
 فجاهرتُ في فضلِها الجماورة
 (في كلِّ قطرٍ) منتزِ (أو) نائِرُ
 وابنُ يعيشَ نَارَ في طُلَيْطَلَةَ،
 وفي بَطْلَيْوسَ انتزى سابورُ
 من بعد ما قَلَدوه الأُمرا^(١)
 بعدَ خُطوبِ طالٍ فيها وصفي^(٢).
 باللهِ يحيى نَجِلُ حَمودِ علي.
 والحربُ في أقطارِها تشتدُّ^(٣)،
 وزيره، فخرٌ أيُّ هالكِ^(٤).
 وسجنوه عندهم أَعوامًا.
 أنَّ الأمورَ عندهم مُضطربةٌ،
 فاستعملتُ آراءَها الجماعةُ^(٥)
 المكتنِي بالحزْمِ والتدبِرِ^(٦)
 وكان يحذو في السَّدادِ قَصْدَهُ^(٧).
 وكلُّ قَطْرِ حَلٍّ فيه (فاقرة)^(٨):
 وعادلٌ عن كلِّ عدلٍ جائرُ^(٩).
 ثم ابنُ ذي النونِ تَصَفَى المُلْكُ لَهُ.
 وبعده آبنُ الأَفسسِ المنصورُ.

- وله من أرجوزة في تاريخ الأندلس: عدد من ملوك الطوائف ثم مجيء

المرابطين:

- (١) قتلوه صبراً (بحسبه بلا طعام حتى مات جوعاً).
- (٢) محمد المستكفي (جاء إلى العرش سنة ٤١٤ هـ).
- (٣) هشام المعتد آخر الخلفاء في الأندلس.
- (٤) الحكم بن سعيد القرظي (قتل ٤٢٢ هـ) كان حائكاً في قرطبة ثم توصل إلى أن أصبح حاجباً (رئيساً للوزارة) لهشام المعتد. فاستبد بالأمور وأساء السيرة في الناس.
- (٥) الشاكلة: القاعدة، الطريقة (٢). الجماعة: رؤساء الناس.
- (٦) هو أبو الحزم جمهور بن محمد بن جمهور كان وزيراً ثم لما اضطرب أمر الأندلس استبد بأمر قرطبة.
- (٧) كان ابنه يسير في ضبط الحكم مثل سيرته.
- (٨) الجماورة (المتوالون في حكم قرطبة من آل جمهور). فاقرة: داهية، مصيبة كبيرة (كل بلد في الأندلس استبد به رجل).
- (٩) المنتزى: العاصي على الدولة. عادل: مائل، منحرف. جائر: ظالم.

وثارَ في حِمْصِ بنو عَبَّادٍ
 وشاعَ عن هِشامِ المؤبَّدِ
 وأنَّه جاءَ من الحِجَازِ
 وقالَ عَبَّادٌ بِهِ فَصَدَّقُوا
 فنصَبُوا دَعْوَتَهُ طِلْسًا
 فعبَدوه مُدَّةَ أَعوامِها
 ثمَّ نَعَاهُ بَعْدَ ذَا عَبَّادٍ
 وثارَ في غَرناطَةِ حَبَّوسٍ
 وآلٍ مَعَنٍ مَلَكُوا المَرِيَنَةَ
 ذَكَرَهُمْ في غَيْرِ ما قَصِيدِ
 وثارَ في (شَرَقِيَّها) الفِتيانُ
 ثمَّ زهيرٌ والفِتي لبيبُ
 سلطانَه رِسا بَرَسى دانيَةَ
 ثمَّ أَقامتْ هَذِهِ الصقالِبَةُ
 وَجَلُّ ما مَلَكَهُ بَلَنْسِيَةَ
 ثمَّ تَمادَتْ هَذِهِ الطوائِفُ
 والحربُ والفتونُ في ازديادٍ^(١)
 بأنَّه حيٌّ ولَمَّا يُلْحَدِ^(٢)،
 واحتلَّ في حِمْصِ على الحِجازِ^(٣)
 بأنَّه حيٌّ لَدَيْهِ يُرَزِّقُ^(٤)
 وقد مَحَا المِئاتُ مِنْهُ الرِسا^(٥)
 إِذ عَدِمُوا الألبابَ والأحلاما^(٦)
 من بَعْدِ ما طاعتَ لَه البِلادُ^(٧)
 ثمَّ ابنُه من بَعْدِهِ باديسُ
 بِسيرةٍ مَحمودَةٍ مَرَضِييَتِهِ
 يُشْرِقُ مِنْهُ النَحْرُ بالفَرِيدِ^(٨)
 العامريونَ مِنْهُم خيرانُ^(٩)
 وَمِنْهُم مُجاهدُ اللبِيبِ
 ثمَّ غزا حَتَّى إِلى سَرْدانِيهِ^(١٠)
 لابنِ أَيِّ عامِرِهِم بِشاطِبَةَ^(١١)
 وثارَ آلُ طاهِرِ بُمَرِسيَةَ
 تَخَلَّفَهُم من آلِهِم خوالِفُ

- (١) حِمْص (إشبيلية لشيها بمِص في الشام). الفتون: الفتنة. الفتوق جمع فتق: الخلاف.
- (٢) لَمَّا يُلْحَد: لم يَدْفِن بَعْد.
- (٣) على الحِجاز (على ضِفَّة النهرِ مستعدًّا للحِوازِ إِلى قلبِ إِشبيلية؟).
- (٤) أبو عمرو عَبَّاد (المتضد) بن مُحَمَّد، ملكِ إِشبيلية (ابتداءً من ٤٣٣ هـ).
- (٥) الطلسم: العوذة (بالضم)، التسمية (اتَّخذوا اسمَه حِجَّةً للحِكم).
- (٦) عبده الناس (أطاعوه وانقادوا لَه). اللب (بالضم) والحلم (بالكسر): العقل.
- (٧) وبعْدَ أن استقرَّ أمرُ عَبَّادِ في حِكمِ إِشبيلية نَمى هِشامًا (أعلن موتَه).
- (٨) النحر: أعلى الصدر. الفريد: اللؤلؤ.
- (٩) الفتيان: موالِي (عبيد) العامريين (النصور بن أَيِّ عامرِ وأهلَه).
- (١٠) رِسا: استقرَّ. سردانية جزيرة إِيطالية.
- (١١) الصقالبة (من العرق السلافي) كانوا موالِي في خدمة العامريين وغيرهم.

وإذ أرادَ اللهُ نصرَ السَّيِّدِينِ
فجاءهم كالصُّبْحِ في إثرِ غَسَقِ
وإسى أبو يعقوبَ كالعُقَابِ
وواصلَ السَّيْرَ إلى الرِّزَاقِ
لَهُ دُرٌّ مِثْلُهَا من رُقْمَةٍ
وُتْسِلَ لِلشَّرِكِ هُنَاكَ عَرَشُهُ،
فَوَجَبَ الخَلْعُ لَدَى الجَمَاعَةِ
فَاتَّصَلَ الأَمْرُ عَلى النِّظَامِ
إِستصرخ النَّاسُ ابْنَ تَاشَفِينِ^(١)
مُتَّسِدًا كالماءِ يُنْقَى من رَتَقِ^(٢)
فجَرَدَ السَّيْفَ عَنِ القِرَابِ^(٣)،
وَسَاقَهُ لِيَوْمِهَا ما سَاقَهُ^(٤)
قَامَتِ بِنَصْرِ الدِّينِ يَوْمَ الجُمُعَةِ.
لَمْ يُغْنِ عَنْهُ يَوْمِهَا أَذْفُنُهُ^(٥)،
وَصِرْحُوا لِيُوسُفَ بِالطَّاعَةِ^(٦)
وَامتَدَّ ظِلُّ اللهِ لِلإِسْلَامِ.

٤- ** ٢: ٣٧١ - ٤٣٧٢ الذخيرة ١: ٩١٦ - ١٩٤٤ الخريدة (الأندلس) ٢:
٩٣ - ١٩٧ نفع الطيب ١: ٦٧١ - ٦٧٢، ٣: ١١٨٢ نيكل ١٢٣٨ مختارات
نيكل ١١٦٠ الاعلام للزركلي (٣: ٢٧٤).

أبو بكر الطرطوشي

١- هو أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهري
الطرطوشي، نسبة إلى طرطوشة (وهي مدينة في الشمال الشرقي من الأندلس على نهر
أبيرة قريباً من مصبه)؛ ويُعرف أيضاً بابن أبي رندقة.
وُلِدَ أبو بكر الطرطوشي في طرطوشة، سنة ٤٥١ هـ (١٠٥٩ م). وعاش في

- (١) استصرخ الناس ابن تاشفين (استجدوا بيوسف بن تاشفين).
- (٢) إثر: بعد. غسق: ظلام (محنة من هجرات النصارى الإسبان على البلدان الإسلامية). الرتق: الكدر (الوحد في الماء).
- (٣) أبو يعقوب (يوسف بن تاشفين). القراب: غمد (بالكسر) السيف.
- (٤) الرزاقة (راجع، فوق، ص ١٧). ساقه ليومها ما ساقه (جاء به إلى الرزاقة حرصه على دفع الشر عن المسلمين في الأندلس).
- (٥) ثل: هدم. الأذفوش: اسم عدد من ماوك الإسبان (وقد استخدم أيضاً لقباً). المقصود هنا ألفونس السادس ملك قشتالة (كاستيل).
- (٦) أهل الأندلس خلموا عنهم طاعة ملوك الطوائف ثم دانوا (أطاعوا في الحكم) ليوسف بن تاشفين.

سَرَقُطَّة مَدَّة وَدَرَسَ فِيهَا فِي إِشْبِيلِيَّة. وَفِي سَرَقُطَّة صَحِبَ أَبَا الْوَلِيدِ الْبَاجِيَّ (٤٠٢ - ٤٧٣ هـ) مَدَّةً يَسِيرَةً وَأَخَذَ عَنْهُ شَيْئاً مِنْ مَسَائِلِ الْخِلَافِ.

وَفِي سَنَةِ ٤٧٦ هـ (١٠٨٣ م) رَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ فَحَجَّ ثُمَّ دَخَلَ الْعِرَاقَ فَتَفَقَّهَ فِي بَغْدَادَ عَلَى أَبِي مَكْرَمِ بْنِ أَحْمَدَ الشَّاشِيَّ (ت ٥٠٧ هـ) وَسَمِعَ فِي الْبَصْرَةِ مِنْ أَبِي عَلِيِّ التُّسْتَرِيِّ (ت ٤٧٩ هـ) وَزَارَ الْقُدْسَ. بَعْدَئِذٍ جَاءَ إِلَى الشَّامِ وَسَكَنَ دِمَشْقَ وَتَطَوَّفَ بَيْنَ مَدَنِهَا. ثُمَّ انْتَقَلَ (٤٨٨ هـ) إِلَى مِصْرَ وَسَكَنَ رَشِيدَ مَدَّةً ثُمَّ اسْتَقَرَّ فِي الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ وَقَعَدَ فِيهَا لِلتَّدْرِيسِ. وَفِي الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ تَزَوَّجَ امْرَأَةً مُتَعَبِّدَةً مُوسِرَةً وَقَرَّتْ عَلَيْهِ كَثِيراً مِنْ السَّعْيِ فِي سَبِيلِ تَكْلِيفِ الْحَيَاةِ.

وَجَاءَ الطَّرطُوشِيَّ إِلَى الْقَاهِرَةِ وَزَارَ الْأَفْضَلَ بْنَ بَدْرِ الْجَمَالِيِّ وَزَيْرَ الْفَاطِمِيِّينَ (٤٩٥ - ٥١٥ هـ) زِيَارَةً نَصِيحَةً وَعِثَابَ أَغْضَبَتِ الْأَفْضَلَ. وَلَكِنَّ الْأَفْضَلَ أَكْرَمَ الطَّرطُوشِيَّ. وَبَعْدَ مَدَّةٍ يَسِيرَةٍ فِي الْأَغْلَبِ (فِي مَطْلَعِ سَنَةِ ٥١٥ هـ) اسْتَدْعَى الْأَفْضَلَ أَبَا بَكْرَ الطَّرطُوشِيَّ وَأَوْجَبَ عَلَيْهِ إِقَامَةَ قَسْرِيَّةٍ. وَفِي آخِرِ رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ ٥١٥ مَاتَ الْأَفْضَلَ فَخَلَفَهُ فِي الْوِزَارَةِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ الْمَأْمُونُ الْمَعْرُوفُ بِالْبَطَّانِحِيِّ (قَتَلَ ٥١٩ هـ) فَأَطْلَقَ سَرَاحَ الطَّرطُوشِيَّ. فَعَادَ الطَّرطُوشِيَّ إِلَى الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ.

وَكَانَتْ وَفَاةُ الطَّرطُوشِيَّ فِي الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ، فِي ٢٦ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى مِنْ سَنَةِ ٥٢٠ (١١٢٦ / ٦ / ١٨ م).

٢- أَبُو بَكْرٍ الطَّرطُوشِيَّ عَالِمٌ حَافِظٌ مُحَدِّثٌ فَقِيهٌ وَأَدِيبٌ نَائِرٌ وَشَاعِرٌ وَمُؤَلِّفٌ. لَهُ شِعْرٌ وَسَطٌ فِي الزَّهْدِ وَالْحِكْمَةِ وَلَهُ عِدَّةٌ مِنَ التَّصَانِيفِ، إِلَّا أَنَّ شُهْرَتَهُ تَقَوُّمٌ عَلَى كِتَابِهِ «سِرَاجِ الْمُلُوكِ» وَقَدْ أَلْفَهُ فِي الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ فِي مَدَى عَامٍ وَاحِدٍ وَانْتَهَى مِنْ تَأْلِيفِهِ فِي رَابِعِ عَشَرَ رَجَبٍ مِنْ سَنَةِ ٥١٦ (١١٢٢ / ١١ / ١٩ م) وَقَدَّمَهُ لِلْبَطَّانِحِيِّ.

وَأَبُو بَكْرٍ الطَّرطُوشِيَّ مُصَنِّفٌ مُكْتَبِرٌ وَاسِعِ الْبِرَايَةِ لَهُ تَصَانِيفٌ مِنْهَا: «اِخْتِصَارُ الْكُتُبِ وَالْبَيَانُ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (لِلثَّلَاطِيِّ النِّيْسَابُورِيِّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٤٢٧ هـ) - اِخْتِصَارُ «كِتَابِ أَخْلَاقِ رَسُولِ اللَّهِ» (لِأَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ حَيَّانَ) - كِتَابُ الْأَسْرَارِ (فِي حَقِيقَةِ الْعَقْلِ وَأَقْسَامِهِ وَمَدَارِكِهِ) - الْكِتَابُ الْكَبِيرُ فِي مَسَائِلِ الْخِلَافِيَّاتِ

(أو التعليلية^(١) الكبيرة في الخلافات^(٢)) - حاشية على إثبات الواجب - شرح رسالة أبي زيد القيرواني - النهاية في فروع^(٣) المالكية - تحريم الاستمنا - منتخب من عيون خصائص العباد - نزهة الإخوان المتحايين في الله - كتاب الدعاء - المدّة عند الكرب والشدة - الكلام على الغنى والفقر - كتاب يُعارض فيه الغزالي (ياخذ على الغزالي عدداً من آرائه في التصوّف وفي الفلسفة ثمّ ينسبه في بعضها إلى الابتداء، ويبدو أنّه يخالف الغزالي في إباحة السّماع أو الغناء والعزف) - كتاب الحوادث والبدع (أو بدع الأمور ومُحدّثاتها) - تحريم الغناء واللّهو على الصوفية في رقصهم وسماعهم - رسالة في تحريم جُبْن الروم (الجُبنة التي يصنعها اليونان ثمّ يصدرونها إلى مصر) - كتاب الفتن - رسالة إلى يوسف بن تاشفين (فيها عددٌ من النصائح في التزام أمور الدين وترك البدع) - كتاب برّ الوالدين - نفائس الفنون - سراج الملوك .

وأشهرُ كتبِ الطرطوشي - لعلّه أهمُّها أيضاً - كتابُ سراج الملوك ، وهو يبحث فيه في الاجتماع والتاريخ ويريدُ أن يُهدِّبَ نفوسَ الحكّام من طريقِ العِظة وضرَبِ الأمثال . وهو لا يفرِّقُ بينَ السُّلوكِ السياسيِّ ومبادئِ الأخلاقِ ويعتقدُ أن صلاحَ الرعيّة من صلاحِ الملوك (الحكّام) . وأسلوبُه فيه سهْلٌ كثيرُ الاقتصادِ بالمحسناتِ اللفظيّةِ قليلُ المبالغةِ في كلِّ شيءٍ ، وهو يمزجُ فيه النثرَ بشيءٍ من الشعر .

٣ - مختارات من آثاره :

- قال أبو بكرِ الطُّرطوشيُّ في حالِ الزَّهادِ ونظرهم إلى هذه الدنيا :

إِنَّ لِلَّهِ عِبَاداً قُطِنَا طَلَّقُوا الدُّنْيَا وَخَافُوا الْفِتْنَا^(٤) .
نظروا فيها ، فلمَّا علِّموا أَنَّهَا لَيْسَتْ لِحَيٍّ وَطِنَا

(١) التعليلية: ما يعلِّفه الطالب عن شيوخه (دقتر يدوّن فيه الطالب ما يسمعه من أساتذته).

(٢) الخلافات: ما يختلف فيه أصحاب المذاهب.

(٣) في أمور الدين العملية: (العبادات والمعاملات). الفروع غير الأصول.

(٤) القطن (بضم فسكون جمع فاطن و فطين ثم جمع فطن (بكسر ويفتح الخ): ذو فهم وعقل. والفتنة (بالكسر): المن، الابتلاء، الاختبار والإعجاب بالشهيد والضلال والافتتال والتزاع والشقاق.

جَعَلُوهَا لُجَّةً وَاتَّخَذُوا صَالِحَ الْأَعْمَالِ فِيهَا سُنْفًا^(١)!
- وَمَا يَنْسِبُ إِلَيْهِ:

إِذَا كُنْتَ فِي حَاجَةٍ مُرْسِلًا، وَأَنْتَ بِإِنْجَازِهَا مُغْرَمٌ،
فَارْزِلْ بِأَكْمَسَةِ خَلَابِيَةٍ بِهِ صَمٌّ أَعْطَشُ أَبْكَ^(٢)
وَدَعْ عَنْكَ كُلَّ رَسُولٍ سِوَى رَسُولٍ يُقَالُ لَهُ الدِّرْهَمُ!

- لأبي بكر الطرطوشي قِطْعَةٌ عَبَّرَ فِيهَا عَنْ عَدِيدٍ مِنَ الْمَعَانِي نَثْرًا تَمَّ أَعَادَ هَذِهِ الْمَعَانِي وَأَمْثَلَهَا شِعْرًا، هِيَ الَّتِي تَلِي (وَلَعَلَّهُ جَاءَ بِهِذِهِ الْمَعَانِي عَلَى طَرِيقَةِ الصُّوفِيَّةِ):

يَا بَنِيَّ، إِذَا هَاجَ شَوْقِي وَتَضَعَّضَ أَصْطَبَارِي وَاضْطَرَبْتُ عِزَائِمِي وَاضْطَرَمْتُ
بِلَابِلِي^(٣) أَسْرَحُ طَرْفِي^(٤)، فَلَا أَرَاكُمْ، وَأَسْتَقْبِلُ الرُّكْبَانَ فَلَا أَلْقَاكُمْ. فَلَا نَسِيمُكُمْ أَشْمُهُ،
وَلَا شَخْصُكُمْ أَعْتَبَتْهُ وَأَضْمُهُ، وَلَا وَجْهُكُمْ أَسْتَدْنِيهِ وَالنَّزِمُهُ. وَأَبْطُ كَفًّا وَأَرْفَعُ إِلَى
السَّمَاءِ طَرْفًا وَأَذْرِفُ الدَّمُوعَ ذَرْفًا، وَأَقُولُ كَمَا قَالَ مَنْ فَهَمَ عَنِ اللَّهِ أَمْرَهُ وَلَمْ يُعَارِضْ
قَضَاءَهُ وَقَدْرَهُ - لِمَا آتَيْتَنِي بِهِ مِنْ أَحِبَابِهِ وَصَبَّرَ عَلَى بِلَاثِهِ - : «فَصَبِّرْ جَمِيلٌ، وَاللَّهُ
الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ»^(٥). يَا بَنِيَّ، كُلَّمَا ذَكَرْتُكَ هَاجَ شَوْقِي إِلَى رُؤْيَيْكُمْ، أَلْحَظُ
النَّجْمَ الَّذِي تَلْحَظُونَهُ. وَأَنَا أَقُولُ:

أَقْلَبُ طَرْفِي فِي السَّمَاءِ تَرَدُّدًا لَعَلِّي أَرَى النَّجْمَ الَّذِي أَنْتَ تَنْظُرُ؛
وَأَسْتَعْرِضُ الرُّكْبَانَ فِي كُلِّ وَجْهَةٍ لَعَلِّي يَمَنُّ قَدْ شَمَّ عَرَفَكَ أَظْفَرُ^(٦).
وَأَسْتَقْبِلُ الْأَرْيَاحَ عِنْدَ هُبُوبِهَا، لَعَلَّ نَسِيمَ الرِّيحِ عَنْكَ يُخَبِّرُ؛
وَأَمْشِي، وَمَا لِي فِي الطَّرِيقِ مَآرِبٌ، عَسَى نَعْمَةٌ بِاسْمِ الْحَبِيبِ سَتَذُكُرُ^(٧).

(١) جعلوها (عدوها، حبسوها) لجةً (جانب من البحر).

(٢) الأكمة (الذي ولد أعمى، ولكن خلافة خذاع). صم (فقدان السمع) أعطش (به ضعف في البصر) أبك (أغرس).

(٣) البلبال: شدة الهم والوسواس.

(٤) الطرف: البصر.

(٥) من القرآن الكريم ١٢: ١٨، سورة يوسف.

(٦) العرف: الرائحة الطيبة.

(٧) مآرب: حاجة.

وَأَلْمَحُ مِنْ أَلْفَاهِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ،
 وَمَنْ ظَلَّ فِي عَيْدٍ يُسْرُ بِأَهْلِهِ
 وَإِنْ زَارَ أَلْفَا أَلْفُهُ زُرْتُ مَنْزِلًا
 يُضَاحِكُ فِي ذَا الْعَيْدِ كُلُّ حَبِيبِهِ،
 يَشُوبُ إِلَى الْأَوْطَانِ مَنْ كَانَ غَائِبًا
 وَيَأْوِي إِلَى الْأَحْبَابِ مَنْ كَانَ حَاضِرًا
 كَأَنَّا خَلَقْنَا لِلنَّوَى، وَكَأَنَّا
 أَحْبَابِنَا، هَلْ يَجْمَعُ اللَّهُ شَمْلَنَا
 أَمَا حَذِيرَ الْوَاشِي مِنَ الدَّهْرِ صَرَعَةٌ؟
 عَسَى لَمَحَةٌ مِنْ حُسْنِ وَجْهِكَ تُسْفِرُ^(١).
 فَمَا لِي مِنَ الْأَهْلِينَ إِلَّا التَّحْيِيرُ.
 وَحَوْلِي مِنَ أَهْلِ الْحَفِيزَةِ مَعَشَرُ^(٢).
 وَمَا لِي مِنْكُمْ مَنْ أَنَا حَيٌّ وَأَنْظَرُ^(٣).
 وَمَا لِي مِنَ الْأَوْطَانِ إِلَّا التَّذَكُّرُ^(٤).
 وَمِنْ دُونَ أَحْبَابِي لَيَالٍ وَأَشْهُرُ^(٥).
 عَلَى شَمْلِنَا خَطَّتْ مِنَ الْبَيْنِ أَسْطُرُ^(٦).
 عَسَى نَلْتَقِي قَبْلَ الْمَاتِ وَنَحْضُرُ!
 فَلدَّهْرِ وَاشْرَ لَا يَنَامُ وَيَسْهَرُ^(٧).

- من مقدمة «سراج الملوك» للطرطوشي:

إِنِّي لَمَآ نَظَرْتُ فِي سَيْرِ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ وَالْمَلُوكِ الْخَالِيَةِ وَمَا وَضَعُوهُ مِنَ السِّيَاسَاتِ فِي تَدْيِيرِ الدُّوَلِ وَالتَّزْمُوهِ مِنَ الْقَوَانِينِ فِي حِفْظِ النِّحْلِ^(٨)، وَجَدْتُ ذَلِكَ نَوْعَيْنِ: أَحْكَامًا وَسِّيَاسَاتٍ. فَأَمَّا الْأَحْكَامُ الْمُشْتَمِلَةُ عَلَى مَا اعْتَقَدُوهُ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَالْبُيُوعِ وَالْأَنْكِيحَةِ وَالطَّلَاقِ وَالْإِجَارَاتِ وَنَحْوِهَا وَالرُّسُومِ^(٩) الْمَوْضُوعَةَ لَهَا وَالْحُدُودَ^(١٠) الْقَائِمَةَ عَلَى مَنْ خَالَفَ شَيْئًا مِنْهَا فَأَمَرُوا بِاصْطِلَاحِهَا عَلَيْهِ بِعُقُوبِهِمْ، لَيْسَ عَلَى شَيْءٍ مِنْهُ بُرْهَانٌ وَلَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهِ مِنْ سُلْطَانٍ^(١١)، وَلَا أَخَذُوهُ عَنْ تَدْيِيرِ^(١٢) وَلَا أَتَّبَعُوا فِيهِ رَسُولًا. وَإِنَّا

(١) ... لَمْ يَأْرَى شَيْئًا شَبِيهًا بِجِهَالِكَ فِي وَجْهِهِ الْآخَرِينَ.

(٢) الحفيظة: البغضاء.

(٣) ناجاه: سارره.

(٤) تاب: رجع.

(٥) ومن دون أحبائي ليالٍ وأشهر (هم يبيدون عني جدًا).

(٦) النوى: البعد. البين: الفراق.

(٧) صرعة: قتلة.

(٨) النحلة (بالكسر): الدين، العقيدة (العقيدة الفرعية من الملة أو الدين العام).

(٩) الرسم: الطريقة التي يجري عليها تصرف الأعمال.

(١٠) الحد: العقاب، القصاص.

(١١) ما أنزل الله بها (بوجودها) من سلطان (حجة أو برهان).

(١٢) تدبير: تنظيم منتج من تفكير.

هي صادرة عن خَدَمَةِ النيرانِ وَسَدَنَةِ بُيُوتِ الأَصْنَامِ وَعَبَدَةِ الأَنْدَادِ والأوثان^(١). وليس يَعْجِزُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ (عن) أَنْ يَصْنَعَ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِهِ أَشْبَاهَهَا وَمِثَالَهَا^(٢). وَأَمَّا السِّيَاسَاتُ الَّتِي وَضَعَهَا فِي أَلْتِزَامِ الأَحْكَامِ وَالدَّبِّ^(٣) عَنْهَا وَالْحِمَايَةَ لَهَا، وَتَعْظِيمَ مَنْ عَظَّمَهَا وَإِهَانَةَ مَنْ خَالَفَهَا، فَقَدْ سَارُوا فِي ذَلِكَ بِسِيرَةِ العَدْلِ وَحُسْنِ السِّيَاسَةِ وَجَمَعَ القُلُوبَ عَلَيْهَا وَالتَّزَامَ النَّصْفَةَ^(٤) فَمَا بَيْنَهُمْ عَلَى مَا تَوَجَّهَتْ تِلْكَ الأَحْكَامُ.

فَجَمَعَتْ مُحَاسِنَ مَا أَنْطَوَتْ عَلَيْهِ سِيرَتُهُمْ خَاصَّةً مِنْ مُلُوكِ الطَّوَائِفِ^(٥) وَحُكَمَاءِ الدُّوَلِ فَوَجَدَتْ ذَلِكَ فِي سِتِّ أُمَّمٍ، وَهُمْ العَرَبُ وَالْفَرَسُ وَالرُّومُ وَالْهِنْدُ وَالسِّنْدُ وَالسِّنْدُهِندُ^(٦).... فَنَظَّمَتْ مَا أُلْفِيَتْ فِي كُتُبِهِمْ مِنَ الحِكْمِ البَالِغَةِ^(٧) وَالسِّيَرِ المُسْتَحْسِنَةِ وَالكَلِمَةِ اللطيفةِ وَالطَّرِيقَةِ المألوفةِ وَالتَّوَقُّعِ الجَمِيلِ وَالأَثَرِ النَّبِيلِ إِلَى^(٨) مَا رَوَيْتُهُ وَجَمَعَتْهُ مِنْ سِيَرِ الأنبياءِ، عَلَيْنِهِمُ السَّلَامُ، وَآثَارِ الأَوْلِيَاءِ وَبِرَاعَةِ العُلَمَاءِ وَحِكْمَةِ الحُكَمَاءِ وَنَوَادِرِ الخُلَفَاءِ وَمَا أَنْطَوَى عَلَيْهِ القُرْآنُ الكَرِيمُ الَّذِي هُوَ بَحْرُ العُلُومِ وَيَنْبُوعُ الحِكْمِ وَمَعْدِنُ السِّيَاسَاتِ وَمَخَاصِئِ الجَوَاهِرِ المَكْنُونَاتِ^(٩).

وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أُخْتَصِرَ^(١٠) لِمَحَدَّةِ إِشَارَةٍ خَفِيفَةٍ. فَإِنْ طَالَ فَالْفَاطِظُ بَارِعَةٌ وَأَيَاتُ

- (١) الخدمه جمع خادم. خدمة النيران: الموكلون باهتاد النار باستمرار في هياكل الجوس. السادن: الخادم القائم على تدير بيوت الصيادة).
- (٢) النَّذُّ (هنا) ما يعبد على أَنَّهُ شَرِيكٌ لِه (تعالى الله). الوثن: شيء يعبد، وهو على غير صورة معينة (حجر، شجرة، جانب من جبل، الخ).
- (٣) الخلق، خلق الله: الناس، جماعات الناس. ومثالها (اقرأ: ومثالها).
- (٤) النصفه: الإنصاف.
- (٥) ملوك الطوائف (ملوك الدول الصغيرة).
- (٦) السند بلاد بين الهند وكرمان وسجستان - أي بلاد فارس - (تاج العروس - الكويت ٨: ٢٢١ - ٢٢٢)، هي باكستان اليوم. السندهند (٤).
- (٧) أُلْفِي: وجد. البالغة: التامة (تصل إلى أقصى ما وصل إليه الاختبار الإنساني).
- (٨) التوقيع: قول موجز يكتبه الخليفة أو الوزير في آخر الرقعة المقدمة إليه ليجيز تنفيذ ما فيها أو ليمتنع. إلى ما رويته (بالإضافة إلى ما رويته).
- (٩) المخاص: المكان الذي يفوض فيه المأخون والصيادون. الجواهر (الآلي جمع لؤلؤة). المكنونة: التي لا تزال في الصدفة (النادرة، الثمينة).
- (١٠) اقرأ: أن أختصره لمة...

مُعْجَزَةٌ.... فَاتَّظَمَ الْكِتَابُ بِحَمْدِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ، وَأَحْكَمْتُهُ غَايَةً^(١) فِي بَابِهِ غَرِيباً فِي فُنُونِهِ وَأَسْبَابِهِ خَفِيفَ الْمَحْمِلِ كَثِيرَ الْفَائِدَةِ لَمْ تَسْبِقْ إِلَى مِثْلِهِ أَقْلَامُ الْعُلَمَاءِ وَلَا جَالَتْ فِي نَظْمِهِ^(٢) أَفْكَارُ الْفُضْلَاءِ، وَلَا حَوْتُهُ^(٣) خَزَائِنُ الْمُلُوكِ وَالرُّؤَسَاءِ.... (فَهُوَ عِصْمَةٌ^(٤)) لِمَنْ عَمِلَ بِهِ مِنَ الْمُلُوكِ وَأَهْلِ الرَّئِاسَةِ وَجَنَّةٌ^(٥) لِمَنْ تَحَصَّنَ بِهِ مِنْ أَوْلِي الْإِمْرَةِ وَالسِّيَاسَةِ وَجَمَالَ لِمَنْ تَحَلَّى بِهِ مِنْ أَهْلِ الْأَدَابِ وَالْمُحَاضِرَةِ^(٦) وَعُنْوَانٌ لِمَنْ فَاوَضَ بِهِ مِنْ أَهْلِ الْمُجَالَسَةِ وَالْمَذَاكِرَةِ^(٧). وَسَمَّيْتُهُ «سِرَاجَ الْمُلُوكِ» يَسْتَفْنِي الْحَكِيمُ بِدِرَاسَتِهِ عَنِ مُصَاحِبَةِ الْحُكَمَاءِ، وَالْمَلِكُ عَنِ مُشَاوَرَةِ الْوُزَرَاءِ...

- مِنْ مَتْنِ الْكِتَابِ:

(ص ١٢): اَعْلَمْتُ أَنَّهَا الرَّجُلُ - وَكُنَّا ذَلِكَ الرَّجُلُ - أَنْ عَقُولَ الْمُلُوكِ، وَإِنْ كَانَتْ كِبَاراً، إِلَّا أَنَّهَا مُسْتَفْرَقَةٌ بِكَثْرَةِ الْأَشْغَالِ^(٨)، فَتَسْتَدْعِي مِنَ الْمَوْعِظَةِ مَا يَتَوَلَّجُ^(٩) عَلَى تِلْكَ الْأَفْكَارِ وَيَتَغَلَّقُ فِي مَكَامِنِ تِلْكَ الْأَسْرَارِ...

(ص ٧٩): إِنَّ السُّلْطَانَ خَطَرُهُ عَظِيمٌ وَبَلِيَّتُهُ عَامَةٌ^(١٠)، وَقَدْ يَطْرُقُهُ مِنَ الْآفَاتِ وَيَخْتَوِشُهُ^(١١) مِنَ الْأُمُورِ الْمَهْلِكَاتِ مَا يَجِبُ عَلَى كُلِّ ذِي لُبٍّ أَنْ يَسْتَعِيدَ بِاللَّهِ تَمَّ حَمَلَهُ وَيَشْكُرَهُ عَلَى مَا عَصَمَهُ^(١٢): لَا يَهْدَأُ فِكْرُهُ وَلَا تَسْكُنُ خَوَاطِرُهُ وَلَا يَصْفُو قَلْبُهُ وَلَا

(١) غاية: نهاية (أحسن ما هو) في بابه (نوعه).

(٢) في نظمه (اقرأ: في نظم مثله).

(٣) ولا حويته (اقرأ: ولا حوت مثله).

(٤) عصمة: حماية، حفظ، وقاية.

(٥) جنّة: ستر (وقاية).

(٦) المحاضرة: مفاوضة في الكلام، تبادل الآراء.

(٧) المذاكرة: تبادل الآراء والأقوال التي يساعد بعضها على تذكر بعضها الآخر.

(٨) غارقة بكثرة الأعمال المطلوبة من الملك (عاجزة عن أن تحيط بكل ما يريده الملك).

(٩) تولّج: دخل (أعان على جلاء تلك الأفكار).

(١٠) خطره: مكانته. بليّته: مصيبتته (ما ينتظر منه أن يمله).

(١١) طرق النجم: طلع ليلاً. طرق الأمر فلاناً (أناه بفتنة). احتوشه: أحاط به.

(١٢) اللب: العقل... -... تمّ حمله (الملك) وشكر (الله) على ما عصمه (صم الرجل غير السلطان)...

يَسْتَقِرُّ لَيْهَ . الْخَلْقُ فِي شُغْلٍ عَنْهُ ، وَهُوَ مَسْفُوفٌ بِهِ^(١) . وَالرَّجُلُ يَخَافُ عَدُوًّا وَاحِدًا ، وَهُوَ^(٢) يَخَافُ أَلْفَ عَدُوٍّ . وَالرَّجُلُ يَضِيقُ بِتَدْبِيرِ أَهْلِ بَيْتِهِ ... وَتَدْبِيرِ مَعِيشَتِهِ ، وَهُوَ مَدْفُوعٌ لِسِيَّاسَةِ جَمِيعِ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ : كُلُّمَا رَتَّقَ فَنَتَّقَ مِنْ حَوَاشِي^(٣) مَمْلَكَتِهِ أَنْفَتَقَ آخَرَ . وَكَلِمًا - ... قَمَعَ عَدُوًّا أَرْصَدَ لَهُ أَعْدَاءَهُ ، إِلَى^(٤) سَائِرِ مَا يُعَانِيهِ مِنْ أَخْلَاقِ النَّاسِ وَيُقَاسِيهِ مِنْ خُصُومَاتِهِمْ ، (وَمِنْ) نَصَبِ الْوَلَاةِ وَالْقُضَاةِ وَبَعَثِ الْجُيُوشِ وَسَدِّ الشُّغُورِ وَاسْتِجْبَاءِ الْأَمْوَالِ^(٥) وَدَفْعِ الْمَظَالِمِ .

(ص ٢٠٧) مَنْ طَالَ عُدُوَانُهُ^(٦) زَالَ سُلْطَانُهُ . وَاعْلَمْ أَنَّ الْمَالَ قُوَّةُ السُّلْطَانِ وَعِمَارَةُ الْمَمْلَكَةِ وَلِقَاحَةُ الْأَمْنِ وَنَتَاجَةُ الْعَدْلِ^(٧) . وَهُوَ حُسْنُ السُّلْطَانِ وَمَادَّةُ الْمُلْكِ . وَالْمَالُ أَقْوَى الْعُدُوِّ^(٨) عَلَى الْعَدُوِّ ، وَهُوَ ذَخِيرَةُ الْمُلْكِ وَحَيَاةُ الْأَرْضِ ، فَمِنْ حَقِّهِ أَنْ يُؤْخَذَ مِنْ حَقِّهِ وَيُوضَعَ فِي حَقِّهِ وَيُمْنَعَ مِنَ السَّرْفِ^(٩) . وَلَا (يَجُوزُ أَنْ) يُؤْخَذَ مِنَ الرَّعِيَّةِ إِلَّا مَا فَضَّلَ عَنْ مَعَاشِهَا وَمَصَالِحِهَا تَمْ (يَجِبُ أَنْ) يُنْفَقَ ذَلِكَ فِي الْوُجُوهِ الَّتِي يَعُودُ نَفْعُهَا عَلَى (الرَّعِيَّةِ) .

٤ - سراج الملوك، الاسكندرية (المطبعة الوطنية) ١٢٨٩ هـ؛ القاهرة ١٣٠٦، ١٣١٩ هـ؛
بهاشم مقدّمة ابن خلدون)، مصر (المطبعة الازهرية) ١٣١١ هـ .

- (١) الناس لا يهتمون بما يصيب الملك ولا بالواجبات التي عليه كيف يجب أن يقوم بها، بينما هو مجر على الاهتمام بكل فرد منهم.
- (٢) والرجل (العادي) يخاف عدوًّا واحدًا، وهو (أي الملك).
- (٣) رتق: سدّ (خاط، أصلح). الفتق: الشقّ (الحادث، الثورة على الملك). حواشي المملكة: أطرافها البعيدة.
- (٤) وكلّمًا قمع (قهر، تغلب على) عدوًّا أَرصَدَ (برز) له أعداءه، إلى (بالإضافة إلى).
- (٥) الثغر: مكان ينفذ منه العدو إلى المملكة (الحدود). سدّ الثغر (حماه). استجباء الأموال (جمع أموال الجباية: الضرائب).
- (٦) العدوان: الظلم.
- (٧) لقاحة ونتاجة (٤). المقصود: لنجاح (بالكسر: سبب) ونتاج (نتيجة).
- (٨) العدد جمع عدّة (بالضم): الأداة أو الآلة التي يستعين الإنسان بها على القيام بالعمل. (السلاح عدّة الحرب).
- (٩) السرف: الإسراف.

- كتاب الحوادث والبدع (حقّقه محمّد الطالبي)، تونس (مطبوعات كتابة الدولة للتربية القومية) ١٩٥٩ م.
- رسالة أبي بكر الطرطوشي إلى ابن تاشفين (منشورة في «أبو بكر الطرطوشي العالم الزاهد....») - انظر السطر التالي.
- ★★ أبو بكر الطرطوشي العالم الزاهد الثائر، تأليف جمال الدين الشيبال (أعلام العرب، رقم ٧٤ - وزارة الثقافة: المؤسسة العامّة للتأليف والنشر) ١٩٦٨ م.
- المغرب ٢: ٤٢٤؛ الصلة ٥١٧؛ بغية الملتبس ١٢٥ - ١٢٩؛ الخريدة ٢: ٢١١ - ٢١٤؛ الوافي بالوفيات ٥: ١٧٥؛ الخريدة (المغرب والاندلس) ٢: ٢٩٠ - ٢٩٢؛ الخريدة ٢: ٢١١ - ٢١٤؛ وفيات الأعيان ٤: ٢٦٤ - ٢٦٥؛ الديباج المذهب ٢٧٦ - ٢٧٨؛ شذرات الذهب ٤: ٦٢؛ نفع الطيب ٢: ٨٥ - ٩٠؛ أزهار الرياض ٣: ١٦٣ - ١٦٥؛ بروكلمن ١: ٦٠٠ - ٦٠١؛ الملحق ١: ٨٣٩ - ٨٣٠؛ الأعلام للزركلي ٧: ٣٥٩ (١٣٣ - ١٣٤)؛ نيكل ٢٣٧ - ٢٣٨؛ مختارات نيكل ١٥٩ - ١٦١؛ سركيس ١٢٣٩؛ تراجم اسلامية لعبد الله عنان ٢٨٩ وما بعده؛ العربي ٨ / ١٩٧٠ م، ص ٨٨ - ٩٣.

ابن السيد البطليوسي

١ - هو أبو محمّد عبد الله بن السيد^(١)، أصله من سَنَبَ ومَوْلده في بَطْلَيْوُسَ سَنَةَ ٤٤٤ هـ (١٠٥٢ م).

بدأ ابن السيد البطليوسي تلقّي العلم في بَطْلَيْوُسَ على أبيه ثم على أخيه أبي الحسن علي بن السيد (ت ٤٨٨ هـ = ١٠٩٥ م) وكان لغويًا أديبًا. دَرَسَ ابنُ السيد القراءات على عبد الله بن محمّد بن خلف الرازي (٢) وعلى علي بن أحمد بن حمّود بن (٤٦٦ هـ = ١٠٧٣ م)، كما دَرَسَ اللُّغَةَ على أبي بكرٍ عاصم بن أيوب البطليوسي^(٣).

وفي نحو سَنَةَ ٤٦٤ هـ ارتحل ابنُ السيد إلى المرّيّة ومكث فيها عامًا واحدًا سَمِعَ في أثنائه من عبد الدائم بن جَبْرِ القيرواني. ثم غادرها إلى قُرطَبَةَ حيث دَرَسَ الحديث على أبي عليّ الحسين بن محمّد بن أحمد الغساني الجبّالي (ت ٤٩٨ هـ = ١١٠٥ م)

(١) السَّيِّدُ (بكر السين وسهيل الياء، بلا تشديد): الذئب.

(٢) أبو بكر عاصم بن أيوب البطليوسي (ت ٤٩٤ هـ = ١١٠٦ م) من علماء اللغة، له «شعر الشعراء السَّنة (الجاهليين)» وكتاب «الأوائل».

الحدث (بروكلمن (١ : ٤٥٤). بعدئذ أخذ ابن السيد ينتقل بين بلاطات ملوك الطوائف: اتصل بالقادر يحيى بن إسماعيل بن ذي النون (٤٦٧ - ٤٧٨ هـ) في طليطلة ثم انتقل إلى سرقسطة واتصل بأحمد المستعين التميمي (٤٧٨ - ٥٠٣ هـ). ثم إنه اتصل بمجسام الدولة أبي مروان عبد الملك آخر ملوك بني رزين في السهلة^(١)، فنال عنده حظوة ولما سأت أحوال السهلة وتغير عبد الملك على ابن السيد ارتحل ابن السيد إلى قرطبة وجلس في مسجد الجامع يُفريء علوم الدين واللغة والنحو والأدب. غير أنه انتقل عن قرطبة وشيكاً وذهب إلى بلنسية حيث اشتغل بالتدريس والتأليف. وفي بلنسية توفي ابن السيد البطليوسي، في منتصف رجب من سنة ٥٢١ (٢٧ / ٧ / ١١٢٧ م).

٢- كان ابن السيد البطليوسي واسع المعرفة بفنون العلم: كان محدثاً وقيماً ولغوياً ونحوياً وأديباً ناقداً وشاعراً ومؤرخاً عارفاً بأيام العرب وأشعارها، وقد تكسب بالشعر مدة. وكان أيضاً فيلسوفاً ومؤلفاً كثيراً.

وشعر ابن السيد الذي وصل إلينا قليل، على بعضه نفحة دينية صوفية، وعلى بعضه الآخر شيء من مجون. وله مدح ورناء ووصف وغزل وزهد وحكمة. وأحسن شعره الزهد والحكمة.

ولابن السيد البطليوسي تصانيف نافعة وممتعة، منها كتاب المثلث^(٢) (أتى فيه بالمجائب ودل على اطلاع واسع) - الاقتضاب (في شرح «أدب الكتاب» لابن قتيبة^(٣))، وهو أشبه بدليل يستعين به المنشئون والمشتغلون في ديوان الإنشاء) - كتاب الحروف الخمسة (س، ص، ض، ظ، ذ، مع التمييز بين الكليات التي ترد فيها هذه الحروف) - الإنصاف (في التنبيه على الأسباب الموجبة للاختلاف بين الأئمة) - شرح (ديوان) سقط الزند (للمعري)؛ وهو أجود من الشرح الذي صنعه المعري

(١) خلعه المرابطون سنة ٥٠٣ هـ.

(٢) في اللغة، جمع فيه الكلمات التي يجوز أن يكون أولها مفتوحاً أو مكسوراً أو مضموماً، مثل: جنة، ركوة.

(٣) أبو محمد عبد الله بن مسلم الدهنوري (ت ٢٧٦ هـ = ٨٨٩ م) من أئمة الأدب ومن المصنفين الكثرين.

(نفسه) - شرح ديوان المتنبي - الحداثق في المطالب الفلسفية العالية المويصة - الانتصار ممن عدل عن الاستبصار (رسالة صغيرة رد فيها على أبي بكر بن العربي^(١)) في عدد من وجوه الشعر واللغة والنحو والفلسفة).

ومن تصانيفه أيضاً: كتاب المسائل والأجوبة (وهو مجموع أجوبته على مسائل من فنون المعرفة كانت ترد عليه) - إصلاح الخلل الواقع في كتاب الجمل^(٢) (وصفه ابن السيد نفسه بقال: غرضي في هذا الكتاب هو الكلام في إعراب أبيات الواردة في كتاب « الجمل » ومعانيها وكشف ما يخفى من أسماء قائلها وعرض ما يتصل بكل بيت منها).

ولقد أراد ابن السيد البطليوسي (في كتبه) أن يسر النظر في اللغة وفي النحو وأن يفصل بين الإعراب (الذي يقصد منه فهم المعاني اللغوية) والتعليل الفلسفي (الذي يراد منه إظهار البراعة في الإتيان بأوجه متعددة من أحوال الإعراب ومن الجدال عند المفاضلة بينها). وقد جرّ عليه ذلك عداوة نفر من معاصريه أشهرهم الفيلسوف ابن باجه (ت ٥٣٣ هـ = ١١٣٨ م) وأبو عبد الله محمد بن خلصة الضرير النحوي (ت نحو ٥٠٣ هـ).

٣ - مختارات من آثاره:

- لابن السيد البطليوسي بيتان في الحكمة مشهوران:

أخو العلم حيّ خالد بعد موته وأوصاله تحت التراب رميم^(٣).
وذو الجهل ميت وهو ماش على الثرى يُظن من الأحياء وهو عديم.

- وقال في مداراة الناس:

(١) أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي الإشبيلي الأندلسي القاضي، من حفاظ الحديث ومن الأدباء والفقهاء (ت ٥٤٣ هـ = ١١٤٨ م).

(٢) كتاب « الجمل » لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق النهاوندي الزجاجي (ت ٣٣٧ هـ = ٩٤٩ م) شيخ العربية (النحو) في أيامه.

(٣) الرميم: البالي، المتفتت.

وحاولتُ عُذراً فلم يُمكن
كلام يدور على الألسن.
ويعلم خائنة الأعين^(١).

إذا سألوني عن حالتي
أقول: بخير؛ ولكنّه
وربّك يعلم ما في الصدور

- وقال يمدح المستعين بالله بن هود:

بأقارٍ أطواقٍ مطالعُها بان^(٢).
مُسايرةً أظعانهم حيثما كانوا^(٣).
ينازعها مُزَنُّ من الدمع هَتَان^(٤).
وهل لي عنكم آخِرَ الدهرِ سُلوَان^(٥)؟
فؤادٌ إلى لُقيائكم الدهرِ حَنَان^(٦).
وحلّت بنا من مُعضِلِ الخُطبِ ألوان^(٧).
صحيفةٌ إقبالٌ لها البُشرُ عنوان^(٨).
هواجسُ ظنِّ خانٍ، والظنُّ حَوَان^(٩).
فلا ماؤها صدّاً ولا التبتُ سَعْدَان^(١٠).

هم سلبوني حُسنَ صبري إذ بانوا
لئن غادروني باللّوى، إنَّ مُهجتي
سقى عهدهم بالخيف عهدُ غنائم
أُحبابنا، هل ذلك العهد راجعٌ
ولي مقلّة عبّري وبين جوامحي
تتكررت الدنيا لنا بعد بُعديتم
بوجه آبن هودٍ كلّها أعرض الوري
أناختُ بنا في أرضِ شنتمريةٍ
رحلنا سوام الحمد عنها لغيرها،

- (١) في القرآن الكريم: «يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور» (١٠: ١٩، سورة غافر). خائنة: خيانة.
(٢) بان: ابتعد. البان: شجرٌ أغصانه طوال سراء مستقيمة تشبه با قامات النساء. قمر: كناية عن الوجه الجميل). الطوق: شبه العقد يُلبس في العنق.
(٣) اللوى: التلّة المستديرة من الرمل (رمز لمنزل الأحيّة). الظن: الهودج تسافر فيه المرأة.
(٤) مكان قريب من مكّة (كناية عن منزل محبوب). هَتَان: كثير المطر. عهد غنائم (مطر متتابع).
(٥) سلوان: نيان.
(٦) عبّري: دامة.
(٧) المعضل: المرض يمتصّي على التطبيب. الخُطب: المصيبة. ألوان: أنواع.
(٨) البشر: تهلل الوجه وطلاقته، سروره.
(٩) في هذا البيت يعنذر الشاعر من الزهارة التي كان قد قام بها إلى بلاد بني رزين في السهلة (وشنتمرية الشرق عاصمة السهلة). أناخ: برك، نزل. الهاجس: الحاطر.
(١٠) سوام: ابتغاء، طلب. لغيرها (لرسقطة، إلخ). فلا ماؤها (ماء شنتمرية). صدّاً - في المثل: ماء ولا كصداء (فرائد اللال ٢: ٢٤٠). صداء ركيّة (بشر) ماؤها عذب جداً. السعدان: نبت تسن عليه الإبل.

إلى ملك حباه بالمجد يوسف، وشاد له البيت الرفيع سليمان^(١) :
 إلى مستمعين بالإله مؤيد له النصر حزب والمقادير أعوان.
 - وله من رسالة إخوانية:

.... وافي - أعزك الله - كتاب شغل حاستي سمي وبصري، وملاً حافتني
 فكري وخطري. وأراني الدر^(٢) إلا أنه لم ينظم، وأسمني السحر إلا أنه لم يحرم.
 لو صيغ عقداً لأحجل الدر والعيان^(٣)، ولو حيك بُرداً لعتل الدياج
 والحسروان^(٤). فله قريحة أذكت ناره وأطلعت أنواره.... وقد طلع علينا طلوع
 البدر في الفسقى^(٥)، وضخ أفعها بخلوق من الخلق. واقتدحنا زند ذكائه فأورى^(٦)،
 ولمحنا كوكب سائه فأعشى^(٧)، وشاهدنا البلاغة فيه شخصاً محسوساً، والرئيس
 المتعاطي البراعة مرووساً. أقدمه الله خير مقدم وأغنمه أفضل مغمم.

- وقال في التوحيد والرد على المشركين:

إلهي، إنني شاكر لك حامد، وإنني لساع في رضاك واجهد.
 وإنك - مها زلت النعل بالفتى - على العائد التواب بالفضل عائد.
 وما لي على شيء سواك معول إذا دهمتني المغضلات الشدائد.
 وقدماً دعا قوم سواك، فلم يقم على ذاك برهان ولا لاح شاهد.
 وبالفلك الدوار قد ضل معشر، وللبيرات السبع داع وساجد.

(١) المستمع بالله بن هود هو أحد بن يوسف بن سليمان.

(٢) الدرّة: اللؤلؤة.

(٣) العيان (بالكسر): الذهب الخالص.

(٤) البرد: ثوب من حرير. الدياج: ثوب منسوج كله من الحرير. الحسرواني والحسروى نوع من الشراب
 ومن الثياب (التمينة) نسبة إلى خسرواثة (من ملوك العرس) - راجع تاج العروس - الكويت ١١ :

. ١٦٥

(٥) أذكى: أوقد. الفسقى: الظلام.

(٦) ضخ: لطخ، دهن. الخلق: الطيب، العطر. الزند: حديدة تقدح بها النار من حجر الصوان. أورى:
 اشتعل، أشعل.

(٧) أعشى: أضعف البصر، منع البصر من الرؤية.

وللعقل عبّادٌ، وللنفس شيعةٌ؛ وكلُّهم عن منهجِ الحقِّ حائد.
 وهل يُوجدُ المغلولُ من غيرِ عِلَّةٍ، إذا صحَّ فِكْرُ أو رأى الرُّشدَ راشد.
 وهل غيبتَ عن شيءٍ فيُنكِرُ مُنكِرٌ وجودك، أم لم تَبْدُ منك الشواهد؟
 وفي كلِّ معبودٍ سواك دلائلٌ من الصُّنْعِ تُبدي أَنَّهُ لك عابد.
 وكم لك في خَلْقِ الوري من دلائلٍ يراها الفتى في نفسه ويُشاهد!

- فقرات من كتاب « الانتصار » (الداية ٣٤٨ - ٣٤١):

قال ابن السيد البطليوسي يعرض بأبي بكر بن العربي:

...ورأيناك لما وصلتَ بالقراءة والتصفحِ إلى قولِ (المعري):

فإن لقيتَ وليداً، والنوى كُتِبُ، يومَ القيامةِ لم أَعِدْهُ تَبَكُّيتاً^(١)،

ذكرتَ أن روايةَ شَيْخِكَ « قَذَفُ »^(٢)، وهذا من الألفاظ التي ذكرنا أن المعريَّ غيَّرَها في آخرِ عمرِهِ، لما فيها من قُبْحِ التَّأويلِ والقالِ والقليلِ. (ذلك) لأنَّ الكُتْبَ: القُرْبَ، وهو الشيءُ القريبُ أيضاً. والقَذْفُ ضِدُّهُ - فإذا قال: « والنوى كُتِبُ » كان فيه تقريبُ الأمدِ وأَنَّهُ هامةُ اليومِ أو القَدِ. وإذا قال « قَذَفُ »، ففيه استبعادُ ليومِ القيامةِ.

...ورأيناك - أعزك الله - لما انتهى بك النظرُ إلى قولِ (المعري):

فذكرني بدرَ السماوةِ بادناً شفا لاحَ من بدرِ السماوةِ بال^(٣)،

أنكرتَ السماوةَ الثانيةَ وكتبتَ السماءَ بالهمزة. فلمَ أنكرتَها علينا؟ أحسبتَ أنها لا تُقالُ أم حسبتَ أنها أليقُ بالبيتِ؟ وكِلا الأمرين لنا فيه الظهورُ عليك^(٤)، لأنَّ أهلَ اللغةِ حكوا أَنَّهُ يُقالُ سماً وسلمةً بالهمزِ وسماً وسماةً على وَزْنِ قِطَاةٍ. فمن قال

(١) النوى: البعد، (الفراق). كتب: قريب. التبكيت: التوبيخ.

(٢) قذف: بعيد.

(٣) السماوة: بادية في العراق. ذكرني بدر السماوة (الملال الجديد في أول الشهر، راجع البيت السابق، في

الديوان، طبعة هندية، ص ١٠١) بادناً (وقد كبر). الشفا: حرف التهيء، والقليل من كلِّ

شيءٍ..... في الديوان (ص ١٠١) السماوة.... والسلمة.

(٤) الظهور عليك: التغلب عليك.

سَاءَةٌ فَهَمَزٌ، بناها على ساءٍ فَهَمَزٌ. ومن قال ساءوا بالواو بناها على الفِعْل الذي هو سَاءَ يَسْمُو. وأما من طريق الترجيع^(١) بين اللَّفْظَيْنِ، فَإِنَّ السَّاءَةَ أَحْسَنُ الْوَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا أَنَّهُ أَفْصَحُ اللَّفْظَيْنِ، لِأَنَّهَا أَكْثَرُ اسْتِعْمَالًا وَأَوْسَعُ مَجَالًا. ويدلّ على ذلك أَنَّهُمْ قَالُوا سَاءَاتٌ، وبذلك قرأ القراء^(٢)، ولا يكادون يقولون سماءات. والوجه الثاني أَنَّهُ أَلْيَقُ بِالْبَيْتِ لِمَا تَقَدَّمَ فِي صَدْرِهِ مِنْ ذِكْرِ السَّاءَةِ الْآخَرَى، فَأُقْسِدَتْ عَلَى الرَّجُلِ التَّجْنِيسَ الَّذِي جَرَى إِلَيْهِ وَحَامَ فِكْرُهُ عَلَيْهِ. فما هذا الجِلَافُ والعِنَادُ، أَيْنَ النَّظَرُ الْحَسَنُ وَالانْتِقَادُ؟

...ورأيتك - وَقَفْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ - لَمَّا وَصَلْتَ إِلَى قَوْلِ الْمَعْرِيِّ:

فُبُعْدًا لِهَذَا الْجِسْمِ، يَا رُوحُ، مَسَلَكًا وَبُعْدًا لِهَذَا الرُّوحِ، يَا جِسْمُ، سَالِكًا.
تَوَاصَلْتُمَا فَاسْتَحَدَثَ الْوَصْلُ مِنْكُمَا عَجَائِبَ كَانَتْ لِلرِّجَالِ مَهَالِكًا.

قد أنكرت علينا في بعض كلامنا فيه أن الروح طاهرٌ شريفٌ، والجسم دونه مواتٌ^(٣) لا يَقَعُ عَلَيْهِ تَكْلِيفٌ^(٤). فكتبت في الطرة^(٥): صوابه موجودٌ شريفٌ وكيف حدثت باقترابها خطيئةً، وهو قولٌ بقدّم الأعراض^(٦) أو مجازٌ لا يَعمَدُ انتقاض^(٧). وهذا كلامٌ أوّلٌ ما نَنقَدُ فِيهِ فِسادُ الإِعْرَابِ بِتَرْكِ النَّصْبِ الْإِنْتِقَاضِ وَبَعْدَ ذَلِكَ نَقُولُ: كَيْفَ أَنْكَرْتَ قَوْلَنَا إِنَّ الرُّوحَ طَاهِرٌ شَرِيفٌ وَقَدْ طَهَّرَهُ اللهُ تَعَالَى وَشَرَّفَهُ عَلَى النَّفْسِ وَقَدَّمَهُ، فِي الْقُرْآنِ الْمُنزَّلِ عَلَيْنَا وَفِي الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ لَنَا...

٤ - الاقتصاب في شرح أدب الكتاب (قلفاط وميداني - وقف على طبعه عبد الله البستاني)، بيروت ١٩٠١ م.

- (١) الترجيع (لعلها: الترجيح: المفاضلة بين شيئين).
- (٢) القراء: حفظة القرآن الكريم.
- (٣) موات: بلا حياة. كالحجر مثلاً.
- (٤) تكليف: أمر بأداء العبادة وما يشبه العبادة من الواجبات.
- (٥) الطرة: القطعة، رأس الصفحة.
- (٦) في الفلسفة: الجوهر (كثه الشيء، مادته) قديم، لأنه ثابت. العرض لا يمكن أن يكون قديماً لأنه متبدل.
- (٧) انتقاض: نقض، بطلان (حق انتقاض هنا النصب).

- الإنصاف في التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم (أحمد عمر الحمصاني)، مصر (مطبعة الموسوعات) ١٣١٩ هـ.
- كتاب الحدائق في المطالب العالية الفلسفية العويصة (محمد زاهد بن الحسن الكوثري)، القاهرة (السيد عزت العطار الحسيني) ١٣٦٥ هـ (١٩٤٦ م).
- شرح سقط الزند للمعري (في كتاب «شروح سقط الزند» للجنة إحياء آثار أبي العلاء المعري)، القاهرة (مطبعة دار الكتب) ١٩٤٥ - ١٩٤٨ م.
- شرح المختار من لزوميات أبي العلاء (حرره حامد عبد المجيد)، القاهرة (مطبعة دار الكتب المصرية) ١٩٧٠ م.
- رسائل في اللغة (إبراهيم السمرائي)، بغداد (مطبعة الإرشاد) ١٩٦٤ م (٢) كتاب المسائل والأجوبة.

★ ★ قلائد العقيان ٢٢١ - ٢٣١؛ الصلة ٢٨٢ (رقم ٥٣٩)؛ بغية المتصن ٣٢٤ (رقم ٨٩٣)؛ الذخيرة ٣: ٨٩٠ - ٨٩٦؛ الخريدة (المغرب والأندلس) ٣: ٤٧٨ - ٤٨٤؛ الخريدة (الأندلس) ٢: ٥٠٩ - ٥١٨؛ المغرب ١: ٣٨٥ - ٣٨٦؛ وفيات الأعيان ٣: ٩٦ - ٩٨؛ المطرب ٤٣، ٢٢٦؛ إنباه الرواة ٢: ١٤١ - ١٤٣؛ وفيات الأعيان ٣: ٩٦ - ٩٨؛ الديباج المذهب ١٤٠ - ١٤١؛ بغية الوعاة ١٢٨٨؛ شذرات الذهب ٤: ٦٤؛ نفع الطيب ١: ١٨٥، ٦٤٣ - ٦٥٠؛ ٣: ٢٢٨، ٢٨٧، ٤٥٩، ٤٧٠، ٥٦٧؛ أزهار الرياض ٣: ١٠١ - ١٤٩؛ دائرة المعارف الإسلامية ١: ١٠٩٢؛ بروكلمن ١: ٥٥٧، الملحق ١: ٧٥٨؛ نيكل ٢٣٤؛ مختارات نيكل ١٥٧ - ١٥٩؛ بالنشيا ١٨٧؛ الداية ١٧٩ - ٢١١، ٣٤٦ - ٣٥١؛ الأعلام للزركلي ٤: ٢٦٨ (١٢٣)؛ سركيس ٥٦٩ - ٥٧٠؛ العربي ٢ / ١٩٦٦.

ابن أخت غانم

١ - هو أبو عبد الله محمد بن سليمان بن معمر الثغري المالكي المعروف بابن أخت غانم^(١)، كان مولده في مائة سنة ٤٣٤ هـ أو قبيل ذلك.

روى ابن أخت غانم عن خاله، وسمع الصحيحين على الدلائي^(٢) وثنى أبي

(١) كان خاله أبو محمد غانم بن الوليد الخزومي (ت ٤٧٠ هـ أو ٤٦٥) وكان أديباً شاعراً (له ترجمة منفردة).

(٢) الصحيحان: صحيح البخاري وصحيح مسلم (في الحديث). ابن الدلائي: أبو العباس أحمد بن عمر من علماء المريّة - الأندلس (ت ٤٧٨ هـ = ١٠٨٥ م).

داود^(١) على أبي الوليد القسبي الطليطلي (٤٠٧ - ٤٨٨ هـ). ويبدو أن تصدّره للإقراء كان في مائة نفسها، وقد كانت عنايته مُنصرفة إلى إقراء كتاب « الهداية » لأبي العباس أحمد بن عمّار المهدوي^(٢) (ت ٤٣٠ هـ).

ثم إن خاله نصحه بمفادرة مائة التي كانت في حُكم البربر - ولم يكونا فيها أمينين على نفسيهما - فانتقل إلى المريّة (حتى إذا قُتِلَ أحدهما في مكان بقي الآخر حيًّا). وقد نال ابنُ أخت غانم حُطوة عند صاحب المريّة المعتمِر بن صُدّاح (٤٤٣ - ٤٨٤ هـ) فأقام فيها زمنا.

وكانت وفاته سنة ٥٢٥ (١١٣١ م) وقد قارب مائة سنة أو أزيد عليها.

٢ - كان ابنُ أختِ غانمٍ واسعَ الحِفظِ بارعاً في عددٍ من العلوم: في القرآن والحديث واللغة والنحو والنبات. كما كان حافظاً للكلام الأُطباء ولأحوال الدبّانات. وله شرحٌ لكتاب النبات^(٣) في ستين مجلداً. وكان يقول الشعر في يسر. وقد كانت له نقائض مع أبي الفضل بن شرف (ت ٥٣٤ هـ).

٣ - مختارات من شعره:

- قال ابنُ أختِ غانمٍ في أبي الفضل بن شرف:

قولوا لِشاعرٍ بَرَجَةٍ هل جاء من أرضِ العراقِ فحازَ طبعَ البُحْثري^(٤)؟
واقسى بأشعارٍ تَضجُ بكفِّهِ وتقولُ: هل أعزى لمن لم يشعُر^(٥)؟
يا جعفرأ رُدَّ القريضَ لأهلِهِ وأتركُ مُباراةَ لتلك الأبحرِ.

(١) أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥ هـ = ٨٨٩ م) إمام أهل الحديث في زمانه، له كتاب السنن (في الحديث).

(٢) كتاب النبات لأبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري (ت ٢٨٢ هـ = ٨٩٥ م) مؤرّخ ومهندس ونباتي جمع بين حكمة الفلاسفة وبيان العرب.

(٣) حاز: اكتسب. (كان في العراق فهل اكتسب خصائص البحري؟).

(٤) تضج: تصرخ متمللة) بكفه (لأنه سرقها من غيره. تضج بكفه (٤). أعزى: أنسب. يشعر: ينظم شعراً.

لا تَزَعَمَنَّ ما لم تَكُنْ أهلاً له، هذا الرضابُ لغيرِ فيكَ الأبخَرِ (١)!

٤-★★ المغرب ١: ٤٤٣٣، بنية الوعاة ١٠٦: ١١٠٦، نفع الطبيب ٣: ٣٩٧ (راجع ٣٩٥)، الأعلام
للزركلي ٧: ٣٢١ (١٠٦)، نيكل ١٨٨ - ١٩٠، مختارات نيكل ١٢٠ - ١٢١.

الأعمى التطيلي* (٢)

١- هو أبو العباسِ (أو أبو جعفر) أحمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ (أبي) هُريرةَ القَيْسيِّ
التطيليِّ الإشبيليِّ، كانَ أصلُ أهلِهِ من مَدِينَةِ تَطِيلَةَ ثمَّ هاجروا إلى إشبيلية
وسكنوها.

نشأ أبو العباسِ أحمدُ بنُ عبدِ اللهِ في إشبيلية ضَريراً، ولذلك لُقِّبَ بالأعمى،
وقضى فيها أكثرَ أيامِ حياته، ولم يكنْ مسروراً من الإقامة فيها، ومع ذلك فقد كان
لا يُحِبُّ مُغادرتَها. إلا أنه اضْطُرَّ إلى السُّكْنى مُدْبِئَةً في مُرْسِيَّةٍ ثمَّ إلى المَجْهِيءِ إلى
قُرْبَةِ لَيْتَكْسَبَ بمدحِ رجالٍ فيها.

وكانت وفاة الأعمى التطيليِّ سَنَةَ ٥٢٥ هـ (١١٣١ م) قبلَ أن يُجاوِزَ الأربعينَ
من عُمرِهِ في الأغلب.

٢- الأعمى التطيليُّ شاعرٌ وُجْدانيٌّ مُحسِنٌ مُجيدٌ ووَشَّاحٌ بارِعٌ يتقدَّمُ جميعَ
وَشَّاحي زمانِهِ وراجزٌ يكادُ يكونُ بَدْوِيًّا في أراجيزِهِ. وشِعْرُهُ عَدْبٌ رائقٌ جَزَلٌ
الألفاظِ متينٌ الأسلوبِ يظهرُ عليه أثرُ التقليدِ للمشاركةِ - ولأبي تمامٍ والمنتبِيِّ
خاصَّةً - ظهوراً واضحاً. أمَّا فنونُهُ فأكثرُها المدحُ، وله أيضاً رِثاءٌ ووصفٌ قليلٌ
وشيءٌ من الهجاءِ والتمريضِ، وغزلانٍ، مؤنَّثٌ ومدكَّرٌ، وإخوانياتٍ. وموشحاته

(١) الرضاب: الرقيق ما دام في الفم (هذا الشعر الجميل). فيك: فمك. الأبخَر (الكربة الراضعة).

(٢) هو غير أبي إسحاق إبراهيم بن محمد التطيليِّ الضرير القرطبي - وكان يعرف بالتطيليِّ الأصفر - وكان
أيضاً شاعراً. وقد توفي بعد التطيليِّ الأكبر بزمان يسير (راجع نكت الهميان ٩٠، الوافي بالوفيات ٦:
١١٣٤ تحفة القادم ٢٧ - ٢٩).

مختلفة النسق جداً حتى كأنه يقصد أن ينظم كل مؤشحة من مؤشحاته على نسق مستقل.

٣ - مختارات من شعره:

- قال ابن خلدون (المقدمة، بيروت ١٩٦١، ص ١١٣٩): «إن جماعة من الوشاحين اجتمعوا في مجلس في إشبيلية، وكان كل واحد منهم أصطنع مؤشحة وتأنق فيها. فتقدم الأعمى التطيلي للإنشاد؛ فلما أفتتح مؤشحته المشهورة بقوله:

ضاحكٌ عن جُمانٍ سافرٌ عن بَندرٍ

خرقَ ابنُ بَقيٍّ مؤشحته وتبعه الباكون». وفي ما يلي هذه المؤشحة:

ضاحِكٌ عَن جُمانٍ سافرٌ عَن بَندرٍ؛

ضاقَ عَنه الزمانُ وحواه صَدرِي^(١).

* * *

أهِّمَّسا أَجْدُ شَفني ما أَجْدُ^(٢).

قام بي وقعد ظالمٌ مُتَّيدٌ^(٣)؛

كلِّما قُلْتُ: قَدْ قال لي: أينَ قَدْ^(٤)؟

وأثنى خوطَ بانٍ ذا مهزٌّ نَصْرٍ^(٥).

(١) جان (جمع جانة: اللؤلؤة الكبيرة) كناية عن جمال أسنانه (وشباهه). سافر (كاشف) عن بدر (عن وجه يشبه البدر). والحب الذي ضاق به البشر كلهم حويته أنا وحدي في صدري.

(٢) وجد، مجد وجداً (يسكون الجيم): شعر بجبّ شديد نحو آخر. شنه المم أو المرض: جملة تحيلاً أو هزلاً. وجد، مجد وجداناً ووجوداً الخ: لقي. - يقول الشاعر: إن الذي ألقاه من الحبّ قد أحلّ جسي.

(٣) - عذبني بجميع أنواع العذاب ظالم متئد (متمهل): يسير في عذابي على مهل ولا يبالي بي.

(٤) قد = قدى: يكفيني (عذاب منك). أين قد (أين الذي يكفي وزاد عن حدّه)، يقول ذلك متجاهلاً ما حلّ بي.

(٥) خوط (غصن طري ناعم) بان (نبات أغصانه مستقيمة سمر). مهزّ: اهتراز. نصر: غض، أخضر (لأنّ الغصن إذا يبس يطول تأوده: اهترازه وتايله).

عَابَتْهُ يَدَانِ لِلصَّبَا وَالْقَطْرِ^(١).

* * *

لِيس لِي مِنْكَ بُدْءٌ خُذْ فُوَادِي عَنِ يَدِ^(٢).

لَمْ تَدْعَ لِي جَلْدٌ غَيْرَ أَنِّي أَجْهَدُ^(٣).

مَكْرَعٌ مِنْ شَهْدٍ وَأَشْتِيَاقِي يَشْهَدُ^(٤).

مَا لَبِنْتَ الدِّنَانَ وَلِذَلِكَ الثَّغْرُ^(٥).

أَيْنَ مُحَيَّا الزَّمَانَ مِنْ حُمَيَّا الخَمْرِ^(٦)!

* * *

بِي جَوَى مُضْمَرٌ لَيْتَ جُهْدِي وَفَقَهُ^(٧)؛

كَلَّمَا يَظْهَرُ ففُوَادِي أَفْقَهُ^(٨).

ذَلِكَ الْمَنْظَرُ لَا بُدَاوِي عِشْقَهُ.

بِأَيِّ كَيْفَ كَانَ فَلَكِي دُرِّي^(٩)

(١) لمت به ربح الشرق والمطر (وجعلت تحركه حركات مختلفة).

(٢) أنا لا أستغي عنك (فإذا تترع قلبي مني انتزاعاً)، خذ فوادي عن يدي (طوعاً وبارادقي).

(٣) - حبك لم يترك لي قوة على الاستمرار في التعلق بك، ولكنني أنذل جهدي في ذلك.

(٤) مكرع: مكان الكرع (يسكون الرء): الشرب، ويقصد الشاعر فم الحبيب. الشهد (بفتح الشين أو بضمها ويسكون الهاء في الحالين): العسل (واضطر الشاعر إلى فتح الشين). - شوقي إلى فم الحبيب يدل على أن فيه عسلاً.

(٥) بنت الدنان: الخمر. الثغر: الفم. - من أين تشبه الخمر ذلك (الصل) في فم المحبوب.

(٦) «حيا الزمان» غامضة الدلالة لعلها حيا (يسكون الحاء) الزمان (بكسر الزاي: المرضي!) فيكون المعنى حينئذ في البيتين معاً: إن الخمر لا تشبه العسل الذي في فم الحبيب لأن العسل الذي في فم الحبيب يشفي المرضى بينما حيا الخمر (الثدة أو الإسكار الذي في الخمر) يمرض الأصحاء. [

(٧) - حيتي الشديد المعنى ليس جهدي وفقه (لا أستطيع أحقاله).

(٨) كلاً ظهر (المحبوب) ظهر في فوادي (أنا أتذكره دائماً).

(٩) فلكت (بفتح اللام) الجارية وفلكت (استدار نديها فشتت). الدرّي: نسبة إلى الدرّة (اللؤلؤة الكبيرة)، كناية عن إشراق الوجه وجاله.

راقٍ حتَّى استَبانَ عُذْرُهُ وعذري^(١).

* * *

هلْ إِلَيْكَ سَبِيلٌ أَوْ إِلَى أَنْ أَيْسَأ.
ذُبْتُ إِلَّا قَلِيلٌ عِبْرَةٌ أَوْ نَفْسًا.
مَا عَسَى أَنْ أَقُولَ! سَاءَ ظَنِّي بِعَسَى.
وَأَنْقَضَى كُلُّ شَأْنٍ وَأَنَا أَسْتَشِرِي^(٢).
خَالِعًا مِنْ عِنَانٍ جَزَعِي أَوْ صَبْرِي^(٣).

* * *

مَا عَلِيٌّ مِنْ يَلُومٍ لَوْ تَنَاهَى عَنِّي^(٤).
هَلْ سِوَى حُسْبٍ رِيمٍ دِينُهُ التَّجَنِّي^(٥).
أَنَا فِيهِ أَهْمِي، وَهُوَ بِي يُغْنِي^(٦).
[قَدْ رَأَيْتَكَ عِيَانٍ لَيْسَ عَلَيْكَ، سَتَدْرِي.
سَيَطُولُ الزَّمَانُ، وَسَتَنْسَى ذِكْرِي!]^(٧)

- وقال الأعمى التُّطَيْلِي فِي مَطْلَعِ مَوْشَحَةٍ لَهُ:

- (١) - راقٍ وجهه وكثر جماله (فوق أُنْداده) حتَّى استَبانَ (ظهر للناس جليًّا) عُذْرُهُ (في الصدود عن المحبوبين) وعذري (في التفاني في حبه).
- (٢) استشري الأمر: تفانم (زاد سوءاً). أنا أستشري: يتعاطم حبي للمحبوب.
- (٣) خالِعًا لعنان (لا أُلقي بالأ، لا أهمّ). جزعي وصبري (أن أجزع: أخاف وأحزن حتَّى يضرَّ بي الجزع، وأن أترك الصبر حتَّى يضرَّ بي ذلك أيضاً).
- (٤) تناهى الشيء: بلغ نهايته. تناهى عني: (هنا) أقصر، توقَّف (عن لومي).
- (٥) الريم: الغزال الأبيض. دينه: دأبه، عادته. التجني: أن يدعي أحد على آخر أنه أتى ذنباً والآخر لم يأت ذلك الذنب.
- (٦) أهمي: أجنَّ (بضم الهزرة وفتح الميم). يغني به: (في القاموس) يمدح أو يذمه، و(هنا): يتسلَّى به، يهزأ به.
- (٧) هذه الغفلة (الأشطر الأربعة الأخيرة) من اللغة الحكيمية العائية.

كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى صَبْرِي، وَفِي الْمَعَالِمِ أَشْجَانُ،
وَالرَّكْبُ وَسَطَ الْفَلَاحِ بِالْحُرْدِ النُّوَاعِمِ قَدْ بَانُوا^(١).

★ ★ ★

أَقْبَلَنَ يَوْمَ الْجِمَى فِي سُنْدِيَّاتِ الْحُلَلِ
بِيضَ مَطَلِّ الدِّمَا سَوْدَ الْفُرُوعِ وَالْمَقَلِ.
فِيَا مُعْتَى بِمَا لَوْ نَالَه نَالَ الْأَمَلِ^(٢).

دُونَ ذَوَاتِ الْحُلَى لِلسِّيفِ بِالصَّوَارِمِ حِرْمَانُ
أَبْعِ النَّجَاةَ وَلَا يَغْرُوكَ بِالضَّرَاغِمِ غِرْلَانُ^(٣)!
- وَقَالَ أَيْضاً فِي مَطْلَعِ مَوْشِحَةٍ أُخْرَى:

إِلَى مَتَى بُوَصَلْنَا تَبَخَّلُ وَلَا تَلِينُ
وَلَا تَفِي وَيَسْمَتُ الْعَدْلُ بِالْمَاشِقِينَ
أَنْتَ الْقَمَرُ يَجْلُو الدُّجَى نَوْرَهُ
تَحْتَ الشَّمَرِ يَرِفَ دَيْجُورُهُ.

(١) أشجان، جمع شجان (بفتح ففتح): حزن. الركب: الذين يركبون في القافلة (للسفر أو الانتقال) معاً.

الحُرْدُ جمع خريفة: البكر من النساء (الجميلة). بانوا: ذهبوا، ابتعدوا. وفي المعالم أشجان (٤).

(٢) الحلل جمع حلّة (بضم الهاء): ثوب فاخر. سندس: نسيج رقيق من حرير. مَطَلِّ الدِّمَا: المكان الذي

تطلّ منه الدماء عند الذبح؛ أو يخرج منه الدم ولا يرجع صاحبه إلى الحياة) أي العنق. يقصد

الشاعر: بياض العنق، بياض اللون. الفروع: خصل الشعر. المقلّة: شحمة العين التي تجمع السواد

والبياض. (يقصد الشاعر حدقة العين). المعنى بالشيء: المتعلّق به، الذي يتعب نفسه في طلبه

والحصول عليه.

(٣) ذوات الحلى: النساء الجميلات اللابسات للحلى، أو اللواتي يكون جملهن حلى لمن. السيف (بفتح

السين: الرجل الجريء، والذي يحمل سيفاً) حرمان من هؤلاء النسوة بالصوارم (السيف التي يحملنها

في عيونهن). ويمكن أن تكون: دون ذوات الحلى بالسيف (بكر السين: جانب الوادي، الساكنات في

جانب الوادي - كناية عن الترف والنعمة). لا يغررك بالضراغم غزلان: لا تفتنّ بأنك تهجم على

غزلان (نساء جبيلات) فيتبين لك أنّهن يفتكن بجملهن كالضراغم (الأسود).

إذا خطر نداداه مهجورة:

يا مَنْ عَتَا طُوبَى لِمَنْ قَبِلَ ذَاكَ الْجَبِينِ .
ويكتفي مِنْ رَيْقِكَ السَّلْسَلِ قَبِلَ الْمُنُونُ .

- وقال يشكو زمانه وسيادة الظالمين الجهال الأغبياء ويشكو ما في ذلك في مدينته حمص (إشبيلية) ويحرض أهل حمص على حاكم ظالم:

إلى الله أشكو الذي غنن فيه: أَسَى لَا يُنْهِيهِ مِنْهُ الْأَسَى!^(١)
على مثلها فلتشقّ القلوبُ - مكانَ الجيوبِ - وإلا فلا^(٢).
فشا الظلمُ وأغترّ أشياعُهُ، وَلَا مُسْتَفَاكٌ وَلَا مُسْتَكْسَى^(٣).
وساد الطغَمَامُ بَتَمَوِيهِمْ؛ وهل يَفْدَحُ الرِّزْمُ إِلَّا كَذَا!^(٤)
وكيف تَضَاحَكُ هذِي الرِّيَاضُ؟ وكيف يَصُوبُ النِّهَامُ الْحَصَى^(٥)؟
(وماذا «بمحص» من المضحكات، ولكنّه ضِحْكٌ كَالْبُكَا)^(٦).
وذا اليومُ حَمَلْنَا فَادِحًا خَصَمْنَا لَهُ وَأَنْتَظَرْنَا غَدًا^(٧).
ويا رَبِّ إلبِ على المُسلمين زَوَى الْحَقُّ عَنْ أَهْلِهِ فَأَنْزَوَى^(٨).

(١) أَسَى: حزناً. ينهيه: يكفّه، يردّه، يخفّفه. الأسي: المداواة.

(٢) الجيوب: (جمع جيب): مدخل العنق في الثوب. - في المصائب الشديدة النازلة يقال: شقّ الحزين جيبه (وأكثر ما يقال ذلك في موت عزيز). أمّا مصيبة اشبيلية بماكها الظالم العدو للمسلمين فلا يكفي فيها شقّ الجيوب بل تبلغ من الشدة والعنف إلى أنّ المصائب يشقّ قلبه (بموت).

(٣) فشا: انتشر، شاع، كثر. اغترّ (طمع الظالمون بقوتهم).... لا أحد قادراً على إغاثة الناس (إنقاذهم) ولا أحد يسمع الشكوى من الناس.

(٤) الطغام: أوغاد الناس. يفتح: يثقل، يعظم (بجعل الإنسان عاجزاً عن الاحتمال). الرزم: المصيبة.

(٥) تضاحك: تتضاحك (يكثر نباتها وزهرها). وكيف يصبوب (يسقط) النعام (المطر) الحصى (صغار الحجارة): كيف يزل المطر على الأرض من ظلم هذا الحاكم!

(٦) هذا البيت للمثنوي: «وماذا بصر من المضحكات.....»

(٧)....انتظرنا غدا: رجونا أن تتبدل الحال في المستقبل.

(٨) الإلب (بكرس الهزمة في الأكثر): القوم مجتمعون على عداوة إنسان واحد. زوى: أمال، منع.

هو الكلبُ أسدُه جهلُهُ، وراعهمُ زأرُه فيهمُ؛
 تهاونَ باللهِ والمُسلمينَ،
 وقد خَلَعَ الدينَ خَلَعَ النِجادِ،
 فمَرَأهُ في كلِّ عينِ قَدَى،
 إذا سُئِلَ العَنفَ بالمُسلمينَ
 وإنْ أمكَنَت مِنْهُمُ فُرصةً
 ولا بُدَّ للحقِّ من دَوْلَةٍ
 فإِ غَفَلَ اللهُ عن أُمَّةٍ،
 أيا أهلَ جِمنصٍ، وقَدَمًا دَعَوْتُ!
 ألا قد لَعَنَتُ لِمَ فَاسَمَعُوا

وطال؛ فخالوه لَيْتَ الشَّرَى^(١).
 ولو كان في غيرِهِم ما عَوَى^(٢).
 وقد كان في واحدٍ ما كفى^(٣).
 وقد أكلَ الدِّينَ أَكَلَ الرِّبَا^(٤).
 وذِكْرَاهُ في كلِّ حَلَقٍ شِجَا^(٥).
 فأجودُ مِنْ حاتمِ البقرى^(٦).
 فأفتكُ من خالدِ البِعدا^(٧).
 تُميت الضَّلَّالَ وتُحيي الهدى^(٨).
 ولا تركَ اللهُ شَيْئاً سُدَى.
 وهل تسمعونَ إلى مَنْ دعا؟
 وحاجيتُ، إن كان يُعني الحِجاءُ^(٩).

- معظم قصائد الأعمى التُّطيليَّ على النهج المشرقي. ثم هو كثيرُ المبالغة كثير
 الاستعارات قليلُ المعاني. من ذلك قوله يمدح أبا العلاء بن زُهْرٍ في قصيدة طويلة:

- (١) أسدُه جهله: جهله (بمقابلة الظلم) أسدُه (أغراء وأطمعه) بأن يظلم. خال: ظن. ليت: أسد. الشرى: الجبل (للاعتقاد بأن أسود الجبال أشد فتكاً).
- (٢) راع: أخاف. الزأر: الزئير: صوت الأسد. المواء (بالضم): صوت الكلب.
- (٣) كان في واحد ما (الذي) كفى: التهاون بالله وحده أو بالمسلمين وحدهم كاف حتى يجعل الإنسان كافراً مستوجباً للقتل.
- (٤) النِجاد: سير من جلد يحمل به السيف متديلاً من العنق إلى جانب الجسم. الربا: الفائدة الفاحشة (أو الفائدة مطلقاً) على الأموال. وقد أكل...: كناية عن الإسراف في الظلم (الذي هو صنو الكفر) وعن السرور بفعله!!
- (٥) قدى: قدر، وسخ، ضرر. شجا: شيء يعترض في الحلق فيؤله.
- (٦) المصف: الظلم. القرى (بالكسر): الضيافة، الكرم.
- (٧) خالد: خالد بن الوليد.
- (٨) الدولة (بفتح الدال وبضمتها): انقلاب الزمان والظلمة وانتقال الأمر من حال إلى حال.
- (٩) لحن فلان لفلان: قال له قولاً يفهمه هو عنه ويحفي على غيره (القاموس ٤: ٢٦٦). حاجي: فاطن (قال قولاً يحتر به فهم الآخرين: قال تلميحاً). الحجاء: الفطنة والعقل (هل ينفع العقل الذي فيكم ففتهموا عني ما أعني). والحجاء يمكن أن تكون مرخمةً من الحجاء (مصدر حاجي).

أبى الله إلا أن يكون لك الفضلُ، وأن يتباهى بأسنِكَ القولُ والفعلُ؛
 وأن تَقِفَ العَلِيا عليك ظنونها إذا رابها جدُّ من القول أو هزل.
 أضيءُ، يا سراجَ الدين وابنِ سراجِهِ، إذا اشْتَبَهَتْ تلك المسالك والسُّبل.
 عفاءً على الأرضِ التي لا تحلُّها ولو نَبَتَتْ فيها السَّاحة والبَدَل.
 - وقال يشكو الدهر الذي جعل شَعْرَهُ أبيضَ بعدَ أن بيضَ عَيْنَيْهِ (أعماه):
 أما أَشْتَفَتْ مِنِّي الأيَّامُ في وطني حتَّى تضايقَ فيما عَنَّ من وَطَرٍ^(١)؛
 ولا قُضتْ من سوادِ العينِ حاجتُها حتَّى تَكِرَّ على ما كان في الشَّعْرِ^(٢)؛
 - هجاء ومُجون:

وجوهٌ تَعَزَّ على مَعَشِرٍ، ولكن تهونُ على الشاعرِ.

- ٤- ديوان الأعمى التطيلي (تحقيق إحسان عباس)، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٣ م.
 ** فلاند العقيان ٣١٥ - ١٣٣٢ بغية الملتمس ١٧٥ - ١٧٦ (رقم ٤٢٩)؛ المغرب ٢:
 ٤٥١ - ١٤٥٦ الوافي بالوفيات ٧: ١٢٦ - ١٣٢ خريدة (المغرب والأندلس) ٥١١ -
 ٥٢١؛ الخريدة (الأندلس) ٢: ٥٦٧ - ٥٨٢؛ الذخيرة ٢: ٧٢٨ - ٧٥٣؛ نكت الهيمان
 ١١٠ - ١١٣؛ نفع الطيب راجع ٣: ٤٠٤، ٤٥٣؛ جيش التوشيح ١٦ - ٤٥، راجع
 ٢٣١ - ٢٣٣، ٢٧٩ - ٢٨٢؛ دائرة المعارف الإسلامية ١: ٤٢٦؛ بروكلمن ١: ٣٢٠،
 الملحق ١: ٤٨٠؛ نيكل ٢٥٤؛ مختارات نيكل ١٧٠ - ١٧١.

أبو عمرو الأندلي

١- هو أبو عمرو أحدُ بنِ خليل الأندلي نسبةً إلى أُنْدَةَ من كورة تُدْمِيرَ (جنوب
 شرقي الأندلس)، لا نَعْرِفُ من تاريخِ حياتِهِ شيئاً. ولعلَّ وفاته كانت نحو سَنَةِ
 ٥٢٥ هـ (١١٣١ م).

- (١) أما اكتفت الأيام (الدهر) بما نزل بي من الظلم والمصائب في بلدي إشبيلية حتَّى تضايقَ (تتضايق) من
 تحقيق غاية من غاياتي مرَّةً بعد مرَّةً.
 (٢) - ولم تكتفِ الأيام بإذهابِ سوادِ عيني (بالعمى) حتَّى تعود بالهجوم على سوادِ شعري (بالشيب).

٢- كان أبو عمرو الأندلي طبيباً وشاعراً له مُقَطَّعاتٌ حِسانٌ وأخيلةٌ شعريةٌ بارعةٌ في اللفظ العذبِ والتركيب المتين، مع شيءٍ من الطبعِ على غيرِ القدماءِ . ومُقَطَّعاتُهُ التي وَصَلَتْ إلينا في الوصفِ والغزلِ .

٣- مختارات من شعره:

- لأبي عمرو الأندلي مقطعاتٌ منها:

* * * ومذعورةٌ من حلبيها قد دَعَرَتْها بسَلَّةِ مَطَرٍ ورِيارٍ مُهَنَّدِ (١) .
 فإِ وَجَدَتْ لِلحِزْمِ إِلَّا أَلْتَفَاتَةَ تُرْقِرُقُها ما بَيْنَ دَمْعٍ وإِثْمِيدِ (٢) .
 حَكَمْتُ عَلَى أَلْحاظِها بَعْضَ حُكْمِها ؛ فَحَسْبُكَ مِنِّي مُعْتَدٍ غَيْرُ مَعْتَدِ (٣) !
 * * * وهيفاءُ رامُ الفُصْنِ يُحْكِي قَوامِها ، وَقالتِ لِمَا شَسَّ الضُّحَى : أَنْتِ أَمْلِحُ (٤) !
 يُقِلُّ رِداحَ الرِذْفِ مِنْها مُخَصَّرٌ ، بأَضْيِقَ مِنْ خَلخالِها تَتَوَشَّعُ (٥) .
 تَلاعَبَ بِالرِأَةِ عُجْبِها ، وإِنّا تُلاعِبُ ظِهي الموتِ في المِاءِ تَسْبِحُ (٦) .

(١) - شهر الشاعر سيفه في وجه حبيبته مزحاً لخبيفها فقط لا ليؤذيها . مذعورة: خائفة . من حلبيها (من وسوسة: صوت الحلي التي تنزبن بها - لركة إحاسها) . دعرتها: أخفتها . بسلة (بإخراج السيف فجأة من غمده) . مطرور (جميل) الفرار (الحد)، أي أبيض، مصقول (حاد، قاطع) . مهند: من صنع الهند (دلالة على جودته) .

(٢) فالت بوجهها إلى الوراء حذراً حيناً توهمت أن السيف يمكن أن يصيبها . التفاتة ترقرقها (نجري معها دمعاً من عينها) . الإثم: الكحل .

(٣) أريتها (في لحظة، من التهويل عليها بالسيف) ما تُري هي عشاقها في كل يوم من سيوف عينها . فحسبك (يكفيك) مني أنني كنت معتدياً عليها (لأني أخفتها) غير معتد (لأنني لم أقصد الإضرار بها) .

(٤) الهيفاء: المشوقة، النخيلة . رام: أراد . يحكي: يشابه، يقلد .

(٥) يقل: يحمل . رداح الردف (عظيمة وسط الجسم) . مخصر: خصر نحيل . وشاحا الذي تلفة على خصرها ضيق جداً (كأنه خلخال: سوار يلبس في الرجل فوق القدم) .

(٦) - تلاعب بالراءة (تتسلّى بالنظر دوماً في المرأة، دلالة - للتملي دائماً من جمال وجهها) ومعنى الشطر

التالي غامض، وخصوصاً لأن كلمة «ظهي» لا تدخل هنا في الوزن . المعنى المقصود: طبا جمع طبة (بضم ففتح): حدّ السيف . ولكن الوزن يقتضي لفظة على وزن « فعل » (بمركبة فسكون فحركة) .

ولعلّ الكلمة ظم (بفتح فسكون) عطش وظم الحياة (راجع القاموس وتاج العروس) تعبير مألوف . =

** ذو غرّة إن مرّ تحسبهُ ربحاً يمرُّ أمامها قيس^(١).
 شَهْمٌ كطَبِيعِكَ فِي الْوَعَى يَقِظُ، سَهْلٌ كخَلْقِكَ فِي النَّدى سَلِسٌ^(٢).
 ** وَغَدِيرٍ رَقَّتْ حَوَاشِيهِ حَتَّى بَانَ فِي قَعْرِهِ الَّذِي قَدْ سَاخَا^(٣).
 وَكَأَنَّ الطَّيُورَ، إِذْ كَرَعَتْ فِيهِ هِ وَعَلَّتْ، تَرْتُقِي فِيهِ فِرَاخَا^(٤).

** - ٤ الوافي بالوفيات ٦: ٣٧٤ - ٣٧٥؛ تحفة القادم ١١٢؛ القدح المثل ١٦٨ - ١٦٩.

أبو الحسن بن الباذش

١ - هو أبو الحسن عليُّ بنُ أحمدَ بنِ خلفٍ - ابنُ الباذش - الأنصاريُّ الأندلسيُّ،
 وُلِدَ فِي غَرْنَاطَةَ فِي شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ ٤٤٤ (سِتْلَهُ ١٠٥٣ م). قرأ على نعم الخلف بن محمد
 ابن يحيى الأنصاري وأبي عليِّ الصديقي وحدث عن القاضي عياض بن موسى وأبي محمد
 ابن عطية وأبي عبد الله بن عبد الرحيم وأبي خالد عبد الله بن أبي زَمَيْنٍ. ثم إنه أمَّ في
 صِلَاةِ الْفَرِيضَةِ فِي جَامِعِ غَرْنَاطَةَ. وكانت وفاته في غَرْنَاطَةَ فِي ثَالِثِ عَشَرَ الْمَحْرَمِ مِنْ
 سَنَةِ ٥٢٨ (١١٣٣ / ١١ / ١٣ م).

٢ - كان أبو الحسن بنُ الباذشِ بارِعاً فِي النِّحْوِ وَمُشَارِكاً فِي عَدِيدٍ مِنْ فَنُونِ
 الْمَعْرِفَةِ: فِي الْقِرَاءَاتِ وَالْحَدِيثِ وَاللُّغَةِ وَالْأَدَبِ وَسُوَى ذَلِكَ. وَهُوَ مُصَنِّفٌ لَهُ عَدَدٌ مِنْ
 الْكُتُبِ مِنْهَا: الْإِقْتِنَاعُ فِي الْقِرَاءَاتِ ثُمَّ شُرُوحٌ عَلَى كُتُبٍ، مِنْهَا: كِتَابُ سَيِّبَوَيْهِ -
 الْمُقْتَضَبُ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ (لِابْنِ جَنِّي) - الْأَصُولُ (لِابْنِ السَّرَّاجِ) - الْإِبْرَاحِ فِي الْأَبْيَاحِ لِأَبِي عَلِيٍّ
 الْفَارَسِيِّ - كِتَابُ الْجُمَلِ - الْكَافِي لِابْنِ النَّحَّاسِ^(٥). وَكَانَ لَهُ نَظْمٌ.

= وظلَّ الموت هنا (السيف الذي في عينها ظامره إلى قتل الحبيبن بالحرمان). فيكون المعنى حينئذ:
 تسلَّى بالنظر إلى فتنة عينها في المرأة (في الماء تسبح: ماء المرأة). وتجمل تسبح يسبح.
 (١-٢) البيتان في وصف حصان ذي غرّة بيضاء، وهو سريع الجري. ثم هو شهم (سريع) في الحرب، سهل،
 سلس (وديع) في الندى: الكرم (في السلم!).
 (٣) ساخ: غاص، غرق. كرمعت: شربت. علَّت: شربت مرة بعد مرة. - إنها وهي نضع مناقيرها في الماء
 ثم ترفع رؤوسها عالية (ليزلز الماء في حناجرها) تشبه أمهات المصافير وهي تطعم فراخها.
 (٥) راجع في ذلك كله بنية الوعاة ٣٢٧.

٣ - مختارات من شعره:

- لأبي الحسن بن الباذر شيء من النظم، منه:

أصبحت تَقْعُدُ بالهوى وتقومُ وبه تَقْرَظُ مَغْشَرًا وتذمُّ (١).
تَغْيِيكَ نَفْسُكَ فَاسْتَفِئِلْ بِصَلَاحِهَا، أَنَّى يُعَيِّرُ بِالتَّقَامِ سَقِيمٌ! (٢)

- وله في مدح كتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي:

أضِعَ الكَرَى لِتَحْفَظِ الإِيضَاحَ وَصِلَ الغُدُوَّ لِفَهْمِهِ بِصَبَاحِ (٣).
هُوَ بُنْيَةُ المُتَعَلِّمِينَ، وَمَنْ بَنَى حَمَلَ الكِتَابِ يَلْجُهُ بِالمِفْتَاحِ (٤).
لأبي علي في الكتابِ إِمَامَةٌ شَهِدَ الرِّوَاةُ لَهَا بِفَوْزِ قِدَاحِ (٥).
يَقْضِي عَلَى أَسْرَارِهِ بِنَوَافِذِ مِنْ عِلْمِهِ بَهَّرَتْ قُوَى الأَمْدَاحِ (٦).
فِيخَاطِبُ المُتَعَلِّمِينَ بِلفْظِهِ وَيَحُلُّ مُشْكِلةً بِوَمْنِضَةِ واحِ (٧).
مَضَتْ المِصُورُ وَكُلُّ نَحْوِ ظُلْمَةٍ، وَأَتَى فَكَانَ النَحْوُ ضُوءَ صَبَاحِ.
أوصي ذوي الإِعْرَابِ أَنْ يَتَذَكَّرُوا مَجْرُوفِهِ فِي الصُّحُفِ والأَلْوَاحِ (٨).
فَإِذَا هُمُ سَمِعُوا النِّصِيحَةَ أَنجَحُوا. إِنَّ النِّصِيحَةَ غَيْبُهَا لِنَجَاحِ! (٩)

(١) تَقْرَظُ: تمدح. ذام بذم ذمياً (يفتح الذال) وذاماً: ذم، هجا.

(٢) أنى: كيف. - كيف بمبر السقم سقياً آخر!

(٣) أضع فعل أمر من «أضاع» (ضغ). الكرى: النوم. تحفظ الكتاب: بذل جهداً في حفظه جزءاً بعد جزء. الإيضاح (كتاب الإيضاح). العادة: ما بين الفجر وطلوع الشمس.

(٤) بنى بنى: طلب، أراد. ولج: دخل. حل الكتاب (معرفة كتاب سيبويه معرفة صحيحة). المفتاح (كتابة عن كتاب الإيضاح!) - نسبة كل مفتاح إلى كل باب كنسبة الإيضاح إلى كتاب سيبويه.

(٥) لأبي علي (الفارسي) في الكتاب (كتاب النحو لسيبويه) إمامة (مقدرة وتقدم). الفدح (بكر القاف): سهم أو قطعة من خشب أو نحوه تستخدم في الاستقسام (الميسر أو القمار).

(٦) - بشرح ما غصص منه برأي نافذ (مصعب، صحيح) بهر: أدهش، غلب، فاق. الأمداح جمع مدح. قوى جمع قوّة (أ). فهمه يزيد على كلّ مديح.

(٧) ومضة: بركة، لمة. الواحي (من وحى يحيى: أشار أوماً). بسرعة.

(٨) ذوو الإعراب (المشتغلون بتعليم النحو).

(٩) أنجح (نجح). القبا: العاقبة، النتيجة.

٤- ** إنباه الرواة ٢: ٢٢٧ - ٢٢٨ ؛ بغية الوعاة ٣٢٦ - ٣٢٧ ؛ الدياج المذهب ٢٠٥ - ٢٠٦ ؛ الأعلام للزركلي ٥ : ٦٠ (٤ : ٢٥٥).

ابن الطراوة

١- هو أبو الحسين (أبو الحسن) سليمان بن محمد بن عبد الله بن الطراوة الشيباني (المطرب - الخرطوم ٢٠٩ ، القاهرة ٢٣١) السبتي أو السباني (بغية الوعاة ٢٦٣) المالقبي، وُلِدَ نحو سنة ٤٤٠ (١٠٤٨ م). كان أكثر اهتمامه بكتاب سيبويهي (في النحو) قرأه أولاً سنة ٤٦١ في إشبيلية على أبي بكر بن عياش المرشاني ثم في سنة ٤٦٥ على أبي الحجاج الأعمى (ولكن بقراءة محمد بن الأعمى) ثم رحل إلى قرطبة وقرأ الكتاب نفسه على أبي مروان بن سراج ثم على أبي مروان الطيبي.

ثم إنه جعل يتجول في البلدان الأندلسية ليُعلِّمَ فيها ما كان يعرفه من النحو ومن الأدب أيضاً. وكانت بينه وبين أبي الحسن الحصري (ت ٤٨٨ هـ) مخاطبات نال كل واحد منها فيها من صاحبه. وكانت وفاة ابن الطراوة في رمضان أو شوال سنة ٥٢٨ (صيف ١١٣٤ م).

٢- ابن الطراوة في الأصل نحوي، كان نحوي المرية لم يكن بها في هذه الصناعة مثله. ثم إن له آراء تفرّد بها وخالف فيها جمهور النحاة، ولقد مدّحه عليها نفر ثم لأمه عليها نفر آخرون. وكذلك كانت له عناية بالأدب وكان يُقرئه (نفع الطيب ٢ : ١٤٢). وله شعر في المدح، مدح المعتصم بن ضاهر وعلي بن يوسف بن تاشفين. غير أن الذي بين أيدينا من شعره مقطعات في الخمر والغزل والنقد الاجتماعي. وكذلك كان مُصنفاً له: الترشيح (في النحو - مختصر) - المقدمات على كتاب سيبويهي - مقالة في الاسم والسمي - الإفصاح ببعض ما جاء في الإيضاح (للفارسي المتوفى سنة ٣٧٧).

٣- مختارات من شعره:

- لابن الطراوة مقاطع قصار منها:

** يشربها الشيخ وأمثاله وكل من نُحَمِدُ أفعاله.

- والبكرُ إن لم يستطع صَوْلَةً
 ★★ ألا بسأيٍ وغيرِ أبي غزالٍ
 فقال مُنادمي في الحُسن صِفُهُ،
 ★★ ولما رأيتُ الصُّبحَ لاحَ بِغَدِّهِ
 وأظلمَها مثلَ الغزاةِ، وهو كال
 ★★ شَرِينا بِمِصباحِ السَّلمِ مُدَامَةً
 وظلَّ جهولٌ يرقُبُ الصُّبحَ صِلَةً،
 ★★ وقائلٌ: أَتَصْبُو للِفْوَاني
 فقلتُ لها: حَثَّتِ على التَّصايي
 ★★ خرجوا لِيَسْتَسْقُوا، وقد نشأتُ
 تُلقي على البُرُلِ أثقاله^(١).
 أتى وبِراحِهِ للشَّرِبِ راح^(٢).
 فقلت: الشَّمسُ جاءَ بها الصِّباحُ.
 دَعَوْتُهُمْ: رِفْقاً تَلَعَ لَكُمْ الشَّمسُ^(٣).
 غَزال، فَتَمَّ الطَّيِّبُ واكْتَمَلَ الأَنسُ^(٤)
 بِشاطي غَدِيرٍ والأزاهِرُ تَنفَحُ^(٥).
 ومن أَكْوَسي لم يَبْرَحِ الصُّبحُ بَصِيح^(٦)
 وقد أَضحى بِمَفْرَقِكَ النِّهارُ^(٧)
 (أحقُّ الخيلِ بالركضِ المُعَارِ)^(٨).
 بَحْرِيَّةٌ يَسدو لها رَشَحُ^(٩).

- (١) البيتان في الخمر. البكر (بفتح الباء): الجمل الصغير. البازل: الجمل الذي يزلت (طلعت) سنه (إذا بلغ ثمان سنوات أو تسعاً). الصولة: السطوة في الحرب ونحوها. - لا تليق الخمر إلا بالوقور الهادي. وإذا عجز الصغير عن فعل أمر عهد بهذا الأمر إلى الكبير المهرب.
 (٢) الراح جمع راحة: الكف. الشرب: الفين يشربون (الخمر) معاً. الراح: الخمر.
 (٣) الصبح (الوضوء والمجال) لاح (ظهر - لما بدا الساقى الجميل). تلوح: تظهر. الشمس (الخمر).
 (٤) جاء بالخمر مثل الغزاة (الشمس). الطيب: الرائحة (من الخمر). الأنس (بالفلام الجميل).
 (٥) شربنا (الخمر) بمصباح السلم (على ضوء القمر). تنفح: تنتشر رائحتها.
 (٦) صلة: ضلالة وجهلا. يقال: أصبح الرجل: دخل في الصباح (والشاعر يقصد: يطلع في كل لحظة من كؤوس الخمر التي أشربها صباح جديد).
 (٧) صبا: مال إلى. المفرق: مقدم الرأس. النهار (البياض، الشيب).
 (٨) حثت على التصايي: أنت الآن (بقولك هذا وتدكيري أن شبابي سينفضي قريباً) تحضيني على الميل إلى النساء الجميلات. المعار: العازبة (الذي استمرته من غيرك). والمعار: المسن. وقيل المعار (بالفين المعجمة): المضمّر - راجع «فوائد اللآل» ١: ١٨٨ وتاج العروس - الكويت ١٣: ١٧٩ هذا السطر يروي لأن أبي خازم الجاهلي (راجع ديوانه بتحقيق عمرة حسن، دمشق ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م، ص ٧٨ والحاشية الطويلة المفيدة رقم ٥٥). وهو ينسب أيضاً للطرماح بن حكيم الأموي - يجب أن أستفيد من بقية شبابي!
 (٩) خرجوا إلى صلاة الاستسقاء (بالعراء) بعد انقطاع المطر مدة طويلة. بحرية: غامة آتية من جهة البحر الراشح: تسرب الماء من خلال جسم ما.

حَتَّى إِذَا اصْطَفَوْا لِذَعْوَتِهِمْ ويدا لأَعْيُنِهِمْ بِهَا نَضَحُ^(١) ،
كُشِفَ الْغِطَاءُ إِجَابَةً لَهُمْ ، فكأنَّا جِاءُوا لِيَسْتَضْحُوا^(٢) .
* * إِذَا رَأَوْا جَمَلًا يَأْتِي عَلَى بُعْدٍ مَدَّوْا إِلَيْهِ جَمِيعًا كَفَّ مُقْتَنَصِ^(٣) .
إِنْ جِئْتَهُمْ فَارِعًا لَزُوكَ فِي قَرْنٍ ، وإن رَأَوْا رِشْوَةً أَفْتَوْكَ بِالرُّخَصِ^(٤) !

٤- * * بغية المتمس ٢٩٠ (رقم ٧٧٩)؛ التكملة ١٧٠٤، الخريدة (المغرب والأندلس) ٣ :
٥٧١ - ٥٧٢ ، الخريدة (الأندلس) ٢ : ٦٥٦ = ٦٥٧ ، الذيل والتكملة ٤ : ٧٩ -
٤٨١ ، وفيات الاعيان ٤ : ١٦٠ ، بغية الوعاة ٢٦٣ ، نفع الطيب ٣ : ٣٨٤ - ٣٨٥ ،
٤ : ٣٣٢ ، بروكلين ١ : ١٧٦ (السطر ٢١) ، الأعلام للزركلي ٣ : ١٩٦ (١٣٢) ،
أخبار وتراجم أندلسية ١٧ ، راجع ٦٣ .

ابن الزقاق البلنسي

١ - هو أبو الحسن علي بن (ابراهيم بن) عطية الله بن مطرف بن سلمة اللخمي ،
ويُعرفُ بابن الزقاق وبن الحاج ، أصلُ أسرته من إشبيلية ، وقد كان بينهم وبين بني
عباد قرابة (فلما خلع المعتد بن عباد أنكروا ذلك) . ويبدو أن أهله انتقلوا ، بعد
أستيلاء المرابطين على إشبيلية (٤٨٤ هـ) ، إلى بلنسية . وفي بلنسية تزوج والد ابن
الزقاق أخت الشاعر ابن خفاجة (ت ٥٣٣ هـ) .

وُلد ابن الزقاق البلنسي في بلنسية ، سنة ٤٩٠ هـ (١٠٩٧ م) ، وفيها نشأ وطلب
العلم وقضى حياته كلها ، ولا نعلم أنه غادرها إلى مكان آخر . وتلقى ابن الزقاق
جانبا من العلم على ابن السيد البطليوسي (ت ٥٢١ هـ) في إحدى زورات البطليوسي
إلى بلنسية .

-
- (١) حتى إذا اصطفوا (للصلاة) وللقيام بالدعاء . النضح : الرشح .
(٢) كشف الغطاء (الحجابات النجوم عن وجه السماء) . ليستصحو : ليطلبوا الصحوة - في البيت تمهم .
(٣) هذان البيتان في التمهك بالقهواء . الجمل (هنا) : شيء ما (ولو كان كبيرا كالجمل) . المقتنص : الصياد
(الذي ينتهز الفرص في الحصول على ما يستطيع الحصول عليه) .
(٤) فارغا (لا تحمل إليه هدية) لزوك في قرن (حبل) : ربطوك مع غيرك بجمل واحد (أذنوك) . أفتوك
بالرخص (الرخصة) : ما له وجه من القانون ؛ وجدوا لك مخرجا للتحلل من قيود القانون والشرع .

وكانت وفاة ابن الزقاق البلنسي نحو سنة ٥٢٩ هـ (١١٣٤ - ١١٣٥ م) قبل الأربعين من العمر.

٢- كان ابن الزقاق البلنسي شاعراً وُجدانياً رقيقاً مُحسناً، حَسَنَ التصرفِ في معاني الشعر - يجتالُ للمعنى القديم حتى يبدو كأنه مُخترَعٌ جديدٌ - وكذلك كان نبيلَ الأغراض، يُطيلُ أحياناً ويُجيد في المقطعات. ولابن الزقاق من الفنون مدحٌ قليلٌ جيدٌ وشيءٌ من الرثاء وقليل من الهجاء. وله الغزلان، المُوَثُّ والمذكَّر، مع شيء من المُجون المستور فيها كليهما. وله خمرٌ. ويكثرُ الوصف في شعر ابن الزقاق فهو بارعٌ في وصف الطبيعة دقيقُ الملاحظة؛ غير أن وصفه للطبيعة لَمحاتٌ مستقلةٌ موضوعية لم تترج عاده بالمشاعر الإنسانية؛ وعلى هذا نجدُه أدنى مرتبةً في وصف الطبيعة من خاله ابن خفاجة.

٣- مختارات من شعره:

- لابن الزقاق البلنسي قصيدةٌ في مديح أبي بكر بن عبد العزيز صاحبِ بلنسية ينسب فيها ويفتخر، منها:

يا شمسَ خِذِرٍ ما لها مَغْرِبٌ، أراملةٌ دارُك أم غُرْبٌ^(١)؟
 ذهبتِ فاستَغْبِرَ طرفي دِماً مَفْضُضُ الدمعِ به مَذْهَبٌ^(٢).
 اللهُ في مَهْجَةِ ذِي لَوْعَةِ تيمه يوم النقا الرَبْرَبِ^(٣)!
 ناشدْتُكَ اللهُ، نَسِمَ الصِّبَا، أين استَقَلْتُ^(٤) بعدنا زَيْنَبُ؟

(١) شمس خدر: فتاة جميلة (كالشمس) غُدرة (لا تخرج من بيتها لوجهاتها وصونها فلا يراها الناس). ما لها مغرب: لا تغرب من الغروب (شابة أبداً). رامة وغرب: مكانان في شبه جزيرة العرب (يقصد: من أي بلاد الحسن والجمال أنت؟).

(٢) استمير: بكى. الطرف: العين. - امتزج دمي الأبيض بدمي الأحمر.

(٣) المهجة: دم القلب، القلب. اللوعة: الحرقه في القلب من الحب. تيمه: أمرضه أو عذبه بالحب. النقا: الرمل الأبيض. يوم النقا (يوم الاجتماع بذلك المكان الذي فيه نقا). الربرب: القطيع من بقر الوحش (الغزلان)، كناية عن جماعة من الفتيات الجميلات.

- الله في مهجة ذي لوعة: أعان الله الحب.

(٤) نسِم الصبا (يا نسيم الصبا). استقل: ذهب. استقل: حمل (أحاله وسافر).

لم تَسْرِ إِلَّا بَشْدًا عَرَفَهَا؛
 ويا سَحَابَ الزُّنِّ، ما بَالُنَا
 هَاتِ حَدِيثًا عَنِ مِغَافِي اللَّوَى
 أَفْلَحَ مِنْ خَاضَ بِحَارِ الدُّجَى
 أَلَيْسَ فِي الْبِيَدَاءِ مَنَدُوحَةٌ
 إِنْ كَانَ لِلْفَضْلِ أَبٌ إِنَّهُ
 تَنَحَّطُ قَحْطَانٌ وَسَادَاتُهَا
 لَمْ تَخُلْ مِنْ نَارِ لَهْمٍ فِي الدَّجَى
 هَلْ شَيْدَ الْعِلْيَاءِ إِلَّا فَتَى
 فِي الدُّسْتِ مِنْهُ عَلَمٌ أَصِيدُ،
 كُلَّ شِهَابٍ عِنْدَهُ خَامِدُ،
 وَإِلَّا، فإِذَا النَّسُ الطَّيِّبُ (١)
 يَشُوقُنَا ذَيْلُكَ إِذْ تَسْحَبُ (٢)؛
 فَمَهْدُكَ الْيَوْمَ بِهَا أَقْرَبُ (٣).
 وَصَهْوَةُ الْعِرْ لَه مَرْكَبُ (٤)؛
 إِنْ ضَاقَ يَوْمًا بِالْفَقَى مَذْهَبُ (٥)؛
 نَجَلُ بَنِي عَبْدِ الْعَزِيزِ الْأَبُ.
 عَنْهُمْ، وَتَمَشَى خَلْفَهُمْ تَقْلِبُ.
 ثَنِيَّةٌ عَلَيْهِ أَوْ مَرْقَبُ (٦).
 رَاقٍ بِهِ الْمَخْفِيلُ وَالْمَرْكَبُ (٧)؛
 وَفِي الْوَعْيِ ضَرْغَامَةٌ أُغْلَبُ (٨).
 وَكُلُّ بَرْقٍ عِنْدَهُ خَلْبُ (٩)

- وله في وصف الخمر ووصف الطبيعة:

- (١) - لَسَاهِبَتِ، أَمَا النسيم في الليل كانت راثحك الطيبة منها، وإلا فمن أين جئت بهذه الرائحة؟
 (٢) المزن: المطر. ذيل السحاب: الأطراف المتدلية من السحاب (ويكون هذا النوع من السحاب مطراً).
 يشوقنا (ييجنا، يجعلنا نجيل) ذيلك إذ تسحب (لأنك تأتي بالمطر).
 (٣) المغافي جمع مغي: المكان المأهول، المسكون. اللوى: الرمل اللتوي، تلة الرمل.
 (٤) - لقد نصح الذي يسافر في الليالي يدفعه إلى ذلك بحافضته على كرامته.
 (٥) البيداء: الأرض الواسعة (الصحراء). مندوحة: متسع. المذهب: الطريق، السبيل، طلب العيش.
 (٦) الثنية (المطفة في الطريق أو الجبل) العلياء (العالية). المرقب: المكان المرتفع (ترى منه الطرق المتفرعة). هم كرماء (يشملون النار للضيوف عند كل عطفة طريق) وهم أبطال (يشملون النار على كل مكان مرتفع يدعون بها قومهم إلى الحرب).
 (٧) المخفل: مكان اجتماع الناس لأمر من الأمور (في السلم). المركب: الخيل (للحرب).
 (٨) الدست: المجلس الرسمي؛ يقال دست الوزارة (الحكم). العلم: الرجل المشهور، الأصيل: الشريف (الصيّد يفتح الصاد والياء: ميلان العنق، كناية عن الكبر بكر الكاف). والأصيل الملك أيضاً.
 الوعى: الحرب. الضرغام: الأسد.
 (٩) كل نجم مها يكن مضيئاً حامد (لا نور فيه) بالإضافة إلى المدوح. وكل برق (مها يكن فيه من المطر) حلب (لا مطر فيه). - كل مجد أقل من مجده وكل كرم أقل من كرمه.

- (أ) بَلَنْسِيَّةٌ إِذَا فَكَّرْتَ فِيهَا
وَأَعْظَمُ شَاهِدِي مِنْهَا عَلَيْهَا
كَسَاهَا رَبُّنَا دِيْبَاجَ حُسْنٍ
- (ب) أَدِيرَاهَا عَلَى الرَّوْضِ الْمُنْدَى
وَكَأْسِ الرَّاحِ تَنْظُرُ عَنْ حَبَابٍ
وَمَا غَرَبَتْ نَجْمُ الْأَفْقِ لَكِنْ
- (ج) تُنِيرَ الْوَرْدُ بِالْخَلِيْجِ وَقَدْ دَرَّ
مِثْلَ دِرْعِ الْكَمِيٍّ مَرَّقَهَا الطَّمَّ
- (د) وَلَيْلٍ قَطَعَتْ دِيَابِجَهُ
أَدِيرَتْ كَوَاكِبُ أَقْدَاجِهَا
فَقَالَ - وَقَدْ طَارَ مِنْ خَيْفَةٍ -
رَأَيْتُكَ تَشْرَبُ زُهْرَ النُّجُومِ
- وَفِي آيَاتِهَا أَسْنَى الْبِلَادِ^(١).
بِأَنَّ جَمَالَهَا لِلْمَعِينِ بَادٍ^(٢)؛
لَهُ عَلَمَانِ مِنْ بَحْرِ وِوَادٍ^(٣).
وَحُكْمُ الصُّبْحِ فِي الظُّلْمَاءِ مَاضِي^(٤).
يَنْوِبُ لَنَا عَنِ الْحَدَقِ الْمِرَاضِ^(٥).
تُقَلِّنُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الرِّيَاضِ^(٦).
جَهٌ بِالْمُجُوبِ مَرُّ الرِّيَاحِ^(٧)؛
مَنْ فَسَّالَتْ بِهَا دِمَاءَ الْجِرَاحِ^(٨).
بِعَذْرَاءٍ حَمْرَاءَ كَالْقَنْدَمِ^(٩)،
عَلِيٍّ فَأَغْرَبْتُمَهَا فِي قَمِيٍّ^(١٠).
وإِصْبَاحُهُ وَاضِحٌ الْمُبْسِمِ:
فَوَلَّيْتُ خَوْفًا عَلَى أَنْجُمِي^(١١)!

- (١) أسنى: أكثر نوراً وإشراقاً. الآيات: المعائب، الأمور الغريبة العظيمة.
- (٢) - وأعظم ما يمكن أن أشهد به على جمالها مأخوذ منها نفسها، وهو أن جمالها ظاهر للمعِين.
- (٣) الديباج: ثوب منسوج كله من حرير. العلم: رسم في الثوب. الوادي: النهر.
- (٤) - يا ساقيان، أدبراً الراح (الحمراء) على الروض المندى (ونحن جلوس في بركة في الصباح الباكر لم يجف الندى الذي نزل فيها في الليل بعد). وحكم الصبح في الظلماء ماض: نور الصباح يطرد ظلام الليل.
- (٥) يشبه الفقايع التي تطفو على وجه كؤوس الحمير يميون تنظر إلى الشاربين، تقوم (لجمالها) مقام الحدق (المعِين) المراض (الناعسة).
- (٦) لما طلع الصبح واختفت نجوم الليل، فإن نجوم الليل لم تنب ولكنّها نزلت واستقرت في روضتنا (كتابة عن الأزهار، أو كناية عن الفقايع التي تطفو على الحمير في الكؤوس).
- (٧) الخليج: النهر.
- (٨) الكمي: الشجاع.
- (٩) الدجور: الظلام. العذراء: الحمراء (إذا شق عنها الدنّ - خابية الحمراء - للمرة الأولى). القندم: دم الأخوين أو البقم (نبات ثمره شديد الاحمرار).
- (١٠) أغربتھا (جعلتها تغرب) في قمي (يقصد: شربتها).
- (١١) - رأيتك تشرب خراً بظنوا على وجهها فقايع (كالكوكب) فخفت أن تشرب نجومى أيضاً.

- وله في الغزل والنسيب وما يلحق بها:

- (أ) عَذِيرِي مِنْ هَضِيمِ الْكَنْحِ أَحْوَى رَخِيمِ الدَّلِّ قَدْ لَبَسَ الشَّبَابَا^(١)؛
أَعَدَّ الْمَجْرَ هَاجِرَةً لِقَلْبِي وَصَبَّرَ وَعَدَّهُ فِيهَا سَرَابَا^(٢)!
- (ب) وَأَعْيِدِ طَافَ بِالْكُؤُوسِ ضُحَى وَحَنُّهَا وَالصَّبَاحُ قَدْ وَضَحَا.
وَالرُّوْضُ أَهْدَى لَنَا شِقَاقَهُ، وَأَسُّهُ الْمَنْبَرِيُّ قَدْ نَفَحَا.
قَلْنَا: وَأَيْنَ الْأَقَاحِ، قَالَ لَنَا: أُوْدَعْتُهُ ثَفَرَ مِنْ سَقَى الْقَدْحَا.
فَظَلُّ سَاقِي الْمُدَامِ يَجْحَدُ مَا قَالَ، فَلَمَّا تَبَسَّمْ أَفْتَضَحَا.
- (ج) وَمَرْتَجَّةِ الْأَطْرَافِ أَمَّا قَوْمُهَا فَلَدُنُّ وَأَمَّا رِذْفُهَا فَرَدَاحُ^(٣)،
أَلَمَّتْ فَبَاتِ اللَّيْلُ، مِنْ قَصَرِ بِهَا، بِطَيْرٍ وَلَا غَيْرِ السَّرُورِ جَنَاحُ^(٤)
فَبِتُّ وَقَدْ زَارْتُ بِأَنْعَمِ لَيْلَةٍ يُعَانِقُنِي حَتَّى الصَّبَاحِ صَبَاحُ^(٥).
عَلَى عَاتِقِي مِنْ سَاعِدَيْهَا حَائِلٌ فِي خَصْرِهَا مِنْ سَاعِدَيْيْ وَشَاحُ^(٦).
- (د) سَقَّتْنِي بَيْنَمَاهَا وَفِيهَا فَلَمْ أَرْلُ يُجَاذِبُنِي مِنْ ذَاكَ أَوْ هَذِهِ سَكْرُ.
تَرَشَّفْتُ فَاها إِذْ تَرَشَّفْتُ كَاسَهَا؛ فَلَآ، وَالهُوَى، لَمْ أَدْرِ أَيُّهَا الْخُمْرُ!
- وَلايْنِ الرَّقَاقِ مَوْشَعَةٌ مِنْهَا:

- (١) عذيري = عاذري: من يكون عاذري ولا يلومني (في ما أعمل). هضم (تحيل، ضامر) الكشح (وسط الجسم). أحوى: أسمر الشفة. رخم (ناعم) الدلّ (الدلال، الفنج).
(٢) الهاجرة: نصف النهار، شدة الحر- هجره (اتعماده عني) كالحر الشديد لقلبي. السراب: لمعان يرى من بعيد كأنه ماء. وعده سراب: لا يفي بوعد (لكنه يطمع المحبين بوعوده).
(٣) مرتجة الأطراف: مهتزة، متابلة (كناية عن ليونة الجسد وعن الشباب). لدن: لين، طري. الردف: الورك، الآية. رداح: متسع، ثقيل.
(٤) أم: نزل، جاء (ضيفاً)، زار. من قصر بها: يبدو قصيراً لأنها معي.
(٥) أنعم ليلة: أكثر الليالي نعمة علي. الصباح: أول النهار. صباح: فتاة جميلة تشبه الصباح (ببياضها وحسنا).
(٦) الساعد = الذراع (من المرفق إلى طرف الأصابع). المهائل جمع جمالة (بكسر الحاء): علاقة (بكسر العين) سير من جلد يعلق به السيف إلى الكتف أو العنق. الوشاح: قطعة من جلد أو نسيج تشدها المرأة على كتفيها وخصرها.

حُذِّ حَدِيثَ الشَّوْقِ عَنِ نَفْسِي وَعَنِ الدَّمْعِ الَّذِي هَمَمَا^(١).

★ ★ ★

مَا تَرَى شَوْقِي قَدِ اتَّقَدَا
وَهَمَّيْ بِالِدَّمْعِ وَأَطْرَدَا
وَأَغْتَدَى قَلْبِي عَلَيْكَ سُدَى؟
أَيُّ مِنْ مَسَاءٍ وَمِنْ قَبَسٍ بَيْنَ طَرْفِي وَالْحَشَا جُمِعَمَا^(٢).

★ ★ ★

بِأَبِي رَيْمٍ إِذَا سَفَرَا
أَطْلَمْتُ أَرْزَارَهُ قَمَرَا.
فَأَخَذْتُ ذَرْوَهُ كُلَّهَا نَظَرَا؛
فَبِالْحِطَاظِ الْجَفُونِ قَيْمِي أَنَا مِنْهَا بَعْضٌ مِنْ صُرْعَا^(٣)!

- وقال في الخمر والغزل:

وَسَاقِي يَحْتُ الْكَاسَ حَتَّى كَانَا
سَقَانِي بِهَا صِرْفَ الْحَمِيَّا عَشِيَّةً،
تَلَالًا مِنْهَا يَمِثُّ ضَوْءَ جَبِينِهِ.
وَتَنَى بِأُخْرَى مِنْ رَحِيقِ جُفُونِهِ^(٤).
هَضِيمُ الْحَشَا ذُو وَجَنَةِ عِنْدَمِيَّةٍ
تُرِيكَ جَنِيَّ الْوَرْدِ فِي غَيْرِ جِينِهِ^(٥).

(١) همع: سال.

(٢) اتَّقَد: توقَّد، اشتعل. همي: سقط (بكثرة). الطَّرْد: توالى، تتابع. واغْتَدَى (عطف) قلبى عليه سدى (بلا فائدة). القيس: شعلة من النار تقتبس (بالبناء للمجهول: تؤخذ. تشتل) من نار مشتعلة. الطرف: العين.

(٣) الريم: الغزال الأبيض. سفر: كشف عن وجهه، ظهر. الأرزار: مدخل الثوب في العنق. قسي = قسي جمع قوس (ترمى منه السهام). صرع: قتل.

(٤) الحميَّا: الخمر. الصرف: غير المزوجة بالماء. من رحيق جفونه - من خمر عينيه (أسكري بنظرة إلي).

(٥) هضم الحشا: تحيف الحصر. عندمية: حمراء، كالندم (نبات شديد الحمرة). جني الورد: الورد المقطوف حديثاً.

فَأَشْرَبُ مِنْ يُمْنَاهُ مَا فَوْقَ خَدِّهِ وَالثِّمُّ مِنْ خَدِّهِ مَا فِي يَمِينِهِ^(١).

- ٤ - ديوان ابن الزقاق البلسني (تحرير غارثيا غومس) مدريد ١٩٣٤ م، ١٩٥٦ م، (تحقيق عفيفة محمود دبرافي)، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٤ م.
- ★ المغرب ٢: ٢٣٠ - ٢٣٨، المطرب ١٠٠ - ١١١، التكملة رقم ١١٨٤٤، الذيل والتكملة ٥: ٢٦٥ - ٢٦٨، الخريدة (المغرب والأندلس). ٣: ٥٦٤ - ٥٦٨، الخريدة (الأندلس) ٢: ٦٤٧ - ٦٥٣ ثم ٦٦٥ - ٦٦٦، فوات الوفيات ١: ٧٧ - ٧٩، شذرات الذهب ٤: ١٨٩، نفع الطيب ٣: ١٩٩ - ٢٠٠، ٢٨٩ - ٢٩١، ٤١٤ - ٤١٥، ٤: ١٥٨ - ١٥٩، ٢٩٨ - ٣٠٠، دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٩٧١، بروكلمن، الملحق ١: ٤٨١، نيكل ٢٣١ - ٢٣٣، مختارات نيكل ١٥٤ - ١٥٥ (ذكر باسم ابن القزاز)، الأعلام للزركلي ٥: ١٢٨ (٤: ٣١٢).

أبو الصلت بن عبد العزيز الأندلسي

١ - هو أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت، وُلد في دانية بِشَرْقِ الأندلس سنة ٤٦٠ هـ (١٠٦٨ م) ودرّس على جماعة منهم أبو الوليد الوقيسي قاضي دانية.

ولما استولى المرابطون على الأندلس بارحها أمية في أهل بيته إلى مِصرَ فوصل إليها يوم الأضحى من سنة ٤٨٩ (١٠٩٦/١١/٢٧ م)، في أيام الأمر الفاطمي أبي علي المنصور. واتصل أمية برجل اسمه تاج المعالي كان من خواص الأفضل شاهنشاه ابن بدر وزير الأمر. وقدمه تاج المعالي إلى الأفضل فحظي أمية عنده. ولكن ذلك ساء كاتباً لدى الأفضل فأضمرَ لأمية المكروه. ثم إن الأفضل تغيّر على تاج المعالي فقبض عليه وعلى أمية وسجنهما، سنة ٥٠٢ هـ. وقيل إن سجن أمية كان لأن مركباً كان محملاً بالنحاس غرق في ميناء الإسكندرية، فقال أمية للأفضل إنه قادر على إخراجه. وقدم الأفضل لأمية جميع ما طلب من المعدات والأموال. ولكن أمية خاب

(١) أشرب من الكأس التي في يمينه خراً كخده وأقبل وجنته فأجد تقبيلها لذيداً كالخمر التي يحملها بيده.

في ذلك (راجع طبقات الأطباء ٢: ٥٣ وتاريخ العلوم عند العرب ٢٢٨-٢٢٩). وبعد ثلاثة أعوامٍ وشهرٍ، في ٥٠٥ هـ (١١١١ م)، خرج أُميَّةٌ من السجّين. وبعد مدةٍ ذهبَ إلى تُونَسَ فاستقبله أبو طاهرٍ يحيى بنُ عمير بنِ المُعزِّ بنِ باديسَ. وتُوَفِّيَ أُميَّةٌ في مدينةِ بجايةٍ في عاشرِ المُحرَّمِ من سَنَةِ ٥٢٩ (١١٣٤/١٠/٣٠).

٢- بَرَعَ أُميَّةٌ بنُ عبدِ العزيزِ في الطِّبِّ والفلكِ وفي الفلسفةِ وفي الطبيعياتِ والرياضياتِ والموسيقى. ومع ذلك فقد كان قديراً في فنونِ الأدب: كان شاعراً مُكثراً اختارَ له العبادُ الأصفهانيُّ في الخريدة (قسم المغرب ١: ١٨٩ - ٢٧٠) نحو ألفٍ ومائةٍ بيتٍ على جميعِ حروفِ الهجاء، ما عدا الذالَ (أختَ الدال) والواو، قصيداً ورجزاً، ومن أبوابِ الشعرِ المختلفةِ من المديحِ والتهنئةِ والرثاءِ والهجاءِ والوصفِ والخمرِ والغزلينِ والنسيبِ (مع شيءٍ من الدُّعابةِ، والمجونِ أحياناً) والأدبِ والحكمةِ والإخوانياتِ والألغازِ. وله المقاطعُ القصارُ والقصائدُ الطوالِ. ثم هو ناقدٌ بارِعٌ في شعرِهِ وفي نثرِهِ. قال مثلاً (الخريدة، قسم المغرب ١: ٢٥٩):

جَرَّدَ مَعانيِ الشعرِ، إن رُمْتَهُ كَمَا تُوَقَّى اللَّوْمَ وَالطَّغْنا.
ولا تراعى اللَّفظَ مِن دُونِها؛ فاللَّفْظُ جِسْمٌ رُوْحُهُ المَعْنى.

ولأُميَّةَ بنِ عبدِ العزيزِ اللَّفْتَةُ التَّالِيَةُ في النقيدي (الخريدة - قسم المغرب ٢: ٣١):

وقال (المعتمد بن عباد) في جاريةٍ يُحِبُّها، وهي بينَ يَدَيْهِ تَسْتَعِيهِ وَالكَاسُ في يَدِها،
إذ لَمَعَ البرقُ، فارتاعتُ فقال:

رَوَعَهَا البرقُ، وفي كَفِّها برقٌ من القَهْوَةِ لَمَعاعٌ^(١).
يا ليتَ شِعْري - وهي شمسُ الضُّحى - كَيْسَفَ من الأنوارِ ترتساع.

(واتَّفَقَ أَنَّ المَعْتَمَدَ بنَ عَبادٍ أُنشِدَ البَيْتَ الأوَّلَ أَمامَ عبدِ الجَلِيلِ بنِ وَهبونِ وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُجِيزَهُ). فقال ابنُ وَهبونِ:

(١) القهوة: الخمر المطبوخة بالنار.

ولن ترى أعجبَ من أنس^(١) من مثل ما يُسكُّ يرتاع^(٢).
فقال أبو الصلتِ في (كتابه) الحديقة:

هذا البيتُ (لأبن وهبون) أجودُ، لجودة ترتيب اللفظ مع جودة المعنى،
وللمطابقة (التضاد التام، في البلاغة) بين لفظي الأنس والارتاع وتشبيه لعمان
الخمير بلمعان البرق، وإن كان بيت الأمير (المتمدن بن عباد) جيداً.

وكان له من الكتب: الرسالة المصرية (ذكر فيها ما رآه في مصر من هيئتها
وآثارها وذكر من اجتمع بهم فيها من الأطباء والمُنجِّمين والشعراء وغيرهم من أهل
الأدب. وقد ألَّف هذه الرسالة لأبي الطاهر يحيى بن تميم) - كتاب الأدوية المفردة
(على ترتيب الأعضاء المتشابهة الأجزاء، وقد رتبها أحسن ترتيب) - الملحُ العصرية
من شعراء أهل الأندلس والطارئين عليها - رسالة في الموسيقى - كتاب في الهندسة -
رسالة في العمل بالأسطرلاب - تقويم منطق الذهن (طبقات الأطباء ٢ : ٦٢). وله
أيضاً: ديوان شعر كبير، كتاب الديباجة في مفاخر صنهجة - ديوان رسائل -
الحديقة في مختار أشعار المحدثين (معجم الأدباء ٧ : ٦٤).

٣ - مختارات من شعره:

- قال أمية بن عبد العزيز يصفُ الثرياً^(٣):

رأيتُ الثرياً لها حالتانِ منظرها فيها مُعجِبُ:
لها عند مشرقها صورةٌ يُريك مخالفتها المغرب^(٤).
فتطلعُ كالكَأسِ إذ تُسَحَّتْ وتغربُ كالكَأسِ إذ تُشْرَبُ^(٥)!

(١) يرتاع: تخاف.

(٢) أنس (يسكن مع الإنس، مطمئن). من مثل ما يسك (الخمير التي يحملها في كفه).

(٣) الثرياً مجموعة نجوم يُرى منها سبعة نجوم بالعين المجردة.

(٤) شكلها في رأي العين مختلف حينما تطلع (في المشرق) منه حينما تغرب (في المغرب).

(٥) حينما تطلع ترى طويلة (كالكَأسِ المحسولة في الكف) وحينما تغرب ترى مائلة وقصيرة (كالكَأسِ حينما

يشرب الشارب بها).

- شكوى:

مارستُ دهري وجربتُ الأنامَ فلم
وكم تمنيتُ أن ألقى به أحداً
فما وجدتُ سوى قومٍ، إذا صدقوا
وكان لي سببٌ قد كنتُ أحسبهُ
فما مُقِّمٌ أظفاري سوى قلّمي،
أحمدُهُم قطعاً في جدِّ وفي لَيبِ.
يُبلي من الهَمِّ أو يُمدّي على النوبِ^(١):
كانت مواعيدُهُم كالآلِ في الكذبِ^(٢):
أخطى به، فإذا داتي من السببِ^(٣):
ولا كتائبُ أعدائي سوى كُتبي^(٤)!

- من قصيدة في مدح أبي الطاهر يحيى بن تميم (وفيها نغمة من أبي فراس):
فلم أستسغِ إلا نداءه ولم يكن
فما كلُّ إنعامٍ يخيفُ آحتاله،
ولكن أجلُّ الصنعِ ما جلَّ ربُّه
وما شئتُ إلا أن أدلَّ عواذلي
وأعلمُ قوماً، خالفوني وشرقوا
ليعدِلَ عندي ذا الجنابِ جنابُ^(٥).
وإن هطلتُ منه عليَّ سحابُ^(٦).
ولم يأتِ بابٌ دونه وحبابُ^(٧).
على أن رأيتُ في هَواك صوابُ^(٨)،
وغرّبتُ؛ إنّي قد ظفرتُ وخابوا^(٩)!

- وقال أُميّة بن عبد العزيز يمدح يحيى بن تميم بن المعز الصنهاجي (حكّم المهديّة من سنّة ٥٠١ إلى سنّة ٥٠٩ هـ). والظاهر أن هذه القصيدة في مدح ولده عليّ

(١) يُبلي (ينسى)... يُمدّي (ينصر، ياعد) على النوب (جمع نائبة: مصيبة).

(٢) الآل: السراب (يرى من بعيد كأنه ماء، فإذا حنته لم تجده شيئاً).

(٣) سبب أخطى (أنال حظوة، مكانة عند الناس): شعري وعلمي.

(٤) مقمّ أظفاري (مانعي عن نيل حقّي).

(٥) لم استسغ: (أره سهلاً في حنجرتي) لم أحتمل نداءه: كرمه وجوده. يداوي الجناب: جانب الأرض، البلد.

(٦) هطل: كثر سقوط المطر (منه).

(٧) أجلُّ (أعظم) الصنع (المعروف) ربّه: صاحبه (المنعم بالمعروف). لم يأت بابٌ... الخ: لم يكن الوصول إليه صعباً.

(٨) عواذلي: الذين لاموني (في قصدك بالمديح).

(٩) هم ذهبوا إلى المشرق ليمدحوا ملوكه فخابوا، وأنا أتيت إلى المغرب (لأمدحك) فظفرت (نلت ما أمّلت).

المتولّي بعده، من سنة ٥٠٩ هـ إلى سنة ٥١٥ هـ (راجع الخريدة، قسم المغرب ١: ١٩٣، الحاشية الرابعة):

وما أَعْرَفَ المَجدُ إِلا لَكم، فليس إلى غيركم يُنسبُ^(١).
 توارثتموه أبا عن أبٍ كما أَطْرَدتْ في القنا الأكمبُ^(٢).
 إذا بلدٌ ضاق عن آملي فَمِنْدُكمُ البِلْدُ الأَرْحَبُ^(٣)،
 بحيثُ يُنَادِي النَّدى بِالْعُفاةِ: هَلِمُوا فقد طَفَحَ المِشْرَبُ^(٤).
 دنا كَرَمًا ونأى هَيبَةً فَناءَ بِهِ الدَّستُ والمُوكِبُ^(٥)؛
 وسالتْ نَدَى ورَدَى كُفُه: فهذا يُرْجى وذا يُرْهَبُ^(٦).

- وله رَجَزٌ يشكو فيه البراغيتَ وفعلها في جسده:

وليلةٍ دائمةٍ الفسوقِ بعيدةٍ الممسي من الشروقِ^(٧)،
 كليلةٍ التميمِ المشوقِ أطالَ في ظلماتها تأزيمي^(٨)
 أخبتُ خلقي للأذى مخلوقِ. يرى دمي أشهى من الرحيقِ^(٩)،
 يُعبُّ فيه غيرُ مستفيقِ. لا يتركُ الصبوحَ للغبوقِ^(١٠).

- (١) المفروض أن المشرق كان عند المغاربة أفضل من المغرب. الشاعر الآن يقول: إن وجود هذا المدوح جعل المغرب أفضل من المشرق. المطنب: المبالغ.
- (٢) القنا: القصبة. الكمب (العقدة في القصبة). أطرد: تابع على استواء. (كل واحد منكم كان مثل كل سلف من أسلافه).
- (٣) الأرحب: الأوسع.
- (٤) الندى: الجود، الكرم. العافي: الذي يطلب المعروف. المشرب: المكان الذي يشرب الناس منه. طفتح المشرب (كتابة عن الخير الكثير والكرم الكثير عند المدوح).
- (٥) تاه: أعجب (بالبناء للمجهول) بنفسه. الدست: كرمي الحكم. الموكب (الذهاب إلى الحرب).
- (٦) الردى: الموت.
- (٧) الفسوق: الإغلام (اشتداد الظلام).
- (٨) التميم: الذي يئمه (أمرضه) الحب. التأريق (منع النوم).
- (٩) الرحيق: الخمر الصافية.
- (١٠) عب: شرب مله فمه. غير مستفيق (غير واع، مستمر في العب). الصبوح والغبوق (شرب الخمر صباحاً ومساءً). لا يترك الصبوح للغبوق (يتصل شربه الخمر من الصباح إلى المساء ومن المساء إلى الصباح).

لو بَسَتْ فَوْقَ قِمَمَةِ الْعَيْبِقِ ما عاقَه ذلك عن طُروقٍ^(١) .
 كعاشقٍ أُسْرِيَ إِلَى مَعْشُوقِ . أَعْلَمُ مِنْ بُقْرَاطَ بِالْعُرُوقِ^(٢) :
 مِنْ أَكْحَلِ مِنْهَا وَبِالسَّلِيقِ يَفْصِدُهَا بِمُبْضَعِ رَقِيقِ^(٣)
 مِنْ خَطْمِهِ الْمُنْدَرَّبِ الذَّلِيقِ فَصَدَ الطَّبِيبِ الْحَادِقِ الرَفِيقِ^(٤) .

- وفيما يلي عدد من المقاطع الجياد لأمية بن عبد العزيز:

- ١- جَدَّ بَقْلِي وَعَبَثَ ثم مضى وما أكثرث .
 واحرَبَّـا مِن شَادِنِ في عَقْدِ الصَّبْرِ نَفْثَ^(٥) .
 يَقْتُلُ مَنْ شَاءَ بَعِيْهِ نَيْهِ، وَمَنْ شَاءَ بَعِثَ .
 فَأَيُّ وَدٍّ لَمْ يَحْنُ؟ وأيَّ عَهْدٍ مَا نَكِثُ؟
- ٢- وقائلة: « ما بالُ مِثْلِكَ خَامِلًا ،
 فقلتُ لها: « ذنبي إلى القوم أنِّي
 وما فاتني شيءٌ سوى الحظِّ وحده ،
 أأنتَ ضَعِيفُ الرَّأْيِ أم أنتَ عَاجِزٌ ؟ »
 لِمَا لَمْ يَحْزُوهُ مِنَ الْمَجْدِ حَائِزُ .
 وَأما المَعَالِي فِي عِنْدِي غَرَائِزُ ،
- ٣- إذا كان أصلي من تُرابٍ فكلُّها بِلَادِي، وَكُلَّ الْعَالَمِينَ أَقَارِي * .
- ٤- سَكَنْتُكِ يَا دَارَ الْفَنَاءِ مُصَدِّقاً بَأْتِي إِلَى دَارِ الْبِقَاءِ أَصِيرُ^(٦) .
 وَأَعْظَمُ مَا فِي الْأَمْرِ أَنِّي صَائِرٌ إِلَى عَادِلٍ فِي الْحُكْمِ لَيْسَ بِمَجُورِ^(٧) .

(١) العَيْبِق: نجم. عاقه: أخره. الطروق: الطلوع (الوصول إلى).

(٢) أُسْرِيَ: سار ليلاً (الهربَ يهتدي إلى محبوبه في جميع الأحوال). بقراط طبيب يوناني قدم كان بارعاً في التلبيب.

(٣) الأكل (الأزرق): وريد يحمل الدم الوسخ إلى القلب والرئتين لينقى. الباسليق (يبدو أنه من العروق التي تحمل الدم).

(٤) السيف الدرب: الحاذق، الماضي، القاطع. اللسان الذلق: الطلق البليغ.

(٥) الشادن: الغزال الصغير. نفث: نقل، بصر، (كانت الساحرات يتمنن لشخص أمنية شرّ في الأكثر ثم ينفثن عليها ليربطن المسحور). نفث في عقد الصبر (جعلني مربوطاً بالصبر: أصبر ولا أصل إلى ما أرغب فيه) أو هو جعلني لا أصبر عن حبه.

* راجع ص ٩٣.

(٦) دار الفناء (هذه الدنيا). دار البقاء (الآخرة).

(٧) إلى عادل (إلى الله). مجور: بظلم.

- فيا ليت شعري، كيف ألقاه عندها وزادي قليلٌ والذنوبُ كثيرٌ^(١).
 فإن أكَ مَجْزِيًّا بذنبي فإني بشرٌ عِقَابِ الْمُذْنِبِينَ جَدِيرٌ^(٢).
 وإن يك عفوٌ منه عني ورحمةٌ فمَن نعيمٌ دائمٌ وسرورٌ^(٣).
 ٥ - ومَهْفَهِفٍ شَرَكْتُ محاسنُ وجهه ما مَجَّهٌ في الكاس من إبريقه^(٤):
 ففِعَالُهَا من مُقَلَّتِيهِ، ولونُهَا من وجنتِيهِ، وطعمُهَا من ريقه^(٥).

- ٤ - الرسالة المصرية (مطبوعة في نوادر المخطوطات: نشرها عبد السلام محمد هارون)، القاهرة
 (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٣٧١ هـ = ١٩٥١ م.
 - تقوم الذهن، مجريط ١٩١٥ م.

- ★ ★ معجم الأدباء ٧: ٥٢ - ١٧٠ المغرب ١: ٢٥٦ - ٢٥٧ المقتضب من تحفة القادم ١٣
 الحريدة (المغرب) ١: ١٨٩ - ٢٧٠ ابن الأثير ١١: ١٨؛ وفيات الأعيان ١: ٢٤٣ -
 ٢٤٧، ٤٦٥؛ طبقات الأطباء ٢: ٥٢ - ٦٢؛ نفع الطيب ١: ٤٩٦ - ٤٩٨، ٢: ١٠٥ -
 ١١٠، ٣: ٤٨٠ وما بعد (مختارات)؛ شذرات الذهب ٤: ٨٣ - ٨٥؛ دائرة المعارف
 الإسلامية ١: ١٤٩؛ بروكلمن ١: ٦٤١، الملحق ١: ١٨٨٩؛ مختارات نيكل ١٦٠ -
 ١٦٢؛ الأعلام للزركلي ١: ٣٦٣ - ٣٦٤ (٢: ٢٣)؛ سركيس ٣٢٠.

الفتح بن خاقان الإشبيلي

- ١ - هُوَ أَبُو نَصْرِ الْفَتْحِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَاقَانَ الْقَيْسِيِّ
 الإِشْبِيلِيِّ، وَكُدَّ فِي قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا صَخْرَةُ الْوَالِدِ قُرْبَ قَلْعَةٍ يَحْصُبُ مِنْ أَعْمَالِ غَرْنَاطَةَ.
 ويبدو أنه نشأ فقيراً مهملاً فشبَّ شريراً ناقياً مُغامراً خَلِيعَ العِذار كثيرَ الأسفار
 سريعَ التنقل، لا يُقيم وَرْناً لفضيلةٍ ولا يُراعي حُرْمَةَ لذي مكانة. على أنه كان وافرَ
 الذكاء والنشاط.

- (١) زادي (من التقوى والأعمال الصالحة).
 (٢) جدِيرٌ: خَلِيقٌ، مُسْتَحَقٌّ.
 (٣) تَمَّ: هُنَالِكَ (في الآخرة).
 (٤) المَهْفَهِفُ: الضامر البطن الدقيق الحصر. فعل جمال وجهه فعل الحمر. مَجَّهٌ: لفظه، أخرجته، صبّه.
 إبريقه (إبريق الحمر).
 (٥) ففِعَالُهَا: فعَالُ الحمر (الإسكار).

وقد تَلَقَّى الفتحُ بنُ خاقانَ شيئاً من فنونِ الأدبِ على ابنِ عبدونٍ (ت ٥٢٩ هـ) وعلى ابنِ السيّدِ البطلانيّوسيّ (ت ٥٢١ هـ) خاصّة. ثمّ كتبَ لتنفّرٍ من الولاةِ، ولكن لم يَكُنْ يَسْتَعْرِضُ عندَ أحدٍ منهم إلا قليلاً، لأنّه كان يُصرفُ من الخِدْمَةِ وشيْكاً لانفجاسِهِ في الشّهواتِ واستهتاره بها ولجأته على الناسِ بالهيجاءِ والثَلْبِ. وقد كَتَبَ مدّةَ يسيرةٍ لوالي غرناطة أبي يوسفَ تاشفينَ بنِ عليٍّ ثمّ انصرفَ من عنده لاستئنافِ تطوُّفه حتّى وَصَلَ إلى مَرَاكُشَ.

وفي ٢٢ من المُحرّمِ من سَنَةِ ٥٢٩ (١١٣٤/١١/١٣ م) قُتِلَ الفتحُ بنُ خاقانَ في فُنْدُقٍ كان يَنْزِلُ فيه في مدينةِ مَرَاكُشَ، قَبْلَ بتحريرِ من سُلطانِ المرابطينِ أبي الحسنِ عليٍّ بنِ يوسفَ بنِ تاشفينِ.

٢- كان الفتحُ بنُ خاقانَ أديباً بارعاً كثيراً التكلّفِ في الصناعةِ حاذقاً في التلاعبِ بالألفاظِ وفي اقتناصِ التشابيهِ والاستعاراتِ. أمّا شعرُهُ فقليلٌ جدّاً عاديّ المعاني مَعَ لَمَحَاتٍ عارضية.

وتَقومُ شُهْرَةُ الفتحِ بنِ خاقانَ على كتابينِ له، هما:

« قلائدُ العُقيانِ »، وقد ألفه بين سَنَةِ ٥٠٦ وسنة ٥٢١ هـ. وقدمه إلى الأميرِ أبي إسحاقَ إبراهيمَ ابنِ يوسفَ بنِ تاشفينِ. أحبَّ الفتحُ بنُ خاقانَ أن يُقلّدَ ابنَ بسامٍ في « الذخيرة » باختياراتِ من أشعارِ مُعاصريهِ مَعَ نَتْفِ طريفةٍ من أحداثِ حياتِهِمْ، من غيرِ التزامِ مِنهاجٍ أو استقصاءِ، مَصوغَةً في نثرٍ فَنِّيٍّ أُنيقٍ. غيرَ أَنَّهُ قَصَرَ عن ابنِ بسامٍ في أمرين: في الإحاطةِ بالشعراءِ من مُعاصريهِ ثمّ في التزامِ التقسيمِ الجغرافيِ والاجتماعيِّ (راجع الكلامَ على ابنِ بسام). عندئذٍ كَتَبَ الفتحُ بنُ خاقانَ إلى نَفَرٍ من مشاهيرِ عَصْرِهِ (وأغنيائه) يَطْلُبُ منهم شيئاً من شعرِهِمْ خاصّةً، فمن لبّاه منهم سريعاً وأعطاه كثيراً ذَكَرَهُ ذِكْراً حَسَناً، وإلا أهملَهُ أو أساءَ ذَكَرَهُ. وَيَسْتَشْهَدُونَ في هذا البابِ بآبِنِ بآجِهِ، فقد أساءَ الفتحُ ذَكَرَهُ في القلائدِ (الترجمة الأخيرة) ثمّ ذَكَرَهُ في « مَطْمَحِ الأَنْفُسِ » (بعدَ أنِ اتقى ابنَ بآجِهِ شرّاً، فيل يبدو، بشيءٍ من المالِ) ذِكْراً مُورِياً: يُمكنُ أن يُفهمَ على خِلافِ ظاهرِهِ.

أما كتاب « مطمح الأنفس ومرسح التأنس في ملح أهل الأندلس » فهو (من حيث أسلوب السرد) على غرار « قلائد العقيان »، ولكن في نفر ماتوا. ولقد حمله الوزير أبو العاص حكم بن الوليد على جمع هذا الكتاب (ص ٢، المقدمة).

٣- مختارات من آثاره:

- « وأحسن ما أنشدَه (الفتحُ بنُ خاقانَ) من شِعره قوله » (المغرب ١ : ٢٥٥):

سَقَى أَرْضَ حِمصٍ بِالْأَصِيلِ وَالضُّحَى سَحَابٌ كَدَمِي يَسْتَهْلِ وَيَسْجُمُ^(١).
 وَمُدَّتْ بِهَا لِلرَّوْضِ أَبْرَادُ سُنْدُسٍ تُطَرِّزُهَا كَفُّ الْفَهَامِ وَتَرْقُمُ^(٢).
 وَحَيًّا الْحَيَا أَرْضَ الْفُرُوسِ وَرَوْضَهَا بِحَيْثُ التَّوَى فِيهِ مِنَ النَّهْرِ أَرْقُمُ^(٣)!

- وقال يَصِفُ الحُصْنَ الزَّاهِرَ (في إشبيلية)، في ترجمة المُعْتَدِ بنِ عَبَّادٍ (قلائد العقيان ٢٧):

.... وَكَانَ الحُصْنَ الزَّاهِرُ مِنْ أَجْمَلِ المَوَاضِعِ لَدَيْهَا وَأَبْهَاطِهَا * وَأَحَبَّهَا إِلَيْهِ
 وَأَشْهَاطِهَا * لِإِظْلَالِهِ عَلَى النَّهْرِ * وَإِشْرَافِهِ عَلَى القَصْرِ * وَجَمَالِهِ فِي العَيُونِ * وَاشْتِمَالِهِ
 بِالشَّجَرِ وَالزَّيْتُونِ * وَكَانَ لَهُ بِهِ مِنَ الطَّرَبِ * وَالْمَيْشِ المُرْزِي بِجَلَاوَةِ الضَّرَبِ^(٤) *
 مَا لَمْ يَكُنْ يُجَلِّبُ لِبَنِي حَمْدَانَ * وَلَا لِسَيْفِ بْنِ ذِي يَزْنَ فِي رَأْسِ غَمْدَانَ^(٥) * وَكَانَ
 كَثِيرًا مَا يُدِيرُ بِهِ رَاحَتَهُ^(٦) * وَيَجْعَلُ فِيهِ انْشِرَاحَهُ * فَلَمَّا اسْتَدَّ إِلَيْهِ الزَّمَانُ

(١) حمص: إشبيلية. الأصيل: بين العصر وغياب الشمس. الضحى: بعد قليل من ارتفاع الشمس. استهل (الدمع والمطر) بدأ يسقط. سجم: كثر سقوطه.

(٢) البرد: الثوب. السندس: ثوب رقيق من الحرير. رقم فلان الثوب: جعل فيه علامات ونقوشاً (أنبت المطر في الروض أنواعاً مختلفة من النبات).

(٣) حياً: ألقى التحية والسلام. الفروس (٤). الأرقم: الحية (الشاهر هنا يشبه النهر في سيره المتعرج بالحية في سيرها المتلوي).

(٤) المزري: الذي يزري (بميب). الضرب: العسل.

(٥) بنو حمدان: قوم سيف الدولة حكّام الموصل وحلب. ذو يزن من ملوك اليمن. غمدان أم قصر في اليمن.

(٦) الراح: الخمر.

بَعْدُوانِهِ^(١) * وَسَدَّ عَلَيْهِ أَبْوَابَ سُلْوانِهِ^(٢) * لَمْ يَجِنَّ إِلَّا إِلَيْهِ * وَلَمْ يَتَمَنَّ إِلَّا الْحُلُولَ
لَدَيْهِ * فَقَالَ (المعتمد بن عباد):

غَرِيبٌ بِأَرْضِ الْمَغْرِبِيِّنِ أُسِيرُ سَيِّئِكِي عَلَيْهِ مِنْبَرٌ وَسَرِيرُ

- من أسلوب الفتح بن خاقان (من مقدمة «قلائد العقيان»):

الحمد لله الذي راضَ لنا البيانَ حتَّى انقادَ في أُعِنَّتْنا وشادَ مشواهَ في أُجِنَّتْنا^(٣)،
وذللَ لنا من الفصاحة ما تصبَّبَ فملكناه وأوضحَ لنا من مُشكلاتِها ما تشبَّبَ
فملكناه، فصارَ لنا الكلامَ عبداً يجيبُ إذا ناديناها وسهماً يصيبُ الفِرَضَ إذا
رَمَيْنَاهُ... وبعدُ، فإنَّ الأدبَ أجلُّ ما ألتَحَفْتَهُ الهِمَّةُ وعَرَفْتَهُ هذه الأمة. فَإِنَّهُ مُطْلِقُ
اللسانِ من عِقَالٍ ومُنْطِقُ الإنسانِ بصوابِ المقال. وله من النثر والنظم نَجْوانِ صارت
القلوبُ لها فلَكاً والخواطرُ مسلَكاً..... ولَمَّا رأيتُ عِناهُ في يدِ الامتحانِ ومِيدانِهِ
قد عَطَّلَ من الرهانِ، وبواترِهِ قد صَدِئْتُ في أعْهادِها وشُعْلَهُ قد قَدِئْتُ^(٤) برَمادِها،
تداركتُ منه الذِّمَاءَ الباقيَ وتَلَقَّيْتُ له نَفْساً قد بَلَّغَتْ التراقِي^(٥) وانتخبْتُ منه لَمَعاً
كالسيوفِ المُرْهَفَةِ والشفوفِ المَفُوقَةِ^(٦).... وانتقيتُ من توليدِهِ المُخْتَرَعِ وتجديدهِ
المبتدَعِ لَمَعاً يَهْرُزُ لها الزمانُ عِطْفَهُ انتشاءً وتَرُوقُ كالنجومِ طَلَعَتْ عِشاءً..... لِيُعْلَمَ
أَنَّ بِالْأَوَانِ افْتِناناً جَرَّتْ له العوائقُ بِناناً وبيانا^(٧) فأبقتُ منهم أثراً لا عياناً^(٨)،

(١) استد (اتجه على استقامة). العدوان: الاعتداء (بالمصاب).

(٢) السلوان: النسيان، التسلّي عن الموم.

(٣) العنان: الرسن. أجنّة، جمع جنين: الطفل ما دام في الرحم (بفتح فكسر). شاد (بنى) مشواه (بيته) في
أجنتنا (منذ كنا أجنّة: قبل أن نولد، منذ زمن قديم).

(٤) ميدانه عطّل من الرهان: توقّف جري الخيل فيه (خلا من الأدبائه). الباتر: السيف. قدت العين:
نشأ فيها قذى (وسخ).

(٥) الذمء: بقية الروح في الجسم. بلغت النفس التراقي (أعلى الصدر) أصبح موت صاحبها قريباً.

(٦) المرهفة: الرقيقة، الماضية، القاطعة. الشفّ (بفتح أو بكسر): النسيج الرقيق. المفوف: المختلف
الألوان.

(٧) افتنان: تغنن، تنوع. البنان (رؤوس الأصابع) والبيان (وضوح التدبير). بنانا وبيانا (٢) كتابة
وإنشاداً.

(٨) الأثر: العلامة الباقية بعد زوال الشيء. العيان: الشيء المائل يرى بالعين.

ورجالاً لم تَسَحَّ لإبداعهم مجالاً.... فأظهرت ما خفي من فخارهم ودلّت على مراتبهم في المعارف وأقدارهم. واستثبتت في انتقاء من أثبتت^(١)، وانتخبت ما جلت وشفت^(٢) ما صنفت، حتى أتى وكانَ البدر في لَبْتِه^(٣) ونسيم المسك من هبته..... ولم يزل شخصُ الأدب وهو متوار^(٤)، وزنده غير وارٍ وجده عائرٌ ومنهجه دائر^(٥) إلى أن أراد الله اعتلاء أسنه وإحياء رسمه وإنارة أقمه وإعادة رونقه، فبعث من الأمير الأجل أبي اسحاق إبراهيم بن يوسف تاشفين^(٦) ملكاً علياً عدداً للبيّة المجدد حلياً..... ولما أنارت (به تلك) الآفاق وعادَ به كسادُ الفضل إلى النفاق^(٧)، رأيتُ أن أخدمَ مجلسه العالي بزَفِّ (هذا الكتاب) إليه.... فوسّنته بأسمه وكسوته نورَ رسمه.....

- ومن أسلوبه أيضاً (قلائد العقيان، ص ١٥٤ - ١٥٥) - من ترجمة «الوزير الكاتب أبي محمد بن سفيان رحه الله تعالى»:

مَنْ بَلَعَتْ هِمَّتُهُ السَّمَاءَ وَجَلَّتْ أُسْرَتُهُ^(٨) الظُّلْمَاءَ، لَهُ الرَّتَبُ الْمَكِينَةُ وَعَلِيهِ الْوَقَارُ
وَالسَّكِينَةُ. أَحْتَمَ يِرَاعَهُ الْعَوَالِي^(٩) وَاسْتَخْدَمَ الْأَحْرَارَ وَالْمَوَالِي، وَأَقَامَ بَدْوَلَةَ آلِ ذِي
النُّونِ وَأَقَعَدَ وَتَبَوَّأَ سِهَابَهَا^(١٠) وَاقْتَعَدَ. فَمَا بِهِ قَدْرُهَا وَهَمِي بِسَبَبِ قَطْرُهَا^(١١) وَحَسَنَتْ

(١) واستثبتت في انتقاء من أثبتت: طلبت التثبت (الوثوق) من الأشخاص الذين ضمنهم كتابي. (في رأيي).

(٢) الشفت (بالفتح): القرط (الذي يعلق في الأذن): شفت الشيء: زينهته، حليته.

(٣) اللبّة: أعلى الصدر.

(٤) متوار: محتجب، مخفف. زنده (الخديعة التي تقدح بها النار من حجر الصوّان) غير وار (لا يشعل شيئاً) - لا نتاج أدبياً فيه.

(٥) دائر: محو.

(٦) هو ابن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ملك (والي) شرقي الأندلس؛ وكان أدبياً.

(٧) النفاق (بالفتح): الرواج (ضد الكساد).

(٨) الأسرة (هنا) خطوط الوجه (ملاحمه).

(٩) اليراع: القلم. العوالي (جمع عالية: صدر الرمح، القسم الأعلى منه): الرماح. (جعل الرماح (الحرب) خدماً (تطبيع) قلمه (أوامره) (٩)).

(١٠) السهك برج (مجموع نجوم).

(١١) همي (انهل، سقط) بسببه (بمطائه) قطرها (مطرها): كل الخير منه.

سِيرَهَا وَأَمَّنْتَ غَيْرَهَا. وَحُمِدْتَ أَيَامَهَا وَوَرَدْتَ جِوَامَ الْأُمَانِي خِيَامُهَا^(١). وَلَهُ أَدَبٌ غَضَّ
 الْمُقَاتِفِ رَطْبُ الْمُعَاتِفِ. إِنْ نَثَرَ فَالنَّجُومُ فِي أَفْلَاكِهَا أَوْ نَظَّمَ فَالْجَوَاهِرُ فِي أُسْلَاكِهَا.
 قَدْ أَخَذَ بِمَجَامِعِ الْقُلُوبِ كَلِمُهُ وَأَعَدَّ^(٢) فِي طُرُقِ الْإِبْدَاعِ قَلَمُهُ. وَقَدْ أَثْبَتَ لَهُ مَا
 تَسْتَهْدِيهِ زَهْرًا^(٣) وَتَرْتَدِيهِ بُرْدًا مُحْبِرًا^(٤). فَمَنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ يُخَاطَبُ أَبَا عَيْسَى بِنَ
 لَبُونٍ. وَافِرٌ^(٥):

أَبَا عَيْسَى، أَتَذْكُرُ حِينَ كُنَّا عَلَى هَامِ الْكُوكَبِ نَازِلِينَ،
 نَدُوسُ بِمَجْلِينَا زَهَرَ الثَّرِيَا وَنُورِدُهَا الْجَمْرَةَ إِنْ ظَمِينَا^(٦)؛
 وَتَنْزِلُ جَبْهَةَ الْأَسَدِ اعْتِسَافًا إِذَا مَا الْبَدْرُ مَرَّ بِهَا كَمِينَا^(٧)...؟

- ٤ - نموذج تحليلي يعطي قطعاً من ابن خاقان عن ابن زيدون (هنريكوس المجلينوس وايزر -
 فايزر)، ليدن (بريل) ١٨٣١ م (١٢٤٧ - ١٢٤٨ هـ).
 - فلاندا العقيان ومحاسن الأعيان (المعنى بتصححه عبده سليمان الحرائري)، (باريس)
 ١٢٧٧ هـ (١٨٦٠ م)، بولاق ١٢٨٣، ١٢٨٤، الآستانة ١٣٠٢ هـ، القاهرة (مطبعة
 التقدم العلمية) ١٣٢٠ هـ (قَمَّ له محمد العناني)، تونس (المكتبة المتيقة) ١٩٦٦ م.
 - مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، القسطنطينية ١٢٨٣ هـ؛
 القسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٣٠٢ هـ؛ القاهرة ١٣٢٠، ١٣٢٥، ١٣٢٨ هـ.
 * * المغرب ١: ٢٥٤ - ٢٥٥ خريدة (المغرب والأندلس) ٣: ٥٣٨ - ٥٤٨ (ترجمة الفتح بن
 خاقان)، ٢: ١٧٣ - ٣٣٧ (إشارات متفرقة)، ٣: ٣٥٥ - ٥٣٨ (نقول من القلاندي في
 الأكثر ومن المطمح في الأقل)؛ الخريدة (الأندلس) ٢: ٦١٠ - ٦٢٤ مجمع الأدباء ١٦:

(١) ورد: ذهب إلى الماء.. المجمع جمع جمة (بالضم): معظم الماء - هذا تضمين من قول زهير بن أبي سلمى:
 فَلَمَّا وَرَدْنَا الْمَاءَ زَرَقْنَا جَمَاهُ وَضَعْنَا عَصِيَّ الْحَاضِرِ الْمُتَخَيِّمِ.
 (زرقة الماء، هنا، كناية عن صفاء الماء الذي لم يكدّرْه بعد أحد بالتزول عليه قبله).

(٢) أعَدَّ: أسرع.

(٣) زهر (بالفتح) مفرد أزهار (والبضم) جمع أزهر (لامع) كناية عن النجوم.

(٤) حَبْرٌ: حَبْرُ الْبَرْدِ أَوْ الثَّوْبِ: وِشَاءٌ وَطَرَزَةٌ.

(٥) لأبي عيسى بن لبون ترجمة مفردة (تبعيد ٤٩٠ هـ). وافر (من البحر الوافر).

(٦) داس: دعس. زهر (بالضم) - راجع الحاشية رقم (٤) أعلاه. الجمرّة: أمّ النجوم (نجوم كثيرة متقاربة
 ترى ممتدة في عرض السماء كأنها نهر. ظمى: عطش (في القافية إقواء: اختلاف).

(٧) اعتسافاً: بقوّة وعنف. كميناً (٤): كمين لمجمع الإناث الغائبات (من « كمن »: استهتر).

١٨٦ - ١٩٢ ؛ معجم ابن الأبار رقم ٢٨٥ ؛ وفيات الأعيان ٤ : ٢٣ - ٢٤ ؛ الذيل
 والتكملة ٥ : ٥٢٩ وما بعدها ؛ فوات الوفيات ٢ : ١٥٣ - ١٥٤ ؛ شذرات الذهب ٤ :
 ١١٠٧ نفع الطيب (نقول منه) ٢ : ٦ - ٨ ، ٧٤ ، ٧٥ - ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٤٩٤ - ٤٩٦ ، ٥٢٣
 - ٥٢٤ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٢٦٠ ، ٥٤٤ - ٥٥٢ ، ٥٥٥ - ٥٥٧ ، ٤ : ٢٤ - ١٦٣ ، ١٦٥
 ، ٢٠٩ ، ٢١٤ ، ٢١٨ ، ٢٤١ ، ٢٤٨ ، ٢٥٧ - ٢٧٣ ، ٢٨٣ ، ٧ : ١٧ - ٢٤ ، ٢٩
 - ٦١ ثم ١٨٣ : ٣ (تعريف به) ، ٤ : ٧٢ (تقديم « القلائد » للأمير ابراهيم بن يوسف
 ابن تاشفين) ، ثم ٢٣٢ : ٣ - ٢٣٣ ، ٥ : ٤٢ ، ١٣٨ (أخبار عنه) ثم ٣٢٧ : ٦ و ٢٢٠ :
 ٧ ؛ ٩٧ : ٧ (فيما يتعلق بأناس قلدوا أسلوبه) ؛ أزهار الرياض ٣ : ١٠٣ - ١٤٨ (نقول عنده) ؛
 دائرة المعارف الإسلامية ٢ : ١٨٣٦ ، بروكلمن ١ : ٤١٣ ، الملحق ١ : ٥٧٩ ؛ نيكل ٢٢٣
 (راجع ٥٣٥) ؛ الأعلام للزركلي ٥ : ٢٣٣ (١٣٣) ؛ بالنشأ ٢٩٦ - ٢٩٩ ؛ سركيس
 ١٤٣٤ - ١٤٣٥

ابن عبدون

١ - هو أبو محمد عبد المجيد بن عبدون الفهري الباطني، نسبة إلى يابرة، وهي
 بلدة في غربي الأندلس على نحو مائة كيلومتر من بطليوس غرباً في جنوب.
 يبدو أن مولد ابن عبدون كان في منتصف القرن الخامس الهجري (نحو
 ١٠٦٠ م). وتلقى ابن عبدون العلم على أبي الوليد بن ضابط النحوي المالقي، كما
 روى من الأعلام الشنتمري (ت ٤٧٦ هـ) وأبي مروان بن سراج (ت ٤٨٩ هـ)
 وعاصم بن أيوب البطليوسي (ت ٤٩٤ هـ).
 ولقنت عبقرية ابن عبدون نظر المتوكل عمر المظفر بن الأظس منذ كان عمره
 يتولى بطليوس مع أخيه يحيى (٤٦٠ - ٤٧٣ هـ) فقرب ابن عبدون وأكرمه، فلما
 توفي يحيى سنة ٤٧٣ هـ (١٠٨٠ - ١٠٨١ م) وانفرد عمر بالحكم اتخذ ابن عبدون
 كاتباً ووزيراً.

ولما فتح المرابطون بطليوس وقتلوا عمر المظفر وولديه العباس والفضل رثاهم
 ابن عبدون. ولكنه سرعان ما دخل في خدمة سير بن أبي بكر بن تاشفين فاتح
 بطليوس (٤٧٨ هـ)، فكان ذلك من المآخذ الكبار عليه لأنه جرح بذلك وفاءه للذين

كانوا سبباً نعمته. ولعلّ الحاجة هي التي دفعت ابنَ عبدونٍ إلى التكبُّبِ ممّن قَتَلوا أولياءَ نعمته.

ولمَّا خَلَفَ عليُّ بنُ يوسفَ بنِ تاشفينَ أباه على عرش المرابطين، ٥٠٠ هـ (١١٠٦ م)، استدعى ابنَ عبدونٍ إلى مَرَاكُشَ وولَّاه الكتابة.

وعاد ابنُ عبدونٍ إلى يابُرةَ، قُبَيْلَ سَنَةِ ٥٢١ هـ (١١٢٧ م) - قيل لزيارة أهله؛ ولعلّه فعلَ ذلك لتقدّمه في السنِّ ولعجزه عن القيامِ بمهامِّ الدولة مع تبكيت ضميره على الدخول في خدمة المرابطين - ومكث فيها إلى أن تُوفِّيَ سَنَةَ ٥٢٩ هـ (١١٣٤ - ١١٣٥ م) في الأغلب.

٢ - كان عبدُ المجددِ بنُ عبدونٍ أديباً وكاتباً مُتَرَسِّلاً وشاعراً مُفَلاً. وكان عالماً بالخَبَرِ والأثرِ (الحديث) عارفاً بالتاريخِ واسعَ الحِفظِ للأشعار. ولم يصل إلينا من شعر ابنِ عبدونٍ سوى بضعِ مَقْطَعَاتٍ وقصيدةٍ واحدةٍ تُعْرَفُ بالقصيدةِ العبدونيةِ لشهرتها في المغربِ والمشرقِ وتدعى «البشامة»^(١). هذه القصيدةُ التي تقومُ عليها شهرةُ ابنِ عبدونٍ تتألَّفُ من خمسةٍ وسبعينَ بيتاً:

الآبياتُ التِسْعَةُ الأولىُ مقدّمةٌ عامّةٌ في عادةِ الدهرِ وغَدْرِ الدنيا. وابنُ عبدونٍ ينصحُ القارىءَ بالألّا يفترَّ بفغلةِ الدهرِ عنه مدّةً ولا بما في الدنيا أحياناً من السرور.

ثم تأتي ثمانيةٌ وثلاثونَ بيتاً يستعرض فيها ابنُ عبدونٍ ما فعل الدهرُ بالأفرادِ العظامِ وبالقبائلِ القويّةِ وبالذولِ العظيمةِ قبل الإسلامِ وبعُدِ الإسلامِ، عند العربِ خاصّةً وعند الفرسِ مع إشارةٍ إلى اليونانِ.

ثم تأتي عشرونَ بيتاً في رثاءِ عُمَرَ بنِ الأَظْطَسِ وولديهِ وإشهارِ مناقبيهِم وفي التفجّعِ لهم والحزنِ عليهم.

(١) في بروكلمن (١: ٣٢٠، الملحق ١: ٤٨٠): البشامةُ والبشامةُ (بالتشديد فيها). وفي المغرب (١: ٣٧٦، الحاشية ١) البشامة (بلا تحريك) اسمٌ للقصيدة. وفي المطرب (٢٧، الحاشية ٥): «البشامة» (بلا تحريك أيضاً): اسمُ الترح الذي صنعه ابنُ بدرونٍ لهذه القصيدة. والأصوب ما ذكره نيكل (ص ١٧٦): البشامة (بلا تشديد: اسمُ شجرةٍ طيِّبةٍ الرائحة - القاموس ٤: ٨٠)، يدلُّ على ذلك العنوانُ التامُّ: البشامةُ بأطواقِ المهامة.

وختم القصيدة ثمانية أبيات يندب الشاعر حظّه في أربعة منها ثم يتساءل عمّن يمكن أن يقوم له مقامَ عمرَ بن الأَظفَسِ وولديه. وهو لا يستكثر ذلك على الدهر ولا يستغربه من الدهر لأن الدهرَ في العادة كثيرُ التقلبِ غريب الأطوار (البيتان ٧١ و٧٢ من القصيدة). وهذا هو الذي حملَ نفرًا من النقاد على أن ينسبوا قلةَ وفاءِ ابنِ عبدونٍ لمن كانوا سببَ نعمتهِ وشهرتهِ. ثم يفتخر الشاعرُ، في الأبيات الثلاثة الأخيرة، بهذه القصيدة ويتنبأ لها بأن تشتهرَ وتسير على الألسن.

والشاعر في قصيدته هذه صحيحُ المعاني متينُ الأسلوب مقتدرٌ في النظم بارع في العَرَضِ مع شيء من التأنق (الصناعة) وشيء من التكلف أحياناً. وتبدو مقدرة الشاعر وبراعته في أنه استطاع أن يجمعَ في هذه القصيدة بين كثرة الإشارات التاريخية (المجانبة بطبعها للشعر) وبين سلاسة التركيب وطلاوة الشعر. وقد صدقَ المُستشرقُ عبدُ الرحمنِ نيكُلُ البوهيمي حيناً قال: «وبخلاف ما زعمَ دوزي^(١) وجميعُ الذين تبعوه في رأيه^(٢) من أن في هذه القصيدة جفافاً ومبالغاتٍ (جوفاً)، نجدُ أن هذه القصيدة تستحقُّ الشهرةَ التي تتمتع بها بين العرب. أما القسم التاريخي منها فلا يضحُّ إلا بالشرح الذي علّقه عليها ابنُ بدرون^(٣). وعلى قارىء هذه القصيدة أن يكونَ على علم تامٍّ بما تضمّنته من الإشارات التاريخية، على أن يكون هذا القارئُ مُسلماً أو من الذين يشعرون شعورَ المسلمين. وحينئذٍ فقط يكونُ لها صدَى مستحبٌّ في نفسه».

وكان ابنُ عبدونٍ مؤلفاً له كتابُ «الانتصار لأبي عبيدة على ابن قتيبة».

(١) في مقدّمته لشرح ابن بدرون على قصيدة ابن عبدون.

(٢) راجع رأي دوزي موجزاً وشيئاً من التعليق عليه في كتاب «تاريخ الفكر الأندلسي»، تأليف أنخل غسانك بالنتيا، نقله عن الإسبانية حسين مؤنس، القاهرة (مكتبة النهضة المصرية) ١٩٥٥ م، ص ١١٩ - ١٢٠.

(٣) هو أبو مروان عبد الملك بن عبد الله الحمصي الشامي (بكر الشين)، يبدو أنه عاش مدّة في إشبيلية. وكانت وفاته سنة ٦٠٨ هـ (١٢١١ - ١٢١٢ م) في الأغلب.

- قال ابن عبدون من قصيدة طويلة (البشامة) يرثي بها بني الأفسس:

الدهرُ يَجْعُ بعد العين بالأثر، فما البكاء على الأشباح والصور^(١) ؟
 أنهاك أنهاك - لا لوك موعظة - عن نومة بين ناب الليث والظفر^(٢) .
 فالدهرُ حربٌ، وإن أبدى مسألة؛ فالبيض والسمر مثل البيض والسمر^(٣) .
 فلا تفرّنتك من دُنياك نومتها، فما صناعة عينيها سوى السهر^(٤) .
 ما لليالي؟ أقال الله عثرتنا من الليالي وخانتها يدُ الغير^(٥) .
 تسرُّ بالشيء لكن كي تفرَّ به، كالأنمِ نار إلى الجاني من الزهر^(٦) .
 كم دولة وليت بالنصر خدمتها لم تُبق منها - وسل ذكراك - من خير.

* * *

هوتٌ بدارا، وقلتُ غرباً قاتله، وكان عصباً على الأملِكِ ذا أثر^(٧) .

- (١) العين: البناء الشاخص أو الشخص المائل. الأثر: العلامة الدالة على ما كان موجوداً. - فما البكاء على الأشباح والصور: ما الفائدة من الحزن على شيء سيمحى غداً صورةً أو شبحاً.
- (٢) أنهاك: أردك، أمنك، لا ألوك موعظة: لا أض عليك بموعظة (أنصحك بجميع النصائح المعروفة والمتخيلة). أنهاك عن نومة (المطمئنان) بين ناب الليث والظفر (بين أحداث في الحياة خطيرة مثل أنياب الأسد وأظفاره).
- (٣) حرب (خصام). البيض والسمر (الأيام والليالي) كالبيض والسمر (السيوف والرماح) في الفتك بالناس.
- (٤) لا تغتور (وتطمئن) إذا أهلكك الأيام فلم تصبك (في فترة ما) بمصيبة. الدنيا بعينيها تكون دائماً ساهرة ترقب، وإن بدت لك أنها نائمة (غافلة عنك).
- (٥) - ما شأن الليالي بنا (تصيينا في كل حين بالمصائب)؟ أقال الله عثرتنا: نحانا الله منها الغير: المصائب والأحداث. خانتها يد الغير: أنزل الله المصائب بالدنيا حتى تنقل عننا ونرتاح نحن منها.
- (٦) الأنم: الحية. الجاني: الذي يجني (يقطف) الزهر. - إذا أراد إنسان أن يمد يده لقطف زهرة (اطمئناناً بأن الأزهار لا تخطر منها على الإنسان) هجم عليه منها ثعبان.
- (٧) هوت بدارا: سقطت به (أهلكته). دارا: اسم لثلاثة من مشاهير ملوك فارس: دارا الأول (ت ٤٨٦ ق. م = ١١٠٨ قبل الهجرة) انتصر في مارك كثيرة ووحد الإمبراطورية وقام بإصلاحات كثيرة ثم انهزم في معركة ماراثون في بلاد اليونان (٤٩٠ ق. م). دارا الثاني هو قتل أخاه من أبيه =

واشترجعت من بني ساسان ما وهبت
 وألحقت أختها طسماً، وعاد على
 ومزقت سباً في كل قاصية
 وأفذت في كليب حكما ورمت
 ولم ترد على الضليل صحته
 ودوخت آل ذبيان وإخوتهم
 وأهلكت إبرويزاً بابنه ورمت
 ومزقت جعفرأ بالبيض واختلست
 وخضبت شيب عثمان دماً وخطت

ولم تدع لبني يونان من أثر^(١)
 عادٍ وجزهم منها ناقض المير^(٢)
 فما ألتقى رائح منهم بمبتكر^(٣)!
 مهلهلأ بين سمع الأرض والبصر^(٤)
 ولا تئت أداً عن ربها حجر^(٥)
 عبساً وغصت بني بدر على النهر^(٦)
 بيزدجرد إلى مرو فلم يحر^(٧)
 من غيلة حمزة الظلام للجزر^(٨)
 إلى الزبير ولم تستحي من عمر^(٩)

- = ثم حدث في أيامه اغتيالات كثيرة ثم توفي هو أيضاً (٣٣٠ ق. م.). دارا الثالث حاربه الإسكندر
 المقدوني، قتله أحد ضباطه. الغرب: حد السيف (ثم قتل قاتله؟). وقد كان هو عضباً (سيفاً قاطعاً)
 على (في قتال) الأملك (الملوك) ذا أثر (فيهم: يتغلب عليهم).
- (١) سلبت بني ساسان (المرس) ملكهم الذي كانت قد منحهم إياه. وهصت على ملوك اليونان
 (٢) طسم وعاد وجرحهم من القبائل العربية البائدة (المفرضة). المرة (بالكسر): القوة. ناقض المير
 (سبطل، مضعف كل قوة).
 (٣) وشنت أهل سبأ (اليمن) بعد انفجار سد مأرب فتفرقوا في جميع نواحي الأرض.
 (٤) كليب وأئل كان سيد قومه قتله حماس بن مرة (ولم يكن بدانيه في الشرف والقوة). فأثار مهلهلأ
 (أخو كليب) حرب البسوس التي دامت أربعين سنة. ثم إن مهلهلأ اعتزل الحرب وترك أرضه ولم
 يعرف أحد بعد ذلك ما حدث له.
 (٥) امرؤ القيس الشاعر المشهور مات (شاباً) غريباً عند أنقرة (في آسية الصغرى) بالمجدي (في الأغلب).
 وحجر (والد امرئ القيس) والملك على بني أسد، ثار عليه بنو أسد وقتلوه. الضليل لقب امرئ
 القيس.
 (٦) وكذلك أوقعت القتل والفتنة في بني ذبيان وأولاد أعمامهم بني عس في حرب داحس والغبراء.
 غصن: شرق (مفتح فكسر) ببني بدر على النهر (؟) الشاعر يستعمل «عصن» متعدده. وهي لامة.
 (٧) كسرى أبرويز الثاني قتله ابنه قباد. يزجرد قاتله المسلمون فانهزم منهم فقتله بعض أتباعه. حار
 بجور: رجع. (لم يرجع إلى ملكه).
 (٨) جعفر الطيار (أخو علي بن أبي طالب) قتل في سرية مؤتة (٨ هـ) ووجد في جسده تسعون طعنة وحمزة
 ابن عبد المطلب (عم الرسول) قتل في معركة أحد (سنة ٣ هـ) ومضت هند بنت أبي سفيان (أخت
 معاوية) قطعة من كبده (حقدأ عليه وانتقاماً) وكان هو كرمياً ينحر الجزور (الإبل) ويطمع الناس.
 (٩) عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعمر بن الخطاب قتلوا قتلاً.

وَأَجَزَّتْ سَيْفَ أَشْقَاهَا أَبَا حَسَنِ
وَلَيْتَهَا، إِذْ قَدَّتْ عَمْرًا مَخْرَجِيَّةً،
وَفِي أَبِي هِنْدٍ وَفِي ابْنِ الْمُصْطَفَى حَسَنٍ
فَبَعْضًا قَائِلٌ: مَا اغْتَالَهُ أَحَدٌ؛
وَلَمْ تُرَاقِبْ مَكَانَ أَبِي الرَّبِيعِ وَلَا
وَلَمْ تَعُدْ قُضْبُ السَّفَاحِ نَائِيَةً
وَأَشْرَقَتْ جَعْفَرًا، وَالْفَضْلُ يَنْظُرُهُ
وَأَوْثَقَتْ فِي عُرَاهَا كُلَّ مُعْتَمِدٍ
وَرَوَعَتْ كُلَّ مَأْمُونٍ وَمُؤْتَمَنٍ

★ ★ ★

- (١) أبو حسن (علي بن أبي طالب) قتلته عبد الرحمن بن ملجم. والحسين بن علي قتل في كربلاء، قتلته شمر (بفتح فكسر) بن ذي الجوشن.
- (٢) عمرو بن العاص كان والياً على مصر. مرض يوماً فلم يستطع الخروج إلى صلاة الصبح ليصلي بالناس فخرج مكانه رئيس شرطته خارجة بن حذافة (بضم الهاء) فقتل (وكان المقصود بالقتل عمرو بن العاص).
- (٣) ابن هند معاوية بن أبي سفيان انتزع الخلافة من علي بن أبي طالب (أو شركه فيها على الأصح) ثم اختار آل علي الحسن بن علي للخلافة، فتنازل الحسن عنها لمعاوية. ولم يكن ذلك منظرأ منه. المعضلة هي المشكلة التي لا حل لها.
- (٤) يقال إن معاوية وعد امرأة الحسن أن يزوجه ابنة يزيد إذا هي قتلت زوجها الحسن. وهنا جماعة لا يريدون أن يتكلموا في ذلك فسكتوا. المصدر: المعجز عن الكلام.
- (٥) وعبد الله بن الزبير قتله الحجاج بن يوسف السفهاني (والي بني أمية على الحجاز) وكان ابن الزبير قد التجأ إلى الكعبة. البيت (الكعبة). الحجر (الحجر الأسود).
- (٦) القضيبي: السيف. السفاح: أبو العباس (أول الخلفاء العباسيين). نائبة (بعيدة). مروان بن محمد (آخر الخلفاء الأمويين). الفاجر: العباس الذي يرتكب المعاصي (الذنوب). كان أهل الأندلس (في الأكثر) يحبون بني أمية ويكرهون بني العباس.
- (٧) أشرق فلان فلاناً بالهاء: أغصه (جعلته يَغصُ - بفتح الياء والفتح - لا يبيغ). (هنا) الحياة أشرفت جعفرأ البرمكي (أماته بيته - بكسر الميم -) غص فيها بدمه. ربيق الصارم (السيف) الذكر (المصنوع من الحديد الذكر: الفولاذ). الفضل (أخو جعفر) ويحيى (أبو جعفر). لَمَّا نكب هرون الرشيد البرامكة لم يقتل منهم إلا جعفرأ. ولكنه صدر أموال الباقيين.
- (٨ و ٩) أوثق: قيد. ربط. العروة (بالضم): الرباط. أشرق: أغص. - إن الخلفاء والأمراء الذين تلقوا =

بني المظفر، والأيام ما برحت
سُحفاً ليومكم يوماً ولا حملت
من للأسيرة أو من للأعنة أو
من للبراعة أو من للبراعة أو
أو دفع كارثة أو ردع آفة
ويح السّاح ويح البأس لو سلما؛
سقت ثرى الفضل والعباس هامية
ثلاثة ما رأى العصران مثلهم
ثلاثة ما ارتقى النسران حيث رُفوا
ثلاثة كذوات الدهر مذ نأوا

مراحلاً والورى منها على سفر^(١)،
بثله ليلة في مُقبل العُمُر^(٢).
من للأسينة يُهديا إلى الثغر^(٣)؟
من للسّاحة أو للنفع والضرر^(٤)؛
أو قنع حادثة تعيا على القدر^(٥)؟
وحسرة الدين والدنيا على عمر^(٦)
تُعزى إليهم سآحاً لا إلى المطر^(٧).
فضلاً، ولوعززا بالشمس والقمر^(٨)؛
وكل ما طار من نسر ولم يطير^(٩).
عني مضى الدهر لم يربيع ولم يحر^(١٠)

بألقاب هي: المتمد والمقدر والمأمون والمؤمن والمنصور والمنصر وغير ذلك من الألقاب التي تدل على السلامة والقدرة والانتصار كلهم ماتوا أو سجنوا أو قتلوا (لأن للحياة سنة ثابتة تنبئها ولا تبتم بأما في البشر).

- (١) مراحل (فترات زمنية). الورى (جميع الناس) على سفر (ينتظرون الموت).
- (٢) سُحفاً (بمداً) ليومكم (الذي قتلتم فيه).
- (٣) السرير: العرش (الملك). العنان: الرسن (الخيل، الشجاعة). السنان: الهديدة في رأس الرمح (الحرب). الثغر (الحدود الشمالية في الأندلس المتاخمة لمالك الصاري): الجهاد.
- (٤) البراعة (في نظم الشعر؟). البراعة: القلم (كتابة النثر). السّاحة: الجود والكرم.
- (٥) الأزفة: القيامة، ميتة (بكر الميم) السوء. حادثة (مصيبة) تعيا على القدر (بيعاً على الإنسان أن يقاوم فيها القدر).
- (٦) السّاح: التسامح والتساهل وسعة الصدر. البأس: القوّة، الحرب. عمر من عمّد المتوكّل، سن الأظفاس صاحب بطليوس (من ملوك الطوائف) قتله المرابطون مع ولديه، سنة ٤٨٧ هـ.
- (٧) ثرى: تراب (تربة، قبر). هامية: حياية مطهرة. سآحاً (جوداً وكرماً). تعزى: تنسب.
- (٨) العصران: الصباح والمساء (الدهر كلّه). عزّر فلان فلاناً بفلان: أبّده، ضمه إليه.
- (٩) النسران: نجان في السماء. رقي: ارتفع. ما طار من نسر (النسر من الطيور) وما لم يطير (النسر من النجوم).
- (١٠) ذوات الدهر: كملوك الدهر (كانوا في ملكهم يملون إرادتهم على الأيام، فأمل الآن الدهر إرادته عليهم). نأوا: بعدوا، ابتعدوا (ماتوا) - مضى الدهر عني (زالت سعادي). لم يربيع (لم يبق، لم يستمع). ولم يحر (من حار بجهور: رجع عاد) لم ألقى توفيقاً ونجاحاً بدمهم.

ومرّ من كلّ شيء فيه أطيبه
من للجلال الذي غصّت مهابته
أين الإباء الذي أرسوا قواعده
أين الوفاء الذي أصفوا شرائعه
من لي، ولا من بهم، إن أظلمت نوب،
من لي، ولا من بهم، إن عطلت سنن
على الفضائل إلا الصبر بعدهم
يرجو عسى، وله في أختها طمع؛
قرطت أذان من فيها بفاضحة
سيارة في أقاصي الأرض قاطعة

حتى التمتع بالآصال والبكر^(١).
قلوبنا وعميون الأنجم الزهر^(٢) ؟
على دعائم من عزٍّ ومن ظفر^(٣) ؟
فلم يرد أحدٌ منها على كدر^(٤) ؟
ولم يكن ليئلاً يفضي إلى سحر^(٥) ؟
وأخفيت السنن الآثار والسير^(٦) ؟
سلام مرتقب للأجر منتظر^(٧) .
والدهر ذو عقب شتى وذو غير^(٨) .
على الحسان حصى الياقوت والدرر^(٩)
شفاشفاً هدرت في البدو والحضر^(١٠) .

- (١) مرّ (من مرّ بمرّ بضم الميم في المضارع): ذهب، مضى، انقضى، انتهى؛ أو (من مرّ بمرّ بفتح الميم في المضارع: صار مرّاً، فيه مرارة). الأصيل (بين العصر وغياب الشمس) والبكرة: الصباح (وقت الهدوء والتمتع بالراحة).
- (٢) غصّ: خفض، نقص أو أنقص. الزهر: النجوم اللامعة.
- (٣) أرسى القواعد: جعلها راسخة (ثابتة).
- (٤) الشريعة: مكان الشرب من النهر وغيره. ورد (شرب).
- (٥) من لي؟ من يعينني، من ينقذي؟ لا من بهم (؟) نائية: مصيبة. ليلها يفضي: يؤدّي. إلى سحر: صباح (إذا لم تتكشف عتّى الغمة، فمن يساعدي على إنقاذي منها؟).
- (٦) عطلت سنن (طرقات، شرائع)..... ثم من يجهر بفضلهم بعد أن تحمي آثارهم وتتلّف كتب التاريخ في حكم المرابطين (كان المرابطون - في أوّل الأمر على الأقل - لا يشجعون الشعر والثقافة).
- (٧) لقد فارقتي كلّ ما كان في من فضائل (خسرت المال والجاه والسرور..... ولكن لم أخسر الصبر لأنني عمير على أن أصبر).
- (٨) المرتقب (المنتظر الصابر، أي الشاعر) يرجو (يأمل) «عسى» أن تسبدل الأحوال. وله في أختها «لعل» (أمل آخر. والدهر ذو عقب - جمع عقبية: تعاقب، الخير بعد الشر، والشر بعد الخير). الغير (جمع غيرة بكسر الغين): أحداث الدهر وأحواله.
- (٩) قرط الأذن: جعل فيها فرطاً. من فيها (من ذكر منهم فيها: عمر المتوكل وأبناءه) - مدحتهم فيها مدحاً جيلاً. بفاضحة: (بقصيدة) تنفض (تخفف عن الياقوت والدرر: اللؤلؤ) عما تزين به الحسان (النساء الجميلات).
- (١٠) سيارة (مشهورة، متداولة بين الناس) قاطعة (مسكنة) شفاشفاً (أصواتاً عالية: أشعاراً تنشد بصوت =

- ولا بن عبدون رسالة طويلة كتبها سنة ٥٠٤ هـ (١١١٠ - ١١١١ هـ) عن أمير المسلمين علي بن تاشفين يذكر فيها فتح مدينة شنترين:

..... وكانت قلعة شنترين - أدام الله أمر أمير المسلمين - من أحصن المعاقل للمُشركين وأثبت المعاقل^(١) على المسلمين. فلم نزل بسعيك الذي اقتفينا وهديك الذي اكتفينا نخضد شوكتها^(٢).... وتناولها عللاً بعد نهل ونطاولها عجلًا في مهل^(٣).....

ولعلَّ..... أحاطَ بهمُ البلاءُ، واستشاطَ عليهمُ بغضبِ الجبارِ القضاء^(٤)، ولم يكن لليلِ بأسائهمُ سحرٌ يتأمل^(٥).... اختاروا الدنيةَ على المنيّةِ ورَضُوا بالاستِسْلامِ للمُبوديةِ..... وكانَ القتلُ - كما قدّمنا - قد أتى على صيدِ أعيانهمُ وصناديد^(٦) فرسانهمُ..... وقد سألونا الإبقاءَ عليهمُ فأجبتناهمُ، بعدَ أن قدّموا من الخُضوعِ صدقةَ بين يدي نجواهم^(٧). وهبنا أولاهمُ لأخراهم^(٨)، وجعلنا العفوَ عنهم تطريقاً

(عالم) هدرت (ترددت بقوة وبصوت مرتفع) في اليد والمضرب (في البادية وفي المدينة: في كل مكان). - هذه القصيدة تنسي الناس جميع القوائد الأخرى.

(١) المعاقل جمع معقل. من أحصن (أشد) المعاقل للمُشركين. أنبت المعاقل على المسلمين (من أرسخ القلاع، الحصون لوصول المسلمين إليها).

(٢) اقتفى: أتبع. اكتفيناها (اكتفينا: قمنا به). خضد: كسر. الشوكة: القوة، السلاح.

(٣) الطل: الشرب شيئاً فشيئاً. النهل: الشرب بقدر كبير. نطاولها: ناطل (ننظر بالأسفل في أخذها). عجلًا (ونحن في الحقيقة سابقهم فيها يبدو منّا مهلاً) (تمهل، تأنّ، تأخر).

(٤) شاط: حمى، سخن، احترق. الجبار (الله تعالى).

(٥) البأساء: الشدة، الضيق. سحر (صباح، فرح) يتأمل: ينتظر (يرجى).

(٦) الأصيد: المائل العنق (المتكبر اعتدأ بنفسه). الصنديد: البطل القوي.

(٧) قدّموا صدقة بين يدي نجواهم. هذه الجملة مقتبسة من القرآن الكريم: «إذا ناجيتهم الرسول فقدّموا بين يدي نجواكم صدقة» (٥٨: ١٢، راجع ١٣، سورة المجادلة). ومعنى الآية: إذا كنتم تريدون أن تخاطبوا الرسول سرًّا في أمر من أموركم الشخصية فتصدّقوا قبل ذلك شيء إلى أحد المهاجرين دلالة على حبكم للخير، وعلى أنّكم لا تطلبون المشاورة مجاناً حيناً تريدون. بل يجب أن تشعروا أنّ عليكم في ذلك أيضاً واجباً يجب أن تؤدّوه نحو المؤمنين. ومعنى الجملة: أنّ الإسبان لما خاطبونا سرًّا في أمر

النسلم دفعوا جزية.

(٨) وهبنا أولاهم (كبار السنّ فيهم؟) لأخراهم (لنسلم حتى يرثوهم؟).

لسيواهم من يَتَقَبَّلُ صَنِيعَهُمْ^(١) إِذَا نَحْنُ غَدَاً - بِإِذْنِ اللَّهِ - حَاصِرًا نَاهُمْ.....

- ٤ - شرح قصيدة ابن عبدون (نشرها دوزي)، ليدن (بريل) ١٨٤٨ م (في مجموعة نشرها محيي السنن صبري)، القاهرة ١٣٤٠ هـ.
- كرامة الزهر وفريدة الدهر: شرح قصيدة ابن عبدون لابن بدرون (نشرها دوزي)، ليدن (بريل) ١٨٤٦ م.
- ★ * فلاندة المقيان ١٦٤ - ١١٦٨، الصلة (رقم ٨٢١)، الذخيرة ٢: ٦٦٨ - ١٧٢٧، المغرب ١: ٣٧٤ - ٣٧٦، بنية الملتمس ٥٢٣ (رقم ١٥٦٧)، المطرب ١٨٠ - ١٨٣، راجع ٢١ - ٢٣، المعجب ٥٣ - ٦٣، ١١٥ - ١٢٢٢، فوات الوفيات ٢: ١١ - ١١٣، صلة ١٤٢، أعمال الأعلام ١٨٦ - ١٨٩، نفع الطيب ١: ١٨٥، ٤٤٢، ٦٦٣ - ٦٦٦، ٦٧٣ - ٦٧٥، ٢٩٣، ٣٩٧ - ٣٩٨، ٤٥٤، ٤٧٠ - ٤٧١، ٦٠٩، ٤: ١٣٠٥، دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٦٨٠، بروكلمن ١: ٣٢٠ - ٣٢١، الملحق ١: ٤٨٠، نيكل ١٧٥ - ١٧٩، مختارات نيكل ١٢٠ - ١٣٢، الأعلام للزركلي ٤: ٢٩٣ (١٤٩)، بالنشأ ١١٨ - ١٢٠، سركيس ١٦٧.

ابن حمديس الصِقْلِيّ

١ - هو عبدُ الجبَّارِ بنُ أبي بكرٍ مُحَمَّدِ بنِ حَمْدِيسِ الأَزْدِيِّ الصِقْلِيُّ، وُلِدَ في مدينة سَرْقُوسَةَ (في جزيرة سِقْلِيَّةٍ أو صِقْلِيَّةٍ)، سَنَةَ ٤٤٧ هـ (١٠٥٥ م)، في أسرة عربية تنتمي إلى الأزد من عَرَبِ الجَنُوبِ. وكانت أسرته مُتَدَبِّئَةً مُحَافِظَةً. وَمَعَ ذلك فقد انصَرَفَ ابنُ حَمْدِيسِ في مَطَلَعِ حَيَاتِهِ إلى اللُّهُو كَثِيراً.

في سَنَةِ ٤٧١ هـ (١٠٧٨ - ١٠٧٩ م) كان النورمندیون قَدِ اسْتَوْلَوْا على مُعْظَمِ جَزِيرَةِ صِقْلِيَّةٍ، فرأى ابنُ حَمْدِيسِ أن يُغَادِرَ صِقْلِيَّةً فَاخْتَارَ أن يذهبَ إلى إفريقيَّةِ (تونس)، فَمَكَثَ هنالك مدَّةً ثمَّ انتقلَ إلى الأندلسِ طَمَعاً في أن ينالَ حُظُوَّةً عِنْدَ ملوكِها. ففي سَنَةِ ٤٧٧ هـ حلَّ في إشبيلية عاصمة المُعْتَمِدِ بنِ عِبَادٍ وأقام فيها مدَّةً مُهملاً

(١) تطريفاً: شق طريق (قدوة لغيرهم ليفعلوا مثل فعلهم حيناً نتغلب عليهم). يتقبَّل (يستظن في القائلة: وقت القيلولة: النوم بعد الظهر، يستريح) صنيعهم (عملهم). يقصد الكاتب: ليكون ما عاملناهم به تشجيعاً لغيرهم أن يفعل مثل ما فعلوا (في الاستسلام لنا).

نارلاً في خانٍ ينتظرُ أن يشتدَّ عليه ابنُ عبَّادٍ حتَّى قنطَ أو كاد . ثمَّ جاءه رسولُ المعتدِّ فذهبَ إليه . وامتحنه المعتدُّ بقولِ الشعرِ بديهةً وسرّاً من بديته . وقالَ ابنُ حمديسٍ عندَ المعتدِّ حُطوةً ومالاً وشُهرةً . ولها في إشبيلية ما شاء له اللهُ .

وفي سنة ٤٨٤ هـ ، بعد أسْرِ المعتدِّ بنِ عبَّادٍ على يدِ المرابطين ، انتقلَ ابنُ حمديسٍ إلى المغربِ وتطوَّفَ بينَ أغاتٍ (قربَ مدينةِ مرَّاكشَ ، حيثُ كانَ المعتدُّ أسيراً سجيناً) وبينَ سفاقسَ (في تونسَ على شاطئها الشرقي) وبالمدنِ التي بينها عشرينَ سنةً من غيرِ أن يَقطَعَ صِلتهُ بالمعتدِّ . فلما ماتَ المعتدُّ (٤٨٨ هـ = ١٠٩٥ م) اتَّصلَ ابنُ حمديسٍ ببنيِ عِلناسَ وبنيِ زيري وبنيِ خُرَّاسان - ولكنه لم يتَّصلَ بسلاطينِ المرابطينَ وفاءً منه للمعتدِّ - . وأخيراً استقرَّ في بجايةَ (على الساحلِ ، شرقاً مدينةَ الجزائرِ) ، ويبدو أنَّه كانَ قد عمِيَ في ذلكَ الحينِ .

وكانتْ وفاةُ ابنِ حمديسٍ في بجايةَ ، في رَمَضانَ مِنْ سَنَةِ ٥٢٩ (تموز - يوليو ١١٣٥ م) .

٢- ابنُ حمديسٍ الصِقْلِيُّ شاعرٌ مُكثِرٌ مُجيدٌ من أكبرِ شعراءِ الأندلسِ ؛ وأسلوبُه مألوفٌ - على عَمودِ الشعرِ العربي - وعلى شِعْرِهِ أثرٌ واضحٌ من النَّصِّ المُشرقي في الفنونِ التقليدية ، ويَظْهَرُ هذا الأثرُ في المعاني وفي الألفاظِ والتراكيبِ . ومعَ أنَّ ابنَ حمديسٍ شاعرٌ وُجْدانيٌّ يَجْري في نَظْمِهِ على السليقة ، فإنَّه يُوغَلُ أحياناً في التكلِّفِ: في التجنيسِ والمطابقة . وشعرُ ابنِ حمديسٍ قصيدٌ ورجزٌ قصائدٌ طويلاً ومقطعاتٌ قصاراً . أما فنونه فالمديحُ والثناءُ (وليس له هجاءٌ) والغزلُ والنسيبُ والشكوى ، وهو كثيرٌ الحنينِ إلى موطنه صقليةً وإلى أيامِ طفولته وشبابه . ووصفه بارعٌ جداً ؛ وهو وصافٌ لمظاهرِ الطبيعةِ في مقطعاتٍ وفي مطالعِ القصائدِ أو في ثناياها أحياناً ، بما يذهبُ عادةً بقيمةِ فنونه الأخرى إذ يَضِيعُ المديحُ مثلاً في الأوصافِ المُتراكبة . وقد تَضَعُفُ أوصافُه حيناً حيناً يُغْرِقُ في تَطَلُّبِ الصُّورِ الشعريةِ الغريبةِ فتَمُضُّ تلكَ الصُّورُ . وكذلك له شيءٌ من الحُمُرياتِ والطَّرْدِ (وصفِ الحيوانِ) والحِكْمَةِ والرُّهْدِ .

ولابنِ حمديسٍ كتابٌ اسمه « تاريخ الجزيرة الخضراء » .

٣ - مختارات من شعره:

- قال ابن حديس يتذكّر صقليةً ويصف الخمر والرقص من قصيدة

مطلعها:

قَصَّتْ فِي الصِّبَا النَّفْسُ أَوْطَارَهَا، وَأَبْلَغَهَا الشَّيْبُ إِذْ نَادَاهَا^(١).

منها:

وراهبةً أغلقت دَيْرَهَا فكَتَا مَعَ اللَّيْلِ زُورَهَا.

هَدَانَا إِلَيْهَا شَذَا قَهْوَةٍ تُذِيحُ لِأَنْفِكَ أَسْرَارَهَا^(٢).

طَرَحْتَ بِمِيزَانِهَا دِرْهَمِي فَأَجَرْتُ مِنَ الدَّنِّ دِينَارَهَا^(٣).

تَفَرَسَ فِي شَمِّهِ طَيْبَهَا مُجِيدُ الْفِرَاسَةِ فَاخْتَارَهَا^(٤).

فَتَى دَارِسَ الْخَمْرِ حَتَّى دَرَى عَصِيرَ الْخُمُورِ وَأَعْصَارَهَا^(٥):

يَعُدُّ لَهَا شَيْئًا مِنْ قَهْوَةٍ سِينِيهَا وَيَعْرِفُ خَمَارَهَا.

وَقَدْ سَكَنْتُ حَرَكَاتِ الْأَسَى قِيَانٌ تُحَرِّكُ أَوْتَارَهَا^(٦):

فَهَذِي تُعَانِقُ لِي عُودَهَا وَتِلْكَ تُقَبِّلُ مِزْمَارَهَا.

وَرَاقِصَةٌ لَقَطَتْ رِجْلَهَا حِسَابَ يَدٍ نَقَرَتْ طَارَهَا^(٧).

(١) - في أيام الصبا نلت جميع أوطاري (غاياتي ومآربي)، فلما جاء الشيب أجبرني على ترك اللذات وأخبرني بقرب الموت.

(٢) الشذا: الرائحة. القهوة: الخمر المطبوخة بالنار.

(٣) - أعطيتها درهماً أبيض (من فضة) فوزنت لي خيراً حراء (كالتبر: الذهب).

(٤) تفرس: نظر، تثبت (فحص واختبر). والاسم من « تفرس » الفراسة بكسر الفاء (القاموس ٢: ٢٣٦، السطر الثالث من أسفل).

(٥) دارس = درس: تعلم الخصائص في الأشياء. درى يدري: أدرك، عرف. عصير الخمر: نوعها (العنب الذي عصرت منه). أعصارها (بفتح الهززة): زمنها الذي عصرت فيه.

(٦) الأسا أو الأسى: الحزن. (والحزن أحياناً يجعل الإنسان مضطرباً). قيان جمع فينة (بفتح القاف): المرأة الجميلة التي تحترف اللهو (كسقي الخمر والرقص الخ).

(٧) الطار والطاراة (ليستا في القاموس): الدف، أداة موسيقية تتألف من إطار يشد عليه رقى (بكسر الراء: جلد رقيق) وينقر عليه. نقرت رجلها حساب يد: ضربت الأرض برجلها ضرباً يماثل نقر الأصابع على الدف.

ذَكَرْتُ صَبِيْلَةً وَالْأَسَى يَهَيِّجُ لِلنَّفْسِ تَذْكَارَهَا^(١)،
 وَمَنْزِلَةً لِلتَّصَايِي خَلَّتْ، وَكَانَ بَنُو الظَّرْفِ عُمَارَهَا^(٢)،
 فَإِنِ كُنْتُ أُخْرِجْتُ مِنْ جَنَّةٍ فَإِنِّي أَحَدْتُ أَخْبَارَهَا،
 وَلَوْلَا مَلُوْحَةٌ مَاءِ الْبِكَاءِ حَسِبْتُ دُمُوعِي أَنْهَارَهَا،
 ضَحِكْتُ ابْنَ عَشْرِينَ مِنْ صَبُوَّةٍ بَكَيتُ ابْنَ سِتِينَ أَوْزَارَهَا^(٣)،
 فَلَا تَغْطَمَنَّ لَدَيْكَ الذُّنُوبُ، فَمَا زَالَ رَبُّكَ غَفَّارَهَا.

- وقال يصف جماعة على جانبي نهر يشربون خمراً:

وَمُطَّرِدِ الأَجْزَاءِ يَصْفُلُ مَتْنَهُ صَبَاً أَعْلَنْتُ لِلْعَيْنِ مَا فِي ضَمِيرِهِ^(٤)؛
 جَرِيحٍ بِأَطْرَافِ الحِصَى كَلِمًا جَرَى عَلَيْهَا شَكَا أَوْجَاعِهِ بِخَزِيرِهِ^(٥)،
 شَرِبْنَا عَلَى حَافَاتِهِ دَوْرَ سَكْرَةٍ؛ وَأَقْتَلُ سَكْرًا مِنْهُ لَحْظُ مُدِيرِهِ^(٦)،
 كَأَنَّ الدُّجَى حَطَّ المَجْرَةَ بَيْنَنَا وَقَدْ كَلَّلَتْ حَافَاتِهَا بِبِدْوَرِهِ^(٧)،

- (١) - شقاء الإنسان في حاضره يذكره النعم في ماضي حياته.
- (٢) التصابي هو أن يتوق الحب محبوباً إلى نفسه (أيام التصابي: أيام الشباب). الطرف: الكيافة وحن الوجه واللسان (يستعمل للفتيان والفتيات لا للشيوخ). العمار: السكان: عمر الأرض أو المكان أو المنزل: سكنه.
- (٣) - سررت وأنا ابن عشرين سنة من الصبوة (الجهلة في زمن الشباب، الانفاس في الحب) ثم أصبحت وأنا ابن ستين أشكو من نتيجة ذلك في صحتي وفي دبي (الذنب الذي تحمّلت من جراء ذلك).
- (٤) مطرد الأجزاء: متتابع الأجزاء على استواء. صقل: جلا، جعل الشيء أملس. مننه: ظهره، سطحه (سطح النهر). الصبا: ربيع الشرق. أظهرت: ما في ضميره، ما في جوفه (في قاعه).
- (٥) يقول الشاعر: هذا النهر يتقلب في سيره على حصي (حجارة صفراء) فتجرحه فيتألم فيحدث خربراً (صوتاً حافناً كالغليظ الخارج من أنف النائم). - إن معنى هذا البيت يألف في المنطق مع معنى البيت السابق (لأن النهر المستوي الأجزاء المصفول السطح لا يحدث الصوت الذي يقصده الشاعر هنا).
- (٦) حافتا الوادي: جانبيه. دور سكرة: شرب جماعة الشاربين مرة واحدة من خمر تدور عليهم. - على أن الذي جعلنا سكارى ليس هذا الدور من الخمر ولكن عيون الساتي الذي كان يدير علينا هذه الخمر.
- (٧) كأن الدجى (الليل) حطّ (أنزل) المجرّة (يشبه الشاعر النهر الأبيض في المرج الأخضر أو في الأرض الداكنة بنهر المجرّة في عرض السماء ليلاً) غير أن هذا النهر يحيط به بدور (شباب صباح الوجوه) بينا المجرّة في السماء يظهر عند أطرافها نجوم (صفار).

كَلَّفْتُ بِكَاسَاتِ الصَّبَوحِ مُبَكَّرًا؛ وَكَمْ بَرَكَاتٍ لَلْفَقَى فِي بُكُورِهِ (١).
هُوَ الْعَيْشُ فَاغْنَمْ مِنْ زَمَانِكَ صَفْوَهُ وَصِدَّ قَنَصِ اللَّذَاتِ قَبْلَ مُثِيرِهِ (٢).

- وقال في الدعوة إلى الجهاد بعد الاضطرار إلى الجلاء عن الوطن:

بني الثغر، لستُم في الوغى من بني أُمِّي إِذَا لَمْ أَصُلِّ بِالْعَرَبِ مِنْكُمْ عَلَى الْعُجْمِ (٣).
فَرَدُّوا وَجُوهَ الْحَيْلِ نَحْوَ كَرِيهَةِ مُصْرَحَةِ لِلرُّومِ بِالثُّكُلِ وَالْيَتَمِّ (٤)؛
وَصَلُّوا بِبَيْضِ فِي الْعَجَاجِ كَأَنَّهَا بُرُوقٌ بِضَرْبِ الْهَامِ مُحَمَّرَةٌ السَّجْمِ (٥)،
وَقَرَعُ الْحَسَامِ الرَّأْسَ مِنْ كُلِّ كَافِرٍ أَحَبُّ إِلَيَّ سَمْعِي مِنَ الثَّغْرِ فِي الْبَيْتِ (٦).
وَلَقَدْ أَرْضٌ إِنْ عَدِمْتُمْ هَوَاءَهَا فَأَهْوَاؤُكُمْ فِي الْأَرْضِ مَنْشُورَةٌ النَّظْمِ (٧)؛
وَعِزُّكُمْ يُفْضِي إِلَى الذَّلِّ، وَالنَّوَى مِنْ الْبَيْتِ تَرْمِي الشَّمْلَ مِنْكُمْ بِمَا تَرْمِي (٨).
فَإِنَّ بِلَادَ النَّاسِ لَيْسَتْ بِلَادَكُمْ وَلَا جَارُهَا وَالْحِلْمَ وَالْحِلْمِ (٩).
أَعَنْ أَرْضِيكُمْ يُغْنِيكُمْ أَرْضٌ غَيْرُكُمْ؟ وَكَمْ خَالِيَةً جِيْدَاءٌ لَمْ تُغْنِ عَنْ أُمَّ (١٠)!

(١) كلف فلان بالشيء: تعلقت به نفسه، اشتد حبه له.

(٢) القنص: الطريدة، ما يصيده الصياد. مثير الصيد: كلب أو إنسان يسير أمام الصياد ليدله على مكان الطائر أو ليشير الطائر الذي يكون كاساً هادئاً، ويكون ذلك عادة بإحداث صوت أو إلقاء حجر. وصد قنص اللذات قبل مثيره: أقبل على اللذة ما دمت أنت قادراً عليها وقيل أن تحتاج إلى من يدلك عليها (٤).

(٣) الثغر: المكان على حدود أرض العدو. بني الثغر: الأشخاص الموجودون في أرض يحتلها عدو. صال: وشب، هجم. العجم (بضم فسكون أو بفتح ففتح) = عجم الأندلس (إفرنج الأندلس الذين لم يكونوا يتكلمون اللغة العربية): الأعداء.

(٤) الكرية: الحرب. الثكل: فقد الزوج زوجته. اليم: فقد الولد أبويه. الروم: إفرنج الأندلس. الإفرنج عامة.

(٥) صلوا (اهجموا) ببيض (بسيوف) في العجاج (غبار المعارك، في الحرب). - كأن البيض السيوف يروق (لبياض لونها ولكنها تصبح) بضرب الهام (الرؤوس) محمّرة السجم (يسيل منها الدم الأحمر).

(٦) الرأس مفعل به (من المصدر « قرع » المضاف إلى فاعله). اليم: الوتر الغليظ في العود (أحب إلي من سماع الموسيقى).

(٧) إذا عديمتم شتم هواء بلادكم (إذا جلوتم عنها) تفرقت أهواؤكم (غاياتكم وجهودكم).

(٨) يفضي: يقود، يؤدي إلى. - وتفرق الناس في الأماكن المتباعدة يقطع الصلات التي بينهم.

(٩) - ... وليس الجار في البلاد الغربية كالجار في وطنك ولا الحلم (الصدق) هناك كالحلم في الوطن.

(١٠) الجيذاء: طوبلة الجيد (العنق) (جميلة أو كريمة الأصل).

تَقَيَّدَ من القَطْرِ العَزِيزِ بِمَوْطِنٍ وَمَتَّ عِنْدَ رُبْعٍ من رِبْوَعِكَ أَوْ رَسْمٍ (١)
وإِيَّاكَ يَوْمًا أَنْ تُجَرَّبَ غُرْبَةً؛ فَلَنْ يَسْتَجِيرَ العَقْلُ تَجْرِبَةَ السَّمِّ (٢)!

- وقال يصف الخمر في مطلع قصيدة في المديح:

قُمْ هَاتِيهَا من كَفِّ ذَاتِ الوِشَاحِ فقد نعى اللَّيْلَ بِشَيْرِ الصَّبَاحِ (٣)
خَلَّ الكَرَى عَنكَ وَخَذَ قَهْوَةً تُهْدِي إلى الرُّوحِ نَسِيمَ ارْتِيَاحِ
هَذَا صَبُوحٌ وَصَبَاحٌ، فَمَا عُدْرُكَ في تَرْكِ صَبُوحِ الصَّبَاحِ (٤)
بَاكِزٍ إلى اللَّذَاتِ وارْكَبْ لَهَا سَوَابِقَ اللُّهُوِ ذَوَاتِ المِرَاحِ (٥)
من قَبْلِ أَنْ تَرشُفَ شَمْسُ الضُّحَى رِيْقَ الفَوَادِي من تُغُورِ الأَفَاحِ (٦)
في رَوْضَةٍ غَنَاءٍ غَنَّتْ بِهَا في قُضْبِ الأُورَاقِ وَرُوقِ فِصَاحِ (٧)
لَا يَعرِفُ النَّاطِرُ أَغْصَانَهَا - إِذَا تَنَنَّتْ - من قُدُودِ المِلاحِ (٨)
بِأَصَاحٍ، لَا تَصْحُحُ، فَكَمْ لَذَّةٍ في السُّكْرِ لَمْ يَذِرْ بِهَا عَيْشُ صَاحِ (٩)
وَارْكَبْ زَمَانًا لَا جَاحَ لَهُ من قَبْلِ أَنْ يَخْذُتْ فِيهِ المِجَاحِ (١٠)

(١) تقيّد: ضع قيداً في رحلك (لا ترح وطنك). الربع: المكان المأهول. الرسم: المكان إذا خرب وهجره الساكنون.

(٢) لا تجرب هجر الوطن لأنه موت أو كالوت. كما أنه لا يجوز للماعل أن يجرب فعل السمّ في نفسه هو (يكفي أن يرى غيره مات بالسم كما يكفي أن يرى حال غيره ممن جلوا عن أوطانهم).

(٣) هاتيا: هات الخمر. الوشاح (كسر الواو أو بضمها): حلبة من لؤلؤ وجوهر تلبس في العنق؛ غطاء عريض مرصع بالجواهر نضعه المرأة على كتفيها. ذات الوشاح: المرأة (الجميلة). - إن البشير الذي يدلّ على قرب طلوع الصباح قد دلّ على قرب انقضاء الليل.

(٤) الصبوح: شرب الخمر في الصباح.

(٥) سوابق (خيل) اللهو ذات المراح (النشاط والتبخر).

(٦) ترشف: تشرب. الفوادي جمع غادية: السحابة المطرة في الصباح. - قيل أن تحفّف الشمس الأزهار (قيل أن يذهب الشباب).

(٧) القضب جمع قضيب: غصن. قضب الأوراق: الأغصان المكسوة بالورق (كتابة عن الربيع). الورق (بضم الواو) جمع ورقاء: حمامة. فصاح جمع فصيحة: واضحة (عذبة الغناء).

(٨) - لا يفرق الناظر بين أغصان الأشجار (في استقامتها وجمالها) وبين قامات الفتيات الملاح (الجميلات). المليحة في الأصل: ذات اللون الحسن (السمراء).

(٩) يا صاح: يا صاحبي. لم يدر بها عيش صاح: لم يعرفها من قضى حياته صاحبياً (لم يشرب الخمر).

(١٠) المِجَاح: الاعتزاز بالنشاط ومحاولة التغلب على الآخرين. - استفد من الزمان ما دام الزمان مؤتياً.

- وقال يذكر موطنه صقلية ويندد باحتلال النورمان لها:

أعاذِلْ، دَعْنِي أَطْلِقِ العِبْرَةَ الَّتِي
لَقَدَرْتُ أَرْضِي أَنْ تَعُودَ لِقَوْمِهَا؛
وَكَيْفَ، وَقَدْ سَمَيْتَ هَوَانًا، وَصَيَّرْتَ
إِذَا شَاءْتَ الرَّهْبَانَ بِالضَّرْبِ أَنْطَقْتَ
صِقْلِيَّةً كَادَ الزَّمَانُ بِلَادَهَا،
فَكَمْ أَعْيُنٍ بِالخَوْفِ أَمْسَتْ سَوَاهِرًا
أَرَى بَلَدِي قَدْ سَامَهُ الرُّومُ ذِلَّةً،
وَكَانَتْ بِلَادُ الكُفْرِ تَلْبَسُ خَوْفَهُ،
عَدِمْتُ أَسْوَدًا مِنْهُمْ عَرَبِيَّةً
هُمْ فَتَحُوا أَغْلَاقَهَا بِسُيُوفِهِمْ،
بِخَوْضُونَ بِجَرًّا كَلَّ حِينَ إِلَيْهِمْ

ومن هذه القصيدة في وصف هجوم النورمان بالسفن الحربية على شواطئ صقلية وإطلاق النيران اليونانية عليها^(١):

- (١) أعاذل = يا عاذلي: يا لاني (على قلة الصبر). دعني أطلق العبرة (الدمعة): لا تلمني إذا بكيت. - لقد صيرت نفسي كثيراً فما استطعت أن أمنع عيني من البكاء.
- (٢) لقدرت: كنت قد قدرت.
- (٣) كاد الزمان بلادها: عاملها بالكر والخيبة والحيلة، غدر بها وأذناها. المحارس (غير موجودة في القاموس) أماكن للحراسة والأمن.
- (٤) منهم = من الذين احتلوا صقلية (النورمان). نواعس: هاجمة، نائمة (مطمئنة).
- (٥) عزه (قوته، مجده) متقاس (مرتفع، قوي).
- (٦) أصبح يخاف من بلاد الإفرنج.
- (٧) عدمت: فقدت (الآن)... كنت ترى العلوج (إفرنج الأندلس) أسرى وقتلى بين أيديهم.
- (٨) الأغلاق (الأبواب المغلقة، القلاع). وهم تركوا الأنوار فيها حنادس (ظلمات): كانوا كثاراً فعلاوا الأرض حتى بدت الأرض سوداء في النهار (٥).
- (٩) كانوا يأتون لفتح هذه الجزيرة بجيوش كبيرة كالبحر الذي له أمواج متلاحقة من الفرسان.
- (١٠) النار اليونانية مزيج من النفط والمواد المشتعلة الأخرى (كالقطن مثلاً) تشمل ثم تلقى بالمنحنيق على السفن والأسوار والمدن...

وَحَرْبِيَّةٍ تَرْمِي بِمُحْرِقٍ نِفْطِهَا
تَرَاهُنَّ فِي حُمْرِ اللَّبُودِ وَصَفْرُهَا
إِذَا عَشَّتْ فِيهَا التَّنَانِيرُ خِلْتَهَا
أَفِي قَصْرِيَّيْ رُقْمَةً يَغْمُرُونَهَا،
وَمِنْ عَجَبٍ أَنْ الشَّيَاطِينَ صَبَّرَتْ
وَأُضْحِتْ لِهْم سَرَقُوسَةٌ دَارَ مِئْمَةٍ
مَشَوْا فِي بِلَادٍ أَهْلُهَا تَحْتَ أَرْضِهَا،
وَلَوْ شَقَّقْتَ تِلْكَ الْقُبُورَ لَأَنْهَضَتْ
وَلَكِنْ رَأَيْتُ الْفَيْلَ إِنْ غَابَ لَيْتُهُ

فِيغَشَى سُعُوطُ الْمَوْتِ فِيهَا الْمَاعِطَا^(١).
كَمِثْلِ بَنَاتِ الرَّزْنَجِ زُفَّتْ عَرَائِصَا^(٢).
تُفْتَحُ لِلْبُرْكَانِ عَنْهَا مَنَاقِصَا^(٣).
وَرَسَمٌ مِنَ الْإِسْلَامِ أَصْبَحَ دَارِسَا^(٤).
بُرُوجُ النُّجُومِ الْمُحْرِقَاتِ مَجَالِسَا^(٥).
يَزُورُونَ بِالْدَيْرِينَ فِيهَا النَّوَاسَا^(٦).
وَمَا مَارَسُوا مِنْهُمْ أُبَيًّا مَارِسَا^(٧).
إِلَيْهِمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ أَسْدَا عَوَاسَا.
تَبَخَّرَ فِي أَرْجَائِهِ الذُّئْبُ مَائِسَا^(٨)!

- وقال في هلال رمضان يشبه شكله بالراء (الحرف الأول من كلمة رمضان):
قُلْتُ وَالنَّاسُ يَرْقُبُونَ هَيْلَالًا يُشْبِهُ الصَّبَّ مِنْ نَحَاقَةِ جَسْمِيَّةِ:

- (١) وحرية = وسفن حربية كثيرة. المعاطس: الأنوف. السعوط: مادة مطحونة تشم فتثير العطس. بدل قول الشاعر على أن النفط كان يترك دخاناً بسبب الاختناق.
- (٢) تراهن: ترى السفن الحربية. في حمر اللبود وصفرها. كانت توضع على السفن الحربية لبود وجلود حتى لا تتصل النار بمخشب السفن فيحترق. أما لماذا يصف هذه اللبود بأنها حمر وصفر (وليست سوداً مثلاً) فلا أدري له وجهاً.
- (٣) عشن: دخن. التنور: حفرة توقد فيها نار. البركان: فتحة في الأرض يخرج منها مواد مصهورة. منفس: مكان يدخل منه الهواء ويخرج منه الدخان.
- (٤) قصريني بلدة في الجانب الشرقي من جزيرة صقلية تدعى اليوم «أنا» (بإمالة المهززة وتخم الألف). يعمرونها: يسكنها الإفرنج). الدارس: المحو.
- (٥) في هذا البيت إشارة إلى أن الشياطين كانت إذا اقتربت من السماء لتسرق السمع وتعرف أخبار الغيب رجعت بالنجوم (بالشهب). يقول الشاعر: ومن العجيب (الآن) أن الشياطين (الإفرنج) جعلت بروج النجوم (المراكب التي ترمي منها النار كأنها شهب) مجالس لها!
- (٦) دار منعة: مكان يتمتعون فيه (بجمعهم). الناووس مقبرة النصارى.
- (٧) مشوا (مشى الإفرنج).... أهلها تحت أرضها: أهل البلاد (من الأبطال المجاهدين الأولين) تحت أرضها (ماتوا دفنوا فيها). وما مارسوا (وما اصطدم الإفرنج بأحد من هؤلاء الأباة للضم اللين كانوا يجاهدون ويقاتلون).
- (٨) الفيل: الشجر الملتف (وربما كان مسكناً للأسود).

من يَكُنْ صائماً فذا رَمَضانَ خَطَّ بالنور للورى أولَ أَسْمِه
- وقال ابنُ حديس في الاعتذار عن الهجاء:

يقولون لي: «لا تَجْمِدُ الهِجاءَ»؛ فقلتُ: «وما لي أُجيدُ المديحَ»^(١)؛
فقالوا: «لأنَّكَ ترجو الثوابَ». وهذا القياسُ - لَمَمْرِي - صَحِيحٌ.
فقلتُ: «صِفائي؟» فقالوا: «حِسانٌ»؛ فقلتُ: «نَسبي؟» فقالوا: «مَلِيحٌ»^(٢)؛
فقلتُ: «إِلَيْكُمْ، فلي حُجَّةٌ، وَللْحَقِّ فيها مَجالٌ فَسِيحٌ -
عَفافُ اللِّسانِ مَقالُ الجَميلِ، وَفُسقُ اللِّسانِ مَقالُ القَبِيحِ -
ومما لي ولا مَرىءٌ مُسلمٌ يروحُ بِسَيْفٍ لِسانِي جَرِيحٌ!
- وقال في الحماسة والفخر يتذكر بلاده (صقلية):

ولو أَنَّ أرضي حُرَّةٌ لأَتَيْتُها بعزمٍ يَعدُّ السَّيرَ ضَرَبَةً لا زب^(٣).
ولكنَّ أرضي كيف لي بِفكاكها مِن الأَسْرِ في أيدي العُلوجِ الفواصبِ^(٤)
أحين يُعاني أهلها طَوَعَ فتنَةٍ يُضرمُ فيها نارَه كُلُّ حاطبٍ^(٥)؟
ولم يرحمِ الأرحامَ منهم أقاربٌ تُروِّي سِوفاً من نَجيعِ الأَقاربِ^(٦).
وأضحتْ بها أهواؤهم وكأنتها مذاهِبُهُم فيها اختلافِ المذاهبِ.
إذا ضاربوا في مازِقِ الضربِ جردوا صواعقَ من أيديهِم في سحائبِ^(٧).
لهم يومَ طَعَنَ السُّمرُ أيديَ مبيحَةٍ كَلَّى الأُسُدِ في كَرَاتِهِم للشعالبِ^(٨).

(١) ما لي أُجيدُ المديحَ: لماذا أنا أُجيدُ المديحَ، فكيف أنا أُجيدُ المديحَ؟

(٢) فقلتُ: صِفائي؟ = كيف تَجِدون الوصفَ في شعري؟

(٣) السَّيرُ (الذهابُ، الرجوعُ) إليها ضربةٌ لا زب (تعبيرٌ أصبح مثلاً): واجبٌ، لازمٌ (لا مفرَّ من فعله).

(٤) فكاكها: فكاها، إنقاذها. العُلجُ: الفرنجي الذي لا يتكلم العربية.

(٥) الحاطبُ (الذي يجمع الحطب): أصحابُ المصالح الشخصية.

(٦) روى فلان فلاناً من الماء: سقاء حتى ارتوى (امتلاً). نَجيعٌ: دم.

(٧) مازِقُ الضربِ: مكان القتال الضيق (في المعركة الشديدة). صواعقُ (سيوفٌ تلمع كالصواعق): مجلوةٌ،

حادَّةٌ، قاطعةٌ)..... في سحائبِ (غمامٍ يطر دماً).

(٨) الأَسمرُ: الرمح. الكلى جمع كلية (مقتل الإنسان) - إذا بطل عمل الكليتين تسم بدن صاحبها

فمات - هؤلاء الأَقاربُ يبيحون قتل الأَسود (قومهم وأَقاربهم) للشعالب (للأعداء: أعداء الفريقين).

تَحَبَّ بِهِمْ قُبٌّ يُطِيلُ صَمِيلَهَا بأرضِ أعاديمِ نباحِ النوادبِ (١).
 مُؤَلَّلَةُ الْأَذَانِ تَحْتَ إِلَّاهَمْ كما حُرِّقَتْ بِالْبَرْزِيِّ أَقْلَامُ كَاتِبِ (٢).
 إِذَا مَا أَدَارْتَهَا عَلَى آلِهَامِ خِلْتَهَا تدورُ لَسَمْعِ الذِّكْرِ فَوْقَ الْكَوَاكِبِ (٣).
 إِذَا مَا غَزَوْا فِي الرُّومِ كَانَ دَخُولُهُمْ بَطُونِ الْخَلَايَا فِي مُتُونِ السَّلَاهِبِ (٤).
 يَمُوتُونَ مَوْتَ الْعِزِّ فِي حَوْمَةِ الْوَعَى إِذَا مَاتَ أَهْلُ الْجُبْنِ بَيْنَ الْكَوَاعِبِ.

٤- ديوان ابن حديس الأزدي السيراكوسي (نشره مونكادا)، بالرمو ١٨٩٣؛ ديوان ابن حديس (وقف على تصحيحه سكياباريلي)، رومية ١٨٩٧؛ (صححه إحسان عباس)، بيروت (دار صادر ودار بيروت) ١٩٦٠.

- الوطنية في شعر ابن حديس، تأليف زين العابدين السنوسي، تونس (دار المغرب العربي) ١٩٥٢ م.

*★ ترجمة ابن حديس الصقلي، تأليف عبد الغني المنشاوي ومصطفى السقا، القاهرة ١٣٤٧ هـ = ١٩٢٩ م.

- في الأدب العربي وديوان ابن حديس، تأليف زين العابدين السنوسي تونس ١٩٥٢ م.
 - ابن حديس الصقلي، تأليف علي مصطفى المصراحي، القاهرة (في سلسلة اقرأ - دار المعارف) ١٩٦٣ م؛ طرابلس - ليبيا (دار الفكر) ١٩٧٢ م.

الذخيرة ٤: ٣٢٠ - ٣٤٢؛ الخريدة (المغرب والأندلس) ٢: ١٩٤ - ٢٠٧؛ الخريدة (الأندلس) ٢: ٦٦ - ٨٤؛ المطرب ٥٤ - ٥٧؛ وفيات الأعيان ٣: ٢١٣ - ٢١٥؛ المكتبة الصقلية ٢: ٥٩٢ - ٦٠٢؛ نفع الطيب ١: ٤٩١ - ٤٩٦، ٤٩٩، ٣: ٦٠٦ - ٦٠٧، ٦١٦ - ٦١٧، ٤: ٢٥٦، ٢٧١؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٨٢ - ٧٨٣؛ بروكلمن

(١) ومع ذلك فهم شجمان (لو أرادوا) - تحبّ (تسير بسرعة) بهم قُبٌّ (خيل ضامرة البطن) بطيل صميلها: صوتها (وجودها في المارك) نباح النوادب (نواح الناديات اللواتي يبكين القتلى من أهلين - كناية عن الانتصار في أرض العدو).

(٢) مؤلّلة (أذان خيلهم): منتصبه. الإلال (رفع الصوت بالدعاء).

(٣) إذا أداروا (سيوفهم فوق الرؤوس، وهم يجاربون). الهامة: الرأس. خال: ظن، حسب. سمع الذكر (استماع الذكر الحسن). - طننت سيوفهم تدور في الفضاء الواسع عالية حتى كأنها تريد أن تسمع النفس يتحدثون ببطولتهم في الكواكب (في كل مكان).

(٤) الروم: نصارى الأندلس من أي مذهب كانوا. - كان دخولهم (اقتحامهم، هجومهم) بطون الخلايا (إلى قلب ماوى الأسود. الخلية: ماوى الأسد) في (على) متون (ظهور) السلاهب (جمع سلهب: الحصان الطويل).

١: ٢٦٩، الملحق ١: ٤٤٧٤ نيكل ١٦٨ - ١٧٠ مختارات نيكل ١١٦ - ١٢٠ الأعلام
للزركلي ٤: ٤٧ - ٤٨ (٣: ٢٧٤)؛ سرکيس ٨٧ - ٨٨.

الرشيد العبّاديّ

١ - هو الرشيدُ أبو الحسينِ عُبَيْدُ اللهِ^(١) بنُ مُحَمَّدِ الْمُعْتَمِدِ بنِ عَبَّادٍ، كان مَوْلدهُ نحوَ سَنَةِ ٤٥٨ هـ (١٠٦٦ م)، وأُمُّهُ أَعْتَادُ الرُّمَيْكِيَّةِ. وهوَ أحدُ النُّجباءِ من أبناءِ الْمُعْتَمِدِ، ومِنَ الذين يُوثَقُ بهم. فلَمَّا أَنْصَرَفَ الْمُعْتَمِدُ إلى اللُّهُوِ أُلْقِيَ مَقاليدُ الأُمُورِ في الإدارةِ والحربِ إلى ابنِهِ الرشيدِ هذا. وَبَلَغَ الرشيدُ في المَكائِنَةِ إلى أن مَدَحَهُ الشاعِرُ مُحَمَّدُ بنُ عَمَّارٍ (قُتِلَ ٤٧٧ هـ) بقولِهِ: «أنتَ الرشيدُ فَدَعَ مَنْ قَدِ سَمِعْتَ بِهِ» (نَفحِ الطيبِ ٤: ٢٧٢) تعريضاً بهرونَ الرشيدِ.

وكان الرشيدُ منذُ مطلعِ حياتِهِ يَميلُ إلى اللُّهُوِ وَيَعْقِدُ مَجالِسَ الغناءِ. ثمَّ كَثُرَ انغماسُهُ في ذلك قُبيلَ النَّائِرَةِ: هِياجِ الناسِ وَنِعْمَتِهِمْ على بني عَبَّادٍ، وَقُبيلِ سَقُوطِ دَوْلَتِهِمْ. وكانتِ وَفاةُ الرشيدِ العبّاديّ في حُدُودِ سَنَةِ ٥٣٠ هـ (الحلَّةُ السِّراءِ ٢: ٦٨)، أو ١١٣٥ م.

٢ - كان الرشيدُ العبّاديُّ شاعِراً يُحسِنُ الِارتِجالَ. ومن فنونِ شِعْرِهِ الغَزَلُ والِحِماةُ والمدحُ. وعلى شِعْرِهِ شيءٌ من الطَّلَوةِ.

٣ - مختارات من شعره:

لَمَّا انْتَهَى الْمُعْتَمِدُ بنُ عَبَّادٍ من بِناءِ القُبَّةِ المَعروفَةِ بِاسمِ «سَعْدِ السَعُودِ» فَوَقَّعَ مَجْلِسِيهِ في قَصْرِهِ «الزاهي» صَنَعَ قَسِماً (شَطِراً من الشمر): «سَعْدُ السَعُودِ يَتِيهُ فَوَقَّعَ الزاهي» ثمَّ طَلَّبَ من الحاضِرِينَ أن يُجيزوا. فقال الرشيدُ ابنُهُ:

(١) عبید الله (بتصغیر عبد) الحلّة السِّراءِ ٢: ٦٨ نَفحِ الطيبِ ٤: ٢٥٦. وورد عبد الله (بلا تصغیر)، نَفحِ الطيبِ ٣: ٦١٢، راجع ٤: ٣٦٤، ٣٦٦، ٣٧٠. (ولعلَّهُ خطأ مطبعي). للمُعْتَمِدِ ابنِ اسمِهِ عبدُ اللهِ أيضاً (راجع، فوق، ترجمة المُعْتَمِدِ - توفي ٤٨٨ هـ).

وكلاهما في حُسنه مُتَناهِي.

ومَنْ أَغْتَدَى سَكَنًا لِيُثَلِّمَ مُحَمَّدٍ
لا زَالَ يَبْلُغُ فِيهَا مَا شَاءَ؛
قد جَلَّ فِي الْعَلْيَاءِ عَنْ أَشْبَاهِ (١).
وَدَهَتْ عِدَاهُ مِنَ الْخَطُوبِ دَوَاهٍ

- وفيما كَانَ الْمُعْتَمِدُ مُتَّجِهاً مِنْ مِكناسَةٍ إِلَى أَغْثَاتِ (بَعْدَ أُسْرِهِ) بَدَرَ مِنَ الرَّشِيدِ فِي
أَثْناءِ الطَّرِيقِ ما حَمَلَ أَباهُ عَلَى العَتَبِ عَلَيْهِ وَعَلَى الإِفْرَاطِ فِي العَتَبِ. فَكَتَبَ
الرَّشِيدُ إِلَى أَبِيهِ يَسْتَغْفِرُهُ:

يا حَلِيفَ النَّدى وَرَبَّ السَّاحِ
مِنْ تَمامِ النُّمُسى عَلَيَّ التَّياحِي
وَحَبِيبَ النُّفُوسِ وَالأرواحِ (٢)،
لَمَحَةً مِنْ جَبِينِكَ الوُضاحِ (٣).
قد غَنِينا بِبِشْرِهِ وَسَناهُ
عَنْ ضِياءِ الصَّباحِ وَالِإِصْباحِ (٤).
ذاكَ حَظِّي مِنَ الزَّمانِ. فَإِنْ جا
ذَبَّ بِهِ لِي بَلَّغْتُ كُلَّ اقْتِراحِي.

- ولَمَّا وُلِدَ لَهُ ابْنُهُ «المُعلَى» قالَ يَكشِفُ عَمَّا فِي نَفْسِهِ مِنْ آمالٍ:

أَهْنِيكَ - بَلْ نَفْسِي أَهْنِي - فَإِنِّي
خَلاصِكَ مِنْ أَيْدِي المَمُونِ وَغُرَّةِ
بَلَّغْتُ الَّذِي كانَ اقْتِراحِي عَلَى الدَّهْرِ:
بَدَتُ لِلْمُعلَى مِثْلَ دائِرَةِ البَدْرِ (٥).
كَانَ بِهٍ عَمَّا قَرِيبٍ مُمْلِكاً
زِمَامَ المَعالي نَافِذَ النِّهْيِ وَالأَمْرِ.
يَقودُ إِلَى الهِجاءِ كُلِّ غَضَنَفِرٍ
وَبَضْرِبُ مَنْ نَواها بِالْبِيضِ وَالسُّمْرِ (٦).
فَقَرَّتْ بِهٍ عَيْنِي وَعَيْنُكَ فِي المُلأِ،
ولا زَالَ أُسْمِي فِي المَحَلِّ مِنَ الغَفْرِ (٧).

(١) محمد المعتد (والد الرشيد عبيد الله).

(٢) دها: أصاب. الدواهي: الأمور المنكرة العظيمة. الخطب: المصيبة.

الندى: الكرم. السباح: التسامح والتساهل.

(٣) الطاحي (أن الملح أنا).

(٤) البشر: طلاقة الوجه وظهور السرور على الوجه. السنا: الضوء الساطع.

(٥) يبدو أنه كان في ولادة المعلّى عشر. ولعلّ القطعة موجهة إلى المعتد.....

(٦) يقود (أي المعلّى). الغضنفر من أسماء الأسد (الجندي الشجاع). الأبيض: السيف. الأسمر: الرمح.

(٧) قرّت عينه: سكنت، هدأت (كناية عن السرور). عينك (لعلّ الخطاب للمعتد). الغفر ثلاثة نجوم

صغار هي منزلة للقمر.

أبو الحسن بن جودي

١- هو أبو الحسن عليُّ بن عبد الرحمن بن سعيد بن محمد بن عبد الرحمن بن جودي السَّعْدِيُّ، أصلُ سلفه من إلبيرة (وقيل من سرقسطة). نشأ في المرية ثم تنقل في بلدان الأندلس والمغرب.

روى أبو الحسن بن جودي كثيراً من الحديث (حديث رسول الله) عن القاضي أبي عليِّ حسين بن محمد بن فيره بن حيون الصديقي (ت ٥١٤ هـ). وكذلك كان من المتصلين بأبي العلاء بن زهر (ت ٥٢٥ هـ) ثم حدثت بينهما وخشة لعل سببها أن ابن جودي هذا قرأ على ابن باجه (قبل سنة ٥١٢ هـ) شيئاً من علوم الفلسفة فاشتهر ذلك عنه واتهم بالزندقة. يُضاف إلى ذلك أن أبا العلاء بن زهر كان كارهاً لابن باجه وخصماً له. واضطر ابن جودي إلى أن يفارق أبا العلاء بن زهر. ثم طلب العامة ابن جودي ليقتلوه فهرب منهم وتشرّد عن بلده وصار من قطاع الطريق بين الجزيرة الخضراء وقلعة خولان.

ثم نسي الناس أمر ابن جودي فعاد ابن جودي إلى غرناطة يُعاود قراءة الطب. في هذه الأثناء توفي أبو الحسن عليُّ بن أحمد بن خلف الأنصاري الغرناطي المعروف بابن الباذش، سنة ٥٢٨ هـ، فرثاه ابن جودي. وتوفي ابن جودي في غرناطة بعد سنة ٥٣٠ هـ (١١٣٦ م). ولعل عمره كان يومذاك نحو خمسين عاماً.

٢- أبو الحسن عليُّ بن جودي أديب شارك في عددٍ من فنون المعرفة: في الأدب والنحو والطب والفلسفة وغيرها. وهو شاعرٌ مجيدٌ على عمود الشعر المشرقي. وأكثر شعره النسيب والغزل والوصف. وهو كثير التقليد للشعراء العذريين المشارقة، يكثر في شعره الحنين إلى نجد (كما كانوا هم يفعلون) ويذكر ليلي العامرية (محبوبة قيس بن الملوّح العامري المعروف بمجنون ليلي) ويذكر العامري (مجنون ليلي) نفسه أيضاً.

٣- مختارات من شعره:

- وقال أبو الحسين بن جودي في النسيب:

لقد هبج النيران، يا أم مالك، بتدمير ذكرى ساعدتها المدام^(١)،
عشيّة لا أرجو لقاءك عندها، ولا أنا، أن يدوم مع الليل طامع^(٢).

- وقال يصف مجيء الصبح في أحد أيام الشتاء:

نبهته وعيون الزهر نائمة والطلُّ يبكي وتغرُّ الكأس يبتسم.
والبرق يرقم من بُردِ الدجى علماً والزهر عقدٌ بجيد النهر منتظم^(٣).
حتى بدت راية الإصباح زاحفة في كفّ ذي ظفرٍ والليل منهزم^(٤)!

- وقال في النسيب يذكر نجداً ولبلى العامرية يشبه نفسه بهجنون ليلي (بالعامري):

خليلي من نجد، فإنّ بنجدهم مصيفاً لبنت العامري ومربعا^(٥).
ألا رجعا عنها الحديث فإنني لأغبط من ليلي الحديث المرجعا^(٦).
عزيز علينا، يا ابنة القوم، أننا غريان شتى لا نطيق التجمعا^(٧).
فريق هو منّا يمان، ومشمّم يحاول يأساً أو يحاول مطمعا^(٨).
كانا خلقتنا للنوى، وكانا حراماً على الأيام أن نتجمعا!

- وقال:

أحرن إلى ربيع الشمال فإنها تُذكرنا نجداً؛ وما ذكرنا نجداً^(٩)؟

(١) تدمير، مقاطعة في الشرق الجنوبي من الأندلس. الطلّ: نقاط الندى التي تتساقط في آخر الليل على

الأغصان فتعلق عليها (وربما جدت بفعل البرد الليلي).

(٢) ولا أنا - أن يدوم مع الليل - طامع: وأنا لا أطمع أيضاً أن يدنو (يقترّب) لفاؤك إذا جاء الليل (لا أطمع أيضاً أن أراك في منامي).

(٣) رقم الثوب يرقمه: وشاه (زئنه بالنقوش).

(٤) في كفّ ذي ظفر: في يد قائد منتصر.

(٥) المصيف (مكان الإقامة في الصيف) والمربع (مكان الإقامة في الربيع).

(٦) رجّع الصوت: ردّه في حنجرتّه. والشاعر يقصد «أعاد الحديث» مرّة بعد مرّة.

(٧) لا نطيق التجمعا: لا نقدر على أن نجتمع (لبعد ما بيننا في السكنى).

(٨) يمان: يمني الدار (في أقصى الجنوب) ومشمّم (من الشمال).

(٩) وما ذكرنا نجداً: ما بنفمنا أن نذكر نجد (ولا سبيل إلى الاحتجاج بأهله: بالهبوب).

خليلي، لا والله، ما أخيلُ الهوى وان كنتُ في غير الهوى رجلاً جَلَدًا^(١) !

٤-★★ المغرب ٢: ١٠٩ - ١١٠، معجم الصدي، رقم ٢٥٩ (ص ٢٧٨ - ٢٧٩) نفع الطيب ٣: ٣٣٤، ٧: ٥٧ - ٦٠، المطمح.

ابن باجَه

١- هو أبو بكر محمد بن يحيى الصائغ المعروف بابن باجَه (بتشديد الجيم ثم هاء ساكنة)، والباجَه بلغة نصارى الأندلس « الفضة ». وُلِدَ في سَرَقِسطَة نحو سَنَةِ ٤٧٥ (١٠٨٢ م)، وفيها نشأ وقال الشعر ومدح أميرها أبا بكر بن إبراهيم بن تيفلويت. ثم ولي ابن تيفلويت الشعر والشرق فاستوزر ابن باجَه. ولما حاصر ألفونسو الأول ملك الأراغون مدينة سرقسطَة غادرها ابن باجَه (٥١٢ هـ = ١١١٧ م)، قبل أن يستولي عليها ألفونسو، وانتقل إلى إشبيلية وطبَّبَ فيها. ثم إنَّه انتقل إلى مراكش ونال حظوة عند المرابطين. وقد حسده منافسوه، لبراعته في الطبِّ ولتوفيقه في التطبيب فدسوا له السمَّ فمات، سَنَةِ ٥٣٣ (١١٣٨ م).

٢- كان ابن باجَه أولَ فلاسفة الإسلام العقليين على الحضر، وكان عالماً في الرياضيات وفلكياً راصداً قديراً يحسبُ للكسوف والكسوف. وكان واسع العلم في الطبيعيات. أمَّا في الموسيقى فقال فيه المقرئ (نفع الطيب ٧: ٧، ٣: ١٨٥): « الحكيم أبو بكر بن باجَه صاحبُ التلاحين المروفة.... وإليه تُنسبُ الألحانُ المطربةُ في الأندلس والتي عليها الاعتدُّ ».

وأما في الأدب فكان شاعراً مقصداً وشاحاً؛ وأكثرُ شعره المدحُ والثناءُ والهجاءُ والنسيبُ والغزل، ولكنَّ الجانبَ المعنويَّ في شعره أفضلُ من الجانبِ اللفظي الذي يبدو عليه شيءٌ من الجفاف. وله نشرٌ علميٌّ فيه شيءٌ من التعميد.

(١) الجلد: القوي الاحتال.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال ابن باجه في الغزل:

أَسْكَانَ نَعْمَانَ الْأَرَاكِ، تَيَقَّنُوا
بَأَنْكُمْ فِي رَبْعِ قَلْبِي سُكَّانُ؛
وَدُومُوا عَلَى حِفْظِ الْوِدَادِ فَطَالَمَا
بُلِينَا بِأَقْوَامٍ إِذَا اسْتَحْفِظُوا خَانُوا!
سَلُوا اللَّيْلَ عَنِّي، إِذْ تَنَاءَتْ دِيَارُكُمْ؛
هَلْ أَكْتَحَلْتُ لِي فِيهِ بِالنَّوْمِ أَجْفَانُ؟
وَهَلْ جُرَّدَتْ أَسْيَافُ بَرْقِ سَهَائِكُمْ
فَكَانَتْ لَهَا إِلَّا جُفُونِي أَجْفَانُ^(١)!

- وقال يرثي أبا بكر بن إبراهيم بن تيفلويت (ت ٥١٠ هـ)، وكان والياً على سرقسطة من قبيل المرابطين:

أَيُّهَا الْمَلِكُ، قَدْ لَمَعَرِي نَمَى الْمَجْدُ
بَدَ نَوَاعِيكَ يَوْمَ فَمُنَّ فَنَحْنَا^(٢).
كَمْ تَقَارَعَتْ وَالْحَطُوبَ إِلَى أَنْ
غَادَرْتِكَ الْخَطُوبُ فِي التُّرْبِ رَهْنَا^(٣).
غَيْرَ أَنِّي إِذَا ذَكَرْتُكَ وَالِدَهُ
رَ إِخَالُ الْيَقِينِ فِي ذَاكَ ظَنَّا^(٤).
وَسَأَلْنَا: «مَتَى اللَّقَاءُ؟ قَبِيلَ: «الْحَشْرُ!» قلنا: «صبراً إليه وحزناً!».
- وله في مديح «المُتَمِّينَ»:

قَوْمٌ إِذَا انْتَقَبُوا رَأَيْتَ أَهْلَةً،
وَإِذَا هُمْ سَفَرُوا رَأَيْتَ بُدُورًا^(٥).
لَا يَسْأَلُونَ عَنِ النَّوَالِ عَفَاتِهِمْ
شُكْرًا، وَلَا يَخْمُونَ مِنْهُ تَقِيرًا^(٦).
لَوْ أَنَّهُمْ مَسَّحُوا عَلَى جَدْبِ الرَّبِيِّ
بِأَكْفُهُمْ نَبَسَتِ الْأَقْحُ نَضِيرًا.

- (١) الجفن (بفتح الجيم): قراب السيف - حينما تشرق السماء من جهة بلادكم فلا يرى هذا البرق أحد غيري (لأنني أكون وحدي ساهراً في حبيكم، وجميع الناس نياماً!).
(٢) قمن ونحن (بضم أولهما) فعلان ماضيان للجماعة الإناث من قام وناح.
(٣) فارغ: نازع، غالب، قاتل. الخطوب جمع خطب (بفتح الحاء): المصيبة، رهناً = مرهوناً: باقياً.
(٤) اليقين الموت - لم أصدق أنك مت.
(٥) إذا انتقبوا (وضعوا نقاباً أو غطاء على وجوههم) أشرق نور وجوههم من خلال النقاب اشراقاً قليلاً كما يبدو الهلال في أول الشهر. أما إذا أسفروا (كشفوا عن وجوههم) فهم بدور.
(٦) النوال: العطاء. العفاة جمع عاف: طالب العطاء. التقير: الذباب الأسود الصغير: هم يبيحون نوالهم لكل من يطلبه ولا يحمون (يحمون) من هذا النوال أحداً، ولا الذباب الأسود.

- حَسَبَ ابْنُ بَاجَةَ مَرَّةً خُسُوفَ الْقَمَرِ وَنَظَّمَ فِي خُطَابِ الْقَمَرِ بَيِّنَتَيْنِ. ثُمَّ دَعَا نَفَرًا مِنْ أَسْدِقَائِهِ، قُبِيلَ مَوْعِدِ الْخُسُوفِ، وَجَعَلَ يَتَغَنَّى أَمَامَهُمْ بِذَنبِكَ الْبَيْتَيْنِ (نَفْحِ الطَّيِّبِ ٧: ٢٥ - ٢٦):

شَقِيقُكَ غَيْسَبَ فِي لَحْدِهِ؛ وَتُشْرِقُ، يَا بَدْرُ، مِنْ بَعْدِهِ؟
فَهَلَّا كَيْفَتَ فَكَانَ الْكُسُوفُ حِدَادًا لَيْسَتْ عَلَى فَقْدِهِ!
وَجَعَلَ يَرُدُّدُ الْبَيْتَيْنِ. فَلَمَّا خُسِفَ الْبَدْرُ عَظَّمَ التَّعَجُّبُ مِنَ الْحَاضِرِينَ.

- نَصٌّ مِنْ كِتَابِ «تَدْبِيرِ الْمُتَوَحَّدِ»:

.... وَكُلُّ فِعْلٍ لَا يَسْتَعْمَلُ الْإِنْسَانُ فِيهِ فِكْرَةٌ فَهُوَ (عَمَلٌ) بَهِيمِيٌّ لَا شَرَكَةَ لِلْإِنْسَانِيَّةِ فِيهِ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ الْمَوْضُوعَ (الْفَاعِلَ) جِسْمٌ خَلَقْتَهُ إِنْسَانِيَّةٌ إِلَّا أَنَّهُ مُسْتَنْبِطٌ بَهِيمَةٌ. وَقَدْ يُوجَدُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ أَعْمَالٌ وَانْفِعَالَاتٌ مِنْ أَعْمَالِ الْإِنْسَانِ وَانْفِعَالَاتِهِ مِثْلَ الْعُجْبِ لِلطَّائِوُسِ وَالْكَرَمِ لِلدِّيكِ^(١) وَالْمَلَقِ لِلْكَلْبِ وَالْمَكْرِ لِلتَّلْعَبِ وَالْحَيَاءِ لِلأَسَدِ. غَيْرَ أَنَّ هَذِهِ الْأَخْلَاقَ إِذَا كَانَتْ لِلبَهَائِمِ كَانَتْ طَبِيعِيَّةً لِلنَّوْعِ وَلَمْ يَخْتَصَّ بِهَا شَخْصٌ (دُونَ شَخْصٍ) مِنْ ذَلِكَ النَّوْعِ. وَ (لَيْسَتْ) هَذِهِ الْأَخْلَاقُ فِضَائِلٌ لِلبَهَائِمِ لِأَنَّهَا تَسْتَعْمِلُهَا فِي كُلِّ وَقْتٍ سِوَا مَا كَانَ ذَلِكَ يَنْبَغِي أَوْ لَا يَنْبَغِي.... وَأَمَّا (الْأَعْمَالُ) الْفِكْرِيَّةُ فَهِيَ أَحْوَالٌ خَاصَّةٌ بِالصُّورَةِ الرُّوحَانِيَّةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، كَصُورَةِ الرَّأْيِ وَالْمَشُورَةِ.....

٤- تدبير المتوحد (حرره د.م. دنلوب - مجلّة الجمعية الملكية الأسيوية - لندن)، نيسان (أبريل) ١٩٤٥م (حرره ميغيل آسين بالانيوس)، مدريد - غرناطة (المجلس الأعلى للبحوث العلمية، مؤسسة ميغيل آسين - مدارس الدراسات العربية في مدريد وغرناطة) ١٩٤٦م (حرره معن زبيادة)، بيروت (دار الفكر الإسلامي - دار الفكر) ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨م.

- كتاب النفس (نشره محمد صغير حسن المعصومي)

(١) العجب: الزهو (الفخر بالنفس). ذكر الجاحظ (ت ٢٥٥) في كتاب البخلاء أن من عادة الديكة (بكر فتفتح: جمع ديك) أن تأخذ الحب فتلقيه أمام الدجاج، ما عدا ديكه مرو (عاصمة خراسان في فارس) فإنها تسلب الدجاج ما في مناقيرها!

- تلخيص كتاب النفس
- كتاب الكون والفساد (نشره محمد صغير المعصومي)، دمشق (مجمع اللغة العربية) ١٩٦٧ م.
- شرح السماع الطبيعي لأرسطو (تحرير ماجد فخري)، بيروت (دار النهار) ١٩٧٣ م.
- شروحات السماع الطبيعي (تحقيق معن زيادة)، بيروت (دار الكندي - دار الفكر) ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م.
- رسائل ابن باجّه الإلهية (حقّقها ماجد فخري)، بيروت (دار النهار للنشر) ١٩٦٨ م.
- رسالة الاتّصال (مضموم إلى كتاب «ابن باجّه» لأحمد فؤاد الأهواني).
- ** ابن باجّه والفلسفة المغربية، تأليف عمر فروخ، بيروت (مكتبة منبنة) ١٣٦٤ هـ = ١٩٤٥ م ثمّ ١٣٧١ هـ = ١٩٥٢ م.
- ابن باجّه، تأليف تيسير شيخ الأرض، بيروت (دار الأنوار) ١٩٦٥ م.
- قلائد العقيان ٣٤٦ - ٣٥٣ الخريدة (المغرب والأندلس) ٢ : ٣٣٢ - ٣٣٤ الخريدة (الأندلس) ٢ : ٢٨٣ - ٢٨٦ الوافي بالوفيات ٢ : ٢٤٠ - ٢٤٢ المغرب ٢ : ١١٩ ؛ وفيات الأعيان ٤ : ٤٢٩ - ٤٣١ ؛ نفع الطيب ٣ : ١٨٥ ، ٣٧٣ - ٣٧٤ ، ٣٧٤ - ٤٣٤ ، ٤٦٧ ، ٧ : ٧ ؛ شذرات الذهب ٤ : ١١٠٣ دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ٣٧٨ - ٣٧٩ ؛ بروكلمان ١ : ٦٠١ ، الملحق ١ : ٨٣٠ ؛ نيكل ٢٥١ - ٢٥٤ ؛ مختارات نيكل ١٦٩ - ١٧٠ ؛ الأعلام للزركلي ٧ : ٨ (١٣٧ : ٧).

ابن خفاجة

١- هو أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الفتح عبد الله بن خفاجة الهواريّ الشقريّ، وُلِدَ في جزيرة شقر* - وهي بليدة بين شاطبة وتلنسية - سنة ٤٥٠ (وفيات الأعيان ١ : ٥٧) في أسرة على جانب من اليسار وعلى قسطنطين من العلم والأدب. بدأ علّمه في بلده ثمّ تردّد بين مُرسية وشاطبة فسَمِعَ من القاضي أبي عليّ الصديقيّ (ت ٥١٤ هـ) والفقهاء أبي عمران موسى بن تليد الشاطبي (ت ٥١٧ هـ) وأبي بكر بن عتيق بن أسد (٥٣٨ هـ).

لها ابن خفاجة في مطلع حياته ثمّ ترك اللهُو والمجون، وعاش صرورة (لم يتزوج) وقضى مُعظمَ حياته في ضيعة له قُربَ بلده ينظّم الشعر في أغراضٍ نفسه ولم يقصد أحداً من ملوك الطوائف. ولكن بعد أن استولى المرابطون على مُعظم جزيرة

(*) سفر بالمص (وفيات الأعيان ١ : ٥٧)؛ وبالفتح (تاج العروس - الكويت ١٢ : ٢٢٢)

الأندلس وأزالوا مُعظَمَ ملوكِ الطوائف، اتَّصلَ ابنُ خَفَاجَةَ - وكان قد بَلَغَ أَشدَّهُ وذاعتُ شُهْرَتُهُ - بولَاةَ المرابطين على الأندلس ومدَحَهُمُ إعجاباً لا تَكْسِبُ. وكانت له في أيامهم حُطوةٌ. أمَّا وفاته فكانت في ٢٦ من شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ ٥٣٣ (١١٣٩/٦/٢٥م)، في بلدته.

٢ - يُحيطُ ابنُ خَفَاجَةَ بعددٍ من فنونِ المعرفة: الحديثِ والفقهِ واللُّغةِ والنحوِ وغيرها، ولكن غَلَبَ عليه نَظْمُ الشعرِ. وهو شاعرٌ وُجِدَ في مطبوعٍ، على شِعْرِهِ طَلَاوةٌ وفيه سهولةٌ، وهو عَذْبُ الجُرْسِ تشبُّعٌ فيه رَنَّةٌ موسيقيةٌ قلَّ أن تجِدَ مثلها عندَ شاعرٍ آخرٍ. ثم هو على النهجِ المشرقيِّ ما فارقَ عَمودَ الشعرِ قطُّ. ورُبَّما حاولَ في القصيدةِ بعدَ القصيدةِ أن يُلقيَ على أبياتهِ نَفْحَةً من فخامةِ الشعرِ القديمِ. وفنونُ شعره المَدحِ (إعجاباً بمدوحه لا تَكْسِبُ منهم) والثناءُ والقَزْلُ والنسيبُ والهجاءُ (وربَّما أفضَحَ فيه) والعتابُ والحكمةُ والزُهدُ والإخوانياتُ. أمَّا الفنَ الذي برَعَ فيه فهو وصفُ الطبيعةِ والحنينِ إلى الوطنِ. وهو بارِعٌ جدًّا في وصفِ الأشجارِ والأزهارِ والأنهارِ حتَّى سُمِّيَ «الجَنَانُ» (لكثرتِهِ أوصافِهِ للحداثقِ والجنائنِ ولبراعتهِ في تلكِ الأوصافِ).

ولابن خَفَاجَةَ نثرٌ دون شِعْرِهِ مرتبةٌ يُصرِّفه في بعضِ أغراضِ نفسهِ في رسائلَ إخوانيةٍ أو في أغراضٍ تتعلَّقُ بعددٍ من قصائدهِ. وقد جَمَعَ ابنُ خَفَاجَةَ شعرَهُ ونثرَهُ في ديوانٍ قدَّمَ له بمقدِّمةٍ أشارَ فيها إلى رأيه في الشعرِ وفي شعره ونثره. وفي هذه المَقْدِمةِ خَطَرَاتٌ من النَقْدِ.

٣ - مختارات من آثاره:

- من المقطعات القصار لابن خَفَاجَةَ:

★ ★ إِنَّ لِلجَنَانِ بِالْأندلسِ مُجْتَلى حُسنٍ ورَبَّما نَفْسٍ (١):

(١) ربَّما: طيب الرائحة.

وَدَجَى لَيْلِيهَا مِنْ لَعَسٍ (١).
 صَحْتُ: وَاشَوْقِي إِلَى الْأَنْدَلُسِ!
 أَشْهَى وَرُوداً مِنْ لَمَى الْحَسَاءِ (٢).
 وَالزَّهْرُ يَكْنِفُهُ، مَجْرٌ سَمَاءُ (٣).
 هُدْبٌ يَحِيفُ بِمَقْلَةٍ زَرْقَاءُ (٤).
 مُتَلَوِّباً كَالْحِيَةِ الرَّقْطَاءِ (٥).
 ذَهَبُ الْأَصِيلِ عَلَى لُجَيْنِ الْمَاءِ (٦).
 بَحِثُ الظِّلِّ وَالْمَاءِ الْقِرَاحُ (٧).
 تَحْرَمَ مُلْكُهُ الْقَدْرُ الْمُتَاحُ (٨).
 عَلَيْهِ، وَشَدُو طَائِرِهِ نُوحٍ!
 وَطَارِحِي بِشَجْوِكَ، يَا حَمَامُ (٩).
 وَنَادَتْنِي وَرَائِي: هَلْ أَمَامُ!
 هُنَاكَ، وَمِنْ مَرَاضِعِي الْمُدَامُ (١٠).
 فَيُنْكِرُنَا، وَيَعْرِفُنَا الظَّلَامُ (١١).

فَسْنَا ضَخَوْتَهَا مِنْ شَنْبٍ،
 فإِذَا مَا هَبَّتِ الرِّيحُ صَبَاً (١)
 ** اللَّهُ نَهْرٌ سَالٌ فِي بَطْحَاءِ
 مُتَعَطِّفٌ مِثْلَ السِّوَارِ كَأَنَّهُ،
 وَغَدَتْ نَحِيفٌ بِهِ الْفُصُونُ كَأَنَّهَا
 وَالْمَاءُ أَسْرَعَ جَرِيَهُ مُتَحَدِّراً
 وَالرِّيحُ تَعَبَّتْ بِالْفُصُونِ، وَقَدْ جَرَى
 ** وَمُرْتَبِعٌ حَطَطَتْ الرِّحْلَ فِيهِ
 تَحْرَمَ حَسَنٌ مَنظَرَهُ مَلِيكَ
 فَجَرِيَةٌ مَاءٌ جَدُولِهِ بُكَاءُ
 ** أَلَا سَاجِلٌ دُمُوعِي، يَا غَمَامُ.
 فَقَدْ وَقَيْتُهَا سِتِينَ حَوْلًا،
 وَكُنْتُ وَمَنْ لُبَانَاتِي لُبِينِي
 يُطَالِعُنَا الصَّبَاحُ بِيَطْنٍ حَزْوِي

(١) السنا: الضوء الساطع. الشنب: بياض الأسنان. اللس: السمرة في الشفاء.

(٢) صبا: من الشرق (بليلة باردة).

(٣) البطحاء: الأرض المنبسطة. الورد: الذهاب إلى الماء للشرب. اللس: السمرة في الشفاء (وهنا: الريق).

(٤) يكنفه: يحيط به. المجر (علمها هنا جمع جمرة) مجموع نجوم يعترض في السماء من الشمال إلى الجنوب.

(٥) الهدب: شعر جفون العينين.

(٦) الرقطاء: التي على جلدها نقط سود.

(٧) ذهب الأصيل (بين الظهر والمغرب): (نور الشمس الأحمر) على لجين (فضة) الماء (بياض الماء).

(٨) المرتبع: مكان ينزله الناس في الربيع. القراح: الصافي.

(٩) لعله وقف هنا على قبر أحد الملوك. المتاح: المرسل، الذي لا مفر منه.

(١٠) ساجله: باراه، سابقه (يقول إن دموعه أغزر من المطر). طارحه الحديث: تحادثا وناقش بعضها بعضاً. الشجو: الحزن.

(١١) اللبانة الحاجة. المدام: الخمر.

(١٢) إذا طلع الصباح افترقنا فلا يعلم النهار أننا محبان. وإذا جاء الظلام اجتمعنا فيعرف الليل أننا محبان

وكان لِي البَشَامُ مَرَاحَ أَنَسٍ،
 ** أَي عَيْشٍ أَوْ غِذَاءٍ أَوْ سِنَةٍ
 قَلَصَ الشَّيْبُ بِهَا ظِلَّ أَمْرِي
 تَارَةً تَسْطُو بِهِ سَيِّئَةً
 ** عَائَتْ بِسَاحَتِكَ الظُّبَى، يَا دَارُ،
 فَإِذَا تَرَدَّدَ فِي جَنَابِكَ نَاطِرٌ
 أَرْضٌ تَقَادَفَتِ الحُطُوبُ بِأَهْلِهَا،
 كَتَبْتَ يَدُ التَّارِيخِ فِي عَرَصَاتِهَا
 ** يَا أَهْلَ أُنْدُلُسَ، اللَّهُ دَرُكُمْ:
 مَا جَنَّةُ الحُلْدِ إِلَّا فِي دِيَارِكُمْ.
 لَا تَحْسَبُوا فِي غِدَانٍ تَدْخُلُوا سَقْرًا.
 ** يَا لَوْلَا يَسِي العِيُونَ أَنِيقًا*،
 مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلَا سَعَيْتُ بِمِثْلِهِ:
 وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى عِمَاسِنِ وَجْهِهِ،

- (١) البشام: نوع من الشجر.
 (٢) سنة (بكر السين): التماس، النوم.
 (٣) قلص الشيء: صفر ساحته (بكر الميم). جر صباه رسنه (لجامه): كان قد جملة الشباب يندفع في ملذاته بلا ضابط.
 (٤) تسخن العين: تبيكي، تؤلم.
 (٥) عات: أفسد. الظبي جمع طبة (بضم ففتح): حدّ السيف. البلي: الفناء.
 (٦) اعتبار: تأمل في حوادث الأيام. استعمار: بكاء.
 (٧) تمحصت: انكشفت (ظهر أثرها).
 (٨) المرصة (بفتح وسكون): ساحة الدار. لا أنت أنت ولا الديار ديار = مطلع قصيدة لأبي تمام (كناية عن تبدل الأشياء تبدلاً كاملاً).
 (٩) سقر من أسله جهنم.
 * تروي أيضاً لابن عبد ربه
 (١٠) لؤلؤ (كناية عن الوجه الأبيض: الجميل). الأنيق: الذي يعجب العين. الرشا: الغزال الصغير.
 (١١) العقيق: حجر كرم أحمر اللون. (حينما يستحمي يصبح وجهه الأبيض أحمر اللون).
 (١٢) رأيت وجهك في وجهه (كأن وجهه مرآة).

يا مَنْ تَقَطَّعَ خَصْرُهُ مِنْ رِقَّةٍ، ما بِالْ قَلْبِكَ لا يَكُونُ رَقِيقًا؟
 ** وَمائِسَةٌ تُرْهِى وَقَدْ خَلَعَ الْحَيَا عليها حُلَى حُمْرًا وَأُرْدِيَّةً خُضْرًا (١) .
 يَذُوبُ لَهَا رَيْقُ الْغَنَائِمِ فِضَّةً وَيَجْمَدُ فِي أُعْطَافِهَا ذَهَبًا نَضْرًا.
 - وَقَالَ يُدَاعِبُ مِنْ بَقَلٍ عِذَارُهُ:

أُيْهِمُ التَّائِسُ، مَهْلًا، ساءَ فِي أَنْ تَيْهَتَ جَهْلًا (٢).
 هَلْ تَرَى - فِيمَا تَرَى - إِلَّا شَبَابًا قَدْ تَوَلَّى؟
 وَغَرَامًا قَدْ تَسَرَّى وَأُقُوادًا قَدْ تَسَلَّى (٣)؟
 أَيْنَ دَمَعٌ فِيكَ يَجْرِي أَيْنَ جَنْبٌ يَتَقَلَّى؟ ...

أما بعد: أيها النبيلُ النبيه، إنَّه لا يجتمعُ العِذارُ والتَّيِّبه (٤). قد كان ذلكَ وِعْضُنُ الشَّيْبَةِ رَطْبًا، وَمَنْهَلُ ذَلِكَ الْمُقْبَلِ عَذْبٌ (٥). وأما والعِذارُ قد بَقَلٌ (٦) والزمانُ قد انتقلَ والصَّبُّ قد صَحَا وَعَقَلْ، فقد رَكَدَتْ رِياحٌ (٧) الأَشْواقِ ورَقَدَتْ عَيُونُ العُشَّاقِ. فَدَعَّ عَنكَ مِنْ نَظَرَةِ التَّجَنِّيِّ وَبِشِيَةِ التَّنْثِيِّ، وَغَضُّ مِنْ عِنَانِكَ (٨) وَخَذَّ فِي تَرَضِّي إِخْوانِكَ. وَهَشَّ عِنْدَ اللِّقَاءِ هَشَّةً أُرْجِيحِيَّةً واقْتَعَّ بِالْإِيْماءِ رَجْعَ تَحِيَّةٍ (٩). فَكَأَنِّي بِفِئائِكَ

(١) يصف زهرة بتلاتها بيض وجوفها أصفر. الحيا: الطر.

(٢) التائس: المعجب (بضم الميم وفتح الجيم) بنفسه والتكبر على غيره.

(٣) تسرى: ذهب في السرقة (خرج إلى الحرب): ذهب عنك. وريما تسرى: تزوج سرية (أمة من النساء). تسلى (عنك): نسيك لاشتغاله بغيرك.

(٤) العذار: الشعر الذي ينبت في الوجه.

(٥) المنهل: المنرب (مكان الشرب). المقبل: الفم.

(٦) بقل: نبت.

(٧) ركذ: هدأ.

(٨) التجني: نسبة الذنوب إلى الآخرين، ظلم الآخرين. التنثي: التخلع، التايل بدلال. غض (اخفض) من عنانك (الجامك): اكبح نفسك، لا تحاول أن تستميل الناس بالتكبر عليهم (ذلك تفعله النساء الجميلات الشائيات).

(٩) هش: تلقى الناس بطلاقة وجهه ويتواضع. الإيماء (الإشارة). لا تنتظر من الناس أن يحتفوا بك كما كانوا يفعلون من قبل).

مهجوراً وبزائرك مأجوراً^(١). والسلام.

- ومن مُقدِّمة ديوانه (نثراً):

والشعرُ - وإنْ أهْتَبِلَ به وأَعْتَمِلَ فيه^(٢) - ليس يخلو جيده من سَقَطٍ وانقسام
إلى طَرَفَيْنِ ووسطٍ.... فكلُّ ما ينشأ من أجزاء مُتَبَلِّغَةٍ فَإِنَّا يتركبُ من أشياء
مختلفة. والشعرُ يَأْتَلَفُ من مَعْنَى ولفظٍ وعروضٍ وحرفٍ رَوِيٍّ^(٣)، فقد يتعاصى في
بعضِ الأمكنةِ جزءٌ من هذه الأجزاء أو أكثرُ.... وإنْ من قَوْلِنَا^(٤) ما كُنَّا قَدِ
افْتَتَحْنَاهُ بِمَنْشُورٍ، وَوَسَّحْنَاهُ بِفَقْرِ مُزدوجةٍ وَشُدُورٍ^(٥). وها نحن قد أوردناه كما كُنَّا
سَرَدْنَاهُ، وَنَقَلْنَاهُ بِحَسَبِ ما قُلْنَاهُ، تَعَلَّقًا بِحُرٍّ من النثرِ يُسَاقِ خِلَالَ النَّظْمِ، وَيَنْتَقِلُ
مُطَالَعُهُ من قِسْمٍ من الكلامِ إلى قسم. ولعلَّ ذلك أبسطُ للنفسِ وَأَنْشَطُ، وَأَذْهَبُ مَعَ
الأنسِ وَأَهْذَبُ^(٦). ومنه ما كان انتظَمَ في عَصْرِ الشَّيْبَةِ وبطريقِ الدُّعَابَةِ والطَّيْبَةِ؛
ولمَّا لم تُشِيرْ في معناه إلى نُكْرٍ، ولم نَلَمْ في ألفاظِهِ بِهَجْرٍ، أَتَبَنَّا في بابِ الفُكَاهَةِ
والهَزْلِ. ولعلَّ لها مَوْقِعاً من نَفْسِ الفَتَى النَّدْبِ^(٧) والسَّيِّدِ المَجْزَلِ^(٨).

- وله مقطوعة في اللُّهُو:

وَلَيْلٍ تَعَاظِنَا المُدَامَ، وَبَيْنَنَا حَدِيثٌ كما هَبَّ النسيمُ على المورِدِ.

(١) الفناء: الباحة أمام البيت. فناؤك مهجور (لا يزورك أحد). مأجور: له أجر عند الله (بالأس كانا

يزوروك لمصية. واليوم يزوروك قياماً بواجب اجتماعي).

(٢) اهتبل: انتزع فجأة (أتى عفواً). اعتمل فيه: جهد الشاعر في نظمه.

(٣) العروض: وزن الشعر. الروي: الحرف الذي تبني عليه قافية القصيدة.

(٤) قولنا: قول الشعر.

(٥) وشح: زين. الفقرة (بالكس): الجملة القصيرة. مزدوجة: جملتان متساويتان في الطول ومسجوعتان.

الشذر (بفتح فسكون): قطع صغيرة من الذهب توضع بين حبات اللؤلؤ في المقد (أتينا بين المردوجات

بجمل غير مسجوعة).

(٦) أبسط للنفس (أكثر سروراً) أذهب مع الأنس: أكثر موافقة للهو. أهدب: أشد أنراً في تهذيب النفس

(٧).

(٧) النكر: الأمر المنكر (الذي لا يجوز فعله). المجر: القول أو العمل القبيح.

(٨) الندب: الطريف. المجل: العظيم، الكثير (الوقور).

نُعَاوِدُهُ وَالكَأْسُ تَعَبَقُ نَفْحَةً؛
وَتُقَلِّي أَقَاحَ الثَّغْرِ أَوْ سَوْسَنَ الطَّلَا
إِلَى أَنْ سَرَّتْ فِي جِسْمِهِ الْكَأْسُ وَالكَرَى
فَأَقْبَلْتُ أَسْتَهْدِي لِمَا بَيْنَ أَضْغَمِي
وَعَايِنْتُهُ قَدْ سُلَّ مِنْ وَشْيٍ بُرْدِهِ:
لَيَانَ مَجَسٍّ وَاسْتِقَامَةَ قَامَةٍ
أَغَازِلُ مِنْهُ الْغَضْنَ فِي مَغْرَسِ النَّقَا
فِيَا لَمْ يَكُنْهَا أَوْ تَكُنْ فَإِنَّهُ
تَسَافَرُ كِلْتَا رَا حَتْمِي بِجِسْمِهِ،
فَتَهَيِّطُ مِنْ كَشْحِيهِ كَفِّي تِهَامَةَ

وَأَطِيبُ مِنْهُ مَا نُعِيدُ وَمَا نُبْدِي^(١)،
وَتَرَجَّسَةُ الْأَجْفَانِ أَوْ وَرْدَةُ الْخَدَّ^(٢)،
وَمَا لَا بِيْطْفِينِهِ فَالَ عَلَى عَضْدِي.
مِنْ الْحَرِّ مَا بَيْنَ الثَّغْوَرِ مِنَ الْبَرْدِ!
فَمَا يَنْتُ فِيهِ السَّيْفَ سُلَّ مِنَ الْغَيْدِ:
وَهَزَّةَ أَعْطَافِي وَرَوْتَقَ إِفْرَنْدِي^(٣).
وَالثَّمُ وَجْهَ الشَّمْسِ فِي مَطْلَعِ السَّمَدِ^(٤).
أَخْوَاهَا كَمَا قَدَّ الشِّرَاكُ مِنَ الْجِلْدِ^(٥).
فَطَوْرًا إِلَى خَصْرٍ وَطَوْرًا إِلَى نَهْدِ:
وَتَصَعَّدُ مِنْ نَهْدِيهِ أُخْرَى إِلَى نَجْدِ^(٦)!

٤ - ديوان ابن خفاجة، مصر (مطبعة جمعية المعارف) ١٢٨٦ هـ (نشره كرم بستاني)، بيروت (دار صادر) ١٩٥١ م؛ بيروت (دار صادر ودار بيروت) ١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م؛ (تحقيق مصطفى غازي)، الاسكندرية (منشأة المعارف) ١٩٦٠ م.

★ ★ ابن خفاجة، تأليف محمد رضوان الداية، بيروت (المكتب الإسلامي) ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م.

قلائد العقيان ٢٦٦ - ٢٧٨؛ الصلوة ١٠٠ وما بعدها؛ بغية الملتصق ٢٠٢ - ٢٠٣؛ الخريصة (المغرب والأندلس) ٢: ١٤٧ - ١٦٣، ٥٤٨ - ٥٥٢

- (١) ما نعيد وما نبدي (نبدا) من الكلام أو من الأفعال.
- (٢) النقل: ما يتفكك به الناس من المكسرات والفاكهة وما شابهها. أقاح وأقاحي جمع أقحوان بضم الهزرة والماء (القاموس ٤: ٣٧٦) الثغر (القم: الأسان. سوسن: زنبق. الطلاج جمع طلاة (بالضم): العنق..... يقصد أنه على الشراب لا يتناول اللوز والفتق. الخ، بل يقبل هذه الأعضاء من المحبوب.
- (٣) الليان: اللين. الإفرند: السيف.
- (٤) - فامته التي هي كالفضن. النقا: الرمل الأبيض (يقصد أن وسط المحبوب كبير كأنه تلة من النقا).
- (٥) فإن لم يكنها: إذا لم يكن هذا المحبوب هو الشمس (بالنصب على أنها خبر كان، والضمير « هو » لتوكيد اسم كان). قد: قطع. الشراك: سير من جلد.
- (٦) الكشح: أوسط الجسم (عند الخصر). تامة (ساحل الحجاز): المكان المنخفض. التجد: ما ارتفع من الأرض.

الخريدة (الأندلس) ١: ٢ - ٦ - ٦٢٥ - ١٦٣٣ الوافي بالوفيات ٦: ٨٣ - ١٩٠ وفيات
الأعيان ١: ٥٦ - ٥٧، ٣٩٥، المغرب ٢: ٣٦٧ - ٣٧١، المغرب ١١١ - ١١١٧
بغية الوعاة ١١٨٤ نفع الطيب ١: ١٦٩ - ١٧٠، ٢١٠، ٢١٠، ٥٣٦، ٥٣٩ - ٦٧٧ -
٦٨٧، ٣: ٢٠٠ - ٢٠٢، ٣١٨، ٣٢٠ - ٣٤٤، ٣٤٥، ٤٠٥، ٤٦٠، ٤٨٨ - ٤٨٩،
٤: ١٤ - ١٥، راجع ٥٤، ١٠٦ - ١٠٧، ٣٢٨، ٤٥٥، ٥٩٨ دائرة المعارف
الإسلامية ٣: ٨٢٢ - ٨٢٣ بروكلمن ١: ٣٢١، الملحق ١: ٤٨١ - ٤٨٢ مختارات
نيكل ١٥٠ - ١٥٤ تاريخ الفكر الأندلسي ١٢٣ - ١٢٥ الأعلام للزركلي ١: ٥١
(٥٧)، سركيس ١٩٥ تاريخ النقد (عباس) ٤٩٧ - ٤٩٩ نيكل ٢٢٧ - ٢٣١.

أبو الفضل بن شرف

١ - هو أبو الفضل جعفر بن محمد بن شرف القيرواني، وُلِدَ في بَرَجَّةَ، قرب المَرِيَّةِ (الأندلس) في الغالب، سَنَةَ ٤٥٠ هـ (١٠٥٨ م) أو بعدها بقليل^(١). وكان أبو الفضل يتزانياً بزيّ البدو. وجاء بهذا الزي من بَرَجَّةَ إلى المَرِيَّةِ لِيَمْدَحَ المعتمَصَ بنَ صَاحِدِج^(٢). ويبدو أنَّ حاله ارتقت بعد ذلك فَكَثُرَ اتِّصَالُهُ بملوكِ الطوائف وتولَّى عندهم عدداً من المناصب ثم تولَّى مَنْصِبَ الوزارة^(٣). وكانت وفاة أبي الفضل جعفر بن شرف سَنَةَ ٥٣٤ هـ (١١٤٠ م).

٢ - أبو الفضل بن شرف « هو الحكيم الفيلسوف » (نفع الطيب ٣: ٣٩٥)، وهو

(١) في نفع الطيب (٣: ٣٩٥) «... ولد ببرجة، وقيل إنّه دخل الأندلس مع أبيه وهو ابن سبع سنين». ويبدو أن حسن حسني عبد الوهاب قد قبل أن يكون مولد جعفر بن شرف في القيروان ودخوله إلى الأندلس في السابعة من عمره. وبما أن أبا عبد الله محمد بن شرف (والد أبي الفضل جعفر) قد دخل إلى الأندلس في نحو سنة ٤٥٠ هـ، فقد جعل ولادة جعفر سنة ٤٤٤ هـ (مجلد تاريخ الأدب الأندلسي ١٧٧).

(٢) كان محمد بن معن المعتمَصَ بن صَاحِدِجَ من ملوك الطوائف في المَرِيَّةِ وما حولها. ويبدو أن جعفر بن شرف كان في مقتبل عمره لما جاء إلى المعتمَصَ بن صَاحِدِجَ ما دحا. ولعلّ ذلك كان قبل معركة الزلاقة (٤٧٩ هـ)، فإنّ ملوك الطوائف اشتغلوا بعد تلك المعركة بدفاع المرابطين عمّا كان يهددهم من البلاد التي كان النصارى الإسبان يستولون عليها قليلاً قليلاً، أي قبل أن يبلغ جعفر بن شرف الثلاثين من عمره.

(٣) مجلد تاريخ الأدب التونسي ١٧٧.

« فقيهٌ مشهورٌ » (بغية الملتبس ص ٢٣٩). ثم هو كاتبٌ شاعرٌ مليحٌ المعاني عذبُ الكلام زادَ في رِقَّةِ الشعرِ على أبيه^(١). وتراه أحياناً يسمو بشعره إلى المتانةِ والحشونةِ حتى يكادَ شعره يُصبحُ بدويّاً جاهليّاً، كما يسمو أحياناً أخرى إلى مُعارضةِ المتنبيِّ فيقاربهُ في الألفاظِ وبناءِ الأبياتِ، وربّما لمَحَ لَمَحَةً أذنته من معاني المتنبيِّ. وله أرجوزة^(٢) في الزُهدِ وذكُرَ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصحابَةِ، ولعلَّ له تصانيفاً.

٣ - مختارات من آثاره:

- لأبي الفضل جعفر بن محمد بن محمد بن شرف حكم منها:

العالم مع العلم كالناظر إلى البحر يستعظم منه ما يرى، وما غاب عنه أكثر -
الفاضل في الزمن السوء كالصباح في البراح^(٣)، قد كان يضيء لو تركته الرياح -
التعليم فلاحه الأذهان، وليست كلُّ أرضٍ منبته - الحازم من شكِّ فروى وأيقن
فبادر^(٤) - ليس المحروم من سأل فلم يُعطَ، وإنَّ المحروم من أُعطي فلم يأخذ.

- وقال يمدحُ محمدَ بنَ مَعْنِ المعتمَمَ بنَ صَاحِبِ المَرِيَّةِ:

مَطَسَلَ اللَّيْلُ بوعِدِ الفَلَقِ	وتَشَكَّى النَجْمُ طَوْلَ الأَرَقِ ^(٥) .
ضربتُ رِيحُ الصَّبَا مِنْكَ الدُّجَى	فأستفادَ الرِوضُ طيِّبَ العَبَقِ ^(٦) .
وَألَاحَ الفَجْرُ خَدًّا خَجَلًا	جال من رَشَحِ النَّدى في عَرَقِ ^(٧) .

(١) خلط كثير من رواة الأدب والمؤرخين في تاريخ الأدب بين أشعار أبي عبد الله محمد بن شرف وبين أشعار ابنه أبي الفضل جعفر.

(٢) فهرسة ابن خبير ٤٢٣.

(٣) البراح: المتسع من الأرض لا زرع فيها ولا شجر.

(٤) الباردة: ما يسرع به الإنسان من قول أو عمل.

(٥) الفلق: اشتقاق الفجر (طلوع الصبح). الأرق: السهر، قلة النوم. - لم يفِ الليل بوعده في طلوع الصبح في حينه فسئمت النجوم من سهرها في هذا الليل الطويل.

(٦) ريح الصبا الشرقية (الباردة) اختلطت بلون الليل (الذي يشبه المسك الأسود) فنتجت (بالبناء للمجهول) منه رائحة طيبة.

(٧) ألح (أبدى، أظهر، أدار) الفجر خدًّا خجلًا: بدأ ظهور الفجر، فظهرت (في النور القليل) نقاط =

جاوزَ الليلَ إلى أنجُمِهِ فتساقَطَنَ سقوطَ الورقِ (١).
 واستفاضَ الصبحُ فيه فيضَةً أيقنَ النجمُ لها بالفرقِ (٢).
 فأنجلى ذاك السنا عن حلكِ، وأمحى ذاك الدجى عن شفقِ (٣).
 بأبي بعدَ الكرى طيفٌ سرى طارقاً عن سكرٍ لم يطرقِ (٤)،
 زارني والليلُ ناعٍ يدفقه وهو مطلوبٌ ببعضِ الرمقِ (٥).
 ودموعُ الطلِّ تمرُّها الصبا، وجفونُ الروضِ غرقى الحدقِ (٦)؛
 فتأتى في إزار ثابتٍ، وتثنى في وشاحِ قلبِقي (٧).
 ونجلى وجهه عن شعره فتجلى فلقٌ عن غسقِ (٨).
 نهبَ الصبحُ دجى ليلته فحبا الخدَّ ببعضِ الشفقِ (٩).

- =
 (١) - بعد أن بدأ الفجر بطرد الليل وصل إلى النجوم فأخذت تحتفي نجماً بعد نجم (كما تساقط أوراق الشجر في الخريف).
 (٢) ثم جاءت دفعة جديدة من نور الفجر فأيقنت النجوم أنها ستختفي كلها بعد ذلك.
 (٣) فتبدت السنا (النور) بعد الحلك (الظلام). وذهب الدجى (ظلام الليل) وبقي مكانه الشفق (حرة الفجر).
 (٤) أفدي بأبي = أي فداء: ما أحسن هذا الطيف (الخيال الذي رأيته في المنام) والذي جاء في آخر الليل (بعد أن نمت). طارقاً: مفاجئاً (على غير انتظار). سكن: شيء تسكن إليه، تسر به. لم يطرق: لم يزر (قبل الآن).
 (٥) ناعٍ يدفقه (شدة ظلامه): وقد أوشك أن ينتهي. وهو مطلوب: يطلبه (يلحق به) الصبح ليجهز عليه، ولا يزال فيه بعض الرمق (بقية بسيرة).
 (٦) - وكانت نقاط الندى قد بدأت تمرُّها الصبا (قد بدأت ريح الصبا العليلة المنفيفة تهبُّ الأغصان فتساقط حبات الندى). بينما بقي عدد من الأزهار تملأه نقاط الندى (وعيون الروض، أي الأزهار) غرقى (بملاها الندى). الحدق: العيون (هنا: قلب الزهر).
 (٧) فتأتى (المحبوب الذي جاء في المنام): سار على مهل. يلزار ثابت (كان إزاره، أي الثوب الذي على القسم الأدنى من جسمه، ثابتاً لا يتحرك، لأنَّ أوسط جسمه مليء مكنتز) ويتثنى (يتناهل بدلال) بوشاح (عقد أو شيء تطرحه المرأة على أكتافها) فلق (كثير التحرك، لأنَّ القسم الأعلى من جسد المحبوب أهيف، رشيق، ناعل).
 (٨) ولما أراح شعره عن وجهه فكأنه أزال الفسق (الظلام: شعره الأسود) عن الفلق (الصبح: وجهه الأبيض).
 (٩) إنَّ الليل قد أخذ لونه من سواد شعر المحبوب وعوضه عن ذلك شيئاً من الحمرة في خده.

سَلَبَتْ عَيْنَاهُ حَدِيثِي سَيْفِهِ وَتَحَلَّى خَدَّهُ بِالرَّوْنَقِ (١) .
 وَهَذَا أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ بَيْتًا تَصِفُ فِرْسًا وَفَارِسَهُ وَجَوْلَانَهُمَا فِي مَعْرَكَةٍ خَيَالِيَةٍ
 يَتَّخِذُهَا الشَّاعِرُ وَسِيلَةً إِلَى الْإِتْيَانِ بِصُورٍ بِلَاغِيَةٍ بَارِعَةٍ مَعَ عَدِيدٍ مِنَ الْأَلْفَاظِ الْغَرِيبَةِ .
 وَتَنْتَهِي الْقَصِيدَةُ بِأَرْبَعَةِ آيَاتٍ فِي الْمَدِيحِ ، هِيَ :

يَا بَنِي مَعْنٍ لَقَدْ ظَلَّمْتُ بِكُمْ شَجَرَ لَوْلَاكُمْ لَمْ تُورِقِ (٢) .
 لَوْ سَقَى حَسَّانٌ إِحْسَانَكُمْ مَا بَكَى نُدْمَانَهُ فِي جِلْقِ (٣) .
 أَوْ دَنَا الطَّائِيَّ مِنْ حَيْكَمٍ مَا حَادَ الْبَرْقَ لَرِيعِ الْأَبْرِقِ (٤) .
 أَبْدَعُوا فِي الْفَضْلِ حَتَّى كَلَّفُوا كَاهِلَ الْأَيَّامِ مَا لَمْ يُطِيقِ (٥) .

- وَهِيَ مِنْ قَصِيدَةِ فِي الْحَمَاسَةِ وَالْحِكْمَةِ :

إِنِّي - وَإِنْ غَرَّيَ نَيْلُ الْمُنَى - لِأَرَى حِرْصَ الْفَقِي خَلَّةً زِيدَتْ إِلَى الْعَدَمِ (٦) .
 تَقَلَّدْتَنِي اللَّيَالِي وَهِيَ مُدْبِرَةٌ كَأَنِّي صَارِمٌ فِي كَفِّ مُنْهَزِمِ (٧) !
 ذَهَبْتُ بِالنَّفْسِ لَا أَلْوِي عَلَى نَسَبِ ، وَإِنْ دُعِيْتُ بِهِ أَبْنِ الْهَجْدِ وَالْكَرَمِ (٨) .

(١) فِي عَيْنَيْهِ وَخَدَّهُ صِفَاتِ السَّيْفِ : حَدَّ السَّيْفِ الْقَاطِعِ فِي عَيْنَيْهِ ، وَلَوْنِ السَّيْفِ الْجَلْوِ الْأَبْيَضِ فِي وَجْهِهِ .
 الرَّوْنَقُ : الْجَمَالُ وَالْبَيَاضُ .

(٢) ظَلَّمْتُ = أَظَلَّمْتُ : ظَلَّمْتُ (النَّاسَ) بِحُكْمِكَ الْأَمِينِ الْعَادِلِ وَبِكِرْمِكَ .

(٣) لَوْ أَنَّ كِرْمَكَ وَصَلَ إِلَى حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ لَنَسِيَ (لَمَّا ذَكَرَ حَسَّانَ) كِرْمَ مَدْمُوحِيهِ فِي جِلْقٍ (بِصْرِي عَاصِمَةَ
 الْفُصَّاسَةِ) . كَانَ حَسَّانٌ قَدْ قَالَ :

لَهُ دَرٌّ عَصَابَةٌ نَادِمَتُهُمْ يَوْمًا مَجْلَقٌ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ .

يُمْكِنُ ضَبْطُ هَذَا الْبَيْتِ بِنَاءِ « سَقَى » لِلْمَجْهُولِ (سَقَى) وَبِرَفْعِ حَسَّانَ وَنَسْبِ إِحْسَانِكَ .

(٤) وَلَوْ أَنَّ حَاتِمًا الطَّائِيَّ جَاوَرَكُم مَدَّةً لَمَّا اشْتَقَّ إِلَى رِيعِ الْأَبْرِقِ .

(٥) لَقَدْ جَاءَ الْمَدْمُوحُونَ (بِنَوْمَانِ) بِبِدْعِ (أَشْيَاءٍ لَمْ تَعْرِفْ مِنْ قَبْلِ) فِي الْكَرْمِ ، حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدًا أَرَادَ
 تَقْلِيدَهُمْ لَمْ يَسْتَطِعْ .

(٦) الْحِرْصُ : الْجَمْعُ ، الطَّمَعُ فِي الْحَصُولِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ . الْحَلَّةُ (بِفَتْحِ الْحَاءِ) : الْحَصَلَةُ ، الْحَاصَةُ ، الصَّفَةُ .
 الْعَدَمُ : الْفَقْرُ .

(٧) تَقَلَّدْتَنِي اللَّيَالِي : حَلَّتَنِي ، تَزَيَّنَّتْ بِي . مُدْبِرَةٌ : مُتَقَهَّرَةٌ ، (أَيَّامُ فُقْرٍ وَهَزِيمَةٍ) . صَارِمٌ : سَيْفٌ - جَثَّتْ فِي
 زَمَانٍ لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَسْتَفِيدَ فِيهِ مِنْ مَوَاهِي .

(٨) ذَهَبْتُ بِالنَّفْسِ (بِنَفْسِي) : تَكَبَّرْتُ ، فَضَّلْتُ نَفْسِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، تَرَفَعْتُ عَنْ أُمُورِ الدُّنْيَا . لَا أَلْوِي
 (أَلْتَفَتُ) إِلَى نَسَبِ (مَالٍ ، ثَرْوَةٍ) .

فللمصارع أطرافُ اليراعِ يدٌ بَنَتْ لِي المجدَ بينَ السيفِ والقلمِ^(١).

- وقال يشكو الدهر وأهله (نفع الطيب ٣ : ٢٢٩):

لمرُكٌ ما حَصَلْتُ على خَطِيرٍ من الدنيا ولا أذركُ شيئاً^(٢).
وها أنا خارجٌ منها سَلِيباً أَقْلَبُ نادماً كِلتا يديَّما.
وأبكي ثم أَعْلَمُ أن مَبَكَايَ لا يُجدي فأسحَ مَقَلَّتِيَا^(٣).
ولم أَجزَعِ مَوَلِ الموت لكنْ بَكَيْتُ لِقَلْبِ الباكِي عليَّما،
وأنَّ الدهرَ لم يَعلَمْ مَكاني ولا عَرَفتُ بَنُوهُ ما لَدَيَّما،
زَمَانٌ سوف أنشُرُ فيه نَشْرًا إذا أنا بالحمَامِ طُويت طَيًّا^(٤).
أَسْرُ بِأَنسِي سَاعِيشُ مَيِّتًا به، ويسوءُني أن مِتُّ حَيًّا^(٥).

- وفد أبو الفضل بنُ شرفٍ مرَّةً على المَعتَمِ بنِ صَهاجٍ يشكو إليه عاملاً (جاني ضرائب) ناقشه في قريةٍ يحرثُ فيها، ومدحه بقصيدةٍ مطلعها (نفع الطيب ٣ : ٣٩٦):

قامتَ تجرُّ ذُبُولَ العَصَبِ والحِجِيرِ ضَعِيفَةُ الحَصْرِ والمِيثاقِ والنَظَرِ^(١).
لم يَبسُقِ للجَوْرِ في أَيَّامِكِ أُنثَرُ إِلَّا الذي في عُيُونِ الفَيْدِ من حَوَرِ^(٢).
من كَلِّ ماذِيَةِ أُنثَى، فيا عَجَبًا كيف استهانَت بوقعِ الصارمِ الذَكَرِ^(٣).

- وقال في التملُّقِ والمدارة:

إذا ما عدُّوكِ يوماً سما إلى رُبْتِبةٍ لم تَسْتَطِعِ نَقْضَها،

(١) اليراعة: القصة الجوفاء (القلم) - ولعلها الرماح (٢).

(٢) خطير: عظيم، مهم، ذو قيمة.

(٣) مجدي: ينفع.

(٤) أنشر: أبكت (اشتهر). الحمام: الموت.

(٥) عشت مَيِّتًا (مغموراً، مجهولاً)، وساعيش مَيِّتًا: سأشتهر بعد موتي.

(٦) العصب: نوع من البرود (ثياب الحرير المصنوعة: المنسوجة بالذهب). الحير: الثياب حرير سود.

(٧) الفيداء: المرأة الجميلة. الحور: شدة أبيضاض بياض العين وشدة أسوداد سوادها.

(٨) الماذية الدرع (والدرع التي تلبس في الحرب مؤنثة). الصارم الذكر: السيف الذي سمي الذكرة (بضم

الذال)، الفولاذ.

فَقَبْلَ - وَلَا تَأْتَنُ - كَفَّه إِذَا أَنْتَ لَمْ تَسْتَطِعْ عَصَهَا.

- ٤- ** * فلاند العقيان ٢٩٠ - ٣١٤، الصلة ١٣١، التكملة ١٨٧٠، الذخيرة ٣: ٨٦٧ -
١٨٨٦، الخريدة (المغرب والأندلس) ٢: ١٧١ - ١٨١، الخريدة (الأندلس) ٢:
٢٣ - ٣٩، المغرب ٢: ٢٣٠ - ٢٣٢، نفع الطيب ١: ١٥١، ٣: ٢٢٩، ٣٧١،
٣٩٣ - ٣٩٦، ٣٩٧، دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٩٣٦ - ٩٣٧، نيكل ١٨٧ -
١٨٨، مختارات نيكل ١٢٩ - ١٣٠، الأعلام للزركلي ٢: ١٢٤ (١٢٨).

أبو العباسِ بنُ العَرِيفِ

١ - هُوَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُوسَى بْنِ عَطَاءِ اللَّهِ الصَّنَهَاجِيِّ الْأَنْدَلِسِيِّ الْمَرْيَمِيِّ، مِنْ قَبِيلَةِ صَنْهَاجَةَ وَمَنْسُوباً إِلَى مَدِينَةِ الْمَرْيَمَةِ فِي الْأَنْدَلُسِ (وَفِيَاتِ الْأَعْيَانِ ١: ٩٤).

وَلَدَ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ الْعَرِيفِ فِي الثَّانِي مِنْ جُمَادَى الْأُولَى مِنْ سَنَةِ ٤٨١ (١٠٨٨/٨/٢٣ م). وَقَدْ كَانَ مِنْ رِجَالِ التَّصَوُّفِ الصَّالِحِينَ. وَكَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَاضِي عِيَاضِ بْنِ مُوسَى الْبَحْصِيِّ (ت ٥٤٤ هـ) مَكَاتِبَاتٌ. وَوَسَّى بِهِ بَعْضُ أَعْدَائِهِ إِلَى سُلْطَانِ الْمُرَابِطِينَ عَلِيِّ بْنِ يَوْسَفَ بْنِ تَاشَفِينَ فَاِسْتَقَدَّمَهُ عَلَيْهِ بِنُ يَوْسَفَ إِلَى مَرَّاكُشَ. وَفِي مَرَّاكُشَ تُوُفِّيَ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ الْعَرِيفِ، فِي ٢٢ مِنْ صَفَرٍ مِنْ سَنَةِ ٥٣٦ (١١٤١/٩/٢٦ م).

٢ - كَانَ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ الْعَرِيفِ الصَّنَهَاجِيِّ مِنْ كِبَارِ الصَّالِحِينَ، وَقَدْ كَانَتْ لَهُ مُشَارَكَةٌ فِي أَشْيَاءَ مِنَ الْعُلُومِ وَعِنَايَةٌ بِالْقِرَاءَاتِ كَمَا كَانَتْ لَهُ كُتُبٌ مِنْهَا « كِتَابُ الْمَجَالِسِ » (تَمَا يَتَعَلَّقُ بِطَرِيقَةِ الصُّوفِيَّةِ). وَكَذَلِكَ كَانَ لَهُ نَظْمٌ حَسَنٌ عَلَى الطَّرِيقَةِ الصُّوفِيَّةِ.

٣ - مختارات من شعره:

- لأبي العباس بن العريف أبيات رقيقة على مذهب الصوفية (بغية الملتمس ١٥٥؛ وفيات الأعيان ١: ٩٤):

شَدَّوْا الْمَطِيَّ وَقَد نَالُوا الْمُنَى بَيْنِي ،
سَارَتْ رَكَائِبُهُمْ تَنْدَى رَوَائِحُهَا
وَكُلُّهُمْ بِاللِّيمِ الشَّوْقِ قَدْ بَا حَا (١) .
طَيِّباً بَمَا طَابَ ذَاكَ الْوَقْدُ أَشْبَا حَا (٢) :
رَوْحٌ إِذَا شَرِبُوا مِنْ ذِكْرِهِ رَا حَا (٣) .
زُرْتُمْ جُسُوماً وَرَزْنَا نَحْنُ أَرْوَاحَا (٤) .
وَمَنْ أَقَامَ عَلَى عُدْرٍ كَمَنْ رَا حَا (٥) .

- وقال أبو العباس بن العريف (نفح الطيب ٥ : ٥٩٨):

لَسْتُ أُدْرِي أَطَالَ لَيْلِي أَمْ لَا ،
لَوْ تَفَرَّغْتُ لِاسْتِطَالَةِ لَيْلِي
كَيْفَ يَدْرِي بِذَاكَ مَنْ يَتَقَلَّى (٦) ؟
وَلِرَغْبِي النَّجْمُ كُنْتُ مُخَلَّأ (٧) .
إِنَّ لِلْعَاشِقِينَ عَنِ قِصْرِ اللَّيْلِ
لِي وَعَنْ طَوْلِهِ مِنَ الْفِكْرِ شُغْلَا (٨) .
- وقال (نفح الطيب ٤ : ٣٣١):

إِذَا نَزَلْتُ بِبَاحْتِكَ الرَّزَايَا
فَإِنَّ لِكُلِّ نَازِلَةٍ عِزَاءً
فَلَا تَجَزَّعْ لَهَا جَزَعُ الصَّبِيِّ (٩) .
بِمَا قَدْ كَانَ مِنْ فَقْدِ النَّهْيِ (١٠) .

- (١) أَسْرَجُوا مَطَاهِمَ (خيلهم وإبلهم) وسافروا عليها. بنى منسك من مناسك الحج شرق مكة.
- (٢) مطاهم كانت ذات رائحة طيبة وأجسامهم كانت ذات رائحة طيبة.
- (٣) الروح (بالفتح): الراحة، السرور. إذا ذكروا الرسول طربوا كما يطرب الذي يشرب الراح (الحمر).
- (٤) المختار من أسماء الرسول. مضر: من عرب الشمال. - أجسامكم زارت الأجسام (الأنبية) في مكة، ولكن أرواحنا التقت بذكر الرسول والشوق إلى تلك الأماكن (التي زرتوها أتم بأجسامكم).
- (٥) نحن أقمننا (في بلادنا: لم نذهب إلى الحج) عن عذر (لأننا غير مستطيعين أن نذهب إلى الحج) وعن قدر (والله تعالى لم يكتب لنا أن نذهب إلى الحج). ولكننا في الأجر سواء (أتم رغبت في الذهاب إلى الحج وبسر الله لكم ذلك. ونحن رغبتنا في الذهاب إلى الحج ولم يسر الله لنا ذلك).
- (٦) تقلى: جلس مضطرباً متلعللاً (كأنه يتقلب في المقل على النار).
- (٧) لو كنت أفكر في طول الليل وقصره (في أمور هذا العالم) لكنت مخلاً (مفصراً): كنت متلهياً عن ذكر الله بذكر أشياء لا قيمة لها.
- (٨) إن العاشقين (الحبين لله - من أهل التصوف) يشغلهم (بفتح الياء والهمزة) ذكرهم الله عن كل شيء.
- (٩) الرزية: المصيبة الكبيرة. الجزع: الخوف مع الاضطراب.
- (١٠) النازلة: المصيبة. عزاء: تسلية، نسيان. - إن الذين يدركون مصيبة المسلمين بوفاة الرسول همون عندهم جميع المصائب الأخرى.

٤- محاسن المجالس (تحقيق آسين بالاثيوس)، باريس ١٩٣٣ م.
 ** بغية الملتبس ١٥٤ - ١٥٥ المقتضب ١٧ الوافي بالوفيات ٨: ١٣٣ - ١٣٥ وفيات
 الأعيان ١: ٩٣ - ٩٤ المغرب ٢: ٣١١ - ٣١٢ الطرب ٩٠ - ٩١، شذرات الذهب
 ٤: ١١١٢ نفع الطيب ٣: ٢٢٩ - ٢٣٠، ٤: ٣١٩، ٣٣١، ٥: ٥٩٧، ٥٩٨ دائرة
 المعارف الإسلامية ٣: ٧١٢ - ٧١٣ بروكلمن ١: ٥٥٩، الملحق ١: ٧٧٦، الأعلام
 للزركلي ١: ٢٠٨ - ٢٠٩ (٢١٥).

ابن برنجال

١- هو أبو بكر أبو علي محمد بن الحسن بن يحيى بن خلف الأموي الأندلسي
 ويعرف بابن برنجال. كان من أهل دانية (بشرق الأندلس)، سمع في بلده من طاهر
 ابن هشام وغيره. ثم رحل إلى المشرق وحج. وقد سمع في القدس (٤٦٥ هـ) من أبي
 الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي (٣٧٧ - ٤٩٠ هـ) وفي عسقلان (فلسطين) وغيرها.
 وكان (٤٦٩ هـ) في الإسكندرية يتصدّر للتدريس فأخذ عنه الناس. ولكن نزلت به
 ضيقة ثم أنفجرت بأن تولى القضاء في الصعيد (مصر العليا) ثم في وادي إخم.
 وعاد ابن برنجال إلى الأندلس وتصدّر في دانية للتدريس (٤٧٢ هـ) وتولى
 القضاء فيها أيضاً. وكانت وفاته في دانية في الثالث والعشرين من رجب من سنة
 ٥٣٦ (٢٠/٢/١١٤٢ م).

٢- كان ابن برنجال الأندلسي فقيهاً مالكيًا من أهل الدّراية في الفقه والحديث
 والنحو. وكان أيضاً أديباً شاعراً. وشعره وجداني سهل يدل على تسامي نفسه.

٣- مختارات من آثاره:

قال ابن برنجال عن نفسه (وكان في مصر):

أملقت سنة من السينين، فقلت: أدركتني حرفة الأدب^(١)، فمرمت على أن أقول

(١) أملق الرجل: افتقر. أدركتني (لحقتني) حرفة الأدب: قول شائع معناه أن العاملين في حقل الآداب
 والعلوم والدين لا تعظم ثرواتهم في الغالب، كما يقول ابن خلدون.

شِعْرًا فِي وَالِي عَيْذَابٍ أَمْتَدَّحُهُ وَأَسْتَحْذِيهِ^(١). أَخْرَجْتَ نَفْسِي إِلَى السَّحَرِ وَأَعَدَدْتُ دَوَاةً
وَقُرْطَاسًا فَلَمْ يُسَاعِدْنِي الْقَوْلُ فِيهِ^(٢) بِشَيْءٍ. وَأَجْرَى اللَّهُ الْقَلَمَ بِأَنْ كَتَبَ:

قالوا: تَعَطَّفَ قُلُوبَ النَّاسِ! قُلْتُ لَهُمْ: أَدْنَى مِنَ النَّاسِ عَطْفًا خَالَقُ النَّاسِ.

وَلَوْ عَلِمْتُ لَسَعَيْي أَوْ لِمَسَائِلِي جَدَوِي، أَتَيْتُهُمْ سَخِيًّا عَلَى الرَّاسِ^(٣).

لَكِنَّ مِثْلِي فِي سَاحَاتِ مِثْلِهِمْ كَمَزَجَرِ الْكَلْبِ يَرعى غَفْلَةَ الْخَاسِي^(٤).

وَكَيْفَ أَبْسُطُ كَفِّي لِلسُّؤَالِ وَقَدْ قَبَضْتُهَا عَنْ بَنِي الدُّنْيَا عَلَى الْيَاسِ^(٥).

تَسْلِيمُ أَمْرِي إِلَى الرَّحْمَنِ أَمْتَلُ فِي مِثْلِي مِنَ اسْتِلاَمِي كَفَّ الْبَرِّ وَالْقَاسِي^(٦).

فَقَنَعْتُ نَفْسِي وَأَقْبَلَ أَنْسِي وَحَدِثْتُ اللَّهَ جَلًّا وَعَزًّا وَشَكَرْتُهُ عَلَى مَا صَرَفَنِي عَنْهُ مِنْ
اسْتِجْدَاءِ مَخْلُوقٍ مِثْلِي. فَهَا لَبِثْتُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ حَتَّى جَاءَ فِي كِتَابِ وَالِي عَيْذَابٍ يُؤَلِّينِي
فِيهِ بِحُطَّةِ قِضَاءِ الْقِضَاءِ^(٧) بِالصَّمِيدِ ثُمَّ وَادِي إِخِيمٍ.

٤-٥ * * * الحمدون ٣٠٥ - ١٣٠٦ نفع الطيب ٢ : ٥٠٨.

الإمام المازري

١ - هو أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر بن محمد التميمي المشهور بالمازري^(٨) نسبة

(١) عيذاب: مرفأ في جنوب مصر على البحر الأحمر. أستحذيه: أطلب منه حذاء أو عطاء.

(٢) السحر: آخر الليل قبل الفجر (يكون الإنسان في مثل هذا الوقت قد نال قسطاً كافياً من النوم

وارتاح جسمه وعقله فيكون أكثر نشاطاً وأقدر على نظم الشعر وعلى غير نظم الشعر).

(٣) جدوى: فائدة.

(٤) في الأصل: ساحات مثلكم. والمعنى يقتضي: مثلهم. مزجر الكلب (الجلوس بعيداً) يرعى (يراقب)

غفلة الخاسي (الخاسيء) والخاسي من الكلاب الذي لا يترك أن يدنو من الناس. والشاعر

يقصد بالخاسيء الذي يطرد الكلب. فيقول الشاعر أراقب غفلة الذين يطردونني، فإذا غفلوا عني

أقربت من طعامهم.

(٥) قبضتها عن بني الدنيا على الياس: كنت قد مدت يدي إلى الناس مراراً فرجعت يدي فارغة

ورجعت أنا بالئس من خيرهم.

(٦) أمثل: أليق. الاستلام: تقبل اليد ونحوها. البر: التقى، الرفيق بالناس.

(٧) استجداء: طلب الجدوى (المطية). قاضي القضاة: منصب يتناول القضاء العام غير قاصر على بقعة

معينة.

(٨) معظم هذه الترجمة مبني على كتاب حسن حسني عبد الوهاب (ت ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م).

إلى مازر^(١)، وهي بلدة على الساحل الجنوبي من جزيرة صقلية (أو سقلية). ويبدو أن مولده كان في المهديّة (بالقُطر التونسيّ)، نحو سنة ٤٥٣ هـ (١٠٦١ م)، وفيها نشأ وتلقّى علومه على نفرٍ من علماء المهديّة، منهم الفقيه أبو الحسن عليّ بن محمّد الرّبيعيّ اللّخميّ (ت ٤٧٨ هـ) وأبو محمّد عبد الحميد بن محمّد المعروف بابن الصّائغ (ت ٤٨٦ هـ).

تصدّر المازريّ للتدريس في المهديّة وقصده الطّلاب من القطر التونسيّ ومن خارجه. وكانت وفاته في (يوم الاثنين) ثامن عشر ربيع الأوّل من سنة ٥٣٦ (١١٤١/١٠/٢١ م). في المهديّة.

٢- كان الإمام المازريّ محدثاً حافظاً وفقياً مجتهداً، إلّا أن قلّمه (كتابته) أبلغ من لسانه (كلامه)، وإن كان كثير الاستشهاد بالأدب كثير الإيراد للحكايات. وكان ناثراً يشبه نثره نشر الفقهاء عامّة، ولعله كان ينظّم أيضاً. وقد تعلم المازريّ الطّب. ثم هو مصنّف للكتب كثير، له: المُعلّم بفوائد مُسلم (وهو مجموع ملاحظات أباها المازريّ لما قرأه عليه صحيح مُسلم القشيريّ، في المهديّة، في رمضان من سنة ٤٩٩ هـ؛ ولا تبلغ تلك الملاحظات إلى أن تكون شرحاً) - إيضاح الحصول من برهان الأصول (وهو شرح على: البرهان في أصول الفقه لإمام الحرّمين أبي المعالي عبد الملك بن محمّد الجوينيّ؛ وكتاب البرهان مفقود) - المُعين على التلقين (شرح كبير على كتاب «التلقين» لأبي محمّد عبد الوهاب بن عليّ الثّلجيّ المالكيّ، قاضي بغداد والمتوفى سنة ٤٢٢ هـ) - نظّم الفرائد في علم العقائد (صنّفه المازريّ في المعتقدات وأصولها) - تعليق على «مدوّنة» سحنون (المتوفى سنة ٢٤٠ هـ) - عدد من «الأمالي» على «رسائل إخوان الصفا» (في إيضاح عدد من مشكلات هذه الرسائل في العلوم الرياضيّة والآراء الفلسفيّة) - «الواضح في قطع لسان النابح» (في الردّ على مُسلم كان في صقلية ثم ارتدّ وجعل يطعن على الإسلام) - كشف الغطا عن لس الخطا - كتاب في الطب (٢) - تثقيف مقالة أولى الفتوى وتعنيف أهل الجهالة والدعوى.

(١) مازر (بفتح الزاي) - راجع تاج العروس (الكويت) ١٤ : ١٢٠.

مختارات من آثاره:

- قال الإمام أبو عبد الله محمد بن علي المازري:

ما أَقْنَيْتُ قطُّ بغير المشهور، ولا أَقْنِي به (بغير المشهور).

- وقال الإمام المازري في الإفتاء قولاً على شيء من التفصيل:

ولست أَحِيلُ النَّاسَ على غير المشهور من قول العلماء، لَأَنَّ الْوَرَعَ^(١) قَلَّ، بَلْ كَادَ يُعَدُّمُ. وَالتَّحْفَظُ على الدياتِ كذلك^(٢). و(قد) كَثُرَتِ الشَّهَوَاتُ وَكَثُرَ مَنْ يَدْعِي الْعِلْمَ وَالتَّجَاسِرَ^(٣) على الفَتْوَى. وَلَوْ فُتِحَ لِهَوْلَاءِ بَابُ مُخَالَفَةِ الْمَشْهُورِ مِنَ الْمَذْهَبِ لَأَتَّسَعَ الْخَيْرُ عَلَى الرَّاقِعِ^(٤) وَ(لَ) هَتَكُوا حِجَابَ هَيْبَةِ الدِّينِ. وَهَذَا مِنَ الْمُسْذَمَاتِ الَّتِي لَا خَفَاءَ فِيهَا.

- وسئل الإمام المازري عن الأحكام التي يُضَيِّرُهَا الْقَضَاءُ الْمُسْلِمُونَ فِي صِغَلِيَّةٍ

(وصغلية يومذاك في حكم دولة غير مسلمة)، كما سُئِلَ عن إقَامَةِ الْمُسْلِمِينَ فِيهَا: أَيِ اخْتِيَارِيَّةٍ مِنْهُمْ أَمْ اضْطِرَارِيَّةٍ؟ فَقَالَ:

الْقَادِحُ فِي هَذَا^(٥) عَلَى وَجْهَيْنِ: الْأَوَّلُ فِي الْكَلَامِ عَلَى الْقَاضِي مِنْ نَاحِيَةِ الْعَدَالَةِ

(إِذَا) أَقَامَ بِبَلَدٍ الْحَرْبِ فِي قِيَادَةِ أَهْلِ الْكُفْرِ. وَذَلِكَ لَا يُبَاحُ. وَالثَّانِي مِنْ نَاحِيَةِ الْوِلَايَةِ، إِذْ هُوَ مَوْلَى^(٦) مِنْ قِبَلِ أَهْلِ الْكُفْرِ. فَالْأَوَّلُ لَهُ قَاعِدَةٌ يُعْتَمَدُ عَلَيْهَا (اقْرَأْ: تَعْتَمَدُ) شَرْعاً - وَهِيَ تَحْسِينُ الظَّنِّ بِالْمُسْلِمِينَ وَمُبَاعَدَةُ الْمَعَاصِي عَنِّيهِمْ، فَلَا يُعَدَّلُ^(٧) عَنِ هَذَا الْأَصْلِ لِظُنُونٍ قَدْ تَكُونُ كَاذِبَةً. وَمِثَالُهُ حُكْمُنَا بِظَاهِرِ الْعَدَالَةِ. وَقَدْ يَجُوزُ (أَنْ

(١) الورع: التقوى (الخوف من أن يقع الإنسان في الخطأ).

(٢) التحفظ: العناية. الدية: الغرامة التي توضع على القاتل (لا بد من نصب قاض لإقامة الحدود: القضايا الجنائية، على الأقل).

(٣) اقْرَأْ: وكثر التجاسر.

(٤) اتَّسَعَ الْخَيْرُ: اتَّسَعَ الْخَيْرُ (التَّسَعَّى) عَلَى الرَّاقِعِ، مِثْلُ: أَيِ اصْبَحَ إِصْلَاحُ الْأُمُورِ صَعْبًا.

(٥) الذي يذمُّ (القاضي المسلم إذا عينه سلطان غير مسلم في بلد غير مسلم).

(٦) مَوْلَى: مَعِينٌ فِي مَنْصَبٍ.

(٧) فَلَا تَرُكْ هَذِهِ الْقَاعِدَةَ الْأَسَاسِيَّةَ.

يكون ذلك القاضي) في الحَفَاءِ وفي نَفْسِ الأَمْرِ (قد) ارتكبَ كَبِيرَةً؛ إلا من قامَ الدليلُ على عِصْمَتِهِ. وهذا التجويزُ مطروحٌ^(١). والحكم للظاهر، إذ هو الأصل؛ إلا أن يَظْهَرَ (على ذلك القاضي) من الخايل^(٢) ما يَنزُجُ عن الأصل. فيجبُ التوقُّفُ^(٣) جينثيَ حتى يَظْهَرَ ما يوضح.

(ثم) هذا المقيمُ ببلدِ الحربِ، إن كان يُقيمُ اضطراراً، فلا شك في أن (ذلك) لا يقدحُ في عدالته. وكذلك إن كان اختياراً (ولكن) جاهلاً بالحكم أو معتقداً للجواز، إذ لا يجب عليه أن يعلمَ هذا الطرفَ من العلمِ وجوباً يقدحُ تركه في عدالته^(٤). وكذلك إن كان متأولاً - وتأويله كإقامته بدارِ الحربِ لرجاءِ أفتكاكها وإرجاعها إلى الإسلام، أو لهدايةِ أهل الكفر، أو نقلهم عن ضلالةٍ ما.....

وأما الوجهُ الثاني، وهو تَوَلِيَةُ (الحاكم) الكافر للقضاةِ والعُدولِ والأمناءِ وغيرهم، فحجَزُ الناسِ بعضهم عن بعضٍ واجبٌ حتى ادعى بعضُ أهل المذاهبِ أنه جائزٌ عقلاً..... فتَوَلِيَةُ (الحاكم) الكافر لهذا القاضي العَدْلِ - إما لضرورةٍ إلى ذلك أو لطلبِ من الرعيةِ - لا يقدحُ في حكمه. (ثم) تُنفذُ أحكامه كما لو (كان قد) وآه سُلْطَانٌ مُسْلِمٌ. والله الهادي إلى سواء السبيل.

٤- ** الإمام المازري، تأليف حسن حسني عبد الوهَّاب (منشورات لجنة البعث الثقافي الإفريقي - دار الكتب الشرقية)، تونس (الشركة التونسية لفضون الرسم) ١٩٥٥ م (تاريخ كلمة التصدير). - راجع نقد هذا الكتاب في «مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق»، ٣١: ٣٠٤.

وفيات الأعيان ٤: ٢٨٥، الوافي بالوفيات ٤: ١٥١، المعبر للذهبي ٤: ١٠٠ - ١٠١، الديباج المذهب ٢٧٩ - ٢٨١، شذرات الذهب ٤: ١١٤، فتح الطيب، راجع ١: ٥٥٦، ٢: ١٥٩، ٥: ٣٠٦، أزهار الرياض ٣: ١٦٥، بروكلمن، الملحق ١: ١٦٦٣، الأعلام للزركلي ٧: ١٦٤ (٦: ٢٧٧).

(١) مطروح: ستروك، مهمل (يجب طرحه: تركه).

(٢) الخايل: العلامات.

(٣) التوقُّف: ترك الحكم إنساناً أو نفياً.

(٤) إن نفراً كثيرين من الناس ليسوا أهل علم بالحكم الشرعي في كل الأمور.

أبو الطاهر التميمي القرطبي

١ - هو أبو الطاهر محمد بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن إبراهيم التميمي^(١) المازني القرطبي السرقسطي المعروف أيضاً بالاشركوني أو الأشركوني (نسبة إلى أشركوي، وهي حصن قرب تطيلة في شالي الأندلس، ويبدو أن أصل أهله منها). ولكن أبا الطاهر التميمي نفسه وُلِدَ في سرقسطة ثم كان مسكنه في قرطبة.

تلقى أبو الطاهر التميمي القرطبي العلم على نفرٍ كثيرين، أخذ أكثر ما أخذه عن الحافظ أبي علي الحسين بن فيره بن حيون بن سكرة الصدي السرقسطي (ت ٥١٦ هـ) في مُرسية. وروى ابن الأبار (المعجم ١٤١) أن أبا الطاهر التميمي كان في مُرسية سنة ٥٠٨ هـ وسنة ٥٠٩ هـ (١١١٤ - ١١١٦ م) كما كان في سبتة في سنة ٥٠٩ هـ أيضاً.

ورحل أبو طاهر كثيراً في طلب العلم فأخذ عن أبي محمد بن السيد البطلنوسي (ت ٥٢١ هـ) في بلنسية، وعن أبي عمران بن أبي تليد وأبي محمد بن ثابت وأبي محمد الركلي في شاطبة، وعن أبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن عتاب وأبي مجر وأبي القاسم ابن أبي صواب في قرطبة. وكذلك راسل نفرأ من العلماء في فنونٍ مختلفة من العلم والأدب، من هؤلاء أبو بكر غالب بن عطية وأبو الحسن بن الباذش في غرناطة، وابن أخت غانم في مالقة، وابن الأخضر وابن العربي في إشبيلية؛ وقد لقي بعض هؤلاء أيضاً.

وأقرأ أبو الطاهر وحدث في قرطبة مدة^(٢).

وفي سنة ٥٣٨ هـ لحقت أبا الطاهر زمانة (علة مقعدة) توفي منها في ٢١ من جُمادى الأولى^(٣) من سنة ٥٣٨ (١١٤٣/١٢/٢ م).

(١) يرد اسم صاحب هذه الترجمة في عدد من النسخ المخطوطة لكتاب «اللسل» (راجع ص ٧ - ١٥ من

النسخة المطبوعة): الشيخ أبو الطاهر محمد بن يوسف بن عبد الله التميمي.

(٢) لعل أبا الطاهر قد خدم بالكتابة في بعض أدوار حياته.

(٣) في نسختين مخطوطين من كتاب «اللسل» أن وفاة أبي طاهر الاشركوني كانت لثان بقين من شهر ربيع الآخر (راجع اللسل، ص ١٣، ١٥).

٢ - كان لأبي طاهر التميمي القرطبي إحاطةٌ باللغات (لهجات العرب) وبالآداب، وكان كاتباً ناثراً وشاعراً كثيراً وفقهياً، ولكن غلبَ عليه العلمُ باللغة؛ وكان على شعره شيءٌ من الجفاف والضعف وكثيرٌ من التكلف. وله تصانيفٌ منها كتاب المسلسل والمقامات اللزومية أو السَّرْقُطِيَّة أو القُرْطُبيَّة وغيرها (فهرسة ابن خير ٤٥٠). وكتاب المسلسل خمسون باباً لم يجعل أبو الطاهر لها عناوين. وهذا الكتاب في المداخل أو المدخلات، أي الألفاظ التي يكون لكل معنى كلمة منها معنى آخر (راجع النماذج) «وقد تمدد التميمي أن يفتح كل باب ويختتمه بشاهد شعري: يأخذ من الشاهد الأول الكلمة التي يجعلها أساساً للتسلسل، ويكون الشاهد الأخير استهاداً على معنى الكلمة الأخيرة في الباب» (مقدمة «المسلسل» ص ٥).

وأبي الطاهر التميمي مقامات^(١) أراد أن يعارض بها الحريري (ت ٥١٦) فجعل مقاماته خمسين كما جعلها مظهراً للبراعة في غريب اللغة وأوجه البلاغة. وفي مقاماته شخصيتان رئيستان السائب بن تميم والشيخ أبو حبيب. ثم هنالك ابنان للشيخ أبي حبيب هما حبيبٌ وغريبٌ وشخص آخر هو المنذر بن حماد ينقل أحداث المقامة عن السائب. وقد دعا الاشتراكي «مقاماته» المقامات اللزومية تقليداً للمعري^(٢) والسرقطية (نسبة إلى بلد أصله) والقرطبية (نسبة إلى بلد سكنه) والتميمية (نسبة إلى أصله العربي القديم). ومن المقامات المفردة ما له أسماء (مقامة الشعراء، المقامة الهمزية، المقامة البائية، مقامة النظم والنثر، الخ)، ومنها ما لا اسم له. ومع أن المقامات تنطوي على نقد اجتماعي، فإن أكثر أغراضها مأخوذة من المشرق. وفي هذه المقامات اثنتان تنطويان على نقد أدبي، إلا أن هذا النقد لا ابتكار فيه، بل هو ترديدٌ لآراء النقاد القدماء. قال في الفرزدق^(٣) وجرير (٢) مثلاً: «كُرسفٌ وحريرٌ،

(١) الخصائص التالية قد جمع أكثرها من «تاريخ النقد الأدبي في الأندلس» لمحمد رضوان الداية ومن «تاريخ النقد الأدبي عند العرب» لإحسان عباس.

(٢) للمعري ديوان اسمه «لزم ما لا يلزم» فيه مقطوعات شعرية في الحكمة والنقد الاجتماعي مبنية على حرفي روي أو أكثر من حرفي روي.

(٣) الفرزدق (ت ١١٤). وجرير (توفي بعده بمدة قصيرة) كان بينها مهاجاة وكان الناس منقسمين في شأنها.

وَخِطَامٌ وَجَرِيرٌ^(١). فَرَسًا رَهَانٍ كَلَاهَا غَيْرُ مُذَالٍ^(٢) وَلَا مُهَانٍ. أَمَّا هَمَامٌ فَسَيْدٌ هَمَامٌ مُسْتَهْلٌ غَمَامٍ وَعَارِضٌ جَمَامٍ^(٣). بَجْرٌ لَا يُخَاضُ غِمَارُهُ وَجَوَادٌ لَا يُتَعَاطَى مَسَارُهُ: يَنْحِتُ مِنْ صَخْرٍ^(٤) وَيَنْطِقُ عَنْ فَخْرِ. وَأَمَّا جَرِيرٌ فَسَابِقٌ دَرِيرٌ: أَحْزَنَ صَاحِبُهُ فَاسْتَهْلَ^(٥) (هُوَ) وَأَعْجَلَ فَاسْهَلَ، وَصَعَبَ فَذَلَّلَ، وَأَكْثَرَ وَقَلَّلَ، وَأَعْوَصَ فَلَيَّنَّ، وَشَدَّدَ فَبَيَّنَّ^(٦): يَغْرِفُ مِنْ بَجْرِ، وَيَنْطِقُ عَنْ سِخْرِ، يُبَارِي بَرَقَةَ النِّسَمِ وَيَنْزُرُ مِنْ قَوْلِهِ الرَّائِقِ وَالْوَسِيمِ^(٧).

ونقده عاديّ ومقصود على الشعراء المشاركة ثم ليس فيه شيء من التحليل بل هو أقوال مجموعة من آراء النقاد السابقين.

٣ - مختارات من آثاره:

- لأبي طاهر الأشركيّ مَقَطَّعَاتٌ مِنَ الشَّعْرِ مِنْهَا:

★ ★ وَمُنَمَّهِ الْأَعْطَافِ مَعْسُولِ اللَّمَى مَا شِئْتَ مِنْ بَدَعِ الْحَاسِنِ فِيهِ^(٨).
لَمَّا ظَفِرْتُ بِلَيْلَةٍ مِنْ وَصَلِهِ، وَالصَّبُّ غَيْرُ الْوَصْلِ لَا يَشْفِيهِ^(٩).

- (١) كرسف: قطن. الخطام: اللجام (الجدول أو المصنوع على شكل معين). الجرير: قطعة من حبل (يقاد بها الحيوان) ليس فيها صنعة ولا عناية.
- (٢) مذال: ميتدل ومهان (مستخدم في غير الوجه الذي قصد به: نحن نذيل الحصان الأصيل إذا حملنا عليه حجارة).
- (٣) اسم الفرزدق: هَمَامٌ بن غالب. الهمام: السيد الشجاع السخي. مستهلّ غمام: مطر منهمر بكثرة. عارض جام.....(٤).
- (٤) ينحت من صخر (كتابة عن صلابه شعره).
- (٥) سابق (حصان) درير (سريع). - في الجمل التالية مقابلات: أحزن (الفرزدق) فأسهل (جرير) الخ. أحزن: سار في الأرض الصعبة. أسهل: سار في السهل.
- (٦) أعجل: (أتى بالشيء قبل أوانه!)..... أعوص: أتى بالكلام المويص (الغريب: القليل الدوران على الألسن).
- (٧) يغرف من بحر (كتابة عن سهولة شعره). الوسيم: الجميل. الرائق: الذي يروق للنظر أو للفكر (الذي يعجب الناس). يجوز في الرائق والوسيم «الرفع».
- (٨) العطف (بالكسر) الجانب الأعلى من الجسم. اللمي: السمرة في الشفاء. البدعة (بالكسر): الشيء الجديد، المخالف للألوف.
- (٩) الصبّ: الحبّ المشتاق راجع، تحت، ص ٢٩٠.

أَنْضَجَتْ وَرَدَةً خَدَّيْهِ بَتَّنَفْسِي
 هِيَهَاتِ مِنْ ذَنْبِ الْمَسِيءِ تَأْسَفُ،
 وَظَلَلْتُ أَشْرَبُ مَاءَهَا مِنْ فِيهِ!
 قَالُوا: طَلِيقٌ فِي الْبَسِيطَةِ سَارِحٌ.
 وَلَهُ عَلَى هَوْلِ الذَّنُوبِ تَعَسَّفُ^(١)!
 أَنْي؟ وَفِي قَيْدِ الْغَوَايَةِ يَرُسُفُ^(٢)!
 يَا مُذْنِباً لَمْ يَذِرْ مَا جَمَّرَ الْغَضَا،
 شَوْكُ الْقِتَادِ إِلَى عَذَابِكَ كُرُسُفُ^(٣).
 فَلَقَدْ يُفِيدُ تَسَدُّمٌ وَتَأْسَفُ^(٤).
 - وله من المقامة الخمسين^(٥):

.... قال حبيبٌ لغريب^(٦): هذا النظمُ والنثرُ، كيفَ القُلَّ منه والكثُرُ^(٧)؟ وأيُّ
 النصلِ أو الأثرِ؟ وأيُّها أعقبَ صاحبه أثراً وأحرزَ دونه أثراً^(٨)؟ وأيُّها في النفوسِ
 أوقعَ وأشنى لغلَّةِ الصادي وأنتع^(٩)؟ وأحظى عندِ السوقِ والملوكِ وأمضى بالسفارةِ
 والألوكِ^(١٠)؟.... فقال حبيبٌ: الشعرُ أصعبُ مرُتقى وأعذبُ مُنتقى^(١١)، وأبدعُ

- (١) تعسّف الطريق: سار فيه على غير هدى. - لا ينعغ المذنب أن يندم على فعله إذا هو استمرّ يرتكب الذنوب بلا مبالاة.
- (٢) أني: كيف. - قالوا: هو يسير (في عمل الذنوب) على هواءٍ حرّاً طليفاً. هذا خطأ: إنه يمسي وهو يرف (مقيداً) بقبود الضلال.
- (٣) الغضا: شجر كثيف المادّة وجمره شديد الحرارة (المقصود: نار جهنّم عقاباً على الذنوب). القِتَاد: نبت صلب له شوك كالإبر. الكرسف: القطن.
- (٤) عاود أساك: اجمل الأسي (الحزن) عادة لك، فلملك تنوب توبةً ترجع بها (نهائياً) إلى الله. فعينشد يكون ندمك وأسفك نافعين.
- (٥) النصّ التالي مجموع من الشواهد التي أوردها محمّد رضوان الداية من المخطوطة.
- (٦) حبيب وغريب ابنان للشيخ أبي حبيب (رجل محتمل من عُمان - بضمّ العين وإجمال الميم) هو والسائب ابن تمام الشخصان الرثيان في مقامات أبي طاهر الأشرقي.
- (٧) القلّ: الجانب القليل الأصغر من الشيء. والكثُر: معظم الشيء.
- (٨) الأثر: بريق السيف والأثر - العلامة - خلاصة السنن (الشيء الثمين).
- (٩) أوقع: أشدّ أثراً. الغلّة: العطش. الصادي: العطشان. أنتع: أكثر فذرة على إطفاء العطش.
- (١٠) السفارة: الذهاب في مهامّ رسمية إلى الملوك والرؤساء. الألوك: الرسالة (في هذين يستعمل النثر لا الشعر).
- (١١) أعذب منتقى (إذا انتقيت، اخترت، بضمة أبيات من الشعر فإنها تكفي عادة في الاستشهاد، بينما الاستشهاد بالنثر يحتاج إلى إطالة).

لفظاً وأسرع حفظاً، وأوسع مجازاً وأنصح إيجازاً^(١).... وأقصر معاني وأعجُد مباني،
وأورى زنداً وأذكى رنداً^(٢)، وأجرى على اللسان وأجرى بالإحسان^(٣)، وأبعث
للطرب وأذهب للكرَب. وهل سَمِعْتُمْ بنثر تُخلَع عليه اللُحون؟.... (فقال أبوها):
كلٌّ - على حياله - محمولٌ على الحسنِ معدودٌ من اللسنِ^(٤). والشعر لحنٌ عقيمٌ وسفرٌ
مُقيمٌ، وبغضٍ مودودٌ ومُعذِرٌ مجدود^(٥).... وإن (هم) شابوه كذباً وميناً فقد أغضوا
عليه عيناً^(٦). وإنما حده أوفرٌ من دمه، وشهده أكثرٌ من سَمه^(٧).... وأما النثر فإنه
أنشى ولودٌ وزند لا كاب ولا صلود^(٨). عين ثرةٌ وأم برةٌ، له موضعٌ ومكانة، وعيزةٌ
واستكانة. يحلّونلي ويمرّ ويحلّ ويمر^(٩). يَلجُ في كلِّ نادٍ ويُقدحُ بكلِّ زناد. بادٍ
حاضرٌ، وذابلٌ ناضر^(١٠).... وقد فضّلتُهُ الأكابرُ والأعظم، فلا تفضلاً (أنثاً) قائلاً

- (١) مجازاً: مرّاً، طريقاً. أنصح: أشتدّ بياضاً (أوضح) - الإيجاز (الاختصار) أكثر إمكاناً في الشعر منه في النثر.
- (٢) أعجُد: أعلى. أورى زنداً: أشتدّ إشمالاً للنار (الزند: حديدة تقدح بها النار من الحجر). أذكى: أطيّب رائحة. الرند: نبات طيب الرائحة.
- (٣) أجرى (أكثر دوراناً) أكثر استعمالاً. أجرى بالإحسان: أسهل (الذين يمسنون النثر أكثر من الذين يمسنون الشعر). - لعلها أجرى (بالهاء المهملّة) بالإحسان: أجدر، أصدق.
- (٤) على حياله: (بإزائه)، في موضعه. محمول على (الوجه) الحسن: يمسن في المناسبة التي تقتضيه. اللسن: الفصاحة.
- (٥) لحن (نغم) عقيم (لا بلد): ليس له شبيه، وحيد في بابهِ. السفر: الجماعة يسافرون معاً. مقيم: دائم (في الشعر كأنك مسافر أبدأ بين أشياء جميلة). بنض (كره) لصموبة نظمه وإجادته. مودود: محبوب (ومع ذلك فكثيرون يجاولون قول الشعر أو يجيئون ساعه). معذِر (مقبول العذر) مجدود (مخطوط): الناس يمعنون الشاعر إذا لم يكن كلُّ شعره جيداً.
- (٦) شاب: خلط، مزج. المين: الكذب. أفضى الرجل جفنيه (أذنى، قَرَب، بعضها من بعض): أغضوا عليه (على الشاعر) عيناً: عذروه إذا لم يمسن مرّة.
- (٧) الشهد: الصل.
- (٨) أنشى ولود (تعالج في النثر أعراض أكثر من تلك التي تعالج في الشعر). الزند: حديدة تقدح بها النار. الكابي: الزند الذي أصبح أملس جداً لا يملك الحجر حكاً صحيحاً. الصلود: (الزند) الذي لا يخرج ناراً من الحجر.
- (٩) العرزة: القوة. الاستكانة: الضعف والذلة. يملولي: يملو (يصبح حلو الطعم) كثيراً. يمرّ: يصبح مرّاً الطعم. يملّ (يبقي، يستقر) ويمرّ (يمضي، يذهب): يصلح لجميع الأحوال.
- (١٠) يلج: يدخل. ناد: مجتمع. باد: ساكن البادية. حاضر: ساكن الحضر (المدن). ذابل: نجاف. ناضر: أخضر.

على قائل. والإحسان ضروب، والشمس طلوعٌ وغروب.... وخُذنا في كلِّ الأحوالِ بالأعدل^(١) الأقسط^(٢).....

- من مقدّمة كتاب «المُسَلَّل»:

.... قد كان لعلم اللسان العربي، في صدرِ هذه الأمة، مطارٌ ونفاق^(٣)، وعلى تقدّمه إجماعٌ وإصفاق^(٤). فتجرّد لضبطها وتقييدها الخيارُ الصلحاء والمخلصُ الأفاضلُ الصرّحاء^(٥). وبدلوا فيها الاعتناء وقطعوا في جمعها وضبطها الأحيان والآناء^(٦)، حتّى أحرزوا منها غاية^(٧) ورفعوا لشأنها علماً ورواية؛ حين رأوا أنّه لسانُ العلوم الشرعية والمهادي إلى المعاني الأصلية والفرعية: بها يُتوصّل إلى حقيقة معانيها ويُتسمّ دَرَجُ مبانيها. وعنها يصدرُ التأويلُ وتتوجّه الأقاويل^(٨)؛ وأنّه لا يُوصّل إلى معرفة كتاب الله تعالى ومعرفة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلّم، وصحابه والتابعين وأئمة الهدى من أمته إلّا بحفظ لغات^(٩) العرب وأبحاثها والأنس بإطنابها وإبحاثها، وإبلاغها وإيجازها، وتوسّعها ومجازها^(١٠)، إلى ما في معرفتها من العون

(١) الأعدل: المعتدل (لا نقصان ولا زيادة).

(٢) الأقسط: الأعدل (الحكم بالعدل).

(٣) المطار: علو الشأن، انتشار بين الناس. النفاق: الزواج، كثرة الاستعمال.

(٤) الإصفاق: الإجماع والاتفاق على رأي واحد.

(٥) تجرّد الشيء: خصّه باهتامة. لضبطها (كان يجب أن يقول: لضبطه، أي اللسان العربي. ولكنه حلّ اللسان على «اللسان» وأجرى الضائر في الألفاظ التالية مجرى التانيث). الصريح من الناس: الخالص النسب.

(٦) الحين والآن: الوقت.

(٧) أحرز الشيء: اكتسبه، امتلكه. غاية: منتهى (قدراً كبيراً جداً).

(٨) يتسمّ: يرتقى. التأويل: فهم المقاصد من الجمل (من آيات القرآن الكريم خاصة). تتوجّه الأقاويل: تتشعب الأقوال (بمختلف التعبير عن الآراء).

(٩) اللغات (هنا): استعمال القبائل العربية المختلفة ألفاظاً مختلفة للشيء الواحد (كالسكين والمدية).

(١٠) النحو: الوجه من الاستعمال. الإطناب: التفصيل في التعبير. الإيجاز: الإشارة السريعة. الإبلاغ: التفنّن في التعبير. الإيجاز: الاختصار في التعبير. المجاز: استعمال الكلمة لغير المعنى الذي وضع لها في القاموس (الشمس: المرأة الجميلة. البحر: الرجل العالم والكرم).

على البلاغة والنطق، والاستظهار على قمع الباطل وبسط الحق^(١)، والتمكّن من أنحاء القول ومسالك الكلام والتقلّب في مسارج الأخبار والأعلام^(٢).

والآن فقد زهدَ الناس فيه زُهدَهُمْ في الفضائل ورغبوا عنه رَغْبَتَهُمْ عن الأواخر من العلم والأوائل^(٣). ولكلّ نَجْمٍ طُلُوعٌ وأفول، ولكلّ حالة عُلُوٌّ وسُفُول^(٤).

وأنّه كان فيما سُمِعَ عليّ كتابٌ «المداخل في اللغة» لأبي عمَرَ المطرزي^(٥) رَجِمَهُ اللهُ، فاستنزرتُه لِقَدْرِهِ (لكن) لم أخطَ بهلاله فيه ولا بديره. فرأيتُ أنّه رأيٌ لم يُستوفَ تامُهُ وعَرَضٌ لم تُقرطسُهُ سيّامه^(٦). ولعلّه إنّما ارتجله ارتجالاً وجرت^(٧) ركائبه فيه عجالاً، فلم يَدُمَّتْ حَزَنُهُ ولا أقامَ وِزَنُهُ^(٨).

فحركني ذلك إلى صِلَةٍ ما ابتدأ وتمكّن ما رسَمَ منه وأنشأ، واقتضبت^(٩) في ذلك خمسين باباً أفتتحتُ كلَّ بابٍ منها بِشِعْرِ عَرَبِيٍّ ثم ختمتُ البابَ بمثل ذلك، وأوردتُ ما أمكّن من الشاهدِ على ألفاظِهِ هنالك. وعلى ذلك فما اعتمدتُ مُجاراةً ولا قصدتُ

(١) الاستظهار: الاستحانة. قمع: قهر، إذلال. بسط الحق: إعلاء شأنه وتثبيت سلطانه، نشره.

(٢) التقلّب في مسارج الأخبار: التمهّن لأنواع الأخبار (التاريخ) والاستمتاع بها. الأعلام: مشاهير الناس.

(٣) رغب عن الشيء: فقد اللذة في الحصول عليه، تركه، مال عنه. فيه (في علم اللغة). الأواخر من العلم والأوائل (٤)، لعلّ هذه الجملة: رغبة الأواخر (التأخرين في الزمن: المعاصرين للمؤلف) عن علوم الأوائل (علوم الفلاسفة القديمة، الفلسفة اليونانية). - بجزئنا ابن طفيل (ت ٥٨١ هـ) في مقدّمة «قصّة حيّ بن يقظان» أن علوم الفلسفة كانت قليلة الانتشار في الأندلس قبل أيامه.

(٤) الأفول: الغروب. السفول: الانخفاض.

(٥) محمد بن عبد الواحد المطرزي عالم لغوي (٢٦١ - ٣٤٥ هـ) له كتاب (المدخل - في غريب اللغة: الانتقال في اللفظة الواحدة من معنى إلى معنى؛ راجع النصّ التالي).

(٦) استنزرتُه (وجدتُ المذكور في كتابه قليلاً) لقدره (بالإضافة إلى مكانته العلمية وإلى ما كنت أنتظر منه أن يقول في كتابه). العرض: الهدف (العلامة تنصب للتمرّن على الإصابة بالسهم أو بالرصاص الخ). لم أخط (لم أمتح) بهلاله ولا بديره (لم أره وافياً كلياً ولا جزئياً). غرض: هدف. قرطس: أصاب القرطاس (الهدف) علامة تنصب للتمرّن على الإصابة بالسهم أو بالرصاص، الخ).

(٧) ارتجّل الخطيب خطبته (قالها وهو واقف على رجليه - بلا استعداد سابق). جرت: سارت، ركضت.

(٨) دُمّت: لئِن، سهّل، سوّى (جعل سطح الشيء مستوياً). الحزن: الأرض القاسية، التي يصعب السير فيها.

(٩) اقتضب: قطع أشياء يسيرة من رؤوس القضبان (أثبت بأشياء مختصرة).

مباراة^(١). وإني لأرى فضل السابق وأبغع بؤخوع الآبى، وأحمدُ منه ذلك البدء
والعود^(٢).....

- مطلع كتاب المسلسل:

أُنشد أبو عبيدة لصبيان الأعراب، وتروى لامرئ القيس بن حُجر^(٣):
لَمَنْ زُحْلوقَةً زُلُّ بِهَا الْعَيْنان تَنْهَلُ^(٤)؛
يُنْـسـادِي الآخِرُ الأُلُّ: أَلَا حَلَّوا، أَلَا حَلَّوا^(٥).
ويروى: أَلَا حَلَّوا، أَلَا حَلَّوا. ويروى: زحلوقة بالقفاف والغاء والكاف^(٦).

الأُلُّ الأوَّل، وأوَّل يومِ الأحد، والأحدُ هو الوحدُ، والوحدُ الفردُ^(٧)، والفردُ
الثور، والثور الظهور، والظهور الغلبة، والغلبة جمع غالب، وغالب أبو لؤي، ولؤيُّ
تصغيرُ اللَّوي^(٨)، واللَّويُّ الثور، والثور فحلُّ البقر، والبقر الفرق، والفرق تباعدُ
ما بين الشنايا، والشنايا^(٩) العقاب، والعقاب الموالاة.....

- من كتاب « المسلسل » (الباب الثالث والعشرون):

قال زهير بن أبي سلمى:

- (١) ما اعتمدت مجازة (لم أقصد أن أفعل مثله) ولا مباراة (ولا حاولت أن أصنع أفضل مما صنع).
- (٢) جمع بالحق مجموعاً: أقر به. وأحمد له (أشكره على) ذلك البدء (التأليف في هذا الموضوع). والعود:
الطريق (راجع القاموس ١: ٣١٨ س)، الطريقة التي اتبعتها في تأليف هذا الموضوع.
- (٣) راجع ترجمة أبي عبيدة في الجزء الثاني من هذا الكتاب، وترجمة امرئ القيس في الجزء الأول.
- (٤) الزحلوقة: لوح من خشب يرفع على محور بحيث يتوازن ثم يجلس على كلِّ طرف من طرفيه صبي
ويملأه (بضمَّ الياء) فيرتفع أحد الطرفين وينخفض الآخر، ويتوالى ذلك. زلُّ: يزلق الجالس عليها.
انهت المينان: سقط دمعها بكثرة (القاموس ٣: ٢٤٠).
- (٥) الأُلُّ: الأوَّل (الأولون، السابقون). حَلَّوا: اتركوا أمكتكم!
- (٦) حَلَّوا: تحلَّوا (فعل أمر، بفتح اللام المشددة). - يقال: زحلوقة وزحلوقة وزحلوقة.
- (٧) الوحد والفرد: المنفرد (الذي يعيش أو يمكث في مكان وحده).
- (٨) لؤي بن غالب جدُّ بني قريش.
- (٩) الثنية: السن (واحدة أسنان الإنسان). والثنية: الطريق في الجبل. العقاب (جمع عصابة): الطريق في
الجبل. العقاب (مصدر): الموالاة (توالي الأمور واحداً بعد واحد).

فشدّ - ولم يُفزعُ بيوتاً كثيرةً - لدى حيثُ أَلَقَتْ رَحْلَهَا أُمُّ قَشَمٍ (١).

أم قشَمٍ ههنا المنيّةُ أو الحربُ أو الداهية. والقشَمُ النَّسْرُ، قالَ عنترةُ:

إن يَفْعَلًا فلقد تركتُ أباها جَزْراً لحامِصِةٍ ونَسْرٍ قَشَمٍ (٢).

والنَّسْرُ النَّتْفُ، والنتفُ الطَّرْقُ، والطرقُ الضَّرْبُ بالحِصَا (٣)، والحِصَا العُدَّةُ

الكثيرُ.... والكثيرُ الدَّبْسُ، والدبسُ الصَّفْرُ، والصَّفْرُ عَسَلُ الرُّطَبِ (٤)، الخ الخ.

٤ - السلسل في غريب اللغة (قدّم له محمد عبد الجواد) مصر (وزارة الإرشاد القومي - الإدارة العامة للثقافة) ١٣٧٧ هـ = ١٩٥٧ م.

★ ★ الصلة ٥٢٩، ٥٣٠، التكملة ١٤٠ - ١٤١ (رقم ١٢٤)، فهرست ابن خير ٣٨٧، ٤٤٠ الوافي بالوفيات ٨: ١٣٣، الوعاة ١١٢٠، نفع الطبيب، راجع ١: ٢٩١، التثوف ١٩٦ بروكلمن ١: ٣٧٧، الملحق ١: ٥٤٣، الأعلام للزركلي ٨: ٢٢ (٧: ١٤٩)، بالنشيا ١٨١ تاريخ النقد الأدبي (لإحسان عباس) ٥٠٠ - ٥٠١، تاريخ النقد الأدبي في الأندلس (لمحمد رضوان الداية) ٣٥٢ - ٣٦٣، مجلّة المقتبس (دمشق) ٤٦٦: ٢.

ابن الفخّار المألقي

١ - هو أبو عبد الله محمد بن الحسن بن كامل المعروف بابن الفخّار الحضرمي

المألقي - ويُعرف أيضاً بابن نصفِ الرَبَضِ - كانت وفاته في المغرب سنة ٥٣٩ (١١٤٤ - ١١٤٥ م).

٢ - كان ابن الفخّار المألقي فقيهاً وكان أديباً يسئلُك في الشعر مسلّكاً قديماً

ومسلّكاً جديداً، وله شيءٌ من توشيح العروض (٥) لم يبلغْ إلى أن يكون توشيحاً. وفي

(١) شدّ: هجم بيوتاً كثيرة: جماعات كثيرة أو أشخاصاً (لم يفزع أحداً).... هجم على النار (على هلاكه).

(٢) جزراً: مجزوراً (مقطّاً). الحامِصِة: الضيغ. القشَم: النسْر المنس.

(٣) النسْر (مصدر): نتف ريش الطير. الطرق: ضرب الصوف أو القطن بالحِصَا للتفريق بين أقسامها.

(٤) الطرق بالحِصَا: تقليب الحِصَا اعتقاداً بأن مركز بعض تلك الحِصَا من بعض يدلّ على الحوادث المقبلة.

(٥) الرطب: التمر.

(٥) العروض (بالفتح): آخر الشطر الأول من البيت. وتوشيح العروض: التزام نسق معين في ختام

أواخر الشطور الأولى من الأبيات مع بقاء الأبيات نفسها محتومة بقواف على رويّ آخر (كما نرى في

القصيد). - راجع القطعة الثانية في «مختارات» هذه الترجمة.

جانِبٍ من أَلْفاظِهِ وبعْضُ تَرْكِيْبِهِ ضَعْفٌ. وفتون شِعْرِهِ الفَخْرُ وِالْحِمْاسَةُ وِالْمَدْحُ
وِالعِتَابُ وِالْوَصْفُ.

٣ - مَخْتارات من شِعْرِهِ:

- قال ابن الفَخَّارِ المَالَقِيُّ في الشَّيْبِ:

أُمتنكِرُ شَيْبَ المَفارِقِ في الصِّيا؟ وهل يُنكِرُ النُّورُ المُفْتَحَ في الفُصْحِ^(١)؛
أظنُّ طِلابَ المَجدِ شَيْبَ مَفْرِقي، وإن كُنْتُ في إِحْدَى وَعِشْرِينَ من عُفْري.

- وقال يعاتبُ صديقاً قديماً له كُنْيَتُهُ أبو حَسَنِ:

أَقِلَّ عِتَابَكَ، ليس الكَرِيمُ يُجازِي على حُبِّهِ بِالْقَلْبِ^(٢)؛
وَحَلَّ أَجْتِتابِكَ، إن الزمانَ يَمَرُّ بِتَكَدِيرِهِ ما حَلَّ^(٣).
وواصِلْ أَخاك بِعِلَّتِيهِ، فقد يُلبَسُ الثوبُ بَعْدَ البِلي.
وَقُلْ كالذي قاله شاعرٌ نبيلٌ- وحقَّكَ أن تَنبُلا-:
«إذا ما صديقٌ أَسَا مَرَّةً، وقد كان في ما مَضَى مُحِينًا،
ذَكَرْتُ المُقَدَّمَ من فِعْلِهِ فلم يُفِيدِ الأَخِرُ الأَوَّلًا».
أَبا حَسَنِ، إن أتى حَدَثٌ يُجَرِّدُ لي سِنْفَكَ [المُفَصَّلًا]^(٤)،
أولِّي المَلامَةَ، عنكَ، الزمانَ وأضْحِكُ الأَكْرَمَ الأَفْضَلًا^(٥).

- (١) المَفْرُقُ (يفتَحُ فَسْكونَ فَكسِرٍ): مكان افتراق الشعر في مقدم الرأس.
- (٢) في الحُرَيْدَةِ (الأندلس ٢: ٢٩٢): ليس الكَرِيمُ بِجَازِي (بِجَازِي أُختُ الرِاءِ وِبالِبناءِ لِلْمَعْلُومِ)، وِفي الحُرَيْدَةِ (المغرب والأندلس ٢: ٣٣٨): بِجَازِي (بِالرِاءِ المَهْمَلَةِ وِبالِبناءِ لِلْمَعْلُومِ أَيْضاً). وِكلا القراءَتينِ مَقْبُولَةٌ. أما في «فَلانَد العُقَيان» (ص ٣٣٩): إن الكَرِيمَ بِجَازِي (بِالزَّايِ أُختُ الرِاءِ وِبلا نَقَطَتينِ تَحْتِ الياءِ). وِكَذلكَ في نَفْحِ الطَّيِّبِ (٣: ٣٩٣): إن الكَرِيمَ بِجَازِي (بِالزَّايِ أُختُ الرِاءِ المَشْكُولَةُ بِكسرةِ وِنَقَطَتينِ تَحْتِ الياءِ). وِقد اعتمدتُ أنا: ... ليس الكَرِيمَ بِجَازِي ... الفِطْرُ: البِغضُ وِالكِراهِةُ.
- (٣) الاجْتِتابُ: الِاتِّمادُ، المَجرُ، التَّركُ (وِالاخِيرَتانِ بِالفَتْحِ). يَمَرُّ: يَصِبحُ مَرَّ الطَّعمِ (٤).
- (٤) في الحُرَيْدَةِ (الأندلس ثم المغرب والأندلس): المَنْصَلُ (بِضمِّ فَسْكونِ ثم بضمِّ أو بفتحِ): السِّيفُ. وِفي فِلانَدِ العُقَيانِ: المَصْطَلُ (وِلعلْمِها: المَفْصَلُ- بِكسرةِ فَسْكونِ فَتَحِ: القاطِعُ مِنَ السِّبُوفِ).
- (٥) أَجْمَلُ الذَّنْبِ على الزمانِ ثم أبهى مِصاحِباً لَكَ مَعْتَقِداً أَنَّكَ أَكْرَمُ النَّاسِ وَأَفْضَلُ النَّاسِ.

أقولُ - وأنتَ لسانُ المقالِ
«لئن جازَ فيكَ عَلَيَّ الزمانُ
لياليَ كنتَ صحيحَ الإخلةِ
تُدافعُ عنيَ خُطوبَ الزمانِ
ولكنَّ أَطَمَّتْ غُواةَ الرجالِ
سأضربُ للخطيبِ حتى يزولَ
ودونكهما كالعروسِ الكعابِ
وعينُ الكمالِ ورأسُ العُلا -
فقد كان لي حَكماً أُعدلاً^(١)،
صريحَ الوفاءِ بما أُملا.
بضربِ الرقابِ وطعنِ الكُلَى.
وبغمتَ صديقَكَ لا بالفلا.
وأدعو له رأيكَ الأجملاً^(٢).
عليها من الحلَى ما فُصِّلاً^(٣).

- وقال يخاطب شاعراً (على سبيل العتاب) بقطوعة موشحة العروض (مختومة بقوافٍ معيَّنة في صدورها أيضاً):

رُوَيْدَكَ، أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُعْنَى،
ولا تعجلن، فربَّ فِتْنَى تَأْتِي
فإنَّ الرِّفْقَ أَجْمَلَ بِاللَّيْبِ^(٤)،
فأذركَ غَايَةَ القَرَمِ النَجِيبِ^(٥).
فكم عقد سديد قد تسنى
بلا تعب ولا طرب مريب^(٦).

* * *

فإنَّ الجَيْشَ لَيْسَ يُطِيقُ شَيْئاً لَغَايَتِهِ بِلَا قَدَرٍ مُصِيبِ^(٧).

- (١) إذا جاز عليَّ الزمان (ظلمني الآن في صحبتك) فقد طالما كان لي منصفاً من قبل.
(٢) الخطب: الحادث النازل، المصيبة. وأطلب منك أن تحمك بيننا برأيك الجميل (الثاقب، العادل).
(٣) فإليك مني هذه القصيدة كالعروس الكعاب (الثابتة) عليها من الحلَى ما فصلاً (لؤلؤ فصل بين حياتها بقطع صغيرة من الذهب).
(٤) المعنى: الذي يشغل (بفتح العين) نفسه بالأمر ويكثر الاهتمام بكل شيء. الرفق: اللطف والتأني. اللبيب: العاقل.
(٥) القرم: الفحل من الإبل لا يُركب ولا يُحمل (بالبناء للمجهول) عليه، بل يكون مخصوصاً بالضراب (بالكسر) للنسل. السيد العظيم (من الناس). النجيب: الفاضل من أبناء جنسه.
(٦) العقد (بالفتح) مصدر من «عقد» الحبل ونحوه (والمقصود «عقدة» بالضم). سديد (محكم، شديد). تسنى: انحل، انفك رباطه. الطرب: هزة تدل على الفرح أو على الحزن، اضطراب وقلق. مريب (هنا): يحمل الرائي على الشك في أن هذا الطروب غير تام العقل. يدعو إلى التهمة وسوء الظن.
(٧)٩.

ولا يَقْضِي الحَيَا لِلنَّبْتِ شَطْطًا إِذَا لم يَقْضِ عَلامُ الغُيُوبِ (١).

* * *

أخوكَ مُحَمَّدٌ لَمَّا تَفَنَّى
وقَضَاهَا بواحدةٍ فَنَنَى
فخذها عادةً خُضِبَتْ يرنا
إذا ما رامها من قد تَبَنَى
جَمِيعَ بيانها لَفْظًا ومعنى
كما جُمع الحَيِيبُ إلى الحَيِيبِ.

- وقال في الفخر والحجاسة:

إلى كم يَجِدُ المرءُ والدهرُ يَلْعَبُ،
وَهَل نافيي، إن كنتُ سيفا مُصَمًّا،
أبيَّتْهم والليلُ كالنفسِ أَسودُّ،
فلا أنا عَمَّا رُمْتُ من ذاك مُقْصِرٌ،
أبا حَسَنِ، سائِلُ لِمَنْ شَهِدَ الوغى
وأَعْتَنقُ الأبطالَ حَتَّى كَأَنَّا
ويَعُدُّ عنه الأمانُ والخوفُ يَقْرُبُ؟
إذا لم يكن يُلقَى بِحَدَيِّ مِضْرَبٍ (٥)!
وأهْجُمُهُمُ والصبحُ كَالطَرَسِ أَشْهَبِ (٦)،
ولا خيَلُ عزمي للمقادير تُغْلِبُ.
لئن كنتُ لم أَصْبِحْ أَهْشُ وَأَطْرِبُ (٧)،
بُعَانِقِي عنهم من البِيضِ رَبْرِبُ (٨).

(١) الحيا: المطر. الشطط: بدء النبات بالظهور فوق الأرض. علام الغيوب (الله).

(٢) أصاخ: استمع. أذن الغريب (الجاهل، البعيد، الصو)...

(٣) عادة: امرأة جميلة (قصيدة). خضبت: صبغت. برنا: الحناء (مادة تصنع الأشياء بلون أحمر) - كناية

عن الجاهل. تقدم (ليست في القاموس): اكتسب حمرة خفيفة. الصيب (ما ينصب - بتشديد الباء): ما

يسيل من الصياغ (بغير قصد) فيلون الأشياء تلوئاً خفيفاً على غير نسق معين.

(٤) رام: قصد. تعرض دونه شبح المروب... (لم يستطع أن ينظم مثلها)...

(٥) المصم: (السيف) الذي يقطع العظام. يلقى (يلقى = يوجد). للحركات على كلمة مضرب = راجع

تاج العروس (الكويت) ٣: ٢٤٧. المعنى غامض (لعل المقصود: إذا لم يوجد رجل شجاع يضرب

بالسيف) أو إذا لم يستخدم (في الحرب).

(٦) بيت الرجل القوم (هاجهم ليلاً). النفس: صياغ أسود. أهجمهم: اتهم (عليهم) مكانهم (أهجم عليهم

وهم في بيوتهم). الطرس: الورق. أشهب: أبيض.

(٧) هش: داخله سرور، فرح. - الوغى: الحرب (لأنه يكون قد انتصر).

(٨) اعتناق الأبطال في المعركة كناية عن المباشرة بالجسم (الغالبية). البيض (النساء الجميلات). الربرب في =

- وقال يذمّ السُّكنى في مدينة مَرَاكُش:

وأرضٍ سكنّاها فيا بئسَ مسكَنٌ، بها العيشُ نكدٌ والجناحُ مَهِيضٌ^(١):

نروحُ ونفسدو ليس إلّا مَرُوعٌ: عقاربُ سودٌ أو أراقمُ بيضٌ^(٢)!

٤- ** قلائد العقيان ٣٣٧ - ٣٣٩، بغية الملتبس ٦٠، (رقم ٩٠)؛ المغرب ١: ٤٣٢؛
المطرب ١٩٩٧، الخريدة (المغرب والأندلس) ٢: ٣٣٤ - ٣٣٩، الخريدة (الأندلس)
٢٨٧: ٢ - ٢٩٦، المهدون ٢٩٥؛ الوافي بالوفيات ١: ٣٥٧؛ نفع الطيب ٣:
٣٩٢ - ٣٩٣، الأعلام للزركلي (٦: ٨٥).

أبو العلاء عبد الحقّ بن الجنّان

١- هو أبو العلاء عبد الحقّ بن خَلَفِ بن مُفَرِّجِ المعروف بابن الجنّان، ولدّ نحو
سنة ٤٧٩ هـ (١٠٨٦ م)، في شاطبة. ويبدو أنّه تولّى فيها الكتابةً لنفَرٍ من الأمراء
الذين تولّوها. وقد صحّبَ الشاعرَ المشهورَ ابنَ خَفَاجَةَ (ت ٥٣٣ هـ). وكانت وفاة ابن
الجنّان هذا سنة ٥٣٩ هـ (١١٤٤ - ١١٤٥ م).

٢- كان أبو العلاء عبد الحقّ بن الجنّان الشاطبيّ ذا بصرٍ باللّغة وبالآدب، كما
كان أديباً وكاتباً مترسلاً وشاعراً بارعاً. وكذلك كانت له معرفةٌ بالطبّ. وهو شاعرٌ
وجُدانيّ سهلُ الأسلوب قريبُ المعاني. وأبياته التي وصّلت إلينا كانت في الإخوانيّات
والآدب (الحكمة) والنسيب.

٣- مختارات من آثاره:

- قال أبو العلاء عبد الحقّ بن الجنّان (المغرب ٢: ٣٨٢) في النسيب:

= الأصل: قطع الغزلان (المقصود: أغلب الأعداء في المعركة كما لو كنت ألو مع حبيبي: يسر وسهولة
وانسراح).

(١) نكد (بالضم): قليل (سَيءٌ). مهيض: مكسور.

(٢) نروح (في المساء) ونفسدو (في الصباح): في كل وقت. مَرُوعٌ: مخيف. الأرقام: الحية.

سرى بعد الهدوء خيال ليلى
وزار وأعين الرقباء تذكى
فدون طروق ذاك الحى سمر
شأكر للمكرى خلّات وصل
ولم تذر الوشاة أوان سارا^(١)
جداراً أن يزور وأن يُزارا^(٢)
تدورُ بجانيبه حيثُ دارا^(٣)
كما لقط القطا ثم استطارا^(٤)

- وقال من رسالة كتبها إلى يحيى بن غانية الملقب^(٥) (المغرب ٢ : ٣٨٢):

أطال الله بقاء الرئيس الأجلّ واضح آياتِ المساعي، مُجاباً في تأييده دَعْوَةَ
الداعي، ولا زالَ مَعْقُودَةً بِالظَّفَرِ الْوَيْتَهُ مَعْمُورَةً بِصَالِحِ الدُّعَاءِ سَاحَاتِهِ وَأُنْدِيَّتِهِ.
كِنَابِي، وَمَا حَظَّطْتُ بِحَرْفٍ إِلَّا رَمَقْتُ السَّمَاءَ بِطَرْفٍ أَدْعُو وَأَتَوَسَّلُ إِلَى مَنْ يَسْمَعُ
الدُّعَاءَ وَيَقْبَلُ، وَيُسْنِي الحُظُوظَ وَيُجْزِلُ^(٦)، عَلَى مَا أَوْلَى مِنْ قِسْمِ أُنَاحَا اللهُ عَلَى يَدَيْهِ
وَأَلْقَى أَرْزَمَتَهَا إِلَيْهِ، حَتَّى أَنْقَادَتْ لَهُ بَعْدَ شِئَاسٍ وَأَتَأْتَتْ عَلَى يَاسٍ^(٧). وَهَلْ كَانَتْ إِلَّا
خَبِيثَةَ الدَّهْرِ وَبَيْضَةَ العُقْرِ^(٨)، صَعَبَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلُ مِنْ أَوْلِي السِّيَاسَاتِ وَمُدْبِرِي
الرِّيَاسَاتِ.

- وقال أبو العلاء عبد الحق بن الجنان أيضاً (الخريدة - المغرب والأندلس، ٣ :

:٥٦٨)

- (١) الهدوء : سكون الناس في الليل ونومهم. أوان: وقت.
- (٢) أعين الرقباء تذكى: ترسل (تشدّ المراقبة على الناس).
- (٣) الطروق: الطلوع (المهيء) فجأة. الأسمر: الرمح.
- (٤) الكرى: النوم. الخلسة (بالضم): الفرصة (القصيرة). كما تناول طير القطاء الحية من الأرض بمنقاره) ثم استطار. في القاموس (٢ : ٨٠) انتشر الخ. والشاعر يقصد «استطير» (بالبناء للمجهول): ذعر (بضم فكسر)، أي خاف وطار.
- (٥) هو يحيى بن علي بن يوسف الموسوي (ت ٥٤٣ هـ)، وغانية أمه وكانت قريبة ليوسف بن تاشفين. ويحيى ابن غانية هذا كان أول الذين تولّوا الأندلس من قبل (بكر ففتح) الملتصين (المرابطين).
- (٦) يسني الحظوظ ويجزل: يعطي جوائز سنوية (ثمنية) جزيلة (كثيرة وقيمة).
- (٧) الشئاس: الإياء والامتناع. ياس: قنوط (فقدان الأمل).
- (٨) «بيضة العقر» (تاج العروس - الكويت ١٣ : ١٠٩) تطلق على أشياء كثيرة والمقصود بها (هنا) «النبيء النادر».

وَكُنَّا وَرَيْبُ الدَّهْرِ وَسَنَانُ، وَالنَّوَى بعيدُ مداها لا تَرَوُعُ لنا سِرْباً^(١)؛
 فَعُدْنَا وَقَدْ صِرْنَا بَمَرَأَى وَمَسْمَعٍ ، فأَبْصِرُ بِهِ عَيْنًا وَأَسْمِعُ بِهِ قُرْباً^(٢).
 أبا حَسَنِ، إِنْ كُنْتُ أَصْبَحْتُ نَازِحًا أَرَأَيْتَ لَمَعَ البَرَقِ أَوْ أَسْأَلُ الرِّكْبَا^(٣)،
 فَكَمْ قَدْ تَجَادَبْنَا الحَدِيثَ لِيَالِيَا نَقَلَدُهُ أَجْيَادَهَا لَوْلَوْأَ رَطْبًا^(٤).
 وَهَلْ كُنْتُ إِلَّا الشَّمْسَ لِاحْتِ نَاطِرِ فَأَوْنَةٌ شَرْقًا وَأَوْنَةٌ غَرْبًا^(٥).

٤- ** المغرب ٢: ٣٨١ - ٤٣٨٢ التكملة ٦٤٧؛ الخريدة (المغرب والأندلس) ٣: ٥٦٨؛
 الخريدة (الأندلس) ٢: ٦٥٤؛ نفع الطيب ٣: ٣١٠ - ٣١١.

أبو بكر بن الجنان

١- أبو بكر أحمد بن عبد الحق بن الجنان شاعرٌ مُجِيدٌ لم أَعَثْرَ على تاريخ وفاته
 فَالْحَقْتُ ترجمته بترجمة أبيه. وفي ظني أنه لم يَمِشْ طويلاً لأنه دخل السَّجْنَ وَعُدْبَ
 فيه وَقُتِلَ على الأراجح.

٢- هو شاعرٌ مطبوعٌ متينُ السبكِ حَسَنُ الصَّنَاعَةِ يُجِيدُ القَصَائِدَ والمُقَطَّعَاتِ.
 وشِعْرُهُ مَدَحٌ وأدبٌ (حكمة) وغَزَلٌ. وقد مَدَحَ القَاضِي أبا بكر بن أسد الشاطبي.

٣- مختارات من شعره:

- جرت على أبي بكر أحمد بن عبد الحق بن الجنان مِحنةٌ دخل على أثرها إلى

(١) ريب (حادث، مصائب) الدهر وسنان (قد غلب عليه النعاس) والنوى (الفراق، البعاد) لا تروع (لا تخيف) لنا سرباً (جماعة).

(٢) صرنا بمرأى وسمع (من الدهر) يصيبنا بأحداثه. فأبصر به الخ (والدهر قويّ المصر قويّ السمع فأصابتنا بمصائب كثيرة).

(٣) نازح: بعيد، مغترب. الركب (الجماعة الراكبون: المسافرون معاً): أسأل عنك الناس وأحاول أن أعرف أخبارك في كل مناسبة. - راجع في خطاب «أبي حسن» ترجمة ابن الفخار المالقي (ت ٥٣٩ هـ).

(٤) كانت أحاديثك كالقفلاند من اللؤلؤ الثمين لأجيدنا (لأعناقنا).

(٥) كناية عن كثرة أسفاره.

السَّجْنُ وَوُضِعَتِ الْأَكْبَالُ (القيود) في يديه . وَلَمَّا أَيْقَنَ بِالْمَوْتِ كَتَبَ عَلَى حَائِطِ السَّجْنِ
بِقِطْعَةٍ مِنَ الْفَخْمِ (المغرب ٢ : ٣٨٢):

أَلَا دَرَى الصَّيْدُ مِنْ قَوْمِي الصَّنَادِيدُ أَنِّي أُسِيرٌ - بَدَارُ الْهُونِ - مَقْصُودُ .
لَا أَسْطُ الْخَطْوُ إِلَّا ظِلٌّ يَتَّبِعُهُ كَيْلٌ - كَمَا التَّفَتُّ الْحَيَاتِ - مَعْقُودُ .
وَقَدْ تَأَلَّبَ أَقْوَامٌ لَسْفِكَ دَمِي لَا يَعرِفُ الْفَضْلُ مَنَاهِمَ وَلَا الْجُودَ
- وَقَالَ فِي غَلَامٍ مَرَّ بِهِ يَفْقِزُ فَارًّا (مَنْ نَارٍ عَلَقَتْ بِهِ؟):

وَوَسِيمِ الْخَلْقِ وَالْخُلُقِ يَنْشِي كَالنُّصْنِ فِي الْوَرَقِ ،
مَرَّ يَلْقَى النَّارَ فِي ضَرْمٍ كَفَوَادِ الصَّبِّ مُخْتَرِقِ .
وَمَضَى يَخْتَابُ جَاحِمَهَا * كَانْصِلَاتِ النَّجْمِ فِي الْأَفْقِ .

- قَالَ ابْنُ الْجَنَانِ الْمُرْسِيُّ يَمْدَحُ قَاضِيًا اسْمُهُ (أَوْ كُنْيَتُهُ) أَبُو بَكْرٍ بِقَصِيدَةٍ مِنْهَا:
أَلَا طَرَقْتَنَا فِي الدُّجَى رَبَّةُ الْخِندَرِ وَقَدْ جَنَحَتْ فِي الْأَفْقِ أُجْنِحَةُ النَّسْرِ (١)
وَمَالَتْ إِلَى الْغَرْبِ الثَّرِيًّا كَأَنَّهَا مَطَارُ حَامٍ رَامَ نَهْضًا إِلَى وَكْرٍ (٢) ،
فَهَبَّتْ مَعَ الْفَجْرِ النَّعَامِي فَجَرَّرَتْ ذُبُولًا عَلَى الْغَيْطَانِ عَاطِرَةَ النَّشْرِ (٣) .
فَمَنْ مُبْلِغِي - وَالِدَارُ بِالْقَوْمِ غُرْبَةً شَطُونٌ - وَصِدْقُ الْقَوْلِ أَجْدَرُ بِالْحُمْرِ (٤) ،
عَنِ الرَّوْضِ بِالرُّوحَاءِ كَيْفَ نَسِيمُهُ، وَهَلْ جَادَةٌ بَعْدِي مُلْتُ مِنْ الْقَطْرِ (٥) ،
وَهَلْ حَلَّ قَلْبِي فِي مَعَاهِدِ زَيْنَبِ بِذَاتِ النَّقَامِ رَاحَ فِي ذَلِكَ السَّفَرِ (٦) .
وَمِمَّا شَجَا نَفْسِي تَأَلَّقُ بَارِقِ يُقَدُّ جَلَابِيبَ الدُّجْنَةِ إِذْ يَسْرِي (٧) .

- (١) طرق: طلع (جاء) فجأة. ربة الخندر (المرأة المصونة). المقصود بالنسر هنا كوكبة (مجموعة نجوم).
جنتح في الأفق: مالت إلى المغرب، كناية عن اقتراب نهاية الليل (راجع البيت الذي يلي التالي).
- (٢) مطار جمع مطارة: مكان يكثر فيه الطير. نهض الطير: بسط جناحيه ليطير.
- (٣) النعامي ربح الجنوب (وهي في شبه جزيرة العرب رطبة محبوبة).
- (٤) الشطون (بالفتح): بعيدة.
- * الجاحم: الجمر الشديد الاشتعال.
- (٥) الروحاء (اسم مكان). الملت (المستمر). الفطر: المطر.
- (٦) السفر (بالفتح): الجماعة المسافرون معاً.
- (٧) شجا: حزن (بفتح ففتح) وأحزن. تألق: لمان. بقد (بشق) جلابيب (جمع جلباب: ثوب) الدجنة (الظلام) إذ (حينما) يسري (يسير ليلاً).

مَلِيحٌ إِذَا مَا أَهْتَاجَ قُلْتُ: صَفِيحَةٌ مِنْ الْهِنْدِ أَوْ رَجَمٌ مِنَ الْأَنْجُمِ الزُّهْرُ (١)،
 يَنْوُءُ بِهِ مُسْتَمَطَّرٌ ذُو هَيَادِبٍ كَمَا نَهَضَتْ بُدْنُ الْحَجِيجِ إِلَى النَّحْرِ (٢).
 إِلَى كَمْ أَطْيَعُ الْقَلْبَ فِي طَلَبِ الصَّبَا

وَأَجْهَدُ نَفْسِي فِي هَوَى الْبَيْضِ وَالسُّمْرِ (٣)؟
 سَأْتِي عِنَانَ الشَّعْرِ عَنْ سُبُلِ الْهَوَى إِلَى مِدْحَةِ الْقَاضِي الْأَجَلِّ أَبِي بَكْرٍ (٤)؛
 فَتَى أَنْهَضَ الْإِسْلَامَ فِي سُبُلِ الْهُدَى وَصَيَّرَ طَيِّ الْمَعْلُوتَاتِ إِلَى النَّشْرِ (٥)،
 وَشَيَّدَ أَرْكَانَ الدِّيَانَةِ فَاعْتَدَتْ تَزَاجِمُ أَشْبَاحِ النَّعَامِ وَالنَّسْرِ (٦).
 حَفِيظٌ عَلَى ذَاتِ الْآلَةِ وَدِينِهِ، مَلِيحٌ بِمَا يُرِضِيهِ فِي السَّرِّ وَالْجَهْرِ (٧).
 تَحَدَّثَ عَنْ آثَارِهِ فَتَيَّبَهُ السُّرَى كَمَا حَدَّثُوا فِي الْمَحَلِّ عَنْ سُبُلِ الْقَطْرِ (٨).
 وَأَصْفَرَ مَصْقُولِ الْأَدِيمِ أَجَلْتَهُ قَرِيعَتٌ مَتُونِ الْبَيْضِ وَالذُّبْلِ السُّمْرِ (٩).
 إِذَا اسْتَنْطَقْتَ يُمْنَاكَ مِنْهُ مَفَوَّهًا أَجَابَ بِمَا يُثْنِي بِهِ نُوبَ الدَّهْرِ (١٠).
 وَإِنْ خَضِبْتَ أَعْلَاهُ مَجَّةً حَبْرَهُ قَضَى بِالْحُبُورِ الْجَمَّ عَنْ ذَلِكَ الْحَبْرِ (١١).

- (١) صفيحة من الهند (صفحة سيف من صنع الهند). رجم (شهاب مضيء ساقط إلى جو الأرض). الأزهر: الأبيض، اللامع.
- (٢) مستمطر (قطع سحب فيها مطر). الهيدب: ما يتدلى من السحاب فيكون قريباً من الأرض (لكثرة الماء الذي فيه). البدنة (يفتح ففتح): حيوان (كالجمل والبقرة والحروف). الحجيج: الحجاج. النحر: الذبيح. ويستحسن في البدن (بالضم) التي يضحى بها الحجاج أن تكون سميكة.
- (٣) الصبا: الشباب (أفعال الشباب). أجهد: أتمب. البيض والسر (النساء الجميلات).
- (٤) سأتي (أرد) عنان (زمام) الشعر من الغزل (الهزل) إلى المدح (الجدد - بكسر الجيم).
- (٥) المعلاة: مقبرة مكة. طي (ما في بطن) المعلوات (جمع معلاة): المقابر. - أحياناً آمال الناس (٤).
- (٦) تزاجم: تناوب (ترتفع، تملو) أشباح (أجسام) النعام والنسر (مجموعتا كواكب): جعل مكانة الدين سامية.
- (٧) المي: الكثير المال، والمضطلع بالأمور (التقدير على تصريف الأمور).
- (٨) السرى (السير ليلاً). المحل: الجذب، انقطاع المطر. القطر: المطر. - تحدت الناس في أسرارهم عنه (باهتمام وسرور) كما يتحدت الناس عادة عن سقوط المطر بعد زمن طويل من الجذب والقطط.
- (٩) وأصفر (قلم) أجلته (على الورقة). ريعت (الجهول من راع: خاف) المتن: الحد. البيض (السيوف) والذبل السر (الرماح).
- (١٠) المفوة: التقدير على الكلام. يثنى: يرد، يدفع. النائبة: الحادث، المصيبة.
- (١١) خضب: صبغ. أعلاه (أعلى القلم: الطرف البري الذي يكتب به). الحبور: السرور. الجم: الكثير.

إليك، أبا بكر، بَعَثْتُ عَقِيلَةَ
ولستُ كَمَنْ يَنْبَغِي نَوَالٌ مُمَدَّحٍ
فَكَالرَّوْضِ يَنْدَى أَوْ كَعَثْبَةِ الشَّخْرِ (٢)
فَسِيحَ الْمَدَى سَامِي الْمَرَاتِبِ وَالذِّكْرِ
وما إنْ لها إِلَّا قَبُولُكَ مِنْ مَهْرٍ (١).

- وله في النسيب:

خَلِيلِي مِنْ وَادِي الْيَامَةِ، خَبْرًا
وهلْ سَرَحَةُ الْقَاعِ الرِّيعِ جَنَابُهُ
وما هِيَ إِلَّا لِلْوَدَاعِ مَوَاقِفُ
فيا رَاكِبَ الْوَجْنَاءِ، هل أَنْتَ مُبْلَغُ
مَتَى يَلْتَقِي جِسْمٌ بِرَامَةٍ مِنْهُمْ
هلِ الْبَانُ فِي أَرْجَائِهِ يَتَأَوَّدُ (٤)؟
تَصِيحُ إِذَا غَنَى الْحَمَامُ الْمَغْرَدُ (٥)
يُرَاقُ بِهَا دَمْعٌ وَيَفْسَى تَجَلَّدُ.
دِيَارَ سَلِيمِي مَا أَقُولُ وَأُنْشِدُ (٦):
وَجِسْمٌ بِأَكْنَافِ الْعَقِيقِينَ مُنْجِدُ (٧)؟

٤- ** الخريدة (المغرب والأندلس) ٢: ٢٥٣ - ٢٥٥؛ الخريدة (الأندلس) ٢: ١٤٩ -
١١٥؛ المغرب ٢: ٣٨٢ - ٣٨٣؛ زاد المسافر ٧٣ (١١٥).

ابن مجبر الصقليّ

١ - هو مُجَبِّرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَبَابِ الْأُمَوِيِّ،
المعروف بابن مجبرٍ وُلِدَ فِي صِقْلِيَّةَ، سَنَةَ ٤٦٤ هـ (١٠٧١ - ١٠٧٢ م). وقد هاجر إلى
مِصْرَ فِي مَطْلَعِ حَيَاتِهِ، سَنَةَ ٤٨١ هـ. وكانت وفاته قبل سنة ٥٤٠ هـ (١١٤٥ م).

- (١) عقيلة: زوجة كريمة (قصيدة).
- (٢) الشعران: الثمرى العبور والشمرى الفمضاء نجان من القدر الكبير.
- (٣) غراء: بيضاء (كريمة). الشحر (شاطيء) في جنوب شبه جزيرة العرب.
- (٤) البان: شجر أغصانه طويلة ورشقة وسراء ملساء (لعله كناية عن المحبوبة) يتأوّد: يتأمل (سروراً وسعادة).
- (٥) السرحة: الشجرة الطويلة الكبيرة (لعلها أيضاً كناية عن المحبوبة). المريع: الخصب. جنابه: جانبه.
- تصيح (تعبّر عن سرورها أو عن حزنها).
- (٦) الوجناء: الناقة.
- (٧) المنهم: المقيم في نامة (بالكسر: عند شاطئ البحر) والمنجد (السكن في نجد: المكان العالي).

٢ - كان ابن مجير الصقلّي رجلاً جديداً كريماً الخلق، وكان شاعراً فحلاً مكثرأ. وشعره فصيح الألفاظ متين التركيب مع سهولة واضحة. وفنون شعره المديح والغزل والوصف والأدب (الحكمة). ويبدو أنه كان قد أخذ نفسه بنظم مَلْحَمَةِ «السيرة المصرية».

٣ - مختارات من شعره:

- قال ابن مجير الصقلّي قصيدة في مدح رجلٍ كريمٍ، منها:

أَمْلاً كُؤُوسَكَ بِالْمَدَامِ وَهَاتِمَا.	إِنَّ الْهُوَى لِلنَّفْسِ مِنْ لَذَائِمَا ^(١) .
إِصْرَفْ عَنِ الْمُسْتَقِ صِرْفَ مُدَامَةٍ	رَشَفْ الرُّضَابِ أَلْدُ مِنْ رَشَفَاتِمَا ^(٢) .
وَأَحِلُّ أَشْرِبَتِي وَأَحْلَاهَا الَّتِي	أَمَسَتْ تُغَوِّرُ الْبَيْضَ مِنْ كَاسَاتِمَا ^(٣) .
وَمَرِيضَةِ الْأَجْفَانِ سَامَتْ فِي الْهُوَى	قَتَلِي قَهَانَ عَلِيٍّ فِي مَرَضَاتِمَا ^(٤) .
مَا زِلْتُ أَصْفَحُ فِي الْهُوَى عَنْ جُرْمِهَا	وَأَغْضُ فِي الْإِعْرَاضِ عَنْ هَفَوَاتِمَا،
حَتَّى تَوَهَّمْتُ الصَّدُودَ زِيَادَةً	فِي حُسْنِهَا عِنْدِي وَفِي حَسَنَاتِمَا.
مَا خِلْتُ أَنْ النَّفْسَ يَنْكُدُ عَيْشُهَا	حَتَّى يَكُونَ الْمَوْتُ مِنْ شَهَوَاتِمَا.
أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ الْقِيَابَ وَأَوْجُهَهَا	فِيهِنَّ كَالْأَقْبَارِ فِي هَالَاتِمَا ^(٥) ،
وَالْوَرْدُ يَحْسُدُ نَرْجِسًا وَيَنْفَسَجَا	فِي شَهْلِ أَعْيُنِهَا وَلُفْسٍ لِثَاتِمَا ^(٦) .
تِلْكَ الرِّيَاضُ اللَّاءُ مَا بَرِحَتْ يَدِي	تَجْنِي ثِيَارَ الْوَصْلِ مِنْ وَجَنَاتِمَا ^(٧) .

(١) المدام: الخمر.

(٢) الصرف: الخالصة (غير المزوجة بجاه). الرضاب: الريق ما دام في الفم.

(٣) الثغر: الفم. البيضاء: المرأة الجميلة.

(٤) سام السلعة: عرضها للبيع وطلب فيها ثمناً. هان: سهل.

(٥) القباب جمع قبة (بالضّم): خيمة صغيرة أعلاها مستدير (تكون عادة للمرأة). الهالة: دائرة ترى أحياناً محيطاً بالقمر أو الشمس أو السراج (يشبه المرأة في القبة كالقمر في وسط الهالة).

(٦) الورد (النبات الطبيعي) يحسد النرجس الذي يشبه عينيها (أو عينيها اللتين تشبهان النرجس). الشهلة (بالضّم): أن يخالط يؤؤو العين حرة (أو صفرة). اللفس: السررة. اللثة (بكسر ففتح بلا تشديد):

اللحم الذي تبت فيه الأسنان.

(٧) اللاء: اللائي، اللوائي، التي.

وَلَرُبُّ قَافِيَةٍ شَرُودٍ شَرَّدَتْ
حَتَّى وَرَدَتْ مِنْ التَّأْسِفِ بَعْدَهَا
مَا زِلْتُ أَنْظِمُ طَيْبَ ذِكْرِكَ عَنبراً
حَتَّى إِذَا نَشَرَ الصَّبَاحُ رِداءَهُ
وَتَمَثَّلَتْ عِقْداً تَوَدُّ كَوَاكِبُ الـ
أَعْدَدْتُهَا لِلِقَاءِ مَدْحِكَ سُبْحَةً
وَمَدَائِحُ الْكُرَمَاءِ خَيْرُ وَسِيلَةٍ
وَأَحَقُّهَا بِالنُّجْحِ مَدْحُكَ إِنَّهُ
فَالْيَوْمَ أَنْشُرُهَا جِوَاهِرَ حِكْمَةٍ
قَسماً بَيْنَ قَسَمِ الْمُحْظوظِ فَبِلْتِ أَذْ
وَبِنِى الْعُلَى رُتْباً فَكُنْتَ بِفَضْلِهِ
لَوْلَا وَجُودُكَ فِي الزَّمَانِ وَجُودُكَ الـ
لَمْ يُعْرَفِ الْمَعْرُوفُ فِي الدُّنْيَا وَلَوْ

٤- ** الخريدة (مص) ٢ : ٨٢ - ٨٩ .

ابن بقيّ الأندلسي

١ - هو أبو بكر يحيى بن أحمد (أو محمد) بن عبد الرحمن بن بقيّ^(٧) القيسيّ،
القرطبيّ الطليطليّ الأندلسيّ. ومن المستغرب أنّ المعروف من تفاصيل حياته نَزَرَ

- (١) القافية الشroud: السائرة في البلاد. يقصد قصيدة بارعة جعل قوافيها متخيّرة موافقة لأبياتها.
- (٢) أرج: طيب الرائحة.
- (٣) اللبّة: أعلى الصدر.
- (٤) القرية: ما يتقرّب به الإنسان إلى غيره (في الأصل: إلى الله).
- (٥) استولى على الغاية: سبق المتبارين.
- (٦) جودك (كرمك). بقْدُ بقْدُ وفاتها (موت المكارم منذ زمن بعيد).
- (٧) ابن بقيّ من أهل وادي آش (جنوبيّ الأندلس) وولاه في وادي آش (صلة الصلة ١٧٤).

قليلٌ برُغمِ شهرته وتقدُّمه في تاريخ الأدب.

كان مولدُ ابنِ بَقِيٍّ (في طليطلة؟) في أواخرِ القرنِ الهِجْرِيِّ الخامسِ (الحادي عَشَرَ للميلاد) قضى حياته في التَّطَوُّافِ في الأندلسِ نفسها وفي المغربِ من غيرِ أن ينالَ خيراً إلى أن قرَّبَهُ يحيى بنُ عليِّ بنِ القاسمِ من بني العُشَيْرَةِ القُضَاةِ في سَلا (قُربَ الرِّباط - في المغرب) فنال عنده حُطوةً يبدو أنها لم تَطُلْ فعادَ من المغربِ غاضباً يائساً. ثم كانت وفاته في سَنَةِ ٥٤٠ هـ (١١٤٥ م)، في روايةِ ياقوتِ (معجم الأديب ٢٠: ٢١) وروايةِ ابنِ خَلِّكَانَ (وفيات الأعيان ٦: ٢٠٥). وقيل سَنَةُ ٥٤٥ هـ.

٢- أبو بكرِ بنِ بَقِيٍّ ناثراً^(١) وشاعرٌ مُجيدٌ ووشاحٌ بارعٌ صاحبُ موشحاتٍ وقصيدٍ في مقاطعٍ وقصائدٍ طوالٍ. كانت فنونه المديحُ، أكثرُ من مديحِ يحيى بنِ عليِّ ابنِ القاسمِ، والشكوى والغزلِ الرقيقِ والنسيبِ. ويبدو أنه قد نُسيبَت إليه موشحاتٌ لم تكن له، ولكن شهرته دفعت الرواة إلى ذلك. ومع أن ابنِ بَقِيٍّ كان ذا مكانةٍ ساميةٍ في التوشيحِ، فإن الأعمى التُّطَيْلِيَّ كان أكثرَ توفيقاً منه في بعض الأحيان (راجع مقدمة ابن خلدون ٥٨٤ / ١١٣٩ - ١١٤٠). وكان في موشحاته «خرجات» (والخرجة نهاية الموشحة) رومانسية، أي باللغة الأعجمية لغة نصارى الأندلس (راجع دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٢٩).

٣- مختارات من شعره:

- موشحة ابنِ بَقِيٍّ:

غَلَبَ الشوقُ بقلبي فأشتكى أَلَمَ الوَجْدِ فَلَبَّتِ أذمعي.

* * *

أَيُّهَا النَّاسُ، فُوَادِي شَفِيفُ؛
وهو مِنْ بَقِيٍّ الهوى لا يُنصَفُ؛

(١) وهو ناثراً أيضاً (صلة الصلة ١٧٤).

كَمْ أَدَارِيهِهِ وَدَنَمِي يَكْرِفُ؟
أُهْمَا الشَادِنُ مَنْ عَلَّمَكَا بِسِهَامِ اللَّحْظِ قَتَلَ السَّبْعِ (١)؟

* * *

بِـدَرُ يَمَّ تَحْتَ لَيْلٍ أَعْطَشَ،
طَالَعُ فِي غُصْنِ بَنَانٍ مُنْتَشِرِ،
أَهْيَفُ الْقَدِّ بَخْدِ أَرْقَشِ.
سَاحِرُ الطَّرْفِ، وَكَمْ ذَا فَتَكََا بِقُلُوبِ الْأُسْدِ بَيْنَ الْأَضْلَعِ (٢)!

* * *

أَيُّ رِيمٍ رُمْتَهُ فَأَجْتَنِبَا،
وَأَنْتَنِي يَهْتَزُّ مِنْ سُكْرِ الصَّبَا
كَفْضِيبِ هَزَّةِ رِيحِ الصَّبَا.
قَلْتُ: هَبْ لِي، يَا حَبِيبِي، وَصَلِّكََا وَأَطْرِحْ أَسْبَابَ هَجْرِ وَدَعِ (٣).

* * *

قَالَ: خَدِّي زَهْرَةَ مُذْ قُوْنَا
جَرَدْتُ عَيْنَايَ سَيْفًا مُرْهَفَا
حَدْرًا مِنْهُ بَالًا يُقْطِنَا.

(١) الوجد: ألم الحب. شَفَفَ (لبت في الغاموس). المقصود « مشفوف »: مجنون (من الحب). البعي: الظلم.

يكف: يهطل، ينسكب. الشادن: الغزال الصغير.

(٢) أَعْطَشَ: ضعيف البصر. والشاعر يقصد ليل غاطش (تاج العروس - الكويت ١٧ : ٢٩٢): مظلم. منتش: سكران (يتأود: يتأبل مثل السكران). أهيف القد: تحيل متمدل القائمة. أرقش: (فيه ألوان): أحمر (٤).

(٣) ريم: غزال أبيض. رام: طلب. ربح الصبا: ربح الشرق. يجب أن يقول: هزته.

إِنْ مَنْ رَامَ جَنَاهُ هَلَكَا فَأَزَلَّ عَنْكَ عِلَالُ الطَّمَعِ (١).

* * *

ذَابَ قَلْبِي فِي هَوَى ظَمِي غَرِيرٍ،
وَجْهُهُ فِي الدَّجْنِ صُبْحٌ مُتَنِيرٍ،
وَفُؤَادِي بَيْنَ كَفَيْهِهِ أُسِيرٍ.

لم أجد للصبر عنه مَلَكَا فَأنتصاري بَأَسْكَابِ الأذْمَعِ (٢).

- شكوى مريرة من الدهر والناس في الوطن والغربة:

إلى الله أشكوها نَوَى أَجْنِبِيَّةَ لها من أبيها الدهرُ شيمَةً ظالمٍ (٣).
إذا جاش صدرُ الأرضِ في كَنْتٍ مُنْجِدًا وان لم يَجْشُ في كَنْتِ بَيْنَ التَهَامِ (٤).
أَكَلُ بَنِي الآدَابِ مِثْلِي ضَائِعٌ فأجعلَ ظلمي أسوَةً في المظالمِ.
ستبكي قوافي الشعرِ ملءَ جفونِها على عَرَيِّ ضَاعَ بَيْنَ أعاجمِ.

- وقال في النسيب:

بأبي غزالٍ غازلتُهُ مُقْلِي بين العُذيبِ وبين سَطَئِي بارقي (٥)؛
وسألتُ منه زيارةً تُشفي الجوى فأجابني فيها بوعْدِ صادقٍ (٦).
بِتَنَا ونَحْنُ مِنَ الدُّجَى في لُجَّةٍ ومن النُجُومِ الزُّهرِ تحتَ سُرَادِقِ (٧).

(١) التفويف: التلون (كثرة الألوان). مرهف: رقيق (حاد، قاطع). جناء = اجتناؤه: قطفه (تقبيله).
علال (ليست في القاموس بالمعنى المقصود). الشاعر يقصد علاله (بالضم: ما يتلوه الإنسان به) أو
التطلل: التأميل، الأمل.

(٢) الغرير (الصغير، القليل الاختيار). الدجن: النعم.

(٣) نوى: بعاد، فراق. الأجنبية: الغريبة (البعيدة، في بلاد أجنبية؟). شيمة: خصلة.

(٤) جاش: تحرك، اضطرب. جاش في صدر الأرض: سرت في الأرض كثيراً. المنجد: المرتقي إلى النجد
(المكان المرتفع). التهائم جمع تهامة (بالتفتح أو بالكسر): الأرض المنخفضة.

(٥) العذيب وبارقي من أسماء الأماكن (ولا يقصد بها هنا مكاناً بعينه).

(٦) الجوى: ألم الحب.

(٧) الدجى (الظلام). اللجة: معظم الماء (في ظلام شديد). الزهر جمع أزهر وزهراء (أبيض، لامع).

السرادق: كل ما أحاط بك (خيمة كبيرة ممتدة: كانت النجوم كثيرة؟). بات: قضى الليل.

عاطيته، والليلُ يحبُّ ذَيْلَهُ،
 وضمَّمته ضمَّ الكميِّ لِسيفِهِ
 حتَّى إذا مالتُ به سِنَّةُ الكرى
 بأعدَّته عن أضلعِ تشتاقه
 صهباءُ كالمسكِ الفتيقِ لناشِقٍ^(١)،
 وذُؤابتاهُ حائلٌ في عاتقي^(٢).
 زحزحته شيئاً وكان معانقي^(٣)؛
 كيلاً ينامَ على وسادِ خافقٍ^(٤)!
 - وقال يتغزل:

يا أَقْتَلَ النَّاسِ الحَاظِماً وَأَطْيَبِهِم
 ريقاً، متى كان فيك الصابُ والمَل^(٥)؟
 في صَحْنِ خَدِّكَ، وهو الشمسُ طالعةٌ،
 ورَدُّ يزيدك فيه الراحُ والحجل^(٦).
 إيمانُ حَبِّكَ في قلبي تُجدِّدهُ
 مِن خَدِّكَ الكُتْبُ أو من لحظك الرُّسل.
 إن كنتَ تجهلُ أَنِّي عبدٌ مَمْلُوكَةٌ
 مُرني لِمَا شئتَ آتِيه وأمثلُ^(٧).
 لو أَطْلَعْتَ على قلبي وجدتَ به
 مِن فِعْلِ عَيْنَيْكَ جُرْحاً ليسَ يندَمِل.

٤- ** ثلاثه العيان ٣٢٢ - ٣٢٦؛ الخريدة (المغرب والأندلس) ٢٣٦ - ٢٤٦، ٣؛
 ٥٧٩؛ الخريدة (الأندلس) ٢: ١٣٠ - ١٤٣؛ المطرب ١٩٨؛ المغرب ٢: ١٩ -
 ٢١، ٢٥؛ وفيات الأعيان ٦: ٢٠٢ - ٢٠٥؛ معجم الأديب ٢٠: ٢١ - ٢٥
 البيان المغرب ٢: ١٩٢؛ التكملة؛ (رقم ٢٠٤٢) صلة الصلة ١٧٤؛
 جيش التوشيح ٢ - ١٥، راجع ٢٢٧ - ٢٣٠؛ نفع الطيب ١: ٤٧١ - ٤٧٣، ٣؛

- (١) عاطيته: شربت وإياه. والليل يحب ذيله (طول الليل؟). صهباء: خر حرام اللون. الفتيق = الفتوق (من إناه فتح لأول مرة). الناشق (يقصد المنتشق والمنتشق: الذي يقصد أن يشم رائحة ما).
 (٢) الكمي: الكامل السلاح. ضم الكمي لسيفه (حباً له ومحافظة عليه). الذؤابة: الضفيرة. حالة (ملاقة على). العاتق ما بين العنق والكتف.
 (٣) السنة (بالكسر): الناس. الكرى: النوم.
 (٤) وساد: مخدة. وساد خافق (يقصد قلبه).
 (٥) الصاب: شجر مر.
 (٦) لون الراح (الحمر - الحمرة) ولون الحجل (الحمرة) أو طعم الحمر (عند شمّ الحنّ وتقبيله) ولون الحجل.
 (٧) حق «آتية وأمثل» الجزم (في جواب الأمر). ويستقيم الإعراب إذا قلنا: مرني، فما شئت آتية وأمثل (أطبع).

٢٠٨ - ٢٠٩، ٣٤٧ - ٣٤٨، ٤٠٤، ٤٣٩ - ٤٤٠، ٤٤٨، ٤ : ١٣، ١٥٥،
 ٢٣٦ - ٢٤٠، ٧ : ٦ - ٧، ٤٧ دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ٧٢٩، نيكل ٢٤١ -
 ٢٤٤ مختارات نيكل ١٦٣ - ١٦٥، الأعلام للزركلي ٩ : ١٨٨ (٨ : ١٥٨).

ابن أبي الخِصَالِ العَاقِقيّ

١ - هو ذو الوِزَارَتَيْنِ أبو عبد الله محمد بن مسمود بن طيب بن فرج بن خَلَصَة الشَّقورِيُّ المعروف بابن أبي الخِصَالِ العَاقِقيّ (نفع الطيب ١ : ٢٩٤)، وأوَّلِيَّتُهُ من فَرَعِليطَ، قُرْبَ شَقورَة، وفيها كان مولده، سَنَة ٤٦٥ هـ (١٠٧٢ م)، وكانت نشأته أيضاً. ثم إن ابن أبي الخِصَالِ انتقلَ إلى قُرطِبة وسكنها.

وتردّد ابن أبي الخِصَالِ على أبي الحسن ابن مالك البَعْرِيّ قاضي أُنْدَة (راجع نفع الطيب ٣ : ٥١٩ - ٥٢٠). ثم عُنيَ بالحديث فقرأ على أبي عليّ الحسين بن محمد بن سُكْرَة الصّدّقيّ (ت ٥١٤ هـ) بالرّية صحيح مُسلم وجامع التّرميذِيّ ومُصنّف أبي داوود وأكثر صحيح البخاريّ.

وترقى في مراتب الدولة فأصبحَ رئيسَ كُتّاب الأندلس. وقد كان كاتباً لوالي غرناطة عليّ بن يوسف بن تاشفين (قبل أن يليّ عليّ بن يوسف السُلطنة، سَنَة ٥٠٠ هـ).

ولما قام السُلطان عليّ بن يوسف بحملته على طليّبة (غرب طليّطة) رافقه ابن أبي الخِصَالِ. وسكّن ابن أبي الخِصَالِ مُدّة في فاس.

ولما استولى المصامدة (الموحّدون) على الأندلس ظلّ يحيى بن غانية (آخر ولاة المرابطين على الأندلس) يُقاومُ جيوشهم. واتفق يوماً أن كان محمد بن أبي الخِصَالِ في باب بيته في قُرطِبة فرأى الجنود المصامدة يهاجمون الناسَ ويقتلون نفراً منهم. فجعل ثقةً بمكانته العلمية وحُباً بدفاعه عن الخلق والحقّ والدين ينصحُ الجنود بالكفّ عن قتل الناس. فجاء الجندُ إليه وقتلوه، في ثاني عشر ذي الحجة من سَنَة ٥٤٠ (١١٤٦/٥/٢٧ م).

٢ - كان محمد بن أبي الخِصال مُتَفَنِّناً في العلوم مُسْتَبِحِراً في الآداب واللُّغاتِ (لغات العرب: لهجات العرب) بارعاً في البلاغة أديباً مُتَرَسِّلاً حتَّى اشتهرَ بأنّه رئيسُ كُتَّابِ الأندلس في أيامه، وإن كانت عنايةُ الأولى مُتَّجِهَةً إلى الحديث. وكذلك كان عالماً بالأخبار (التاريخ). ثمّ إنّه كان شاعراً يُحسِّنُ الارتفاعِ، وكانت أكثرُ براعته في الوصف. غيرَ أنّه كان قليلَ الابتكار كما كان على شعره شيءٌ من الجفاف. ونثره مُثَقَّلٌ بالصناعة.

وكان مُصنِّفاً أيضاً له كُتُبٌ منها: مجموعُ ترسُّلٍ وشعرٍ في خمسة مجلِّدات (معجم ابن الأَبَّار ١٤٤) - ظِلُّ القَمامة (في مناقبِ الصَّحابَةِ) - مِنهاجِ المناقب - مِنهاجِ العَشْرَةِ (المُبَشِّرِينَ بِالجنَّةِ؟) وَعَمِّيَ الرسولِ (حَمْرَةَ والعبَّاس؟).

٣ - مختارات من آثاره:

- كان لأبي عبدِ الله ابنِ أبي الخِصالِ أقوالٌ في الحكمة منها (المغرب ٢: ٦٦ - ٦٧):

لولا الظلامُ ما سَطَعَ السَّراجُ ولولا الصَّبْرُ ما نَفَعَ الإِفراجُ - حقَّ الأديبِ على الأديبِ حقُّ الوابِلِ^(١) على المكانِ الجَدِيبِ - أَعْفِ صديقَكَ من ربيعِ العِتَابِ وإن كانَ نَسِياً.

- وقال في مَعْنُ زارَه بعدَ أن كان قد أَعْبَى (انقطع عنه مدّة):

وافى وقد عَظُمَتِ عَلَيَّ ذنوبُهُ في غَيْبَةِ قَبُحَتِ بِها آثارُهُ.
فمحا إِسْأاتِهِ بِها إِحْسانُهُ، واستَغْفرتُ لِذُنُوبِهِ أوتارُهُ^(٢).

- وكتب الفتحُ بنُ خاقانِ إلى أبي عبدِ الله بنِ أبي الخِصالِ يَطْلُبُ منه نُخبَةً من شعره فردَّ ابنُ أبي الخِصالِ بِرسالةٍ يعتذرُ فيها مِنْ ذلك، منها (قلائد العقيان).

(١) الوابِل: المطر الكثير.

(٢) الأوتار جمع وتر (كتابة عن العزف على الآلة الموسيقية): غنائي غناءً عذباً فنسيت هجرانه لي من قبل.

الحَبْرُ - أَعْرَكَ اللهُ - يُؤْتَى مِنَ الثَّمَةِ^(١)، والحبيبُ يُؤَدَى مِنَ المِقَّةِ^(٢). وقد كنت أرضى من ودك، وهو الصحيح، بلمحة؛ وأقنع من ثنايك، وهو المسك، بنفحة. فما زلت تُعرِّضني للامتحان وتطالبني بالبرهان، وتأخذني بالبيان، وأنا بنفسى أعلم وعلى مقداري أحوط وأحزم^(٣). والمعبيدي يسمع به لا أن يرى^(٤)، وإن وردت أخباره تترى^(٥)، فشخصه مُقْتَحَمٌ مُزْدَرَى^(٦). ولا سيما من لا يُجَلِّي ناطقاً ولا يُبرِّزُ سابقاً^(٧). فَتَرَكُهُ والظنونُ تَرَجُمُهُ، والقائلُ والقيلُ يَقْسِمُهُ^(٨). أولى به من كشف القناع والتخلُّف عن منزلة الإمتاع^(٩). وفي الوقتِ فُرسَانُ هذا الشأن^(١٠). وَقُطَّانُ هذه المناهلِ وهُدَاةُ تلك المجاهل^(١١)... وأنا أنزُهُ ديوانه التزيه^(١٢) وتوجيهه الوجية عن سَقَطِ مِنَ المَتَاعِ^(١٣) قليل الإمتاع.....

- وقال في الخمر والنسب:

وليلة عَنبرَيْسَةَ الأُفُقِ رَوَيْتُ فِيهَا السُرُورَ مِنْ طُرُقِ^(١٤)؛

- (١) الذي يحذر من الأشياء التي ينك فيها يُخدع أحياناً بالشيء الذي ينك به.
- (٢) المقة: الحبة.
- (٣) أنا على مقداري احوط (أكثر حذراً) من أن تنزل مكائتي عندك.
- (٤) تسمع بالمعبيدي خير من أن تراه مثل يضرب لمن كانت حقيقته أقل من ظاهره.
- (٥) ترى: متوالية.
- (٦) مقتحم: تقتحمه العين (لا تكبره إذا رأته). مزدري: محقر.
- (٧) جلي الفرس: سبق (إذا نطقت أنا لم أحسن الكلام مثل أصحابي). برز الفرس: سبق. وبرز الرجل: فاق أصحابه في الفضل.
- (٨) إذا تركت صاحبك ورأي الناس فيه مختلف بين الإجادة والإساءة خير من أن تكشفه فتثبت إساءته.
- (٩) امتنع الشيء: سر.
- (١٠) وفي (هذا) الوقت (الذي نحن فيه) فرسان (بارعون). هذا الشأن (الشعر).
- (١١) القاطن الساكن. الهادي: الدليل. المهمل: الأرض لا معالم (علامات) فيها. - هنالك من هو أبرع مني في ذلك.
- (١٢) أنزُهُ: أجله أبعد عن العيب. ديوانه (كتاب القلائد للفتح بن خاقان). التزيه (الذي لا ملطن فيه).
- (١٣) توجيهه: اتجاهه (خطه، طريقه). الوجية: السيد في قومه (الصحيح الاتجاه). سقط المتاع: الأشياء الرديئة.
- (١٤) عنبرية: سوداء (كثيرة الغيم). رويت فيها السرور من طرق: تمت بأنواع مختلفة من اللهو.

وافت بنا عاطلاً وقد لَبِسَتْ
فاجأ بها الدهرُ من بَنِيهِ دُجَى
قامتُ لنا في المَقامِ أَوْجُهَهُمْ
وأَطْلَعَ البَدْرَ من ذَرَى غُصْنِ
من عَبدِ شمسٍ بدا سَناءُه، وهل
مَدَّ بحِمراءٍ من مُدَامَتِهِ
يَشْرَبُ في الرِواحِ حينَ يَشْرِبُها
عُلالَةَ فُصِّلَتْ من الحَمدِ (١)
بِفَتْيَةٍ كالصَباحِ في نَسَقِ (٢)
وراحَهُمُ بالنجومِ والشَّفَقِ (٣)؛
تَهفو عليه القلوبُ كالوَرُوقِ (٤)
ذا البَدْرِ إِلَّا لَذلكِ الأفقِ (٥)؛
بيضاءَ كَفِ بِسَكِيَّةِ العَمَقِ (٦)
ما غادرتُ مُقلَّناهُ من رَمَقِي (٧)

٤- ** قلائد العتيان ١٩٩ - ٢٠٦؛ المعجم لابن الأبار ١٤٤ - ١٤٩؛ المغرب ٢: ٦٦ -
٦٧؛ المطرب ١٨٧؛ بغية الملتبس ١٢١ (رقم ٢٨٢)؛ الخريدة (الاندلس) ٢:
٤٥٩ - ٤٦٤ (راجع ٤٦٥ - ٤٧٧) الإحاطة (القاهرة) ٢: ٣٦٤ - ٣٧٥؛
المعجب ١٢٤ - ١٢٧؛ بغية الوعاة ١١٠٤ بروكلمن ١: ٤٥٤ - ٤٥٥، الملحق
٦٢٩؛ نيكل ٢٥٩ - ٢٦٠؛ مختارات نيكل ١٧٣، ١٧٩؛ الأعلام للزركلي ٧:
٣١٦ (٩٥ - ٩٦)؛ بالنشيا ١٢٠، ١٢٧، ١٧٠.

رفيع الدولة الصّادحي

١ - هو الحاجبُ رُفيعُ الدولة أبو زكريّا يحيى بنُ مُحَمَّدِ المُعْتَصِمِ (ت ٤٨٤ هـ) بن

- (١) وافت بنا (وصلت تلك الليلة بنا) عاطلاً (إلى امرأة جميلة لا تلبس حلياً لأنّ جمالها يبغيها عن لس الحليّ). عُلالَة: ثوب رقيق. عُلالَة فُصِّلَتْ من الحَمدِ (هي عارية، ولكنّ العيون تنظر إليها من كلّ جانب حتّى كأنّ تلك العيون ثوب لها).
- (٢) فاجأ الدهر هذه المرأة الجميلة بفتيان كالصباح (شبان لهم جمال) في نسق (متفقين في الرأي الخ).
- (٣) أوجههم كالنجوم (من جمالها) والراح (الحمراء) كالشفق (حمراء اللون).
- (٤) وهذا الدهر جاء لنا في تلك الليلة بغلام جميل من ذرى غصن (رشيق القوام كالغصن). تهفو... تسقط الورقاء (الحمامة) على الغصن.
- (٥) هو أمويّ من بني عبد شمس. ومثل هذا الغلام الجميل لا يكون إلا من بني أمية.
- (٦) جعل هذا الغلام يبقينا الحمراء، فيمده إلينا يده البيضاء بالحمراء.
- (٧) الحمراء ذهبت بأكثر نشاطي ووعيّ ثمّ ذهبت عيناه الناظرتان إليّ ما بقي من ذلك.

مَعْن (ت ٤٤٣ هـ) بِنِ صُادِحَ . يَبْدُو أَنْ مَوْلَدَهُ كَانَ نَحْوَ ٤٥٥ هـ (١٠٦٣ م)، إِذْ كَانَ أَبُوهُ الْمَعْتَصِمُ قَدْ جَعَلَهُ حَاجِباً لَهُ (رَئِيساً لِلوُزَرَاءِ)، كَمَا كَانَ قَدْ أَصْبَحَ لَهُ مَكَانَةٌ سِيَاسِيَّةٌ وَأَجْتِمَاعِيَّةٌ وَأَدَبِيَّةٌ: كَانَ صَدِيقاً لِلشَّاعِرِ يَحْيَى بْنِ مَطْرُوحٍ، وَكَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّاعِرِ ابْنِ اللَّبَّانَةِ (ت ٥٠٧ هـ) مَكَاتِبَةٌ (نَفْحِ الطَّيِّبِ ٧: ٤٢). وَمَدَحَهُ ابْنُ الْفَرَّاءِ الْأَخْفَشُ بِنِ مَيْمُونٍ وَمَدَحَهُ أَيْضاً الشَّاعِرُ الْمُنْقَلَبُ (نَفْحِ الطَّيِّبِ ٣: ٣٨٧ - ٣٨٨).

وَلَمَّا اسْتَوْلَى الْمُرَابِطُونَ عَلَى الْأَنْدَلُسِ وَخَلَعُوا مَلُوكَ الطَّوَائِفِ (٤٨٤ هـ) كَانَ رَفِيعُ الدَّوْلَةِ لَا يَزَالُ فِي عُنُقُوَانِ شَبَابِهِ فَوْصَلِ يَدِهِ بِيَدِ الْمُرَابِطِينَ. ثُمَّ لَمَّا حَاصَرَ الْمُوحَّدُونَ بَلْعَانَ (فِي الْجَزَائِرِ الْيَوْمَ)، سَنَةَ ٥٣٩، كَانَ رَفِيعُ الدَّوْلَةِ عَالِي الْمَكَانَةِ عِنْدَ وَالِيهَا الْمُرَابِطِيُّ أَبِي بَكْرِ ابْنِ الْقَائِدِ مَزْدَلِيِّ بْنِ سَلْتَنَّانَ. وَكَانَ لَا يَزَالُ فِيهِ يَوْمَئِذٍ بَقِيَّةٌ مِنْ قُوَّةٍ وَجَلْدٍ فَجَعَلَهُ ابْنُ مَزْدَلِيٍّ مُقَدِّمًا عَلَى بُنْيَانِ سُوْرِ الرَّيْضِ (٤).

وَكَانَ بَرَفِيعِ الدَّوْلَةِ عِلَّةَ الْحِصْيِ (نَفْحِ ٣: ٣٧٠). وَقَدْ أَسَنَّ كَثِيراً (الْحِلَّةُ ٢: ٩٢) وَعَاشَ إِلَى آخِرِ دَوْلَةِ الْمُرَابِطِينَ (الْحِلَّةُ ٢: ١٩٢) الَّتِي انْتَهَتْ مُدَّتُهَا سَنَةَ ٥٤١ هـ (١١٤٦ م).

٢- كَانَ رَفِيعُ الدَّوْلَةِ نَائِراً وَشَاعِراً وَجِدَانِيًّا ذَا بَدِيحَةٍ. وَلَهُ نَظْمٌ رَائِقٌ (نَفْحِ ٣: ٣٦٩). وَلَمْ يَكُنْ فِي بَنِي صُادِحَ أَشْعَرُ مِنْهُ، إِلَّا أَنَّ الْخَمُولَ أَخْنَى عَلَى مَحَاسِنِهِ، إِذْ كَانَ مِنْهُمْ كَأَيِّ مِلَاحٍ الدُّنْيَا مِنْ خَيْرٍ وَلَهُوَ وَمَا يَتَّبِعُهَا.

وَكَانَ رَفِيعُ الدَّوْلَةِ فَصِيحَ الْأَلْفَاظِ سَهْلَ التَّرَاكِيِبِ وَلَكِنْ رُبَّمَا مَرَّ خَطَأً فِي أَيْبَاتِهِ (دِيَارُهُمْ «التي» ذَكَرْتَنِي). وَأَكْثَرَ شَعْرِهِ جَارٍ عَلَى الْجَزَالَةِ فِي اللَّفْظِ وَالْمَتَانَةِ فِي التَّرَكِيِبِ، وَلَكِنْ الْمُبْتَكِرَ مِنَ الْمَعَانِي عِنْدَهُ نَادِرٌ. وَشَعْرُهُ الَّذِي وَصَلَ إِلَيْنَا مَقْطَعَاتٌ قِصَارٌ فِي النَّسِيبِ وَالخَمْرِ وَالْأَدَبِ. وَرَبَّمَا أَطَالَ.

٣- مَخْتَارَاتٌ مِنْ آثَارِهِ:

- قِيلَ يَوْمًا لِرَفِيعِ الدَّوْلَةِ: لَا تَقْرَبْ هَذَا اللَّعِينِ (أَبْنَ الْفَرَّاءِ الْأَخْفَشَ بِنِ مَيْمُونٍ) لِأَنَّهُ مَدَحَ الْوَزِيرَ الْيَهُودِيَّ ابْنَ النَّغْرِيلَةَ ثُمَّ رثَاهُ بَعْدَ مَوْتِهِ. فَردَّ رَفِيعُ الدَّوْلَةِ عَلَى الْقَائِلِ بِمَا بَلِي:

هذا، والله، هُوَ الْحُرُّ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يُصْطَنَعَ، فَلَوْلَا وَفَاؤُهُ مَا بَكَى كَافِرًا بَعْدَ مَوْتِهِ. وَقَدْ وَجَدْنَا فِي أَصْحَابِنَا مَنْ لَا يَرْعَى مُسْلِمًا فِي حَيَاتِهِ.

- لرفيع الدولة مقطعاتٌ في أغراضٍ مختلفةٍ، منها:

- سَطَا ظَبْيِيُ الْحَمِيلَةَ يَا لَقَوْمِي! - عَلَى أَسَدِ الْعَرَبِيَّةِ وَاسْتَطَالَ^(١).
 فَأَوْتَرَ قَوْسَ حَاجِبِهِ آخْتِيَالًا، وَفَوْقَ مَنْ لَوَاحِظِهِ نِبَالًا^(٢).
 * وَأَهْيَفًا لَا يَلْوِي عَلَى عَتَبِ عَاتِبِ وَيَقْضِي عَلَيْنَا بِالظُّنُونِ الْكُوَاذِبِ^(٣).
 يُحَكِّمُ فِينَا أَمْرَهُ فَنُطِيمُهُ وَنَخْشُبُ مِنْهُ الْحَكْمَ ضَرْبَةً لِأَرْبِ^(٤).
 * مَا لِي وَلِلْبَدْرِ لَمْ يَسْمَحْ بِزَوْرَتِهِ؛ لَعَلَّهُ تَرَكَ الْإِجْمَالَ أَوْ هَجَرَ^(٥).
 إِنْ كَانَ ذَاكَ لَذَنْبٍ مَا شَعَرْتُ بِهِ، فَأَكْرَمُ النَّاسِ مَنْ يَعْفُو إِذَا قَدَّرَا.
 * هَسْدِي دِيَارُهُمُ الَّتِي ذَكَرْتَنِي عَهْدَ الصِّيَا وَحَدِيثِهِ الْمَعْسُولَا.
 مَا كَانَ أَجَلَ عَهْدِهِمْ وَفِعَالِهِمْ، لَوْ كَانَ فِعْلُكَ، يَا زَمَانُ، جَمِيلَا.
 * إِذَا مَا الْأَمْرُ أَخْفَقَ فِيهِ سَعْيِي وَضَاقَ مَرَامُهُ عَنِ كُلِّ بَابٍ^(٦)،
 فَلَا تَقْنُطْ، فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِفَتْحٍ لَمْ يَكُنْ لَكَ فِي حِسَابِ.
 * أبا العلاء، كَوْسُ الرِّاحِ مُتْرَعَةٌ، وَلِلْفُصُونِ تَنْنٌ فَوْقَهَا طَرْبَا.
 فَأَشْرَبَ عَلَى النَّهْرِ مِنْ صَهْبَاءٍ صَافِيَةٍ وَلِلنَّدَامَى سُورٌ فِي تَعَاطِيهَا.
 * بَاكِرٌ إِلَى الْقَصْفِ، أبا عامرٍ، وَلِلْحَيَّامِ سَجْعٌ فِي أَعَالِيهَا.
 كَأَنَّا عَصِرْتُمْ مِنْ خَدِّ سَاقِيهَا^(٧).
 * فَإِنَّا نُجْحُ الْفَتَى فِي الْبُكْرِ^(٨)،

(١) سطا: اعتدى، قهر. الحميلة: الشجر المجتمع الكثير المتنفض. العربية (المرين: ماوى الأسد). استطال: اعتدى.

(٢) فوق السهم: وضعه في الوتر (يلطقه).

(٣) الأهيف: التحيل الحصر (الرشيق). ألوى: التفت (اهتم).

(٤) ضربة لازب: ضرورة (لا بد منه).

(٥) الإجمال: حسن الصنيع (ترك الإساءة، الداراة).

(٦) أخفق: خاب. المرام: الطلب (الوصول).

(٧) صهباء: خر حراء. صافية (رائقة لأنها عتيقة).

(٨) القصف: اللهو.

من قبل أن يَمْسَحَ كَفَّ الصَّبَا دَمَعَ الفَوَادِي من خُدُودِ الزَّهَرِ^(١).

- استأذَنَ رَفِيعُ الدَّوْلَةِ يَوْمًا عَلَى أَحَدِ وُجُوهِ دَوْلَةِ المُرَابِطِينَ فَقَالَ أَحَدُ جُلَسَائِهِ: « تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَّتْ » (٢: سورة البقرة ١٣٤، ١٤١) اسْتِحْقَارًا لَهُ وَاسْتِثْقَالًا لِلإِذْنِ لَهُ (يَقْصِدُ أَنَّ مَكَانَةَ بَنِي صُهَاحِرٍ قَدْ زَالَتْ مَعَ زَوَالِ دَوْلَتِهِمْ). وَبَلَغَ الحَبْرُ إِلَى رَفِيعِ الدَّوْلَةِ فَكَتَبَ إِلَى الوَجِيهِ المُرَابِطِيِّ بِهَذِهِ الأَبْيَاتِ (وَهِيَ مِنَ النَّمَطِ العَالِيِ):

خَلَّتْ أُمَّتِي، لَكِنَّ ذَاتِي لَمْ تَخُلْ. وَفِي الفَرَعِ مَا يُغْنِي إِذَا ذَهَبَ الأَصْلُ.
وَمَا ضَرُّكُمْ لَوْ قُلْتُمْ قَوْلَ مَا جِدِ يَكُونُ لَهُ، فَمَا يَجِيءُ بِهِ، الفَضْلُ.
وَكُلُّ إِنَاءٍ بِالنَّذِيِّ فِيهِ رَاشِحٌ، وَهَلْ يَمْنَحُ الزُّنْبُورُ مَا مَجَّهُ النَّحْلُ.
سَاصِرِفُ وَجْهِي عَنِ جَنَابِ تَجَلُّهُ، وَلَوْ لَمْ تَكُنْ إِلَّا إِلَى وَجْهِكَ السُّبُلُ.
فَمَا مَوْضِعٌ تَحْتَلُّهُ بِمَرْقَعٍ، وَلَا يُرْتَضَى فِيهِ مَقَالٌ وَلَا فِعْلٌ^(٢).
وَقَدْ كُنْتُ ذَا عَدْلٍ لَمَلَّكَ تَرْعَوِي، وَلَكِنْ بِأَرْبَابِ العَلَا يَجْمَلُ العَدْلُ^(٣).

- وَكَتَبَ إِلَى الشَّاعِرِ أَبِي زَكَرِيَا يَحْيَى بْنِ مَطْرُوحٍ، وَكَانَ يُنَادِيهِ، يَسْتَنْدِيهِ إِلَى مَجْلِسِ شَرَابٍ بِالأَبْيَاتِ التَّالِيَةِ:

يَا أَخِي بَلْ سَيِّدِي بَلْ سَنَدِي فِي مُهَمَّاتِ الزَّمَانِ الأَنْكَسِدِ،
لُحٌّ بِأَفْتِي غَابَ عَنْهُ بَدْرُهُ فِي اخْتِفَاءٍ مِنْ عُيُونِ المُسَدِّ^(٤).
وَتَمَجَّلُ فَحْبِيبِي حَاضِرٌ وَفَمِي سَاقِي وَكَأْسِي فِي يَدِي^(٥)!

٤-★★ المغرب ٢: ١٩٩ - ١٣٠٠. الحلة السراء ٢: ٩٢ - ٩٦، ١٩٩٢. نفع الطيب ٣: ٣٦٩ - ٣٧٠، ٣٧٠، ٣٨٧ - ٣٨٨، ٧: ٤٢ - ٤٣. نيكل ١٨٥ - ١٨٦.

- (١) قبل أن تجفف ربيع (النهار) الندى. الغادة (السحابة الآتية صباحاً).
(٢) المكانة التي تكون ساقطة لا يمكن أن يكون فيها عمل صالح ولا قول صالح.
(٣) كنت أود أن أعذلك (ألومك وأنصحك) لو ترعوي (لو كان بالإمكان أن ترجع عن غيبك). ولكن اللوم (والنصح) ينفع في خيار الناس فقط.
(٤) تعال إلينا بعد أن غبت عنا، ولكن في سركيلا براك الحاسدون لنا فيضموك من الوصول إلينا.
(٥) وفي ساق (بقي الخمر).

أبو محمد بن عطية

١ - هو أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن تمام بن عبد الرؤوف بن تمام بن عبد الله بن تمام بن عطية بن خالد بن عطية المحاربي، ولد في غرناطة سنة ٤٨١ هـ (١٠٨٨ م).

بدأ أبو محمد بن عطية تلقى العلم على أبيه غالب (٤٤١ - ٥١٨ هـ)، وسَمِعَ من أبي علي الغساني، في غرناطة، سنة ٤٩٥ هـ، أدباً وشعراً، ومن أبي علي الصديقي (ت ٥١٤ هـ) في مرسية ومن ابن عتاب وابن بحر الأسيدي، وكان له اختصاصٌ بأبي الحسن بن الباذر النحوي (ت ٥٢٨ هـ).

وكان أبو محمد بن عطية يكثرُ الذهابَ إلى الغزوات مع أمراء المرابطين. وقد تولّى القضاء في المرية، في المحرم من سنة ٥٢٩ (خريف ١١٣٤ م). وفي آخر أيامه ذهبَ إلى مرسية لتولّي القضاء فيها فلم يتمكّن من دخولها فرجعَ إلى لورقة. وهناك توفّي في منتصفِ رمضان من سنة ٥٤١ (١١٤٧/٢/١٩ م) في الأغلب.

٢ - كان أبو محمد بن عطية عالماً في تفسير القرآن حافظاً للحديث وفتياً له الحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (عشر مجلدات) - برنامج (فهرسة بأسله شيوخه). تم هو شاعر مجيد.

٣ - مختارات من شعره:

- قال أبو محمد بن عطية في قرطبة (نفع الطيب ١: ٦١٦، راجع ١٥٣):
بأزبج فاقت الأنصار قرطبةً منهن قنطرة الوادي وجامعها^(١).
هاتان يثنان، والزهران ثالثة. والعلم أعظم شيء وهو رابعها^(٢).
- وقال في وداع أهل قرطبة (نفع الطيب ١: ٦١٥ - ٦١٦):

(١) القنطرة: الجسر. الوادي: الوادي الكبير (نهر قرطبة).

(٢) الزهران: مدينة بناها عبد الرحمن الناصر قرب قرطبة واتخذها بلاطاً.

أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ أَهْلَ قَرْطَبَةَ
وَالْجَامِعَ الْأَعْظَمَ الْعَتِيقَ وَلَا
- وَقَالَ يَصِفُ النَّرْجِسَ:

نَرْجِسٌ بَاكَرْتُ مِنْهُ رَوْضَةً
حَسَبَ الرِّيحِ بِهَا خَمْرَ حَيَا
فَقَدْأ يُسْفِرُ عَنْ وَجْنَتَيْهِ
خَلَّتْ لَمَعِ الشَّمْسِ فِي مَشْرِقِهِ
وَبِيَاضِ الطَّلِّ فِي صُفْرَتِهِ
- وَقَالَ يَذُمُّ أَهْلَ الزَّمَانِ:

دَاءُ الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ
أَطْلَقْتُ فِي ظِلْمَائِهِ
لِصَحَابَةِ أَعْيَا ثِقَا
أَخْلَاقُهُمْ مَاءٌ صَفَا
كَالِدَرِّ مَا لَمْ تَخْتَبِرْ،
دَاءٌ يَعْزُّ لَهُ الْعِلاجُ (٥).
وَدَا كَمَا سَطَعَ السِّرَاجُ (٦).
فِي مَنْ قَنَاتِهِمْ اغْوَجَاجُ (٧).
مَرَأَى، وَمَطْمَعُهُمْ أَجَاجُ (٨):
فَإِذَا اخْتَبِرْتَ فَهَمْ زُجَاجُ!

- (١) الحياء: المطر. يشبه الشاعر المطر بالخمر، ولذلك جعل النبات بعد هذا المطر يرقص.
(٢) أسفر: كشف. أخذ النور (بفتح النون: الزهر) بعد هذا المطر ينفث (تتكشف أوراقه الخضراء عن بتلاته الملونة).
(٣) خلت (ظننت) أن نور (بضم النون) الشمس لهب سائل يشرق على هذه الجنيينة فيصبح فيها لهما جامداً (زهرا).
(٤) ظننت أن نطق الطل (ماء الندى) على تلك الأزهار نطق من الفضة (البيضاء) فوق كلمات مكتوبة بالذهب.
(٥) يعز: يصب.
(٦) - منحت أهل هذا الزمان المملوء بالعداوة وداء (صداقة ومحبة) بيضاء كنور السراج.
(٧) الثقافة والتثقيف: التثوم. القنائة: القصة (السلوك والأخلاق). أعياء: أتمب. - استحال عليّ تقوم أهل هذا الزمان.
(٨) أجاج: شديد الملوحة حتى أصبح مرأ.

- وله من رسالة يصف فيها نزول الإفرنج حول سرْقُطَّة مُحاولين الاستيلاء عليها:

.... فَإِنَّ الْأَمِيرَ الْأَجَلَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَرْذَلَى - أَيْدُهُ اللَّهُ - أَضَاقَ بَضْبُطِ الطَّرِيقِ وَقَطَعَ الْمُتَصَرِّفِينَ دَرْعَهُمْ^(١) وَعَجَزَ بِنَصْبِ حِبَائِلِ الْحَيْلِ لِمَنْ شَدَّ أَوْ قَرَّ وَسُعْمَهُمْ^(٢). فَإِنَّهُ - دَامَ أَمْرُهُ - أَطْلَلَ لِطَلَالِ الْفَجْرِ عَلَى الظَّلَامِ وَأَخَذَ هُنَاكَ بِضَيْعِ الْإِسْلَامِ^(٣)، وَأَقَامَ مَرَّةً كَالْحَيَةِ النَّضْنَاضِ وَطَوَّرَ كَالْأَسَدِ الْقَضَاضِ^(٤)، يُسْرِبُ إِلَى مَحَلَّتِهِمْ مَنْ يُضْرِمُ نَارَ الْحَرْبِ فِي أَكْتِنَافِهَا وَيَأْتِي أَرْضَهُمْ يَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا^(٥). وَلَوْلَا مَا عَلَا هُنَاكَ لِلْإِسْلَامِ اسْمٌ وَلَا عَادٌ لِلْمُدَافَعَةِ رَسْمٌ وَلَا لَاحٌ لِلْمُكَافَحَةِ وَسْمٌ^(٦) وَلَا عَنْ لَتَلِكِ الْعُلَلِ الْمُجْهَرَةِ عَلَى تَلِكِ الْأَقْطَارِ جِسْمٌ.....

٤- الحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: تفسير ابن عطية (تحقيق الطاهر الفاسي وأحمد بن شقرون....)

* * * فَلَائِدُ الْعَمِيَانِ ٢٣٩ - ٢٤٧؛ بَغِيَّةُ الْمَلْتَمَسِ ٣٧٦ - ٣٧٧ (رقم ١١٠٢)؛ مَعْجَمُ ابْنِ الْأَثَرِ ٢٥٩ - ٢٦٢ (رقم ٣٤٠)؛ الْمَغْرِبُ ٢: ١١٧ - ١١٨؛ الْمَطْرِبُ ٩١ - ٩٢؛ قِضَاةُ الْأَنْدَلُسِ ١٠٩؛ الدِّيْبَاجُ الْمَذْهَبُ ١٧٤ - ١٧٥؛ تَحْفَةُ الْقَادِمِ ١٣٠؛ وَفِيَاتُ ابْنِ قَنْفَذٍ ٢٧٩؛ بَغِيَّةُ الْوَعَاةِ ٢٩٥؛ نَفْحُ الطَّيِّبِ ١: ١٥٣، ٦١٥ - ٦١٦، ٦٧٩ - ٦٨٠، ٣: ١٧٩؛ بَرُوكْلَمُنُ ١: ٥٢٥، الْمَلْحَقُ ١: ١٧٣٢؛ نَيْكَلُ ٢٦٥؛ الْأَعْلَامُ لِلزَّرْكَوِيِّ ٤: ٥٣ (٣)؛ (٢٨٢)؛ الْخَرِيدَةُ (الْأَنْدَلُسُ) ٢: ٥٢٩ - ٥٤٠.

- (١) ... أَضَاقَ (ضَيَّقَ) ذَرَعَ (قُوَّةَ، قُدْرَةَ) لَمَّا ضَبَطَ الطَّرِيقَ (سَيَّرَ عَلَيْهَا) وَقَطَعَ الْمُتَصَرِّفِينَ (الْمُسْتَبِينِ) بِهَا.....
- (٢) شَدَّ: هَجَمَ. قَرَّ: هَرَبَ. وَنَصَبَ الْحَيْلَ لِمَوْلَاهُ، حَتَّى عَجَزَ الْمَوْجُودُونَ عَنِ الْحَرْبِ وَعَجَزَ النَّاثِرُونَ الْمَجْدَ عَنِ الْمَجُومِ. الْوَسْعُ: الْقُدْرَةُ.
- (٣) الضَيْعُ: الْعَيْدُ، جَانِبُ الْجِسْمِ. أَخَذَ فَلَانَ بِضَيْعِ فَلَانٍ سَاعِدَهُ وَأَنْهَضَهُ.
- (٤) النَّضْنَاضُ: الْحَيَّةُ تَخْرُجُ لِسَانَهَا وَتَحْرُكُهُ مَبِينًا وَشِبَالًا (أَحْتِبَالًا لِلدَّغِ). الْقَضَاضُ: الْأَسَدُ يَأْخُذُ الْفَرَسَةَ بِنَفْسِهِ فَيَكْسِرُ عِظَامَهَا بَيْنَ أَضْرَاسِهِ.
- (٥) يُسْرِبُ: يَبْمِثُ جَمَاعَةً بَعْدَ جَمَاعَةٍ. الْأَكْتِنَافُ: الْأَطْرَافُ. يَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا: يَسْتَوْلِي عَلَى قِطْعٍ مِنْهَا مِنْ جَوَانِبِهَا الْبَعِيدَةِ.
- (٦) رَسْمٌ: تَنْطِيقٌ، خَطٌّ. وَسْمٌ: عَلَامَةٌ (مَا كَانَ يَسْمُرُ أَحَدٌ أَنْ هُنَاكَ مَكَافَحَةٌ، قِتَالًا).

المخزومي الأعمى الفَرْنَاطِيّ

١ - هو أبو بكر محمد الأعمى المخزومي الفَرْنَاطِيّ، أصله من حُصْنِ المَدَوْرِ (شَالِ شَرْقِيّ قُرطبة) تَنَقَّلَ في عِدَدٍ من مَدَنِ الأندلس كقُرطبة وطَلَيْطَلَة وَعَرْنَاطَة. وطال مَكْنَه في عَرْنَاطَة حَتَّى لُقِبَ « الفَرْنَاطِيّ ». وكان يَطُوفُ يَتَكَسَّبُ بالشِعْر. وكانت وفاته سَنَة ٥٤١ (١١٤٦ - ١١٤٧ م).

٢ - كان المخزوميُّ الأعمى رجلاً ذكياً فطناً سريعَ الجواب وشاعراً مطبوعاً مشهوراً مُقْتَدِراً في النظم. ولقد غَلَبَ عليه الهجاء فكان فيه مُقْدَعاً مُوجِعاً شديدَ القِحةِ والشَّرَه مُغْبِراً على الأعراس غير مُراعٍ للحرّمات فكان الأشرافُ يُدارونه. وله مَدْحٌ ضَعِيفٌ وغَزَلٌ قليلٌ ضَعِيفٌ. أمّا أسلوبُه فمتين السبكِ عالي النَّفْسِ من نَجْرِ الشِعْرِ القديم، ولكنه يُصَرِّفُ ذلك الأسلوبَ الفَخْمَ في الهجاء:

ألا فاعلموا أنّي لكم غير صابر	على لؤمِكُمُ أُخرى الليالي الفواير ^(١) .
فموجوا، بني اللّخناء، نحو هجائكم	إلى لَعْنَةٍ تُزْرِي بَيْنَ في المقابر ^(٢) .
رأيتُكم لا تَتَّقون مَدَمَةً،	ولا عِنْدَكُم مِنْ هَزَّةٍ نَحْوَ شاكر ^(٣) .
فأين الألى كانوا إذا جاء ناظمٌ	تَلَقَّتْهُ مِنْهُم بالندى كَفْ نائِر ^(٤) !
سلامٌ عليهم كلّما ارتحلتُ نحوهم،	فلا أُنْرُ من بَعْدِهِمُ للناثر.
أعيرُكم جُهْدِي بكلِّ قَبِيحَةٍ،	وما لَكُمُ من يَقْظَةٍ بالمعابر ^(٥) !

٣ - مختارات من آثاره:

- قال المخزوميُّ الأعمى يمدح عليّ بن أضحى قاضي عَرْنَاطَة ثمَّ يَسْتَطْرِدُ إلى هجاء

- (١) أُخرى الليالي (التي أصبحت كثيرة: لها أوائل وأواخر) الغابرة: الماضية.
- (٢) عاج مال، أتجه. (خذوا مني هجاء لكم). اللخناء: المرأة التي يكثر النتن في جسمها. تزري: تعيب من في المقابر (تصل إلى أجدادكم).
- (٣) تَتَّقون: تخافون، تدفون. الهزّة: نشاط، طرب (يهتز منه الجسم فرحاً).
- (٤) الألى: الأولون، القدماء، الذين هلكوا. ناظم: شاعر. الندى: الكرم. ناثر (للحال).
- (٥) المعابر (المعابر، نسبة المعابر إليكم) لا توقظكم (لا تؤثر فيكم).

عَجَباً لِلزَّمَانِ يَطْلُبُ ثَارِي وَمَلَاذِي مِنْهُ عَلِيٌّ بِنُ أَضْحَى (١).
 الْأَيْبِيُّ الَّذِي يَمُدُّ مِنَ الْبَاءِ سِ إِبَاهَ إِلَى السَّائِكِينَ (٢) رُمَحًا.
 جَارَهُ قَدْ سَمَا عَلَى النَّطْحِ عِزًّا: لَيْسَ يَخْشَى مِنْ طَالِبِ الثَّارِ نَطْحًا (٣).
 فَكَأَنِّي عَلَوْتُ قَرْنَ فُلَانٍ؛ أَيُّ تَيْسٍ مَطْوَلُ الْقَرْنِ الْحَى (٤)!

فقال له عليُّ بنُ أضحى: يا أبا بكر، هَلَّا اقْتَصَرْتَ عَلَى مَا أَنْتَ بِسَبِيلِهِ؟ فَمَا تَقَعُ فِي النَّاسِ (٥)؛ فقال: أَنَا أَعْمَى، وَهُمْ لَا يَبْرَحُونَ حَفْرًا (٦)؛ فقال (ابنُ أضحى): وَاللَّهِ، لَا كُنْتُ لَكَ حَفْرَةً أَبَدًا. وَجَعَلَ يُوَالِي يَدَهُ عَلَيْهِ (يُحْسِنُ إِلَيْهِ).

- وَقَالَ يَهْجُو بَنِي سَعِيدٍ (مَوْلَى كِتَابِ « الْمَغْرِبِ ») فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ:

★ ★ لَا تَرْجُونَ بَنِي سَعِيدٍ لِلنَّدَى، فَالظَّلُّ أَفِيدُ مِنْهُمْ لِلسَّائِلِ (١).
 فَلَقَدْ مَرَزْتُ عَلَى مَنَازِلِهِمْ فَمَا أَبْصَرْتُ مِنْهَا غَيْرَ بَعْدِ مَنَازِلِ (٢).
 قَوْمٌ مُصَيَّبَتُهُمْ بِطَلْعَةِ وَاغِدٍ، وَسُرُورُهُمْ أَبَدًا بِجَنِيَّةِ رَاحِلِ (٣).
 ★ ★ أَبْنَى سَعِيدٍ، قَدْ شَقِيْتُ بِقُرْبِكُمْ فَلْتَتَرَكُنِّي حَيْثُ شِئْتُ أُسِيرُ (٤).

(١) الملاذ: الملجأ.

(١) الأبي: المترفع عن الأفعال التي لا تليق. البأس: القوة والشدة. إباؤه يمدُّ للسائكين رُمحاً. السائكان صورتان للنجوم: إحداهما السك الرامح (يحمل رُمحاً) والثانية منها السك الأعزل (بلا رُمح). - المدوح يغلّب بإيائه السائكين.

(٢) جاره: ضيفه، المستجير به (الشاعر يقصد نفسه). - لاحظ أن الشاعر يستعمل كلمة « النطح » هنا لأنّه قد ألف ألفاظ المهجاء.

(٣) في هذا البيت استطراد (خروج من المعنى المقصود) إلى هجاء فلان (ولم يكن المهجاء من مقصد الشاعر). ذو لحية.

(٤) ما أنت بسبيله (ما تقصده من المدح). وقع في الناس: قال فيهم قولاً قبيحاً.

(٥) لا يبرحون حفراً: مستمرّون في محاولة الإضرار بي.

(٦) - الظل يدق أذى الحرّ عن اللجوء إليه، على الأقلّ.

(٧) ... غير أنّ منازلهم بعيدة (بأبي إليهم الإنسان من مكان بعيد ثم لا يحصل منهم على شيء).

(٨) الواعد: القادم (طلباً للمطاء).

(٩) في الأصل: فلتتركوني (والأمر بنون التوكيد هنا أجرى مع متانة الأسلوب).

أفني المدايح فيكم: لا وعدكم يُقضى، وقلبي في المطال أسير^(١).
 أعظيتم نزرأ على طول المدى، ويقولُ وغد: إنّه لكثير^(٢).
 ولشدّ ما عرّضتموني للعنا: فرسٌ عتيقٌ عاشرته حمير^(٣).
 فإذا صهلتُ غدا النهاقُ مُجاوي. ياربّ، أنتَ على الخلاصِ قدير^(٤)!
 - ومن هجائه المُفدّع (بمّا سُبّرتَ معانيه):

★★ زنجيكم بالفسوق دارى يُسدي من الحِرص كالحمارِ
 يخلو بنجسل الوزيرِ سرّاً فيولجُ الليلَ في النهارِ.
 ★★ ألا قُلْ لِنِزْهون^(٥): ما لها تَجُرُّ من التّيهِ أذْيالها؟
 ولو أبصرتُ قيشةً شمّرتُ - كما عودتني - سربالها!
 ★★ يا فارسَ الخيلِ، ولا فارسٌ إلّا على متنِ جوادِ الحصى.
 زدتُ على موسى وآياته: تُفجّرُ الماءَ وتُخفي العِصا!

★★-٤ المغرب ١: ٢٢٣ - ٢٢٧؛ الخريدة (الأندلس) ٢: ١٥٤ - ١٥٥، ١٥٦، ١٦٦، الإحاطة
 ١: ٤٣٢ - ٤٣٥ نفع الطيب ١: ١٥٥، ١٩٠ - ١٩٣، ٢٩٠، ٣: ٢٠٥ زاد
 المسافر ٧٥ (١١٧).

ابن بسّام الشنتريني

١ - هو أبو الحسن عليّ بن بسّام الشنتريني، نسبه إلى شنترين على نهر تاجه، قريباً
 من مصبه، في غربيّ الأندلس (البرتغال اليوم).
 ولد ابن بسّام في شنترين، في الأغلب، بُعيدَ ٤٦٠ هـ (١٠٦٧ م) في أسرة غنيّة
 وحيمة. وفي سنة ٤٧٧ هـ انحدر إلى أشبونة (لشبونة) ثمّ إنّه انتقل إلى قرطبة، سنة

(١) المطال: التلّكؤ في الوفاء بالوعد.

(٢) النزر: القليل.

(٣) العنا: التعب. العتيق: الأصيل.

(٤) الصهيل: صوت الخيل. النهاق والنهيق: صوت الحمير.

(٥) نزّهون شاعرة ماحنة كانت نهاجي الخزومي الأعمى، ولها ترجمة مفردة.

٤٩٤ هـ (١١٠٠ م) لِيَسْتَقَرَّ فِيهَا. وَمَعَ أَنَّهُ لَمْ يَخْدِمِ أَحَدًا مِنَ الْمُلُوكِ (الأمراء والولاة وأغنياء الناس) بكتابةٍ أو وزارةٍ أو بديح، فإنه آلف كتابه القيم «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» برسم أبي بكر بن إبراهيم والي غرناطة وصهر علي بن يوسف سلطان المرابطين.

وجاء ابن بسام إلى إشبيلية، سنة ٥٠٢ هـ، ولكن لم يلقَ فيها شيئاً من الإكرام بل عاشَ فيها مُدَّةً مُعْرَضاً لِلزَّعَاجِ وَلشَيْءٍ مِنَ الْكُرهِ وَالاحتقارِ. وكانت وفاته سنة ٥٤٢ هـ (١١٤٧ - ١١٤٨ م).

٢ - كان ابنُ بسامِ الشَّنْرَبِيُّ أديباً ذَوَاقَةً بارِعاً في النَّثْرِ غيرَ مُخسِنٍ في الشعرِ. وأسلوبُه جَزَلٌ أنيقٌ كثيرُ الخيالِ والسَّجَعِ والتَّكَلُّفِ.

لابن بسام عددٌ من الكتب منها: كتاب الاعتدال على ما صحَّ من أشعار المعتمد بن عبَّاد - كتاب الإكليل المشتمل على ذكر عبد الجليل (بن وهبون) - سلك الجواهر في ترسيل ابن طاهر (صاحب مرسية) - تحية الاختيار من أشعار ذي الوزارتين أبي بكر بن عمَّار - الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة (عارض فيه «يتيمة الدهر» للشعالي). وتقوم شهرةُ ابن بسامِ على كتاب «الذخيرة» وفيه مختاراتٌ مطوَّلةٌ من الشعر والنثر لنفسي من المعاصرين للمؤلف ثم عرَّفهم المؤلف شخصياً أو من طريق نفرٍ آخرين. والمؤلف يطري الذين اختار من آثارهم بأسلوبٍ أنيقٍ مسجَّعٍ يدلُّنا على حماسة المؤلف في تقديم ما اختاره من آثارهم من غير أن يُفيدنا فائدةً كبيرةً تتعلق بتاريخ حياتهم أو بمخصائصهم الفنيَّة. أما الذين اختار لهم قسمهم أربعة أقسام:

(أ) أهلَ حَضْرَةِ قُرْطُبَةَ وما يُصَاقِبُها من بلادِ متوسِّطَةِ الأندلسِ (٣٣ شخصاً)؛

(ب) أهلَ الجَانِبِ القَرِيبِ مِنَ الأندلسِ، وذكر حَضْرَةَ إشبيليةَ وما اتَّصلَ بها من بلادِ ساحلِ البحرِ المَهِيطِ الرومي (٤٦ شخصاً)؛

(ج) أهلَ الجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مِنَ الأندلسِ، ومن نَجَمَ من كواكبِ العَصْرِ في أفقِ ذلكِ الثغرِ الأعلى إلى مُنتهى كلمةِ الإسلامِ هنالك (٣٢ شخصاً)؛

(د) مَنْ طرأ على الجزيرة في المدة المؤرخة من أديبٍ وشاعرٍ (١٥ شخصاً).
 أمّا غاية ابن بسّام من تأليف « الذخيرة » ونهجه فيها فتمتّ طرُق منها
 في « المختارات من آثاره ».

٣ - مختارات من آثاره:

- في « المغرب » (١: ٤١٨) أن الأبيات التالية من شعر ابن بسّام الشنتريني أعلى
 شعره مرتبة:

ألا بادِرْ فلا ناني سوى ما عَهدتْ: الكأسُ والبدرُ التامُ^(١).
 ولا تكسلْ برؤيته ضباباً تَصصُ به الحديقةُ والمُدَامُ^(٢)؛
 فإنّ الروضَ مُلتئمٌ إلى أن تُوافيه فينحطُّ اللثامُ^(٣)!
 - من مقدّمة كتاب « الذخيرة »:

أما بعد حمدِ اللهِ وليِّ حمّده وأهله^(١)، والصلاة على سيّدنا محمدٍ خاتمِ رُسله، فإنّ
 عمرة هذا الأدبِ العالِي الرُتبِ رسالةٌ تُنشرُ وترسَلُ وأبياتٌ تُنظَمُ وتُفصّلُ^(٥): تنشأ
 تلك انشِبالَ القطارِ على صَفحاتِ الأزهارِ، وتتصل هذه اتصالَ القلائدِ على نُحورِ
 الخرائدِ^(٦). وما زال في أفقنا هذا الأندلسي القصي^(٧) إلى وقتنا هذا من قرّان
 الفنّين وأبنةِ النوعين قومٌ هم ما هم طيبٌ مكاسرٌ وصفاءٌ جواهرٌ وعدوبةٌ مواردٌ

(١) - أسرع في التملّي من الحياة، فليس بليها أو يقارنها في الأهمية (واللذة) سوى الكأس (الخمر) والبدر
 التام (المحبوب الجميل).
 (٢) ولا تكسل على الهمة، إذا رأيت الضباب لا يزال يملأ الحديقة (في الصباح) ولا تطيب فيه الخمر.
 (٣) إن الروض الآن مغطى وجهه (بهذا الضباب) انتظاراً لك حتى تأتي...
 (٤) وليّ الحمد (صاحب الحمد وحده) وأهله (أهل الحمد = مستحقّ الحمد وحده دون سواه).
 (٥) تنثر: تكتب نثرًا. ترسل = لا تقيّد (ليس فيها قافية ولا لها وزن معلوم). تفصل: تجعل لها فواصل
 (قواف) على نسق معلوم.
 (٦) انشال: انصب، تتابع. القطار = القطر: المطر. القلائد جمع قلادة (بكر القاف): عقد (بكر العين).
 الخرائد جمع خريدة: الفتاة البكر (الصغيرة الجميلة). النحور جمع نحر: أعلى الصدر.
 (٧) أفقنا: مكان سكننا. القصي: البعيد (عن الشرق): الأندلس.

ومصادر^(١)، نعبوا بأطراف الكلام المَشَقَّ لَعِبَ الدُّجَى بِجُفُونِ الْمُورِقِ^(٢)، وَحَدَّوْا بِفُنُونِ السِّحْرِ الْمُنَمَّقِ حُدَاءَ الْأَعْنَى بِنَاتِ الْمُحَلَّقِ^(٣). فَصَبَّوْا عَلَى قَوَالِبِ النُّجُومِ^(٤) غَرَائِبَ الْمُنْتَوِرِ وَالْمَنْظُومِ، وَبَاهَوْا غُرَّرَ الْأَصَائِلِ^(٥) بِعَجَائِبِ الْأَشْعَارِ وَالرِّسَائِلِ: نَشَرُوا لَوْ رَأَاهُ الْبَدِيعُ لَنَسِيَ اسْمَهُ، أَوْ اجْتَلَاهُ ابْنُ هِلَالٍ لَوَلَّاهُ حَكْمَهُ^(٦)؛ وَنَظَّمُوا لَوْ سَمِعَهُ كَثِيرٌ مَا نَسَبَ وَلَا مَدَحَ، أَوْ تَبَعَهُ جِرْوَلٌ مَا عَوَى وَلَا نَبَحَ^(٧). إِلَّا أَنَّ أَهْلَ هَذَا الْأَقْفِ أَبَوْا إِلَّا مُتَابَعَةَ أَهْلِ الشَّرْقِ: يَرْتَجِمُونَ إِلَى أَخْبَارِهِمُ الْمُعْتَادَةَ رُجُوعَ الْحَدِيثِ إِلَى قِتَادَةَ^(٨)؛ حَتَّى لَوْ نَعَقَ بَتْلَكَ الْآفَاقِ غُرَابٌ أَوْ طَنَّ بِأَقْصَى الشَّامِ وَالْعِرَاقِ ذُبَابٌ لَجَحَنُوا عَلَى هَذَا صَنَاءً وَتَلَّوْا ذَلِكَ كِتَابًا مُحَكَّمًا^(٩)، وَأَخْبَارُهُمُ الْبَاهِرَةُ وَأَشْعَارُهُمُ السَّائِرَةُ مَرْمَى الْقَصِيصَةِ وَمُنَاحُ الرِّذْيَةِ^(١٠). فَمَا ظَنَّنِي مِنْهُمْ ذَلِكَ وَأَنْفَتُ مِمَّا هُنَاكَ، وَأَخَذْتُ نَفْسِي بِجَمْعِ مَا وَجَدْتُ مِنْ حَسَنَاتِ دَهْرِي وَتَتَبِعْتُ مَحَاسِنَ أَهْلِ بَلَدِي وَعَصْرِي - غَيْرَةَ لِهَذَا الْأَقْفِ

- (١) قوم هم ما هم: ذوو قيمة ومكانة. طيب مكاسر: تظهر طبيعة نفوسهم بعد الاختبار (تشبيهاً بالجوهر الذي يكسر فيلبي سلباً طيباً لذيداً). غذوبة موارد ومصادر (المقصود: طيب الأصل وحسن المعاملة).
- (٢) الكلام المشقق: الذي يلفظ لفظاً حسناً. الدجى: الليل. المورق: الذي ذهب نومه (أدهم حلوا يشغل الناس).
- (٣) حدا: تفتى، أئند. السحر المنق: الأدب الغريب المزين الحسن. الأعشى: الشاعر الجاهلي المشهور. المحلق رجل كان له بنات لم يخطبهن أحد لفقره، فمدحه الأعشى (في حديث طويل) فتزوجت بناته كلهن وشيكاً.
- (٤) على قوالب النجوم: (أدب جميل) مثل النجوم.
- (٥) الغرة: الشعر في مقدم الرأس (أول كل شيء). الأصائل جمع أصيل وأصيلة: مبل النسس إلى الغروب (أول الأصيل يكون جيلاً في البداية لأن الحر عندئذ يهبط).
- (٦) البديع = بدع الزمان المهداني صاحب المقامات. ابن هلال = ابن هلال الصائغ من مشاهير الناثرين في العصر العباسي. لولاه حكمه (لمحله حكماً) في نثره هو = نثر ابن هلال الصائغ).
- (٧) كثير = كثير عزة: زعيم الغزل العذري في العصر الأموي. نسب: تغزل. جروال: الحطيئة. عوى (كالذئب) ونبح (كالكلب) كناية عن الهجاء. - لو قرأ كثير الحطيئة الشعر الأندلسي لما نظها شعراً في حياتها.
- (٨) قتادة بن دعامة تابعي مشهور كانت أحاديث الرسول التي تروى من طريقه صحيحة موثوقة.
- (٩) الكتاب المحكم: الذي لا تفاوت ولا اختلاف فيه (القرآن الكريم).
- (١٠) مرمى القصيدة (كالناقة الغريبة التي تطرد عن المرعى وعن الماء)، ومناح الرذية: مبرك الرذية (الناقة المهزولة المرهضة) لا يأتي أحد ليركبها أو يحمل حاجاته عليها (لا يجتثون بأدهم).

الغريب^(١) أن تعودَ بدوره أهلةً وتُضَيحَ بحاره يُباداً مُضْمَجَلَةً^(٢) مَعَ كَثْرَةِ أَدْبَانِهِ وَوُفُورِ عُلَمَائِهِ؛ وَقَدِيمَا ضَيَعُوا الْعِلْمَ وَأَهْلَهُ^(٣)، وَيَا رَبُّ مُخْبِنٍ مَاتَ إِحْسَانُهُ قَبْلَهُ. وَلَيْتَ شِعْرِي، مَنْ قَصَرَ الْعِلْمَ عَلَى بَعْضِ الزَّمَانِ وَخَصَّ أَهْلَ الْمَشْرِقِ بِالْإِحْسَانِ!

وقد كتبتُ لأرباب هذا الشأن^(٤)، من أهلِ الوقتِ والزمانِ، مُحاسِنَ تَبَهَّرُ^(٥) الألبابِ وَتَسَحَّرُ الشُّعْرَاءَ وَالْكَتَّابَ؛ وَلَمْ أُعْرَضْ لشيءٍ من أشعارِ الدُولَةِ المُرَوَّانِيَّةِ وَلَا المَدَائِحِ العَامِرِيَّةِ^(٦)، إِذْ كَانَ ابْنُ فَرَجِ الْجَيَّانِيُّ قَدْ رَأَى رَأْيِي فِي النِّصْفَةِ وَذَهَبَ مَدَهْيِي فِي الْأَنْفَةِ^(٧) فَأَمَلَى فِي مُحَاسِنِ أَهْلِ زَمَانِهِ كِتَابَ الحَدَائِقِ مُعَارِضاً لِكِتَابِ الزَّهْرَةِ لِلأَصْفَهَائِيِّ، فَأَضْرَبْتُ أَنَا عَمَّا آلَفَ وَلَمْ أُعْرَضْ لشيءٍ مِمَّا صَنَّفَ، وَلَا تَعَدَّيْتُ أَهْلَ عَصْرِي مِمَّنْ شَاهَدْتُهُ بِعُمْرِي^(٨) أَوْ لَحِقَهُ بَعْضُ أَهْلِ دَهْرِي، إِذْ كُلُّ مُرَدِّدٍ تَقِيلُ وَكُلُّ مُتَكَرِّرٍ مَلُولُ. وَقَدْ مَجَّتِ الْأَسْبَاعُ « يَا دَارَ مِيَّةَ بِالْعَلِيَاءِ فَالْسَّنْدِ » وَمَلَّتِ الطِّبَاعُ « لِحَوْلَةِ أَطْلَالٍ بِبِرْقَةِ تَهْمِدِ^(٩) وَالْإِحْسَانُ غَيْرُ مَحْصُورٍ، وَلَيْسَ الْفَضْلُ عَلَى زَمَنِ بِمُفْصُورٍ. وَعَزِيزٌ عَلَيَّ الْفَضْلُ أَنْ يُنْكَرَ،^(١٠) تَقَدَّمَ بِهِ الزَّمَانُ أَوْ تَأَخَّرَ؛ وَلَحَى^(١١) اللَّهُ

(١) الغريب: العجيب، الطريف، المستحسن.

(٢) تعود بدوره أهلة: تحطَّ مكانته ويقلَّ قدره. التلذذ: الماء القليل المتبقي من مطر أو غيره. اضحل: انحل، ذهب، تلاشى.

(٣) الوفور: الكثرة. وقدِيمَا ضَيَعُوا الْعِلْمَ وَأَهْلَهُ: كان (الأندلسيون) من قبل قد أهملوا علوم قومهم حتَّى صاعت تلك العلوم.

(٤) لأرباب (أصحاب) هذا الشأن (الأمر): المهتمين بالأدب الأندلسي.

(٥) تبهر: (يغلب نورها) الألباب (العقول): (تجمل الناس يتمتعون من جمالها).

(٦) دولة بني مروان بدأت بعبد الرحمن الداخل (سنة ١٣٨ هـ) وسقطت سنة ٤٢٢ هـ. ودولة المنصور بن أبي عامر (في الوزارة والاستبداد بالأمر دون الخليفة)، سنة ٣٦٦ ثم استمرت في أولاده وأحفاده ومواليه إلى نحو ٤٧٠ هـ.

(٧) النصفة: الانتصاف (أن يسترد الإنسان حقَّه المشروع أو يحصل عليه بدهاء). الأنفة: الاستنكاف، إباء (رفض) الدل.

(٨) بعمرى: في زمني، طول عمري.

(٩) « يا دار مية » مطلع معلقة النابغة، و « لحولة أطلال » مطلع معلقة طرفة (يقصد: ملَّ الناس الأدب القديم).

(١٠) يعزَّ (يصعب) عليَّ أن ينكر إنسان فضل غيره.

(١١) لحى: لمن.

قولهم: الفضلُ للمتقدم! فكَم دَفَنٌ مِنْ إِحْسَانٍ وَأَخْمَلَ مِنْ فُلَانٍ^(١). ولو اقتصَرَ المتأخرونَ على كُتُبِ المُتَقَدِّمِينَ لِضَاعِ عِلْمٍ كَثِيرٍ وَذَهَبِ أَدَبٍ غَزِيرٍ.

وقد أودعتُ هذا الديوانَ الذي سَمَّيْتُهُ بِكِتَابِ الذَّخِيرَةِ فِي مَحَاسِنِ أَهْلِ الحِزْبَةِ مِنَ عَجَائِبِ عَلَيْهِمْ وَغَرَائِبِ نَظْمِهِمْ وَتَثْرِهِمْ مَا هُوَ أَحْلَى مِنْ مُنَاجَاةِ الأَحْيَةِ.....
وَلَمَلٌ بَعْضٌ مَنْ يَتَصَفَّحُهُ سَيَقُولُ إِنِّي أَغْفَلْتُ كَثِيرًا وَذَكَرْتُ خَامِلًا وَتَرَكْتُ مَشْهُورًا. وعلى رِسلِهِ^(٢)! فَإِنِّي جَمَعْتُهُ، بَيْنَ صَغَبٍ قَدْ ذَلَّ وَغَرْبٍ قَدْ فُلَّ وَنَشَاطٍ قَدْ قَلَّ وَشَبَابٍ وَدَعٍ فَاسْتَقَلَّ^(٣)، مِنْ تَفَارِيقِ كَالقُرُونِ الحَالِيَةِ وَتَعَالِيقِ كَالأَطْلَالِ البَالِيَةِ بِمُخَطُوطِ جُهَالٍ كَخَطُوطِ الرِّاحِ أَوْ مَدَارِجِ التَّمَلُّ بِين مَهَابِ الرِّيحِ^(٤): صَبَّطُهُمْ تَصْخِيفًا، وَوَضَعُهُمْ تَبْدِيلًا وَتَحْرِيفًا، أَيَسُّ النِّاسِ مِنْهَا طَالِبُهَا وَأَشَدُّهُمْ اسْتِرَابَةً بِهَا كَاتِبُهَا^(٥). فَفَتَحْتُ أَنَا أَقْفَالَهَا وَقَفَضْتُ قُبُودَهَا وَأَغْلَلْتُهَا فَأُضَحَّتْ غَايَاتِ تَبْيِينِ وَبَيَانِ وَوَضَحَتْ آيَاتِ حُسْنِ وَإِحْسَانِ^(٦).

على أَنَّ عَامَّةَ مَنْ ذَكَرْتُهُ فِي هَذَا الدِّيوانِ لَمْ أَجِدْ لَهُ أَحْبَابًا مُؤَضَّوَةً وَلَا أَشْعَارًا بِمَجْمُوعَةٍ تَفْسُحُ لِي فِي طَرِيقِ الإِخْتِيَارِ مِنْهَا؛ إِنَّمَا انْتَقَدْتُ مَا وَجَدْتُ وَخَالَسْتُ فِي ذَلِكَ الحِمُولِ^(٧) وَمَارَسْتُ هُنَالِكَ البَحْثَ الطَوِيلَ وَالزَّمَانَ المُسْتَحِيلَ حَتَّى ضَمَنْتُ كِتَابِي

(١) فكَم دَفَنٌ... الخ: أضاع أدباً جيداً كثيراً وأخمل ذكر أناس كثيرين.

(٢) على رِسلِهِ: ليتمهل قليلاً، ليخفف من حية نقده.

(٣) الصغب: الجمَل النشيط الذي لا يدع أحداً يركبه. ذَلَّ: دُئِلَ، رُوِّضَ (بالبناء للمجهول فيها) = أصبح ذليلاً طائعاً. الغرب: حدّ السيف. فُلَّ: تَلَمَّ، أصبح لا يقطع. استقل: ذهب (يقصد بعد أن كبر في السن وذهب معظم قوته ونشاطه).

(٤) تفاريق (أشياء متفرقة) كالقرون الحالية (متباعدة، منسبة) وتعاليق (إضافات مكتوبة على الصفحات) كالأطلال (أثر الديار بعد رحيل ساكنيها عنها) البالية (المتهرئة، المنحوة). كخطوط الرياح (جمع راحة: باطن الكف = رموز لا تقرأ). مدارج: آثار المسير. (كلّ هذا كناية على أن الخطّ سقيم تصعب قراءته).

(٥) تصخيف: تبديل حروف الكلمة (جهاً). تحريف: تغيير الشيء (قصدًا). استرابة: شك. (حتى الذي كتبها لا يستطيع قراءتها).

(٦) فضّ: كسر، شقّ، فتح. وضحت: ظهرت. آيات: عجائب، غرائب.

(٧) خالست الحمول: انتزعت أشخاصاً من طبقات الحمول وأبرزتهم.

هذا من أخبار أهل هذا الأفق ما لعلي سارني^(١) به على أهل المشرق. وما قصدتُ به - عِلِمَ اللهُ - الطعن على فاضل، ولا التَّعَصُّبُ لقائل على قائل.....

وهذا الديوانُ إنَّما هو لسانُ منظومٍ ومنشورٍ لا مِيدَانُ بيانٍ وتفسيرٍ: أوردُ الأخبارَ والأشعارَ لا أَفكُ مَعَمَّاهَا في شيءٍ من لفظها ولا مَعْنَاهَا^(٢)، ولكن رُبَّما أَلَمَّتْ بِيَعَضُ القَوْلِ بين ذَكَرٍ أَجْرِيهِ وَوَجْهِ عَذْرَاءٍ أَرِيهِ^(٣) لا سِياً أَنواعٍ * البديعُ ذِي المَحاسِنِ الَّذِي هُوَ قِيمُ الأَشعارِ وَقِوامُها، وَبِهِ يُعْرَفُ تَفاضُلُها وَتَبايُئُها^(٤)، فلا بُدَّ (من) أَنْ نُشيرَ إِلَيْهِ وَنُنبِّئَ عَلَيْهِ.....

وَمَعَ أَنَّ الشُّعْرَ لَمْ أَرْضَهُ مَرَكِباً وَلا اتَّخَذْتُهُ مَكْسِباً وَلا أَلْفَتُهُ مَثْوًى وَلا مُنْقَلَباً^(٥)؛ إِنِّما زُرْتَهُ لِإِماماً وَلَمَحْتَهُ تَهَمُّاً لا اِهْتِماماً^(٦)، رَغْبَةً بِعِزِّ نَفْسِي عَن ذُلِّهِ وَتَرَقُّعاً لِمَوْطِئِي أَحْمِصِي عَن مَحَلِّهِ^(٧)؛ فَإِذا (أنا) شَعَمْتُ راحَةَ لِمِ أذْقَهُ إِلا شَيْئاً^(٨) وما كُنْتُ إِلا عَلى الحَدِيثِ نَدِيماً^(٩). وما لي وَلَهُ؛ وَإِنِّما أَكثَرُهُ خُدْعَةً مُحْتالٍ وَخِلْعَةً مُحْتالٍ^(١٠): جِدُّهُ تَمْوِيَةٌ وَتَخْيِيلٌ، وَهَزْلُهُ تَدْلِيَةٌ وَتَضْلِيلٌ^(١١)؛ وَحَقائِقُ العُلومِ أَوَّلِي بِنائِ مِنْ أَباطيلِ

(١) أرى: زاد(على).

(٢) المعنى: القول المصوغ في سياق يصعب على الفهم. (لم أفسر معانيها).

(٣) وجه عذراء (جملة مبتكرة لم يغل أحد مثلها بعد أو لم تفسر جملة مثلها بعد).

(٤) يكون الاسم المستثنى بعد لا سياً (إذا كان بكرة) مجرور أو مرفوعاً أو منصوباً. أما إذا كان معرفة، فالأولى جرّه، ويجوز رفعه، ولكن لا يجوز نصبه.

(٥) التفاضل أن يفضل شيء شيئاً آخر (يريد عليه في المعنى أو المجال الخ). التباين: أن يختلف شيء من شيء آخر.

(٦) المثوى: المسكن: المنقلب: المرجع، المتعمد.

(٧) لاما: غيماً (بكر العين = مرة بعد مرة من غير استمرار). تهم الشيء: طلبه طلباً يسيراً في الحين بعد الحين. الاهتمام: أن تجعل الشيء همك (موضع عنايتك الدائمة).

(٨) الأخص: باطن القدم. المحل (بكر الحاء): المكان الذي يحل (ينزل) فيه الإنسان أو الشيء.

(٩) شعع: مزج (بالماء). الراح الخمر: شععت راح الشعر (مرحنه شيء من كلامي، قلت شيئاً قليلاً منه). النسيم: السم. لم أذقه إلا شيئاً (لا أقول منه إلا قليلاً).

(١٠) ما كنت إلا على الحديث بديماً (رفيقاً، مؤانساً، محادناً) = أسمع الحديث ولا أشارك فيه (أندوى الشعر ولا أنتده).

(١١) الخلة: التوب. الحتال: الذي يعرض نفسه على الناس مفتخراً متعاطفاً.

(١٢) التموه: طلاء المعادن (الحسيسة) بالذهب. التخيل: الاحتمال لإظهار الأشياء على غير حقيقتها. =

المنظوم والمنثور. وعلى ذلك فقد وَعَدْتُ أَنْ أَلْمَعُ فِي هَذَا الْجُمُوعِ بَلَمَعٍ مِنْ ذِكْرِ
 البديع^(١)، وَأَنْ أَمَهَّدَ جَانِبًا مِنْ أَسْبَابِهِ وَأَشْرَحَ جُمْلًا مِنْ أَسْمَائِهِ وَأَلْقَاهُ. وَإِذَا ظَفَرْتُ
 بِمَعْنَى حَسَنٍ أَوْ وَقَفْتُ عَلَى مَعْنَى مُسْتَحْسِنٍ ذَكَرْتُ مَنْ سَبَقَ إِلَيْهِ وَأَشْرَفْتُ إِلَى مَنْ
 نَقَصَ عَنْهُ أَوْ زَادَ عَلَيْهِ؛ وَلَسْتُ أَقُولُ: أَخَذَ هَذَا مِنْ هَذَا قَوْلًا مُطْلَقًا فَقَدْ تَتَوَارَدُ
 الْخَوَاطِرُ وَيَقَعُ الْحَافِرُ عَلَى الْحَافِرِ^(٢)، إِذِ الشَّعْرُ مِيدَانٌ وَالشُّعْرَاءُ فُرْسَانٌ.....

٤ - الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة (منشورات جامعة فؤاد الأول)، القاهرة (مطبعة لجنة
 التأليف والترجمة والنشر) ١٩٤٢ م وما بعد (لم تطبع الأجزاء بالترتيب)؛ تحقيق إحسان
 عباس، بيروت (دار الثقافة) ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م.

* * بغية المنتسب ٣٧٦ - ٣٧٨ (رقم ١١٠٣)، معجم الأدباء ١٢ : ٢٧٥ (سطران)؛ المغرب
 ٤١٧ : ٤١٨ - بغية الوعاة ١٢٩٥ نفع الطيب ٣ : ٢٠٣ و ٤٥٨ (سبعة أبيات لابن
 بسام) ثم أماكن كثيرة (راجع فهرس نفع الطيب) فيها إشارات إلى ابن بسام أو نقول
 قصار أو طوال من كتابه «الذخيرة»؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ١٧٣٤ بروكلمن ١ :
 ٤١٤ - ٤١٥، الملحق ١ : ٥٧٩؛ الأعلام للزركلي ٥ : ٧٢ (٤ : ٢٦٦)، مجلة البحث العلمي
 (الرباط) ماي - غشت ١٩٦٦ م، ص ٧٩ - ١٦٦ العربي (الكويت) تموز ١٩٦٦، ص
 ٦٣ تاريخ النقد (إحسان عباس) ٥٠١ - ٥٠٧، تاريخ النقد الأدبي في الأندلس للمحمّد
 رضوان الداية) ٣٧١ - ٣٩٠؛ بالنشيا ٢٨٨ - ٢٩٦؛ تراجم اسلامية لعنان ٢٩٨.

أبو القاسم الكلاعي

١ - هو أبو القاسم محمد بن عبد الغفور * الكلاعي الإشبيلي، وُلِدَ فِي مَطْلَعِ الْقَرْنِ
 السَّادِسِ لِلْهِجْرَةِ (الثَّانِي عَشَرَ لِلْمِيلَادِ) وَتَلَقَّى أَسْيَاءَ مِنَ الْعِلْمِ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي
 الْعَافِيَةِ وَأَبِي الْقَاسِمِ الرَّجَّائِيِّ وَالْحَافِظِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ. وَتَصَدَّرَ لِلتَّدْرِيسِ فِي طَوْرِ بَاكِرٍ

= التدايه: الخيال الذي يذهب فيه العقل (الذي يقود إلى مثل الجنون). التضييل: الإيهام بغير الحق.

- (١) اللع جمع لعة (بضم اللام): البقعة (من جسم الإنسان، مثلاً) لا يصبها ماء (الوضوء)، شيء قليل.
 البديع: ذكر ألفاظ تتفق في اللفظ أو تتقارب مع اختلاف في المعنى. * راجع ص ٢٨٣ (ح ٧).
 (٢) الخاطرة: ما يخطر للإنسان (بمعنى ذهنه أو خياله). تتوارد الخواطر: يأتي بعضها مع بعض متشابهاً.
 الحوافر (جمع حافر): منتهى قوائم الحيوان من ذوات الأظلاف (كالخيل). يقع الحافر على الحافر: يهأ
 حصان حيث كان قد وطئ حصان آخر (يقول إنسان ما قاله إنسان آخر تماماً).

من حياته ثم انتقل وشيكاً إلى الكتابة في الدولة. وفي سنة ٥٣١ هـ (١١٣٦ - ١١٣٧ م) كان كاتباً لابن تاشفين^(١). ثم إنه أدرك وفاة ابن بسام صاحب «الذخيرة»، سنة ٥٤٢ هـ (١١٤٧ - ١١٤٨ م)، وتوفي بعد ذلك مُعْتَبِطاً^(٢) قريباً من مُنْتَصَفِ القرنِ السادسِ للهجرة.

٢- كان أبو القاسم الكلاعي من بيت علم وأدب ومن الكتاب. وقد كان مشاركاً في عددٍ من فنون المعرفة مُقَدِّماً في الفقه وفنون الأدب من البلاغة والنقد والشعر، كما كان كاتباً مُتَرْسِّلاً وشاعراً. وكذلك كان مُصَنِّفاً، له إحكام صنعة الكلام (وهو الكتاب الوحيد الذي نعلم أنه وصل إلينا). ثم إن له عدداً من الكتب عارض فيها عدداً من مؤلفات المعري: الانتصار لأبي الطيب (المتنبي) - الساجعة والغريب (عارض فيه «الصاهل والشاحج»^(٣)) - كتاب (على مثال «السجع السلطاني») - خطبة الإصلاح (معارضة لخطبة الفصيح) - ثمرة الأدب (معارضة لسقط الزند)^(٤): ديوان المعري.

٣- مختارات من آثاره:

- لأبي القاسم الكلاعي مَقَطَعَاتٌ منها:

★ ★ تركت التصابي للصواب وأهله،
وبيض الطلال للبيض، والسمر للسمر^(٥)

- (١) يجب أن يكون أحد أعضاء البيت التاشفيني الذين تولوا (بفتح اللام) الولاية على الأندلس. أما سلاطين المرابطين في مراكش، في مدة حياة أبي القاسم الكلاعي فكانوا: علي بن يوسف (٥٠٠ - ٥٤٧ هـ) وتاشفين بن علي ثم إسحاق بن علي (٥٤٠ - ٥٤١ هـ).
- (٢) اعتبط (بالبناء للمجهول) مات عبطة (بالفتح): صحباً (بلا علة) شاباً.
- (٣) الساجع والساجعة: الناقه أو الهامة إذا رددت صوتها. والغريب: الشديد السواد (والمقصود هنا: الهامة والغراب!). الصاهل: الفرس. الشاحج: البخل أو المحار (شجع البخل أو المحار: رفع صوته. والشاحج: الغراب إذا أسن وغلظ صوته).
- (٤) الزند: حديدية تقدح بها النار من الحجر. السقط: الشرارة التي تحدث من قرح الحجر بالحديدية.
- (٥) التصابي: محاولة استقالة النساء. تركت التصابي وملت إلى العمل الصواب (اللاق بالإنسان الشريف). الطلاجع طلاء (بالفتح): صفحة العنق (بيض الطلا كناية عن النساء الجميلات)... للبيض: للسيف. السمر: النساء السمرات. السمر: الرماح: فضلت القتال على الغزل.

مُدَامِي مِدَادِي، وَالْكُوُوسُ مُحَابِرِي وَنَدْمَايَ أَقْلَامِي، وَمَنْقَلْتِي سِفْرِي^(١)!
 ** رُوَيْدَكَ، يَا بَدْرَ التَّهَامِ، فَإِنَّنِي

أَرَى الْعَيْسَ حُسْرَى وَالْكَوَاكِبَ ظُلْعًا^(٢).
 كَانَ أَدِيمَ الصُّبْحِ قَدْ قُدُّ أَنْجِبًا، وَغُوْدِرَ دِرْعُ اللَّيْلِ فِيهَا مُرْقَعًا^(٣).
 وَإِنِّي وَإِنْ كَانَ الشَّبَابُ مُحَبَّبًا إِلَيَّ فِي قَلْبِي أَجَلٌّ وَأَوْقَعًا،
 لِأَنْفٍ مِنْ حُسْنِ بَشْعِرِي مُفْتَرَى وَأَنْفٍ مِنْ حُسْنِ بَشْعِرِي قُنْعًا^(٤)!

- وله في الترجيح بين النثر والشعر (ص ٣٦):

إِنَّ التَّرْجِيحَ بَيْنَ النُّثْرِ وَالنَّظْمِ يَمُّ قَدْ خَاضَ فِيهِ الْخَائِضُونَ وَمَيْدَانٌ قَدْ رَكَضَ فِيهِ الرَّاكِضُونَ. وَرَأَيْتُ أَنَّ الْقَرِيضَ قَدْ تَرَزَّيْنَا مِنَ الْوِزْنِ وَالْقَافِيَةِ مَجْلَّةً سَابِعَةً ضَافِيَةً^(٥)، صَارَ بِهَا أَدْبَعُ مَطَالَعٍ وَأَصْنَعُ مَقَاطِعَ وَأَبْهَرَ مَيَاسِمَ^(٦) وَأَنْوَرَ مَبَاسِمَ وَأَبْرَدَ أَصْلًا وَأَشْرَدَ مَثَلًا وَأَهْرَ لِعُطْفِ الْكَرِيمِ وَأَفْلَّ لَغْرَبِ^(٧) اللَّثْمِ. (وَإِنَّ) النَّثْرَ أَسْلَمَ جَانِبًا وَأَكْرَمَ حَامِلًا

(١) مدامي (خري) ومدادي (حبري، كناية عن الاشتغال بالتأليف). الهيرة: إناء الحجر. المنقلة (بالفتح): المرحلة من السفر، و (بالكسر): أداة هندسية لضبط الخطوط والزوايا، وهو يقصد بالمنقلة (بالفتح) وعاء يوضع فيه النقل (بالضم): ما يتفكك به الناس بين وجبات الطعام أو على الشراب من لوز وجوز ومقلبات وأشباهاها.

(٢) العيس (جمع عيساء أو أعيس): الإهبل الكريمة. حسرى: كليلة (ضعيفة، حل بها التعب). الطالع: الذي به عرج.

(٣) أديم الصبح (البياض). فد (تقطع) أنجباً (قطعاً بيضاً) كناية عن تخلل نور الصبح في ظلام الليل. الدرغ: (هنا) التوب (لون الليل الأسود مرقع بقطع بيضاء من نور الصبح).

(٤) أكره أن أحسن شعري (بالكسر) بالافتراء (الكذب) أو أن أحسن شعري (بالفتح) بقناع (بصاغ). ي: بحر. الحلة: ثوب فاخر. سابع: يكسو الجسم كله. ضاف واسع طويل.

(٦) المطلع: البيت الأول في القصيدة. أصنع مقاطع (يسهل في الشعر صنع المقاطع - من أبيات أو بيتين أو بيت واحد - مما لا يمكن أحياناً كثيرة في النثر). أهر: أكثر حسناً. الميسم (بالكسر): العلامة (أثر الجمل والحسن).

(٧) الأصيل: الوقت بين الظهر والمغرب. أبرد أصلاً (كناية عن السرور عند قراءة الشعر). أشرد: (هنا): أندر وأحسن (للمثل في الشعر أتر أتر أشد في النفس من المثل في النثر). العطف: الجانب الأعلى من الجسم (الشعر أكثر استئالة للمخاطب به من النثر). أفل: أشد تقطيعاً (كعباً ومنعاً). الغرب: حدّ السيف.

وطالباً^(١).....، لأنَّ الشعرَ داعٍ لسوءِ الأدبِ وفسادِ المنقلبِ^(٢) لأنَّه - بضيقِهِ وصُعوبَةِ طريقِهِ - يَحْمِلُ الشاعرَ على العُلُوِّ في الدينِ حتَّى يُؤوِلَ إلى فسادِ اليقينِ^(٣)، وَيَحْمِلُهُ على الكَذِبِ؛ والكَذِبُ ليس من شِيَمِ المؤمنين..... ومن مَعَايِهِ أَنَّهُ قَلِمًا يُجِيدُهُ إِلَّا مُتَكَسِّبٌ بِهِ. والدليلُ على ذلك قولُهُم: اللُّها تفتق اللُّها^(٤)..... وأَمَّا الكِتَابَةُ فبعيدةٌ عن هذا كُلِّهِ: سليمةٌ تَمَّا يدعو إلى المَهْجورِ أو يَتَشَبَّثُ بالمَهْجورِ^(٥).

(فصل): العاطلُ. وإِنَّا سَمَّينا هذا النوعَ «العاطِلُ» لِقِلَّةِ تَحْلِيَّتِهِ بِالسُّجُوعِ والفواصلِ^(٦)، وهذا هو الأَصْلُ. والتجَمُّلُ بِكَثْرَةِ السَّجْعِ فرَعٌ طارِئٌ عَلَيْهِ. ولم يَسْتَعْمِلْ ذلك إِلَّا المُتَقَدِّمُونَ.... من أَهْلِ الفصاحةِ والبَيانِ. فكانوا إِذَا عَنَّ لَهُمُ السَّجْعُ ذَكَرُوهُ، وَإِذَا أَعْرَضَ عَنْهُمْ لم يَسْتَجْلِبُوهُ.....

٤ - إحكام صنعة الكلام (تحقيق محمد رضوان الداية)، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٦ م.
 ★★ المطمح ٢٩ - ٣٠، فلاندد العقيان ١٨٢ - ١٨٦، الذخيرة ٢: ٣٢٣ - ٣٢٥، ٤: ٥٤٨
 الوافي بالوفيات ٣: ٢٦٥ - ٢٦٦، المغرب ١: ٢٣٦، نفع الطيب ٣: ٥٥١ - ٥٥٣
 تاريخ النقد لإحسان عباس ٥٠٩ - ٥١٢، تاريخ النقد الأدبي في الأندلس (لمحمد رضوان الداية) ٤٠١ - ٤١٣.

- (١) أسلم جانباً (لأنه لا يفرض على قائمه نقفاً معيناً فيخالف المعنى في سبيل اللفظ). حاملاً وطالباً....
- (٢) المنقلب: آخر الأمر، تبدل الحال الراهنة بحال مقبلة.
- (٣) يؤول: يرجع، يؤذي. اليقين: العلم الثابت. الاعتقاد.
- (٤) اللها (بالضمة) جمع لهوة (بالضمة): العطية. اللها (بالفتح) جمع لهاة (بالفتح): اللحمة المشرفة على مدخل المنجرة (المال يساعد الشاعر على قول الشعر).
- (٥) المهجور: الألفاظ التي بطل استعمالها. يتشبت: يتمسك بشدة. والمهجور: الذي لا يستحسن استعماله من الألفاظ في النثر.
- (٦) العاطل: المرأة الجميلة لا تحتاج إلى أن تنزّن، والأحرف لا نقط عليها، والجمل ليس فيها صناعة (جناس أو طباق الخ). الفواصل: أواخر الجمل الفصاح.
- (٧) في المغرب (١: ٢٣٦ - ٢٣٧): أبو القاسم محمد بن عبد الغفور (المتوفى في أيام المعتد بن عبّاد (ت ٤٨٨ هـ) ثم ابنه أبو محمد عبد الغفور ثم حفيده محمد بن عبد الغفور (صاحب هذه الترجمة) وكلهم كانوا أديباء. وهنالك مقطوعة مظلما:
 لا تنكروا أُنْتا في مَهْمَه أبدأ نَحْت في نَفْسِ طورا وفي هَدَف
 نسبت في المغرب (١: ٢٣٦) إلى محمد (الجدّ) ونسبت إلى محمد (الحفيد) في نفع الطيب (٣: ٥٥٢).

أبو بكر بن العربي

١ - هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد المَعافريُّ الأندلسيُّ الإشبيليِّ، وُلِدَ في إشبيلية في الثامن والعشرين من شعبان من سنة ٤٦٨ (١٠٧٦/٣/٣٠ م).

بدأ أبو بكر بن العربي تعلّمه في الأندلس على أبيه عبد الله (٤٣٥ - ٤٩٣ هـ) وعلى خاله أبي القاسم حسن بن عمر الموزنيّ (ت ٥١٢ هـ) وعلى أبي عبد الله السرقسطي.

وكان عبد الله من المتصلين ببلاط المعتمد بن عباد. فلما استولى المرابطون على إشبيلية وحلوا المعتمد أسيراً (٤٨٤ هـ) كره الإقامة في الأندلس فرحل عنها (في مُستَهَلَّ ربيع الأول ٤٨٥) وأخذ ابنه معه. ويبدو أنه في أثناء هذه الرحلة أخذ أبو بكر بن العربي شيئاً من الحديث في بجاية من أبي عبد الله محمد بن عمّار الكلاعيّ (ت ٤٨٥) ثم انتقل إلى المهديّة وأخذ عن أبي الحسن عليّ بن محمد الخولانيّ المعروف بالحدّاد المهديّ.

وفي مصر سمع ابن العربي من أبي الحسن عليّ بن الحسن الخُلعيّ (ت ٤٩٢ هـ). وفي (١) ذي الحجة من سنة ٤٨٩ (تشرين الثاني - نوفمبر ١٠٩٦ م) حجّ أبو بكر ابن العربي وسمع في مكّة من أبي عبد الله الحسين بن عليّ بن الحسين الطبريّ (ت ٤٩٨ هـ). وسمع في دمشق من أبي الفتح نصّر بن إبراهيم المقدسيّ (ت ٤٩٠ هـ). وأمّ أبو بكر بن العربيّ بغداد وطال مُقامه فيها، وكان يخرج منها ثم يعود إليها. وفي بغداد سمع من أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن طلحةّ (ت ٤٩٣ هـ) وقرأ الأدب على أبي زكريّا التبريزيّ (ت ٥٠٣ هـ). وقد لقيّ في بغداد أيضاً أبا بكر محمد بن أحمد

(١) يمكن أن يكون تطوّف أبي بكر بن العربي في المشرق قد جرى على خلاف هذا الترتيب قليلاً أو كثيراً، فالصادر لم نأبه كثيراً بضبط هذا الترتيب.

ابن الحسين الشاشي (ت ٥٠٧ هـ) وأبا حامد الغزالي إثر رجوع أبي حامد من رحلته^(١).

غادر ابن العربي بغداد في سنة ٤٩١ ماراً بدمشق ثم وصل إلى مصر فتوفي أبوه (٤٩٣ هـ) في مدينة الإسكندرية، فعاد وخذّه إلى الأندلس ووصل إليها في السنة ٤٩٣ هـ نفسها^(٢).

عاد أبو بكر بن العربي إلى إشبيلية بعلم كثير كان قد تلقاه في المشرق. وفي سنة ٥٠٨ هـ - بعد عودته بخمسة عشر سنة - عين قاضياً للقضاة (قاضي الجماعة) في كورة إشبيلية كلها. ولكن يبدو أنه لم يلبث في هذا المنصب إلا مدة يسيرة، فقد عزل عنه فانصرف إلى نشر العلم. ثم إنه انتقل إلى قرطبة وحدث فيها.

وسقطت دولة المرابطين في المغرب (٥٤٠ هـ) وقامت على أنقاضها دولة الموحدون. وفي شعبان من سنة ٥٤١ (كانون الثاني - يناير ١١٤٧ م) استولى الموحدون على إشبيلية. ويبدو أن أبا بكر بن العربي لم يكن راضياً عن الموحدون - كما لم يكن هو وأبوه من قبل راضيين عن المرابطين - ومع ذلك فقد ذهب في وفد إلى مرآكش، للتهنئة أو للإعراب عن الولاء، فسجن هناك ومن معه سنة كاملة أو تزيد. ولما أطلق سراح المسجونين اتخذ ابن العربي طريقه إلى الأندلس، ولكنه توفي في المغيلة (على مقربة من مدينة فاس)، في ربيع الآخر من سنة ٥٤٣ (صيف عام ١١٤٨ م).

٢ - أبو بكر بن العربي عالمٌ محدثٌ فقيه وأديب كاتب شاعر، إلا أن العلم بالحديث والفقه أغلب عليه. أمّا شعره فمتين السبك في الأغلب على مذهب القدماء. وشعره الباقي لنا في الوصف والغزل وفي التشويق أقرب إلى أهل المشرق.

(١) يروى أن أبا بكر بن العربي لقي حجة الإسلام الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) في بغداد (نفع الطيب ٦٤ - ٦٥، راجع ٧٦ - ٧٧)، ولكن هذا مستبعد، لأن ابن العربي غادر بغداد قبل أن يرجع إليها الغزالي. ويستبعد أيضاً أن يكونا قد التقيا في أثناء طوافهما في المشرق.

(٢) الحريرة (الأندلس) ٢ : ٢٢٠.

ولأبي بكر بن العربي تصانيف كثيرة منها: كتاب القَبَس في شرح موطأ مالك بن أنس - كتاب ترتيب المسالك في شرح موطأ مالك - كتاب أحكام القرآن - كتاب عريضة الأحوذ في شرح الترمذي^(١) - كتاب الناسخ والمنسوخ في القرآن - كتاب قانون التأويل - كتاب الأمد الأقصى بأسماء الله الحسنی وصفاته العليا - كتاب التوسط في صحة الاعتقاد والرد على من خالف أهل السنة من ذوي البدع والإلحاد - كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف (بين الفقهاء!) - كتاب الحصول في علم الأصول - كتاب ترتيب الرحلة (رحلة ابن العربي إلى المشرق).

٣ - مختارات من آثاره:

- رَكِبَ أَبُو بَكْرٍ بن العربي يوماً مَعَ أَحَدِ أَمْراءِ المرابطين - وكان هذا الأمير صغيراً - فهزَّ عليه رُمحاً كان في يده مُداعباً. فقال أبو بكر (المغرب: ١ : ٢٥٠):
يَهزُّ عَلَيَّ الرُّمْحَ ظَنِّي مَهْفَهْفٌ لَعُوبٌ بِالْبَابِ الرَّعِيَّةِ عَابِتٌ^(٢).
ولو كَانَ رُمحاً واحداً لَاتَّقَيْتُهُ؛ ولكنَّه رُمحٌ وثنانٍ وثالثٌ*.
- ودخل عليه غلام جميل في ثيابِ حَسَنَةٍ فقال (المغرب: (١ : ٢٥٠):
لَيْسَ الصَّوْفَ لِكَيِّ أَنْكِرُهُ وَأَنَا شاحِباً قَدْ عَبَسَا.
قُلْتُ: إِيه، قَدْ عَرَفْنَاكَ؛ وَذَا جَلُّ سَوْءٍ لَا يَعِيبُ الْفَرَسَا^(٣).

(١) راجع نفع الطب ٢: ٢٨-٣٥ وبروكلمن (الملحق) ١: ٨٠٠ (السطر ١٦ من أسفل)، راجع أيضاً ص ٢٦٨ و ٦٢٣، «الجواب المستقيم عما سأل عنه الترمذي الحكيم»، أو عارضة (في بروكلمن: عريضة) الأحوذ في شرح الترمذي. والعارضة: القدرة على الكلام وقوة الحجّة. والأحوذ (بفتح الهجزة): الحنيف المذاق المشتمر في الأمور (المتعمد لمعالجة الأمور). والترمني، هو (في الأغلب) الحكيم الترمذي أبو عبد الله محمد بن علي المتوفى نحو سنة ٣٢٠ هـ (٩٣٢ م)، راجع الأعلام للزركلي ٧: ١٥٦ (٦: ٢٧٢). وللترمذي الحكيم هذا كتاب عنوانه: «الدرّ المكنون في أسئلة ما كان وما يكون» (بروكلمن ١: ٣٥٦، السطر ١٧ من أسفل)، ولعلّ هذا الكتاب هو الذي ردّ عليه ابن العربي.

(٢) مهفف: دقيق الحصر (رشيق).

(*) ولكنّه رمح الذي يحمله في يده) وثنان وثالث (في عينيه).

(٣) الجلل (بالفتح) والجلال (بالكسر): سرح (غطاء يوضع على ظهر الدابة). سوء (سيء، حقير النظر).

كُلُّ شَيْءٍ أَنْتَ فِيهِ حَسَنٌ؛ لَا يُبَالِي حَسَنٌ مَا لَبَسَا^(١)!

- وقال قصيدة طويلة يتشوق فيها إلى أيامه في بغداد وإلى إخوانه في بغداد (وعلى هذه القصيدة نفتح من قصيدة المتنبي: «أغالبُ فيك الشوق، والشوقُ أغلبُ»). قال ابن العربي:

تقولُ ابنةُ العَمَرِيِّ: ما لك مُوضِعاً
أفي كلِّ عامٍ رائعُ القلبِ رُوعَةً
فقلت: دَعَيْني - لا أبالِك - وأنظري
وكفني من التأنيبِ شَيْئاً، فرياً
وما أنا في الدارِ الخلاءِ بواقفٍ
وقد قيل: يَشقى الحاسدونَ بِسَميهِمْ؛
يريدُ بي الأعداءُ ما اللهُ دافعٌ
ألا لَيْتَ شِعري، هل أبيتَنَ ليلةً
بِشِرعَةِ الكَرخِ التي لم نَزَلْ بها
وكم شاربٍ للماءِ في غيرِ أرضِهِ؛
منازلُ عزٍّ طالَ فيهنَّ مَفخَرٌ،
وقد راق مَلَهَى للسرورِ ومَلَمَبُ^(٢)!
من البينِ لا تُخطي ولا تُكذِبُ^(٣)؛
فقد يَخسرُ البادي ويَحظى المَعقَبُ^(٤)؛
تَبَيَّنَ أعقابَ الأمورِ المُونِبُ.
أكفَ عدى الأجانِ فيها وأنذبُ * *
ألا إنَّنا الحسودُ أشقى وأنصبُ^(٥).
وفَيضُ المعالي والجلالُ المَهذبُ.
- من الدهرِ لا أخشى ولا أترقبُ -
يَلدُ لنا شِرخُ الشابِ ويُعجِبُ^(٦).
ومُدغِبتُ عنه ماءَ عَيْنِي أشربُ^(٧).
ومنظرٌ حَسَنٌ حارٍ فيه التَعَجُّبُ.

- (١) يبدو أن اسم المبوب كان حسناً (كما يكون جناساً مع «حسن» في صدر البيت).
(٢) ابنة العمري (نسبة إلى عمرو بن حريث وإلى عمرو بن عوف، وهذا بطن من الأوس - والشاعر يكنى بذلك عن محبوبية ما). الموضع (الذي يسوق دابته بسرعة): الذي يريد السفر عاجلاً.
(٣) راع: أخاف. البين: البعاد، الفراق.
(٤) البادي = البادي (الذي يبدأ أمراً فيعمله مرة واحدة؟). حظي: نال حظوة (حياً، مكانة، هدفاً). المعقب: الذي يطلب الأمر مجد مرة بعد مرة.
(٥) عدى (؟). أكف عدى الأجان (المقصود: أمسح دموعي، لكثرة بكائي).
(٦) أنصب (أكثر تعباً).
(٧) المشرعة: شريعة الماء (المكان الذي يشرب منه الناس). الكرخ: الجانب الغربي من بغداد (غرب نهر دجلة).
(٨) ماء عيني: دمعي (أي أنا أبكي كثيراً).

قطعنا بأيام القطيعة دهرنا
سلام على بغداد في كل منزل؛
فوالله، ما فارقتهما عن قلبي لها،
ولكنها الأقدار يوماً إلى الفتي
فيا برق، إن الكرخ همي وهمي؛
عسى فيك من ماء الصراة صباةً

نوالي سماع العلم فيها ونكتب.
وحق لها مني السلام المطيب.
وكيف؟ ولي فيها مجال ومرحب^(١)!
بما ظل يهواه، ويوماً تنكب^(٢).
وأنت إليها اليوم أدنى وأقرب.
تبلى غليلاً غلّ قلبي فيذهب^(٣).

- وله يصف رحلته (الأولى) في البحر:

.... وقد سبق في علم الله تعالى أن يعظم البحر برؤله ويفرقنا في هوله^(٤).
فخرَجنا من البحر خروج الميت من القبر. وانتهينا، بعد خطب^(٥) طويل، إلى
بيوت بني كعب بن سليم ونحن من السَّب على عَطَب^(٦) ومن العُرِي في أقبح زِيء -
قد قَدَفَ البحرُ زَقَاقَ زَيْتِ مَرَقَتِ الحِجَارَةِ نَيْبَتَهَا^(٧) ودَسَمَتِ الأدهانُ وبرَّها
وجلدتها^(٨). فاحترزناها إزاراً واشتملناها لِفَافاً تَمَجَّنَا^(٩) الأَبصارُ وتَحَدَّلْنَا
الأَنْصارُ.....

٤-★★ المطمح ٦٢-٦٣ الصلة ٥٣٢ بغية المتمس ٨٢-٨٣ (رقم ١٧٩)؛ الوافي
بالوفيات ٣: ١٣٣٠ وفيات الأعيان ٤: ٢٩٦-٢٩٧؛ الديباج ١٢٨١ ابن قنفذ
١٢٧٩ النباهي ١٠٥-١٠٧ شذرات الذهب ٤: ١٤١ نفع الطيب ٢: ٢٥-

- (١) قلبي: بغض، كره. مجال (سعة من العيش). مرحب (قوم يرحبون بي، يمجّونني).
- (٢) يوماً (ثاني) للفتى بما يهواه (يحبّه) ويوماً تنكب (تبعده، تبعده به عمّا يحب).
- (٣) الصراة: قنطرة في بغداد تصل دجلة بالفرات. صباة: بقية. الغليل: شدة العطش. غلّ: دخل، تحلّل، توسط (وصل إلى وسط قلبي).
- (٤) الزول (٤). الهول: الفزع، الأمر الشديد.
- (٥) الخطب: الأمر الشديد (بتخاطب) - يتبادلون الرأي فيه - فلا يجدون منه مخرجاً).
- (٦) السب: الجوع. العطب: الهلاك.
- (٧) الزق: وعاء من جلد. المنبئة: الجلد (أول عهده بالديع).
- (٨) ودَسَمَتِ (جمعت فيها دسماً، دهنًا).....
- (٩) احترسناها: ربطناها على أوساطنا مثل الحزام. الإزار: ما يلف على القسم الأدنى من الجسم. اشتمل الشيء: جملة شملة (حول جسمنا كله). تمجَّنَا: تلفظنا (تكره رؤيتنا) الأَبصار.

٤٣، ٤٤، ٤٧٦ - ٤٧٧؛ أزهار الرياض ٣: ٦٢ - ٨٦، ٦٥ - ١٩٥ دائرة المعارف
الإسلامية ٣: ١٧٠٧ بروكلمن، الملحق ١: ١٦٦٣ نيكل ٢٥٨؛ الأعلام للزركلي
١٠٦: ٧ (٢٣٠: ٦) سركيس ١٧٤ - ١٧٥.

أبو بكر الحنفي

هو أبو بكر محمد بن مسعود بن عبد الله بن مسعود الحنفي المعروف بابن أبي ركب
(جمع رُكبة) من أهل جَيَّانَ، أخذ القراءات عن ابن النحاس وابن شفيع وغيرهما،
وأخذ العربية (النحو) والآداب عن أبي عبد الله بن أبي العافية وابن الأخضر وابن
الأبرش كما أخذ عن أبي الحسين بن سراج وأبي علي الصديقي.

وفي أواخر عمره استوطن غرناطة وتصدر فيها للإقراء وولي صلاة الفريضة
والخطبة في جامعها. وكانت وفاته في النصف الأول من شهر ربيع الأول من سنة
٥٤٤ (صيف ١١٤٩ م).

كان أبو بكر الحنفي من كبار نحاة المغرب (القاموس ١: ٧٦) ومن مفاخرها في
اللغة والنحو، له من الكتب: «شرح كتاب سيبويه». وكان له شيء من النظم.

★ بغية المتمس ١٢١ (رقم ٢٨٣)، التكملة ١١٨٨ معجم الأدباء ١٩: ٥٤ - ١٥٥ معجم
ابن الأبار ١٥٧ - ١٥٨ الوافي بالوفيات ٥: ٢٢ - ٢٣ بغية الوعاة ١٠٥ الأعلام
للزركلي ٧: ٣١٦ (٩٦).

ابن سلام المالقي

١ - هو أبو الحسن سلام بن عبد الله بن سلام الباهلي الإشبيلي المالقي، وُلد في
إشبيلية سنة ٤٦٤ هـ (١٠٧٢ م) وكان أبوه من وزراء المعتد بن عبّاد.
وَسَكَنَ مَالِقَةَ وكانت وفاته في شَلَبَ في نِصْفِ رَجَبٍ من سنة ٥٤٤
(١١٤٩/١١/١٩ م).

٢ - كان ابن سلام المالقي أديباً كاتباً وشاعراً رقيقاً وصل إلينا منه بضعة أبيات

في الحكمة والفزل والنسب وكتاب « الذخائر والأعلاق في أدب النفوس ومكارم الأخلاق ».

٣ - مختارات من آثاره:

- قال ابن سلام المألقي في الفزل:

لَمَّا ظَفِرْتُ بَلِيلَةَ مِنْ وَصْلِهِ - وَالصَّبُّ غَيْرُ الْوَصْلِ لَا يَشْفِيهِ (١) -
أَنْصَجْتُ وَرَدَّةَ خَدِّهِ بِنَفْسِي وَطَفِقْتُ أَرْشَفُ مَا هَا مِنْ فِيهِ (٢).

- وقال في النسب:

كَيْفَ لِي بِاللُّؤُ عِنِّكُمْ، وَأَنْتُمْ مَوْضِعُ السُّؤْلِ وَالْمُنَى وَالْمُرَادِ (٣).
بَاعِدُونِي إِنْ شِئْتُمْ وَاهْجُرُونِي يَسْتَبِينَ قَدْرُ مَا لَكُمْ فِي فُؤَادِي (٤).

- وله في الحكمة:

إِذَا تَمَّ عَقْلُ الْمَرْءِ تَمَّتْ فِضَائِلُهُ، وَقَامَتْ عَلَى الْإِحْسَانِ مِنْهُ دَلَالَتُهُ؛
فَلَا تُنْكِرُ الْأَبْصَارُ مَا هُوَ فَاعِلُهُ، وَلَا تُنْكِرُ الْأَسْمَاعُ مَا هُوَ قَائِلُهُ.

٤ - الذخائر والأعلاق، القاهرة (مطبعة مصطفى وهي) ١٢٩٨ هـ.

* * المغرب ١: ٤٣٤؛ الذيل والتكملة ٤: ٤٨ - ٥٥ (رقم ١٢٢)؛ نفع الطيب ٢: ٣٣٣،

٤: ٢٠٤ - ٢٠٥؛ بروكلمن، الملحق ١: ٤٨١؛ نيكل ٢٤٠ - ٢٤١.

القاضي عياض

١ - هو أبو الفضل عياض بن موسى (٥) بن عياض (٦) بن عمرو (٧) بن موسى بن

(١) الوصل: لقاء المحبوب. الصب: الحب. راجع، فوق، ص ٢٣٩ - ٢٤٠.

(٢) ماء ورد خده (٤).

(٣) السلو: النسيان، نسيان الحب. السؤل = السؤال: الطلب، المتنى.

(٤) يستبين: يظهر (لكم). ما لكم في فؤادي (من الحب).

(٥) في سياقة هذا النسب شيء من الاختلاف.

(٦) ولد قبل ٣٩٧ هـ بمدة يسيرة (أزهار الرياض ١: ٢٨).

(٧) في عدد من المصادر « عمرو ». ولكن الثابت عند المقرئ (أزهار الرياض ١: ٢٣، راجع ٢٥):

عمرون (توفي سنة ٣٩٧ هـ).

عياض بن عبد الله^(١) بن محمد^(٢) بن عبد الله بن موسى بن عياض اليحصبي^(٣)، أصله من الأندلس ثم إنهم أتقنوا إلى المغرب مُتَنَقِّلِينَ. وأخيراً استقرّوا في سبتة. ولقد عياض بن موسى اليحصبي في سبتة، في منتصف شعبان من سنة ٤٧٦ (٢٨ / ١٢ / ١٠٨٣ م). وفي سنة ٥٠٧ هـ (١١١٣ - ١١١٤ م) دخل الأندلس طلبياً للعلم ودرس في قرطبة على نفرٍ كثيرين من المحدثين والفقهاء خاصة^(٤). تولى القضاء في سبتة مدةً طويلةً، ثم انتقل إلى قضاء غرناطة، سنة ٥٣٢ هـ (١١٣٧ م). بعدئذ عاد مدةً يسيرةً إلى قضاء سبتة.

وكان عياض قد دخل في طاعة المرابطين فأكرموه ورفعوا منزلته. فلما اضطربت أحوالهم، سنة ٥٤٣ هـ، ساءت حاله فخرج شريداً عن وطنه إلى مراكش حيث توفّي وشيكا، في سابع جمادى الثانية من سنة ٥٤٤ (١٣ / ١٠ / ١١٤٩ م).

٢- كان عياض بن موسى اليحصبي مُحَدِّثًا وفتياً كما كان عالماً باللغة والنحو وبأيام العرب وأنسابهم وأدبهم. وكذلك كان أديباً خطيباً مُتَرَسِّلاً بليغاً وشاعراً مُكْتَبِرًا حَسَنَ الشعر رقيقاً. وهو مصنفٌ له تاليفٌ كثيرةٌ منها: الشفا في تعريف حقوق المصطفى (الرسول) - مشارق الأنوار إلى صحيح الآثار (في تفسير الألفاظ الغريبة في كتب الحديث الثلاثة: الموطأ وصحيح البخاري وصحيح مسلم، مع التنبيه على موضع الأوهام والتصحيحات في أسماء الرجال الواردة أسماؤهم في تلك الكتب الثلاثة) - كتاب التنبهات المستنبطة على الكتب المدونة (في ضبط الألفاظ وتحريم المسائل) - الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع - ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك - بُغْيَةُ الرَّائِدِ لِما تَضَمَّنَهُ حديث أم زرع من الفوائد - الإعلام بحدود قواعد الإسلام - الغُنيَّة (في شيوخه من فقهاء المغرب والأندلس) - كتاب العيون الستة في أخبار سبتة - غُنيَّة الكاتب و بُغْيَةُ الطالب في الصدور

(١) (٢) هالك خلاف على وجود « محمد » في سلسلة هذا النسب وعلى وجود « عبد الله » بعد « محمد ».

(٣) اليحصبي يجب أن تكون بكسر الصاد عند المقري (أزهار الرياض ٢٧). وفضل بعضهم الضم. وأبعد الأقوال في ذلك « الفتح ».

(٤) راجع أسماءهم في « الديباج »، ص ١٦٩، وأزهار الرياض ٣: ٦٦ - ٣٢٦.

والترسل - سرّ السراة في أدب القضاة - ديوان خطبه، الخ.

٣ - مختارات من آثار:

- للقاضي عياض من الوصف البارع:

انظُرْ إلى الزرعِ وخاماتِهِ تحكي - وقد ماست أمامَ الرياحِ^(١) -
كثيِّبَةً خَضراءَ مهزومَةً شقائِقُ الثُّمَانِ فيها جراح!

- وقال في التشويقِ (من لزوم ما لا يلزم):

اللهُ يَعْلَمُ أَنِّي مُنْذُ لَمْ أُرْكَمُ كطائِرِ خانِهِ ريشُ الجناحَيْنِ -
فلو قَدَرْتُ رَكِبْتُ البحرَ نَحْوَكُمُ لأنَّ بُعْدَكُم عَنِّي جَنَى حِينِي!^(٢)

- وقال في التشويقِ (من لزوم ما لا يلزم أيضاً):

يا مَنْ تَحَمَّلَ عَنِّي غيرَ مُكْتَرِبٍ، لَكِنَّهُ لِلضُّنى والسُّمِّ أوصى بي^(٣) .
تَرَكْتَنِي مُسْتَهَامَ القلبِ ذا حُرْقٍ أخا جَوَى وتباريحِ وأوصابِ^(٤) .
أراقِبُ النجمَ في جَنحِ الدُّجى سَمَراً كأَنِّي راصِدٌ لِلنَّجْمِ أو صابِي!^(٥)

- وقال القاضي أبو الفضلِ عياضٌ لما رَحَلَ عن قُرْطَبَةَ (نفع الطيب ١ : ٥٤٤ -

: ٥٤٦)

(١) الحام من الزرع: أول ما نبئت منه، أو الضمة منه، ماس: قائل.

(٢) جنى: أثمر: سبب. الحين (بفتح الحاء): الموت.

(٣) تحمّل: ارتحل، سافر. غير مكترث: مهمّ، مبال. الضنى: المرض كلّما ظنّ المريض أنّه شفي منه انتكست حاله من جديد. السقم: المرض. للسقم أوصى بي: جعلني وديعة عند المرض (دام مرضي).

(٤) مستهام القلب: هائم القلب (كأنه موسوس من شدّة الحب). الجوى: شدّة الحبّ حتّى كأنّ الحب فيه مرض. التبريح: التعذيب، شدّة الأذى. الوصب: الألم، الوجع.

(٥) جنح (جانب من) الليل = يقصد الشاعر: في ظلام الليل، طوال الليل. السمر (بفتح الميم): حديث الليل؛ والشاعر يقصد سمرًا (يسكون الميم): بلا نوم (سمرًا: لم يتم). صابي = صابيه: عابد النجوم (الصابئة طائفة قديمة من عبدة النجوم، وهي غير الصابئين الوارد ذكرهم في القرآن الكريم في سورة البقرة والمائدة والحجّ - ٢ : ٦٢، ٥ : ٧٢، ٢٢ : ١٧).

أقول وقد جدّ أرحالي وغرّدت
وقد غمّصت من كثرة الدمع مُقلتي،
ولم يَسْقَ إلّا وقفةً يَسْنَحُهَا
رعى الله جيراناً بِقُرْطَبَةِ المَلا
وحيّاً زماناً يَبْنَهُم قد ألفتُه
أخواننا، بالله، فيها تذكروا
عَدوتُهم من يبرهم وأحفتهم
حُداتي، وزمتُ للفراق ركائي^(١)،
وصارتُ هواً من فؤادي تراثي^(٢)،
وداعي للأحباب لا للحبائب^(٣):
وجاد رُباها بالعهادِ السواكب^(٤).
طليقَ الحيا مُستلانَ الجوانب^(٥).
مودّة جاري أو مودّة صاحب.
كأني في أهلي وبين أقرابي.

- كتب القاضي عياضٌ إلى اثنين من إخوانه رسالةً مُتعلّقةً بالصناعة وقد ملأها
بأسماء النجوم (كلّ اسمٍ علّم على نجمٍ أو مجموع نجومٍ أتبعته هذه العلامة: *)-
من «الخريدة» (المغرب والأندلس: ٤١٣-٤١٥)- وقد اخترتُ إلّا أحلّ ألفاظاً
هذه القطعة لكثرة ما فيها من الاستعارات:

قد وفتت - أعزكم الله - على بدائيمكم الغربية ومنازِعكم البعيدة، ورأيتُ
ترقيقكم من الزهر إلى الزهر، وتثقلكم إلى الدراري^(٦) بعد الدرّ، فأبعثكم جيمي

(١) جدّ الرحيل: اجتهد الراحلون بالاستعداد له وأسرعوا. غرّدت: غنى. الهادي: الذي يسوق القافلة
ويفتي للمسافرين كيلا يملوا من طول السفر ومشقته. الركوبة: الدابة المعدة للركوب. زمت (بالبناء
للمجهول) ركائي: أخذ (بالبناء للمجهول) بزمامها لتبدأ سيرها. ويجوز زمت (للمعلوم) ركائي: رفعت
ركائي رؤوسها لتبدأ السير.

(٢) غمّصت (بالفتح المجمة والصاد المهملة): كثرت فيها الضمص أو الرمص: (القنذ). في نفع الطيب (١):
(٤٤٦) وفي الخريدة (المغرب: ٣: ٥٠٣). والخريدة (الأندلس: ٢: ٥٥٣) غمّضت بالفتح والصاد
المجتمتين. وقد أشارت الخريدة (المغرب: ٣: ٥٠٣، الحاشية ٥) أنّ الكلمة في «قلائد العقيان» بالفتح
المجمة والصاد المهملة. راجع «قلائد العقيان» (ص ٢٥٧). التراثب: العظام في أعلى الصدر.
صارت هواً... (تبخّرت عظام صدري من شدّة حرارة قلبي؟).

(٣) لم يبق من الوقت لبدء السفر غير وقفة قصيرة يستحبها (يستعملها: يطلب تقصيرها)... الأحباب جمع
حبيب، والحبائب جمع حبيبة.

(٤) العهاد: الطر المعهود (الذي يسقط متتالياً).

(٥) طليق (يقصد: طلق، بالفتح) الحيا (الوجه): مسرور. استلان الرجل العيش: وجده ليلاً ناعماً،
هنيئاً. مستلان (في القلائد: مستلن) (٢).

(٦) الزهر (بالضم) والدراري: النجوم.

النجوم وَقَدَفْتُمَا مِنْ ثَوَابِ أَهْمَايَكُمَا بِالرُّجُومِ، وَتَرَكْتُمَا بَعْدَ الطَّلَاقِ ذَاتَ
 وُجُومٍ^(١). فَحَلَلْتُمَا بَسِيطَهَا غَارَةَ سَمَوَاءِ^(٢) لَهَا عَوْتٌ أَكْلَبُ الْعَوَاءِ * هُنَالِكَ أَفْتُرَسَتْ
 الْفَوَارِسُ وَلَمْ تُغْنِ عَنِ السَّكِّ * الدَاعِسُ (؟) وَغُودِرَتْ النَّشْرَةُ * نَاراً وَأَغْشَى
 لِأَلَاوِهَا نَفْعاً^(٣) مَثَاراً كَانَ لَكُمَا عِنْدَهَا ثَاراً. وَأَشْعِرَتْ الشُّعْرَانِ * دُغْرًا وَقَطَعَتْ
 إِحْدَاهُمَا أَوَاصِرَ الْآخَرَى. فَأَخَذَتْ بِالْحَزْمِ مِنْهَا الْعَبُورُ * وَبَدَّرَتْ خَيْلِكُمَا وَسَيْنِكُمَا^(٤)
 بِالْعُبُورِ. وَحَدِرَتْ اللَّحَاقَ عَنِ أَنْ تَمُوقَ عَنِ مُنْحَنِ الْعَيُوقِ * فَخَلَفَتْ أُخْتَهَا تَنْدُبُ
 الْوَفَاءِ وَتَجْهَدُ جَهْدَهَا فِي الْإِخْتِفَاءِ. وَكَأَنَّ الشَّرِيَا * حِينَ تُرْتَمُ بِقَطِينِهَا^(٥) اتَّقَتِكُمْ
 بِيَمِينِهَا، فَجَدَّبَتْ بِنَانَهَا وَبَدَّلَتْ لِلخُضِيِّبِ * أَمَانَهَا^(٦). فَعِنْدَهَا أَسْتَسْهَلُ سُهَيْلٌ *
 الْفِرَارُ فَأَبْعَدَ بِيَمِينِهِ الْقَرَارِ. وَوَلَّى الدَّبْرَانَ * إِثْرَهُ مُدْبِرًا.

- وَلِلْقَاضِي عِيَاضٍ أَيْضاً خُطْبَةٌ جَمَعَ فِيهَا سَوْرَةَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ - وَسَيَكُونُ اسْمُ
 كُلِّ سُورَةٍ مُتَبَوِّعًا بِنَجْمٍ * (نفع الطيب ٧ : ٣٣٣ - ٣٣٤):

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي افْتَتَحَ بِالْحَمْدِ * كَلَامَهُ وَبَيَّنَّ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ * أَحْكَامَهُ، وَمَدَّ فِي
 آلِ عِمْرَانَ * وَالنِّسَاءِ * مَائِدَةَ * الْأَنْعَامِ * لَيْتِمَ إِنْعَامَهُ. وَجَعَلَ فِي الْأَعْرَافِ *
 أَنْفَالَ * تَوْبَةَ * يُونُسَ * وَ« أَلَزَّ كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ »^(٧) * بِمُجَاوِرَةِ يُوسُفَ *
 الصِّدِّيقِ فِي دَارِ الْكِرَامَةِ، وَسَبَّحَ الرَّعْدُ * بِحَمْدِهِ، وَجَعَلَ النَّارَ بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى
 إِبْرَاهِيمَ * لِيُؤْمِنَ أَهْلُ الْحَجَرِ * أَنَّهُ إِذَا أَتَى أَمْرُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فَلَا كَهْفَ * وَلَا مَلْجَأَ

(١) الرجم (بضمّ فمّ) والرجوم (حجارة تساقط من السماء - تكون دائرة في أفلاك لها حول الكواكب
 ثم تلت من مدارها فنسقط إلى الأرض بسبب جذب الأرض لها). الوجوم: السكوت.

(٢) حل: نزل. البسيط: الأرض المستوية. السموات: المنتشرة. فحللت بسيتها غارة... (؟): ملأتم الأرض
 بالحرب

(٣) النعم: غمار الحرب.

(٤) بدرت خيلكما وسيلكما... (؟): سبقت الشعيران: أختان عبرت أحدهما إلى الجانب الآخر من
 السماء. فبكت الثانية حتى عصمت.

(٥) القطين: الساكن معك في بيت واحد.

(٦) الكفّ الخضيب: نجم.

(٧) « أَلَزَّ كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ » بدء سورة هود (السورة الحادية عشرة في المصحف).

إِلَّا إِلَيْهِ لَا يُظْلَمُونَ قَلَامَةً^(١).

- ٤ - الشفا في تعريف حقوق المصطفى (الرسول)، استانبول ١٢٦٤ هـ الخ، الهند ١٢٧٦ هـ الخ، القاهرة ١٢٩٥ هـ الخ فاس ١٣٠٥ هـ الخ. هـ ١٣٢٩ .
- مشارق الأنوار، فاس ١٣٢٨، ١٣٣٣ هـ، القاهرة ١٣٣٢ هـ .
- الأملح إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، الهند بلا تاريخ.
- المدارك (حققه أحمد بكير محمود).
- ★ ★ أزهار الرياض في أخبار عياض، تأليف شهاب الدين المقرئ التلمساني (ضبطه... مصطفى السقا و ابراهيم الإيباري وعبد الحفيظ شلي)، القاهرة (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٣٥٨ - ١٣٦١ هـ = ١٩٣٩ - ١٩٤٢ م .
- قلائد العقيان ٢٥٥ - ٢٥٨ بغية الملتبس ٤٢٥ (رقم ١٢٦٩)، الخريدة (المغرب والأندلس) ٤١٣:٣ - ٤١٤، ٤١٤، ٥٠١، ٥٠٥ - الخريدة (الأندلس) ٥٥٠:٢ - ٥٥٥؛ إنباه الرواة ٢: ٣٦٣ - ٣٦٤، معجم ابن الأبار ٢٩٤ - ٢٩٨؛ وفيات الأعيان ٣: ٤٨٣ - ٤٨٥؛ ابن قنفذ ٢٨٠؛ النباهي ١٠١؛ الديباج المذهب ١٦٨ - ١٧٣؛ شذرات الذهب ٤: ١٣٨ - ١٣٩؛ نفع الطيب ١: ٥٤٤ - ٥٤٥، ٥٠٨: ٥، ٤٠٩ - ٤٠٩، ٧: ٣٣٣ - ٣٣٤؛ تاج العروس (الكويت) ٢: ٢٨٧، ١٨، ٤٥٠؛ (تحقيق الاسم والنسبة)؛ دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الأولى) ٢: ٥٦٦ - ٥٦٧، (الطبعة الثانية) ٤: ٢٨٩ - ٢٩٠؛ بروكلمن ١: ٤٥٥ - ٤٥٦، الملحق ١: ٦٣٠ - ٦٣٢؛ الأعلام للزركلي ٥: ٢٨٢ (٩٩)؛ بالنشيا ٢٨٣، ٢٩٧، ٣٩٨، مركيس ١٣٩٧ - ١٣٩٨ .

أبو بكر الأبيض

١ - هو أبو بكر محمد بن أحمد الأبيض^(٢) أصله من قرية همدان^(٣) وتأدب في إشبيلية وقرطبة (المغرب ٢: ١٢٧). وكان أبو بكر الأبيض قد ولج بهجاء الزبير بن عمر المثلث^(٤) أمير قرطبة من قبل المرابطين فقتله الزبير سنة ٥٤٤ هـ (وفيات

(١) القلام: ما يقطع عادة من الظفر (شيء قليل جداً).

(٢) وقيل: أحمد بن محمد (زاد المسافر ١١٠٨ نفع الطيب ٣: ٤٦١). وقيل أيضاً: ابن الأبيض (جيش التوشيح ٤٦).

(٣) لعلها جنوب غرناطة (إذ هي من مملكة إلبيرة).

(٤) المثلث من المثلثين (المرابطين، الطوارق اليوم) لأن رجالهم كانوا يضمون لثاماً على وجوههم.

٢- أبو بكر الأبيّضُ من الموشّحين المطبوعين (مقدّمة ابن خلدون ١١٤٠)، وهو شاعرٌ مشهورٌ ووشاحٌ حسنُ التصرفِ هجاءً (المغرب ٢: ١٢٧) اخترعَ ووَلَدَ ونظَمَ شعره وتوشّحه في قالبِ الإعجازِ مُتصِرفاً فيه بالحقيقةِ والمجاز (جيش التوشّيح، ص ٤٦).

وشعره القصيدُ على عمودِ الشعرِ متينٌ فخمٌ. أمّا موشّحاته ففيها لينٌ - حتّى حيناً تُقاسُ بأشباهاها من الموشّحاتِ الأندلسيةِ - ولعله لا يستحقُّ المكانةَ التي يحتلّها في أقوالِ النقادِ إذا نحنُ حَكَمْنَا على موشّحاته التي وصلت إلينا^(١).

وفنونُ أبي بكرِ الأبيّضِ - في قصيدهِ وموشّحه - المدحُ والهجاءُ والغزلُ والمُجونُ وشيءٌ من الوصفِ. وهجاؤه كثيرٌ مُقذَعٌ. وقد هاجى ابن صارةَ الشنتريني (ت ٥١٧ هـ).

٣- مختارات من آثاره:

- قال أبو بكرِ الأبيّضُ في الفقهاء المرائين^(٢):

أهلَ الرِياءِ، لِبِسْتُمْ ناموسكم كالذئبِ يذُلُّجُ في الظلامِ العامِّ^(٣)،
فَمَلَكْتُمُ الدنِيا بذهبِ مالِكِ، وقسمتُمُ الأموالَ بأينِ القاسمِ^(٤)،

(١) نسب إليه ابن خلدون (المقدّمة ١١٤٠ - ١١٤١) الموشّحة المشهورة « ما لد لي شرب راح » (هي ليست له في الأصح).

(٢) تروى أيضاً لابن البنيّ (راجع نفع الطيب ٣: ٤٤٨، الحاشية ٢).

(٣) الناموس: القانون أو التريفة (تظاهرتم باتباع التريفة في أموركم). والقرينة هنا تدلّ على أن الناموس ثوب أسود^(٤).

(٤) الإمام مالك بن أنس فقيه أهل المدينة وصاحب المذهب المالكيّ الذي يعمل به جميع أهل الأندلس والمغرب (استغلّتم الدين في سبيل جرّ منافع الدنيا إليكم). ابن القاسم هو أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم بن خالد فقيه مالكيّ صاحب مالك بن أنس عشرين سنة وجمع بين العلم والزهد (ت ١٩١ هـ، في مصر). وهو صاحب المدوّنة (كتاب الفقه المعتمد في المغرب والأندلس) في رأي أتباع مالك، وعن ابن القاسم رواها سخون (١٦٠ - ٢٤٠ هـ) وهو فقيه أهل المغرب. قسمتُ الأموال: اقتسمتموها أحترقتموها لأنفسكم).

وَرَكِبْتُمْ شُهَبَ الْبِغَالِ بِأَشْهَبِ، وَبَاصِغٍ صُبِغَتْ لَكُمْ فِي الْعَالَمِ^(١).

- وقال يتهكم برجل زعم أنه ينال الخلافة:

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، نِدَاءً شَيْخٍ أَفَادَكَ مِنْ نَصَائِحِهِ اللَّطِيفِ^(٢)،
تَحَفَّظْ أَنْ يَكُونَ الْجَذْعُ يَوْمًا سَرِيرًا مِنْ أَسْرِيَتِكَ التُّنَيْفِ^(٣).
أَفَكَّرْ فِيكَ مَطْوِيًّا فَأَبْكِي، وَتُضْحِكُنِي أَمَانِيكَ السَّخِيفِ^(٤).
- وقال يهجو الزبير أمير قرطبة:

عَكَّفَ الزُّبَيْرُ عَلَى الضَّلَالَةِ جَاهِدًا وَوَزِيرُهُ الْمَشْهُورُ كَلَبُ النَّارِ^(٥).
مَا زَالَ يَأْخُذُ سَجْدَةً فِي سَجْدَةٍ^(٦) بَيْنَ الْكُؤُوسِ وَنَعْمَةِ الْأُوتَارِ.
فَإِذَا أَعْتَرَاهُ السَّهُوُ سَبَّحَ خَلْفَهُ صَوْتُ الْقِيَانِ وَرَنَّةُ الْمِزْمَارِ^(٧)!

- ومن أحسن شعره قوله في مولود (المغرب ٢: ١٢٧):

يَا خَيْرَ مَعْنَى وَأَوْلَاهَا بِعَارِفَةٍ، لِلَّهِ نِعْمَاءٌ عَنْهَا الدَّهْرُ قَدْ نَصَا^(٨)،

- (١) ركبتم البغال الشهباء (البيضاء) كناية عن المكانة الاجتماعية الرفيعة وعن الثروة. أشهب بن عبد العزيز القيسي فقيه الديار المصرية على مذهب مالك (١٤٥ - ٢٠٤ هـ). أصبح بن الفرج (ت ٢٢٥ هـ) من كبار الفقهاء المالكية في مصر. وكان أعلم الخلق برأي مالك (القاموس المحيط ٣: ١٠٩). صبغت (شهرتكم، مكانتكم؛ حسنت) أو نلت محاسن الدنيا.
- (٢) أمير المؤمنين (نداء على التهكم، لأن الرجل يدعى أنه سينال الخلافة). في نفع الطيب ٣: ٤٩٠ = من أماليه .
- (٣) تحفظ: احترس، احذر. الجذع: جذع شجرة أو قطعة من خشب يعلق عليها المصلوب. سرير: عرش أو مجلس وثير. منيف عال. (في «عال» تورية بين العالي (المرتفع في الجو) والعالي (المرتفع في المكانة). في نفع الطيب: وأذكر منك مصلوباً فأبكي.
- (٤) هو الزبير بن عمر الملقب (الرابطي) أمير قرطبة (راجع نفع الطيب ١: ٤٧١، ٣: ٤٨٩ - ٤٩٠).
- (٥) يداخل بين السجدة (يخطئ في صلاته) لأنه لا يفتق من السكر ولا يهي من كثرة الفناء والغرف عنده.
- (٦) إذا نسي الإمام في الصلاة حركة أو ركعة نبهه المصلون وراءه بقولهم: سبحان الله. أمّا الزبير هذا فإنه يخطئ كثيراً، ولكن بدلاً من أن يقال له: «سبحان الله»، يسمع وراءه غناء المصنّيات وأصوات الزماير (ولذلك لا ينتبه إلى ما ينساه من صلاته).
- (٨) معن: بنو معن (لعلمهم آل ضادح - بضم الصاد - وهم أمراء الرمية في الأندلس). أولها أولى قبيلة بني معن. العارفة: المعروف (فعل الخير). - أنتم في نعمة نفس (نام) عنها الدهر (نسيها) فدامت فيكم.

لِيُهِنِكَ الْفَارِسُ الْمَيْمُونُ طَائِرُهُ؛ اللَّهُ أَنْتَ، لَقَدْ أَذَكَيْتَهُ قَبْسًا^(١).
 أَصَاحِبِ الْخَيْلِ أَذَانًا لِيَصْرَخْتِهِ، وَارْتَاعَ كُلِّ هَزْبٍ حِينًا عَطَسًا^(٢).
 تَعَلَّمَ الرُّكُضَ أَيَّامَ الْمَخَاضِ بِهِ فَمَا مَطَى الْخَيْلَ إِلَّا وَهُوَ قَرَسًا^(٣).
 تَعَشَّقُ الدِّرْعَ مَذًى شَدَّتْ لِفَائِفُهُ، وَأَنْكَرَ الْمَهْدَ لَمَّا أَبْصَرَ الْفَرَسًا^(٤).
 بَشَّرَ قِبَائِلَ مَعْنَى أَنْ سَيِّدَهَا قَدْ أُنْمَرَ الْمَلِكُ بِالْمَجْدِ الَّذِي غَرَسًا^(٥).

- لَمَّا وَلَعَ أَبُو بَكْرٍ الْأَبْيَضُ بِهَجَاءِ الزُّبَيْرِ بْنِ عُمَرَ أَمَرَ الزُّبَيْرُ بِاحْتِضَارِهِ فَفَرَعَهُ وَقَالَ لَهُ: مَا دَعَاكَ إِلَى هَذَا؟ فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ الْأَبْيَضُ: (نَفْحُ الطَّيِّبِ ٣: ٤٩٠):

«إِنِّي لَمْ أَرَ أَحَقَّ بِالْمَجْدِ مِنْكَ. وَلَوْ عَلِمْتَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَخَازِي لَهَجَوْتُ نَفْسَكَ إِنْصَافًا وَلَمْ تَكَلِّهَا إِلَى أَحَدٍ.»

فَلَمَّا سَمِعَ الزُّبَيْرُ ذَلِكَ مِنْهُ قَامَتْ قِيَامَتُهُ وَأَمَرَ بِقَتْلِهِ.

- وَقَالَ فِي الْخَمْرِ:

سَفَكَ الْمَسِيحُ سُلْفَهَا وَأَخْتَارَهَا وَدَعَا لَهَا حَوْلًا بَيْنَتِ الْمُقَدِّسِ^(٦).
 فَإِذَا بَدَا لِأَلْوَاهَا سَجَدُوا لَهُ مُتَطَوِّفِينَ بِهَا وَلَمَّا تَلَمَسَ^(٨)،
 يَتَوَهَّمُونَ بِأَنَّ عَيْسَى كَامِنٌ مُتَنَسِّسٌ فِي رَوْحِهَا الْمُتَنَسِّسِ.
 مِنْ هَذِهِ فَلْتَسْفِي، وَدَعِ الْتِي تَنْغَلَّ فِي جِلْبَابِهَا الْمُتَدَنِّسِ^(٩)!

(١) أذكيتته قبساً: أوفدته فكان مشعلاً شديد الضوء.

(٢) أصاح: مذ أذنه ومال برأسه ليسبح جيداً. لصرخته (لصرخته الأولى يوم ولد). ارتاع: خاف. الهزب: الأسد. عطس (عطس عقب الولادة). - كان مهوياً (بجاف الناس منه) منذ ولادته.

(٣) الركض: السباق، الهجوم في الحرب. المخاض: آلام الولادة عند المرأة. - ما بلغ من السن ما يبدأ به الناس أن يركبوا الخيل حتى كان قد فرس (أصبح من الفرسان الشجعان).

(٤) اللقطة: الأقطعة التي يلف بها الوليد. - حينما كان طفلاً في المهدي أبحر حصاناً، فأصبح منذ ذلك الحين يكره البقاء في المهدي رغبة في ركوب الخيل.

(٥) إن رئيس قبيلة ممن قد غرس مجداً (الطفل الذي أنجب) فكان ثمرة ذلك ملكاً (دائماً)!

(٦) لم تكلمها (لم تعهد بها) إلى أحد.

(٧) السلاف: أفضل الخمر وأخلصها (أكثرها صفاء). دعا لها (صلى عليها) حولاً (عاماً).

(٨) ولما تلمس: قبل أن يمسا أحد (قبل أن يبدأوا بشرها).

(٩) انغل في الثوب: دخل فيه. الجلباب: الرداء الواسع. المتدس: الملوث.

- من موشحات أبي بكر الأبيض (جيش التوشيح ٥٤) :
من سقى عَيْنَيْكَ كَأْسَ الْمُدَامِ؟ بِمَا مَنَى الْمَسْتَهَامُ^(١)!

* * *

رَشَاءُ أَشْهَرَنِي وَهُوَ نَائِمٌ
رَقًّا لِي وَالْمَوْتُ بَيْنَ الْحِيَازِمِ.
عَجَبًا مِنْ دَمْعِهِ وَهُوَ بَاسِمٌ
خَيْثُ يَمْزُجُ تَحْتَ اللَّثَامِ عَبْرَةً بِابْتِهَامِ^(٢).

* * *

قَلْبَ دُنْيَايَ تَسْقَى رُوَيْدُ
تَحْتَ إِحْسَانِ الْوَزِيرِ ابْنِ زَيْبِذِ.
فَأَنَا أَرْبَعُ فِي خَيْرٍ قَيْدًا
بَيْنَ بَرٍّ وَعَطَايَا جِسَامِ أَخَوَاتِ الْغَمَامِ^(٣).

* * *

بِأَنَّ الْغَوْرَ بِمَيْدُ الْمَسَافَةِ.
قَدْ كَفَى قُرْطُبَةَ كُلِّ آفَةِ.
كَمْ يَدٍ أَوْلَيْتَ دَارَ الْخِلَافَةِ.
طَوَّقْتَ جِيدَكَ طَوَّقَ الْحَمَامِ فِي حُسْلِ الْكِرَامِ^(٤).

* * *

-
- (١) المستهَام: الهائم (الذي حيرَه الحبَّ).
(٢) الرشاء: الغزال الصغير. الحيزوم: الصدر أو وسطه. والموت بين الحيازِم: قاربت الروح أن تخرج من الجسم. الحنت (هنا): اللين الجسم، والذي يفعل فعل الحنت من لين الكلام.
(٣) قلب دنياي تسقى (٤) رويد (على مهل). أربع: أربع، أربع، أربع. في خير قيد (تقيدي به) (انقطاعي إليه وحده) خير كبير لي. أخوات الغمام (الحباب) كثيرة كريمة.
(٤) بانن (بعيد، عميق) الغور (القمر)... لا يدرك أحد دهائه ولا يستطيع أحد أن يصل إلى ما وصل =

بِكَ، يَا مُشْرِفُ، صَبَحَ الْيَقِينِ
 أَنْتَ صَبَحَ الْمِشْكَاةَ الْمَبِينِ.
 أَيُّ نَضَلٍ سَلُّهُ مَا.....
 مَلِكٌ شَرَّفَهُ فِي الْأَنْبَامِ حَمَلٌ ذَاكَ الْحَمَامِ.

★ ★ ★

شُرِّفَ الْمَلِكُ بِهِ حِينَ حَاطَهُ
 فَشَدَّتْ وَجَدًا بِهِ غَرْنَاطَهُ
 إِذْ تَوَخَّى بِبِوَاهَا ارْتِبَاطَهُ.
 كُلُّ يَوْمٍ أَقْرَبِكَ، يَا حَبِيبُ، سَلَامٌ؛ وَنَسِيتَ أَنْتَ ذِمَامًا^(١).

٤-★★ الخريدة (المغرب والأندلس) ٢: ٢٥٨ - ٢٥٩، ٣: ٥٨٠ - ٥٨١ الخريدة
 (الأندلس) ٢: ١٦٠، ١٦٧، وفيات الأعيان ٤: ٤٣٧، المغرب ٢: ١٢٧ - ١٢٨
 المطرب ٤٧٦، زاد المسافر ١٠٨ - ١١٣ جيش التوشيح ٤٦ - ٥٨، راجع
 ٢٣٤ - ٢٤٠؛ مقدّمة ابن خلدون ٥٨٤ - ٥٨٥ (١١٤٠ - ١١٤١)؛ نفع الطيب
 ٣: ٢٨٧، ٤٠٤، ٤٤٨، ٤٦٠، ٤٨٩، ٧: ٧، ٧: ٧ نيكل ٢٤٥ - ٢٤٧ مختارات
 نيكل ٣١٩.

جعفر بن محمد الشنتمري

١- هو أبو الفضل جعفر بن محمد بن يوسف بن سليمان بن عيسى الشنتمري^(٢) من
 أهل شنت مريّة الغرب (فارو، البرتغال اليوم)، وُلِدَ فيها ونشأ وأقرأ النحو فيها منذ

= إليه هو. كم يد...: كم فصل لك على دار الخلافة (العاصمة) في حفظ الملك على أهله. لعدد من أنواع
 الحمام طوق (ربش مخالف لربش سائر الجسم محيط بالعنق). الفضل ظاهر فيك ثابت (كثبات طوق
 الحمام). في (من) حلى الكرام: يدلّ على أصلك الكريم أو عمك الكريم.

(١) حاطه: (حماه من الأخطار) فشدت (تفنتت = اقتخرت) وجداً به (حبّاله). إذ توخّى (أراد) بسواها
 ارتباطه (الانتقال إلى بلد آخر) (٢). أقربك = أقرئك. الذمام: العهد (الحبّة التي بيننا).

(٢) هو حفيد الأعم الشنتمري يوسف بن سليمان (ت ٤٧٦ هـ).

صباه الأول قبل أن يلتحي^(١). ويبدو أنه تطوّف بالأندلس قليلاً ومدّح سلطان المرابطين عليّ بن يوسف بن تاشفين (٥٠٠ - ٥٣٧ هـ). وقد تولّى القضاء في بلده سنت مرتبة. ويبدو أنه تولّى الوزارة أيضاً. وعاش جانباً كبيراً من حياته مُنغمساً في ملاحه من الخمر والنساء. ثم إنه تاب وزهد. وكانت وفاته سنة ٥٤٧ (١١٥٢ - ١١٥٣ م).

٢- كان جعفر بن محمد الشنمريّ فقيهاً وبارعاً في النحو، كما كان أديباً ناثراً وشاعراً. وفي نثره تكلفٌ ظاهرٌ للغريب وللصناعة. وفي بعض شعره إجادة وإحسان. ومن فنونه: الوصفُ والخمرُ والغزلُ والزهدُ.

٣- مختارات من آثاره:

- قال جعفر بن محمد الشنمريّ يصفُ فرساً وسرجاً:

انظُرْ إليه (إلى الفرس) سلّم الأديم كريم القدير كأنّنا نشأ بين الغبراء
والبحوم^(٢): نجم إذا بدا ووهّم إذا عدا^(٣)، يستقبلُ بغزالٍ ويستدبرُ برالٍ ويتعلّى
بشياتٍ تقسياتٍ الجمال^(٤).... (وفي السرج): بزّة جيادٍ ومركبُ أجواد^(٥): جميلُ
الظاهرٍ رحيبُ ما بين القادمة والآخِر^(٦)، كأنّنا قد من الحدودِ أديمه واختصّ بإثقان

(١) التحى الشاب: ظهرت لحيته.

(٢) الغبراء فرس (مؤنثة) لقيس بن زهير العبسي، وهي (أي الغبراء) خالة داحس (فرس مذكر). وبسبب داحس والغبراء ثارت الحرب المشهورة باسمها في الجاهلية. والبحوم فرس مذكر كان للثمان بن المنذر وكان (أي البحوم) من نسل الحرون (راجع القاموس ٤: ١٠١، ٢١٣، وتاج العروس - الكويت ١٣: ١٩١). كأنّنا نشأ بين الخ: كأنّ أمّه الغبراء وأباه البحوم.

(٣) وهم (خيال) إذا عدا (ركض): سريع جداً.

(٤) يستقبل بغزال (أي: رأسه وعنقه كرأس الغزال وعنق الغزال). ويستدبر برال (أي: مؤخرته تشبه الرال) الرال: فرخ النعام. - والصورة لم تتضح (بكسر الضاد) لي. الشية: الصفة. تقسيات (أقسام، أوجه) (٤).

(٥) بزّة (ثوب) جياد (جمع جواد: حصان أصيل) ومركب أجواد (جمع جواد: كريم، يعطي من ماله).

(٦) رحيب (واسع) القادمة (الجمبة، الرأس، الخ) والآخِر (أي طويل الجسم): سرج واسع.

- وله في النسيب وفي الغزل:

★★ كَتَبْتُ وَلَا عَجُ الْبُرْحَاءُ يُمْلِي، ونارُ الشوقِ تَسْتَمِرِّي الدُّمُوعَا^(٢).
 ولو نفسي أطاوعَهَا لَقَضْتُ إِلَيْكُمْ، يَا أُجَبَّتِي، الضُّلُوعَا^(٣)!
 ★★ قالت- وقد أَقْبَلْتُ أَلْتِمَهَا، والحَرْصُ لَا يَلْوِي عَلَى الدَّهْشِ-^(٤)
 أَفْضَحْتَ نَفْسَكَ. قَلْتُ: وَاحْرَبَا! أَمُوتُ فِي غَرْقِي مِنَ الْعَطْشِ^(٥)!

- وقال لما تاب وزهد (وقد شارف الكهولة):

أَمَا أَنَا فَقَدِ ارْعَوَيْتُ عَنِ الصِّبَا وَعَعَضْتُ مِنْ نَدَمِ عَلِيٍّ بَنَانِي^(٦).
 قاطعتُ نَصَاحِي، وَرَبُّ نَصِيحَةٍ جَاءَ وَابَهَا فَلَجَجْتُ فِي الْعِصْيَانِ.
 أَيَّامَ أَسْحَبُ مِنْ ذُبُولِ شَبِيبَتِي مَرَحًا، وَأَعْتَرُ فِي فُضُولِ عِنَانِي^(٧)؛
 وَأَجِلُّ كَأْسِي أَنْ تُرَى مَوْضُوعَةً، فَعَلَى يَدِي أَوْ فِي يَدَيْ نَدْمَانِي^(٨).
 أَيَّامَ أَحْيَا بِالغَوَافِي وَالغِنَا وَأَمُوتُ بَيْنَ الرَّاحِ وَالرَّيْحَانِ،
 فِي فِتْيَةٍ قَرَضُوا اتِّصَالَ هَوَاهُمْ، فَمَنَاهُمْ دَنٌّ مِنَ الْأَدْنَسَانِ^(٩).

- (١) كأنها قد (قطع) من الحدود أدومه (جلده): أي ناعم الجلد (كأن الجلد الذي صنع منه بشرة حدود لتموته). الحبك (النسج، الجدل) تقويمه (مثاله): أي جميل الصورة.
- (٢) البرحاء: الشدة (شدة حرارة الحسى) - اللاعج: الهوى المحرق. استمرى: استحلب (جعل الحليب يجري من ضرع الناقة، الخ).
- (٣) قض فلان الشيء: دقه وكسره.
- (٤) الحرص (بالكسر): الحلقة (بفتح فسكون) توضع في الأذن. الدهش: الحيرة وتشنت الفكر. يلوي من الدهش (يجوز هنا في «يلوي» أن تكون على صيغة فعل وعلى صيغة أفعال): الحرص (الذي هو جاد لا يلوي (لا يميل، لا يتحرك، لا يلتفت) من الدهش (لكثرة قبلاتنا وشدتها).
- (٥) أموت في غرق من العطش (أرى مجالاً واسعاً أمامي للتقبل، ثم لا أقبل حبيبي؟).
- (٦) ارعويت (رجعت، تركت) عن الصبا (أفعال الشباب). عضضت الخ: ندمت.
- (٧) حينما كنت أتمتع بكل ما أستطيع بشبابي. وأعتر في فضول (ذبول، زيادة) عتاني (رستي): كنت لا أبالي ما أفعل ثم أخطئه وأعاقب بنتائج خطأي.
- (٨) أجل: أرفع قدر كأسمي. الندمان (بالفتح) الندم، وقد تكون للجمع (القاموس ٤: ١٨٠).
- (٩) الدن: الحايبة (للخسر).

هَزَّتْ عَلَيْهِمُ أَرْجِيحَاتُ الصَّبَا، فَهِيَ النَّسِيمُ وَهُمْ غُصُونُ الْبَانِ،
مِنْ كُلِّ مَخْلُوعٍ الْأَعْيَنَةِ لَمْ يُبَلِّ فِي غَيْهِ بِمَصَارِفِ الْأَزْمَانِ^(١).

٤- ** المغرب ١: ٣٩٦ - ٣٩٧ خريدة القصر (الأندلس) ٢: ٤٩٣ - ٤٩٨ نفع
الطبيب ٤: ٣١ - ٣٥، ٧٣ - ٧٥، ٨٦.

ابن يَنقَ الشاطبي

١- هو أبو عامرٍ محمد بن يحيى بن محمد بن خليفة الشاطبي المعروف بابن يَنقَ (من
الإسبانية إنييق من اللاتينية أنيقوس)*، وُلِدَ سَنَةَ ٤٨٢ هـ (١٠٨٩ م).

أخذ ابن يَنقَ عن أبي عليّ الصّدقيّ ورحلَ إلى قرطبة وسمِعَ من أبي الحسين بن
سراج. وكذلك لازمَ أبا العلاء زُهْرَ بنَ زُهْرٍ في إشبيلية وأخذ عنه شيئاً من الطبِّ.
وكانت وفاته في آخِرِ سَنَةِ ٥٤٧ هـ (١١٥٣ م).

٢- كان ابن يَنقَ الشاطبيُّ بارعاً في عددٍ من العلوم مؤرخاً أديباً ناثراً وشاعراً.
ثم هو مُصنّفٌ له: كتاب الحماسة (كبير) - ملوك الأندلس والأعيان والشعراء فيها -
مجموعة خطب (عارض فيها ابن نباتة).

٣- مختارات من آثاره:

- قال ابن يَنقَ الشاطبيُّ في الغزل:

وما طيبةٌ أدماءُ تَألفُ وَجَرَةَ تَرُودُ ظِلَالِ الضالِّ أو أَثَلَاتِهَا^(٢)
بأحسنَ منها يومَ أومتَ بلحظِها إلبنا ولم تنطقِ حذارَ وُشَاتِهَا^(٣)!

(١) مخلوع العنان: مستهتر. لم يبل (لم يبال): لم يهتم. مصارف الأزمان (تقلب أحوال الزمان).

* راجع نيكول ٢٤٥.

(٢) أدماء: سمراء اللون. وجرة: اسم مكان مشهور بالطباء. ترود (تتجول). الضال والأثل: نوعان من
الشجر.

(٣) أومت = أومات: أشارت. حذار (خوف).

- وقال قصيدة في الديح مَطْلَعُهَا في الشكوى من الزمان ومُدَارَاة الحياة:

حَسْبِي مِنَ الدَّهْرِ أَنْ الدَّهْرَ يُنْتَجِحُ لِي بِكَرِّ الخُطُوبِ وَأَتَى عَائِرُ الأَمَلِ (١).
دَعْنِي أَصَادِ زَمَانِي فِي تَقْلِبِهِ، فَهَلْ سَمِعْتَ بَظُلًّا غَيْرَ مُنْتَقِلِ (٢)؟
وَكَلَّمَا رَاحَ جَهْمًا رُخْتُ مَبْتَسِمًا كَالْبَدْرِ يَزِيدُ إِشْرَاقًا مَعَ الطَّفَلِ (٣)!
أَعْرُ إِنْ تَدَعُهُ يَوْمًا لِنَائِبَةٍ جَلِي، وَلَا يَكْتَفِيَنَّ الجَلِي سِوَى جَلِّي (٤).

قد أوسع الأرض عدلاً والبلاد ندى،

فالرؤوس طلق الرُبى والشمس في الحمل (٥).

يرعى الممالك من قرب ومن بُعْدٍ ويأخذُ الأمرَ بينَ الرَيْثِ والعَجَلِ (٦).
دَعَّ عَنْكَ مَا أَحْرَزْتَ يُونَانَ مِنْ حِكْمٍ وَسَارَ مِنْ حِكْمَاءِ الفُرسِ مِنْ مَثَلِ
وَانظُرْ إِلَيْهَا تَجِدُهَا أَحْرَزْتَ سَبَقًا فِي الجُهْدِ مِنْهَا، وَحَازَ السَّبْقَ فِي مَهَلِ (٧)!

- وكتب إلى هند جارية أبي محمد عبد الله بن مسلمة الشاطبي يدعوها إلى جلسة

غناء: (نفع الطيب ٤: ٢٩٣):

يَا هِنْدُ، هَلْ لِكَ فِي زِيَارَةِ فِتْيَةٍ نَبَدُوا المَعَارِمَ غَيْرَ شُرْبِ السَّلْسَلِ (٨).
سَمِعُوا البَلَابِلَ قَدْ شَدَّتْ! فَتَذَكَّرُوا نَغَمَاتِ عُودِكَ فِي الثَّقِيلِ الأوَّلِ (٩)!

(١) حسي: بكفني. ينتج: يلد. بكر الخطوب (المصائب): الخطوب التي لم يعرف أحد مثلها قبلي. العائر (الذي يقع كثيراً في أثناء سيره). عائر الأمل: قليل الحظ.

(٢) أصادي: أداري (٢).

(٣) الجهم: العابس. الطفل (يفتح فتحة): ضعف النور قبيل الغروب.

(٤) أعز: أبيض (من قوم شهورين). النائبة: المصيبة. الجلي: العظيمة (ولا يجوز نعت النكرة باسم التفضيل، كان يجب أن يقول: جليلة مكان جلي). الجلي: الأمر الشديد والخطب العظيم. الجلل: (الرجل) العظيم.

(٥) الندى: الكرم. طلق الرُبى (التلال): مبتسم التلال (بالأزهار). الشمس في (برج) الحمل: في البرج الذي يبدأ به، عند النجمين، فصل الربيع (وهو برج السعادة أيضاً).

(٦) الريث: البطء والتأني.

(٧) إليها (إلى اليونان والفرس) - حكماء اليونان والفرس نالوا الفوز والنجاح ببذل الجهد (بضم الجيم: الكد).

(٨) السلسل: ما يجري في الحلق بسهولة (لعل المقصود هنا: الخمر).

(٩) شدا: غنى. الثقيل الأوَّل من نقرات العود.

٤- ** - ثلاثه العيان ٢١٢ - ٢١٣ : المغرب ٢ : ٣٨٨ - ٣٨٩ خريدة (الأندلس) ٢ : ٤٨٤ - ٤٨٦ : طبقات الأطباء ٢ : ٦٥ : التكملة ١١٩٨ : معجم ابن الأبار ١٦٢ - ١٦٣ : الوافي بالوفيات ٥ : ١٩٦ : بنية الوعاة ١١٢ - ١١٣ : نيكل ١٢٤٥ : مختارات نيكل ١١٦٦ : جيش التوشيح ١٨٢ - ١٩٦ ، راجع ٢٦٩ - ٢٧١ : نفع الطيب ٣ : ٥٩٦ ، ٤ : ١٥ - ١٦ ، ٢٩٣ - ٢٩٤ : الأعلام للزركلي ٨ : ٧ (٧ : ١٣٧).

ابن وكيل الأقبليسي

١- هو أبو جعفر (أو أبو العباس) أحمد بن معد بن عيسى بن وكيل التجيبي الزاهد - أصل أبيه من أقبليش، وهي بلدة قرب طليطلة - ولذلك يعرف بابن الأقبليسي. وُلِدَ نحو سنة ٤٩٠ هـ (١٠٩٧ م) في دانية، وفيها نشأ وبدأ تعلمه: سَمِعَ الحديث من أبيه ومن الفقيه أحمد بن طاهر بن عيسى (المتوفى في دانية ٥٣٢ هـ) وتلمذ له ثم رحل إلى بلنسية فأخذ اللغة والنحو والأدب عن عبد الله بن محمد البطليوسي (ت ٥٢١ هـ). ثم أخذ عن كثيرين، منهم صهره طارق بن يعيش ومنهم أبو بكر بن العربي وعبد الحق بن عطية وأبو العباس أحمد بن العريف (ت ٥٣٦ هـ).

وبدأ ابن وكيل الأقبليسي الإقراء والتحديث في الأندلس. وفي سنة ٥٤٢ هـ رحل إلى المشرق وحج (٥٤٦ هـ) وجاور في مكة مدة. وعزم - منذ سنة ٥٤٧ هـ - على العودة إلى الأندلس، ولكنه توفي في أثناء عودته - في قوص، من صعيد مصر - في ربيع رمضان من سنة ٥٤٩ هـ (١٣ / ١١ / ١١٥٤ م) أو في سنة ٥٥٠ هـ. وقيل كانت وفاته في مكة.

٢- كان ابن وكيل الأقبليسي راوية للحديث عارفاً بالعلوم الشرعية وباللغة والنحو والأدب، وكان شاعراً أيضاً له أبيات في الزهد والحكمة والوصف. ثم هو مُصَنَّفٌ له كتب منها: الكوكب الدرّي المستخرج من كلام النبي العربي (مرتب على حروف الهجاء) - النجم من كلام سيد العرب والعجم^(١) (عشرة أبواب عاشرها

(١) المفروض أن يكون بين «النجم» و«المجم» جمع وموازنة (فتح ففتح فيها أو ضم وسكون فيها...).

أدعية مأثورة عن الرسول) - الدر المنظوم فيما يُزيل الغموم والهموم - أنوار الأثر (أربعمون حديثاً في الصلاة على النبي) - الأنباء في حقائق (أو شرح) الصفات والأسماء (أسلمه الله الحسنی) - شرح الباقيات الصالحات - أنوار الآثار (في أحاديث الرحمة) - ضياء الأولياء (في عدة أجزاء) - محاسن المجالس (في التصوف) - المعشرات (مجموع من شعره في الزهد).

ولابن وكيل الأقلبي شعرٌ قليل منه المقطوعة الغائية التي عارضَ بها المقطوعة الغائية لابن الفرصي (ت ٤٠٣ هـ)، وقد استعارَ مطلعها.

٣- مختارات من آثاره:

- لابن وكيل الأقلبي أبياتٌ في الوصف والأدب منها:

تَتَحَدَّرُ الْعَبْرَاتُ مِنْ أَحْدَاقِهِ فَتَرَى لَهَا فِي خَدِّهِ آثَارًا.
وَلَرُبَّمَا امْتَزَجَتْ دَمًا مِنْ قَلْبِهِ حَتَّى كَأَنَّ الدَّمْعَ يَطْلُبُ ثَارًا!
* * * كَانِ حَقِّي أَلَّا أَذْكَرَ غَيْرِي، وَأَنَا مَا كُفَيْتُ شَرِّي وَضَيْرِي^(١).
غَيْرَ أَنِّي بِرَحْمَةِ اللَّهِ رَبِّي أُرْتَجِي أَنْ يُفِيدَنِي^(٢) كُلَّ خَيْرٍ.
- وله أبيات في الابتهاال هي^(٣):

أَسِيرُ الْخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ وَاقِفٌ لَهُ فِي طَرِيقِ الْحَقِّ قَلْبٌ مُخَالَفٌ^(٤).
قَدِيمًا عَصَى عَمْدًا وَجَهْلًا وَغَيْرَةً وَلَمْ يَنْهَهُ قَلْبٌ مِنْ اللَّهِ خَائِفٌ^(٥).
تَزِيدُ سُنُوهُ وَهُوَ يَزِيدُ ضَلَاةً فَهَا هُوَ فِي لَيْلِ الضَّلَالَةِ عَاكِفٌ^(٦).

(١) الضير: الضرر. - لا حق لي في أن أنصح غيري إذا كنت أنا لم أخلص مما يضربني.

(٢) يفيدني (ربّي).

(٣) مطلع هذه المقطوعة كملع مقطوعة ابن الفرصي (ت ٤٠٣ هـ) في المعنى نفسه.

(٤) مخالف لطريق الحق.

(٥) الغرة (بالكسر): الغفلة.

(٦) الضلة: الضلال. العاكف: المقيم على الأمر المثابر عليه (المصر).

تَطَّلَعَ صَبِيحَ الشَّيْبِ وَالْقَلْبُ مُظْلِمٌ
 ثَلَاثُونَ عَاماً قَدْ تَوَلَّتْ كَأَنَّهَا
 وَجَاءَ الْمَشِيبُ الْمُنْذِرُ الْمَرءَ أَنَّهُ
 فِيمَا أَحَدُ الْخَوَّانِ، قَدْ أَدْبَرَ الصَّبَا
 فَهَلْ أَرَقَّ الطَّرْفَ الزَّمَانُ الَّذِي مَضَى
 فَجَدُّ بِالْمَدْمُوعِ الْحُمْرِ حُرْنًا وَحَسْرَةً،
 فَمَا طَافَ فِيهِ مِنْ سَنَا الْحَقِّ طَائِفٌ^(١).
 حُلُومٌ تَقَضَّتْ أَوْ بَرُوقٌ خَوَاطِفٌ^(٢).
 إِذَا رَحَلْتُ عَنْهُ الشَّبِيهَةَ تَالَفُ.
 وَنَادَاكَ مِنْ سِنِّ الْكُهُولَةِ هَاتِفٌ^(٣).
 وَأَبْكَاهُ ذَنْبٌ قَدْ تَقَدَّمَ سَالِفٌ^(٤) ؟
 فَدَمَعُكَ يُنْبِي أَنَّ قَلْبَكَ آسِيفُ.

- ٤ - النجم من كلام سيد العرب والعجم، (مطبعة الاعلام) مصر ١٣٠٢ هـ.
 تكملة الصلة ٧٤-٧٦؛ إنباه الرواة ١: ١٣٦-١٣٨؛ الواقي بالوفيات ٨:
 ١٨٣-١٨٤؛ أخبار وتراجم أندلسية ٢٤-٢٥؛ بنية الوعاة ١٧١؛ شذرات الذهب ٤:
 ١٥٤-١٥٥ (في وفيات ٥٥٠ هـ)؛ نفع الطيب ٢: ٥٩٨-٦٠٠؛ بروكلمن ١: ٤٥٦-
 ٤٥٧، الملحق ١: ٦٦٣؛ نيكيل ١٢١؛ الأعلام للزركلي ١: ٢٤٣ (٢٥٩)؛ تاج العروس
 (الكويت) ١٧: ١٢٣٩ سركيس ٦٢٨-٦٢٩.

ابن السراج الشنتريني

١ - هو الشيخ الأديب الإمام الرئيس أبو بكر محمد بن عبد الملك المعروف بابن
 السراج الشنتريني^(٥)، سكن إشبيلية وأخذ العربية (النحو) عن أبي عبد الله محمد بن
 خيرة ابن أبي العافية المقرئ النحوي الأموي (ت ٤٨٧ هـ) وعن علي بن عبد
 الرحمن بن الأخضر الإشبيلي (ت ٥٤٥ هـ) وروى الحديث عن أبي القاسم النبطي ثم
 حدث عن أبي القاسم بكتاب «الموطأ» (للملك بن أنس).

- (١) السنا: الضوء. (واستخدم الشاعر «تطلع» متعدياً، خطأ).
 (٢) الحلم (بالضم): المنام (ما يراه النائم). الخاطف (هنا): السريع.
 (٣) ما أحد (تجريد: مناداة الإنسان نفسه) الخوّان: المبالغ في الحيانة (لنفسه) والمصرّ على الحيانة. أدبر:
 تولى. انفضى: ذهب. الهاتف: صوت يناديك ولا ترى صاحبه.
 (٤) هل أرتقت (أسهرت) حوادث الزمان طرفك (عينك): هل أخذت تفكر في أعمالك السيئة؟
 (٥) سبة إلى شنتين: مدينة في غربي الأندلس على نهر تاجه شمال إشبونة (لشبونة اليوم، عاصمة
 البرتغال).

وفي سنة ٥١٥ هـ (١١٢١ م) رحل ابن السراج إلى المشرق فنزل في مصر وأقرأ بها القرآن والنحو وحدّث. ثم إنه ذهب إلى اليمن فأقام فيها مدة عاد بعدها إلى مصر حيث توفي في رمضان من سنة ٥٤٩ هـ (خريف ١١٥٤ م) في الأغلب.

٢- كان ابن السراج الشنتريني بارعاً في القرآن والحديث والفقه وفي اللغة والنحو، أديباً ناقداً. وكان مؤلفاً، له: المعيار في أوزان (وزن) الأشعار - الكافي في علم القوافي - تنبيه الألباب على فضائل (فضل) الإعراب (أو تلميح الألباب في عوامل الإعراب، كما ذكر السيوطي في بغية الوعاة) - اختصار كتاب العمدة لابن رشيقي والتنبيه على أغلاطه (وقد أورده بروكلمن أيضاً باسم جواهر الآداب وذخائر الشعراء والكتّاب) - تقويم البيان لتحرير الأوزان.

٣- مختارات من آثاره:

- قال ابن السراج الشنتريني في مقدّمة كتاب «المعيار في أوزان الأشعار»:

..... إنّ الشِعْرَ لَمَّا كان دِيوانَ العربِ المُتَقَفِّ لأخبارِها والمُقَيَّدَ لأوزانِ كلامِها والمُبَيَّنَ لمعاني ألفاظِها والمُنَبَّهَ على آدابِها ومكارمِ أخلاقِها، وكان حُجَّةً نَرَجِعُ إليها في تفسِيرِ ما أشكَلَّ من كتابِ الله تعالى ومَفْرَعاً يُنْجِأُ إليه في بيانِ ما اسْتَبْهَمَ^(١) من حديثِ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ - رأيتُ أنَ العنايةِ بِمَعْرِفَةِ أوزانِهِ مُهِمَّةٌ في الدينِ، مُتَعَيِّنَةٌ^(٢) على كافَّةٍ من يقومُ بها من كافَّةِ^(٣) المسلمين. (ذلك) لأنَّ الجهلَ بالوزنِ يُؤدِّي إلى تغييرِ اللفظِ بتحرريكِ ساكني أو إسكانِ مُتَحَرِّكٍ أو تخفيفِ مشدّدٍ أو تشديدِ مُخَفَّفٍ، وذلك يُبْطِلُ الثِّقَةَ بكَلِمَاتِهِ ويَمْنَعُ الاستشهادَ بِلُغَاتِهِ^(٤) لِتَعَرُّضِهَا للاختِلالِ عندَ من يجهلُ الوزنَ. وما كانَ هذا سبيلَهُ^(٥) فلا يجوزُ الاستدلالُ به إذ ليس أحدٌ

(١) استبهم: كان معناه غامضاً.

(٢) متعين: واجب على شخص بعينه.

(٣) يقال: على المسلمين كافة، لا «على كافة المسلمين». متعينة على...: هذه الحجة (البراعة في الشعر) واجبة على كل من يشتغل بتفسير القرآن الخ.

(٤) اللغات: الكلمات التي للمعنى الواحد فيها صيغ مختلفة.

(٥) ما كان هذا سبيله: ما كانت ألفاظه تحمل أوجهاً مختلفة من الصيغ والتهجئة.

مُحْتَمَلَاتِهِ بِأَوْلَى بِهِ مِنَ الْآخِرِ ...

- ٤ - المعيار في أوزان الأشعار (تحقيق محمد رضوان الداية)، بيروت (دار الأنوار) ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م، بيروت (المكتب الإسلامي) ١٣٩١ هـ = ١٩٧١ م (على الغلاف الخارجي): ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م.
- الكافي في علم القوافي (مطبوع مع الكتاب السابق).
- ★★ الوافي بالفريات ٤: ٤٦٦ بغية الوعاة ٦٨ البلغة في أئمة اللغة ٢٣٢ - ٢٣٣ نفع الطيب ٢: ٢٣٨ بروكلمان ١: ٣٧٧، الملحق ١: ٥٤٣، الأعلام للزركلي ٧: ١٠ و ١٢٨ (٦): ٢٤٩) معجم المؤلفين لكحالة ١٠: ٢٥٨.

يونس بن عيسى المرسي

- ١ - هو أبو الوليد يونس بن عيسى^(١) المرسي الخباز، أصله من مرسية لا نعلم له مَشِيخَةً، ولكن نجد في «المطرب»^(٢) أن محمد بن أبي العافية^(٣) قد قرأ عليه. ولعل وفاته كانت في أواسط القرن السادس (أواسط الثاني عشر للميلاد).
- ٢ - كان يونس بن عيسى المرسي أديباً عصامياً ثقفاً نفسه وقال شعراً جيداً وموشحاتٍ كثيراً فيها براعةٌ. ورُبَّما شَبَّهه بالخبزِ أرزي^(٤) أو بالخبزِ البُلدي^(٥). قال فيه لسانُ الدين بن الخطيب: «عَدَبَ سَبْكُهُ وراق ترصيعه وحبكُه، مع طبع في نظم الكلام سبَّالٍ وإلى الإحسان ميَّالٍ.... وهو في الأندلس شبه الخبزِ أرزي في المشرق.... والذي حداه^(٦) إلى الاختراع والتوليد وأقدمه على الابتداء وترك التقليد ذكاه أرهف فؤاده.....».

(١) في المطرب (المطروم ٨٥): يونس بن أبي عيسى.

(٢) المطرب ٨٥.

(٣) انظر الكتندي (محمد بن عبد الرحمن الشاعر) تحت (ت ٥٨٣ هـ).

(٤) جيش التوشيح ١٣٥. والخبزِ أرزي هو أبو القاسم نصر بن أحمد البصري (ت ٣٢٧ هـ) انتقل إلى بغداد. وكان خبازاً. وله شعر حسن. راجع الجزء الثاني ص ٤٣٠ - ٤٣١.

(٥) راجع تعليق في جيش التوشيح، ص ٢٥٧.

(٦) راجع هذا النص في جيش التوشيح ١٣٥. - الأصوب أن يقال حدا به: يقال عادة: حدا الجمل (ساقه) وحدا براكبه.

- قال يونسُ بنُ عيسى من قصيدةٍ يمدحُ بها فاضلاً من أهلِ مُرسيّةٍ انتقل إلى المُرّيّةِ واسمُهُ ابنُ الأسود:

كَمْ سَامِعٍ غَزَلِي يَقُولُ تَعَجُّباً أَتَجَدَّدَتِ خَلْقُ الصَّبَا فِي يُونُسِ؟
 لا، وَالَّذِي خَصَّ ابْنَ أَسْوَدَ بِالْعَلَا، مَا أَصْبَحَتْ أَثْوَابُهَا مِنْ مَلْبَسِي.
 لا غَرَوُ أَنْ تُضْحِيَ المُرْيَةَ دَارَهُ، وَتَفُوزَ مُرْسِيَّةً بِحِطِّ أَنْفَسِ^(١):
 فَبِمَكَّةِ نَشَأَ النَّبِيُّ عَمَّادٌ؛ وَاخْتَصَّ بِالْمِعْرَاجِ بَيْتُ المَقْدَسِ^(٢).
 لَوْلَا الَّذِي أَحْرَزْتَهُ مِنْ هَيْبَةِ لَاهِتْرٍ مِنْ طَرَبِ جِدَارِ المَجْلِسِ!
 - وَقَالَ فِي الرِّثَاءِ:

كُلُّ كَمَالٍ إِلَى مُحَاقٍ وَكُلُّ جَمْعٍ إِلَى افْتِرَاقٍ^(٣).
 سَجِيَّةُ الدَّهْرِ شَتُّ شَمَلِي، وَمَا سِوَاهُ فَعَنْ وَفَاقٍ^(٤).
 أَيْنَ ثَوِي آدَمُ وَنُوحٌ وَالْمُصْطَفَى صَاحِبُ البُرَاقِ^(٥)؟
 إِنْ قِيلَ: إِنَّ السُّمُوَّ يُجْنَدِي! فَلَيْدُمُ البَدْرُ فِي آسَاقِ^(٦).
 لِهِيَ مَا تَحْمِلُ المَطَايِيا مِنْ نَعْمِكَ اليَوْمَ فِي الرِّفَاقِ^(٧)!

- وَقَالَ يَزْعُمُ أَنْ إِبْرَاهِيمَ الدُّنْيَا عَلَى الإِنْسَانِ يُغْنِيهِ عَنِ الشَّبَابِ:

- (١) بحطّ أنفَس: أُعْلِي (لأنّها مولده).
- (٢) بيت المقدس: القدس. المعراج: انتقال الرسول بالإسراء من مكّة إلى القدس ثم بالمعراج (بالرقم) إلى السماء.
- (٣) الحاق: أمحاء القمر في آخر الشهر (نقص، موت).
- (٤) سجيّة: طبيعة. شتّ: تفرّق. وما سواه (دوام الاجتماع) عن وفاق (اتّفاقاً، شذوذاً، نادراً أو صدقةً).
- (٥) ثوى: استقرّ. بقي (ثوى في قبره). المصطفى: محمّد رسول الله. البراق: دابةً أصفر من الحصان عظيمة السرعة ركبها الرسول في المعراج (راجع فوق).
- (٦) السموّ: الملوّ. مجندي: ينفغ (يحمي من النقص والموت). ليدم البدر (البقي) في آساق (على حال واحدة من الكمال، كما يرى في وسط الشهر).
- (٧) - خير موتك كان شديداً على رفاقك.

إذا أَيَّامَ دَوْلَتِكَ استمرت على تيهٍ فلا رجع الشباب .
 فَيُطْرِبُنِي الهَمُّ إِذَا تَغَنَّى، وَيُشْجِيئُنِي إِذَا نَعَبَ العُرَابُ .
 - وله من موشحة:

مَنْ لِي بَطْنِي رَيْبٌ * يَسْطُو بِأَسَدِ الفِيَاضِ * لَوْى بِدَيْنِي لَمَّا * أَمَلْتُهُ لِلتَّقَاضِي (١) .

* * *

جَعَلْتِ حَظِّي مِنْهُ بَيْنَ الرَّجَا وَالتَّمَنِّي .
 لَمْ أَظْهِرِ اليَأْسَ عَنْهُ لَمَّا أَطَالَ التَّجَنِّي (٢) .
 بَلْ قُلْتُ: يَا قَلْبُ، صُنْهُ لَدَيْكَ عَنْ سَوْءِ ظَنِّي (٣) .
 وَأَنْتِ، يَا نَفْسُ، ذُوبِي * وَيَا مُطِيلَ اعْتِرَاضِ * نَفَّذْ بِمَا شِئْتَ حُكْمًا * إِنِّي بِحُكْمِكَ رَاضٍ .

* * *

مَا حَالُ قَلْبٍ لَدَيْكَ لَا تَنْقُضِي حَسْرَاتِنَا،
 يَشْكُو جَوَاهِ إِيْنَسِكَ وَليْسَ تُجْعِدِي شِكَاؤُنَا (٤) .
 مَهْلًا، فَنِي رَاحَتِيكَ حِيَاؤُنَا وَمَهَاتِنَا .

بِأَمْرٍ ضِي وَطَبِيبِي * بِفِيكَ بُرْءُ المِرَاضِ * وَمِنْكَ قَدْ ذُبْتُ سَقْمًا * فَلْتَقْضِ مَا أَنْتِ قَاضٍ (٥)

* * *

- (١) الريب: (في الأصل) المرئي عند غير أبويه (المدلل) - إذ يجب أن يكون محبوباً جداً حتى يربيه غير والده). يسطو: يبطش. الفيضة: مكان فيه شجر ملتصقاً (كثيف). لوى الدين (بفتح الدال): مطله (حاول ألا يفيعه، أنكره). أمَلْتُهُ للتقاضي: رجوت أن يحكم في أمري بالحق (أو بالمطف).
- (٢) التجني: نسبة جنابة (ذنب) إلى من لم يأتمها. * الهام: الشعر الابيض. العراب: الشعر الأسود.
- (٣) سان: حفظ. من سوء ظني (من أن يصدق سوء ظني فيه).
- (٤) الجوى: شدة المشق التي تحول بصاحب العشق إلى الحزن والمرض. تجدي: تنفع. الشكاة: الشكوى.
- (٥) بغيك: في فمك (ربقك). برء: شفاء. المراض: المرضى (جمع مريض ومرمضة). فلتقض... (افعل ما تريد). في القرآن الكريم (٧٢: ٢٠ طه): « قالوا: لن نؤثرَكَ على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض، إِنَّا نَقْضِي هذه الحياة الدنيا - (لن نسمع منك ونترك ما جاءنا من الله من قول الحق). فاحكم بما تريد لأن حكمك لا ينفذ إلا في هذه الدنيا الغانية. أما الحكم الثابت الدائم فهو في الآخرة ويكون لله وحده).

- وله أيضاً من موشحة:

بَرَحَ يَ الْمَوَى فِي اشْتِيَاقِي * فَكَمْ أَذُوبُ * وَهَذِهِ النَّفْسُ فِي التَّرَاقِي * هَلْ مِنْ طَبِيبٍ^(١)!

* * *

الله! يَا مَنْ بِهِ أَهْمِيمٌ،
فَعِنْدِي الْمُقِيمُ^(٢).
مَنْ رَامَ يَسْلُو فَـ____ لا أَرِي^(٣).

هذا غرامي عَلَيْكَ بَاقٍ * عَسَى يَنْوِبُ * لا عَذَّبَ اللهُ بِالْفِرَاقِ * غَيْرَ الرَقِيبِ^(٤)

* * *

يَا شَدَّ فِي الْحُبِّ مَا لَقِيتُ^(٥):
دُهَيْتُ فِيهِ بِمَا دُهَيْتُ^(٦).
إِنْ قُلْتُ الْحَاطُّهُ تُمِيتُ،

ففي الطَّلَانَةِ وَالتَّرَاقِي * مَحْيَا الْقُلُوبِ * لِأَشْيَاءٍ أَشْهَى مِنَ الْعِنَاقِ * إِلَى الْكَيْسِبِ^(٧).

* * *

هِنْدُ - وَإِنْ شَفَّ حُسْبُ هِنْدٍ^(٨) -

- (١) بَرَحَ ي: آذاني اشتدَّ عليّ. الترقوة: عظمة في أعلى الصدر (وها ترقوتان). بلغت النفس التراقي: أشرف صاحبها على الموت.
- (٢) المقعد المقيم: الهم العظيم (الذي يجعل الإنسان يقوم ويقعد: حائراً في ما يجب عليه أن يفعل).
- (٣) رام: أراد. سلا يسلو: ينسى، يتسلّى (عن همومه). رام يريم: ترك، يارح. - أنا لا أريد أن يذهب عني عذاب الحبّ.
- (٤) تاب ينوب: رجع. - عسى أن يرجع إليّ حبيبي (يرجع إلى العطف عليّ!).
- (٥) يا شدَّ (ما أشدّ).
- (٦) دهى بالشيء: أصيب به (بمصيبة).
- (٧) الطلا جمع طلاء (بالضمّ): العنق، جانب العنق. الترقوة: عظم في أعلى الصدر.
- (٨) شَفَّ: أُنْجِلَ (أُسْقِمَ، أَمْرَضَ).

بَسْدُرٌ غَرَامِي وَسِرٌّ وَجَبْدِي^(١)،

وَأِنْ عَادَا حُبَّهَا وَبُعْدِي^(٢).

عسى خِلالَ الَّذِي أَتَى * مِنْ الْوَجِيبِ * أَنْ يَسْمَعَ الدَّهْرُ بِالتَّلَاقِي * عَمَّا قَرِيبَ^(٣).

* * *

مَنْ غَابَ فِي الْعَيْدِ عَنْ حَبِيبِي

وَجَاءَ فِي ثَوْبِهِ وَطَيْبِي

فَشَدْوُهُ يُظْهِرُ السَّيْءَ^(٤).

مَا الْعَيْدُ فِي حَلَّةٍ وَطَاقٍ * وَسَمٌّ طَيْبٌ * وَإِنَّمَا الْعَيْدُ فِي التَّلَاقِي * مَعَ الْحَبِيبِ^(٥).

٤- * * * جيش التوشيح ١٣٥ - ١٤٦ (راجع ٢٥٧ - ٢٥٨).

الحجاري صاحب «المسهب».

١- هو جاحظُ الْمَرْبِ (المغرب ٢: ٣٥) وحافظ الأندلس (نفع الطيب ٢:

٣٢٩) أبو محمد عبد الله بن إبراهيم بن أبي إسحاق إبراهيم^(١) بن وزمر^(٢) الصنهاجي

(١) الوجد: شدة العشق.

(٢) عدا حبها (جاوز الحد في تعذيب). يعني: يصيب بالمرض. حبها انتقل إلي كأنه مرض (لم أستطع أن أتجتته).

(٣) الوجيب: خفقان القلب (من الاضطراب).

(٤) إنَّ الحَبَّ لو شدا (غَتَّى) لظهر ما به (من الحزن) في غنايه.

(٥) الحَلَّة: الثوب الجميل. الطاق: الطيلسان (ثوب ثمين من حرير).

(٦) سَمِّي والده باسم جدّه، لأنَّ والده ولد بعد موت جدّه بقليل.

(٧) اسم والد جدّه ولقبه «وزمر» (بضمّ الميم، ورتباً بتشديد الزاي) كما يدل على نسبه في الربر (راجع المغرب ٢: ٤٣٣، نفع الطيب ٤: ١٢٣).

وكان جدّه أبو إسحاق إبراهيم بن وزمر أديباً شاعراً (راجع المغرب ٢: ٣٣ - ٣٤). وكذلك كان عمّه أبو محمد عبد الله (وكنيته واسمه ككنية صاحب الترجمة واسمه) أديباً شاعراً أيضاً (المغرب ٢: ٣٤).

الحِجَارِيُّ - نِسْبَةٌ إِلَى وَادِي الْحِجَارَةِ - وَقَدْ كَانَ مَوْلِدُهُ فِي مَدِينَةِ الْفَرَجِ (أَوْ وَادِي الْحِجَارَةِ نَفْسًا: عَلَى نَحْوِ سِتِّينَ كِيلُومِتْرًا مِنْ مَدْرِيدٍ شَرْقًا فِي شَالِ)، وَذَلِكَ نَحْوَ سَنَةِ ٥٠٠ (١١٠٦ - ١١٠٧ م). وَلَقَدْ نَشَأَ الْحِجَارِيُّ فِي أُسْرَةٍ عُثْبِيٍّ أَفْرَادٍ مِنْهَا بِالْأَدَبِ وَأَشْتَهَرُوا بِهِ.

سَكَنَ آلُ الْحِجَارِيِّ فِي سَرَقُطَّةَ ثُمَّ اضْطُرُّوا إِلَى مَغَادِرَتِهَا لَمَّا آسَتْوَلَى عَلَيْهَا الْإِسْبَانُ، سَنَةَ ٥١٤ (١١١٩ م) فَانْتَقَلُوا - فِيمَا يَبْدُو - إِلَى بَلَنْسِيَّةَ (رَاجِعِ الْمَغْرِبَ ٢: ٣٠٨). ثُمَّ سَكَنَ الْحِجَارِيُّ نَفْسَهُ فِي شِلْبَ (فِي الْجَنُوبِ الْغَرْبِيِّ مِنَ الْأَنْدَلُسِ - جَنُوبِيَّ الْبُرْتُغَالِ الْيَوْمِ)، وَلَكِنْ آتَتْ قَلْمَةً إِلَى غَرْنَاطَةَ فَأَقْرَأَ فِيهَا الْبَلَاغَةَ.

فِي سَنَةِ ٥٣٠ (١١٣٦ م) وَقَدَّ الْحِجَارِيُّ عَلَى الْقَائِدِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ سَعِيدٍ مَادِحًا - وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ صَاحِبَ قَلْعَةٍ يَخْصِبُ^(١) - فَحَاوَلَ الْحُجَّابُ أَنْ يَحْمِلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الدُّخُولِ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ لِزِيَّتِهِ الْبَدْوِيِّ^(٢). وَلَكِنَّهُ اسْتَطَاعَ الدُّخُولَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ وَنَالَ عِنْدَهُ حُظُوعًا. وَرَأَى عَبْدُ الْمَلِكِ سَمَةَ مَعْرِفَةِ الْحِجَارِيِّ بِتَارِيخِ الْأَنْدَلُسِ وَبِأَدَبِهَا فَارْتَعَبَ إِلَيْهِ فِي أَنْ يُصَنِّفَ لَهُ كِتَابًا يَضُمُّ مَخْتَارَاتٍ لِلْبَارِعِينَ مِنْ شُعْرَاءِ الْأَنْدَلُسِ. فَاسْتَقَرَّ الْحِجَارِيُّ عِنْدَ عَبْدِ الْمَلِكِ نَحْوَ عَامَيْنِ (٥٣٠ - ٥٣٢ هـ) أَلْفَ لَهُ فِي خِلَالِهَا كِتَابٌ « الْمُسْهَبُ ».

وَفِي سَنَةِ ٥٣٢ هـ (١١٣٨ م) غَادَرَ الْحِجَارِيُّ قَلْعَةَ يَخْصِبَ - مَعَ أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ ابْنَ سَعِيدٍ كَانَ قَدْ بَالِغَ فِي إِكْرَامِهِ - مُتَعَمِّلًا بِأَنَّ نَفْسَهُ تَوَاقَّةٌ إِلَى التَّنَقُّلِ وَالرَّحْلَةِ، وَقَدِيمَ عَلَى الْمُسْتَنْصِرِ بْنِ هُوْدٍ فِي رُوْطَةَ (قُرْبَ سَرَقُطَّةَ). وَاتَّفَقَ أَنَّ الْمُسْتَنْصِرَ كَانَ فِي ذَلِكَ

(١) بنو سعيد أسرة بمنية الأصل جاء أولهم مع جيش الفتح (مع طارق بن زياد)، ونزلوا منذ ذلك الحين قرب غرناطة في قلعة تدعى قلعة أسطير فعرفت باسم « قلعة بخصب » (نسبة إلى قبيلة بني سعيد اليمنية) ثم اشتهرت باسم « قلعة بني سعيد ». وفي الزمن الذي جاء فيه الحجازي إلى عبد الملك بن سعيد كان عبد الملك هو التولي للقلعة وكان يدين بالطاعة لعلي بن يوسف بن تاشفين سلطان المرابطين (٥٠٠ - ٥٣٧ هـ). - راجع نفع الطيب (٢: ٢٧٠، ٣٢٩، ٣٣٠). القائد (هو الوالي على مقاطعة - ولا تزال هذه الكلمة تستعمل بهذا المعنى في المغرب إلى اليوم). ويخصب بفتح الباء وكسر الحاء.

(٢) راجع نفع الطيب ٤: ١٣٣ - وكان الغالب على ما حول وادي الحجاره البداوة في طبيعة الأرض وفي عادات السكان (راجع نفع الطيب ١: ٣٤٣).

الحين خارجاً في غزوة إلى أرض نبره (على مقربة من حدود بلاد الفرنجة على البحر) فرافقه الحجاري. انهزم ابن هود في هذه الغزوة ووقع الحجاري في الأسر. واستنجد الحجاري بابن هود ليقتديه فلم يفعل ابن هود ذلك. ثم استنجد بعمد الملك بن سعيد فافتداه، فكان بذلك « طليق آل سعيد ».

ويبدو أنه في تلك الفترة - بعد تأليف كتاب « المسهب » ومغادرة قلعة محصب كثر تطواف الحجاري في عدد من المدن الأندلسية: كان في باغة من كورة إلبيرة (نح الطيب ٢: ١٥٥) ثم في أماكن أخرى، كما نجد في كتاب « المغرب »: في لوشة (٢: ١٥٨) ولورقة (٢: ٢٧٥) وغرناطة (٢: ١٦٠).

ولعل وفاة الحجاري^(١) صاحب « المسهب » كانت نحو سنة ٥٥٠ (١١٥٥ م) أو بعد ذلك بقليل.

٢- كان الحجاري أديباً بليغاً وناظراً ناثراً ومن ذوي البراعة في التصنيف (راجع المغرب ٢: ٣٥). وشعره مدحٍ وخرمٍ وغزلٍ ووصف. ولكن نثره وتصنيفه أعلى مرتبة من شعره. ثم إنه كان ناقداً. ومع أن النقد كان قد ارتقى، في ذلك الحين في الأندلس، فإن نقد الحجاري ظلّ بدائياً يقف عند اللفظة أو عند البيت أو عند القصيدة. وأكثر أحكامه تجري في جمل لفظية عاطفية مع كثير من المبالغة. فمن وجوه نقده:

* قال عن يحيى بن سهل اليكبي (المغرب ٢: ٢٦٦): هو ابن رومي عَصْرِنَا وَحُطْبَيْةَ دَهْرِنَا، لَا تُجِيدُ قَرِيحَتَهُ إِلَّا فِي الْمَجَاءِ وَلَا تَنْشَطُ بِهِ فِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَنْحَاءِ .

(١) في « تاريخ الفكر الأندلسي » (ص ٢٧٢) أن مولده كان سنة ٤٩٩ وأن وفاته كانت سنة ٥٤٩. وقال نيكل (ص ٢٦٣) إن الحجاري توفي سنة ٥٥٠ (١١٥٥ م) قبل ابن قزمان (الأصغر) بخمس سنوات. وقد اخترت أن أعتمد قول نيكل لتدقيقه في مثل هذه الأمور ولأنه أكد قوله بمقارنة بين وفاة الحجاري ووفاته ابن قزمان. ونيكل هو الثقة في بحوث ابن قزمان. وذكر خير الدين الزركلي مثل ذلك (الأعلام ٤: ١٨٧). وكذلك نسب الزركلي إلى الحجاري هذا كتاب « الهدية في البديع » مع أن « الهدية في البديع » (وهي كتاب في فن البديع من فنون البلاغة) لعمه الأديب أبي محمد عبد الله (المغرب ٢: ١٣٤) نح الطيب ٥: ٥٧٢، راجع (٥٧١).

★ وقال... (المغرب ٢ : ٣١٥): له نظم أرقُّ من دَمعة مهجورٍ تُدار عليك به صافيةُ الحُمور.

★ وقال في ابن الرِّقَاق (المغرب ٢ : ٣٢٣):... من فِتْيَانِ عَصْرِنَا الذِّينَ أَشْتَهَرَ ذِكْرُهُمْ وَطَارَ شِعْرُهُمْ. وَهُوَ جَدِيرٌ بِذَلِكَ، فَلْيَشِعْرِهِ تَعَشَّقُ بِالْقُلُوبِ وَتَمَلِّقُ بِالسَّمْعِ (١). وَأَعَانَهُ عَلَى ذَلِكَ مَعَ الطَّبِيعِ الْقَابِلِ كَوْنُهُ أَسْتَمَدَّ مِنْ خَالِهِ أَبِي إِسْحَاقَ بْنِ خَفَاجَةَ وَنَزَعَ مَنَزَعَهُ (٢).

★ وقال.... (المغرب ٢ : ٤٠٥): كَاتِبٌ بَلِيغٌ الْكِتَابَةِ كَثِيرُ الْإِصَابَةِ.

★ وَأَطْنَبَ الْحِجَارِيُّ فِي الثَّنَاءِ عَلَى ابْنِ شَرَفِ الْقَيْرَوَانِيِّ، وَعَظَّمَهُ فِي الشَّعْرِ بِقَوْلِهِ فِي أَبِي صَادِحٍ:

لَمْ يَسْتَقِ لِلْحَجَّورِ فِي أَيَّامِكُمْ أَثَرٌ إِلَّا الَّذِي فِي عُيُونِ الْغَيْدِ مِنْ حَوْرِ (٣).

★ وَلَمَّا قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْمُسْتَظْهَرُ مِنْ أَبِياتٍ لَهُ:

وَنَجُومُ اللَّيْلِ تَحْكِي ذَهَباً فِي لَازُورِدِ (٤).

قَالَ الْحِجَارِيُّ: لَوْ قَالَ «لَوْلُوا فِي لَازُورِدِ» لَكَانَ أَحْسَنَ تَشْبِيهاً (نَفْحَ الطَّيِّبِ ١ : ٤٣٦).

★ وَقَدْ قَدَّمَ الْحِجَارِيُّ صَاعِداً اللَّفْوِيَّ الْبَغْدَادِيَّ بِقَوْلِهِ: (نَفْحَ الطَّيِّبِ ٣ : ٩٦):

كَأَنَّ إِبْرِيْقَنَا وَالرَّاحُ فِي فَمِهِ طَيْرٌ تَسَاوَلُ يَاقُوتاً يَنْقَارُ.

وَيُكْثِرُ الْحِجَارِيُّ عِنْدَ النَّقْدِ مِنَ الْمَبَالِغَةِ مِنْ مِثْلِ قَوْلِهِ (المغرب ٢ : ٤٠ و ٣٦٧):

★ أَبُو تَمَّامٍ غَالِبٌ بْنُ رَبَاحٍ الْمَعْرُوفُ بِالْحَجَّامِ «شَاعِرُ الْقَلْعَةِ الَّذِي نَوَّهَ بِقَدْرِهَا

وَرَفَعَ مِنْ فَخْرِهَا، لَا أَحَاشِي حَدِيثاً وَلَا قَدِيماً وَلَا أَحْصُ لَثِيماً وَلَا كَرِيماً». ... وَأَبُو

(١) تَعَشَّقُ: التَّصَاق. تَمَلِّقُ بِالسَّمْعِ (حَفِظْ سَهْلَ دَائِمًا).

(٢) نَزَعَ مَنَزَعَهُ (سَارَ عَلَى طَرِيقِهِ).

(٣) الْحَجَّورُ: الظُّلْم. الْحَوْرُ: اشْتِدَادُ بَيَاضِ الْعَيْنِ وَاشْتِدَادُ سَوَادِهَا.

(٤) لَازُورِدُ: لَوْنٌ أَزْرَقٌ مَائِلٌ إِلَى الْحُمْرَةِ (بِنَفْسِي قَاتِمًا).

إسحاق إبراهيم بن خفاجة « هو اليوم شاعر الجزيرة، لا أعرف فيها شرقاً ولا غرباً نظيره ».

٣ - مختارات من آثاره:

- قرطبة (نفع الطيب ١: ١٥٣) من « المسهب »:

كانت قرطبة في الدولة المروانية^(١) قبة الإسلام ومجتمع أعلام الأنام، بها استقر سرير الخلافة المروانية وفيها تمخضت خلاصة القبائل المعدية واليبانية^(٢)، وإليها كانت الرحلة في الرواية، إذ كانت مركز الكرماء ومعدن العلماء^(٣). وهي من الأندلس بمنزلة الرأس من الجسد. ونهرها من أحسن الأنهار مكتنف بدياج المروج^(٤) مطرز بالأزهار، تصدح في جنباته الأطيوار وتنعم النواعير وبسبب التوار^(٥). وقرطابها الزاهرة والزهراء حاضرتا الملك وأقفا النماء والسراء^(٦). وإن كان قد أحنى عليها الزمان وغير بهجة^(٧) أوجهها الحسان، فتلك عادته - وسل الحورتنق والسدير وعمدان^(٨) - وقد أعذر (الزمان) بإنذاره إذ لم يزل يُنادي بصروفه^(٩): لا أمان، لا أمان. وقد قال الشاعر:

وما زلت أسمع أن الملو لك تبني على قدر أخطارها^(١٠).

- (١) الدولة المروانية: دولة بني أمية في الأندلس.
- (٢) تمخضت: صفت (أصبحت صافية). المعدية (من معد): عرب الشمال. اليبانية: عرب الجنوب.
- (٣) في الرواية (أخذ العلم والأخبار). المدن: الأصل. المصدر.
- (٤) مكتنف: عائط. بدياج: (هنا): اللون الأخضر (النبات الكثير).
- (٥) نعر: صاح، صوت، غرد، غنى. التوار جمع نؤارة (بالضم): زهرة.
- (٦) القرط (بالضم): حلية تعلق في الأذن. الزاهرة (مدينة بناها المنصور بن أبي عامر لتكون مركزاً لدولته وسكنها لرجالها). والزهراء (مدينة بناها عبد الرحمن الناصر...). النماء (النعمة) والسراء (السرور).
- (٧) أحنى عليها الزمان (طال عليها وأهلك أهلها). البهجة: الحسن وتلاؤه.
- (٨) الحورتنق والسدير (قصران في العراق) وعمدان (قصر في اليمن) وصفت كلها بالعظم والجمال.
- (٩) أعذر: أصبح له عذر (لا لوم عليه) - لأنه كان صريحاً في تنبيهه الناس إلى عواقب الأمور. صرف (بالفتح) الزمان: الحادث، المصيبة.
- (١٠) الخطر (بفتح ففتح): الشرف والمكانة.

- ابن بَسَّامِ الشَّنْتَرِيّ (المغرب ١: ٤١٧ - ٤١٨) من «المسهب»:

العَجَبُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي حِسَابِ الآدَابِ الأَنْدَلِسِيَّةِ أَنَّهُ سَيَبَعَتْ مِنْ شَنْتَرِينَ قَاصِيَةَ الْمَغْرِبِ وَمَحَلَّ الطَّمَنِ وَالضَّرْبِ (١) مَنْ يَنْظُمُهَا فَلَا يَدُ فِي جِيدِ الدَّهْرِ وَيُطَلِّعُهَا ضَرَائِرَ لِلأَنْجُمِ الزُّهُرِ (٢) - . وَلَمْ يَنْشَأْ بِمَحْضَرَةِ قُرْطُبَةَ وَلَا بِمَحْضَرَةِ إِشْبِيلِيَّةَ وَلَا غَيْرِهَا مِنْ الْحَوَاضِرِ (٣) الْعِظَامِ مِنْ يَمْتَعِضُ امْتِعَاضَهُ لِأَعْلَامِ عَصْرِهِ وَيَجْهَدُ فِي جَمْعِ حَسَنَاتِ نَظْمِهِ وَنَثَرِهِ. وَسَلَّ «الذَّخِيرَةَ» فَإِنَّهَا تُعْنَوْنَ عَنْ مَحَاسِنِهِ الْغَزِيرَةِ (٤).

- وَقَالَ فِي وَصْفِ بَلَنْسِيَّةَ (المغرب ٢: ٢٩٧):

مَطِيبُ الأَنْدَلُسِ وَمَطْمَعُ الأَعْيُنِ وَالأَنْفُسِ. قَدْ حَصَّهَا اللهُ بِأَحْسَنِ مَكَانٍ وَحَفَهَا بِالأَنْهَارِ وَالجِنَانِ. فَلَا تَرَى إِلاَّ مِيَاهَا تَتَفَرَّغُ، وَلَا تَسْمَعُ إِلاَّ أَطْيَاراً تَسْجَعُ، وَلَا تَسْتَنَشِقُ إِلاَّ أَزْهَاراً تَنْفَحُ، وَمَا أَجَلَّتْ لَحْظاً بِهَا فِي شَيْءٍ إِلاَّ قُلْتَ: هَذَا أَمْلَحُ! وَهِيَ البُحَيْرَةُ الَّتِي يَزِيدُ فِي ضِيَاءِ بَلَنْسِيَّةَ صَحْوُ الشَّمْسِ عَلَيْهَا. وَيُقَالُ إِنَّ ضَوْءَ بَلَنْسِيَّةَ يَزِيدُ عَلَى ضَوْءِ سَائِرِ بِلَادِ الأَنْدَلُسِ؛ وَجَوْهَا صَقِيلٌ أَبَدًا لَا تَرَى فِيهِ مَا يُكَدِّرُ خَاطِرًا وَلَا بَصَرًا، لِأَنَّ الجِنَّاتِ أَحْدَقَتْ بِهَا فَلَمْ يُثْرُ بِأَرْجَانِهَا تُرَابٌ مِنْ سَيْرِ الأَرْجُلِ وَهَبُوبِ الرِّيَاحِ فَيُكَدِّرُ جَوْهَا. وَهَوَاؤُهَا حَسَنٌ لَتَمَكَّنْهَا مِنَ الإِقْلِيمِ الرَّابِعِ * وَأَخَذَهَا مِنْ كُلِّ حُسْنٍ بِنَصِيبٍ. وَهِيَ الْبَحْرُ عَلَى القُرْبِ وَالْبَرِّ المُتَّسِعِ. وَحَيْثُ خَرَجْتَ مِنْ جِهَاتِهَا لَا تَلْقَى إِلاَّ مَنَازِلَ وَمَسَارِحَ، وَمَنْ أَبْدَعَهَا وَأَشْهَرَهَا الرُّصَافَةُ وَمُنِيَّةُ ابْنِ أَبِي عَامِرٍ. وَهِيَ

(١) محل الطمن (بالرماح) والضرب (بالسيوف): بلد الاضطراب والحرب.

(٢) ينظمها = ينظم الآداب. القلائد: العقد يلبس فيه العنق. الضرة (بالفتح): الزوجة الثانية (المنافسة، الجارية). الزهر: اللامعة.

(٣) الحاضرة: البلد الكبير، العاصمة.

(٤) امتعض: غضب، شق، (كره) ٢٢ يقصد: اهمم، واعتنى. الذخيرة = «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» (كتاب ابن بَسَّامِ الشَّنْتَرِيّ). عَنَوْنَ عَنْ (كشف، دل على). الغزير: الكثير.

(*) كان القدماء يمتقدون أن القسم المسكون من الأرض إنما هو نصفها الشمالي (من خط الاستواء إلى القطب الشمالي). وقد قسموا هذا النصف الشمالي من الأرض سبعة أقاليم، فكان الإقليم الرابع الذي في وسط هذه الأقاليم «أعدل بقاع الأرض» عندهم. - لتمكنها من الإقليم الرابع (لوجودها في وسط الإقليم الرابع).

مدينة مُمَكَّنَةٌ الحضارةِ جليلاً القدرِ .

- مَقَاطِعُ مِنْ آثَارِ الْحِجَارِيِّ صَاحِبِ « الْمُسْهَبِ » (من كتاب « المغرب »):

★ ★ كَانَ الزَّمُّ لِلْكَأْسِ مِنَ الْأَطْيَارِ لِلْأَغْصَانِ، وَأَوَّلَعَ بِهَا مِنْ خِيَالِ الْوَاصِلِ
بِالْهَجْرَانِ (١ : ٨٥).

★ ★ وَقَالَ فِي أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدٍ الْأَعْمَى الْخَزُومِيَّ^(١) (١ : ٢٢٣): بَشَارُ^(٢) الْأَنْدَلُسِ
انطباعاً وَلَسْنَا وَأَذَاةً^(٣). وَهُوَ الَّذِي أَحْيَا سِيرَةَ الْمُحَطِّبَةِ^(٤) بِالْأَنْدَلُسِ فَمَقَّتْ^(٥). وَكَانَ
لَا يَسْلُمُ مِنْ هَجْوِهِ أَحَدٌ: وَلَا يَزَالُ يَخْطُبُ الْأَفَاقَ بَعْصَاهُ، وَيَقَعُ فِي مَنْ أَطَاعَهُ
وَعَصَاهُ^(٦). وَأَصْلُهُ مِنَ الْمُدْوَرِّ، وَقَرَّ إِلَى قُرْطُبَةَ. ثُمَّ جَالَ عَلَى الْبُلْدَانِ وَأَكْثَرَ الْإِقَامَةَ فِي
غَرْنَاطَةَ وَتَمَرَّضَ لِشَاعَرَتِهَا نَزْهُونَ وَهَجَاهَا.....

★ ★ مُرْسِيَّةٌ أُخْتُ إِشْبِيلِيَّةَ: هَذِهِ بَسْتَانُ شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ، وَهَذِهِ بَسْتَانُ غَرْبِهَا. قَدْ
قَسَمَ اللَّهُ بَيْنَهُمَا النَّهْرَ الْأَعْظَمَ^(٧) فَأَعْطَى هَذِهِ الذِّرَاعَ الشَّرْقِيَّ وَأَعْطَى هَذِهِ الذِّرَاعَ
الْغَرْبِيَّ. وَلِلمُرْسِيَّةِ مَرْيَةٌ تَسِيرُ السُّقْيَا مِنْهُ. وَلَيْسَتْ كَذَلِكَ إِشْبِيلِيَّةٌ، لِأَنَّ نَهْرَ مُرْسِيَّةِ
يَرْكَبُ أَرْضَهَا، وَإِشْبِيلِيَّةُ تَرْكَبُ نَهْرَهَا^(٨). وَلِلمُرْسِيَّةِ فَضْلٌ مَا يُصْنَعُ فِيهَا مِنْ أَصْنَافِ
الْحُلَلِ وَالذَّبِيحِاجِ، وَهِيَ حَاضِرَةٌ عَظِيمَةٌ شَرِيفَةٌ الْمَكَانِ كَثِيرَةٌ الْإِمْكَانِ^(٩) (٢ : ٢٤٥).

(١) كان شاعراً زكياً، ولكنه معروف بالهجاء، مقنع في القول توفي بعد ٥٤٠.

(٢) كان بشار بن برد شاعراً أكمه (أعمى منذ الولادة)، بارعاً في فنون الشعر وأنواعه، شديد الهجاء
(ت ١٦٧).

(٣) الانطباع (هنا): الطبع في قول الشعر. السنن: الفصاحة.

(٤) المحطبة: شاعر إسلامي شديد الهجاء (ت ٥٩).

(٥) مقَّتْ: كره.

(٦) يخبط (يضرب) الأفاق (أطراف البلاد): يتطوَّف في الأرض. وقع فلان في فلان: قال فيه قولاً قبيحاً.

(٧) الوادي (النهر) الكبير: نهر قرطبة.

(٨) يركب أرضها: يجري إليها من أماكن أعلى منها. إشبيلية تركب نهرها: تقوم على أرض أعلى من
مستواها.

(٩) حاضرة: بلد السلطان (عاصمة). كثيرة الإمكان: ذات مرافق (أوجه للمعيشة والإدارة) كثيرة.

- وَقَدَّ الْجِجَارِيُّ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ سَمِيدٍ يَمْدَحُهُ (٢: ٣٥ - ٣٦؛ نفع الطيب ٤ : ١٢٤) فقال:

عَلَيْكَ أَحَانِي الذِّكْرُ الْجَمِيلُ فَجِئْتُ وَمِنْ ثَنَائِكَ لِي دَلِيلُ

 وَوَدَعْتُ الْحَبِيبَ بِغَيْرِ صَبْرٍ وَلَمْ أَسْمَعْ لِمَا قَالَ الْعَدُولُ (٢)
 وَأَسْبَلْتُ الظَّلَامَ عَلَيَّ سِتْرًا، وَنَجَمُ الْأَفْقِ نَاطِرُهُ كَلِيلُ (٣)
 وَلَمْ أَشْكُ الْمُهْجِرَ وَقَدْ دَعَانِي إِلَى أَفْيَائِكَ الظِّلُّ الظَّلِيلُ (٤)
 أَتَيْتُ وَلَمْ أَقْدَمْ مِنْ رَسُولِي، لِأَنَّ الْقَلْبَ كَانَ هُوَ الرَّسُولُ (٥)
 أَجَلُ طَرْفًا لَدَيَّ، فَإِنَّ عِنْدِي مِنَ الْأَدَابِ مَا يَحْوِي الْخَلِيلُ (٦)
 وَمَثَلَنِي بِسَدْنٍ فِيهِ سِرٌّ يَخِيفُ بِهِ وَمَنْظَرُهُ ثَقِيلُ (٧)!

- وقال (نفع الطيب ٤ : ٧٦ - ٧٧):

كَمْ بَيْتٌ مِنْ أَسْرِ السُّهَادِ بَلِيلِيَّةٍ نَادَيْتُ فِيهَا: هَلْ لِيَجْنِحَكَ آخِرُ (٨)
 إِذْ قَامَ هَذَا الصَّبِيحُ يُظْهِرُ مَلَّةً حَكَمْتَ بِأَنْ ذُبِجَ الظَّلَامُ الْكَافِرُ (٩).

- (١) جاء البيت الأول في « المغرب » (٢: ٣٥) كما أثبتته. وجاء في نفع الطيب (٤: ١٢٤) وعجزه (بفتح ضم) ما أثبتته بعد النقط.
- (٢) العدول: الذي يلوم المهين.
- (٣) أسبل: مد. كليل: ضعيف. - جئت في ليلة شديدة السواد (لشدة حاجتي).
- (٤) المهجير (اشتداد الحر).
- (٥) حق الرسول بلا في القافية) أن تكون منصوبة (لأنها خير كان). أما الضمير « هو » فهو توكيد لاسم كان.
- (٦) أجل طرفاً (نظراً، عيناً) لدي: انظر ما عندي. الخليل بن أحمد (١٠٠ - ١٧٤ هـ) من العلماء في صدر الدولة العباسية، سبق إلى تدوين علوم كثيرة: اللغة (في كتاب العين) والنحو و العروض (أوزان الشعر) وكان شاعراً.
- (٧) الدن: خابية (وعاء كبير من فخار) للخمر خاصة: منظره الخارجي غير جميل، ولكن فيه خيراً تهمت في شاربها نشوة.
- (٨) السهاد: السهر، وقلة النوم. المنح: الجانب من الليل.
- (٩) الملة، الملل، السأم. الكافر: الذي يغطي الأشياء ويستترها. - بدأ الصبح يتململ من طول الليل =

- وقال الحجاري (نفع الطيب ٣ : ٣٤٦) من « المسهب » :

كَتَبْتُ إِلَى الْقَاضِي أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ اللَّوْثِيِّ^(١) أَسْتَدْعِي مِنْهُ شِعْرَهُ لِأَكْتُبَهُ فِي كِتَابِي، فَتَوَقَّفَ عَنِّي. فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ :

يا مانعاً شِعْرَهُ عَنْ سَمْعِ ذِي أَدَبٍ نَائِي الْمَحَلِّ بَعِيدِ الشَّخْصِ مُغْتَرِبٍ :
يَسِيرُ عَنْكَ بِهِ فِي كُلِّ مُتَّجِهٍ كَمَا يُرَى نَسِيمُ الرِّيحِ بِالْعَذَبِ^(٢) ،
إِنِّي وَحَقِّكَ أَهْلٌ أَنْ أَفُوزَ بِهِ ؛ وَأَسْأَلُ - فَدَيْتَكَ - عَنْ ذَاتِي وَعَنْ أَدْيِي .
فَكَانَ جَوَابَهُ :

يا طالباً شِعْرَ مَنْ لَمْ يَسْمُ بِالْأَدَبِ ، مَاذَا تَرِيدُ بِنَظْمٍ غَيْرِ مُنْتَخَبٍ ؟

.....

تَمَّ كَتَبَ لِي مِمَّا أَتَحَفَّنِي بِهِ مِنْ نَظْمِهِ أَهْبَى مِنْ الْأَقْمَارِ وَأَرْقَ مِنْ نَسِيمِ الْأَسْحَارِ .

- قال الحجاري يمدح بني سعيد (نفع الطيب ٢ : ٣٣٠) :

قَوْمٌ لَهُمْ فِي فَخْرِهِمْ شَرَفُ الْحَدِيثِ مَعَ الْقَدِيمِ ،
وَرِثُوا النَّدَى وَالْبَأْسَ وَال حَلِيًّا كَرِيمًا عَنْ كَرِيمِ^(٣) :
مِنْ كُلِّ وَضَّاحٍ بِهِ يُجَلِّي دُجَى اللَّيْلِ الْبَهِيمِ^(٤) .

- وقال في مدح بني عبد الملك بن سعيد :

مَلِيكَ طُفَيْلِي السَّاحِ حِ عَلَى الْأَقَارِبِ وَالْأَبَاعِدِ^(٥) .

= ويرسل أشعته الحمراء (الفجر الذي يشبه الدم في لونه) ، فإن هذا يدل على انتهاء الليل (أهلام شقائي) . في الكافر (تورية) (كأن الليل قد ذبح) .

(١) لم أعر على أبي عبد الله محمد اللوثي هذا . في نفع الطيب (٥ : ١٢ ، ٧ : ١٤٧ ، ١٦٦) أبو عبد الله اللوثي الخطيب البليغ من شيوخ ابن زمر ، وهو متأخر جداً عن عصر الحجاري .

(٢) يسير عنك به ... (ستشتهر إذا ورد ذكرك في كتابي) العذب جمع عذبة (يفتح ففتح فيها) : طرف العامة المتدلي وغير العامة .

(٣) البأس : الشدة (القتال ، الحرب) .

(٤) وضاح : أبيض . البهيم : الذي لا علامة فيه تميزه من غيره (الليل البهيم : الشديد السواد) .

(٥) طفيلي (٢) الساحل (سماة الصدر) ، ولعل الشاعر يقصد السماحة (الكرم) . - ساح طفيلي : معروف يصل الى الناس قبل أن يطلبه الناس .

مَا فُرِّجَتْ أَبْوَابُهُ إِلَّا تَفَرَّجَتِ الشَّدَائِدُ^(١).
* وفي مدح بني سعيد أيضاً:

وَجَدْنَا سَعِيداً مُنْجِباً خَيْرَ عَضْبَةٍ هُمْ فِي بَنِي أَرْمَانِهِمْ كَالْمَوَاسِمِ^(٢).

مُشَنَّفَةٌ أَسْمَاعُهُمْ بِفَضَائِلِي، مَسُورَةٌ أَيْمَانُهُمْ بِالصَّوَارِمِ^(٣).
فَكَمْ لَهُمْ فِي الْحَرْبِ مِنْ فَضْلِ نَائِرٍ، وَكَمْ لَهُمْ فِي السَّلْمِ مِنْ فَضْلِ نَازِمِ^(٤).

* فِي الْغَزْلِ وَالْحَمْرِ:

زَارَتْكَ فِي اللَّيْلِ الْبَهِيمِ كَالْفُضْنِ يَثْنِيهِ النَّسِيمِ.
سَلَبْتَ ظِلَامَ اللَّيْلِ مَا أَبْصَرْتَ فِي الْعَقْدِ النَّظِيمِ^(٥).
فَلِذَلِكَ أَمْسَى عَاطِلُ الْآ فَسَاقِ مُسَوِّدَ الْأَدِيمِ^(٦).
لَوْلَا الْمِدَامُ لِمَا أَهْتَدَى فِيهِ إِلَى كَأْسِ نَدِيمِ^(٧).

وَتَقُومُ شُهْرَةُ الْحِجَارِيِّ عَلَى كِتَابِهِ « الْمُسْهَبِ »^(٨):

أ- أَلْفَ الْحِجَارِيِّ كِتَابَ « الْمُسْهَبِ » وَهُوَ مُقِيمٌ عِنْدَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ سَعِيدٍ (الْمَغْرِبِ ٢ : ١٦٠). وَكَانَ - فِي أَثْنَاءِ التَّأْلِيفِ - يَكْتُبُ إِلَى الشُّعْرَاءِ يَطْلُبُ مِنْهُمْ أَشْيَاءَ مِنْ نِتَاجِهِمْ (نَفْحِ الطَّيِّبِ : ٣ : ٣٤٦) وَرَبَّيَا زَارَهُمْ فِي بُلْدَانِهِمْ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ (رَاجِعِ نَفْحِ الطَّيِّبِ : ٢ : ٣٨١). وَكِتَابَ « الْمُسْهَبِ » هَذَا هُوَ الَّذِي وَسَّعَهُ بَنُو سَعِيدٍ فِي جَوَانِبِ تَمَّ هَذَبُوهُ وَاخْتَصَرُوهُ فِي جَوَانِبِ أُخْرَى حَتَّى أَصْبَحَ الْكِتَابُ الْمَعْرُوفُ بِاسْمِ « الْمَغْرِبِ »

(١) إِذَا فَتَحْتَ أَبْوَابَهُ تَفَرَّجَتْ (زَالَتْ) الشَّدَائِدُ (الصَّرُّ فِي سَبَابِ الْحَيَاةِ).

(٢) أُنْجِبَ الرَّجُلُ: رَزَقَ أَبْنَاءَ فَاضِلِينَ. الْمَوْسِمُ: الْعِيدُ.

(٣) - أَسْمَاعُهُمْ (أَذَانُهُمْ) مُشَنَّفَةٌ (مَمْلُوءَةٌ بِهَا أَقْرَاطُ: تَسْعُ دَائِمًا) بِالْفَضَائِلِ. أَيْمَانُ جَمْعُ بَيْنِ (الْيَدِ الْبَيْسَى) مَسُورَةٌ (مَحْمِيَّةٌ) بِالصَّوَارِمِ (بِالسِّيُوفِ) كِنَايَةٌ عَنِ شَجَاعَتِهِمْ.

(٤) فِي الْحَرْبِ يَنْثَرُونَ (يَفْرَقُونَ، يَقْتُلُونَ) أَعْدَاءَهُمْ، وَفِي السَّلْمِ يَنْظُمُونَ (يَجْمَعُونَ) أَتْبَاعَهُمْ.

(٥) مَا أَبْصَرْتَ فِي الْعَقْدِ (الْوَلْوُؤِ الَّذِي يَشْبُهُ النُّجُومَ).

(٦) الْعَاطِلُ: الْمَرَأَةُ الْجَمِيلَةُ الَّتِي تَسْتَفْنِي بِجَاهِهَا الطَّبِيعِيَّ عَنِ الْحَلِيِّ. الْأَدِيمُ: الْجِلْدُ (صَفْحَةُ السِّلْمِ).

(٧) الْمِدَامُ الْحَمْرُ. ضِيَاءُ الْحَمْرِ جَمْعُ النَّاسِ عَلَى الْمَشَارَكَةِ فِيهَا. (شَهْرَتِكُمْ بِالْحَمْرِ جَمَعْتَ النَّاسَ بِقَصْدِ وَنُكْمٍ).

(٨) وَالْمُسْهَبُ (بِكسر الهاء): الْمَفْصَلُ. أَمَّا الْمُسْهَبُ (بفتح الهاء) فَمَا كَانَ فِيهِ تَطْوِيلٌ بِلَا فَائِدَةٍ.

في حُلَى الْمَغْرِبِ ». ويبدو أن كتابَ « السُّهْبِ » قد بَقِيَ قائماً بنفسه مُستقلاً عن كتاب « الْمَغْرِبِ » إلى أيامِ الْمُقْرِي (ت ١٠٤١ للهجرة) وقد وَصَفَهُ الْمُقْرِيُّ فقال (٢ : ٣٢٩):

« وَقَصَّدَهُ * سَنَةَ ٥٣٠، حَافِظُ الْأَنْدَلُسِ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحِجَارِيِّ وَصَنَّفَ لَهُ كِتَابَ « السُّهْبِ فِي غَرَائِبِ الْمَغْرِبِ »، فِي نَحْوِ سِتَّةِ أَسْفَارٍ^(١). وَابْتَدَأَ فِيهِ مِنْ فَتْحِ الْأَنْدَلُسِ إِلَى التَّارِيخِ الَّذِي ابْتَدَأَهُ فِيهِ، وَهُوَ سَنَةٌ ثَلَاثِينَ وَخَمْسِمِائَةً^(٢)... ».

وذكر الْمُقْرِيُّ هَذَا الْكِتَابَ مَرَّةً (نَفْحِ الطَّيِّبِ: ٣ : ١٨٣) بِاسْمِ « السُّهْبِ فِي فُضَائِلِ الْمَغْرِبِ » وَمَرَّتَيْنِ (١ : ٥٧٥، ٤ : ٧٦) بِاسْمِ « السُّهْبِ فِي أَخْبَارِ الْمَغْرِبِ ». فَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْأَسْمَاءُ الثَّلَاثَةُ عُنْوَانًا لِكِتَابٍ وَاحِدٍ، فَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ الْحِجَارِيَّ كَانَ قَدْ تَوَسَّعَ كَثِيرًا فِي الْجَانِبِ التَّارِيخِيِّ حَتَّى قَالَ الْمُقْرِيُّ نَفْسُهُ (١ : ٥٧٥): « وَهَذَا مَقُولٌ مِنْ كَلَامِ الْحِجَارِيِّ فِي « السُّهْبِ فِي أَخْبَارِ الْمَغْرِبِ » فَإِنَّهُ أَكْثَرُ فَائِدَةٍ (مِمَّا فِي كِتَابِ التَّارِيخِ الْأُخْرَى) ». وَكَذَلِكَ يَنْقُلُ الْمُقْرِيُّ أحياناً صَفْحَاتٍ مُتَوَالِيَةً تَتَمَلَّقُ بِتَارِيخِ الْأَنْدَلُسِ، كَمَا نَجِدُ مِثْلًا فِي أَخْبَارِ مُعَيْتٍ فَاتِحِ قُرْطُبَةَ (١ : ١٢ - ١٤) وَفِي أَخْبَارِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّخْلِ (رَاجِعِ ٣ : ٣٩ - ٤٧).

ب- « ... وَكِتَابُ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْحِجَارِيِّ الْمُسَمَّى « بِالسُّهْبِ فِي فُضَائِلِ الْمَغْرِبِ »، صَنَّفَهُ بَعْدَ الذَّخِيرَةِ « وَدِ الْفَلَاذِ »^(٣) مِنْ أَوَّلِ مَا عُمِرَتْ^(٤) الْأَنْدَلُسُ إِلَى عَصْرِهِ. وَخَرَجَ فِيهِ عَنْ مَقْصِدِ (هَذَيْنِ) الْكُتَابَيْنِ^(٥) إِلَى ذِكْرِ الْبِلَادِ وَخَوَاصِّهَا مِمَّا يَخْتَصُّ بِعِلْمِ الْجُغْرَافِيَا وَخَلَطَهُ بِالتَّارِيخِ وَتَفَنَّنَ الْأَدَبَ^(٦)... وَلَمْ يُصَنَّفْ فِي الْأَنْدَلُسِ مِثْلُهُ « (نَفْحِ الطَّيِّبِ: ٣ : ١٨٣).

ج- وَفِي كِتَابِ السُّهْبِ لِلْحِجَارِيِّ فِي هَذَا الشَّأْنِ^(٧) - وَفِي تَدْيِيلِنَا عَلَيْهِ - فِي

(١) السفر (بالكسر): الجزء، المجلد، الكتاب.

(٢) ١١٣٥ - ١١٣٦ للميلاد.

(٣) « الذخيرة في عمار أهل الجزيرة » لابن بسام الشنتريني ثم « فلاح العيان » للفتح بن خاقان.

(٤) عمر (بالبناء للمعلوم أو للمجهول) الدار (سكنها الناس).

(٥) أي « الذخيرة و« الفلاح ».

(٦) تفنن الأدب: تنوع (٤) أوجه الأدب.

(٧) في هذا الشأن: (هنا) في الجغرافيا.

هذا الكتاب الجامع^(١) ما جَمَعَ زُبْدُ^(٢) الأوَّلِينَ والآخِرِينَ في ذلك (نفع الطيب ٣ : ١٨٥).

٤- ** المغرب ٢ : ٣٥ - ٣٦ ثم راجع الفهرس الهجائي؛ ويمدّ كتاب «المغرب» كلّه إيجازاً من جانب، وتوسيعاً (في عدد التراجم) من جانب آخر، لكتاب «السهب» - نفع الطيب (راجع الفهرس الهجائي)؛ الأعلام للزركلي ٤ : ١٨٧ (٦٣)؛ نيكل ٢٦٢، بالنشأ ٢٧٢ - ٢٧٣.

أبو جعفر بن عطية

١- هو أبو جعفر أحدُ بنِ أبي جعفر بن محمد بن عطية القُضاعيُّ، أصلُ أسرته من طُرطوشة ثم انتقلت إلى دانية ثم إلى مَرَاكُش. وكان مولدُ أبي جعفر سنّة ٥١٧^(٣) في مَرَاكُش، وفيها نشأ وتلقّى الملم على والده وعلى نفرٍ كثيرٍ من علمائها.

دخل أبو جعفر في خدمة المرابطين فكان كاتباً لدى علي بن يوسف بن تاشفين (٥٠٠ - ٥٣٧ هـ) ولدى ابنيهِ تاشفين (٥٣٧ - ٥٤٠ هـ) وإسحاق (٥٤٠ - ٥٤١ هـ). ولما سقطت دولة المرابطين، سنّة ٥٤١ هـ (١١٤٦ - ١١٤٧ م) استتر أبو جعفر بن عطية وتزوّج بزوي الجنّد. ثم تطوَّع في جيش للموحّدين لمحاربة محمد بن هود الماسي الذي ثار في السوس (جنوب المغرب)، سنّة ٥٤١ هـ، انتصاراً للمرابطين. وبعد هذه المعركة التي انهزم فيها ابنُ هود الماسي وقُتل، كتّب أبو جعفر بن عطية (في خبر طويل) رسالة بالفتح إلى الخليفة عبد المؤمن، فاتّخذهُ عبداً المؤمن كاتباً. ثم جعله وزيراً.

ولما هاجم الإسبان مدينة المريّة استنجد إليها السيد أبو سعيد بمبيد المؤمن، فأرسل عبد المؤمن حملة بقيادة ابنه يوسف وجعل معه الوزير أبا جعفر بن عطية.

(١) أي في «المغرب في حلّ المغرب».

(٢) زيد جمع زبدة (بالضم): خلاصة.

(٣) الأدب المغربي (ص ١٧٤) وفي الإحاطة (١ : ٢٧٩) ٥٢٧ وأظنه خطأ مطبعياً.

وبعد نجاح الحملة زار أبو جعفر مدينة غرناطة (٥٥١ هـ) وإشبيلية.

وبينا كان أبو جعفر في الأندلس نقل حساده إلى عبد المؤمن وشاية صدقها عبد المؤمن. فلما عاد أبو جعفر من الأندلس قبض عليه وألقي في السجن. وحمله عبد المؤمن معه مقيداً لما ذهب إلى تينمل لزيارة قبر المهدي بن تومرت. وفي أثناء الرجوع إلى مراكش، أمر عبد المؤمن بقتله عند تاقمرت (نوح ٥: ١٨٤) - على مقربة من مراكش - لليلة بقيت من صفر من سنة ٥٥٣ (١١٥٨/٣/٢٧ م).

٢ - كان أبو جعفر بن عطية كاتباً مترسلاً بليغاً سهلاً المأخذ (قريب المعاني) سيال الطبع. وكان له نظم عادي.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال أبو جعفر بن عطية يستعطف عبد المؤمن:

تالله، لو أحاطت بي خطيئة^(١)، ولم تنفك نفسي عن الخيرات بطيئة حتى سخرت
بين في الوجود^(٢) وأنفقت لآدم من السجود^(٣).... وكتبت صحيفة القطيعة بدار
الندوة^(٤)، وظهرت الأحزاب بالقصوى من العذوة^(٥).... وقلت إن بيعة السقيفة لا
توجب إمامة خليفة^(٦)، وشعدت شفرة غلام المغيرة بن شعبة^(٧).... ثم أتيت حضرة

(١) أحاطت به خطيئته (راجع القرآن الكريم ٢: ٨١، سورة البقرة): كثرت خطيئته وثبتت بالأدلة عليه.

(٢) من في الوجود^(٤).

(٣) لم أرض أن أسجد لآدم كما أمر الله (وأن أفضل فعل إبليس الذي عصى أمر الله ولم يسجد لآدم).

(٤) في نحو السنة الثالثة قبل الهجرة كتب القرشيون صحيفة أخذوا فيها على أنفسهم أن يحضروا عمداً رسول الله ومن كان قد آمن معه في شعب (بكر النجف: ح) أي طالب، وأن يقاطعهم فلا يبيعونهم ولا يشترون منهم شيئاً، ولا يزوجهونهم ولا يتزوجون منهم....

(٥) في السنة الثانية للهجرة كانت معركة بدر. وكان القرشيون يمسكون على جانب الوادي المقابل لمعسكر المسلمين (يقصد لو كان مع الكفار مجارب رسول الله). إن كلمة «الأحزاب» توهم بأن الإشارة إلى معركة الخندق (سنة ٥ هـ). ولكن الكلام على العذوة القصوى (الجانب الآخر من الوادي) - راجع القرآن الكريم ٨: ٤٢، سورة الأنفال - تشير إلى معركة بدر (سنة ٢ هـ).

(٦) يوم سقيفة بني ساعدة: يوم بايع الناس أبا بكر بالخلافة (يعني لو فارق إجماع الأمة).

(٧) غلام المغيرة هو أبو لؤلؤة الذي قتل عمر بن الخطاب.

المعلوم لائثاً وبقبر المهدي عائداً^(١)، لقد آن^(٢) لمقاتلي أن تُسمع، وتُغفر الخطيئات لي أجمع، مع أنني مُقرِّفٌ^(٣) وبالذنب معترفٌ.

(وكتب مع هذه الرسالة):

عَطْفًا عَلَيْنَا، أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَدْ بَانَ الْعَزَاءُ لِفَرْطِ الْبَيْتِ وَالْحَزَنِ^(٤).
 قَدْ أَعْرَقْتَنَا ذُنُوبٌ كُلُّهَا لُجَجٌ؛ وَعَطْفَةٌ مِنْكُمْ أَنْجَى مِنَ السُّنَنِ^(٥).
 مِنْ جَاءٍ عِنْدَكُمْ يَسْعَى عَلَى ثِقَةٍ بِنَصْرِهِ، لَمْ يَخَفْ مِنْ بَطْشَةِ الزَّمَنِ.
 فَالثُّوبُ يَطْهَرُ بَعْدَ الْعَسَلِ مِنْ دَرَنِ، وَالطَّرْفُ يَنْهَضُ بَعْدَ الرُّكُضِ فِي سَنَنِ^(٦).

- ومن رسالة له بعد مقتل ابن هود الماسي:

.... هُزِمَ مِنْ كَانَ لَهُ مِنَ الْأَحْزَابِ وَتَسَاقَطُوا عَلَى وُجُوهِهِمْ تَسَاقَطَ الذُّبَابُ، وَأَعْطُوا عَنْ بَكْرَةِ أَبِيهِمْ صَفْحَاتِ الرِّقَابِ وَلَمْ تَقْطُرْ كَلِمَةٌ مِنْهُمُ إِلَّا عَلَى الْأَعْقَابِ^(٧). فامتلات تلك الجهات بأجسادهم، وأذنت الآجال بانقراض أمادهم^(٨). وأخذهم الله تعالى بكفرهم وفسادهم. فلم يُعَاقِبْ مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ خَرَّ صَرِيحاً وَسَقَى الْأَرْضَ نَجِيحاً^(٩).

٤- ** إعتاب الكتاب ٢٢٥ - ٢٢٩ المعجب ١٩٨ - ٢٠٠ الإحاطة ١ : ٢٧١ -
 ٢٧٩ نفع الطيب ٣ : ٥٠٨ ، ١٨٣ : ٥ - ١٨٨ النبوغ المغربي ١٦٧ ، الأدب
 المغربي ١٧٤ - ١٨٠ .

(١) المعلوم (٤)، وفي الإحاطة (١ : ٢٧٦) : المصوم . لاذ : التجأ . عاذ : احتسى .

(٢) آن : حان ، قرب الوقت .

(٣) اقترف ذنباً : ارتكب ذنباً .

(٤) بان : ابتعد . فرط : شدة . البيت : الحزن الشديد .

(٥) اللجة : معظم الماء ، (وسط الماء) . ذنوب ليج (كثيرة تغمر أصحابها) .

(٦) الدر : الوسخ . الطرف (بالكسر) : الحصان السابق . في الإحاطة (١ : ٢٧٦) : بعد الركن من وسن (نوم ، نعاس) ، وفي نفع الطيب (٥ : ١٨٥) : بعد الركن في سنن (نهج الطريق ، اتجاهه الصحيح ، الشوط الذي يركض فيه الخيل) . وأظن أن كلمة الركن خطأ في النسخ . وأرى أنها « الكبو » (العرة ، السقوط) .

(٧) عن بكرة أبيهم : جميعاً ، كلهم . كلوم جمع كلم (يفتح فسكون) : جرح . قطرت جروحهم (دماً) على الأعقاب (مؤخر الأرجل) : قتلوا وهم فارون .

(٨) آجالهم (مقادير حياتهم) أذنت (أعلنت ، نادى) بانقراض أمادهم (بانتهاه مددهم في الحياة) .

(٩) النجيج : الدم .

أبو محمد بن الحاج

١- هو أبو محمد عبد الرحمن بن جعفر من أهل لوريقة سكن مرسية وسمع، سنة ٥٠٣ وسنة ٥٠٤ هـ (١١٠٩ - ١١١١ م) من أبي عليّ الصديقي (ت ٥١٤ هـ) وقرأ عليه. وفي سنة ٥٢٨ هـ (١١٣٤ م) استدعي إلى مراكش وتولى الكتابة فيها، ولكنه استغنى بعد مدة قصيرة وعاد إلى مرسية زاهداً في المناصب وفي أمور الدنيا. ولما اختل أمر المرابطين خلّع أهل مرسية طاعة المرابطين وولّوا على أنفسهم أبا محمد بن الحاج، في رمضان من سنة ٥٣٩ (١١٤٥ م). ولكن أبا محمد بن الحاج ترك ولاية مرسية بعد نحو شهر وعاد إلى زهده ونسكه. وكانت وفاته بعد سنة ٥٥٠ هـ (١١٥٥ م).

٢- كان أبو محمد ابن الحاج بارعاً في الآداب ناثراً وشاعراً على شعره شيء من الروتق وفي نثره كثير من التكلف. والغالب على شعره الوصف والنسيب.

٣- مختارات من آثاره:

- قال أبو محمد بن الحاج في الوصف والنسيب:

سقاها الحيا من معانٍ فساح، - فكم لي بها من معانٍ فصاح^(١) -
 وحلى أكاليل تلك الربى ووشى معاطف تلك البطاح^(٢).
 فما أنس لا أنس عهدي بها وجري فيها ذبول المراح^(٣).
 ونومي على جبرات الرياض يجاذب بُردَي مرّ الرياح^(٤)؛

-
- (١) الحيا: المطر. المعاني جمع معنى: المنزل أو السكن وفيه أهله. وقد نظمت وصفها شعراً واضح المعاني.
 (٢) الحيا (المطر) ملاً أكاليل (رؤوس) الربى (التلال) ووشى معاطف (منحنيات) البطاح (الأرض المستوية) بالنبات والزهر.
 (٣) المراح: نشاط الشباب. جرّ ذيل المراح: سار متبعثراً معتزلاً بشبابه ونشاطه.
 (٤) الحبرة (بكر الماء وفتح الباء): ثوب حرير من صنع اليمن (يقصد الأرض المغطاة بالنبات والزهر المختلف الألوان). وتهبّ الريح فتكشف ثوبي عني مرة وترده إلى حاله الأولى مرة.

بِحَيْثُ لَمْ أُعْطِ النُّهَى طَاعَةً وَلَمْ أَصْغِ سَمْعاً إِلَى نَحْيِ لَاحٍ^(١).
 وَلَيْلٍ كَرَجْمَةِ طَرْفِ الْمُرِيءِ حَبٍ لَمْ أَذْرِ لِي شَفَقاً مِنْ صَبَاحٍ^(٢).

- كَتَبَ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ الْحَاجِّ رِداً عَلَى رِسَالَةِ إِلَيْهِ مِنَ الْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ:

قَدْ رَمَانِي - عَلَى قُوَّةِ بَيَانِي بِبَيَانِكَ، وَقَدْ تَوَلَّى إِحْسَانِي وَارْجَحَنَ إِحْسَانُكَ^(٣) -
 بَعَيْنَيْنِ مِنَ النِّظْمِ وَالنَّثْرِ نَجْلَاوِينَ..... وَفَصْلَيْنِ مِنْ دُرٍّ وَيَاقُوتٍ، بَلْ أَصْلَبِينَ مِنْ
 سِخْرِ هَارُوتٍ وَمَارُوتٍ^(٤). إِذَا لَمَحْتُ النَّثْرَ قُلْتُ: لَوْ نُظِمَ هَذَا لَفَسَدَ، وَإِذَا تَصَفَّحْتُ
 النَّظْمَ قُلْتُ: لَوْ نُثِرَ هَذَا لَتَبَدَّدَ^(٥).... وَفِي الْقَطْرِ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ - أَطَالَ اللَّهُ بَسْطَةَ
 نَاصِرِهِ وَحَامِيهِ، وَوَصَلَ عِزَّةَ حَاضِرِهِ وَنَائِيَةِ^(٦)! - شَرَفٌ قَدِيمٌ وَسَلَفٌ كَرِيمٌ وَأَدَابٌ
 وَعُلُومٌ وَأَلْبَابٌ وَحُلُومٌ وَأُودِيَةٌ يَجْتَابُهَا الْفَضْلُ وَالطُّوْلُ عِذَابٌ^(٧) وَأُنْدِيَةٌ يَنْتَابُهَا الْقَوْلُ
 وَالْفِعْلُ رِحَابٌ^(٨). وَعَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ مَا لَاحَ شِهَابٌ وَوَكَّفَ سَحَابٌ^(٩).

٤-٢ * * * قِلَادَةُ الْمُقْبَانِ ١٦٤ - ١٦٨؛ مَعْجَمُ ابْنِ الْأَبَارِ ٢٣٣ - ٢٣٥؛ الْمَغْرِبُ ٢: ٢٧٦.

ابن قزمان الأصغر

١- هو أبو بكر محمد بن عيسى بن عبد الملك بن عيسى بن قزمان الأصغر،

- (١) النهي: العقل. اللهي: اللوم. الاحي: اللائم.. - لم أطع عقلي في (ترك محبة المحبوب) ولا سمعت نصيحة الذي لامني على الانحراف في الحب.
- (٢) كرجمة طرف المرء (المتهم الخائف): قصير جداً. الشفق يكون في أول الليل. والصبح بعد انتهاء الليل (لم أذر متى بدأ الليل ولا متى انتهى لكثرة سروري في تلك الليلة).
- (٣) البيان: المقدرة على التعبير بالكلام. الفوت: الذهاب، الانتضاء. تولي: ذهب، انقضى. ارجحن: اهتز (من النشاط والنضارة).
- (٤) رماني بيانك بعينين مجلاوين (واسعتين): أعجبتني وجمعتني أشقته. هاروت وماروت ساحران قديران كانا في بابل.
- (٥) لو جعل كلامك المنشور نظماً (شعراً) لذهب جماله. وكذلك لو نثر شعرك.
- (٦) البسطة: اتساع الملك والسيطرة. نائيه: بعيده. (٤).
- (٧) أبواب وحلوم: عقول. أودية: منازل، بلاد. يجتابها: يقطعها من طرف إلى طرف (بإلها). الفضل: الكرم. الطول: الفضل والمقدرة والفتى. عذاب: حلوة.
- (٨) رحاب: واسعة.
- (٩) شهاب: نجم. وكف (سال، أمطر).

تَمييزاً له من عَمِّه أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ (ت ٥٠٨ هـ).

ولد أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ قُرْمَانَ نَحْوَ سَنَةِ ٤٧٠ هـ (١٠٧٨ م) فِي قُرْطُبَةَ فِي بَيْتِ جَلِيلٍ خَرَجَ مِنْهُ أَعْلَامٌ وَنُبَهَاءٌ. وَسَلَكَ ابْنُ قُرْمَانَ الْأَصْفَرَ فِي حَيَاتِهِ طَرِيقَ اللّهُوِ وَالْمُجُونَ وَالِاسْتِهْتَارَ بِالْمَلَذَّاتِ، وَكَانَ يُكْثِرُ التَّرَدُّدَ عَلَى إِشْبِيلِيَّةِ لِلنَّزْهَةِ وَاللَّهُوِ (مقدمة ابن خلدون ١١٥٤).

وَمَدَحَ ابْنَ قُرْمَانَ الصَّغِيرُ بِحَمِيٍّ بْنِ غَانِيَةَ آخِرَ وِلَاةِ المرابطين فِي الأندلس (ت ٥٤٣ هـ). وَبَعْدَ سَقُوطِ دَوْلَةِ المرابطين (٥٤١ هـ) عَاشَ فِي بُوَسْرٍ وَذَلَّةٍ، ثُمَّ أَصْبَحَ إِمَامًا مَسْجِدٍ (بَعْدَ ذَلِكَ المجون والاسْتِهْتَار) لِلحصول عَلَى الكِفَافِ مِنَ العيشِ.

وَكَانَتْ وَفَاةُ ابْنِ قُرْمَانَ الصَّغِيرِ فِي قُرْطُبَةَ فِي ٢٩ رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ ٥٥٥ (١١٦٠/١٠/٢ م) فِي الأَغْلَبِ.

٢- اشْتَفَلَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ قُرْمَانَ الْأَصْفَرَ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ بِالشعر المُغْرَبِ (الفصيح) فَلَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ كَثِيرًا إِذْ قَصَرَ فِيهِ عَنِ أُنْدَادِهِ وَمُعَاصِرِيهِ كَابِنِ خَفَاجَةَ فَانْقَلَبَ إِلَى القَوْلِ فِي الرِّجَالِ (الشعر العامي). وَفِي شعره جُرْأَةٌ وَشِيءٌ مِنَ النِّقَدِ الاجْتِمَاعِيِّ. وَلَهُ مَدِيحٌ وَخَمْرِيَّاتٌ وَغَزَلٌ مَذْكُورٌ.

٣- مَخْتَارَاتٌ مِنْ شعره:

- قَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ قُرْمَانَ الْأَصْفَرُ فِي المَوَازِنَةِ بَيْنَ الفَارِسِ وَالأَدِيبِ:

يُمِيكُ الفَارِسُ رُحْمًا بِيَدِي، وَأَنَا أُمِيكُ فِيهَا قَصَبَةٌ^(١).

فَكَلَانَا بَطْلٌ فِي حَرْبِهِ؛ إِنَّ الآقْلَامَ رِمَاحُ الكَتِّبَةِ.

- وَلَهُ فِي المَرَمِ بَعْدَ الشَّبَابِ:

وَعَهْدِي بِالشَّبَابِ وَحَسَنِ قَدِّي حَكَى أَلْفَ آيِنٍ مُقَلَّةٍ فِي الكِتَابِ^(٢).

(١) قَصَبَةٌ: أُنْبُوبٌ قَصِيرٌ مِنْ قَصَبٍ رَفِيعٍ (غَزَّار).

(٢) أَبُو عَلِيٍّ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مَقَلَةَ (ت ٣٢٨ هـ) خَطَّاطٌ عَبَّاسِيٌّ مَشْهُورٌ وَبَارِعٌ. أَلْفُ آيِنٍ مُقَلَّةٍ (لَمَلَّ آيِنٍ مُقَلَّةٍ =

فصرتُ اليومَ مُنْحَنِيئاً كَأَنِّي أَفْتَشُ فِي التُّرَابِ عَلَى شِبَابِي.

- وكان ابنُ قزمانٍ مليحَ الموانسةِ فوجّهَ إليه الشاعرُ أبو عبد الله بنُ أبي الخِصَالِ (ت ٥٤٠ هـ) غُلامَهُ يدعوهُ إلى ليلةِ أنسٍ. فأساءَ الغلامُ الإبلاغَ. فردّه ابنُ قزمانٍ. فكتبَ ابنُ أبي الخِصَالِ إلى ابنِ قزمانٍ أبياتاً مطلعُها: «إِنِّي أَهْرُكَ هَرَّ الصَّارِمِ الخَنْزِيمِ*». فأجابهُ ابنُ قزمانٍ بالأبياتِ التالية:

أتى من المجدِ أمرٌ لا مردُّ له نمشي على الرأسِ فيه لا على قدَمِ .
رقزٌ ورقصٌ وما أحببتَ من مَلَحٍ عندي وأكثرُ ما تدرِيه من شِيمِ^(١) ،
حتى يكونَ كلامُ الحاضرينَ بها عندَ الصِّباحِ « وما بالمعهدِ من قدمِ »^(٢) ،
(يا ليلةَ السَّخِّعِ هَلَّا عُدْتُ ثانيةً ؛ سقى زمانَكَ هَطَّالٌ مِنَ الدِّيمِ)^(٣) .

وجاء ابنُ قزمانٍ إلى تلكِ الجلسةِ فأمتنعَ الحاضرينَ بكلامِهِ. ثم اتفقَ أن يَدْرَتَ منه حركةً انظفاً بها السِّراجُ فقال:

يا أيُّها السَّادَةُ العَالِي عِلْمُكُمْ ما مِلْتُ، لكنِّي مَالْتُ بِمِي الرَّاحِ^(٤) .
فإنْ أكنُّ مُطِيفِئاً بِصِباحِ بَيْتِكُمْ فكلُّ مَنْ مِنْكُمْ فِي البَيْتِ بِصِباحِ^(٥) .

٤ = (ديوان) ابن قزمان El Cancionero de Aben Guzman بالحرف اللاتيني (نشره نيكل Nykl) مدريد ١٩٣٣^(٦) .

-
- = كان بطيل الألف على استقامة واحدة) كتابة عن انتصاب القامة والرشاقة. الكتاب: الكتابة (المخطئ). * الصارم (السيف) الخنم (القاطع).
- (١) الرقز: الرقص. والراقز: الضارب (على الدف - بضم الدال) راجع تاج العروس - (الكويت) ١٥ : ١٥٨ . الشبية: الخصلة الجميلة.
- (٢) حتى يكون كلام الحاضرين بها (تمت عودتها لأنها كانت ليلة سرور - راجع البيت التالي). وما بالمعهد من قدم (عمًا قريبًا؟).
- (٣) هذا البيت للشاعر العماسي الشريف الرضي (ت ٤٠٦ هـ). هطال من الديم (مطر غزير) ..
- (٤) الراح: الخمر. مال: تروّج (تقابل على غير نظام).
- (٥) فكل من منكم (تعبير فاسد): كل واحد منكم.
- (٦) إن ديوان ابن قزمان يجمع أوزاله. وليس من غاية كتابي أن يبعث في الكلام العامي. ولكن

★★ المغرب: ١: ١٠٠ - ١٠١؛ مقدمة ابن خلدون (بيروت ١٩٦٦) ص ١١٥٤، ١١٥٥؛ نفع الطيب ٤: ٢٣ - ٢٥، ٢٩٦ - ٢٩٧ (٢)، ٧: ١٥ - ١٦؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٨٤٩ - ٨٥٣؛ بروكلمن ١: ٣٢١ - ٣٢٢، الملحق ٤٨١ - ٤٨٢؛ نيكل ٢٢٦ - ٢٣٠؛ مختارات نيكل ١٧٨ - ١٨٠؛ تاريخ النقد لإحسان عباس ٥٠٨ - ٥٠٩؛ بالشيا ١٥٨ - ١٦٦^(٢)؛ الحزينة (الاندلس) ٢: ٤٨٧؛ سركيس ٢١٤ - ٢١٥^(١).

ابن الإمام الشَّليبي

١ - هو أبو عمرو عُمَانُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عُمَانَ، أصله من استجة^(٢) (نفع الطيب ٣: ١٨٤) ومولده في شَلْبٍ من جَنُوبِ غَرْبِ الأندلس. تلقى جانباً من علومه في قُرطبة وإشبيلية، وكان من شيوخه أبو بكر بن العربي (ت ٥٤٣ هـ). ولعلّ وفاة ابن الإمام الشَّليبي كانت نحو ٥٥٥ هـ (١١٦٠ م) أو بعد ذلك بوقت قليل.

٢ - كان ابن الإمام الشَّليبي شاعراً وناثراً ومؤرخاً. والأبيات الباقية لنا من شعره في الشكوى التي تحالطها الحكمة، وهي على المنهج الشرقي. وعُرف ابن الإمام الشَّليبي بأنه مؤلف كتاب «سَمَطُ الجُهَانِ وَسَمَطُ اللَّآلِي وَسَقَطُ المَرْجَانِ» - وقد ضاع ولكن بقي لنا منه نَهَاجٌ متفرقة، وخصوصاً في كتاب «المغرب» لابن سعيد. وكان ابن الإمام مُعجِباً بنهج الفتح بن خاقان (ت ٥٢٩ هـ) وابن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢ هـ) فأراد أن يجمع كتاباً فيه ذكر للشعراء الذين كان ابن خاقان وابن بسام قد تركاهم، وأن يُنمِّ هذه السلسلة إلى إيامه. ولعلّه أراد أن يقف عند السنة ٥٥٠ للهجرة. وتثرُّ ابن الإمام أُنِيقٌ حسن الصناعة، مُسَجِّعٌ أحياناً ومُطَلِّقٌ أحياناً؛ وربما جرى في نثره على السجية كما نرى في كلامه على أيوب بن سليمان السُهيلي (المغرب ١:

= المستشرق عبد الرحمن نيكل، وهو المختص بدراسة ابن قزمان، قد جعل لهذا الديوان مقدمة باللغة الإسبانية) مفيدة جداً *؟

(١) يخلط نفر كثيرون بين أبي بكر محمد بن عبد الملك بن قزمان هذا (ت ٥٥٥ هـ) وعمه المتوفى سنة ٥٠٨ هـ (وكنيته واسمه ككنية ابن أخيه واسمه ونسبه: أبو بكر محمد بن عبد الملك بن قزمان).

(٢) استجة (يفتح فسكون ففتح ففتح): بلد بالأندلس من أعمال قرطبة (تاج العروس - الكويت ٦: ٢٨). وفي حاشية هذه الصفحة نفسها: بكسر فسكون فكسر (عن معجم البلدان).

٦٠ - ٦٢)؛ قال ابن الإمام: «إنه من ولد سهيل بن عبد العزيز بن مروان ثم حَمَل ذِكْرُهُ في الفتنة^(١)، كان يخدم ابنَ الحَاجِّ. فلما ثار ابنُ الحَاجِّ في مدَّة المَلثَمين (المرابطين) أنشده (أيوب) قصيدة منها:

إذا أنا لم أبلغ بك الأمل الذي قطمتُ به الأيامَ فالصبرُ ضائعٌ
فأعتذر له بالفتنة، فقال (له أيوب): إن لم يكن ما أرتقبه فليكن وعدٌ والتفاتٌ
أنتعللُ بها وأعلمُ منها أفي في فكرِ الأمير. فالسُكوتُ يطمِسُ أنوارَ الآمالِ ويُغلقُ
أبوابَ الرجاءِ ...».

٣ - مختارات من آثاره:

- قال أبو عمرو عثمان بن علي بن الإمام الشَّيْبِي (نفع الطيب ٣: ٤٨٧):
عذيري من الأيامِ، لا درُّ درُّها، لقد حَمَلْتَنِي فوقَ ما كنتُ أرهبُ^(١).
وقد كنتُ جلدًا ما تُتَهَمُّهُ النوى، ولا يَسْتَبِينِي الحادِثُ المتغلبُ^(٢).
يقاسي صروفَ الدهرِ مِنِّي معَ الصبَا جُدَيْلُ حِكَاكِ أو عُدَيْقُ مَرَجِّبُ^(٣).

- (١) الفتنة (الاضطراب السياسي) التي كانت في آخر حكم المرابطين في الأندلس، لا الفتنة المشهورة في أواخر أيام الخلافة الروانية في قرطبة.
- (٢) عذيري من الأيام (من ينصرفي على فعل الأيام ٢ - من يعذرنني إذا رأيَ أَلومَ الأيامِ ٢) لا درُّ (جرى) درُّها (لبنها): ليت لبنها يحفَّ (ليتها تصاب بسوء). وكنت أخاف أن تصيبني مصيبة صغيرة فجاءتني بمصائب كبيرة كثيرة. أرهب: أخاف.
- (٣) الجلد: القدرة على العمل الصعب والمستمِر. نينه فلان فلاناً عن أمر: كَفَّه (ردَّه). النوى: (مؤنثة): البعد (في الأصل ينهني النوى - وذلك خطأ). استباه = سباه، أسرِه. إن الحادِث (الأمر النازل: المصيبة) المتغلب (الشديد، القوي) لا يقعدني، لا يقهرني.
- (٤) صروف الدهر جمع صرف (بالفتح): النائية، المصيبة. مع الصبا (برغم أنني كنت شاباً)، يقول: إن الدهر يقاسي مِنِّي (وأنا لا أقاسي منه). جدل حكاك الخ. قال الحجاب (بالضم) بن المنذر (ت نحو ٢٠ هـ) يوم السقيفة (يوم بايع الناس لأبي بكر بالخلافة): «أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب». الجدل (بالكسر) أصل الشجرة، وعود ينصب للابل الجربى لتحكَّ به أجسامها (يقال هو جدل حكاك: أي يستشفى برأيه). العذق (بالفتح): النخلة يحملها حيناً تكون عليها العذوق (جمع عذق بالكسر): الفصن الذي فيه التمر. المرجب المدعوم، المسند. هذا المعنى اللغوي. أمَّا المقصود الاجتماعي فهو: أنا رجل كثير الاختبار يستفتيني الناس في شؤونهم، وأنا رجل له قبيلة كبيرة قوية تمضني وتصرفني.

وكنْتُ إذا ما الخَطْبُ مدَّ جَنَاحَهُ عليّ ترائي تحتَه أَتَقَلَّبُ^(١١)،
 فقد صيرت خَفَاقَ الجَنَاحِ يَروَعُنِي غرابٌ إذا أَبْصَرْتُهُ وهو يَنعَبُ^(١٢).
 وأحسبُ من ألقى حبيباً مُودِّعاً، وأن بلادَ اللهِ طُرّاً مُحْصَبٌ^(١٣).

- وقال ابن الإمام الشَّيْبِي في مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى الشَّلْطِيشِي المعروف بابن القابلة (المغرب ١: ٣٥٢):

ذو المَنزَعِ اللطيف، والتلونِ الشريف، وسالكُ مَهَمِّعِ ابنِ العَرِيفِ^(١٤)، ومُئسِّسُ
 سُوقةِ المعاني حَلَّلَ اللَّفْظِ الشريف. كلَّ حينَ تَهْدِلُ غُصُونُ آدابِه وتَرَفِلُ أَيامُ شَبَابِه في
 ذيولِ آرابِه. يَنْدَى مَجَلِسُهُ بِقَطْرِ الأَدبِ الغُضِّ^(١٥)، وَيَفْرِي الفَرِي لسانَه وعيناه لا
 يَبْرَحُ مغرِزها في الأَرْضِ^(١٦).

- وقال في عبدِ اللهِ بنِ عبدِ الرَّحْمَنِ بنِ معاويةَ بنِ هشامٍ^(١٧) المَرْوَانِي (المغرب ٢: ٢٤٦):

(١) كنت إذا أصابني مصيبة أو دهاني أمر تقلبت تحته (عالجته، تحلصت منه).
 (٢) الجناح: جانب الجسم (حيث القلب؟). خفاق الجناح (مضطرب القلب من الخوف). يروعني (يخيفني)
 نعيب (صوت) الغراب (مع أن صوت الغراب مألوف عندنا لا يجوز أن يخيف أحداً).
 (٣) وأحسب: أظن (بمعنى أؤمن) أن كل من ألقاه من الناس واتخذته صديقاً سافرة يوماً ما، وأن جميع
 البلاد محصبة (مكان في منى - بكسر الميم - شرق مكة يذهب الحجاج إليه لرمي الجمار - بكسر
 الجيم: سبع حصوات - وبييت الحاج في منى عادة ثلاث ليال في الأكثر). كل بلد تحمل فيه ستركه يوماً
 ما.

(٤) المنزع: الخطة، الطريقة، الاتجاه. التلون (تنوع أدب المدوح؟). المهيم: الطريق الواضح. ابن
 العريف أحمد بن محمد الصنهاجي (ت ٥٣٦ هـ) كان يسلك مسلك الصوفية. لم أجد صلة بين ابن
 العريف وابن القابلة (ت ٥٣٩ هـ) توضح هذه الجملة.

(٥) رقل: تبختر في سيره. آراب جمع إرب (بالكس): الحاجة، الدهاء، العقل. هدل الغصن: تدلّى إلى
 أسفل. وتهدل غصون آدابِه الخ (٢). الغض: الطري الناضر.

(٦) يفري (يقطع) الفري (الكلام الباطل، الكاذب). وعيناه مغرِزها (اقرأ: مغرِزها). يفري الفري
 لسانه (يطلق قوله الأفاويل الباطلة) وعيناه مغرِزها في الأرض (من التواضع).

(٧) - (١٥) لطلب الأمر (الحكم، الإمارة). ناقض: خالف لما توقي عبد الرحمن الداخل (أول أمراء بني أمية
 المتوارثين في الأندلس)، سنة ١٧٢ هـ، أوصى بالإمارة بصدده لابنه هشام (ولم يكن أكبر إخوته، بل
 كان قد ولد في الأندلس، فاعتقد عبد الرحمن الداخل أن أهل الأندلس يمكن أن يطيعوا أميراً وُلد =

سَمَتَ نَفْسَهُ بَعْدَ أَبِيهِ لَطِيبِ الْأَمْرِ^(١١) فَنَاقَضَ أَخَاهُ هِشَامَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ سُلْطَانَ الْأَنْدَلُسِ ، وَشَاعِيَ أَخَاهُ الْحَارِجَ عَلَيْهِ سُلَيْمَانَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ^(١٢) . ثُمَّ حَارَبَ ابْنَ أَخِيهِ الْحَكَمَ بْنَ هِشَامِ^(١٣) ، ثُمَّ حَارَبَ عَبْدِ الرَّحْمَانَ بْنَ الْحَكَمِ^(١٤) . وَفِي مُدَّةِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ (كَانَ) يُهْزَمُ وَيُقْصَى^(١٥) ، وَبَعْدَ ذَلِكَ لَا يَبْقَى عَنِ طَلِبِ الْأَمْرِ . وَأَلَّ^(١٦) أَمْرُهُ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِلَى أَنْ حَظَبَ فِي جَامِعِ مَرْسِيَّةٍ وَدَعَا عَلَى الظَّالِمِ بَيْنَهُمَا ، فَعَاجَلَهُ اللَّهُ بِالْمَبِيتَةِ دُونَ بُلُوغِ الْأَمْنِيَّةِ .

٤-★★ التكملة ٦٦١ (رقم ١٨٣٣)؛ الحلة السراء ٢: ٩٢ (في الحاشية خاصة)؛ المغرب (نصوص مختلفة من كتابه) ١: ٣٠٨، ٣٤٢، ٣٨٣، ٣٩٦، ١٠: ٢، ٤٣، ٥٥، ١٤٣، ١٩٩، ٢٣٥، ٢٤٦، ٢٧٦، ٣١٥؛ نفع الطيب ٢: ٢٦٢؛ ٣: ٤٧٨؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٨٠٧ .

أبو بكر الصيرفي

١- هو أبو بكر يحيى بن محمد بن يوسف الأنصاريُّ الغرناطيُّ المعروف بابن الصيرفيِّ، أخذ عن الحسن بن مغيث وأبي بكر بن العربي (ت ٥٤٣ هـ) وأبي مروان ابن بونة .

كان ابن الصيرفيِّ كاتباً للأمير محمد بن تاشفين والي غرناطة . ثم كانت وفاته في أوريوله (من أعمال مرسية) في سنة ٥٥٧ هـ (١١٦٢ م) في قولٍ أو في سنة ٥٧٠ هـ (١١٧٤ م) في قولٍ آخر، وقد أسن كثيراً .

٢- كان أبو بكر الصيرفيُّ كاتباً مترسلاً مجيداً وشاعراً رقيقاً كثيراً . فصيح

= بينهم أكثر من طاعتهم أميراً ولد في خارج الأندلس . ولكن سليمان وعبد الله (أخوي هشام) قاوما أخواها هشاماً . واستطاع هشام أن يترضى عبد الله أخاه بمبلغ من المال فاعتزل إلى المغرب . فلما توفي هشام، وقد جعل الإمارة في ابنه الحكيم، عاد سليمان وعبد الله إلى المصيان . واستطاع الحكيم أيضاً أن يترضى عمه عبد الله بمبلغ آخر فاعتزل إلى بلنسية وعرف بالبلنسي . وأما سليمان فقتل (سنة ١٨٤ هـ) في حديث طويل .

(١) آل: رجع، انتهى إلى .

الألفاظ سهل التراكيب واضح المعاني. وبعض شعره جزلٌ مشرقى النفس. وله
 موشحاتٌ بارعةٌ. ثم إنه كان مُشاركاً في عددٍ من فنون المعرفة: في الحديث واللغة
 والنحو والأدب والتاريخ، وله كتابٌ « الأنوار الجلية في أخبار الدولة المرباطية ».

٣ - مختارات من آثاره:

- لابن الصيرفي موشحة منها:

قد جَنَحَتْ خَيْلي إلى أبي بكر^(١)
 فلا إلى النيلِ ولا إلى مِصرِ
 أما ترى لَيْلي حَيْرانَ لا يَسْري^(٢)
 كأنَّا خَطَّأنا * من ذَهَبِه مَجْرى * وكَلِّما شَطَّأنا * جرَّ الدُّجى جرّاً^(٣)!

* * *

لَهْفِي على مَوْعِدْ لم يَقْضِه الدهرُ
 عَلَّ الذي أَرْصُدْ قد عاقَهُ عُدْرُ^(٤)
 لَذاك ما أَنشِدْ إذ عَزَّي الصبرُ^(٥)
 مَحْبوبي قد أَبْطأ * مَن غَيَّبَ البِدرِ * حتَّى لقد أخطأ * وأشغل السِرا^(٦)
 - موشحة لأبي بكر يحيى بن الصيرفي:

(١) جنح: مال (زار). أبو بكر لعله أبو بكر يحيى بن تاشفين والي فاس (٢)

(٢) سرى: سار ليلاً.

(٣) عند بدء طلوع الفجر يبدو في السماء شبه عمود (من نور الشمس التي لا تزال تحت الأفق) يشبه
 المجرى (الممر) كأنه أثر لذيل الليل (أو آخره). وكلِّما شَطَّ الليل (انحرف عن اتجاه العمود): اتسع
 النور في السماء مع اقتراب الشمس من الأفق، جرَّ الدجى جرّاً (سحبه) أي أبطأ ظهور النور في السماء
 (بالإضافة إلى سرعة ظهور عمود الفجر).

(٤) أرصد: اترقب، أنتظر.

(٥) عزِّي (عليني) الصبر: يشت من الانتظار.

(٦) أشغل (ليست في الغاموس) بقصد « شغل »: صرف الإنسان عن عمله وأهله. لعلها « أشغل ». السر: ما
 يخفيه الإنسان في نفسه. يقصد: إبطاء محبوبي في الزيارة جعلني مشتعل البال.

جَرَّ الذَّيْلَ أَمَّا جَرٌّ وَصِلَ السُّكْرَ مِنْكَ بِالسُّكْرِ

* * *

وَاخْضِبِ الزُّنْدَ مِنْكَ بِاللَّهَبِ مِنْ لُجَيْنٍ تَحِفُّ بِالذَّهَبِ^(١)
تَحْتَ سُلُوكِ مِنْ لَوْلُو الْحَبِّ مَعَ أَحْوَى أَعْرَ ذِي شَنْبِ^(٢)
أُودِعْتَ كَفُّهُ مِنَ الْخَمْرِ جَامِدَ الْمَاءِ ذَائِبَ الْجَمْرِ^(٣)

* * *

ذَاكَ ضَوْءُ الصَّبَاحِ قَدْ لَاحَا وَنَسِيمُ الرِّيَاضِ قَدْ فَاحَا
لَا تَقِذُ فِي الظُّلَامِ مِصْبَاحَا خَلَّ عَنْهُ وَشَمْعُ الرَّاحَا^(٤)
حِينَ تَنْهَلُ أذْمَعُ القَطْرِ وَتَرَى الرُّوْضَ بِاسْمِ الزَّهْرِ

* * *

نَظَّمْتَ جَوْهَرَ العُلَا بِلُكَا كَفُّ مَلِكٍ يُزَيِّنُ المُلُكَا
مَا بَرَى اللهُ مِثْلَهُ مَلُكَا لَاحَ بَدْرًا وَفَاحَ لِي مِسْكَ^(٥)
كَالحَيَا، كَالأَمَانِ، كَالذَّهْرِ، كَمَلِيٍّ فِي الحَرْبِ أَوْ عَمْرٍو^(٦)

* * *

-
- (١) خضب: صبغ. الزند: ما بين الكف والذراع. باللهب: بلون أحمر. من (من خلال) لجين (فضة) بجمف (بميط) بالذهب (بالخمر) - حينما يحمل الشارب كأس الخمر يمرّ لونها الأحمر من خلال كأسها الزجاجي الأبيض ويقع على اليد.
- (٢) سلوك جمع سلك: الخيط الذي تنظم فيه اللآلي. يشبه الحبيب فقايق الهواء العاققة على وجه الخمر بالآلي، لهاها وكثرها). أحوى: ذو شفة سمراء. أعر: أبيض. الشنب: بياض الأسنان.
- (٣) أودعت: وضعت. جامد الماء (زجاج أبيض) ذائب الجمر (خمر حمراء اللون).
- (٤) لا تقد (من وقد بقصد) بمعنى اشتعلت النار. والشاعر يجعل «وقد» فعلاً متعدياً بمعنى أوقد. - اترك إضاءة المصابيح (في الليل) وشمع الراح (امزج الخمر بالماء) واشربها، فالخمر تضئ لك الليل.
- (٥) يرى = برأ: خلق.
- (٦) الحيا: المطر. علي (بن أبي طالب) وعمرو (بن العاص) أي جمع الشجاعة والدعاء.

أَيُّ بَجْرٍ وَأَيُّ ضِرْغَسَامٍ ؟ أَيُّ رُمَحٍ وَأَيُّ صَمَّامٍ ^(١)
 طَاعَنُ الصَّدْرِ ضَارِبُ الْمَامِ بَيْنَ كَرٍّ وَبَيْنَ إِقْدَامِ
 مُخْلَفُ الْبَيْضِ بِالْحَلِيِّ الْحُمْرِ وَمُرَوِّي الْقَنَاقَةِ فِي النَّحْرِ ^(٢).

* * *

حَيْسَنَا لَاحَ وَهُوَ مُبْتَسِمٌ كَهَلَالٍ تَحْفُهُ الدِّيمُ ^(٣)
 خَافِقْسَاءَ فَوْقَ رَأْسِهِ عَلَمٌ غَنَّتِ الْعُرْبُ فِيهِ وَالْعَجَمُ
 عَقَدَ اللَّهُ رَايَةَ النَّصْرِ لِأَمِيرِ الْعُلَا أَيُّ بَكْرِ.

- وله في النسيب:

أَجْرَتُ دَمِي تَحْتَ اللَّشَامِ لِثَامَا وَسَقَتَ - وَلَمْ تَدْرِي - الْكُؤُوسُ مَدَامَا ^(٤)
 شَمْسٌ إِذَا سَرَقَتْ مَعَاطِفَ بَانَةَ فِي ثَوْبِهَا سَجَعُ الْحَلِيِّ حَامَا ^(٥)
 وَتَنَفَسَتْ فِي الصُّبْحِ مِنْهَا رَوْضَةٌ بَاتَتْ تُتَادِمُ بَارِقًا وَغَمَامَا ^(٦)
 نَجَدْتُ بِهِ عَثْرَ النَّسِيمِ بِسِكَّةٍ فِي تَرَبِهَا فَتَفَرَّقَتْ أَنْسَامَا ^(٧)!

٤- * * * المغرب ٢: ١١٨ - ١١٩؛ التكملة ٢: ٤٧٢٣؛ صلاة الصلوة ١٨٣؛ جيش التوشيح ١٢٠ - ١٣٤ (راجع ٢٥٢ - ٢٥٦)؛ بغية الوعاة ٤١٦؛ الأعلام للزركلي ٩: ٢٠٨ (٨: ١٦٤ - ١٦٥).

- (١) الضرغام: الأسد الشديد. الصمصام: السيف الذي يقطع العظم.
- (٢) مخلف (تارك، جاعل) البيض (السيوف) بالحل الحمر (مصبوغة بدم الأعداء). مرووي (ساقني) القناة (الرمح) في النحر (في صدور الأعداء).
- (٣) تحفه: تحيط به. الديم جمع ديمة: غيمة فيها مطر.
- (٤) تحت اللثام (ما تحت اللثام) وجهها. لثام: غطاء. - وجهها الشديد الحمرة أخذ حرته من دمي (بإبحالي في حبها). وريقها هو الذي ملأ الكؤوس مداماً (خمرًا).
- (٥) البانة: شجرة ذات أعصان طويلة مستقيمة سمراء. المطفف والمطاف: ثوب واسع. سرقت معاطف بانة (ظهرت في ثيابها كأنها غصن بان) وأحدث حلبيها نفاً جيلاً كهديل الحمام كناية عن أنها فتاة جميلة وليست قضيبي بان إلا على التشبيه.
- (٦) الروضة في الصباح أخذت من أنفاس المحبوبة اللعنان (الجمال والبياض) والبرودة المستحبة (التي يسببها الغم).
- (٧) التراب (ليست في القاموس بالمعنى الذي قصده الشاعر) المقصود تربية مفرد ترائب (الصدر). - نسيم نجد وجد في صدر المحبوبة قطعة من مسك فمطر بها جميع الرياح الطيبة الرائحة.

أبو جعفر بن سعيد

١ - هو أبو جعفر أحمد بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد بن خلف بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن الحسين بن عثمان بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن عمارة بن ياسر العنسي الصحابي المعروف. وجدّه سعيد هو الذي دخل الأندلس وحلّ في قلعة يَحْصِبَ^(١). ولما جازَ عبد الرحمن بن معاوية الداخل الأموي إلى الأندلس، سنة ١٣٨ هـ (٧٥٥ م) طلب والي الأندلس يوسف بن عبد الرحمن الفهري من سعيد أن يقاومَ عبد الرحمن بن معاوية^(٢). ويبدو أن سعيداً لم يستجب لذلك الطلب؛ فلما ظفّر به يوسف بن عبد الرحمن الفهري ضرب عنقه.

وفي أيام الفتننة وثورة ملوك الطوائف (مطلع القرن الخامس الهجري = مطلع القرن الحادي عشر الميلادي) استبدَّ خلف بن سعيد بن محمد بقلعة يَحْصِبَ. ثم لما مات خلف تولى القلعة بعده ابنه سعيد ثم تولّاها عبد الملك بن سعيد.

ولما استولى الموحدون على الأندلس قاومهم عبد الملك بن سعيد ثم خضع لهم. ولكن عبد المؤمن بن علي سلطان الموحدين لم يثق بولائه فسجنه ثم عاد فأطلق سراحه. وقد أبو محمد عبد الله الحجاري على عبد الملك بن سعيد (ت ٥٦٠ هـ) في قلعة يَحْصِبَ ومدحه بقصيدة مطلعها: «عليك أحالني الذكر الجميل» ثم ألف له كتاب المسهب في غرائب المغرب. وأعجب عبد الملك بكتاب «المسهب» فهذهبه وزاد عليه. فعلى هذا يكون عبد الملك بن سعيد هو الذي ابتدأ تأليف كتاب المغرب في حلي المغرب.

ومن مؤلفي كتاب المغرب أيضاً أبو جعفر أحمد بن سعيد صاحب هذه الترجمة.



(١) قلعة يَحْصِبَ (بفتح الياء وكسر الصاد) أو قلعة يعقوب، وفي الإسبانية: القلعة الملكية (بفتح الميم واللام) إلى الشمال الغربي من غرناطة. وقد سميت قلعة بني سعيد.

(٢) راجع الجزء الرابع.

أدرك أبو جعفر أحمد بن سعيد فترة الشُّغور بين المرابطين والموحِّدين^(١). وإذا صحَّ أنَّه كان تلميذاً للشاعرين ابن الزقاق (ت ٥٢٨ أو ٥٣٠ هـ) وابن خفاجة المشهور (ت ٥٣٠ هـ)، فيجب أن يكون مولده قبل سنة ٥١٥ هـ (١١٢٠ م).

وأرادَ عبدُ الملك بن سعيد شيئاً من الحُطوة والجاه لابنه أبي جعفر فأدخله على عبد المؤمن بن علي، فألقى أبو جعفر بين يديَّ عبد المؤمن قصيدة، وذلك في أول سنة ٥٤٦ هـ (أول الربيع من عام ١١٥١ م) في الأغلب، حينما أذنَ عبدُ المؤمن لأهل الأندلس بالوفادة عليه في مدينة سلا (شمال مدينة الرباط الحاضرة) في المغرب الأقصى.

ثم إنَّ أبرزَ الأحداثِ في حياة أبي جعفر أحمد بن سعيد وأهمَّها كان حبه لحفصة الركونية^(٢)، برغم الفارق في السنَّ بينهما. ونعم الحبيبان مدةً بالزيارات والنزهة ثم ألحَّ عليها الدهر بالشقاء.

في سنة ٥٥١ هـ (١١٥٦ م) استولى أبو سعيد عثمان بن عبد المؤمن على غرناطة فكان أولَ ولاةِ الدولة الموحِّدية على تلك المدينة. واحتاج عثمان إلى كاتبٍ قدير فسمي له أبو جعفر أحمد بن سعيد. وتردَّد أبو جعفر في قبول المنصب - لأنه كان شخصاً يحبُّ الدعة ويميل إلى الراحة؛ ولم يكن، فيما يبدو، بحاجة إلى المناصب والمال - ثم قيل.

وكانت حفصة تتردَّد على بلاطِ غرناطة فنشأت بينها وبين عثمان بن عبد المؤمن ناشئة هوى. ويبدو أن حفصة جعلت تُراوحُ بين المُحبِّين فكان عثمان بن عبد المؤمن كثيرَ الغيرة من غريمه. أما أبو جعفر بن سعيد فكان يلومُ حفصة على قلة وفائها - ويقال إنَّه، في أثناء ذلك، جعل يُغيظها بالتحبُّب إلى جارية سوداء، أو أنه أحبَّ تلك الجارية فعلاً.

ويبدو أن هذه الحال قد طالَّت وبلغتْ غيرَ عثمان ذروتها ثم جمَعَ عددٌ من

(١) نحو عشر سنين بين ٥٣٩ و ٥٤٦ هـ (١١٤٤ - ١١٥١ م).

(٢) ستأتي ترجمتها (ت ٥٨٩ هـ). ويقال إنَّه كان بين حفصة وأبي جعفر بن سعيد فارق واضح في السن.

الأسباب يدعو إلى النِّقمة من أبي جعفر بن سعيد: منها أَنَّ أبا جعفر كان يُعْرَضُ
 بعمَّانَ شعراً ونثراً ويتهكَّم عليه؛ قال مرَّةً لحفصة: « ما تُحِبِّين في هذا الأسود (وكان
 لونُ عُمَّانَ مائلاً إلى السواد)، وأنا أقْدِرُ أن أشتري لك من سوق المبيد عَشْرَةَ خَيْراً
 منه! ». ومنها أن عبد الرحمن بن عبد الملك بن سعيد (أخا أبي جعفر) فرَّ إلى محمَّد بن
 مردنيش الثائر في مُرْسِيَّة وشرقي الأندلس منذ سنة ٥٤٢ هـ (١١٤٧ - ١١٤٨ م) -
 وكان قد سبق لوالد عبد الرحمن أن أتصل بابن مردنيش - فحاف أبو جعفر أحدُ بن
 سعيد أن يؤخذ بجزيرة أخيه ففرَّ إلى مالقة وتحفَّى فيها. غير أن رجال عُمَّان بن عبد
 المؤمن عرفوا مكانه فألقوا القبض عليه ووضعوه في سجن مالقة. واستشار عُمَّانُ أباه
 عبد المؤمن في قتل أبي جعفر بن سعيد على تَهْمَةِ الاتِّصال بابن مردنيش، فأذن عبد
 المؤمن بذلك فقتل أبو جعفر في جُادى الأولى من سنة ٥٥٩ (نيسان - أبريل
 ١١٦٤ م).

٢- كان أبو جعفر أحدُ بنُ سعيدٍ أديباً بارعاً في الشعر والنثر وناقداً بصيراً.
 وهو في الأصل شاعرٌ وجدائيٌّ مُكثِرٌ، وشعره أعلى مرتبةً من نثره. ولكنَّ شعره أيضاً
 مُتفاوِتٌ في الجودة. وكان يقولُ رويَّةً وارجحاً، ورثياً أطال. غير أنَّ المقطعاتِ الرويَّةَ
 له كثيرةٌ وفنونهُ متمددةٌ، منها المدحُ والهجاءُ والفخرُ وأكثرها الوصفُ والحصرُ
 والغزلُ والمجون، وله عددٌ من الإخوانيات؛ وكان يقولُ في المناسبات. وقد كان
 مُصنِّفاً أيضاً، إذ قام بقطرٍ في تأليفِ كتابِ «المُغْرِبِ» (المغرب ٢: ١٦٤)، راجع
 نفع الطيب ٢: ٤٢٩).

ويبدو أن أبا جعفر بن سعيد كان حَسَنَ التَّقْدِيرِ للكلام، فقد قال عن حَمْدَةَ بنتِ
 زيادِ المؤدِّبِ: «هي خنساءُ المغرب» (المغرب ٢: ١٤٥)، كما كان يُثني على الشاعر
 أبي زكريَّا يحيى بن مطروح (المغرب ٢: ١٥٥). ولما قال أخيلُ بن إدريس الرُّنْدِي
 في مديح عبد المؤمن بن عليٍّ قصيدةً مَطلَّعُها:

ما الفخرُ إلا فخرُ عبدِ المؤمنِ أتتسى عليه كلُّ عبدٍ مؤمنٍ،

قال أبو جعفر بن سعيد: «دعاه (الإغراق في) التجنيس إلى الضعف والخروج عن

المقصود..... ولو قال: شادَ الخِلافةَ، وهو أوَّلُ مُبْتَنِي (نفع الطيب ٤: ٢٠٢) لكانَ
أولى وأحسَنَ.

٣- مختارات من آثاره:

- لَمَأْقُبُضَ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدٍ فِي مَالِقَةَ وَوَضِعَ فِي السَّجْنِ مُقَيِّدًا دَخَلَ
عَلَيْهِ ابْنُ عَمِّ لَهُ؛ فَلَمَّا رَأَاهُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ دَمِعَتْ عَيْنُهُ. فَقَالَ لَهُ أَبُو جَعْفَرٍ:

أَعْلَى تَبْكِي بَعْدَ مَا بَلَغْتَ مِنَ الدُّنْيَا أَطَايِبَ لَذَائِهَا فَأَكَلْتُ صَدُورَ الدَّجَاجِ وَشَرِبْتُ
فِي الرُّجَاجِ وَلَبِئْتُ الدِّيَاجَ وَتَمَتَّعْتُ بِالسَّرَارِيِّ وَالْأَزْوَاجِ وَاسْتَعْمَلْتُ مِنَ الشَّمْعِ
السِّرَاجَ الْوَهَّاجَ وَرَكِبْتُ كُلَّ هِمْلَاجٍ^(١). وَهَا أَنَا فِي يَدِ الْحَجَّاجِ مُنْتَظِرٌ مِخْنَةَ
الْحَلَّاجِ^(٢) قَادِمٌ عَلَى غَافِرٍ لَا يَحْتَاجُ إِلَى اعْتِذَارٍ وَلَا احْتِجَاجٍ!

- مِنَ الْمُتَنَزَّهَاتِ الْمَشْهُورَةِ فِي غَرْنَاطَةِ حَوْرٍ مُؤَمِّلٍ، وَقَدْ ذَكَرَهُ أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ
سَعِيدٍ فِي مُوسَّحَتِهِ الْبَدِيعَةِ (المغرب ٢: ١٠٣ - ١٠٤):

ذَهَبَتْ شَمْسُ الْأَصِيلِ فِضَّةَ النَّهْرِ.

* * *

أَيُّ نَهْرٍ كَالدَّمَامَةِ

صَيَّرَ الظِّلَّ فِدَامَةَ

نَسَجَتْهُ الرُّيْحُ لَامَةَ

وَتَوَسَّتْ لِلْفَصْنِ لَامَةَ

فَهُوَ كَالْعَضْبِ الصَّقِيلِ حُفَّ بِالشَّفْرِ^(٣).

* * *

(١) الهلاج: البرذون (بكر الباء وفتح الذا)؛ البغل الحسن السير والتبختر فيه.

(٢) الحجَّاج بن يوسف الثقفي كان والي الأمويين على العراق، وكان معروفًا بالشدة (ينسبون إليه أشياء من الظلم لم تكن فيه). الهلاج: مخرق مشموز يدعي التصوف وقد كان متهمًا في دينه وفي ولائه للدولة، وقد قتل.

(٣) الأصيل: بين العصر ومغيب الشمس. فضة النهر: البياض الحاصل من تقلب المياه في مجرى النهر. =

مُضْحَكًا تَنْفَرُ الْكِيَامَ
 مُبْكِيًا جَفَنَ النَّمَامَ
 مُنْطِقًا وُرُقَ الْحَمَامِ
 دَاعِيًا إِلَى الْمُدَامِ.

فهذا للقبول خُطَّ كَالسَّطْرِ^(١).

* * *

حَبَّذَا بِالْقَوْرِ مَعْنَى
 هِيَ لَفِظٌ وَهُوَ مَعْنَى
 مُذْهِبُ الْأَشْجَانِ عَنَّا
 كَمْ دَرَيْتُنَا كَيْفَ سِرْنَا

ثم في وقت الأصيل لم تكن ندرى^(٢).

* * *

قَلْبَتُ وَالْمَرْجُ اسْتِدَارًا
 بِسَدْرِي الْكُأْسُ سِوَارًا
 سَالِبًا مِنَّا الْوَقَارًا

= الدامة: الخمر (٤). الغدام: غطاء يوضع على قم الإبريق ونحوه، أو ما يصنّى فيه الشراب. اللامة: أداة الحرب كلّها من درع ورمح وسيف وبيضة (خوذة تلبس في الرأس). تنى (حنى) اللام (حرف الهجاء (بين الكاف والميم). لام الغصن: اعتداله. العضب: السيف. الصقيل: المصقول (المخاد، الماضي، الفاطم). الشفر: (اسم جمع للشفرة (حدّ السيف).

(١) الكامة: غطاء الزهر (الكأس): الأوراق المحضرة التي تحيط بالزهرة قبل أن تتفتح الزهرة). داعياً إلى (شرب) الدمام (الخمر). فهذا (٤) للقبول: (ريح الصبا (بالفتح: الشرق - وهي محبوبة في نجد). خطّ كالسطر (يبدو أن الضمير (في «خطّ») يرجع إلى «النهر» (في البيت: المقطع السابق).: رسمت الريح على صفحة النهر خطوطاً متعرّجة، أو إشارة إلى الأشجار على شاطئه النهر.

(٢) الغور: المكان المنخفض (ويكون فيه ماء ونبات). معنى: مكان للسكنى، مسكون. هي، أي الخمر (٤)، وهو معنى (٤). الشجن (بفتح فتح): الحزن. تذهب الأشجان: الخمر (٤). كم درينا.... ندرى: كُنّا في أولّ النهار نسير سراً صحيحاً (لأنّا كُنّا صاحين) وعند الأصيل (لأنّا تمكّن منا السكر) لم تكن ندرى كيف نسير.

دائراً من حياث دارا
صَادَ أَطْيَارَ الْعُقُولِ شَبَّكَ الْخَمْرُ (١).

★ ★ ★

وعند الحبيب فأخلف
واشتهى المطول فسوف
ورسولي قسدا تعرّف
منه ما أدري فحرف.

بِاللَّهِ قُلْ: يَا رَسُولِي، لَسْ يَغِيبُ بِدْرِي (٢).
- طلب أبو جعفر بن سعيد من محبوبته حفصة أن يجتمع بها فمطلتته شهرتين،
فكتب إليها:

يا من أجانبُ ذِكْرَ آسِ مهِ، وَحَسْبِي عِلَامَةٌ (٣).
ما إن أرى الوعدَ يُقْضَى، والعمْرُ أُخْشِي أَنْصِرَامَهُ.
اليومَ أرجوك، لا أن تكونَ لي في القيامِ هـ.
لو قد بصرتِ بحالي والليلُ أرخى ظلامه،
أنوحُ وجَدًا وشوقاً إذ تستريح الحمامه (٤).
صَبِّ أَطْوَالَ هَوَاهُ على الحبيب غرامه (٥).

- (١) المزج: مزج الخمر بالماء. ذرى أو ذرا جمع ذروة (بالكسر أو بالضم): أعلى الشيء. شبك الخمر (الحباب) (بالفتح) الذي يطفو على سطح الخمر بعد مزجها بالماء.
(٢) الحب (بالكسر): المحبوب. هذه الحرجة (القفة الأخيرة في الموشح باللغة العامية): لماذا يغيب عني بدري (حبيبي)؟
(٣) إن إضرائي عن ذكر اسمه دليل على أي أحبه.
(٤) الوجد: ألم الحب. الحمامة معروفة بأنها لا تبدأ عن الهديل (عن الصوت الذي يشبه النواح). ومع ذلك، فإذا وقفت الحمامة عن النواح فأنا أظن أبكي.
(٥) الصب: الحب. غرامه: تعذيبه (شدة حب الحب للمحبوب - والمحبوب لا يبالي - تزيد في عذاب الحب).

لَمَنْ يَتِيَهُ عَلَيْهِ ، وَلَا يَرِدُ سَلَامَهُ .
 إِنْ لَمْ تُنِيسْ لِي أَرْجِي ، فَالْيَأْسُ يُثْنِي زَمَامَهُ (١) .
 - وقال يذكر اجتماعه بمحفصة في حَوْرٍ مُؤَمَّلٍ .

رَعَى اللَّهُ لَيْلًا لَمْ يَرُحْ بِمُدَمِّ عَشِيَّةً وَارَانَا بِحَوْرٍ مُؤَمَّلٍ (٢)
 وَقَدْ خَفَقَتْ مِنْ نَحْوِ نَجْدٍ أَرْجِيَّةٌ إِذَا نَفَحَتْ هَبَّتْ بِرِيَا الْقَرْنُفَلِ (٣) ،
 وَغَرَّدَ قُمْرِيٌّ عَلَى الدَّوْحِ وَأَنْشَى قَضِيبٌ مِنَ الرِّيحَانِ مِنْ فَوْقِ جَدْوَلٍ .
 يُرَى الرُّوْضُ مَسْرُورًا بِمَا قَدِ بَدَّلَهُ : عِنَاقٌ وَضَمٌّ وَأَرْتَشَافٌ مُقَبَّلٍ .

- وَقَالَ يَصِفُ رِحْلَةَ لِهْوٍ وَصِيدٍ . وَالْبَيْتَانِ الْأَخِيرَانِ تَعْرِيفُ أَبِي سَمِيدٍ عَثَانِ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ وَالِي غَرْنَاطَةَ ، وَهَذَانِ الْبَيْتَانِ مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي زَادَتْ فِي نَقْمَةِ وَالِي غَرْنَاطَةَ عَلَيْهِ :

وَيَوْمَ تَجَلَّى الْأَفْقُ فِيهِ بَعْسِيرٌ مِنَ الْغَيْمِ لُذْنَا فِيهِ بِاللَّهُوِّ وَالْقَنْصِ (٤) .
 وَقَدْ بَقِيَتْ فِينَا مِنَ الْأَمْسِ فَضْلَةٌ مِنَ السُّكْرِ تُغْرِينَا بِمَنْتَهَبِ الْفُرْصِ .
 رَكَبْنَا لَهُ صُبْحًا وَلَيْلًا ، وَبَعْضُنَا أَصِيلًا ، وَكُلُّنَا إِنْ شَدَا جُلْجُلُ رَقْصِ (٥) .
 وَشُهُبٌ بُزَاةٌ قَدْ رَجْنَا بِشُهْبَاهَا طَيورًا يُسَاغُ اللَّهُوُّ إِنْ شَكَّتِ الْغُصَصُ (٦) ،
 وَعَنْ شَفَقِ تَغْرِى الصَّبَاحِ أَوِ الدَّجَى إِذَا أَوْثَقْتَ مَا قَدْ تَحْرَكَ أَوْ قَمِصِ (٧) .

- (١) إِنْ لَمْ تَرْضَى (يفتح الضاد) بواصلتي أعني أنك لا تحبيني ، فياسى جيشد من وصالك يمكن أن يردني عن حبك فأناك وأستريح .
 (٢) لَمْ يَرُحْ بِمُدَمِّ : لَمْ يَنْتَه بِفَعْلٍ ذَمِمْ (إِذْ جَعَلْنَا نَلْتَمِي) .
 (٣) خَفَقَتْ : تَحْرَكَ (سَار) . أَرْجِيَّةٌ : رِيَا (رَائِحَةُ طَيِّبَةٍ) .
 (٤) تَجَلَّى : انْكَشَفَ ، بَدَأَ . الْعَنْبِرُ لَوْنُهُ أَسْمَرٌ . لِأَذِ : التَّجَا . الْقَنْصُ : الْمَصِيدُ (الطَّرَائِدُ الَّتِي صِيدَتْ) : جَعَلْنَا نَأْكُلُ مِنَ الطَّرَائِدِ الَّتِي كُنَّا قَدْ اصْطَدْنَاهَا مِنْ قَبْلِ .
 (٥) الْجُلْجُلُ : جَرَسٌ صَغِيرٌ . إِنْ شَدَا : غَشَى (رَن) . كُنَّا فِي حَالِ انْتِشَاحِ نَرْقِصُ (نَطْرِبُ جِدًّا مَعَهَا يَكُنُ السَّبَبُ ضَمِيحًا) .
 (٦) (٢) .
 (٧) قَمِصٌ : عَدَا فِي نَشَاطٍ (ذَهَبَ بِقَفْزٍ قَفْرًا) (٢) .

ومِلْنَا، وقد نلنا من الصيِّد سَوْلَنَا، على قَنَصِ اللَّذَاتِ والبرْدُ قد قرصَ (١)،
 بجِيْمَةٍ ناطورٍ تَوَسَّطَ عَذْبَنَا جحيمٌ، به من كان عُدْبَ قد خلصَ (٢).
 أَدْرَنَا عَلَيْهِ مِثْلَهُ ذَهِيَّةً

دَعْتَهُ إِلَى الكُبْرَى فلم يُجِبِ الرُّخْصَ (٣).
 فقلْ لحريصٍ أن يراني مُقَيِّدًا بخدمته: لا يُجْعَلُ البَارُ في القفصِ.
 وما كنتُ إِلَّا طَوْعَ نَفْسِي. فهل أرى مطيعاً لِمَنْ عن شأوٍ وفخري قد نقصَ (٤)؟

- لأبي جعفر بن سعيد العنسي مَقْطَعَاتُ بَارِعَةٌ، منها (نفع الطيب ٣ : ٥١٥ -

: ٥١٧)

للهِ يَوْمٌ مَسْرَةٌ أضوى وأقصرُ من ذُبَالَةٍ (٥).
 لَمَّا نَصَبْنَا لِلْمُنْسَى فِيهِ بَأْوِتَارٍ حِيَالَةٍ (٦)،
 طَارَ النَّهَارُ بِهِ كَمُرٍّ تَاعٍ، فَأَجْفَلَتِ الْغَزَالَةَ (٧).
 فَكَأَنَّهَا مِنْ بَعْدِهِ بِمْنَا الْهِدَايَةَ بِالضَّلَالَةِ.
 * اسْقِنِي مِثْلَ مَا أَنَارَ لِعَيْنِي شَفَقُ أَلْبَسَ الصَّبَاحَ جِالَةَ (٨)،
 قَبْلَ أَنْ تُبْصَرَ الْغَزَالَةُ تَسْتَدِ رَجُ مِنْهُ عَلَى السَّمَاءِ غَلَالَةَ (٩).

(١) انصرفنا (بعد أن كنا قد اكتفينا بما صدناه من قبل) إلى قنص (صيد) اللذات. قرص البرد الإنسان (اشتد عليه وآله).

(٢) عذبنا (ماؤنا الملوؤ) - جحيم..... (٩٤) - لعله يقصد « ناراً موقدة (حراء) طلباً للدفتة.

(٣) ذهبية (خر حراء اللون - بلا مزج بماء). الكبرى (الفاحة) فلم يجب (لم يفعل). الرخصة (حال تجيز للمتعبد أن يترك شيئاً من العبادة: كقصر الصلاة في السفر).

(٤) الشأو: الشوط، الأمد، الغاية. نقص عن شأوي (قصر عن مجاراتي).

(٥) أضوى: أضعف، أرق، أدق. ذبالة: قتيلة السراج.

(٦) الحباله (بالكسر): مصيدة، شرك (من حبال). الوتر (كناية عن العزف على العود).

(٧) طار (أسرع) النهار في الذهاب. مرتاع: خائف. أجفلت (مضت، أسرعت) الغزالة (الشمس): غابت باكراً.

(٨) مثل ما أنار لعيني شفق (خر حراء اللون - غير مزوجة بماء).

(٩) قبل أن تستدرج الغزالة (الشمس) بحرارتها) منه (من الشفق: اللون الأحمر الذي يُرى على الأفق الغربي بعد غياب الشمس) غلالة (سترأ رقيقاً).. - قبل أن تغيب الشمس.

- وتَأْمَلْ لِمَسْجِدِ سَالِ نَهْرًا
 * لو لم يكن شِدُوَ الهائمِ فاضلاً
 طَرَبٌ نَسَى حَتَّى الْجِهَادَ تَرْنَحًا
 * فِي الرَّوْضِ مِنْكَ مِثَابَةٌ مِنْ أَجْلِهَا
 الْفُضْنُ قَدْ، وَالْأَزَاهِرُ حَلِيَّةٌ،
 * وَلَقَدْ قَلْتُ لِلذِّي قَالَ: حَلُّوْا
 لَا تُعَيِّنْ لَنَا مَكَانًا، وَلَكِنْ
 * أَلَا هَاتِيهَا، إِنَّ السَّرَّةَ قُرْبُهَا.
 مُدَامٌ بَكَى الْإِبْرِيْقُ عِنْدَ فِرَاقِهَا

- وله أيضاً في المُتَنَزَّهِ المَعْرُوفِ بِحَوْرٍ مُؤَمَّلٍ (نفع الطيب ٣: ٥١٧):

- عَرَجٌ عَلَى الْحَوْرِ وَخِيَمٌ بِهِ
 حَيْثُ الْأَمَافِي ضَافِيَاتُ الْجَنَاحِ (٧)
 وَاسْبِقْ لَهُ قَبْلَ ارْتِحَالِ النَّدَى
 وَلَا تَزُرُهُ دُونَ شَادٍ وَرَاحٍ (٨)
 وَكُنْ مُقْبِيًا مِنْهُ حَيْثُ الصَّبَا
 تَمْتَارُ مِسْكَانًا مِنْ أَرِيحِ الْبِطَاحِ (٩)

- (١) ماء النهر كمسجد (ذهب) من نور الشمس الواقع عليه، أو الأشعة الحمراء التي تملأ الجو. تقضى:
 انتقضى. غزالة: طيبة. - (٢).
 (٢) لو لم يكن شِدو (غناء) الهائم أفضل (أعذب) من شِدو القيان (النساء الجميلات المغنيات) لما استخفَّ
 الفصون (جعل الفصون تطرب وتناهل).
 (٣) مثابه (أوجه شبه). هنا: حنّ، اشتاق.
 (٤) حلّوا: انزلوا هنا.
 (٥) هاتيا (هات الحمرة). - إِنَّ السَّرورَ أَنْ تَقْرِبَ نَحْنُ مِنَ الْحَمْرِ، وَالْحَزْنَ أَنْ يَتَوَالَى (بِتَتَابَعٍ، يَسْتَمِرُّ)
 جِنَاؤَهَا (بَعْدَهَا عَنَّا).
 (٦) مدام (خر). حينما يصبون الخمر من الإبريق يمكن أن تظفر منه نقاط (فكأنه يبكي). وحينما يتتابع
 صبّ الخمر في الكأس تحدث قرقررة (فكأن الكأس حينئذ تضحك).
 (٧) ضافي الجناح: متسع (كثير).
 (٨) قبل ارتحال الندى: قبل أن تحجف الشمس قطرات الندى (أي باكراً، قبل شروق الشمس). الشادي:
 الغمّي. الراح: الخمر.
 (٩) الصبا: ربيع الشرق. امتار جمع الميرة (الطعام). - كَانَ الرِّيحُ الْهَابَةَ عَلَيَّ تَجْمَعُ الرَّائِحَةَ الطَّيِّبَةَ مِنْ كُلِّ
 مَكَانٍ.

والقُضْبُ مَالٌ البَعْضُ مِنْهَا عَلَى وَشَقَّ جَيْبَ الصُّبْحِ نُورٌ، كَمَا
بَعْضٌ كَمَا يَفْنِي القُدُودَ ارْتِيَا ح^(١) أَلَا حَبَّذَا رَوْضٌ بَكَرْنَا لَهُ ضُحَى
شَقَّتْ جُيُوبَ الطَّلِّ مِنْهَا الرِّيَاحُ^(٢) وَقَدْ جَعَلْنَا بَيْنَ الفِصُونَ نُسَيْمَةً
وَفِي جَنَابَاتِ الرُّوضِ لِلطَّلِّ أذْمُغُ وَغَمْنٌ، إِذَا مَا ظَلَّتِ القُضْبُ رُكْمًا،
تُمَزَّقُ قُوبَ الطَّلِّ مِنْهَا وَتَرْتَقِعُ^(٣) نَظَلُّ لَهَا مِنْ هِرَّةِ السُّكْرِ نَرَكْعُ^(٤)

- وَقَالَ يَصِفُ غَلَامًا سَاقِيًا أَسْوَدَ وَقَدْ لَبَسَ ثِيَابًا بِيضًا:

وَعُضْنٌ مِنَ الآبِنُوسِ ارْتَدَى بَعَاجٍ، كَلَّيْلِي عَلاهُ فَلَقَى^(٥) .
يُحَاكِي لَنَا الكَاسُ فِي كَفِّهِ صَبَاحًا بِجَنَحِ عَلاهُ شَفَقَ^(٦) .

- وَهُوَ فِي الحِكْمَةِ، وَقَدْ تَرَكَ قَوْمًا فَاعْتَذَرَ إِلَيْهِمْ بِأَنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ مُضْطَرًّا لَا عَن رَغْبَةٍ مِنْهُ فِي ذَلِكَ:

تَرَكْتُمْ لَنَا كَارِهًا فِي جَنَابِكُمْ، وَلَكِنْ أَسَى رَدِّي إِلَى بَابِكُمْ ذَهْرِي .
وَطَاحَتْ يَمِي الأَطْمَاعُ فِي كَلِّ وَجْهِي تَنَقَّلْنِي مِنْ كَلِّ سَهْلِي إِلَى وَعْغِرِي^(٧) .
وَمَا بِاخْتِيَارٍ فَارِقَ الحُلْدَةَ آدَمُ؛ وَمَا عَن مُرَادٍ لِأَذَى أَيُوبُ بِالصَّبْرِ .
وَلَكِنَّهَا الأَيَّامُ لَيْسَتْ مُقِيمَةً عَلَى مَا اشْتَهَاهُ مُشْتَهَى أَمَدَ العُمُرِ .
وَإِنَّكَ إِنْ فَكَّرْتَ فِي مَا أَتَيْتُهُ تَيَقَّنْتَ أَنَّ التَّرِكَ لَمْ يَكُ عَن غَدْرِ؛

(١) القُضْبُ (جمع قُضْبٍ): الأَغصَانُ. الِارْتِيَا ح: النِّشَاطُ وَالسَّرُورُ.

(٢) (٣).

(٣) يَسْقُطُ الطَّلُّ (النَّدَى) عَنِ الأَغصَانِ عَلَى الأَرْضِ (فَتَبْدُو الأَرْضَ جَافَةً فِي مَوَاضِعَ وَرَبِثَةً فِي مَوَاضِعَ - فَكَأَنَّ البَقَعَ المَبْتَلَّةَ رَقَعَ عَلَى الأَرْضِ).

(٤) القُضْبُ (الأَغصَانُ) تَدْنُو مِنَ الأَرْضِ بِفِعْلِ النِّسْمِ، وَغَمْنٌ فِي مَشِينَا يَدْنُو أَعْلَى جِسْمِنَا مِنَ الأَرْضِ (بِفِعْلِ الحَمْرِ).

(٥) الفَلَقُ: الصُّبْحُ.

(٦) الجَنَحُ: الجَانِبُ مِنَ اللَّيْلِ (الشَّدِيدُ الظُّلَامُ - السَّوَادُ). الشَّفَقُ: اللَّوْنُ الأَحْمَرُ الَّذِي يَبْدُو عَلَى الأَفَقِ العُرْفِيِّ بَعْدَ غِيَابِ الشَّمْسِ.

(٧) طَاحَ: اضْطَرَبَ، نَاهَ، مَضَى.

ولكن لجاج في النفوس إذا انقضى
 وإني لمنسوب إليكم وإن نأت
 وإني لمتن بالذي نلت منكم
 وإن خنتكم يوماً فغائتي المنى،
 على أنني أقررت أنني مذنباً؛
 - وقال يصف ناراً موقدة في زمن الشتاء ليلاً:

نظرت إلى نار تصول على الدجى؛
 ترقمها أيدي الرياح، وتارة
 وإلا فمن لا يملك الصبر قلبه
 لها السن تشكو بها ما أصابها
 إذا ما حينها تناءت تبعد^(٣)
 تخفضها فعل المكبر يسجد^(٤)
 يقوم به غيظ هناك ويقعد^(٥)
 وقد جعلت من شدة البرد رعداً^(٦)!

- وقال يصف قوادة (أورد هذه الأبيات لأنها لا فسق فيها، ما عدا إشارتين
 بعيدتين في البيت الرابع والبيت التاسع):

قوادة تغخر بالعمار
 ولأجاة في كل دار، وما
 ظريفة مقبولة الملتقى
 أقود من ليل على سار^(٧)
 يذري بها من جذعها دار^(٨)
 خفيفة الوطء على الجار^(٩)

- (١) اللجاج: التادي (في العناد)، الاستمجال في معرفة النتائج.
 (٢) الضدير: مجرى من الماء يغادر النهر. القطر: المطر.
 (٣) تصول: تسطو، تقهر (تتغلب على) الدجى (الليل): نار كبيرة قوية نضوء الليل.... كلما اقتربنا منها
 نراها تبعد عنا (ورغبتنا في سرعة الوصول إليها توهمنا أنها تبتعد عنا).
 (٤) الرياح الشديدة تتلاعب بها علواً وهبوطاً (كما يفعل المصلي بيديه كلما قام بركن من الصلاة كبر
 ورفع يديه إلى أذنيه ثم خفضها).
 (٥) أو كالمضبان لا يستقر على حال (يقوم ويقعد لا يدري ما يفعل).
 (٦) ألسنة اللهب تتلاعب بها الريح الشديدة (فكأن تلك النار ترتعد مثلنا من شدة البرد).
 (٧) الساري (السائر في الليل) يستره الليل عن عيون الناظرين.
 (٨) المولاج: الكثير الدخول (والخروج): كثير الحركة. الداري (اسم فاعل من درى): العالم بالأمر.
 (٩) خفيفة الوطء (الدعس: صوت الأقدام): على الجار (لا يشعر أحد بما تعمل).

لحافهسا لا يَنْطوي دائماً
 قد ربييت - مذ عرفت نفعها
 جاهلة حيث ثوى منجد
 بسامة كثيرة برها
 علم الرياضات حوته وما
 مبتاعة للنفل من كيسها
 تكاد من لطف أحاديثها
 * ولما رأيت السعد في صفح وجهه
 وأقبل يدي لي غرائب نطقه،
 فأصغيت إصغاء الجدب إلى الحدأ

- ولما أمر عبد المؤمن بن علي بسجن
 قال أبو جعفر (وكانه يخاطب أباه) من ر-

مولاي، غيرك يعزى بما لم يزل يجري على
 بما يطرأ من الحسوف والكسوف على الشمس المنيرة والبدر التمام..... ماذا
 تفيدك من العلم^(٧) وصدرك ينبوعه، ويخاطريك لا يزال غروبهُ وطلوعهُ. وإنما هي

(١) أقلق من راية بيطار (٢).

(٢) مذ عرفت نفعها: منذ أقنعت (طلاب اللهو) بمقدرتها. الفانك: الجريه على المعاصي. الشاطر: الحبيث الفاجر.

(٣) الرياضة (هنا): ترويض الإنسان الصعب (الإقناع بالهدوء والحبلة). تقويم: إصلاح (بأسلوب خير) وأسحار (جمع سحر): السيطرة النفسية (النتر).

(٤) النفل: الزوجة. من كيسها الخ: تبيء اللهو للمعسر (الفل: الذي لا مال حاضراً معه) وتنتظر أن يفيها هذا الدين في المستقبل.

صفح (جانب) وجهه.

كـ المزج: الانتهاء إلى هدف (غاية، طريقة).

(٧) العلم (بمعاني أبيات ذكرها أبو جعفر بن سعيد فيها حكم وصانعا.

عادةً تَبِينُهَا أَدْبَاءً، وَقَضَيْنَا بِهَا مَا فِي النَّفْسِ مِنَ الإِعْلَامِ بِالتَّوَجُّعِ وَالتَّفَجُّعِ أَرَبَاءً^(١).
ولعلَّ اللهُ يُنْبِغُ هَذِهِ التَّسْلِيَةَ بِتَهْنِئَةٍ، وَيُعْقِبُ بِالنِّعْمَةِ هَذِهِ المَرْزُوتَةَ^(٢).

٤- ** - المغرب ٢: ١٦٤ - ١٦٨ (وأماكن أخرى مفيدة - راجع الفهرس)؛ الإحاطة ١:
٢٢٢ - ٢٢٧؛ نفع الطيب ١: ٤٧٥، ٢: ٣٢٩، ٤: ١٧٩، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢٠٥
(وأماكن أخرى فيها إشارات مفيدة)؛ نيكل ٣١٧ - ٣٢٢؛ بالنشيا ١٢٧ - ١٢٨.

نزهون بنت القلاعي الفرناطية

١ - هي نزهون القلاعية (بنت القلاعي، وقيل القليمي - ولعلّه: أبو بكر محمد
ابن أحمد بن خلف بن عبد الملك بن غالب العسائي). قرأت على أبي بكر الخزومي
الأعمى فكانت تلميذة له برغم ما كان بينها من المعارضة والمهاجاة. وكذلك كان
بينها وبين الوزير أبي بكر بن سعيد (صاحب أعمال غرناطة في أيام المرابطين)
مُحاضرةً ومذكرةً ومراسلةً بالإضافة إلى ما كان بينها من الحبّ واللقاء. ثم كان
بينها وبين ابن قزمان (نحو ٤٨٠ - ٥٥٥ هـ) منافرةً. ولعلّ وفاتها كانت سنة ٥٦٠
(١١٦٥ م)^(٣).

٢ - كانت نزهون ذات جمالٍ فائقٍ خفيفة الروح حلوة اللفظٍ سريعة البديهة
كثيرة النوادر بارعة في الأدب حافظةً للأشعار مع المعرفة بضرب الأمثال نابغة في
قول الشعر، إلا أنها كانت ماجنة بلا احتشامٍ ولا عِفَّةٍ. وشعرها وجداني أكثره
الغزلُ والهجاء.

(١) الأرب: الحاجة.

(٢) المرزوة: المصيبة (الكبيرة).

(٣) نقل المقرئ (نفع الطيب ٤: ٢٩٥) عن الحجاري أنّ نزهون كانت «من أهل المائة الخامسة» (٤٠٠ -
٤٩٩ هـ). ولكن نزهون كانت تلميذة للخزومي الأعمى، وقد كان حياً بعد ٥٤٠ هـ (نفع الطيب
١: ١٩٣) كما كانت معاصرة لابن قزمان (٤٨٠ - ٥٥٥ هـ). وعلى هذا قبيلت أن تكون وفاتها سنة
٥٦٠ أو بعدها بقليل.

- لَمَّا تَعَجَّبَ الأعمى الخزوميُّ من مجلسِ أبي بكرِ بنِ سعيدٍ وما كان فيه من النعيمِ - وكانت نزهونُ حاضرةً - قالت له:

وَتَرَكَ، يا أستاذُ، قديمَ النعمةِ بِمَجْمَرِ نَدِّ وِغْناهِ وَشَرابِ، فَتَمَجَّبَ من تَأْتِيهِ
وَتُشَبِّهُهُ بنعيمِ الجَنَّةِ وتقول: ما كانَ يُعَلِّمُ إلاّ بالسَّاعِ ولا يُبَلِّغُ إليه بالعيانِ! ولكن من
يجيء من حُصْنِ المُدَوَّرِ وينشأ بينَ تَبوسٍ وَبَقْرِ، من أين له معرفةٌ بِمجالسِ النعيمِ؟
فلَمَّا اسْتَوْفَتْ نزهونُ كلامها تَنَحَّضَ الخزوميُّ الأعمى، فقالت نزهونُ: ذُبْحَةٌ!
- إن نزهونَ شاهدت ابنَ قُزَمانَ الأصغرَ يلبسُ غِفاًرَةً (خُرُقَةً تُلبَسُ تحت
القلنسوة!) فقالت له:

أصبحتَ كَبَقَرَةَ بني إسرائيلَ، ولكن لا تُسُرُّ الناظرينَ.

- دخل الشاعرُ الكُتَنْديُّ على الخزوميِّ الأعمى، ونزهونُ عند الخزوميِّ تقرأ عليه. فقال الكُتَنْديُّ للمخزوميِّ: أجزئ: «لو كنتَ تُبْصِرُ من تَكَلِّمِهِ!» فأفْهِم الخزوميُّ ولم يَجِرْ جواباً، فقالت نزهونُ:

لَفَدَوْتَ أُخْرَسَ من خِلاخِلِهِ^(١)
البدرُ يطلُّعُ من أُرْزَتِهِ، والغصنُ يمرحُ في غِلايِلِهِ^(٢).
- قالت تُخاطبُ الأعمى الخزوميَّ بهجاءٍ فيه إقذاعٌ^(٣):

قُلْ للوضيغِ مفسالاً يُتلى إلى يومٍ يُخْشَرُ:
مِنَ المُدَوَّرِ أنْشِدْ، والخِرا مِنْكَ أعْطَرُ،

(١) الخِلاخال (بالفتح): حلية (بالكسر) كالسوار تلبسها النساء في الأرجل. أخرس من خلاخله: كثير الصمت. (إذا كانت المرأة سميحة فإن الأساور والخلاخيل في يدي المرأة ورجليها لا تتحرك فلا تحدث صوتاً).

(٢) الزرّ: مدخل الثوب في العنق. الغلالة (بالكسر): ثوب رقيق يلبس (مباشرة على البدن). البدر (الوجه الجميل) والغصن (القائمة المشوقة).

(٣) في هذه المقطوعة كلام تبيح وصور تبيحة لا حاجة إلى تفسيرها.

حيثُ البداوةُ أُمِّتَتْ
لِذَاقِ أُمِّيَّتِ صَبَا
خُلِقَتْ أَعْمَى، وَلَكِنْ
جَازِيَتُ شِعْرًا بِشِعْرٍ،
إِنْ كُنْتُ فِي الْخَلْقِ أَنْثَى،

- وَقَالَتْ تُنْسِبُ أَبِي بَكْرٍ بِنِ سَعِيدٍ:

حَلَلْتُ، أبا بَكْرٍ، مَحَلًّا مَنَعْتُهُ
وَإِنْ كَانَ لِي كَمِّ مِنْ حَبِيبٍ فَإِنَّا

- وَهِيَ فِي النَسَبِ الصَّرِيحِ:

لَهُ دَرُّ اللَّيَالِي مَا أَحْيَسَنَاهَا،
لَوْ كُنْتُ حَاضِرًا فِيهَا وَقَدْ غَفَلْتُ
أَبْصَرْتُ شَمْسَ الضُّحَى فِي سَاعِدِي قَمَرٍ،
وَمَا أَحْيَسَنَ مِنْهَا لَيْلَةَ الْأَحَدِ !
عَيْنُ الرَّقِيبِ فَلَمْ تَنْظُرْ إِلَى أَحَدٍ،
بَلْ رِيحَ خَازِمَةٍ فِي سَاعِدِي أُسْدٍ!^(١)

٤- ** بغية المنتسب ٥٣٠ (رقم ١٥٨٨)؛ المغرب ٢: ١٢١، راجع ١: ٢٢٣؛ المقتضب
١٦٤ - ١٦٥؛ راجع الإحاطة ١: ٤٣٢ - ٤٣٥؛ نفع الطيب ١: ١٩٢ - ١٩٣،
٣: ٢١٨، ٤: ٢٩٥ - ٢٩٦، ٢٩٧ - ٢٩٨، راجع ١: ١٩٠. وما بعد؛ نيكل
٣٠٢ - ٣٠٨، مختارات نيكل ١٨٠ - ١٨١؛ الأعلام للزركلي ٨: ٣٣٢ (١٧)؛
بالنشيا، راجع ١٢٥ و ١٦٥.

أبو العباس الجراوي المالقي

١- هو أبو العباس أحمد بنُ حُسن بنِ سَيدِ الجراوي المالقي^(٢) أخذ النحو عن

- (١) يفتن أبو بكر (عشيرة زهون) على جميع محبيها، كما قدم أبو بكر الصديق في الخلافة على جميع المسلمين. - كم من حبيب (محبون كثيرون).
(٢) شمس الضحى (المرأة الجميلة) والقمر (الرجل الجميل). الريم: الغزال الأبيض (المرأة الجميلة) الأسد (كناية عن الرجل القوي).
(٣) هو غير أحمد بن علي بن سيد الإشبيلي المعروف بالسنن المتوفى سنة ٥٧٦ هـ. وغير ابن السيد البطليوسي (ت ٥٣١ هـ).

سليان بن محمد الملقب المعروف بابن الطراوة (ت ٥٢٨ هـ) وأخذ اللغة عن محمد بن معمر المعروف بابن أخت غانم (ت بعيد ٥٢٤ هـ).

وقد وقعت وحشة بين أبي العباس الجراوي والقاضي ابن الوحيدي^(١) فاضطر إلى الانتقال من مألقة فذهب إلى قرطبة. ثم إن الجراوي استمال ابن الوحيدي فلان ابن الوحيدي له فعاد إلى مألقة بعد غياب أربعة أعوام. ثم تولى القضاء أبو الحكم ابن حسون فقرب أبا العباس الجراوي. ويبدو أن ابن حسون هذا قُتِلَ (٥٤٧ هـ)^(٢) فانتقل الجراوي إلى مراکش وأدب أبناء أمير المسلمين عبد المؤمن بن علي^(٣) فما قدره وعظم صيته.

وكانت وفاة أبي العباس الجراوي بعيد سنة ٥٦٠ هـ (١١٦٥ م).

٢ - كان أبو العباس الجراوي من كبار النحاة والأدباء في الأندلس، وكان كاتباً بليغاً وشعره متين السبك. والأبيات القليلة المروية له هي في الأدب (الحكمة).

٣ - مختارات من شعره:

- قال أبو العباس الجراوي الملقب:

(١) هو أبو محمد عبد الله بن عمر الوحيدي، ولي القضاء في مدينة رية (٥٢١ - ٥٣٩ هـ) فار بالعدل وأدخل على إدارة الأحباس (الوقف) إصلاحاً كبيراً. ثم لما شاخ اعتزل القضاء واستغنى عن أخذ المرتب الذي يملأ لأمثاله. وكانت وفاته سنة ٥٤٢ هـ. كتب إليه الخطيب ابن أبي العيش يوصيه بأحد المتخاصمين لديه فكتب إليه ابن الوحيدي:

« وهبك الله وإيائي من نيمي السوايح الضواقي، وأوردك من نسمة العذاب الصواقي. ولا زلت بصيراً بكائد الناس... فإنك كما تدرهم بربهم الباطل ويرهم (يفتنون من طريق الباطل ويفتقرون من طريق الباطل). والعامل معظمهم ولا يغريم (لا يستطيع استئثارهم إلى سماع الوعد). ومثلك من الإخوان من علم تلون الزمان، وعرف سير المعجم والعرب، ولم يغب عنه الفرق بين السمع (٢) - لعل المقصود هنا «السمع»، وهو ما يسهل النحل بيوتا سدسة ثم يمزج فيها الصل). والضرب (يفتح ففتح: الصل). لا سيما والدنيا قد صارت مكشوفة وأخلاق أهلها معروفة. فهناك يجب أن يهذر المرء أخواه.... والولي تكفيه الإشارة، وإن قصرت عن الغرض المطلوب العبارة..... » (راجع المرقبة العليا ١٠٤ - ١٠٥).

(٢) راجع المرقبة العليا ١٠٤، السطر الثالث وما بعده.

(٣) دخل عبد المؤمن بن علي مدينة مراکش وانتزعها من يد المرابطين سنة ٥٤١ هـ.

* وبين ضلوعي للصبابة لوعةً
 بجحمر الهوى تفضي علي ولا أفضي (١).
 جنى ناظري منها على القلب ما جنى
 فيما من رأى بعضاً يعين على بعض (٢).
 * لما رأيتك عين الزمان
 وأن إليك تحث الخطا (٣)،
 بكرت إليك بكور الغراب
 ورخت عليك رواح القطا (٤).

* ورأى أبو العباس الجراوي جريحاً أصيب بهم فقال:

حدتكَ نُشَابُ القِسيِّ لأن رأيتُ
 عينيك أمضى في الإصابة مقصداً (٥).
 فجتت عليك. ويا لها مما جنتت.
 لهفي عليك، فكم خشيت الحسد!

- وللجراوي (٢) في الغزل (المغرب ٢: ٢٦٩):

يوسف، يا بغيقتي وأنسي، صيرني مفرماً هواك.
 حويت قلبي، وأنت فيه. كيف حويت الذي حواك؟

٤-★★ زاد المسافر ٣٤ (٤٩-٥١) الوافي بالوفيات ٦: ٣٠٧-٣٠٨ تحفة القادم
 ٤٤٤؛ المطرب ٢٠٠؛ تكلمة التكملة ١٨٥ بغية الوعاة ١٣٠.

أخيل الرندي

١- هو أبو القاسم أخيل بن إدريس، كان في أول أمره كاتباً للمرابطين ثم اتخذه حمدن بن محمد كاتباً، وكان حمدن مستبداً بقرطبة. فلما استولى ابن غانية على قرطبة رجع أخيل إلى بلده رندة واستطاع أن يستبد بها مدة يسيرة. غير أن ابن غرون (وكان من رجال ابن حمدن) استولى على رندة فنجأ أخيل بنفسه إلى مالقة

(١) الصبابة: الحب. لوعة: حرقه..... - بحم الحبوب علي فأقبل حكمه وأنا لا أستطيع أن أحكم عليه.

(٢) عيني رأته فأحبتته فأصبحت معذباً فيه. ومن العجيب أن بعضي (عيني) جنت على بعضي (قلبي).

(٣) عين الزمان: خير الناس. (ورأيت) أن جميع الناس تسرع إليك (تطلب فضلك).

(٤) القطا طائر سريع الطيران.

(٥) النشاب جمع نشابة (بضم النون فيها): النبل (بفتح النون): السهام. القسي جمع قوس. السهام حدتك لأنها رأت أن عينيك (سهام عينيك) أشد إصابة للهدف منها.

لاجئاً إلى صاحبها (٢) ابنِ حَسُونِ.

ثم إن أخيلَ ذهبَ إلى مَرَآكشَ واتَّصلَ بالوزيرِ أبي جعفرِ بنِ عَطِيَّةَ (قتل ٥٥٣ هـ) فَعَطَفَ عليه أبو جعفرِ وردَ إليه ما كان قد نُهَبَ من أمواله. واستوطن أخيلُ مَرَآكشَ مدَّةً ثم وقعتَ بيته وبينَ السُّلطانِ عبدِ المؤمنِ وَخَشَةَ - لوشايةً نُقِلَتْ إلى عبدِ المؤمنِ زَعَمُوا فيها أن أخيلَ قال عن عبدِ المؤمنِ: كيفَ تَصِحُّ له الخِلافةُ وليسَ بِقُرْشِيٍّ! - فعاد إلى الأندلسِ. وقد تولَّى أخيلُ قضاءَ قُرطبةَ ثم قضاءَ إشبيلية. وكانت وفاته في إشبيلية سنة ٥٦٠ أو ٥٦١ هـ (١١٦٤ - ١١٦٥ م).

٢ - كان أخيلُ الرُنديُّ فقيهاً وشاعراً وناثراً مُتُرسِّلاً (لأنه كان يكتبُ في الدواوين) وتَغَلَّبَ السهولةُ على شعره ونثره معاً. ولكن ريباً تطلَّبَ التجنيسَ فلم يُحسِنه، كما قال في مدحِ السُّلطانِ عبدِ المؤمنِ بنِ عليٍّ:

ما الفخرُ إلا فخرُ عبدِ المؤمنِ. أثنى عليه كلُّ عبدٍ مؤمنِ.
ولا ريبَ في أن التجنيسَ هنا باردٌ. ولكن لما عرَّضَ أخيلُ بِمحمَّدِ بنِ سعدِ المعروفِ بابنِ مَرْدَنِيَشَ والثائرِ على الموحِّدين في الأندلسِ فقال:

أما ابنُ سعدٍ فهو أولُ مارقٍ. يا لَيْتَه بأبيه سعدٍ يكتني^(١).

ما قدرُ مُرسيَّةٍ وحُكمكُ نافذٌ. إن شئتَ من عَدَنِ لأرضِ المَعْدِنِ^(٢).

سُرَّ عبدُ المؤمنِ وقال له: أجدتُ. فقال أخيلُ مُرتجلاً بيتينِ من البحرِ والقافية:

من لي، أَميرَ المؤمنينِ، بمَوْقِيهِ هذا؟ وقولك لي: أجدتُ ولم تن^(٣)!

فلقد مدحتك خائفاً ألا يني لَني بما يُعني جميعَ الألسنِ^(٤).

(١) المارق: الخارج من الدين (الكافر). يا لَيْتَه..... هو لا يكتني بأبيه سعد لأنه يعرف أن سعداً ليس والده.

(٢) أرض المَعْدِن: انكلترا أو إسبانية (٢).

(٣) ونى يني: تمب (قصر).

(٤) لَني (بفتح فسكون): كلامي، لفتي. الألسن جمع لسان: لغة. يعني: يتعب، يجعل الإنسان عاجزاً.

٣ - مختارات من آثاره:

قال أخيلُ بنُ إدريسَ يُعاتبُ محبوبه:

شَتَانَ ما بَيْنِي وَبَيْنَكَ في الهوى : أنا أَبْتَفِيكَ وَأَنْتَ عَنِّي تَصْدِفُ^(١) .
وَإِذَا عَتَبْتِكَ وَارْعَوَيْتَ بَيْنِي لِي في الحينِ مِنْكَ بَأَنَّ ذَاكَ تَكْلُفُ^(٢) .
يا لَيْتَ شِعْرِي ، كَيْفَ يُقْضَى وَصَلْنَا؟ وَالعمرُ يَفْنَى وَالمواعِدُ تُخْلَفُ!

- وقال في المديح:

إِلَيْكَ أَخَذْتُ جِبَالَ الذِّمَامِ وفيكَ تَعَلَّمْتُ نَظْمَ الكَلَامِ^(٣) ،
فَأرسلتُهُ جَانِلاً كالرِّمَاحِ ، وَصَلْتُ بِهِ ثَانِراً كالْحِسامِ^(٤) .
وما كُنْتُ مِنْهُ ، وَلَكِنَّهَا أَيْسَادُ تُفَجِّرُ صَمَّ السِّلامِ^(٥) .
وَتُنْشِي الفِصُونَ عَلى هِزَّةٍ كَأَنَّ بِهَا سَكَراتِ المِدامِ^(٦) .
فَتَسِي المَكْرَماتِ تَصْدَى لها بِمُحْكَمِ الكُهولِ وَسِنَّ الفِلامِ .
وساقِي إلى المُسْلِمِينَ السِّقِي أنارتُ لَهُم في اعْتِكارِ الظلامِ .

- وقيل لأخيل، وقد هجره عبدُ المؤمن، اكتبَ إليه معذراً وبرهنَ على

براءتِكَ، فقال:

« ما يكونُ أميرُ المؤمنينَ هَجَرَنِي إلاَّ وَقَدْ صَحَّ^(٧) عِنْدَهُ (ما نقلَ إليه عَنِّي). ولا
(أريدُ) أنْ أُنْسِبَهُ في أَمْرِي لِلجَوْرِ^(٨) وَقِلَّةِ التَّثَبُّتِ . وَإِنَّا أُرْغَبُ في عَفْوِهِ وَرِحْمَتِهِ . »

- وله من رسالة (المغرب ٣٣٥):

- (١) أبتغيك: أريدك، أطلبك (أحبك). صدف: مال.
- (٢) إذا عتبتك (لنتك) وارعويت (رجعت عن هجري) بين (يظهر) لي في الحين (حالا).
- (٣) الذمام المهدي. إليك الخ: جعلت كل مودتي لك (٤).
- (٤) صال: سطا، قهر (هجم، قاتل).
- (٥) الأسم: الصلب (بالضم). السلام (بالكسر) جمع سلمة (بفتح فكسر): الحجر.
- (٦) المدام: الخمر.
- (٧) صح: ثبت). يرید الشاعر أن يجعل نفسه مذنباً على أن يجعل ظنَّ السلطان كاذباً.
- (٨) الجور: الظلم.

قد تَحْيَلْتُ أَنْ الهوى لا يبلغُ إلى هذا الحدِّ، كما تَحْيَلْتُ أَنْك لا تنتهي في الجفاء إلى هذا الإعراض والصدِّ. فَبِتُّ أَرْقُبُ الكواكبَ كَأَنِّي مُنْجَمٌ حاسبٌ، مُشِيداً لأفقي السماء - وقد تَحْيَلْتُ^(١) أَنِّي عَلِقْتُ بِقَمَرِهِ وقامِيتُ مِنْهُ أَشَدَّ العناء^(٢) :-

لو باتت عِنْدِي قَمَرِي ما بَتَّ أَرْعى قَمَرَكِ .
- ولأخيَلِ الرُنْدِيَّ في الخمر (المغرب ١ : ٣٣٥):

وَدِدْتُ أَنْ الأُدَامَ حِلُّ فأضْرِفَ الهَمَّ بالأُدَامِ^(٣) .
لكنَّني خائفٌ عِقَاباً مُجانِبٌ لَذَّةَ المَلَامِ .
يا لَيْتَنِي قد خُلِفْتُ من قَبْ لي حَرَموها بِالْفِ عامِ .

٤- ** المغرب ١ : ٣٣٥ - ٣٣٦، الحلة السيراء ٢ : ٢٤١ - ٢٤٥، نفع الطيب ٣ : ٢٤٩،
٤ : ٢٠٢ - ٢٠٣، الأعلام للزركلي ١ : ٢٦٥ (٢٧٨).

أبو بكر اليكبي

١- هُوَ أَبُو بَكْرٍ يَحْيَى بنُ عبدِ الجليلِ بنِ سَهْلِ اليكبيِّ نَسَبُهُ إلى بَكَّةَ (بالباء) وهي حِصْنُ شَمَالِ مُرْسِيَّةَ. أفرطَ اليكبيُّ في هِجاءِ أَهْلِ فاسَ فَلَفَّقَتْ عَلَيْهِ دَعْوَى بَدِينِ، فِيا قَيْلِ، وَسُجِنَ بِها. وكانت وفاته بُعِيدَ سَنَةِ ٥٦٠ هـ (١١٦٤ م).

٢- كانَ اليكبيُّ شاعراً له إجادَةٌ. ومُعْظَمُ شعرِهِ في الهِجاءِ، وفي هِجاءِ أَهْلِ فاسَ خاصَّةً، بِالْفَاطِمِ مُقَدِّعَةً. ويبدو أن شهرته كانت لوقوعه في أعراضِ الناسِ أَكْثَرَ منها لَجُودَةِ هِجائِهِ من ناحِيَةِ اللَّفَقَاتِ والصُّورِ الشِّعْرِيَّةِ.

٣- مختارات من شعره:

- قال اليكبيُّ يمدحُ المرابطين (وهم من بني لَمْتُونَةَ البربرِ)، ويُقال لهم المُلْتَمُون

(١) تحيّل أفق السماء.

(٢) العناء: التعب.

(٣) الدام: الخمر. حلّ: حلال.

لأن رجالهم يَصْعَمُونَ على أَوْجُهِهِمْ لِثَامًا:

قَوْمٌ لَهُمْ شَرَفٌ الْعُلَا فِي حِمِيرٍ، وَإِذَا انْتَمَوْا لِمَتُونَةَ فَهَمُّهُمْ!!
لَمَّا حَوَّوْا إِحْرَازَ كُلِّ فَضِيلَةٍ غَلَبَ الْحِيَاءُ عَلَيْهِمْ فَتَلَّثَمُوا!!

- ومن هجائه الذي يُمكنُ أن يُستشهدَ به:

إِنَّ الْمُرَابِطَ^(١) بَاخِلٌ بِنَوَالِهِ لَكِنَّهُ بَعِيَالِهِ يَتَكْرَمُ^(٢).
الْوَجْهُ مِنْهُ مُخَلَّقٌ بِقَبِيحٍ مَا يَأْتِيهِ فَهُوَ مِنْ أَجْلِهِ يَتَلَثَّمُ^(٣).
* قَصَدْتُ جَلَّةَ فَنَاسٍ أَسْتَرْزِقُ اللَّهَ فِيهِمْ^(٤).
فَمَا تَيْسَّرَ مِنْهُمْ دَفَعْتُهُ لِبَنِيهِمْ.

- وقال له فتى اسمه أَيْمَنُ: هَجَوْتَنِي. فقال:

أَيْمَنُ، لَمْ أَهْجُكَ. لَا، وَالَّذِي يَعْلَمُ مَا أَخْفَى وَمَا أَظْهَرُ.
إِنْ كُنْتُ فِي مَا قُلْتَهُ كَاذِبًا، كَفَرْتُ بِاللَّهِ كَمَا تَكْفُرُ،
وَحَلَّ بِي دَاوُكٌ - ذَاكَ الَّذِي إِنْ ذَكَرَ الْأَدْوَاءَ لَا يُذَكَّرُ.

٤- ** المغرب ٢: ٢٦٦ - ٢٧٠. زاد المسافر ١١٩ - ١٢٣، بغية المتنفس ٤٨٨ - ٤٨٩
(رقم ١٤٧٩)، المطرب ١٣٢ - ١٣٣، الخريدة (الأندلس) ٢: ٦٦٩، صلة الصلاة
١٧٧ - ١٧٨، نوح الطيب ٣: ٢٠٥ - ٢٠٦، ٣٣٤، الأعلام للزركلي ٩: ١٨٧
(٨: ١٥٢).

-
- (١) هنالك اعتقاد سائد بأن أصل البربر من حيمير (أهل اليمن). - هؤلاء عظام سواء أكان أصلهم من حيمير أو إذا اكتفوا بالانتساب إلى قبيلتهم لتوتة.
(٢) المرابط: المدافع عن حدود البلاد الإسلامية (وهنا: واحد المرابطين، البربر من لتوتة).
(٣) مخلَّق: مشكَّل على هيئة معينة.
(٤) الجَلَّة: كبار القوم.

عصر الموحدين

(نحو ٥٢٤ هـ إلى ٦٧٤ هـ)

لَمَاضِعُفَ أَمْرُ المَرَابِطِينَ قامَ رَجُلٌ يُدْعَى أَمْعَارَ بْنَ تومرتَ المَرْغِيَّ من قَبِيلَةِ مَصمودَةَ من أَهلِ السوسِ - وَيَسْمِيهِ أَتْبَاعُهُ أبا عَبدِ اللهِ مُحَمَّدَ بْنَ عَبدِ اللهِ بْنِ تومرتَ، وَيَذْكُرُونَ أَنَّهُ من نَسْلِ الحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - بِدَعْوَةِ للإِصْلاحِ في مَدِينَةِ تَيْبَمَلْ (في جَبالِ الأَطْلَسِ). وكان ابنُ تومرتَ هذا قد تَطَوَّفَ في البلادِ ووصلَ إلى بَغدَادَ. وَيَذْكُرُونَ أَنَّهُ لَقِيَ الفَرَّائِيَّ. وَلَكِنَّ الرَّاجِحَ أَنَّ ابنَ تومرتَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ قد وَصَلَ إلى بَغدَادَ في سَنَةِ ٥٠٠ هـ (١١٠٦ م) أو قَبْلَ ذلكَ مُدَّةَ سِيرَةٍ (ولم يَكُنِ الفَرَّائِيَّ، في ذلكَ الحِينِ، في بَغدَادَ - بل كان قد اعتزلَ في طوسَ بَارسَ). وَلَكِنَّ لا شَكَّ أبدأً في أَنَّهُ اتَّصَلَ بِنَفَرٍ من أَتْباعِ الفَرَّائِيَّ وَأَنصارِهِ، غَيْرَ أَنَّ تأثيرَهُ بَراءَ الفَرَّائِيَّ لم يَكُنْ فاصلاً. وَعِنْدِي أَنَّ الذينَ رَتَّبُوا هذهَ الروايةَ إِنما أرادوا أَنْ يُسَبِّغُوا على حَركةِ ابنِ تومرتَ شيئاً من الوِجاهَةِ، لِأَنَّ كُلَّ دَعْوَةٍ جَدِيدَةٍ مُحتاجَةٌ إلى صِلَةٍ بِحَركةٍ كانتَ مَعروفَةً من قَبْلُ وعلى شيءٍ من الثَباتِ في نُفوسِ الناسِ.

ولَمَعادَ ابنِ تومرتَ من رِحلَتِهِ في المَشرقِ وقامَ بِحَركَتِهِ ثم كَثُرَ أَتْباعُهُ سَمَّاهُمُ «المُوحِدِينَ» وَتَسَمَّى هو «المَهْدِيُّ بْنُ تومرتَ». بَعْدَئِذٍ أُرْسِلَ، سَنَةَ ٥١٧ هـ (١١٢٣ م)، جَيْشاً بِقِيادَةِ أَحَدِ أَتْباعِهِ المُخْلِصِينَ الأَشْداءَ - عَبدِ المَومِنِ بْنِ عَلِيٍّ الكُومِيَّ - لِقِتالِ المَرَابِطِينَ.

ثم تُوَفِّيَ المَهْدِيُّ بْنُ تومرتَ فَجأةً - وَقَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ الخَمْسِينَ من العُمُرِ، في الغالبِ - فَكَمَتِ أَتْباعُهُ خَبرَ موْتِهِ حَتَّى اتَّفَقُوا على خَلْفِ لِه. ولا ريبَ في أَنَّ خِلافَهُمُ كانَ حاداً بَيْنَ رُؤساءِ القَبائِلِ الكَبيرةِ، تلكَ القَبائِلِ التي لم يَرْضَ بَعْضُها أَنْ يُعَرَّ

لبعض بالتقدم والسيادة، فاتفقوا على ما يجري مثله، في مثل تلك الأحوال، على رجلي من قبيلة غير قوية هو عبد المؤمن بن علي. ولقد كان من الأسباب التي ساعدت على اختيار عبد المؤمن أنه كان من المُقربين إلى المهدي بن تومرت وأنه كان ذا سابقة في الجهاد في سبيل قيام الدولة التي دعا المهدي بن تومرت إلى قيامها.

أخضع عبد المؤمن قبائل المغرب وطهر سواحل إفريقيا من النورمان ثم جاز إلى الأندلس واستولى على مدنها من أيدي بقايا المرابطين ومن أيدي الإسبان أيضاً. ولما توفي عبد المؤمن (٥٥٨ هـ = ١١٦٣ م) كان حكم الموحدين قد توطد في المغرب وفي الأندلس. وكان أعظم سلاطين الموحدين أبو يعقوب يوسف حفيد عبد المؤمن والمعروف بلقب المنصور الموحدي، وكان معاصراً للسلطان صلاح الدين الأيوبي.

وفي أيام المنصور الموحدي وصل بنو هلال وبنو سليم إلى المغرب. وأستنجد صلاح الدين بالمنصور الموحدي فلم يستطع المنصور إنجاده لأن يديه كانتا مقلولتين بالجهاد في الأندلس.

وفي سنة ٥٩١ هـ = ١١٩٤ كانت حشود عظيمة من الصليبيين آتية إلى المشرق فنزلت على سواحل الأندلس واشتركت مع ألفونس الثامن ملك قشتالة في قتال مسلمي الأندلس وأكثروا القتل والتدمير. فجاز المنصور الموحدي إلى الأندلس، في تلك السنة نفسها، وقاتل الإسبان والفرنجية في معركة الأرك وانتصر نصراً مبيهاً كالنصر الذي حازه يوسف بن تاشفين في معركة الزلاقة.

ولما توفي المنصور الموحدي (٥٩٥ هـ = ١١٩٩ م) خلفه ابنه محمد الناصر. ثم اشتد أذى الإسبان على المسلمين في الأندلس فجاز الناصر، سنة ٦٠٢ هـ، وقاتل الإسبان في معركة العقاب في موضع يُعرف بمحض العقبان، ولكن المسلمين انهزموا. ثم جاء بعد الناصر ابنه يوسف المنتصر (٦١٠ هـ = ١٢١٣ م). ولما ألح الإسبان على المسلمين في الأندلس أمر المنتصر الولاة الموحدين على الأندلس بحاربة الإسبان فوقعت المعركة في قصر أبي دانس وانهزم المسلمون فيها هزيمة كالهزيمة في معركة العقاب. وقد دلت هذه المعركة على ذهاب قوة الموحدين وعلى ضعف أمر المسلمين في الأندلس.

الحفصيون والمرينيون وبنو عبد الواد.

كانَ عبدُ الواحدِ الحفصيّ والياً للموحّدين على تُونِسَ، فلَمَّا تَوَفِّيَ، سَنَةَ ٦١٨ هـ (١٢٢١ م)، خَلَفَهُ ابْنُهُ عبدُ الرحمنِ ثمَّ ابْنُهُ الآخرُ عبدُ الله (سنة ٦٢٠ هـ). ثمَّ جاءَ أبو زكريّا يحيى بن عبد الواحد وأمرُ الموحدّين في إذبار فأعلن استقلاله ونازع الموحدّين، ثمَّ نازع بني مرين حتّى امتدَّ مُلْكُهُ من طَنْجَةَ في الشّمال إلى سِجِلْمَاسَةَ في الجَنُوبِ. وأغزى أبو زكريّا الحفصيّ جيشاً إلى الأندلس، ولكن لم يَنْلُ مَرَاماً. وقد كانَ أبو زكريّا الحفصيّ أعظمَ الحفصيّين، وهو الذي بنى، في تونِسَ، جامعَ القصبَةِ وصومَعَتَهُ الجميلةَ وبنى سوقَ العَطَارِينِ وكثيراً من المساجِدِ والمدارسِ. ولَمَّا تَوَفِّيَ (٦٤٧ هـ = ١٢٤٩ م) كانتْ أمورُ بني حَفْصٍ قد تلاشت.

أما بنو مرين فكانوا يَنْزِلُونَ في بلادِ القِبْلَةِ ما بينَ الزابِ وسِجِلْمَاسَةَ (في المغرب الأقصى). فلَمَّا ضَمَّتْ الموحدّون، بعدَ وقعةِ العُقَابِ انتشرَ بنو مرين في المغرب بقيادة رئيسِهِم عبد الحقِّ بن محبو، لكنَّهُ قُتِلَ في حَرْبِ زِنَاةِ (٦٣٨ هـ = ١٢٤٠ م). وكانَ أعظمَ ملوكِ بني مرين يعقوبُ المنصورُ المريني فقد اتَّسعَ مُلْكُهُ من فاس إلى سلا قُربَ الرِّباطِ وسِجِلْمَاسَةَ ثمَّ إلى وادي أمِّ الربيعِ جَنُوباً. وقد جاز المنصورُ الرينيُّ إلى الأندلس أربع مراتٍ سيأتي الكلامُ عليها في الكلامِ على بني الأحمر. وفي سَنَةِ ٦٥٨ هـ (١٢٦٠ م) استولى الإسبان على مَرَفَا سَلا فأخرجَهُمُ المنصورُ منه ثمَّ حَصَّنَهُ.

وأما بنو عبد الوادِ فكانوا وُلَاةً للموحّدين على المغرب الأوسط. فلَمَّا ضَمَّتْ الموحدّون أسس جابرُ بنُ يوسفَ دولةَ بني عبد الوادِ، سَنَةَ ٦٢٧ هـ (١٢٣٠ م). وفي سَنَةِ ٦٣٣ هـ استقلَّ يَمْرَاسُ بنُ زِيَانَ بالمغرب الأوسط واتَّخذَ تِلْمَسَانَ عاصمةً، ولكنَّ الحربَ ظَلَّتْ سِجالاً بينه وبين الحفصيّين أصحابِ تونِسَ وبين المرينيّين أصحابِ المغرب الأقصى. وفي سَنَةِ ٧٣٧ هـ (١٣٣٦ م) استولى بنو مرين على تِلْمَسَانَ وزالتْ دولةُ بني عبد الوادِ.

وعظمتْ شهرةُ المنتصر بالله الحفصيّ الأولِ، وهو أبو عبد الله محمدُ بنُ أبي زكريّا (٦٤٧ - ٦٧٥ هـ) في المغرب كُلِّهِ وفي الأندلس أيضاً، واستبحرت في أيامه الحضارةُ وكثُرَ العُمَرَانُ.

ولماتت ابنت المارك على الإفرنج الصليبيين في المشرق أراد البابا وملوك أوروبا أن يحرزوا شيئاً من النصر في المغرب فأقنموا لويس التاسع ملك فرنسا بأن يقود حملة صليبية على تونس فجاء على رأس أربعين ألف جندي ونزل على الشاطئ التونسي فتصدى له أهل تونس، وسارعت إلى نجدة التونسيين قبائل من المغرب الأوسط (القطر الجزائري). وبعد حرب اتصلت ستة أشهر هلك لويس التاسع، في العاشر من المحرم من سنة ٦٦٩ (١٢٧٠/٨/٢٩ م) وهلك معه معظم جيشه.

ظل الموحدون في نزاعٍ وقاتل حتى زالت سلطتهم عن الأندلس. ثم قوي أمر بني مرين فقاتلوا الموحدون وساروا على مراكش. وقد تصدى لهم الملك أبو العلاء إدريس المريني المعروف بلقب أبي دبوس ولكنه قتل في المعركة (٦٦٨ هـ = ١٢٦٧) ودخل المرينيون مراكش. وانسحب الموحدون إلى تينمل وبيعوا فيها إسحاق بن أبي إبراهيم. وفي سنة ٦٧٤ هـ قبض السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني على إسحاق ابن أبي إبراهيم وقتله فانقرضت بمقتله دولة الموحدون.

ولمابداً أمر بني حفص يضعف بتنازع أمراء البيت المال كقاد أبو الحسن المريني جيشاً كبيراً، سنة ٧٤٨ هـ (١٣٤٧ م) وانتزع قسنطينة من يد الحفصيين ثم استولى على عاصمتهم تونس. غير أن أبا الحسن المريني أساء السيرة فثارت عليه فتنة شديدة فاضطر إلى الرجوع عما كان قد استولى عليه (٧٥٠ هـ).

أما أعظم سلاطين الدولة الحفصية فكان أبا فارس عزوزاً (عبد العزيز) فإنه وسع ملكه ووطد الأمن فيه وسالمة بنو مرين وابعه أهل الأندلس وأطاعه أهل المغرب كلهم. وبعد وفاة أبي فارس عزوز الحفصي (٨٣٧ هـ = ١٤٣٤ م) بدأت أمور الدولة الحفصية بالفساد.

الحياة الاجتماعية في عصر الموحدون...

اتخذ الموحدون اسمهم من الرغبة في « التوحيد » بالاعتصار في أمور الدين على ما جاء في القرآن الكريم والحديث الشريف، فهم في ذلك سلفيون لا ينتمون إلى مذهب من المذاهب التي كانت قد نشأت من قبل. وقد نهى يعقوب المنصور (٥٨٠ -

٥٩٥ هـ) عن الإفتاء إلا بالكتاب والسنة، وأباح الاجتهاد لمن اجتمعت فيه شروط الاجتهاد (من العلم والعدالة والمعرفة بالأصول التي تستخرج بها الأحكام). كما نهى عن التقليد وعن الأخذ بالأمر الخلافية (اختلاف الفقهاء في فروع الفقه والجدال في تقديم وجه على وجه منها).

وكان الناس في أيام الموحدين - منذ بدء حركتهم على يد المهدي بن تومرت - ثلاث طبقات هي: السابقون الأولون (الذين كانوا أنصار المهدي بن تومرت في حركته وفي أيامه) ثم الأتباع (الذين جاءوا بعد ابن تومرت أو لم يكونوا قد اتصلوا به) ثم العامة (وهم جمهور الناس). وخص أعضاء الأسرة المالكة من أبناء عبد المؤمن ابن علي - أول سلاطين الموحدين - أنفسهم بلقب «السيد».

واتسمت مرافق الدولة في أيام الموحدين وخصوصاً في القضاء والوزارة وفي نظام الجيش والأسطول. بلغ جيش الموحدين نحو نصف مليون جندي تامي العدة والشارات (بالإضافة إلى زمنه) وكان يجري عرضه (استعراضه) مرة بعد مرة، كما بلغ العدد في مراكب الأسطول إلى أربعمائة مركب.

غير أن عصر الموحدين لم يخل من منغصات كانتشار البدو في أقطار المغرب. ومع أن البدو (من عرب بني هلال وبني سليم وغيرهم) كانوا قد جاءوا إلى المغرب منذ أواسط القرن الخامس للهجرة (أواسط القرن الحادي عشر للميلاد) فإنهم ظلوا إلى ذلك الحين رحلاً (ينتقلون من مكان إلى مكان). ثم بدأوا في أيام الموحدين يستقرون في الأرض. وكان نفر من الثائرين أو الناقمين على الدولة يستخدمون أولئك البدو في العصيان على سلطة الموحدين. ومنذ السنة الأولى لحكم السلطان يعقوب المنصور (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ) ثار يحيى بن إسحاق بن غانية - وهو من بني غانية ومن أقارب سلاطين المرابطين - في إفريقية (القطر التونسي) وفي طرابلس (الجانب الغربي من ليبيا اليوم) ودعا للخليفة العباسي أحمد الناصر لدين الله (٥٧٥ - ٦٢٢ هـ).

وقد اتسع العمران في أيام الموحدين، وخصوصاً في أيام يعقوب المنصور، فإنه بنى المساجد والقلاع والمستشفيات (للمرضى وللمجانين) وبنى القناطر (الجسور)

والأقنية لجرّ المياه وحَفَرَ الآبَارَ وأجرى على الفقهاء وطلّبة العلم مُرْتَبَاتٍ. ومن آثارِ يعقوبَ المنصورَ الجامعَ الأعظمَ في مَرَاكُشَ والمِثْدَنَةُ المعروفةُ باسمِ «الكَتُّبِيَّةِ». ثمّ إنّه أنشأ مدينةَ الرِّباطِ (أورِباطِ الفتح) لتكوّنَ مركزاً لتجمّع الجنودِ إذا أرادَ الموحدونَ الجَوازَ إلى الأندلسِ للدِّفاعِ عنها في وَجْهِ الإسبانِ. وبنى يعقوبُ المنصورُ في مدينةِ سَلا، على مسافةٍ سيرةٍ من الرِّباطِ الجامعَ الأعظمَ والمدرسةَ التابعةَ للجامعِ، كما بنى في ظاهرِ مدينةِ الرِّباطِ جامعَ حَسَّانِ ومِثْدَنَتَهُ الجميلةَ. وهذا الجامعُ اليومُ بقايا من الأعمدةِ ما عدا الصَّومِعةَ (المِثْدَنَةُ) التي لا تزالُ قائمةً إلّا شيئاً سيراً من أعلاها. وقد أتمَّ يعقوبُ المنصورُ جامعَ إشبيلية (الأندلس) ومِثْدَنَتَهُ التي هي طِرَازٌ رائعٌ من العظمةِ والرُّخْفِ، وارتفاعها خمسةٌ وتسعونَ متراً.

... وفي أيامِ المرينيين

(٥٩٢ هـ = ١١٩٦ م وما بعد).

كان بنو مرينٍ فخذاً من زِنَاةَ (تصنيف «جانا»: وهو جدُّهم الأعلى)، وكانت حياتهم بدويّةً ومساكنهم، في الأكثرِ خياماً، وكانوا يَرْحَلُونَ من مكانٍ إلى آخرٍ ويعتنون بتربيةِ الإبلِ والخيلِ. من أجل ذلك يبدو أن آثارهم الحضارية لم تكن كثيرةً برغمِ الثروةِ العظيمةِ التي كانت في أيديهم، وهذا، كما يقولُ عبدُ الرحمن بنُ محمد الجليلي (تاريخ الجزائر العام ٢: ٨٩) صعبُ التعليلِ. ومع هذا كلُّه فنحن نجدُ في المغربِ وفي الجزائرِ أيضاً عدداً من المنشآت التي ترجعُ إلى أيامِ بني مرينٍ وتنصفُ بمجالها وقيمتها الأثرية. من ذلك مثلاً المدينةُ البيضاءُ (فاسُ الجديدة) التي يرجعُ زمنُ بنائها إلى أيامِ يعقوبَ بنِ عبدِ الحقّ (٦٥٦ - ٦٨٥ هـ) خامسِ سلاطينِ بني مرينٍ، إلى جانبِ عددٍ من المدارس والمساجد والأبراج. وفي «تاريخ الجزائر العام» (٢: ٨٧ - ٩٥) تفاصيل لأوجهِ من الحضارة والثقافة تنطبقُ بشيءٍ من الرقْمِ ولكنها لا تبلغُ إلى أن تكونَ وافيةً باتِّساعِ مُلْكِ بني مرينٍ وبِعظَمِ الثروةِ التي اجتمعت في خزائنها.

... وفي أيام الدولة الحفصية

(٦٢٥ هـ = ١٢٢٨ م وما بعد).

بدأ الحفصيون، وهم أحفاد أبي حفص عمر بن يحيى الهنتائي الحفصي أحد أنصار عبد المؤمن بن علي الموحدي، ولاية للموحدين على تونس، قام بذلك منهم ثلاثة هم الشيخ عبد الواحد (٦٠٣ - ٦١٨ هـ) ثم أبناءه من بعده عبد الرحمن ثم عبد الله عبو (٦٢٠ - ٦٢٥ هـ). ولما جاء ثالث أبناء الشيخ عبد الواحد - وهو أبو زكريا يحيى - إلى ولاية تونس، سنة ٦٢٥ هـ، في حديث طويل، كان أمر الموحدين في تراجع، فأعلن استقلاله عن الموحدين، وهو - في الحقيقة - مؤسس الدولة الحفصية.

وتمتعت الدولة الحفصية، في تونس بجزء وقوة، ثم اتسع ملكها اتساعاً كبيراً، ولكن غلب على رجالها وعلى تمدنها الاتجاه البربري في الحياة (البدوية)، كما غلب عليها سوء الإدارة. غير أن الحفصيين عادوا فساروا في طريق الحضارة والثقافة شوطاً بعيداً. فمنذ أيام ولايتهم قربوا الشعراء. ثم إن أبا زكريا يحيى أنشأ المساجد والمدارس والمكتبات وقصده الشعراء، كما كان هو نفسه أيضاً كاتباً شاعراً. وهو الذي بنى جامع القصبة (القلعة) وصومعته الجميلة. ولما انتهى بناء هذا الجامع (غرة رمضان ٦٣٠ : ١١/٦/١٢٣٣ م) أذن فيه السلطان أبو زكريا بنفسه.

وجاء بعد أبي زكريا يحيى ابنه محمد المستنصر بالله (٦٤٧ - ٦٧٥ هـ) - وكانت الخلافة العباسية في بغداد قد سقطت (٦٥٦ هـ = ١٢٥٨ م) على يد هولاكو المغولي، فأرسل أمير مكة أبو نعيم محمد بن علي (٦٥٢ - ٧٠١ هـ) إلى المستنصر الحفصي بمبايعة أهل مكة والمدينة، سنة ٦٥٧ هـ، فسر المستنصر بذلك سروراً بالغاً واحتفل بذلك اليوم احتفالاً عظيماً وتلقب بلقب أمير المؤمنين، إذ كانت الخلافة العباسية قد سقطت ثم كان هو أكبر سلاطين المسلمين في زمانه. وكذلك هاداه ملك برنو (وبرنو سلطنة في أواسط السودان أهلها مسلمون).

وعاش بنو حفص في الملك مدة طويلة بعد المستنصر، ولكن تلك المدة تخرج من نطاق هذا الفصل الذي خصت به دولة الموحدين.

العلوم الدينية عامة

كثُرَ التَّأليفُ في علوم القرآن والحديث والفقهِ لِمَيْلِ الموحِّدين إلى التوسُّعِ في هذه العلوم. فمن علماء هذه الحِقْبَةِ أبو القاسم محمدُ بنُ فيرُ الشاطبيِّ (٥٣٨ - ٥٩٠ هـ) وكان عالماً بكتاب الله تعالى قراءةً وتفسيراً ومحدثٍ رسولِ الله، اشتهر بمنظومته «الشاطبية» أو «حرز الأمانى ووجه التهاني» (وهي ألف ومائة وثلاثة وسبعون بيتاً) نظم فيها الشاطبيُّ القواعدَ التي وردت في كتاب «التييسر» لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (٣٧٠ - ٤٤٤ هـ) في القراءات. وكذلك نظم الشاطبي قصيدة دالية في خمسمائة بيتٍ لخص فيها كتاب «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد» لابن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ). وكتاب «التمهيد» هذا يقع في سبعين جزءاً رتَّبَ فيها ابنُ عبد البر أسماءَ شيوخ مالكٍ على حروف المُعجم. وللشاطبي أيضاً تفسيرٌ للقرآن - ناظمة الأزهار في عدد آيات القرآن - عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد، الخ (وللشاطبي في هذا الجزء ترجمة مفردة).

ومن المُفسِّرين في هذا العصر أبو عبد الله عليُّ بنُ أحمدَ الحرالي المراكشي (ت في حِصَّة ٦٣٧ هـ) وابنُ خليلٍ العشابُ الإفريقي (ت ٦٣٧ هـ) وأبو إسحاق إبراهيم بنُ محمدٍ الإشبيلي (ت ٦٥١ هـ) له كتاب في تجويد القرآن ومخارج الحروف.

ولابن فرح الإشبيلي - شهابُ الدين أبو العباس أحمد بن فرح بن محمد - مولده في إشبيلية، سنة ٦٢١ هـ (وقيل ٦٢٥) ووفاته في تاسع شعبان من سنة ٦٧١ (١٢٧٣/٤/٢٩ م) - وقيل ٦٩٩ - له: «جامعُ أحكام القرآن» و«قصيدة غَزَلٍ في ألقاب الحديث» (دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٦٣؛ بروكلمن ١: ٥٢٩، الملحق ١: ٧٣٧).

الحديث خاصة

أما في الحديث فهنالكَ أبو عبد الله محمدُ بنُ عليِّ الجبَّار (ت ٥٦٣ هـ) له كتاب الأربعين من رواية الحمدين ثم هنالك أبو إسحاق إبراهيم بن قرقولٍ أو ابن قرقول (ت ٥٦٩ هـ) وكان من المتحقِّقين بعلوم الحديث؛ وأبو حفص محمدُ بنُ عبد الحميد

المياشي (ت ٥٧٩ هـ) له كتاب «مالا يسعُ المحدثين جهله»؛ ثم عبدُ الحق بنُ عبدِ الرحمن بنِ الحَرَّاطِ الإشبيلي (ت ٥٨١ هـ) كلن حافِظاً للحديث عالماً بَمَلِّهِ ورجاله وفتياً، له: الجمع بين الصحيحين (صحيح- مُسلم وصحيح البخاري) - الأحكام الكبرى - الأحكام الوسطي - الأحكام الضغرى - كتاب الجمع بين المصنّفات الستة - كتاب المعتلّ من الحديث - كتاب الزقاق.

وفي هذا الباب أيضاً محمدُ بنُ عبدِ الله القزطبيُّ (ت ٦٢٩ هـ) له موجز كتاب «التمهيد» لابن عبد البرِّ؛ وأبو الربيع الكِلَاعيُّ (ت ٦٣٤ هـ) وأبو المكارم محمد بن محمد بن مُسدي القُرَناطي (ت ٦٦٣ هـ) له كتابٌ عنوانه «الأربعون المختارة في فضل الحج والزيارة» (الأعلام للزركلي ٨ : ٢٤ و٧ : ١٥٠).

الفقه

وفي أيام المنصور الموحدي (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ) تُركت دراسةُ فروعِ الفقه (لما كان فيها من الآراء المختلفة في مُفردات العبادات وأوجه المعاملات) فقد أمر المنصور بإحراق كتب المذهب (المالكي) بعد أن يجرد ما فيها من الآيات والأحاديث. قال عبد الواحد المرّاكشي (في المعجب): «فأحرقَ منها جُملةً في سائر البلاد، كمُدونة سحنون وكتاب ابن يونس ونوادِر ابن أبي زيد ومختصره وكتاب التهذيب للبرادعي وواضحة ابن حبيب وما جانس هذه الكتب ونحوها..... وتقدّم (المنصور) إلى الناس في تركِ الاشتغال بعلم الرأي والخوض في شيء منه وتوعّد على ذلك بالمُعقوبة الشديدة. وأمر جماعة ممن كان عنده من العلماء المحدثين بجمع أحاديث من المصنّفات العشرة في الصلاة وما يتعلّق بها - على نحوِ الأحاديث التي جمعها محمدُ بنُ تومرت في الطهارة. فأجابوه إلى ذلك وجمعوا ما أمرهم بجمعه فكان يُمليه بنفسه على الناس ويأمرهم بحفظه. وانتشرَ هذا المجموعُ في جميع المغرب وحَفِظَه الناسُ من العوامِّ والخاصة..... وكان قصدهُ في الجملة مَحْوُ مذهبِ مالك وإزالتَهُ من المغرب مرةً واحدة وحَمَلِ الناسِ على الظاهر من القرآن والحديث. وهذا المقصد بعينه كان مقصدَ أبيه وجده، إلا أنها لم يُظهرا وأظهره يعقوبُ هذا..... قال الحافظ أبو بكرٍ

ابن الجَدِّ... « لما دخلتُ على أمير المؤمنين أبي يعقوب * - أول دخلة دخلتها عليه - وجدتُ بين يديه كتابَ ابنِ يونسَ. فقال لي: يا أبا بكرٍ، أنا أنظرُ في هذه الآراءِ المشعِبةِ التي أُحدِثتُ في دينِ الله! رأيتُ، يا أبا بكرٍ، المسألةَ فيها أربعةَ أقوالٍ أو خمسةَ أقوالٍ أو أكثرُ من هذا؟ فأني هذه الأقوالُ هو الحقُّ؟ وأيُّها يجبُ أن يأخذَ به المقلِّدُ؟ فافتتحتُ أُبينُ له ما أشكلُ عليه من ذلك. فقال لي - وقطعَ كلامي - يا أبا بكرٍ، ليس إلَّا هذا (وأشارَ إلى المصحفِ) أو هذا (وأشارَ إلى سننِ أبي داود، وكان عن يمينه) أو السيفُ! » (ص ٢٠١ - ٢٠٣).

ومن فقهاء هذا العصر أحمدُ بنُ محمدِ بنِ خلفِ الحنَفي القلَمي الإشبيلي (ت ٥٨٨ هـ)، له كتابُ في الفرائض (تقسيم الإرث)، وأبو الوليد هشامُ بنُ عبدِ الله بنِ هشامٍ (ت ٦٠٦ هـ) له كتابُ « مفيد الحكام »، وأبو عبدِ الله بنِ عيسى بنِ أصبغ القرطبي (ت ٦٢٠ هـ) وعبدُ السلام بنُ غالبِ المِسرَقي (بكر فسكون) اللبِّي المعروفُ بابنِ غلابٍ (ت ٦٤٨ هـ)، له كتابُ « الوجيز » (في الفقه المالكي)، وأبو العباس أحمدُ بنُ عمَرَ القرطبيُّ (ت ٦٥٦ هـ)، له « كشف القناع عن حكم الوجود والسَّاع » (في التصوِّف؟) وشرحُ صحيحِ مُسلمٍ. ولأبي البقاء صالح بن شريف الرُنديِّ الشاعر (ت ٦٨٤ هـ) أرجوزةٌ في الفرائض.

وهناك أبو إسحاق إبراهيم بنُ أبي بكرِ التِّلِمَسانيِّ (ت ٦٩٠ هـ) له المنظومةُ التِّلِمَسانيةُ (في الفرائض: الإرث؟) - وقد شَرَحَها كثيرون، وله أيضاً نتائجُ الحَيِّرِ ومُزيلةُ الغيِّرِ في نَظْمِ المَغازي والسيِّرِ (بروكلمن الملحق ١: ٦٦٦). وكذلك نجدُ في القرنِ السابعِ أيضاً أبا عبدِ الله محمدَ بنَ موسى بنِ النُّعَمانِ الفاسيِّ المراكشيِّ المِزاليِّ، له كتابُ النورِ الواضحِ.

ونذكرُ من فقهاء الإباضية، في عصرِ الموحِّدين، أبا زكريا يحيى بنَ الحَثيرِ الجنووبيِّ من أهلِ جبلِ نفوسة (بروكلمن، الملحق ١: ٦٩١)، له كتابُ « الوَضْع » (في فروع الفقه) ثم كتابُ النِكَاحِ والطلاقِ. وهناك أيضاً من هؤلاء أبو يعقوبَ يوسفَ ابنِ إبراهيمِ بنِ مِيَادِ السِدرَاقِيِّ الوَرْغَلاقيِّ (ت ٥٧٠ هـ)، له: الدليلُ لأهلِ العقولِ (٩)

* كذا في الاصل. اقرأ: يعقوب.

لباغي السبيل بما (هو؟) الدليل لتحقيق مذهب الحقّ بالبرهان والصدق ثم له أيضاً ترتيباً مُسنّداً الربيع بن حبيب بن عمرو الفراهيديّ البصريّ (بروكلمن، الملحق ١ : ٦٩٢).

الفلسفة والتصوف

وبلغت الفلسفة والصوفية في العصر الموحدى ذروتَيْها.

أما في الفلسفة فيكفي أن نُشيرَ هنا إلى ابنِ طُفَيْل (ت ٥٨١ هـ) وإلى ابنِ رُشَيْد (ت ٥٩٥ هـ) ولهما تَرْجَمَتان مُفْرَدَتان. ثم جاء بعدها ابنُ طُملُوسَ (ت ٦٢٠ هـ) وكانت له شروحٌ على عددٍ من كتب أرسطو في المنطق. وقد بقيَ منها «المُدْخِلُ إلى صناعة المنطق» نشره آسِن بالاثيوس (مدريد ١٩١٦ م). ولقد تأثرَ ابنُ طُملُوسَ بأبنِ رُشَيْدٍ خاصّةً، إذ كان تلميذاً له (أخذاً عنه)، كما تأثرَ بكتبِ الفارابيّ وبكتبِ الفِرْزَالِيّ على الأخص. وأسْتَعْرَضَ ابنُ طُملُوسَ حالَ الفلسفة مع الناس عامّةً ومعَ الفقهاء خاصّةً ثم قال:

«.... ولَمَّا آمَتَدَتِ الأيَّامُ وَهَلَّ إلى هذه الجزيرة (الأندلس) كُتِبَ أي حامد الفِرْزَالِيّ مُتَفَنِّئَةً. ففَرَعَتْ أَسْمَاعُهُمُ بأشياءَ لم يألُفوها ولا عَرَفوها، وبكلامٍ خرجَ بهم عن مُعتادِهِم من مسائلِ الصوفية.... فبَعُدَتْ عن قَبولِهِم أَذْهَانُهُم ونفرت منه نفوسُهُم، وقالوا: إن كان في الدنيا كُفْرٌ وزندقةٌ فهذا الذي في كتبِ الفِرْزَالِيّ. وأجمَعوا على ذلك وأجتمَعوا للأَميرِ إذ ذاك وحلوه على أن يأمرَ بحرقِ هذه الكتبِ المنسوبةِ إلى الضلالِ بزعمِهِم، فأحرقَت كتبُ الفِرْزَالِيّ وهُم لا يَعْرِفون ما فيها.... ثم لم تكن تمتدّ الأيَّامُ إلَّا قليلاً حتى جاء اللهُ بالإمامِ المهديّ، رَضِيَ اللهُ عنه، فبانَ للناسِ ما كانوا قد تحيَّروا فيه. وَنَدَبَ الناسَ إلى قراءةِ كتبِ الفِرْزَالِيّ، رحِمَهُ اللهُ، وعُرفَ من مذهبِهِ أنه يُوافِقُهُ. فأخذَ الناسَ في قراءَتِها وأعجَبوا بها وبما رأوا فيها من جودَةِ النِّظامِ والترتيبِ (مِمَّا) لم يَرَوْا مِثْلَهُ في تَأليفِ (آخَرَ). ولم يَبْقَ في هذه الجهاتِ مَنْ لم يَغْلِبْ عليه حُبُّ كُتُبِ الفِرْزَالِيّ إلَّا مَنْ غَلَبَ عليه إفراطُ الجُمُودِ من غِلاَةِ المُقلِّدين، فصارتْ قراءَتُها شرعاً وديناً بعدَ أن كانت كُفْراً وزندقةً. فلما رأيتُ هذا الذي ذكرتهُ - وما جرى عليه أمرُ الناسِ في القديم والحديثِ، مِنْ إنكارِهِم أولاً ما أسْتَحْسَنوه آخِراً - قلتُ في نفسي:

ولعلّ صناعة المنطق هكذا يكون حُكْمُها: تُنكَّرُ أولاً وتُستعمل آخراً.... تشوّتُ
إلى معرفتها.....» (بالنشيا ٣٦٢ - ٣٦٦).

وكان السلطان يعقوب المنصور شديد الرغبة في علوم الفلسفة. فلما أراد الجواز
إلى الأندلس لقتال الإسبان الذين كانوا يُلحون بالاستيلاء على المدن الأندلسية من
أيدي المسلمين، أنبى الفقهاء له ثم جعلوا يُبْطِطون الناس عن الانضمام إلى جيش
سلطان يقربُ إليه الفلاسفة ويشغل بعلومهم المخالفة للدين. فأضطر المنصور إلى
ترضي الفقهاء فأظهر التبرؤ من الفلسفة وأهلها ونفى الفيلسوف ابن رشد إلى
أليسانة (وكان معظم أهلها من اليهود)، ثم تقدّم إلى الناس بترك هذه العلوم جملةً
واحدةً. ثم إنه أمر « بإحراق كتب الفلسفة، إلّا ما كان من الطبّ والحساب وما
يُتوصّل به من علم النجوم إلى معرفة أوقات الليل والنهار وأخذ سنّ القبلة.
فانتشرت هذه الكتب في سائر (جميع) البلاد وعُمل بمقتضاها » (المعجب ٢٥٥).

وعبأ المنصور جيشاً عظيماً وجاز إلى الأندلس وواقع الإسبان في معركة الأرك
(سنّة ٥٩١ هـ؛ نفع ١: ٤٤٣) وأنتصر أنتصاراً باهراً. « ثم لما رجّع إلى مرّاكش نزع
عن ذلك كلّ وجنح إلى تعلّم الفلسفة وأرسل يستدعي أبا الوليد (ابن رشد) من
الأندلس إلى مرّاكش للإحسان إليه والعمو عنه فحضّر أبو الوليد - رحمه الله - إلى
مرّاكش.....» (المعجب ٢٢٥).

ومن المتصوّفة في هذا العصر أبو مدين شعيب بن الحسين الأندلسي^(١) (٥٢٠ -
٥٩٤ هـ)، أصله من قطنبانية (قرب إشبيلية) بدأ حياته حائكاً ثم مالت نفسه إلى
العلم. أنتقل إلى المغرب وسكن فاس وأخذ التصوّف عن أبي يعزى (يعزّة) الحرمزي
وعن علي بن حرزهم وعن الدقاق الذي ألبسه الحرقة (أجازه بسلوك طريق التصوّف
مُنفرداً). ورَحَلَ أبو مدين وحجّ ولعلّه اجتمع في مكّة بعبد القادر الجيلاني وبنفّر من
أتباع الغزالي فرجع متأثراً جداً بأراء الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) والجيلاني (ت ٥٦١ هـ)

(١) راجع: عنوان الدراية ٥٥ - ٦٥، نيل الانتهاج ١٢٧ - ١٢٩، العربي ٦٩/١٢ ص ١١٠٦، الأصل ٤
٢٦:٤ ص ١٢٨٤، دائرة المعارف الإسلامية ١: ١٣٧ - ١٣٨، الأعلام للزركلي ٢٤٤:٣ (١٦٦).

الصوفيّين. ولما عاد أبو مدّين إلى المغرب استقرّ في بجاية. ثم إنَّ المنصورَ الموحديّ دعاه إلى مرّاكش فلبّى الدعوة، ولكنه مرّض في أثناء الطريق وتوفّي قُرب تلمسان، سنة ٥٩٤ هـ (١١٩٧ - ١١٩٨ م)، وله إلى اليوم مقامٌ ومسجدٌ في إحدى ضواحي تلمسان.

ومن أقوال أبي مدّين: لا يصلحُ سماعُ هذا العِلْمِ (علمِ التّصوّف) إلا لمن جُمِعَتْ له أربعة: الزُّهدُ والعِلْمُ والتوكّلُ واليقين - من تملقَ بدعوى الأمامي لم يفارق التواني - من لم يجد في قلبه زاجراً فهو (قلبه) خرابٌ - من عرفَ نفسه لم يفتّرْ بشيء الناسِ عليه - علامةُ الإخلاص أن يغيّبَ عنك الخلقُ في مُشاهدةِ الحق.

ومن المتصوفين في هذا العصر الموحدي: أبو القاسم عبد الرحمن بن يوسف البجائي (ت ٥٧٧ هـ) وابن طفيل الذي نحّا في التّصوف منحىً عقلياً ثم أبو الفضل عبد المؤمن بن عمّار (ت ٦٠٢ هـ)، له: آداب السلوك (في الطريقة الصوفية) - ديوان الحكّم وميدان الكَلِم - ديوان المادح - ديوان الديباج (وفيه قصائد في مدح صلاح الدين الأيوبي قالها عبد المؤمن فيه حينما استقر عبد المؤمن مدة في القدس). ثم هناك عبد السلام بن مَشيش (ت ٦٢٥ هـ) وأبو العباس أحمد بن محمد الشريشيّ السلويّ (ت ٦٤١ هـ) وكبيرُ المتصوفة في الإسلام ابنُ عربي (ت ٦٣٨ هـ) وأبو الحسن الشُّتري (ت ٦٦٨ هـ) وابن سَبعين المُرسيّ (ت ٦٦٩ هـ) تلميذُ ابنِ عربيّ والناقمُ عليه فيما يبدو، مع أنه سلك في أقواله مسلّك ابنِ عربيّ في المزج بين التّصوف وأشياء من فلسفَتَي أفلاطون وأرسطو. غيرَ أنه ظلّ - بخلاف ابنِ عربيّ - حريصاً على الاعتقاد بخلق العالم وبقاء النفس بعد الموت. وابن سَبعين كُتِبَ منها: بُدُو^(١) المعارف وعقيدة المحقّق المَرَب الكاشف وطريق السالك المتبتل الماكف - الدرَج - الدرّة المُضية والحافية الشمسية (في علم الجفر) - رسائلٌ متنوّعة (إحداها وصاةٌ إلى تلاميذه لَعَنَ فيها نفرأ من معاصريه من الذين يُنكرون البعثَ والجنةَ والنار).

(١) بروكلمن، الملحق ١: ٨٤٤. اقرأ: بدو أو بدء (٤).

التاريخ

في هذا العصر اتسع التأليف في التاريخ على اختلاف أنواعه: التاريخ العام تاريخ العصور وتاريخ المدن وكتب الفهارس (لأسلاف المشايخ الذين تخرج بهم نفر من العلماء). ولكن يبدو أن عدداً كبيراً من الكتب التي ألفت في هذا العصر قد ضاع. ثم إننا لا نجد مُصنِّفاً تاريخياً ذا قيمة راجحة إلا في أواخر هذا العصر.

فمن المؤرخين أبو بكر بن محمد بن عبد الله بن سيده التميمي (ت ٥٥٨ هـ)، له كتاب «مجموع من رجال الأندلس»؛ ثم أحد بن عبد الرحمن بن الصقر (ت ٥٥٩ هـ)، له كتاب «أنوار الأفكار فيمن دخل جزيرة الأندلس من الزهاد والأبرار». ثم هناك يوسف بن أبي زيد اللّريّ (ت ٥٧٥ هـ) ألف كتاباً في طبقات الفقهاء في القرنين الخامس والسادس؛ ثم أبو بكر محمد بن خير الإشبيلي (ت ٥٧٥ هـ) له فهرست مفيد في أسماء شيوخه.

ومن كبار المؤرخين أبو القاسم خلف بن عبد الملك المعروف بابن بشكوال (٤٩٤ - ٥٧٨ هـ) ألف عدداً كبيراً من كتب التاريخ أهمها كتاب «الصلة» جعله استمراراً لتاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (ت ٤٠٣ هـ).

ومن المؤرخين أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن حبيش (ت ٥٨٤ هـ)، له كتاب «الغزوات الضامنة الكافلة والفتوح الجامعة الحافلة»؛ ثم محمد بن أبي بكر بن عفيون الشاطبي (ت ٥٨٤ هـ)، له كتاب في أخبار الزهاد والمبّاد. ثم يأتي أبو جعفر الضبيّ (ت ٥٩٩ هـ) وقد اشتهر بكتابة «بغية المقتبس في تاريخ رجال الأندلس» وهو استمرار لكتاب «جذوة المقتبس» للحميدي (ت ٤٨٨ هـ). ثم هنالك أحمد بن هارون بن عات النقرّي الشاطبي (ت ٦٠٩ هـ) له كتاب في قضاة بلده. و(كتاب آخر؟) في قضاة الأندلس؛ ثم محمد بن عبد الرحمن التميمي (ت ٦٠٩ هـ) ألف كتاباً في أسماء شيوخه. هذا الكتاب قد ضاع، ولكن ابن الأبار نقل منه كثيراً إلى كتابه «التكملة لكتاب الصلة». ثم هنالك أبو عمرو محمد بن عيشون (ت ٦١٤ هـ) ألف كتاباً في «تاريخ الكتاب الأندلسيين»، ثم أبو عبد الله محمد بن علي بن حاد

(ت ٦٤٢ هـ)، أَلَف (نحو سنة ٦١٧ هـ) كتاب « التَّبَدُّدِ المحتاجة في أخبار صِنهاجَةَ ،
(الأعلام للزركلي، الطبعة الرابعة، ٦ : ٢٨٠).

ويأتي في هذا الباب أبو العباس أحمدُ بنُ سعيدِ بنِ سُلَيْمانِ بنِ عَلِيِّ بنِ إِخْلَاف (أو
إِخْلَاف) الدرَجيني (بلغ أشدَّهُ نحو ٦٢٦ هـ)، وهو فقيه ومؤرخ وشاعر إباضي من
تيمجار في جبل نفوسة ومن أسرة كان لها نشاط في نشر المذهب الإباضي. وقد اشتهر
بكتابه «طبقات المشايخ».

ومن كبار المؤلفين في التاريخ أبو الخطاب بن دحية (ت ٦٣٣ هـ)، له كتاب
«النبراس في خلفاء بني العباس - الإعلام المبين في المفاضلة بين أهل صيفين -
المطرب من أشعار أهل المغرب (وفيه لمحات تاريخية مهمة ومفيدة).

ومنهم أبو العباس محمدُ بنُ أحمدَ العَرَفِيِّ السَّبْتِيِّ أَلَف (نحو ٦٣٣ هـ) « الدرر المنظم
في مولد النبي العظيم » (ثم أمته أبنته). ومن كبارهم ابن الأبار القضاعي المتوفى سنة
٦٣٥ هـ (راجع ترجمته). ولأبي عبد الله محمد بن علي الملقب (ت ٦٣٦ هـ) « تاريخ
مألقة ». ثم إن هنالك أبا القاسم الطيلسان (ت نحو ٦٤٢ هـ)، له: زهر البساتين
وتفحات الرياحين - غرائب أخبار المسندين ومناقب آثار المهتدين - تاريخ صلحاء
الأندلس - أخبار القرطبيين والتبیین عن مناقب من عرف بقربة من التابعين
والعلماء الصالحين. ثم هنالك أبو عبد الله محمد بن سعيد الطراز الفرناطي
(ت ٦٤٥ هـ) وله فهرسة مشتملة على أسماء شيوخه. ثم هنالك عبد الواحد المرآكشي
(ت ٦٤٧ هـ) - وله في هذا الجزء ترجمة مفردة؛ ثم جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن
محمد البياسي (ت ٦٥٣ هـ) صاحب « الحماسة المغربية » له في التاريخ كتاب « الإعلام
في الحروب والوقائع في صدر الإسلام » (من مقتل عمر بن الخطاب إلى أيام هرون
الرشيد). ثم إن لأبي المطرف أحمد بن عبد الله بن عميرة الخزومي (ت ٦٥٨ هـ) كتاباً
في فضائل ميورة وتاريخها وكتاباً آخر في « كائنة ميورة وتغلب العدو عليها ». ثم
هنالك محمد بن الحسن الحسني المصري أَلَف (نحو ٦٥٩ هـ) كتاباً في أنساب القبائل،
ألّفه برسم السلطان أبي عبد الله محمد بن زكريا الحفصي صاحب تونس (٦٤٧ -
٦٧٥ هـ). ولبنو سعيد في هذا الجزء ذكراً خاصاً، ويأتي الكلام على كتابهم « المغرب »

في ترجمة أبي عليّ الحسن بن موسى (ت ٦٨٥ هـ).

الجغرافية

أما المصنّفاتُ في الجغرافية - في هذا العصر - فقليلةٌ جدًّا. ولا بأسَ في أن نُشيرَ هنا إلى أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس المعروف بالشريف الإدريسي (٤٩٣ - ٥٦٠ هـ) من أهل سبته سَكَنَ الأندلسَ مدة ثم أنتقل إلى جزيرة صقلية وأتصل بملكها رُجَّار الثاني (٥٦٢ - ٥٨٥ هـ) وآلف له كتاب «نزهة المُستاق في آختراق الآفاق»، ويُعرفُ أيضاً باسم الكتاب الرُّجَّاري. وقيمةُ هذا الكتاب إنما هي في شموله وفي الخُرُطُ الكثيرة الدقيقة التي تُوضِّحُ جانباً من مواقع الأماكن الواردة فيه. وقد صنع الإدريسي خارطةً للعالم تُعدُّ قريبةً من الواقع. وكان هنالك كُرَّةٌ من فضةٍ للعالم صنعت بإشراف الإدريسي، ولكن لم تصل إلينا.

وهناك الرحالة أبو حامد الفَرْنَاطِيّ (ت ٥٦٥ هـ) وله في هذا الكتاب ترجمة خاصة. كما تحسُنُ الإشارة إلى ابن طُفَيْلٍ (ت ٥٨١ هـ) وله أيضاً ترجمة مفردة. وكذلك لابن عَفْيُونِ الشاطِبيّ (ت ٥٨٤ هـ) في الجغرافية كتاب في عجائب البحر. ثم هنالك ابن جُبَيْرٍ (ت ٦١٤) الرحالة المشهور وله ترجمة خاصة.

العلوم الرياضية والطبيعية

كان للعلم الرياضي وللعلم الطبيعي نهضةً في عصر الموحّدين. فمن الكتب العامة ذات الدلالة: بَرَنَامُجُ أبي بكرٍ محمد بن خير بن عُمَرَ بن خَلِيفَةَ الإشبيليّ (ت ٥٧٥ هـ) فهو مُعْجَمُ شُيُوخِهِ أو «فهرست ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنّفة في ضروب العلم وأنواع المعارف»^(١). أما أبو جعفر أحمد بن محمد الحشّاء التونسي فقد بلغ أشدّه في أيام السلطان أبي زكريا يحيى الحفصيّ (ت ٦٤٧ هـ) وكتب كتاباً هو «مفيد العلوم ومبيد الهموم» أو تفسيرُ الألفاظ الطبية واللغوية الواقعة في الكتاب المنصوري^(٢).

(١) تحرير كوديرا وريبيرا، سرقطة ١٨٩٣ م.

(٢) المنصوري: كتاب في الطب لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي (ت ٣٢١ هـ = ٩٢٤ م).

وكان في القرن السادس أبو عبد الله محمد بن عمر البكسني صاحب كتاب «اختيار الجبر» ثم أبو محمد بن معاذ الجبائي صاحب الشرح على كتب (فصول) أقليدس الخمسة (في الهندسة).

وأزدهر علماء الجغرافية والفلك في هذا العصر، فإن ابن طفيل خالف معاصريه والسابقين على زمانه وأعلن أن خط الاستواء أعدل بقاع الأرض بقلّة الاختلاف فيه بين درجتي الحرارة في الليل والنهار. وألف أبو علي الحسن المراكشي (ت ٦٦٠ هـ) «جامع المبادئ والغايات في علم الميقات». وله خارطة للمغرب ظهرت عليها لأول مرة خطوط الطول وخطوط العرض (الدالة على الساعات في أقطار الأرض)، كما أنه وضع جدولاً يضم مائتين وأربعين نجماً رصدتها (وعين مواقعها) بنفسه.

وكان الفيلسوف ابن رشد أول من رأى الكلف^(١) على وجه الشمس. ثم عرف بوساطة الحساب الفلكي عبور كوكب عطارد على وجه الشمس.

ولابن طفيل وتلميذه أبي إسحاق نور الدين البطروجي جهود مختلفة في الفلك ومحاولة لإصلاح نظام بطليموس^(٢) في تفسير حركات الكواكب المتحركة^(٣). وقد «ابتدع البطروجي نظرية جديدة في حركات النجوم..... نقض (بها) نظرية بطليموس من أساسها..... وقال بالحركة البيضاوية للكواكب ودورانها حول الشمس.....»^(٤).

(١) الكلف: بقع غير مضيئة على وجه الشمس.

(٢) بطليموس القلوذي (كلوديوس بطولومايوس) عالم رياضي وفلكي ولد في صعيد مصر وقضى حياته في الاسكندرية وتوفي فيها نحو عام ١٧٠ م. وبطليموس هذا لا صلة له بالبطالسة حكّام مصر اليونانيين. والأغلب أن بطليموس لم يكن يونانياً.

(٣) الكواكب المتحركة هي الكواكب التي ترى مرّة تسبق الشمس والقمر ثم ترى مرّة أخرى تتأخر عن الشمس والقمر (في رأي العين). وجاءت هذه التسمية «متحركة» من أن بطليموس كان يعتقد أن الأرض ثابتة والشمس متحركة. ولو أنه عرف أن الشمس والنجوم ثابتة (بالإضافة إلى الأرض) وأن الأرض هي المتحركة (حول نفسها وحول الشمس) لاستطاع تحليل هذه الظاهرة تحليلًا صحيحاً.

(٤) كان الاعتقاد القديم أن مدارات الكواكب حول الأرض (والصحيح: حول الشمس) مستديرة. وقد =

وتَحَسُّنُ الإِشَارَةَ هُنَا إِلَى ابْنِ شَكْرٍ (أَوْ يَشْكُرُ) وَهُوَ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَغْرِبِي الْأَنْدَلِسِي (ت ٦٨٠ هـ أَوْ بَعْدَهَا بِقَلِيلٍ)، وَقَدْ كَانَ مِنْ عُلَمَاءِ الرِّيَاضِيَّاتِ وَالْفَلَكَ كَثِيرِ التَّأْلِيفِ فِيهَا (بِرُوكْلَمَنْ ١: ٦٢٦، الْمَلْحَقُ ١: ٨٦٨ - ٨٦٩).

وَفِي أَوَاخِرِ الْقَرْنِ السَّادِسِ كَانَ أَبُو عَلِيٍّ الْحَسِينُ بْنُ أَحْمَدَ «أَمِينَ الْأَوْقَاتِ» (الْمَوْقُوتُ أَوْ الْمِيْقَاتِيُّ) فِي قُرْطَبَةَ. وَقَدْ وَضَعَ رِسَالَةً فِي الْأَوْقَاتِ وَوَضَعَ الصَّفِيحَةَ الْجَامِعَةَ لِجَمِيعِ عُرُوضِ الْأَرْضِ.

وَمُجَدِّبُ بَنِي أَرْفَعِ رَأْسَهُ - وَهُوَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى (ت ٥٩٣ هـ) - مِنْ الْمُهْتَمِينَ بِالصَّنْعَةِ (الْكِيمِيَاءِ الْقَدِيمَةِ) أَلْفَ عَدَدًا مِنَ الْكُتُبِ، مِنْهَا: شَدْرَاتُ الذَّهَبِ فِي فَنِّ السَّلَامَاتِ (؟) وَهُوَ مَجْمُوعُ أَشْعَارٍ فِي حَجَرِ الْفَلَّاسِفَةِ - الطَّبِّبُ الرَّوْحَانِيُّ بِالْقُرْآنِ الرَّحْمَانِيِّ - الْجِهَاتُ فِي عِلْمِ التَّوْجِيهَاتِ فِي شَرْحِ قَصِيدَةِ ثَابِتِ بْنِ سَلْيَانَ - رِسَالَةٌ فِي الْكِيمِيَاءِ.

وَكَانَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ يُوْسُفَ التِّيْفَانِي (ت ٦٥١ هـ) مُؤَلِّفًا لَعَدِيدٍ مِنَ الْكُتُبِ الطَّرِيفَةِ وَالْجَرِيئَةِ فَمِنْ كُتُبِهِ الْعِلْمِيَّةِ «أَزْهَارُ الْأَفْكَارِ فِي جَوَاهِرِ الْأَحْجَارِ» (فِي الْحِجَارَةِ الْكَرِيمَةِ) ثُمَّ «مَطَالَعُ الْبَدُورِ فِي مَنَازِلِ السَّرُورِ» (فِي الْمَعَادِنِ). ثُمَّ لَهُ أَيْضًا: «نُزْهَةُ الْأَلْبَابِ فِيمَا لَا يُوْجَدُ فِي كِتَابٍ» (قِصَصُ وَأَشْعَارُ فِي النِّكَاحِ) - رُجُوعُ الشَّيْخِ إِلَى صِيَاهُ فِي الْقُوَّةِ عَلَى الْبَاهِ (وَقَدْ اشْتَهَرَ بِاسْمِ «الْبَاهِ فِي رُجُوعِ الشَّيْخِ إِلَى صِيَاهُ». وَرَبِمَا أُشِيرَ إِلَيْهِ بِاسْمِ «رُجُوعُ الشَّيْخِ» - رِسَالَةٌ فِيمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الرِّجَالُ مَعَ النِّسَاءِ فِي اسْتِهْمَالِ الْبَاهِ تَمَّا يَضُرُّ وَيَنْفَعُ.

وَبَرَعُ ابْنُ طُفَيْلٍ فِي التَّشْرِيحِ وَفِي التَّنْطِيبِ، كَمَا بَرَعَ ابْنُ رُشْدٍ فِي التَّأْلِيفِ فِي الطَّبِّ، مِمَّا نَرَى فِي كِتَابِهِ «الْكُلِّيَّاتِ»، فَقَدْ تَكَلَّمَ فِيهِ عَلَى التَّشْرِيحِ وَوُضَائِفِ الْأَعْضَاءِ وَعَلَى الْأَمْرَاضِ وَأَعْرَاضِهَا وَعَلَى الْأَغْذِيَّةِ وَحِفْظِ الصَّحَّةِ وَالْعِلَاجِ.

غَيْرَ أَنَّ الذَّنِينَ مَلَأُوا عَصْرَ الْمُؤَخَّرِينَ بِالزُّهُوِّ فِي التَّنْطِيبِ كَانُوا بَنِي زُهْرٍ، وَكَانَ

= ذَكَرَ الْبَطْرُوجِيُّ أَنَّهَا إِهْلِيلِيَّةٌ، أَيُّ بِيضَاوِيَّةٌ. وَقَدْ كَانَ ابْنُ طُفَيْلٍ (ت ٥٨١ هـ) قَدْ طَلَبَ مِنْ تَلْمِيذِهِ الْبَطْرُوجِيَّ إِصْلَاحَ نِظَامِ بَطْلِيمُوسِ الْقَاتِلِ بِالْكَوَاكِبِ الْمُتَحَيِّرَةِ (رَاجِعِ أَيْضًا بِالنِّسْبَةِ ٤٥٦).

أشهرهم أبو مروان عبد الملك (ت ٥٥٧ هـ) وأبنة أبو بكر محمد (ت ٥٩٥ هـ) الذي كان شاعراً وشاحاً أيضاً.

ويأتي في هذا الباب أبو محمد محمد بن عليّ الإلبيريُّ له كتاب «النتائج العقلية في الوصول إلى المناهج الفلسفية والقوانين الطبية».

والصيدلة لاحقاً بالطبّ ومتصلةً بعلم النبات. ونحن نجد أبا العباس أحمد بن محمد ابن الرومية الإشبيلي (ولد سنة ٥٦٠) يَدْرُسُ النباتَ على أنه علمٌ ولم يقتصرْ على درس منافع الطبِّية فقط. أما أشهر علماء النبات فكان أبن البيطار المالقي (ت ٦٤٦ هـ). وضع كتاب «الجامع لمفردات الأغذية والأدوية» (على ترتيب المعجم). قال ابن البيطار يوجز طريقته في التأليف:

«جمعتُ هذا الكتابَ في القول في الأدوية المُفْرَدَةِ والأغذية المُستَعْمَلَةَ على الدوام والآستمرار عندَ الآحتياج إليها في ليلٍ كان (ذلك) أو نهارٍ..... وأذكر ما ينتفع به الناس من شِعار (ثوب يُلبَسُ مما يلي البدن) وِدْثار (ثوب يلبس فوق الشعار). وآستوعبتُ فيه جميعَ ما في الخمسِ مقالاتٍ من كتاب الأفضل ديسقوريدس بنصّه. وكذلك فعلتُ أيضاً بمجموع ما أورده الفاضل جالينوسُ في الستِ مقالاتِ بنصّه. ثم ألحقتُ بقولها من أقوالِ المُحدَثين في الأدوية النباتية والمعدنية ما لم يذكرها، ووصفتُ عن ثِقَاتِ المُحدَثين وعلماء النباتيين ما لم يَصِفْها. وأسندتُ - في جميع ذاك - (تلك) الأقوالَ إلى قائلها وعرّفت طرق النقل فيها بذكر ناقلها.

واختصصتُ بما تمّ لي به الآستبداد* وتوضّح لي القول ووضح عندي الاعتقاد.... وسمّيته «بالجامع» لكونه جمع بين الدواء والغذاء واحتوى على الغرض المقصود مع الإيجاز (الإيجاز؟) والاستقصاء.....»

اللفة والنحو

برزَ في هذا العصر نفرٌ من مشاهير اللغويين والنحاة نَعُدُّ منهم السَّهيليَّ (ت ٥٨١ هـ) وأبا الهجاج البَلَوِّيَّ (ت ٦٠٤ هـ) وابن يَلْبِخَتَ (ت ٦٠٧ هـ) وشرف الدين أبا عبد الله محمد بن عبد الله المُرسِيَّ (ت ٦٥٥ هـ) اللغويَّ النَّحويَّ وأبا المطرفِ

أحمد بن عبد الله الخزومي (ت ٦٥٨ هـ) وابن عصفور (ت ٦٦٩ هـ) صاحب المقرَّب في النحو وأبا الحسين عبد الله بن أحمد بن أبي الربيع القُرشي (ت ٦٨٨ هـ). ولعظم هؤلاء تراجمٌ في هذا الجزء .

في الأدب وتاريخه

في عهد الموحِّدين أزدهرَ الشِّعر وكثُرَ الشعراء لاحتفالِ الموحِّدين - خلافاً للمرابطين - بشعر المديح وبالإجازة عليه، وخصوصاً في أيام السلطان يعقوب المنصور (ت ٥٩٥ هـ)، فليس غريباً إذْ أن تكثُرَ مجاميعُ الشِّعر التي صُنعت في هذا العصر، ثم وصلَ إلينا كثيرٌ منها. من هذه الجاميع: رَوْحُ الشعر ودَوْحُ الشجر لأبي عبد الله بن محمد بن الجلاب الفهري المعاصر للمنصور الموحدي - زادُ المسافر لأبي بجر صفوان بن إدريس (ت ٥٩٨ هـ) - المُطربُ لابن دِخية الكلبي (ت ٦٣٣ هـ) - المهاسة المُغربية لأبي الحجاج البياسي (ت ٦٥٣ هـ) - ثم الحُلَّة السَّيراء - تحفة القادم - إعتاب الكتاب (والثلاثة الأخيرة لابن الأَبَّار المتوفى سنَّة ٦٥٨ هـ) - المُفرب لابن سعيد (ت ٦٨٥ هـ).

ومن هذا العصر وصل إلينا موشحاتٌ بارعةٌ لأبي بكر بن زهير (ت ٥٩٦ هـ): «أيها السامي، إليك المشتكى»، ثم «ما للمؤلَّه من سُكره لا يُفِيق؟»، ثم موشحة ابن سهل الإشبيلي (ت ٦٤٩ هـ): «هل درى ظيُّ الجِمي أن قد جِمي»، وهي الموشحة التي نظَّم نَفَرٌ كثيرٌ على مِثالها منهم لسانُ الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ) في قوله: «جادك الغيثُ إذا الغيثُ همي».

وبما أن المُدن الأندلسية أخذتْ تسقطُ في أيدي الإسبان في أواخر هذا العصر، فإنَّ قصائدَ «رثاء المدن» كثُرَتْ، نذكرُ منها: «أذركَ بجِئِكَ خيلِ الله أندلساً» لابن الأَبَّار القُضاعي و«لكلِّ شيءٍ إذا ماتَ نُقصانُ» لأبي البقاء الرُندي (ت ٦٨٥ هـ).

وكذلك برزتِ العناية بالمقامات، فمن الذين وضعوا مقاماتٍ تقليدياً للحريري (ت ٥١٦ هـ): أبو الطاهر الأشرقوني أو الأشرقوني (ت ٥٣٨ هـ) ثم أبو محمد عبد الله الأزدي (ت ٥٧٥ هـ). وشرَّحَ مقاماتِ الحريري نَفَرٌ كثيرٌ أيضاً منهم: أبو طالب

عقيلُ بن عطيةَ القُضاعي المَرَاكشي (ت ٦٠٨ هـ) ثم الشريشي أبو العباس (ت ٦١٨ هـ).

في النقد

وفي النقد في هذا العصر نبدأ بـابن طفيل (ت ٥٨١ هـ) مبتدع القصة الفلسفية (سياقة الحقائق العلمية والآراء الفلسفية في أسلوب أدبي). ولما وصل إلى وصف ما يراه أصحاب المشاهدة والأذواق والحضور في طور الولاية (أي وصف الملأ الأعلى: عالم الألوهية كما يتخيله رجال التصوف). جعل يتكلم «رمزاً» ثم قال: «إذ لا نجد في الألفاظ الجمهوريّة (الدائرة في الاستعمال بين جمهور الناس) ولا في الاصطلاحات الخاصة (الألفاظ الفنيّة التي وضعها العلماء والفلاسفة) أسماء تدلّ على الشيء الذي يُشاهدُ به هذا النوع من المشاهدة».

وانتقد ابنُ طفيل طريق الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) في التأليف فقال عنه إنه قد بنى كتبه على عقلية عوامّ الناس ثم هو «يربطُ في مكانٍ ويحلّ في آخر، ويكفر بأشياء ثم ينتحلها. فمن جملة ما كفر به الفلاسفة مثلاً إنكارهم لحشر الأجساد وإثباتهم الثواب والعقاب للنفوس خاصّة. ولكنه عاد فقال في أوّل كتاب «الميزان» إن هذا الاعتقاد هو اعتقاد الصوفية على القطع. بعدئذ أعلن في «المنقذ من الضلال» أن اعتقاده كاعتقاد الصوفية.

وقال ابنُ طفيل عن ابن باجّه (ت ٥٣٣ هـ): ولم يكن في زمن ابنِ باجّه في الأندلس من هو أثقَبُ ذهنًا وأصحُّ رويّةً منه، ولكنه مات قبل أن يقول كلّ ما عرفه. وأكثرُ كتبه ناقصةٌ أو وجيزةُ العبارة أو معقّدةُ التركيب. ولقد كان وقتُه يضيقُ عن ترتيبِ عبارته على وجهها الأكمل.

ومن يُنظّم في هذا السلك أبو جعفر أحمد بن محمد بن يحيى الحميري المؤدّب (٥١٤ - ٦١٠ هـ) «آخر من أنتهى إليه علم الآداب بالأندلس» لم يكن فيها، في أيامه، أحدٌ «أرؤى لشعرٍ قديمٍ أو حديثٍ، ولا أذكُرُ بحكاية تتعلّق بأدبٍ أو مثلٍ سائرٍ أو بيتٍ نادرٍ أو سجمةٍ مستحسنّةٍ منه. قال عبد الواحد المَرَاكشي - وكان أبو

جعفر الجيمري شيخه - : أنشدته يوماً (من أيام سنة ٦٠٦)، وكان من عادته أن يَسْتَشِدِّيَ أشياء من شعري، يَبْتَنِينِ ارتجَلُهَا في شابُّ كان يقرأ معنا شديد العِفة - رحمه الله - مع حُسْنِ رَائِعٍ وظَرْفِ ناصِعٍ، وكان اسمه فَتْحًا، وهما:

يَا مَنْ لَهْ عَنِ كِنَاسٍ مِنَ الْمُتَمِّمِ قَلْبُهُ،
مَا أَنْتَ كَاسِيكَ فَتَحٌ، وَإِنَّمَا أَنْتَ قَلْبُهُ!

فَطَرِبَ وَالتَفَتَ إِلَى ابْنِهِ وَقَالَ لَهُ: هَذَا - وَاللَّهِ - الشِّعْرُ، لَا مَا تُصَدِّعُنِي بِهِ طَوْلَ نَهَارِكَ. إِنْ كُنْتَ تَقُولُ مِثْلَ هَذَا (فَقُلْ) أَوْ فَاسْكُتْ.

« فلما كان من الغد قال لي: لم يزل (عصام) أمس يُعَمِلُ فكرته، فبعد الجهد الشديد أخذ معنى بَيْتِكَ فسلبه روحه وأعدمه رَوْنَقَهُ وَمَسَخَهُ جملة فقال:

سَبِيحِي فَوَادِي خَشْفٌ فِقْوِي الْيَوْمَ ضَعُفٌ.
سَمَوَةٌ فَتَحًا مَجَازًا وَفِي الْحَقِيقَةِ حَتَفٌ.

ما زاد فيه أكثر من الجواز والحقيقة. فقلت أنا: هذا - وَاللَّهِ - أحسن من شعري. فتغيّر لي وقال: يا بُنَيَّ، دَعْ عَنكَ هَذِهِ الْعَادَةَ، فَإِنَّ أَسْوَأَ مَا تَخْلُقُ بِهِ الْإِنْسَانَ الْمَلْقُ وَتَزْيِينُ الْبَاطِلِ، (ولا) سَيِّئًا إِذَا أَضَافَ إِلَى ذَلِكَ الْحَلْفَ الْكَاذِبَ. وَاللَّهِ، إِنَّكَ لَتَعْلَمُ إِنَّ هَذَا لَيْسَ بِشَيْءٍ، وَإِلَّا فَقَدْ أَخْتَلَّ مَبْزُوكٌ وَسَاءَ اخْتِيَارُكَ. وَمَا أَظُنُّ هَذَا هَكَذَا « (المعجب ٢١٩ - ٢٢٢).

وكان لعناية ابن رُشدٍ (ت ٥٩٥ هـ) بكتب أرسطو أن أبدى عدداً من آرائه في النقد في أثناء شرحه لكتاب أرسطو « في الشعر ». إلا أن آراء ابن رشد كانت أكثر صلة بالبلاغة عامة منها بالنقد الأدبي خاصة (راجع ترجمة ابن رشد).

واتفق أن حَرَّشَ أميرُ سَبْتَةَ أبو يحيى بنُ أبي زكريا بين أبي الوليد الشُّقْنَدِيِّ (ت ٦٢٩ هـ) وأبي يحيى بن المعلم الطنجي (ت ؟ هـ) ودعاها إلى أن يؤلف كلُّ واحدٍ منها رسالة في تفضيل عُدوته. فكتب الشُّقْنَدِيُّ رسالة في تفضيل عُدوة الأندلس، وافتخر فيها بكل شيء في الأندلس: بملوكها وعلماؤها ومؤرخيها وشعرائها وبيدنها أيضاً. أمَّا القسم المتعلق بكبار شعراء الأندلس فقد نحا الشُّقْنَدِيُّ فيه نحو

الفخر والدفاع، ولا يمكن أن يسمى هذا نقداً إلا على الجاز. من ذلك قوله مثلاً (نفع الطيب ٣: ١٨٦ وما بعد):

«.... وإنك إن تعرضت للمفاضلة بالعلماء فأخبرني: هل لكم في الفقه مثل عبد الملك بن حبيب^(١) الذي يُعْتَلُّ بأقواله إلى الآن، ومثل أبي الوليد الباجي، ومثل أبي بكر بن العربي، ومثل أبي الوليد بن رُشد الأكبر، ومثل أبي الوليد بن رُشد الأصغر^(٢) - وهو ابنُ ابنِ الأكبر - منجوم الإسلام ومصباح شريعة محمد عليه السلام؟ وهل لكم في الحفظ^(٣) مثل أبي محمد بن حزم الذي زهد في الوزارة والمال ومال إلى رُتبة العلم ورأها فوق كل رُتبة، وقال وقد أحرقت كُتُبُه: «دَعَوِي من إحراق رِقِّ وكاغيد» (راجع ترجمته، ت ٤٥٦ هـ) ومثل أبي عمَرَ بن عبد البر صاحب كتاب «الاستذكار» و«التمهيد» ومثل أبي بكر بن الجَدِّ حافظ^(٤) الأندلسي في هذه الدولة؟ وهل لكم في حفاظ اللُغة كابن سيده صاحب كتاب «المُحكَّم» وكتاب «السماء والعالم» (وهو) الذي إن أعمى الله بصره فما أعمى بصيرته؟ وهل لكم في النحو مثل أبي محمد بن السيد وتصانيفه ومثل ابن الطراوة ومثل أبي عليّ الشلوبين الذي بين أظهرنا الآن، وقد سار في المشارق والمغرب ذكُرُه؟ وهل لكم في علوم اللُحون^(٥) والفلسفة كابن باجّه؟ وهل لكم في علم النجوم والفلسفة والهندسة ملك كالمقتدر بن هود صاحب سَرَقِسطَة فإنه كان في ذلك آية؟ وهل لكم في الطب مثل ابن طُفَيْلٍ صاحب رسالة «حي بن يقظان» المُقدَّم في علم الفلسفة ومثل بني زُهْر: أبي العلاء ثم ابنه عبد الملك ثم ابنه أبي بكر: ثلاثة في نَسَب؟ وهل لكم في علم التاريخ كابن حَيَّان صاحب «المتين» و«المُقتَسِر»؟ وهل عندكم في رؤساء علم الأدب مثل أبي عمَرَ بن عبد ربه صاحب (كتاب) «العقد»؟ وهل لكم في الاعتناء بتخليد مآثر فُضلاء إقليمه

(١) إن الكثرة من الأعلام الذين ترد أسماؤهم في هذا النص، يجد القارئ لكل واحد منهم ترجمة مفردة في هذا الجزء أو في الجزء الذي سبقه.

(٢) أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد المتوفى سنة ٥٢٠ هـ كان فقيهاً، وهو جدُّ أبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد (ت ٥٩٥ هـ) الفيلسوف المشهور والذي كان أيضاً فقيهاً.

(٣) و(٤) في حفظ أحاديث رسول الله. وحافظ الأندلس (أشهر حفاظ الحديث في الأندلس).

(٥) الموسيقى.

والاجتهاد في حشدِ محاسنهم مثلُ ابنِ بَسَّامٍ. صاحبِ «الذخيرة»؟ وهَبَ أَنَّهُ كَانَ يَكُونُ لَكُمْ مِثْلُهُ، فَمَا تَصْنَعُ الْكَيْسَةَ فِي الْبَيْتِ الْفَارِغِ^(١)؟ وَهَلْ لَكُمْ فِي بِلَاغَةِ النَّثْرِ كَالْفَتْحِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الَّذِي إِنْ مَدَحَ رَفَعَ وَإِنْ ذَمَّ وَضَعَ؟ وَقَدْ ظَهَرَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ فِي كِتَابِ «الْقَلَائِدِ» مَا هُوَ أَعْدَلُ شَاهِدٍ. وَ(هَلْ لَكُمْ) مِثْلُ ابْنِ أَبِي الْخِصَالِ فِي تَرْسِيلِهِ وَمِثْلُ أَبِي الْحَسَنِ سَهْلِ بْنِ مَالِكٍ^(٢) الَّذِي بَيْنَ أَظْهَرْنَا الْآنَ فِي خُطْبِهِ؟ وَهَلْ لَكُمْ فِي الشِّعْرِ مَلِكٌ مِثْلُ الْمُفْتَمِرِ بْنِ عَبَّادٍ..... وَمِثْلُ ابْنِ الرَّاضِي؟.... وَهَلْ لَكُمْ مَلِكٌ أَلْفٌ فِي فَنُونِ الْأَدَابِ كِتَابًا فِي نَجْوَى مِائَةِ مُجَلَّدَةٍ مِثْلُ الْمُظْفَرِ بْنِ الْأَفْطَسِ صَاحِبِ بَطْلَيْوَسَ، وَلَمْ تَسْغَلْهُ الْحُرُوبُ وَلَا الْمَمْلُكَةُ عَنْ هِمَّةِ الْأَدَبِ؟

« وَهَلْ لَكُمْ فِي الْوُزَرَاءِ مِثْلُ ابْنِ عَمَّارٍ فِي قَصِيدَتِهِ الَّتِي سَارَتْ أَسْرَدَ مِنْ مِثْلِ وَأَحَبُّ إِلَى الْأَسْمَاعِ مِنْ لِقَاءِ حَبِيبٍ وَصَل^(٣) » (تلك التي) منها:

أَثْمَرْتُ رُمَحَكَ مِنْ رُؤُوسِ مُلُوكِهِمْ لَمَّا رَأَيْتَ الْغُضْنَ يُعْشَقُ مُثْمِرًا؛
وَصَبَّغْتَ دِرْعَكَ مِنْ دِمَاءِ كُتَابِهِمْ لَمَّا رَأَيْتَ الْحُسْنَ يُلْبَسُ أَحْمَرًا^(٤).

وَ(هَلْ لَكُمْ) مِثْلُ ابْنِ زَيْدُونَ فِي قَصِيدَتِهِ الَّتِي لَمْ يُقَلِّ مَعَ طَوْلِهَا فِي النَّسِيبِ أَرْقَى مِنْهَا؟ وَهِيَ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا:

كَأَنَّنَا لَمْ نَبْتَئْ وَالْوَصْلُ ثَالِثُنَا، وَالسَعْدُ قَدْ غَضَّ مِنْ أَجْفَانِ وَاشِينَا^(٥)؛
سِرَّانٍ فِي خَاطِرِ الظَّلْمَاءِ يَكْتُمُنَا حَتَّى يَكَادُ لِسَانُ الصَّبْحِ يُفْشِينَا.

وَهَلْ لَكُمْ فِي الشُّعْرَاءِ مِثْلُ ابْنِ وَهْبُونَ فِي بَدِيهِتِهِ بَيْنَ يَدَيِ الْمُفْتَمِرِ..... وَهَلْ لَكُمْ مِثْلُ شَاعِرِ الْأَنْدَلُسِ ابْنِ دِرَّاجٍ الَّذِي قَالَ فِيهِ الثَّعَالِي^(٦): هُوَ بِالصَّبِغِ الْأَنْدَلِسِيِّ

- (١) المقصود: يمكن أن يكون في المغرب (شمال إفريقيا) نفر من المؤرخين، ولكن ليس في المغرب أدباء كبار يستحقون أن يؤرخ لهم مثل أدباء الأندلس. - الكيس (بتشديد الياء): العاقل، البارع.
- (٢) أبو الحسن سهل بن مالك الأزدي فقيه وخطيب بليغ وشاعر أندلسي (ت ٦٣٩ هـ).
- (٣) المثل الشروذ: البارع المشهور. من حبيب وصل (اتصل بمحبته).
- (٤) الكمي: الشجاع والتام السلاح.
- (٥) غض (كف، صرف) من أجفان (عيون) واشينا (عدونا): خيب ظن الفتن يريدون سوءاً بنا.
- (٦) أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالي (ت ٤٢٩ هـ) صاحب «بنيمة الدهر» من مشاهير أدباء المشرق.

كالمتنبّي بصيغ الشام، والذي إن مدَحَ الملوكَ قال مِثْلَ قوله:.....

وأنا أُقسِمُ بما حازته هذه الأبياتُ من غرائب الآياتِ لو سَمِعَ هذا المديحَ سيّدُ بني
حندانَ لَسَلَا به عن مدح شاعره^(١) الذي ساد كلَّ شاعرٍ، ورأى أن هذه الطريقةَ أولى
بمدح الملوكِ من كلِّ ما تَفَنَّنَ فيه كلُّ ناظمٍ وناثرٍ.....»

ولابن دحية الكليّ (ت ٦٣٣ هـ) أحكامٌ عارضة في النقد منشورة في كتابه
«المطرب» على غير قاعدة. إنه اختار أشعارَ «المطرب» اعتماداً على «ذوقه
الشخصي»، وإلا فما الحُجَّةُ مثلاً لاختيار الرمادي (ت ٤٠٣ هـ - راجع ترجمته) في
شعراء المطرب بيتين - هما سهلان عذبان ولكنها لا يمثلان الرمادي؟ وباعتماد ذوقه
الشخصي أيضاً جاء بأحكامه في النقد.

وابن دحية يورد أحكامه في النقد في جُمْلٍ عامّة مسجوعة قلَّ أن تفيد «حكماً»
كقوله مثلاً: «له مَقَطَمَاتُ غَزَلٍ أحسن من الرياض وأغزل من الميون المراض -
مَنْ نُسِجَ على منواله وضُربَ في بديع المعاني والألفاظ على مثاله».

وقد أكثر الشعراء من تشبيه عيون النساء الجميلات بالترجس، فقال ابن دحية
في نقد ذلك: «هو تشبيه غير وثيق إذا حُكَّ بِمِثْلِكَ التحقيق، لأن بينَ نَرْجِسٍ
الحدائق والأحداق الموصوفة بالدَعَجِ وتكحيل الآماق^(٢) من التباين ما بين الأضداد.
وليس يحسن أن تَجَلَّ الصفرة في موضع السواد. فتشبيبه بميون الهرر أولى من
تشبيبه بميون الناس في حكم القياس. ولكنه حَسَنٌ تشبيبه بذلك لموضع إحاطة
البياض بالصفرة كإحاطة بياض العين بسوادها». ولكن مثل هذا التحليل قليل عند
ابن دحية.

ويقف ابن دحية في نقده موقف الدفاع عن شعراء الأندلس ويُسَوِّغُ قلة سيرورة

(١) سيد بني حندان (سيف الدولة أمير حلب). سلا: تلى (عن)، نسي، أهمل. شاعره (شاعر سيف
الدولة: أبو الطيب المتنبّي).

(٢) الدعج: سعة العين مع الحور (شدة اسوداد البؤبؤ وشدة البياض حوله). تكحيل (سواد). المؤق:
طرف العين (المقصود: أطراف الجفون).

شعر الأندلسيين على الألسنة بالإضافة إلى سيرورة شعر المشاركة بشهرة المشاركة ومبيل أهل الأندلس إليهم .

واختار ابن دحية ليحيى بن حكيم الغزالي (ت ٢٥٠ هـ) مقطوعته في تود الجوسية (راجع ترجمته): «كَلَّفَتْ، يَا قَلْبِي، هَوَى مُتَبِعاً» ثم علق عليها بقوله: «وهذا الشعر لو روي لِعَمْرَ بنِ أَبِي رَبِيعَةَ أو لبشار بن بُرَيْدٍ أو للعباس بن الأحنف^(١) وَمَنْ سلك هذا المسلك من الشعراء المحسنين لاسْتَفْرَبَ له؛ وإنَّ ما أوجبَ أن يكون ذكْرُه مَنَسِيّاً أن كان أندلسياً. وإلا فما له أُخِلَّ؟ وما حقّ مثله أن يُهْمَلَ!...» «يا لأهلِ المشرق»، قَوْلُه غاصُّ بها شَرْقِي^(٢)! أَلَا نظروا إلى الإحسان بعين الاستحسان، وأقصروا عن اشتهاجان الكثریم المهجان^(٣)، ولم يُخرجهم الإزراء بالمكان عن حدِّ الإمكان...»^(٤).

وعبد الواحد المراكشي (ت نحو ٦٤٧ هـ) مؤرخ في الدرجة الأولى، إلا أنه كان أديباً بارعاً في عَرْض الخصائص واستعراض الشعر والنثر - وقد أكثر من نماذجها في كتابه «المعجب في تلخيص أخبار المغرب». وكان له نثر رشيق مع سهولته، ولكن شعره كان عادياً - ولقد قال هو نفسه على قصيدة من قصائده (ص ٣٠٩): «مع ركاكتها وقلة انطباعها وظهور تكلفها».

ولعبد الواحد المراكشي أحكام في النقد متفاوتة بمضها إنشائي فقد قال في قصيدة ابن عبدون (ت ٥٢٩ هـ) الرائية: «الدهر يفتح بعد العين بالأثر»: «....»

(١) راجع في هؤلاء الجزئين الأول والثاني.

(٢) «يا لأهل المشرق» قَوْلُه... (يقول: أنا أفضل أدباء المشرق على أدباء الأندلس، وأنا كاره لذلك: برغمي).

(٣) أقصر: كَفَّ، اعتدل، استهجان: تقييح المهجان: الكريم الأصل، الجيد من كل شيء.

(٤) الإزراء (أن يميب الإنسان إنساناً آخر ويحتقره). عن حدِّ الإمكان (البقاء في نطاق الأحكام الممكنة: المعقولة، المنصفة، العادلة).

قصيدته الغراء، لا بل عقيلته العذراء^(١) التي أزرّت على الشعر^(٢) وزادت على السحر وفعلت في الألباب فعلَ الخمر، فجَلّت عن أن تُسامي وأنفَت من أن تُضاهي^(٣). فقلّ لها النظرُ وكثُرَ إليها المُشيرُ وتساوي في تفصيلها وتقديماها باقلّ وجريراً^(٤).... (ص ٧٥ - ٧٦).

غير أن له أيضاً أحكاماً دقيقةً صحيحةً، كقوله عن عبد الجليل بن وهبون (ص ١٠٢): « كان حسنَ الشعر لطيفَ المآخذِ حسنَ التوصلِ إلى دقيق المعاني ». أو كقوله في الرصافي الرقاء (ص ٢٢١): « هو من مُجيدي شعراء عصره، ولا سبيّاً في المقاطع، كالخمسَ الأبياتِ فما دونها... وقد رأيتُ أن أوردَ من (شعره) ها هنا بُدّةَ سيرةٍ تدلّ على ما وصفناه به. فمن ذلك قوله يصف نهرَ إشبيلية الأعظمَ.... ».

ونستطيعُ أن ننسبَ جميعَ أحكامِ النقدِ الواردةِ في كتاب « المغرب » إلى أبي الحسنِ عليّ بن موسى بن سعيد (ت ٦٨٥ هـ) لأنه آخرُ مُصنّفي الكتاب. والمفروضُ أنّه قد تقبل هذه الأحكامَ كلّها، سواء أكانت للحجاريّ (ت نحو ٥٥٠ هـ) الذي كان قد بدأ تحرير هذا الكتاب باسم « المُسهب » أو كانت لآله الذين سبقوه في العمل على تنعيم « المغرب ».

ومع أنّ ابنَ سعيدٍ ينحو أيضاً نحوَ الدفاعِ عن الشعراءِ الأندلسيين، فإنه لا يدفع المشاركةَ عن الإحسانِ والإبداعِ، فالفريقان لا يقتصران على قطرٍ دون قطر. ونحن نستطيعُ أن نرى اتجاهَ ابنِ سعيدٍ في تطبيقِ الشعرِ (جعلهِ طبقاتٍ) من العناوين التي

(١) الغراء: البيضاء (البارة، الجيدة). عقيلته: حليلته، زوجته. العذراء (التي لم يتزوجها أحد غيره): لم ينظم مثلها شاعر سواه.

(٢) أزرّت على الشعر: عابت جميع الشعر (كانت أفضل الفصائد، فظهرت جميع الفصائد الأخرى بجانبها قليلة القيمة).

(٣) جَلّت (عظمت، ارتفعت عن أن) تُسامي (ترتفع قصيدة أخرى إلى مستواها) وأنفَت (كرهت، ترقّت عن أن) تُضاهي (تُنازل: يكون لها مثيل أو شبيه).

(٤) النظر: المثيل. باقل: رجل كان غيبياً (لا يحسن اللفظ ولا التلفّظ بالكلام). جريراً: الشاعر الأموي المشهور (كان فصيحاً عذب الكلام سهل التعبير، بخلاف معاصره ومهاجيه الفرزدق الذي كان في شعره فغامة مع شيء من التعقيد).

تَوَجَّهَ بِهَا كِتَابَهُ فِي اخْتِيَارَاتِهِ مِنَ الشُّعْرَاءِ ، فَلَهُ : الْمَغْرِبُ فِي حُلَى الْمَغْرِبِ - رَايَاتُ الْمُبْرَزِينَ
وَشَارَاتُ الْمُتَمِرِينَ - عُنْوَانُ الْمُرْقَصَاتِ الْمَطْرَبَاتِ - الْمَشْرِقُ فِي حُلَى الْمَشْرِقِ - الْقِدْحُ
الْمَعْلَى فِي التَّارِيخِ الْمُجَلَّى - الْمُقْتَطَفُ مِنْ أَزْهَارِ الطَّرْفِ .

وَالخِتَارَاتُ فِي هَذِهِ « الْجَمَاعِيْعُ » لَيْسَتْ مَتَحَيِّزَةً (لِكُلِّ مِنْهَا حَيِّزُهُ الْخَاصُّ بِهِ) بَلْ
هِيَ مُتَدَاخِلَةٌ (تَجِدُ بَعْضَ مَا فِي مَجْمُوعٍ مُثَبَّتًا فِي مَجْمُوعٍ آخَرَ). وَالَّذِي يَغْلِبُ عَلَى هَذِهِ
الْجَمَاعِيْعِ (كَمَا غَلَبَ عَلَى « الْمَطْرَبِ » لَابْنِ دِحْيَةَ ، وَكَمَا غَلَبَ عَلَى الْحِجَارِيِّ) « النَّكْتَةُ
الطَّرِيفَةُ ». إِنْ هَذِهِ الْجَمَاعِيْعُ كُلُّهَا لَا تُثَبَّتُ لِلشَّاعِرِ مَخْتَارَاتٍ تَمَثِّلُ اتِّجَاهَهُ أَوْ تُصَنِّفُ
عَبَقْرِيَّتَهُ أَوْ مَا يَدُلُّ عَلَى قِيَمَةٍ ذَاتِيَّةٍ فِي الْقِطْعَةِ الْمُخْتَارَةِ ، بَلْ تُثَبَّتُ مَا فِيهِ نُكْتَةٌ أَوْ لَفْتَةٌ
أُعْجِبَ بِهَا الْجَمَاعُ الْمُخْتَارَ . وَرَبَّمَا خَصَّ ابْنُ سَعِيدٍ (كَمَا فَعَلَ ابْنُ دِحْيَةَ مِنْ قَبْلِهِ) وَالْفَتْحُ
ابْنَ خَاقَانَ مِنْ قَبْلِهِمَا) شَاعِرًا بِفَضْلِ مَنْ كَتَبَهُ ثُمَّ اخْتَارَ لَهُ بَيْتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةَ آيَاتٍ فَقَطْ .

ابن خَيْرَةَ^(١) المَوَاعِينِي

١ - هُوَ أَبُو الْقَاسِمِ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْقُرْطُبِيُّ الْإِشْبِيلِيُّ - مِنْ أَهْلِ قُرْطُبَةَ ثُمَّ سَكَنَ
إِشْبِيلِيَّةً وَأَصْبَحَ مِنْ أَعْيَانِهَا - تَلَقَّى الْعِلْمَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ بْنِ الْعَرَبِيِّ (ت ٥٤٣ هـ) وَابْنَ
أَبِي الْخِصَالِ (؟ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْعُودِ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٥٤٠). وَيَبْدُو أَنَّهُ بَدَأَ حَيَاتَهُ الْعَامَّةَ
بِالدُّخُولِ فِي خِدْمَةِ الْمُوحِدِينَ ، فَقَدْ كَانَ كَاتِبًا لَوَالِي غَرْنَاطَةَ أَبِي سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ ثُمَّ
لَأَخِيهِ أَبِي حَفْصِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ وَالِي إِشْبِيلِيَّةَ . وَلَمَّا جَاءَ أَبُو يَعْقُوبَ يَوْسُفُ إِلَى
عَرْشِ الْمُوحِدِينَ ، سَنَةَ ٥٥٨ ، أَصْبَحَ ابْنُ خَيْرَةَ كَاتِبًا لَهُ وَانْتَقَلَ إِلَى مَرَاكُشَ ثُمَّ تُوُفِّيَ
فِيهَا سَنَةَ ٥٦٤ (١١٦٨ - ١١٦٩ م).

٢ - كَانَ ابْنُ خَيْرَةَ الْمَوَاعِينِيُّ أَدِيبًا نَائِرًا وَمُتَرَسِّلًا وَشَاعِرًا وَنَاقِدًا . وَلَعَلَّ النِّقْدَ
أَبْرَزُ فُنُونِهِ . لَهُ كِتَابٌ « رَيْحَانُ الْأَلْبَابِ وَرَيَّعَانُ الشَّبَابِ فِي مَرَاتِبِ الْأَدَابِ » (فِي

(١) خَيْرَةُ (بِالْفَتْحِ أَوْ بِالْكَسْرِ) مِنْ أَسْمَاءِ الْبَنَاتِ ، وَلَعَلَّ الْفَتْحَ أَشْهُرُ وَأَكْثَرُ (رَاجِعِ نَاجِ الْعُرُوسِ - الْكُوَيْتِ
١١ : ٢٤٧ وَمَا بَعْدَ).

النقد الأدبي) جعله سبع مراتب (في أبواب متنوعة) هي: مرتبة تدرج النُمو والارتقاء إلى مراقي السُّمو والاعتلاء - مرتبة لُمع من قانون العربية وتبذ من الألفاظ اللغوية - مرتبة الإيهام بالمعارض والكلام المُحتمل التعميرض - مرتبة الفصاحة في البلاغة وجامع في لوازم إنشاء الصناعة - مرتبة نظام القريض والتزام ميزان العروض - مرتبة اقتضاب شجرة النسب ومنتهاه من ولد آدم ونوح إلى جذم العرب - مرتبة اختيار الأشعار والأخبار وما يتعلّق بها من مآثور الحديث والآثار.... وفيه تاريخُ بني أمية وبني العبّاس وفتح الأندلس وذكرُ ولاتها إلى سنة ٥٥٩.

والمواعيني يعتمدُ في آرائه كُتبَ المشاركة، وخصوصاً كتابَ البيان والتبيين للجاحظ. وتجدُ في « تاريخ النقد الأدبي عند العرب » لإحسان عبّاس عرَضاً وافياً لآراء المواعيني في النقد. ولعلّ من آراء المواعيني البارزة أنّه كان يُحاول أن يرى الصواب في جودّة الشعر اجتماعَ الجزالة (العربية القديمة) والرقة (الأندلسية الحديثة) في القصائدِ كميّ يوفّق بين آراء النقاد في الأندلس.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال أبو محمد بن خيرة الإشبيلي من قصيدة يمدحُ بها أبا حفص بن عبد المؤمن:
 كأنّا الأفقُ صرّحَ والنجومُ به كواعبٌ وظلامُ الليلِ حاجبه^(١).
 وللهملالِ اعتراضٌ في مطالعِهِ كأنه أسودٌ قد شاب حاجبه^(٢).
 وأقبلَ الصّبحُ فاستحيتَ مشاركةً، وأذبرَ الليلُ فاستخفتَ كواكبه^(٣).

(١) الصرح: القصر (البناء العظيم). الكاعب: المرأة في أول شبابها. الحاجب: الحارس (الذي يمنع العامة من الدخول على السلطان).

(٢) وقد بدأ طلوع الهلال (في الشرق) في أواخر الشهر القمري. الأسود (العبد الأسود). الحاجب (الشعر النابت فوق العين).

(٣) استحيت مشاركة (ظهر عليها الفجر بلونه الأحمر).

كَالسَيِّدِ الْمَاجِدِ الْأَعْلَى الْمُهَامِ أَبِي حَفْصٍ لِرُحْلَتِهِ ضُمَّتْ مُضَارِبُهُ^(١).
- وقال في الكلام الحسن مكتوباً بخط جميل:

يَا مَنْ لَهُ مَنْطِقُ كَالدَّرِّ فِي نَسَقِ يُزْهِى بِهِ الْجَبْرُ فِي وَشِيٍّ مِنَ الْحَبْرِ^(٢)،
وَيُشْرِقُ الطَّرْسُ مَمْسُوقاً بِأَنْطَرِهِ كَأَنَّهَا هُوَ مُشْتَسِقٌ مِنَ الْحَوْرِ^(٣)!
- وقال يمدحُ الرَّبِيرَ بْنَ عَمَرَ:

بَرَقَتْ نُفُورُهُمْ وَسَالَتْ أَدْمُعِي، فَاَنْظُرْ إِلَى بَرَقِ وَصُوبِ عِيَادِ^(٤).
طُولُوا وَصَلُّوا فَالْمُنَاسِبُ جَمِيرٌ: أَهْلُ الْمَفَاخِرِ وَالنَّدَى وَالنَّادِي^(٥).
لِلْقَوْمِ فِي كُلِّ الْبِلَادِ رِثَاةٌ تَحْكِي بَنِي الْعَبَّاسِ فِي بَغْدَادِ.
أَضَعَتْ مَجَالِسُهُمْ سُرُوجَ جِيَادِهِمْ؛ إِنَّ السُّرُوجَ مَجَالِسُ الْأَمْجَادِ^(٦)!
- وقال في صفات أمير (من رسالة):

أَطَالَ اللَّهُ بُقَاءَ الْأَمِيرِ مَحْفُوقاً بِالرَّايَاتِ الْحَافِقَةِ، مَوْصُوقاً بِالْأَرَاءِ الْمُتَوَافِقَةِ. وَلَا
زَالَتْ أُنْصَارُهُ تُنِيرُ وَمِضَاؤُهُ يُبِيرُ^(٧). يَا لَهُ - أَيْدِيَهُ اللَّهُ - مِنْ مِضَاءِ^(٨) لَا يَبِيْتُ لَهُ جَارٌ
عَلَى وَجَلٍّ، وَرَدَى يَسْتَوْهَبُ مِنْ كِهَاتِهِ كُلُّ أَجَلٍ!

(١) اختفاء النجوم مع قدوم الصبح يشبه انطفاء المصابيح في مضارب (خيام، قصور المدوح) لكثرتها (٤).

(٢) يُزْهِى (يمعج بنفسه، يفتخر) الجبر (المداد الأسود الذي يكتب به: كناية عن تدوين كلامه). وشي: تطريز (زخرف). الجبر (يفتح ففتح أو بكسر ففتح): ملاءة (توب واسع) من حرير.

(٣) المشق: نوع من المخطوط تكون الحروف فيه طويلة. الحور: شدة سواد العين مع شدة بياضها.

(٤) التفرغ: القم. الصوب: الدفعة من المطر الغزير. المهاد: المطر (المتوالي).

(٥) طولوا: اقتفروا. صلوا (تسلطوا). حير: عرب الجنوب. الندى: الجود والكرم. النادي: المكان الذي يجتمع فيه رؤساء القوم وكذلك أسرة الرجل. أنت واهل بيتك أشراف البلاد وحكامها.

(٦) الأمجاد جمع ماجد (٤): الشريف الكريم. السروج مجالس الأمجاد (كناية عن ركوب الخيل للحرب)، دلالة على القوة.

(٧) المصر: البلد الكبير. المضاء: النفوذ في الأمور. ومضاء (بالكسر): السيف. أبار: أهلك. أفضى.

(٨) مضاء بتشديد الضاد (شديد الغم؟). الوجل: الخوف. ردى: موت. الكمي: الشجاع الذي يتفقد سلاحه الكامل. رجاله (جنوده)، إذا هم لم يجاربوا أحداً عاش ذلك الشخص طويلاً.

- شروط الفصاحة في اللفظة :

..... أن تجِدَ لتأليفِ اللفظةِ في السَّمْعِ حُسْنًا وَمَزِيَّةً على غيرها، وإنَّ تساويًا في التأليفِ من الحروفِ المتباعدة، كما أنَّكَ تجِدُ لِبَعْضِ النِّعَمِ والألوانِ حُسْنًا يُتَّصَرُّ في النفسِ ويُذَرَكُ بالبصرِ والسَّمْعِ والحِسِّ. مِثَالُ ذلكِ من الحروفِ ع ذ ب، فإنَّ قُدِّمَتْ بعضُ هذه الحروفِ على بعضِ ذَهَبَتْ حلاوةُ الكَلِمَةِ ولم تجِدْ حُسْنًا على الصِّفَةِ. فإنَّ قالوا: فأتونا بكلامٍ يَتَبَيَّنُ مَوْعُ حُسْنِهِ بلفظٍ يَشْفُ رَوْقَهُ عن غيره، فمِثَالُ ذلكِ مِمَّا يُخْتَارُ قولُ أبي القاسمِ المَعْرِي^(١) من رِسالَةٍ: فَرَعَوْا جَمِيعًا قد تَأَنَّفَتْ رَوْضَتُهُ^(٢) وِرَادُوا مَسْرَحًا مَسَحُوا عن أعطافِ نَبَاتِهِ قَطَرٌ نَدَاهُ^(٣) ونَشَرُوا مِن لَبَائِهِ عِقْدَ طَلِّهِ. فتَأَنَّفَتْ كَلِمَةً لا خفاءَ بِمَوْعِيعِهَا وحُسْنِ مَوْضِعِهَا....

..... ولَمَّا لم تجِدِ الصوفيةُ كلاماً أَهْرًا لِلنَّفوسِ وأَبَعَتْ لِإِطْرَابِهَا من أشعارِ النسيبِ ووَصَفِ المَحبوبِ تَناسَلَتْها وتَفانَتْ على أَعراضِها^(٤) وهامتُ بِظواهرِ أَلْفاظِها، ولكنَّهُم يَعمَونَ المَحبوبِ^(٥) الذي لا يُوجَدُ منه الاضطرابُ ولا الصدودُ إذا صَدَّ الأَحبابُ.....

٤- ** المغرب ١: ٢٤٢، الوافي بالوفيات ١: ١٣٥١، نفع الطيب ٣: ٤٢٦، بروكلمن ١: ٣٧٧ - ٣٧٨، الملحق ١: ٥٤٣، الأعلام للزركلي ٦: ١٨٦ (٥: ٢٩٦)، تاريخ النقد لعباس ٥١٣ - ٥٢١، تاريخ الفكر الأندلسي ١٧٨.

(١) لعلَّه الوزير المغربي أبو القاسم الحسين بن علي بن الحسين، (ت ٤١٨ هـ)، كان وزيراً من الطاهة والأدباء (من أهل مصر) وكان أيضاً مصتقاً له عدد من الكتب (راجع الأعلام للزركلي ٢: ٢٦٦ - ٢٦٧).

(٢) رعى الجمجم (العشب الكثير النامي). تأنفت روضته (لم يرع أحد فيها).

(٣) راد: قصد. المسرح: المرعى. العطف (بالكسر): الجانب. مسحوا الع (هم أول من رعى أنعامه في هذا المكان).

(٤) تفانفت على أَعراضِها (٤).

(٥) الله تعالى.

أبو حامد الفرناطي

١ - هو أبو حامد (أو أبو عبد الله) محمد بن عبد الرحيم (أو عبد الرحمن) بن سُلَيْمَانَ بن الربيع بن تميم بن محمد بن علي بن عبد الصمد المازني القيرواني القيسي^(١) الفرناطي الأندلسي المغربي، وُلِدَ سَنَةَ ٤٧٣ هـ (١٠٨٠ م) وَسَكَنَ أَقْلِيْشَ^(٢).

تَرَكَ أَبُو حَامِدٍ الْأَنْدَلُسَ وَوَصَلَ إِلَى الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ فِي سَنَةِ ٥٠٨ هـ (١١١٤ - ١١١٥ م) فَسَمِعَ فِيهَا (الحدِيثَ) مِنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الرَّازِي وَسَمِعَ فِي مِصْرَ (القَدِيمَةَ) مِنْ أَبِي صَادِقِ مُرْشِدِ بْنِ يَحْيَى الْمَدِينِيِّ وَمِنْ أَبِي الْحَسَنِ الْفَرَّاءِ وَمِنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَرَكَاتِ بْنِ هَلَالِ النَّحْوِيِّ (٤٢٠ - ٥٢٠ هـ) وَغَيْرِهِمْ. ثُمَّ عَادَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ.

وَأَصَابَتْ أَبَا حَامِدٍ ضَائِقَةٌ مَالِيَّةٌ فَرَحَلَ، سَنَةَ ٥١١ هـ (١١١٧ م) إِلَى الْمَشْرِقِ فَمَرَّ بِجَزِيرَةِ سَارْدَانِيَّةٍ وَجَزِيرَةِ صِبْغِيَّةٍ ثُمَّ نَزَلَ فِي الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ وَانْتَقَلَ مِنْهَا وَشِكَأَ إِلَى الْقَاهِرَةِ. ثُمَّ غَادَرَ الْقَاهِرَةَ إِلَى دِمَشْقَ (بَعْدَ ٥١٢ هـ) وَتَصَدَّرَ فِيهَا لِلتَّدْرِيسِ، وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ كَانَ يَسْمَعُ مِنْ أَبِي الْعَزَّ أَهْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَادَشٍ.

وَفِي سَنَةِ ٥١٦ هـ انْتَقَلَ إِلَى بَغْدَادَ وَكَثَرَ فِيهَا أَرْبَعَ سَنَاتٍ فَنَالَ حُطُوءَ لَدَى الْوَزِيرِ عَوْنِ اللَّهِ بَحْيِيِّ بْنِ هُبَيْرَةَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ هُبَيْرَةَ (٤٩٩ - ٥٦٠ هـ)، وَكَانَ فَقِيهًا أَدِيبًا شَاعِرًا مَدَحَهُ الشُّعْرَاءُ فَأَكْثَرُوا. وَقَدْ كَانَ يُحَدِّثُهُ بِمَجَانِبِ مَا رَأَى فِي أَقْطَارِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ فَرَعِبَ إِلَيْهِ ابْنُ هُبَيْرَةَ أَنْ يُؤَلِّفَ فِي ذَلِكَ كَلِمَةً كِتَابًا فَأَلَّفَ لَهُ « الْمَغْرِبَ فِي عَجَائِبِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ».

وَمِنْ بَغْدَادَ بَدَأَ أَبُو حَامِدٍ رِحْلَةَ إِلَى شَرْقِيَّ آسِيَّةٍ وَشَرْقِيَّ أوروْبَةَ: كَانَ فِي أَنْهَرِ (٥٢٤ هـ) وَفِي سَخْسِينِ^(٣) (٥٢٥ هـ) ثُمَّ انْحَدَرَ إِلَى بِلَادِ الْبُلْغَارِ (٥٣٠ هـ) عِنْدَ نَهْرِ

(١) المازني (مازن قبيلة عربية). القيرواني (أصله من القيروان). القيسي (نسبة إلى قيس، إحدى القبائل الكبرى من عرب الشمال - بفتح الشين). أو نسبة إلى آل قسي الإسبان. وذكر حسين مؤنس (هنا لندن، آب ١٩٦٨، ص ٥) أن أبا حامد الفرناطي ولد في قرية صغيرة تسمى قيس قرب غرناطة (وسط العمود الثاني).

(٢) شرق طليطلة.

(٣) سخسين أو سخين أو سخستين ولعلها سخستي (عند مصب نهر الفولغا في شمال بحر قزوين).

الفولغا^(١). وقد رأيناه، سنة ٥٢٥ هـ (١١٣١ م) يعود من بلاد المجر^(٢) إلى بغداد ليستأنف منها رحلة إلى خراسان حيث بقي مدة يتطوف في بلدانها قبل أن يذهب إلى الحج.

وعاد إلى بغداد، سنة ٥٥٠ هـ (١١٥٥ م) ثم جاء في ٥٥٦ هـ إلى الموصل ونال فيها حظوة لدى معين الدين أبي جعفر أبي حفص عمر بن محمد بن خضير الأزدبيلي الملاء وآلف له «تخفة الألباب». ثم رجع إلى الشام وأقام في حلب سنتين. وبعدها عاد إلى دمشق حيث توفي في صفر من سنة ٥٦٥ هـ (١١٦٩ م).

٢- كان أبو حامد الفرناطي شيخاً فاضلاً حافظاً للحديث عالماً به، كما كان أديباً ينظم الشعر. واشتهر أبو حامد بالرحلة في المغرب والشرق وفي شرقي أوروبا: طاف المغرب كله وعرف قبائل كثيرة في السودان الغربي ووصف لنا أحوالها. ولم يكن أبو حامد الفرناطي جغرافياً ولا فلكياً ولا نساباً، ولكنه كان رحالة يدون ما يرى وما يسمع، مع ميل ظاهر إلى الاهتمام بالأشياء الغريبة والمستغربة وإلى المبالغة في وصفها وحكاية الأخبار المتعلقة بها. ومع أنه كان يحسن التحديث فإن لغته تنوء بشيء من الضعف في اختيار الألفاظ وفي بناء التراكيب. ولرحلة أبي حامد الفرناطي قيمة ظاهرة هي أنه وصف لنا فيها معالم في مصر قد زالت فيما بعد، كما وصف كثيراً من أحوال البلاد في شرقي أوروبا ومن أحوال التجارة في جنوبي الروسية.

٣- مختارات من آثاره:

- من تحفة الألباب (الديباجة):

.... ولما وصلت إلى الموصل سنة سبع وخمسين وخمسمائة (نزلت بها) في جناب

(١) البلغار كانوا لا يزالون، في أيام أبي حامد الفرناطي، قبائل رحلاً بين نهر الفولغا ونهر الطونة (الدانوب) قبل استقرارهم في منازلهم الحالية شمال بلاد اليونان.
(٢) المجر ويسمى أيضاً باش كيرد وباش كورد (بلاد هنغارية).

الشيخ الإمام الزاهد مُعِين الدين... أَي حَفْصِ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ مُحِبِّي سُنَنِ سَيِّدِ
الرُّسُلَيْنِ بِتَأْلِيفِ « وَسِيْلَةِ الْمُتَمَبِّدِيْنَ » (١) مُتَوَخَّيًّا بِتَأْلِيفِهَا رِضَا اللَّهِ تَعَالَى وَشِفَاعَةَ نَبِيِّهِ
المُصْطَفَى....

جَمَعَ الوَسِيْلَةَ مُشَبِّهَ الفَاروقِ وَسَيِّئِهِ فَسَأَ عَلَى العَبَّوقِ (٢).
بَاهَى بِهَا فَلَكَ البُرُوجِ فَأَصْبَحَتْ كَالشَّمْسِ لَا تُخْفَى بِكُلِّ طَرِيقِ (٣).
خُتِمَتْ تَوَالِيفُ العُلُومِ بِهَا كَمَا خَتَمَ النُّبُوَّةَ أَحَدُ الصِّدِّيقِ (٤) (٥).

فَشَهِدْتُ مِنْ كَرَمِهِ وَإِكْرَامِهِ وَتَوَاضَعِهِ وَإِنْعَامِهِ، لِجَمِيعِ المُسْلِمِيْنَ، وَإِطْعَامِهِ
لِلْقَاصِدِيْنَ مِنْهُمْ وَالقَاطِنِيْنَ، وَتَقَشَّفِهِ فِي لِبَاسِهِ عَلَى زِيِّ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِيْنَ، وَالاِقْتِدَاءِ
بِالأَيِّمَةِ الصَّالِحِيْنَ العَالِمِيْنَ العَامِلِيْنَ، كَأَنَّهُ مَلِكٌ فِي زِيِّ مُسْكِيْنٍ، فَهُوَ فِي هَذَا العَصْرِ
مَعْدُومُ القَرِيْنِ.... وَلَمْ يَزَلْ - أَيْدُهُ اللَّهُ وَأَبْقَاهُ، وَمِنَ المَكَارِهِ وَقَاهُ، يَحْتَشِيْ كُلَّمَا كُنْتُ
أَلْقَاهُ عَلَى أَنْ (٥) أَجْمَعَ مَا رَأَيْتُهُ فِي الأَسْفَارِ مِنْ عَجَائِبِ البُلْدَانِ وَالبِحَارِ وَمَا صَحَّ
عِنْدِي مِنْ نَقَلَةِ الأَخْبَارِ وَالثِّقَاتِ الأَخْيَارِ. وَأَجَبْتُهُ إِلَى ذَلِكَ وَإِنْ لَمْ أَكُنْ هُنَاكَ،
لِعُزُوبِ الفِطْنِ وَضَيْقِ العَطَنِ (٦) وَبُعدِ الأَهْلِ وَالوَطَنِ، وَتَشْتَّتِ الأَحْوَالِ وَرُكُوبِ
الأَهْوَالِ وَطَوْلِ الاِغْتِرَابِ وَالبُعدِ عَنِ الأَحْيَابِ وَمُساوِرَةِ العَذَابِ (٧).... وَرَأَيْتُ أَنْ

(١) معِين الدين الأردبيلي له كتاب وسيلة المتعبدين (راجع بروكلمان، الملحق ١: ٧٨٣ - ٧٨٤) في عدة أجزاء.

(٢) الفاروق: عمر بن الخطاب... معِين الدين الأردبيلي يشبه عمر بن الخطاب في أعماله وباسمه أيضاً (لأن اسمه عمر).

(٣) باهى فلان فلاناً: غلبه في البهاء (زاد عليه في المجال). الفلك: الخطط الوهمي الذي يسير فيه الكوكب (واستعمال الكلمة هنا بمعنى « الكوكب » خطأ). البروج جمع برج: (هنا) منازل تمر بها الشمس في أثناء العام (بحسب رأي القدماء).

(٤) كتاب معِين الدين الأردبيلي (وسيلة المتعبدين) آخر كتب العلماء وأفضل كتبهم كما أن أحد (محمد صلى الله عليه وسلم) آخر الأنبياء وأفضلهم. الصديق حقها الجر وهي هنا مرفوعة.

(٥) وقاه: حفظه. حش: حش، حشج على عمل شيء.

(٦) لم أكن هناك: لست من أهل هذا الميدان (التأليف). العزوب: البعد. الفطنة: الذكاء (الذكاء بعيد عني). ضيق العطن: قلة الصبر (على العمل المجهد).

(٧) مساورة العذاب: إحاطة العذاب (ب) من كل جانب.

أَسَمِيَ هذا المجموع «تُخْفَةُ الأَبَابِ» وَأُرْتَبَتْ عَلَى مُقَدِّمَةٍ وَأَرْبَعَةِ أَبْوَابٍ. فَاَلْمُقَدِّمَةُ لِلبَيَانِ وَالتَّمهيدِ، وَالأَبْوَابُ لِتَمَيِّزِ المَقْصُودِ: البَابُ الأَوَّلُ فِي صِيفَةِ الدُّنْيَا وَسُكَّانِهَا مِنْ إِنْسَانِهَا وَجَانِهَا. - البَابُ الثَّانِي فِي صِيفَةِ عَجَائِبِ البُلْدَانِ وَغَرَائِبِ البُنْيَانِ. - البَابُ الثَّالِثُ فِي صِيفَةِ البَحَارِ وَعَجَائِبِ حَيَوَانَاتِهَا وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا مِنَ العَنَبِ وَالقَارِ وَمَا فِي جَزَائِرِهَا مِنْ أَنْوَاعِ البُغْطِ وَالنَّارِ^(١). - البَابُ الرَّابِعُ فِي صِيفَاتِ الحَفَائِرِ وَالتَّقْبُورِ وَمَا تَضَمَّنَتْ مِنَ العِظَامِ إِلَى يَوْمِ النُّشُورِ^(٢) لِيَكُونَ ذَلِكَ سَبَباً إِلَى الإِعْتِبَارِ وَدَاعِياً إِلَى الفِرَارِ مِنَ دَارِ البُورِ إِلَى دَارِ القَرَارِ^(٣).....

- مِنَ المَقَدِّمَةِ:

إِنَّ اللهَ تَعَالَى فَرَّقَ بَيْنَ العَالِمِينَ فِي العَقُولِ وَمَنَحَهُمْ مِنْهُ مَا شَاءَ مِنْ كَثِيرٍ وَقَلِيلٍ كَمَا فَضَّلَ النَّاسَ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ وَسَمَةِ المَالِ، كَذَلِكَ فَضَّلَ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي العَقْلِ..... وَبَقَدَّرَ هَذَا التَّفَاوُتَ يَقَعُ الإِنْكَارُ لِأَكْثَرِ الحَفَائِقِ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ لِنُقْصَانِ العَقْلِ لِأَنَّ الَّذِي يَغْرِفُ الجَائِزَ وَالمُسْتَحِيلَ يَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَقْدُورٍ بِالإِضَافَةِ إِلَى قُدْرَةِ اللهِ تَعَالَى قَلِيلٌ. فَالعَاقِلُ إِذَا سَمِعَ عَجَباً جَائِزاً اسْتَحْسَنَهُ وَلَمْ يُكذِّبْ قَائِلَهُ وَلَا هَجَنَهُ^(٤). وَالجَاهِلُ إِذَا سَمِعَ مَا لَمْ يَشَاهِدْ قَطَعَ بِتَكْذِيبِ (قَائِلِهِ) وَتَزْيِيفِ نَاقِلِهِ لِقَلَّةِ عَقْلِهِ وَضَيْقِ بَاعِ فَضْلِهِ^(٥)....

- مِنْ مَتْنِ الكِتَابِ: بِلَادِ السُّودَانِ القَرِيبِي (ص ٤١ -).

.... لِأَنْوَاعِ السُّودَانِ، وَبِلَادِهِمْ مِمَّا يَلِي المَغْرِبَ الأَعْلَى المِتَّصِلَ بِطَنْجَةَ^(٦). وَقَدْ

-
- (١) العنبر: المادّة التي توجد في الحوت المسمّى بهذا الاسم، وهي مادّة ثميّة مرغوب فيها سمراء اللون طيبيّة الرائحة. القار: الزفت. النفط (بفتح النون أو كسرهما): البترول (المادّة السائلة القابلة للاشتعال). النار (نار البراكين التي تخرج من عدد من جزائر البحار).
- (٢) الحفائر جمع حفير وحفيرة: القبر، البئر الواسعة (كلّ حفرة كبيرة تنكشف عن أثر أو ثروة). النشور: البعث (يوم القيامة).
- (٣) دار البوار (الهلاك) الدنيا. دار القرار (الهدوء والاستقرار والدوام): الآخرة.
- (٤) هجّنه: عابه وقبحه.
- (٥) التزييف: الغش. (زيّف ناقله: نسب إلى ناقله الجهل والزيادة في الكلام).
- (٦) طنجة بلد على ساحل المغرب الشمالي على البحر المحيط.

أَسْلَمَ مِنْ مَلُوكِهِمْ فِيمَا يُقَالُ خَسُّ قِبَائِلَ أَقْرَبَهُمْ غَانَةٌ^(١) يَنْسَبُ فِي رِمَالِهِمُ الذَّهَبُ التَّبِيرُ الْغَايَةُ^(٢)، وَهُوَ كَثِيرٌ عِنْدَهُمْ يَخْمَلُ التَّجَارُ إِلَيْهِمْ حِجَارَةُ الْمَلْحِ^(٣) عَلَى الْجِهَالِ مِنَ الْمَلْحِ الْمَعْدِنِيِّ فَيَخْرُجُونَ مِنْ بَلَدِهِ يُقَالُ لَهَا سِجْلَامَاةٌ آخِرُ بِلَادِ الْمَغْرِبِ الْأَعْلَى^(٤) فَيَمِشُونَ فِي رِمَالِ كَالْبَحَارِ وَيَكُونُ مَعَهُمُ الْأَدْلَاءُ يَهْتَدُونَ بِالنُّجُومِ وَبِالْجِبَالِ فِي الْقِفَارِ يَحْمِلُونَ مَعَهُمُ الرَّادِ لِسِتَّةِ شُهُورٍ. فَإِذَا صَارُوا إِلَى غَانَةَ بَاعُوا الْمَلْحَ وَزَنَّا بوزنِ الذَّهَبِ، وَرَبَّيَا بَاعُوهُ وَزَنَّا بوزنِ نَبِيٍّ أَوْ أَكْثَرَ عَلَى قَدْرِ كَثْرَةِ التُّجَّارِ وَقَلَّتِهِمْ. وَأَهْلُ غَانَةَ أَحْسَنُ السُّودَانِ سِيرَةً وَأَجْمَلُهُمْ صُورَةً سُبُطُ الشُّعُورِ^(٥) لَهُمْ عَقُولٌ وَفَهْمٌ وَيَحْجُونَ إِلَى مَكَّةَ. وَأَمَّا فَاوَهُ وَقَوْقُو وَمَلِي وَتَكَرُّورٌ وَعُدَامِسُ فَقَوْمٌ لَهُمْ بَأْسٌ^(٦) وَلَيْسَ فِي أَرْضِهِمْ بَرَكَتٌ، وَلَا خَيْرَ فِي أَرْضِهِمْ، وَلَا دِينَ لَهُمْ وَلَا عَقُولَ. وَشَرُّهُمْ قَوْقُو قِصَارُ الْأَعْنَاقِ فُطُسُ الْأَنْوَفِ^(٧) حُمْرُ الْعَيُونِ كَانَ شُعُورَهُمْ حَبُّ الْفَلْفَلِ وَرَوَائِحُهُمْ كَرِيهَةٌ كَالْقُرُونِ الْمُحْرِقَةِ يَزْمُونَ بِنَبْلِ مَسْمُومَةٍ بِدَمَاهِ^(٨) حَيَاتٍ صُغْرٍ لَا تَلْبَثُ سَاعَةً وَاحِدَةً حَتَّى يَسْقُطَ لَحْمٌ مِنْ أَصَابِهِ ذَلِكَ السَّهْمُ عَنْ عَظْمِهِ، وَلَوْ كَانَ فَيْلًا أَوْ غَيْرَهُ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ. وَالْأَفَاعِي عِنْدَهُمْ كَالسَّمَكِ يَأْكُلُونَهَا لَا يُبَالُونَ بِسُمِّهِ الْأَفَاعِي وَلَا الثَّعَالِبِينَ إِلَّا بِالْحَيَّةِ الصُّفْرَاءِ الَّتِي فِي بِلَادِهِمْ فَإِنَّهُمْ يَتَّقُونَهَا^(٩) وَيَأْخُذُونَ دَمَهَا لِسَهَامِهِمْ. وَقِسِيهِمْ^(١٠) صِغَارٌ قِصَارٌ رَأَيْتُهُمْ فِي بِلَادِ الْمَغْرِبِ وَنَبْلُهُمْ^(١١). وَرَأَيْتُ قِسِيَهُمْ. وَأَوْتَارُهُمْ مِنْ لِحَاءِ^(١٢) الشَّجَرِ الَّذِي فِي بِلَادِهِمْ، وَنَبْلُهُمْ

(١) غانة = لقب ملوك البلد الذي عاصته كومي. وتطلق على البلد أيضاً.

(٢) الذهب التبر الغاية: الذهب الصافي تماماً.

(٣) حجارة الملح = الملح المعدني (الذي يستخرج من مناجم في الأرض لا المستخرج من ماء البحر).

(٤) سجلاماسة: مدينة كانت في المغرب الأعلى (جنوبي المغرب) على حدود الصحراء.

(٥) الشعر السبط (بفتح السين ثم يسكون الباء أو فتحها أو كسرهما): المترسل غير المعقد.

(٦) بَأْسٌ: قُوَّةٌ، شِدَّةٌ (في القتال).

(٧) الأنف الأفتس: العريض غير البارز.

(٨) يعتقد أبو حامد الفرناطي أَنَّ سَمَ الْأَفْعَى إِنَّمَا يَكُونُ فِي دِمَاهَا (وَالسَّمُ مَوْجُودٌ فِي كَيْسِينَ فِي رَأْسِ

الْأَفْعَى يَتَّصِلَانِ بِالنَّابِئِينَ).

(٩) يَتَّقُونَهَا: يَخَافُونَهَا، يَتَجَنَّبُونَ الْإِقْتِرَابَ مِنْهَا.

(١٠) الْقِسِيُّ جَمْعُ قَوْسٍ. وَالسَّهَامُ جَمْعُ سَهْمٍ. الْمَقْصُودُ مِنْهَا أَنْ تَصِيبَ الْأَعْدَاءَ.

(١١) النَّبْلُ جَمْعُ نَبْلَةٍ: السَّهْمِ.

(١٢) الْوَتْرُ (بِفَتْحٍ فَفَتْحٍ): الْحَبِيطُ الَّذِي يَرْتَبِطُ بَيْنَ طَرَفِي الْقَوْسِ ثُمَّ يَسْتَعْمَلُ فِي إِطْلَاقِ السَّهْمِ. لِحَاءُ: قَشْرُ

الشجر (وتعمل منه الأوتار إذا كان ليفاً أو يشبه الخبوط).

قصار كل سَهْمٍ شَبْرٌ. ونصَّالُهُم^(١) شوكُ شجرِ الحديدِ في القوَّةِ قد شدَّوه في نَبْلِهِمْ بلحاءِ شجرِ يُصَيَّبونَ الحَدَقَ^(٢). وهم شَرُّ نَوْعٍ في السودانِ. وسائرُ السودانِ يُنْتَفَعُ بِهِمْ في الخِدْمَةِ والعَمَلِ إِلَّا قَوَقُو فلا خَيْرَ فِيهِمْ إِلَّا في الحربِ. ولهم أَلُوَاحٌ صِفَارٌ مُثَقَّبَةٌ يُصَفَّرُونَ في تلكِ الثَّقَبِ^(٣) فَتُصَوِّتُ بِأَصْوَاتٍ عَجِيبَةٍ فَتَخْرُجُ إلى ذلكِ الصَوْتِ جَمِيعُ أَنْوَاعِ الحَيَّاتِ والأَفَاعِي والشَّعَابِينِ فَيَأْخُذُونَهَا وَيَأْكُلُونَهَا. وفيهِمْ من يَشُدُّهَا على وَسَطِهَا كما يَشُدُّ الحِرَامَ. ومنهم من يَتَعَمَّمُ بِالشَّعْبَانِ الطَّوِيلِ ويدخُلُ السُّوقَ على غَفْلَةٍ فَيَكْشِفُ ثَوْبَهُ ويرمي على النَّاسِ أَنْوَاعَ الشَّعَابِينِ والحَيَّاتِ فَيُعْطُونَهُ شَيْئًا حَتَّى يَخْرُجَ، وإنْ لم يُعْطَوْهُ أَلْتَى في دَكَائِينَهُمْ من تلكِ الحَيَّاتِ. وَيَجِيءُ من بِلَادِ السُّودَانِ أَنْوَاعٌ من جُلُودِ المَاعِزِ مَدْبُوعَةٌ دِبَاغَةً عَجِيبَةٍ، الجُلْدُ الوَاحِدُ يَكُونُ غَلِيظًا كَبِيرًا لَيِّنًا مُحَبَّبًا في لَوْنِ البَتْفَسَجِ إلى السُّوَادِ^(٤) يَكُونُ الجُلْدُ الوَاحِدُ عِشْرِينَ مَنَّا يَتَّخِذُ مِنْهُ الخِفَافُ^(٥) لِلْمَلُوكِ وَلَا يَبْلُ بِالمَاءِ وَلَا يَبْلَى وَلَا يَفْنَى مَعَ لَبْنِهِ وَنُعُومَتِهِ وَطِيبِ رَائِحَتِهِ يُبَاعُ الجُلْدُ الوَاحِدُ بِعَشْرَةِ دِنَانِيرٍ تَبْلَى خِيُوطُ الخَفِّ وَلَا يَبْلَى هُوَ وَلَا يَتَقَطَّعُ فَيَغْسِلُونَهُ في الحَمَامِ بِالمَاءِ الحَارِّ فَيَعُودُ كَأَنَّهُ جَدِيدٌ يَتَوَارَثُهُ الحَفِيدُ من أَبِيهِ عَن جَدِّهِ، وَهُوَ من عَجَائِبِ الدُّنْيَا.

- في بلاد سخسين (ص ١١٦):

ولما دخلتُ سَخْسِينَ، سَنَةَ خَمْسِ وَعِشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، اجتمعَ إِلَيَّ النَّاسُ من أَهْلِ العِلْمِ وَغَيْرِهِمْ وَفِي جُمْلَتِهِمْ شَيْخٌ ضَعِيفٌ لَهُ ثِيَابٌ خَلْقَةٌ^(١) فَأَلْتَقَى عِنْدِي سِوَارَ ذَهَبٍ وَزَنُّهُ أَرْبَعُونَ مِثْقَالًا وَقَالَ: « مَا أَصْنَعُ بِهَذَا السِّوَارِ » ؟ فَقُلْتُ: « لَا أَدْرِي مَا تَصْنَعُ بِهِ، لَسْتُ صَائِفًا حَتَّى أَعْلَمَ مَا تَصْنَعُ بِهِ ». فَقَالَ: « اشْتَرَيْتُ سَمَكَةَ بِطَسُوجٍ^(٢) فَوَجَدْتُ هَذَا

(١) النصل (يفتح فسكون) حديدة السيف أو الحديدة التي تكون في رأس الرمح أو السهم.

(٢) الحدقة (يفتح ففتح): يؤبؤ العين (الجزء الملوّن منها).

(٣) الثقب جمع ثقبه (بالضّم): الحرق (بالفتح) الناقد.

(٤) محببًا: غير أملس، سطحه مغطى بما يشبه الحبوب. إلى السواد: ضارب (مائل) إلى السواد.

(٥) الخفاف جمع خفّ (بالضّم): حذاء خفيف من جلد.

(٦) خلفة ليست في القاموس بالمعنى المراد هنا. يقال: ثوب خلق (يفتح ففتح): المتهرىء، والجمع خلفان

(بالضّم) وأخلاق.

(٧) طسوج: ربع الدائق، والدائق سدس الدرهم (الدرهم جزء من الدينار يكون عشره أو أقل إلى جزء

من عشرين).

السوار في بطنها». فقلت: «عرّفه»^(١) فقال: «قد عرفته ثلاث سنين أشده على عكازي وأطوف به في المساجد والأسواق والبيوت والطرقات وفي دور الأمراء فلا أجد له من يدعيه». فقلت: «خذه أنت! فإنه مالٌ حلالٌ وأنفقه على نفسك». فقضيت من كلامي وقال: «والله، لا تراني أكّله!». فقلت: «لماذا تقول هذا الكلام؟» قال: «لأنني رجلٌ صانعٌ، أعملُ الحِفافَ وأخذُ ما يكفيني». فقلت: «أفد به الأسارى من أيدي التُّرك». ففرح وقال: «بارك الله عليك، فرّجت عني كربةً»^(٢). فقلت: «أو ليس ها هنا من أهل العلم من يأمرُك بِمِثْلِ هذا؟» قال: «ها هنا من أهل العلم من يقول أعطنا إياه ونحن نعرف ما نصنع به. وإنما يريدون أكّله».

- في بلاد البلغار: (ص ١١٧ -):

وسميت ببلغار، وهي مدينة في آخر بلاد الإسلام في الشمال، هي فوق ستينين بأربعين يوماً، يكون النهار في الصيف عشرين ساعة والليل أربع ساعات.... ويشدُّ البرد فيها حتى إذا مات لأحد ميتٌ لا يُقدِرُ أن يدفنه ستة شهور، لأن الأرض تصير كالحديد ولا يُمكن أن يُخفَر فيها قبرٌ. ولقد مات لي بها وكُد، وكان في آخر الشتاء فلم أقدر على دفنه فبقي في البيت ثلاثة أشهر حتى أمكن دفنه. ويبقى الميت كالحجر. ويخرجُ التجار من بلغار إلى ولاية من الكفار يُقال لهم ويسوا (ويسو) منه^(٣) يجيء القندر^(٤) الجيد، ويحملون إليهم السيوف التي تتخذ في أذربيجان نصالاً غير عملية^(٥) تُشترى في أذربيجان أربعة سيوفٍ بدينار ويسقونها^(٦) سقياً كثيراً حتى إذا علّقوا

(١) عرّفه: ناد في الناس به (أعلن أنك وجدته).

(٢) كربة: حزن وغم.

(٣) أقرأ: منها (من ولاية الشعب ويسوا).

(٤) القندر (لم أعر عليها في القاموس). في تاج العروس (١٣: ٤٨٠): القندورة من ملابس النساء. ولعله القندس (بضم فسكون فضم): حيوان يتخذ منه الفراء.

(٥) عملية (٤).

(٦) يسقونها: (لعل المقصود: يمسونها في النار حتى تحمر من الحرارة ثم يمسونها في الماء فتصبح شديدة الصلابة).

النَّصْلَ بِخَيْطٍ وَنُقِرَ طَنْ^(١) كَثِيراً . فذلِكَ الَّذِي يَصْلُحُ لَهُمْ فَيَشْتَرُونَ بِهِ الْقَنْدَرَ . وَيَذْهَبُ أَهْلُ وَيَسُوا بِتِلْكَ السِّيُوفِ إِلَى وِلَايَةِ قَرِيبَةٍ مِنَ الظُّلُمَاتِ^(٢) مُشْرِفَةً عَلَى الْبَحْرِ الْأَسْوَدِ فَيُبَيِّمُونَ تِلْكَ السِّيُوفَ مِنْهُمْ مَجْلُودِ السَّمُورِ وَيَأْخُذُونَ تِلْكَ النَّصُولَ^(٣) فَيُلْقُونَهَا فِي الْبَحْرِ الْأَسْوَدِ فَيُخْرِجُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ سَمَكَةً كَالْحَيْلِ تَتَّبِعُهَا سَمَكَةٌ أَكْبَرُ مِنْهَا أَضْعَافاً تَرِيدُ أَكْلَهَا فَتَلْقِي نَفْسَهَا قَرِيباً مِنَ الْبَرِّ بِحَيْثُ لَا يُمَكِّنُهَا الرَّجُوعُ فَيَدْخُلُونَ إِلَيْهَا بِالسَّفَنِ وَيَقْطَعُونَ مِنْ لَحْمِهَا شَهْراً حَتَّى يَمْلَأُوا بَيْوتَهُمْ وَيَدَّخِرُونَ وَيُقَدِّدُونَ^(٤) مَا لَا نِهَآيَةَ لَهُ مِنْ لَحْمِهَا وَدُهْنِهَا . وَرَبِّمَا يَكْبُرُ الْبَحْرُ^(٥) فَتَرْجَعُ تِلْكَ السَّمَكَةُ إِلَى الْبَحْرِ وَقَدْ مَلَأَتْ مِائَةَ أَلْفِ بَيْتٍ أَوْ أَكْثَرَ مِنْ لَحْمِهَا . وَإِذَا كَانَتِ السَّمَكَةُ صَغِيرَةً يَخَافُونَ أَنْ تَصِيحَ إِذَا وَصَلُوا إِلَى مَوْضِعِ الْقَطْعِ مِنْ لَحْمِهَا إِلَى عِظَامِهَا يُخْرِجُونَ أَوْلَادَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ إِلَى مَوْضِعِ بَمِيدٍ مِنَ الْبَحْرِ حَتَّى لَا يَسْمَعُوا صَوْتَهَا .

وَلَقَدْ حَدَّثَنِي بَعْضُ التَّجَارِ أَنَّهَا خَرَجَتْ إِلَيْهِمْ سَنَةً مِنَ السَّنِينَ سَمَكَةً عَظِيمَةً فَتَقَبَّوْا أَذْنَهَا وَجَمَلُوا فِيهَا الْحِيَالَ وَجَرَّوْهَا فَانْفَتَحَتْ أَذْنُهَا وَخَرَجَ مِنْ أَذْنِهَا جَارِيَةٌ حَسَنَاءٌ جَمِيلَةٌ بِيضَاءُ سَوْدَاءِ الشَّعْرِ حَمْرَاءُ الْخَلْتَيْنِ عَجَزَاءُ^(٦) مِنْ أَحْسَنِ مَا يَكُونُ مِنَ النِّسَاءِ ، وَمِنْ سُرِّيَّهَا إِلَى نِصْفِ سَاقِهَا جِلْدٌ أَيْضُ كَالثَّوْبِ خَلْقَةٌ^(٧) يَتَّصِلُ بِجَسَدِهَا يَسْتُرُ حَيْثُ وَجَسَدَهَا وَدُبْرَهَا^(٨) كَالْإِزَارِ دَائِراً عَلَيْهَا . فَأَخَذَهَا الرَّجَالُ إِلَى الْبَرِّ وَهِيَ تَلْطُمُ وَجْهَهَا وَتَنْتِفِئُ شَعْرَهَا وَتَمَضُّ ذِرَاعَهَا وَقَدَّيْهَا وَتَصِيحُ وَتَفْعَلُ مَا تَفْعَلُ النِّسَاءُ فِي الدُّنْيَا حَتَّى مَاتَتْ فِي أَيْدِيهِمْ .

٤ - تحفة الألباب ونخبة الأعجاب (حرره غبريال قرآن)، باريس (غوتتر) ١٩٢٥ م (منشورة

(١) نقر: ضرب عليه بعود أو بالأصبع. طن: أحدث صوتاً.

(٢) الظلمات: البلاد التي يطول فيها الليل في الشتاء (٢).

(٣) السمور: حيوان يتخذ منه الفراء. النصول جمع نصل (بالفتح): حديدة عريضة قاطعة.

(٤) يقددون: يحففون.

(٥) بكبر البحر: يهيج. يعلو (يحدث فيه مد بعد الجزر؟)

(٦) العجزة: الكبيرة المعجز (بفتح ضم) أي مؤخرة الجسم.

(٧) خلقة: مخلوقاً (طبيعي غير صناعي).

(٨) الحى والحياء: فرج المرأة. الدبر: الجانب الخلفي.

في جورنال آزياتيک، باريس ١٩٢٥ م).

- المغرب عن بعض عجائب البلدان (قسم شرقي أوروبا) (تحرير ضبلر)، مدريد ١٩٥٣ م.
- وصف رومية (عن تحفة الألباب - حرره كرسبو مونكادا)، بالرمو ١٩٠٠ م.
- ★ الوافي بالوفيات ٣: ٢٤٥؛ نفع الطيب ٢: ٢٣٥؛ دائرة المعارف الإسلامية ١: ١٢٢٢؛ بروكلن ١: ٦٢٨ - ٦٢٩؛ نيكل ٢٦٦؛ الأعلام للزركلي ٧: ٧١ (٦: ١٩٩ - ٢٠٠)؛ بالشيا ٣١٢؛ المكتبة العربية الصقلية ٧٤ - ٧٥؛ سرکيس ٢٩٩.

ابن ظَفَرِ الصِقْلِيِّ

١- هو حُجَّةُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ (أبي) مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ ظَفَرٍ، وُلِدَ فِي صِقْلِيَّةَ سَنَةَ ٤٩٧ هـ (١١٠٣ - ١١٠٤ م) وَنَشَأَ فِي مَكَّةَ. وَقَدْ تَنَقَّلَ فِي الْبِلَادِ كَثِيرًا: رَحَلَ إِلَى مِصْرَ وَإِفْرِيقِيَّةَ (تُونِس) فَأَقَامَ فِي الْمَهْدِيَّةِ مَدَّةً وَشَهِدَ فِيهَا الْحَرْبَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالنُّورِمَانِ حُكَّامِ صِقْلِيَّةِ وَاسْتِبْلَاءِ الْإِفْرَنْجِ النُّورِمَانِ عَلَيْهَا، فِي ثَانِي عَشَرَ صَفَرَ مِنْ سَنَةِ ٥٤٣ هـ (١١٤٨ / ٧ / ١ م). ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى صِقْلِيَّةٍ ثُمَّ عَادَ إِلَى مِصْرَ وَرَحَلَ مِنْهَا إِلَى حَلَبَ فَأَقَامَ فِي مَدْرَسَةِ ابْنِ أَبِي عَصْرُونَ. وَلَمَّا وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ بَيْنَ الشَّيْخَةِ وَأَهْلِ السُّنَّةِ نُهَيْتُ كُتُبُهُ فَيَا نُهَبَ فَانْتَقَلَ إِلَى حِمَاةَ فَلَقِيَ فِيهَا شَيْئًا مِنَ الرِّزْقِ وَمِنَ الْإِطْمِئْنَانِ، وَلَكِنْ رِزْقُهُ ظَلَّ قَلِيلًا دُونَ الْكِفَافِ. وَقَدْ زَوَّجَ ابْنَتَهُ - وَهُوَ فِي حِمَاةَ - بِغَيْرِ كُفُوٍّ، مِنْ الْحَاجَةِ وَالضَّرُورَةِ، فَخَرَجَ الزَّوْجُ بِهَا مِنْ حِمَاةَ وَبَاعَهَا فِي بَعْضِ الْبِلَادِ.

وكانت وفاة ابن ظَفَرِ الصِقْلِيِّ فِي حِمَاةَ سَنَةَ ٥٦٥ هـ (١١٧٠ م) أَوْ بَعْدَ ذَلِكَ بِقَلِيلٍ.

٢- كان ابن ظَفَرِ الصِقْلِيِّ أَحَدَ الْأُدْبَاءِ الْفُضْلَاءِ عَارِفًا بِاللُّغَةِ وَالنُّحُوِّ وَكَانَ نَائِرًا وَشَاعِرًا. أَمَّا شِعْرُهُ فَشِعْرٌ عَادِيٌّ كَثِيرُ الْمَعَانِي قَلِيلُ الرُّونِيِّ، وَمُعْظَمُهُ فِي الْحِكْمَةِ. وَجِوَدُهُ فِي نَثْرِهِ أَحْسَنُ مِنْ جِوَدِهِ فِي شِعْرِهِ، وَإِنْ كَانَ قَدِ اسْتَقَى كَثِيرًا مِنْ هَذِهِ الْحِكْمِ مِنْ أَقْوَالِ الْأَوَائِلِ، وَخُصُوصًا مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُفْعَعِ. غَيْرَ أَنَّهُ يُخْسِنُ سَبْكَ مَا يَأْخُذُهُ عَنِ الْآخَرِينَ. وَقَدْ كَانَ مُصَنِّفًا مُكْتَرًا مُجِيدًا. مِنْ كُتُبِهِ: الْيَنْبُوعُ أَوْ يَنْبُوعُ الْحَيَاةِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (اثْنَا عَشَرَ جُزْءًا) - التَّفْسِيرُ الْكَبِيرُ^(١) - إِكْسِيرُ كَيْمِيَاهِ

(١) الْيَنْبُوعُ وَالتَّفْسِيرُ الْكَبِيرُ كِتَابَانِ مُسْتَقْلَلَانِ (رَاجِعْ مَجْمَعِ الْأُدْبَاءِ ١٩: ٤٨).

التفسير - أساليب الغاية في أحكام آية - خير البشر بخير البشر (ذكر الإرهاصات التي كانت بين يدي ظهور^(١) النبي صلى الله عليه وسلم) - البشعين^(٢) في أصول الدين - كتاب المعادات^(٣) (بفتح الميم: في الاعتقاد) - الجنة^(٤) (بضم الجيم) من فِرَقِ أهل السنة (في الاعتقاد) - معاتبه الجريء على معاوية البريء - مالك^(٥) الأذكار في مسالك الأفكار - الخوذة الواقية والعود^(٦) الراقية (في الوعظ) - نصائح الذكري - أرجوزة في الفرائض (تقسيم الإرث)^(٧) - كشف الكسف في نقض الكتاب المسمى بالكسف - الإنباء عن الكتاب المسمى بالإحياء^(٨) - سلوان المطاع وعدوان الأتباع^(٩) (فيه خمس سلوانات: في التفويض ونتائجه، في التآسي وفوائده، في الصبر وعوائده، في الرضا وميامنه، في الزهد. وقد صنَعَ المؤلف من هذا الكتاب عدداً من النسخ كَتَبَ إحداها في صِقْلِيَّةَ، سنة ٥٥٤ هـ برسم القائد أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم القرشي. والكتاب مشتمل، كما قال العباد الأصفهاني الكاتب، على حسن معنى ولفظٍ وذكر تنبيه ووعظ) - الاشتراك اللغوي - ملحُ اللغة (وهو فيما اتفق لفظه واختلف معناه) على حروف المعجم - كتاب الاستنباط المعنوي - الإشارة إلى علم العبارة - القواعد والبيان (في النحو) - مختصر في النحو. وله على كُتُب الحريري مُصَنَّفَاتٌ منها: شرح المقامات (كبير) - شرح المقامات (صغير) - التنقيب على ما في المقامات من الغريب - حاشية على دُرَّة الفَوَاص (ردّ فيها على الحريري). ثم له أيضاً: أنباء نجباء الأبناء (ويُلْفَى أيضاً بعنوان الغرر والدرر في نجباء الأولاد).

-
- (١) البشر (بضم ففتح) جمع بشري (بالضَم): الخبر المفرح. الإرهاص: الأمر الحارق يظهر للنبي قبيل بعثته، بين يدي ظهور النبي: قبيل ظهوره.
- (٢) راجع الوافي بالوقيات ثم إنباء الرواة ٣: ٧٦، الحاشية ٣.
- (٣) المعاد (بالفتح): البعث يوم القيامة.
- (٤) الجنة (بالضَم): الوقاية، الترس.
- (٥) الموازة تفصي أن تكون كلمة « مالك » على وزن مفاعل (مثل مسالك).
- (٦) الخوذة (بالضَم) بيضة من معدن يلبسها المحارب في رأسه. العوذة (بالضَم): حرز يقال إنه يمنع الأذى عن حامله.
- (٧) هنالك كتاب لابن ظفر اسمه «أرجوزة في الفرائض والولاء» (والأغلب أنه الأرجوزة نفسها).
- (٨) المقصود: كتاب إحياء علوم الدين للغزالي (ت ٥٠٥ هـ).

- قال ابن ظَفَرِ الصِّقْلِيُّ (في مقدّمة «سُلوان المُطاع»):

الحمدُ لله جاعلِ الصبرِ للنجاحِ ضَمِيناً والمحبوبِ في المكروهِ كَمِيناً^(١)، الذي ضربَ دونَ أسرارِ الأقدارِ حِجاباً مستوراً، وقضى أن الخَيْرَ على الفَطِينِ لا يزالُ حِجْراً محجوراً^(٢)..... (ثمّ يلتفت إلى القارئِ الذي صنعَ نسخةً من الكتابِ برسمه فيخاطبه قائلاً):

بارك اللهُ له فيما أُلهمَهُ كَسْبَهُ، وكانَ وِليَّهُ وحَسْبُهُ^(٣). فلقد أنزَلَ الدنيا بِدَرَكٍ مَزَلَّتْها وكُوشِفَ بِشَرِكِ مَزَلَّتْها^(٤) فَعَمِلَ للبقاءِ لا للِفناءِ وجمعَ للجُودِ لا للاقْتِناءِ، وجادَ اللهُ لا للشَّاءِ، وآخىَ للتعاونِ على البرِّ والتقوى لا للتَهافتِ في هوىِ الهوى^(٥). وزانَ الرئاسَةَ بِنَفْسٍ لا تُضيقُ بنازِلَةَ ذَرَعاً ولا تُصغي إلى الوشاةِ سَمعاً^(٦)، ولا تُدَسُّ بِطَبَعٍ طَبَعاً^(٧)، ويَجْلِمُ لا يرفعُ الغَضبُ لَدَيْهِ رأساً وحَزَمَ لا تخافُ الإيالةَ مَعَهُ بأَسأ^(٨). فالحمدُ لله الذي أباحني من إخائه جَمِي مَنيعاً وحرماً أميناً ومرتماً مَرَبحاً ومورداً مَعِيناً^(٩):

- (١) ضمين: ضامن. والمحبوب في المكروه كمين (قد يكون ظاهر الأمر مكروهاً أو ضاراً ويكون باطنه محبوباً أو نافعاً).
- (٢) الذي ضرب دون.... (إنَّ الله أخفى الغيب عن الناس). وقضى أن الخير... الخ (الذكي لا يعظم رزقه).
- (٣) ما ألهمه كسبه: ما قدر (الله) له أن يكسبه. الولي: الصاحب (المتني بغيره). حسبه: كافيته، ما كان وحده كافياً.
- (٤) أنزل الدنيا بدرك (أدنى المكان): عرف المنزلة الحقيقية للعالم. كوشف (كشف الله له) بشرك (عن شرك: فتح) مزلتها (المنزلة: ما تترلق الرجل عليه. والماء ضمير راجع إلى الدنيا).
- (٥) التهافت: التفرق، السقوط. الهوى (بالضم) جمع هوة: المكان المميت.
- (٦) الذرع: القياس بالذراع، سعة الصدر، الاحتمال. تصغي: تميل (بالضم).
- (٧) الطبع (يفتح ففتح): الفساد.
- (٨) الإيالة: المنطقة، المقاطعة، البلد المجموع تحت حكم حاكم.
- (٩) المربح: المكان الذي يكثر فيه المشب فترعاه المشية. مربح: خصيب. مورد: مكان الشرب. معين (يفتح الميم): قريب من سطح الأرض (لا يحتاج أحد إلى أن يستعين على جلب الماء منه بجمل).

فَنَحْنُ بِقُرْبِهِ فِيهَا اشْتَهَيْنَا وَأَحْبَبْنَا وَمَا اخْتَرْنَا وَشِينَا (١).
 يَقِينًا مَا نَخَافُ، وَإِنْ ظَنَّنَا بِهِ خَيْرًا رَأَيْنَاهُ يَقِينًا.
 نَمِيلُ عَلَى جَوَانِبِهِ كَأَنَّا إِذَا مِيلْنَا نَمِيلُ عَلَى أَيْبِنَا!
 وَأُقِيمُ لَوْلَا أَنَّ الشُّكْرَ عَقْدٌ شَرْعِيٌّ وَحَقٌّ مَرْعِيٌّ لِأَقْرَزْتُ عَيْنَهُ بِطَيِّ مَا نَشَرْتُ
 وَالتَّوْرِيَّةَ عَمَّا إِلَيْهِ أَشَرْتُ، إِذْ كَانَ - وَقَانِي اللَّهُ بَعْدَهُ وَلَا أَبْقَانِي بَعْدَهُ - يَرَى أَنَّ
 الشُّكْرَ فِي وُجُوهِ آيَاتِهِ نُدُوبٌ (٢) وَالْمَدْحَ مِنْ خَوَاصِّ أَوْلِيَائِهِ ذُنُوبٌ.

- وَهِيَ مَقْطَعَاتٌ حِكْمِيَّةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا:

أَيُّهَا الْمُسْتَجِيشُ مِنَ أَلْسِنِ الْوُ عَاطٍ، قَدْ أَهْبَهُوا وَمَا أَنْقَطُوا (٣).
 هَاكَ بَيْنًا يُغْنِيكَ عَنْ كُلِّ سَجْعٍ وَقَرِيضٍ كَانُوا بِهِ وَعَطُّوكَا:
 لَا تَشَاغَلْ بِالنَّاسِ عَنِ مَلِكِ النَّدِ سَاسٍ، فَلَوْلَا نُعْمَاهُ مَا لَحَظُّوكَا (٤) !
 * حَمَلْتُكَ فِي قَلْبِي، فَهَلْ أَنْتَ عَالِمٌ بِأَنَّكَ مَحْمُولٌ وَأَنْتَ مُقِيمٌ؟
 أَلَا إِنَّ شَخْصًا فِي فَوَادِي مَجِلَّةٍ وَأَشْتَاتِهِ شَخْصٌ عَلِيٌّ كَرِيمٌ!
 * مَرَّحِبًا بِالْكَفَافِ عَيْشًا هَنِيئًا، تَمَّ لَا مَرَّحِبًا بِجِرْصٍ وَكَدِّ (٥).
 مَا عَلِمْنَا - وَقَدْ رَأَيْنَا كَثِيرًا وَسَمِعْنَا - مَنْ حَازَ جَدًّا مَجِدًّا (٦).
 لَا يَزَالُ الْمَرِيضُ يَسْتَامُهُ الْحِرْزُ صُ بِنُصْبٍ مِنَ الشَّقَا وَبِكَدِّ (٧)،

(١) شينا: شئنا: أردنا.

(٢) آلاه جمع ألى (بفتح الهزلة أو كسرهما): النعمة. ندوب جمع ندب (بفتح ففتح): أثر المرح بعد شفاة (عيب).

(٣) المستجيش من ألسن الوعاط: المريض على أن يسمع كثيراً من الواعظين. الإسهاب: الكلام الكثير الذي يعبر عن معان قليلة.

(٤) ملك الناس هو الله (راجع السورة ١١٤): قل: أعوذ بربِّ الناس ملك الناس إله الناس...

(٥) الحرص: الرغبة الشديدة في جمع الأشياء والاحتفاظ بها. الكد: بذل الجهد والتعب.

(٦) الجدّ (بالفتح): الخطّ. الجدّ (بالكسر) بذل الجهد (بالضم).

(٧) يستامه الحرص: يطلب شراءه (المريض يبيع حياته بجميع الأشياء المادّية من غير أن ينتفع بها).

النصب (بالضم): التمر والبلاء. وبكدّ (كذا في الأصل المطبوع. وفي بعض المخطوطات مجهد: بضم الجيم أي بتعب). الحرص يملك الإنسان أشياء مادّية ثم يسلبه راحته وسعادته.

ثم لا يستطيع أن يتعدى قدر ما لحكمه من مرد^(١)!
- وله أقوال حكيمية منشورة:

مُعارضة العليل طبيبه تُوجبُ تَذييبه - المألُ كالماء ، فَمَن اسْتَكثَرَ منه ولم يجعل له مَسْرَبًا ، يَنْسَرِبُ به ما زادَ على قدرِ الحاجة ، غَرِقَ به^(٢) - المُؤاساةُ في المالِ والجاهِ عُوذَةٌ بقائِها - المُؤثوقُ مَوموقٌ ، والأَمِينُ بالمُؤدَّةِ قَمِينٌ^(٣) - كُنْ من عَيْنِكَ على حَدَرٍ: فَرُبُّ جُنوحٍ حينَ جَناه جُمُوحٌ عِينٌ^(٤) - السامةُ من أخلاقِ العامة - من لَزِمَ الرقادَ حُرْمُ المُرادِ - الغريبُ مَيِّتُ الأحياء - العاقلُ يُقدِّمُ التجريبَ على التقريب ، والاختبارَ على الاختيار ، والثقةُ على المِقة - الرأْيُ سيفُ العقل - رَبُّ حيلةٍ أنفعُ من قبيلةٍ .

٤ - سلوان المطاع في عدوان الاتباع (أماري)، فلورنسا ١٨٥١ م، ١٨٨٢ م (٤) مصر (طبع حجر) ١٢٧٨ هـ؛ (بتصحيح علي بن علي المرزي المحلّلي)، تونس ١٢٧٩ هـ؛ استانبول ١٢٨٥ هـ بيروت ١٣٠٠ هـ .

- خير البشر في خير البشر، مصر (طبع حجر) ١٢٨٠ هـ (١٨٦٣ م).

- أبناء نجباء الأبناء (نشره مصطفى بن محمد القبّاني)، القاهرة (مطبعة التقدّم) بلا تاريخ .

★ ★ الخريدة (الثام) ٣ : ٤٩ - ٦٠ ، معجم الأدباء ١٩ : ٤٨ - ٤٩ ؛ الوافي بالوفيات ١ : ١٤١ - ١٤٢ ؛ إنباه الرواة ٣ : ٧٤ - ٧٦ ؛ وفيات الأعيان ٤ : ٣٩٥ - ٣٩٧ ؛ وفيات ابن قنفذ ٢٨٥ ؛ بغية الوعاة ٥٩ - ٦٠ ؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ٩٧٠ ؛ بروكلمن ١ : ٤٣١ - ٤٣٢ ، الملحق ٥٩٥ - ٥٩٦ ؛ الأعلام للزركلي ٧ : ١٠٧ (٦) : ٢٣٠ - ٢٣١ ؛ مجلة الجمع العلمي العربي بدمشق ٥ : ١٤٩ ؛ سركيس ١ : ١٤٩ ؛ المكتبة العربية الصقلية ٦٨١ - ٦٩٦ .

(١) لا يستطيع الإنسان، مها يكن حريصاً، أن يتخطى ما قدره الله عليه .

(٢) إذا لم يكن للماء في مكانه منفذ يخرج منه ما يزيد على ما يستوعبه ذلك المكان فاض الماء من المكان وأغرق صاحبه .

(٣) موموق: محبوب. قمين: أهل، مستحق .

(٤) جنوح: ميل (بالفتح)، مجيء، هجوم. حين (بالفتح): موت. جروح عين: تطلع الإنسان إلى ما لا يجوز له التطلع إليه .

ابن المنخل الشلبي

١ - هو أبو بكر محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن المنخل المهري^(١) الشلبي، نسبةً إلى شلب (جنوبي غربي الأندلس)، انتقل إلى إفريقية واتصل بالموحدين منذ قيام دولتهم. وكانت وفاته في عشر السنين وخمسين للهجرة^(٢)، وقد أسن كثيراً.

٢ - كان ابن المنخل الشلبي أديباً ومن الشعراء المجددين وذوي النفس العالي على عمود الشعر القديم، بارعاً في الوصف والحجاسة، كما كان مشاركاً في علم الكلام^(٣).

٣ - مختارات من شعره:

- في شهر ذي القعدة، من سنة ٥٥٥ (تشرين الثاني - نوفمبر ١١٦٠ م) أجاز عبد المؤمن بن علي أول سلاطين الموحدين البحر من سبتة إلى جبل طارق، بعد أن جمع كل بلاد إفريقية في حكمه وانتقل إلى الأندلس ليدافع عن المدين الإسلامية التي كان الإسبان يهددونها بالاستيلاء عليها. فقام بين يديه الخطباء والشعراء (في معسكر جبل طارق) يمدحونه. فقال أبو بكر بن المنخل قصيدة فخمة يعارض بها القصيدة التي كان المتنبي قد مدح بها سيف الدولة، سنة ٣٤١ هـ ومطلعها:

فدينك من ربيع، وإن زدتنا كرباً؛ فإنك كنت الشرق للشمس والغرباً^(٤)

والحق أن قصيدة ابن المنخل الشلبي كانت بارعة. فيما جاء فيها:

(١) الوافي بالوفيات ٢: ١٧ في تعليق لعبد الهادي التازي (المن بالإمامة، ١٥١، الحاشية الأولى) «الفهري».

(٢) في عشر السنين وخمسة: ٥٦١ - ٥٦٩ (والذين يجهلون التعبير العربي يقولون: السنين)، نقلاً للتعبير الانكليزي). وذلك بالتاريخ الميلادي ١١٦٥ - ١١٧٣ م. ويبدو أن مولده كان نحو ٤٤٠ هـ (١٠٤٨ م).

(٣) علم الكلام: الدفاع عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية وتفسيرها بالعقل.

(٤) الربيع: المسكن (الذي كان فيه المحبوب). الكرب: الحزن والغم. زدتنا كرباً لأنك تذكرنا بالمحبيب الذي ارتحل عنك، بينما كنت له كالشرق والغرب: (يخرج منك صباحاً ثم يعود إليك مساءً: كان ساكناً فيك).

فَتَحْتَمُّ بِلَادَ الشَّرْقِ، فاعتمدوا الغرباء؛
أَصْرَتْكُمْ إِلَيْهِ الخَيْلُ وهي أجادلٌ
وُدُسْتُمْ بها هاماتٍ كلُّ مُضَلَّلٍ
رَمَيْتُمْ بها مثلَ السِّهَامِ فأصبحتُ
[أَتَوْكُمْ يَجْرُونَ الحديدَ] سَوَابِغاً
وظنوا - وفي الظنِّ الجهالةُ - أَنَّهُمْ
فَلَمَّا تَلَقَيْتُمْ وَبَيَّنَّتِ الوَعْيُ
أَطْلَتَهُمُ البِيضُ الصَّوَارِمُ والقَنَا(٨)
وقادَتْهُمُ تلكَ السِّوْفُ إِلَى الرَّدَى
وراموا فِرَاراً والرِّمَاحُ تنوَّشُهُمْ،

فَإِنَّ نَسِيمَ النَّصْرِ بِالْفَتْحِ قَدْ هَبَا(١).
فسالت بكم بجزراً وطارت بكم ركبا(٢).
ولم تتركوا عجباً هناك ولا عربياً(٣).
كأنهم صرعى وأموالهم نهى(٤).
كأنهم البحرُ الغالطُ إذ عبأ(٥).
يفلون من أجنادك الصارم العضباً(٦).
تولوا وقد طارت قلوبهم رعباً(٧).
فكانت لهم رفعاً وكانوا لها نصبا(٨).
وما غادرت سهلَ القيادِ ولا صعبا.
فما قطعوا فجاً ولا سلكوا شعباً(٩).

- (١) بلاد الشرق (هنا: بلاد افريقية). اعتمد: قصد. الغرب (بلاد الأندلس).
(٢) أصار: (بعث. أرسل. نقل). الأجدل: الصقر (تشبه به الخيل لثدة جسمه وسرعة طيرانه). فسالت بكم
جزراً (كالبحر) لكثرتها. نظير بكم ركبا: سرع بكم جداً وأنتم على طهورها.
(٣) الهامة: الرأس. المصلل: الداعي إلى ضلالة (التاتر). المعجم (عجم الأندلس: الذين لم يعتنقوا الإسلام
ولا تعلموا العربية) العرب (الدو) القبائل العربية التي سرحها الفاطميون من مصر لإزعاج البربر في
افريقية (وهم بنو هلال وبنو سليم - بضم السين).
(٤) بها = بالخيل. مثل السهام (سريعة ومصيبة!). الكمي: البطل، الشجاع. الصريع: القتل. النهي: النهي
النهي المنهوب.
(٥) «أتوكم...» من قول المتنبي:

أتوك يجرؤون الحديد، كأنهم سروا بحبيد ما لمن فوائم!

- سروا (بفتح الراء). السابغة: الدرع. الغالط... عبأ: عظم عبايه (بضم العين: الموج) حاج وعظم موجه.
(٦) فلن: قطع (هزم). الصارم: السيف. العضب: القاطع.
(٧) بيئت الوعى (الحرب) برهنت على قوتك. تولي: فرأ، هرب.
(٨) البيض الصوارم: السيوف المقاطمة. القناة: الرمح. أطلتكم: ارتفعت فوق رؤوسهم بكثرة. في الأصل:
أضلتهم (بالضاد المنقوطة - وهو هفوة من أهل المناطق التي يلفظ أهلها الضاد ظاء).
(٩) كانت لهم رفعاً (ترفع عليها رؤوسهم!). النصب (بالضم): المنصب (الهدف المرفوع الذي يصاب
بسهولة).
(١٠) ناشه بالرمح: أصابه. الرماح تنوَّشهم: تناوولهم من كلِّ جانب. الفج: الطريق الواسع. الشعب:
(بالكسر) الطريق (الفرعي، الضيق). لم يستطيعوا أن يهربوا.

وخرّوا جميعاً هامدين كأنهم
لقد حكمت فيهم طبا الهند رأبها
وكانوا لكم جنداً فصاروا غنيمة،
قروكم عتاقاً شرباً وعواتقاً
أقيموا، إلى ابن الريق بعد صدورها،
رعتها الفيافي فاستدقت جوسمها
عليها رجالاً كالقديح، وإننا
فإن تبدأوا بالقرب فالفتح واضح؛
تعاف نعيم الماء صفوا، فإن جرى
يلوذون في الهيجا بأرّوع ماجد
وإن عصفت ريح الوغى أهدقوا به،

- (١) الطبا جمع طبة (بضم ففتح): حدّ السيف. ضرباً (بالسيف). تؤسرم (كذا في الأصل) = تأسرم. شرباً (جاعات، بالجملة).
- (٢) في هذا البيت يتكلم على بدو إفريقية من العرب الذين ثاروا على الموحدّين. يزهى: يظهر الإعجاب برأيه.
- (٣) قروكم: قدّموا لكم (في الضيافة) عتاقهم (خيلهم الأصيلة) وعواتقهم (العائق: المنكب، ما بين العنق والكتف) أي أنفسهم (أبيدوا هم وخيلهم).
- (٤) ابن الريق (ويقال: ابن الرنك) هو ألفونسو أنريكويز صاحب البرتغال. بعد (بعد ذلك). أقيموا صدورها (صدور الخيل): سيروا إلى حربه. - لا تهتمّوا إذا كنتم ترون خيولكم ضمراً (ضامرة، نحيلة) قَباً (جمع قَبَاء: ضامرة البطن)، فإنّ ذلك ليس من مرض أو عيب، بل من صفاتها الحميدة.
- (٥) مناخ البادية (الفيافي) ورعيها الكلا (المشب) في البادية، وكثرة سيرها في الفيافي (الصحارى) جعل أجسامها دقيقة (نحيلة).
- (٦) القديح (بالكسر): السهم. القضيبي: السيف. هندية (من صنع الهند: جيّدة).
- (٧) طالعة: مشرقة (تتجه من الشرق إلى الغرب).
- (٨) خيولكم تعاف (تكره) غير الماء (الماء الصافي). أفنيه شرباً (شربته كله). في الأصل: أفنيه (بناء الخطاب) والصواب (كما أثبتته) بنون النسوة.
- (٩) - في هذا البيت يتكلم الشاعر على جنود الموحدّين. يلوذون: يلجأون، يحتمون (يتبعون). الأروع: الشجاع. القطب: المحور الذي تدور حوله الأشياء (قطب الحرب: الذي يحمل العمه الأكبر من القتال).
- (١٠) أهدق: أحاط.

ملكك كأن الأرض قبضة كفه،
لكنه فضل بان عن كل فاضل،
إذا أجدبت أرض نعاها مجوده،
وقد كان هذا الدين ولي شابه،
إذا ما ذكرناه، وقد ضاق أمرنا،
نسينا به أبناءنا وديارنا،
بلاد قضى فيها الشباب مآربي
فقل لابن ريموند: تأهب لغزوة
إذا جردت فيه السيوف حبيتها
وإن عثرت أعلامه لمحارب
ويستنشد الطريق في عرصاتكم:

فلا بعد - فيما ينتحيه - ولا قرباً (١).
إذا شد عقد السلم أو بعثت الحرباً (٢).
فما أغزر السقيا وما أكثر الخصب!
فلما تولى الدين لم يعد أن شباً (٣).
تفرج حتى صار متسماً رخباً.
فها نحن لانرتاح إن ذكروا شلباً (٤).
وأبقى لنفسى ما بقيت بها إرباً (٥).
يسد عليك جيشها الأفيح السهباً (٦).
جداول روض والرماح بها قصباً (٧).
جرى دمه من تحتها وابلأ سكباً (٨).
[فدينك من ربيع وإن زدتنا كرباً] (٩).

(١) انتحى: قصد.

(٢) بان: اختلف (هو مختلف - أفضل - من كل أحد، في وقت السلم وفي وقت الحرب).

(٣) ولي: ذهب (ولي شابه: ضعفت سلطته السياسية). فلما تولى (عبد المؤمن بن علي الخلافة - الحكم السياسي في الإسلام) - لم يعد أن شباً (عاد إلى الإسلام شابه). في الأصل: فلما تولى الدين (مرفوعة بضمة). عدا بعدو: تحطى، تجاوز.

(٤) شلب بلدة الشاعر (في الطرف الجنوبي الغربي من الأندلس). به: بالعيش معه (مع عبد المؤمن بن علي).

(٥) الإرب: الحاجة. - مع أنني تمتعت بلهوي كله فيها، ولا أزال - كلها كنت فيها - أتمتع ببقية من ذلك اللهو!

(٦) ريموند الرابع (١١١٥ - ١١٦٢ م) ابن ريموند الثالث (١٠٩٦ م) وخليفته: قوس برشلونة (١١٣١ -

١١٦٢ م) وأمير أرغونة (١١٣٧ - ١١٦٢ م)، وكان قد ساعد ملك قنطالة في الاستيلاء على طرطوشة ولاردة (١١٤٨ - ١١٤٩ م). والغصيدة مقولة في ٥٥٥ هـ (١١٦٠ م). الأفيح (الواسع) السهب (المتسع البعيد المكان). سيكون جيشنا كبيراً بحيث يملأ الأرض بيننا وبينكم. في الأصل: الأفتح (بنا) بنقطين من فوقها، ومرفوعة على أنها نعت لجيش. والصواب ما أثبتته.

(٧) القصب (جمع قضيب) أغصان الأشجار. - ستظنون أن سيوف جيشنا ورماحه أنهاراً وأغصاناً (لكثرتها).

(٨) عثرت أعلامه (أعلام عبد المؤمن بن علي). لمحارب (٩)، اقرأ: محارب (إذا لقيت مقاتلاً عدواً، ولو اتفاقاً) جرى دم هذا العدو تحت تلك السيوف والرماح وابلأ (كالطر) سكباً (منهمراً بكثرة).

(٩) سيطلب ريموند، وهو أمير لديك (العرصة بفتح فسكون: باحة مكشوفة) أن يشده أحد قصيدة المتنبي =

أُمْرِيَلَهَا شُعْتِ النَّوَاصِي سَوَاهِيَا
 تَرَفَّقَ عَلَيْهَا إِنَّمَا خَيْرٌ مَكْسَبِ .
 فَلَوْ لَمْ تُجِزْهَا السُّنْفُ نَحْوُ عَدُوِّهَا ،
 فَهَا أَعْطَيْتِ الْعُرْبَ الْقِيَادَ طَوَاعَةً
 وَلَكِنْ رَأَتْ شُهْبَ الْهُدَى مُسْتَنِيرَةً
 وَأَوَّابِكَ دِينَ اللَّهِ كَيْفَ اعْتَرَاظَهُ ،
 وَمُضْدِرَهَا شُقْرَاءً ، وَقَدْ وَرَدَتْ شُهْبَا (١)
 وَأَفْضَلُ مَالِ الْمَرْءِ أَفْضَلُهُ كَسْبًا (٢) .
 لَجَازَتْ إِلَيْهِ الْبَحْرَ تَقْطَعُهُ وَثْبَا .
 وَلَا أَسْمَحَتْ وَوَدَّأَ وَلَا أَدْعَنْتِ حُبًّا (٣) ،
 فَخَافَتْ نَجْمَوًا مِنْ أَسِنَّتِهِ شُهْبَا (٤) .
 وَأَنْتُمْ لَهُ حِزْبٌ فَكَانُوا لَهُ حِزْبًا (٥) !

٤- ** المغرب ١ : ١٣٨٧ الوافي بالوفيات ٢ : ٧ - ٨ : المنن بالإمامة ١٥٠ - ١٥١ ،
 ٢٤٣ - ٢٤٥ ، راجع ٤٥٧ ح ، ٤٦١ بقية الوعاة ١٨٦ نفع الطيب ٤ : ١١٧ ،
 راجع ٣ : ٥٢٠ - ٥٢١ ، ٤ : ٧٣ ؛ زاد المسافر ٤٨٧ (١٢٩ - ١٣٠) .

ابن الصقر الخزرجي

١ - هو أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن الصقر
 الأنصاري الخزرجي ، أصلُ أهله من سَرَقِسطَةَ : خَرَجَ مِنْهَا جَدُّهُ لِأَبِيهِ لِحَدُوثِ بَعْضِ
 الْفِتَنِ فِيهَا وَجَاءَ إِلَى بَلَنْسِيَةَ . وَفِي بَلَنْسِيَةَ وُلِدَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ (وَالدُّ صَاحِبُ هَذِهِ
 التَّرْجِمَةِ) . ثُمَّ انْتَقَلَتِ الْأُسْرَةُ إِلَى الْمَرْيَةِ ، وَفِي الْمَرْيَةِ وُلِدَ أَحْمَدُ فِي آخِرِ شَهْرِ رَبِيعِ

= في سيف الدولة « فدينك ... » حتى يعلم ماذا فعل الدمستق (بضم فضم فسكون فضم) البطريق قائد
 جيش الروم) حينما سار سيف الدولة لحره (كان يجب على ريموند هذا أن يهرب من حرب عبد المؤمن
 ابن علي كما هرب الدمستق من حرب سيف الدولة) .
 (١) أرسلها: ما مرسل الخيل، شمت (مقبرة) النواصي (شعر مقدم الرأس) لكثرة أسفارها: حروبها،
 ومضدورها (راجعا بها من الحرب) شقرا (حررا، من دم الأعداء) وقد وردت (ذهبت إلى مكان
 المعركة) شهبأ (بيضاء، لا دم عليها) .

- (٢) خير مكسب: أفضل ما يجمع الإنسان من ثروة .
 (٣) العرب (البدو): طواعة (يقصد: طواعة): طاعة، عن رضا . أذعن: انقاد، أمر للأخريين بحق لهم .
 (٤) شهب (نجوم) الهدى (الإسلام): حقائق الإسلام وبراهينه . نجوم من أسنته شهبأ (بيضا): رؤوس رماحه
 السنونة .
 (٥) في الأصل: حرب (مرتين) مكان « حزب » .

الأول من سنة ٤٩٢ (١٠٩٩/٢/٢٤ م).

وفي نحو سنة ٤٩٩ للهجرة (١١٠٥ - ١١٠٦ م) انتقلت أسرة بني الصقر إلى سبته (في العُدوة المغربية) فسكنتها مدة، ثم إلى فاس وبقيت فيها مدة أقصر، ثم إلى مدينة مراكش. ورحل أبو العباس أحمد إلى الاندلس رحلة قصيرة ثم عاد إلى مدينة مراكش وأستوطنها.

ولأبي العباس أحمد بن الصقر عدد كبير من الشيوخ ملأوا ثلاث صفحات كاملة من كتاب الذيل والتكملة (١: ٢٢٤ - ٢٢٦).

تولى أبو العباس بن الصقر القضاء والإمامة في مراكش منذ أيام المرابطين، ثم في بلنسية. ثم تولى القضاء في غرناطة. ولكن توليه القضاء كان مدة يسيرة - وقد خبر الناس منه في القضاء سيرة حميدة ونزاهة - لأن اتجاهه في الحياة نحو الزهد صرفه عن مناصب الدولة (راجع الذيل والتكملة ١: ٢٢٧).

وكانت وفاته في مراكش في ثامن جادى الأولى من سنة ٥٦٩ (١١٧٣/١٢/١٥ م). وراثه جاره وصديقه ابن طفيل (ت ٥٨١ هـ) فقال (الذيل والتكملة ١: ٢٣١ - ٢٣٢):

لأمر ما تغيرت الدهور، وأظلمت الكواكب والبُدور^(١)....
أبا العباس، جادتك الفوادي، ولافتك الكرامة والحبور^(٢).
لقد فقد الأياصم واليتامى مكانك والمحافل والصدور^(٣).
وعطلت المدارس من مفيض علوم الوحي ليس له نظير....

٢ - كان أبو العباس بن الصقر مُفَرِّثاً مُجَوِّداً ومُحَدِّثاً مُكثِراً ثِقَّةً وفقهياً متقدماً في علم الكلام وزاهداً، كما كان شاعراً مُحِيناً سهَّل التراكيب واضح المعاني. يُضاف

(١) لأمر (عظيم): موت ابن الصقر الخزرجي.

(٢) الغادية: السحابة (المطر) المقبلة في الصباح. ولافتك الكرامة والحبور (السرور) في الجنة.

(٣) الأهم والأئمة: التي مات عنها زوجها. المحفل: مكان اجتماع الناس. الصدور صدور المجالس: لأن ابن الصقر كان، لمكانته ولعلمه، دائماً في صدر كل مجلس.

إلى ذلك كله نفسُ أبيّةٍ وسيرةٍ محمودةٍ في الناسِ وخدمةٍ اجتماعيةٍ. ثم هو مُصنّفٌ، ولكن كُتبه في مَكْتَبته وكُتبه من تصنيفه قد فُقدت، سنةً ٥٤١ للهجرة (١١٤٦م)، لما دخل الموحّدون مَرَاكُشَ وانتزعوها من يد المرابطين. له كتاب «أنوار الأفكار فيمن دخل جزيرة الأندلس من الزهاد والأبرار»، ابتداءً ثم لم يتمه فكمّله أبنته عبد الله.

٣- مختارات من شعره

- قال ابن الصّقر الحزرجي (الوافي بالوفيات ٧: ٤٨؛ نفع الطيب ٣: ٣٣٣) في الحفاظ على الإخوان مهما تكن حالهم:

الله إخوانٌ تنساءت دارُهُم، حَفَظُوا الْوِدَادَ عَلَى النَّوَى أَوْ خَانُوا (١).
يُهْدِي لَنَا طَيْبَ الثَّلَاةِ وَوَدَاهُمْ كَالنَّدِيِّهِدِي الطَّيْبِ وَهُوَ دُخَانٌ (٢).

- وقال في مصانعة الأعداء (الوافي بالوفيات ٧: ٤٨؛ الإحاطة ١: ١٩٢؛ الذيل والتكملة ١: ٢٣٠؛ نفع الطيب ٤: ٣١٩):

أَرْضِ الْعَدُوَّ بظَاهِرٍ مَتَّصِعٌ، إِنْ كُنْتَ مُضْطَرًّا إِلَى آسْرَائِهِ (٣).
كَمْ مِنْ فَتَى أَلْقَى بَوَجْهِ بَاسِمٍ، وَجَوَانِحِي تَنْقُدُ مِنْ بَغْضَائِهِ (٤).

- وقال في الزهد (الإحاطة ١: ١٩١؛ الديباج ٥٠):

إِلَهِي، لَكَ الْمُلْكُ الْعَظِيمُ حَقِيقَةً؛ وَمَا لِلْوَرَى - مَهْمَا نَمَتْ - نَقِيرٌ (٥).
تَجَافَى بَنُو الدُّنْيَا مَكَافِي فِرْسَانِي. وَمَا قَدَّرُ مَخْلُوقٍ جَدَاهُ حَقِيرٌ (٦).
وَقَالُوا: فَقِيرٌ - وَهُوَ عِنْدِي جَلَالَةٌ. نَعَمْ، صَدَقُوا. إِنِّي إِلَيْهِ فَقِيرٌ (٧).

(١) تناءى: ابتعد. النوى: البعاد.

(٢) إنَّ الثناء القليل من خصمك (أو عدوك) يدلُّ على عظم هيبتك في نفسه.

(٣) أرض: فعل أمر من أرضى.

(٤) كَمْ مِنْ فَتَى أَلْقَى (ألقاه أنا). تَنْقُدُ: تتقطع (بغضا له).

(٥) الورى: الناس. مهما نمت (مهما أصغفهم بالنسي) نقير: شيء قليل. ليس ما يملكه الناس، إذا قيس بملك الله، شيئاً.

(٦) تجافى (فعل لازم) تباعد. يقصد الشاعر: تجافى بنو الدنيا عن مكافى (عني). الجداه: الكرم.

(٧) إليه: إلى الله.

- في الذيل والتكملة (١: ٢٣٠ - ٢٣١): « وقوله في وداع القبر المُكْرَم، قبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مع أننا لا نعرفُ له رحلةً إلى المشرق:

حَسْبُ الْمَجِيبِ مِنَ الْحَيِيبِ سَلَامٌ يُغْضَى بِهِ يَوْمَ الْوَدَاعِ ذِمَامٌ^(١).
 رُحْنَا وَرَوْعُ الْبَيْتِ يُخْرِسُ أَلْسِنَا، وَمِنْ الدَّمُوعِ إِشَارَةٌ وَكَلَامٌ^(٢).
 يَا أَرْضَ يَثْرِبَ، لَا عَدَاكَ غَمَامٌ. أَنْتِ الْمُنَى لَوْ تَسْمَعُ الْأَيَّامَ^(٣).
 لِلْقَلْبِ فِي تِلْكَ الْعَرَاصِ عَرَامَةٌ مَضْمُونُهُ كَلَّفَتْ بِهَا وَغَرَامٌ^(٤).
 قَبْرٌ تَضَمَّنَ أَعْظَمًا تَعْظِيمُهَا عَنْهُ يَصِحُّ السِّنُّ وَالْإِسْلَامُ
 وَرَدَّتْ بِهَا نَفْسُ الْمَشُوقِ مَنَاهِلًا كُلُّ الْمَنَاهِلِ بَعْدَهُنَّ حَرَامٌ.

٤- ** نخفة القادم ٤٤٩، الذيل والتكملة ١: ٢٢٣ - ٢٣٢، الإحاطة ١: ١٨٩ - ١٩٣، نفع الطيب ٣: ٣٣٣، ٣١٩.

ابن ميمون القرطبي

١- هو، في الأغلب، أبو بكر محمد بن عبد الله بن ميمون بن إدريس بن محمد بن عبد الله العبدي القرطبي المعروف بلقب مركوش (أو مرقس، لأنه من أصل غير عربي)، وُلِدَ نَحْوَ سَنَةِ ٤٩٨ هـ (١١٠٣ - ١١٠٤ م) في قرطبة.

روى ابن ميمون القرطبي عن أبي بكر بن العربي وشريح وأبي الحسن الباذش ولازم أبا الوليد بن رشد عشر سنوات. ثم إنّه خرج إلى المغرب واستوطن مدينة

(١) الذمام: العهد. الحق، الحرمة (بالضم: ما يجب المحافظة عليه).

(٢) رحنا (رحنا مساء)، غادرنا المكان. روع (الخوف من) البين (الفراق، البعاد).

(٣) يثرب: المدينة المنورة. لا عداك (لا تحطاك). غمام (أدعو الله أن تظفر كل حذاة تيك - أن تكون الرحة دائمة فلك). تسمع: (تساعد) الأيام (على اللقاء).

مَرَاكُشَ وَتَصَدَّرَ فِيهَا لِإِقْرَاءِ النَّحْوِ خَاصَّةً. وَكَانَ يَحْضُرُ مَجْلِسَ السُّلْطَانِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ
ابن علي (٥٢٤ - ٥٥٨ هـ) مَعَ الْعُلَمَاءِ، فَاتَّفَقَ يَوْمًا أَنْ أُنْشِدَ أَيْبَاتًا فِيهَا زَنْدَقَةٌ (رَاجِعِ
الْمَخْتَارَاتِ) فَهَجَرَهُ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ وَمَنَعَهُ مِنَ الْحُضُورِ فِي مَجْلِسِهِ وَصَرَّفَ بَنِيهِ عَنِ الْقِرَاءَةِ
عَلَيْهِ وَاقْتَدَى كَثِيرُونَ بِعَبْدِ الْمُؤْمِنِ.

وَكَانَتْ وَقَاةُ ابْنِ مَيْمُونِ الْقُرْطُبِيِّ فِي ثَامِنِ عَشَرَ جُمَادَى الثَّانِيَةِ مِنْ سَنَةِ ٥٦٧
(١٧ / ١ / ١١٧٢ م).

٢ - كَانَ ابْنُ مَيْمُونِ الْقُرْطُبِيُّ حَسَنَ الْعُسْرَةِ فَكَيْهَ الْحَدِيثِ وَفِيهِ شَيْءٌ مِنَ الدُّعَابَةِ.
وَكَانَ عَالِمًا بِالْقِرَاءَاتِ وَالتَّفْسِيرِ وَالفَهْمِ وَاللُّغَةِ وَالأَدَبِ مُبَرَّرًا فِي النَّحْوِ، كَمَا كَانَ كَاتِبًا
وَشَاعِرًا. ثُمَّ هُوَ مُصَنِّفٌ، أَلَّفَ عِدَدًا مِنَ الْكُتُبِ، مِنْهَا: شَرْحُ (أَيْبَاتِ) الإِيضَاحِ -
شَرْحُ مَقَامَاتِ الْحَرِيرِيِّ - مَسَاجِدُ الأَفْكَارِ فِي مَا أُخِذَ عَلَى النُّظَّارِ (عُلَمَاءِ الْكَلَامِ
وَأَصْحَابِ النَّظَرِ الْعَقْلِيِّ).

٣ - مَخْتَارَاتٌ مِنْ آثَارِهِ:

- مِنْ رِسَالَةِ لَابِنِ مَيْمُونِ الْقُرْطُبِيِّ إِلَى مَحْبُوبٍ لَهُ:

.... فَبِاللَّهِ إِلا مَا لَقِيَتِ الرَّسُولَ بِوَجْهِ يَدُلُّ عَلَى الْقَبُولِ، وَتَفَضَّلْتَ بَأَنْ تَصِلَ قَبْلَ
رُجُوعِهِ إِلَيْنَا وَتُخَالَفَهُ مِنْ طَرِيقِي مُخْتَصِرٌ حَتَّى تَطَّلِعَ قَبْلَهُ عَلَيْنَا^(١). هُنَالِكَ كُنَّا نَجْرُ
لِلْفَضَائِلِ سُجْدًا، وَلا نَزَالُ نُوَالِي شُكْرَكَ وَذِكْرَكَ أَبَدًا^(٢).

- أَنْشَدَ ابْنُ مَيْمُونِ الْقُرْطُبِيُّ مَرَّةً فِي مَجْلِسِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ بْنِ عَلِيٍّ أَيْبَاتًا كَانَ قَدْ
نَظَّمَهَا فِي أَبِي الْقَاسِمِ عَبْدِ الْمُنْعِمِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ تَيْسِيَتٍ:

(١) تخالفة: تأتي من طريق غير الطريق التي سبأت منها (وأفصر). تطلع علينا (مثل البدر).

(٢) فإذا فعلت ذلك فإننا نشكر نعمة الدهر علينا ونوالي (سنمرا) في شكره.

أبسا قاسم، والهووى جِنّة - وها أنا من مَسّها لم أفيق^(١) -
تَقَعَّتْ جاحمَ نارِ الضلوعِ كما خُضَّتَ بجرَ دُموعِ الحدقِ^(٢).
أكنتَ الحليلَ، أكنتَ الكلمَ: أمنتَ الحريقَ، أمنتَ الفراقَ^(٣)!

- وقال في النسب والعتاب:

طرّفي، وحقّك، يرعى الذئب نجوم نَجْماً فنجَمَنا^(٤)
مردّداً: فكأني أفكّ منها ممّسى^(٥)!

- وقال في غلام قصّ شيئاً من شعره:

تبسم عن مثل نور الأفاحي وأقصدنا بمرضٍ صحاح^(٦)
ومرّ يميسُ كما ماس غصنٌ تلاعيبُ عطفيه هوج الرياح^(٧)
وقصر من ليله ساعة فأعقب ذلك ضوء الصباح^(٨)

(١) الجنّة (بكر الجيم): الجنون. المسّ: الإصابة بالجنون. لم أفيق: لم أبرأ (لم أشف).

(٢) تقعّت: هجمت، رميت بنفسك. جاحم: شديد الحرارة. الحدق: العيون.

(٣) أكنت مثل الحليل (إبراهيم الذي ألقى في النار فلم يحترق) ومثل الكلم (موسى الذي خاض البحر الأحمر فلم يغرق). وقد غضب السلطان الموحدي عبد المؤمن بن عليّ على ابن ميمون لأنّه شبه بمدوحه بإبراهيم وموسى.

(٤) طرّفي = ناظري: عيني. يرعى: يراقب، يتأمل.

(٥) مردّداً: مكرراً، مبيداً. الممّسى: اللغز.

(٦) تبسم (فظهرت أسنانه جميلة منتظمة) مثل نور (بفتح النون: زهر) الأفايح. وأقصدنا: قتلنا (بعيون) مرض (مريضة بمعنى ناعسة) صحاح (سليمة).

(٧) يميس: يتأيل. العطف (بكر العين): جانب الجسم (يشبه العنق بإنسان). هوج الرياح: الرياح الشديدة.

(٨) قصر من ليله... قصّ من ليله (من شعره الأسود) ساعة (جزءاً يسيراً). فأعقب (تلا، تبع) ذلك (تقصير شعره) ضوء الصباح (ظهور جزء أكبر من وجهه).

وَأَنِّي - وَإِنْ زَعَمَ العاذِلُو ن - من خَمَرَ أَجْفَانِهِ غَيْرُ صَاحٍ^(١).

٤- ** جذوة المقتبس ٤٨٦ بغية المتنص ١٢١ (رقم ٢٨٤) المغرب ١: ١١١ - ١١٢
معجم الأدباء ١٩: ٦٣ - ١٦٤ الوافي بالوفيات ٥: ١١٠٤ إنباه الرواة ٣: ٢١٨
المطرب ١٩٨ - ١٩٩ المن بالامامة ٢٢٦ - ٢٢٨ بغية الوعاة ٦١ - ٦٢، ١٠٩
الأعلام للزركلي ٧: ١٠٧ (٦: ٢٣١).

أبو الحسن بن عيَاش

١ - هو أبو الحسن عبدُ الملكِ بنُ عيَاشِ بنِ فرجِ بنِ عبدِ الملكِ بنِ هرونَ الأزديُّ القُرطبيُّ، أصلُه من مدينةِ يابُرةَ (في غربيِّ الأندلس: البرتغال اليوم، شرقَ أشبونة أو لشبونة). صحبَ بنيَ حَمْدِنَ بقرطبةَ - وكانوا أسرةً نَبَغَ فيها نَفَرٌ من القضاة - ثمَّ استخدمَه المُوَحِّدُونَ في الكِتَابَةِ. وكانت وفاته في إشبيلية في غُرَّةِ جُمادى الثانية من سَنَةِ ٥٦٨ (١١٨ / ١ / ١١٧٣ م).

٢ - كان أبو الحسن ابنُ عيَاشِ كاتباً مَتَرَسِّلاً واسعَ المعرفةِ بالعربيةِ ويفنونُ الأدبَ يُكثِرُ التضمينَ والاقْتِباسَ من كتابِ الله. وكان له نَظْمٌ أَدْنَى مرتبةٍ من نَثْرِهِ.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال أبو الحسن بنُ عيَاشِ القُرطبيُّ يَحُثُّ قبائلَ العَرَبِ (البَدُو) من بني هلالٍ على الجهاد:

أَقِيمُوا إِلَى العَلِيَاءِ عُوَجَ الرَوَاحِلِ وَقُودُوا إِلَى المَهْجَاءِ جُرْدًا لِصَوَاهِلِ^(٢)
وَقُومُوا لِنَصْرِ الدِّينِ قَوْمَةً نَائِرٍ وَشُدُّوا عَلَى الأَعْدَاءِ شُدَّةَ صَائِلِ^(٣).

(١) سَأَطَلَ سكران من خر عينيه ولو قال العاذلون (اللائمون، الميخضون) أَنِّي سَأَصُحُو سَها.
(٢) أَقام: رفع (أنهض الدابة من مريضها استعداداً للسفر). الراحلة: الدابة التي تستخدم في الرحلة (السفر والانتقال). الموج جمع عوجاء: الضامرة البطن (تسرع في سيرها). الصاهل: الحصان الأجرد: الحصان القصير الثمر (وذلك من صفات الخيل الجياد).
(٣) شَدَّ: هجم. الصائل: المهاجم الذي يبني قهر خصمه.

فما العِزُّ إِلَّا ظَهْرٌ أُجْرَدَ سَابِحٌ تَمَوْتُ الصَّبَا فِي شَدَّةِ الْمُتَوَاصِلِ (١) ،
 وَأَبْيَضُ مَأْتُورٌ كَأَنَّ فِرْنَدَهُ عَلَى الْمَاءِ مَحْبُوكٌ وَلَيْسَ بِسَائِلِ (٢) ،
 بَنِي الْعَمِّ مِنْ عَلِيَا هِلَالِ بْنِ عَامِرٍ وَمَا جَمَعَتْ مِنْ بَاسِلِ وَابْنِ بَاسِلِ (٣) ،
 تَعَالَوْا فَقَدْ سُدَّتْ إِلَى الْعَزْوِ نِيَّةٌ عَوَاقِبُهَا مَقْرُونَةٌ بِالْأَوَائِلِ (٤) .

- وَلَمَّا تَغَلَّبَ الْمُوَحَّدُونَ عَلَى ابْنِ مَرْدَنِيشَ (٥) فِي الْأَنْدَلُسِ ، كَتَبَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ عِيَّاشٍ كِتَابَ الْبُشْرَى بِالنَّصْرِ إِلَى مَرَاكُشَ . فِيمَا جَاءَ فِي هَذَا الْكِتَابِ :

..... فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ السَّابِغِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ فِي حِينِ الزَّوَالِ اسْتَخَارَ اللَّهُ الْمُوَحَّدُونَ (٦) عَلَى أَنْ يَأْخُذُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الثَّنَائِيَا الَّتِي تَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُرْسِيَّةِ (٧) . فَتَمَيَّزُوا شُعُوبًا وَقِبَائِلَ وَصَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ مِنْ إِخْلَاصِ التَّوْبَةِ وَإِمْحَاضِ النِّيَّةِ (٨) . فَرَأَى الْأَعْدَاءُ مَا هَالَهُمْ وَأَحَالَ حَالَهُمْ (٩) . هَذَا عَلَى احْتِدَادِ شَوْكَتِهِمْ (١٠) وَكَثْرَةِ عِدَّتِهِمْ . وَتَرَدَّدُوا بِسَفْحِ الْجَبَلِ زُهَاءً ثَمَانِيَةَ آلَافِ فَارِسٍ أَكْثَرُهُمْ أَرْغُونُ (١١)

- (١) السابح: الحصان (السرير). تومت الصبا الخ: تقصرت الريح عنه في السرعة (٢).
- (٢) أبيض: سيف. مأثور: متوارث (جيد الجنس، محتبر). الفرند: البياض في حدّ السيف. (هذا السيف كأنه منسوج من سطح الماء، ولكنه جامد غير جار).
- (٣) هلال بن عامر: قبائل عربية (بدوية) كان الفاطميون (بعد انتقالهم من القيروان إلى القاهرة وبعد ترك البربر للمذهب الفاطمي) قد سرحوها إلى المغرب لتحدث فيه فلاقى. الباسل: الأسد (الشديد في الحرب).
- (٤) عواقبها (نتائجها) مقرونة (مرتبطة، معتمدة على) الأوائل (الأسباب، المقدمات، الاستعداد).
- (٥) هو محمد بن سعد (٥١٨ - ٥٦٧ هـ) ثار على الموحدين في شرقي الأندلس ووصل يده بيد الإسبان.
- (٦) طمع في الاستيلاء على اشبيلية وقرطبة. قاتله الموحدون وحاصروه في مرسية فمات في أثناء الحصار.
- (٧) من سنة ٥٦٠ هـ (١١٤ / ١٠ / ١١٦٥ م). الزوال (زوال الشمس عن خط كبد السطاه): وقت الظهر.
- (٨) استخار الله الموحدون = الموحدون استخاروا الله (طلبوا من الله أن يختار لهم ما هو أصلي لهم).
- (٩) بينه (بين ابن مردنيش) وبين الثنايا (الطرق في الجبال).
- (١٠) تميزوا (اقتروا) شعوباً وقبائل (بحسب أقسامهم القبلية). « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه... » (٣٣: ٢٣، سورة الأحزاب). المحض: الخالص (الصافي، الصادق).
- (١١) هالمهم: أفزعهم. أحال: بذلك.
- (١٠) احتداد: اشتداد. الشوكة: القوة.
- (١١) أرغون: نصارى أرغونة (شمال شرقي إسبانية).

وَقَفُوا يَتَشَاوِرُونَ وَيَتَنَازَعُونَ. وَلَمْ يَجِدُوا مَحِيداً عَنِ الطَّرِيقِ الَّتِي ضَمَّتْهُمْ، وَلَا مَنَفَذاً إِلَّا فِي الْمَسَافَاتِ الَّتِي حَفَّتْ مُحِيطَةً بِهِمْ وَعَمَّتْهُمْ..... وصَافَهُمْ جُنُودُ اللَّهِ مِنْ ضُحَى النَّهَارِ إِلَى أَنْ نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ^(١)، فِي أَيَّامٍ يُقْبَلُ فِيهَا التَّوْبُ^(٢) وَيُغْفَرُ فِيهَا الذَّنْبُ وَيُخْشَعُ الْقَلْبُ وَيُعْبَدُ الرَّبُّ. فَلَمَّا كَانَ وَقْتُ الصَّلَاةِ اخْتَارَ اللَّهُ لِلْمُوحِدِينَ أَنْ نَاشِبُوهُمُ الْقِتَالَ، وَقَدْ كَثُرَ الذِّكْرُ وَالْإِهْلَالُ^(٣). وَرَحَّتِ الْعَسَاكِرُ إِلَيْهِمْ حَتَّى دَنَا السَّوَادُ مِنَ السَّوَادِ، وَتَشَوَّفَهُ بِالْكَلِمِ وَالطَّرَادِ^(٤). وَحَمَلَتِ الرُّومُ^(٥) حَمَلَتَهُمُ الْمَعْلُومَةَ الْمَهْمُودَةَ^(٦).... وَالتَّقَتْ عَلَيْهِمْ قِبَائِلُ الْمُوحِدِينَ، وَاحْتَدَمَتِ الْحَرْبُ وَحَيِيَ الْوَطِيسُ^(٧).... وَتَبَتَ اللَّهُ أقدامَ الْمُوحِدِينَ وَزَلَزَلْ أقدامَ الْمُلْحَدِينَ. وَتَبَّتِ السَّاقَةُ الَّتِي فِيهَا الْأَعْلَامُ كَأَنَّهَا الْجِبَالُ الرَّاسِيَاتُ وَالْأَعْلَامُ^(٨). وَانْبَرَى الْمُوحِدُونَ الْأَوَّلُ مِنْ أَهْلِ تَيْنَمَلَلٍ وَهَنْتَاتَةَ^(٩) فَصَبَرُوا صَبْرَ أَمْثَالِهِمْ وَخَوَّلَهُمْ إِقْبَالاً فِي اسْتِقْبَالِهِمْ^(١٠). وَأَجْفَلَ الْكُفْرَةَ مُنْهَزِمِينَ وَوَلَّوْا الْأَدْيَارَ مُدْبِرِينَ^(١١)، وَالسِّيفُ يَأْخُذُ مِنْهُمْ فَوْقَ مَا يَدْعُ، وَحِزْبُ

(١) صَافَهُمْ: أَقَامَ صُفُوفَ الْقِتَالِ فِي مَوَاجِهَتِهِمْ. الضُّحَى: الْوَقْتُ الَّذِي تَرْتَفِعُ فِيهِ الشَّمْسُ فَوْقَ الْأَفْقِ قَلِيلاً.

«إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ» (سُورَةُ الْجُمُعَةِ: ٩: ٦٢). وَقْتُ انْتِصَافِ النَّهَارِ.

(٢) التَّوْبَةُ: التَّوْبَةُ.

(٣) نَاشِبَهُ الْقِتَالَ: نَاشِبَهُ (طَالِبَهُ بِالْقِتَالِ، اسْتَفْرَزَهُ لِلْقِتَالِ). الذِّكْرُ: ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْإِهْلَالَ: قَوْلُهُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

(٤) دَنَا السَّوَادُ (الْجِسْمُ) مِنَ السَّوَادِ (أَصْبَحَ الْفَرِيقَانِ يَرَى بَعْضُهُمَا بَعْضاً). تَشَوَّفُ: رَأَى عَنْ بَعْدِ. الْكَلِمُ: الْكَلَامُ (الْمُنَادَاةُ). الطَّرَادُ: مَعَالِجَةُ الْخِصْمِ بِالْمُهْجَمِ.

(٥) الرُّومُ: (فِي الْأَنْدَلُسِ) النَّصَارَى، الْفَرَنْجِيَّةُ (مِنْ أَيِّ جِنْسٍ كَانُوا).

(٦) الْحَمَلَةُ: الْمُهْجَمَةُ. الْمَعْلُومَةُ الْمَهْمُودَةُ: (فِيهَا غَدْرٌ وَوَحْشِيَّةٌ).

(٧) الْوَطِيسُ: حَفْرَةٌ صَغِيرَةٌ يَجْبُرُ فِيهَا وَيَشْوَى (تَنْوُرًا)، كِتَابَةٌ عَنِ اشْتِدَادِ الْقِتَالِ.

(٨) السَّاقَةُ: مُؤَخَّرَةُ الْجَيْشِ (وَيَكُونُ فِيهَا الطَّعَامُ وَالصَّنَاعُ لِإِصْلَاحِ مَا يَتَكَثَّرُ مِنَ السِّبُوفِ وَالذَّرُوعِ الْخَالِجِ). الْعِلْمُ (بِقِتْحِ فَتْحِ): الرَّايَةُ وَالْجَيْلُ.

(٩) تَيْنَمَلَلٌ أَوْ تَيْنَمَلَلٌ: الْبَلَدَةُ (فِي جِبَالِ الْأَطْلَسِ) الَّتِي طَهَّرَتْ مِنْهَا دَوْلَةُ الْمُوحِدِينَ. هَنْتَاتَةُ: قَبِيلَةٌ كَبِيرَةٌ كَانَتْ مُنَاصِرَةً لِلْمُوحِدِينَ.

(١٠) الْأَمْثَالُ (الْمَقْصُودُ: الْأَمْثَالُ): خِيَارُ الْقَوْمِ وَشَجَاعَتُهُمْ - صَدَقَ الْجَمِيعُ فِي الْحَرْبِ كَأَنَّهُمْ كَلَّمَهُمْ مِنْ خِيَارِ الْقَوْمِ. خَوَّلَهُمْ (أَعْطَاهُمْ) إِقْبَالاً (سَعَادَةً، حَقْلاً، نَصْرًا) فِي اسْتِقْبَالِهِمْ (فِي مَقَاتَلَةِ الْعَدُوِّ وَجْهًا لَوَجْهٍ).

(١١) أَجْفَلَ: مَضَى سَرْعًا. وَلَّى (أَعْطَى، أَدَارَ) الدَّبْرَ (بِضْمٍ فَضْمٍ): الْفَقَا (كِتَابَةٌ عَنِ الْحَرْبِ). مُدْبِرٌ: رَاجِعٌ، مُنْتَصِرٌ إِلَى الْخَلْفِ. هَارِبٌ.

الله يتقدم غالباً فيصرع ويصدع^(١). وقُتِلَ رجال الشقيّ ومشاهيرُه^(٢)، والرومُ أكثرُ القتلى فيهم. فخرُوا كأنهم أعجازُ نخلٍ خاوية^(٣)..... ولاذَ الشقيّ.... للفرار، وقد خَبَرَ من حَدِّ السيوفِ وأنبأها ما أغناه عن الأخبار.

٤-★★ المنّ بالإمامة ٨٣، راجع ١٦٠ ح، ٢٥٢، ٢٧٦ - ٢٨٢ - ٣٠٢، ٣٠٧، ٣٠٩ - ٣٧٦، ٣٢٣ - ٣٨٠، ٤١٥ - ٤١٧؛ التكملة ٢: ٦١٨ (رقم ١٧٢١)؛ الذيل والتكملة ٥: ٢٦ - ٢٦٠؛ زاد المسافر ٩٣ (١٣٥)؛ نفع الطيب ٣: ٤٤٦ - ٤٤٧، ٣٢٨ - ٣٢٧.

أبو عامر بن الحمارة

١- هو أبو عامرٍ محمد^(١) بن الحمارة الغرناطيّ - من المهديّة في القطر التونسيّ - وُلِدَ سنّة ٥٠٠ هـ (١١٠٦ - ١١٠٧ م)، ويُقرَنُ اسمه بلقب «الوزير». تتلمذ على ابنِ بَاجِه (ت ٥٣٣ هـ) في صناعة الفناء وفي الفلسفة. وكانت وفاة أبي عامر بن الحمارة، سنّة ٥٧٠ هـ (١١٧٤ - ١١٧٥ م).

٢- كان أبو عامر بن الحمارة، فيما قيل، من فلاسفة الأندلس. ولكننا لا نعرف من حياته كلّها سوى إشاراتٍ جزئية. وقيل فيه: كان عارفاً بصناعة الألمان: يصنعُ العودَ بنفسه ثم ينظّمُ الشِعْرَ ويلحّنه ويغنيهِ فيطربُ سامعيه. وقد وصلَ إلينا أبياتٌ بسيرةٍ من شعره تدلُّ على براعةٍ وعليها طلاوةٌ، وكان يرتحلُ أيضاً. وفنونه المدحُ والريثاءُ والهجاءُ (وهجاؤه خبيثٌ) والغزلُ والوصفُ.

(١) ودع يدع: ترك. صرع: ألقى (خصمه) أرضاً، قتل. صدع: شق، كسر.

(٢) الشقيّ: ابن مردنيش. مشاهيره: أبطاله وخاصة أنصاره.

(٣) أعجاز النخل: أصولها (جذوعها). خاوية: فارغة، مخرة. «كأنهم أعجاز نخل خاوية» (٧: ٦٩)، سورة الحاقة).

(٤) هنالك قصة واحدة (راجع نفع الطيب ٤: ١٣ و ١٤٠) تروى مرّة عن أبي عامر محمد بن الحمارة ومرّة عن أبي الحسين علي بن الحمارة.

٣- مختارات من شعره:

- لأبي عامر محمد بن الحمارة هذا البيت الذي أقتنص فيه صورة الحلم (النام) الذي ينفِرُ عن النائم (المغرب ٢: ١٢٠):

إذا ظنَّ وكرأ مُقلتي طائرُ الكرى رأى هُدبها فازتاعَ خَوْفَ الحبائل^(١).

- وله في رثاء زوجته (المغرب ٢: ١٢٠):

ولما أن حَلَلتِ التُّرْبَ قُلْنَا: لقد ضَلَّتْ مَوَاقِمَها النجومُ.

ألا يا زهرةَ ذَبَلتْ سريعا، أَضَنَّ المُرْنُ أم رَكَدَ النَسْمُ^(٢)؟

- ولما بنى أبو العباس بن القاسم بن العشرة قصره في مدينة سلا^(٣)، وصَفَ الشعراء ذلك القصر. واتفق أن كان أبو عامر بن الحمارة حينئذٍ في سلا- ولم يكن قد أعدَّ شيئاً من الشعر لتلك المناسبة- ففكر قليلاً وقال (نفع الطيب ٤: ١٣ ١٤٠):

يا واحدَ الناسِ، قد شَدِدتَ واحدةً فحلَّ فيها محلَّ الشمسِ في الحملِ^(٤).

فما كداركُ في الدنيا لذي أملٍ، ولا كداركُ في الأخرى لذي عَمَلٍ^(٥).

- وقال في مُداراة الأصدقاء (نفع الطيب ٣: ٥٩٧):

ولي صاحبٌ أحنو عليه، وإنه ليُوجِعُنِي حيناً فلا أتوجَّعُ.

(١) شبه الحلم (بضم فسكون) بطائر حم قال: إن ذلك الطائر قد ظنَّ أن مقلتي (عيني) وكر يمكن أن يلجا إليه، ثم أبصر أهداب عيني (الشعر في جفنيها) فازتاع (خاف) إذ ظنَّ أهدابي حباله (بسكر الماء: مصيدة، شركا) لكثرة ما كان قد رأى الطيور في الحبال.

(٢) شبه زوجته التي ماتت بزهرة ذبلت جفت وذوت) لانقطاع الزمن (المطر) أو لركود (هدوء) الهواء (إذ حلَّ محلَّ النسم النمش ريح حارة تقتل النبات).

(٣) سلا: مدينة قرب الرباط (في المغرب).

(٤) واحد الناس (أعظم الناس، لا مثيل له). واحدة (داراً هي أعظم الدور). حلَّ فيها (انزل فيها، اسكنها) كما تنزل الشمس في برج الحمل (إيذاناً بجلول فصل الربيع).

(٥) دارك هذه أجمل من جميع الدور في هذه الدنيا، وأفضل من منازل غيرك في الجنة في الآخرة.

أَقِيمُ مَكَانِي مَا جَفَانِي، وَرُبِّيَا يُسَائِلُنِي الرَّجْمَى فَلَا أَمْتَعُ^(١).
كَأَنِّي فِي كَفِّيهِ غُصْنُ أَرَاكِةٍ تَمِيلُ عَلَى حُكْمِ النِّسِيمِ وَتَرْجِعُ^(٢).

- لأبي عامر بن الجَمارة مقاطعُ حسانٌ منها:

★ ★ اللَّهُ يَوْمٌ كَانَ فِيهِ مُنَادِي وَجَهُ الْحَبِيبِ وَزَهْرَةُ الْبِسْتَانِ،
صَرَغْتَنِي اللَّذَاتُ فِيهِ مَضْرَعاً مَا شِئْتَ مِنْ رَوْحٍ وَمِنْ رَيْحَانٍ^(٣).
يَا صَاحِبِي، تَمَتَّعَا مِنْ سَاعَةِ شُقِلَ الزَّمَانُ بِهَا عَنِ الْحَدَثَانِ^(٤)
★ ★ لَوْ كُنْتُ أَمَلُ أَنْ أَلْفَاكَ فِي الْحُلْمِ لَمَّا قَرَعْتُ عَلَيْكَ السِّنَّ مِنْ نَدَمٍ^(٥).
يَحْمِي وَصَالِكَ أَعْدَاءُ لَهُمْ رَصَدٌ وَيَصْرِفُ الطَّيْفَ أَنِّي بَتُّ لَمْ أَمِّمْ^(٦).
يَا مَرَسَلًا سَهَمَ عَيْنِيهِ لِيَقْتُلَنِي، مِنْ ذَا أَبَاحَ لِدَاكَ لِلْحَضِرِ سَفْكَ دَمِي؟
★ ★ أَنَا نَا فَتَيْتُ الْمِسْكَ يَبْعَبِقُ عَرْفُهُ وَيُثْنِي عَلَى ذَاكَ النَّدَى وَالتَّكْرُمُ^(٧)،
فَأَشْعَرَنِي رَيْبًا حَبِيبٍ أُعِيرُهُ، عَلَى رَقِيَّةٍ، لِحِظَةِ الْمَشُوقِ الْمُتَمِيمِ^(٨).
فَوَاللَّهِ، لَوْلَا أَنْ تَقُولَ لِي الْمُنَى: رُوَيْدِكَ، لَا تُقَدِّمُ عَلَيَّ غَيْرَ مُقَدِّمٍ^(٩).
لَحَدَّثْتُ نَفْسِي عِنْدَ ذَلِكَ أَنَّي أَشُمُّ الَّذِي مَا بَيْنَ عَيْنَيْكَ وَالْقَمِ !

- (١) إذا جفاني (صديقي): ابتعد عني (كره لِقائي) أفمت مكاني (لا أزوره). وإذا سألتني أن أعود إلى صداقتك فلا أرفض.
- (٢) الأراكية: شجرة (لينة الأغصان؟).
- (٣) صرع الرجل خصمه: ألقاه أرضاً (على الأرض، قتله). الروح: الراحة، النسيم المنعش. الريحان: نبات ذو رائحة طيبة. - انفست (ذلك اليوم) في اللذات حتى قدت وعيي.
- (٤) نسي فيها الزمان أن يجيء إلينا بمصائب.
- (٥) قرع السن ندماً (ندم ندماً كثيراً).
- (٦) رصد: مراقبة. الطيف: الخيال (الطارق في النوم). بت (قضيت الليل). أنا لا أرى خيالك في النوم (لأبي سهران في حبك ولا أنا).
- (٧) فتيت المسك (إذا فت المسك: طحن) يزيد انتشار الرائحة منه. عبق (يفتح فكس): ضاع (مضارعه: يضيع): فاح، انتشر. العرف: الرائحة الطيبة. الندى: الكرم.
- (٨) الريّا: الرائحة الطيبة. رقية (مراقبة وحذر). المتيم: الذي ذلّه الحب. إن الرائحة الطيبة دلتني على وجود حبيبي فجعلت أعيره لحظي (أنظر إليه بحذر).
- (٩) المنى جمع أمنية. رويدك: مهلاً. مقدم (أمر يقدم الناس عادة عليه).

- وقال أبو عامر بن الحماره يَرِنِي أستاذَه ابنَ باجَه (الوافي بالوفيات ٢: ٢٤٢):
يا صاحبَ القبرِ القريبِ - ودُونَه هُم تَبَيَّنْتُ لَهُ الكواكبُ تَسَهَّرُ -
قَم، إنْ أَطَقْتُ، وهاتِ عَن صُورِ الرَّدَى خَبْرًا، فقد عاينْتُ كَيْفَ تُصَوَّرُ^(١).
أخْبِرْ عَنِ المَلَكُوتِ كَيْفَ رَأَيْتَه: إنَّ الغريبَ عَنِ الغرائبِ يُخْبِرُ.

٤- ** بنية الملتبس ٥١٧ (رقم ١٥٥١؛ ١٠٥٥)؛ المطرب (الخرطوم) ١٠٧ - ١٠٨
الوافي بالوفيات ٢: ٢٤٢ (الأسطر ١١ - ١٤)؛ المغرب ٢: ١٢٠؛ نفع الطيب ١:
٢٠٥، ٣؛ ٥٩٧؛ ٤؛ ١٣؛ ١٤٠.

الأصم المرواني

١- هو الشريف الأصم المرواني القرطبي^(٢)، كان من نسل الطليق المرواني (ت نحو ٤٠٠ هـ) من جهة أمه^(٣)، وكان في مطلع دولة الموحدين في أيام عبد المؤمن ابن علي. ويُنكَرُ أن تكون وفاته بالتخمين بين ٥٧٠ و ٥٧٥ هـ (١١٧٥ - ١١٨٠ م).

٢- الأصم المرواني شاعرٌ جَزَلُ الألفاظِ متينُ الأسلوبِ مشرقِيّ الديباجةِ برَع في المديح والوصف. وقد اشتهر بقصيدته البائية التي قالها، في أواخر سنة ٥٥٥ للهجرة (أول ١١٦٠ م) في مديح عبد المؤمن بن علي (راجع المختارات) يعارض فيها قصيدة أبي تمام: «السيف أصدقُ إنباءَ من الكتبِ».

٣- مختارات من شعره:

- لما جاز عبد المؤمن بن علي، أول خلفاء الموحدين، بحر الزقاق (مضيق جبل)

- (١) قَم (انهض من قبرك). أطاق: قدر، استطاع. كيف تصوّر (كيف تكون صور الأمور في الآخرة).
(٢) بعد سقوط الدولة الروانية (الأموية) في الأندلس (٤٢٨ هـ) تم هججه المرابطين (٤٨٤ هـ = ١٠٩١) تم الموحدين، تفرّق الأمويون في البلاد واستخفوا (بفتح الفاء) واستغنى أكثرهم عن التمرد بأسعائهم الشخصية. ولكن ظلوا يعرفون باسم الشرفاء. من هؤلاء كان الطليق المرواني (ت نحو ٤٠٠ هـ) والأصم المرواني صاحب هذه الترجمة والشريف الغرناطي (٦٩٧ - ٧٦١ هـ).
(٣) المعجب ١٥٣ (٢١٥ - ٢١٦).

طارق) مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَى الْأَنْدَلُسِ ، وَاغَاهِ الشُّعْرَاءُ فَالْتَقَوْا بَيْنَ يَدَيْهِ الْقَصَائِدَ . فِي هَذِهِ الْمُنَاسِبَةِ أَلْقَى الْأَصَمُّ الْمُرَوِّثِيُّ قَصِيدَتَهُ الْبَائِيَةَ . وَتَمَّ جَاءُ فِيهَا :

مَا لِلْعِدَا جُبَّةٌ أَوْقَى مِنَ الْمَرْبِ . كَيْفَ الْمَفْرُ ، وَخَيْلُ اللَّهِ فِي الطَّلَبِ (١) .
 وَأَيْنَ يَذْهَبُ مَنْ فِي رَأْسِ شَاهِقَةٍ إِذَا رَمَتْهُ سَمَاءُ اللَّهِ بِالشُّهُبِ (٢) .
 حَدَّثَ عَنِ الرُّومِ فِي أَقْطَارِ أَنْدَلُسِ وَالْبَحْرِ قَدَمَلَا الْعَبْرَيْنِ بِالْعَرَبِ (٣) ،
 وَطَوْدُ طَارِقٍ قَدْ حَلَّ الْإِمَامُ بِهِ كَالطُّورِ كَانَ لِمُوسَى أَيْمَنَ الرُّتَبِ (٤) .
 لَوْ يَعْرِفُ الطَّوْدُ مَا غَشَاهُ مِنْ كَرَمٍ لَمْ يَسْطُرِ الْغُورُ فِيهِ الْكَفَّ لِلْحُجُبِ .
 مِنْهُ يُعَاوَدُ هَذَا الْفَتْحُ ثَانِيَةً أَضْعَافًا مَا حَدَّثُوا فِي سَالِفِ الْحَقَبِ (٥) ،
 وَيُنْبَسُ الدِّينُ غَضًّا قُوبًا عِزَّتِهِ كَأَنَّ أَيَّامَ بَدْرِ عَنْهُ لَمْ تَقِبِ (٦) .
 تَدْبِيرٌ مِّنْ قَارِعِ الْأَيَّامِ وَاخْتَلَطَتْ آرَأُوهُ فِي الْوَعْيِ بِالسُّمْرِ وَالْقَضْبِ (٧) .
 إِنْ أَبَّ مِنْ غَزْوَةٍ أَفْتَتِ أَعَادِيَهُ كَانَ الْإِيَابُ لِأُخْرَى أَعْظَمَ النَّسَبِ (٨) .

(١) الجبّة (بضم الجيم): الوقاية (ما يحجب الإنسان عن الخطر).

(٢) في رأس شاهقة (جبل عال): مكتشف معرض للأخطار . الشهب جمع شهاب: حجر يفتل من مداره حول كوكب من الكواكب فيدخل جو الأرض ويشتمل وهو ساقط (إذا كان الله يريد إهلاكهم).

(٣) الروم كانت تُطلقُ على جميع النصارى في الأندلس سواء أكانوا روماً أو قوطاً . حَدَّثَ عَنِ الرُّومِ كانت الجيوش التي تجمعت في الأندلس من الروم لمحاربة المسلمين كثيرة، وكذلك كان جيوش العرب كثيرة جداً تملأ العبرين (الجانب الإفريقي والجانب الأندلسي).

(٤) طود طارق: جبل طارق (الطرف الجنوبي من الأندلس). الإمام: عبد المؤمن بن علي. الطور: الجبل الذي وقف عليه موسى. أمين: أكثر ميثاً (بضم الياء: بركة). إِنَّ جَبَلَ الطُّورِ كَانَ أْبْرَكَ الْمَوَاقِفِ فِي حَيَاةِ مُوسَى . وَنَزُولُ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ بْنِ عَلِيٍّ فِي جَبَلِ طَارِقٍ (لِلدِّفَاعِ عَنِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْأَنْدَلُسِ) كَانَ بِرْتَبَةِ وَقُوفِ مُوسَى عَلَى جَبَلِ الطُّورِ .

(٥) سالف: ماضي. الحقبة (بكسر الحاء): المدة من الزمن. - من جبل طارق سيعاد فتح الأندلس مرة ثانية كما كان طارق بن زياد قد فتح الأندلس في المرة الأولى من هذا المكان.

(٦) الفرض: الطري، الجديد. بدر أول معارك الإسلام (سنة ٢ هـ = ٦٢٤ م).

(٧) قارع الأيام: قاومها (اختبرها) الوغى: الحرب. السمر جمع أسمر: الرمح. القضب جمع قضيب: السيف. - اختلطت آراؤه الخ: آراؤه في خوض الحروب مهمة وفعالة مثل السيوف والرماح.

(٨) أب: رجع. - إذا انتصر في غزوة انتصاراً عظيماً (كاد يفني أعدائه) كان ذلك سبباً مهماً ليعود إلى خوض غزوة ثانية.

مَلِكٌ إِذَا مَا دَعَتْهُ الْحَرْبُ مِنْ بَعْدِ
 مَا بَيْنَ مَخْضَرَةِ الْأَقْطَارِ نَازِحَةً
 حَتَّى أَنْأَخَ بِأَمِّ الشَّرِكِ مُرْضِعَةً
 مَنِيعَةً مِنْ ذُرَى سُورٍ تَكْنَفُهَا
 تَغْلَغَلْتُ فِي خِنَاقِ الْجَوْ صَاعِدَةً
 وَحِينَ غَادَرَهَا طَوَّلُ الْمِصَارِ لَهَا
 أَلْقَتُ إِلَيْكَ بِأَيْدِي الذَّلِّ طَائِمَةً
 سَارَ الْعُلُوجُ وَفِي أَعْنَاقِهِمْ مِئَنٌ
 مَدَّوْا الْأَكْفَبَ لِلنَّسِ الشَّمْسِ مِنْ قَرَحٍ ،
 إِنَّ الْجَزِيرَةَ مِنْ طَوْلِ انْتِظَارِكُمْ

طَارَ السَّفِينُ أَمَامَ الْجَحْفَلِ اللَّجْبِ (١) ،
 وَأَخْضَرَ فِي غِيَارِ الرِّيحِ مُضْطَرِبِ (٢) .
 أَوْلَادَهَا حَلَبًا جَمًّا عَلَى حَلَبِ (٣) ،
 وَزَاخِرٍ مُزِيدِ الْأَمْوَاجِ مِنْ غَضَبِ (٤) .
 حَتَّى حَسِبْنَا مَدَارَ النَّجْمِ فِي صَبَبِ (٥) .
 كَأَنَّهَا مَرْكَبٌ أَشْفَى عَلَى الْعَطَبِ (٦) .
 وَمَكْنَتَكَ مِنَ الْمَسْلُوبِ وَالسَّلْبِ .
 مِنْ عَفْوٍ مُقْتَدِرٍ لِلْفَزْوِ مُنْتَدِبِ (٧) .
 وَشَمَّرُوا لِوُثُوبِ الْبَحْرِ مِنْ طَرَبِ (٨) .
 لَهَا بِكُلِّ طَرِيقٍ لَحْظٌ مُرْتَقِبِ (٩) .

- (١) من بعد: من مكان بعيد (مها يكن مكان المعركة بعيداً). السفين: جمع سفينة. الجحفل: الجيش الكبير. اللجب: الكثير الأصوات (لكثرة ما فيه من الجنود ومن السلاح). طار السفين.... سبقت سفن البحر جيوش البر (شوقاً إلى الجهاد).
- (٢) مخضرة (كتيبة، قسم من جيش): مسودة (لكثرة ما فيها من السلاح). نازحة: بعيد ما بين أطرافها (واسعة، كبيرة). أخضر (أسطول): أسود (لكثرة سفنه - وتكون السفن عادة مطلية بالقار الأسود). غيار: وسط. مضطرب: كثير الحركة (شوقاً إلى الجهاد).
- (٣) أم الشرك: عاصمة الإسبان التي هاجمها عبد المؤمن آنذاك. مرضعة أولادها: مربية أهلها ومهيبة لهم (لخوض الحرب). الحلب: الحليب (اللبن). جمًّا: كثيراً - المقصود: أعدتهم إعداداً جيداً وافياً. حلباً: جمًّا على حلب: مرّة بعد مرّة.
- (٤) ذرى سور تكنفها: سور عالٍ يحيط بها. زاخر: (بحر) مملوء بالماء. مزيد الأمواج: شديد الهياج (تما يجعل الوصول إلى المدينة صعباً).
- (٥) صبيب: انحدار. هذه المدينة عالية حتى ليخيل إلى الناظر أن النجوم أدنى (أقرب إلى الأرض) منها.
- (٦) أشفى: قرب. العطب: الهلاك.
- (٧) الطبع: القوي، الشديد (هنا: غير العربي). في أعناقهم من (جمع منة: فضل) لأنك عفوت عنهم. منتدب: انتدبه الله للجهاد.
- (٨) فرحوا كثيراً (لما عفوت عنهم) حتى أصبحوا لحنفهم ونشاطهم كأنهم يستطيعون الوصول إلى الشمس أو الوثوب من فوق البحر.
- (٩) الجزيرة: الأندلس. لها بكل طريق...: كانت تنتظر مبيتك من كل مكان.

يا وافتداً عَلِقْتَ مِنْ يَمِينِ مَقْدَمِهِ
 ما بَيْنَ رَاحَتِهِ الطَّوْلِ وَخَاطِرِهِ
 أَلْقَتِ عِصِيَّ النَّوَى أَشْيَاخُ قُرْطَبِيَّةِ
 أَتَشْكُ تَشْكُرُ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ نَعَمٍ ،
 تَزْدَادُ نُوراً إِذَا اسْوَدَّ الزَّمَانُ بِهَا
 وَالصَّبْرُ فِي كُلِّ خَطْبٍ طَعْمُهُ صَبْرٌ ،
 أَيْدِي الْأَمَانِي بِجَبَلٍ غَيْرِ مُنْقَضِبٍ ^(١)
 يَفِيضُ بَحْرُ النَّدى بِالْعِلْمِ وَالْأدبِ ^(٢) ؛
 فِي مَنبِتِ الْعِزِّ وَالْحَاجَاتِ وَالطَّلَبِ ^(٣) .
 وَإِنَّمَا أَرْجُ النَّوَارِ لِلْحَسْبِ ^(٤) .
 كَأَنَّهَا سُرْجٌ فِي حَالِكِ النَّوْبِ ^(٥) .
 لَكِنْ عَوَاقِبُهُ أَحْلَى مِنَ الضَّرْبِ ^(٦) !

٤- ** زاد المسافر ١٢٦ - ١٢٧ ، المعجب ٢١٥ - ٢١٧ ؛ نوح الطيب ١ : ٤٧٥ ، ٣ : ٥٩٢ - ٥٩٣ ؛ المنّ بالإمامة ١٥٩ - ١٦٤ (وفي تعليف محقق « المنّ بالإمامة » عبد الهادي التازي - ص ١٥٩ - ما يومه أن الأصمّ الروافي هو الطليق الروافي ، مع أن هذا حفيد ذاك).

ابن حبّوس

١ - هو أبو عبد الله محمد بن الحسين بن عبد الله بن حبّوس ، أصله من فاس ، وُلِدَ سَنَةَ ٥٠٧ هـ (١١١٣ م) أو قُبيل ذلك في إشبيلية وفيها نشأ .

-
- (١) الوافد: القادم (عبد المؤمن بن علي). اليمن: البركة. منقضب: منقطع. علقت أيدي الأمانى بجبل... وقتت والهائت.
- (٢) الطولى (بالضم): مؤنث الأطول (من الطول بالضم بمعنى القياس والطول بالفتح بمعنى الفضل والنعمة). الندى: الكرم.
- (٣) الأشياخ: كبار القوم وأعيانهم. المصي جمع عصا. ألقت عصا النوى: استقرت والهائت ثقة بك (من قول الشاعر: فألقت عصاها واستقر بها النوى).
- (٤) أرج (رائحة طيبة) النوار (الأزهار) للحب (من فضل الغيم الذي يسقط فيسقي الأرض فتنبت الأرض نباتها وأزهارها).
- (٥) السرج جمع سراج: المصباح، القنديل. المالك: الظلم. النوب جمع نوبة (بفتح النون): النازلة (المصيبة).
- (٦) الخطب: الأمر الشديد يكثر فيه التخاطب (المصيبة). صبر (بفتح فس): ذو الطعم المرّ. الضرب (بفتح ففتح): العسل.

قرأ ابن حبّوس القرآن الكريم على ابن عيْشون المقرئ (ت ٥٣١ هـ) وعلى القاضي أبي الحسن شريح بن محمد بن شريح (ت ٥٥٧ هـ) ودرس النحو على ابن الرّمك (ت ٥٤١ هـ) وقرأ الأدب على الأديب البليغ أبي محمد بن عبد الغفور (ت ٥٤٢ هـ). ثمّ تصدّر للإقراء في إشبيلية.

وتكسب ابن حبّوس بالشعر فمدّح الأمراء وكثّر اتّصاله بسلطان الموحّدين عبد المؤمن بن عليّ (٥٢٤ - ٥٥٨ هـ). وكانت وفاته في إشبيلية سنة ٥٧٠ هـ (١١٧٤م) - (١١٧٥م)، في الأغلب.

٢ - عُرف ابن حبّوس بأنّه شاعرُ الدولة المهدية (نسبة إلى المهديّ بن تومرت مؤسس دولة الموحّدين). وهو شاعرٌ كبيرٌ بلا ريب واسع القول فغمّ الكلام متينُ الأسلوب غزيرُ المعاني بارِعٌ في الصناعة متنوعُ الأغراض. ولكنّه متطرّفٌ في عددٍ من آرائه حتّى لَتَطُنُّ حيناً أنّه فاطميّ. قال في مديح رجالِ دولة الموحّدين:

بَلَّغَ الزمانُ بهديكُم ما أملا، وتعلّمت أياّمه أن تعدّلا^(١).
 فلأنتم الحقّ الذي لا يُبترى فيه، وليس بجائز أن يُجهلا^(٢).
 ولأنتم سرّ الإله، وأمرُكم ملأ العوالم مجمّلا. ومُفصّلا.
 عزّلت ولاةُ الحسّ عن إدراكه، فهو المنزّه حسبه أن يُعقلا^(٣).

٣ - مختارات من شعره:

- حاصر عبد المؤمن بن عليّ مدينة بجاية فلجأ الناس إلى قصرٍ صاحبها يحيى ابن العزيز بن حمّاد يستنجدون به ويسألونه أن يخوض بهم المركة. ولكنّه تسلّل إلى زورقيّ كان قد أعدّه وهرب. فأنشد ابن حبّوس في تلك الساعة، بين يديّ عبد المؤمن ابن عليّ، قصيدة - قيل ارتجالاً - منها:

- (١) الهدي (بفتح فسكون) كالمهدي (بضمّ ففتح).
 (٢) لا بترى فيه: لا يشكّ أحد فيه.
 (٣) إن سرّ الإله الذي هو فيكم (راجع البيت السابق) لا يدرك بالحسّ. هو منزّه (أعلى، أسمى) من اختبار الشر، ويكفي البشر أن يدركوه بعقولهم.

مَنْ الْقَوْمُ فِي الْعَرَبِ تُصْنِي إِلَى
 جَرَوًا وَالْمَنِيَا إِلَى غَايَةِ
 بِأَيْدِيهِمُ النَّارُ مَشْبُوبَةٌ؛
 يَقُودُهُمْ مَلِكُ أَرْوَعٍ
 تَخَيَّرَهُ اللَّهُ مِنْ آدَمِ
 إِلَى النَّاصِرِيَةِ سِرْنَا مَعًا،
 إِلَى بَرْزَةِ فِي ذُرَى أَرْعَنِ
 فَلَاذُوا بِقَصْرِ لَمَوْلَاهُمْ
 وَفَارَقَهُ أَحْمَرًا أَيْضًا
 وَأَوْزَنَهُ خَوْفَكُمْ خِفَةً،
 حَدِيثُهُمْ أَدُنُّ الْمَشْرِقِ!
 فَلَمْ يَسْبِقُوهَا وَلَمْ تَسْبِقِ،
 فَمَهَا تُصِيبُ بَاطِلًا تُحْرِقِ.
 تَفَرَّدَ بِالسُّودِ الْمُطْلَقِ^(١)،
 فَمَا زَالَ مُنْحَدِرًا يِرْتَقِي^(٢).
 وَلَمَّا تَقْتُنَا وَلَمْ تُلْحَقِ^(٣):
 تَجَلُّ عَنْ السُّورِ وَالْمُحْتَدِقِ^(٤).
 وَمَوْلَاهُمْ لِأَذَى بِالرُّوزِقِ^(٥).
 وَلَجَّحَ فِي أَخْضَرِ أَرْقِي^(٦)،
 فَلَوْ خَاضَ فِي الْبَحْرِ لَمْ يَغْرَقِ.

- ولا بن حبوس قصيدة في مدح الوزير أبي جعفر بن عطية منها:

أَلَا زَارَ مِنْ أُمَّ الْحُشَيْفِ خَيَالُهَا
 لَقَدْ أَوْقَدَتْ فِي الْقَلْبِ مَنِيَّ جَمْرَةَ
 وَبَدَا فِي سَوَادِ الْعَارِضِينَ أَشْتَعَالُهَا^(٨)
 وَرَوَّقَةَ دُنْيَاهَا، وَعِنْدِي قِتَالُهَا؛
 وَمِنْ دُونِهَا الْبَيْدَاءُ يَخْفِقُ أَلْهَا^(٧).

- (١) أروع: شجاع. السُّود (بضم السين وفتح الدال الأولى أو صمها): الهدى.
 (٢) ما زال ينحدر منذ أيام آدم في أصلاب آبائه ولكنه يكتب رفةً كلما اقترب مولده.
 (٣) الناصرية: بجاية. لم تقفنا. لم تنج منا. لم تلحق: لم تصل إليها نجدة قبل استيلائنا عليها.
 (٤) البرزة: البارزة، المرأة الشريفة الواثقة من نفسها تبرز للرجال، قلعة حصينة بعيدة النال. أرعن: (هنا) له فضول (أي: جبل تحيط به مرتفعات ومنخفضات تجعل الوصول إليه صعباً). تجل (تكبر، لا تحتاج) عن السور والمحتدق (لأنها حصينة بطبيعتها).
 (٥) لاذ: التجأ.
 (٦) فارقه (فارق القصر) أحمر (من الغضب أو الخجل) أبيض (من الخوف لذهاب لونه من وجهه). لجح: خاض في لجة (معظم الماء) البحر (على غير هدى). أخضر (أسود). الأخضر الأزرق: البحر العميد عن الشاطئ، العميق القعر.
 (٧) الحشيف تصغير الحشف (يسكون الشين، وفتح الحاء أو كسرهما أو ضمها) ولد الطيبة ساعة يولد. يخفق (بضطرب) أله (سراها) لشدة الحر عند انتصاف النهار.
 (٨) العارضان: جانبها الوجه. بدا في سواد العارضين اشتغالها: بدا الشيب في شعري من جانبي الوجه.

أَتَحَدُّنِي فِي أَنْ أَعِيشَ، كَأَنَّا
 أَمَّا تَتَعَيُّ أَنْ يَشْرَيْبَ لِنُصْرَقِي
 إِذَا قَسَدَتْ حَالِي سَتَصْلُحُ حَالُهَا.
 قَوِيٌّ إِذَا رَامَ السَّمَاءَ يَنَالُهَا^(١).
 رَوَيْتُهَا فِي مَذْحِكٍ وَأَرْجَاهُهَا^(٢).
 تَمِيدُ بِي الدُّنْيَا وَأَنْتُمْ جِبَالُهَا!

- وله قصيدة يشكو فيها الناس ويُبدي رأياً سيئاً في مُعَامَلَتِهِمْ، منها:

وَعَامِلٌ بِالْحَدِيمَةِ مِنْ
 وَهَزَّ لِمُعَشْرِ سَيْفِئَاً.
 لَقَيْتَ وَبَادِرِ الْفُرْصَا.
 وَهَزَّ لِأَخْرَيْنَ عَصَا.
 وَسَوْ ظَنَّا بِكُلِّ أَخٍ
 يُقَاسِمُكَ التَّنَا حُصَا^(٣).
 وَلَا تَحْرُصْ، فَرُبَّ فَتَى
 مُضَاعٌ عِنْدَمَا حَرَصَا
 وَجِرْصُ الطَّائِرِ الْوَاقِ
 عَ صَيْرَ جَوْهَ قَفْصَا^(٤).
 وَقَدْ ذَهَبَ الْوَفَاءُ، فَلَا
 يَقُولُ مُفَالِطٌ: نَقْصَا!
 وَمَنْ شَهِدَ الْخُطُوبَ وَعَا
 شَ مِثْلِي يَشْرَحُ الْقِصَا.

٤- ** الحمدون من الشعراء ٢٦٣ - ٢٦٥ الوافي بالوفيات ٣: ١٦ - ١١٧ التكملة
 (رقم ١٠٥٥)؛ زاد المسافر ٤٣ - ٤٨؛ المطرب ١٩٩ - ٢٠٢؛ المعجب ١٥١ -
 ١١٥٣ النبوغ المغربي ١٦٧ وما بعد، ٦٨٠، ٨٥٢ - ٨٥٤، ٩٠٨، ٩٠٩؛ الأدب
 المغربي ١٦٩ - ١٧٣؛ تاريخ الجزائر العام ١: ٣٦٨؛ الأعلام للزركلي ٦: ٣٣٣
 (١٠١).

أحمد بن مالك السرقطي

١- هو أبو بكر أحمد بن الوزير أبي الوليد محمد بن مالك الأنصاري أصله من
 سَرْقُطَة، انتقل أبوه منها وسكنَ بَلَنْسِيَّةَ. ويبدو أنه هو أيضاً قد تولى الكتابة

(١) تنقي: تخاف. اشرب: تناول، نهض.

(٢) ... وقتت جميع شمري (الذي أقوله أرجحاً والذي أقوله بعد روية وتفكير) على مدحك وحدك.

(٣) يقاسمك التنا حصصاً: يثني عليك كلياً أثبتت أنت عليه (بمعاملتك معاملته حسابية).

(٤) - طمع الطائر في أن يلتقط كل حبة (حتى تلك القريبة من الفخ) هو الذي يوقعه في يد الصائد.

والوزارة. وقيل إنه ذهب إلى مراكش. وقد كانت له رحلة إلى مصر واشتهر هنالك. وكانت وفاته سنة ٥٧١ (١١٧٥ - ١١٧٦ م).

٢ - كان أحد بن مالك السرقسطي أديباً شاعراً مقصداً وشاحاً. وكانت له مشاركة في الفلسفة.

٣ - مختارات من شعره:

- موشحة لأحد بن مالك السرقسطي فيها مدحٌ وغزلٌ وخمرٌ:
حُتَّ كَأْسَ الطَّلَا عَلَى الزَّهْرِ وَأَدْرَهَا كَالْأَنْجُمِ الزُّهْرُ^(١).

* * *

أَنْسِمُ يَفُوحُ أُمَ عِطْرُ
وَعُصُونُ أَمَالِهِمَا الْقَطْرُ
تَنْثَنِي وَمَا بِهَا سُكْرُ؟
وَطَيُورٌ نَطَقَنَ بِالسَّحْرِ حِينَ هَبَّ النِّسْمُ فِي السَّحْرِ^(٢)

* * *

اطرِدِ الهمَّ بَابِنَةِ العِنَبِ،
وَامزُجِ الرَّاحَ مِنْ لَمَى شَنِيبِ.
إِنَّا طَيْبُ عَيْشِ ذِي أَدَبِ
قَطَعُ أَيَسَامِ دَهْرِهِ الْغُرُّ بِسُلَافِ وشَادِنِ غِر^(٣).

* * *

-
- (١) الطلا: الحمر. الأنجم الزهر (البيضاء، اللامعة).
(٢) القطر: المطر (٤). السحر (بفتح ففتح أو بفتح وسكون أو بضم فسكون): آخر الليل قبيل مجيء الصباح.
(٣) اللمي: سمة الشفاء. الشنب (الريق) البارد. الغر (بالضم جمع أعر وغراء): البيض. السلاف: الحمر. الشادن: الغزال الصغير. الغر (بالكسر): الذي لا اختبار له (محبوب لطيف طيب القلب).

بِمَعَالِي أَبِي عَلِيٍّ أَهْمِي
 رَقٌّ طَبْعاً كَالْمَاءِ أَوْ كَالنَّسِيمِ
 ذِي جَبِينٍ طَلَقَ وَوَجْهِهِ وَسِيمِ
 وَمِمَّنِ تَنَهَلْتُ بِالتَّبِيرِ وَسُيُوفِ هَامِ الْعِدَا تَبْرِي^(١).

* * *

ذُو جَلَالٍ سَامٍ وَعِزِّ أَثِيرِ
 طَالِبٍ حَافِظٍ ذَكِيٍّ وَزِيرِ
 زَادَ مِنَّا قُرْباً بِقُرْبِ الْأَمِيرِ
 وَهُوَ فَوْقَ السَّيَاحِ وَالنَّسْرِ إِنْ دَجَا لِيُنَاسِبَهُ نَسْرِي^(٢)

* * *

صِلْ نَسَاءً عَلَى ابْنِ أَبِي زَيْدِ
 بَطَلٌ فِي الْحُرُوبِ ذُو كَيْدِ
 وَعَلَى الْمَارِقِينَ ذُو أَيْدِ
 لَمْ يَهْمُ بِالْحِيسَانِ وَالسُّمْرِ إِنَّمَا هَامَ بِالْقَنَا السُّمْرِ^(٣)

* * *

رُبَّ هَيْفَاءٍ شَفَّهَا بُعْدَا
 عَفَّ عَنْهَا فَلَمْ تَجِدْ بُدَا

(١) طلق: بشوش. وسيم: جميل. التبر: الذهب (المطابا). تنهل (تطمر) بالتبر: كريم، كثيرة العطايا. هام: رؤوس. برى: قص، قطع.

(٢) أثير: مكين، ثابت. السماك والنسر: نجان (كناية عن العلو والرفعة). دجا: أظلم. نسري: نسر ليلاً (إذا اضطربت الأمور اهدتنا به).

(٣) المارق: الخارج على إرادة جماعته. الأهد: القوة. هام: اشتد حبه. القنا (الرماح) السمر (جمع أسمر): رمح ذابل: دقيق قوي.

مِنْ هَوَاهُ فَأَنْشَدَتْ وَجَدًا:

رَبِّ، قَوِّ فِي ذَا الْهَوَى صَبْرِي إِنَّ هَجَرَ الْحَبِيبِ كَالصَّبْرِ^(١)

٤- ** التكملة ١: ٧٧ (رقم ٢٠٥). المغرب ٢: ٤٤٦، جيش التوشيح ٢١٣ - ٢٢٤ (راجع ٢٧٧)، أخبار وتراجم أندلسية ١٦.

ابن سعد الخير البلنسي

١- هو الأستاذ أبو الحسن عليُّ بن إبراهيم بن محمد بن عيسى بن سعد الخير الأنصاريُّ البلنسيُّ، قشتاليُّ الأصل، وُلِدَ في بَلَنْسِيَّةَ نحو سَنَةِ ٥١٠ (١١١٦ م) وسكَّنها. وتلقَى ابنُ سعدِ الخيرِ العِلْمَ على نَفَرٍ مِنْهُمْ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ النِّعْمَةِ ولازمه وتأدَّب به، ومنهم أبو محمد بن السيِّدِ واختصَّ به. وكان منهم أبو الوليدِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَيْرَةَ وأبو الوليدِ بْنُ الدَّبَّاحِ. وقد تصدَّرَ للتدريس في بلنسيةَ طَوْلَ عُمُرِهِ. وكانت وفاته في ربيعِ الآخِرِ مِنْ سَنَةِ ٥٧١^(٢) (خريف ١١٧٥ م) في إشبيلية.

٢- كان ابنُ سعدِ الخيرِ بارِعاً في علومِ اللسانِ (اللغة والنحو والأدب)، وكان كاتباً بليغاً وشاعراً مُجيداً جيِّدَ الوصفِ. وكذلك كان مُصنِّفاً له رسائلُ بديعةٌ وكتبٌ منها: الحُللُ في شَرَحِ الجَمَلِ^(٣) (للزجاجي المتوفى ٣٣٧) والقُرطُ المُذَبَّلُ على الكامل (للمبرد المتوفى سنة ٢٨٦) وله جذوةُ البيانِ وفريدةُ المُقيانِ.

٣- مختارات من شعره:

- قال أبو الحسن الأنصاريُّ البلنسيُّ يَصِفُ سَحَابَةً يَظْهَرُ الْبَرَقُ مِنْ خِلَالِهَا:

(١) الهيفاء: المشوقة القوام. شها: أنحلتها (من الهَمُّ أو من المرض). الوجد: الحب. الشوق: الصبر (يفتح

فكسر): الطعم المر (والشاعر استعمل الكلمة بسكون الباء).

(٢) في فوات الوفيات (٢: ٤٩): سنة «إحدى وسبعين وستائة» (بالأحرف) - وهو خطأ.

(٣) شرح الأبيات التي في كتاب الجمل (في النحو) للزجاجي.

وسارية سَحَبَسْتُ ذَيْلَهَا وَهَزَّتْ عَلَى الْأَفْقِ أَغْطَافَهَا^(١)؛
تَلُّ الْبُرُوقَ بِأَرْجَائِهَا كَمَا سَلَّتِ الرَّيْحُ أَسْيَافَهَا^(٢).

- وقال يصف طلوعَ البدر في لَيْلَةٍ دَاكِنَةٍ^(٣):

بَدَا الْبَدْرُ فِي أَفْقِهِ لَا يَسْأُ ثِيَاباً مِنَ الشَّقَقِ الْأَخْمَرِ.
فَشَبَّهَتْهُ - وَالذُّجَى حَائِلٌ عَرَوْساً تُزْفُّ إِلَى أَسْمَرَا

- وقال يصف ناعورةً يدورُ دَوْلَابُهَا:

لَلَّهِ دَوْلَابٌ يَفِيضُ بِسَلْسَلِ فِي رَوْضَةٍ قَدْ أُيْنَعَتْ أَفْنَانَا^(٤).
قَدْ طَارَحَتْهُ بِهَا الْحَامُ بِشَجْوِهَا فُجِّبُهَا وَيُرْجَعُ الْأَلْحَانَا^(٥).
فَكَأَنَّهُ ذَيْفٌ يَسْدُورُ بِمَعْهَدِ يَكْبِي وَيَسْأَلُ فِيهِ عَمَّنْ بَانَا^(٦).
ضَاقَتْ مَجَارِي جَفْنِهِ مِنْ دَمْعِهِ فَتَفَتَّحَتْ أَضْلَاعُهُ أَجْفَانَا^(٧)!

٤- ** زاد المسافر ١٤٥ - ١٤٧ (رقم ٥٥)، التكملة ٢: ٦٧١ (رقم ١٨٦٨)، تحفة القادم
٥١ - ٥٣؛ المغرب ٢: ٢١٣ - ٢١٤؛ الذيل والتكملة ٥: ١٨٧ - ١٩١؛ فوات
الوفيات ٢: ٤٩ - ٥٠؛ صلة الصلة ٩١؛ نفع الطيب ٣: ٣٣٠؛ الأعلام للزركلي
٥٣: ٥ (٤: ٢٥١).

- (١) السارية: الغيمة الآتية في الماء . سحبت ذيلها (كناية عن قربها من الأرض: تكون ثقيلة كثيرة الماء).
- (٢) العطف (بكسر العين): جانب الجسم (تتحرك كثيراً لاشتداد الريح).
- (٣) تظهر أسماء البرق من خلال فصولها كأن تلك الأقسام من البرق سيوف . سلت الرّيحُ أسيافها (شبه السحابة السوداء التي تَلُّ بروحها بالرّيح التينين يَلُون أسيافهم).
- (٤) الداكن (المائل إلى السواد). المائل (في البيت الثاني): متغير (الليل قليل السواد - لكثرة البرق!).
- (٥) السلسل: (الماء) العذب الذي ينحدر في المنجرة بسهولة. الأفنان: الأغصان. أئمنت (الأغصان): فضج الثمر الذي عليها.
- (٦) طارحه: باده، تداول الحديث معه. الشجو: الحزن. رجّع: أعاد (الصوت) وكرّره.
- (٧) الدنف: المرض المقبل على الموت (من الحب). المعهد: المكان الذي كان مسكوناً. بان: ابتمد، هجر (المكان).
- (٧) في دولاب الناعورة قواديس (علب صغيرة) ترفع الماء من النهر أو البئر ثم إذا علت ألفتها في مجرى أو حوض (فكأن تلك القواديس عيون). ولكن أصابع الدولاب ترفع أيضاً ماء (فكأن الماء ينخرج من طلوع الدولاب).

الرصافي الرقاء البلنسي

١ - هو أبو عبد الله محمد بن غالب الرقاء الأندلسي الرصافي البلنسي، نسبة إلى رصافة بلنسية.

وُلد الرصافي الرقاء الأندلسي في رصافة بلنسية، في سنة تجهلها. وخرج به أهله من الرصافة إلى مالقة - طلباً للرزق - وله من العمر نحو عشر سنين. وفي مالقة بدأ الرصافي يتلقى شيئاً من فنون العلم والأدب لا تعرف شيئاً من تفاصيلها. غير أن الذي نعرفه أن الرصافي عاش في مالقة عيشة لهو ومجانة، وأن مواهبه الشعرية تفتحت باكراً.

في سنة ٥٥٥ هـ (١١٦٠ م). جاء سلطان الموحدين عبد المؤمن بن علي إلى الأندلس ونزل بجبل الفتح (جبل طارق) ثم استدعى الشعراء فوجدوا عليه، وألقى الرصافي بين يديه قصيدة - فيها ثلاثة وستون بيتاً - صحيحة البناء تفيض بالروح الديني وتكثر فيها الإشارات التاريخية. ولقد بشرت هذه القصيدة الرصافي الذي لم يكن بعد قد جاز العشرين بمستقبل زاهر في الشعر.

ثم إن الرصافي انتقل إلى غرناطة واستوطنها - ووالها يومذاك محمد بن عبد الملك بن سعيد - من غير أن يترك التردد، في الحين بعد الحين، على مالقة. غير أنه في هذه الأثناء زهد في الدنيا فانصرف إلى التكبب بالرّفو أنفة من التكسب بالشعر. ومع ذلك فقد كانت عطايا الأمراء والأعيان تصل إليه. وقضى الرصافي عمره عزباً.

وفي ١١ رمضان من سنة ٥٧٢ هـ (١١٧٧/٢/١٣ م) توفي الرصافي البلنسي في مالقة.

٢ - كان الرصافي الأندلسي شاعراً كبيراً مشهوراً في عصره. وكان يُطيل أحياناً ويُجيد في المقطعات وفي القصائد. ومع أنه كان من الذين يُنقحون شعرهم ويُجودونه ويتكلمون فيه أحياناً، فقد كان في شعره رقة وعدوبة. وفي شعره أيضاً تقليد ظاهر للمشاركة: كان يُشبّه بأبي الرومي في الفوص عن المعاني وفي توليد بعضها من بعض، كما كان يُقلد ابن خفاجة الأندلسي، إلا أنه كان أميل إلى الخيال. وللرصافي مدح

قليلٌ ورثاءٌ بارعٌ فيه من التصوير أكثر مما فيه من التفعُّع؛ ثم له وصفٌ جيدٌ للطبيعة يُكثِرُ فيه من وصف الطبيعة في وطنه؛ كما تكثرُ في شعره أوصاف الحياة الدنيا (كوصف النجار والصفار - صانع الأدوات من الصُفْر أو الشبَّه، أي من النحاس الأصفر). وفي شعره وصفٌ للخمر وغزل مؤنثٌ وغزل مذكّرٌ ومجونٌ. ويغلبُ على شعره النسيبُ والشكوى والحنين إلى الوطن وإلى الماضي.

٣ - مختارات من شعره:

- قال الرُّصافيُّ البلسنيُّ يمدح أبا جعفرِ الوَقْشيِّ وزيرَ ابنِ هَمَّكٍ بقصيدةٍ منها:

يا سعدُ،	قد طاب الحديثُ فزُدْ	منه أخوا نَجْواك،	يا سعدُ ^(١) .
فلقد تَجَدَّدَ لي الغرامُ،	وإنْ	بَلِيَ الهوى وتقادَمَ العَهْدُ.	
ذَكَرْتُ تَمَرُّهُ على الفؤادِ	كما	يُوحِي إِلَيْكَ بِسَقَطِهِ الزُّنْدُ ^(٢) .	
وإذا خَلَوْتُ بها تَمَثَّلَ لي		ذاك الزمانُ وَعَيْشُهُ الرَّغْدُ ^(٣) .	
ولقاء جيراننا،	غَدَاتِنْدِ،	مُتَيَسِّرٌ وَمَرَامُهُمُ قَصْدُ ^(٤) .	
من كَلِّ أَرْوَعَ حَشَوٍ مِغْفَرِهِ		وَجَهْ أَعْرُ وَفَاحِمٍ جَعْدُ ^(٥) .	
ذُكِرَ الوزيرُ الوَقْشيُّ لهم		فأثارهم لِلقائِمِ الوُدِّ.	
قد رَنَحْتَهُم من شائِلِهِ		ذَكَرْتُ كما يَتَضَوُّعُ النَّدِّ ^(٦) .	
نعمَ الحديثُ الحلوُ تَمَلُّكُهُ الـ		رُكْبَانَ حَيْثُ رَمَى بها الوَخْدُ ^(٧) .	

- (١) النجوى: التَّسَارُّ (التخاطب بصوت منخفض جداً). أخو النجوى: الصديق الحميم.
- (٢) الزند: حديدية تقدح بها النار من الصوانة. السقط: الشرر المتساقط من قذح الصوانة بالزند. ذكر.... (يجب أن تكون بعيدة غائقة في النفس).
- (٣) إذا خلوت بها (أستعيد ذكراها) تَمَثَّلَ لي (وضع في ذهني). الرغد (خصب، كثير، ناعم).
- (٤) مرامهم (هدفهم) قصد (معتدل): لا يطلبون أموراً يصعب تحقيقها.
- (٥) أروع: شجاع. المغفر: غطاء للرأس. حشو مغفره (أي رأسه). وجه أعْرُ (أبيض): كريم الأصل والأعمال. وفاحم (شعر أسود) جعد: كناية عن الشباب والقوة.
- (٦) رَنَحَتِ الريح القوم: أمالتهم، حركتهم، هزتهم، (سرتهم). الشائل: الصفات الحميدة. تَضَوُّعُ النَّدِّ (نوع من الطيب): انتشرت رائحته.
- (٧) الركبان: المسافرون. الوخد: السير، السفر (البعيد الشاق).

رَجُلٌ إِذَا عَرَضَ الرِّجَالُ لَهُ
سَتَرَى الوَازِرَ وَمَجْدَهُ فَسَتَرَى
وترى مآثرَ لا تَفَادَ لها
ولقد أراني بِالْبِلَادِ وَآ
وهِبَاتِهِ تَصِفُ النَّدَى بِيَدِ
وَكفى بِأَن وَسَمَ النَّدَى سِمَةً
بِعَوَارِفِ عَمَرَ البِلَادَ بِهَا
هِيَهَاتِ يَذْهَبُ عَنْكَ مَوْضِعُهُ
أَعْرَبْتُ عَنْ مَكْنُونِ سُودِدِهِ
سُوراً مِنَ الأَمْداحِ مُحْكَمَةً
وَلَعَلَّ مَا يَخْفَى وراءَ فَمِي

- وقال يصف جماعة مسافرين قد نهكهم السفر فأخذوا يترنحون على العيس

- (١) كثر العديد (كثر عدد الناس العاديين). وأعوز النَّد: استحال وجود شبيه له.
- (٢) يلاذ به: يلجأ الناس إليه، يهتمون به. يمتدُّ: يتخذ عدَّة (ذخيرة، وسيلة للدفاع) في المستقبل.
- (٣) المآثر: المحامد: لانفاذ له بالعد..... مها تطل في العد لا تستطع عد مآثره.
- (٤) آمال البلاد بيباه وفد: آمال الناس كلهم نتجته إليه.
- (٥) هباته: عطاياه. تصف الندى (الكرم): هي التعريف الصحيح للكرم (لأن عطايا الناس صغيرة لا تدل على كرم، بينما عطاياه هو كبيرة جداً). أقدم وفرها (غناها) الجد: تعودت ذلك منذ القدم.
- (٦) وسم الندى سمّة: وضع على الندى (الكرم) علامة (خاصة به). لم تمنحها الأتاهم من بعد: لم يأت بعده أحد أكرم منه حتى ينسى الناس كرمه هو.
- (٧) العوارف (جمع عارفة): المعروف (الصنيع الحسن). الغور: المكان المنخفض. النجد: المكان المرتفع.
- (٨) هيهات يذهب عنك موضعه: إنك لا تقل الطريق في الوصول إليه. جلجل: أحدث صوتاً قوياً. (إنك تبصر المطر وتسمع الرعد من نحو أرضه) - عطاياه دائماً لا تنقطع، وكثيرة لا تخفى.
- (٩) أعربت: أوضحت، بيّنت. مكنون: مستتر، خفي. السؤدد: الجد. أعجم الشيء: ستره، الورقاء: الحمامة. تشمو: تفتني.. - الحمام يذكر كرم هذا المدوح ولكن الناس لا يفهمون كلام الحمام فجئت أنا بشعري أشرح كلام الحمام هذا وأبيّنه.....
- (١٠) سُوراً مِنَ الأَمْداح: الحمام تملو على الناس سُوراً في مدحهم. من آيين: من آيات تلك السور. - أن الحمد والشكر اللذين تفتني بها الحمام هما ما يستوجب هذا المدوح على بعض أعماله.

(النياق) من النعاس كأنهم سكارى:

وَمُجِدِّنَ لِلسَّرَى قَدْ تَعَاطَوْا غَفَوَاتِ الكَرَى بغير كُؤُوسٍ (١).
جَنَحُوا وَانْتَشَرُوا عَلَى العَيْسِ حَتَّى خَلَّتْهُمْ يَلْتُمُونَ أَيْدِي العَيْسِ (٢).
نَبَذُوا الغَمَضَ، وَهُوَ حُلُوٌّ، إِلَى أَنْ وَجَدُوهُ سُلَاقَةً فِي الرُّؤُوسِ (٣)!

- كان الرصافي بظاهر مألقة مع طائفة من أصحابه على أنس، فصيد غلام أسود لأحدهم شجرة لوز منورة ثم قطع منها غصناً وجاءهم به. فسأل الجماعة الرصافي أن يصف ذلك لهم، فقال بديهة:

وَرَزَنَجِيٌّ أَلَمَّ بِنُورِ لُوزٍ، وفي كاساتنا بنتُ الكُرومِ (٤).
فَقَالَ فَتَى مِنَ الفِتْيَانِ صِفْهُ فقلتُ: اللَّيْلُ أَقْبَلَ بالنُجُومِ (٥)!

- وقال يصف حائكاً (صغير السن جبلاً):

قالوا وقد أكثروا في حبه عدلي: لو لم تهم بمذال القدر مبتذل (٦)!
فقلتُ: لو كان أمري في الصباية لي لآخترتُ ذاك؛ ولكن ليس ذاك لي.
عَلَّقْتُهُ حَبِيَّ الثَّمَرِ عَاطِرَةً، حُلُوا اللَّمَى سَاحِرَ الأَجْفَانِ وَالْمَقَلِّ (٧).
غَزِيلٌ لَمْ تَزَلْ فِي الغَزَلِ جَائِلَةً بنائه، جَوْلَانِ الفِكرِ فِي الغَزَلِ (٨).

(١) السرى: السير ليلا. - يشبه النوم كأنه خر بشرها الإنسان.

(٢) جنحوا: مالوا. انتشروا: اتحنوا (بفتح النون). - كان أحدهم ينحني على ظهر ناقته كثيراً (وهو بلا وعي من عمق نومه) حتى يكاد رأسه يصل إلى الأرض.

(٣) لم يرددوا أن يناموا فقهرهم النوم كأنه خر ينيب شاربها عن وعيه.

(٤) أَلَمَّ: أصاب، قطف. النور (بفتح النون): الزهر الأبيض. بنت الكروم: الخمر.

(٥) الليل = الغلام الزنجي. النجوم = زهر اللوز الأبيض.

(٦) العذل: اللوم. هام: ضلّ، جرى على غير هدى (أحب حباً بلا وعي). مذل القدر: مهان، قليل القيمة. مبتذل: معروض ومبذول لكل طالب.

(٧) علقت: تعلق قلبي به، أحببته. الحبي: نسبة إلى الحبيب = فقايع الهواء التي تطفو على سطح الخمر في الكأس. حبي الثمر (الفم): طعم ريقه كالخمر (!). اللمي (بفتح اللام أو كسرهما أو ضمها): السمرة في الشفاه. حلو اللمي: حلو الريق، عذب التقبيل. المقلعة: العين.

(٨) غزِيلٌ = مصغر غازل. الغزل: خيوط القطن والصوف الخ. البنان جمع بنانة: طرف الإصبع =

جَذْلَانُ تَلَعَبُ بِالْهَوَاكِ أَنْعَلَهُ عَلَى السَّدى لَيْبَ الأَيَّامِ بِالْأَمَلِ (١)
ضَمًّا بِكَيْفِيهِ أَوْ فَعْصًا بِأَخْصِهِ تَجَبُّطُ الظَّنِي فِي أَشْرَاكِ مُحْتَبِلِ (٢)

- وَقَالَ يَتَشَوَّقُ إِلَى بَلَنْسِيَةِ (وَكَانَ قَدْ نَشَأَ فِيهَا):

خَلِيلِي، مَا لِلْبَيْدِ قَدْ عَبَقَتْ نَشْرًا، وَمَا الرُّؤُوسِ الرَّكْبِ قَدَرُنَّحَتْ سُكْرًا (٣)

هَلِ الْمِسْكُ مَفْتُوحًا بِمَدْرَجَةِ الصَّبَا أَمْ الْقَوْمُ أَجْرَوْا مِنْ بَلَنْسِيَةِ ذِكْرًا (١)
بِلَادِي الَّتِي رِيشتُ قُوَيْدِمَتِي بِهَا فَرِيخًا، وَأَوْتِي قَرَارَتَهَا وَكْرًا (٥)
مَبَادِيءُ لَيْنِ الْعَيْشِ فِي رَيْقِ الصَّبَا أَيْ اللَّهُ أَنْ أَنْسَى لَهَا أَبْدًا ذِكْرًا (٦)
أَكْسَلُ مَكَانَ رَاحٍ فِي الأَرْضِ مَسْقَطًا

لرأس الفتى نفواه - ما عاش - مضطرًا؟

بَلَنْسِيَةَ تَلَكِ الزَّبْرُجْدَةُ الَّتِي تَسِيلُ عَلَيْهَا كُلُّ لَوْلُوءَةِ نَهْرًا (٧)
كَأَنَّ عَرُوسًا أَبْدَعَهُ اللهُ حُسْنَهَا فَصِيرٌ مِنْ شَرِيحِ الشَّبَابِ لَهَا عُمْرًا

= (الإصح). - تتفنن أصابعه في نسج الشباب (بطرق وأنواع كثيرة) كما يذهب الفكر مذاهب كثيرة في تأمل جماله.

(١) جذلان: فرحان. الهواك ليست في القاموس، والشاعر يقصد «الوشية»، والعامّة تقول: المكوك (وقد أفر جمع اللغة العربية كلمة «المكوك»): بكرة تلفت عليها خيوط ثم تقذف فوق السدى (الخيوط المنصوبة طولاً على المنوال) ميمناً ويساراً لتؤلف اللحمة (بضم اللام): الخيوط العرضية في النسج) فينشأ التسيج.

(٢) قذفاً بالوشية بيده اليمنى إلى اليسار، ويده اليسرى إلى اليمين - بسرعة عظيمة حتى يبدو وكأنه يضم يديه. فعصاً بأخمصه (باطن قدمه): تحريكاً برجليه (على خشبتين تفصلان السدى طبقتين حتى تمر بينهما الوشية). المحتبل: الذي يصيد الحيوانات بالحبال (بضم الهاء): شرك من حبال.

(٣) البيد (جمع بدهاء: الأرض الواسعة). عبقت نشرت: انتشرت (في البيد) رائحة طيبة. الركب: المسافرون. رنحت: ترنحت، تمايلت.

(٤) المسك المفتوح: المسك حينما يفتح وعاؤه للمرة الأولى. مدرجة: مكان تدرج فيه الريح (تهب وتسنم). الصبا: ريح الشرق.

(٥) القويدمة = مصفرّ قادمة: الريشة الكبيرة في جناح الطائر. - بلادي (بلنسية) شبيت فيها وكانت سكتاً (وطناً) لي.

(٦) ريق (أول) الصبا (الشباب). - عرفت أول حياتي الناعمة المنية في بلنسية.

(٧) الزبرجد: حجر كريم أخضر. - بلنسية كثيرة الجنائن كثيرة الأنهار.

- وقال من قصيدة يرثي بها :

وقد ودَّعتُ قَبْلَكَ كُلَّ سَفَرٍ ، ولكنَّ غِابَ حِيناً ثمَّ آبا^(١) .
وأفْهِجُ ما أكونُ لك اذْكاراً إذا ما النِّجمُ صَوَّبَ ثمَّ غاباً^(٢) .
أرى فَقَدَ الحَبِيبِ مِنَ المنايا إلى يأسٍ يَكْمَنُ فَقَدَ الشَّبابِ .
وما معنى الحياةِ بلا شَبَابٍ؟ سواءِ مات في المعنى وشابا .
وليلِ أَسَى كصُبحِ الشَّيْبِ قُبْحاً أكابِدُهُ سُهَاداً وانْتِحاباً^(٣) .
تزيِدُ بِهِ جَوَانِحِي اتِّقَاذاً إذا زادتْ مَدَامِيعِي آنسكابا .
أيا عبدَ الإلهِ ، نداءً يأسٍ ؛ وهل أُرْجو لَدَى رَمْسٍ جَواباً!
أصِخُّ لي كيفَ شِئتَ ، فإنَّ أنسا لِنَفْسِي أن تَبْلَغَكَ الحِطَابا^(٤) .
سَقاك - ولا أخصُّ - رِبابَ مُزِنٍ ؛ لَعَلَّ تَرَاكَ قد سَمِمَ الرِّبابا^(٥) .
ولكنَّ ما يَسوِّغُ على التكايفي لِقَبْرِكَ أن يكونَ لَهُ شَرابا^(٦) .
فإنِّي ربِّما اسْتَسْقَيْتُ يوماً لَكَ الجَوْنَيْنِ : حَفْنِي والسَّحابا^(٧) .
فَتَجَبَّلُ من مُلوحتيها دُموعي إذا ذَكَرتُ شَمَائِلَكَ العِذابا^(٨) ؟

(١) السُّفر: المسافر، المسافرون. أب: رجع. عاد.

(٢) اذكار: اذكار: تذكَّر. صَوَّب: انحدر، مال إلى الميِّب.

(٣) ليل أسى: الليل الأسود من الأسى (الحزن) يشبه صبح الشيب (بياض الشعر). السهاد: السهر. الانتحاب: البكاء بصوت مرتفع.

(٤) أصاح: ألقى بسمعه. سمع.

(٥) الرِّباب (بفتح الراء): جع ربابة: السحابة البيضاء. - لا أطلب لقبرك أن تسقيه السحب، فإنِّي أرى أن قبرك قد سقته سحبه كثيرة (لأنك أنت تستحق رحمة الله على ما كان منك من أعمال صالحة في الدنيا). حتى سم قبرك المطر من السحاب.

(٦) ساغ: سهل مجرى الشراب في الحلق. ساغ له الأمر: جاز له أن يفعله. التكايفي: المائلة. - إن مطر السحاب وحده ليس أهلاً أن يكون الماء النازل على قبرك.

(٧) الجون: الأسود، السحاب الأسود (المطر). - كنت أحياناً أستسقي لك (أطلب لك السقيا) من دموعي أيضاً.....

(٨) ولكن كنت أخجل من طلي هذا حيناً أذكر أن دمعي مالح وأن شمائلك (خصالك) عذبة (حلوة، رقيقة).

- ٤ - ديوان الرصافي البلسني (جمعه وقدم له إحسان عباس)، بيروت (دار الثقافة ١٩٦٠ م).
 ** بغية الملتص ١٠٩ - ١١٠ (رقم ٣٥١)؛ المغرب ٢: ٣٤٢ - ٣٤٤ الوافي بالوفيات ٤:
 ٣٠٩ - ٣١٢، ٥: ٢٥٣ تحفة القادم ٥٦ - ٥٧ وفيات الأعيان ٤: ٤٣٢ - ٤٣٤
 المعجب ١٥٤ - ١٥٩؛ أعال الأعلام ٢٦٦ - ٢٦٨ شذرات الذهب ٤: ٤٣٤ نفع
 الطبيب ١: ١٨١، ٢: ٣٣٦ - ٣٣٥، ٣: ٢٠٣، ٤: ٤٨٦، ٥: ٥١٣ - ٥١٥، ٤: ١٥٩ -
 ١٦٦ نيكل ٣٢٧؛ مختارات نيكل ١٩٢ - ١٩٣؛ الأعلام للزركلي ٧: ٢١٧ (٦):
 (٣٢٤).

ابن هردوس

١ - هو أبو الحكم أحمد بن علي بن هردوس، من أهل حصن مرشانة * سكن مألقة (منطقة المريّة)، كان كاتباً للسيد عثمان بن عبد المؤمن بن علي والي غرناطة. كانت وفاته سنة ٥٧٢ أو ٥٧٣ هـ (١١٧٦ م) في مرآكش.

٢ - كان ابن هردوس كاتباً مترسلاً وشاعراً ووشاحاً.

٣ - مختارات من شعره:

- قال أبو الحكم بن هردوس في الأرض تضيقُ عليك فترحلُ إلى غيرها:

إذا ضاقتُ عليك قولٌ عنها وسِرٌّ في الأرضِ واختبرِ العبادا .

ولا تُمنِكُ رحالكُ في بلادٍ غدوتَ بأهلها خيراً مُعاداً^(١).

- وله مُوشحةٌ في مديحِ عثمان بن عبد المؤمن، منها:

يا ليلةَ الوصالِ والسعودِ، _____ باللهِ، عودي.

* * *

كم بتُّ في ليلةِ التمني

(١) خبر معاد: يتحدثون عنك كثيراً (لطول إقامتك بينهم). * قرب إشبيلية.

لا أعرفُ الهَجَرَ والتَجَنِّي
أَلَيْمٌ تَفَرَّ الْمُنَى وَأَجْنِي،
من فوق رُمَاتِي نُهْوِدْ، زَهَرَ الْخُـــــــدُودِ.

* * *

مَدْحُ الْأَمِيرِ الْأَجَلِّ أَوْلَى
السَّيِّدِ الْمَاجِدِ الْمُعَلَّى
تَاجِ الْمُلُوكِ السَّنِيِّ الْأَعْلَى
أَفْضَلُ مَنْ سَارَ بِالْجُنُودِ تَحْتَ
الْبُنُودِ

* * *

أَكْرَمُ بَعْلِيَاءَهُ مِنْ هُمَامِ
إِمَامِ هُدَى وَابْنِ الْإِمَامِ
مُبْدِدِ الرُّومِ بِالْحُسَامِ
بَعْقِدُ فِي هَامَةِ الْأَسْوَدِ بِيضُ الْهِنُودِ^(١).

٤-★★ المغرب ٢: ٢١٠ - ٢١١؛ التكملة (طبع الجزائر) ١٨٧؛ الوافي بالوفيات ٦: ٥٧؛
المقتضب من تحفة القادم ٥٤؛ صلة الصلة ٩٢؛ نفع الطيب ٤: ٢٠١ - ٢٠٢.

أبو الحسن بن نزار

١ - هو الأمير أبو الحسن بن نزار حسيب وادي آش ومن أعيانها وحكامها. لما سقطت دولة المرابطين (٥٤١ هـ = ١١٤٦ م) خلفه أهل بلده وبايعوا محمد بن مردانيش صاحب مرسية (توفي ابن مردانيش ٥٦٧ هـ) ثم وشوا به إلى ابن مردانيش. فعمله ابن مردانيش إلى مرسية وسجنه فيها ثم أطلق سراحه ورده إلى

(١) بيض (سيوف) الهنود (جمع هندي: سيف من صنع الهند).

حُكْمِ وادي آشَ في حديثٍ طويل. عاش أبو الحسن بنُ نِزارٍ في النِصفِ الثاني من القرن السادس للهجرة (النصف الثاني من القرن الثاني عشر للميلاد).

٢- أبو الحسن بنُ نِزارٍ شاعرٌ ومُترسِّلٌ. وشعره كثيرٌ جيِّدٌ رقيقٌ. وله قصيدٌ ومُوشحٌ.

٣- مختارات من شعره:

- قال أبو الحسن بنُ نِزارٍ في الفِخْر (بعد أن خَسِرَ مُلكه في الأُغْلَب):

الآنَ أَعْرِفُ قَدَرَ النِّعِ وَالضَّرَبِ، وَكَيْفَ أَصْدِرُ ما لِلْمَلِكِ مِنْ صَدَرٍ^(١)،
وَكَيْفَ أَطْلُعُ في أَفْقِ العُلا قَمَراً وَيَسْتَهْلُ بِكَفِّي وَاكِفِ الدَّرَرِ^(٢)،
وَكَيْفَ أَمْلأُ صَدَرَ الدَّهْرِ مِنْ رُعبٍ وَأَسْتَقِلُّ بِجَمَلِ الحادِثِ النُّكْرِ^(٣)،
وَأَسْتَعِدُّ لما ترمي الخُطوبُ بِهِ وَأَسْتَطِيلُ على الأيَّامِ بِالفِكرِ^(٤).
لكنَّني رُبَّما بَادَرْتُ مُنْتَهَراً لفرصَةٍ مَرَقَتْ كاللَّمْعِ بالبَصْرِ.
في أمِّ راسِي ما يَبِعا الزمانُ بِهِ شَرْحاً، فَسَلْ بَعْدَهُ الأيَّامَ عَن خَبْرِي!

- في المغرب (٢: ١٤٧)، موشحة لابن نزار، وتروى لابن حزمون، منها:

اشْرَبْتُ على نَفْمَةِ المِثاني ثانٍ،
ولا تَكُنْ في هوى الفِوائِي وانٍ،
وَقُسلِ لِمَنْ رامَ في مَعانٍ: عانٍ
مَـاذا مِنَ الحُسْنِ في بُرودٍ رُودٍ^(٥).

★ ★ ★

-
- (١) كيف أصدر ما للملك من صدر: كيف أدبر أمور الملك.
 - (٢) وكيف يستهل بكفي واكف (منهمر) الدرر (اللؤلؤ، المال): كيف أصبح غنياً.
 - (٣) وأستقل بجمل الحادث النكر (المنكر، الفطيم): احتمل الحوادث وحدي.
 - (٤) وأستطيل على الأيام بالفكر: أغلب أحداث الدهر بالرأي الصائب.
 - (٥) المثاني جمع مثنى وتر في العود. المثاني: آلات الفناء. ثان = ثانياً: مرة ثانية أو ثانياً من عطفك =

يهيِّجُ وَجَسَدِي إِذَا الْأَنَامُ نَامُوا .
 قَوْمٌ إِذَا عَسَسَ الظُّسْلَامُ لَامُوا ،
 وَمَا بِهِ هَامَ مُسْتَهَامُ هَامُوا .
 فَقُلْ لَعَيْنٌ بِلَا هُجُودٍ : جودي (١)

★ ★ ★

أَفْنَيْتُ فِي الرَّوْنَقِ الصَّقِيلِ قَيْلِي .
 يَا رَبَّةَ الْمُنْظَرِ الْجَمِيلِ مَيْلِي ؛
 فَإِنَّا أَنْتِ ، وَالرَّسُولِ ، سُؤْلِي .
 رَأَيْتُ فِي وَجْهِكَ السَّمِيدِ عَيْدِي (٢) .

★ ★ ★

٤-★★ المغرب ٢ : ١٤٧ ؛ نفع الطيب ٣ : ٤٩٢ - ٤٩٨ .

أبو جعفر الوقشي

١ - هو أبو جعفر أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد الوقشي من وقش بنواحي طليبة ، سكن مألقة ثم وزر للأمير إبراهيم بن همشك المستبد بمدينة جيان . ولما انهزم ابن همشك في وقعة السبيكة قرب غرناطة ، سنة ٥٥٧ هـ ، أمم جيش الموحدين سلم

= (مفتخراً ، معجباً بنفسك) . وان = وانياً : ضعيفاً ، تيباً . رام : قصد ، أراد . في معان (تعبير عامي) : معونة ، عون ، مساعدة (أو مثل معاني) ، مثل المعاني التي آتي أنا بها في الشعر) . عان (فعل أمر من عانى : قاسى ، جرب) . يرود جمع برد (بضم الباء) ثوب من حرير . الرود : الفتاة اللبنة المنقمة (١) الأنام : البشر ، الناس . عسس الليل : أقبل ظلامه . وما به هام مستهام هاموا : إذا أحب أحد حباً شديداً هاموا هم : أحبوا أن يكثروا التحدث في شأنه . الهجود : النوم . جودي : ابني كثيراً . (٢) الروتق : الجبال . الصقيل : المصقول الناعم (دلالة على أول الشباب) . قَيْلِي : قولي . - كان جميع شعري في وصف الجبال . والرسول = أقمم بالرسول (محمد صلى الله عليه وسلم) . سولي = سؤلي : سؤالي ، مطلبي - كل قافية ردهمف جزء من القافية الأصلية : السميدي = عيدي

مدينة جِيَانَ إلى وزيره أبي جعفرِ الوَقْشي فحماها الوَقْشي. ثم إن ابنَ همشك أرسلَ أبا جعفرِ الوَقْشيَّ إلى مَرَاكُشَ، سنة ٥٦٤ هـ، في بعض شؤونه. ويبدو أن الوَقْشيَّ مال إلى الموحِّدين ومدَّحَ السُّلطانَ يوسفَ بنَ عبدِ المؤمنَ، سنة ٥٦٦ هـ، بقصيدة يَصِفُ فيها حالَ المسلمين في الأندلس ويدعو الناس إلى الجهاد.

وَرَجَعَ الوَقْشيُّ من مَرَاكُشَ إلى الأندلسِ. فَلَمَّا وصل إلى مالقة تُوِّفِيَ فيها، سنة ٥٧٤ هـ (١١٧٨ - ١١٧٩ م).

٢- كان أبو جعفرِ الوَقْشيُّ من الوزراء الدُهامة المقتدرين، وكان أديباً شاعراً برَعَ في الوصف والمدح والأدب (الحكمة).

٣- مختارات من شعره:

- قال أبو جعفرِ الوَقْشيُّ في كِتَابِ السِّر:

وَمُسْتَوْدِعٍ عِنْدِي حَدِيثًا يَخَافُ مِنْ إِذَاعَتِهِ فِي السِّرِ إِنْ يَنْفَذِ الْعُمُرُ (١).
فَقُلْتُ لَهُ: لَا تَخْشَ مِنِّْي فَضِيحَةً لَسَرُّ غَدَا مَيْتًا وَصَدْرِي لَهُ قَبْرٍ.
عَلَى أَنْ مَنْ فِي الْقَبْرِ يُرْجَى نُشُورُهُ؛ وَسِرُّكَ مَا يُرْجَى لَهُ أَبْدًا نَشْرًا!

- وقال يمدِّحُ أبا يعقوبَ يوسفَ سُلطانَ الموحِّدين بقصيدة مطلعها: «أبت غير ماء بالنعيل وُروداً» جاء فيها:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي، هَلْ يُمَدُّ لِي الْمَدَى فَأُبْصِرَ شَمَلَ الْمُشْرِكِينَ طَرِيدًا (١).
وَيَغْزُو أَبُو يَعْقُوبَ فِي شَنْتِ يَاقِبٍ يُعِيدُ عَمِيدَ الْكَافِرِينَ عَمِيدًا (٢)،
وَيُلْقِي عَلَى إِفْرِنْجِيهِمْ عِيبَ كُلِّكَلٍ فَيَتْرَكُهُمْ فَوْقَ الصَّمِيدِ هُجُودًا (٣)،
وَيَفْتِكُ مِنْ أَيْدِي الطَّغَاةِ نَوَاعِيًا تَبَدَّلْنَ مِنْ نَظْمِ الْحُجُولِ قَبُودًا (٤).

(١) أن يمد لي المدى: هل يطول عمري.

(٢) شنت ياقب: بلدة في أقصى الشمال الغربي من جزيرة ايبيرية (إسبانية) كانت مقبل الإفرنج الإسبان. يعيد = فيعيد. عميد: رئيس. عمود = معمود: مضروب بالعمود (قتل).

(٣) عيبه (ثقل) كللكل (صدر): شدة الحرب. الصميد: التراب (الأرض). هجوداً: نائم (قتل).

(٤) افتك = فك: أطلق سراح (الأسرى). نواعم: نساء شابَّات الجبل (بفتح الحاء أو كسرهما): الخللخال.

وَأَقْبَلَنَ فِي خُشْنِ الْمُسُوحِ؛ وَطَالَمَا
وَعَبَّرَ مِنْهُنَّ السَّرَابُ تَرَائِبًا،
حَمَلْتُ إِلَيْهِ مِنْ نِظَامِي قِلَادَةً
عَدَّتْ يَوْمَ إِنْشَادِ الْقَرِيضِ وَحِيدَةً،
سَحَبْنِ مِنَ الْوَشْيِ الرَّقِيقِ بُرُودًا^(١).
وَخَدَّدَ مِنْهُنَّ الْمُهْجِرَ خُدُودًا^(٢).
يُلَقَّبُهَا أَهْلُ الْكَلَامِ قَصِيدًا^(٣).
كَمَا قَصَّدَتْ فِي الْمَعْلُوتِ وَحِيدًا^(٤)!

- وحضر يوماً قتل أسدٍ (مصارعة أسد) فقال:

جَهْمُ الْمُحَيَّا إِنْ تَبَسَّمَ هَيْبَتَهُ؛
وَكَأَنَّهَا هُوَ نَاطِرٌ عَنِ زَيْبِقِ،
وَكَأَنَّ لِبَدْتَهُ بَقِيَّةَ فَرْوَةٍ
لَمَّا تَمَرَّدَ فِي الْعَرِينَةِ فَتَحَّتْ
وَعَلَا زَيْبُرٌ مِنْهُ حَتَّى خَلَّتْهُ
وَطَنَّتْ أَنْ الرَّعْدَ مِنْ حَيْثُ الْحَيَا،
وَمِنَ الْعَجَائِبِ هَيْبَةُ الْمُتَبَسِّمِ^(٥).
وَكَأَنَّهَا هُوَ كَاشِرٌ عَنِ مِخْدَمِ^(٦).
قَصَّرَتْ عَلَى طُولِ الزَّمَانِ الْأَقْدَمِ^(٧).
أَبْوَابُهَا فَانْسَابَ مِثْلَ الْأَرْقَمِ^(٨).
كَالْفَحْلِ يَهْدُرُ عِنْدَ سُؤْلِ هَيْمِ^(٩)،
حَتَّى سَمِعْتُ الْيَوْمَ رَعْدًا مِنْ قَمِ^(١٠).

- (١) المسح (بكر الميم): ثوب أسود من جلد (أو من نسيج خشن). البرد (بضم الباء): ثوب من حرير. الوشي: الزخرف في النسيج. سحب برودا: سرن مختلات فخورات.
- (٢) الترائب: جوانب الصدر. خدد: شقق. المهجير: وقت اشتداد الحر.
- (٣) من نظامي: من نظمي، من شعري (من صنمي). قلادة: عقد يلبس في العنق (قصيدة، صنماً جليلاً).
- (٤) القرية: الشعر. المعلوات جمع معلقة: الثرف، والمعلقة مقفولة في مكة.
- (٥) جهم: عابس. المحيا: الوجه. هاب: حاف.
- (٦) ناظر عن زيبق: تتحرك عيناه بسرعة يميناً ويساراً (من الغضب أو الخنز). كاشر: فاتح فمه مطهراً أسنانه. مخدم: سيف.
- (٧) اللبدة: شعر حول رقبة الأسد (الذكر). الفروة: ثوب صوف ساخن سبك. بقية فروة (يشبه الناعر لبدة الأسد بالفروة التي قصرت بعد مرور زمن عليها).
- (٨) العرين والعرينة: مأوى الأسد (والمقصود هنا: القمص الذي كان فيه ذلك الأسد). تمرّد في العرينة: اشتدت حركته يريد الخروج (للصراع). الأرقم: الحية.
- (٩) الزبير: صوت الأسد. حال: ظن. الفعل: الذكر النائم الحلقة والقوي (من الحيوان والإنسان). هدر الفعل: صوت (من الهياج أو الغضب). النول جمع شائلة: الناقة ترع ذنبها في موسم اللقاح. الهيم يقصد الهيام (بضم الهاء): المشاق، العطاش (الراغبات في اللقاح).
- (١٠) الحيا: المطر. - كنت أظن أن الرعد يصدر عن السحاب فقط، وقد سمعت الآن رعداً من قم (الأسد).

وتناولت زُرُقُ الأَسِنَّةِ زُرْقَه حَتَّى بَدَأَ فِي شَكْلِهِ كَالشَّيْهِمِ^(١) .

٤-★★ الخلة السراء ٢: ٢٥٧ - ١٢٦٧ الذيل والتكملة ١: ١٩٧ - ١٢٠١ فتح الطيب
٤: ٤٧٧ - ١٤٧٨ نيكول ١٣٢٦ الأعلام للزركلي ١: ١٤٢ .

أبو بكر بن خير الإشبيلي

هو أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة، وُلِدَ فِي إِشْبِيلِيَّةِ سَنَةِ ٥٠٢ هـ (١١٠٨ - ١١٠٩ م) وَبَدَأَ تَلْقَى الْعِلْمَ فِيهَا. ثُمَّ إِنَّهُ قَضَى حَيَاتَهُ بِالتَّطَوُّفِ فِي بُلْدَانِ الْأَنْدَلُسِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ: غَادَرَ إِشْبِيلِيَّةَ (٥٢٧ هـ) فَكَانَ فِي قُرْطَبَةَ (٥٢٩ هـ) وَالْمَرْيُوطِ وَطَرِيفَ (٥٤٠ هـ) وَشَلْبَ (٥٤٩ هـ) وَمُورُورَ (٥٦٣ - ٥٦٤ هـ). وَيَبْدُو أَنَّهُ كَانَ فِي أُنْتَاءِ ذَلِكَ يَعُودُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ إِلَى إِشْبِيلِيَّةَ (٥٣٥ هـ، مَثَلًا).

وَفِي سَنَةِ ٥٧٢ هـ تَوَلَّى أَبُو بَكْرٍ بِنَ خَيْرٍ - وَكَانَ قَدْ ضَعَّفَ جِسْمَهُ بِتَقَدُّمِهِ فِي السِّنِّ - الْإِمَامَةَ فِي جَامِعِ قُرْطَبَةَ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي قُرْطَبَةَ فِي رَابِعِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ ٥٧٥ هـ (١١٧٩/٨/٩ م) ثُمَّ نُقِلَ رُفَاتُهُ إِلَى إِشْبِيلِيَّةِ.

قَضَى أَبُو بَكْرٍ بِنَ خَيْرٍ حَيَاتَهُ كُلَّهَا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، فَلَا غُرُوبَ إِنْ عَزَّ نَظِيرُهُ فِي هَذَا الْبَابِ. وَقَدْ صَنَّفَ ابْنُ خَيْرٍ فِهْرَسْتًا لِلْكَتَبِ الَّتِي قَرَأَهَا عَلَى شُيُوخِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ فِي بُلْدَانِ الْأَنْدَلُسِ. هَذَا الْفِهْرَسْتُ الْيَوْمَ ذَخِيرَةٌ ثَمِينَةٌ بِمَا فِيهِ مِنْ تَرَاجِمِ أَوْلِيَاءِ الشُّيُوخِ وَمِنْ وَصْفِ كُتُبِهِمُ الَّتِي بَلَغَتْ فِي هَذَا الْفِهْرَسْتِ أَلْفًا وَخَمْسَةَ وَأَرْبَعِينَ كِتَابًا. وَلَا رَيْبَ أَنَّ نَسْتًا كِتَابًا لَمْ يَصِفْهَا ابْنُ خَيْرٍ فِي «فِهْرَسْتِهِ» لِأَنَّهَا غَابَتْ عَنْهُ أَوْ لِأَنَّهُ لَمْ يَجِدْهَا خَلِيقَةً بِالْوَصْفِ إِلَى جَانِبِ الْكَتَبِ الَّتِي وَصَفَهَا.

- فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة..... أبو بكر محمد بن خير.....

(١) زرق الأسنّة: الأسنّة (رؤوس الرماح والسهام): الأسنّة الصافية اللامعة لمضائها وقوتها على الطعن والتقطع الخ. زرقه (ليس في القاموس معنى يوافق هذه الكلمة في موضعها هنا. في القاموس: «زرقه» بالنصل: رماه به. فيكون «زرقه» هنا - بفتح الزاي - مسافة جسم الأسد التي يمكن أن تصاب بالنبال). الشيم: الفتند الذكر (أصبح جسم الأسد مملوءاً بالنبال كجسم الشيم المغطى بالشوك).

الإشبيلي (تحرير قداره و رباره و طرأغو)، سرقسطة (مطبع قوس) ١٨٩٣ م، طبعة ثانية
(بإشراف زهير فتح الله)، بيروت، بغداد، القاهرة (المكتب التجاري، مكتبة المثني،
مؤسسة الخانجي) ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٣ م.

★ الوافي بالوفيات (رقم ٢٣٩)، التكملة ١: ٢٤٠، المنّ بالإمامة ٣٠١ - ٣٠٢، وفيات ابن
قنفذ ٢٨٧؛ شذرات الذهب ٤: ٢٥٢؛ تاج العروس (الكويت) ١١: ٢٤٠؛ دائرة
المعارف الإسلامية ٣: ٨٣٧؛ بروكلمن ١: ٦٥٨؛ الأعلام للزركلي ٦: ٣٥٤ (١١٩)؛ بغية
الوعاة ٤١: ٤٥٠.

اليَسَعُ بْنُ عَيْسَى

١- هو أبو يحيى اليَسَعُ بْنُ عَيْسَى بْنِ حَزْمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ اليَسَعِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
الغافقي، وُلِدَ فِي جَيَّانَ، وَانْتَقَلَ أَبُوهُ مِنْ جَيَّانَ إِلَى الْمَرْيَةِ، ثُمَّ سَكَنَ فِي بَلَنْسِيَّةَ وَبَعْدَهَا
فِي مَالِقَةَ.

كَانَ اليَسَعُ بْنُ عَيْسَى قَدْ أَخَذَ الْقِرَاءَاتِ عَنْ أَبِيهِ وَعَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ الْقَاصِي
وَسِوَاهُمَا، كَمَا سَمِعَ (الحدِيث) مِنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زُعَيْبَةَ، سَمِعَ مِنْهُ صَاحِبُ الْبُخَارِيِّ
وَصَاحِبُ مُسْلِمٍ. ثُمَّ أَخَذَ عَنْ نَفَرٍ كَثِيرِينَ. وَقَدْ أَخَذَهُ بَعْضُ الْأَمْرَاءِ فِي شَرْقِيٍّ
الْأَنْدَلُسِ كَاتِبًا.

وَفِي سَنَةِ ٥٦٠ هـ (١١٦٤ - ١١٦٥ م) رَحَلَ اليَسَعُ بْنُ عَيْسَى إِلَى مِصْرَ فَسَكَنَ
الْإِسْكَندَرِيَّةَ ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى الْقَاهِرَةِ. وَلَمَّا قَضَى صَلَاحُ الدِّينِ الْأَيْبُوِّيَّ عَلَى الْخِلَافَةِ
الْقَاطِمِيَّةِ، كَانَ اليَسَعُ بْنُ عَيْسَى أَوَّلَ مَنْ خَطَبَ عَلَى مَنَابِرِ مِصْرَ بِالِدَعْوَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ، فِي
الْمُحَرَّمِ مِنْ سَنَةِ ٥٦٧ (أَيْلُول - سِبْتِمْبَر ١١٧١ م) وَلَمْ يَجْسُرْ أَحَدٌ قَبْلَهُ عَلَى ذَلِكَ. مِنْ
أَجْلِ ذَلِكَ عَلَتْ مَكَانَتُهُ عِنْدَ صَلَاحِ الدِّينِ.

وَكَانَتْ وَفَاةُ اليَسَعِ بْنِ عَيْسَى فِي الْقَاهِرَةِ، فِي ١٩ رَجَبٍ مِنْ سَنَةِ ٥٧٥
(١١٧٩/١٢/٢٠ م).

٢- كَانَ اليَسَعُ بْنُ عَيْسَى مُقْرَأً وَمُحَدِّثًا وَفَقِيهًا وَمُؤَرِّخًا وَشَاعِرًا وَخَطِيبًا. وَلَكِنْ

كتاب المغرب يقول فيه (٢ : ٨٨) : « نثره كثرٌ ثقيلٌ، ونظمه مفسولٌ^(١) ليس عليه طلاوةٌ، وكأنه أرادَ مُعارضةَ كتابِ الفلاند^(٢) ». وهو مصنفٌ له كتابُ « المغرب في آداب المغرب »^(٣) صنّفه بمصرَ لصلاح الدين الأيوبي.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال صدرُ الدين أبو طاهرٍ أحدُ بنِ محمدِ الأصفهانيِّ السلفيِّ المتوفى سنة ٥٧٦ هـ (أخبار وتراجم أندلسية ١٤٩) : أنشدني أبو يحيى اليسعُ بنُ عيسى بديارِ مصرَ لنفسه:

قلْ لِمَ نَاهَ بَدْنِيَا سَاعِدَتُهُ وَتَرَقَى فَوْقَ أَفْلَاكِ الْمَالِي:
ذَاكَ قُطْبٌ يَقْلِبُ الْعَالِيَّ سُفْلًا، وَيُرِدُّ السُّفْلَ فِي الْأَغْلَبِ عَالِي.
لَوْ تَوَسَّطْتَ سَهَاءَ كُنْتَ نَجْمًا آمِنًا مِنْ صَرْفِهِ فِي كُلِّ حَالِ.

- وقال اليسعُ بنُ عيسى في كتابِ المغرب عند ذكر مدينةِ شَنْتَرَةَ^(٤) (نفع الطيب ١ : ١٦٤) :

إِنَّ مِنْ خَوَاصِّهَا أَنَّ الْقَمَحَ وَالشَعِيرَ يُزَوَّعَانِ فِيهَا وَيُخَصَّدَانِ عِنْدَ مُضِيِّ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَأَنَّ التَّفَاحَ فِيهَا دَوْرٌ كُلُّ وَاحِدَةٍ ثَلَاثَةَ أَشْبَارٍ وَأَكْثَرُ. قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْبَاكُورِيُّ، وَكَانَ ثِقَةً: أَبْصَرْتُ عِنْدَ الْمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَادٍ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ شَنْتَرَةَ أَهْدَى إِلَيْهِ أَرْبَعًا مِنَ التَّفَاحِ مَا يَقْلُ الْحَامِلُ عَلَى رَأْسِهِ غَيْرَهَا^(٥)، دَوْرٌ كُلُّ وَاحِدَةٍ خَمْسَةَ أَشْبَارٍ. وَذَكَرَ الرَّجُلُ أَنَّ الْمُعْتَادَ عِنْدَهُمْ أَقْلٌ مِنْ هَذَا. فَإِذَا أَرَادُوا أَنْ يَجِيءَ (التَّفَاحِ) بِهَذَا الْعِظَمِ قَطَعُوا أَصْلَهَا^(٦) وَأَبَقُوا مِنْهُ عَشْرًا أَوْ أَقْلًا وَجَعَلُوا تَحْتَهَا دِعَامَاتٍ مِنَ الْحَشْبِ.

(١) نظم (شعره) مفسول: ليس فيه شيء من أوجه البلاغة (لا جناس ولا استمارة ولا غيرها).

(٢) معارضة (محاكاة، تقليد) الفلان (كتاب فلان العقيان للفتح بن خاقان).

(٣) المغرب ٢ : ٨٨. ولمنوان هذا الكتاب قراءات أخرى.

(٤) شنترة: بلدة في غربي الأندلس (البرتغال اليوم).

(٥) ما يقبل (يستطيع أن يحمل) الحامل على رأسه غيرها.

(٦) أصلها (كذا في المصادر). اقرأ: أكلها (بضم الهمزة والكاف): نمرها.

٤-★ التكملة (رقم ٢١١٢)، أخبار وتراجم أندلسية ١٤٩: المغرب ٢: ٨٨؛ معجم الصديقي ٣٢٢-٣٢٣ (رقم ٣١٥)، ثمرات الذهب ٤: ٢٥٠؛ نفع الطيب ١: ١٦٤، ٢: ٣٧٩؛ الأعلام للزركلي ٩: ٢٤٨-٢٤٩ (٨: ١٩١).

الوهراني صاحب المنامات

١- هو الشيخ ركن الدين (أو جمال الدين)^(١) أبو عبد الله محمد بن محمد الوهراني (نسبة إلى وهران، في الجزائر) المغربي. رحل إلى المشرق، نحو ٥٥٠ هـ: خرج من وهران ومرّ بجزيرة صقلية ثم انتقل إلى الشام وطاف بعدد من بلدانها واستقر في دمشق، وذلك في أيام نور الدين محمود بن زنكي (٥٤١-٥٦٩ هـ). وفي سنة ٥٥٥ هـ ذهب إلى بغداد طلباً للتكسب بشعره فيها يبدو، لأن بغداد دار الخلافة. ولكنه لم يوفق في الأغلب فعاد إلى دمشق في ٥٥٦ هـ وبعد رجوعه من بغداد تولى الخطابة في دارياً (وهي قرية في الغوطة على مقربة من دمشق).

زار الوهراني مصر مرتين على الأقل. يبدو أنه زارها في المرة الأولى للتكسب بالشعر وللدخول في ديوان الإنشاء، وذلك في أيام السلطان صلاح الدين الأيوبي (٥٦٤-٥٨٩ هـ). فلما رأى فيها القاضي الفاضل (٥٢٩-٥٩٦ هـ) والجماد الكاتب الأصفهاني (٥١٩-٥٩٧ هـ) وتلك الحلبة من أمثالها في ميدان الإنشاء عاد إلى دمشق. ثم إنه زار مصر مرة أخرى أو أكثر من مرة وتطوّف فيها وعمل في التجارة، ولكن حظّه من التكسب بالتجارة لم يكن أوفر من حظّه في التكسب بالشعر.

وكانت وفاة الوهراني في دارياً، سنة ٥٧٥ هـ، في الأغلب - وقد وصل خبر وفاته إلى القاهرة في سابع عشر رجب (١٨ / ١٢ / ١١٧٩ م) - أو في سنة ٥٧٤ هـ. ولعله لم يمّر طويلاً.

٢- الوهراني أديب متمدّد نواحي الشخصية، له مشاركة في الأدب والفقّه والعلم والفلسفة، وله معرفة بالفاطر الفرق الإسلامية الظاهرية والباطنية، ويبدو أن له

(١) لعله اتخذ هذا اللقب لما استقر في المشرق.

اطّلعاً على علم الفلك. وهو يُصَرِّفُ كلَّ ذلك في آثاره الكتابية. ثم هو مُنْشِئٌ ظريفٌ بارِعٌ في وجوه الصنعة اللغظية الخاصة، غير أنه يتكلم على تعابير بدیع الزمان الهمداني (ت ٣٩٨ هـ) كثيراً وعلى تعابير الحريري (ت ٥١٦ هـ) قليلاً. ولا ريب في أنه أدنى في الإنشاء طبقةً من الهمداني والحريري والقاضي الفاضل والجماد الأصفهاني. ومع أنه عدل عن طريقة هؤلاء وأمثالهم في الجد إلى الهزل والسخرية، فإنه اغدر إلى الإسفاف والإحاض المكشوفين النابيين، ولم يستطع أن يسوق الهزل والإحاض في الكنايات البريئة كما فعل بدیع الزمان والحريري مثلاً.

ويبدو أن الوهراي قد ترك الكذبة أو الاستجداء في مقاماته. أما مقاماته الوهرانية فتتو بتريده ممل.

وللوهراي نظمٌ عاديٌّ. وعلى آثاره كلُّها شيء من الضعف.

وكان الوهراي مُتَكَبِّباً قليل الاحتفال بالمبادئ السامية. ومع كثرة إيراد الأقوال الدينية في آثاره، فإننا لا نستطيع أن ندفع عنه أشياء من قلة الورع تقرب من أن تكون شواهد على زندقته.

وللوهراي من الكتب «جلس كل ظريف» فيه عدد من رسائله وفصوله الهزلية. وله «المنامات» وفيه مقاماته ورسائله. ولا يتضح من تحقيق إبراهيم شعلان ومحمد نفش ولا من تصدير عبد العزيز الأهواي إذا كان «الجلس» و«المنامات» كتابين مستقلين أو إذا كانا يجمعان نصوصاً متداخلة. (وسلك الوهراي في «المنامات» مسلك أبي العلاء المعري في «رسالة الفُفران» - وقد مدح ابن خلكان هذا الكتاب).

٣- مختارات من آثاره:

- من المقامة الفاسية:

دَخَلْتُ مَدِينَةَ فَاسٍ فِي أَيَّامِ أَبِي الْعَبَّاسِ، فَرَأَيْتُهَا تُجَاوِزُ الْأَوْصَافَ عَلَى طَرِيقِ الْإِنصَافِ. فَمَشَيْتُهَا شَيْطَانِي فَأَقَمْتُهَا مَقَامَ أُوطَانِي. فَحَضَرْتُ يَوْمًا فِي بَعْضِ بَسَاتِينِهَا مَعَ

قوم من أهل دينها^(١)، وفيهم أبو الوليد القرطبي^(٢) سلطان الكلام يأمره قيوائفه
وينهاه فلا يخالفه. وجرى بينهم حديث أهل البلاد ومن فيها من الأعيان
والنقاد^(٣)، فقالوا: يا أبا الوليد، أنت حجر يحكنا وبودقة سبنا^(٤). وما نحن
سائلوك ففضل من يستحق وعيب، ليميز الخبيث من الطيب.

فقال: أنا أوضح إشكالكم فاسألوا عما بدا لكم. فقلنا: ما تقول في القاضي أبي
القاسم^(٥)؟ فقال: علم من الأعلام وشيخ الإسلام ومنجز الأحكام وحاكم الحكام. غير
أنه - رحمه الله - يتناس للخصمين فلا يوقظه إلا صلصلة الكمين، ولو قبضت على
أنفه بالكلبتين.....

قلنا: فما تقول في ابن الأبار^(٦)؟ فقال: رجل عطار وبائع أزار. فإن تناول غير
هذا فهو بينطار؛ يتعلم حجامه الحجام في أافية الأيتام. قلنا: فما تقول في ابنه أبي
بكر^(٧)؟ فرد وجهه وقطب، وقام على أن يذهب؛ وقال: أبا بخر^(٨) انقلب!
قال الراوي لهذه الحكاية: فتعنته لهذه الغواية. فقال: إنني في كل هذا معذور،
وما هي إلا نغثة مصدور. وأنشد:

إذا أنا لم أشكر على الخير أهله ولم أذم الحينس^(٩) اللسيم المذمما،
ففيهم عرفت الخير والشر باسمه وشق لي الله السامع والغما!

قال: فودعناه وسار القوم، وخرجنا من المدينة في ذلك اليوم.

- من مطلع مقامته التي يصف فيها بغداد:

-
- (١) السنن: العادة. أهل دينها (الذين يتبعون طريقتهم في المعيشة).
(٢) يبدو أن أبا الوليد القرطبي بطل مقامات الوهرافي.
(٣) النقاد (بكر النون وتخفيف القاف): نوع من الغم الرديئة.
(٤) حجر المحك تختبر به المعادن. البودقة: وعاء تصهر فيه المعادن.
(٥) و٦ و٧) أسله مرتجلة (لا تدل على أشخاص بأعيانهم).
(٨) البخر: الرائحة الكريهة في الغم. فرد - لعلها: أريد: تغير لونه.
(٩) الحيس: الأمر الرديء.

قال الوهрани: لَمَّا تَعَذَّرْتُ مَآرِي وَاضْطَرَبْتُ مَنَارِي، أَلْقَيْتُ حَبْلِي عَلَى غَارِي^(١) وجعلتُ مَذَهَبَاتِ الشَّعْرِ بِضَاعِي وَمِنْ أَخْلَافِ الْأَدَبِ رِضَاعِي^(٢). فَمَا مَرَرْتُ بِأَمِيرٍ إِلَّا حَلَلْتُ سَاحَتَهُ وَاسْتَمَطَّرْتُ رَاحَتَهُ، وَلَا وَزِيرٍ إِلَّا قَرَعْتُ بَابَهُ وَطَلَبْتُ نَوَابَهُ^(٣)، وَلَا بِقَاضٍ إِلَّا أَخَذْتُ سَيِّئَهُ وَأَفْرَعْتُ جَنِيئَهُ^(٤). فَتَقَلَّبْتُ فِي الْأَعْصَارِ وَتَقَادَفْتُ فِي الْأَمْصَارِ، حَتَّى قَرُبْتُ مِنَ الْعِرَاقِ وَسَمِئْتُ مِنَ الْفِرَاقِ. فَقَصَدْتُ مَدِينَةَ السَّلَامِ لِأَقْضِي حَجَّةَ الْإِسْلَامِ^(٥). فَدَخَلْتُهَا بَعْدَ مَقَاسَاةِ الضَّرِّ وَمُكَابَدَةِ الْعَيْشِ الْمُرِّ. فَلَمَّا قَرَّ بِهَا قَرَارِي وَاجْلَى فِيهَا سِرَارِي^(٦)، طَفَّفْتُهَا طَوَافَ الْمُفْتَقِدِ وَتَأَمَّلْتُهَا تَأَمَّلَ الْمُنتَقِدِ، فَرَأَيْتُ بَجْرًا لَا يُغْبَرُ زَاخِرُهُ وَلَا يُبْصَرُ آخِرُهُ، وَجَنَّةً أَبَدَعَ جَنَّانُهَا وَفَازَ بِاللَّذَّةِ سُكَّانُهَا..... وَتَاقَتْ نَفْسِي إِلَى مُعَادَاةِ الْعُقَلَاءِ وَاشْتَاقَتْ إِلَى مَعَاشِرَةِ الْفُضَلَاءِ، فَذَلَّنِي بَعْضُ السَّادَةِ الْمَوْلَايِ إِلَى دُكَّانِ الشَّيْخِ أَبِي الْمَعَالِي^(٧)، وَقَالَ: هُوَ بُسْتَانُ الْأَدَبِ وَدِيْوَانُ الْعَرَبِ، يَرْجِعُ إِلَى رَأْيِ مُصِيبٍ وَيَضْرِبُ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ بِنَصِيبٍ. فَقَصَدْتُ قَصْدَهُ وَجَلَسْتُ عِنْدَهُ. وَسَأَلَنِي عَنِ حَالِي وَعَنْ طَرِيقِ انْتِحَالِي^(٨). فَقُلْتُ: إِنِّي رَجُلٌ غَرِيبٌ وَعَهْدِي بِالسَّفَرِ قَرِيبٌ. فَقَالَ: مِنْ أَيِّ الْبِلَادِ خَرَجْتَ وَعَنْ أَيِّهَا دَرَجْتَ^(٩)؟ فَقُلْتُ لَهُ: مِنَ الْمَغْرَبِ الْأَقْصَى وَالْأَمَدِ الَّذِي لَا يُحْصَى^(١٠)، وَمِنَ الْبَلَدِ الَّذِي لَا تَصِلُ

- (١) تَعَذَّرْتُ مَآرِي: اسْتِحَالٌ عَلَى الْمَحْصُولِ عَلَى مَا أُرِيدُهُ (فِي بَلَدِي). اضْطَرَبْتُ مَنَارِي: تَعَدَّدْتُ أَضْرَافِي بَيْنَ بَلَدٍ وَبَلَدٍ. أَلْقَيْتُ حَبْلِي عَلَى غَارِي (عَلَى كَتْفِي): سَرْتُ فِي الْبِلَادِ عَلَى غَيْرِ خُطَّةٍ مَرْسُومَةٍ.
- (٢) مَذَهَبَاتِ الشَّعْرِ: الْقَصَائِدُ الْجَيَادُ تَشْبِيهُاً لَهَا بِالْمَعْلَقَاتِ الَّتِي قَبْلَ إِثْنِهَا كَانَتْ تَكْتَبُ بِالذَّهَبِ. الْأَخْلَافُ: جَمْعُ خَلْفٍ (بِكْسَرِ الْهَاءِ): ضَرْعُ النَّاقَةِ). - جَمَعْتُ أَنْكَسَبَ بِالشَّعْرِ وَالْأَدَبِ.
- (٣) اسْتَمَطَّرْتُ رَاحَتَهُ (كَتَفَهُ): طَلَبْتُ مِنْهُ عَطَاءً (مَالاً).
- (٤) السَّيْبُ: الْعَطَاءُ. الْجَلْيُ (فِي الْأَصْلِ) مَكَانُ الْعُنُقِ مِنَ الثَّوْبِ (وَهُنَا): شَبَّ كَيْسٍ فِي ظَاهِرِ الثَّوْبِ أَوْ بَاطِنِهِ تَوْضِعُ فِيهِ الْأَشْيَاءُ.
- (٥) مَدِينَةُ السَّلَامِ: بَغْدَادُ. حَجَّةُ الْإِسْلَامِ: وَجُوبُ زِيَارَةِ بَغْدَادِ (عَاصِمَةِ الْإِسْلَامِ السِّيَاسِيَّةِ).
- (٦) السَّرَارُ: آخِرُ الشَّهْرِ الْقَمَرِيِّ (حِينَ لَا يَظْهَرُ الْهَلَالُ فِي السَّمَاءِ). الْجَلْيُ (الْاِنْكِشَافُ) سَرَارِي: بَدَأُ هَلَالِي يَبْدُو فِي السَّمَاءِ (بَدَأْتُ حَالِي تَحْتَسِرُ).
- (٧) الدُّكَّةُ وَالدُّكَانُ: مَرْتَبَةٌ عَالِيَةٌ يُجْلِسُ عَلَيْهَا. أَبُو الْمَعَالِي: (فِي مَنَامَاتِ الْوَهْرَانِيِّ، ص ٢، ح ١): هُوَ غَالِباً أَبُو الْمَعَالِيِّ الْكُتَيْبِيُّ الْمَوْتُوفِيُّ سَنَةَ ٥٦٨ هـ.
- (٨) انْتِحَالِي: مَحَلَّتِي (بِكْسَرِ النُّونِ) مِنَ الْمَعَاشِ: طَرِيقَةُ تَحْصِيلِ مَعَاشِي.
- (٩) دَرَجٌ: بَدَأُ سِرَّهُ (خَرَجَ مِنْ طِفْوَلْتِهِ إِلَى شَبَابِهِ).
- (١٠) الْأَمَدُ: الْغَايَةُ وَالنَّهَائِيَّةُ; وَهُنَا: الْمَسَافَةُ الْأَمَدُ الَّذِي لَا يَحْصَى: لَا يَعْرِفُ قِيَاسَهُ (الْبَعِيدِ).

إليه الشمسُ حتى تكبلُ أفلاكها وتضحُّ أملاكها^(١)....

قال: كيفَ مَعْرِفَتِكَ بَدَهْرِكَ وَمَنْ تَرَكْتَهُ وِراءَ ظَهْرِكَ؟ قلتُ له: أَمَّا الْبِلادُ فَقَدْ قَلَبْتُ جُنُوبَهَا وَكشفتُ عُيُوبَهَا^(٢). وَأَمَّا الْمُلُوكُ فَقَدْ لَقَيْتُ كِبَارَهَا وَحَفِظْتُ أَخْبَارَهَا. فَأَيُّ الدُّوَلِ تَجْهَلُ وَعَنْ أَيِّهَا تَسألُ...؟

قال: فما تقولُ في عبدِ المؤمنِ وأولادِهِ وسيرتِهِ في بِلادِهِ^(٣)؟ فقلتُ: مُؤَيَّدٌ مِنَ السَّماءِ خِوَّاضٌ لِلدِّمَاءِ مُسَلِّطٌ مِنَ فِوقِ المَاءِ^(٤). حَكَمَ سِيفَهُ فِي القِمَمِ وَأَعْمَلَهُ فِي رِقَابِ الأُمَمِ^(٥)، حَتَّى خَصَمَتْ لَهُ التَّيْجَانُ وَدَانَتْ لَهُ الإِنْسُ وَالجِئَانُ. فَأَعَمَدَ الحِلْمُ سِيفَارَهُ وَقَلَّمَ العِلْمُ أَظْفَارَهُ^(٦)، فَلانَ مَسَّهُ وَهَدَأَ حَسَّهُ^(٧). وَلَوْ أَنَّ لِلعِلْمِ لِسَاناً وَلِلوَرَقَةِ إِنساناً لَتَأَلَّمْتُ وَتَظَلَّمْتُ^(٨)، ولَأُنشِدَنَّكَ فِي المَلَأِ قولَ الشَّيخِ أَبِي العِلاءِ^(٩):

(١) تكبل: تتعب. أفلاك جمع فلك (المدار الذي يسير فيه الكوكب). والكلمة هنا مستعملة في غير محلها. ضح: صاح صباحاً يدلُّ على شقَّة أو فزع الخ. أملاك جمع ملك (بفتح الميم: واحد الملائكة). - كان الاعتقاد الوثني اليوناني أن الشمس تسير في مركبة يسوقها ويدفعها أشعاص سماوية.

(٢) الجنوب جمع جنب: طرف، جانب. قلبت جنوبها الخ: أكثرت من زيارة مناطقها وعرفت كثيراً من أحوالها.

(٣) عبد المؤمن بن علي، أمير المسلمين، وأول سلاطين دولة الموحدين (٥٢٤ - ٥٥٨ هـ)، كان له ستة عشر ولداً من الذكور، منهم أبو يعقوب يوسف، خلفه في الملك (٥٥٨ - ٥٨٠ هـ) - ولم يدرك الوهراي أحداً من سلاطين الموحدين بعده. ثم كان من أبناء عبد المؤمن نفر تولوا (بفتح اللام) عدداً من المدن في المغرب وفي الأندلس ويظهر أن الوهراي لم يكن ميبلاً إلى دولة الموحدين لأنه لم ينل حظوة عند أهلها.

(٤) خواض للدماء: كثير المارك أو كثير القتل للناس. مسلط من فوق الماء (٢) السماء (سلطة الله على الناس).

(٥) حكم سيفه في القمم (قتل كثيراً من رؤساء الناس) وأعمله في رقاب الأمم (ظلم الناس والشعوب وأبادهم).

(٦) الحلم (بكر الحاء): العقل، سمة الصدر، ضبط النفس. الشفار جمع شفرة (بفتح فسكون): حديدة عريضة سنونة (سيف). قلّم أظفاره: جملة عاجزاً عن الظلم أو القتل أو الاعتداء.

(٧) لان مسه: أصبح ظاهره بريئاً لا يدل على خطر أو ضرر. راجع قول عنتره:

إِنَّ الأَفَاعِي وَإِنْ لَانَتْ مِلا سِها عِنْد التَّقَلُّبِ فِي أُنْيابِها العَطِبِ.

هدأ (قل)، بطل) حسه (بكر الحاء): الشعور، ولا معنى لها هنا. وحسه (بفتح الحاء) القتل.

(٨) ... لساناً يتكلم) ... إنساناً (بؤبؤاً للمعين) يرى.

(٩) الملاء = الأشراف القوم وجهرتهم. أبو العلاء المعري الشاعر الحكيم والنائر النقادة (ت ٤٤٩ هـ).

جَلَوْا صَارِمًا وَتَلَّوْا بَاطِلًا وَقَالُوا: صَدَقْنَا. فَقُلْنَا: نَعَمْ^(١)!
ولكنَّ السكوتَ عن هذا أَرْجَحُ ومُسَالمةُ الأفاعي أُنْجِحُ. وعند الله تَجَمُّعُ
الْحُصُومِ^(٢).

- للوهرائي جوابٌ طويلٌ على رسالةٍ وردت إليه. سَلَكَ الوهرائي في هذا الجواب
مَسَلَكَ التَّرْسُلِ حيناً ومَسَلَكَ المَقَامَةِ أحياناً، ثم طَوَاه على مَنَامٍ أَنَّهُ رَأَاه. وهذا
الجوابُ الرِسَالَةُ المَقَامَةُ طَوِيلٌ يَبْلُغُ نَحْوَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ صَفْحَةً (٥٣٠ سَطْرًا) قَلَّدَ في
بعضِهِ رِسَالَةَ الغُفْرَانِ للمَعْرِي: الشاعِرِ الحَكِيمِ والنَّائِثِ النِقَادَةِ (ت ٤٤٩ هـ).
- من هذا الجواب:

.... ثم تَرْتَفَعُ الضُّوْءُ، وَإِذَا بِمُوكِبِ عَظِيمٍ قَدْ أَقْبَلَ مِنَ المَقَامِ المَحْمُودِ^(٣) كَأَنَّهُمْ
الشَّمْسُ والأَقْيَارُ، رُكْبَانٌ عَلَى نَجَائِبٍ مِنْ نَوْرِ يَوْمُونَ المَشْرَعَةَ العُظْمَى مِنَ الحَوْضِ
المُورُودِ^(٤). فَسَأَلْنَا عَنْهُمْ فَقِيلَ لَنَا: هَذَا سَيِّدُ المُرْسَلِينَ، مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللهِ، صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي أَصْحَابِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ. فَنَجْرِي خَلْفَهُ وَنُجْهِدُ أَنْفُسَنَا فِي طَلْبِهِ. فَلَمْ نَصِلْ
إِلَيْهِ مِنْ شِدَّةِ الزَّحَامِ. فَطَلَعْنَا عَلَى تَلٍّ مُشْرِفٍ مِنْ جِبَالِ الأَعْرَافِ^(٥) نَرَقِبُهُ حَتَّى عَبَّرَ
عَلَيْنَا - عَنْ يَمِينِهِ أَبُو بَكْرٍ وَعَنْ يَسَارِهِ عُمَرُ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ أَوْلَادُهُ الصِّغَارُ مَعَ الحَسَنِ
وَالْحُسَيْنِ وَعُثْمَانَ يَقْدُمُهُمْ^(٦). وَمِنْ وَرَائِهِ حَمْرَةٌ وَالعَبَّاسُ وَجَعْفَرٌ وَعَقِيلٌ^(٧)، وَبَقِيَّةُ

- (١) جلا: أظهر، أبرز، شهر. الصارم (السيف). وتلا (قرأ) باطلاً (أحاديث غير صحيحة). وقالوا صدقنا: ادعوا الصواب في أعينهم فقلنا نعم اضطررنا إلى الطاعة).
- (٢) أرجح: أثقل (أقرب إلى العقل) الأفاعي: الحيات. و « عند الله تتجمع (يتم القيامة) الحصوم » عجز (يفتح ضم) بيت صدره « إلى ديان يوم الحق نضي » ديان يوم الحق (يوم القيامة): الله تعالى.
- (٣) المقام المحمود: الجنة. في القرآن (١٧: ٧٩، سورة الإسراء) في خطاب الرسول: « عسى أن يمشك ربك مقاماً محموداً » (مقام الشفاعة يوم القيامة).
- (٤) نجائب جمع نجيبة (الناقة الكريمة الأصلية). الحوض المورود (الذي يشرب منه المؤمنون يوم القيامة). المشرعة العظمى (الكان الأرفع في ذلك الحوض).
- (٥) الأعراف مكان بين الجنة والنار
- (٦) أبو بكر الخليفة الأول ثم عمر بن الخطاب الخليفة الثاني الحسن والحسين ابنا علي بن أبي طالب. ثم عثمان بن عفان الخليفة الثالث يقدمهم = يتقدمهم (يسير أمامهم قائداً لهم) الضمير المستتر في « يقدمهم » يمكن أن يرجع إلى « عثمان ».
- (٧) حمزة والعباس ابنا عبد المطلب (عم الرسول). جعفر الطيار وعقيل ابنا أبي طالب وأخو علي

أصحابه يمشون في ركابه مع المهاجرين والأنصار^(١) - وهو يُصفي أحياناً إلى حديث علي عليه السلام وتارة إلى عثمان، وهما فيما بينه وبين أولاده الصغار. والناس يضبجون بالبكاء ويشيرون إليه بالأبدي ويستغيثون عليه من كل مكان^(٢).

٤ - نباتات الوهرافي ومقاماته ورسائله (تحقيق إبراهيم شعلان ومحمد نفش)، مصر (الجمهورية العربية المتحدة - وزارة الثقافة: المكتبة العربية: التراث)؛ الناشر: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، فرع مصر ١٩٦٨ م.

★ ★ وفيات الأعيان ٤: ٣٨٥ - ٣٨٦؛ الوافي بالوفيات ٤: ٣٨٦ - ٣٨٩؛ شذرات الذهب ٤: ١٢٥٢ بروكلمان ١: ٣٢٩، الملحق ١: ٤٨٩؛ أعلام الجزائر ١٧٨؛ الأعلام للزركلي ٧: ٢٤١؛ البحث العلمي ٦: ٢ (سبتمبر ١٩٦٥) ص ١٩٥؛ تعريف الخلف ٤٨٧ - ٤٨٨.

يونس بن عماد القسطلّي

١ - هو أبو الوليد يونس بن عماد القسطلّي من أهل الجزيرة الخضراء (على الساحل الجنوبي للأندلس)، كان كاتباً لبعض الولاة. وقد رحل إلى المشرق. وكانت وفاته سنة ٥٧٦ هـ (١١٨٠ - ١١٨١ م).

٢ - أبو الوليد القسطلّي من خيار البلغاء وشاعرٌ كثيرٌ من فحول الشعراء كان يُقلد شعراء المشرق. وله مقطعات وقصائد طوالٌ وأراجيزٌ؛ وأكثر شعره المديح.

٣ - مختارات من شعره:

- قال يونس القسطلّي يمدح ابن عبد المؤمن بن سعيد (الموحدي)، وقد جاء إلى البلد (خريدة المغرب ١: ٣٤٨):

(١) المهاجرون أهل مكة من الذين هاجروا مع الرسول من مكة إلى المدينة الأنصار أهل المدينة الذين استقبلوا الرسول وأصحابه المهاجرين وحموه (بفتح الميم) وحاربوا معه

(٢) يستغيثون عليه (٢) يستغيثون عليه (بسترونه من كثرة ازدحامهم حوله). في القرآن الكريم (٧١: ٧، سورة نوح): «واستغثوا ثيابهم»: غطّوا بها رؤوسهم.

أهلاً بمرآك السعيد ومرحبا،
بكم تحلى الدهر أحسن جلية
وأنارت الدنيا بهديكم الذي
وله شائل كالحائل جادها
ويشوبُ ذاك مرارة لمن اعتدى.
يهترُ للمعروف بفعلسه كما
ويهشُّ نحو المكرمات سجية،
اليوم رق لنا الزمان وأعتبا^(١)،
فقدت لياليه صباحاً أشهباً^(٢)،
أحيا مشارقها وخصم المغرباً^(٣)،
صوبُ السحاب عطرت نور الرمي^(٤)؛
لله درك ما أمر وأعدبا!
يهتر عطف البان تحت يد الصبا^(٥)،
ويمد للمجد الذراع الأرحبا^(٦).

- وقال يصف غديراً يصب في بركة كبيرة:

وفوق الدوحة الغنا غديرٌ
إذا ما انصب أزرق مستقيماً
بُجرده قم الأنوب صلتاً
تلاً صفحة وسجا قراراً^(٧)،
تدور في البحيرة فاستداراً^(٨)،
حساماً ثم يفتله سواراً^(٩)!

٤-★★ التكلمة ٤٤٧١؛ زاد المسافر ٥٧ - ٦٦ خريدة المغرب ١: ٣٤٨ - ٣٥٠ المغرب
١: ٣٢٨ الأعلام للزركلي ٩: ٣٤٨ (٨: ٢٦٣).

- (١) أعتبنا الزمان: أرضانا (صفا لنا).
- (٢) أشهب: أبيض.
- (٣) الهدي (بفتح الهاء): الهدي (بضم الهاء).
- (٤) الحميلة: جانب من الروضة فيه أشجار كثيفة كثيرة الزهر. جادها صوب الحيا: هطل عليها مطر كثير. النور (بفتح النون): الزهر.
- (٥) المطف: الجانب (هنا: الفص). البان: شجر أغصانه طوال مستقيمة. الصبا: ريح الشرق.
- (٦) يهتر: يرتاح ويسر. سجية: طبيعة. الأرحب: الأوسع (هنا: الأطول)، يمد للمجد الخ: ينال من المجد ما لا يستطيع غيره أن يصل إليه.
- (٧) فوق الدوحة (الشجرة الكبيرة): بمبدأ عنها. الفناء: الناضرة الملوثة بالورق. غدير: ماء يتأدر النهر (بجلاف الرافد: ماء يصب في النهر). سجا: سكن، هدأ. قرار: قمر. الملموح هنا أن الماء أت من النهر بأنبوب ضخم.
- (٨) أزرق: صاف (غير مختزج بالهواء حتى يبدو أبيض).
- (٩) الصلت: الواضح، الأملس.

ابن سيد اللصّ الإشبيليّ

١- هو أبو العباس أحمد بن علي بن عبد الملك بن سليمان الكِنَافِيّ المعروف بابن سيد اللصّ^(١) الإشبيليّ، وُلِدَ سنة ٥٠٧ هـ (١١١٤ م).

قرأ ابنُ سيّد الإشبيليّ القرآنَ على ابن عيْشون (ت ٥٣١ هـ) وعلى أبي الحسن شريح بن محمّد (ت ٥٥٧ هـ) وقرأ كتابَ سيبويّه (في النحو) على ابن الرّمّاك (ت ٥٤١ هـ) مرّتين وقرأ الأدبَ على أبي محمّد بن عبد الغفور (ت ٥٤٢ هـ). ثمّ تصدّر لإقراء اللّغة والنحو والأدب. وعشق حفصة شاعرة الأندلس.

ولمّا جاء أوّل سلاطين الموحّدين عبد المؤمن بن عليّ إلى الأندلس وذهب إليه الشعراء في جبل الفتح (جبل طارق) يمدحونه كان ابنُ سيّد الإشبيليّ معهم. وكانت وفاته في إشبيلية سنة ٥٧٦ هـ (١١٨٠ م) أو في السنة التالية.

٢- كان ابنُ سيّد الإشبيليّ مقرّناً محدّثاً ومن علماء اللّغة والنحو المبرّزين، كما كان من أهل البلاغة والأدب، ناثراً قديراً وشاعراً بارعاً. وهو من مشهوري شعراء الأندلس. وكان حوسداً متوتّباً بالهجاء على الناس، مُحبّاً لحوك المكائد. وهناك في آثاره عددٌ من الكلمات لا يجرى على المنهج اللغوي القويم.

٣- مختارات من آثاره:

- قال ابن السيّد الإشبيليّ في النسب:

كَلَنِي إِلَى أذْمَعِ نَسَحُو تَكْتَسِبُ شَرَحَ الْهُوَى وَتَمَحُو^(٢).
أَفْدِي الْتِي لَوْ بَعَثَ فَسَاداً مَا كَانَ بَيْنَ الْأَنْامِ صَلُحُ^(٣).
صَاحِبَةٌ وَالْجَفُونَ سَكْرَى: مِنْ أَسْكَرْتَهُ فَلَيْسَ يَصْحُو.

(١) لَقِبَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ فِي حَدِيثِهِ يَغْيِرُ عَلَى أَشْعَارِ الشُّعْرَاءِ (الوفاي بالوفيات ٧ : ٢١٨).

(٢) كَلَنِي (فعل أمر من « وكل - يكل »: عهد به إلى، تركه. سحا: انهمر المطر بشدة).

(٣) بَعَثَ (أراد).

جَارَ عَلَيْكَ الْأَنَامُ ظُلْمًا سَمَّوكَ لَيْلَى وَأَنْتِ صُبْحُ!

- ومن قصيدة له يمدحُ بها أبا بكر بن مردئ:

نَدَاكَ الْغَيْثُ إِنْ مَحَلُّ تَوَالِي، وَأَنْتِ اللَّيْثُ إِنْ شَهِدُوا الْقِتَالَ^(١).

غَضِبْتَ اللَّيْثَ شِدَّةَ سَاعِدَيْهِ - نَعَمْ - وَسَلَبْتَ عَيْنِيهِ الْغَزَالَ.

وما أفنى السؤالَ لكم نوالاً، ولكنَّ جودكم أفنى السؤالِ!

نوالٌ طَبَّقَ الْأَفَاقَ حَتَّى جَرَى مَثَلًا بِهَا وَغَدَا مِثَالًا.

- وكان مُرْفَى يهجاه آلَ فَنَدَلَةَ ظُلْمًا فقالَ فيهم:

الموتُ لا يُبقي على مُهْجَةٍ: لا أبدأ يُبقي ولا نَعْتَلَهُ^(٢)،

ولا شريفاً من بني هاشم، ولا وضيعاً لبني فَنَدَلَةَ.

- وكتب ابنُ سيِّدِ الإِشْبِيلِيِّ إلى أبي جعفر بن سعيد^(٣) يمتدُّرُ من وشايةٍ كانت

حُيِّلَتْ إليه عنه:

سَلامٌ كَتَسَمِيرٍ^(٤) على ذلك المقامِ الكَرِيمِ، ورحمةُ الله تعالى وبركاته، وإن كانَ

مَوْلَايَ لم يُفَاتِحْنِي بِالسَّلامِ ولا رَأَى أَهْلًا لِمُقَاوَمَةِ الْكِرَامِ، لكنَّ حَطَّ قَدْرِي عِنْدَهُ ما

نَسِبَ لي من الذَّنْبِ الْمُخْتَلَقِ. ولا، والله، ما نَطَقْتُ بِلسانٍ ولا كُنْتُ مِمَّنْ رَمَقَ^(٥)؛ بِلِ

الذي زَوَّرَ لِسَيْدِي في هذه الوشايةِ كانَ المُعِينِ عَلَيْها والمُلمِّ إِلَيْها. فبادرَ إِلَيْكُمْ قَبْلَ أنْ

أُسِبِقَهُ فَاتَّسَمَ بِأَسْقَطِ خِلَتَيْنِ: النَّذالَةَ الْأوْلَى والوِشايَةَ الْأُخْرَى. لولا أنَّ المَجالِسَ

بِالْأَمَاناتِ وأنَّ الخِلاعةَ بِساطٌ يُطوى على ما كانَ فيه، لَكُنْتُ أُسْبِقُ مِنْه وَلَكِنِّي يا بِي

ذَكَ خَلَقْتَنِي وما تَأَدَّبْتُ بِهِ.....

ولولا ما أَخَشَى مِنَ التَّثَقِيلِ وما أَتَوَقَّعُ مِنَ الحَجَلِ إِذا التَقَى الوَجْهانِ لَأَتَيْتُ

(١) الحبل (بالفتح): الجذب وانقطاع المطر.

(٢) النعتل: الذكر من الضباع. والنعتلة: الحمق (والشاعر يقصد: التجلب). (٣)

أحمد بن عبد الملك بن سعيد العنسي (قتل ٥٥٩ هـ).

(٤) التسمير: عين في الجنة.

(٥) رمق: تابع الأشياء بيسره. (٤).

حَتَّى أَبْلُغْتُ فِي الاعتذار بِالْمُشَافَهَةِ مَا لَا يَسَعُ الْقُرْطَاسُ. لَكِنِّي مُتَكَلِّمٌ عَلَى حِلْمٍ سَيِّدِي وَإِعْضَائِهِ مُتَوَسِّلٌ إِلَيْهِ فِي الْفُجْرَانِ بِمَلَائِهِ.....

٤-★★ زاد المسافر ٩٤ - ٩٥ الوافي بالوفيات ٧: ٢١٨، المغرب ١: ٢٥٢، المطرب ٢٠٠ - ٢٠٢: المنن بالإمامة ١٥٥ - ١٥٦، ١٦٨، ١٧٠، ٤٥٣ - ٤٥٧: المعجب ٢١٧: بغية الوعاة ١٤٩ - ١٥٠: نفع الطيب ٤: ١٩٣، ١٩٦ - ٢٠٤: الأعلام للزركلي (١: ١٧٤).

أبو الطيّب المسيلي

١- هو أبو الطيّب أحمد بن الحسين بن محمد المهدوي (نسبة إلى مدينة المهديّة، وتسمى الحمديّة) المسيلي، نسبة إلى المسيلة في المغرب الأوسط (الجزائر). وُلِدَ سَنَةَ ٥١٢ هـ (١١١٨ - ١١١٩ م) وكانت وفاته سَنَةَ ٥٧٨ هـ (١١٨٢ - ١١٨٣ م).

٢- كان أبو الطيّب المسيلي من أعيان شعراء المغرب الراحين في الأدب، له مَقَطَعَاتٌ حِسَانٌ فِي الغزل. وله مديحٌ ونسيبٌ وخرم.

٣- مختارات من شعره:

- قال أبو الطيّب المسيلي في النسيب:

خَطَرْتُ عَلَى وادي العُذِيبِ بِأَدْمِي، فَا جُرُتُهُ إِلَّا وَأَكْثَرُهُ دَمٌ^(١).
وَقَدْ شَرِبْتُ مِنْهُ كِرَامٌ جِيَادِنَا فَكَادَتْ بِأَسْرَارِ الْهُوَى تَتَكَلَّمُ^(٢).
رَحَلْتُمْ، فَهَذَا اللَّيْلُ فَيْكُمْ فَلَمْ يُعُدْ إِلَيَّ سِوَاهُ فَيْكُمْ إِذْ رَحَلْتُمْ^(٣).

(١) خطرت (مررت عرساً، اتفاقاً) على وادي العذيب (نهر العذيب) وأنا أبكي. فاجزته (قطعته) إلا وقد أصبح أكثر مائه دماً من أدمي.

(٢) حتى جياننا: خيلنا (وهي بهائم) لما تربت من وادي العذيب (بعد أن سال دمي فيه!) أصبحت تتكلم في الهوى والحب.

(٣) منذ ذلك الليل الذي رحلت فيه لم أتم (ولذلك لا أذكر أنه جاء ليل آخر بعده).

وما أنا صبٌّ بالنجوم، وإنما
تُحِيلُ لي الآفاقُ أنكمُّ همٌّ!^(١)
- وله في النسيب أيضاً:

سَلَّمَ إذ مرّ؛ ولي هَمَّةٌ
تَظُنُّ ولا تَرَوِي، ولو أتني
هذا كثيرٌ؛ فاشكُري واحمدي.
تَسْتَنْزِلُ الأتقارَ والأُنجُمَ^(٢).
أَلْتُمْتُهَا وَجَنَّتْهُ وَالْفَمَا^(٣).
فكيف لو مرّ وما سلّم^(٤).

٤-٢٢ * المطرب ٤١-٤٧.

ابن بشكوال

١- هو أبو القاسم خَلْفُ بنُ عبدِ الملكِ بنِ مسعودِ بنِ بشكوالٍ..... الخَزْرَجِيُّ
الأَنْصَارِيُّ القَرْطَبِيُّ، أصلُه من سُرِّيَنَ من قرى إشبيلية.

وُلِدَ ابنُ بشكوالِ في قُرْطَبَةَ في الثالثِ من ذي الحِجَّةِ من سَنَةِ ٤٩٤
(١١٠١/٩/٢٩ م) وَسَمِعَ كَثِيراً من الحديثِ والتاريخِ في قُرْطَبَةَ وإشبيليةَ على نَفَرٍ من
العُلَمَاءِ منهم أبو مُحَمَّدٍ بنُ عَتَّابٍ وأبو الوليدِ بنُ رَشْدٍ والقاضي أبو بكرِ بنُ العربي.

وَنابَ ابنُ بشكوالِ عن القاضي أبي بكرِ بنِ العربيِّ في بعضِ جِهَاتِ
إشبيليةِ ثم تَوَلَّى عَقْدَ الشُّرُوطِ ببلده. غيرَ أَنَّهُ فَضَّلَ أخيراً أن يقتصَرَ على
إسماعِ العلمِ.

وكانت وفاة ابن بشكوال في الثامن من رمضان ٥٧٨ (١١٨٣/١/٦ م).

٢- كان ابن بشكوال من علماء الأندلس، وقد كان له نحو خمسين مُصَنَّفاً ضاع

(١) أنا لا أحب نجوم السماء، ولكني أسهر كل ليلة أنطلع إليها، لأن كل شيء يوهني أنها تشبهكم، فإنا
أنطلع إلى ما يشبهكم. أنكم أنتم تلك النجوم لأنكم بعيدون عني مثلها.

(٢-٤) في هذه الأبيات حديث بين الشاعر وبين نفسه: تقول نفسه: إنَّ المَحبوبَ مَرَّ وَسَلَّمَ فقط (وكان المنتظر
أن ينزل ويجادتي). وأنا لا أصبر على مثل هذه المعاملة. فقال الشاعر لنفسه: هذا كثير من المَحبوبِ (مَرَّ
بك ثم سلَّم عليك)، فاحدي الله على ذلك. لقد كان بالإمكان أن يمر ولا يسلم أو ألا يمر أيضاً!

مُعْظَمُهَا فَمَنْ كَتَبَهُ: الصَّلَةُ فِي أَخْبَارِ أَيْمَةِ الْأَنْدَلُسِ (وهو استمرار لكتاب تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس لابن الفَرَضِيِّ) - تاريخ صغير في أحوال الأندلس - أخبار قضاة قرطبة - كتاب الفوائد المنتخبة والحكايات المستغربة (وهو مختصر لكتاب المنتخب من تاريخ الرؤساء والفقهاء والقضاة بطليطلة لأبي جعفر بن مُطَاهِر) - كتاب الغوامض والمُبهات (في أسماء نفر من رجال الحديث) - جزء صغير ذكر فيه الذين رَوَوْا كتاب الموطأ عن الإمام مالك نفسه - كتاب المستغِيثين بالله تعالى عند المَهَمَّاتِ والحاجات الخ - أصحاب الأندلس (نفع الطيب ٣ : ١٨١) - التنبيه والتميين لمن دخل الأندلس من التابعين (نفع الطيب ٣ : ٦٤، راجع ١٠ و ٦٠).

٣ - من مقدمة « الصلة » لابن بشكوال :

.... أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْحَابَنَا - وَصَلَّ اللَّهُ تَوْفِيقَهُمْ وَنَهَجَ إِلَى كُلِّ صَالِحَةٍ مِنَ الْأَعْمَالِ طَرِيقَهُمْ - سَأَلُونِي أَنْ أُصِلَ لَهُمْ كِتَابَ الْقَاضِي النَّاقِدِ أَبِي الْوَلِيدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ يَوْسُفَ الْأَرْدِيِّ، الْحَافِظِ الْمَعْرُوفِ بَابِنِ الْفَرَضِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ^(١).... وَأَنْ أُبْتَدِءَ مِنْ حَيْثُ انْتَهَى كِتَابُهُ وَأَيْنَ وَصَلَ تَأْلِيْفُهُ مُتَّصِلًا إِلَى وَقْتِنَا.

وَكُنْتُ قَدْ قَيْدْتُ كَثِيرًا مِنْ أَخْبَارِهِمْ^(٢) وَأَنَارَهُمْ وَسَيَّرَهُمْ وَبُلْدَانَهُمْ وَأَنَسَابَهُمْ وَمَوَالِدَهُمْ وَوَفْيَاتِهِمْ، وَعَمَّنْ أَخَذُوا مِنَ الْعُلَمَاءِ وَمَنْ رَوَى عَنْهُمْ مِنْ أَعْلَامِ الرُّوَاةِ وَكِبَارِ الْفُقَهَاءِ . فَسَارَعْتُ إِلَى مَا سَأَلُوا وَشَرَعْتُ فِي ابْتِدَائِهِ عَلَى مَا أَحْبَبُوا، وَرَبَّبْتُهُ عَلَى حُرُوفِ الْمُعْجَمِ كَكِتَابِ ابْنِ الْفَرَضِيِّ وَعَلَى رَسْمِهِ وَطَرِيقَتِهِ. وَقَصَدْتُ إِلَى تَرْتِيبِ الرَّجَالِ - فِي كُلِّ بَابٍ - عَلَى تَقَادُمِ وَفْيَاتِهِمْ، كَالَّذِي صَنَعَ هُوَ رَحِمَهُ اللَّهُ. وَنَسَبْتُ كَثِيرًا مِنْ ذَلِكَ إِلَى قَائِلِهِ، وَاخْتَصَرْتُ ذَلِكَ جُهْدِي. وَقَدَّمْتُ هُنَا ذِكْرَ الْأَسَانِيدِ إِلَيْهِمْ مَخَافَةَ تَكَرَّرِهَا فِي مَوَاضِعِهَا^(٣)..... وَكَثِيرًا مِنْ ذَلِكَ مَا سَأَلْتُ عَنْهُ شُيُوخَنَا وَقَدَمَاتِ

(١) ابن الفرضي (ت ٤٠٣ هـ).

(٢) من أخبار الأشخاص الذين أريد جمع أخبارهم في كتابي المقترح.

(٣) ذكر ابن بشكوال الرواة الأساسيين الذين أخذ عنهم في مقدمة كتابه كيلا يضطر إلى تكرار ذكرهم مع كل شخص أخذ عنهم خبراً من أخباره.

أصحابنا وأهل العناية بهذا الشأن ومن شُهرَ منهم بالحِفْظ والإِتقان وقد نَسَبْتُ ذلك إلى من قاله لي منهم، إلا ما لَحِقْتُهُ بِسِنِّي^(١) وشاهدته بنفسي وقيدته بخطي، فلستُ أسنِّدهُ إلى أحدٍ وأقتصرُ في ذلك على ما عَلِمْتُهُ وتحقَّقْتُهُ

٤ - كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس (كوديرا)، مدريد ١٨٨٢ - ١٨٨٣ م؛ (عزة العطار)، القاهرة وبغداد (مكتبة الخانجي ومكتبة المثني) ١٩٥٥ م راجع نقد الكتاب في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٢: ٢٨٨.

* * * الصلة ٦٥٠؛ التكملة لكتاب الصلة ١: ٥٤ (رقم ١٧٩؛ معجم ابن الأبار ٨٢ - ٨٥؛ المغرب ٢: ٢٩٨ - ٢٩٩، ٣٤٢ - ٣٥٣؛ وفيات ابن قنفذ ٢٩٠؛ وفيات الأعيان ٢: ٢٤٠ - ٢٤١؛ الديباج المذهب ١١٤؛ شذرات الذهب ٤: ٢٦١؛ نفع الطيب ١: ٢٣٠ - ٢٣١، ٢٦٣ - ٢٦٤؛ ٤٦٦؛ ٥٤٦ - ٥٤٧، ٥٥٠ وما بعد، ٥٥٥ - ٥٥٦، ٥٦٠، ٥٦٢ - ٥٦٣؛ ٥٦٣؛ ٢: ٥٣ - ٥٤، ١٢٩، ٣: ١٠، ٦٠، ٦٤، ١٨١ (نقول وإشارات مفيدة)؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٣٣ - ٧٣٤؛ بروكلمن ١: ٤١٥، الملحق ١: ٥٨٠؛ الأعلام للزركلي ٢: ٣٥٩ (٣١١)؛ بالنبيا ٢٧٣ - ٢٧٧؛ المكتبة العربية الصقلية ٥٨٧ - ٥٧٩؛ سركيس ٤٦ - ٤٧.

الخزرجي الصقلّي^(٢)

١ - هو أبو عمر عثمان بن علي بن عمر الخزرجي الأنصاري السرقوسي الصقلّي النحويّ المقرئ، أصله من الخزرج الأنصار أهل المدينة ومولده أو مسكنه في سرقوسة عاصمة صقلية. ويجب أن يكون الخزرجي الصقلّي قد عاش طويلاً حتى أمكن أن يتصل بالذين اتصل بهم على تباعد أزمانهم.

قرأ الخزرجي الصقلّي القرآن الكريم على الحسن بن خلف بن بليمة القيرواني (ت ٥١٤ هـ) وابن الفحام الصقلّي (٤٢٢ - ٥١٦ هـ) وغيرهما. ثم إنه غادر صقلية

(١) لحقته بسني (عمري): أدركته وهو حي.

(٢) للخزرجي الصقلّي ترجمتان في معجم الأدباء (١٢: ١٣٠ وما بعد)، رقمها ٣٨ و ٣٩.

فمرّ بالقيروان واتّصل بالمرضى يحيى بن تميم ابن باديس الصنهاجي ملك القيروان (٤٥٣ - ٥٠١ هـ). ثم انتقل إلى مِصْرَ ولازمَ الحافظَ أبا طاهرٍ أحدَ بنِ محمدِ السِّلَفي (٤٧٨ - ٥٧٦ هـ) في أثناء إقامة السِّلَفي في مِصْرَ (معجم الأدياء ١٢ : ١٣١) فقرأ على السِّلَفي وعلى من كان السِّلَفي قد قرأ عليهم كمحمد بن بركات المصري اللُّغوي (٤٢٠ - ٥٢٠ هـ) وأبي صادقٍ مُرشدِ بنِ يحيى المَدَني البُصريّ الذي درس عليه في مِصْرَ ابنُ سعدونِ القُرطُبيّ^(١) (ت ٥٦٧ هـ) وكالفراء الموصليّ أبي الحسينِ عليّ بن الحسين بن عمر (وفيات الأعيان ٦ : ٦٧ ؛ ٧ : ٣٣٢) في مصر. ثمّ صارت له حَلَقَةٌ في جامع عمرو (في مصر القديمة) فروى عنه، سنة ٥١٧ هـ، أبو طاهرٍ أحمد بن محمد السِّلَفي^(٢) (الذي سبق أن قرأ عليه الخزرجي الصقلّي نفسه) وابن برّي النحوي (٤٩٩ - ٥٨٢ هـ). وكان السِّلَفي في مصر فبنى له الأمير العادل وزير الظافر العبديّ مدرسةً في الإسكندرية سنة ٥٤٦ هـ. وقال القفطيّ (إنباء الرواة ٢ : ٣٤٢ - ٣٤٣): «وكان (الخزرجي الصقلّي) قريباً من زماننا في المائة السادسة للهجرة». من كلّ ما تقدّم هنا نَميل إلى القول بأن الخزرجي الصقلّي قد عاش بين سنة ٤٩٠ و ٥٨٠ هـ (١٠٩٧ - ١١٨٥ م).

٢ - كان الخزرجي الصقلّي عالماً باللغة والنحو مُقرئاً للقرآن. وله شعرٌ على النهج المُشرفيّ بين التقليد والجودة. وله نثرٌ خيّرٌ من شعره. أمّا نقدُه فجيّدٌ (راجع المختارات). ثم هو مُصنّف، له: حاشيةٌ على كتاب الإيضاح^(٣) أو شرح الإيضاح وهي غاية في الجودة - مخارج الحروف (مختصر) - مختصر في القوافي (وهو الذي رواه السِّلَفي عن الخزرجي الصقلّي) - مختصر عمدة ابن رشيقي (وقد زاد فيه أشياء كان ابن رشيقي قد أخلّ بها) - كتابٌ فيه نثر ونظم (له).

٣ - مختارات من آثاره:

- كَتَبَ أَحَدُ بنِ سِلْفَةَ (السِّلَفي) إلى الخزرجي الصقلّي كتاباً فيه شيءٌ من النظم

(١) ابن سعدون القرطبي (ت ٥٦٧ هـ) درس على أبي صادق المدني (وفيات الأعيان ٦ : ٧٦ و ١٧١).

(٢) روى السِّلَفي عن الخزرجي كتاباً مختصراً في القوافي (معجم الأدياء ١٢ : ١٣٧).

(٣) الكتب المسماة «الإيضاح» كثيرة جداً، ذكر بروكلمان منها (راجع فهرست بروكلمان، الملحق ٣ :

٩٠٧ - ٩٠٨) نحو خمسة وعشرين (معرفة باللام، غير المضافة إلى ما بعدها).

منه « ما وَقَعَتْ عيني على مثله ». فأجاب الخزرجي الصقلي بقول منه:
 وَقَفْتُ على ما تَفَضَّلْتُ به حَضْرَتُهُ وانْتَهَتْ إليه من الآدابِ هِمَّتُهُ. فَمِنْ نثرِ رأيتُ
 العِلْمَ مضمونهُ، والدُرَّ مكنونهُ، والحِكْمَةَ قرينهُ^(١)؛ وَمِنْ نظمِ كانتِ الفصاحةُ بينهُ
 وفصلُ الخطابِ عِرْنينهُ^(٢). ووَدَّ فصيحُ الكلامِ أن يكونهُ، وأحيا القلوبَ وكشف
 المحجوبَ

تَوَجَّني مَوْلايَ مِنْ قَوْلِهِ تاجاً علا التيجانَ من قبله^(٣)
 لَأَنها تَبَلَى، وهذا إذا مَرَّتْ به الأيَّامُ لم تُبَلِّه^(٤).
 فَعِلْمُهُ يُشْتَقُّ من لَفْظِهِ، ولَفْظُهُ يُشْتَقُّ من فَضْلِهِ.
 تَكاملتْ أوصافُهُ كُلُّها، ومثلهُ مَنْ كان مِنْ مثله^(٥).

- وله من الشعرِ مَعَ شيءٍ من النَقْدِ. قال:

يهونُ عليها أن أبيتَ مُتَيِّباً وأصبحَ محزوناً وأضحى مُفرماً.
 صلي مُدْنفاً أو واعدية وأخلفي فقد يترجى الآلَ من شفه الظما^(٦).
 ضهانٌ على عَيْنَيْكَ قَتلي، وإنا ضهانٌ على عَيْنِي أن تَبْكيا دَما^(٧).

ثم قرأتُ بعدُ ديوانَ البُحْثري فوجدتُ مُعْظَمَ هذه الألفاظِ مُبَدَّدةً فيه. فإذا كانت
 أَكْثَرُ المعاني يَشْتَرِكُ فيها الناسُ حتَّى قَطَعَ ابنُ قُتَيْبَةَ^(٨) أن قولهُ تعالى « يُريدُ أن

-
- (١) مضمونه (ما كان ضمنه، فيه) ومكنونه (ما كن، اختبأ فيه) وقرينه (المربوط معه، المساوي له).
 (٢) بينه (أحسن تسميه وأقواها، في مقابلة شاله بكسر الشين). فصل الخطاب: القول أو الرأي الصحيح
 البات الحازم. العرنين: أعلى الأنف (عرنين الشيء: أفضله).
 (٣) كان أسمى وأتمن من جميع التيجان السابقة (تيجان الملوك).
 (٤) بلي (بكسر اللام) يبلى (يفتح اللام) الشيء: تهرأ.
 (٥) ليس في البشر رجل كامل الأوصاف إلا إذا كان مثل هذا المدحوح.
 (٦) صلي (بكسر الصاد واللام) واصلي، أنمي بالوصل أو اللقاء على المحبوب. المدنف: الذي مرض من
 الحبِّ وأشرف على الهلاك. واعدية: أقطمي له وعداً أو عهداً. أخلفي: انكثي في وعدك. الآل: السراب.
 شفه: أغخله (جعل جسده ناحلاً أو غيلاً: ضيفاً). الظما: العطش.
 (٧) ضهان (هنا) عزم وتأكيد.
 (٨) ابن قتيبة ناقد مشرقي (ت ٢٧٦ هـ) له كتاب الشعر والشعراء.

يَنْقُضُ»^(١) لا يُعْبَرُ عنه إِلَّا بهذه العبارة وَنَحْوِهَا فغَيْرُ مُسْتَنَكِرٍ أَنْ يَشْتَرِكُوا^(٢) أَوْ تَتَّفَقَ أَلْفَاظُهُمْ فِي العبارة عنها. ولكن أُمِّي المَوْلُودُونَ إِلَّا أَنهَا سرقة^(٣).

- وله في الغزل:

رحلتَ فَعَلِمْتَ الفؤَادَ رَحِيلاً وبكتَ فصيرتِ الأَسِيلَ سَيْلاً^(٤).
وإذا المَحبُّ أَرَادَ قَتَلَ حَبِيبِهِ جعلَ الفراقَ إِلَى المَاتِ سَيْلاً

٤- ** معجم الأديب: ١٢: ١٣٠ - ١٣٥ تم ١٣٥ - ١٤١ (ترجمة مكررة)؛ إنباه الرواة
٢: ٣٤٢ - ٣٤٣ البلغة ١٣٩؛ بغية الوعاة ١٣٢٣؛ المكتبة العربية الصقلية ٦٧٦.

ابن الفراء الضريرُ

١- هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله (بن محمد) الأستاذ الأديب الخطيب المقرئ النحوي، كان يُقرئ القرآن والشعر والنحو واللغة في المربة في القرن السادس للهجرة (الثاني عشر للميلاد). ويبدو أن وفاته كانت في أواخر القرن السادس (٥) لأن جدّه أبا عبد الله (نفع ٣: ٣٨٦ - ٣٨٧) كتب رسالة إلى يوسف بن تاشفين (ت ٥٠٠ هـ) يُعاتبه فيها لأنه طلب مَعونةً ماليةً من أهل المربة. ولعلّ أبا عبد الله هذا (جدّ صاحب الترجمة) هو الذي استشهد في معركة قنتندة (نفع الطيب ٤: ٤٦٠ - ٤٦١)، سنة ٥١٤ هـ.

- (١) في القرآن الكريم (١٨: ٧٧): «فوجدنا فيها جداراً يريد أن ينقض» (على وشك أن يتهدم) وقد نسبت الإرادة إلى الجدار هنا على سبيل الاستعارة.
- (٢) اقرأ: فغير مستنكر على الشعراء أن يشتركوا...
- (٣) المولدون (في الشرق) الذين كان أحد أبويهم عربياً والآخر غير عربي. اقرأ: إلا أن يسموا الآراء المتقاربة في الأشعار سرقة (قد سرقها بعض الشعراء من بعض).
- (٤) لما فارقتني المحبوبة رحل قلبي معها (فقدت الصبر والتفكير). ولما بكت هي أصبح الأسيل (أي خدي أنا) سيلاً (مجرى دائماً للدموع).
- (٥) يروي المقرئ في نفع الطيب (٤: ٢٨٦ - ٢٨٧) «أن ابن صادق أرسل جارية إلى الأستاذ ابن الفراء الخطيب ليختبرها، وكان (ابن الفراء) كفيفاً...» ويصعب أن تكون هذه الرواية موثوقة لأن ابن صادق قد توفي سنة ٤٨٤ هـ.

٢- كان ابنُ الفراءِ الضريُّ إماماً في اللغةِ والنحو كما كان شاعراً مُجيداً مُحسناً. وفنونه العتابُ والفزلُ المؤنثُ والغزلُ المذكورُ.

٣- مختارات من شعره:

- قال ابنُ الفراءِ الضريُّ:

إذا كانَ وَرْدُكَ لا يُقَطِّفُ وَتَغْرُ تَنابِكَ لا يُرَشِّفُ^(١)،
فأيُّ اضْطِرارٍ بنا أنْ نَقولَ: «ألا بآيِ شادِنٍ أوطَفُ!»^(٢)

- وقال:

قيل لي: قد تَبَدَّلَا؛ فاسألُ عنه كما سَلَا^(٣).
لَكَ سَمْعٌ وَناظِرٌ وفُؤادٌ! فقلْتُ: لا.
قيل: غالٍ وصالِه؛ قلت: لَمَّا غَلَا حَلَا.
أُها العاذلُ الذي يَمِذاني تَوَكَّلَا^(٤).
عُدَّ صحيحاً مسلماً؛ لا تُعَيِّرُ تُنَبِّئَلِي^(٥)!

٤-★★ نفع الطيب ٣: ٣٨٢ - ٣٨٣، ٤: ٢٨٧؛ نيكل ٢٥٦ - ٢٥٨، مختارات نيكل ١٧١ - ١٧٢.

عبد الحق الإشبيلي البجائي

١- هو أبو محمد عبدُ الحقِّ بنُ عبدِ الرحمن بنِ عبدِ الله بنِ الحسين بنِ سعيدِ الأزدِيِّ الإشبيليِّ الأندلسيِّ البجائيِّ، ويُعرَفُ بابنِ الحَرَّاطِ؛ وُلِدَ في ربيعِ الأوَّلِ من

(١) وردك (= ورد خدك) لا يقطف: إذا كنا لا نستطيع تقبيك.

(٢) الشادن: الغزال الصغير. الأوطف: طويل أهداب العينين.

(٣) تبدل: تغير عن عهدك (ترك حبك). سلا: نسي، أهمل.

(٤) العاذل: اللامم (الذي يلوم المشاق خاصة). توكل بالشئ: جملة همته وعمله.

(٥) عد: ارجع، اذهب عني. صحيحاً مسلماً: غير مريض بالحب وغير محب. لا تعيبرني (لا تلني ولا تعب عليّ حتى) فتصبح مثلي مريضاً بالحب.

سنة ٥١٠ (تموز - يوليو ١١١٦ م).

روى عبد الحق الإشبيلي عن نفر من العلماء منهم الحسن بن شريح وعبد السلام ابن عبد الرحمن بن بزجان (ت ٥٣٦ هـ) وعمر بن أيوب وطارق بن موسى بن يعيش (إشبيلية ٤٩٨ - حلب ٥٤٩ هـ) وطاهر بن عطية وأبو الإصمير عبد العزيز بن علي ابن الطحان (ت ٥٥٩ هـ). وقد كتب إليه محدث الشام ابن عساكر (ت ٥٧١ هـ) وأجاز له رواية (ما كتب إليه به).

ولما اضطرب أمر المرابطين في الأندلس ونشبت الفتنة آثر عبد الحق الإشبيلي أن يُغادر إشبيلية فانتقل إلى بجاية (في العُدوة الإفريقية)، قبيل ٥٤٧ هـ.

انصرف عبد الحق في بجاية إلى التدريس والتأليف. وقد كانت الخطبة (يوم الجمعة). والصلاة في الجامع الأعظم في بجاية له، كما كان يجلس للتوثيق والشهادة^(١). وولي أيضاً القضاء في بجاية مدة يسيرة في أيام استيلاء علي بن اسحاق بن غانية على بجاية^(٢) من أيدي الموحدين. وكان من الطبيعي أن يطلب ابن غانية من عبد الحق ألا يذكر الموحدين في الخطبة، وأن يدعو في الخطبة لبني العباس^(٣) في بغداد (لا للموحدين في مراكش). غير أن الموحدين استطاعوا استرداد بجاية بعد قليل^(٤)، فكان المنصور الموحدي (أبو يوسف يعقوب) يتوعد عبد الحق بالقتل. ولكن عبد الحق نجا من الموت على يد الموحدين ليموت حتف أنفه على فراشه وشيكاً بعد دخول جيش الموحدين إلى بجاية، فقد مات في ربيع الثاني من سنة ٥٨١ (تموز - يوليو ١١٨٥ م) في الأغلب.

٢ - كان عبد الحق ابن الخراط الإشبيلي فقيهاً كبيراً وحافظاً للحديث ذا معرفة بعلمه وبرجاله، كما كان موصوفاً بحب الخير وبالورع والزهد. ثم إنه كان مشاركاً في

(١) التوثيق: كتابة الوثائق (الصكوك والاتفاقات بين المتبايعين وأمتهم) والشهادة (تحرير الشهادات أمام الحاكم).

(٢) في سادس شعبان ٥٨٠ (١٢ / ١١ / ١١٨٤ م).

(٣) إذ كانت العادة أن يكون الدعاء في خطبة الجمعة للخليفة.

(٤) في صفر ٥٨١ (أيار - مايو ١١٨٥ م).

عدد من فنون الأدب ويقول الشعر. وقد اشتهر بالتأليف، وخصوصاً في الجَمْع بين كُتُب الحديث^(١)، له كتاب «الجمع بين الصحيحين» (صحيح مسلم وصحيح البخاري) - وقد أضاف إلى ما فيها أحاديث لم تكن فيها من كُتُبٍ أُخرى) ثم له كتاب «الجامع الكبير في الحديث» (- وكان مقصوده فيه الجمع بين الكتب الستة: صحيح البخاري (ت ٢٥٦ هـ) وصحيح مسلم (ت ٢٦١ هـ) وسُنن ابن ماجه (ت ٢٧٣ هـ) والسُنن لأبي داود (ت ٢٧٥ هـ) والجامع الكبير (أو الصحيح) للترمذي (ت ٢٧٩ هـ) والسنن الصغرى للنسائي (ت ٣٠٣) -. ثم أضاف إليها أحاديث ليست فيها كلها من كتابي البرازي (ت ٢٩٢ هـ) وهما المُسند الكبير (أو البحر الزاخر) والمُسند الصغير. وكذلك صَنَّفَ كتاب الأحكام وصَنَعَ منه ثلاث نُسخ: النسخة الكبرى (مفصلة) والنسخة الصغرى (موجزة) والنسخة الوسطى. وله الرقائق والأنيس في الأمثال والمواعظ والحكم والآداب من كلام رسول الله والصالحين. ثم له أيضاً: مُعجزات الرسول - مقالة في الفقر والغنى - تلقين الوليد (كتاب صغير في الحديث يُتَمَتَّفَ به الصغار) - الواعي (في اللُغة) ضاهى (أحب أن يزيد فيه على) كتاب الغريبين للهروي^(٢) - مختصر كتاب الرشاطي في الأنساب^(٣) - كتاب الأحكام (نفع الطيب ٣: ١٨٠ و ٤: ٣٢٩) - الأحكام الصغرى^(٤) (نفع الطيب ٥: ٣٨٩)، وقد شرحه الخطيب أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مرزوق المتوفى سنة ٧٨١ (راجع نفع الطيب ٥: ٤١٨) - العاقبة (نفع الطيب ٤: ٣٢٨)، وغيرها من كتب الحديث والفقهِ

(١) الجمع في كتب الحديث: سياقة الأحاديث التي فيها سياقة واحدة (وحذف المكرر).

(٢) هو أبو عبيد (بالضم) أحد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الهروي الباشاني (٤٠١ هـ = ١٠١١ م) له كتاب عنوانه «كتاب الغريبين في القرآن والحديث» أو «كتاب غربي القرآن والحديث» أو «كتاب الغريبين في لغة كلام الله وحديث رسوله» أو «كتاب غربي القرآن والسنة وتفسيرها» (تفسير الألفاظ الغريبة فيها) راجع بروكلمان ١: ١٣٧، الملحق ١: ٢٠٠.

(٣) هو عبد الله بن علي الرشاطي (بضم الراء) الأندلسي (٤٦٦ - ٥٤٢ هـ) له كتاب «اقتباس الأنوار والتاس الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار» (الأنوار جمع نور بضم النون، والأزهار لعلها جمع أزهر أي الأبيض النبيل من الرجال. والآثار جمع أثر أحاديث الرسول).

(٤) يذكر نفع الطيب كتاب «الأحكام» وكتاب «الأحكام الصغرى» على أنها، فيما يبدو، كتابان مستقلان (راجع نفع الطيب ٣: ١٨٠ و ٤: ٣٢٨ ثم ٢: ١٦٤ و ٥: ٣٨٩، ٤١٨).

٣- مختارات من آثاره:

- قال عبدُ الحقِّ الإشبيليُّ في الموت:

- * إنَّ في الموتِ والمعادِ لُغلاً
فاغتنمِ حُطَّتَيْنِ قبلَ الناميا:
واذكِراً لذي النهى وبِلاغاً^(١).
صِحَّةَ الجسمِ، يا أخي، والفراغاً^(٢).
قالوا: صِيفِ الموتِ، يا هذا، وشِدَّتِهِ.
فقلتُ- وامتدَّ مِنِّي عندها الصوتُ -:
يَكْفِيكُمُ منه أنَ الناسَ إنَ وَصَفُوا
أمرأً يروِعُهُم، قالوا: هوَ الموتُ^(٣)!

- في نفع الطيب (٥: ٣٢٧):

رقيقةٌ - أَلْقَيْتُ لِعَبْدِ الحَقِّ الإشبيليِّ بيتاً هو عِنْدِي أفضلُ من قصيدة:

قد يُساقُ المرادُ وهو بعيدٌ، ويريدُ المريدُ وهو قريبٌ^(٤).

- ٤- ** بغية المتنس ٣٧٨ - ٣٧٩ (رقم ١١٠٤)، التكملة (رقم ١٨٠٧)، فوات الوفيات
١٣١٦: ١، وفيات ابن قنفذ ٢٦٣، الديباج المذهب ١٧٥ - ١٧٧، صلة الصلة ٤ -
١٧، شذرات الذهب ٤: ٢٧١، نفع الطيب ٢: ٦٣٤، ٣: ١٨٠، ٤: ١١٧، ٣١٥،
٣٢٨ - ٣٢٩، ٥: ٣٢٧، ٣٨٩، ٤١٨ (إشارات مفيدة)، بروكلمن ١: ٤٥٧،
المحقق ١: ٦٦٤، الأعلام للزركلي ٤: ٥٢ (٣: ٢٨١)، الأصلة (الجزائر) ٤: ١٩
(ص ٢٥٩)، عنوان الدراية ٧٣ - ٧٦.

أبو القاسم السهيلي

١- هو أبو القاسم (أبو زيد، أبو الحسن) عبدُ الرحمن بنُ عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ بنِ

- (١) المعاد: البحث يوم القيامة. شغل: ما يشغل (يفتح العين) الإنسان ويقلقه. الأذكار: الذكر والتفكير في
المواقب. النهى: العقل. بلاغ: تنبيه، تحذير.
(٢) الناميا جمع منية: الموت. الفراغ: اتساع الوقت للعمل المنتج.
(٣) يروعهم يدهشهم ويخيفهم مماً.
(٤) المقصود في هذا البيت غير واضح. ربما: يصل الشبه المراد إلى الإنسان بينما ذلك الإنسان يظن أن
ذلك الشيء بعيد المثال. ويتضح المعنى إذا نحن قرأنا: ويراد المراد (بذهب الناس في طلبه إلى مكان
بعيد).

أحد بن أصبغ بن حسين بن سعدون بن رضوان بن فتوح الحثمي السهيلي - نسبة إلى سهيل، وهي قرية قرب مألقة - المالقي. وجدّه فتوح هو الذي دخل الأندلس.

وُلد أبو القاسم عبد الرحمن السهيلي في سهيل، سنة ٥٠٨ هـ (١١١٤ - ١١١٥ م) وتلقّى العلم في غرناطة وإشبيلية، وروى عن المحافظ أبي بكر بن العربي (ت ٥٤٣ هـ). ثم إنّه انتقل إلى مألقة وجعل يحدث فيها (يدرّس الحديث).

وفي نحو سنة ٥٧٧ هـ بعث المنصور الموحدي دعوة إلى السهيلي فذهب السهيلي إلى مراكش ونال حظوة عند المنصور، ولكنه لم يمتع بها طويلاً، فقد عمي وشيكا ثم توفي، في ٢٦ شعبان ٥٨١ (٢٢ / ١١ / ١١٨٥ م)، في مراكش^(١).

٢ - كان السهيلي محدثاً ولغوياً نحوياً وأديباً شاعراً ومؤلفاً. ومع أنه شاعر مقل فإن له أبياتاً مشهورة في الرثاء وفي المناجاة والاستغاثة بالله. غير أن شهرة السهيلي قائمة على كتابه «الروض الأنف» (وهو شرح للأحاديث الواردة في سيرة ابن هشام في حياة الرسول). وله كتب أخرى منها: التعريف والإعلام في ما بهم في القرآن من أسماء الأعلام^(٢). - نتائج الفكر (في النحو) - مسألة رؤية الله تعالى في المنام ورؤية النبي صلى الله عليه وسلم - الأمالي (أمالي السهيلي في اللغة والنحو والحديث والفقهاء) - المشروع الروي^(٣) فيما اشتمل عليه حديث السيرة والمحتوى.

٣ - مختارات من آثاره:

- القصيدة العينية في الابتغال إلى الله (المناجاة والاستغاثة بالله):

يا مَنْ يَرى ما في الضميرِ ويَسْمَعُ، أنستَ المَعْدُ لكلِّ ما يُتَوَقَّعُ.
يا مَنْ يُرَجى للشدائدِ كلِّها، يا من إليه المُشْتكى والمُفْرَعُ،

(١) في نفع الطيب (٣: ٤٠١): كانت وفاته ٥٨٣.

(٢) أي التعريف بالذين أشير إليهم في القرآن الكريم من غير أن تذكر أسماؤهم، نحو: صاحبه (٩: ٤١ التوبة) فإنه أبو بكر الصديق، في قوله تعالى: «إذ يقول لصاحبه: لا تحزن».

(٣) الروي: الرواء (الكثير، العذب).

يا من خزائن رزقه في قول: «كُن»!
 ما لي سوى فقري إليك وسيلة،
 ما لي سوى قرعي لبابك حيلة،
 ومن الذي أذعو وأهتفُ باسمه،
 حاشا لجدوك أن يُقنطَ عاصياً.
 أمئن، فإن الخَيْرَ عندك أجمع^(١).
 فبالإفتقار إليك فقري أذفع^(٢).
 فلتين رددت فأبي باب أفرع!
 إن كان فضلك عن فقيرك يُمنع.
 الفضلُ أجزل والمواهبُ أوسع.

- أغار الإفرنج على سُهَيْلٍ وخرَّبوها فقتل نغراً من أهل السُهَيْلي وأقاربه، وكان هو غائباً عن القرية، فجاه إليها ووقفَ على دُورِ أهله وأنشد:

يا دارُ، أين البيضُ والآرامُ،
 رابَ الحبَّ من المنازلِ أنه
 لما أجاينبي الصدى عنهم - ولم
 طارحتُ ورُقَ حاميها مُترنِّباً
 (يا دارُ، ما فعلت بكِ الأيامُ؟
 أم أين جيرانَ عليّ كرامُ^(٣)؟
 حيا فلم يرجع إليه سلام.
 يلج المسمع للحبيب كلام^(٤) -
 بمقال صبَّ، والدموع سجام^(٥):
 ضامتكِ، والأيامُ ليس تُضام^(٦)).

- وقال في العتاب:

جَعَلْتُ طريقي على بابه
 وعاديتُ من أجله جيري
 وما لي على بابه من طريق.
 فإن كان قتلي حلالاً لكم
 فسيروا بروحي سيراً رفيقاً.

- من مقدّمة كتاب «الروض الأنف»:

- (١) في قول: كُنْ (الإرادة والسرعة) من قوله تعالى (٣٦: ٨٢ يس): «إنا أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له: كن فيكون!».
- (٢) فقري (مفعول به مقدّم) أذفع (فعل مضارع).
- (٣) الرّم: الغزال الأبيض. البيض والآرام (النساء الجميلات).
- (٤) ولج: دخل (لم أسمع جواباً من المحبوب).
- (٥) المورق جمع ورقاء: الحمامة. سجام: منهمة بكثرة.
- (٦) هذا البيت لأبي نواس. ضامه: ظلمه وأذله.

وبعد، فإنني قد انتحيتُ هذا الإملاء^(١)، بعد استخارة ذي الطُول والاستعانة بمن له القدرة والحول^(٢)، إلى إيضاح ما وقع في سيرة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (تلك) التي سبقَ إلى تأليفها أبو بكر محمد بن إسحاق المُطلي^(٣) ولخصها عبدُ الملك بن هشام المُعافري المِصريّ النَّسابة النُّحوي^(٤) مما بَلَّغني علْمُه ويُسِّر لي فهمُه: من لفظٍ غريب أو إعراب غامض أو كلام مُستغلق أو نَسب عويص أو موضعٍ فقهِ يَنْبغي التنبيةُ عليه أو خير ناقصٍ يُوجدُ السبيلُ إلى تَميمه، مع الاعتراف بكلول الحدِّ عن مَبْلَغ ذلك الحدِّ^(٥). فليس الغرضُ المُعتمَدُ أن أستولي على ذلك الأمد^(٦).

إنَّ هذا الكتابَ سَيَرِدُ الحَضْرَةَ العَلِيَّةَ المُقدَّسةَ الإماميةَ، وإنَّ الإمامةَ^(٧) ستَلَحْظُه بعين القبول، وإنه سيُكْتَتَبُ للخِزَانةِ^(٨) المباركة - عَمَرها الله - بحِفْظِه وكَلَامِه^(٩) وأمدَّ أمير المؤمنين بتأييده وريعايته... فتَبَجَّست لي - بمنَّ^(١٠) الله تعالى - من المعاني الغريبة عيونها، وانثالتُ غلي من الفوائد اللطيفة أبارها وعونها^(١١).... فأعْرَضْتُ

(١) يبدو أن السهيلي قد أملى هذا الكتاب على سامعين له (طلّاب أو مستجيزين - طالبي شهادة) ولم يدونه بنفسه (أو دونه في زمن متقدم ثم أملاه في التاريخ الذي ذكره في آخر المقدمة - إذ ليس من المعقول أن يتم شرح سيرة ابن هشام على الوجه الذي ترد فيه في «الروض الأنف» في مدى خمسة أشهر.

(٢) الطول: الغنى والفضل (التفصل على الآخرين). الحول: القوة. ذي الطول....: الله تعالى. استخارة الله: الطلب من الله أن يخير لنا (أن يوفقنا إلى الخير فيها نعمل).

(٣) محمد بن إسحاق من أهل المدينة (توفي في بغداد، سنة ١٥١ هـ = ٧٦٨ م) أقدم الذين كتبوا في سيرة رسول الله. وسيرته هذه مفقودة. ولكن نجد جانباً كبيراً منها في «سيرة ابن هشام» (راجع الحاشية التالية) وبعضها في كتاب «الرسول والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ = ٩٢٣ م). وقيل إن شيئاً منها محفوظ مستقلاً.

(٤) محمد بن هشام من أهل البصرة (توفي في مصر، سنة ٢١٣ هـ = ٨٢٨ م).

(٥) الكلول والكلال: الضعف. الحدُّ (الأولى): غرار السيف (الجانب الذي يقطع). كلال السيف (ذهاب حدّه وقدرته على القطع). الحد (الثانية): المدى، الفاصل، الغاية.

(٦) استولى (الحصان) على الأمد (الغاية، النهاية): سبق جميع الخيل.

(٧) كتاب «الروض الأنف» جعل يرسم الخليفة عبد المؤمن بن عليّ (أول سلاطين الموحدين).

(٨) الخزانة (خزانة الكتب): المكتبة.

(٩) كلأ الله فلاناً: حفظه ورعاه.

(١٠) تيجست: تفجرت. المنّ: النعمة.

(١١) عيون النبي: خياره (أحسن ما فيه). انثال: انصب، هطل، سقط بكثرة. الفكرة البكر (التي لم تخطر لأحد من قبل). الفكرة العوان (بالفتح): التي سبق أن خطرت للناس).

عن بعضها إثباتاً للإيجاز ودَقَمْتُ في صدور^(١) أكثرها خَشْيَةَ الإطالَةِ والإملال. ولكنَّ
 تحصَّلَ في هذا الكتاب من فوائد العلوم والآداب، وأسئلة الرجال والأنساب، ومن
 الفقه الباطني اللُّباب^(٢) وتعليل النحو وصنعة الإعراب ما هو مُستَخْرَجٌ من نَيْفِ^(٣)
 على مائةٍ وعشرين ديواناً، سوى ما أنتجه صديري ونَفَحَهُ فِكْرِي وتَنَجَّه نَظْرِي^(٤)
 ولَقِنْتَهُ عن مَشِيخَتِي^(٥) من نُكْتِ^(٦) عِلْمِيَةِ لم أُسَبِّقْ إليها ولم أُرَحِّمْ عليها^(٧). كلُّ
 ذلك يُمْنٌ اللهُ وَبَرَكَهٌ هذا الأثر^(٨) المُخْبِي لِخَوَاطِرِ الطَّالِبِينَ والمُوقِظَ لَهُمَمِ
 المُسْتَرَشِدِينَ.

وكان إملائي هذا الكتاب في شَهْرِ المُحَرَّمِ من سَنَةِ تِسْعِ وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ^(٩).
 وكان الفراغُ منه في جُادَى الأُولَى من ذلك العام^(١٠).

- ٤ - القصيدة العينية في المناجاة أو الاستغاثة، القاهرة (في مجموع) ١٣١١ هـ.
 - الروض الأنف (عبد السلام شقرون)، (مصر المطبعة الجاهلية) ١٣٣١ هـ؛ القاهرة (دار
 الكتب الحديثة) بلا تاريخ (طبعة جديدة مضبوطة ومنقحة - عبد الرؤوف سعد)،
 القاهرة (مكتبة الكليات الأزهرية) ١٩٧١ - ١٩٧٣ م.
 - أمالي السهيلي (تحقيق محمد إبراهيم البنّا)، القاهرة (مطبعة السعادة) ١٩٧٠ م.
 * * تخميس القصيدة العينية (لابراهيم السنوسي)، القاهرة (؟) طبع حجر، بلا تاريخ.
 بغية المتمس ٣٥٤ - ١٣٥٥ زاد المسافر ١٣٨ - ١١٤٠؛ التكملة ٥٧٠ (رقم ١٦١٣)،
 المغرب ١: ٤٨٨؛ المطرب ٢٣٠ وما بعد؛ إنباه الرواة ٢: ١٦٢ - ١٦٤؛ نكت الهميان
 ١٨٧ - ١٨٨؛ وفيات الأعيان ٣: ١٤٣ - ١٤٤، راجع ١٧٧، ٤٣٦، ٤٣٧، ٦، ٩٨،

(١) دفع فلان في صدر فلان: رذءه، آخره (تركه).

(٢) الباطن اللباب صفتان للفقه (؟): المقصود من الفقه وحلاصته.

(٣) نَيْفٌ: أكثر.

(٤) ما نفحه (نشره) فِكْرِي وتَنَجَّه (وتدءه) نظري (بحشي في الأمور).

(٥) ما لفتنته (فهمته) عن مشيختي (أساتذتي).

(٦) النكتة (بالضم): المسألة الدقيقة (من مسائل العلم أو الأدب)، اللمحة اللطيفة الرائقة.

(٧) لم أُرَحِّمْ عليه: لم يسابقني أحد إليه.

(٨) الأثر (هنا) سيرة رسول الله.

(٩) آب (أغسطس) - أيلول (سبتمبر) من عام ١١٧٣ م.

(١٠) كانون الأوّل (ديسمبر) من ذلك العام.

٢٣٩ : ٧ ؛ الدياج المذهب ١٥٠ - ١٦٥١ ؛ ابن قنفذ ٢٩٢ ؛ بغية الوعاة ٢٩٨ - ٢٩٩ ؛
 نفع الطيب ٢ : ١٠٢ - ١٠٣ ، ٣٣٥ ، ٣ : ٤٠٠ - ٤٠١ ؛ شذرات الذهب ٤ : ٢٧١ -
 ٢٧٢ ؛ بروكلمن ١ : ٥٢٥ - ٥٢٦ ، الملحق ١ : ٧٣٣ - ٧٣٤ ؛ الاستقصا ١ : ١٨٧ ؛
 الأعلام للزركلي ٤ : ٨٦ (٣ : ٣١٣) ؛ نيكل ٣٢٩ ؛ مختارات نيكل ١٩٠ ؛ سركيس
 ١٠٦١ - ١٠٦٢ .

ابن طفيل

١ - هو أبو بكر محمد بن عبد الملك بن طفيل القيسي، وُلِدَ نحو ٥٠٠ هـ (١١٠٦ م) في وادي آشَ قُربَ غرناطة. وبعد أن درَّس وطبَّ مدةً في غرناطة تولى الحِجَابَةَ (الوزارة) فيها.

واتصل ابنُ طفيلٍ (٥٤٩ هـ) ببِلَاطِ الموحِّدين في إفريقية وأصبحَ كاتباً لأسرارِ أبي سعيد بن عبد المؤمن والي سَبْتَةَ وطَنْجَةَ. ولما جاء أبو يعقوبَ يوسفَ إلى عرشِ الموحِّدين (٥٥٨ هـ) أصبحَ ابنُ طفيلٍ طبيبَهُ الخاصَّ. ثم اعتزل هذا المنصبَ (٥٧٨ هـ) ولكنه ظلَّ يمتنعُ بالحظوةِ في بلاطِ الموحِّدين إلى حينِ وفاته، سنَّةَ ٥٨١ (١١٨٥ م) في مَرَاكشَ.

٢ - لم يصل إلينا من كتب ابنِ طفيلٍ سيوى رسالةٍ واحدة، هي « قصة حَيِّ بنِ يَقْظَانَ »، وغايتها أن تدلَّ على نُشوءِ الإنسانِ الأولِ من باطنِ الأرضِ بلا أبٍ ولا أمٍّ، ثم على مقدرةِ الإنسانِ ذي الفِطْرَةِ الفائقةِ على أن يَعْرِفَ كلَّ شيءٍ من مظاهرِ العالمِ المادِّيِّ ومن العالمِ الإلهيِّ مِنْ تِلْقاءِ نَفْسِهِ من غيرِ حاجةٍ إلى معلِّمٍ^(١). وتدُلُّ هذه القِصَّةُ على براعةِ ابنِ طفيلٍ في عددٍ كبيرٍ من العلومِ إلى جانبِ أسلوبِ أدبيِّ بارِعٍ. وابنُ طفيلٍ أوَّلُ من ساقِ الآراءَ الفلسفيَّةَ والعلميَّةَ سِياقاً قَصَصياً^(٢).

(١) إن هذه القصة تمثل تطور الإنسانية وارتقاءها في المدينة لا تطور إنسان واحد. وإن كان بعض آراء ابن طفيل ينطبق على الفرد الفائق الفطرة (الكثير الذكاء).

(٢) لقد قلَّد هذه القصة كتابٌ كثيرون، أشهرهم وأقربهم إليه السياسي القصصي الأدبي دانيال ده فوه (ت ١٧٣١ م) في قصته « روبنسون كروزو ». (راجع ابن طفيل وقصة حَيِّ بن يَقْظَانَ (للمؤلف)، ط ٢ ، ٩٣ - ٩٧).

٣ - مختارات من آثاره:

- قَالَ ابْنُ طُفَيْلٍ فِي الْغَزَلِ الصَّوْفِيِّ (بِالْعَزَّةِ الْإِلَهِيَّةِ):

أَلَمْتُ وَقَدْ نَامَ الْمُسِيحُ وَهُوَمَا،

وَأَسْرَتُ إِلَى وَادِي الْعَقِيقِ مِنَ الْحَمَى^(١)

وَجَرَّتْ عَلَى تَرْبِ الْمُحَصَّبِ ذَيْلَهَا، فَمَا زَالَ ذَاكَ التُّرْبُ نَهْأً مَقْسًا^(٢).

وَلَمَّا رَأَتْ أَنْ لَا ظِلَامَ يَجْنُهَا، وَأَنْ سُرَاهَا فِيهِ لَنْ يَتَكْتَمًا^(٣)،

نَضَّتْ عَذَابَاتِ الرِّيطِ عَنْ حُرِّ وَجْهَهَا فَأَبْدَتْ مُحْيَاً يَدْهِيهِ الْمُتَوَسًّا^(٤).

فَكَانَ تَجَلِّيَهَا جِجَابَ جَمَالِهَا

كَمْسِ الضُّحَى يَمْشِي بِهَا الطَّرْفُ كُلَّمَا^(٥)...

وَلَمَّا التَّقِينَا بَعْدَ طَوْلِ تَهَاجُرٍ وَقَدْ كَادَ حَبْلُ الْوَدِّ أَنْ يَنْصَرِّمًا

جَلَّتْ عَنْ ثَنَائِيهَا وَأَوْمَضَ بَارِقٌ، فَلَمْ أَدْرِ مَنْ شَقَّ الدُّجَنَةَ مِنْهَا^(٦).

وَقَالَتْ، وَقَدْ رَقَّ الْحَدِيثُ وَأَبْصُرْتُ قَرَائِنَ أَحْوَالِ أَدْعَنْ الْمَكْتَمًا^(٧):

نَشْدَتُكَ، لَا يَذْهَبُ بِكَ الشَّوْقُ مَذْهَبًا يُهَوِّنُ صَعْبًا أَوْ يُرَخِّصُ مَاثِمًا^(٨).

(١) أَلَمْتُ (العزّة الإلهية): زارت عرضاً، اقتربت. المسيح: المعرض بوجهه، الذي أدار وجهه (غفلة عما

ينبئى له). هوم: نام نوماً خفيفاً، جعل رأسه يتأيل من العاس. أسرى: سار ليلاً. وادي الحمى...

أسماء الأمكنة في الشعر الصوفي كتابة عن «المحبوب» ولا قيمة جغرافية لها.

(٢) نهياً مقسماً: يتنازعه الناس حرصاً على الحصول عليه (لأن مرورها بذلك المكان جعل له رائحة طيبة).

(٣) مجنّها: بسترها.

(٤) نضا: رفع، كشف. العذبة: طرف من العمامة يتدلّى إلى جانب الرأس. الريط: الحرير. المتوسم:

المتطلع: الناظر التأمّل (الذي يرجو الخير من ناحية أو يعجب بحال المنظور).

(٥) التجلّي: الظهور. حجاب: غطاء، ستر. الضحى: أول النهار. يمضي: يضعف. الطرف: البصر. (إذا

كان نور الشمس ضعيفاً، فإنّ الإنسان يستطيع أن يرى جسمها، استدارتها. أمّا إذا قوي نورها جدّاً

فإنّ الإنسان يعجز - بكسر الهم - عن ذلك).

(٦) حلت: كشفت - الثنايا: الأسنان. أومض: لمع. الدُّجَنَةُ: الظلام.

(٧) قرائن (دلائل) أحوال (وجوه من السلوك الإنساني) أذعن (كشفت، أظهرت) المكتم (السرّ: الحب).

(٨) نشدتك: طلبتك (استحلفتك). يهونُ صعباً (يوهيك أنك تستطيع الاتصال بالعزّة الإلهية) أو يرخّص (يجيزه حلاًفاً للعادة). الماثم: الذنب. (تعتقد أن الحبّ في شأن الله كالحبّ في شأن البشر).

فَأَمْسَكَتُ، لَا مُسْتَفْبِياً عَنْ نَوَالِهَا وَلَكِنْ رَأَيْتُ الصَّبْرَ أَوْفَى وَأَكْتَمًا^(١).

- من مطلع قصة حيّ بن يقظان:

ذَكَرَ سَلَفُنَا أَنَّ جَزِيرَةَ مِنْ جَزَائِرِ الْهِنْدِ الَّتِي تَحْتَ خَطِّ الْاِسْتِوَاءِ يَتَوَلَّدُ بِهَا الْإِنْسَانُ مِنْ غَيْرِ أُمٍّ وَلَا أَبٍ.... لِأَنَّ تِلْكَ الْجَزِيرَةَ أَعْدَلُ بِقَاعِ الْأَرْضِ هَوَاءً^(٢).... وَهَذَا الْقَوْلُ يَحْتَاجُ إِلَى بَيَانٍ... لَا يَلِيقُ بِمَا مَحْنُ بِسَبِيلِهِ. وَإِنَّا نَبْهِنَاكَ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي تَشْهَدُ بِصِحَّةِ مَا ذُكِرَ مِنْ تَحْوِيلِ تَوَلُّدِ الْإِنْسَانِ بِتِلْكَ الْبُقْعَةِ مِنْ غَيْرِ أُمٍّ وَلَا أَبٍ. فَمِنْ (الْعُلَمَاءِ) مَنْ بَتَّ الْحُكْمَ وَجَرَّمَ الْقَضِيَّةَ بِأَنَّ حَيَّ بْنَ يَقْظَانَ مِنْ جُمْلَةِ مَنْ تَكُونُ فِي تِلْكَ الْبُقْعَةِ مِنْ غَيْرِ أُمٍّ وَلَا أَبٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ وَرَوَى مِنْ أَمْرِ (حَيِّ) ابْنِ يَقْظَانَ) خَبِراً نَقَّصَهُ عَلَيْكَ فَقَالَ: إِنَّهُ كَانَ بِلِزَاءِ تِلْكَ الْجَزِيرَةِ جَزِيرَةٌ عَظِيمَةٌ مُتَّسِمَةٌ الْأَكْنَافِ كَثِيرَةٌ الْفَوَائِدِ عَامِرَةٌ بِالنَّاسِ يَمْلِكُهَا رَجُلٌ مِنْهُمْ شَدِيدُ الْأَنْفَةِ وَالْقَبِيرَةِ^(٣). وَكَانَتْ لَهُ أُخْتٌ فَعَاضَلَهَا^(٤) إِذْ لَمْ يَجِدْ لَهَا كُفُوءًا. وَكَانَ لَهُ قَرِيبٌ يُسَمَّى يَقْظَانَ فَتَزَوَّجَهَا سِرًّا عَلَى وَجْهِ جَائِزٍ مَشْهُورٍ فِي زَمَانِهِمْ. ثُمَّ إِنَّهَا حَمَلَتْ مِنْهُ وَوَضَعَتْ طِفْلاً. فَلَمَّا خَافَتْ أَنْ يَفْتَضِحَ أَمْرُهَا وَيُنْكَشَفَ سِرُّهَا، وَضَعَتْهُ فِي تَابُوتٍ^(٥) أَحْكَمَتْ زَمَهُ بَعْدَ أَنْ أَرُوْتَهُ مِنَ الرِّضَاعِ. وَخَرَجَتْ بِهِ فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ فِي جُمْلَةٍ مِنْ خَدَمِهَا وَثِقَاتِهَا إِلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ - وَقَلْبُهَا بِمَجْرَقِ صَبَابَةٍ وَخَوْفًا عَلَيْهِ - ثُمَّ إِنَّهَا وَدَعَتْهُ وَقَالَتْ:

اللَّهُمَّ، إِنَّكَ خَلَقْتَ هَذَا الطِّفْلَ، وَلَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً، وَرَزَقْتَهُ فِي ظُلُمَاتِ الْأَحْشَاءِ وَتَكَفَّلْتَهُ بِهِ حَتَّى تَمَّ وَاسْتَوَى. وَأَنَا قَدْ سَلَّمْتُهُ إِلَى لُطْفِكَ وَرَجَوْتُ لَهُ فَضْلَكَ خَوْفًا مِنْ هَذَا الْمَلِكِ الْعَشُومِ الْجَبَّارِ الْعَنِيدِ. فَكُنْ لَهُ وَلَا تُسَلِّمَهُ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ! ثُمَّ قَدَفْتُ بِهِ فِي الْيَمِّ. فَصَادَفَ جَرِي الْمَاءِ بِقُوَّةٍ فَاحْتَمَلَهُ مِنْ لَيْلَتِهِ إِلَى سَاحِلِ الْجَزِيرَةِ الْمُتَقَدِّمِ ذِكْرُهَا.

(١) النوال: العطاء (الوصال، نيل المأرب من المهبوب).

(٢) المقصود باعتدال المناخ على خط الاستواء: قلة الفرق بين درجتي الحرارة في النهار والليل.

(٣) الأنفة: الاستكبار والرفض. القبرة: القبور من أن يحصل على الأمر من لا يليق أو من لا يستحق.

(٤) عضل الرجل المرأة: منها أن تزوج.

(٥) تابوت: صندوق.

- ٤ - حيّ بن يقظان (نشرها بوكوك)، أكسفورد ١٦٧١ م تم ١٧٠٠ م؛ القاهرة (مطبعة الوطن) ١٢٩٩ هـ؛ القاهرة (مطبعة وادي النيل) ١٢٩٩ هـ؛ الاسكندرية (المطبعة المصرية) ١٨٩٨ م (١٣١٦ هـ)؛ القاهرة (مطبعة مصر) ١٣٢٢ هـ؛ القاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٢٧ هـ؛ (نشرها ليون غوتيه)، الجزائر ١٩٠٠ م تم ١٩٣٦ م؛ القاهرة (مطبعة النيل) ١٩٠٥ م (١٣٢٣ هـ)؛ (نشرها جميل صليبا وكامل عياد - مع دراسة وافية)، دمشق (مكتب النشر العربي ١٣٥٤ هـ = ١٩٣٥ م تم ١٣٥٨ هـ = ١٩٣٩ م تم تم ١٣٥٩ هـ = ١٩٤٠ م (٤).
- حيّ بن يقظان لابن سينا وابن طفيل والسهورودي (تحقيق أحمد أمين)، مصر (دار المعارف) (٤) ١٩٥٢ م (ذخائر العرب - رقم ٨).
- *** ابن طفيل وقصة حيّ بن يقظان، تأليف عمر فروخ، بيروت (مكتبة منيمنة) ١٣٦٥ هـ = ١٩٤٦ م تم ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٩ م.
- ابن طفيل (مختارات)، تأليف يوحنا قمير، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٤٨ م.
- ابن طفيل، تأليف تيسير شيخ الأرض، بيروت (دار الشروق الجديد) ١٩٦١ م.
- نظرات في طبّ ابن الطفيل (كذا) الأندلسي، تأليف شوكت الشطي. دمشق (جامعة دمشق) ١٩٦٢ م.
- الوافي بالوفيات ٤ : ٣٧؛ وفيات الأعيان ٧ : ١٣٤ - ١٣٥ المغرب ٢ : ٨٥ - ٨٦ المعجب ٢٣٩ - ٢٤٢؛ المنّ بالإمامة ٤١١ - ٤١٥ دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ١٩٥٧ بروكلين ١ : ٦٠٢ - ٦٠٣، الملحق ١ : ٨٣١ - ٨٣٢؛ الأعلام للزركلي ٧ : ١٢٨ (٦ : ٢٤٩)؛ بالنشيا ٣٤٨ - ٣٥٣؛ سيركيس ١١٤٦؛ تراجم إسلامية لعبد الله عنان ٣١٥ - ٣٢٧.

ابن غلنده الإشبيليّ

١ - هو أبو الحكم عبّيد الله بن عليّ بن عبّيد الله بن غلنّده (أو غلندو) الإفريقيّ الأصل الأمويّ بالولاء، وُلد في سرقسطة، سنة ٤٨٤ هـ (١٠٩١ م). ولما استولى الإسبان على سرقسطة، سنة ٥١٢ هـ (خريف ١١١٨ م) غادرها إلى غلنّده إلى قرطبة ثم انتقلوا إلى إشبيلية.

اشتغل أبو الحكم بن غلنّده بالطبّ في إشبيلية. ولما استولى عبد المؤمن بن عليّ - أولُ سلاطين الموحّدين - على الأندلس، سنة ٥٥٦ هـ (١١٦١ م)، اتصل به أبو الحكم ثم انتقل معه، إلى مدينة مراكش وبقي فيها حتى توفّي سنة ٥٨١ هـ (١١٨٥ م).

٢ - كان أبو الحكم بن غلندة طبيباً بارعاً كما كان أديباً متفناً وشاعراً مجيداً. ثم إنه كان حسن الخط يكتب الخطين الأندلسي (المغربي) والمشرقي. والأبيات القليلة التي وصلت إلينا من شعر ابن غلندة أبياتٌ وُجدانيةٌ في الوصف والفزل والنسب والحكمة.

٣ - مختارات من شعره:

- قال أبو الحكم بن غلندة في الفزل والوصف:

مَاسَتْ فَأزْرَتْ بِالْفُصُونِ المِيسَ ، وَأَتَسَكَ تَحْطُرُ فِي غِلَالَةِ سُنْدُسٍ (١) .
 وَتَبَرَّجَتْ جُنْحَ الظَّلَامِ كَأَنَّهَا شَمْسٌ تَجَلَّتْ فِي دِيَاغِي المِهندِسِ (٢) .
 تَحْتَالُ بَيْنَ لَدَائِهَا فَتَخَالُهَا بَدراً بَدَا بَيْنَ الجَوَارِي الكُنُسِ (٣) .
 أَرَجَتْ بَرِيَاها الصَّبَا فَتَضَوَّعَتْ أَنفَاسُها ، وَالصَّبْحُ لَمْ يَتَنَفَسَ (٤) .

- وقال في النسب:

لَيْنٌ غَبَّتْ عَن عَيْنِي وَشَطَّتْ بِكَ النُّوَى ، فَأَنْتَ بِقَلْبِي حَاضِرٌ وَقَرِيبٌ .
 خَيَالُكَ فِي وَهْمِي وَذِكْرُكَ فِي فَمِي وَمَثْوَاكَ فِي قَلْبِي ، فَأَيْنَ تَغِيبُ !

- في نَفْحِ الطَّيْبِ (٣: ٥٩٧ - ٥٩٨): وَمَرَضَ أَبُو الحَكَمِ بِنُ غَلْنَدَةُ فَعَادَهُ جِماعَةٌ

-
- (١) ماست: قابلت. أزرى الشيء بالشيء: عابه وأظهر نقصه. خطر: مرّ وهو يتبختر (معجباً بنفسه). الغلالة (بكر الغين): ثوب رقيق بليس قريباً من البدن. السندس: ثوب رقيق من الديباج (الحرير).
 (٢) تبرّجت المرأة: تزوّجت، أظهرت زينتها. الجنح: قطعة من الليل يشدّ فيها الظلام. تجلّت: ظهرت، زال عنها الغطاء. الدياجي: الظلمات. الهندس (بكر الهاء والداال): الظلمة الشديدة (ثلاث ليالٍ في آخر الشهر القمري لا يرى فيها القمر).
 (٣) اختال: مشى وهو يتأيل. اللدة (الفناء القاربة لأخرى في العمر). الجوّاري الكُنُس: النجوم التي تغيب وراء الأفق (في ليلة البدر يبقى البدر ظاهراً في السماء إلى الصباح. أمّا النجوم فتكس (بكر النون): تغيب في أوقات مختلفة في أثناء الليل) - يستر البدر نورها.
 (٤) أرج الطيب: فاحت رائحته. الرّيا: الرائحة الطيبة. الصبا: ربح الشرق. تضوّع المسك: انتشرت رائحته. - ربح الصبا اكتسبت رائحة طيبة من هذه الفتاة فأخذت ربح الصبا تنشر الرائحة العطرة من قبل أن يقترب الصبح ويبدأ تحرك النسيم (الذي يحمل الرائحة وينشرها).

من أصحابه فيهم فتى صغير السن، فوفاه (ابن غلنדה) من بره ما أوجب تغييرهم
 (استغرابهم ونفرتهم). ففطن (ابن غلنדה) لذلك وأنشد ارتجالاً .

تَكَثَّرَ مِنَ الْإِخْوَانِ لِلدَّهْرِ عُدَّةٌ فَكَثْرَةُ دُرِّ الْعِقْدِ مِنْ شَرَفِ الْعِقْدِ .
 وَعَظُمَ صَغِيرَ الْقَوْمِ وَابْدَأَ بِحَقِّهِ ، فَمِنْ خُنْصُرِي كَفَيْكَ تَبْدَأَ بِالْعَقْدِ (١) .
 تَمَّ نَظْرَ إِلَيْهِمْ وَأَنْشَدَهُمُ ارْتِجَالًا قَوْلَهُ :

مُعِيثُ أَيُوبَ وَالْكَافِي لَذِي النُّونِ يُحِلُّنِي فَرَجًا بِالْكَافِ وَالنُّونِ (٢) .
 كَمْ كَرْبِيَّةٍ مِنْ كُرُوبِ الدَّهْرِ فَرَجَهَا عَنِّي ، وَلَمْ يَنْكَشِفْ وَجْهِي لِمَنْ دُوْنِي (٣) !

٤ - معجم الأدياء ١٠ : ٢٤٥ - ٢٤٦ تكلمة الصلة ٢ : ١٥٣٩ نفع الطيب ٣ : ٥٩٧ - ١٥٩٨
 الأعلام للزركلي ٤ : ٣٥١ (١٩٥) .

أبو الحسن بن لبّال

١ - هو أبو الحسن علي بن أحمد بن علي بن لبّال (ولبّال اسمه فتح) بن أمية بن
 إسحاق القرشي الأموي الأندلسي، وُلِدَ في شريش شذونة (بجنوب الأندلس) سنة
 ٥٠٩ هـ (١١١٦ م). وروى ابن لبّال عن جماعة، منهم ابن العربي وشريح وأبو بكر
 ابن طاهر وأبو الحجاج الأندلي وأبو الفضل بن الأعمل وابن فندله .

احتاج أهل شريش إلى قاضٍ فأجمعوا على أن يكون قاضيهم ابن لبّال فأبى
 ولكنهم أصرّوا قولّي القضاء مكرها . تمّ عزله عنه .

وكانت وفاة ابن لبّال في ثالث ذي الحجة من سنة ٥٨٣ هـ (١١٨٨/٢/٤ م) .

(١) حينما يبدأ الإنسان بالمدّ على أصابعه يعقد (بكر القاف) ، أي يطوي خنصره (إصبعه الصغيرة) للدلالة
 على « الواحد » ثمّ البصير للدلالة على « الاثنين » الخ .

(٢) النبي أيوب مرض مرضاً شديداً طويلاً ثمّ أغاثه (شفاه) الله . وذو النون سقط في البحر وابتلته الموت
 فأجابه الله . وإنّ الله سيحلّني (يحلّني) فرجاً ويكشف عني الضيق بين الكاف والنون (بسرعة) - في
 القرآن الكريم (٣٦ : ٨٢ بس) : « إنّنا أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له : كن فيكون » .

(٣) لم ينكشف وجهي (لم أشك) ، لم أتذلّل (لم دوني (لم هو أقلّ مني : لأحد من الناس) .

٢ - كان أبو الحسن بن لبّال رجلاً صالحاً ورعاً زاهداً، وكان مُحَدَّثاً وُفِيهاً وأديباً
 ناثراً شاعراً، له شعرٌ في الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي الحِجَازِ وفي عِدَدٍ من
 الأَغْرَاضِ الوُجْدَانِيَةِ ثم في المدح والثناء والوصف والألغاز. وَصَنَّفَ شرحاً لمقاماتِ
 الحريري.

٣ - مختارات من شعره:

- لَمَّا وَلِيَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ لِبَّالٍ الْقَضَاءِ كَارِهًا قَالَ:

كُنْتُ، مَذْ كُنْتُ، كَارِهًا أَنْ أَلِي خَطَّةَ الْقَضَا.
 لَمْ أَرُدْهَا، وَإِنَّا سَاقِي نَحْوَهَا الْقَضَا^(١)!

- ثُمَّ قَالَ حِينَ زَالَ عَنِ الْقَضَاءِ:

حُبِلْتُ عَلَى الْقَضَاءِ وَلَمْ أَرُدَّهُ، وَكَانَ عَلَيَّ أَثْقَلَ مِنْ نَبِير^(٢).
 فَلَمَّا أَنْ عَزَلْتُ جَعَلْتُ أَشَدُّ: لَقَدْ أَتَقَدْتُ مِنْ شَرِّ كَبِير.

- وَقَالَ لَمَّا تَقَدَّمَتْ بِهِ السِّنُّ:

لَمَّا تَقَوَّسَ مِنِّي الْجِسْمُ عَنِ كَبِير فَايْبِضُ مَا كَانَ مُسَوِّدًا مِنَ الشَّعْرِ،
 جَعَلْتُ أَشْيَ كَأَنِّي نَصْفُ دَائِرَةٍ تَمْسِي عَلَى الْأَرْضِ أَوْ قَوْسٌ بِلَا وَتَر!

- وَقَالَ فِي مِثْلِ ذَلِكَ:

قَوْسٌ ظَهَرَ الْمَشِيبُ وَالْكَبِيرُ. وَالدهرُ، يَا عَمْرُو، كُلُّهُ غَيْرُ^(٣).
 كَأَنِّي، وَالْعَصَا تَدِبُ مَعِي، قَوْسٌ لَهَا، وَهِيَ فِي يَدِي وَتَر.

- وَقَالَ فِي الْجَلَمَيْنِ (الْمِقْصَصِ):

وَمُعْتَنِقَيْنِ مَا أَنَّهُمَا بِعَشْقٍ، وَإِنْ وُصِفَا بِضَمٍّ وَاعْتِنَاقٍ.

(١) ألي: أتولى. خطة (منصب) القضاء.

(٢) نبير: اسم جبل.

(٣) الغير = غير الدهر: أحداثه التي تتغير بالناس وتنزل بهم المصائب.

لَعَمْرُ أَيْبِكَ، مَا اجْتَمَعَا لِمَعْنَى سِوَى مَعْنَى الْقَطِيعَةِ وَالْفِرَاقِ.

٤- ** المغرب ١: ٣٠٣ - ٣٠٤، المطرب ٩٧ - ٩٩، تحفة القادم ٧٤، التكملة رقم ٦٧٣ (رقم ١٨٧٤)، الذيل والتكملة ٥: ١٦٩ - ١٧١، صلة الصلة ١٠٨ - ١٠٩، نفع الطيب ٣: ٤٤٢، ٤: ٢٣١ - ٢٣٤، الأعلام للزركلي ٥: ٦١ (٤: ٢٥٦).

ابن غالب الفرناطي

١- هو المحافظ مُحَمَّدُ بْنُ أَيُّوبَ بْنِ غَالِبِ الْفَرْنَاطِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ، وَلَا نَعْلَمُ مِنْ أَخْبَارِهِ سِوَى أَنَّهُ عَاصَرَ أَبَا سَعِيدِ عُمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ وَاتَّصَلَ بِهِ حِينَ كَانَ أَبُو سَعِيدٍ وَالْيَأَى عَلَى غَرْنَاطَةَ (٥٥٥ - ٥٧١ هـ). وَهَنَالِكَ إِشَارَةٌ فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ (٢: ١٨١ - ١٨٢) أَكْثَرُ دِقَّةً، هِيَ: ذَكَرَ ابْنُ غَالِبٍ أَنَّ الْفَقِيهَ أَبَا جَعْفَرِ بْنِ عَبْدِ الْحَقِّ الْخَزْرَجِيِّ الْقُرْطُبِيِّ لَهُ كِتَابٌ كَبِيرٌ بَدَأَ فِيهِ مِنْ بَدْوِ الْخَلِيقَةِ إِلَى أَنْ أَنْتَهَى، فِي أَخْبَارِ الْأَنْدَلُسِ، إِلَى دَوْلَةِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ (بْنِ عَلِيٍّ). قَالَ (ابْنُ غَالِبٍ): «وَفَارَقْتُهُ سَنَةَ ٥٦٥ هـ». وَبِمَا أَنَّ الْأَدْبَاءَ وَالْعُلَمَاءَ لَا يَتَّصِلُونَ عَادَةً بِالْحُكَمَاءِ وَالْأَغْنِيَاءِ إِلَّا فِي مَطَالَعِ حَيَاتِهِمْ أَوْ عِنْدَ بُلُوغِ أَشُدِّهِمْ، فَمِنْ الْمُمْكِنِ أَنْ يَكُونَ ابْنُ غَالِبٍ قَدْ عَاشَ إِلَى أَوَاخِرِ الْقَرْنِ السَّادِسِ لِلْمُهْجَرَةِ (أَوْ آخِرِ الْقَرْنِ الثَّانِي عَشَرَ لِلْمِيلَادِ).

٢- عُرِفَ لِابْنِ غَالِبٍ كِتَابٌ يُشَارُ إِلَيْهِ عَادَةً بِاسْمِ «فَرَحَةِ الْأَنْفُسِ». أَمَّا عُنْوَانُهُ الْكَامِلُ فَيَبْدُو فِي الْمَصَادِرِ الْقَلِيلَةِ الَّتِي عُنِيَتْ بِابْنِ غَالِبٍ عَلَى صُورٍ مُخْتَلِفَةٍ: فَرَحَةُ الْأَنْفُسِ فِي تَارِيخِ الْأَنْدَلُسِ - فَرَحَةُ الْأَنْفُسِ فِي أَخْبَارِ الْأَنْدَلُسِ - فَرَحَةُ الْأَنْفُسِ لِلْآثَارِ الْأَوْلِيَّةِ الَّتِي فِي الْأَنْدَلُسِ - فَرَحَةُ الْأَنْفُسِ فِي فَضْلَاءِ الْعَصْرِ فِي الْأَنْدَلُسِ (... فِي فَضْلَاءِ الْعَصْرِ مِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ).

ويبدو - بما ذَكَرَهُ لُطْفِي عَبْدِ الْبَدِيعِ (رَاجِعْ رَقْمَ ٤) أَنَّ كِتَابَ فَرَحَةِ الْأَنْفُسِ كَانَ كَبِيرًا وَأَنَّهُ قِسْمَانِ أَوْلَاهُمَا الْقِسْمُ الْمُسَمَّى «فَرَحَةُ الْأَنْفُسِ لِلْآثَارِ الْأَوْلِيَّةِ الَّتِي فِي الْأَنْدَلُسِ» (وَهُوَ قِسْمٌ جُغْرَافِيٌّ وَاسِعٌ) ثُمَّ ثَانِيهَا الْقِسْمُ الْمُسَمَّى «فَرَحَةُ الْأَنْدَلُسِ فِي أَخْبَارِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ»، - أَوْ فِي فَضْلَاءِ الْعَصْرِ مِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ - «(وَهُوَ قِسْمٌ تَارِيخِيٌّ أَدْبِيٌّ).

والظاهرُ أيضاً أنّ ابنَ غالبٍ كان يريدُ بكتابهِ هذا أن يُعَدِّدَ مآثرَ الأندلسيين وأن يُبينَ فضلَهُم على غيرِهِم ويذكرُ جمالَ بلادِهِم ومكانتِها.

٣ - مختارات من آثاره:

- أهل الأندلس (نفع الطيب ٣: ١٥٠ - ١٥١) عن « فرحة الأنفس »:

وأهلُ الأندلسِ عربٌ في الأنسابِ والعِزَّةِ والأَنفَةِ^(١) وعلوُّ الهِمَمِ وفصاحةُ الألسُنِ وطيبُ النفوسِ وإبَاءُ الضَمِيمِ وقَلَّةُ أَحْتِمَالِ الذَّلِّ والسَّاحَةِ^(٢) بما في أيديهِم والنزاهةُ عن الخُضُوعِ وإتيانُ الدِّينِيَّةِ. (وهم) هِنْدِيُّونَ في إفراطِ عِنَايَتِهِم بِالعلومِ وحُبِّهِم لها وضَبْطِهِم لها وروايَتِهِم، بَعْدَادِيَّونَ في ظَرْفِهِم ونظافتِهِم وِرْقَةٌ أخلاقِهِم ونَبَاهَتِهِم وذَكَائِهِم وحسنُ نظرِهِم وجُودَةُ قرائِحِهِم ولَطَافَةُ أَذْهَانِهِم وِحْدَةُ أَفكارِهِم ونُفُودُ خِواطِرِهِم، يونانيَّونَ في آسْتِنْباطِهِم للمِياهِ ومُعَاناتِهِم لِضُروبِ الفِرَاساتِ^(٣) واختيارِهِم لأَصْنَافِ الفِواكِهِ وتدييرِهِم لِتَرْكِيبِ الشَّجَرِ^(٤) وتَحْسينِهِم لِلبَسَاتينِ بأنواعِ الخُضْرِ وصُوفِ الزَهْرِ. فَهَمُّ أَحْكَمِ النَّاسِ لِأَسْبَابِ الفِلاحةِ. ومنهُم ابنُ بَصَالٍ صاحبُ « كتابِ الفِلاحةِ » الَّذي شَهِدَتْ لَهُ التَّجْربَةُ بِفَضْلِهِ. وَهُم أَصْبَرُ النَّاسِ على مُطالِوةِ التَّعَبِ في تَجويدِ الأَعْمالِ ومُقاساةِ النَّصَبِ^(٥) في تحْسينِ الصَّناعاتِ، أَحَدَقُ النَّاسِ بِالْفُروسيَّةِ وأَبْصَرُهُم بِالطَّعْنِ والضَّرْبِ.

- عبد الرحمن الناصر والعلية^(٦) الصغرى في قصره (قطعة من كتاب فرحة الأنفس ٣٣ - ٣٤):

وكان (عبدُ الرحمنِ الناصرُ) قد آتَخَذَ، لِسُقْفِ العَلِيَّةِ الصُّغرىِ التي كانت مائِلَةً

(١) العِزَّةُ: القُوَّةُ (المادَّةُ والمعنويَّة). الأَنفَةُ: الحِميَّةُ (التَّرَقُّعُ عَنِ الأَعْمالِ التي لا تَلِيقُ).

(٢) السَّاحَةُ: الكَرَمُ.

(٣) ضُروبُ: أنواعُ. الفِرَسُ: نِصْبُ الأشْجارِ (الزَّرْعُ) لما له ساقٌ لَيِّنَةٌ، والفِرَسُ لما له ساقٌ قاسِيَةٌ خشبيَّةٌ).

(٤) تَرْكِيبُ الشَّجَرِ: نِصْبُهُ والعِنايةُ بِهِ، (تَطْليمُهُ = مَرْجُ نَوْعٍ مِنْ فِصِيلَةٍ نَوْعٍ آخَرَ مِنْها؟).

(٥) النَّصَبُ: التَّعَبُ.

(٦) العَلِيَّةُ: غُرْفَةٌ (مُفْرَدَةٌ) فِي أَعْلَى البِناءِ.

على الصَّرح المدود، قراميد^(١) ذَهَبَ وَفِضَّةً، وَأَنْفَقَ عَلَيْهَا مَالًا جَزِيلًا وَجَعَلَ سُقْفَهَا
 صفراءَ فاقمةً إلى البياض^(٢)، بياضاً ناصعاً تسلُّبُ الأبصارَ بِمَطَارِحَ أَنْوَارِهَا
 الْمُشْتَمِعة^(٣). وَجَلَسَ فِيهَا، إِثْرَ تَامِهَا، لِأَهْلِ مَمْلَكَتِهِ، فَقَالَ لِقَرَابَتِهِ وَمَنْ حَضَرَهُ مِنْ
 الوِزْرَاءِ وَأَهْلِ الخِدْمَةِ مُفْتَجِرًا عَلَيْهِمْ بِمَا صَنَعَهُ مِنْ تِلْكَ الْبِدَائِعِ: هَلْ رَأَيْتُمْ أَوْ سَمِعْتُمْ
 مَلَكًا قَبْلِي فَعَلَ مِثْلَ فِعْلِي أَوْ قَدَرَ عَلَيْهِ؟ قَالُوا: لَا، وَاللَّهِ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. وَأَنْتَ
 لِأَوْحَدٍ فِي شَأْنِكَ كَلِّهِ، وَمَا سَبَقَكَ فِي مُبْتَدَعَاتِكَ هَذِهِ مَلَكٌ، وَمَا بَنَاهُ، وَلَا أَنْتَهُ إِلَيْنَا
 خَبَرُهُ. فَأَبْجَهَهُ قَوْلُهُمْ وَسَرَّهُ تَنَاوُهُمْ. وَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ سَادِرًا ضَاحِكًا^(٤) دَخَلَ عَلَيْهِ
 الْقَاضِي مُنْذِرُ بْنُ سَعِيدِ الْبَلُوطِيِّ وَاجِبًا نَاكِسًا رَأْسَهُ^(٥). فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي الْمَجْلِسِ قَالَ لَهُ
 (عَبْدُ الرَّحْمَنِ النَّاصِرُ) كَالَّذِي (كَانَ قَدْ) قَالَ لَوِزْرَانِهِ مِنْ ذِكْرِ السُقْفِ وَأَقْتِدَارِهِ.
 فَأَقْبَلَتْ دُمُوعُ الْقَاضِي تَنْحِيرًا عَلَى لِحْيَتِهِ، وَقَالَ: وَاللَّهِ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا ظَنَنْتُ أَنْ
 الشَّيْطَانَ - أَخْزَاءَ اللَّهِ - يَبْلُغُ مِنْكَ هَذَا الْمَبْلَغَ، وَلَا أَنْ تُمَكِّنَهُ مِنْ قِيَادِكَ هَذَا
 التَّمَكِينَ، مَعَ مَا آتَاكَ اللَّهُ وَفَضَّلَكَ عَلَى الْعَالَمِينَ، حَتَّى أَنْزَلَكَ مَنَازِلَ الْكَافِرِينَ. قَالَ:
 فَأَقْشَمَرُ^(٦) عَبْدُ الرَّحْمَنِ مِنْ قَوْلِهِ، وَقَالَ: أَنْظِرْ مَا تَقُولُ. كَيْفَ أَنْزَلْتَنِي (اللَّهُ) مَنَازِلَ
 الْكَافِرِينَ؟ قَالَ (مُنْذِرٌ): نَعَمْ. أَلَيْسَ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ^(٧): «وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً
 وَاحِدَةً^(٨) لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا
 يَظْهَرُونَ^(٩)»؟ قَالَ فَوَجَّهَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَنَكَّسَ رَأْسَهُ مَلِيًّا^(١٠)، وَدُمُوعُهُ عَلَى لِحْيَتِهِ تَجْرِي

(١) القرميد: الأجر (طين مطبوخ على شكل حجارة البناء).

(٢) الفاقع: اللون الصافي الناصع. لعلَّ الجملة... صفراء فاقمة (مائلة) إلى البياض (أو بياض ناصع).

(٣) مطارح الأنوار: الأماكن التي يقع عليها الضوء حول الجسم المنير.

(٤) السادر: المتحير البصر.

(٥) واجبا (ساکتاً) ناكساً (خافضاً) رأسه.

(٦) اقشمر (جلد الإنسان): رجف (من هول أو خوف مفاجيء).

(٧) القرآن الكريم ٤٣: ٣٣، (سورة الزخرف).

(٨) تفسير الآية: إنَّ الناس كلَّهم (قبل الإسلام) كافرون لا فرق بينهم. ولولا ذلك لجعلنا للنبي يكثر (وهو واحد من جمع مؤنثين) كلَّ أسباب الترف (في هذه الحياة الدنيا وحدها) ثم لا ينال شيئاً في الآخرة سوى العذاب.

(٩) المعراج (بالكسر) والمرج (بالفتح أو بالكسر) جمعها معارج. المصعد (أو السكبان العالي يبرز عليه الناس من مكان بطل على مشهد ما).

خُشوعاً لله تعالى . ثم أقبلَ على مُنذِرٍ وقال: جَزَاكَ اللهُ خيراً عَنِّي وعن جميع المسلمين، وكَثَرَ في المسلمين أمثالكَ، فالذي قُلْتَ، والله، الحقُّ. وقام مِن مَجَلِسِهِ وهو يستغفرُ الله. وأمرَ بِنَقْضِ (١) سُقْفِ القَبَةِ وأعادَ قراميدَها تُراباً.

٤- نص أندلسي جديد: قطعة من كتاب « فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس » (تحقيق لطفي عبد البديع)، مصر (مطبعة مصر) ١٩٥٦ م.
 * * المغرب ١: ١٧٧-١٧٨، ٢٢٢، ٢٢٧، ٢، ٢٥٠-٢٥١، ٢٢٧، ١٩٧: ١، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٢-٢٠٣، ٢٩٠-٢٩١، ٢٩٥، ٤٥٩، ٣: ١٥٠-١٥٢، ٣٨٦، ٤٠٥-٤٠٧ (؟) سوى إشارات في أماكن أخرى.

الكتندي

١- هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن خليفة بن أبي العافية الكتندي أو القتندي^(٢) الأزديُّ الغرناطيُّ الإبيريُّ الأصل، وُلِدَ (بغية الوعاة ٦٥) سنة ٥٠٦ هـ (١١١٢-١١١٣ م). بدأ تعلُّمه في مُرْسِيَّة ثمَّ أنتقل إلى غرناطة فسكنها مُدَّة ثمَّ سكن مالقة.

سَمِعَ الكتنديُّ من أبي بكر بن العَرَبِيِّ (ت ٥٤٣ هـ) ومن أبي الوليد بن الدبَّاع (ت ٥٤٦ هـ) وأبي بكر بن مسعود الحُسَني. وقد لَقِيَ الشاعر ابن خفاجة (ت ٥٣٣ هـ) وابن دحية صاحب « المطرب » (ت ٦٣٣ هـ). وكانت وفاة الكتندي في غرناطة سنة ٥٨٣ أو ٥٨٤ هـ (١١٨٨ م).

٢- كان الكتنديُّ لُغَوِيًّا وأديباً وشاعراً مُكثراً مُجيداً، حَسَنَ الغَزَلِ والرائعِ.

(١١٠) ملياً: طويلاً.

(١) نقض: هدم.

(٢) كتندة قرب سرقسطة. القتندي (راجع المطرب، ص ٨١، السطر العاشر، والهامية ١).

٣ - مختارات من شعره:

- قال الكُتْنُديُّ في النسيب يُخاطب سَرْحَةَ، تَما يُذَكِّرنا بِجُمَيدِ بنِ ثورِ^(١) :
يا سَرْحَةَ الحِميَّ يا مَطُولُ، شَرَحُ الَّذي بَيْنَنا يَطُولُ^(٢) .
عِندي مَقالٌ، فَهَلْ مُقامٌ تُصَفِّينَ فِيهِ لِي أَقولُ^(٣) ؟
ولي ديونٌ عَلَيكَ حَلَّتْ لو أَنَّهُ يَنْفَعُ الحُلُولُ^(٤) !
ماضٍ مِنَ العَيْشِ كانَ فِيهِ : مَنزَلنا ظِلِّكَ الظِّلِيلِ^(٥) !
زالَ . وما عَلِيهِ ، ماذا ، يا سَرَحَ ، لو لم يَكُنْ يَزُولُ^(٦) ؟
حَيّا عَنِ المَذْنَبِ المَعْنى مَنبَتِكَ القَطْرُ والقَبولُ^(٧) !

- وفي المغرب (٢ : ٢٦٤) مطلعٌ بارِعٌ رقيقٌ في رثاءِ السَيِّدِ عِثانَ بنِ عَبْدِ المُؤمِنِ المُوَحِّديِّ:

يَذْهَبُ المُلْكُ ، وَيَبقى الأَثَرُ . هَذِهِ المَخالَةُ ، أَمِنَ القَمَرُ ؟
- وله في النسيبِ (ذِكْرِي نَهْرِ شَنِيلٍ في غَرناطَةِ):
هَذَا لسانُ الدَمعِ يُمِلي الغَرامَ في صَفْحَةٍ أَثَرٌ فِيها السَقامُ^(٨) .

- (١) لما أعلن عمر بن الخطاب أن الذي يشبب بامرأة يطاقب بالجلد، احتال حميد بن ثور نحو ٤٠ هـ = (٦٦٠ م) بأن خاطب سرحة (شجرة) فقال: «أبي الله إلا أن سرحة مالك... تروق».
- (٢) المطول: (المرأة) التي تخلف مواعيدها.
- (٣) مقام (بضم الميم): إقامة، وقوف.
- (٤) الحلول: حلول وقت الوعد (أنت تقولين: ألتاك في اليوم الفلاني. ثم يحل اليوم الفلاني فلا تجيئين إلى الموعد).
- (٥) كان ظلك منزلنا كئناً نلتقي دائماً ولا نفترق).
- (٦) يا سرح (منادى مرخم: حذف آخره - يا سرحة)، فالفتحة على الماه هي فتحة الماه الأصلية وليست علامة للإعراب.
- (٧) المذنب: المريض (المحب) الذي اقترب من الموت (الهلاك والعذاب في الحب). المعنى: المشغول، المهموم، المذنب. القطر: المطر. القبول: ريح الصبا (الشرق) أحسن الرياح في نجد تهب باردة بليلة (لأنها تأتي من جبال فارس مارةً فوق خليج البصرة). - حيّا القطر (نزل فيك المطر) والقبول (طاب مناخك) في منبتك (بيتك).
- (٨) في صفحة: في وجه. السقام: المرض والنحول.

عهدٌ لِهِنْدٍ لم يَكُنْ بالذي
يا نهرَ إشنيل، ألا عَوْدَةٌ
ما كان إلا بارِقاً خاطِفاً
لله يومٌ منسـه لم أنسُه،
إذ هِنْدُ غُصْنٌ بَيْنَ أَغصانِها
كالدَّوْحِ يَثْبِيهِ هَدَيْلُ الحِمَامِ^(١).
تصدَحُ فيه نَفْثاتُ المَلَامِ^(٢).
لذلك العهدِ ولو في المنام؟
ما زِلْتُ مُذْ فارقني في ظلام.
وذكرُ ما أولاه أولى ذِمَامِ^(٣)،
كالدَّوْحِ يَثْبِيهِ هَدَيْلُ الحِمَامِ^(٤).

٤- ** زاد المسافر ١٩٥ منهاج الرعيبي ١٦٦ المغرب ٢: ٣٦٤ - ١٢٦٥ المطرب ٨١ -
١٨٢ الوافي بالوفيات ٣: ١٢٣٢ بغية الوعاة ٦٥: نفع الطيب ٣: ٤٩٧ - ٤٩٨،
٥١٣ وما بعد، ٤: ٢٩٧ - ٢٩٨ الذيل والتكملة ٦: ٣٤٩ - ٣٥٠ (رقم ٩٣٥).

ابن زرقون

١- هو أبو عبد الله محمد بن سعيد بن أحمد بن سعيد بن عبد البر بن مجاهد
الأنصاري، أصلُ أهله من بَطْلَيْوَس، وكانَ مَوْلِدُهُ هو في شَرِيشَ في مُنتَصَفِ ربيعِ
الأولِ من سَنَةِ ٥٠١ (١١٠٧/١١/٢ م). تَلَقَى العِلْمَ على نَفَرٍ مِنْهُم أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ
الْحَوْلَانِي (ت ٥٣٥ هـ) وعبدُ الرحمن بنُ مُحَمَّدِ بنِ عَتَّابِ (ت ٥٢٠ هـ). ونَقَلَهُ أبوه إلى
مَرَاكُشَ فَلَقِيَ فِيهَا أبا عِمْرَانَ موسى بنَ عبدِ الرحمنِ بنِ تليدِ الشاطِبيِّ (ت ٥١٧ هـ).
ثم عاد ابنُ زرقونِ إلى الأندلسِ وتحوَّلَ فيها وصَحِبَ الفقيهَ الكاتِبَ ابنَ عَبْدِونِ
(ت ٥٢٩ هـ). ولازمَ أيضاً القاضيَ عِياضَ بنَ موسى (ت ٥٤٤ هـ) مُدَّةً طويَلةً.
وقد تولَّى ابنُ زرقونِ القِضاءَ في سَبْتَةَ (من المَغرب) وشِلْبَ (في جَنُوبِ غربيِ
الأندلس). وكانت وفاةُ ابنِ زرقونِ في إِشبيليةَ في مُنتَصَفِ رَجَبٍ من سَنَةِ ٥٨٦
(١١٩٠/٨/١٦ م).

(١) تصدح فيه: شفه، نعيه، تؤثر فيه. النفثة: النفخة (كانت الساحرات إذا أردن الإضرار بشخص قرأن
اسمه على خيط مراراً، وكلما قرأن الاسم مرّة عقدن في الحيط عنفة ثم نفثن عليها).

(٢) وذكر ما أولاه (ما صنعه لنا من المعروف) أولى (أحق أحدر) ذمام (عهد): أحق العمود بالحفظ
(الحب).

(٣) الدوحة: الشجرة العظيمة. يثنيه: يبيله، يبيل به. الهديل: صوت الحمام.

٢ - كان ابنُ زرقونِ عارفاً بالحديثِ وبالفقه، وكان قاضياً قديراً نزيهاً. ولكن يبدو أنه كان ظريفاً فنظّم أشياء من الشعر كان يتملّحُ بها ولم يكن يُواقعُ ما ذكره فيها من المَرَحِ أو المَجونِ. وفي شعره شيءٌ من السُهولةِ والعُدوبةِ وشيءٌ من الجفافِ. وكان له نثرٌ جيّدٌ.

وابن زرقونِ مؤلّفٌ له: الأنوارُ في الجمعِ بينِ المنتقى والاستذكارِ (والثاني منها لابنِ عبدِ البرِّ على القطع) - وكذلك جمَعَ بين «الجامعِ الكبيرِ» للترميميِّ و«سُننِ» أبي داوودَ (في الحديث).

- مختارات من آثاره:

- قال أبو عبدِ الله محمدُ بنُ زرقونِ في النسيبِ والمجونِ والرُّهْدِ (نفع الطيبِ ٣: ٤٧٤ - ٤٧٥):

فجرى دمعهُ ولجَّ النحيبُ ^(١) .	ذَكَرَ المَهْدَ والديارَ غريباً
حَدَا العهدُ والنوى والحبيبُ ^(٢) ،	ذَكَرَ المَهْدَ والنوى من حبيبٍ؛
بِتَجَنٍّ، ووَدُنَّا مَشوبُ ^(٣) ؛	إذ صفاءُ الودادِ غيرُ مَشوبِ
رُقريبُ؛ وإذ يقولُ المريبُ ^(٤) :....	وإذا الدهرُ دَهْرُنَا، وإذا الدا
ييارُ، والروضُ زاهرٌ مَخضوبُ ^(٥) .	وقيانُ الأوتارِ تُسعيدُها الأط
قَ علينا وظاهرَتها القلوبُ ^(٦) .	ووتاحي معاصمٌ لَوَتِ الشو

(١) العهد (المدة السعيدة التي كان قد قضاها، أو كان يتخيّل أنه قضاها). لجّ: نادى، استمرّ، ازداد قوّة. النحيب: ارتفاع الصوت بالكاء.

(٢) النوى: البعاد، الفراق.

(٣) مشوب (مزوج بشيء أقلّ قيمة منه). التجنّي: اتهام شخص شخصاً آخر بذنب ظلاماً. مشوب: متوقّد (قويّ)، فائز، عظيم.

(٤) الدهر دهرنا: موات لنا (موافق لهوانا). المريب: السّيء الظنّ بالناس (وهو على غير الحق).

(٥) القينة: المرأة المغنّية الجميلة. قبان الأوتار (العاشرات على الآلات الموسيقية). تسعدها: تساعدها، (تجاريها بالثناء). مخضوب: (ذو ألوان عديدة).

(٦) الوشاح (ثوب مزركش يوضع على القسم الأعلى من الجسم) معاصم (أيد). لوى: عوج. كلّ =

وفراشي بطنٌ وصَدْرٌ وَنَهْدٌ، وعليها مِني رَفِيقٌ طَبِيبٌ^(١)،
واللِمي والرُّضابُ كَأَسِي وَخَرِي، حَبْدًا الكَأْسُ، حَبْدًا المَشْرُوبُ^(٢)،
وَجِمَى الأَزْرُ لِي مُبَاحٌ، وَحُكْمِي نافذٌ فِيهِ. وَالفِعْأَلُ ضُرُوبٌ^(٣)،
وَإِذَا مَا الحِمْسَى أَعَارَ عَلَيْهِ حَادِقُ الطَّيْنِ، فَالحِمْسَى مَنْهُوبٌ،
أَسْأَلُ اللهَ عَفْوَهُ، فَلْتُنْ سَأَ ءِ مَقَالِي لَقَدْ تَعَفَّ القُلُوبِ،
قَدْ يِنَالُ الفَتَى الصَّفَائِرَ ظَرْفًا لا سِوَاهَا، وَلِلذُّنُوبِ ذُنُوبٌ^(٤)،
وَأخُو الشَّعْرِ لا جُنَاحَ عَلَيْهِ؛ وَسَوَاءٌ صَدُوقُهُ وَالكَذُوبُ^(٥)؛

٤- ** التكملة ٢٥٦ - ٢٥٧ (رقم ٨٢٤)؛ بغية الملتبس ٧٠ (رقم ١٣٨)؛ الوافي
بالوفيات ٣: ١١٠٢ المطرب ٢١٩ - ١٢٢٢ وفيات ابن قنفذ ١٢٩٥ نفع الطيب
٢: ١١٥ تم ١٦٢، ١٦٤، ٥٩٧، ٦٠٣ (لعلها لابن زرقون هذا، مع أنها وضمت في
الفهرس لان زرقون آخر) تم ١٠٣ و ١٠٤ (ولا يظهر اسم «ابن زرقون» في
الصفحتين المشار إليهما)، ٣: ١٣٥، ١٣٧، ٤٤٦، ٤٤٧ (بيت شعر)، ٤٧٤ -
٤٧٥ (سبعة أبيات من الشعر)، ٥٢٠، ٤: ٣٢٣ - ٣٢٤ الأعلام للزركلي ٧:
١٠ - ١١ (١٦: ١٣٩)؛ الذيل والتكملة ٦: ٢٠٣ - ٢٠٨ (رقم ٥٩٧).

أبو بكر بن مغاور

١ - هو أبو بكر عبد الرحمن بن محمد بن مغاور بن حكيم بن مغاور السلمي من
أهل شاطبة ولد فيها سنة ٥٠٢ هـ (١١٠٨ - ١١٠٩ م). واتخذ أبو الربيع بن عبد
الله بن عبد المؤمن كاتباً. وكانت وفاته في شاطبة سنة ٥٨٧ هـ (١١٩١ م).

= واحد منا كان يحيط الآخر بذراعيه. وظهرتا (نصرتا، وافقتها): حيناً كان حقيقياً (من القلب إلى
القلب).

- (١) مني (بكسر فسكس): مني (بكسر فتشديد). رفيق: متأن، لطيف. طبيب: عارف، عالم.
- (٢) اللمي: السمرة في الشفاء. الرضاب: الريق ما دام في الفم.
- (٣) الإزار (بالكسر) ثوب يلف به القسم الأدنى من الجسم. حى الإزار: ما يغطي (ما يستره الإزار).
الفعال (بالكسر): الأفعال، الأعمال، ضروب: أنواع (كتابة عن البراعة في أعمال عديدة).
- (٤) الصفائر (الذنوب الصغيرة). ظرفاً: تسلية وتلحاً. ذنوب (بالفتح): حظ (قسم) من العقاب.
- (٥) الجناح: الذنب. الصدوق: (الشعر) الصادق (في الجدل). الكذوب (الشعر) الكاذب (في المزح).

٢ - كان أبو بكر بن مُغاورٍ من جِلَّةِ الأدباءِ والكَتَّابِ ومِنَ الفُقهاءِ أيضاً. له نثرٌ وشعرٌ. في شعره مِثاقٌ وشيءٌ من المَرَحِ وهجاءٌ كثيرٌ. وقد جَمَعَ ابنُ مُغاورٍ شيئاً من نثره وشعره في كتابٍ سَمَّاهُ «نُورَ الكِلامِ وَسَجعَ الحِمامِ».

٣ - مختارات من شعره:

- عَلِقَ أَخُو أَبِي بَكْرٍ بِنِ مُغاورٍ امْرَأَةً مِنْ بَنِي يَتَّقَ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ:

بَنِي يَتَّقِ، كُفُّوا عِيونَ ظِبانِكُمْ؛ فَمَا بَيَّنَّنا نائِرٌ وَلَا بَيَّنَّنا دَخلٌ^(١).
 أَسَوَّغْتُمُ الشَّهَدَ المَشورَ لَطاعِمِ؛ وَقَلْتُمُ: حَرَامٌ أَنْ يُلِمَّ بِهِ النَحْلُ^(٢)؟
 إِذا ما تَصَدَّتْ بِالطَّرِيقِ طَروقَةٌ؛ فَغَيْرُ نَكِيرٍ أَنْ يَهِيحَ لَهَا الفَعْلُ^(٣)!

- وقال أبو بكر بن مُغاورٍ يهجو قاضياً يرتشي فينقضُ في المساء ما كان قد

حكَّم به في الصباح:

لا تَظنُّوا ابنَ بِيَشٍ في قضاياهِ يَرتشي.
 إِنَّا الشَّيخَ هُلُّهُلٌّ؛ فَهُوَ يَصحو وَيَنتشي^(٤).
 فَتَرى الحُكْمَ غُدوةً وَتَرى النَقْضَ بِالعِشي^(٥).

- كان ابنُ مُغاورٍ في شِيوخه يَحْمِلَ عَصاً، فَرَأه شَخْصٌ وَقَالَ لَهُ - كَأَنَّهُ يَهزأُ

به - : أَنْتَ صَحيحُ الجِسمِ! فَقَالَ ابنُ مُغاورٍ:

قَالَ لِي - يَهزأُ - مَنْ لَمْ يَتَوَقَّعْ! مِنْ مَلَأَمَةٍ^(٦)،
 إِذْ رَأى كَفِّي دَابِياً بِعَاصِها مُسْتَهامِها^(٧).

(١) ظباؤم: نساؤم. الذحل: العداوة والحقد. طلب مكافأة عن جريمة.

(٢) الشهد: العسل. المشور: المقطوف حديثاً. - معنى البيت غامض، ويجب أن يكون فيه تعريض بشرف بني يتق (كما يبدو من البيت التالي).

(٣) الطروقة: الناقة بلغت من العمر إلى أن يطرقها الفعل (وكذا المرأة).

(٤) في رواية: يبيش.

(٥) الهلهل (بضم الهاءين): الثوب السخيف (الرقيق النسيج).

(٦) يتوقع (كذا في الأصل): ينتظر (٤).

(٧) داباً: على التوالي، باستمرار. مستهام: محب، متعلق بالأمر إلى حد الجنون.

انت، والله، صحيح؛ سوف تَبْقَى للقيامه^(١).
 قلت: دعني من مُحال؛ قد شكَا الشيخُ السَّامِه.
 كيف يُرْجى لي بقاء؛ وجسداري بدعامه^(٢)!

٤- ** زاد المسافر ٧٩ - ٨٢؛ التكملة ٥٧٨ (رقم ١٦٢٢)؛ معجم ابن الأثير ٢٤٣ -
 ٢٤٥؛ المغرب ٢: ٣٨٥ - ٣٨٦؛ الطرب ٨٠ - ٨١؛ شذرات الذهب ٤: ٢٨٩؛
 الأعلام للزركلي ٤: ١٠٤ (٣: ٣٢٨).

ابن مُجَبَّر

١- هو أبو بكر يحيى بن عبد الجليل بن عبد الرحمن بن مُجَبَّر الفهري، من أهل
 بلش مألقة (صخرة مألقة)، وُلِدَ نحو سَنَةِ ٥٣٤ هـ (١١٣٩ م) في بلدة شُقُورَة. وتعلَّم
 ابنُ مُجَبَّر في مُرْسِيَّة وسكَنَ إشبيلية ثم أخذَ يَقْدُ على بلاطِ مَرَاكُشَ عاماً بعدَ عامٍ من
 قَبْلِ أن يَلِيَّ يعقوبُ بنُ يوسفَ المُلْكَ على الموحِّدين بأسم المنصور (سَنَةِ ٥٨٠ هـ). ثم
 سَكَنَ مَرَاكُشَ. وكانت وفاته في مَرَاكُشَ، لَيْلَةَ الأضحى (تاسعَ ذي الحِجَّة) من سَنَةِ
 ٥٨٨ (١١٩٢/١٢/١٦ م).

٢- كان أبو بكر يحيى بن مُجَبَّرَ شاعرَ المَغْرِبِ في وقته، وقال فيه المَقْرِي في نفع
 الطيب: الشاعرُ الكبيرُ الشهيرُ (٤: ٣٣٥) وأديبُ الأندلس (٤: ٣٨٠)، وهو شاعرٌ
 مُكْتَبِرٌ كان له ديوانٌ في مُجَلَّدَيْنِ كبيرين يَضُمَانِ أَكْثَرَ من تِسْعَةِ آلافٍ وأربعمائة بيتٍ
 أَكْثَرُها في مديحِ المنصورِ الموحِّدي (أميراً وخليفة). وهو يقولُ القصائدَ الطوالَ
 والمُقَطَّعاتِ القصارَ ويرتجلُ أيضاً. وفنونُ شِعْرِهِ المديحُ والرتاءُ والهجاءُ والوصفُ
 والأدبُ (الحِكْمَةُ)، وهو مقتدرٌ في الهجاء.

(١) للقيامه = إلى يوم القيامه: تتميش طويلاً.

(٢) جداري: جانبي (جانب من جسي). بدعامه: مستند إلى عصا (إذا ذهب العصا ينعج).

- قال أبو بكرٍ يحمي بنُ مُجَبَّرٍ يَدْحُ الْمَنْصُورِ الْمُوحِدِيِّ (وفيات الأعيان ٧: ١٣ -

:١٤)

أَتْرَاهُ يـــــــتْرَكَ الْفَرْلَا	وعليه شَبَّ وَأَكْتَهـــــــلا؟
كَلْفٌ بِالْفَيْدِ مَا عَقَلْتُ	نَفْسُهُ السُّلْوَانَ مُذْ عَقَلَا ^(١) .
أَيْهَا اللُّوَامُ، وَيَعْكُمُوا،	إِنَّ لِي عَنْ لَوْمِكُمْ شُغْلًا.
ثَقَلْتُ عَنْ لَوْمِكُمْ أَذُنِي	لَمْ يَجِدْ فِيهَا الْهُوَى يُثْقَلَا ^(٢) .
نَظَرْتُ عَيْنِي - لِشَقْوَتِهَا -	نَظَرَاتٍ وَاقَفْتُ أَجْلَا ^(٣) :
غَادَةً لَمَا مَثَلْتُ لَهَا	تَرَكْتَنِي فِي الْهُوَى مَثَلَا ^(٤) .
يَا سَرَاةَ الْهَيِّ، مِثْلَكُمْ	يَتَلَفَسِي الْحَادِثِ الْجَلَلَا ^(٥) ،
قَدْ نَزَلْنَا فِي جَوَارِكُمْ	فَشَكَرْنَا ذَلِكَ النَّزْلَا ^(٦) .
تَمْ وَاجْهِنَا ظِيَاءَكُمْ	فَلَقَيْنَا الْهُوَلَ وَالْوَهْلَا ^(٧) .
أَضْمِنْتُمْ أَمِنْ جَيْرَتِكُمْ	تَمْ مَا أُمْتَمْتُمُ السُّبْلَا ^(٨) ؟

- (١) الكلف: شديد الحب والولع بالأشياء. الأغد (والغيداء) - والجمع فيها: غيد: الناعم، المختنسي، (وهنا): النساء الجميلات.]
- (٢) عقلت (كذا في الأصل): أدرك، ميز الأمور، لجأ، انقبض، نسي (طوى) ساعده (بين المرفق والكف) على عضده (بين المرفق والكف)... العج. وليس في هذه المعاني معنى يوافق المقصود من البيت. لعلها عقلت (لحوه) علق فلان فلانا وعلق به: أحبه، أمسك به. السلوان: النسيان، التسلي (عن الحب). عقل: أدرك، بلغ الرشد.
- (٣) ثقلت أذني (قل سمعها). لم يجد فيها الهوى ثقلا (صما عن سماع كلامه).
- (٤) واقفت أجلا (نهاية العمر): سببت موتي.
- (٥) السري: الوجه في قومه. يتلافى: يستطيع أن يتجنب أمرا مكروها أو أن يجنب غيره ذلك الأمر المكروه. الحادث: النازلة (المصيبة). الجلل: العظيم.
- (٦) النزول (بضم فم): المنزل، ما يبيت للضيف من مكان ينزل فيه ويأكل وينام.
- (٧) ظباؤكم (النساء الجميلات في بلادكم). الهول: الأمر الخفيف. الوهل (بفتح فسكون أو بفتح ففتح): الفزع.
- (٨) السبيل: الطريق. الجيرة: الجيران.

وَأَرَدْتُمْ غَضَبَ أَنْفُسِهِمْ
لَيْتَنَا خُضْنَا السُّيُوفَ وَلَمْ
عَطَّلْتَنِي الْغَيْدُ مِنْ جَلْدِي
حَمَلْتِ نَفْسِي عَلَى فِتْنٍ
ثُمَّ قَالَتْ: سَوْفَ تَتْرُكُهَا
قُلْتُ: أَمَا وَهِيَ قَدْ عَلَقَتْ
مَا عَدَا تَأْمِيلُهَا مَلَكاً
أَوْ دَعَّ الْإِحْسَانَ صَفْحَتَيْهِ
فَإِذَا مَا الْجُودُ حَرَّكَهُ

فَبَتَّنْتُمْ بَيْنَهُمَا الْمَقَالَةَ (١)
نَلَقْنَا تِلْكَ الْأَعْيُنَ النَّجْلَةَ (٢)
وَأَنَا حَلَيْتُهَا الْفَزْلَةَ (٣)
سُنْتُهَا صَبْرًا فَمَا أَحْمَلًا (٤)
سَلْبًا لِلْحَسْبِ أَوْ نَقْلًا (٥)
بِأَمْرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَا
مَنْ رَأَاهُ أَدْرَكَ الْأَمْلَةَ (٦)
مَاءَ بَشَرٍ يَنْقَعُ الْغُلْلَةَ (٧)
فَإِضًا مِنْ يُنْمَاهُ فَأَنْهَمَلًا (٨)

- وقال أيضاً يمدح المنصور الموحدي (نفع الطيب ٣ : ٢٤٠ - ٢٤١):

مَلَسْتُ تَرْوِيكَ مِنْهُ شَيْمَةً
جُمِعَتْ مِنْ كُلِّ مَجْدٍ فَحَكَتْ
وَوَرَاءَ الْعَجْزِ مَا لَمْ أَصِفِ (١)

أُنْسَتِ الظَّانَ زُرْقَ النَّطْفِ (٢)
لَفْظَةً قَدْ جُمِعَتْ مِنْ أَحْرَفِ (٣)

(١) بث: نشر، فرق الأشياء في مكان ما. المقلة: العين (كتابة عن المرأة الجميلة).

(٢) النجلاء: الواسعة (= المرأة الجميلة).

(٣) عطلتني (سلبتني) الغيد (النساء الجميلات) جلدي (احتمالي للأمور القاسية: صبري عن حب النساء). وأنا حليتها (ألبستها حل) من غزلي (من شعري في الفزل).

(٤) على فتن: اقتتان: (إعجاب بالجمال) سمتها (طلبت منها) احتملا (بالبناء للمجهول) لم يكن بالإمكان احتاله (لم أقدر عليه).

(٥) نفل: غنيمة.

(٦) عدا: تجاوز.

(٧) صفحته (وجهه). البشر: انطلاق الوجه وظهور السرور عليه. تقع الماء العلة (بالضم): أذهب الماء العطش.

(٨) بناء: يده اليمنى. انهمل: انسكب بكثرة.

(٩) أروي: أذهب العطش (ملاً، كفى). شيمة (خصلة جميلة). النطفة: الماء القليل. زرق النطف (الماء الصافي الذي يروي العطشان).

(١٠) حكى: شابه.

(١١) - صفات أخرى جميلة عجزت أنا عن وصفها.

لو أعارَ السهمَ ما في رأيه، من سدادٍ وهُدًى، لم يَصِفِ^(١).
 حِلْمُهُ الرَّاجِحُ مِيزَانُ الْهُدَى يَزِنُ الْأَشْيَاءَ وَزَنَ النَّصِيفُ.
 - حَضَرَ أَيْنُ مُجْبَرٍ فِي مَجْلِسٍ، وَكَانَ فِي الْمَجْلِسِ زُجَاجَةٌ سَوْدَاءٌ فِيهَا خَرٌّ، فَقِيلَ
 لَهُ: قُلْ فِي هَذَا شَيْئاً، فَقَالَ آرْتِجَالاً (نفع الطيب ٣: ٢٠٦):

سَأَشْكُو إِلَى النَّدْمَانِ أَمْرَ زُجَاجَةٍ تَرَدَّتْ بِشَوْبِ حَالِكِ اللَّوْنِ أَسْحَمَ^(٢).
 نَصَبُ بِهَا شَمْسَ الْمَدَامَةِ بَيْنَنَا فَتَقَرَّبُ فِي جُنْحٍ مِنَ اللَّيْلِ مُظْلَمِ^(٣).
 وَتَجَمَّدُ أَنْوَارَ الْحَمِيمَا بِلَوْنِهَا كَقَلْبِ حَسَوْدٍ جَاحِدٍ يَدَ مَنْعَمِ^(٤).
 - وَلَمَّا صَلَبَ النَّازِرُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْجَزِيرِيُّ * وَمَنْ أَخَذَ مِنْ
 أَصْحَابِهِ فِي إِشْبِيلِيَّةَ، وَعَايَنَهُمْ أَيْنُ مُجْبَرٍ قَدْ رَفَعُوا فِي خَشْبِهِمْ أَنْسَدَ (بغية الملتصق
 : ٩٤):

رَكِبْتُ إِلَى نَارِ الْجَحِيمِ مَسِيرُهُمْ وَرِكَابُهُمْ لَا تَسْتَطِيعُ مَسِيرًا^(٥).
 الْحَمِيُّ مِنْهُمْ لَا يُرَى مُسْتَوَظِنًا، وَالْمَيْتُ مِنْهُمْ لَا يُرَى مَقْبُورًا^(٦).
 مِمَّا يَزِيدُ الْأَرْضَ طَيِّبًا أَنَّهَا لَفَطَّتْ عِدَاتَكَ أَبْطُنًا وَظَهُورًا^(٧).

- (١) السداد (بالفتح): صحة الرأي والاستقامة. صاف السهم بصيف: مال، المحرف عن هدفه.
 (٢) الندمان (بالضم) جمع نديم: الرفيق الذي يشرب الخمر مع الآخرين - الملموح أن الزجاجة هنا كأس أو قمع.
 (٣) نصباً بها (فيها) شمس المدامة (الخمر). يشبه الخمر (الحمراء المنيرة) بشمس تغرب في (زجاجة أو وعاء أسود). الجنج (بالضم): جانب من الليل.
 (٤) حينما تنزل الخمر في الزجاجة السوداء، فإن تلك الزجاجة السوداء (تجمد: تنكسر، أي تستر) لون الخمر (الأحمر الجميل).
 * راجع المغرب ١: ٣٢٣ - ٣٢٤. ونفع الطيب ٤: ٦٥ - ٦٦. وكان الجزيري هذا شاعراً أيضاً.
 (٥) الركب: الجماعة يركبون الإبل أو الخيل معاً (في السفر). الركاب (هنا): الإبل الموكوبة (يشبه الشاعر الحنب الذي صلب عليه أولئك الأشخاص بالإبل التي يسافر الناس عليها).
 (٦) مستوطن: ساكن في بلد. الحمي... (الذي لا يزال حياً على الخشبة التي صلب عليها).
 (٧) في الأصل غداتك (بالفتح المجددة). عداتك (بالضم) أعدائك. لفظت الأرض عداتك (لم تقبل أن تحويهم) أبطننا (جمع بطن) أن بدفتوا في جوفها؛ وظهوراً (جمع ظهر) أن بطرحوا على سطحها. فازدادت الأرض بذلك طيباً (رائحة طيبة وطهارة).

٤- ** زاد المسافر ٥١ - ٥٧ بغية الملتبس ٤٩٣ - ٤٩٤ (رقم ١٤٩٣)؛ وفيات الأعيان ١٣: ٧ - ١٤ شذرات الذهب ٤: ٤٣٩٥ نفع الطيب ٣: ٢٠٦، ٢٣٧ - ٢٤١، ٣٣٥ - ٣٣٧ نيكل ١٨٧ - ١٨٨ مختارات نيكل ١٩٧ - ١٩٩؛ الأعلام للزركلي ٨: ١٧٨ - ١٨٨ (١٥٢).

حَفْصَةُ بِنْتُ الْحَاجِّ الرُّكُونِيَّةُ

١- هِيَ حَفْصَةُ بِنْتُ الْحَاجِّ، كَانَ مَوْلُودَهَا فِي غَرْنَاطَةَ بُعِيدَ سَنَةِ ٥٣٠ هـ (١١٣٥ م) فِي أُسْرَةٍ ذَاتِ شَرَفٍ وَجَاهٍ وَغَنَى. وَشَبَّتْ حَفْصَةُ فَكَانَتْ فَتَاةً جَمِيلَةً ذَكِيَّةً مُتَأَدِّبَةً مُتَّقِنَةً.

لَا نَعْرِفُ مِنَ الْأَحْدَاثِ الْأُولَى فِي حَيَاةِ حَفْصَةَ بِنْتِ الْحَاجِّ إِلَّا حُبَّهَا لِأَبِي جَعْفَرِ أَحْمَدَ بْنِ سَمِيدِ الْعَنْسِيِّ، وَقَدْ تَبَادَلَا الرِّسَالَةَ نَثْرًا وَنَظْمًا وَنَعِمًا بِالْحُبِّ مُدَّةً تَمَّ حَالَتِ حَيَاتِهَا مَأْسَاءً حِينَمَا وَلَعَّ بِهَا أَبُو سَمِيدٍ عَثْمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ وَالِي غَرْنَاطَةَ وَوَلَعَتْ هِيَ بِوَيْلِهِ، فَيَا بَدُو.

فِي سَنَةِ ٥٥٦ هـ (١١٦١ م) جَازَ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بْنُ عَلِيٍّ إِلَى الْأَنْدَلُسِ لِلجِهَادِ، فَبَعَثَ أَبُو سَمِيدٍ عَثْمَانَ حَفْصَةَ بِنْتَ الْحَاجِّ وَافِدَةً عَلَى أَبِيهِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ، فَأَكْرَمَهَا عَبْدُ الْمُؤْمِنِ وَوَهَبَهَا قَرْيَةَ قُرْبَ غَرْنَاطَةَ تُدْعَى الرُّكُونَةَ (بِفَتْحِ الرَّاءِ أَوْ بضمها). وَمِنذُ ذَلِكَ الْحِينِ أَصْبَحَتْ تُدْعَى «الرُّكُونِيَّةُ» (فَهِيَ حَفْصَةُ بِنْتُ الْحَاجِّ الرُّكُونِيَّةُ لَا حَفْصَةُ بِنْتُ الْحَاجِّ الرُّكُونِيَّةُ).

وَلَمَّا قَبِلَ أَبُو جَعْفَرِ بْنِ سَمِيدٍ، سَنَةَ ٥٥٩ هـ، حَزَنَتْ حَفْصَةُ عَلَيْهِ وَلَبَسَتْ السَّوَادَ وَمَالَتْ إِلَى الرَّهْدِ وَتَرَكَتْ قَوْلَ الشِّعْرِ. وَيَبْدُو أَنَّ حَفْصَةَ انْتَقَلَتْ، فَيَا بَعْدُ وَشَيْكَأً إِلَى مَرَاكُشَ تَمَّ دَخَلَتْ بِلَاطِ الْمُوحِدِينَ لِتَعْلِيمِ الْأَمِيرَاتِ وَتَهْدِيهِنَّ. وَأَرْجَحُ أَنَّ يَكُونُ ذَلِكَ فِي أَيَّامِ أَبِي يَعْقُوبَ يَوْسُفَ بْنَ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ ثَانِي سُلْطَانِ الْمُوحِدِينَ (٥٥٨ - ٥٨٠ هـ). تَمَّ اسْتَمَرَّتْ تَفْعَلُ ذَلِكَ فِي أَيَّامِ الْمَنْصُورِ. وَيُسْتَبَعْدُ أَنَّ تَكُونُ بَدَأَتْ التَّعْلِيمَ لِبَنَاتِ أَبِي يَوْسُفَ يَعْقُوبَ الْمَنْصُورِ الَّذِي وُلِدَ سَنَةَ ٥٥٤ هـ (١١٥٩ م) وَجَاءَ إِلَى الْعَرْشِ سَنَةَ ٥٨٠ هـ (١١٨٤ م).

وكانت وفاة حفصة الركونية، سنة ٥٨٩ هـ (١١٩٣ م) في الأغلب، وفي مدينة مراكش. ووفاتها في معجم الأدباء (١٠: ٢٢٧، بالأحرف) سنة ٥٨٦ هـ.

٢- كانت حفصة بنت الحاج الركونية أستاذة قديرة وأديبة بارعة وشاعرة كبيرة؛ وهي بلا ريب أشهر شاعرات الأندلس، ولعلها أكبرهن. كانت سريعة الخاطر رقيقة الشعر تميل إلى شيء من الصناعة؛ وفي شعرها كثير من الصديق وشيء من التهمك والفكاهة. وتدور فنون شعرها على المدح والعتاب والغزل في الأكثر؛ ومُعظم شعرها في المناسبات التي ربطتها بأبي جعفر أحمد بن سعيد وبالمناسبات التي جمعتها به. ويرى نيكل (ص ٣١٧) أن قصة حفصة وابن سعيد تشبه قصة ولادة وابن زيدون، إلا أنها أقرب إلى النفس وإن كانت أقل تلويناً وعنفاً.

٣٠- مختارات من شعرها:

- من مقطعات حفصة في صلتها بأبي جعفر بن سعيد:

★ ★ يا مدعي في الحُسن والغرام الإمامة^(١)،
أتى قريضك، لكن لم أرض منه نظامه.
أمدعي الحبيبَ يثني بأس الحبيب زمامه؟
ضللت كل ضلال، ولم تُفدك الزعامه.
ما زلت تصحبُ منذ كنت في السباق السلامه،
حتى عثرت وأخجلت بأفضاح السامه^(٢)
بالله، في كل وقتٍ يُدي السحاب أنجامة^(٣)؛

(١) في هوى الحسن و (في) الغرام الإمامة.

(٢) - لم تكن تغامر (وتعلن حبك لي).... ثم شمت (مللت) هذا الكنان فبعت بالحب (في أبيات أرسلتها إلي) فانتضحت!

(٣) كذا في الأصل. والتخريج المقول: بالله (للقسم). في كل وقت (ليس في كل وقت) لأن حرف النفي يحذف بعد القسم - في القرآن الكرم (١٢: ٨٥، يوسف): قالوا: تالله، تفتأ تذكر يوسف (= تالله، لا تفتأ تذكر يوسف). وقال السري الرفاء (ت ٣٦٢ هـ): =

والزهْرُ في كلِّ حين
لو كنتَ تعلمُ عُذري
* * أزوركُ أم تَرورُ! فإنَّ قلبي
وقد أمنتُ أن تظها وتضحى
فتغري مَوْرِدَ عَذْبِ زُلَالٍ،
فمَجَّلْ بالجوابِ؛ فما جميلٌ
* * ثنائي على تلك الثنايا لِأنتي
وأنصفها - لا أكذبُ الله - إنَّني
* * سلوا البارِقَ الخفَّاقَ واللَّيلُ ساكنُ:
لعمري لقد أهدى لقلبي خَفَقَه
* * أغارُ عليك من عَيْنِي رقيبي
ولو أتي خَبَأْتُكَ في عيوي
* * لعمركُ ما سرُّ الرياضِ بوصلنا

يَشُقُّ عنه كماه^(١).
كففتَ غربَ الملامه^(٢).
إلى ما تشتهي أبدأ يميل^(٣).
إذا واهي إليَّ بك القبول^(٤):
وقرَع ذوائبي ظلُّ ظليل^(٥).
إباؤك عن بُيْتَنَةٍ، يا جميل^(٦)!
أقول على علمٍ وأنطقُ عن خَبر^(٧)،
رَشَفْتُ بها ريقاً أرقُّ من الخمر!
أظللُّ بأحبابي يذكُرني وهنا^(٨) م
وأمطر عن مُنهلٍ عارضِهِ الجفنا^(٩).
ومنك ومن زمانك والمكان.
إلى يوم القيامة ما كفاي.
ولكنَّه أبدي لنا العِلِّ والحدِّ؛

تالله، أعهد في الهوى

ما دمست مسودَّ العداثر.

أي: لا أغدر في الهوى.

- (١) الكمامة: كأس الزهرة قبل أن تتفتح (الأوراق الخضراء التي تغلف الزهرة). والكمامة هنا جنة (جنينة) لابن جعفر بن سعيد. وذكر الكمامة هنا إشارة فمهما ابن سعيد على أنها كانت دعوة من حفصة إلى الاجتماع به في ذلك المكان (راجع نفع الطيب ٤: ١٧٤).
- (٢) الغرب: الحد (حدّ السيف). غرب الملامة: اللوم القاسي.
- (٣) في مجسم الأدباء (١٠-٢٢٥): وكتبت حفصة إلى بعض أصحابها: «أزورك... الخ».
- (٤) تظأ: تعطش. تضحى: تبرد.
- (٥) الفرع: الشعر (بفتح الشين).
- (٦) بيْتَنَةٌ حبيبة جميل بن معمر (من الحبّين العذريّين في العصر الأموي).
- (٧) الثنايا: الأستان.
- (٨) وهنا: بعد منتصف الليل.
- (٩) المنهل: الساطع بكثرة. الجفن: جفن العين - جعلني هذا البرق (لما تذكرتك به) أبكي بدموع أكثر غزارة من المطر.

ولا صَفَقَ النهرَ آرتياحاً لقربنا . ولا صَدَحَ القُمْرِيُّ إلإلها وجد^(١) .
 فلا تُحسِنَ الظنَّ الذي أنتَ أهلهُ ، فما هو في كلِّ المَواطِنِ بالرَّشَدِ^(٢) .
 فما خِلْتُ هذا الأفقَ أبدي نجومه . لِأمرِ سِوى كِما تكونُ لنا رصد^(٣) .

٤- ** معجم الأدباء ١٠: ٢١٩ - ٢٢٧ المغرب ٢: ١٣٨ - ١٣٩ المطرب ١٠: تحفة
 القادم ١١٦٧ الإحاطة ١: ٤٩٩ - ٥٠٢ نفع الطيب ١: ١٧٦، ٣: ١٨، ٤: ١٧١ -
 ١٨١ نيكل ٣١٧ (راجع ٣١٧ - ٣٢٤) بروكلمان ١: ملحق ١: ٤٨٢ :
 الأعلام للزركلي ٢: ٢٩٢ (٢٧٤) بالنشأ ١٢٧ - ١٢٨ .

الإمام الشاطبي

١ - هو أبو محمد القاسم بن فيره بن خلف بن أحد الشاطبي الرُعَيْنِيُّ، نسبة إلى ذي
 رُعَيْنٍ أحدِ أقبالِ (ملوك) اليمن .

وُلِدَ الشاطبيُّ في آخرِ سَنَةِ ٥٣٨ هـ (مطلع صيف ١١٤٤ م) في مدينة شاطبة. وقرأ
 الشاطبي القراءاتِ على أبي علي بن محمد بن علي النَّفْزِيِّ. ثمَّ إنَّه انتقل إلى بَلَنْسِيَّةَ
 وقرأ كتاب التسهيل على أبي الحسن محمد بن علي بن هُذَيْل (ت ٥٦٤ هـ) وسَمِعَ من أبي
 عبد الله محمد بن عبد الرحيم (ت ٥٦٧ هـ). وكذلك سمع من أبي الحسن علي بن عبد الله
 ابن النعمة (ت ٥٦٧ هـ) ومن ابن سعادة^(٤).

وَرَحَلَ الشاطبي إلى مِصْرَ واستوطن القاهرةَ وحَضَرَ مُدَّةَ مجالسِ المحافظِ أبي
 طاهرٍ أحمد بن مُحَمَّدِ السلمي (ت ٥٧٦ هـ). ولَمَّا أنشأ القاضي الفاضلُ مدرسته
 « الفاضلية » (٥٨٠ هـ) عيَّن فيها الشاطبيَّ لإقراء القراءاتِ واللغة والنحو.

(١) صدح: غنى. وجد يجد موجدة: أبيض.

(٢) الظنَّ الذي أنتَ أهله (يليق بك): أن تظنَّ ظناً حسناً في كلِّ شيء.

(٣) الرصد = الراصد: من يرصد النجوم (هنا: الرقيب، المنتظر الذي يريد إيقاع الشر بالآخرين).

(٤) هنالك اثنان يعرفان بابن سعادة: أبو عبد الله محمد بن يوسف (توفي في شاطبة سنة ٥٦٦ هـ) ثم أبو عبد
 الله محمد بن عبد العزيز (ت ٦١٤ هـ) من أهل شاطبة.

ويبدو أن الشاطبي عَمِي، وهو في مصر^(١). وكانت وفاته في القاهرة في ٢٨
جُمادى الآخرة ٥٩٠ (١١٩٤/٧/١٤ م).

٢ - كان الشاطبي مُقَرَّباً فقيهاً حافظاً للحديث بصيراً باللغة والنحو واسع العلم.
وكان له شعرٌ فيه شيء من التعميد. غير أن شهرته تقوم على مؤلفاته، وأهمُّ هذه
المؤلفات وأشهرها جِرُّ الأمانى ووجه التهاني، وهي قصيدةٌ في القراءات (لقرآات
القرآن) فيها ١١٧٣ بيتاً وتُعرفُ باسم القصيدة الشاطبية أو بالشاطبية فحسب. ثم له
عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد (خسمائة بيت على رويِّ الدال، في الرسم -
أي الهجاء في المصاحف - من قرأها أحاط بكتاب التمهيد لابن عبد البر).
وللشاطبي كتب أخرى منها: كتاب الوُوقوف (المواضع التي يجب الوقوف عليها في
القرآن الكريم أو يَحْرُمُ أو يجوز أو يُستحسن التلح). - تفسير القرآن - رسالة في
طبقات المفسرين - رسالة في إعجاز القرآن - طبقات القراء - نظيمة الزهر في عدد
آيات القرآن الشريف واختلاف أهل الأمصار فيها - الخ.

٣ - مختارات من شعره:

- في نفع الطيب (٢: ٢٣): بعث الأميرُ عزُّ الدين بنُ موسك^(٢) إلى الشيخ
الشاطبي يدعوه إلى الحضور عنده، فأمرَ الشيخُ بعضَ أصحابه أن يكتبَ إلى عزِّ
الدين هذا:

قلْ للأميرِ مقالَةً من ناصحِ فطنٍ نبييه:
إنَّ الفقيسةَ إذا أتى أبوابكم لا خيرَ فيه.
- ومن نظمه (نفع الطيب ٢: ٢٣):

خالصتُ أبناءَ الزمانِ فلم أجدُ من لم أرُم منه آرتيادي مخلصي^(٣).

(١) راجع معجم الأدباء ١٦: ٢٩٥ و٥٩٦.

(٢) موسك (تصغير موسى)، وهو ابن خال صلاح الدين الأيوبي.

(٣) خالصت... عاشرت الناس باخلاص فلم أجد أحداً منهم لم آمن أن أتخلص من شره.

رُدُّ الشباب، وقد مضى لسبيله، أهيا وأمكن من صديقٍ مُخلص^(١).

- من الشاطبية (حز الأمانى ووجه التهاني):

هذه الأرجوزة تجمع القراءات في القرآن الكريم مع نسبة كلِّ قراءة إلى قارئها. ولكن هذا الموضوع لا يَلِينُ للشعر ولا يُطِيع الوزن والقافية إلا مع التكلّف الشديد. من أجل ذلك جاءت هذه الأرجوزة (بخلاف ما يُقال فيها) غامضةً مُعقّدة، وفيها كثيرٌ من الجوازات في النظم وفي القوافي وفي اللغة أيضاً. وقلُّ أن ينفع بها إلا من كان يَعْرِفُ القراءات معرفةً واسعةً (والغاية من هذه الأرجوزة أن تُذَكَّرَ مثل هذا الرجل بما يحفظ).

ولقد اخترتُ من هذه الأرجوزة عدداً من أبياتها وحاولتُ شرح تلك الأبيات بقدر الحاجة إلى فهم الأبيات وبقدر طاقتي.

- من الشاطبية (حز الأمانى ووجه التهاني):

(أ) المقدّمة:

بدأتُ بِسْمِ اللَّهِ فِي النِّظْمِ أَوْلاً . تَبَارَكَ رَحْمَاناً رَحِيماً وَمَوْئِلاً^(٢) .
وَتَبَّيْتُ صَلَّى اللَّهُ رَبِّي عَلَى الرِّضَا . مُحَمَّدٍ الْمَهْدِيِّ إِلَى النَّاسِ مُرْسِلاً ،
وَعِزَّتِهِ ثُمَّ الصَّحَابَةِ ثُمَّ مَنْ . تَلَاهُمْ عَلَى الْإِحْسَانِ بِالْخَيْرِ وَبِلا^(٣) .
وَتَلَّسْتُ أَنْ الْحَمْدَ لِلَّهِ دَائِماً ؛ . وَمَالِيسَ مَبْدُوءَ آبِهِ أَجْذَمُ الْعَلَا^(٤) .
وَبَعْدُ ، فَحَبَّلُ اللَّهُ فِينَا كِتَابَهُ . فَجَاهِذْ بِهِ حَبْلَ الْعِدَا مُتَّحِبِلاً^(٥) .

(١) أهياً: أسهل في الوصول إليه. أمكن: أكثر ثباتاً ودواماً.

(٢) موئلاً: ملجأً. التجاء (إلى الله واتكال عليه).

(٣) العترة: الأقارب. الصحابة: أصحاب رسول الله. تلاهم: تبعهم (من تلاهم: التابعون، الذين لم يعرفوا رسول الله. ولكن عرفوا أصحابه). وبلا - المقصود جمع وايل: مطر كثير.

(٤) أجزم: مقطوع. العلا: الرأس.

(٥) الحبل (هنا): ما يتمسك الناس به (كيلا يهلكوا أو يضلوا). تحبل الرجل الصيد: أخذه بشرك من الحبال (نصب الحبال لكانت أعداء الدين).

وأخْلَقَ به، إذ ليس بِمَخْلُوقِ جِدَّةٍ، وقَارَأَهُ المَرُضِيَّ قَرَّ مِثَالَهُ هو المَرُضِيُّ أَمَا إِذَا كَانَ أُمَّةً هو الحَرَّ، إِنْ كَانَ الحَرِيَّ حَوَارِيَا وَإِنَّ كِتَابَ اللَّهِ أَوْثَقُ شَافِعٍ وَخَيْرُ جَلِيسٍ لَا يُمَلِّ حَدِيثُهُ، وَحَيْثُ الفَتَى يَرْتَاعُ فِي ظُلْمَاتِهِ هُنَالِكَ يَهْنِيهِ مَقِيلًا وَرَوْضَةً، يُنَاشِدُ فِي إِرْضَائِهِ لِحَبِيبِهِ، فَيَا أَيُّهَا القَارِي بِهِ مَتَمَسِكًا هَنِئُتَا مَرِيئًا، وَالدَّكَ عَلَيْهَا

جَدِيدًا مَوَالِيَهُ عَلَى الجِدِّ مُقْبَلًا^(١)، كَالأَنْجِ حَالِيَهُ مَرِيحًا وَمُوكِلًا^(٢)، وَيَمَمَهُ ظِلُّ الرِّزَانَةِ قَنَقَلًا^(٣)، لَهُ بَنَحَرِيهِ إِلَى أَنْ تَنَبَّلًا^(٤)، وَأَغْنَى غَنَاءً وَاهِبًا مُتَفَضَّلًا^(٥)، وَتَرَدَادُهُ يَزْدَادُ فِيهِ تَجَمُّلاً، مِنَ القَبْرِ يَلْقَاهُ سَنًا مُتَهَلَّلًا^(٦)، وَمِنْ أَجَلِهِ فِي ذِرْوَةِ العِزِّ يُجْتَلَى^(٧)، وَأَجْدِرُ بِهِ سُوْلًا إِلَيْهِ مُوصِلًا^(٨)، مُجَلًّا لَهُ فِي كُلِّ حَالٍ مُبَجَّلًا، مَلَابِسُ أَنْوَارٍ مِنَ التَّاجِ وَالحُلَى^(٩) .

- (١) أَخْلَقَ بِهِ (مَا أَحَقَّهُ، مَا أَحَسَّهُ، أَيْ القَرَانَ). لَا يَخْلُقُ (لَا يَبْلِي، لَا يَبْصَحُ قَدِيمًا). جِدَّةٌ: (سَيِظَلُّ جَدِيدًا مِمَّا يَفْرَأُهُ النَّاسُ وَلَا تَنْتَهِي عَجَائِبُهُ). مَوَالِيَهُ (هُنَا) مَصَافِيهِ (المَقْبَلُ عَلَى قِرَائَتِهِ بِإِخْلَاصٍ).
- (٢) قَرَّ مِثَالُهُ: صَحَّ تَشْبِيهِهِ. كَالأَنْجِ (أَجْمَلُ الهَمْزَةِ هَمْزَةٌ وَصَلَّ لِيَسْتَقِيمَ الوِزْنُ): بَوَعٌ مِنَ اللَّيْمُونِ طَيِّبِ الرَّائِحَةِ. حَالِيَهُ (حَالَاهُ؟) مَرِيحًا وَمُوكِلًا (لِلنَّمِّ وَلِلأَكْلِ: طَيِّبٌ فِي الحَالَيْنِ).
- (٣) إِذَا كَانَ أُمَّةً: إِذَا كَانَ الفَرْدَ الوَاحِدَ يَقُومُ فِي الحَيَاةِ وَالإِصْلَاحِ مَقَامَ جَمَاعَةٍ. يَمَمَهُ: قَصْدُهُ. ظِلُّ الرِّزَانَةِ (الوَقَارِ): هُوَ لِمَكَانَتِهِ تَسَبُّبُ الرِّزَانَةِ إِلَيْهِ. القَنَقَلُ: المَكْيَالُ الضَّخْمُ، وَتَاجٌ لِكِسْرَى (اِكْتَسَبَتِ الرِّزَانَةُ مِنْ صِفَاتِهِ؟).
- (٤) الحَرِيَّ: الجَدِيرُ (بِالعِلْمِ). حَوَارِيَا (بِتَخْفِيفِ البَيَاءِ، وَحَقَّقَهَا التَّشْدِيدُ): تَابِعَا (نَاصِرًا لِلحَقِّ وَالعِلْمِ). التَّحَرِّيُّ: البَحْثُ عَنِ الحَقِيقَةِ وَالصَّوَابِ. تَنَبَّلٌ: مَاتَ.
- (٥) أَغْنَى غَنَاءً: أَحَقَّ الكِتَابَ بِأَنْ تَسْتَفِي بِهِ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهِ.
- (٦) - وَإِذَا دَفِنَ الإِنْسَانَ فِي قَبْرِهِ، فَإِنَّ حَفْظَهُ المَاضِي لِلقَرَانَ يَبْصِحُ لَهُ نُورًا (فِي قَبْرِهِ). السَّنَا: الضَّوءُ. مُتَهَلَّلٌ: فَرِحَ. يَرْتَاعُ: يَخَافُ.
- (٧) يَكُونُ القَبْرُ لَهُ مَقِيلًا (سَكَنًا) وَرَوْضَةً (مَنْزَةً). يُجْتَلَى: يَبْرَى.
- (٨) - وَمِنْ حَفْظِ القَرَانَ طَلَبَ القَرَانَ لَهُ المَغْفِرَةُ بِالإِطْمَاحِ مِنْ حَبِيبِهِ (اللَّهُ تَعَالَى). وَإِذَا شَفَعَ القَرَانَ لِأَحَدٍ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقْبَلُ هَذِهِ الشَّفَاعَةَ.
- (٩) وَأَجْرُ حَفْظِ القَرَانَ يَنَالُ وَالدِّيُّ الحَافِظُ أَيْضًا.

فما ظنكم بالنجل عند جزائه؟ أولي البر والإحسان والصبور والتقوى، عليك بها ما عشت فيها منافساً، جزى الله بالخصيرات عنا أئمةً فينهم بدور سبعة قد توسّطت لها شهبٌ عنها استنارت فنورت وسوف تراهم واحداً بعد واحدٍ تحيّرهم نقادهم كلُّ بارعٍ، فأما الكريم السير في الطيب نافعٌ، وقالون عيسى ثم عثمان ورشهم ومكة - عبد الله فيها مقامه روى أحد البري له ومحمد

وأولئك أهل الله والصفوة الملائكة: حلاهم بها جاء القرآن مفصلاً (٢). وبيع نفسك الدنيا بأنفاسها العلى (٣). لنا نقلوا القرآن عذباً وسلسلاً (٤). سلمه العلى والعدل زهراً وكُملاً (٥). سواد الدجى حتى تفرق وأنجلي (٦). نفع اثنين من أصحابه مُتميلاً (٧). وليس على قرآنه متأكلاً (٨). فذاك الذي اختار المدينة منزلاً (٩). بصحبته الهدى الرفيع تأتلاً (١٠). هو ابن كَبِيرٍ كاتر القوم مُعتلاً (١١). على سنَدٍ، وهو الملقب قنبلاً (١٢).

- (١) النجل: الابن. الملائكة الأشراف. - إذا كان ذلك (البيت السابق) أجر الوالدين من ابنها، فما قولك بأجر الابن نفسه؟
- (٢) حلاهم: صفاتهم.
- (٣) الدنيا (الدنية). - تدلّ بالنفس الواحدة الدنية (في هذه الحياة) نفوساً كثيرة سامية (في الآخرة).
- (٤) السلسل: السهل الجريان في الخلق.
- (٥) الأزهر: الأبيض، اللامع (المشهور) الكَمَل (بمقد الكلمة. يفتح ففتح): الكاملون.
- (٦) الشهاب (هنا): النجم اللامع الظاهر. أنجلي الدجى (الظلام): زال. تفرق. ستأني أساؤهم.
- (٧) سيذكر الشاطبي كل قارىء حافظ للقرآن) ويذكر اثنين من أتباع كل واحد منهم.
- (٨) النقاد (المعارفون بقراءة القرآن) هم الذين اختاروا هؤلاء القراء الحفّاظ للقرآن) ومن ليسوا من المتأكّلين (المتكسّبين، المرتزقين) بقراءة القرآن.
- (٩) نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم (ت ١٦٩ هـ = ٧٨٥ م)، من أهل اصفهان ومنزله (مسكنه) في المدينة.
- (١٠) قالون هو أبو موسى عيسى بن مينا (ت ٢٠٥ هـ) ثم أبو سعيد عثمان بن سعيد المصري، ولقبه ورش (ت ١٩٧ هـ). تأتل: تشبه. الهدى الرفيع يتأتل (يتخلّق بأخلاق) قالون.
- (١١) أبو معبد عبد الله بن كثير المكيّ (ت ١٢٠ هـ). كاتر القوم: زاد عليهم (بالعلم). معتل: قد علا فوق أُنْداده (٤).
- (١٢) أبو الحسن أحمد بن محمد بن أبي برّة من أهل مكة (ت ٢٤٣ هـ). البري بالفتح (٤). ثم أبو عمر محمد بن عبد الرحمن، ولقبه قنبيل (ت ٢٩١ هـ).

- وأما الإمام المازني صريحهم
أفاض على يحيى اليزيدي سنيته
أبو عمر الدوري وصالحهم أبو
وأما دمشق الشام دار ابن عامر،
هشام وعبد الله كان أتسابه
وبالكوفة الفراء منهم ثلاثة
فأما أبو بكر، وعاصم أسمه،
وذاك ابن عيَّاش أبو بكر الرضا
وحزة ما أزكاه من متورع
- أبو عمرو البصري والده العلاء (١)
فأصبح بالمدب الفرات معللاً (٢)
شعيب هو السوسي منه تقبلاً (٣)
فتلك بعبد الله طابت محللاً (٤)
لذكوان بالإسناد عنه تنقلاً (٥)
أذاعوا، فقد ضاعت شذأ وقرنفلاً (٦)
فشعبة راويه المبرز أفضلًا (٧)
وحفص وبالاتقان كان مفضلًا (٨)
إماماً صبوراً للقران مرتلاً (٩)

- (١) المازني هو أبو عمرو بن العلاء البصري (ت ١٥٤ هـ). صريحهم (كان عربياً خالص النسب، وكانوا هم موالي: غير عرب). وفي نسب المازني خلاف.
- (٢) يحيى بن المبارك اليزيدي (ت ٢٠٢ هـ) من أهل البصرة. السبب: العطاء (من العلم). الفرات: الحلو (المازني أفاض علمه على اليزيدي). المثلل: الذي يسقى الماء شيئاً فشيئاً.
- (٣) وقد قرأ على اليزيدي اتنان: أبو عمر حفص بن عمر بن عبد العزيز الدوري الكوفي (ت ١٩٤ هـ) ثم أبو شعيب صالح بن زياد السوسي (ت ٢٦١ هـ).
- (٤) المثلل: المكان الذي ينزل فيه الناس (يسكنونه). أبو عمران عبد الله بن عامر بن يزيد اليحصي (ت ١١٨ هـ) ولد في قرية رحاب من البلقاء (شرق نهر الأردن) ثم انتقل إلى دمشق وسكنها.
- (٥) أبو الوليد هشام بن عمار الدمشقي (ت ٢٤٥ هـ) ثم أبو عمرو عبد الله بن أحمد بن بشير بن ذكوان (ت ٢٤٢ هـ)، بالإسناد عنه (عن عبد الله بن عامر) تنقلاً (نقل عنه غير مباشرة، بل بواسطة آخرين بينها وبين ابن عامر).
- (٦) الفراء: البيضاء (المشهوره). أذاعوا: نشرها (القراءة للقرآن). ضاعت الرائحة: انتشرت. الشذا: الرائحة (الطيبة) القوية.
- (٧) أبو بكر عاصم بن أبي النجود (ت ١٣٧ هـ) أخذ عنه شعبة، وهو في الأغلب أبو بطام شعبة بن الحجاج البصري (ت ١٦٠ هـ). أفضل: زاد في الفضل على غيره.
- (٨) أبو بكر بن عيَّاش بن سالم الكوفي أخذ عن عاصم بن أبي النجود (راجع وفيات الأعيان ٣: ٩). الرضا: العدل. ثم أبو عمرو حفص بن سليمان الكوفي (ت ١٨٠ هـ)، بالاتقان كان مفضلًا (على أي بكر ابن عيَّاش).
- (٩) حزة بن حبيب الزيات الكوفي (ت ١٥٤ أو ١٥٨ هـ) كان متورعاً (لا يأخذ أجرأ على تعليم القرآن) صبوراً (على العبادة) قليل النوم بالليل. مرتل (كان يرى دائماً وهو يرتل القرآن).

روى خَلَفَ عنه وخَلَادُ الذي رواه سُلَيْمٌ مُتَقَنًا وَمُحَصَّلًا (١).
 وَأَمَّا عَلِيُّ فَالْكِسَائِيُّ نَعْتُهُ لِأَنَّ كَانُ بِالْإِحْرَامِ فِيهِ تَسْرِبَلًا (٢).
 روى لَيْثُهُمْ عَنْهُ أَبُو الْحَارِثِ الرُّضَا
 وحفصٌ هو الدَّوْرِيُّ، في الذِّكْرِ قد خَلَا (٣)
 أَبُو عَمْرٍو وَالْيَحْصِيُّ ابْنُ عَامِرٍ صرِيحٌ، وَبَاقِيَهُمْ أَحَاطَ بِهِ الْوَلَا (٤).
 لَهُمْ طُرُقٌ يَهْدِي بِهَا كُلُّ طَارِقٍ، وَلَا طَارِقٌ يُخْشَى بِهَا مُتَمَحِّلًا (٥).
 وَهِنَّ اللَّوَاتِي لِلْمَوَاتِي نَصَبَتْهَا مَنَاصِبَ فَاَنْصَبَ فِي نِصَابِكِ مُفْضِلًا (٦).
 وَهِيَ أَنْذَا أَسْمَى لَعَلَّ حُرُوفَهُمْ يَطْوَعُ بِهَا نَظْمُ الْقَوَائِي مُسَهَّلًا (٧).
 جَعَلْتُ أَبَا جَادٍ عَلَى كُلِّ قَارِيٍّ دَلِيلًا عَلَى الْمَنْظُومِ أَوَّلًا (٨).
 وَمِنْ بَعْدِ ذِكْرِي الْحَرْفِ أَسْمَى رِجَالَهُ؛ مَتَى تَنْقُضِي آتِيكَ بِالْوَاوِ فَيَصِلَا (٩).

- (١) أبو محمد خلف بن هشام البزار الأسدي (ت ٢٢٩ هـ) كان من بلدة قرب واسط ثم انتقل إلى بغداد. ثم أبو عيسى خلاد بن خالد الكوفي (ت ٢٢٠ هـ). ثم سليم بن عيسى بن الكوفي (وفيات ٧: ٢٥٠، المتن والهاشية ٤، راجع ٢: ٢٤١، ٢٤٢). - خلف وخلاد قرأ على سليم، وسليم قرأ على حمزة (راجع الهاشية السابقة). متقن (بحكم ومحفوظ). محصل (مجموع).
- (٢) أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي الكوفي (ت ١٨٩ هـ)، سمي الكسائي لأنه أحرّم (في الحج) في كساء له.
- (٣) أبو الحارث الليث بن خالد أخذ القراءة عن الكسائي. وحفص الدوري في الذكر قد خلا: قد تقدم ذكره (راجع الهاشية ٣ ص ٤٩٨).
- (٤) أبو عمرو المازني (الهاشية ١١، ص ٤٩٨) وعبد الله بن عامر اليحصبي (الهاشية ١٣، ص ١٠١) عربيان، وسائر القراء نوال (أكثرهم من الفرس).
- (٥) الطرق (هنا): طريقة أخذ كل قاري عن سبقة. يهدي (بالبناء للمعلوم في الأغلب). الطارق: النجم المضيء (كتابة عن العالم). المتحمل: الذي يطلب للأمر تفسيراً له وجه له.
- (٦) هن اللواتي (أي القراءات). للمواتي (المواتي): الموافق (الذي يوافق في قراءة هذه الألفية الشاطبية، ويتقن رموزها). نصبها (رفعتها) مناصب (أعلاماً، إشارات ظاهرة). فانصب (اتب)، أجهد نفسك في فهمها). في نصابك (أصلك): في نيتك ومقصودك (نيتك الحسنة في إرادة الفهم)، فضلاً (فتصبح في تحصيل هذا العلم ذا فضل).
- (٧) حروفهم (اختلاف القراء في رواية عدد من ألفاظ القرآن الكريم). طاعه يطووعه: لان له وانقاد. ورياً قصد بقوله «حروفهم»: الحروف التي رمز بها إلى القراء (راجع الهاشية التالية).
- (٨) أباجاد: حروف أبجد هوز حطّي الخ (راجع مقدّمة دراسة الشاطبية، رقم ٢).
- (٩) الحرف (هنا) ما وقع من الاختلاف بين القراء في رواية لفظه من ألفاظ القرآن الكريم. لم يجعل =

سوى أحرفٍ لا ربيبةٌ في اتّصالها ،
وربُّ مكانٍ كُرِّرَ الحرفُ قبلها
ومنهن للكوفيُّ ثاءٌ مثلثٌ
عَنِيْتُ الألى أَنبَيْتُهُم بعدَ نافعٍ
وكوفٌ معَ المَكِّيِّ بالظاءِ مُعْجَبًا
وذو النُقْطِ شينٌ للكسائيِّ وحمزةٌ ،
صِحَابٌ هـا معَ حَفْصِهِم عَمَّ نافعٌ
ومكٌ وحقٌّ فيه وابنُ العلاءِ قُلٌّ .

وباللفظِ أَسْتَفْنِي عن القَيْدِ إن جَبَلًا^(١) .
لها عارضٌ والأمرُ ليس مُهَوَّلًا^(٢) .
وَسِتَّتُهُم بالخاءِ ليس بأَغْفَلًا^(٣) .
وكوفٌ وشامٌ ، ذالهم ليس مُمْفَلًا^(٤) .
وكوفٌ وبَصُرٌ عَيْنُهُم ليس مُهْمَلًا^(٥) .
وقُلٌّ فيها معَ شُعْبَةَ صَحْبَةَ تَلَا^(٦) .
وشامٌ سها في نافعٍ وفتى العَلَاءِ^(٧) .
وقُلٌّ فيها واليَحْصِي نَفْرَ حَلَا^(٨) .

- = الناطبي حرف الواو رمزاً لأحد (لحاجته إليه كثيراً في عطف الألفاظ وعطف الجمل). من أجل ذلك حمل الواو فيصلاً (فاصلاً) بين مجموع من القراءات للفظة ما واللفظة أخرى.
- (١) إذا كان الفرق بين القراء واضحاً (معروفاً) فربما أستمى عن الاتيان بواو العطف. جلا: ظهر. بان.
- (٢) القاعدة أن يذكر الناظم الحرف الذي يرمز إلى الفاريه بعد الواو (التي هي حرف عطف). ولكنه قد يضطر (لإقامة الوزن) أن يأتي بحرف الرمز قبل هذه الواو. لما عارض (ما زائدة): لأمر عارض. مهوّل: يخيف، مفرغ (الأَن مخالفة القاعدة هنا لا تجعل المقصود غامضاً).
- (٣) منهنّ (من حروف الأبهدية). ثاء (منقوطة بثلاث نقط) تدلّ على عاصم بن أبي النجود وحمزة الزبّات والكسائي (وهم الكوفيون) إذا اجتمعوا كلّهم على قراءة واحدة. أمّا إذا اجتمع السّنة القراء (نافع ابن عبد الرحمن وابن كثير والملازمي وابن عامر وعاصم بن أبي النجود وحمزة والكسائي، أي البصريون والكوفيون معاً) فإنّ الناظم يرمز إليهم بالحرف « خاء » (بنقطة من فوقه)، وهو حرف ليس بأغفل (غير منقوط) بل هو منقوط.
- (٤) الذال (هنا) من كلمة « ذا » للرمز. ليس مغللاً (ليس متروكاً بلا نقطة) بل هو منقوط بنقطة. هذا الرمز « ذ » جعله الناظم للدلالة على الكوفيّين وابن عامر (وهو من الشام: سورية).
- (٥) معجم: منقوط. مهمل: غير منقوط. وإذا اجتمع عاصم وحمزة والكسائي (وهم كوفيون) مع ابن كثير (وهو مكّي) على قراءة واحدة رمز إليهم بالحرف « ظ » (بنقطة).
- (٦) والشين (المنقوطة) رمز على حمزة والكسائي معاً. أمّا إذا وافقه شعبة بن الحجاج البصري فإنّ الناظم يرمز إليهم جميعاً معاً بالكلمة « صحبة ». تلا: قرأ.
- (٧) كلمة « صحاب » رمز لما اتّفق على قراءته حفص وحمزة الزبّات والكسائي. وكلمة « عمّ » جعلها الناظم دالّة على اتّفاق لنافع وابن عامر معاً. أمّا كلمة « سها » فهي رمز لنافع وأبي عمرو وابن كثير. وكذلك
- (٨) الكلمة « مك » (وحقٌّ؟) جعلها (جعلها؟) رمزاً لابن كثير وابن عمرو (ابن العلاء). ثمّ إنّ الكلمة « نفر » كانت رمزاً على ما اتّفق في قراءته ابن عامر وابن كثير وأبو عمرو.

وجزيمي المكّي فيه ونافعٌ وحِصْنٌ عن الكوفي ونافِعُهُمَ علا^(١).
ومها أتت من قبلُ أو بعدُ كِلْمَةً
فكُنْ عند شَرْطِي واقضِ بالواوِ فِصْلاً^(٢).
وما كان ذا ضِدِّ فإتِي بضِدِّهِ غنيٌّ، فزاحمٌ بالذكاء لِنَفْضِ^(٣).
كَمَدٌ وإِثْبَاتٌ وفتحٌ ومُدْغَمٌ وهَمْزٌ ونَقْلٌ واختلاسٌ تَحْصِلاً^(٤).

- (١) الكلمة « حرمي » تدلّ على ابن كثير ونافع. وكلمة « حصن » جعلها دالة على نافع وعلى الكوفيين (وهم: عاصم وحزرة والكسائي).
- (٢) هذه الرموز يمكن أن يأتي كلٌّ رمز منها قبل كلمة أخرى - فتكون كلمة « صحاب »، مثلاً (وهي رمز) مضافة إلى غيرها، نحو: صحابيم - وتأتي أيضاً بعد كلمة أخرى، فتكون الكلمة (التي هي رمز) حينئذ مجردة مفردة مستقلة (غير مضافة). فكن عند شرطِي (أي: خذ بالرموز التي شرحتها لك مفردة، ولا يدخل عليك تردّد، إذا أنت رأيت رمزاً من هذه الرموز قبل كلمة أخرى أو بعدها (مضافة أو غير مضافة). فيصل: (رَنَ واوِ المطف هي الدليل على انتقال الناظم من قارىه إلى قارىه (من قرأه القرآن الكريم) ومن مجموعة من القرّاء إلى مجموعة غيرها.
- (٣) إذا كان في قراءة خلاف على التضادّ (قارىه يبدأ بالبسلة وقارىه غيره يترك البسلة)، فالناظم يذكر أحد الوجهين فقط، وأمّا الوجه الآخر (الذي هو الضدّ فيكون مستدرَكاً معروفاً بنفسه. زاحم بالذكاء (نافس غيرك باستخدام ما عندك من الذكاء) لتفضّل (لتكون أفضل من غيرك في هذا المجال).
- (٤) المدّ: اعطاء حرف العلة (الألف بعد حرف مفتوح، والواو بعد حرف مضموم، والياء بعد حرف مكسور)، نحو: قام يقوم نريد (فحقّ الألف والواو والياء هنا أن تمدّ كلّها حركتين: بمقدار ما يعدّ الإنسان على أصابعه «اثين»). فإذا جاء بعد أحرف العلة همزة، نحو جاء، يسوه، البريه، طال حرف العلة أربع حركات. أمّا إذا كان حرف العلة في آخر كلمة تمّ تلا الكلمة أولها همزة، نحو « ما أنزلنا » (فإنّ حرف العلة هنا يطول بمقدار ستّ حركات).
- الإثبات: قراءة الآية على ما هي مدوّنة في المصاحف، نحو: « جنّات تجري من تحتها الأنهار ». وفي عدد من الآيات ورد شيء من الحذف، نحو: « جنّات تجري تحتها الأنهار » (بحذف « من »).
- الفتح: لفظ الألف المقلوّبة عن ياء (أو عن واو) بفتحها ظاهرة، نحو: رأى، تلا، مجراها، ضحاها. وبفهم الفتح إذا قلنا إن ضده « الإمالة » (أي لفظ الألف المقصورة هنا أو الألف الطويلة محيّر بين الفتح والكسر).
- الإدغام ضده (هنا) الإظهار. ففي الإظهار نقول مثلاً: قد جعل (بلفظ الدال والجم مستقلّتين)، وفي الإدغام يقول بعضهم: فجعل (بقلب الدال جيماً وادخالها في جم «جعل». ومثل ذلك: إذ دخل (ادخل) وقل ربّ (قرّب)، وإن يأتيوك (وإيأتوك) ومن يعرض (ويعرض)، الخ.
- الهمز هو لفظ واضح للهمزة: يؤمنون، الذئب، هزواً. وضدّ الهمز: ترك لفظ الهمزة (يؤمنون، الذئب، هزواً).

وَتَثَبَّتْ فِي الْحَالِسِينَ دُرًّا لَوَامِعًا

- وقل قال موسى وأحذيف الوأو دخللا^(١)؛
 وجزم وتذكيرٌ وغيبٌ وخفّةٌ وجمّعٌ وتنوينٌ وتحريكٌ أعمالاً^(٢).
 وحيث جرى التحريك غير مُقَيَّدٍ هو الفتحُ، والإسكانُ أخاه منزلاً^(٣).
 وآخيتُ بينَ النونِ والياءِ، وفتحهم وكسرٍ، وبينَ النصبِ والحفصِ مُنزِلاً^(٤).
 وحيث أقول الضمُّ والرفعُ ساكتاً فغيرُهُم بالفتحِ والنصبُ أقبلاً^(٥).
 وفي الرفعِ والتذكيرِ والغيبِ جُمْلَةٌ على لفظها أُطلقتُ من قِبَدِ الْعَمَلِ^(٦).

النقل: اسكان الحرف وتقدم حركته إلى الحرف الذي قبله: إِنَّ الأرض (بلام التعريف الساكنة وفتح الهززة)، فبالنقل يقال: إِنَّ الأرض (بنقل فتحة الهززة إلى لام وترك لفظ الهززة): «إِنَّ لرض».

- الاختلاس: خطف الحركة (تسكين الحرف المتحرك)، نحو «سرق» (بضم السين وكسر الراء وفتح القاف - مثلاً)، قرأها بعضهم: «سرق» (بضم السين وسكون الراء).
 (١) الدخلل (بضم الدال ثم فتح اللام الأولى أو ضمها): من يداخل غيره في الأمور. لعل المقصود أن نقرأ من القراء يقرأون اللفظ الواحد على وجهين أو أكثر.
 (٢) من الخلاف بين القراء: بالجزم (جزم الفعل للمضارع أو نصبه مثلاً)، والتذكير (أو التأنيث) والغيب: جعل الفعل بصيغة الغائب، نحو: «وسبحوه (هم)» - فمنهم من يقرأ: «وتسبحوه» (أنتم).
 وخفّة (ضد الثقل)، نحو تسهلون (بفتح التاء والسين): يسأل بعضهم بعضاً، في مقابل: «تسألون (بتشديد السين؟)». والجمع (ضد الأفراد): يقرأ بالجمع أو المفرد) إذا كانت الصيغة الواحدة يمكن باختلاف الحركات أن تقرأ مفرداً أو جمعاً، نحو: جدر (بفتح ففتح للمفرد) وجدر (بضم ضم للجمع). والتنوين أو اهل التنوين. ففي قراءة: اهبطوا مصرأ (أي مدينة كبيرة) وفي قراءة ثانية: اهبطوا مصر (القطر المصري). والتحريك (توالي حركتين)، فهناك قراءة: لقد جئت شيئاً نكرأ (بضم فسكون) ثم قراءة ثانية (لقد جئت شيئاً نكرأ بضم ضم).
 (٣) إذا قال: هذه الكلمة بالتحريك فهي بفتح ففتح، نحو: نهر (بفتح النون والهاء) وأما إذا قال بالنسكين فهي «نهر» (بفتح النون وسكون الهاء).
 (٤) إذا قال: إِنَّ فلاناً قرأ فلاناً بالياء (للقائمين): «يكفر عنكم سيئاتكم (مثلاً) يكون غيره يقرأها بالنون (لجمع المتكلم): «نكفر عنكم سيئاتكم» (مثلاً). وأخى أيضاً بين النصب والفتح (قرن بينهما، جعلها دالين على شيء واحد مع أنها أمران مختلفان. إِنَّ الضم والفتح والكسر من الحركات الأصلية في الكلمة. أما الرفع والنصب والجزم فهي علامات للإعراب. نقول: جاء زيد ورأيت زهداً. إِنَّ الضمّين على الدال (من زيد) والفتحتين (من زهداً) هما علامة رفع وعلامة نصب. أما الفتحة والسكون والضمّة الراء والهززة والتاء (في رأيت) فهي من بناء الكلمة (لا تتغير باختلاف الإعراب).
 (٥) و (٦) في هذين البيتين يكرّر الناظم التأكيد: إذا ذكر قراءة أحد القراء بوجه فتكون قراءة القارئ الذي لم يذكره بالوجه الآخر.

وَقَبْلَ وَبَعْدَ الْحَرْفِ آتَى بِكُلِّ مَا
 وَسَوْفَ أُسَمِّي حَيْثُ يَسْمَحُ نَظْمُهُ
 وَمَنْ كَانَ ذَا بَابٍ لَهُ فِيهِ مَذْهَبٌ
 أَهْلَتَ فَلَبَّتْهَا الْمَعَانِي لُبَابُهَا
 وَفِي يُسْرِهَا «التَّيْسِيرُ» رُمْتُ اخْتِصَارَهُ
 وَأَلْفَافُهَا زَادَتْ بِنَشْرِ فَوَائِدِ
 وَسَمَّيْتُهَا «حِرْزَ الْأَمَانِي» تَيْمَنًا
 وَنَادَيْتُ: أَللَّهُمَّ يَا خَيْرَ سَامِعٍ،
 إِلَيْكَ يَدِي، مِنْكَ الْيَادِي تَمُدُّهَا،
 رَمَزْتُ بِهِ فِي الْجَمْعِ إِذْ لَيْسَ مُشْكِلًا (١).
 بِهِ مُوضِحًا جِيدًا مُعِمًّا وَمُخَوِّلًا (٢).
 فَلَا بُدَّ أَنْ يُسَمَّى فَيُدْرَى وَيُقَفَّلًا (٣).
 وَصَفْتُ بِهَا مَا سَاغَ عَذْبًا مُسَلَّسًا (٤).
 فَأَجْنَتُ بِعَوْنِ اللَّهِ مِنْهُ مُؤَمَّلًا (٥).
 فَلَقْتُ حَيَاءً وَجْهَهَا أَنْ تَفْضُلًا (٦).
 «وَوَجْهَ النَّهَائِي» فَأَهْنِيهِ مُتَقَبَّلًا (٧).
 أُعْذِنِي مِنَ التَّسْمِيعِ قَوْلًا وَمَفْعَلًا (٨).
 أَجْرِنِي فَلَا أَجْرِي بِجَوْرِ فَأَخْطَلًا (٩).

- (١) الحرف: القراءة من القرآن الكريم (نهر - بفتح فسكون أو بفتح ففتح - حرفان في اصطلاح قراءة القرآن الكريم). الرمز (هنا) هو الحرف من الحروف الهجائية التي جعلها الناظم علامة على كل قارئ. هذا الحرف الذي هو «رمز» يمكن أن يأتي في أبيات هذه الأرجوزة «قبل» الحرف الذي هو وجه من أوجه القراءة.
- (٢) ولكن ربيًا ذكر الناظم اسم القارئ صراحة (قالون، نافع، الخ) إذا أمكن ذلك في الوزن. موضحًا: مبيّنًا. جيد. عتيق. ممّ (فيه شبه من عمه). مخول: (فيه شبه من خاله). «مجيد ممّ في العشرة مخول» (شطر لامرئيه القيس)، كناية عن صحّة النسب وكرم الأصل.
- (٣) إذا كان لقارئه قراءة خاصّة به لا يقرأ بها أحد غيره فإنّ الناظم يذكر اسم ذلك القارئ صراحة ولا يرمز إليه بحرف من حروف الهجاء.
- (٤) أهلت: طلعت (بدت) كالملال (منيرة). وأهل أيضاً: رفع الرجل صوته (كناية عن الوضوح). لبّتها المعاني (استجاب لها المعاني): استطعت أن أجمع فيها كلّ القراءات. لبابها (بدل من المعاني): الخالص من كلّ شويه (الصحيح، الأصيل). ساغ الشراب (جرى في الحلق بسهولة).
- (٥) اختصر الناظم في هذه الأرجوزة كتاب «التيسير» (في القراءات) لأي عمر و السداني (ت ٤٤٤ هـ - راجع ترجمته في الجزء الرابع).
- (٦) يقول الناظم: ومع أنّ في هذه الأرجوزة أحكاماً أكثر عدداً من تلك الموجودة في كتاب «التيسير»، فإنّي لم أشر إليها كيلا يظنّ نفر من الناس أنّي أريد أن أفتخر على صاحب كتاب «التيسير».
- (٧) فاهنه (اعنا به - فعل أمر) متقبلاً: قابلاً، راضياً بما فيها، ومقبلاً عليها كي تستفيد مما فيها.
- (٨) التسميع: طلب السمّة (الشهرة عند الناس).
- (٩) الجور: الظلم، والحيد (بفتح فسكون عن الطريق السويّ). الخطل (بفتح ففتح). الكلام المضطرب الفاسد.

أَمِينٌ وَأَمْنًا لِلأَمِينِ بِسَرِّهَا ، وَإِنْ عَثَرْتَ فَهُوَ الأَمُونُ تَحْمَلًا (١) .
أَقُولُ لِحُرِِّ والمُرْوَةِ مَرْوُهُمَا لِإِخْوَتِهِ المَرَاةُ فِي التَّوْبِ بِمِثْلِهِمَا (٢) .
أَخِي - أَيُّهَا المَجْتَازُ نَظْمِي بِبَابِهِ - يُنَادِي عَلَيْهِ كَأَسَدُ السُّوقِ : أَجْمِيلًا (٣) .
وظَنَّ بِهَا خَيْرًا وَسَامِحٌ نَسِيبَهُ بِالأَغْضَاءِ وَالمُحْسِنِ وَإِنْ كَانَ هَلْهَلًا (٤) .
وسَلَّمَ لِإِحْسَادِي المُحْسِنِينَ إِصَابَةً
وَالْآخَرَى اجْتِهَادَ رَامَ صَوْبًا فَأَسْحَلًا (٥) .

وَإِنْ كَانَ خَرَقٌ فَادْرِكُهُ بِفَضْلِهِ مِنْ الحِلْمِ ، وَلِيُصْلِحَهُ مِنْ جَادٍ مِقُولًا (٦) .
وَقُلْ صَادِقًا لَوْلَا الوِثَامُ وَرُوحُهُ لِطَاحِ الأَنَامِ الكُلِّ فِي المِخْلَفِ وَالقَلْبِ (٧) .
وَعِشْ سَالِمًا صَدْرًا ، وَعَنْ غَيْبَةٍ فَنِيبٌ تَحَضَّرَ حِظَارَ القُدْسِ أَنْقَى مُغْسَلًا (٨) .

- (١) أمين: (آمين): اسم فعل بمعنى « استجب » (ها رب). أمنا (منصوبة بفعل محذوف): هب لي (يا رب) أمنا. الأمين (الرجل المؤمن على ما في هذه الأرجوزة من الأحكام). وإن عثرت (وإذا كان فيها عثرة: خطأ) فهو (أي القاريء لهذه الأرجوزة) الأمون (الناقة القوية) كتابة عن يستطيع بسعة صدره أن يضي عمّا يمكن أن يكون فيها من الخطأ.
- (٢) الإنسان الحرّ يكون مرآة لإخوانه (يدلهم على عيوبهم من غير أن يقرّعهم أو يفتخر عليهم).
- (٣) « كاسد السوق » إشارة إلى ناظم الأرجوزة، فهو ينادي (يقول لغارتها): أجل (قل فيها قولاً جميلاً - وإن كانت لا تستحقّه).
- (٤) بالإغضاء (بفضّ البصر عن العيوب). المهلhel: الثوب الضعيف النسيج (القول الركيك القليل المعنى).
- (٥) في الأصل: إصابة واجتهاد (بالرفع بضمّتين). ولعل الأصوب نصبها على أنّها مفعول به من « سلّم ». إحدى الحسينين (إشارة إلى الحديث الشريف: من اجتهد وأصاب فله أجران، ومن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد): إذا كان في هذه الأرجوزة صواب فانسبه إلى اجتهد الذي وافق الحقّ. وإن كان فيها خطأ فانسبه إلى حسن ظني ومدى معرفتي (القليلة). الصوب: سقوط الدفعة (بالضمّ) من المطر. أحمل المكان (أجذب) لم يسقط فيه مطر (لقد قصدت أن أصيب فلم يتيسّر ذلك لي).
- (٦) الحرق: الخطأ الواضح الفاضح. وليصلحه (بصحّحه) من جاد (الذي يحسن) مقولاً (القول): من عرف وجه الصواب فيما أخطأت أنا فيه فليتنفّض بأن يدلّ الناس عليه.
- (٧) طاح: هلك، اضطرب؛ تاه، ضلّ. الأنام الكُلّ: كلّ الأنام (الناس). الخلف: الاختلاف. القلى: البغضاء.
- (٨) وعن غيبة (ذكر أخيك بما يكرهه) فغب (اهجر): لا تقل شيئاً رديئاً عن أحد. فإذا فعلت ذلك تحضّر (يدخلك الله) حظار (حظيرة: مكان فيه شجر تقي من الحرّ) القديس (الطهر، المكان الطاهر، التقي): الجنة. انقى مغسلاً (نظيفاً عارياً من كلّ دنس، وسخ، ذنوب).

وهذا زمانُ الصبرِ، مَنْ لكَ بالتي
ولو أنَ عينا ساعدت لتوكّفت
ولكنّها عن قِيوةِ القلبِ قحطها،
بنفسي مَنْ استهدى إلى الله وحده
وطابت عليه أرضه فتفتّقت
فطوبى له والشوقُ يبعثُ همّةً
هو المُجتبى يدعو على الناسِ كلِّهم
يعدّ جميعَ الناسِ مولى لأنهم

كَقَبْضِ عَلَى جَمْرٍ فَتَنْجُو مِنَ الْبَلَاءِ (١)
سَحَابُهَا بِالذَّمْعِ دِيمًا وَهَطْلًا (٢)
فِيَا ضَيْعَةَ الْأَعْمَارِ تَمْشِي سَبَهْلًا (٣)
وَكَانَ لَهُ الْقُرْآنُ شِرْبًا وَمُغْسَلًا (٤)
بِكَلِّ عَيْبِرٍ حِينَ أَصْبَحَ مُخْضَلًا (٥)
وَزَنْدًا الْأَسَى يَهْتَاجُ فِي الْقَلْبِ مُشْعَلًا (٦)
قَرِيبًا غَرِيبًا مُسْتَمَلًا مُؤْمَلًا (٧)
عَلَى مَا قَضَاهُ اللَّهُ يُجْرُونَ أَفْعَلًا (٨).

(١) هذا الزمن الذي نعيش فيه زمن محنة ومصائب وفتن (قتال وعداوات) كقبض على جمر (نار)، لصعوبة الحياة فيه (إشارة إلى الحديث الشريف: يأتي على الناس زمان، الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر).

(٢) لو أن الناس يشعرون بما يحيط بهم من المصائب ويطلّ عليهم من التهديد لتوكّفت (قطرت، بكت) عيونهم. ديمًا (جمع ديمة: مطرة دائمة) وهطلاً: مع هائل: مطر كثير.

(٣) السبهل: الفارغ، المفرد (بنفسه لا شيء معه).. ولكن عيون هؤلاء الناس لا تبكي لقسوة قلوبهم. الأعمار تمشي: تمرّ، تنقضي. تمشي سهلاً (يسير المرء بفرح وتكبر مع أن عمره خال من الأعمال الصالحة).

(٤) - أفدي بنفسي كلّ إنسان يستهدي (يطلب الهداية) من الله وحده ثم يتخذ القرآن (بالاستمرار في قراءته) شرباً (حطاً، نصيباً) ومغسلاً (وسيلة إلى الاغتسال من الذنوب) لأنّ قراءة القرآن تزيد في حسنات قارئه.

(٥) فإذا أكثر المسلم من قراءة القرآن «طابت عليه أرضه» (صلحت حاله بالطاعة) و«تفتّقت» (تشتّقت: انتشر منها) بكلّ عيبِر (رائحة طيبة): شعر بالسرور والسعادة حين أصبح مخضلاً (مبتلاً بالماء): حين تعظم حسناته فيعظم سروره (لكثرة ما ينال من الخيرات من عند الله).

(٦) فطوبى له: ما أسعده (في هذه المدة التي يقرأ فيها القرآن ويقوم بطاعة الله). وزند (حديدة تتدح بها النار من الحجر) الأسى (الحزن) يحتاج في القلب مشعلاً (ندماً على الزمن الذي مرّ في أوّل حياته ولم يكن فيه يقرأ القرآن أو يقوم بفروض الدين).

(٧) هو المجتبى (الذي يقربه الله إليه)، ثم يصحح هذا الإنسان قريباً من الناس (محبوباً عندهم)، ولكن غريباً (لأن أمثاله قليلون) مستملاً (بحبّ الناس أن يقربوه إلى أنفسهم - أو يتقربون منه) مؤملاً (يرجو الناس المعونة منه عند الشدائد).

(٨) مولى (خليقاً بالرعاية). في الأصل «أفضل» (يفتح العين)، ولعلّ الأصوب أن تكون «أفعل» (بضمّ العين (جمع قلة قياساً مثل أجبل وأهر وأجر). يحسن بالعامل أن يعذر الناس لأنّ الأعمال السيئة التي يقومون بها (مثل أعمالهم الحسنّة أيضاً) قد كتبها الله عليهم.

يرى نفسه بالذمّ أولى لأنّها
وقد قيل كُنْ كالكلب يُقصيه أهله
لعلّ الله العرش، يا إخوتي، يتي
ويجعلنا ممن يكون كتابه
وبالله حوّلي واعتصامي وقوّتي،
فيا ربّ، أنت الله حسبي وعدّتي،
على المجد لم تلتق من الصبر والألا (١).
وما يأتي في نصّهم مُتبدلاً (٢).
جاعتنا كلّ المكاره هوّلاً (٣)،
شفيماً له إذ ما نسوه فيمّحلاً (٤).
وما لي إلاّ ستره متجلاً (٥)
عليك اعتمادي ضارعاً متوكلاً (٦).

(ب) من المتن: «أحكام البسمة (شرح ابن القاصح على الشاطبية، ص ٣٠)».

وبَسْمَلٍ بَيْنَ السُّورَتَيْنِ بَسْمَةً
وَصَلِّكَ بَيْنَ السُّورَتَيْنِ فَصَاحَةً،
رَجَالٌ نَمَوْهَا دَرِيَّةً وَتَحْمَلًا (٧).
وَصِيلٌ وَاسْكُنْتَنِ كُلَّ جَلَايَاهُ حَصَلًا (٨).

(١) الصبر (يفتح الصاد وكسر الباء - أو يسكون الباء مع كسر الصاد أو فتحها): عصارة شجر مرّ والألا: شجر مرّ الطعم. - إنّ من يلوم غيره (وهو لم يختبر ما اختبروه، أو لم يلق شيئاً من المشاق في الوصول إلى مكانته - أو لم يكلّف نفسه الثبات على طاعة الله) أحقّ من كلّ الناس بالذمّ.

(٢) إنّ الكلب أكثر وفاء للإنسان من الإنسان للإنسان. - ربّما طرد نفر من الناس كلباً كان عندهم (لسبب ما)، ولكن هذا الكلب يظنّ (برغم ذلك) يبذل جهده في نصيح أولئك الناس (والدفاع عنهم).

(٣) يتي: يجمي. هول (المقصود أن تكون جمع هائل: مخيف).

(٤) الكتاب: الصحيفة التي تكون فيها أعمال الإنسان ثمّ تعرض عليه يوم القيامة. فإذا كانت حسنات الإنسان في صحيفته أكثر من سيئاته شفعت له فدخل الجنة. - وربّما كان «الكتاب» (هنا): القرآن. فمن حفظه وتلاه (وأمّن بما فيه) كان القرآن شفيماً له يوم القيامة. محلّ يحمل فهو ماحل (خمس). من هجر القرآن في الدنيا كان القرآن خصمه يوم القيامة. وفي الحديث: القرآن شافع مشفّع وماحلّ مصدّق. من شفّع له القرآن يوم القيامة نجّاه، ومن محلّ به (كاده أو سعى به إلى السلطان) كبّه الله في النار على وجهه.

(٥) الحول: القوّة. الاعتصام: التمسك.

(٦) حسبي: كفايتي (إذا اعتمدت عليه فلا أحتاج إلى أحد بعد ذلك). وعدّتي (للمستقبل). الضارع: الذليل الخاضع.

(٧) إذا قرأ المسلم سورة ثمّ استمرّ إلى الثانية، فلا ضرورة للبسمة (قراءة: بسم الله الرحمن الرحيم) بينها. ولكن من السنة (من عادة رسول الله أنّه كان يفعل ذلك). وهناك رجال (قرّاء) غوا ذلك: رفعوه (رووه عن الرسول) درية (أو دراية: يعلم يقين) وتحملاً (حجلاً: رواية عن رجال آخرين - من الصحابة - كانوا يفعلون ذلك).

(٨) ويجوز أيضاً أن تصل بين السورتين (بنفس واحد) فتنتهي من سورة وتبدأ سورة من غير أن تبسّل بينها. وكلّ جلاياه حصلاً: وجميع القرّاء يعرفون ذلك. ولكن إذا انتهى القرّاء من سورة الناس =

ولا نصَّ كلاً حُبَّ وجه ذكرته
 وسكتهم المختار دون تنفس،
 لهم دون نصِّ وهو فيهن ساكتٌ
 ومها تصلها أو بدأت براءة
 ولا بُدُّ منها في ابتدائك سورة
 ومها تصلها مع أواخر سورة،
 وفيه اختلافٌ جيده واضحُ الطلا^(١).
 وبعضهم في الأربع الزهر بسملاً^(٢).
 لحزمة فافهمه وليس مُخذلاً^(٣).
 لتزيلها بالسيف لست مُبَسِّلاً^(٤).
 سواها، وفي الأجزاء خبير من تلا^(٥).
 فلا تقفَنَّ - الدهر - فيها فتثقل^(٦).

- أحكام تفخيم الرأه وترقيقها (شرح ابن القاصح على الشاطبية، ص ١١٩ -

:١٢٢)

ورققَ ورشٌ كلُّ راءٍ وقبلها مُسكنةً ياءٌ أو الكسرُ موصلاً^(٧).

= (رقم ١١٤ آخر المصحف) ثم أراد أن يصلها بالفاتحة (السورة الأولى أول المصحف) فيجب عليه أن يبسل.

(١) ولا نصَّ على أحد الوجهين (البسلة أو ترك البسلة) إذا انتهى القارىء من سورة ثم بدأ السورة التي تليها بنفس واحد. ولكن كلَّ قارىء قد اجتهد واختار بحسب اجتهاده. الجيد: العنق. الطلا جمع طلاة (بالضم): العنق أو صفحة العنق. واضح الطلا: أمر ظاهر.

(٢ و٣) هنالك سور يستحسن السكت عليها - بلا تنفس - أو البسلة عند الانتقال من احداها إلى التي تليها، لا ضرورة هنا لتفصيل ما يتملَّق بها).

(٤) وعند قراءة سورة « براءة » أو « التوبة » (السورة التاسعة في المصحف) لا يبسل القارىء لها، لأن هذه السورة نزلت في الحرب وفي تهديد المشركين.

(٥) أمَّا إذا ابتدأ القارىء قراءة سورة (غير براءة) فلا بدَّ من البسلة. أمَّا إذا أراد أن يقرأ جزءاً من سورة (فيبتدئ) من ربعها أو وسطها (الخ) فله أن يبسل أو أن يترك البسلة.

(٦) يجوز عند الانتقال بالقراءة من سورة إلى سورة تليها: قراءة آخر السورة والبسلة وأول السورة التالية وصلًا بنفس واحد - الوقف عند آخر السورة الأولى، والوقف على البسلة ثم الابتداء بقراءة أول السورة التالية - الوقف عند آخر السورة الأولى ثم قراءة البسلة وأول السورة التالية بنفس واحد. ولكن لا يجوز قراءة آخر السورة الأولى مع البسلة بنفس واحد ثم البدء بالسورة التالية بنفس جديد.

(٧) إنَّ ورشاً قد قرأ كلَّ راءٍ (مهما يكن الحرف الذي يسبقها أو الحركة التي تسبقها): لفظها تخيفة غير غليظة.

وَلَمْ يَرَ فَضْلاً سَاكِناً بِمَدِّ كَسْرَةٍ

- سوى حرفِ الْإِسْتِعْلَاءِ سِوَى الْخَا فِيكُمْلَا (١).
 وَفَخَّمَهَا فِي الْأَعْجَمِيِّ وَفِي إِرَمَ وَتَفْخِيمُهُ ذِكْرًا وَسِتْرًا وَبَابَهُ
 لَدَى جِلَّةِ الْأَصْحَابِ أَعْمَرُ أَرْحُلًا (٢)
 وَ« حَيْرَانَ » بِالتَّفْخِيمِ بَعْضُ تَقْبَلًا (٣)
 مَذَاهِبُ شَذَتْ فِي الْأَدَاءِ تَوْقُلًا (٥)
 إِذَا سَكَنْتَ، يَا صَاحِبَ، لِلسَّبِيحَةِ الْمَلَا (٦)
 لِكُلِّهِمُ التَّفْخِيمُ فِيهَا تَدَلُّلًا (٧)
 بَفَرْقٍ جَرَى بَيْنَ الْمَشَائِخِ سَلِيلًا (٨).

- (١) ولكن ورثا بفخّم الراء إذا جاءت بعد حرف استعلاء (فخّم بنفسه: خ، ص، ض، ط، ظ، غ، ق) نحو: فطرة، إصرا. ولكنه يرقق الراء بعد الحاء (شرح ابن القاصح ١١٩).
- (٢) ثم إن ورثا فخّم الراء في الألفاظ الأعجمية: ابراهيم، عمران (بكر العين)، إرم (بكر الهمة وفتح الراء)، وفي الكلمات التي تتكرر فيها الراء، نحو: ضاررا - حتى يرى (اللفظ) متعددا: فإن الراء الثانية مفخّمة ثم فخّمت الراء الأولى إلحاقاً.
- (٣) جلّة الأصحاب: كبار صحابة رسول الله. أعرم الرجل (يفتح الراء: منزل الإنسان): جملة أكثر عمراناً (بضم العين). وفخّم ورث كلمات منها: سترأ، وزرا، صهرا (بالكسر فيها كلها) ولكن يجوز تفخيما. غير أن ورثا برفق كلمة سراً، مثلاً.
- (٤) وجميع القراء الذين رووا عن ورث يرققون ألفاظاً مثل « بشر (بترقيق الراء الأولى أيضاً، لأن ما بعدها مكسور، وإن كانت هي وما قبلها مفتوحين). ولكن ورثا نفسه كان إذا وقف على كلمة « بشر » فخّم الراءين معاً. وأما غير ورث فإنهم يفخّمون الراء الأولى في « بشر ». وأما الراء الثانية فلها عند هؤلاء وجهان: التفخيم (إذا سكنوها) والترقيق (إذا هم عاملوها بالروم - يفتح الراء -، أي باختلاس الحركة حتى تدلّ شفتا القارئ على حركتها من غير أن يسمع القريب منه لفظها. وكذلك روى ناس عن ورث تفخيم الراء في كلمة « حيران »).
- (٥) الأداء: طريقة لفظ الكلمات. تقول: صدّ في الجبل. وهنالك روايات عن ورث في تفخيم الراء في عدد من الألفاظ مختلفة الأحوال وشاذة عن القواعد فيحسن ترك التوسّع فيها (في الأرجوزة).
- (٦) وجميع القراء يرققون الراء إذا جاءت بعد كسرة (في وسط الكلمة)، نحو: فرعون، شرعة (أو في آخر الكلمة)، نحو: فاصبر، سحر مستمر.
- (٧ و ٨) وجميع القراء قد فخّموا الراء بعد أحد حروف الاستعلاء السبعة، وهي: الحاء والصاد والضاد والطاء والظاء والنين والقاف (بمجموعة في: قطّ خصّ ضنط). ثم إنهم يختلفون في ذلك اختلافاً كبيراً (رأينا قبلاً أن ورثا يرقق الراء إذا وقعت بعد هذه الأحرف إلا الحاء، فإنه يفخّم الراء بعد الحاء).

وما بعد كسرٍ عارضٍ أو مُفصلٍ
وما بعده كسرٌ أو الياء، فإلَهُمْ
وما لقياسٍ في القراءةٍ مدخَلٌ،
وترقيقتها مكسورةٌ عند وصلهم
ولكنها في وقفيهم مع غيرها
أو الياء تأتي بالسكون، ورومهم

فَفَخَّمَ، فهذا حُكْمُهُ مُتَبَدِّلاً (١)
بترقيته نصٌّ وثيقٌ فيمنثلاً (٢)
فدونك ما فيه الرضا مُتَكَفِّلاً (٣)؛
وتفخيمها في الوقفِ أجمعٌ أشملاً (٤)؛
تُرَقِّقُ بعد الكسرِ أو ما تَمَيَّلًا (٥)،
كما وصلهم فأبُلُ الذكاءِ مُصَقِّلاً (٦).

- (١) وجميع القراء (وورش فيه أيضاً) يفتحون الراء إذا جاءت بعد كسر عارض (ليس من أصل الكلمة)، نحو: ارجعوا (فعل أمر للجماعة المخاطبين) وارتابوا، الخ تم في امرأة، امرؤ، امرؤ... (لأن الراء هنا مسبوقة بسكون). وأما الكسرة في أول «ارتابوا» فإنها أيضاً ساكنة (لأنها همزة وصل) تم نحن أجزنا كسرهما لنتمكن من لفظها إذا نحن بدأنا لفظها غير موصولة بكلمة قبلها. إذا قرأنا: لكل امرئ الفظنا ذلك بكسر اللام الثانية (في لكل) وبسكين همزة الميم معاً في «امرئ» (فتخفى حينئذ همزة وتبقى الميم ساكنة قبل الراء). أو مفصل (مفصول بينه وبين الراء، نحو «امرئ»، فإنه قد فصل بين الراء والهمزة المكسورة في اللفظ بالميم الساكنة). حكمه متبذلاً (مبذول، مشهور).
- (٢) إذا وقع بعد الراء كسر أو حرف الياء، فلا نص حينئذ على ترقيق الراء فتكون الراء حينئذ مفخمةً. فيمثل (بالبناء للمعلوم، في الأصل): يكون أمثل ذا وجه صحيح. ويجوز بناء «يمثل» للمجهول فيكون معناها: تتبع على أنها قاعدة.
- (٣) والأداء (قواعد القراءة في القرآن الكريم) رواية عن الصحابة عن رسول الله، فليس فيه قياس بعض ألفاظه على بعض. من أجل ذلك يحسن أن يكتبني المطالع بهذه الوصايا العامة في تفخيم الراء أو ترقيقها.
- (٤) إذا كانت الراء مكسورة: في أول الكلمات (نحو: رجال، رضوان) أو في وسط الكلمات (نحو: فرحين، الشاكرين) وجب ترقيقها. وأما إذا جاءت الراء المكسورة في آخر الكلمة، فإن لها حينئذ وجهين: إذا نحن وصلنا القراءة، نحو: إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر. إن الراء في «نهر» (بفتح ففتح فجر) فالراء في «نهر» تكون مرقة. وأما إذا قرأنا: «إن المتقين في جنات ونهر» (ووقفنا)، فإن الراء تكون حينئذ مفخمة.
- (٥) عند الوقف على الراء المكسورة (إذا كان ما قبلها مفتوحاً: «كلح بالبصر» أو مضموماً: «إلى أزدل العمر» أو كانت مسبوقة بألف: «وقنا عذاب النار» أو بحرف ساكن سكوناً صحيحاً: «إن مع العسر يسراً» أو بواو: (في عتو ونفور فإنه يجب تفخيمها. وأما إذا جاءت الراء المكسورة (عند الوقف عليها) بعد حرف مكسور: «عند مليك مقتدر»، فإنها ترقق. تيمّل من الأمانة (الحرف بحرك بين الفتح والكسر).
- (٦) وإذا جاء قبل الراء (المتوحشة أو المضمومة) بعد الياء: نحو: «فافعلوا الخير - إن الله على كل شيء =

وفيا عدا هذا الذي قد وَصَفَتْهُ
(ج) الخاتمة:

وقد وَفَّقَ اللهُ الكَرِيمُ بِنَهْ
وأبياتها ألفاً تزيدُ ثلاثةً
وقد كُيِّبَتْ منها المعاني عنايةً
وتمَّت بحمدِ اللهِ في الخلقِ سهلةً
ولكنها تَبْغِي من الناسِ كُفُوها
وليس لها إلا ذُنُوبٌ وليَّها؛
وقل: رَجِمَ الرحمنُ حَيًّا ومَيِّتًا
عَسَى اللهُ يُدِينِي سَعِيهِ بِجَوازِهِ،
على الأصلِ بالتفخيمِ كُنْ مَتَعَمَّلًا (١).
لا كإيها حسناء مَيِّمونةَ الجلا (٢).
ومع يائة سبعينَ زُهرًا وكُملاً (٣).
كما عَرِيَتْ عن كلِّ عَوْرَاءِ مِفْصَلًا (٤).
مُزَهَّةً عن مَنْطِقِ المُجْرِمِ مِقُولًا (٥).
أخا ثِقَّةً يعفو ويغضي تَجْمُلًا (٦).
فيا طيِّبَ الأَنْفاسِ، أْحْسِنِ تَأْوِيلًا (٧).
فَقِي كَانِ لِلإِنصافِ وَالِحِلْمِ مَقْعَلًا (٨).
وإن كانَ رَيفًا غيرَ خافٍ مُرَلَّلًا (٩).

= قدير ، ، فإنها أيضاً ترقق. -- قابل (اختير) الذكاء (ذكاءك) مصقلاً (مصقولاً مهذباً، مثقفاً): استعمل ذكاءك ومعرفتك في التفرير بين تفخيم الرءاء وترقيتها.

(١) أمّا في جميع الأحوال التي لم تذكر (في الأبيات الثلاثة السابقة) فيجب تفخيم الرءاء.

(٢) المُن: النعمة والإحسان والكرم. ميمونة: مباركة. الجلاء: المرض (على الناس).

(٣) زهر جمع أزهر (أبيض) وزهراء (بيضاء). ككل جمع كامل.

(٤) عريت: خلت. العوراء: الكلمة القبيحة. مفصل: في القافية أو في وزن الشعر (يقول: ليس فيها عيب في نظما من حيث وزنها ومن حيث قافيتها). والمفصل: اللسان (.... وليس فيها عيب في اللفظ).

(٥) في الخلق (في البناء، في النظم). المهجر: الكلام الفاحش. القول: اللسان (لم يلفظ لسانى فيها بكلمة فاحشة).

(٦) تبغي: تطلب. الكفو: المثل (هنا): العالم النصف. أخو ثقة (في علمه) يعفو عن الخطأ (إذا كان هذا الخطأ غير مقصود) ويغضي (بغض عينه عن تتبّع مواضع الخطأ: لا يقصد البحث عن أخطاء غيره). التجمل: تكلف الاتصاف بالجمال أو بالفعل الجميل (يحسن بالقارئه إذا وقع على خطأ في هذه الأرجوزة أن يلتبس لناظما عنذراً في ذلك).

(٧) ليس في هذه الأرجوزة عيب إلا ذنوب وليَّها (ناظما): ذنوبه في الدين (لا في نظم الشعر). التأويل (هنا) البحث عن وجه حسن لما تجده فيها من العيب (لأنّ ناظما لم يقصد أن يخطئ).

(٨) فقي (يقصد بذلك نفسه): يسأل قارئه هذه الأرجوزة أن يطلب الرحمة لناظما. الحلم: سمة الصدر وساعة الآخرين إذا أخطأوا. العقل: الحصن (الأوى، المكان).

(٩) يدني: يقرب. سعيه: عمله (هذه الأرجوزة). بجوازِهِ (بانتفاع الطلاب بهذه الأرجوزة - أو بجوازِهِ يسر ناظما يوم القيامة على الصراط ودخل الجنة). الزيف: الغش (خلط الشيء بما ليس من جنسه أو بما هو دون). المزل: الكثير الزلل والخطأ.

فيا خيرَ غَفَّارٍ ويا خيرَ راحمٍ ،
 أقبلْ عَثْرِي وانفَعْ بها وبِقَصْدِهَا ؛
 وأخِرُ دَعْوَانَا بتوفيقِ رَبِّنَا
 وبعدُ صلاةِ الله ثم سَلامُه
 مُحَمَّدِ المختارِ للمجدِ كَغَيْبَةٍ
 وتُبدي على أصحابِهِ نَفَحَاتِهَا

وبها خيرَ مأمولٍ جَدًّا وتفضلاً^(١) ،
 حَنَانِيكَ - يا اللهُ - يارافعُ العُلا^(٢) .
 أنِ الحمدُ لله الذي وَخَدَه عَلا .
 على سَيِّدِ الخَلْقِ الرِّضَا مُتَنَحِّلاً^(٣) ؛
 صلاةُ تَبَارِي الرِّيحِ مِسْكَاً وَمُنْدَلاً^(٤) ؛
 بغيرِ تَنَاهٍ زَرْباً وَقَرَنُفُلاً^(٥) .

٤ - حرز الأماي ووجه التهاني (في القراءات السبع)، مصر (طبع حجر: بمطبعة حسن التتري؟) ١٢٨٦ هـ؛ نشرت في «مجموع لطيف»، مصر (حسن الطوخي) ١٣٠٢ هـ (٤)؛ بعنوان «من الشاطبية» (شعبان محمد إسماعيل)، مصر (مكتبة جمهورية مصر، بلا تاريخ).

- عقيلة أتراب القصاد في أسنى المقاصد، القاهرة ١٢٨٢ هـ؛ في «مجموع لطيف»، مصر (حسن الطوخي) ١٣٠٢ هـ؛ مصر (مطبعة شرف) ١٣٠٨ هـ.

* * من الشروح عليها:

- كز المعاني... لمحمد بن الحسن الفاسي (ت ٦٥٦ هـ)، بشاور^(١) (طبع حجر) ١٢٧٩ هـ.
 - إبراز المعاني من حرز الأماي لأبي شامة عبد الرحمن بن إسماعيل الدمشقي (ت ٦٦٥ هـ)، مصر (مصطفى الباي الحلبي) لشطة الموصل الحنبلي (ت ٦٥٦ هـ)، القاهرة (على نفقة الاتحاد العام لجماعة القراء).

- سراج القارئ المتبدي وتذكار المقرئ المنتهي لعلاء الدين علي بن عثمان بن محمد المعروف بابن القاصح العُدري البغدادي (ت ٨٠١ هـ)، القاهرة ١٣٩٤، ١٣٠٤^(٧)، ١٣١٧، ١٣٣٠، ١٣٤٦.

(١) الجدهاء: العطاء.

(٢) أقال فلان عثرة فلان: أقاله (رفعه، أنهضه) من عثرته (وقوعه أرضاً، أو في الخطأ).

(٣) سيد الخلق: محمد رسول الله. المنتحل: المختار من الناس (من خيار الناس وأفضلهم).

(٤) تباري (تنااض) الريح (في الكثرة والقوة والسرعة) مسكا ومندل (المندل: العود - نوع من البخور - الطيب الرائحة).

(٥) ... وأن يظهر أثر هذه الصلاة (الدعاء لله على محمد رسول الله) على أصحابه. النفحة: حركة الريح، وانتشار الرائحة الطيبة. الزرب والقرنفل: نبتان طيباً الرائحة.

(٦) بشاور مدينة في الشمال الغربي من القارة الهندية، كانت (في أيام الاستعمار البريطاني) من الهند (واليوم هي في باكستان).

(٧) مصر (المطبعة المتعاقبة).

- ارشاد المرید إلى مقصود التصيد للشيخ علي محمد الضباع، مصر (مطبعة محمد علي صبيح) ١٣٤٧ هـ.
- الوافي في شرح الشاطبية، تأليف عبد الفتاح القاضي، مصر (مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد لنشر القرآن الكريم والكتب الإسلامية)، بلا تاريخ.
- لأحد يوسف مجاتي.
- معجم الأدباء ١٦: ٢٩٣ - ٢٩٦، نكت الهميان ٢٢٨ - ٢٢٩؛ وفيات الأعيان ٤: ٧١ - ٧٣، التكملة (رقم ١٩٧٣)، الذيل والتكملة ٥: ٥٤٨ - ٥٥٧ (رقم ١٠٨٨)، المر (للذهبي) ٤: ٢٧٣ - ٢٧٤، الديباج المذهب ٢٢٤ - ٢٢٥، وفيات ابن قنفذ ٢٩٦، المن بالامامة ٢٦٦ - ٢٦٨، بنية الوعاة ٣٧٩ - ٣٨٠، شذرات الذهب ٤: ٣٠١ - ٣٠٣، نفع الطبيب ٢: ٢٢ - ٢٤، شجرة النور الزكية ١٥٩؛ دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الأولى) ٤: ٣٣٧ - ٣٣٨، بروكلمن ١: ٥٢٠ - ٥٢٢، الملحق ١: ٧٢٥ - ٧٢٧، الأعلام للزركلي ٦: ١٤ (٥: ١٨٠)، تاج العروس (الكويت) ٣: ١٣١ - ١٣٢، سركيس ١٠٩١ - ١٠٩٢.

ابن مضاء

- ١- هو أبو العباس (أو أبو جعفر أو أبو القاسم) أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن سعد بن حارث بن عاصم اللخمي والقرطبي؛ ولد سنة ٥١٣ (١١١٨ - ١١١٩ م) في بيت شرف وجاه. درس ابن مضاء النحو في إشبيلية على ابن الرماك وعلى ابن بشكوال وابن سحنون، كما درس الحديث في سبتة على القاضي عياض.
- تولى ابن مضاء القضاء في فاس وبجاية ثم عينه السلطان يوسف بن عبد المؤمن قاضياً للجماعة. وبقي في هذا المنصب في أيام يعقوب المنصور. وقد كانت وفاته في السابع والعشرين من جمادى الأولى من سنة ٥٩٢ (٢٩ / ٣ / ١١٩٦ م)، وقيل قبل ذلك بأسبوع.

- ٢- كان ابن مضاء مشاركاً في عددٍ من العلوم: في الحديث والفقه واللغة والنحو والحساب والهندسة والطب، كما كان أديباً شاعراً. ولكنه خص نفسه بالنحو. ولقد بقي لنا من كتبه كتاب «الرد على النحاة» ألفه في أواخر حياته وحل فيه على

الذين يعملون بكثرة تَمَحُّلِهِمْ (تطلبهم للأوجه المتعددة الممكنة من القاعدة الواحدة) على تمقيد البحث في النحو وعلى أن تَمُضَّ مناهجه وطُرُقُهُ، ثم دعا إلى تسهيل عَرَضِ النحو (في التأليف) وتعليمه .

وكان لابن مضاء من الكُتُبِ أيضاً: المشرق في النحو - تنزيه القرآن عما لا يليقُ بالبيان .

٣ - مختارات من آثاره:

- من كتاب « الردُّ على النحاة » لابن مضاء :

★ (من المقدمة):

أما بعدُ، فإنه حلني على هذا المکتوبِ قولُ الرسولِ صلى الله عليه وسلم: « الدين النصيحةُ.... »، وعلى الناظر في هذا الكتابِ من أهل هذا الشأن - إن كان يَمَنُّ بِمِخْطَاطِ لَدِينِهِ وَيَجْمَلُ الْعِلْمَ مِزْلَفًا لَهُ مِنْ رَبِّهِ - أَنْ يَنْظُرَ، فَإِنَّ تَبَيَّنَ لَهُ مَا نُبِّئُهُ رَجَعَ إِلَيْهِ وَشَكَرَ اللَّهَ عَلَيْهِ، وَإِنْ لَمْ يَتَبَيَّنْ لَهُ فَلْيَتَوَقَّفْ تَوَقَّفَ الْوَرَعَ عِنْدَ الْإِشْكَالِ. وَإِنْ ظَهَرَ لَهُ خِلَافُهُ فَلْيَبَيِّنْ مَا ظَهَرَ لَهُ بِقَوْلٍ أَوْ كِتَابَةٍ.

وَإِنِّي رَأَيْتُ النَّحْوِيِّينَ - رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ - قَدْ وَضَعُوا صِنَاعَةَ النَّحْوِ لِحِفْظِ كَلَامِ الْعَرَبِ مِنَ اللَّحْنِ وَصِيَانَتِهِ عَنِ التَّغْيِيرِ فَبَلَفُوا مِنْ ذَلِكَ الْغَايَةَ الَّتِي أُمُوا، وَانْتَهَوْا إِلَى الْمَطْلُوبِ الَّذِي ابْتَغَوْا؛ إِلَّا أَنَّهُمْ التَّزَمُوا مَا لَا يَلْزَمُهُمْ وَتَجَاوَزُوا فِيهَا الْقَدْرَ الْكَافِيَ فِيهَا أَرَادُوهُ مِنْهَا فَتَوَعَّرَتْ مَسَالِكُهَا وَوَهَنْتْ مَبَانِيهَا وَاحْمَطَّتْ عَنْ رُتْبَةِ الْإِقْنَاعِ حُجْجُهَا... عَلَى أَنَّهَا إِذَا أُخِذَتِ الْمَأْخَذَ الْأَبْرَأَ مِنَ الْفُضُولِ الْمُجَرَّدِ عَنِ الْمَهَاكَةِ وَالتَّخْيِيلِ كَانَتْ مِنْ أَوْضَحِ الْعُلُومِ بُرْهَانًا وَأَرْجَحِ الْمَعَارِفِ عِنْدَ الْامْتِحَانِ مِيزَانًا، وَلَمْ تَشْتَمَلْ إِلَّا عَلَى يَقِينٍ أَوْ مَا قَارِبَهُ مِنَ الظَّنُونِ.

وكذلك من أخذ من علم النحو ما يوصله إلى الغاية المطلوبة منه، واستعاض من تلك الظنون - التي ليست كظنون الفقه التي نصبها الشارع صلى الله عليه وسلم أمانة للأحكام، ولا كظنون الطب التي جربت وهي في الغالب نافعة في الأمراض

• مرقة، مفرقا.

والآلام - العلوم الدينية السَّمعية منها والنظرية - التي هي الجَنَّة والمهادية إلى الجَنَّة - فقد نفعه الله بالتعليم وهداه إلى صراطٍ مستقيم. وأما من اقتصرَ كُلَّ الاقتصارِ على المعارفِ التي لا تدعو إلى جَنَّة ولا تزجرُ عن نار - كاللغات والأشعار ودقائقِ عِلَلِ النحوِ ومُسَلِّياتِ الأخبارِ فقد أساء الاختيار...

★ ★ من المتن (ص ٨٥):

قصدي في هذا الكتاب أن أُحذِفَ من النَحْوِ ما يستغني عنه النَحْوِيُّ وَأَنبَهَ على ما أجمعوا على الخطأ فيه. فَمِنْ ذلك ادِّعَاؤُهُمْ أَنَّ النَّصْبَ والخَفْضَ والجَزْمَ لا يكون إلا بعاملي لفظي، وَأَنَّ الرَّفْعَ منها يكونُ بعاملي لفظي وبعاملي معنوي. وعبروا عن ذلك بمباراتِ تُوهِمُ في قولنا: «ضربَ زيدٌ عمرواً» أَنَّ الرَّفْعَ الذي في «زيد» والنصبَ الذي في «عمرو» إِنَّمَا أَحَدُهُ (العامل: الفعل) «ضرب».... وأما في الحقيقةِ ومحصولِ الحديثِ فالعمل من الرفع والنصب والجرِّ والجزمِ إِنَّمَا هو للمتكلِّمِ نفسه لا لشيءٍ غيره...

فإن قيل: أنت قد أبطلت أن يكونَ في الكلامِ عاملٌ ومعمولٌ، فأرنا كيف يتأتَّى ذلك مع الوصولِ إلى غايةِ النحو؟ (ص ١٠٧)...

وتما قالوا فيه ما لم يفهم وأضربوا فيه ما يخالف مقصدَ القائلِ أبوابَ نصبِ الفعل. وقد تكلمتُ منها على بابِ الفاءِ والواوِ لِيُسْتَدَكَّ بِهَا على غيرها وليُعَلِّمَ أن ما أضمره لا يحتاجُ إليه في إعطاءِ القوانينِ التي يُحَفِّظُ بِهَا كلامُ العربِ.... الفاءُ (إذا كانت للسببية) ينتصب بعدها الفعل إذا كانت (ترتبطُ) جواباً لأحدِ ثمانيةِ أشياء: الأمرِ والنهي والاستفهامِ والنهيِ والعرضِ والتمنيِ والتحضيضِ والدعاء... قال الله تعالى (في حالِ النهي): «ولا تَطْفَؤْا فيه فيحِلَّ عليكم غضبي (ص ١٤٢ - ١٤٣)....

وتما يجبُ أن يسقطَ من النحوِ العِلَلُ الثواني والثالث، وذلك مثل سؤالِ السائلِ عن «زيد» في قولنا: «قامَ زيدٌ!» لِمَ رُفِعَ؟ فيقالُ لأنه فاعلٌ، وكل فاعل مرفوع. فيقول: «ولِمَ رُفِعَ الفاعلُ؟ فالصوابُ أن يُقالَ لَهُ: «كذا نطقت به العرب: ثبت

ذلك بالاستقراء من الكلام المتواتر. ولا فرق بين ذلك وبين مَنْ عَرَفَ أَنَّ شَيْئاً مَا حَرَامٌ بِالنَّصِّ - ولا يُحْتَاجُ فِيهِ إِلَى اسْتِنْبَاطِ عِلَّةٍ لِيُنْقَلَ حُكْمُهُ إِلَى غَيْرِهِ، فَسَأَلَ لِمَ حَرَّمَ؟ فَإِنَّ الْجَوَابَ عَلَى ذَلِكَ غَيْرٌ وَاجِبٌ عَلَى الْفَقِيهِ (ص ١٥١)...

وكما أَنَا لَا نَسْأَلُ عَنْ عَيْنِ عِظْمٍ وَجِمْ جَعْفَرٍ وَبَاءَ بُرْثَنٍ لِمَ قُتِحَتْ هَذِهِ وَضُمَّتْ هَذِهِ وَكُسِرَتْ هَذِهِ، فَكَذَلِكَ أَيْضاً لَا نَسْأَلُ عَنْ رَفْعِ «زَيْدٍ» (ص ١٦٠)...

وَمَا يَجِبُ أَنْ يَسْقُطَ مِنَ النَّحْوِ الْاِخْتِلَافُ فِيمَا لَا يُفِيدُ نُطْقاً كَاخْتِلَافِهِمْ فِي عِلَّةِ رَفْعِ الْفَاعِلِ وَنَصْبِ الْمَفْعُولِ وَسَائِرِ مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْعِلَلِ الثَّوَابِي وَغَيْرِهَا مِمَّا لَا يُفِيدُ نُطْقاً.

٤ - كتاب الردّ على النحاة (نشره شوقي ضيف)، القاهرة (دار الفكر العربي) ١٣٦٦ هـ = ١٩٤٧ م.

* جُدُودُ الْمُقْتَبَسِ ٧٦ (٢)، بَغِيَّةُ الْمُتَمَسِّ ١٩٣ (رقم ٤٦٥)، التَّكْمَلَةُ ١٠٩ - ١١٠ (رقم ٢٣٤)، جُدُودُ الْاِقْتِبَاسِ ١١٧، بَغِيَّةُ الْوَعَاةِ ١٣٩، الدِّيَابِجُ الْمَذْهَبِ ٤٧ - ٤٨، دَائِرَةُ الْمَعَارِفِ الْإِسْلَامِيَّةِ ٣: ٨٥٥ - ٨٥٦، الْأَعْلَامُ لِلزُّرْكَلِيِّ ١: ١٤٢ (١٤٦ - ١٤٧).

أبو الحسن الجياني

١ - هو أبو الحسن عليُّ بنُ موسى بنِ محمد بنِ موسى بنِ محمد بنِ خلفِ الأنصاريِّ الجيانيِّ الأندلسيِّ، سكن مدينةَ فاسَ (المغرب) وتولَّى الخطابةَ في جامعها. وكانت وفاته سنةَ ٥٩٣ هـ (١١٩٦ - ١١٩٧ م).

٢ - كان أبو الحسن الجيانيُّ من المشتغلين بالصَّنعةِ أو الكيمياءِ القديمةِ، أي محاولةِ قلبِ المعادنِ الحُسيَّةِ (كالرصاصِ والنحاسِ) معادنَ شريفةً (كالفضةِ والذهبِ). وكان إلى جانبِ ذلك أديباً شاعراً حتَّى سَمَّوهُ «شاعرَ الحكماءِ وحكيمَ الشعراءِ». وله شعرٌ في الكيمياءِ عليه شيءٌ من الطلاوةِ. وقد قيلَ فيه: «إِنْ لَمْ يُعْلَمَكَ صِنَاعَةَ الذَّهَبِ عَلِمَكَ صِنَاعَةَ الْأَدَبِ. وَيُنْسَبُ إِلَيْهِ كِتَابُ «شُدُورِ الذَّهَبِ» (وهو ديوانٌ شعريٌّ في الكلامِ على الكيمياءِ مرتَّبٌ على الحروفِ).

- لأبي الحسن الجياني قصيدة على الطاء ذات ثلاثة مظاهر: ظاهرها غزلٌ، وهي مسوقة في ألفاظٍ مأخوذة من حياة موسى عليه السلام ورسالته، ومن التصوف. أمّا باطنها فكلامٌ على الكيمياء . منها:

بزيتونة الذهبِ المباركةِ الوسطى غنينا فلم نبدلُ بها الأثْلَ والحَمَطَا (١).

صَفَوْنَا فَآتَسْنَا مِنَ الطُّورِ نَارَهَا تُشَبُّ لَنَا وَهَنًا وَنَحْنُ بِذِي الأَرْضَى (٢).

فَلَمَّا أَتَيْنَاهَا وَقَرَّبَ صَبْرُنَا

على السيرِ، مِنْ بُعْدِ المسافةِ، ما أبطأ- (٣)

نُحَاوِلُ مِنْهَا جَذْوَةَ مَا يَنَالُهَا

من الناسِ من لا يَعْرِفُ القَبْضَ والبَسْطَا- (٤)

هَبَطْنَا مِنَ الوادِي المُقَدَّسِ شاطِئًا

إلى الجانبِ الغربيِّ نَمْتَثِلُ الشَّرْطَا... (٥).

ولَيْتَ الأَعْطَافِ قَاسِيَةَ الحِشَا إِذَا نَفَقْتِ فِي الصَّخْرِ تَصَدَّعُهُ هَبْطَا (٦)،

كَأَنَّ عَلَيْهَا مِنْ زَخَافٍ جِلْدِهَا رِداةً مِنَ الوَشِيِّ المُقَوِّفِ أَوْ مِرْطَا (٧).

(١) زيتونة الخ: كناية عن مصدر المعرفة (أو الكيمياء). غنينا: استغنينا، أصبحنا أغنياء. الأثْل والحمط: نوعان من الشجر (المقصود: لا تقبل شيئاً آخر بدلاً من الزيتونة).

(٢) وهنا: نصف الليل. ذات الأرضى: اسم مكان. الأرضى جمع أرطاة (شجرة، نوع من الشجر). أرطاة: حصن في الأندلس. الطور: جبل في سيناء صعد عليه موسى بعد أن رأى قربه ناراً (المقصود: لما صفت نفوسنا وأخلصنا للعلم، للكيمياء، عرفنا كل شيء من مصدره ونعم مقيمون في مكاننا).

(٣) لما صبرنا على الجِد والتعب (مع طول الزمان الذي نحتاج إليه)...

(٤) نريد أن نحصل على جذوة (قطعة جبر)، أي شيء من المعرفة. لا ينالها: لا يحصل عليها. البسط والقبض من ألفاظ الصوفيّة (من أحوال القرب من الله).

(٥) الوادي المقدس: مكان كان فيه موسى. نمتثل الشرط: نعمل بما اشترط الله علينا (خلعنا النملين لأننا في مكان مقدس): تركنا جميع أمور الدنيا وراءنا. (راجع في القرآن الكريم ٢٠: ١٢ سورة طه (وإني أنا ربك فأخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى)).

(٦) المطف (بكسر الميم) جانب الجسم. الحشا: القلب. صدع: شقق. الهبط: التشقق (ظاهر الكلام على فتاة، والمقصود السائل الكيماوي الذي تعالج به المعدن).

(٧) الزخرف: الزينة. الوشي: التزيين النافر. المقوّف: الكثير الألوان. المرط: الثوب من الحرير.

توصَّلَ إبليسُ بها في هُبوطه إلى الأرض من عَدَنٍ ففارقها سُهطاً^(١).
أَمَتْ بها حياً وسودتُ أبيضاً، وأسرفتُ في قَلْعِ السوادِ فما أبطأ^(٢).
وأخَيَّنتُ تلكَ الأرضَ من بعدِ مَوْتِها
بِريِّ، وكانت تشتكي الجَدْبَ والقَحْطَ^(٣).
كَأَنَّ العيونَ الثابتاتِ بِمَحْضِهَا
عَقَدْنَ نِطَاقاً أو على جيدها سِمطاً^(٤).
كَأَنَّ من البدرِ النُورِ مِشَابِهاً، ومن أنجُمِ الجوزاءِ في أذُنِها قُرْطاً^(٥).
ظَفِرَتْ بها بالنفسِ من جِسْرِ أُمِّها كما ظَفِرَتْ بالقلبِ في صَدْرِهِ لَقْطاً^(٦).
وأرضَعَتْها بالـدَرِّ من نَـذِي بِنْتِهَا
فعاثتُ، وكانت قبلُ ماتتُ به غَبْطاً^(٧).
فعلَّتْ بِه رُوحُ الحِياةِ كأنَّها مَزَجَتْ لها في ذلكَ الدَّرِّ إسْفَنطاً^(٨).
وصيَّرَتْها بِنْتاً، وصيَّرتُ بِنْتِها لها مَرُضِماً. فأعجَبَ لمرُضِعةِ شمطاً^(٩) |
فحالتُ هناكَ البِنْتُ والأُمُّ فِضَّةً فتى لم يزا حِمُّه العِذارُ ولا خطأً^(١٠).

- (١) عدن: الجنة. هذه اللبنة الأعطاف (الكيمياء، راجع البيتين السابقين) تستطيع فعل كل شيء. استخدمها إبليس حتى نزل من الجنة إلى الأرض ثم أبيضها (لأنه استخدمها في غير وجهها وأراد أن ينفع نفسه فأضرب بنفسه).
- (٢) أنا أيضاً فعلت بها أشياء: أحبيبت ميثاً (جعلت الرصاص الميت: الرخيص الخسيس الذي لا قدر له) فضة حية (ثمينة شريفة)، وجمعت الأشياء السود بيضاً والأشياء البيض سوداً (كل شيء).
- (٣) تلك الأرض: المعدن الخسيس (كالرصاص والنحاس). الرِّي: الإسقاه (المعالجة بالماء).
- (٤) إن عيون المعجبين (بضم الميم وفتح الجيم) ثبتت (في النظر إلى خصرها النحيل) حتى كأن تلك العيون قد أصبحت سحطاً (خيطاً فيه حبات من اللؤلؤ: كناية عن العيون) أو حول جيدها (مكان العقد من عنقها).
- (٥) السائل الكياوي (الذي يقلب المعادن الخسيسة فيجعلها شريفة): جميلة فيها أشياء تشبه البدر... (١٠ - ٦) يصفنا الشاعر هنا طريقة العمل بالكيمياء: يأخذ المعدن (الشريف) فيستخرج روحه منه (يستخرج أكبر الذهب من الذهب، فكان الذهب أم وأكبر الذهب بنت ولدت منه). والذهب إذا أخذنا منه الأكسير لا يبقى ذهباً بل يصبح معدناً خسياً. أعود حينئذ إلى ذلك المعدن الذي مات (وإلى أمثاله من المعادن كالرصاص والنحاس والحارصين والجبس) فأرضعه (أسقيه) من هذا الأكبر فيصبح حياً (ذهباً).

له منظرٌ كالشمس يُعطي ضياؤه، وليس كمثلِ البدرِ يأخذُ ما أعطى (١).
 فهذا الذي أعيأ الأنامَ فأضَمُّروا
 وهذا هو الكَنْزُ الذي وَضَعُوا له
 وتخلِصُه سهلٌ بغيرِ مَشَقَّةِ
 أبا جعفرٍ، خُذْها إليك يَتِيمةً
 ولكنَّني لَمَّا رأيتُكَ أهلها
 لَمَن وَضَعَ الأرمازَ في علمِه سَخطاً (٢).
 بِرَأيي أَحْمِرُ وَخَصَّوْا بِهَا قِنطاً (٣).
 لَمَن عَرَفَ التَّطهيرَ والعَقْدَ والمُخلطَ (٤).
 تَوَرَّعَ لوقا أَن يُورَثَها قِنطاً (٥).
 سَمَحَتْ بِهَا لفظاً وَأُثبتَها خطأ.

٤- ** فوات الوفيات ٢: ١١٤-١١٦، نفع الطيب ٣: ٦٠٥-٦٠٦، الأعلام للزركلي ١٧٨: ٥ (٢٦).

أبو مدين

١- هو شيخُ الشيوخِ الفَوْتُ أبو مَدَيِّنِ شُعَيْبُ بنُ الحَسَنِ الأَنْصاريُّ الأَنْدلسيُّ المَغْرِبِيُّ التِّلِمْسائيُّ، أصلُه من الأَنْدلسِ من حُصْنِ مَنْتوجَةٍ قُرْبَ إِشبيليةَ.

وُلِدَ أبو مَدَيِّنِ نَحْوَ سَنَةِ ٥١٥ هـ (١١٢١-١١٢٢ م). ويبدو أَنَّهُ غادَرَ الأَنْدلسَ باكرًا إلى المَغْرِبِ ونَزَلَ في فاس فأخَذَ العِلْمَ فيها عن أبي يَعْزَى وعن أبي الحَسَنِ بن

(١) الشمس في اصطلاح علماء الكيمياء: الذهب. البدر: الفضة. - يقصد أن الفضة أسرع إلى أن تصبح ذهباً من جميع المعادن الأخرى. ويجوز في الشرح اللغوي يقصد أن له - لمعدن الذهب - ضياءه الذي ينبع منه، وهو ليس كالفضة، التي تشبه البدر الذي يكون نوره من الضياء الذي استمدته من غيره.

(٢) الأرماز، يقصد الرموز جمع رمز. أعيأ: أتعب. - علماء الكيمياء تكلموا على صنعتهم بالرموز فلم يفهمها الناس العاديون فكروها أولئك العلماء.

(٣) هذا الكنز (الكيمياء) وضعوا (بنوا) له برابي (أهرام) إخم (بكر الهضرة) بلد في مصر أو هي مصر. فقط: بلد في صعيد مصر.

(٤) تخليصه: تخليص الأكسير من المعدن. التطهير (التصفية، التنقية) العقد (التجميد) المخلط (المزج) بمقادير صحيحة) من ألفاظ الكيمياء.

(٥) أبا جعفر: يا أبا جعفر (ينادي رجلاً لعلَّه صديقه الذي كتب إليه بهذه القصيدة). تورع: خاف، تردد. قسطا بن لوقا: رجل كان في الدولة العبّاسية ينقل الكتب من اللغة اليونانية إلى اللغة العربية. تورع لوقا أن يورثها قسطا: خاف لوقا أن يكشف سرَّ الكيمياء لابنه (يضنُّ بها كلُّ إنسان على غيره حتى على ابنه).

حِرْزِهِمْ وَأَبِي الْحَسَنِ بْنِ غَالِبٍ، ثُمَّ أَخَذَ فِي تَلْمِزَانٍ عَنْ نَفَرٍ كَثِيرِينَ مِنَ الْعُلَمَاءِ. وَذَهَبَ أَبُو مَدِينٍ إِلَى الْحَجِّ فَلَقِيَ فِي مَكَّةَ عَبْدَ الْقَادِرِ الْجِيلَانِيَّ (٤٧١ - ٥٦١ هـ) وَأَخَذَ عَنْهُ طَرِيقَتَهُ فَأَلْبَسَهُ عَبْدُ الْقَادِرِ الْجِيلَانِيُّ الْحِرْقَةَ (دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ أَصْبَحَ شَيْخًا مِنْ شِيُوخِ الصُّوفِيَّةِ).

عَادَ أَبُو مَدِينٍ إِلَى الْمَغْرِبِ وَاسْتَوَظَنَ بِجَايَةَ وَكَانَ يُدْرَسُ فِي زَاوِيَةِ الْفَقِيهِ أَبِي زَكَرِيَا الزَّوَاوِيِّ. فَكَثُرَ أَتْبَاعُهُ كَثْرَةً أَخَافَتْ الْمَنْصُورَ الْمُوَحَّدِيَّ فَاسْتَدْعَاهُ إِلَى مَرَاكُشَ (كَيْ يُبْعِدَهُ عَنِ مَرْكَزِ نَشَاطِهِ وَيَجْعَلَهُ فِي نِطَاقِ رِقَابَتِهِ). وَقَدْ تُوَفِّيَ أَبُو مَدِينٍ فِي أَثْنَاءِ رِحْلَتِهِ إِلَى مَرَاكُشَ عِنْدَ وَادِي يُسْرِ، فَحُمِلَ إِلَى تِلْمَسَانَ وَدُفِنَ فِي جَبَلِ الْعُبَادِ عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنْهَا، سَنَةَ ٥٩٤ هـ (١١٩٧ - ١١٩٨ م).

٢- كَانَ أَبُو مَدِينٍ مِنَ الْمُتَّصِفَةِ الَّذِينَ جَمَعُوا بَيْنَ الشَّرِيعَةِ وَالْحَقِيقَةِ، وَمِنْ حُقَافِ الْمَحْدِيثِ وَنِزْوَاتِ الْمُعْجَبِينَ بِكِتَابِ «إِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ» لِلْفِرْزَالِيِّ (ت ٥٠٥ هـ). وَكَانَ فِقْهِهَا يُفْتَى عَلَى مَذْهَبِ مَالِكٍ. وَلَكِنْ كَانَ فِيهِ تَطَرُّفٌ: اعْتَقَدَ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ رَأْسُ السَّبْعَةِ الْأُبْدَالِ (بَعْدَ الْأَرْبَعَةِ الْأَقْطَابِ) ثُمَّ تَخَيَّلَ أَنَّهُ وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَخَاطَبَهُ. وَهَذَا شِعْرٌ وَنَثَرٌ فِي الْحِكْمِ. وَهَذَا، مِمَّا يَصِحُّ أَنْ يُسَمَّى كُتُبًا: بَدَايَةُ الْمُرِيدِينَ - أُنْسُ الْوَحِيدِ وَنَزْهَةُ الْمُرِيدِ.

٣- مَخْتَارَاتٌ مِنْ آثَارِهِ:

- مِنْ أَقْوَالِ أَبِي مَدِينٍ (عِنْدَ عُنْوَانِ الدِّرَايَةِ ٦٢ وَمَا بَعْدَ):

مِنْ رَأْيَتِهِ يَدْعِي حَالًا لَا يَكُونُ عَلَى ظَاهِرِهِ مِنْهُ ^(١) شَاهِدٌ فَاحْذَرُهُ - لَا يَصْلُحُ سَاعُ هَذَا الْعِلْمِ ^(٢) إِلَّا لِمَنْ جَمِعَتْ لَهُ أَرْبَعَةٌ: الزُّهْدُ وَالْعِلْمُ وَالتَّوَكُّلُ وَاليَقِينُ ^(٣) - مِنْ تَعْلُقِ

(١) ظَاهِرُهُ (ظَاهِرُ الْمَدْعَى: الْإِنْسَانُ الْمُتَّصِفُ) - مِنْهُ (مِنْ الْحَالِ). وَالْحَالُ (مَوْثِقَةٌ) هِيَ جَوْ نَفْسَانِي يَحِيطُ بِالصُّوفِيِّ وَهُوَ يَنْتَقِلُ فِي الْمَقَامَاتِ لِلتَّقَرُّبِ مِنَ اللَّهِ.

(٢) الْعِلْمُ: عِلْمُ التَّصَوُّفِ. (عِلْمُ حَقَائِقِ الْأُمُورِ).

(٣) الْعِلْمُ: الْعِلْمُ الدِّهْنِيُّ (أَوْ الْكُوْنِيُّ أَيْضًا). الْيَقِينُ (الثِّقَّةُ بِاللَّهِ وَوَحْدِهِ).

بَدَعُو الْأَمَانِي لَمْ يَفَارِقِ التَّوَانِي^(١) - جَعَلَ اللَّهُ قُلُوبَ أَهْلِ الدُّنْيَا مَحَلًّا لِلغَفْلَةِ
وَالوَسْوَاسِ وَقُلُوبَ الْعَارِفِينَ مَحَلًّا لِلذِّكْرِ وَالِاسْتِنْسَانِ^(٢) - الْفَتْرَةُ هِيَ الْاِسْتِغْفَالُ
بِالْحَلْقِ عَنِ الْخَالِقِ^(٣) - مِنْ أَهْمَلِ الْفَرَائِضِ فَقَدْ ضَيَّعَ نَفْسَهُ - مِنْ عَرَفَ نَفْسَهُ لَمْ يَفْتَرَّ
بِشَاءِ النَّاسِ عَلَيْهِ - اخْتَرِ الْمُتَبَدِّعِينَ فَهُوَ أَبْقَى عَلَى دِينِكَ، وَاحْذَرِ مَحَبَّةَ النِّسَاءِ فَهُوَ
أَبْقَى عَلَى قَلْبِكَ.

- وَمِنْ نَفْحِ الطَّيِّبِ (٧: ١٣٩ وَمَا بَعْدُ):

مَقَامِي الْعُبُودِيَّةِ، وَعِلْمِي الْأَلُوْهِيَّةِ، وَصِفَاتِي مُسْتَمَدَّةٌ مِنَ الصِّفَاتِ الرَّبَّانِيَّةِ:
مَلَأَتْ عِلْمُهُ سِرِّي وَجَهْرِي وَأَضَاءَ بِنُورِهِ بَرِّي وَبَحْرِي. فَالْمُقَرَّبُ مَنْ كَانَ بِهِ عَلِيًّا، وَلَا
يَسْمُو إِلَّا مَنْ أُوتِيَ قَلْبًا سَلِيًّا... يَسْلَمُ تَمَّا سِوَاهُ، وَلَا يَكُونُ (فِيهِ) إِلَّا مَا جَعَلَهُ
مَوْلَاهُ^(٤).

- وَهُوَ نَظْمٌ كَثِيرٌ مَشْهُورٌ بِأَيْدِي النَّاسِ. وَمَا يُنْسَبُ إِلَيْهِ قَوْلُهُ (نَفْحِ الطَّيِّبِ ٧:
١٤٣ - ١٤٤) يَذْكُرُ مَظَاهِرَ الطَّبِيعَةِ بِالْفَاطِمَةِ بِالْمَأْلُوفَةِ تَمَّ يَذْكُرُ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ بِاطْنِهَا:

بَكَتِ السَّحَابُ فَاضْحَكَتْ لِبُكَائِهَا	زَهَرَ الرِّيَاضِ وَفَاضَتْ الْأَنْهَارُ.
وَأَتَى الرِّيْعُ بِجَنِيْلِهِ وَجُنُودِهِ	فَتَمَتَّعَتْ فِي حُسْنِهِ الْأَبْصَارُ.
وَالوَرْدُ نَادَى بِالوَرُودِ إِلَى الْجَنَى	فَتَسَابَقَ الْأَطْيَارُ وَالْأَشْجَارُ ^(٥) .
وَالكَّاسُ تَرَقَّصُ وَالْعُقَارُ تَشَفَّعَتْ	وَالجَوْ يَضْحَكُ وَالْحَبِيبُ يُزَارُ ^(٦) .
وَالعُودُ لِلغَيْدِ الْحَسَنِ مُجَابِبٌ،	وَالطَّارُ أَخْفَى صَوْتَهُ الْمِزْمَارُ ^(٧) .

(١) التَّوَانِي: الْكَلْبُ، فَتَوَرَّ الْهَمَّةُ.

(٢) الْوَسْوَاسُ: اِخْتِلَاطُ الْأَفْكَارِ وَتَوَهُّمُ الْهَازِئِ. الْعَارِفُ: الصَّوْفِي الَّذِي يَبْلُغُ دَرَجَةَ الْقُرْبِ مِنَ اللَّهِ. الذِّكْرُ

(جَمْعُهَا: أَذْكَارُ): تَرَدِيدُ جَلِّ فِيهَا تَبْيِيرٌ عَنِ قُدْرَةِ اللَّهِ (فِي التَّصَوُّفِ: اسْتِحْضَارُ اللَّهِ فِي الْقَلْبِ).

الِاسْتِنْسَانُ: الْاطْمِئْنَانُ إِلَى الْحَاضِرِ مَعَ اللَّهِ.

(٣) الْفَتْرَةُ: اِنْتِقَاعُ التَّصَوُّفِ عَنِ الذِّكْرِ. الْخَالِقُ: الْخَلْقُ، مَجْمُوعُ الْخَلْقَاتِ. الْخَالِقُ: اللَّهُ.

(٤) ... لَا يَكُونُ فِي الْقَلْبِ إِلَّا مَا وَضَعَهُ اللَّهُ فِيهِ.

(٥) الْوَرُودُ (مَصْدَرٌ): الْجَمِيءُ إِلَى الْمَاءِ. الْجَنَى: قَطْفُ الثَّمَرِ.

(٦) الْعُقَارُ: الْحَمْرُ. تَشَفَّعَتْ: مَزَجَتْ بِالْمَاءِ (هُنَا: ظَهَرَ بِرَبِّهَا).

(٧) الطَّارُ: نَوْعٌ مِنَ الدَّفِّ (بِضْمِ الدَّالِ أَوْ فَتْحِهَا) يَكُونُ لَهُ وَجْهٌ وَاحِدٌ (بِخِلَافِ الطَّبْلِ الَّذِي لَهُ وَجْهَانِ).

لا تحسبوا الزمراً الحراماً مُرادنا؛ مِزمارُنَا التسييحُ والأذكارُ.
 وشراؤنا مِن لُطْفِهِ، وغناؤنا، نَعَمُ الحبيبُ الواحدُ القهارُ.
 والعُودُ عاداتُ الجميلِ، وكأسُنَا كأسُ الكِياسَةِ، والعُقارُ وقارُ.

٤- ** أنس الوحيد ونزهة المرید في التوحيد (شرحها شهاب الدين أحمد بن عبد القادر الملقب باعثن في كتاب له سماه: البيان والمزيد المشتمل على معاني التنزيه وحقائق التوحيد، مصر ١٢٩٧، ١٣٠٠، ١٣٠٦ هـ).

تعريف الخلف ٢: ١٧٢ - ١٧٨؛ عنوان الدراية ٥٥ - ٦٥؛ نيل الابتهاج ١٢٧ - ١٢٩؛ نفع الطيب ٥: ٣١٧، ٧: ١٣٦ - ١٤٤؛ شذرات الذهب ٤: ٤٣٠٣؛ دائرة المعارف الإسلامية ١: ١٣٧ - ١٣٨؛ بروكلمان ١: ٥٦٧ - ٥٦٨، الملحق ١: ٧٨٤ - ٧٨٥؛ الأعلام للزركلي ٣: ٢٤٤ (١٦٦)؛ ابن قنفذ ٢٩٧ - ٣٩٧ سركيس ٣٤٥.

ابن صاحب الصلاة

١- هو أبو مروان (وأبو محمد) عبد الملك بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الباجي المعروف بابن صاحب الصلاة، ولعل مولده كان في سنة ٥٣٧ هـ (١١٤٢ - ١١٤٣ م) في باجة^(١).

تقلّب ابن صاحب الصلاة بين المغرب والأندلس كثيراً؛ كان في قرمونة، في مطلع سنة ٥٥٧ هـ (آخر ١١٦١ م). ثم قويت صلته بالموحدين فرأيناه في السنة نفسها في قرطبة، ثم انتقل إلى المغرب فزار ستة فاس ثم كان في مراكش في غرة رجب من سنة ٥٦٠ (١٤ / ٥ / ١١٦٥ م). وأقام في مراكش مدة.

ثم إنه عاد إلى الأندلس سنة ٥٦٤ هـ (١١٦٩ م) وسكن إشبيلية، ولذلك أصبح يُعرف بالإشبيلي أيضاً. وبعد عامين رجع إلى مراكش ولكنه عاد وشيكا إلى

(١) باجة قرب إشبيلية في الأندلس. وصاحب الصلاة منصب حدث في المغرب والأندلس في القرن الثالث للهجرة (التاسع للميلاد) - ومعناه الإمام الذي يؤم الناس في صلاتهم.

الأندلس . ولعلّ وفاته كانت بعيد سنة ٥٩٤ هـ (١١٩٧ - ١١٩٨ م) وفي إشبيلية في الأغلب .

٢- لابن صاحب الصلاة كتابان: «ثورة المريدين»^(١) و«المن بالإمامة»^(٢). ولا يُعرف اليوم إلا الجزء الثاني من «المن بالإمامة». وعُرِفَتْ له أيضاً قطعتان في الشعر.

كتاب «المن بالإمامة» يتناول تاريخ الدولة الموحدية، وفيه جوانب سياسية وجوانب إدارية (وصفٌ لعدد من وجوه الإدارة) وجوانب اجتماعية (دينية واقتصادية) وأدبية لكثرة ما فيه من الرسائل الديوانية^(٣) ومن الشعر خاصة. ويغلب على ابن صاحب الصلاة في كتابه هذا التقرب إلى الموحدين. وأسلوب المؤلف يتنقل بين السرد العادي ومحاولة التأق (باللجوء إلى الموازنة والسجع) من غير براعة خاصة.

٣- مختارات من آثاره:

- ذكّر عبور محمد بن عبد المؤمن البحر من سبتة إلى جبل طارق^(٤) (ص ١٤٧):
قال المؤلف: ولما أنارت الآفاق بالعدوة^(٥) والأندلس بالبشائر الواصلة بقرب

(١) كان أبو العباس أحمد بن قسي من المولدين (في الأندلس: المسلمون من الأسيان). ويبدو أنه كان يُبطن عداً للإسلام (كمصر بن حفصون وغيره) فجمع حوله طائفة من الناس يتظاهر أمامهم بشيء من التعمد والتصوّف فكانوا له أتباعاً (مريدين: بلفه أهل التصوّف) ثم دفعهم إلى إثارة الفتنة وقتال الدولة المسلمة.

(٢) الاسم الكامل لهذا الكتاب: «تاريخ المنّ بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم أئمةً وجعلهم الوارثين، وظهور الإمام المهدي بالموحدين على الملثمين وما في مساق ذلك من خلافة الإمام الخليفة أمير المؤمنين وآخر الخلفاء الراشدين» (ظهور: انتصار. المهدي: هو المهدي بن تومرت صاحب دعوة الموحدين. الملثمون: المرابطون، أصحاب الدولة الذين كانوا قبل الموحدين. المقصود بأمر المؤمنين هنا: عبد المؤمن بن عليّ أول سلاطين الموحدين. آخر الخلفاء الراشدين: الذي سلك مسلك الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ في التقوى والعدل).

(٣) الرسائل الديوانية: الرسمية (وكان له أسلوب خاص أنيق من استخدام أوجه البلاغة).

(٤) سبتة في إفريقية وجبل طارق في أوروبا وبينهما بحر الزقاق (مضيق جبل طارق).

الخليفة في الإياب من المسير، على أوفى الظفر والتيسير، أنفذ السيد الأجل الأعلى أبو يعقوب^(١) عزمه الأول بالإسراع والوحد والزميل^(٢) لبركة اللقاء والاجتماع، واستناب بإشبيلية من طلبية^(٣) الموحدن - أعانهم الله - من ينوب منابه في محاربة أهل قرمونة الأشقياء أصحاب ابن هُمُك^(٤)....

- وصول خبر الانتصار على ابن مردانيش^(٥) إلى مراكش (ص ٢٧٥):

ومن عجائب الغال قال المؤلف: كُنْتُ صَبِيحَةَ يَوْمِ الْأَحَدِ الَّذِي وَصَلَتْ فِيهِ هَذِهِ الْبُشْرَى الْفَاتِحَةُ قَدْ بَكَرْتُ عَلَى الْعَادَةِ، إِلَى مُنْتَبِهِي^(٦) دَارِ الْخَلِيفَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، جَالِسًا مَعَ طَلِبَةِ الْحَضْر^(٧) وَأَشْيَاخِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ نَتَطَلَّعُ إِلَى الْأَخْبَارِ وَقَدْ بَعُدَ زَمَانُهَا وَتَوَقَّفَ الْوَاصِلِينَ^(٨) بِهَا، إِذْ رَأَيْتُ قِطًّا عَلَى سَقْفِ دَارِ الْخَلِيفَةِ يَمْشِي وَفِي فَمِهِ فَرَخٌ حَامٍ قَدْ افْتَرَسَهُ، فَقُلْتُ لِمَنْ كَانَ مَعِي مِنْ أَشْيَاخِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ: اللَّهُ أَكْبَرُ؟ هُرْمٌ، وَاللَّهِ، ابْنُ مَرْدَانِيَشٍ! فَقَالُوا لِي: بِمَ تَقُولُ هَذَا؟ فَقُلْتُ لَهُمْ: هَذَا الْقِطُّ شِبْهُ الْأَسَدِ وَالْأَسَدُ عُدُوِّي^(٩) وَالْحَمَامُ عَجْمِي. فَقَدْ غَلَبَتِ الْمُوَحَّدُونَ الْعَجَمَ وَافْتَرَسُوهُمْ كَافْتَرَسَ هَذَا الْقِطُّ الْفَرَخَ!

(٥) العدو (بضم العين وكسرها): جانب الوادي. وهنا: الشاطيء الإفريقي من المغرب.

(١) أبو يعقوب: يوسف بن عبد المؤمن بن علي كان والياً على إشبيلية (ثم أصبح سلطان الموحدن بعد وفاة أبيه).

(٢) الوحد والزميل: الإسراع في المشي، الركض.

(٣) طلبية الموحدن: أتباع الموحدن (٤).

(٤) هو إبراهيم بن أحمد، صهر ابن مردانيش (انظر، فوق، ص ٤٣٩) من المولدين أيضاً تار على الموحدن، ثم تغلبت الموحدون عليه وأسرته ونقلوه إلى المغرب فات سنة ٥٧٢ هـ (١١٧٦ م) في مكناسة (في الجزائر اليوم).

(٥) ابن مردانيش (مردنيس) هو محمد بن سعد من المولدين، كما يدل عليه اسمه، استعان بالاسبان وثار على الموحدن. حاصره الموحدون في مرسية (الأندلس) فات في أثناء الحصار، سنة ٥٦٧ هـ (١١٧١) في أيام يوسف بن عبد المؤمن بن علي.

(٦) منتبهي كلمة بربرية تطلق على «سقيفة» تكون في أعلى القصر (من خصائص العمارة المغربية).

(٧) طلبية الحضر:

(٨) كذا في الأصل. وتوقف الواصلون بها: انتقلت (الأخبار) مدة.

(٩) العدوي (نسبة إلى العدو): الجانب (الآخر: كناية عن الجانب الإفريقي - موطن الموحدن). - الأسد من وحوش افريقية وليس من أرض الأندلس.

فما كان (إلا) مقداراً ما أكملنا الكلام في هذا القول، (حق) دخل الفُرسانُ القادمون بالبُشرى في الحين بحيلهم في مُنتهيهمي - وبأيديهم علاماتُ ابنِ مردانيشَ مستورة - على غير علمٍ ولا مُقدّمةٍ من وُصولهم. ففزعَ الناسُ أولاً لدُخولهم بغيرِ مُقدّمةٍ ولا إذنٍ. ثم علّموا من صحيح صياحهم أنها بُشرى بالفتح. فقام التكبيرُ والتهيل وضربتِ الطبولُ واتصلَ السرور...

٤ - تاريخ المنّ بالإمامة على المستضعفين.... (استخرجه عبد الهادي التازي)، بيروت (دار الأندلس) ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٤ م.
 ** التكملة ٦٢٠ (رقم ١٧٢٦)، الحلة السراء (ذكر ذكرأ عارضاً ٢: ١٥٤ الخ) المقضب ٦٨ - ٦٩ نفع الطيب (ذكر عارضاً ٢: ٥٣٣)، بروكلمان، الملحق ١: ٥٥٤، دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٩٢٤ - ٩٢٥، الأعلام للزركلي (٤: ١٦٤)، بالشيا ٢٤٢.

ابن رشد

١ - هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد، وُلدَ سنّة ٥٢٠ (١١٢٦ م) في بيتِ علمٍ وجاهٍ. واتصل ابنُ رشدٍ ببلاطِ الموحّدين ونالَ حُطوةً فيه. وفي سنّة ٥٦٥ أصبحَ قاضيَ قُرطبةَ. ولما أرادَ ابنُ طفيلٍ أن يعتمَلَ الطبَّ في بلاطِ الموحّدين (٥٧٨ هـ) خلفه فيه ابنُ رشدٍ بتوصيةٍ من ابنِ طفيلٍ نفسه.

ولقيَ ابنُ رشدٍ من عوامِّ الناسِ أظهاداً شديداً بسببِ آرائه الفلسفية، فاضطرَّ إلى أن يعيشَ مُدّةً في عُزلةٍ عن الناسِ. وكانت وفاته في مرّاكش، في تاسعِ صفرٍ من سنّة ٥٩٥ (١١ - ١٢ - ١١٩٢ م).

٢ - ابنُ رشدٍ أكبرُ فلاسفةِ الإسلامِ وأكبرُ الفلاسفةِ كلِّهم في العصورِ الوُسطى وأعظّمهم أثراً في التفكيرِ الأوروبي الوسيط. وكانت عبقريةُ ابنِ رشدٍ تتجلّى في أنه نظَرَ إلى الدينِ من جانبيه الفينيِّ ومن جانبيه الاجتماعيِّ معاً، وفي أنه أرادَ أن يُشبِّطَ العامّةَ عن التوسّعِ في الجانبِ الأوّلِ (وهو جانبٌ نظريٌّ في الأكثرِ) للاهتمامِ بالجانبِ الثاني (وهو الجانبُ العمليُّ في الحياةِ الإنسانية).

ولابن رُشدٍ شيءٌ من النقد الأدبي وشيءٌ من النظم.

كان معرفة ابن رُشدٍ بكتاب السياسة لأفلاطون (وهو الكتاب المعروف عند نَفَرٍ من المتأدِّبين بجمهورية أفلاطون) وبكتاب الشعر لأرسطو أثرٌ في اتجاه ابن رُشدٍ في النقد الأدبي. ومع أن مِيارَ النقدِ اليوناني مختلفٌ من مِيارِ النقدِ العربيِّ (لاختلافِ فنونِ الشعر وموضوعاته بين اللغتين قليلاً أو كثيراً، ولاختلافِ الثقافة والمُثلِ العُلِّيا لدى العرب واليونان)، فإن ابن رُشدٍ أرادَ أن يستفيدَ من آراءِ الفيلسوفين اليونانيين العَظِمين في الحُكمِ على الشعرِ العربيِّ. وابن رُشدٍ لم يتقيدُ بتفاصيلِ آراءِ الفيلسوفين العَظِمين، وذلك راجعٌ إلى خِطةِ ابن رُشدٍ في شرحِ كتبِ أرسطو (إذ كان يتخذُ الشرحَ لتلك الكتبِ - في بعضِ الأحيان - وسيلةً إلى إبداءِ رأيه هو). في هذا المنحى فصلَ الكلامَ على التشبيهِ والكِنَايةِ كما أَلْفَهَا العربُ.

وابن رُشدٍ ينهى عن تأديبِ الولدانِ بأشعارِ الفَزَلِ ثم يحضُّ على تأديبهم بالأشعارِ التي تحثُّ على الشجاعةِ والكرمِ (وهذا موافقٌ لرأيِ ابنِ سينا في تربيةِ الولدان).

٣ - مختارات من آثاره:

- من مَطَّلَعِ كِتَابِ «فَصْلِ الْمَقَالِ وَتَقْرِيرِ مَا بَيْنَ الشَّرِيعَةِ وَالْحِكْمَةِ»^(١) مِنَ الْإِتِّصَالِ:

.... إِنَّ الْفَرَضَ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ أَنْ نَفْحَصَ - عَلَى جِهَةِ النَّظْرِ الشَّرْعِيِّ - هَلِ النَّظَرُ فِي الْفَلْسَفَةِ وَعِلْمِ الْمُنْطِقِ مُبَاحٌ فِي الشَّرْعِ، أَمْ مَحْظُورٌ، أَمْ مَأْمُورٌ بِهِ، إِمَّا عَلَى جِهَةِ النَّدْبِ وَإِمَّا عَلَى جِهَةِ الْوُجُوبِ^(٢) ؟ فنقولُ: إِنَّ فِعْلَ الْفَلْسَفَةِ لَيْسَ شَيْئاً أَكْثَرَ مِنَ النَّظْرِ فِي الْمَوْجُودَاتِ وَعَاتِبَارِهَا مِنْ جِهَةِ دَلَالَتِهَا عَلَى الصَّانِعِ، - أَعْنِي مِنْ جِهَةِ مَا هِيَ مَصْنُوعَاتٌ - فَإِنَّ الْمَوْجُودَاتِ إِنَّمَا تَدُلُّ عَلَى الصَّانِعِ لِمَعْرِفَةِ صُنْعِهَا^(٣). وَإِنَّهَ كَلِمَا كَانَتْ الْمَعْرِفَةُ بِصُنْعِهَا أَثْمَ، كَانَتْ الْمَعْرِفَةُ بِالصَّانِعِ أَثْمَ.

(١) الحكمة: الفلسفة، التفكير بالعقل.

(٢) الوجوب: الفرض، الإلزام.

(٣) إذا كان الإنسان نجاراً مثلاً فإنه يستطيع أن يحكم حكماً أكثر عدلاً في اتقان أثاث المنزل وقيمته.

فَأَمَّا أَنْ الشَّرْعَ دَعَا إِلَى اعْتِبَارِ الْمَوْجُودَاتِ بِالْعَقْلِ وَتَطَلُّبِ مَعْرِفَتِهَا بِهِ، فَذَلِكَ بَيِّنٌ فِي غَيْرِ مَا آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، مِثْلَ قَوْلِهِ: «فَاعْتَبِرُوا، يَا أُولِي الْأَبْصَارِ»^(١). وَهَذَا نَصٌّ عَلَى وُجُوبِ اسْتِعْمَالِ الْقِيَاسِ الْعَقْلِيِّ، أَوِ الْعَقْلِيِّ وَالشَّرْعِيِّ مَعًا...

- من كتاب «تهافت التهافت»:

والقديمُ أيضاً يُقالُ على ما هوَ قديمٌ بذاتِهِ و(على) ما هوَ قديمٌ بغيرِهِ^(٢). وكذلك الفاعلُ أيضاً: منه ما يفعلُ بإرادتِهِ، ومنه ما يفعلُ بطبيعته^(٣) (ص ١٦)..... والقومُ (الفلاسفة) لما أداهمُ البرهانُ إلى أنَّهُ هنا مُحَرِّكاً أَرْبَاباً لَيْسَ لوجودِهِ ابتداءٌ ولا انتهاءٌ - وأنَّ فعله يَجِبُ أَنْ يَكُونَ غَيْرَ مُتَرَاخٍ عَن وُجُودِهِ^(٤) - لَزِمَ أَلَّا يَكُونَ لِفعلِهِ مبدأٌ كالحالِ في وُجُودِهِ، وإلَّا لكانَ فِعْلُهُ مُمَكِّناً لا ضَرُورِيّاً^(٥). فيجبُ أنْ تَكُونَ أفعالُ الفاعلِ الذي لا مبدأَ لوجودِهِ لَيْسَ لها مبدأٌ كالحالِ في وُجُودِهِ (ص ٢٠).....

- وقال ابن رُشدٍ في العِشْقِ والأدبِ الوقورِ (المغرب ١: ١٠٤ - ١٠٥):

ما العِشْقُ شأني، ولكنْ لستُ أَنْكِرُهُ. كَمَ حَلَّ عَقْدَةَ سُلُوفِي تَدَكُّرُهُ^(٦)!
مَنْ لِي بَغْضٌ جَفُونِي عَن مُخْبِرَةِ الرِّجْلِ أَجْفَانٍ قَدْ أَظْهَرَتْ مَا لستُ أَضْمِرُهُ^(٧).

-
- (١) القرآن الكريم.... (٥٩: ٢، سورة المشر).
- (٢) القديم بذاته (ما ليس لوجوده سبب): الله. القديم بغيره (ما كان الله سبباً لوجوده): مجموع العالم.
- (٣) ما يفعل بإرادته: الإنسان (يريد أحياناً أن يفعل شيئاً ولا يريد أحياناً أخرى أن يفعله). ما يفعل بطبيعته: العوامل الطبيعية كالنار والماء والسكين فإنها تحرق الأشياء القابلة للاحتراق أو تبلى الأشياء القابلة للبلل أو تقطع الأشياء بلا شدوذ ولا توقف.
- (٤) غير متراخ عن وجوده: ليس ثمة زمن فاصل بين وجوده هو وفعله (إن العالم فعل لله - من خلق الله - والله سبب وجود العالم. فالعالم بهذا النظر غير متأخر في الوجود عن وجود الله نفسه).
- (٥) الفعل الممكن (ما يفعله صاحبه إذا شاء ويتركه إذا شاء: أفعال البشر عامة). الضروري: ما ليس للكائن خيار في فعله: كإحراق النار لشيء من الخشب مثلاً يُلْتَمَى فيها أو كشمور الإنسان بالحر أو البرد في مكان كثير البرد أو كثير الحر.
- (٦) ذكرى الحب (منذ أيام الشباب) تلح عليّ فلا أستطيع أن أنسى أنني إنسان يشعر وبجسدي.
- (٧) لو كتم الإنسان حبه (بالسكوت أو بقلة التظاهر) فإن عيونته (ونظراته) تدلّ على ميله إلى الجمال.

لولا النهى لَأَطَمْتُ اللحظَ ثانيةً فيمَن يَرُدُّ سِنَا الأَلحَاطِ مَنظَرَه (١).
 ما لابنِ سَتِينِ قَادَتُهُ لِفَايَتِهِ عَشْرِيَّةٌ فَتَأَى عَنْهُ تَصْبِيرَه (٢).
 قد كان رَضَوِي وَقَاراً، فَهَوَ سَافِيَةً: الحِسنُ يُورِدُهُ وَالهُونُ يُصْدِرُهُ (٣).

- من آخر «تفاوت التهافت»: (٥٨٤ - ٥٨٨):

.... إِنَّ الحِكمَاءَ (٤) بِأَجْمَعِهِم يَرَوْنَ فِي الشَّرَائِعِ هَذَا الرِّأْيَ، أَعْنِي: أَنْ يُتَقَلَّدَ (من الأنبياء والواضعين مبادئ العمل والسُنن* المشروعة في مِلَّةِ مِلَّةٍ. والمدوح عندهم من هذه الأعمال الضرورية هو ما كان منها أحت للجمهور على الأعمال الفاضلة حتى يكون الناشئون عليها أتم فضيلة من الناشئين على غيرها، مثل الصلوات عندنا (٥)، فإنه لا يُشكُّ في (أنها) تنهى عن الفحشاء والمنكر، كما قال تعالى (٦). وإن الصلاة الموضوعية في هذه الشريعة فيها هذا الفعل أتم منه في سائر الصلوات الموضوعية في سائر الشرائع، وذلك بما شُرِطَ في عددها وأوقاتها وأذكارها وسائر ما شُرِطَ فيها من الطهارة ومن التروك - أعني: ترك الأعمال المفسدة لها.

وكذلك الأمرُ فيما قيل في المعاد (٧) فيها هو أحت على الأعمال الفاضلة مما قيل في غيرها. ولذلك كان تمثيل المعاد لهم (٨) بالأمور الجسمانية أفضل من تمثيله بالأمور الروحانية، كما قال سبحانه (٩): «مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

-
- (١) النهى: العقل - قد قيل عيني إلى وجه جميل ولكن عقلي ينهاني عن تكرار النظر، خوفاً من الوقوع فعلاً فيما لا يجوز (لابن ستين سنة).
 (٢) عشرية: فتاة عمرها بضع وعشر سنين.
 (٣) قد كنت وقوراً (كجبل رضوى) لا أميل إلى اللهو، والآن أصبحت خفيفاً مثل التراب الذي تنفيه (تنثره) الرياح (في الجبل): الجهال يجطني أميل إلى صاحبه و(خوف) الهون (الذل واحتقار الناس) يصدرني (يردني، يرجعني) - يفتح الياء وكسر الجيم) عن ذلك.
 (٤) الحكماء: فلاسفة اليونان القدماء. (* السن معطوفة على مبادئه).
 (٥) عندنا (في الإسلام).
 (٦) «... وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر...» (٢٩: ٤٥، الصنكبيوت).
 (٧) المعاد: الحشر (البعث يوم القيامة).
 (٨) لهم (للناس).
 (٩) ١٣: ٣٥، الرعد.

الأنهار». وقال النبي عليه السلام: «فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطرَ على قلب بشرٍ قطَّ». وقال ابن عباس^(١): «ليس في الآخرة من الدنيا إلا الأسماء». فدلَّ (ت هذه الأقوال) على أن ذلك الوجودَ (الآتي) نشأةٌ أخرى أعلى من هذا الوجودِ وطوَرٌ آخرُ أفضلُ من هذا الطور...

وقد رأيتُ أن أقطعَ هُنا القولَ في هذه الأشياءِ والاستغفار^(٢) من التكلمِ فيها. ولولا ضرورةُ طلبِ الحقِّ معَ أهله... وهو، كما يقول جالينوس^(٣): «رجلٌ واحدٌ من ألفٍ» - والتصديّ إلى أن يقولَ فيه من ليس من أهله^(٤) ما تكلمتُ، عَلِمَ اللهُ بحرفي.

٤ - تهافت التهافت، مصر (المطبعة الخيرية) ١٣١٩ هـ، مصر (الباي الحلبي) ١٣٢١ هـ (موريس بويج)، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٣٠ م.

- فلسفة ابن رشد (عنوان مجموع يضم ثلاث رسائل: فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال - الكشف عن مناهج الأدلّة في عقائد الملة وتعريف ما وقع فيها بحسب التأويل من الشبه المزيّفة والعقائد المضلّة - ذيل لفصل المقال... الخ) (نشرها مللر) مونيخ (فرانز) ١٨٥٩ م، مصر (المطبعة العلمية) ١٣١٣ هـ، مصر (المطبعة الجاهلية) ١٣٢٨ هـ، مصر (محمود علي صبيح - المكتبة المحمودية) بلا تاريخ. ثم «فصل المقال...» (ليون غوتيه)، الجزائر (كاربوغيل) ١٩٤٨ م؛ (تحرير فضلو حوراني)، ليدن (بريل) ١٩٥٩ م، (نشرها ألبير نادر)، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٦١ م - مناهج الأدلّة... (تقديم وتحقيق محمود قاسم)، القاهرة (مكتبة الانكلو المصرية) الطبعة الثانية ١٩٦٤ م.

رسالة التوحيد والفلسفة (موللر)، مونيخ ١٨٧٥ م.

(١) عبد الله بن عباس (٣ قبل الهجرة - ٦٨ هـ) ابن عمّ الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لازم (على صغر سنّه) الرسول وروى عنه الأحاديث الصحيحة، قيل فيه: ترجمان القرآن (لقدرته على تفسير القرآن) - وحبر (عالم) هذه الأمة (الإسلام).

(٢) وقد رأيتُ أن أقطع... والاستغفار...

(٣) جالينوس (نحو ١٣٠ - ٢٠٠ م) أشهر أطباء اليونان عند العرب برع في التشريح وكان قديراً في علاج المرضى، وله في الطب كتب كثيرة نقل جانب كبير منها إلى اللغة العربية.

(٤) ... ولولا ضرورة طلب الحق مع أهله (ولولا الخوف) من أن تصدّي للكلام في ذلك من ليس من أهله.

- رسائل ابن رشد، حيدر آباد (مطبعة دائرة المعارف العثمانية) ١٩٤٧ م .
- بداية المجتهد ونهاية المقتصد (في الفقه)، فاس ١٣٢٧ هـ، الآستانة ١٣٣٣ هـ، مصر (الطبعة اليمنية) ١٣٣٤ هـ، مصر (مطبعة مصطفى البابي الحلبي) ١٣٣٩ هـ .
- الكليات (في الطب) (تحرير ألفريد البستاني)، المرائش - المغرب (منشورات معهد فرانكو) (مطبعة الفنون) ١٩٣٩ م .
- رسائل ابن رشد (السماح الطبيعي - السهء والعالم - الكون والفساد - الآثار العلوية - كتاب النفس - ما بعد الطبيعة)، حيدر آباد (مطبعة دائرة المعارف العثمانية) ١٩٤٧ م .
- تلخيص كتاب النفس، القاهرة (مكتبة النهضة المصرية) ١٩٥٠ م .
- تلخيص المقالة الأولى من كتاب الخطابة لأرسطو: في الشعر (لازينيو) فلورنسة ١٨٧٥ - ١٨٧٨ م .
- تفسير ما بعد الطبيعة لأرسطو (تحرير موريس بويج)، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٣٨ م، الطبعة الثانية ١٩٦٧ م .
- فنّ الشعر (لأرسطو) مع الترجمة العربية القديمة وشرح الفارابي وابن سينا وابن رشد (ترجمه عن اليونانية عبد الرحمن بدوي)، القاهرة (مكتبة النهضة المصرية) ١٩٥٣ م .
- تلخيص الخطابة لأرسطو (تحقيق محمد سليم سالم)، القاهرة (الجلس الأعلى للشؤون الإسلامية) ١٩٦٧ م .
- تلخيص السقسطة لأرسطو (تحقيق محمد سليم سالم)، القاهرة (دار الكتاب والوثائق القومية - مركز تحقيق التراث) ١٩٧٢ م .
- كتاب النفس: الآراء الطبيعية المنسوبة إلى فلوطرخس - الحاسّ والحسوس لابن رشد - النبات المنسوب إلى أرسطو (راجمها على أصولها اليونانية وشرحها وحقّقها عبد الرحمن بدوي)، القاهرة (مكتبة نهضة مصر) ١٩٥٤ م .
- * - ابن رشد وفلسفته، تأليف فرح أنطون، الإسكندرية ١٩٠٣ م، بيروت ١٩٨١ م .
- ابن رشد الفيلسوف، تأليف محمد يوسف موسى، القاهرة (دار احياء الكتب العربية) ١٩٤٥ م .
- ابن رشد (دراسة ومختارات)، تأليف يوحنا قمير، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٤٩ م .
- ابن رشد، تأليف عباس محمود العقاد، بيروت (دار المعارف) ١٩٥٣ م .
- ابن رشد والرشدية بقلم أرنست رينان (نقله إلى العربية عادل زعيتر)، القاهرة (دار احياء الكتب العربية) ١٩٥٧ م .
- ابن رشد فيلسوف العرب، تأليف عبده الحلو، بيروت (دار الشرق الجديد) ١٩٦٠ م .
- ابن رشد وفلسفته....، تأليف محمود قاسم، القاهرة (مكتبة الأنكلو المصرية) ١٩٦٩ م .
- في فلسفة ابن رشد: الوجود والخلود، تأليف محمد عبد الرحمن بيطار، بيروت (دار

الكتاب اللبناي)، الطبعة الثالثة ١٩٧٣ م.

بغية المتمس ٤٤ (رقم ٣٩)؛ التكملة ١: ٢٦٩؛ الذيل والتكملة ٦: ٢١ -
٣١ (رقم ١٢٩)؛ المغرب ١: ١٠٤ - ١٠٥؛ طبقات الأطباء ٢: ١٧٥؛ قضاة
الأندلس للنهاي ١١١١؛ المعجب ١٧٤ - ١٧٥، ٢٢٤ - ٢٢٥؛ الديباج
المذهب ٢٨٤ - ٢٨٥؛ مقدّمة ابن خلدون (دار الكتاب اللبناي) ٢٣٦ -
٢٣٧؛ وفيات ابن قنفذ ٢٩٨ - ٢٩٩؛ شذرات الذهب ٤: ٣٢٠؛ نفع
الطيب ١: ١٥٥، ٤٦٣، ٣: ١٨٥ - ١٨٦، ١٩٢، راجع ١٨٠ - ١٨١،
٧: ٤٨٧؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٩٠٩ - ٩٢٠؛ بروكلمن ١: ٤٧٩ -
٤٨٠، الملحق ١: ٦٦٢ (وفيه خلط بين أبي الوليد بن رشد الحفيد هذا وبين
وجده أبي الوليد أحمد بن محمد)، سركيس ١٠٨ - ١٠٩؛ بالثيا ٣٥٣ -
٤٧١، ٤٢٧، ٣٦٩.

أبو القاسم بن البرّاق

١ - هو أبو القاسم محمد بن علي بن محمد بن إبراهيم بن محمد الهمداني الوادي آشي
المعروف بأبن البرّاق، وُلِدَ سَنَةَ ٥٢٩ هـ (١١٣٤ - ١١٣٥ م).

روى أبو القاسم بن البرّاق عن جماعة كبيرة من الشيوخ (راجع تحقيقاً بالغا
لأسائهم وأزمانهم ولصلة أبن البرّاق بهم ولما قرأ عليهم أو روى عنهم في «الذيل
والتكملة» ٦: ٤٥٨ - ٤٦٧). ولعله بلغ إلى منصب الوزارة (راجع المطرب
٢٤٢ ع).

ولا نكاد نعرف شيئاً من تفاصيل حياته، سوى ما قيل من أن الأمير ابن سعد
(٤) كان قد غضب عليه ثم غرّبه عن بلده وألزمه السكنى في مرسية ثم في بلنسية. ولما
مات ابن سعد (سنة ٥٧١ هـ) عاد ابن البرّاق إلى وطنه. وكانت وفاة أبي القاسم بن
البرّاق في مطلع رمضان (ودفن في الثاني منه) من سنة ٥٩٦ (١٧ / ٦ / ١٢٠٠ م).

٢ - يبدو أن أبا القاسم بن البرّاق كان في أول حياته متصوفاً متنسكاً ثم بدّل
قليلاً (راجع المطرب ٢٤١ - ٢٤٢).

وكان أبو القاسم بن البرّاق محدثاً حافظاً راويةً كثيراً وضابطاً (لروايته) ثقةً

وقبيهاً. وكان له أيضاً نظراً واسعاً في الطب، كما كان له كتابٌ في الفلك (بروكلمن ١ : ٦٥٩). وكذلك كان أديباً بارعاً وكاتباً بليغاً مجيداً كثيراً سريع البديهة في النظم والنثر. والأدب أغلبُ عليه (الذيل والتكملة ٦ : ٤٦٧ س). وكان وشاحاً كثيراً نظم نحواً أربعين مائةً موشحة. ثم كانت له بديعياتٌ (في مدح محمد رسول الله). وفي نفع الطيب (٤ : ٢٨٧ - ٢٨٨) ما يدل على أنه كان ناقداً أيضاً، فقد دخل في الخلاف في نسبة المقطعة:

وَقَانَا لَفَعَةَ الرَّمْضَاءِ وَإِدِ سَقَاهُ مُضَاعَفُ النَيْثِ الْعَمِيمِ ،
 وَقَالَ: أَشَدَّتْنَا حَمْدَهُ (أو حدونه) بنتُ زيادِ العَوْفِيَّةُ (ت نحو ٦٠٠ - راجع ترجمتها) لِنَفْسِهَا .

وشعرُ أبي القاسمِ بن البراقِ متينُ السبك، لكنَّ في بَعْضِهِ شيئاً من الجفافِ (راجع، مثلاً الأبيات الواردة له في « زاد المسافر »، ص ١٥١ - ١٥٢).

وأبو القاسمِ بنُ البراقِ مُصَنِّفُ بَارِعٌ مُكْتَبِرٌ، وَأَكْثَرُ تَصَانِيفِهِ فِي الْأَدَبِ. فَمِنْ هَذِهِ التَّصَانِيفِ (الذيل والتكملة ٦ : ٤٦٨): بهجة الأفكار وفُرْجَةُ التَّدْكَارِ فِي مَخْتَارِ الْأَشْجَارِ - مباشرة ليلية السَّفْحِ^(١) من خبر أبي الأصْبَغِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي الْفَتْحِ^(٢) مَعَ الْأَعْلَامِ الْجِلَّةِ: أَبِي إِسْحَاقِ الْخَفَّاجِيِّ^(٣) وَأَبِي الْفَضْلِ بْنِ شَرْفٍ^(٤) وَأَبِي الْحَسَنِ بْنِ الزُّزَّاقِ^(٥) - مَقَالَةٌ فِي الْإِخْوَانِ (خَرَّجَهَا مِنْ شَوَاهِدِ الْحِكْمِ وَمُصَنَّفٍ فِي أَخْبَارِ مَعَاوِيَةَ)^(٦) - الدَّرُّ الْمُنَظَّمُ فِي الْإِخْتِيَارِ الْمَعْظَمِ (وهو مُقَسَّمٌ عَلَى تَأْلِيفَيْنِ: أَحَدُهُمَا مُلْحٌ

-
- (١) السَّفْح: أصل الجبل أو التلة (عند اتصالها بالسهل). ليلية السَّفْح (كتابة عن الاجتماع للسرور واللهم). يقول الشريف الرضي (ت ٤٠٦ هـ): « يا ليلية السَّفْح، هَلَّا عَدَّتْ ثَانِيَةً... الدِّيمِ ».
 - (٢) في المغرب (١ : ١٠٢): أبو الأصْبَغِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ فَاتِحِ الْقُرْطُبِيِّ، كَانَ مِنْ عَمَّالٍ (متولين جمع المال) في قرطبة في مدة (أيام حكم) لمتونة (المرابطين) واختصَّ بأميرها الزبير بن عمر الملقَّب (ت ٥٣٧ هـ) وناداه. وكان أبو الأصْبَغِ هذا شاعراً وعارفاً بالفناء.
 - (٣) الجِلَّة: الكبار المشهورين في قومهم. أبو إسحاق الخفاجي (ت ٥٣٣ هـ، راجع ترجمته).
 - (٤) أبو الفضل بن شرف (ت ٥٣٤ هـ، راجع ترجمته).
 - (٥) أبو الحسن بن الزُّزَّاقِ (ت ٥٢٨، راجع ترجمته).
 - (٦) معاوية بن أبي سفيان أول خلفاء بني أمية.

الخواطر ولمح الدفاتر - والثاني مجموع في ألغاز) - روضة الحدائق في تأليف الكلام الرائق (وهو مجموع نظمه ونثره، وفيه فصول منها: مُلتقى السبيل في فضل رَمَضانَ، قصيدة في ذِكْرِ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و(ذكر) أصحابه رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وقد سماها «القرارة اليبثرية المخصوصة بشرف الأئمة القُدسيّة»^(١) - خَطرات الواجد في رثاء الماجد^(٢) - رجوع الإنذار بهجوم العذار^(٣) - تصريح الاعتذار عن تقبيح العذار - قِطْع من شعره (زُهديّة ووعظيّة مع فصولٍ أُخرى) - مجموعُ موشحاته (وقد صدره بمقالةٍ سماها: «الإفصاح والتصريح عن حقيقة الشعر والتوشيح»). ثم له عددٌ من المصنّفات شرع فيها ولم يُتمّها.

٣ - مختارات من شعره:

- لابن البرّاق أبي القاسم في الفزل المورّي^(٤):

يا سرحة الحمي يا مطول، شرحُ الذي بيننا يطول^(٥).

ولي ديونٌ عليك حلّت لو أنه ينفعُ الحلول^(٦).

- وقعد أبو القاسم بن البرّاق مع أحد الأعيان^(٧) على ضفاف نهر طلباً للراحة

فقال يُخاطب ذلك العين (المغرب ٢ : ١١٥٠ راجع نفع الطيب ٣ : ٥٠٦):

(١) هذه القصيدة قد سَطَّها (أو حَسَّها) أبو الكرم جودي - كان من أخصّ تلاميذه به - ولعلّه جودي بن

جودي (المغرب ٢ : ١١٠ - ١١١)، وكان معاصراً لموسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد (٥٧٣ - ٦٤٠ هـ). وتحسيس هذه القصيدة موجود في «الذيل والتكملة» (٦ : ٤٦٩ - ٤٧٢).

(٢) الواجد: الحزين. الماجد: الشريف في قومه.

(٣) العذار: الشعر النابت في الوجه.

(٤) المورّي: الرموز عنه (كالكتابة عن المرأة بالسرحة: الشجرة الطويلة - راجع هذه الكتابة نفسها في

قول حميد بن ثور: أسي الله إلا أن سرحة مالك - في الجزء الأول). البيتان في نفع الطيب ٣ : ٥٠٦ - راجع، فوق، الكتندي (ت ٥٨٤ هـ): هذان البيتان مع تنسة لها مرويان له في زاد المسافر (ص ٩٥).

(٥) السرحة: الشجرة الطويلة، العالية. المطول: المرأة التي تمد ولا تنفي.

(٦) الحلول: حلول وقت استحقاق وفاء الدين، وصول.

(٧) العين: الرجل المنظور إليه في قومه.

انظر إلى الوادي الذي مُدَّ غَرَدَتُ أَطْيَارُهُ شَقَّ النَّسِيمِ ثِيَابَهُ^(١).

أترَاهِ أَطْرَبِيَّـهُ الْهَدْيِيَّـلُ، وَزَادَهُ

طَرِباً - وَحَقَّكَ - أَنْ حَلَلْتَ جَنَابَهُ^(٢)؟

- وله في غلامٍ آسْتَقَرَّ عَلَى شَفْتَيْهِ شَيْءٌ مِنَ الْمِدَادِ (الخبير الأسود) من أثر وضع القلم على الفم لتبليبه بشيء من الريق ليُصْبِحَ الْخَبِرُ بِذَلِكَ أَكْثَرَ مَيْعاً وَسَيْلَاناً وَجَرِيّاً:

يَا عَجَباً لِلْمِدَادِ أَضْحَى عَلَى فَمٍ ضَمَّنَ الزُّلَالَ^(٣)،

كَالْقَارِ أَضْحَى عَلَى الْحَمِيَّاءِ وَاللَّيْلُ قَدْ لَامَسَ الْهِلَالَ^(٤).

- وَاتَّفَقَ أَنْ حَضَرَ أَبُو الْقَاسِمِ بِنُ الْبَرَّاقِ مَجْلِسَ بَعْضِ الْمُلُوكِ الْأَكْبَارِ^(٥) فَأَمَرَ ذَلِكَ الْمَلِكُ أَنْ يُقَدِّمَ السَّاقِيَّ لَهُ كَأْساً مِنَ الْخَمْرِ مُشَارِكَةً لِلْحَاضِرِينَ، فَانْتَبَضَ ابْنُ الْبَرَّاقِ عِنْدَ ذَلِكَ وَأَشْمَزَ. وَاتَّفَقَ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ أَنْ أَنْشَقَتْ صُرَاحِيَةٌ (إِنَاءٌ لِلْخَمْرِ) وَسَالَ مَا فِيهَا. فَتَشَاءَمَ الْمَلِكُ مِنْ ذَلِكَ وَحَزِنَ، فَانْشَدَ ابْنَ الْبَرَّاقِ مِنْ قَوْرِهِ عَلَى الْبَيْدِيَّةِ:

وَمَجْلِسَ بِالسَّرُورِ مُشْتَمَّـلٍ لَمْ يَخْلُ فِيهِ الزُّجَاجُ عَنِ أَرْبٍ^(٦).

سَرَى بِأَعْطَافِهِ تَرْتَحُنَا فَشَقَّ أَثْوَابَهُ مِنَ الطَّرِبِ^(٧).

فَسَرَ الْمَلِكُ وَزَالَ مَا بِهِ.

- مِنْ «الْقَرَارَةِ الْيَثْرِيَّةِ بِشَرَفِ الْأَحْيَاءِ الْقُدْسِيَّةِ» (فِي مَدْحِ رَسُولِ اللَّهِ وَصَحَابَتِهِ) لِأَبِي الْقَاسِمِ بِنِ الْبَرَّاقِ الْهَمْدَانِيِّ الْوَادِيَّاشِيِّ:

(١) الوادي: النهر.

(٢) الهديل: صوت الحمام. حللت جنابه: نزلت (سكنت) في أحد أطرافه.

(٣) الزلال: الماء الصافي العذب.

(٤) القار: الزفت. الحميَّاء: الخمر. العادة أن تحتم آنية الخمر بالزفت.

(٥) الملوك الأكابر يمكن أن يكونوا الرجال الأغنياء من ذوي المكانة في قومهم.

(٦) مشتمل (محاط). الأرب: الحاجة، البغية، الأمنية.

(٧) سرى (هنا): انتشر. العطف (بالكسر): الجانب الأعلى من البدن. الترعج: التاليل (من السكر أو الضعف). شق الثوب كناية عن شدة السرور والانفعال.

بالمهذب هَضْبٌ زَرُودٌ أَوْ تَلَمَاتِهَا
مصدورةٌ تَفْتَنُ فِي تَرْجِيمِهَا
إِنْ رَاقِمَا رَأْدُ الصُّحَى أَوْ رَاعِمَا
هَذَا يُمْتَعِمَا، وَذَاكَ يَشُوقِمَا؛
لَا دَرَّ دَرُّ الْقَطْرِ إِنْ لَمْ يُرَوْهَا
حَتَّى تُطَارِحَنِي بِأَنْهَرَ شَجْوَهَا
سَجَمَتَ عَلَيْكَ، أَخَا الذَّنُوبِ، بِسَحْرَةٍ
أُمرِنَةٌ تَهْدِيكَ لِلشُّكُوى فَلَا
هَلَّا أَتَدَّتْ بِكَ، يَا مُمْتِمٌ، فِي الهوى،
شَاقَتَكَ هَاتِفَةٌ عَلَى نَفَاتِهَا^(١)
فَيَسِينُ نَفْتُ السَّحْرِ فِي نَفَاتِهَا^(٢).
جُنْحُ الدُّجَى سِيَانٍ فِي ذِكْرَاتِهَا^(٣):
فالموتُ فِي يَقْظَاتِهَا وَسِنَاتِهَا^(٤).
مِنْ دَرِّهِ وَيَلْفٌ مِنْ شَجْرَاتِهَا^(٥)،
وَأَفُوقَهَا فِي بَنَاهَا حَسْرَاتِهَا^(٦).
فغُرِبَتِ بِالْفَتَانِ مِنْ سَجَمَاتِهَا^(٧).
تَمْتَازُ إِلَّا بِأَدْعَاءِ صِفَاتِهَا^(٨)
إِذَا مَا وَسِمَتْ بِهِ يَبْدُ سِيَاتِهَا^(٩)

(١) المهذب جمع هضبة (بفتح فسكون فيها): الأرض المرتفعة. زرود (اسم رمل)، ووزوده هنا إشارة إلى الحجاز. التلعة (بفتح فسكون): ما ارتفع من الأرض، المكان العالي يسيل منه الماء. هاتفة: حامية) تهدل (تصوت، تغني).

(٢) مصدورة: في صدرها مرض أو هم. تفتن (تفتن): تأتي بفتن مختلفة. الترجيع: ترديد الصوت في الحلق (عند الغناء). يبين (يظهر) نفت السحر (النفخ على أداة السحر من شيء مكتوب أو خيط معقود، كناية عن قدرة الساحر). نفثة (هنا): النفس الضعيف (من هم أو مرض).

(٣) رآد الضحى: أول الصبح. جنح (طرف) الدجى (جمع دجية وهي الظلمة بالضم فيها) ذكراتها... (٤) هذا (أي جنح الدجى) يتمه (يطول عليه، يدوم)، وذلك (رآد الضحى) يشوقه: يبهجه (خوفاً من أن ينقض). فاللوت (الشقاء له) في يقظاته جمع بقظة (بفتح ففتح) عند الصبح وفي سناتها جمع سنة (بكر ففتح): نوم.

(٥) لا درّ (سال) درّ (لبن) القطر: المطر (دعاء على المطر أن ينقطع) إذا لم يروها (إذا لم يسق المهذب - راجع البيت الأول - ويشمها) ويلفّ من شجراتها (يحيط بشجرها: يكنى جميع أشجارها).

(٦) تطارحنى: محاورني وتبادلني (أي المرافقة: الهامة) بأجر: في أهر (جبل في الحجاز) شجوها (حزنها) وأفوقها (أزيد عليها) في بنها (التصبير عن) حسراتها. إن حزني وحسرتي أكبر من حزنها وحسرتها (أنا حزين لأنني بعيد عن الحجاز - الأرض المقدسة - وهي لا مسوغ لها أن تحزن لأنها موجودة في أهر: أحد جبال الحجاز).

(٧) سجمت (غنت) عليك (على سمعك فسمعتها) يا أخا الذنوب (يا كثير الذنوب). بسحرة (في أول الفجر) فزريت: أغربت (بالبناء للمجهول): أحببت الازدياد من سماع غنائها.

(٨) المرثة المرأة التي تنوح تهديك للشكوى (تدلك على الشكوى، تملكك الشكوى) فلا تستطيع أنت أن تفعل أكثر من القول إنك تشكو.

(٩) كان من الواجب أن تحاول تلك الهامة أن تقتدي بك في إظهار الحزن لأنك أنت متيم في الهوى (قد =

أوليسَ حُبُّكَ للنبيِّ مُحَمَّدٍ
يا كعبةَ الإسلامِ يا كهفَ الهدى،
يا من تَبَلَّجَ نورُهُ عن صادقٍ
يا شارِعاً في أمةٍ جُعِلَتْ به
في دارِ خُلْدٍ لا يَشيبُ وليدُها
يا خاضِداً للشُّركِ شوكةَ حِزْبِهِ،
في الصيدِ من أذوائها والقلبِ من
يا ناصباً علَمَ الديانةِ جَاهِداً،
يا آخِرَ النَّبِإِ في إرْسالِها،
يا مَنْ إذا جَلَّتِ الغزاةُ نورَها
أضعافَ ما بَثَّتْه من لَوَعَاتِها؟
يا صارِفَ الأيامِ عن عادَاتِها،
بالواضحاتِ الغُرِّ من آياتِها^(١)،
وَسَطاً فنالتَ مُستَدَامَ حَيَاتِها^(٢)،
حيثُ الشَّبَابُ يَرِفُ في جَنَابِها^(٣).
يا نابِغاً للعُربِ في جَمْرَاتِها^(٤)،
صُرْحَاتِها والنَّمِّ من أُنْيَابِها^(٥).
يا ذُخْرَها لِحَيَاتِها ومَمَاتِها،
يا أوَّلَ الأرسالِ في قُرْبَاتِها^(٦)،
فَلَوَجْهَها يُعزى جَميلُ إِيَاتِها^(٧)،

- أمْرُهُ الحَبِّ وذَلَّلَهُ). ذلك لأنَّ ما وسمت أنت به (ما وصفت أنت به من الحَبِّ لرسول الله يَبْدُ، أي يَنْغلب ما تَنْصَفُ هي به في شكواها.
- (١) تَبَلَّجَ: ظهر وأضأ. الصادع: الذي يتق (الظلام). والصادع بالشيء: الجاهر به والداعي إليه. بالواضحات (بالآيات الظاهرات البيِّنات) الغرِّ (البيض، الساميات).
- (٢) الشارِع: واضع القوانين. أمة جمعت وسطاً (أفضل الأمم). راجع القول الفلسفي: الفضيلة توسط بين نقيصتين، ثم المثل: خير الأمور الوسط، ثم أرْجِعْ إلى القرآن الكريم (٢: ١٤٣ سورة البقرة): «وكذلك جعلناكم أمة وسطاً...»
- (٣) رَفّاً: تَلألاً، اهتزازاً (من النشاط). دار الخلد: الجنة.
- (٤) خضد: كسر، قطع. شوكة: قوَّة، سلاح. الجمرة من الناس: أهل المنعة (بفتح ففتح: الدفاع عن النفس) والقوَّة والاتِّحاد. النابغ: الذي يبرز ويفوق أُنْداده.
- (٥) الصيد جمع أصيد: صاحب القوَّة والسلطان. الأذواء (ذو وزن وذو نواس) من ملوك اليمن. الصريح: ذوو النسب النقي الواضح. القلب من صرْحَاتِها (أوضح الناس وأنقاهم نسباً). الأثم: العالي. البيت: الشرف، المنزلة الكريمة.
- (٦) النَبِإُ: الأنبياء (جمع نبي). مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آخر الأنبياء الذين جاءوا إلى الإنسانية. الرسل (بفتح ففتح): الجماعة من الناس (والجمع أرسال). مُحَمَّدٌ آخر الأنبياء، ولكنَّهُ أوَّلَ البشر (في المقَدِّمة منهم: في الشرف والجاه والمكانة والشجاعة، الخ).
- (٧) الغزاة: الشمس. جلت: أظهرت. يعزى: ينسب. إياه (بكسر الهزنة): نور الشمس.

من لي بِحُسْنِكَ كَلِمًا أَعْتَكَرَ الْأَسَى
أَنْتَ الَّذِي أَنْقَذْتَهَا مِنْ غَمَّةٍ
وَحَبَّوْتَهَا بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ الَّتِي
لَوْلَاكَ مَا عُرِفَ السَّبِيلُ إِلَى النُّهَى
فَعَلَيْكَ فَضْلُ خُشُوعِهَا وَخُضُوعِهَا،
قَسَمْتَ أُرَادَ الْعُلَا بِشَرِيعَةٍ
وَحَسَمْتَ مِنْ طُرُقِ الضَّلَالِ مَاخِذًا
مَا زِلْتَ تَجْهَدُ فِي آتِنَاقِ شُرُودِهَا
حَتَّى أَضَاءَ الْحَقُّ فِي مِثْلِهِ
يَا مَنْ تَوَضَّحَ جَمْرُهُ فِي زُمْرَةٍ
أَقْمَارًا مِثْلِنَا وَشَهَبُ سَائِمَاتِهَا
فَسَرَّيْهَا صِدْقُهُ، وَسَيَّيْهَا

فِي النِّفْسِ فَأَشْتَمَلَتْ عَلَى كَرَبَاتِهَا (١).
فَرَجَّتْ فِيهَا الصِّمْبَ مِنْ أَرْمَاتِهَا،
بَلَّفَتْ بِبَلَاغَتِهَا مَدَى مِيقَاتِهَا (٢).
وَلَضَّلَتْ الْأَلْبَابُ عَنْ مَنَاجَاتِهَا (٣).
وَالِيكَ أَجْرُ صِيَامِهَا وَصَلَاتِهَا.
بَرَزَتْ وَجْهَ الْفَضْلِ مِنْ قَسَمَاتِهَا (٤).
غَرَقَتْ نَفْسُ الْخَلْقِ فِي زَلَّاتِهَا (٥).
وَتَمَوَّضُ الْأَنْوَارَ مِنْ ظُلُمَاتِهَا (٦).
وَتَرَكَّتِ الْبُشْرَى عَلَى دَرَجَاتِهَا.
رَقِيسَتُ بَسْتِنِهِ يَفَاعُ نَجَاتِهَا (٧).
وَذَوُّ الْخِلَالِ الْفَرُّ مِنْ سَرَوَاتِهَا (٨).
فَارَوْقُهَا الْوَضَّاحُ عَنْ عَزَمَاتِهَا (٩).

- (١) الكربة: شدة الحزن والغم. اعتكر: أظلم، اشتد. الأسى: الحزن. من لي (كيف لي) بحسبك (باحسانك، يا رسول الله، منقذاً)؟
- (٢) جبا: منح، أعطى. جوامع الكلم: الحكم البالغة. مدى ميقاتها (وصلت جوامع كلمك والآيات التي نزلت عليك والإسلام الذي جئت به إلى أقصى الأرض).
- (٣) في الأصل ما عرف (بالبناء للمعلوم) السبيل (بالنصب، على أنه مفعول به)، والأصوب بالبناء للمجهول. اللَّب (بالضم) العقل. النجاة: وطريق النجاة أيضاً.
- (٤) أرواد جمع ورد (بالكسر): القسم النصب، أو الشرب من الماء. القسة (بفتح ففتح ففتح أو بفتح فكسر ففتح): ملاح الوجه، والجمال.
- (٥) حسم: قطع.
- (٦) في انتقاص شرودها: في الإقلال من ضلالها.
- (٧) توضح: ظهر. جمره (٩) لعل المقصود: كفاحه وهداه. زمرة: جماعة. يفاع: المكان العالي.
- (٨) الملة: اللبن. الشهب: النجوم. الخلال: الخصال. الفر: البيضاء (الحميذة). السروات: رؤساء الناس وكرامهم.
- (٩) السري: الشريف من القوم. الصديق (أبو بكر عبد الله بن أبي قحافة - بالضم). السفى: العالي، ذو المكانة السامية. الفاروق هو عمر بن الخطاب. الوضاح الذي يبين الأمور. وقد سمى عمر بن الخطاب «الفاروق» لأنه فرّق بين الحق والباطل. العزمات (جمع عزمة): الحقوق.

وأثريها عُثَانُ تَالِي وَحِيهَا
وعليها في المَكْرُمَاتِ عَلَيْهَا
بَابُ الْعُلُومِ وَخَيْرٌ مِنْ جَالَتْ بِهِ
مَنْ حُفَّ بِالسِّبْطَيْنِ ذِرْوَةٌ عِزَّةٌ
لَأَبِي عُبَيْدَةَ فِي الْجَلَالِ مَنَازِعُ
وَحَرِيهَا الْعِفُّ أَبْنُ عَوْفٍ بِالْحِجَى
وَأَخُو حِرَاسَتِهَا بِمُخْتَصَرِ الْوَعَى
فَيْتَةٌ تَوَاصَتْ بِالسَّنَاءِ فَأَشْرَقَتْ
فَالْبَشْرُ حَشْوُ ضُلُوعِهَا، وَالْفَضْلُ طَيْدٌ
شَهِدَتْ لَهَا بِالْجَنَّةِ الذَّاتُ الَّتِي

وَمُرْخِزُ الْأَرْمَاتِ عَنْ سَادَاتِهَا (١)
رَبُّ آخِرَاتِ النُّصْرِي فِي غَزَوَاتِهَا (٢) ؛
هِمَاتُهُ فِي مُرْتَقَى صَهَوَاتِهَا (٣) .
فَتَقَهَّرَ التَّغْيِيرُ عَنْ هَضْبَاتِهَا (٤) .
يَفْتَرُّ ثَغْرُ الرُّوضِ عَنْ نَفْحَاتِهَا (٥) .
وَرَفِيعُهَا فِي حِلْمِهِ وَأَنَاتِهَا (٦) .
سَعْدٌ مُبِيدُ الذُّعْرِ دُونَ حُمَاتِهَا (٧) .
شَمْسُ النُّبُوَّةِ فِي سَنَا جَبَاهَتِهَا (٨) .
سِي بُرُودِهَا، وَالْجِدُّ حَلْيُ طُلَاتِهَا (٩) .
وَطِئَتْ بِأَخْمِصِهَا ذُرَى غُرْفَاتِهَا (١٠) .

- (١) الأثير: الموثوق المفضل. عثمان (بن عفان). تالي وحياها (لاشتهار عثمان بن عفان بتلاوة القرآن، فقد قتل وهو يتلو القرآن). الأرمة: الشدة. كان عثمان يتبرع بمبالغ كبيرة من المال لتجهيز الجيوش إلى الجهاد أو لتفسيح الكرب عن الناس.
- (٢) عليها الأولى: علي بن أبي طالب. وعليها الثانية: أعلاها. رب: صاحب. اخترط السيف سلته من غمده. النصر (٤). لعله يقصد أن علياً كرم الله وجهه كان يحرز النصر في الغزوات للمسلمين بسهولة التي كان يشهر (بفتح الياء والماء) سيفه من غمده.
- (٣) باب العلوم: العالم، فقد جاء في الحديث: «أنا مدينة العلم وعلياً بابها». الصهوة من كل شيء أعلاه.
- (٤) السبط: ابن بنت الرجل (ابن ابن الرجل: حفيد). السبطان: الحسن والحسين (سبطا الرسول من ابنته فاطمة). ابنا الإمام علي. الذروة: أعلى الشيء. تقهقر: تراجع. التغيير (٢).
- (٥) أبو عبيدة عامر بن الجراح من كبار الصحابة وكبار المجاهدين وقواد الجيش الإسلامي. منازع: جمع منزع: قوة، همة، غاية. الجلال: الأعمال العظيمة. النفع والنفعة: انتشار الرائحة الطيبة.
- (٦) الحري بالحجى (بالعقل، بالتصرف الحكيم): الخلق به، من هو أهل لذلك. العف: الضيف. ابن عوف: عبد الرحمن بن عوف من كبار الصحابة. الرفيع: العالي المكانة. الملم: سعة الصدر، العقل. الأناة: التأني.
- (٧) الوغى: الحرب. سعد بن أبي وقاص. الذعر: الخوف من الاضطراب. دون حياتها (مجاهدوها الأبطال). دون (أكثر من، دفاعاً عن ٢).
- (٨) السناء: الرفعة والعلو. السنا: النور.
- (٩) البشر: طلاقة الوجه (ظهور السرور على الوجه عند لقاء الناس). البرد (بضم الباء): الثوب. الطلاة: المنق أو صفحة العنق.
- (١٠) شهدت لهم (لهؤلاء النفر ولغيرهم ورد ذكرهم في أبيات ليست في هذه المختارات) بالجنة (بدخول الجنة) =

هِيَ صَفْوَةُ الْمُخْتَارِ، فَأَتَقَفَ سُبُلَهَا،
فَسَاكَ أَنْ تَمْتَارَ مِنْ بَرَكَاتِهَا
يَا طَيِّباً ضَمْتَهُ مِسْكَةً طَيِّبَةً
شَوْحِي لِتَرْبِيَّتِكَ الْمُقَدَّسَةِ أَقْتَضِي
فَارْزَحَمْ بِكِبَاءِ مُغْرَقٍ فِي أُنْحُرٍ
وَأَشْفَعْ لَهُ فِي تَوْبَةٍ يَصْفُو بِهَا
كَمَا يَكُونُ إِلَى الْمَعَادِ مُشْمِراً
تَمَّ السَّلَامُ عَلَيْكَ، يَا شَخْصَ الرِّضَا،
وَتَوَخَّ أَنْ تَسْتَنَّ فِي مَرَقَاتِهَا^(١).
رِفْداً بِهِ تَفْتَدُّ مِنْ طَبَقَاتِهَا^(٢).
فَتَصَوَّعَتْ دَارِينَ عَنْ جَدْرَاتِهَا^(٣)،
دَنَفِي وَصَدَّ النَّفْسَ عَنْ خَطَرَاتِهَا^(٤).
مِنْ دَمْعِهِ بِحْتَالٍ فِي غَمْرَاتِهَا^(٥).
نَفْساً، فَتُقَلِّعَ عَنْ قَبِيحِ سِنَانِهَا^(٦).
وَيَكْفُفُ لِلْأَهْوَالِ مِنْ عَثْرَاتِهَا^(٧).
مَا دُمْتَ أَصْلَ رَشَادِهَا لِغَوَاتِهَا^(٨)،

الذات (الشخصية الكريمة: أي محمد رسول الله). الأخص: باطن القدم. الغرفات جمع غرفة: أعلى الأُسكنة في الجنة. المقصود: إن الرسول أعلى مكاناً من هؤلاء في الجنة. أمَّا البشرون بالجنة فهم عشرة: أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة عامر بن الجراح وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد.

- (١) صفوة المختار (رسول الله): الذين اصطفاهم (اختارهم الرسول) وبشرهم بالجنة. استن: سار بجهد، ركض.
- (٢) امتار: تزود. الرغد: العطاء. اعتد: صار معدوداً (في جماعة). ويجوز «تعتد» (بالبناء للمجهول).
- (٣) يا طيباً (يا رسول الله) ضمته (ضمّت جسده) طيبة (المدينة المنورة). المسكة: القطعة من المسك (مادة طيبة الرائحة). مسكة طيبة (تراب المدينة المنورة الطيب الطاهر). تصوع: انتشر طيب الرائحة. دارين: (مكان في الشام ومكان آخر في البحرين ذوا شهرة بوجود المسك. المجدرة (بفتح ففتح): حظيرة الغنم (وتكون عادة غير طيبة الرائحة).
- (٤) الدنف: المرض الذي يشرف بصاحبه على الموت. المخرطة: ما يخرط في بال الإنسان (من عمل غير جيد). يجوز: وصدّ (فعل ماض) النفس (مفعول به).
- (٥) العصرة: لجة البحر، المكان الذي يكثر فيه الماء. يخال: يسير بفخر وازدهار. مع أن الناظم غريق في دموعه (خوفاً من الذنوب التي اقترفها في حياته) فإنه مسرور بهذا الدمع لأنه دليل على ندمه. وندمه هذا مدعاة إلى مغفرة ذنوبه.
- (٦) ألقع الرجل عن فعل ما: ترك ذلك الفعل. سنانها جمع سنة (بالكسر): النوم، ولا وجه له هنا. (إلا أن يكون المقصود: نومها عن الأعمال الصالحة).
- (٧) المعاد: يوم القيامة. مشمراً: مسرعاً (إلى دخول الجنة) ويكف: يردّ. الأهوال: (يوم القيامة، مما يجعله يعثر فيقع في جهنم).
- (٨) يا شخص الرضا (محمد رسول الله). الفتوة جمع غاو: ضالّ. أصل رشادها (سبب رشادها وسبيلها).

وَوَهَبَتْهَا الْمَأْمُولَ مِنْ طَلَبَاتِهَا وَوَقَّيْتَهَا الْمَهْذُورَ مِنْ آفَاتِهَا،
وَحَصَّصْتُهَا عِنْدَ الْإِلَهِ بِمُحْطَوَّةٍ أَقْطَعْتُهَا فِيهَا جَزِيلَ هَيْبَاتِهَا.

٤ - زاد المسافر ١٥١ - ١٥٢، التكملة ٢٧١ (رقم ٥٥٦)، الذيل والتكملة ٦: ٤٥٧ - ٤٨٣
(رقم ١٢٣١)، المغرب ٢: ١٤٩ - ١٥٠، المطرب ٢٤١ - ٢٤٢، نفع الطيب ٣: ٥٠٦،
٤: ٢٧٨ - ٢٨٨ بروكلمن ١: ٦٥٨، الملحق ١: ٩١٤، الأعلام للزركلي ٧: ١٦٨ (٦):
(٢٨٠).

أبو بكر بن زُهر

١ - هو أبو بكر محمد بن أبي مروان عبد الملك بن أبي العلاء زُهر بن أبي مروان
عبد الملك (ت ٥٥٧) بن أبي بكر محمد بن مروان بن زهر الإيادي الأندلسي الإشبيلي.

وُلِدَ أَبُو بَكْرٍ بِنَ زُهْرٍ سَنَةَ ٥٠٧ هـ (١١١٣ م) - وقيل سنة ٥٠٤ هـ - في
إشبيلية ونشأ فيها فحفظ القرآن وسمع الحديث ثم أقبل على اللغة والأدب والفقهِ.
ولازم عبد الملك الباجي سبع سنوات وقرأ عليه المدونة.

وأخذ أبو بكر بن زُهر صناعة الطب عن أبيه عبد الملك (ت ٥٥٧ هـ) وباشرَ
أعمالها ففاق أهل زمانه وخدم بها المُلثمين (سلاطين المرابطين) في آخر عهدهم ثم خدم
بها سلاطين الموحدين. وقد استدعاه سلطان الموحدين أبو يوسف يعقوب المنصور
(٥٨٠ - ٥٩٥ هـ) إلى مراكش وأكرمه إكراماً كثيراً.

وكانت وفاة أبي بكر بن زُهر قبيل ختام سنة ٥٩٥ هـ أو في ٥٩٦ هـ (١١٩٩ م) في
مراكش - قيل مسموماً.

٢ - أبو بكر بن زُهر طبيب بارع في المعالجة وشاعرٌ كثيرٌ من القصيد والموشح.
ولقد بلغت موشحاته درجةً من الكمال أصبحت معها نماذجٌ للتوشيح البارع. وشعره
جيدٌ يدور على الخمر والحكم والزهد.

٣ - مختارات من شعره:

- الموشحة التالية لابن زهر، وإن كانت أحياناً تروى لغيره:

أُثِمَّا السَاقِي، إِلَيْكَ الْمُشْتَكِي! قَد دَعَوْنَاكَ وَإِنْ لَمْ تَسْمَعْ .

* * *

وَنَسْدِيمٍ هَمِيَّتُ فِي غُرَّتِهِ
وَبُشْرُبِ الرَّاحِ مِنْ رَاحَتِهِ .
كَلِمَا أَسْتَيْقِظُ مِنْ سَكْرَتِهِ
جَذَبَ الرِّقْقَ إِلَيْهِ وَأَتَكَّى، وَسَقَانِي أَرْبَعاً فِي أَرْبَعِ .

* * *

مَا لَمِيَنِي عَشِيَّتُ بِالنَّظَرِ:
أُنْكَرْتَ بَعْدَكَ ضَوْءَ الْقَمَرِ .
فَإِذَا مَا شِئْتُمْ فَاسْمَعْ خَبْرِي:
عَشِيَّتْ عَيْنَايَ مِنْ طَوْلِ الْبُكَاءِ؛ وَبَكَى بَعْضِي عَلَى بَعْضِي مَعِي^(١)!

* * *

غُصْنُ بَانَ مَالٍ مِنْ حَيْثُ أَلْتَوَى؛
بَسَاتٍ مِنْ يَهْوَاهُ مِنْ فَرْطِ الْجَوَى
خَفِيقَ الْأَحْشَاءِ مُوَهُونَ الْقُوَى .
كَلِمًا فَكَّرُ فِي الْبَيْنِ بِكَيْسٍ! وَبِحَمِي، يَبْكِي لَمَّا لَمْ يَقْعِ^(٢) .

* * *

لَيْسَ لِي صَبْرٌ وَلَا لِي جَلْدٌ .

(١) عشي البصر يشق: ساء البصر وضعف (في الليل وفي النهار).

(٢) البان شجر أغصانه سراء ملساء مستقيمة. الجوى: الحزن الباطن وحرقة الحب. فرط الجوى: زيادته فوق ما يحتمل الإنسان. البين: الفراغ والبعد.

يَا لِقَوْمِي، عَدَلُوا وَأَجْتَهِدُوا،
أَنْكُرُوا دَعْوَايَ مِمَّا أُجِدُّ.

مثلُ حالي حَقُّهَا أَنْ تُشْتَكِيَ: كمدُ اليأسِ وذلُّ الطمعِ (١).

* * *

كَيْدٌ حَرَّى وَدَمْعٌ يَكِيفُ
بِذَرْفِ الدَّمْعِ وَلَا يَنْذَرُ.
أَيُّهَا الْمَرِضُ عَمَّا أَصِفُ،

قد نما حيي بقلبي وزكا. لا تَحَلِّ في الحبِ أُنِي مُدْعِي (٢).

- لَمَّا كَانَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ زَهْرٍ فِي مَرَاكُشَ، وَطَالَتْ غَيْبَتُهُ عَنْ إِشْبِيلِيَّةَ، قَالَ يَتَشَوَّقُ
إِلَى بَيْتِهِ وَأَهْلِهِ وَإِلَى طِفْلِ لَهُ صَغِيرٍ خَاصَّةَ:

وَلِي وَاحِدٌ مِثْلُ فَرْخِ الْقَطَاةِ صَغِيرٌ تَخَلَّفَ قَلْبِي لَدَيْهِ؛
وَأَفْرَدْتُ عَنْهُ؛ فَيَا وَحْشِي لِذَلِكَ الشُّخَيْصِ وَذَلِكَ الْوُجَيْهِ.
تَشَوَّقُنِي وَتَشَوَّقْتُهُ، فَيَبْكِي عَلَيَّ وَأَبْكِي عَلَيْهِ.
وَقَدْ تَمَبَّ الشُّوقُ مَا بَيْنَنَا؛ فَمِنْهُ إِلَيَّ وَمِنْهُ إِلَيْهِ.

- وله في النسيب:

يَا مَنْ يُذَكِّرُنِي بِعَهْدِ أُجَيْتِي، طَابَ الْحَدِيثُ بِذِكْرِهِمْ وَيَطِيبُ.
أَعِدُّ الْحَدِيثَ عَلَيَّ مِنْ جَنَابَتِهِ؛ إِنَّ الْحَدِيثَ عَنِ الْحَبِيبِ حَبِيبُ.
مَلَأَ الضَّلُوعَ وَفَاضَ عَنْ أَجْنَابِهَا قَلْبٌ إِذَا ذُكِرَ الْحَبِيبُ يَذُوبُ.
مَا زَالَ يَخْفِقُ ضَارِباً بِجَنَاحِهِ؛ يَا لَيْتَ شِعْرِي، هَلْ تَطِيرُ قُلُوبُ؟

(١) عدلوا: لاموا، عتبوا. اجتهدوا: أكثروا، بالنوا.

(٢) وكف السقف: سال منه ماء المطر. وكف الدمع: زاد سقوطه. بذرف الدمع ولا يندرف: لا ينتهي الدمع، لا يكف الدمع عن السيلان؛ أو لا يندرف الدمع (جف دمه لطول البكاء). نما: زاد (بعد أن كان قليلاً - نما الزرع: كبر وهاج بعد أن كان قليلاً صغيراً). زكا: طهر (كان بريئاً طاهراً عفيفاً).

- وله في الغزل والنسيب:

رَمَتْ كَيْدِي أُخْتُ السَّمَاءِ فَأَقْصَدْتِ؛
قَرِيبَةً مَا بَيْنَ الْخَلَائِلِ إِنْ مَشْتِ،
نِعِمْتُ بِهَا حَتَّى أُتِيحَتْ لَنَا النَّوَى؛
وَقَالَ يَذْكُرُ أَيَّامَ شَبَابِهِ:

إِنِّي نَظَرْتُ إِلَى الْمَرَاةِ قَدْ جَلَيْتِ
رَأَيْتُ فِيهَا شَيْخًا لَسْتُ أَعْرِفُهُ،
فَقُلْتُ: «أَيْنَ الَّذِي بِالْأَسِّ كَانَ هُنَا؟»
فَأَسْتَضْحَكْتَ ثُمَّ قَالَتْ وَهِيَ مُعْجَبَةٌ:
كَانَتْ سَلِيمِي تَنَادِي: «يَا أُخِيَّ»، وَقَدْ
فَأَنْكَرْتَ مَقْلَتَايَ كُلَّ مَا رَأَا.
وَكُنْتُ أَعَهْدُهُ مِنْ قَبْلِ ذَاكَ قَتِي.
مَتَى تَرْحَلُ مِنْ هَذَا الْمَكَانِ، مَتَى؟ (١)
«إِنَّ الَّذِي أَنْكَرْتَهُ مَقْلَتَاكَ أَتَى» (٢).
صَارَتْ سَلِيمِي تَنَادِي الْيَوْمَ: «يَا أَبْتَا!»

- ونظم أبياتاً لتكتب على قبره وجعل فيها إشارة إلى معالجة المرضى، وأنه قد آل إلى ما كان يعالج الناس خوفاً منه:

تَأْمَلْ بِفَضْلِكَ، يَا وَاقِفَا،
تُرَابُ الضَّرِيحِ عَلَى صَفْحَتِي
أَدَاوِي الْأَنَامَ حَذَارَ الْمَنُونِ،
وَلَا حِظُّ مَكَانَا دُفِنْنَا إِلَيْهِ.
كَأَنِّي لَمْ أَمْشِرْ يَوْمَا عَلَيْهِ (٣).
فَهَا أَنَا قَدْ صِيرْتُ رَهْنًا لَدَيْهِ (٤).

(١) أخت (شبيهة) السله (قمر السماء أو شمس السله: فتاة بارعة الجمال). أقصدت: أصابت مقتلاً مني (هنا: جعلتني ميتاً في حبها).

(٢) سير بخطى قصيرة، وعنقها طويل، وهذان من أوصاف الجمال عند العرب.

(٣) نعمت بها (تعمت بحبها) حتى (إلى أن، ثم). تاح الشيء: عرض، ظهر (بعد أن كان خافياً). النوى: البعد والجماد والفراق.

(٤) الذي كان بالأس: الشباب - الوجه الأملس والشعر الأسود، الخ.

(٥) الذي أنكرته مقلتك (عينك): الشيخوخة والهرم: الوجه المفضن والشعر الأبيض، الخ.

(٦) صفحتي: صفحة وجهي، وجهي.

(٧) الأنام: جميع الناس. حذار: خوفاً من. المنون: الدهر، الموت. - شغيت كل الناس من المرض الذي قد يؤدي إلى الموت ثم لم أستطع دفع الموت عن نفسي.

- موشحة:

ما للمؤلثة من سُكره لا يُفِيق؟ يا له سكران
من غير خمر! ما للكثيب المشوق ينذب الأوطان؟^(١)

* * *

هل تُستعاذ أو يُستفاد من النسيم الأريج
وإذ يكاد حنُ المكان البهيج أن يحيننا.
نهرٌ أظلّته دوحٌ عليه أنيق موركٌ فينان.
والماء يجري وعائمٌ وغريقٌ من جنى الرّيحان^(٢).

* * *

أو هل أديبٌ يحيي لنا بالفروس ما كان أحلى،
مع الحبيبِ وصافياتِ الكؤوسِ فأسقني وأمسلا.
عيشٌ يطيبُ ومنزّةٌ كالعروسِ عندما تُجلى.
عيشٌ لعلّته يعود منه فريقٌ كالذي قد كان:
أضغاكُ فِكْرٍ تحذو به وتسوقُ هذه الألحان^(٣).

* * *

- (١) المؤلثة (الذي فرّق الدهر بينه وبين ولده)، والذي حرّته (أو أحزنه) الأمر وحيّره، وأذهب عقله.
(٢) كلمة يستفاد (بالبناء للمجهول، هنا) قلقة. نقول: استفاد الرجل مالاً: (اكتسبه). الأريج: الرائحة الطيبة. دارين مكان (في الشام، وفي البحرين) مشهور بالمسك. يجوز أن نقرأ البيت: أو يستفاد (بالبناء للمجهول) من النسيم الأريج (بالرفع: نائب فاعل) مسك (بالرفع: بدل من الأريج). أما التركيب الصحيح فيجب أن يكون: أو يستفيد مسك (فاعل) دارين أريجاً (مفعول به) من النسيم (المواء الذي لا رائحة طيبة له، بل هو يستفيد الرائحة من النبات ذي الرائحة الطيبة؟). فينان: طويل الشعر، (وهنا) الواسع. المنسط. الریحان: نبات ذو رائحة طيبة.
(٣) الفرس (بالفتح) الشجر المفروس وجمعه فراس (بالكسر) وأغراس (راجع القاموس ٢: ٢٣٤).

يا صاحبيِّا إلى متى تَمُدُّلاني؟ أفصيرا شيِّبا،
 قد مِتُّ حَيًّا والبُتلى بالفواي مِيتُّ حَيًّا.
 جَنى عَلَيَّا عَذْبُ اللَّمى والمعاني، عاطرٌ رَبِّبا.
 هِلالٌ كِلَّة، غزالٌ أنسِرِ يفوقُ سائرَ الفِرلان.
 ما لَيْتَ شِعري، هل لي إِلِيهِ طريقٌ أو إلى السُّلوان؟^(١)

٤- ** معجم الأدباء ٨: ٢١٦ - ٢٢٥ الوافي بالوفيات ٤: ٣٩ - ٤٣، الذيل والتكملة
 ٣٩٨ - ٤٠٣ (رقم ١٠٧٦)، المطرب ٢٠٣ - ٢٠٧، المعجب ٦١ - ٦٣،
 وفيات الأعيان ٤: ٤٣٤ - ٤٣٧، المغرب ١: ٢٦٦ - ٢٧٨، طبقات الأطباء ٢:
 ٦٧ - ١٧٤، شذرات الذهب ٤: ١٣٢٠، نفع الطيب ٢: ٢٤٧ - ٢٥٣، ٣: ٢١١،
 ٤٣٤، ٤٦٨، ٧: ١٩، ١١٥١١٣، دائرة المعارف الإسلامية ٣: ١٩٧٨، بروكلمن ١:
 ٦٤٤، الملحق ١: ١٨٩٣، نيكل ٢٤٨ - ٢٥١، مختارات نيكل ١٦٨ - ١٦٩،
 الأعلام للزركلي ٧: ١٢٩ (٦: ٢٥٠)، بالنشيا ١٢٩، ١٥٧، راجع ٤٧١.

عبد المنعم بن الفرس

١ - هو أبو محمد عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم بن محمد بن فرج بن خلف بن
 سعيد بن هشام الحنزرجي، ويُعرفُ بابنِ الفَرَسِ الفَرناطِيّ. وُلِدَ سَنَةَ ٥٢٤ أو ٥٢٥
 (١١٣٠ - ١١٣١م) في غَرناطَة. تَلَقَّى العِلْمَ على أبيه وجَدِّه وعلى نَفَرٍ كَثِيرين من
 العُلَماء (راجع صلة الصلة ١٧ - ١٨).

والشاعر جمعا على « غروس » وعنى بها « مكاناً ذا شجر يذهب الناس إليه للزهوة ». المتزه (يفتح
 فسكون ففتح): المكان البعيد. والشاعر عنى به « المتزه » (مكان الزهوة). حدا السابق بالراكب
 (غنى له في أثناء السفر): سابق. هذه الألهان (الآيات من الشعر).
 (١) عدل: لام. أفصرا شيِّبا: حقاً من لومكما شيِّباً (قليلاً). اللمى: السمرة في الشفاء. « عاطر » (هنا)
 قلقة. يجب أن نقول: العاطر الرِيَّاء (فتختلف القافية حينئذ وتقبح الإضافة اللفظية). ورِيَّاء قلنا:
 عاطرأ (حال) رِيَّاء (تمييز)، وفي ذلك تحلُّل. - غير أن هذا الصعب (مع جمال اللفظ فيه) من خصائص
 الموشح. الكِلَّة: السرة. هلال (فتاة جميلة) كِلَّة (محبوبة عن أنظار الناس). السلوان: النسيان، النسلي
 عمَّا يحبُّ الإنسان.

وَلِيَّ عَبْدِ الْمُنْعَمِ بْنِ الْفَرَسِ الْقَضَاءِ بِجَزِيرَةِ شُقْرُومٍ فِي وَادِي آشَ تَمَّ فِي جَيَّانٍ تَمَّ فِي غَرْنَاطَةَ. وَعُرِّلَ عَنْ قَضَاءِ غَرْنَاطَةَ تَمَّ رَدَّهُ الْمَنْصُورُ الْمُوَحَّدِي إِلَى قَضَائِهَا مُكْرَمًا وَأَضَافَ إِلَيْهِ النَّظَرَ فِي الشَّرْطَةِ وَالْحِسْبَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَفِي سَنَةِ ٥٥٣ وَ ٥٦٦ (١١٧١ م) وَجَدْنَاهُ فِي مُرَبِّيَّةٍ. وَيَبْدُو أَنَّهُ اشْتَهَرَ بِالْعِلْمِ بِعِيدِ ذَلِكَ فَقَصَدَهُ النَّاسُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَتَصَدَّرَ لِلتَّعْلِيمِ فَرَوَى عَنْهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ. وَفِي سَنَةِ ٥٩٥ حَدَّثَ لَهُ اضْطِرَابٌ جَسَدِي وَعَقْلِي وَكَثُرَ تَشْتُّتُ فِكْرِهِ وَغَلَبَ عَلَيْهِ النَّسِيَانُ تَمَّ ظَلَّ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ حَتَّى تُوُفِّيَ فِي رَابِعِ جُمَادَى الثَّانِيَةِ مِنْ سَنَةِ ٥٩٨ (١٢٠٢/٣/٢ م).

٢- كَانَ عَبْدِ الْمُنْعَمِ ابْنُ الْفَرَسِ مِنْ بَيْتِ عِلْمٍ مُسْتَبْجِرًا فِي عَدِيدٍ مِنْ فَنُونِ الْمَعْرِفَةِ: مِنَ الْقِرَاءَاتِ وَالتَّفْسِيرِ وَالحَدِيثِ وَأَصُولِ الْفِقْهِ وَالفِقْهِ وَعِلْمِ الْكَلَامِ وَاللُّغَةِ وَالنَّحْوِ وَالأَدَبِ. وَكَانَ لَهُ عَدَدٌ مِنَ التَّأْلِيفِ: أَحْكَامُ الْقُرْآنِ (وَهُوَ أَجَلُّ الْكُتُبِ فِي مَوْضُوعِهِ حَسَنٌ مَفِيدٌ جَمَعَهُ فِي إِبَانِ نَشَاطِهِ وَمُقْتَبَلِ حَيَاتِهِ وَفَرَّغَ مِنْ تَأْلِيفِهِ فِي مُرْسِيَةِ سَنَةِ ٥٥٣) - كِتَابُ فِي الْأُبْنِيَّةِ (الصَّرْفِ) - كِتَابُ فِي الْمَسَائِلِ الَّتِي اخْتَلَفَ فِيهَا النَّحْوِيُّونَ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَأَهْلِ الْبَصْرَةِ - كِتَابُ فِي صِنَاعَةِ الْجَدَلِ - رَدُّ عَلَى رِسَالَةِ أَبِي غَرِيبَةَ (رَاجِعْ ٤: ٦٨٣ وَمَا بَعْدَ) فِي تَفْضِيلِ الْعَجْمِ عَلَى الْعَرَبِ. تَمَّ إِنَّهُ اخْتَصَرَ عَدَدًا مِنَ الْكُتُبِ: الْأَحْكَامُ السُّلْطَانِيَّةِ (لِلْمَآوَرِدِيِّ؟) - نَاسِخُ الْقُرْآنِ وَمَنْسُوخِهِ لِابْنِ شَاهِينَ (صَلَةُ الصَّلَاةِ، ص ١٩) - كِتَابُ الْمُحْتَسِبِ لِابْنِ الْجَنِّيِّ (صَلَةُ الصَّلَاةِ، ص ١٩). وَكَانَ لَهُ نَثْرٌ وَنَظْمٌ.

٣- مَخْتَارَاتٌ مِنْ آثَارِهِ:

- قَالَ فِي الْعِتَابِ بِالْأَتْكَاءِ عَلَى إِشَارَةِ فَهْمِيَّةٍ:

مَا بَالُنَا مُتَمَهًا وَدُنَا وَغَنَ فِي وَدُكِّمْ نَقْتَتُنَا
كَأَنَّكُمْ يَنْلُ فِقِيهِ رَأَى أَنْ يَتْرَكَ الظَّاهَرَ لِلْمُحْتَمَلِ!

٤- ** التَّكْمَلَةُ ١٦٥١، الذَّيْلُ وَالتَّكْمَلَةُ ٥: ٥٨ - ٦٣ (رَقْمُ ١٢٩)، صَلَاةُ الصَّلَاةِ، ص ١٧ -

٤٢٠ البلغة ١٣١ - ١٣٢ المرقبة العليا (قضاء الأندلس) ١١٠ بغية الوعاة
٤٣١٥ الديباج المذهب ٢١٨ - ٢١٩ بروكلمن، الملحق ١ : ٤٧٣٤ الأعلام
للزركلي ٤ : ٣١٧ - ٣١٨ (١٦٨).

ابن محشرة

١- هو أبو الفضل محمد بن علي^(١) بن طاهر بن تميم القيسي، وُلِدَ في بجاية سنة
٥٤٠ (١١٤٥ م) أو قبلها بمدةٍ يسيرة. رَوَى عن أبي القاسم القالمي وأبي محمد عبد الحق
ابن عبد الرحمن.

كان أبو القاسم القالمي كاتباً للسيرة للخليفة أبي يعقوب يوسف (٥٥٨ -
٥٨٠ هـ). فلَمَّا تُوِّفِيَ القالمي أرسل الخليفة إلى ابن محشرة يَسْتَقْدِمُهُ. فانتقل ابن
محشرة من بجاية إلى مراكش وكتب لأبي يعقوب يوسف ثم لابنه يعقوب المنصور
(٥٨٠ - ٥٩٥ هـ). وكانت وفاة ابن محشرة سنة ٥٩٨ (١٢٠١ - ١٢٠٢ م).

٢- كان ابن محشرة أكبر المترسلين الذين ظهروا في الجزائر إلى جانب مشاركة في
عدد كبير من فنون المعرفة كالفقه وسواه. وقد كان متمكناً من التصرف في وجوه
البلاغة.

٣- مختارات من آثاره:

- كان من عادة ابن محشرة أن يُبْطِئَ في مجيئه، إذا دعاه أمير المسلمين يوسف
ابن عبد المؤمن. ولَمَّا عَاتَبَهُ أمير المسلمين في ذلك قال له:

يا أمير المؤمنين، أنت إمام المسلمين. وما أظنُّ أن محلَّ الإقامة^(٢) إلا كمحلَّ
الصلاة. وكما آتَى إلى الصلاة آتَى إلى هذا المحلِّ. وقد قال رسول الله صَلَّى الله عليه

(١) وقيل في سبأقة نسبه: أبو الفضل وأبو العلي جعفر بن أحمد. وقيل أيضاً: أبو الفضل بن محمد بن علي
ابن طاهر بن تميم - وقيل ابن محشوة (بالواو) مكان ابن محشرة (بالراء).
(٢) محلَّ الإقامة (محلَّ الإمام الذي يقيم الصلاة: يدعو الناس إلى الصلاة).....

وسلم: «إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها وأنت تسمون، وأتوها (وأنت) تمشون وعليكم السكينة. فما أدرکتُمْ فصلوا، وما فاتکم فأتموا» .

- (لم أستطع الحصول على نسخة من رسائل ابن محسرة - راجع رقم ٤).

٤- رسائل ابن محسرة (ليني بروفسال)....

★ راجع المعجب ١٧٦، ١٩٠؛ عنوان الدراية ٨٣ - ١٨٥ مجمع أعلام الجزائر ١٦٥.

عبد الوهّاب القيسيّ المنشيّ

١- هو أبو محمّد عبد الوهّاب بن عليّ بن محمّد القيسيّ المنشيّ (نسبة إلى المنشأة - وهي حصن بغيري مألقة) الملقب المعروف بابن الأصم. وُلِدَ سَنَةَ ٥٢١ هـ (١١٢٧ م).

روى عبد الوهّاب القيسيّ عن أبي العباس بن سيد وأبي عبد الله الحِجَارِيِّ وأبي عبد الله بن الطّراوة وأبي محمّد القاسم بن دحمان وأبي مروان عبد الملك بن مُجَبَّر. وقد آثر سكنى البادية فلم تيم له شهرة. ويبدو أنه أنتقل فيما بعد إلى سكنى الحضري فنزل مألقة ليقتصد نقرأ من الولاية.

ولما توفّي خطيب جامع مألقة، أبو عبد الله الإِسْتِجْحِيّ تولى عبد الوهّاب القيسيّ الإمامة والخطابة مكانه ثم استمر فيها إلى وفاته في رابع عشر شوال من سنة ٥٩٨ (١٢٠٢/٨/٥ م).

٢- كان عبد الوهّاب القيسيّ فقيهاً ماهراً في عقد الشروط، كما كان عارفاً باللغة والنحو. وكان أديباً محسناً مجيداً في النثر والنظم، له رسائل وخطب ومقامات وأشعار حلوة الأغراض طريفة الدعاية. وكان ناقداً بصيراً. وله بيتان طريفان هما:

ياحدي هذه الحنّاتِ جارة ترى هجري وتغديبي تجارة.
وكم ناديت: يا هذي، أرْحَمينا، فلنسنا بالحديد ولا الحجارة!*

* في القرآن الكريم (١٧: ٥٠، سورة الاسراء): «قل: كونوا حجارة أو حديداً....»

ولقد طَرَبَ لها أدباء كثيرون وذَكَلوها (زادوا عليها مِثْلها) ولكن لم يبلُغ أحدٌ إلى حَسَنِ بنايها ولا إلى خِفَّةِ روحها. ولقد اتَّفَقَ لعبدِ الوهَّابِ القيسي أن يأتي بيتاه من لزوم ما لا يلزمُ بأربعةِ أحرفٍ (جاره) ثم في مِصْرَاعِي البيتِ الأوَّلِ بخمسةِ أحرفٍ (ت جاره - تجاره). ويكثرُ لزومُ ما لا يلزمُ في قوافيهِ واسجاعه.

٣- مختارات من آثاره:

- قال عبدُ الوهَّابِ القيسيُّ في الموت:

الموتُ حَصَادٌ بلا مِنجَلِي يسطو على القاطنِ والمُنْجَلِي^(١).
لا يقبلُ العُذْرَ على حالةٍ: ما كان مِنْ مشكلٍ أو مِنْ جَلِي^(٢)!

- وكتب إليه أبو الحجاجِ بنُ الشيخِ في شأنِ بَيْتِيهِ «ياحدي هذه الخياتِ جاره»، فردَّ عبدُ الوهَّابِ عليه برسالةٍ منها:

إنَّ خِليلاً لي من قُضاعِـهُ ذَكَرَني أَيَّامِي المُضاعِـهُ،
إذِ الهوى واللَّهُو لي بِضاعِـهُ. مهلاً! فذاك الدرَّ قد أضاعه
خِلْكَ لم يَسْتَدِيمِ ارتضاعه^(٣).

أَيُّها الفاضلُ الحسيبُ، إلى متى هذا التفرُّقُ والنسيبُ؟ أَلَمْ تَنْفَدِ أَيَّامُ الجهلِ؟ أَلَمْ يَعْذِرِ الفَقِي كالكَهْلِ؟ أما، واللهِ، لقد أحاطتْ بالرقابِ السلاسلُ، وأن أن يخافَ من العقابِ المُتفرِّقِ المراسيلِ^(٤).... ثم ما أنت وعهد ساكناتِ الخيامِ وان كانتِ مِنْ

(١) القاطن: المستقرُّ في بلده. المنجلي (النازح عن وطنه).

(٢) كلمة «أو» زائدة في الوزن (ويستقيم الوزن إذا حذفنا التنوين من «مشكل»). المشكل: الغامض. الجلي: الواضح.

(٣) الدرَّ (بالفتح): حليب الأم. إذا توقَّفَ الطفل عن الرضاع من أمه فإنَّ حليب الأم ينقطع.

(٤) أحاطت...: أصبح الإنسان مكرهاً على السلوك الحسن. وأصبح الغزل الصريح (ذكر المحبوبة في الشعر ممنوعاً، يعاقب عليه المخالف). وكان عمر بن الخطاب قد منع التفرُّق الصريح. وقد نثر صاحب الترجمة ذلك من بيتين لأبي خراش الهذلي (توفِّي في خلافة عمر بن الخطاب، ١٣ - ٢٣ هـ). أما بيتا أبي خراش فيها (حاشية للدكتور احسان عباس، في الذيل والتكملة ٥: ١٧١، ص ٨٤):

وليس كعهد الدار، يا أمَّ مالك؛ ولكن أحاطت بالرقاب السلاسل.
وعاد الفقى كالكهل: ليس بقائل سوى المعدل شيئاً، واستراح العواذل.

مباركات الأيام ؟ كم تسأل عن أنباء سعاد سعداً! هلاً قلت قول الألبا: سُخفاً للهوى
 وبعداً!.... تعال، فلنخلع تلك اللينات من الملابس، ولنرجع عن الترهات
 الباس^(١). ولنذر الديار وساكناتها وننقر الأطيّار على وكُناتها^(٢) ولنذهب في
 منهاج من صالح العمل ولننأهب لأنزعاج ليس يسمى به الجمل^(٣). هذا، والله، هو
 الرأي السديد عند ذوي الرأي الحديد.... وقد ذكرت أن قوماً من الشعراء ذكّلوا
 بيتاً كان عندي منبوذاً بالعرّاء وأردت أن أقف على أبياتهم وأعرف كيف تفاوتهم
 في غاياتهم. وزعمت أن لي بصراً بالتفريق بين من سار قصداً أو من حاد عن
 الطريق. فسأقت عليها وإن كان الباع قصيراً ولم يكن الناقد بصيراً.... وحيداً
 القائل (منهم):

شريفُ الحبِّ ليس يُريدُ وصلًا سوى لثمِّ، فصيلٌ فيه نجارة^(٤).

هذا رجلٌ يرجعُ إلى عفافٍ ويقنع بكفاف. سلّك في هواه أحدَ طريقه وقنع بمن
 يهواه بمجة ريقه. ليس كالعسل الطالب للنسل^(٥). وإذا تادت العلة واشتدت
 الغلة^(٦)، فلا شافٍ كارتشافٍ ولا مطفيٌّ حريقٍ كرشفة ريقٍ.....

أعزك الله. ربّما كان في كلامي بعضُ دُعابة لم أذهب بها إلى معابة^(٧). فلّك الفضلُ
 في بسطِ العذرِ لديهم وإيصالِ التحيّة إليهم. ثم السلامُ الأتمُّ الأكرم على أخي
 ووكيلي في الله، الفقيه الأجلُّ أبي الحجّاج، ورحمةُ الله وبركاته.

٤- * * التكملة (رقم ١٧٧٧)، صلة الصلة ٢٨ - ٣٠، الذيل والتكملة رقم ١٧١، (٥):

٧٥ - ٩٤) نفع الطيب، راجع ٣: ٤٠٣، ٤: ٣٢٨.

(١) الترهات الباس: الأباطيل (المعجم الوسيط ٥٥).

(٢) الوكنة (بضم فسكون): عش الطائر.

(٣) الانزعاج الانتقال. ليس يسمى (يقدر عليه) الجمل (للبيد والشقة)، بقصد: الموت.

(٤) «صِل» (فعل أمر من «وصل»): اجمل ذلك متعلقاً. النجار (بكر التون): الأصل (النبييل).

(٥) عسل المرأة عسلا (يفتح فسكون): نكحها.

(٦) الغلة: العطش.

(٧) المعابة: العيب.

صفوان بن إدريس

١- هو أبو بحر صفوان بن إدريس بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عيسى بن إدريس التميمي المُرسي، وُلِدَ في مُرْسِيَّةَ سَنَةَ ٥٦١ هـ (١١٦٤ م). وتلقَى صفوانُ العِلْمَ على نفرٍ كثيرين من أهله وِمنَ العلماءِ؛ مِنْ هَوْلَاءِ أَبُو بَكْرٍ بنِ مُغَاوِرٍ، وَأَبُو رِجَالِ ابْنِ غَلْبُونٍ، وَأَبُو عَبَّاسِ بنِ مِضَاءٍ (سَمِعَ مِنْهُ صَاحِبُ مُسْلِمٍ)، وَابْنُ بَشْكَوَالٍ، وَأَبُو الْوَلِيدِ بنُ رَشْدِ الْفَيْلسُوفِ. وَكَانَتْ وَفَاةُ صَفْوَانَ فِي سَادِسَ عَشَرَ شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ ٥٩٨ (١٠ / ٧ / ١٢٠٢ م) فِي مُرْسِيَّةَ.

٢- صَفْوَانُ بنُ إِدْرِيسَ أَدِيبٌ مَشْهُورٌ (نَفَحَ الطَّيِّبُ ٤ : ٤٧٥) فَهُوَ كَاتِبٌ مُتَرَسِّلٌ بَلِيغٌ وَشَاعِرٌ وَجِدَائِيٌّ مُخَيَّنٌ، حَلُوُ الْأَلْفَاظِ رَقِيقُ الْمَعَانِي سَهْلُ التَّرَاكِيِبِ رَائِقُ الدِّيْبَاجَةِ، ثُمَّ هُوَ مَعَ ذَلِكَ كَلِّهٌ سَرِيعُ الْخَاطِرِ. وَشِعْرُهُ قِصَائِدٌ وَمُقَطَّعَاتٌ، وَفَنُونُهُ الْبَدِيعِيَّاتُ (فِي مَدْحِ الرَّسُولِ). وَلَهُ رِثَاءٌ أَكْثَرُهُ فِي آلِ الْبَيْتِ وَفِي الْحُسَيْنِ خَاصَّةً. وَكَذَلِكَ لَهُ غَزَلٌ بَدِيعٌ وَأَوْصَافٌ أُنِيقَةٌ. وَصَفْوَانُ بنُ إِدْرِيسَ مُصَنِّفٌ، لَهُ: زَادُ الْمَسَافِرِ وَعُرَّةٌ مُحَيَّا الْأَدَبِ السَّافِرِ (تَكْمِلَةٌ لِقَلَائِدِ الْعَمَّيَّانِ لِلْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ) - الْعُجَالَةُ (تَتَضَمَّنُ طَرَفًا مِنْ نَثْرِهِ وَشِعْرِهِ) - كِتَابُ الرَّحْلَةِ - دِيْوَانُ شِعْرِ. وَفِي شِعْرِهِ تَفَنُّنٌ فِي الْقَوَافِي أَحْيَانًا.

٣- مختارات من آثاره:

- قال صفوان بن إدريس من بديعية (في مدح الرسول):

تَحْيَةَ اللَّهِ وَطَيْبُ السَّلَامِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ خَيْرَ الْأَنْبَاءِ؛
عَلَى الَّذِي فَتَحَ بَابَ الْهُدَى وَقَالَ لِلنَّاسِ: أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ^(١).
بَدْرُ الْهُدَى، سَحْبُ النَّدى وَالْجَدَا؛ وَمَا عَسَى أَنْ يَتَنَاهَى الْكَلَامَ^(٢).

(١) «ادخلوها بسلام» (كذا في الأصل)، وهي تضمين من القرآن الكريم. ويستقيم الوزن إذا قلنا: ادخلوها، سلام.

(٢) الندى: الكرم. الجدا: العطاء.

تَحْيَةً تَهزُّ أُنْفُسَهَا بِالْمَيْكِ، لَا أَرْضَى بِمَيْكِ الْخِتَامِ*،
تَخُصُّهُ مِنِّي وَلَا تَنْثَنِي عَنِ آلِهِ الصَّيْدِ السَّرَاةِ الْكِرَامِ^(١).
وَقَدَّرُهُمْ أَرْفَعُ؛ لَكَنْنِي لَمْ أَلْفِ أَعْلَى لَفْظَةً مِنْ كِرَامِ!

- وقال في الاعتماد على شفاعة رسول الله:

يَقُولُونَ لِي، لَمَّا رَكِبْتُ بَطَالِي رَكُوبًا فَتَى جَمِّ الْغَوَايَةِ مُعْتَدِي:
«أَعِنْدَكَ مَا تَرْجُو الْخَلَاصَ بِهِ غَدًا؟» فَقُلْتُ: «نَعَمْ، عِنْدِي شَفَاعَةُ أَحْمَدِ»^(٢).

- وقال يصف أغصان الأشجار (في روضة) تحركها الريح تحريكاً خفيفاً
فيتساقط شيء من أزهارها:

وَكَأَنَّمَا أَغْصَانُهَا أَجْيَادُهَا قَدْ قَلَّدَتْ بِلَالِيءِ الْأَنْوَارِ^(٣).
مَا جَاءَهَا نَفْسُ الصَّبَا مُسْتَجِدِيًّا إِلَّا رَمَتْ بِدَرَاهِمِ الْأَزْهَارِ^(٤).

وقال يصف شجرة تهزها الريح وغيمة تلقي بشيء من حبات المطر على أطراف
الباستان:

وَالسَّرْحَةُ الْغَنَاءُ قَدْ قَبِضَتْ بِهَا كَفُّ النَّسِيمِ عَلَى لِيوَاءِ أَخْضَرِ^(٥).
وَكَأَنَّ شَكْلَ الْغَيْمِ مُنْخَلُ فِضَّةٍ يَرْمِي عَلَى الْآفَاقِ رَطْبَ الْجَوْهَرِ.

- وقال في الغزل مع بعض المجون والمعاف:

يَا حُسْنُهُ، وَالْحَسَنُ بَعْضُ صِفَاتِهِ؛ وَالسَّحْرُ مَقْصُورٌ عَلَى حَرَكَاتِهِ.

(١) الصيد جمع أصيد (يسكون الصاد وفتح الياء): مائل العنق (من الاعتزاز بالقوة والمجد). السراة جمع سروي: أحد كبار القوم وأعيانهم.

(٢) غدا (يقصد يوم القيامة).

(٣) الأجياد جمع جيد (بكسر الجيم): العنق. الأنوار جمع نور (بفتح النون): الزهرة.

(٤) إذا هبت عليها ريح الصبا (الشرقية) تستجدي (تطلب منها شيئاً من الرائحة الزكية) رمت إليها (أعطتها) زهراً أبيض مستديراً (كالدرهم).

(٥) السرحة: الشجرة الكبيرة. الغناء: الناضرة (الكثيرة الورق). - تهزها الريح كأن الريح تحمل في يدها راية خضراء وتحركها بصف.

(٦) الجوهر (هنا) حبات المطر.

بدرٌ، لو أَنَّ البدرَ قيل له: أَقترِحْ
والحالُ يَنْقُطُ في صَحيْفَةِ خَدِهِ
وَإِذَا هلالُ الأَنْقِ قَابِلٌ وَجْهَهُ
عَبَّتْ بِقَلْبِ مُحِبِّهِ لَحْظَاتِهِ؛
رَكِبَ المَائِمَ في آنتِهَابِ نُفوسِنَا،
ما زِلْتُ أَخطُبُ للزَمانِ وَصالَهُ
فَغَفَرْتُ ذنَبَ الدهرِ مِنْهُ بَلِيلَةَ
غَمَلِ الرَقِيبِ فَنَلْتُ مِنْهُ نَظْرَةَ؛
ضاجِعْتُهُ، وَاللَّيْلُ يُذْكَى تَحْتَنَا
بِتِنَا نُشْعِشِعُ، وَالعِفافُ نَدِيمُنَا،
حَتَّى إِذَا وَلِعَ الكَرى بِجُفونِهِ،
أوسَقْتُهُ في ساعِدِي لِأَنَّهُ
فَضَمْتَهُ ضَمَّ البَخيْلِ لِمالِهِ
عَزَمَ الغَرامُ عِسلِي في تَقْبيلِهِ
وَأبى عِفايَ أَنْ أَقبِلَ نُفْرَهُ؛

أَمَلًا لِقال: أَكونُ من هَالاتِهِ.
ما خَطَّ جِبرُ الصِدغِ من نَواتِهِ^(١).
أَبصَرْتَهُ كَالشَكلِ في مِرآتِهِ.
يا رَبِّ، لا تَعَبْتُ على لِحْظَاتِهِ^(٢).
فَإِلهُ يَجْعَلُنَّ من حَسَنَاتِهِ^(٣).
حَتَّى دنا- وَالبُعْدُ من عاداتِهِ.
عَظَّتْ على ما كان من زَلَّاتِهِ.
يا لَيْتَهُ^(٤) لو دام في غَفَلَتِهِ^(٥).
نارِئِي من نَفْسِي ومن وَجَنَاتِهِ^(٦).
خَمَرِيْنِ من غَزَلِي ومن كَلِمَاتِهِ^(٧).
وَآمَتَدَ في عَضُدِي طَوَعَ سِناَتِهِ^(٨).
ظَنِي حَشيْتُ عَلَيْهِ من فَلَناَتِهِ.
يَجنو عَلَيْهِ من جَميعِ جِهاَتِهِ.
فَنَفَضْتُ أَيْدِي الطَّوَعِ مِنْ عَزَمَاتِهِ.
وَالقَلْبُ مَطوِيٌّ على جَمَراتِهِ.

- (١) النون (هنا) خصلة الشعر المكوفة على الصدغ (الجانب الأعلى من الخد). الحال ينقطه في صحيفة خده «نقطة سوداء» تشبه لون شعره.
- (٢) لا تعبت (!)، لعلها: لا تعبت (٢).
- (٣) ارتكب أثمًا (ذنبًا) لما انتهب نفوسنا (سلبنا نفوسنا، قتلنا بجمه). - نرجو الله أن يجعل ذنوبه هذه حسنات له (لكثرة حسنات إياه).
- (٤) يا ليته لو دام (ليت الرقيب دام في غفلة عنا...).
- (٥) أذكى: أشعل.
- (٦) شعث: مزج (أمزج كلامه بشعري، أو شعري بكلماته).
- (٧) ولع الكرى (النوم) بجفونه: استغرق في نومه. العضد (الجزء الأعلى من الذراع). السنة (بكر السين): النعاس (أول النوم).
- (٨) أوسقته: جمعته (ضمته). الساعد: الجزء الأدنى من الذراع. - من عادة الظبي (الغزال) أن ينفر من الناس).

فَاغْجَبَ لِلتَّهْبِ الْجَوَانِحِ غَلَّةً يَشْكُو الظَّمَّ وَالْمَاءَ فِي لَهَوَاتِهِ^(١)!

- ولفصوان بن إدريس قصيدة في رثاء الحسين مطلعها:

أَوْمِضْ بِيَرْقِي الْأَضْلَعِ وَأَسْكُبْ غَمَامَ الْأَدْمُعِ،
وَاحْزَنْ طَوِيلًا وَاجْزَعْ فَهَوَ مَكْسَانُ الْجَزَعِ.
وَائْتُرْ دِمَاءَ الْمُقْلَتَيْنِ تَأَلُّبًا عَلَى الْحُسَيْنِ
وَإَبْكَ بِدَمْعٍ دُونَ عَيْنٍ إِنْ قَلَّ قَيْضُ الْأَدْمُعِ!

- وكتب صفوان بن إدريس إلى صديق له يعاتبه:

أَدَامَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مُدَّةَ الْأَخْرِ الَّذِي أَسْتَدِيمُ إِخَاءَهُ، وَإِنْ وَاجَهْتَنِي زَعَاذِعُهُ أَرْتَقِبُ
رُخَاءَهُ. وَتَجَاوَزْتُ عَنْ يَوْمِهِ لِأَمْسِهِ وَأَغْضَيْتُ عَنْ ظِلَامِهِ لشمسه، إِنَاءً وَاعْتِنَاءً،
وَإِنْذَارًا وَإِعْذَارًا. وَرَجِمَ اللَّهُ مَنْ اعْتَمَدَ عَلَى الْأَفْهَامِ وَعَصَى أَوْامِرَ الْأَوْهَامِ، وَرَأَى
الْخَلِيفَةَ فِي الْمَعْقُولِ لَا فِي الْمُخْتَلَقِ الْمَنْقُولِ. وَبَعْدُ، فَإِنَّهُ وَصَلَ كَلَامُكَ بِلِ مَلَامُكَ،
وَكَتَابُكَ بِلِ عِتَابِكَ، وَرِسَالَتِكَ بِلِ بَسَالَتِكَ. أَسْمَعْتَنِي بِالْفَاظِكِ الْعِذَابِ سِوَةِ الْعَذَابِ
وَأَرْتَيْتَنِي لِمَعَانِ الْحُسَامِ مِنْ فِقْرِكَ الْوِسَامِ....

٤- زاد المسافر، بيروت ١٩٣٩ م، (أعدّه وعلّق عليه عبد القادر محمّد)، بيروت (دار الرائد العربي) (١٩٧٠ م).

★ ★ معجم الأدباء ١٢: ١٠-١٤، فوات الوفيات ١: ٢٤٥-٢٤٨، الذيل والتكملة ٤: ١٤٠-١٤٣ (رقم ٢٦٤)، المغرب ٢: ٢٦٠-٢٦١، الوافي بالوفيات ٢: ٢٨٢ (في ترجمة محمد بن ثعلبة)، تحفة القادم ٨٢-٨٦، نفع الطيب ١: ١٧٠-١٧٥، ٤: ٨٧-٨٨، ٥: ٥٧-٥٨، ٦: ٧٤، ٢٥٣-٢٥٥، بروكلمان ١: ٣٢٢، الملحق ١: ٤٨٢، الأعلام للزركلي ٣: ٢٩٥ (٢٠٥).

ابن عميرة الضبيّ

١- هو أبو جعفر (وأبو العباس) أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبيّ

(١). الفلّة: حرارة العطش. الظّم: العطش. لهوات جمع لهاة (بفتح اللام): أقصى الفم

الْقُرْطُبِي، وُلِدَ فِي بِلْدَةِ بَلْشَ فِي الْأَغْلَبِ، وَفِي نَحْوِ سَنَةِ ٥٥٥ هـ (١١٦٠ م). وَبَدَأَ تَلَقَّى الْعِلْمَ فِي لُورِقَةَ الْقَرِيبَةِ مِنْ مَسْقَطِ رَأْسِهِ (قِيلَ: قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ الْعَاثِرَةَ). ثُمَّ إِنَّهُ تَطَوَّفَ كَثِيراً فِي الْأَنْدَلُسِ وَالْمَغْرِبِ، وَلَكِنَّ سَكَنَهُ كَانَ فِي مُرْسِيَّةَ وَقُرْطَبَةَ. وَرَحَلَ ابْنُ عُمَيْرَةَ إِلَى الْمَشْرِقِ حَاجًّا وَلَقِيَ فِي أَثْنَاءِ رِحْلَتِهِ هَذِهِ نَفَرًا كَثِيراً مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ. ثُمَّ كَانَتْ وَفَاتُهُ فِي مُرْسِيَّةَ، فِي الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَبِيعِ الْآخِرِ مِنْ سَنَةِ ٥٩٩ (١٢٠٣/١/١٠ م).

٢- كان ابن عميرة الضبيّ محدثاً كثير الرواية صحيح النقل ثقة صدوقاً. وكذلك كان مؤرخاً بارعاً حسن الضبط لما ينقل. له من الكتب «مطلع الأنوار لصحيح الآثار» - أحاديث رسول الله - وقد جمّع فيه بين (الأحاديث الواردة في صحيح) البخاري و(صحيح) مسلم (كما كانا قد اتفقا في روايته) ٢. غير أن ابن عميرة الضبيّ اشتهر بكتابه: «بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس: علمائها وأمرائها وشمرائها وذوي النباهة فيها ممن دخل إليها أو خرج عنها مما وشى به رياض الحميدي^(١) ونعم وألعم سداه^(٢) وتمم أحد بن مجيب بن أحد بن عميرة الضبيّ وفقه الله». وكتاب «بغية الملتبس» تنمّة لكتاب «جذوة المقتبس» للحميدي وتنبه على عدد من أخطائه. وفي «بغية الملتبس» كلامٌ وجيزٌ على فتح الأندلس وعلى ملوكها (ص ٦ - ٣٥) ثم تراجم موجزة - أو موجزة جداً، في أحيان كثيرة. ومُعظم هذه التراجم لرجال العلم (الحديث والفقه) وقليلٌ منها لرجال اللغة والأدب.

٣- مختارات من آثاره:

- من مقدّمة «بغية الملتبس»:

... لما كان الناظر في الحديثِ وعلومِهِ مُفْتَقِراً إِلَى مَعْرِفَةِ أَسْمَاءِ رِجَالِهِ وَوَقَايَتِهِمْ

(١) محمد بن فتوح الحميدي (ت ٤٨٨ هـ) صاحب كتاب «جذوة المقتبس». - هذه الجملة غير مستقيمة في

الجمع والموازنة. وأظن أن الجملة قد تستقيم إذا قرأنا «رياضه».

(٢) نعم المؤلف كتابه: نقشه (لونه) وزخرفه (زينه). السدى (بالتفتح) الخيوط التي تمدّ (عند نسج الثوب أو

حيالته طولاً) واللحمة (بالضم): الخيوط التي تمدّ عرضاً.

وَبُلْدَانِهِمْ، اسْتَخَرْتُ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى أَنْ (أَضَعَ كِتَابًا فِي) رُؤَاةِ الْحَدِيثِ بِالْأَنْدَلُسِ وَأَهْلِ
الْفِقْهِ وَالْأَدَبِ وَذَوِي النِّبَاهَةِ وَالشِّعْرِ وَمَنْ لَهُ ذِكْرٌ مِمَّنْ دَخَلَ إِلَيْهِمْ أَوْ خَرَجَ عَنْهُمْ فِي
مَا يَتَعَلَّقُ بِالْعِلْمِ وَالْفَضْلِ وَالرِّئَاسَةِ وَالْحَرْبِ وَأَجْعَلْ (ذَلِكَ) مِنْ وَقْتِ افْتِتَاحِهَا وَالَّذِي
تَوَلَّى فَتْحَهَا وَمَنْ دَخَلَهَا مِنْهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مُرْتَبًا ذَلِكَ عَلَى حُرُوفِ
الْمَعْجَمِ.

وَلَمْ أَجِدْ فِي كِتَابٍ مِنْ تَقَدَّمَ كِتَابًا أَقْبَلَ^(١) مِنْ كِتَابِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي نَصْرِ
الْحُمَيْدِيِّ؛ إِلَّا أَنَّهُ أَنْتَهَى إِلَى حُدُودِ الْخَمْسِينَ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ، فَاعْتَمَدْتُ عَلَى أَكْثَرِ مَا
ذَكَرَهُ وَزِدْتُ مَا أَغْفَلَهُ وَغَادَرَهُ وَتَمَّتْ مِنْ حَيْثُ وَقَفَ. وَجَعَلْتُ مَا اعْتَمَدْتَهُ مِنْ ذَلِكَ
تَذْكَرَةً لِنَفْسِي وَمُطْلَعًا لِأَنْسِي لَمْ أَلْتَمِسْ عَلَيْهِ مِنْ مَخْلُوقٍ عِوَضًا وَلَا طَلَبْتُ بِهِ مِنْ
أَعْرَاضِ الدُّنْيَا عَرْضًا^(٢)، جَارِيًا فِي ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ الْإِخْتِصَارِ^(٣) تَارِكًا لِلتَّطْوِيلِ
وَالِإِكْتِنَارِ.

٤ - بغية المنتسب (تحرير كوديره)، مجربط (مطبعة روخس) ١٨٨٤ م، القاهرة (دار الكاتب
العربي) ١٩٦٧ م.

*** التكملة لكتاب الصلة ١: ١١٤ - ١١٥ (رقم ٢٤٢)، دائرة المعارف الإسلامية ٣:
٧٠٤ - ٧٠٥ بروكلمن ١: ٤١٥ - ٤١٦، الملحق ١: ١٥٨٠، الأعلام للزركلي ١: ٢٥٤
(٢٦٨)، سركيس ١٩٣، بالنشيا ٢٧٦ - ٢٧٧.

حمدة بنت زياد

١ - هي حمدة (أو حمدونة) بنت زياد بن يحيى العوفى المؤدب (أو المكتب) من
ساكني وادي الحممة بقرية بادي قُرب وادي آش، كانت تلميذة للبراق (أو ابن

(١) اقرأ: أمثل (أحسن).

(٢) في الأصل: من أعواض الدنيا عرفاً.

(٣) بياض في الأصل. والكلمة مني.

البراق^(١) كما حَدَّثَتْ عن أبي الكَرَمِ جودي بن عبد الرحمن الأديب^(٢). وهي مُعاصرة لَنَزْهُونَ. ولعلَّ وفاتها كانت في سَنَةِ ٦٠٠ (١٢٠٤ م).

٢ - حمدة بنتُ زيادِ نبيلةٌ من أهلِ الجَمالِ والمالِ والمعارفِ، وكانت بَرَزَةً (تحضراً مجالسَ الرجالِ) مَعَ صَوْنٍ وَعَفَافٍ ونِزَاهَةٍ. وهي أديبةٌ بارعةٌ مشهورةٌ وشاعرةٌ جَميعِ الأندلسِ وخِساءِ المُغربِ، مِن المُتَصَرِّفاتِ في فنونِ الشعرِ والمُتَفَرِّقاتِ المُتَعَفِّقاتِ ومن طَبَقَةِ العَرَبِيَّاتِ (أولئك اللواتي يُحافظُنَّ على المعاني العربية في الحياةِ الخاصَّةِ والعامَّةِ). وشِعْرُها وُجْداني أَكثَرُه الغزلُ والوصفُ. وَيَنسِبُ الأندلسيون إليها الأبياتَ الحِسانَ:

وَقانَا لَفحةَ الرَمضاءِ وادٍ سَقاهُ مُضاعَفُ الغَيْثِ العميمُ!

ولكنَّ هذه الأبياتُ لِلنِزَازِيِّ^(٣) المُشْرِقي الذي عاش قبلَ حمدةَ بقرنٍ ونَصَفَ قرنٍ. ولعلَّ الذي حَمَلَ الأندلسيينَ على حُبِّ هذه الأبياتِ أَنها وَصَفُ عليه نَفحةٌ أندلسيةٌ!

٣ - مختارات من شعرها:

- لِحمدةَ بنتِ زيادِ مُقطَّعتانِ مشهورتانِ تَجَمَّعانِ إلى النسيبِ إعجاباً بِجَمالِها:

★ * أَباحَ الدهرُ أَسرارِي بِوادي له في الحُسنِ آثارُ بِوادي^(٤).
فمن نَهَرٍ يَطوفُ بِكلِّ رَوْضٍ، ومن رَوْضٍ يَطوفُ بِكلِّ وادي^(٥).
وَمِنَ بَيْنِ الطِّباءِ مَهارةُ إنسٍ سَبَّتُ لُبِّي وقد مَلَكتُ فُوادي^(٥).

(١) هو الأديب أبو القاسم (أبو عبد الله) محمد بن علي الهمداني الوادي آشي (٥٢٩ - ٥٩٦ هـ).

(٢) راجع معجم الأديباء (١٠: ٢٧٤، في الحاشية). تم انظر الإحاطة (١: ٣٧٦ س). وفي بغية الوعاة (ص ٢١٣): جودي بن عبد الرحمن بن جودي بن موسى..... أبو الكرم أستاذ في العربية (النحو) والأدب، شاعر مجيد، مات سنة ٦٣٣.

(٣) أحمد بن يوسف المنازي (ت ٤٣٧ هـ) راجع تاريخ الأدب العربي ٣: ١١٨ هو صاحب هذه الأبيات. راجع مناقشة نسبة هذه الأبيات سلباً وإيجاباً في معجم الأديباء ١٠: ٢٧٦ - ٢٧٧ ونفح الطيب ٤: ٢٨٨ - ٢٨٩. (٤) الوادي: النهر.

(٥) بوادي: في يادي (القرية التي ولدت حمدة فيها). بوادي = بواد (جمع باد: ظاهر).

(٦) المهابة: بقرة الوحش (نوع من الطباء كبيرة العيون).

لها لَخَطٌ تُرَقِّدُهُ لِأَمْرِ، وذاك الأَمْرُ يَمْنَعُنِي رُقَادِي^(١).
 إِذَا سَدَلَتْ ذَوَائِبَهَا عَلَيْهَا رَأَيْتَ الْبَدْرَ فِي أَفْقِ الدَّآدِ^(٢).
 كَأَنَّ الصُّبْحَ مَاتَ لَهُ شَقِيقٌ، فَمِنْ حُزْنٍ تَسْرَبَلَّ بِالسَّوَادِ!
 ** وَلَمَّا أَبَى الْوَأَشُونَ إِلَّا فِرَاقَنَا وَمَا لَهُمْ عِنْدِي وَعِنْدَكَ مِنْ نَارِ،
 وَشَبُّوا عَلَى أَسْنَانِنَا كُلِّ غَارَةٍ، وَقَلَّ حَاقِي عِنْدَ ذَاكَ وَأَنْصَارِي،
 غَزَوْتَهُمْ مِنْ مُقْتَتَيْكَ وَأُدْمِي وَمِنْ نَفْسِي بِالسَّيْفِ وَالْمَاءِ وَالنَّارِ!

** - ٤ التكملة ٧٤٦ (رقم ٢١٢٠)؛ المغرب ٢: ١٤٥، معجم الأدباء ١٠: ٢٧٤ - ٢٧٨؛
 تحفة القادم ١٦٢ - ١٦٣؛ المطرب ١١: الإحاطة ١: ٤٩٧ - ٤٩٨؛ فوات
 الوفيات ١: ١٨٨؛ نفع الطيب ٤: ٢٨٧ - ٢٩٠؛ الأعلام للزركلي ٢: ٣٠٥
 (٢٧٤).

ابن الفرس (أو المهر) الفَرْنَاطِيّ

١ - هو أبو القاسم عبد الرحيم^(٣) بن إبراهيم بن محمد الحَزْرَجِيّ الفَرْنَاطِيّ
 المعروف بابن الفرس أو بالمهر بن الفرس، وُلِدَ سَنَةَ ٥٦٥ هـ (١١٦٩ - ١١٧٠ م)
 وَأَخَذَ الْعِلْمَ عَنْ صِهْرِهِ أَبِي مُحَمَّدِ عَبْدِ الْمُنْعَمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ الْفَرَسِ (ت ٥٩٨ هـ)
 وَغَيْرِهِ^(٤). حَضَرَ ابْنَ الْفَرَسِ يَوْمًا فِي مَجْلِسِ الْمَنْصُورِ الْمُوحِدِيِّ (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ)
 فَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ يُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّهُ يَفْضُ مِنْ خِلَافَةِ الْمُوحِدِينَ وَيَكْشِفُ عَنْ طُمُوحِهِ هُوَ إِلَى
 الْإِمَامَةِ. ثُمَّ خَافَ عَاقِبَةَ أَمْرِهِ فَتَخَفَى مُدَّةً. فَلَمَّا مَاتَ الْمَنْصُورُ الْمُوحِدِيُّ ظَهَرَ ابْنُ

(١) ترَقِّدُهُ: تَنِيهَهُ (تَجْعَلُ لِحَطِّهَا فَاتِرًا نَاعَسًا، وَهَذَا يُؤَثِّرُ فِي الْعَاشِقِينَ). وَهَذَا الْفِعْلُ يَجْمَعُنِي إِزْدَادٌ حَيًّا لَهَا وَسَهْرًا فِي التَّفَكِيرِ فِيهَا.

(٢) سَدَلٌ وَأَسْدَلٌ: أَرَاخَى السَّرَّ. الدَّآدُ (الليالي) الثَّلَاثُ الْآخِرَةُ مِنَ الشَّهْرِ) نَكُونُ مَظْلَمَةً جَدًّا. رَأَيْتَ (وَجْهَهَا) فِي الدَّآدِ (بِالنِّسَةِ إِلَى النِّسَاءِ الْآخِرِيَّاتِ).

(٣) فِي بَغِيَةِ الْوَعَاةِ (ص ٣٠٥): عَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ. وَفِي الْاسْتِقْصَا (١: ١٩٠): عَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ.

(٤) وَكَذَلِكَ تَلَا (الْقُرْآنَ؟) عَلَى ابْنِ عَرُوسٍ (٤) وَأَخَذَ النَّحْوَ عَنْ ابْنِ مَسْعَدَةَ (٤) - رَاجِعِ بَغِيَةِ الْوَعَاةِ

الفرس ودعا إلى نفسه في قبائل البربر جنوب مدينة مراكش، إذ ادعى أنه المهدي المنتظر أو أنه القحطاني (الذي ذُكر في الحديث أنه سيُبعث قبل أن تقوم الساعة). فعاربه الناصر الموحدي (٥٩٥ - ٦١١ هـ) ثم غدر به جماعة وقتلوه وحملوا رأسه إلى مراكش، سنة ٦٠١ هـ (١٢٠٤ - ١٢٠٥ م).

٢ - جاء في «بغية الوعاة» (ص ٣٠٥): كان ابن الفرس «فقيهاً جليلاً القدر رفيع الذكر عارفاً بالنحو واللغة والأدب، باهر الكتابة رائق الشعر، سريع البديهة، تفقه ومهر في العقليات والعلوم القديمة». وكذلك كان شاعراً مطبوعاً ووشاحاً.

٣ - مختارات من شعره:

- موشحة مشهورة لعبد الرحيم بن الفرس الغرناطي (المغرب ٢: ١٢٢):

يا مَنْ أَعَالِبُهُ والشوقُ أَغْلِبُ
وأرتجى وَصَلْتُهُ والنجمُ أَقْرَبُ،
سَدَدَتْ بَابَ الرضا عن كلِّ مَطْلَبِ.
زُرْنِي ولو في المنامِ وَجُذْ ولو بالسلامِ
فَأَقْلُ القليلِ يُبقي ذَمَاءَ المُسْتَهَامِ^(١).

* * *

كَمْ ذا أَدَارِي الهوى وَكَمْ أَعَانِيهِ!
ولو شَرَّخْتُ القليلَ مِنْ معَانِيهِ
أَمْلَأْتُ أَسَاعِكُمْ مِمَّا أَرَانِيهِ.
هَيْهَاتِ، باعُ الكلامِ ما إنْ يَغِي بِغَرَامِ^(٢).

(١) الذم: بقية الحياة في البدن. المستهام: الذي اضطرب عقله وتغير ثم هام (سار على غير هدى) على وجه (من الحب).

(٢) الباع: مسافة ما بين أصابع اليد اليمنى وأصابع اليد اليسرى إذا مد الإنسان ذراعيه في خط مستقيم. باع الكلام (بجال الكلام).

أَيْ قَالٌ وَقِيْلٌ عَن زَفَرْتِي وَهِيَامِي (١)

* * *

أَمَّا هَوَاكُم فَنِي قَلْبِي مَصُونٌ
لَيْسَتْ مُرَجَّمَةً فِيهِ الظُّنُونُ.
إِنْ لَمْ أَصْنُهُ أَنْصَأْفِن يَكُونُ*

نَزَّهَتْ فِيهِ مَقَامِي عَن خَوْضِ أَهْلِ الْمَلَامِ .
أَيْ مَنِي جِيْسَلٌ وَعُرُوَةٌ بِنُ حَزَامِ (٢)

- تَحْيَلُ عَبْدُ الرَّحِيمِ بِنَ الْفَرَسِ نَفْسَهُ الْمَهْدِيَّ صَاحِبَ الْوَقْتِ (الَّذِي يَجِيءُ فِي
آخِرِ الزَّمَانِ لِيَمْلَأَ الدُّنْيَا عَدْلًا) فَقَالَ يُخَاطَبُ أَبْنَاءَ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ بِنِ عَلِيٍّ (مُؤَسِّسِ دَوْلَةِ
الْمُوحَّدِينَ):

قُولُوا لِأَبْنَاءِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ بِنِ عَلِيٍّ :
تَأْهَبُوا لَوْقُوعِ الْحَادِثِ الْجَلَلِ (٣).
أَتَاكُمُ خَيْرٌ قَحْطَانٍ وَعَالِمَهَا
وَصَاحِبُ الْوَقْتِ وَالغَلَابِ لِلدُّوَلِ (٤).
وَالنَّاسُ طَوْعُ عَصَاهُ وَهُوَ قَائِدُهُمْ،
وَالأَمْرُ وَالنَّهْيُ نَحْوِ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ .
فِيَادِرُوا أَمْرَهُ ، وَاللَّهُ نَاصِرُهُ :
وَاللَّهُ خَاذِلُ أَهْلِ الزَّيْغِ وَالزَّلَلِ .
- وَقَالَ (وَعَلَى قَوْلِهِ نَفْحَةٌ دِينِيَّةً):

عَسَى عَطْفَةٌ مِنْ جَانِبِ الْقُدْسِ تَسْمَحُ
وَبَارِقَةٌ مِنْ جَانِبِ اللَّطْفِ تُنْمِحُ .
عَسَى اللَّهُ يُدْنِيَنِي إِلَى سَاحَةِ الرِّضَا
فَأَقْرَعُ أَبْوَابَ الْغُيُوبِ فَتُفْتَحُ * *
وَمَا زَالَ فَضْلُ اللَّهِ يَغْمُرُ سَاحَتِي
وَيَظْهَرُ لِي مِنْ حَيْثُ مَا أَتْلَحُ .

- (١) الزفرة: النفس الحارّة (من الحزن...) . الهيام (بالضم) - راجع الحاشية قبل السابقة .
(٢) جيل بن معمر (بفتح فسكون ففتح) أو جيل شينة ثم عروة بن حزام (بالكسر) من الشعراء العساق
في العصر الأموي . * لعل: فمن يصون .
(٣) أبناء عبد المؤمن بن علي: سلاطين الموحدين . الجلل: العظيم .
(٤) صاحب الوقت: المتقلب على أهل زمانه (بحقّه في الخلافة) * * نتجح (حقها النصب) .

إلى الملأ الأعلى سَمَوْتُ بِهَمِّي كَذَلِكَ شَأْنُ الشَّكْلِ لِلشَّكْلِ بِجَنَاحٍ^(١).

- ومن معانيه الجميلة في موشحة له ذكر فيها الخمر فقال (المغرب ١: ٢٧٧):

نَفْضُ مِسْكَ الحِتَامِ عَنْ عَسْجِدِي المَدَامِ!

ورداء* الأصيل تَطْوِيهِ كَفُّ الظلام.

٤- * * المغرب ١: ٢٧٧، ٢: ١١١، ١١٢٢، الحلة السراء ٢: ٢٧٠ - ٢٧٢ بغية الوعاة ٤٣٠٥ نفع الطيب ٤: ٨، راجع ٣: ٢٠٤ الاستقصا ١: ١٩٠ - ١٩١، نيل الابتهاج ١٧٧.

أبو جعفر الذهبي

١- هو أبو جعفر أحمد بن عتيق بن الحسن بن زياد بن جرج الذهبي البلنسي، من أهل قرطبة، وكان أحد أجداده قد اشتغل بتذهيب الكتب فجاءت هذه النسبة إلى أسرته.

وُلِدَ سَنَةَ ٥٥٤ هـ (١١٥٩ م) وتلقَى العِلْمَ على ابن مضاء وأبي عبد الله بن حميد وأبي الطاهر بن عوف ثم دخل في خدمة السيد أبي الحسن علي بن أبي حفص بن عبد المؤمن والي غرناطة. وكان صديقاً للفيلسوف ابن رشد (ت ٥٩٥ هـ) فلما ثار العامة على ابن رشد وأراد المنصور الموحد أن يترضاهم فنفى ابن رشد، استتر أبو جعفر خوفاً من الطلب. ثم رضى المنصور على ابن رشد وقرب أبا جعفر. ويبدو أن أبا جعفر قد قضى مدة في مراکش طبيباً في بلاط المنصور (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ) وفي بلاط خلفه محمد الناصر. وكان مرة مع الناصر في الأندلس فتوفي، سنة ٦٠١ هـ (١٢٠٤ - ١٢٠٥ م) وما راجعان إلى مراکش.

٢- كان أبو جعفر الذهبي متفناً في العلوم ومحيطاً بكثير من علوم الفلسفة، كما كان طبيباً ماهراً ومشاركاً في عدد من علوم الشريعة. ثم إنه كان شاعراً مقلداً

(١) يمنح: يميل. * لعلها: وذا رداء الأصيل.

مُحْسِنًا، وَلَكِنَّ الْفَلَسْفَةَ غَلِبَتْ عَلَيْهِ، وَكَانَ يَقُولُ: «عَالَمُ النِّقْصِ لَا تَكُونُ فِيهِ الْكَلِمَاتُ».

٣- مختارات من شعره:

- لأبي جعفرٍ الذهبيِّ مُقَطَّعَاتٌ مِنْهَا:

★★ أَيْهَا الْفَاضِلُ الَّذِي قَدْ هَدَانِي
 شَكَرَ اللَّهُ مَا أَتَيْتَ وَجَازَا
 أَيُّ بَرَقِ أَفَادَ أَيُّ غَمَامٍ،
 وَإِذَا مَا غَدَا النِّسْمُ دَلِيلِي
 ★★ أَنْتَ عَيْنُ الزَّمَانِ لَا تُنْكِرُ السُّقْمَ
 ★★ نُسْرًا بِالْأَعْيَادِ، يَا وَيْحَنَا
 وَالْعُمُرُ دُرٌّ فِي نِظَامٍ، وَهَلْ
 مَا فِي الْبَرَامِ عَاقِلٌ؛ كُلُّهُمْ
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا قَضَى،
 نَحْوَ مَنْ قَدْ حَمِدْتُهُ بِأَخْتِيَارِي،
 كَ، وَلَا زِلْتَ أَيُّ نَجْمٍ سَارٍ^(١)،
 وَصَبَاحِ أَدَى لِضْوَةِ نَهَارٍ^(٢).
 لَمْ يُجَلِّنِي إِلَّا عَلَى الْأَزْهَارِ^(٣)!
 سَمَ، فَمَا ذَاكَ مُنْكَرٌ فِي الْعِيُونِ^(٤).
 وَكُلُّ عَيْدٍ قَدْ تَوَلَّى بِعَامٍ^(٥).
 نَفْرَحُ أَنْ يَنْقُصَ دُرُّ النِّظَامِ^(٦)؟
 يَرْدِي وَلَمْ يَمَعْلَ حَسَابَ الْفِطَامِ^(٧).
 فَهَذِهِ حِكْمَتُهُ فِي الْأَنَامِ.

- (١) أَيُّ نَجْمٍ: نَجْمٌ عَظِيمٌ. السَّارِي: السَّائِرُ فِي اللَّيْلِ. النِّجْمُ السَّارِي (الَّذِي يَنْتَقِلُ فِي السَّمَاءِ فَيَسْتَدَلُّ النَّاسَ بِمَرَكَّتِهِ عَلَى الزَّمَانِ - بِخِلَافِ النِّجْمِ الثَّابِتِ فِي رَأْيِ الْعَيْنِ).
- (٢) أَيُّ بَرَقَ (عَظِيمٌ تَبَعَهُ رَعْدٌ شَدِيدٌ) أَفَادَ أَيُّ غَمَامٍ (أَيُّ: مَفْعُولٌ بِهِ مِنْ «أَفَادَ» جَعَلَ النِّجْمَ يَسْقُطُ مَطْرًا كَثِيرًا).
- (٣) أَحْوَالُ الرَّجُلِ صَدِيقُهُ عَلَى الشَّيْءِ: أَقْبَلُ، جَاءَ بِهِ، دَلَّهُ عَلَى.
- (٤) فِي هَذَا الْبَيْتِ كِتَابَاتٌ وَتَوْرِيَّاتٌ مُتَدَاخِلَةٌ: (أَنْتَ عَيْنُ الزَّمَانِ: أَنْتَ مِنَ الزَّمَانِ بِمَكَانِ الْعَيْنِ، أَنْفَسُ شَيْءٍ فِيهِ - وَعَيْنُ الزَّمَانِ: مِنَ الْكِبَارِ الْقَوْمِ وَالْمَشْهُورِينَ). لَا تُنْكِرُ السُّقْمَ (فَعَلُ طَلَبِ وَأَمْرٍ) - كَانَ الْخَاطِبُ مَرِيضًا، وَكَانَ الشَّاعِرُ يَمُودُهُ (يُزَوِّرُهُ فِي مَرَضِهِ) - فَمَا السُّقْمُ فِي الْعِيُونِ (الطَّبِيعِيَّةِ، أَيِ النَّصْرِ) مُنْكَرٌ (غَيْرُ مَأْلُوفٍ) بَلْ هُوَ مُسْتَحَبٌّ.
- (٥) ... بِعَامٍ = بِضَيِّعٍ عَامٍ مِنَ عَمْرِ الْإِنْسَانِ.
- (٦) دُرٌّ: لَوْزَةٌ. النِّظَامُ: الْخَيْطُ الَّذِي يَجْمَعُ الدَّرَجَاتَ عَقْدًا.
- (٧) يَرْدِي (أ) يَهْلِكُ (بِكَسْرِ اللَّامِ).

** كنتُ في رُكنٍ من الأُر ضِرَّ على مِقْدَارِ فَهْمِي (١)،
 مُفرداً فِيهِ مُخَلَّسِي فارغاً من كلِّ خصمٍ (٢).
 فدَعَوْا بي ثم قالوا: علَّم في كلِّ علمٍ.
 عَرَضُونِي لِلْبَلَايَا أتلقَّى كلَّ سَهْمٍ.
 يَسَا لِقَوْمِي، أتعبوا في قَصْدِهِم رُوحِي وَجِسْمِي.

**-٤ الفصون البيانة ٣٦ - ٤١ نفع الطيب ٣ : ٢٠٦ - ٢٠٧ ، ٤٤١ طبقات
 الأطباء ٣ : ١٨١ المغرب ٢ : ٣٢١ بنية الوعاة ١٤٤ راجع الأعلام للزركلي ١ :
 ١٦٠ (١٦٧).

أبو العباس السبتي

١- هو أبو العباس أحمد بن جعفر الخزرجي السبتي، وُلِدَ في سَبْتَةَ، سَنَةَ
 ٥٢٥ هـ (١١٣١ م). وَنَزَلَ مَرَاكُشَ وَسَكَنَهَا فِيهَا تُوُفِّيَ سَنَةَ ٦٠١ هـ (١٢٠٤ -
 ١٢٠٥ م).

٢- كان أبو العباس السبتي رجلاً صالحاً عالماً من أهل التصوف، وكانت له بسطة
 في اللسان وقُدرة على الكلام قوي الحجة في المناظرة ذا تأثير في الناس عامَّة وفي عوامِّ
 الناس خاصة. وقد رُوِيَ له كراماتٌ هي من باب الأعاجيب. هذه تُقسَّم في الحقيقة
 قِسْمَيْنِ: قسماً يعودُ إلى ثباتِ نفسه وقُوَّة تأثيره في الناس، ثم قسماً هو من باب الروايات
 التي لا تثبتُ على مِحلِّك المنطق والواقع. ولكنَّ الرجلَ يَتمتَعُ بشهرة وتأثير كبيرين.

(١) على مقدار فهمي (الحقيقي للحياة وأن لا ربح في معاشرَة عوامِّ الناس).
 (٢) مفرد (بعيد عن الناس) على (من التبعات وتكاليف الحياة الاجتماعية).

- إِنَّا سُمِّيَ هَذَا الْيَوْمُ يَوْمَ عَرَفَةَ^(١) لانتشار الرحمة فيه لِمَنْ تَعَرَّفَ إِلَيْهِ^(٢) بالطاعات.

- ما أَمُرُ النَّاسَ إِلَّا بِمَا يَنْتَفِعُونَ بِهِ. وَإِنِّي لَأَ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ وَقَعَدْتُ بَيْنَ يَدَيْ الشَّيْخِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْفَخَّارِ، تَلْمِيزِ الْقَاضِي عِيَّاضٍ، وَنَظَرْتُ فِي كُتُبِ الْأَحْكَامِ وَبَلَغْتُ مِنَ السِّنِّ عِشْرِينَ سَنَةً، وَجَدْتُ قَوْلَهُ تَعَالَى «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ» فَتَدَبَّرْتُ (مَعْنَى ذَلِكَ) وَقُلْتُ: أَنَا مُطْلُوبٌ بِهِ (بِهَذَا الْأَمْرِ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ). فَلَمْ أَزَلْ أَمْحُ عَنْهُ حَتَّى وَقَفْتُ عَلَى أَنَّهَا (أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ) نَزَلَتْ حِينَ أَخَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَأَنَّهُمْ سَأَلُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُعَلِّمَهُمْ حُكْمَ الْمَوَاحَاةِ فَأَمَرَهُمْ بِالْمُشَاطَرَةِ^(٣). فَفَهِمْتُ أَنَّ الْعَدْلَ الْمَأْمُورَ بِهِ فِي الْآيَةِ هُوَ الْمُشَاطَرَةُ..... فَمَعَدْتُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى نِيَّةً أَنْ لَا يَأْتِيَنِي شَيْءٌ إِلَّا شَاطَرْتُ فِيهِ الْفُقَرَاءَ. فَفَعِلْتُ عَلَيْهِ عِشْرِينَ سَنَةً، فَأَمَرَ لِي الْحُكْمَ بِالْمُخَاطَرِ فَلَا أَحْكُمُ عَلَى خَاطِرِي بِشَيْءٍ إِلَّا صَدَقَ. فَلَمَّا أَكْمَلْتُ أَرْبَعِينَ سَنَةً رَاجَعْتُ تَدَبُّرَ الْآيَةِ فَوَجَدْتُ الشُّطْرَ هُوَ الْعَدْلُ. وَالْإِحْسَانُ مَا زَادَ عَلَيْهِ. فَمَعَدْتُ مَعَ اللَّهِ نِيَّةً (أَنْ) لَا يَأْتِيَنِي قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ إِلَّا أَسْكُتُ ثَلَاثَةً وَصَرَفْتُ الثَّلَاثِينَ لَلَّهِ تَعَالَى. فَفَعِلْتُ عَلَيْهِ عِشْرِينَ سَنَةً فَأَمَرَ لِي الْحُكْمَ فِي الْخَلْقِ^(٤) بِالْوَالَاةِ وَالْعَزَلِ فَأَوْلَيْتُ مَنْ شِئْتُ وَأَعَزَلْتُ مَنْ شِئْتُ.....

- أَصْلُ الْخَيْرِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ الْإِحْسَانُ، وَأَصْلُ الشَّرِّ فِيهَا الْبُخْلُ.

٤-★★ تطهير الأنفاس في التعريف بالشيخ أبي العباس، تأليف ابن الوقت، فاس ١٩١٨ م.

(١) يوم عرفة (التاسع من ذي الحجة): يوم الحج.

(٢) إليه (إلى الله).

(٣) لما هاجر المسلمون الأوّلون من مكة إلى المدينة، أمر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَشَاطِرَ الْأَغْنِيَاءَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ إِخْوَانَهُمُ الْفُقَرَاءَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ أَمْوَالَهُمْ (أَنْ يَعْطِيَ كُلَّ غَنِيٍّ مَدِينِيٍّ) أَخَاهُ الْمَكِّيَّ الْفَقِيرَ نِصْفَ مَالِهِ.

(٤) في الخلق: في الناس (أصبحت لي سلطة على التأثير في أحوال البشر بإذن الله).

نفع الطيب ٣: ٩٩ - ١٠٠، ٧: ٢٦٦ - ٢٧٩، نيل الابتهاج ٥٩ - ١٦٣، النبوغ المغربي ١٥٠ - ١٥١، الأعلام للزركلي (١: ١٠٧) مع الإشارة إلى أن ترجمة السبتي هذا تقع في كتاب «الإعلام بن حلّ مراكش وأغمت من الأعلام» تبلغ مائة صفحة (١: ٢٣٩ - ٣٣٨).

الحكيم الجلياني

١- هو أبو الفضل عبد المنعم - وقيل: محمد عبد المنعم (نفع الطيب ٢: ٦٣٥، راجع ٦٣٦، السطر الثالث من أسفل) - بن عمر بن عبد الله بن أحمد بن خضير بن مالك بن حسان القسائي المالقي الجلياني الوادي آشي الأندلسي، ولد في سابع المحرم من سنة ٥٣١ (١١٣٦/١٠/٥ م) في قرية جليانة من أعمال وادي آش (قرب غرناطة).

جاء الحكيم الجلياني إلى المغرب ثم رحل إلى المشرق وأقام في دمشق مدة طويلة واتصل بصلاح الدين الأيوبي ومدحه بمدح من القصائد؛ مدحه سنة ٥٨٦ هـ بقصيدة وأرسلها إليه فوصلت في صفر من سنة ٥٨٧ (آذار - مارس ١١٩١ م) وهو محاصر في الفرنجة في عكا. ويبدو أن الجلياني قد تطوّف كثيراً في الشام وصار طبيب المارستان (المستشفى) السلطاني. ثم دخل بغداد، سنة ٦٠١ هـ. وكانت وفاته في دمشق سنة ٦٠٣ هـ في الأغلب (١٢٠٦ - ١٢٠٧ م).

٢- كان الحكيم الجلياني بارعاً في الطب وفي التحكيل (طب العيون) خاصة، ملماً بالرياضيات والفلسفة، وكان يُعاني صناعة الكيمياء. وكذلك كان له كلام في التصوف، وقد عُرف بلقب «حكيم الزمان». ثم إنه كان أديباً ناثراً شاعراً. ولم يكن شعره كثير الرونق، ولكنه كان مجيداً المقطعات وخصوصاً ما يتناول منها الأغراض الحكيمية. وكان يطيل قصائد المديح غير أن مدائحه عادية.

وللحكيم الجلياني عددٌ من الكتب منها عشرة كتب هي (طبقات الأطباء ١٦١٢): «ديوان الحكيم وميدان الكلم» يشتمل على الإشارة إلى كل غامض

المدرک من العلم وإلى کلّ صادق المنسک من العمل وإلى کلّ واضح المسلك من الفضيلة (وهو نظم) - ديوان المُشوّقات إلى الملأ الأعلى (نظم) - ديوان أدب السلوك، وهو كلام مُطلق يشتمل على مشارع كلمات الحكمة المُبصّرات - نوادرُ الوحي، وهو يشتمل على كلام حكمة مطلق في غريب معانٍ من القرآن العظيم ومن حديث الرسول عليه أفضل الصلاة والتسليم - تحرير النظر، وهو يشتمل على كلمات حِكْمَة مفرداتٍ في البسائط والركّبات والقوى والحركات - سرّ البلاغة وصنائع البديع في فصل الخطاب - ديوان المبشّرات والقدسيّات (وهو نظم وتديب وكلام مطلق يشتمل على وصف الحروب والفتوح الجارية على يد صلاح الدين...) (١) - ديوان الغزل والتشبيب والموشحات والدوبيت وما يتصل بها منظوماً - ديوان تشبيهات وألغاز ورموز وأوصاف وزجريات (!) وأغراض شتى منظوماً - ديوان ترسل ومخاطبات في معانٍ كثيرة وأصناف من الخطب والصدور والأدعية. ثم له: منادح المادح - وروضة المآثر والمفاخر من خصائص الملك الناصر صلاح الدين (ألفه سنة ٥٦٩ هـ) - تعاليق في الطب - صفات أدوية مركّبة - جامع أنماط السائل (٢) في العروض والخطب والرسائل - نهج الوضاعة لأهل الخلاعة.

٣ - مختارات من شعره:

- قال الحكيمُ الجليبيُّ في أمر الدنيا والناس:

ألا إنّها الدنيا بحارٌ تلاطمت؛ فما أكثرَ الفرقى على الجنّيات .
وأكثرُ من لاقيتُ يُعْرِقُ إلفه، وقلّ فتى يُنجي من الغمّرات (٣).

- وقال في مثل ذلك:

فأجنسُ شيءٍ حِكْمَة عند جاهلٍ؛ وأهونُ شخصٍ فاضلٌ عند ظالم .

(١) لعلّه كتاب «المدبجات» (في مدائح صلاح الدين).

(٢) كذا في نفع الطيب (٢: ٦١٤). لعلّها: المسائل.

(٣) الإلف (بكر الهمزة): الأليف، العشير، الرفيق. الغمرة: معظم الماء من البحر. - كلّ إنسان يحاول أن يهلك الآخرين، ويندر أن يحاول إنسان إنقاذ غيره من مصائبه.

فلو زُفَّتِ الحسنة للذنب لم يكن يرى قُربها إلا لأكلِ المعاصم^(١)!

- وله قصيدة طويلة يمدحُ بها صلاحَ الدين منها:

فأنتَ الذي أيقظتَ حزبَ مُحَمَّدٍ جهاداً وهم في غفلةِ المتناومِ .
فحاربتَ للإيمانِ لا لضغائنٍ، ورابطتَ للرضوانِ لللمعانِ^(٢) .
فداركُ، والأبطالُ ثارتَ حيالها، مقرُّ سرورٍ في مقرِّ مآتمِ^(٣) .
فهجرتَ حتى قيلَ ليس بقائلٍ، وبيئتَ حتى قيلَ ليس بنائمٍ^(٤) ،
وأرجفتَ روما إذ خرقتَ فرنجةً فكانوا عُشاءَ في سُيولِ الهزائمِ^(٥) .
أفاحتَ بيتَ القدسِ، سيفكُ يفتحُ لقفْلِ الهدى يغلاقُ بابَ المآتمِ^(٦) .
فأطلقتَ تركاً في ظهورِ سوابجِ، وأغربتَ شركاً في بطونِ القشاعِ^(٧) ؛
غداةً قدحتَ البيضَ في آلِ أصفرِ فلم يبقَ زندٌ منهمُ في معاصمِ^(٨) .

(١) - لو زوجنا الذنب امرأة حسنة لما وجد فيها فائدة إلا أن يأكل منها.

(٢) رابط: أقام على حدود البلاد الإسلامية مدافعاً عنها. الرضوان: رضا الله.

(٣) دارك: منزلك (البلاد التي تحكمها). حيالها: إزاءها، بجانبها (حولها، فيها). مقرُّ سرور (لقومك) في قلب مقرِّ المآتم (للإفرنج الصليبيين الذين كانوا يجارون في فلسطين).

(٤) هجر: سار (عمل، حارب) في الهجير (وقت الحرِّ، ظهراً). قائل: من قال بقيل (نام بعد الظهر، ارتاح). بيئت القائد جيش أعدائه (أعدَّ خطةً في الليل للهجوم في الصباح). - إنه لا يرتاح ليلاً ولا نهاراً. بيئت أيضاً: حارب في الليل.

(٥) خرقت فرنجة: مرَّفت (هزمت) جموع الفرنجة فأرجفت (أخفت) روما (البابوية) لأنَّ انهزام الإفرنج الصليبيين انهزاماً لها وخطرَ عليها. القشاع: الزبد والأوساخ التي تطفو على سطح السيول.

(٦) مفتح: مضاعف. تبدو كلمة « المآتم » هنا قريبة من كلمة « مآتم »، وهذا في الأصل عيب في القافية. لعلها: المآتم (شاء بثلاث نقط).

(٧) - الترك (الأتراك!) جنودك كانوا كثيرين على ظهور السوابج (الخيل). وأغربت شركاً في بطون القشاع (النسور): قتلت أعداءك المشركين بالله وجعلتهم طعاماً للنسور.

(٨) قدح: طعن. لجأ الشاعر هنا إلى استمارة: جعل السيف حديدية بمقام الزناد (الذي تقدح به النار من حجر الصوان). البيض: السيوف. آل أصفر: الروم (الإفرنج عموماً). لم يبقَ زند الخ: قطعت أيديهم (قتلتهم).

وَإِذْ دَرَجُوا كَالنَّمْلِ أُعْجَزَ عَدُوُّهُ
 كَأَنَّ لَهُمْ فِي تَلٍّ عَكَا مَصَادَةَ
 فِيرَبُّ كَسِيرٌ مُوَبَّقٌ فِي حَفَائِرِ،
 وَمَا زِلْتُ أَجْلُو مِنْ حُلَاهِ عَرَائِئِ
 مَعَانِ كِبَهْرِ السَّحْرِ فِي عِقْدِ نَاطِرِ،
 سَتُنْسِي بِذِكْرِهِ أَقَاوِيلُ مَنْ مَضَى
 - وَهِيَ فِي النَّسِيبِ:

أَبَاحَ لَهُ نَجْوَاهُ بِمَضَى شِقَائِهِ
 مَتَى لَمَحَّتْ عَيْنُ الْعَلِيلِ طَبِيبِهِ
 فَكَمْ فِي الْهَوَى مِنْ مُكْتَسٍ بَرْدَ وَجْدِهِ
 سَبَاهُ حَبِيبٌ غَابَ فِي قَيْضِ حُسْنِهِ
 وَلَيْسَ لَهُ ثَانٌ يُلَاذُ بِهِ، فَمَنْ
 فَبَاحَ بِمَا أَخْفَاهُ مِنْ بُرْحَانِهِ^(٦)
 فَلَا يَدُّ أَنْ يُومِي إِلَيْهِ بِدَائِهِ^(٧)
 وَمُلْتَحِفٍ مِنْ دَائِهِ بِرَدَائِهِ^(٨)
 فَأَعْشَى عَيُونًا أَوْلَعَتْ بِبِهَائِهِ^(٩)
 حَوَاهِ هَوَاهُ لَمْ يَزَلْ فِي حَوَائِهِ^(١٠)

(١) درج: مشى. الديا: الجراد الصغير.

(٢) مصادة - يقصد الشاعر «مصادا» (بالفتح: مكان الصيد) أو مصيدا أو مصيدة (بالفتح فيها: أداة يُصَادُ بِهَا أَوْ شَرَك). حاش الناس الصيد: جاءوا من حوَالِهِ لِيُدْفِعُوهُ إِلَى الْحَيَاةِ (بِالضَّم) أَوْ التَّرَكِ. السوائم: الأنعام (الحيوانات الأليفة) المهملة التي لا راعي لها.

(٣) السرب: الجماعة من البهائم. كسير: مكسر الأعضاء. موبق من يوق: هلك. الحفيرة: الحفرة. حسير: ضعيف النظر والحيلة. مرهق: مدرك، محاصر. المقحم في القاموس بضم الميم وفتح الحاء: الضعيف. والشاعر يقصد: المأزق الذي لا مخرج منه.

(٤) و (٥) بيتان يقتصر فيهما الشاعر بشعره في المديح. النهى: العقل. البهر في القاموس الإصاءة، النور. وهنا: الجمال القدرة التي تدعو إلى المحب. في عقد ناظم... النبر: الذهب. التدر: قطع صغيرة من الذهب توضع بين اللؤلؤة واللؤلؤة في العقد.

(٦) باح (سمح له) بعض شقائه (ألمه من المرض، أو الحب) نجواه (سره): ألمه جملة يبوح بما كان يحرس على كتمان. البرحاء: الأذى الشديد (من المرض، الحب).

(٧) يومي = يوميء: يثير.

(٨) البرد: ثوب من حرير. مكس: لابس. ملتحف: مغطى. - بعض الناس يعلن حبه للناس، وبعضهم يكتمه عنهم.

(٩) سباه يسببه: أسره. غاب في فيض حسنه: (كثير الجمال). أعشى النور البصر: أنعمه ومنعه الرؤية.

(١٠) هذا المحبوب ليس له شبه حتى يميل المحب إلى ذلك الشبيه، فهو أبداً أسير حبِّ محبوبه الأول.

٤-★★ المتعصب من تحفة القادم ١٩٠ الفصون اليانعة ١٠٤ - ١٠٨، التكملة، رقم
 ١٨١٥ الذيل والتكملة ٥: ٥٧ - ٥٨، طبقات الأطباء ٢: ١٥٧ - ١٦٦ فوات
 الوفيات ٢: ٢١ - ٢٢، صلة الصلة ١٥ - ١٦، نفع الطيب ٢: ٦١٤، ٦٣٥ -
 ٦٣٧ نيكل ١٣٢٦ مختارات نيكل ١٩١ - ١٩٢، الأعلام للزركلي ٤: ٣١٧
 .(١٦٧)

أبو ذرّ الحُشني

١- هو أبو ذرّ مُصَنَّبُ بنُ أبي بَكْرٍ مُحَمَّدٍ (ت ٥٤٤ هـ) بن مسعودِ الحُشَنِيِّ المعروفُ
 كَأبيه باسمِ ابنِ أبي الرُّكَبِ، من أهلِ جِيَّانَ، رُوِيَ سَنَةَ ٥٣٤ هـ (١١٣٩ - ١١٤٠ م)
 رَوَى عن ابنِ قوْقُلٍ وابنِ بَشْكُوَالٍ وعبدِ الحقِّ الإشبيليِّ ثمَّ تصدَّرَ للقراءة في بَلَدِهِ وفي
 غيرها. وقد تولَّى الخطابةَ بإشبيليةَ ثمَّ القضاءَ في جِيَّانَ في أيامِ المنصورِ المُوَحَّدِي
 (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ). ثمَّ إنَّه انتقل إلى المَغْرِبِ وسكنَ فاسَ وتُوُفِّيَ فيها سَنَةَ ٦٠٤ هـ
 .(١٢٠٧ - ١٢٠٨ م)

٢- كان أبو ذرّ الحُشَنِيُّ مُتَقَدِّمًا في إقراء القرآن الكريم ومن علماء الحديث
 والفقه، بارعاً في معرفة السيرة (تاريخ الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وفي معرفة أخبار
 العرب وأيامها ولُغَاتِهَا وأشعارها، ونحوياً ناقداً للشعر، كما كان له نظمٌ. وكذلك كان
 مُصَنِّفًا، له من الكتب: شرح السيرة النبوية (الإملاء على سيرة ابن إسحاق) - شرح
 الإيضاح - شرح الجمل.

٣- مختارات من آثاره:

- من مقدمة شرح السيرة النبوية لأبي ذرّ الحُشَنِيِّ:

... الحمد لله باعِثِ الرُّسُلِ وناهجِ السُّبُلِ^(١)، الذي هدانا للإسلامِ وشرَّفَنَا بِبَيْلَةِ
 مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ. تَخَيَّرَهُ مِنْ أَكْرَمِ نَسَبٍ وَجَعَلَهُ سَيِّدَ الْعَرَبِ

(١) نهج (وضَّح) السبل (الطرق: مناهج الحياة).

وَالْمَعْم. ثُمَّ بَعَثَهُ بِآيَاتِهِ الظَّاهِرَةِ وَأَيَّدَهُ بِمُعْجَزَاتِهِ الْبَاهِرَةِ^(١)، وَأَمَرَهُ بِجِهَادٍ مَنْ صَدَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَلَمْ يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ^(٢)....

وبعد، فهذا إملاء أَمَلِيَّتُهُ من حِفْظِي بَلْفُظِي على كتابِ سِيرَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الَّتِي تَقَدَّمَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ^(٣) إِلَى جَمْعِهَا وَتَلْخِيصِهَا، أَوْانِ سُمِعَ هَذَا الْكِتَابُ مِنِّي وَقِيَدْتُ رِوَايَاتَهُ بِطَرُقِهَا^(٤) عَنِّي. قَصَدْتُ فِيهِ شَرْحَ مَا اسْتَبْهَمَ مِنْ غَرِيبِهِ^(٥) وَمَعَانِيهِ وَإِبْضَاحَ مَا التَّبَسَّ تَقْفِيْدُهُ عَلَى حَامِلِهِ وَرَاوِيهِ، مَعَ اخْتِصَارٍ لَا يُخِلُّ وَإِعْجَازٍ يَتِمُّ بِهِ الْبَيَانُ وَيَسْتَقَلُّ، لَمْ يُقْصِدْ فِيهِ قَصْدَ التَّأْلِيفِ قُتْمَدَ أَطْنَابِهِ^(٦)، وَلَا يَنْحُو لِحُوِّ التَّصْنِيفِ فَتَمَهَّدَ فُصُولَهُ وَأَبْوَابَهُ^(٧). وَإِنَّمَا هِيَ عُجَالَةٌ الْخَاطِرِ وَغُنْيَةٌ النَّاطِرِ^(٨). ثُمَّ عَرِضَ عَلَيَّ هَذَا الْإِمْلَاءُ بَعْدَ كِبَالِهِ فَتَصَفَّحْتُهُ، وَرَغِبَ فِي حَمَلِهِ عَنِّي، فَبَعْدَ لِأَيِّ مَا أَذْنْتُ بِذَلِكَ وَأَبْحَثُهُ^(٩)....

٤ - شرح السيرة النبوية (بولس بورله) القاهرة (ویر) ١٩٢٩ م.

★ التكملة ١٣٨٥ المغرب ٢: ٥٥؛ زاد المسافر ١٤٧ - ١٤٨ بغية الوعاة ١٣٩٢ شذرات الذهب ٥: ١١٤ نفع الطيب، راجع ٤: ٩٠، ١٦٢؛ الأعلام للزركلي ٨: ١٥١ (٧)؛ ٢٤٩؛ معجم المؤلفين ١٢: ٢٩٢؛ سركيس ٣١١.

-
- (١) الآية: العلامة (الدالة على عظمة الله). أبده: ساعده وسنده وجعله قوياً. المعجزة: العمل الخارق للعادة. الباهر: الدهش، المثير.
- (٢) صيدٌ: ردءٌ. منع. لم يجب... (لم يؤمن).
- (٣) محمد بن إسحاق المدني (ت بغداد ١٥١ هـ) مؤلف «سيرة رسول الله».
- (٤) أوان: زمان (في وقت سماع هذه السيرة مني). بطرقها (باختلاف سلاسل رواياتها).
- (٥) استبهم: غمض. غريبه (غريب ألفاظه: الألفاظ القليلة التداول).
- (٦) الأطناب (جمع طناب بضمّ فضمّ): حبال تشدّها بالثبينة من جوانبها المختلفة إلى أوتاد مفروسة في الأرض حولها لتثبت جيداً في مكانها.
- (٧) تمهد: تسوى (توسّع).
- (٨) ... شيء وضع على عجل فيه (غنية: كفاية) للناظر (القارىء).
- (٩) اللأي: الشدة والمشقّة (بعد التمتع).

أبو عمران المارتلّي

١ - هو أبو عمران موسى(*) بن عمران المارتلّي، نسبة إلى مارتلة أو ميرتلة وهي بلدة فيها حصنٌ على نهر آنة، في الجنوب الغربي من الأندلس (في البُرتغال اليوم)، وُلد سنة ٥٢٢ هـ (١١٢٨ م).

سكن أبو عمران المارتلّي إشبيلية وانصرف فيها إلى الزهد وخدمة الناس . وكان يعملُ الخوصَ (السلال والقُفّ إلخ) ويبيعه حتى يأكلَ من عمل يده حلالاً ويتصدّق على المحتاجين. وكانت وفاته سنة ٦٠٤ هـ (١٢٠٧ - ١٢٠٨ م) في إشبيلية.

- كان أبو عمران المارتلّي فقيهاً زاهداً، وكان له نثرٌ ونظمٌ يدوران على الزهد والحكم.

٣ - مختارات من آثاره:

- لأبي عمران المارتلّي فقراتٌ من الحكمة منها:

كلّ ما يَفنى ما له معنى - من خَفَّ لِسَانُهُ وَقَدَّمَهُ كَثُرَ نَدَمُهُ - التفاضلُ عن الجواب من فِعْلِ ذَوِي الْأَبَابِ - من أعطاك رَفْدَهُ^(١) فقد مَنَحَكَ وَدَّهُ - مَلِكٌ فَوَادَكَ مِنْ أَفَادَكَ .

- وقال في عتاب نفسه:

إلى كم أقولُ ولا أفعلُ،
وكم ذا أحومُ ولا أنزلُ^(٢) .
وأزجرُ عيني فلا ترعوي،
وأنصحُ نفسي فلا تقبلُ^(٣) .

* أبو عمران موسى بن حسين بن موسى... المارتولي، الميرتولي، المارتلّي.

(١) الرُفْد: العطاء.

(٢) حَامٌ حَوْلَ الشَّيْءِ: دَارٌ (أحوم ولا أنزل: أنوي ولا أنفذ).

(٣) أزجر: أمتع، أنهي. ترعوي: ترجع عن النّي والجهل والذنب.

وَمِذَا تَقَلَّلُ لِي - وَيَجْهَأ -
 وَمِذَا أَوَمَّلُ طَوْلَ الْبَقَاءِ
 فِي كُلِّ يَوْمٍ يُنَادِي بِنَا
 مِنْ بَعْدِ سَبْعِينَ أَرْجُو الْبَقَاءِ
 كَأَنْ بِي وَشَيْكَا إِلَى مَضْرَعِي
 فَيَا لَيْتَ شِعْرِي بَعْدَ السُّؤَالِ
 بَعْلٌ وَسُوفَ؟ وَمِذَا تَقَطَّلُ^(١)!
 وَأَغْفُلُ، وَالْمَوْتُ لَا يَغْفُلُ.
 مُنَادِي الرَّحِيلِ: أَلَا فَارْحَلُوا.
 وَسَبْعَ أَتَتْ بَعْدَهَا تَعَجَّلُ؟
 يُسَاقُ بِنَفْسِي وَلَا أَمَهْلُ^(٢).
 وَطَوْلِ الْمَقَامِ لِي أَنْتَقِلُ^(٣)؟

٤-★★ المغرب ١: ٤٠٦ - ٤٠٧، التكملة ١٦٨٧ الفصون البيانة ١٣٥ - ١٣٧، تحفة
 القادم ٩٢، نفع الطيب ٣: ٢٩٦ - ٢٩٧، نيكل ١٣٢٥ الأعلام للزركلي ٨: ٢٧١
 (٣٢٢) - راجع الحاشية.

السيد أبو الربيع الموحدي

١ - هو الأمير أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن بن علي الكومي
 الموحدي، نشأ في البلاط الموحدي (في مدينة مراكش) ولكن على شيء من الجفوة، لما
 كان بين أبيه وعمه يعقوب المنصور من المنافسة الحفيفة على الملك.

تتلمذ أبو الربيع سليمان على أبي بكر بن زهر (ت ٥٩٥) حينما كان ابن زهر في
 مراكش. ولما تولى يعقوب المنصور الملك (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ). ولَّى أبا الربيع على
 بجاية، ولكن علي بن يحيى بن غانية استولى على بجاية، في صفر من سنة ٥٨١ (ربيع

(١) تطل: تطلب لي العلل والأعداء لتسوية التوبة أو العمل الصالح: تأخيرها) عل = لعل (رجاء

المستقبل). سوف (حرف استقبال) - تقول لي نفسي: لعلّي أتوب، سوف أتوب. تطل: لا تغي بقولها.

(٢) - ربما كان مصرعي (مقتلي، موق) وشيكاً (قريباً).

(٣) فيا ليت شعري (لا أدري، ليتني أعلم) بعد السؤال (سؤال منكر وتكبير لي في أول نزولي في قبري)

وطول المقام (في القبر انتظاراً ليوم القيامة) لا (إلى أي مكان) أنقل (إلى جهنم أو إلى الجنة).

١١٨٥ م) فنقل المنصورُ ابنَ أخيه أبا الربيع إلى ولاية سجستان. وكان أبو الربيع قد آخذ كاتباً له هو أبو عبد الله محمد بن عبد ربه الملقب.

وكانت وفاة أبي الربيع سليمان الموحدي سنة ٦٠٤ (١٢٠٧ - ١٢٠٨ م).

٢- السيد أبو الربيع الموحدي أديبٌ ناثرٌ شاعرٌ، وديوانه قيل إنه أقدم ديوانٍ شعرٍ لشاعرٍ مغربيٍّ وصل إلينا. وشعره متفاوتٌ، قيل في سبب ذلك أن كاتبه ابن عبد ربه الملقب كان ينظم أشياء من الشعر على لسانه. وفنون شعره المديح والثناء والفزل والزهد والألغاز. وله مصنفٌ هو «مختصر كتاب الأغاني».

٣- مختارات من آثاره:

- من الغزل المشهور لأبي الربيع سليمان الموحدي:

أقول لركب أدلجوا سحيرة: قفوا ساعة حتى أزور ركابها^(١)
وأملأ عيني من محاسن وجهها وأشكو إليها أن أطلت عتابها.
فإن هي جادت بالوصال وأنعمت، وإلا فحسبي أن رأيت قبابها^(٢).

- وقد على مراكش وفد من الشام فعين يعقوب المنصور لهم موعداً في غداة اليوم التالي. ويبدو أن أبا الربيع كان ينتظر موعداً له من مدة، فكتب إلى المنصور:

يا كعبة الجود التي حجّت لها عرب الشام وعزها والديلم^(٣)،
طوبى لمن أمسى يلوذ بها غداً ويطوف بالبيت العتيق ويحرم^(٤).
ومن العجائب أن يفوز بنظرة من بالشام، ومن بمكة يحرم!

- وقال يمدح المنصور ويشير إلى هرب العدو منه:

- (١) الركب: السفر (يفتح فكون) الجماعة يافرون معاً. أدلجوا: ساروا ليلاً. سحيرة: قبيل الفجر
- (٢) القبة: الخيمة الكبيرة من جلد (المسكن).
- (٣) الغز: قبائل من الترك. الديلم: جماعة من الفرس.
- (٤) طوبى: الحسنى والخير. يلوذ: يلجأ. البيت العتيق: الكعبة. أحرم: استعد للقيام بمناسك الحج.

هَبَّتْ بِنَصْرِكُمْ الرِّيحُ الْأَرْبَعُ، وَجَرَّتْ بِسَدِّكُمْ النُّجُومَ الطَّلُحُ.
 وَأَمَدَكَ الرَّحْمَنُ بِالْفَتْحِ الَّذِي سَلَ الْبَسِيطَةَ نَوْرَهُ الْمُتَشَفِّعُ.
 اللَّهُ جَيْشُكَ وَالصَّوَارِمُ تُنْتَضَى وَالْحَيْلُ تَجْرِي وَالْأَسِنَّةُ تَلْمَعُ (١).
 إِنْ ظَنَّ أَنْ فِرَارَهُ مُنْجٍ لَهُ، فَبِجَهْلِهِ قَدْ ظَنَّ مَا لَا يَنْفَعُ.
 أَيْنَ الْمَقْرَأُ؟ وَلَا فِرَارَ لِهَارِبٍ، وَالْأَرْضُ تُنْشَرُ فِي يَدَيْهِ وَتُجْمَعُ (٢).
 إِنْ قِيلَ: مَنْ خَيْرُ الْخَلَائِقِ كُلِّهَا؟ فَالْيَنبُوتُ، بِأَيْمُقُوبُ، تَوْمِي الْإِصْبَعُ (٣).
 إِنْ كُنْتَ تَتْلُو السَّابِقِينَ فَإِنَّا أَنْتَ الْمُقَدَّمُ وَالْخَلَائِقُ تُبْعُ!

- لَمَّا كَانَ أَبُو الرَّبِيعِ وَالْيَأَى عَلَى سِجْلَامَةَ عَلِمَ أَنَّ مَلِكَ السُّودَانِ (فِي غَانَةَ) يُضَيِّقُ عَلَى التَّجَارِ الْمَغَارِبَةِ فِي بِلَادِهِ فَكَتَبَ إِلَيْهِ مِنْ رِسَالَةٍ:

نَحْنُ نَتَجَاوَرُ بِالْإِحْسَانِ وَإِنْ تَخَالَفْنَا فِي الْأَدْيَانِ. وَنَتَفَقُّ عَلَى السَّيْرِ الْمَرْضِيَّةِ وَنَتَأَلَّفُ عَلَى الرَّفَقِ بِالرَّعِيَّةِ. وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْعَدْلَ مِنْ لَوَازِمِ الْمُلُوكِ فِي حَكْمِ السِّيَاسَةِ الْفَاضِلَةِ، وَ (أَنَّ) الْجَوْرَ (١) لَا تَعَانِيهِ إِلَّا النُّفُوسُ الشَّرِيرَةُ الْجَاهِلَةُ. وَقَدْ بَلَّغْنَا احْتِسَابُ مَسَاكِينِ التَّجَارِ وَمَنْعُهُمْ مِنَ التَّصَرُّفِ فِيهَا هُمْ بِصَدَدِهِ (٢). وَتَرَدَّدُ الْجَلَابَةِ (٣) إِلَى الْبِلَادِ مُفِيدٌ لِسُكَّانِهَا وَمُعِينٌ عَلَى التَّمَكُّنِ مِنَ اسْتِطْوَاقِهَا. وَلَوْ شِئْنَا لَاحْتَبَسْنَا مَنْ فِي جِهَاتِنَا مِنْ أَهْلِ تِلْكَ النَّاحِيَةِ، لَكِنَّا لَا نَسْتَصُوبُ فِعْلَهُ. وَلَا يَنْبَغِي أَنْ نَنْهَى عَنْ خُلُقِي وَنَأْتِي مِثْلَهُ (٤). وَالسَّلَامُ.

(١) الصَّارِمُ: السَّيْفُ. انْتَضَى الْمَارِبُ السَّيْفُ: أَخْرَجَهُ مِنَ الْغَمْدِ وَشَهَرَهُ (رَفَعَهُ). السَّنَانُ: الْحَدِيدَةُ فِي رَأْسِ الرَّمْحِ.

(٢) تَنْشَرُ فِي يَدَيْهِ وَتُجْمَعُ. (حَكَمَهُ بِحَيْطٍ بِالْأَرْضِ كُلِّهَا - كَانَ جَمِيعَ الْبَشَرِ فِي قَبْضَةِ كَفِّهِ).

(٣) أَوْمًا يَوْمِي: أَشَارَ، دَلَّ عَلَى (شَيْءٍ).

(٤) الْجَوْرُ: الظُّلْمُ.

(٥) فِيهَا هُمْ بِصَدَدِهِ: فِيهَا يَقُومُونَ بِهِ (يَتَأَجَّرُونَ).

(٦) الْجَلَابُ: التَّاجِرُ الَّذِي يَنْقُلُ الْبَضَائِعَ مِنْ بَلَدٍ إِلَى آخَرَ.

(٧) مِنْ قَوْلِ أَبِي الْمَتَاهِيَةِ.

لَا تَنْهَى عَنْ خُلُقِي وَنَأْتِي مِثْلَهُ عَارَ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمًا.

- ٤ - ديوان أبي الربيع سليمان الموحد^(١) (تحقيق محمد القباچ ومحمد بن تاويت التطواني ومحمد بن تاويت الطنجي وسعيد أعراب)، الرباط (جامعة محمد الخامس - كلية الآداب والعلوم الإنسانية).
- الأمير الشاعر أبو الربيع سليمان الموحد: عصره وحياته وشعره، تأليف عباس الجراري، الدار البيضاء (دار الثقافة) ١٣٩٤ هـ = ١٩٧٤ م.
- ★ المغرب ٢: ٣١٦-٣١٧؛ تحفة القادم ١٠٥-١٠٦؛ الفصول اليازمة ١٣١-١٣٤؛ نوح الطيب ٢: ٣٩٨، ١٠٥: ١٠٩؛ النبوغ المغربي ١٦٨، ٣٥٠، ٧١٨، ٧٢١، ٨٥٨، ١٩١١؛ الأعلام للزركلي ٣: ١٩٠. (١٢٨).

أبو الحجاج البلوي

- ١ - هو أبو الحجاج يوسف بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن غالب البلوي^(٢) المالقي الأندلسي، ويقال له ابن الشيخ، وُلِدَ في مألقة سنة ٥٢٦ (١١٣٢ م) وقيل سنة ٥٢٩.

تلقَى أبو الحجاج البلوي العلم على نفر كثيرين منهم (في مدن مختلفة): أبو محمد عبد الوهاب (ألف با ٢: ٣٩٢) والأستاذ الفقيه أبو عبد الله بن سورة (ألف با ١: ١٣) وأبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن قرقول (٥٠٥ - ٥٦٩ هـ) وأبو زيد السهيلي (٥٠٨ - ٥٨١ هـ) وأبو محمد عبد الحق بن الخراط الإشبيلي (٥١٠ - ٥٨١ هـ). ثم إنه تولّى الخطابة في بلده مألقة وتصدّر أيضاً للتدريس، كما كان بناءً يعمل في الإشراف على البناء وعلى البناء بيده أيضاً.

وفي سنة ٥٦١ (١١٦٦ م) رحل أبو الحجاج البلوي فمرَّ على الإسكندرية فسمع من المحدث الحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد السلفي (ت ٥٧٦ هـ) وتولّى الخطابة مدة في الإسكندرية. ثم حجَّ وعاد إلى الإسكندرية. ويبدو أنه زار الشام في هذه الأثناء وحارب الإفرنج الصليبيين في جيش صلاح الدين.

(١) لم أستطع الاطلاع على الديوان. والعنوان «الموحد» من النشرة التي ورّعها الناشر.
(٢) في العرب قبيلة بلي (مثل غني)، والنسبة إليها: بلوي.

وعاد أبو الحجاج البلويُّ إلى الأندلس وقام بكثيرٍ من أعمال الخير وبالرَّابطة: شارك في بناء عددٍ كبيرٍ من المساجد وفي حَفْرِ عددٍ من الآبار (بماله وبعلمه وبعمل يده)، كما غزا مَعَ المنصور الموحدي (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ) إلى جانب ما كان يقومُ به من التدريس في مالقة.

وكان البلويُّ هذا ميزوجاً ولكن لم يُرزقْ من نسائه أولاداً ولا كان سعيداً في حياته مَعَه. فتزوج أخيراً فتاةً صغيرةً سوداءً ليسعدَ مَعَهَا. وقد رُزقَ منها على كِبَرِ غُلاماً سَمَّاه عبدَ الرحيم.

وكانت وفاةُ البلويِّ في مالقة سنةَ ٦٠٤ (١٢٠٧ م).

٢- كان أبو الحجاج البلويُّ مُشاركاً في عددٍ كبيرٍ من فنونِ المعرفة: في الفقه والأصول واللغة والنحو والأدب والحساب والمِساحة (الهندسة) ومائلاً إلى التصوف. ولكن غلبَ عليه الأدب. وكذلك كان شاعراً مُكثِراً، ولكنَّ شِعْرَهُ نَظْمٌ عاديٌّ كثيرٌ التكلّفِ قليلُ الرَوْنقِ. أمّا نثره فَمَتِينٌ وإن كان كثيرَ التكلّفِ جدّاً.

وكان للبلويِّ كتبٌ كثيرةٌ منها فهرسته (بأسماء شيوخه: أسانذته) (ألف با ١: ١٦٦) وكتابُ «تكميل الأبيات وتنميم الحكايات» مِمَّا اختصرته للألبا في كتاب ألف با (ألف با ١: ١٧)، ثم كتابُ «ألف با» وهو مجموعٌ موسيقيٌّ ضمَّنه البلويُّ وجوهاً من المعرفة استفادها من القرآن والحديث والشعر والتاريخ واللغة والصرف والنحو، وسَمَّاه «ألف با» لأنَّه بناه على عددٍ من الألفاظ التي تبدأ بالألفِ وعلى عدد يسيرٍ تبدأ ألفاظه بالباء وعلى غيرها.

هذا الكتابُ يتألفُ من مقدِّمةٍ (١: ٢ - ٧٣) ومن فصلٍ طويلٍ يزيدُ على ألفِ صَفْحَةٍ، وهو في الحقيقة قاموسٌ طريفٌ (وإن كان قليلَ الفائدة) لعددٍ من الألفاظ الثلاثية التي يُمكنُ أن يتركَّبَ من حروفها ألفاظٌ كثيرةٌ. يتناولُ البلويُّ الكَلِمَةَ مِنْ مِثْلِ «باب» أو «أب» ويُقلِّبها في صُورِها المُختلفة (من حيثُ التصحيفُ): أب، أب، أت، أت، باب، تاب، ثاب، بات، الخ. وربِّما استطرَدَ إلى كَلِمَاتٍ لا صِلَةٌ لها بالألفِ والباءِ إلّا مَعَ التصحيفِ، نحو «زيد» (١: ٩٩) فإنَّه يقال فيها: زيد، زند،

زيد، ندر، دندر، دثر، بدر، درن، نرد، الخ.

وفي أثناء هذه الأحاجي اللفظية يستطرد إلى أمور كثيرة: يخرج من لغة إلى قصيدة، ومن قصيدة إلى شعر، ثم يذكره شاعرٌ بشاعر، وشاعرٌ بحكاية، وحكاية بقصيدة الخ. وقد قصد بهذه الكتاب أن يُثقف ابنه الذي كان عند تأليف الكتاب صغيراً.

وأما كتاب «التكميل» فقد ضمنه كثيراً مما جرى بينه وبين شيخه وصديقه الأديب الزاهد أبي محمد عبد الوهاب القيسي (ت ٥٩٨ هـ) من الكلام في الأدب والشعر والتاريخ وغيرها.

وكان البلوي قد جمَعَ الألفاظ التي عالجهَا تلك المُعالِجَة في قصيدة من نظمه أثبتَهَا في المُقدِّمة (ويُخسَنُ أنْ نُشيرَ إلى أنْ البلوي كان قد أثبتَ الكَلِمَاتِ مُهمَّلةً لا نُقَطَ فيها ولا سُكَّلَ - ولكنْ ناشري الكتابِ تَوَلَّوْا التَّنْقِيضَ والتشكِيلَ اجتهاداً من عندِ أنفسهم). مَطَّلَعُ هذه القصيدة:

أخِي أَجِيءُ بِقِيْلٍ ثَقِيْلٍ مَهِيْبٍ مُهِيْبٍ بَطْلٌ بَطْلٌ
ومنها:

يُفِيْدُ بِقُنْدٍ بِعُودٍ يَعودُ يُعِيْدُ بِعِيْدِ المُجِلِّ المُجِلِّ
وَبَابٍ وَثَابٍ وَنَابٍ وَتَابٍ وَثَابٍ وَبَاتٍ وَيَلَّ وَيَلَّ

والمقصود بهذه القصيدة أن تجمع الألفاظ المتائلة في الرسم من غير اهتمام كبير بالمعنى (ولا بالرواق الشعري).

أما في سائر الكتاب فإنَّ البلويَّ يعيدُ إلى تفسير هذه الكَلِمَاتِ وأمثالها في أشكالها المختلفة كما ترى في «المختارات من آثاره». وفي أثناء هذا الشرح اللغوي كان البلويُّ يستطرد إلى ذِكْرِ أشعارٍ وقِصَصٍ وتاريخٍ وحِكَمٍ وحسابٍ وأشياء تتعلَّقُ بالإنسان والحيوان والنبات، وإلى أمورٍ من الأدبِان والمذاهب، و نوادرٍ من علم الصرف والنحو. ومعَ أنْ هذه المعارفَ عاديةً في الأكثرِ فإنَّها منشورةٌ أيضاً على غير نظام. وقد أرادَ البلويُّ أن يكون هذا الكتاب وسيلةً إلى تثقيفِ ابنه، ولكنْ هذا الكتابُ يُدْخِلُ على العقولِ تشويشاً. ولا نعلمُ ما الذي استفادَهُ عبدُ الرحيم بن البلوي من هذا الكتاب.

٣- مختارات من آثاره:

- من مقدمة «كتاب ألف با»:

..... أما بعدُ - دام لنا ولكم السعدُ - فإنِّي عزمتُ، بعدَ استخارةِ ذي الطَوْلِ
ومن يَدِهِ القوَّةُ والحولُ ورَغْبَتِي إليه في السِّدادِ^(١) في العملِ والقَوْلِ، على أن أجمع في
هذه الأوراقِ كلَّ معنى رقٍّ أو راقٍ مما هو عندي مستحسنٌ لا مستخسَنٌ، ومُستَمَلِحٌ لا
مستقبح، وأثبتَ فيه من الفوائد ما يُزري بالفرائد^(٢)، ومن بدائعِ العلومِ والفهومِ ما
يرتقي من التخومِ^(٣) إلى النجومِ. وجملتُ ما أولُفُ فيه وأبني^(٤) لعبدِ الرحيمِ ابني
ليقرأه بعدَ موتي وينظرَ إليَّ منه بعدَ فَوْقِي^(٥)، إذ لم يلحقْ بعدُ - لصِغَرِهِ - دَرَجَةَ
النبلاءِ ولم يبلغْ مرتبةَ العقلاءِ. وأرجو أن يجعله الله منهم ولا يقطعَ به عنهم،
فيكونَ - إن شاء الله - براءةً هذا الكتابِ في الزيادةِ إلى أن يلحقَ بالسادةِ:
إِنَّ الْمَسَلَلَ إِذَا رَأَيْتَ نُومَهُ أَيْقَنْتَ أَنْ سَيَصِيرُ بَدْرًا كَامِلًا^(٦)!
وسميتُ ما جمعتُ لهذا الطِفْلِ المُرَبِّيًا^(٧): كتاب ألف با....

- من متن «كتاب ألف با» (١: ٢٨٠):

والعَرَقُ: الطيرُ تصطفَ في السماء، واحدته عَرَقَةٌ. والمَرَقُ السطرُ من الخيلِ.....
ومقلوبه قَمَرٌ كلُّ شيءٍ أقصاه. وبشرِ قعيرة. وتفقرَ الرجلُ إذا تَشَدَّقَ الرجلُ وتكَلَّمَ
بأقصى قَمَرٍ فيه... ومقلوبه أيضاً رَعَقٌ يرعقُ رُعاقاً، وهو صوت يسمع من قتب^(٨)

(١) الطول (يفتح الطاء): البقاء، القدرة، الغنى. ذو الطول: صاحب الطول (الله). الحول: القوَّة.
السداد: الصواب في القول والعمل.

(٢) الفرائد جمع فريد: الشذر (قطع من ذهب) تفصل بين اللؤلؤ في العقد. الفريد والفريدة: الجوهرة
(اللؤلؤة) النفيسة أزرقى؛ عاب، جعل (الشيء) محترقاً.

(٣) التخوم جمع تخم (بالفتح أو الضم): الفاصل بين أرض وأرض (المقصود: الأرض).

(٤) أبني (أنا) - من بنى يبني بناءً (يؤلف).

(٥) بعد فوقي (موتي): بعد أن أمضي ويصبح عاجزاً عن اللحاق بي (عن الاستفادة مني).

(٦) البيت لأبي تمام.

(٧) المرَبِّي - يقصد: المرَبِّ (المهذب، المثقف).

(٨) في القاموس: الرعيق صوت يسمع من بطن الدابة. ورعق كنع، أي مفتوح عين الفعل في الماضي
والمضارع (رعق يرعق بفتح العين فيها). قتب: سرج صغير.

الدابة.... ومقلوبه أيضاً رَقَعَ الثوبَ رَقْعاً ورقعته. والرقيعُ الأحق... ومقلوبه أيضاً عَقَرَ العقر، والعقر مصدر العاقر من النساء. وقد عَقَرَت المرأة، وعَقَرَت تَعَقَّرَ فِيهَا عاقرٌ وعقير. وفي التنزيل^(١): « وامرأى عاقرٌ ». والعاقرُ من الرمل ما لا يُنبتُ....

- وصفُ « كتاب ألف با » (١ : ٦٤):

وهذا الكتابُ ألفتُه - كما ذكرتُ - لولدي أو لِمَنْ يَكون كَيتلِهِ مِنْ مُبتدي. فرُبما جمعتُ فِيهِ مِنَ الكَلامِ بَينَ الفِثِّ والسَمِينِ والرَخيصِ والسَمِينِ، والجِدِّ والهَزَلِ والضعيفِ والجَزَلِ^(٢)، كما تَقَدَّمَ فِيهِ القَولُ مِنْ قَبْلُ، وجلبتُ ما حَصَرَ مِنْ يابسٍ وأخضرَ. وعقولُ الناسِ مُدَوَّنةٌ فِي أَطرافِ أَقلامِهِمْ، بِها يُسْتَدَلُّ عَلَى مَعْرِفَتِهِمْ وَأفهامِهِمْ. وَبِتَأليفِهِمْ وَأوضاعِهِمْ يُعَرَفُ الطُولُ والقِصَرُ فِي بَاعِيهِمْ^(٣) وَيُدْرَى اِختِلافُ طَباعِهِمْ....

- ومن نظمه:

★★ * وظننتُ القويَّ يبقَى على ما
فإذا القلبُ فِي الحَقِيقَةِ قلبٌ
والذي قالَ قَبْلُ: « إِنِّي وَإِنِّي »
فتذكَرتُ قَولَ لِسَةِ المَتنَبِيِّ،
(وإذا ما خلا الجِبانُ بأرضِ
ظنَّ قومٌ بِأَنَّ حَبِيبِي إِلهِي

كان من قبل أن يُلاقي الرجالا
حارَ عَمَّا عَهِدْتُ فِيهِ وَحالا^(٤).
من صِفاتِ الرِجالِ كانَ مُحالاً^(٥).
حينَ قَلبي عَنِ البِسالَةِ زالاً^(٦):
طَلَبَ الطَغْنَ وَحدَهُ والنِزالا).
مِثْلُ ما يُحِبُّ الأَنيسُ أَنيسَهُ.

- (١) في التنزيل (الوحي): القرآن الكريم (٣ : ٤٠، آل عمران): « وقال: ربّ، أتى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأى عاقر ٤ ».
- (٢) الفث: التحيف (الثث والسمن كتابة عن الرديه والجيد). الجزل: الكثير العظيم. والكلام الجزل: الفصيح الألفاظ المتين التركيب الجامع للمعاني الشريفة.
- (٣) الباع: المسافة بين الكفتين عند بسط الذراعين يميناً وشمالاً. طول الباع كناية على القدرة والبراعة، وقصر الباع بخلاف ذلك.
- (٤) قلب (الثانية) انقلاب، خلاف في الاتجاه. حال: تحول، تبدل.
- (٥) من قال عن نفسه متبجحاً: « إِنِّي وَإِنِّي ».... كان خالياً من صفات الرجال، أي أنا لي كثير من صفات الرجال. محال (بالضم) ما لا يمكن وجوده أحياناً: صفات ليست تماً يجتمع في الناس عادة).
- (٦) البسالة: الشجاعة.

غَلَطُوا فِي الْقِيَاسِ، مَا مِثْلُهُ يُشَدُّ
 وَكَذَا حُبُّهُ يَجُلُّ عَنِ الْوَصْدِ
 إِنَّمَا حُبُّهُ لَمَنْ كَانَ أَهْلًا
 كُلُّ مَنْ كَانَ لِلْمَحَبَّةِ أَهْلًا
 سِبُّهُ شَيْئًا فَيَقْتَضِي أَنْ تَقِيَسَهُ.
 فَبِ، تَعَالَى عَنِ الصِّفَاتِ الْخَنِيَسَةِ.
 لِلْمَعَالِيِ وَاللْمَعَالِيِ النَّفِيَسَةِ.
 حُبُّهُ يَلْزِمُ النَّفُوسَ الرَّئِيَسَةَ.

٤ - كتاب ألف با (بتصحیح مصطفیٰ وهی)، القاہرۃ (نشرته جمعیۃ المعارف بمصر - المطبعۃ الوہبیۃ) ١٢٨٧ هـ.

★★ التکملة، ٧٣٧ (رقم ٢٠٨٩)؛ صلة الصلة ٤١٧ - ٤٢٠ (رقم ٤١)؛ بروکلن ١ : ٣٧٨، الملحق ١ : ٥٤٣ - ٥٤٤؛ الأعلام للزركلي ٩ : ٣٢٧ (٨ : ٢٤٧ - ٢٤٨)؛ سركيس ٣٠٠.

ابن شَكِيلِ الصَّدَقِيِّ

١ - هو أبو العباس أحمد بن يعيش بن شكيل (بفتح الشين) الصدقي الشريفي الأندلسي، تُوِّفِيَ سَنَةَ ٦٠٥ هـ (١٢٠٨ - ١٢٠٩ م) مُتَّعِبًا (في شِبابه بلا عِلَّة).

٢ - كان ابن شكيل الصدقي شاعراً مجيداً سهلاً القول. ويبدو أنه لم يكن يتكسب بشعره. برع في الوصف والتخييل، له مقطعات في وصف الحمام وفي الأزهار. وقال، في أبي قصبة الجزولي الذي ثار على الموحدين سنة ٥٩٨ هـ ثم قُتِلَ وشيكاً، قصيدة منها:

الله أطفأ ما أذكى أبو قصبة
 فمن أراد سؤلاً عن قصيته
 من حربه، وأزال السحر بالغبية^(١)
 فجملة القول: إن الحق قد غلبه.
 صدر القنائة مكان الصدر والرقبه^(٢).

(١) أذكى: أشعل، أوقد (النار).

(٢) جاءوا برأسه مرفوعاً على رمح.

٣- مختارات من شعره:

- قال ابن شَكِيلٍ يَصِفُ حَمَامًا:

تُلْهِى الميُونَ رُقُومَهُ فَكَأَنَّمَا
مجموعَةٌ أصدادُهُ فترى بها
حرَّانٌ مُنْكَسِبُ الدَموعِ كَأَنَّمَا
دُحِيَّتْ بَسِيطَةٌ أَرْضِهِ مِنْ مَرْمِرٍ
وَجَلَّتْ سَاوَتْهُ السَّمَاءُ، وَإِنَّمَا
قَامَتْ عَلَى عَمَدٍ جُلِينٍ عرائسًا

قد أَلَيْسَتْ سَاحَاتُهُ دِيبَاجًا^(١)،
نارَ الفُضَا والوَابلِ الثَّجَاجِ^(٢).
يَحْكِي، بِذَلكَ، العَاشِقَ المَهْتاجِ.
فَجَرى الزُّجاجُ بِهِ وَثارَ عَجَاجِ^(٣).
جُعِلَتْ مَكانَ النِّيرِاتِ رُجَاجِ^(٤).
فَترى لها السَّمَكَ المُكَلَّلَ تاجِ^(٥)!

- وَقال في زَنْبِقَةٍ (بيضاء) أودَعَتْ شَقِيقَةَ (حمراء):

سَوَسَنَةٌ بِيضاءٍ قَد أودَعَتْ
شَقِيقَةَ قانِيَةَ البُرْدِ^(١)
أَيضُها نَبْشِقُ عَن أَحْمَرٍ
كالْبُرْقُوعِ انشَقَّ عَنِ الحَدِّ.

٤-★★ الوافي بالوفيات ٨: ٢٧٧ - ٢٧٨؛ المقتضب من تحفة القادم ٩٧؛ الأعلام للزركلي (١: ٢٧١).

- (١) أرضه مبلطة برخام عليه أشكال مختلفة. الدباج: نسيج من حرير.
- (٢) الفضا: شجر له نار شديدة. الوابل: المطر. الثجاج: الشديد الانصباب (في الحمام حر شديد وماء كثير).
- (٣) دحيت: بسطت، مهدت. جرى الزجاج به (فيه) وثار عجاجاً (غباراً): الماء الحار يتحرك فيه بخاراً لشدة الحرارة (كالفبار) ثم يتجمع قسم منه عند الزجاج فيسيل رطوبة. (شظرا البيت لا تأتلفان في المضى).
- (٤) جلت سباهته (سقوفه) السله: سقف الحمام يشبه السله نحوهما - كان سقف الحمام مزوداً بأكر زجاجية (تسمح للنور بالمرور) ولا تسرب الحرارة (لأن الهواء في هذه الأكر عازل للحرارة).
- (٥) قامت (سقوف) هذا الحمام: رفعت. عمد جمع عمود. جلبت العروس: عرضت على زوجها في أبيه زينتها (كتابة عن جمال تلك الأعمدة بما عليها من النقش والزخرف). السمك: أعلى الشيء (السقف). المكمل (بتشديد اللام الأولى وفتحها: بيناتها للمجهول)، كانت السقوف أيضاً مزخرفة، فكأنها كانت أكاليل (من الأزهار) على رؤوس تلك الأعمدة.
- (٦) السوسنة: الزنبقة. الشقيقة (واحدة الشقائق: شقائق النعمان): زهرة برية حمراء البتلات وفي وسط كل بتلة بقعة صغيرة سوداء. قانية (لونها قان: شديد الحمرة - من الفارسية، قان: دم).

أبو عبد الله بن يربوع

١ - هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يربوع، أصله من جيان. كان مولده نحو سنة ٥٥٢ هـ (١١٥٧ م). سكن مدة في بلش من أعمال لورقة.

روى أبو عبد الله بن يربوع عن نفر كثيرين، ولكن أكثر روايته عن أبي عبد الله ابن العربي وأبي القاسم السهيلي وأبي محمد القاسم بن دحان^(١). ثم إنه أقرأ فنونا كثيرة، منها: قراءة القرآن والحديث والعربية (النحو) والأدب. وكان يتردد في سبيل ذلك على جيان وقيطاجة وأبدة. وقد استوطن قيطاجة ثم أبدة.

وكان وفاة أبي عبد الله بن يربوع في سنة ٦٠٦ هـ (١٢٠٩ - ١٢١٠ م).

٢ - كان أبو عبد الله بن يربوع مقرئاً ضابطاً ووافراً البضاعة من رواية الحديث، وقد كان بارعاً فيما ينقله. وكذلك كان بارعاً في علم العربية وعارفاً بالأدب، وبصيراً بالحساب. ثم كان كاتباً وشاعراً، ويبدو أن أكثر ميله كان إلى الهجاء مع شيء من البراعة والمرح. وقد ألف مجموعاً من الأشعار سماه «حديقة الأزهار»، وهو كتاب حسن، وتجد منه بضع مقطعات في كتاب نفع الطيب (٥: ٦٠١ - ٦٠٢).

٣ - مختارات من شعره:

- لما جاء ابن يربوع إلى قيطاجة كتب إلى ماجد (٤) أن يُنزله (في مسكن أو دار)^(٢) فأجابه ماجد: «في كل جحر ضبة»^(٣). فرد عليه ابن يربوع بهذه الأبيات:

يا ماجداً إن جاد كان وضيعاً، أو قال قولاً كان فيه بديعاً.
قيطاجة قد ضيقت أجحارها، وأرى لكم ما بينهن وقوعاً^(٤).

(١) أبو عبد الله بن العربي وأبو محمد القاسم بن دحان (؟؟). ولعل أبا القاسم السهيلي هو صاحب الروض الأنف والنوحي سنة ٥٨١ هـ.

(٢) لعل ماجداً هذا كان بنوياً شينا من الأحباس (الأوقاف) وتحت يده دور يمكن أن يسكن فيها الطائر على قيطاجة من أولئك الذين لا يجدون مسكناً أو لا يستطيعون ذلك.

(٣) الجحر: ثقب في الأرض تسكنه الحشرات. والضببة حيوان صحراوي يشبه المرذون.

(٤) وأرى لكم ما بينهن وقوعاً (اعتقد أنك، يا ماجد، من أولئك الذين يسكنون أحد تلك الأحجار).

وزَعَمَتْ أَنْ لِكُلِّ جُحْرِ ضِبَّةَ، فَاسْتَبَدَّلْنَ مَكَانَهُ يَرْبُوعاً^(١).
- وقال يهجو مدينة لورقة:

أَخْسِنُ بَلْرُقَةَ، لَا تُنْزَلُ بِسَاحَتِهَا، فَإِنَّ سَاكِنَهَا فِي الْوَيْلِ مَدْفُونُ.
أَرْضُ أَبِي اللَّهِ أَنْ تُنْشَى أَخَا كَرَمٍ: فَإِنَّهَا سَقَرٌ وَالْمَاءُ غَسْلِينَ^(٢).
- وقال أيضاً يهجو ابنَ أُحْلِى كَبِيرَ مَدِينَةِ لُورِقَةَ:

قَصَدْتُ ابْنَ أُحْلِى فَالْفَيْتُهُ أَشَدَّ مُرَاراً مِنَ الْعَلْمِ^(٣).
عَلَى الْمَاءِ فِي دَارِهِ رَحْمَةٌ، وَفِيهَا عَلَى الْخَبِزِ سَفْكُ الدَّمِ^(٤).

٤- ** التكملة ٥٩٢؛ الذيل والتكملة ٦: ٧٦ - ٧٧ (رقم ١٦٩).

ابن بدرون

١- هو أبو مروان أو أبو القاسم^(٥) عبدُ الملكِ بنُ عبدِ اللهِ بنِ بدرانِ أو بدرون^(٦) الحَضْرَمِيُّ الشُّبْلِيُّ، من أهلِ شُبَلْ، روى عن طائفةٍ من علماء بلده. ولعله عاش مدةً طويلةً في إشبيلية، في أيامِ السُّلْطَانِ يَوْسُفَ بنِ عبدِ المؤمنِ (٥٥٨ - ٥٨٠ هـ). وكانت وفاته في شُبَلْ سنةَ ٦٠٨ (١٢١٢ م) أو بعدها بقليل.

(١) لا بأس أن تزلي مكان ضِبَّةَ أو ضِبَّةَ من الضباب. اليربوع حيوان صحراوي يشبه الفأر ولكن قائمته الأماميتين قصيرتان جداً وقائمتيه الخلفيتين طويلتان جداً هناك نورة بين «يربوع» (الحيوان الصحراوي) وابن «يربوع».

(٢) تنشى = تنشى. سقر: مكان في قمر جهنم (شديد الحر). الضلين: الوسخ الذي يسيل من الثوب عند غسله، ومادة تسيل من جلود أهل جهنم.

(٣) المرار (بالضم): بقل بري مر. العلقم شجر المنطل (مر). لا وجه للقول (في التركيب التحوي): «أشد مرار من العلقم»، وأصوب أن يقال: «أمر مذاقاً من العلقم».

(٤) زجة: ازدحام (لقلة الماء فيها).

(٥) بروكلمان ١: ٤١٥، الملحق ١: ٥٧٩.

(٦) نفع الطيب ١: ١٨٥ - المشهور بدرون (يفتح الباء) كذا ضبطها إحسان عباس في نفع الطيب (١: ١٨٥) ووفيات الأعيان (١: ٣٣٤). تم ضبطها بضم الباء (وفيات الأعيان ٣: ٤٧٠، السطر التاسع ثم ٧: ٢١٧، السطر الثالث عشر).

٢- هو الأديبُ (نفع الطيب ٧: ٢١٧) ابنُ بدرِون، كان مُلمّاً بكثيرٍ من أوجهِ الثقافةِ وبالأحداثِ التاريخيةِ خاصّةً. وكان معروفاً بين أُنْداده وفي بلدِهِ بِاتِّساعِ المعرفةِ حتّى أمكنَ أن يطلبوا منه شرحَ قصيدةِ ابنِ عبدونٍ (ت ٥٢٩ هـ). وشُهرةُ ابنِ بدرِونِ تُرجِعُ في الحقيقةِ إلى شرحه على تلكِ القصيدةِ: «الدهرُ يَفْجَعُ بعدَ العينِ بالأثرِ» (كِيامَةُ الزَّهْرِ وَصَدَفَةُ الدُّرِّ: شرح البَشَامَةِ^(١) بأطواقِ الحِمامَةِ). ولولا تلكِ الشروحُ التاريخيةُ التي عَلقَها ابنُ بدرِونِ على أبياتِ تلكِ القصيدةِ لَظَلَّ كثيرٌ من هذه الأبياتِ مُستغْلَقاً على القارئِ العاديِّ.

٣- مختارات من آثاره:

- من مقدّمة شرح البشامة (لابن عبدون):

... جَمَعَتِي يوماً من الأيام، مَعَ جماعةٍ من فرسانِ النُّثارِ والنِّظامِ، ندي^(٢) أدبٍ ومجلسٌ دعا إلى الإفاضةِ في هذا الشأنِ وَنَدَبَ. فأقضنا قِداحَ المذاكرةِ في الأدبِ وجِماله، وأقضنا أقداح^(٣) راحِ الحديثِ في الشِّعرِ ورجاله، (الشعر) الذي هو ديوانُ العربِ... وذَكَرنا من دَرَجٍ من الأُممِ، وفرَج^(٤) في الشِّعرِ أبواباً لم يَفْرَجْها غيرُهُ مَن كان له قَدَمُ القَدَمِ، وما أبدَعَ فيه من أنواعِ البديعِ.... كالتمسيطِ والإشارةِ والمُقابِلةِ والاستعارةِ والتوشيحِ والتجنيسِ^(٥).... ثم جُلنا في ذِكرِ ذكرِ (؟) الإحالاتِ

(١) نيكل ١٧٨، وفي عدد من المراجع: البشامة!

(٢) النثار (بالضَّم): ما تناثر من الشيء. والمقصود هنا النثر (خلاف النظم: الشعر). الندي والنادي محل اجتماع القوم للتداول.

(٣) القِداح جمع قَدَح (بالكسر): قطعة من خشب (أو غيره) تستخدم في الاستقسام (الميسر، القهار وغيره). الأقداح جمع قَدَح (بفتح ففتح): الكأس. الراح: الحمر.

(٤) درج: ذهب، مات، انقضى زمنه. فرج: فتح (أوجد أبواباً: أنواعاً جديدة).

(٥) البديع: تحسين اللفظ. التسميط: نوع من التوشيح (تعدد القوافي في المقطوعة الواحدة). الإشارة: اللحمة اليسيرة الدالّة على المعاني الكثيرة أو البعيدة. والإشارة أنواع (راجع العمدة لابن رشيبي، نشرها محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الأولى، ١: ٢٧١ - ٢٨٢). المقابلة تقال على الطباق (تضاد المعاني: أبيض وأسود، صغير وكبير). وتقال على الموازنة (تقابل صيغ الألفاظ في الجملة الواحدة: (ما جرى جارٍ في النهار وما سرى سارٍ في الليل). الاستعارة: نسة فعل إلى الذي لا يفعله =

وَرَفَضْنَا مَا سِوَاهَا. وَذَكَرْنَا مَا انطَبَعَ فِيهَا وَمِنْ رَمِيدٍ حِينَ شَوَاهَا^(١). فَأَنْشَدَ أَحَدُ الْحَاضِرِينَ قَصِيدَةَ الْوَزِيرِ الْكَاتِبِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْمَجِيدِ بْنِ عَبْدِ وَدَّيْنٍ... فَإِنَّهُ ذَكَرَ فِيهَا كَثِيرًا مِنَ الْمُلُوكِ تَمَّنَ ذَبَّتْ إِلَيْهِمُ الْأَيَّامُ أَيُّ دَيْبِيبٍ، وَاللَّحَقَّتْ شَمْسُهُمْ عِنْدَ الظَّهْرِ بِالْغَيْبِ، وَمَشَتْ إِلَيْهِمُ الضَّرَاءُ^(٢)... فَأَكْثَرُهُمْ لَمْ يَعْرِفْ كُنْهَ^(٣) حَالَاتِ تِلْكَ الْإِحَالَاتِ حَتَّى كَانَ فِيهِمْ مَنْ قَالَ: مَا هَذِهِ الْقَصِيدَةُ إِلَّا كَالْمَعْمَى^(٤). فَكَانَ فِي الْقَوْمِ مَنْ أَسَارَ نَحْوِي وَقَالَ: لَوْ شَاءَ فَلَانٌ لَأَفْتَحَ رِتَاجَهَا الْمُبْهَمَ، وَأُنَجِّدَ فِي قِصِّ أَخْبَارِهَا وَأُنْهَمَ^(٥).

- مثال من الشرح:

« وليتها إذ فدت عمرًا بخارجة فدت عليًا بمن شاءت من البشر ».

هذا الذي ذُكِرَ هو عمرو بن العاص... وخارجة رجلٌ من سَهْمِ بْنِ عمرو بن هُصَيْنِ رَهْطِ عمرو بن العاص. وكان من خَبْرِهِ أَنَّهُ لَمَّا اجْتَمَعَتِ الْخَوَارِجُ عَلَى قَتْلِ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَمُعَاوِيَةَ وَعَمْرُو - كَمَا قَدَّمْنَا ذِكْرَهُ - مَشَى زَادَوِيَّةَ مَوْلَى بَنِي الْعَنْبَرِ إِلَى عمرو على وَعَدِيهِ مَعَ صَاحِبِيهِ^(١)، فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَأَرْضَدَ لِعَمْرُو^(٢). وَشَكَا

عادة: ابتم البرق - (فالبرق لا ينسم، ولكنه شبه بالإنسان ثم نسب إليه فعل من أفعال الإنسان).
التوشيح: بناء القطعة الشعرية على أشطر معينة في العدد والأوزان محتومة بقوافٍ مختلفة ولكن على نسق معلوم. التنجيس: الهجاء في الجملة الواحدة بكلمات تتفق في اللفظ وتختلف في المعاني الصحائف: الأوراق والرسائل إلى جانب الصفائح أي السيوف).

- (١) ذكر ذكر (كذا في الأصل)... الإحالات. الإحالة (نسبة الشيء إلى العالم به). الرمد (يفتح فكسر) الكدر، الماء الأجن (المتغير، الفاسد). شوى الرجل الرجل: أصاب منه مقتلاً.
(٢) دبت إليهم الأيام: عدت عليهم وقتت. أصابتهم بالزوال، الضراء: الشدة، الحال المضرة.
(٣) الكنه: جوهر الشيء وحقيقته وغايته (وسره).
(٤) المعنى: الأحجية (المعنى المضمرة الغامض).

(٥) الرتاج: الباب. أنجد: جاء نجداً (المكان العالي) وأتمهم: جاء تمامة (المكان المنخفض) - قدر على كل شيء.

(٦) مع صاحبيه: عبد الرحمن بن ملجم (بضم فسكون ففتح) الذي أراد قتل علي بن أبي طالب ثم الهجاء ابن عبد الله المعروف بالبرك (بضم ففتح) التميمي الذي أراد قتل معاوية.

(٧) تخفى ليقول عمراً (كان عمرو بن العاص يرم من قصره إلى المسجد في كل يوم لصلاة الفجر... في يومٍ معروف).

عمرو في تلك الليلة من بطنه فلم يخرج للصلاة. فخرج خارجاً^(١) ليصلي بالناس عوضاً عمرو. فظنه زادويه عمراً^(٢) فضربه وقتله. وأخذ (زادويه) ودخل به على عمرو فسمعهم يخاطبونه بالإمارة، فقال: أو ما قتلتُ عمراً؟ قيل له: لا، إننا قتلنا خارجاً. فقال: أردتُ عمراً والله أراد خارجاً. فذلك قوله: وليتها. والهاء عائدة على الليالي...

- ولابن بدرون في الغزل (نفع الطيب ١: ١٨٥):

المشقُّ لذته التّعنيقُ والقُبْلُ، كما مُنغصُهُ التّثريبُ والعذْلُ^(٣).
يا ليتَ شعري، هل يُقضى وصالكم؟ لولا المنى لم يكن ذا العمر يتصل!

٤ - شرح قصيدة ابن عبدون (نشرها دوزي)، ليدن ١٨٤٦ - ١٨٤٨ م، كرامة الزهر وصدفة الدرر (شرح البسامة)، مصر ١٣٤٠ هـ في «مجموعة....» (نشرها محي الدين صبري)، القاهرة ١٣٤٠ هـ (٤).

* * الصلة رقم ٨٣١، التكملة (رقم ١٧٢٧) الذيل والتكملة ٥: ٢١، نفع الطيب ١: ١٨٥، ٥٢٩، ٤: ٣٥٣؛ راجع دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٦٨٠ (في ترجمة ابن عبدون)؛ بروكلمن ١: ٤١٥، الملحق ١: ٥٧٩ - ٥٨٠، الأعلام للزركلي ٤: ٣٠٦ (١٦١)؛ نيكل، راجع ١٧٦ (البسامة لا البسامة)؛ تاريخ النقد الأدبي لدابة ٢١١ - ٢١٥؛ سركيس ٤٥.

الكانميّ الأسود

١ - هو أبو إسحاق إبراهيم بن يعقوب^(١) الكانميّ، نسبة إلى كانم^(٥) من قرية

(١) خارجه بن حذافة رئيس الشرطة لعمرو بن العاص.

(٢) زادويه أو دادويه مولى بني النضير.

(٣) التعنيق: أخذ أحد الشخصين بعنق الآخر. التثريب والعذل: اللوم.

(٤) في المقتضب: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد. وفي تاج العروس أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن.

(٥) في تاج العروس: كانم جنس من السودان وهم بنو عمّ تكرور ثم بلدة بنواحي غانة، وهي دار ملك السودان الذي يجنوب الغرب (المغرب) وكذا تكرور اسم للأرض. ونفع كانم إلى الشرق والشرق الشمالي من بحيرة شاد سكنها أولاد سليمان والشوا (وهم من عنصر عربي). ويبدو أن بعضهم جاء من =

اسمها بَلَعَةُ. ويبدو أنه كان من العرب الذين انتقلوا إلى كاتم من ليبيا، ومن أجل ذلك يُراد في نسبه « الذكواني السلمي »^(١). وقد اكتسب لونه الأسود ولقبه أيضاً من سكناه في السودان (الغربي).

وجاء الكانمي، قبل سنة ٦٠٠ هـ (١٢٠٣ م)، إلى مراكش وأقرأ فيها الآداب ثم دخل الأندلس ومدح أكابر الدولة. وكانت وفاته سنة ٦٠٨ (١٢١١ - ١٢١٢ م) أو ٦٠٩.

٢ - الكانمي الأسود أديبٌ شاعرٌ مشهورٌ^(٢) ولم يُعرف في أرضه شاعرٌ سواه^(٣). كانت العجمة غالبية عليه، ولكنه كان شاعراً محسناً جيد النظم رويت له أبيات في الحكمة والفخر مع شيء من التصنيع. وكان عارفاً بالنحو.

٣ - مختارات من شعره:

- قال الكانمي الأسودُ يفتخرُ بنفسه وَيَعْتَدِرُ لِلْوَنَةِ الْأَسْوَدِ:

إِنِّي وَإِنْ أَلْبَسْتَنِي الْعُجْمُ حُلَّتَهَا فقد نَبَّأَنِي إِلَى ذِكْوَانِهَا مُضَرًّا^(٤).
فلا يَسُوكُ مِنَ الْأَغَادِرِ حَالِكُهَا إن كان باطنها الصمصامةُ الذَكَرُ^(٥)!

ليبيا بعد أن كانوا قد انتقلوا إليها وإلى تونس من صعيد مصر في منتصف القرن الخامس للهجرة (الحادي عشر للميلاد) وكان في جمهورية نناد اليوم..

(١) الذكواني السلمي نسبة إلى ذكوان بن ثعلبة بن بهثة (بضم الباء) بن سليم (بضم السين وفتح اللام) (راجع عجلة المتبدي وفضالة المنتهي في النسب لأبي بكر محمد بن أبي عثمان الخازمي الهمداني، الطبعة الثانية - مطبوعات مجمع اللغة العربية بالقاهرة - ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م، ص ٦٢).

(٢) القاموس ٤: ١٧٣.

(٣) الواقي بالوفيات ٦: ١٧٠.

(٤) العجم: غير العرب (والمقصود هنا: الزنج). غاني: رفعي، وصل نسي، وصل نسي. مضر جد لعرب الشمال.

(٥) القدم: قراب (بيت) السيف. الحالك: الأسود اللون. الصمصامة: السيف الذي يتقطع في العظام. الذكر: الذي سقى الذكرة (بضم الذال المعجمة): الفولاذ فأصبح لينةً من غير أن ينكسر، ثم أصبح مستقلاً أبيض.

- وقال في الموت وفي غفلة الناس في حياتهم:

أفي الموت شك، يا أخي، وبرهان! ففيم هجوع الخلق والموت يقطان^(١)!
أتسلو سلو الطير تلتقط حبها، وفي الأرض أشراك وفي الجو عقبان^(٢)!

- وقال يعبر عن كرهه للهجاء:

كم سائل: لم لا تهجو؟ فقلت له: لأنني لا أرى من خاف «من هاجي» .
لا يكره الدم إلا كل ذي أنف، وليس لؤم لثام الخلق «منهاجي»!^(٣)

- ودخل الأديب أبو اسحاق إبراهيم بن يعقوب الكاشي على المنصور الموحدي فأنشده (الاستقصا ١: ١٨١):

أزال حجابي عني، وعيستي تراه من المهابة في حجاب.
وقربني تفضله، ولكن بعدت مهابة عند اقترابي.

٤-★★ الوافي بالوفيات ٦: ١٧٠ - ١٧١ المقتضب ١٠٩ - ١١٠ نفع الطيب ٤: ٣٨٠ الاستقصا ١: ١٨١ تاج المروس ٩: ٥١.

محمد بن سيدراي

١- هو أبو بكر محمد بن سيدراي^(١) بن عبد الوهاب بن وزير^(٥) القيسي من أمراء المغرب، كما كان أبوه من قبله وابنه عبد الله من بعده^(٢). وظل أبو بكر بن

(١) وبرهان (أي هل يحتاج إلى برهان؟). المروج: النوم.

(٢) أتسى، أي الإنسان، نفسك وأنت تتمتع بالحياة، كما تسي الطير نفسها وهي تلتقط طعامها من الأرض، وقد يكون حولها أشراك وفوقها في الجو عقبان (طيور كاسرة)؟

(٣) الأنف: الاستكبار (ترك الأمور التي لا تليق بالرجل النبيل). لؤم (كذا في الأصل بالهمزة) والأصوب أن تكون «لوم» بالواو (هجاء).

(٤) في «نفع الطيب»: سديري. (راجع ٤: ٣٦٥، الحاشية: سيدراي). وفي «المغرب» سرراي.

(٥) كذا في نسق نسبة (الحلة السراء ٢: ٢٧١). وفي المغرب ونفع الطيب: كان كاتباً ووزيراً.

(٦) راجع مناقشة طويلة مفيدة في تحقيق حول ولاية آل سيدراي في الأندلس (الحسين مؤنس، الحلة السراء ٢: ٢٧٢).

سيدر اي والياً على قَصْرِ الفتح حَتَّى مَقْتَلِهِ فِي وَقْعَةِ العِقَاب^(١)، نصف صفر من سنة ٦٠٩ (١٧ / ٧ / ١٢١٢ م).

٢- كان مُحَمَّدُ بْنُ سِيدْرَاي، كَأَبِيهِ مِنْ قَبْلِهِ، مِنْ رَجَالَاتِ الأَنْدَلُسِ فِي العَقْلِ والشَّجَاعَةِ وَقَائِداً كَبِيراً. وَكَانَ شَاعِراً مُحَسِّناً مِنْ فَنُونِهِ الحِمَاسَةُ وَالغَزَلُ وَالطَّرْدُ (فَلَهُ وَصْفٌ فِي الكَلْبِ وَشِعْرٌ فِي حِمَامَةٍ).

٣- مَخْتَارَاتٌ مِنْ شِعْرِهِ:

- قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سِيدْرَايِ فِي الحِمَاسَةِ، فِي مَعْرَكَةِ انْتَصَرَ فِيهَا عَلَى الأَسْبَانِ^(٢):
وَلَمَّا تَلَاقَيْنَا جَرَى الطَّمَنِ بَيْنَنَا فَمِنَّا وَمِنْهُمْ طَائِحُونَ عَدِيدُ^(٣):
رَجَالٌ غِرَارُ المَنْدِ فِيْنَا وَفِيهِمْ فَمِنَّا وَمِنْهُمْ قَسَائِمٌ وَحَصِيدُ^(٤).
فَلَا صَدْرَ إِلا فِيهِ صَدْرٌ مُثَقَّفٍ، كِلَانَا عَلَى حَرِّ الطِّمَانِ جَلِيدِ^(٥).
وَلَكِنْ شَدَدْنَا شُدَّةً فَتَبَلَّدُوا، وَمِنْ يَتَبَلَّدُ لَا يَزَالُ يَحِيدُ^(٦).
فَوَلُّوا وَلِلْبَيْضِ الرِّقَاقِ بِهَامِهِمْ صَلِيلٌ وَلِلسُّمْرِ الطِّوَالِ وَرُودُ^(٧)!

(١) كانت وقعة العقاب (بكر العين) قرب جيان، جنوبي الأندلس، وقد انهزم الموحدون فيها وباد معظم جيشهم.

(٢) لعله قال هذه الأبيات بعد المعركة (التي استردَّ الموحدون فيها قصر الفتح من البرتغاليين ٥٨٧ هـ - ١١٩١ م).

(٣) طاح يطوح وبطيح: هلك.

(٤) الغرار: حدّ السيف. غرار المند (نسبة إلى السيف التي كانت تصنع في الهند وتعرف عند عرب الجاهلية بمجودتها). الحصيد: المحصود (كناية عن القتل).

(٥) - فلا صدر (إنسان) إلا فيه صدر مثقف (صدر الرمح: القسم الأعلى من الرمح) كناية عن أن القتال كان مواجهة (لم يهرب أحد من الفريقين فيطعن في ظهره في أثناء هربه).

(٦) شدنا: هجنا. تبدوا (كسلوا عن القتال، ملوا). حاد: مال عن الطريق. ولا معنى واضحاً لها هنا. «لا يزال» حقها أن تجم (لا يزال) لأنها جواب الشرط. وقد جزم الشاعر فعل الشرط «يتبلد».

(٧) ولوا: هربوا. البيض: السيف. هامهم: رؤوسهم. صليل: صوت. السمر: الرماح. ورود: شرب. الرماح كانت ترد (أي تشرب دماءهم). في نفع الطيب (٤: ٣٨١، ٤٦٥):..... بهامهم * ركوع وللبيض الرقاق سحود.

- وقال في النسب:

مُتَمَلِّلٌ أَبَدًا بِصِرْفِ مُدَامِهِ (١) . وَمُرْتَجِحِ الْأَعْطَافِ تَحَسَّبُ أَنَّهُ
يَسْرِي فَتَوَرُّ جُفُونِهِ لِكَلَابِهِ (٢) . خَنِثُ الْمَاجِرِ وَالْجُفُونِ كَأَنَّا
فَضَحَ الْمَلَالِ بِوَجْهِهِ، وَلرِيًّا (٣) . فَضَحَ الْقَضِيبَ بِلِينِهِ وَقَوَامِهِ (٤) .
وَعَدَا شَقِيقَ سَمِيهِ فِي حَسْبِهِ وَعَدَا الْعَنَا وَقَفَا عَلَى لُؤَامِهِ (٥) .

٤- ** الحلة السبراء ٢: ٢٧١ - ٢٧٥، ٢٩٧، المغرب ٢: ٤٣٠، نفع الطيب ٣: ٤٠٧ -
٤٠٨، ٤: ٣٨١، الأعلام للزركلي ٧: ٢٥ (٦: ١٥٤).

أبو العباس الجراوي

١- هو أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجراوي^(١)، نسبة إلى قبيلة جراويّة (وكانت مساكنها بين قسطنطينة وقلعة بني حاد، بالجزائر اليوم) وأصله من تادلة (قرب فاس، بالمغرب الأقصى)، ونسبه في بني عفجوم البربر. وقد كان مولده سنة ٥٣٠ (١١٣٥ م) قرب فاس (٢).

سكن أبو العباس الجراوي مراكش ودخل الأندلس مراراً. وكان الجراوي قد اتصل بالموحدين منذ أيام أوليهم عبد المؤمن بن علي^(٣) (٥٢٤ - ٥٥٨ هـ)، ثم استمرت

(١) مرتج العطف (بكر العين: الجانب الأعلى من البدن): متايل الجسم (من الدلال أو السكر). المقصود أنه «يفعل الشيء الواحد مرة بعد مرة». صرف الراح: الراح (الخمر غير المزوجة بماء) التي تحدث في شاربها سكرًا شديدًا.

(٢) مسترخي الماجر (الميون) من الدلال لا من المرض. يسري (يسير ليلًا): يتر، ينتقل. فتور: هدوء.

(٣) ولريًا (كدا في الأصل)، ولو كانت: «ولطالما» لكانت أصح وأبلغ. القضيب: الفصن.

(٤) سميه: الذي له مثل اسمه (القر ٩). العناء: التعب (أصبح التعب على الذين بلومونه - أي بلوموني على حبه - لأنني لن أسمع منهم).

(٥) يقال فيه أيضاً: الكوراني والكوراني والكرواي. وقيل جراويّة مكناسة اسم موضع. وقيل جراويّة أو كراوية أو كورايا قبيلة من البربر منازلهم بضواحي فاس. وقيل كوراوية براهب يعيهم أهل المغرب - راجع في كل ذلك (وفيات الأعيان ٧: ١١٧٦، النصوص الياينة ٩٨، ١٥٨).

صِلْتُهُ ٣٣ وثيقةً وخصوصاً في أيام يعقوب المنصور (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ). وكانت وفاته في إشبيلية، سنة ٦٠٩ (١٢١٢ م) في الأغلب.

٢- أبو العباس الجراوي شاعرٌ مشهورٌ، ولكنَّ شعره الذي وصل إلينا لا يُبرِّر شهرته. وقد كان كثيرَ التكبرِ مُعتدّاً بنفسه شديدَ الحسد للشعراء، لا يُقرُّ لأحدٍ منهم بالتقدّم عليه. وشعره متينٌ مشرقِيّ الديباجة سهلُ التراكيب يدورُ في مُعظمه على المدح والهجاء والحكمة والغزل والوصف. وهو يُكثِرُ الاتكاءَ في وصفِ المارك على أيِّ تَمَامٍ والمنتنبي. وأولع بالهجاء حتّى هجا قومه. وله هجاء للمدُن وللناس، ورُبّما أقدَحَ في هجائه. وكان الجراويُّ حافظاً لكثيرٍ من شعر القدامى والمُحدّثين جَمَعَ منه كتاباً عَوانُهُ: «صفوةُ الأدب ونُخبةُ كلام العرب» (ويُعرفُ باسم «الحماسة المُغرّبية») صنَّعه على مِثالِ حَماسة أيِّ تَمَامٍ.

٣- مختارات من شعره:

- في سنة ٥٩١ هـ (١١٩٥ م) جاز المنصورُ الموحّديُّ إلى الأندلس وقاتل الإسبان في معركة الأرك وانتصر انتصاراً مُبيناً زاد في وجاهة الموحّدين وشدّد عزائم المسلمين وردَّ الخطَرَ عن الأندلس مدّةً من الزمن. فقال أبو العباس الجراويُّ يمدحُ المنصورَ الموحّديُّ:

هو الفتحُ أعياءُ وصفهُ النَظْمُ والنَثْرَا	وعَمّتْ جميعَ المُسلمينَ به البِشْرَى،
وأنجَدَ في الدُنْيا وغارَ حَدِيثُهُ	فراقتْ به حُسنًا وطابتْ به نَشْرًا ^(١) .
لقد أوردَ الأذْقونشُ شِيعتَهُ الرَدَى	وساقَهُمُ جَهلاً إلى البَطْشَةِ الكَبْرَى ^(٢) .
أطارتُهُ شَدَاتٌ تولّى أمامَها	شريداً وأنستهُ التعاطَمُ والكُفْرًا ^(٣) .

- (١) أحمد: جاء إلى البلاد العالية. غار (يقصد أغار): جاء إلى البلاد المنخفضة. النشر: الرائحة الطيبة.
- (٢) الأذقونش والفونش من أسماء ملوك إسبانية (يبدو في المصادر العربية أنه لقب للملوك الإسبان). وقد انتصر المنصور الموحّدي في معركة الأرك هذه على الفونش الثامن، سنة ٥٩١ هـ (١١٩٥ م). البطشة الكبرى: الهزيمة في معركة الأرك.
- (٣) الشدة: الهجمة.

رأى الموت للأبطال حوليه ينتقي
وقد أوردته الموت طعنة نائري
ولم يثق من أفنى الزمان حناته
ودارت رحي الهيجا عليهم فأصبحوا
يطيرُ بأشلاء لهم كلُّ قشعر.
فكيف رأى المغترُّ عقيب اغتراره؟
وكان يرى أقطارَ أندلس له
فسلأه يوم الأربعاء عن المنى

- وقال يُهنئه المنصورَ الموحدِّي بالعيد:

شِيلت بِبِقَائِكُمُ الأُمُّ
وهمت ديم من راحتيكم
وعنت لعزائميكم عربَّ
أُسد تنقاد الأُسد لها،
حُمدت شيم الأيام بكم،
أعياء البلغاء مقامكم

وسَّنت برجائكم الهممُ.
هيهات تُساجلها الديمُ!^(١)
تشقى بصوارمها العجمُ.^(٢)
يهمُّ تنقاد لها البهمُ.^(٣)
ولكم ذمَّت منها الشيمُ!
ولو أن مقالهم حِكْمُ!^(٤)

(١) فطار إلى أقصى... (٤).

(٢) الثائر: (هنا) المنصور الموحدِّي. يقول الشاعر إن ملك الإيبان مات في المعركة في مقتبل العمر، مع

أن ألفونس الثامن عاش نحو ستين سنة وتوفي عام ١٢١٤ م (٦١١ هـ).

(٣) الصبر (يجب تسكين الباء فيها حتى تستقيم في الوزن). الشاعر يقصد الصبر (بفتح فكس): عصير شجر مرّ.

(٤) الرحي: الطاحون. الصبا: ريح الشرق (هنا: الريح). مُدري (مفروق).

(٥) الشلو (بالكسر) العضو، بقية الجسم بعد تقطيعه. - غداً بطنه قفراً (٤): قبراً.

(٦) همى، سح، انسكب المطر. الديمة: الغيمة المملوءة بالماء. تساجلها: تبارها، تعادها، تساويها، تشبهها.

(٧) عنى: خضع. الصارم: السيف. العجم (في الأندلس) النصارى الذين لم يتعلموا العربية (والنصارى الذين تكلموا العربية كان اسمهم المستعربين).

(٨) البهم جمع بومة (بضمّ الباء): الصخرة، الرجل الشجاع.

(٩) - البلغاء عجزوا (بفتح الجيم) عن توفية حَقِّك من المدح...

العَيْدُ أَحَقُّ بِتَهْنِئَتِهِ فَلَمَّ بِهِ بِكُمْ فَخْرٌ عَمُّ.

- وقال يهجو مدينة تادلا وأهلها من بني غَفْجُومٍ ثم يستطردُّ إلى هجاء قومه بني

الملجوم:

يا ابنَ السَّبِيلِ، إِذَا نَزَلْتَ بِتَادِلَا لَا تَنْزِلَنَّ عَلَيَّ بَنِي غَفْجُومٍ (١):

أَرْضٌ أَغَارَ بِهَا الْعَدُوُّ فَلَنْ تَرَى إِلَّا مُجَابَوَةَ الصَّدى لِلْيَوْمِ.

قَوْمٌ طَوَّوْا ذِكْرَ السَّاحَةِ بَيْنَهُمْ لَكِنَّهُمْ نَشَرُوا لِبَؤَاءِ اللَّوْمِ (٢).

لَا حَظَّ فِي أَمْوَالِهِمْ وَنَوَالِهِمِ لِلسَّائِلِ العَافِي وَلَا المَحْرُومِ (٣).

لَا يَمْلِكُونَ، إِذَا اسْتَبِيحَ حَرْمُهُمْ، إِلَّا الصَّرَاحَ بِدَعْوَةِ المَظْلُومِ (٤).

يَا لَيْتَنِي مِنْ غَيْرِهِمْ، وَلَوْ أَنَّنِي مِنْ أَهْلِ فَاسٍ مِنْ بَنِي المَلْجُومِ.

- وقال في هجاء أهل فاس:

مَشَى اللُّؤْمُ فِي الدُّنْيَا طَرِيداً مُشْرِداً يَجُوبُ بِلَادَ اللَّهِ شَرْقاً وَمَغْرِباً.

فَلَمَّا أَتَى فَاساً تَلَقَّاهُ أَهْلُهَا وَقَالُوا لَهُ: أَهْلاً وَسَهْلاً وَمَرْحَباً!

- كان أبو العباس الجراوي في تونس، فتناول فتى - كان الجراوي يميل إليه -

سوسنة صفراء وأدناها من خده، فقال الجراوي ارتجالاً:

وَعُلُوبِي المِجَالِ إِذَا تَبَسَّدِي أَرَاكَ جَبِينَهُ بَدِراً وَنَاراً (٥)؛

أَشَارَ بِسُوسَنِي يَحْكِيهِ عَرُفَاً وَيَحْكِي لَوْنَ عَاشِقِهِ اصْفِرَاراً (٦).

(١) ابن السبيل: المسافر الذي انقطع (فقد ماله ووسائل العودة إلى بلاده).

(٢) الساحة: الجود، الكرم. اللوم = اللوم.

(٣) النوال: العطاء. العافي: طالب المعروف (العطاء)، المحتاج.

(٤) الصراح بدعوة المظلوم: الاستنجاد، القول بأنهم مظلومون.

(٥) علوي نسبة إلى علو (بضم فسكون): أعلى كل شيء. علوي الجبال: ذو جبال فوق طور البشر (كجبال

اللائكة، في خيال الناس). أراك جبينة بديراً (طلعة بيضاء مضيئة) وناراً (احمراراً يزيد البياض

جالاً).

(٦) أشار بسوسن (بحد شبه السوسن: الزنبق الأبيض) يحكيه (يشبه السوسن أيضاً) عرفاً (رائحة طيبة)

(٢). ثم إن البياض في الحد، إذا خالطه شيء من الصفرة كان أكثر جلالاً. ولكن الصفرة الكثيرة في =

٤-★★ زاد المسافر ٤٩ - ٥١؛ الوافي بالوفيات ٨ : ٦١؛ وفيات الأعيان ٧ : ١٣٦ -
 ١٣٧ برنامج الرعيبي ٢٠٤؛ الفصون اليانعة ٩٨ - ١٠٣؛ نفع الطبيب ٣ :
 ٣٠٩ - ٢١٠، ٢٣٨، ٤ : ٨٧ - ٨٨؛ النبوغ المغربي ١٦٩، ٥٩٨ -
 ٥٩٩، ٦٨٠ - ٦٨١، ٦٨١ - ٨٥٤ - ٨٥٨، ٩٠٩، ٩١٠؛ الأدب المغربي؛ الأعلام
 للزركلي ١ : ١٤٥ (١٥٠)؛ الأدب المغربي ١٩٣ - ١٩٨.

الجزوليّ النحويّ

هو أبو موسى عيسى بن عبد العزيز بن يَلْبَحْت بن عيسى بن يُوما ريليّ الجزوليّ
 اليزدكُنْتِي، وُلِدَ نحوَ ٥٤٠ هـ (١١٤٥ - ١١٤٦ م).

رَحَلَ الجزوليّ هذا إلى المشرق وَحَجَّ ثمَّ نَزَلَ بِمِصْرَ فقرأ النحو على ابن بَرِّي (ت
 ٥٨٢ هـ): قرأ عليه كتاب «المُجَلِّ» للزجاجي. وكذلك قرأ مذهب مالك وأصول
 الفقه على الفقيه أبي منصور ظافر بن الحسين (ت ٥٩٧ هـ). وعاش في مِصْرَ فقيراً
 يعملُ ليعيشَ ولم يدخلْ مدرسة^(١).

وعاد الجزوليّ إلى المغرب ونَزَلَ في المَرِيَّة (الأندلس) ونال حُظوةً عند الموحِّدين.
 ثمَّ إنّه انتقل إلى بجاية (في المغرب الأوسط) وأقام فيها مُدَّة للإقراء والتدريس، ثمَّ
 انتقل إلى مَرَّاكشَ وتولَّى الخطابة في جامعيها.

وكانت وفاة الجزوليّ النحويّ في أزموَرَ (وقيل في هسكورة)، قُرْبَ مدينةِ
 مَرَّاكشَ، سَنَةَ ٦٠٧ هـ (١٢١٠ - ١٢١١ م)، وقيل قُبَيْلَ ذلك أو بُعِيدَ ذلك ولكنْ
 قَبْلَ سَنَةِ ٦١٠ هـ. واختار ابن قُنفِذٍ (كتاب الوفيات، ص ٦٠٧): سَنَةَ ٦١٦ هـ.

كان أبو موسى الجزوليّ ميزواراً (في البربرية: مُقَدِّماً في قومه)، وكان تَقِيّاً
 فاضلاً، وقد عَيَّنَهُ الموحِّدون للكُشف على القضاة والوُلاة (مفتشاً) يُقَيِّمُ منهم بَدالته

= الوجه (من المرض، مثلاً) عيب. ولون وجه العاشق يكتب صفرة من العشق الذي يصبح في صاحبه مرضاً.

(١) المدرسة (في الإسلام): مؤسّسة تنشئها الدولة أو بنشئها الأفراد للتعليم، ولكنْ خاصتها أن يكون
 المبيت فيها والطعام مجاناً.

وأمانته ونزاهته. وكان الجُزوليُّ إماماً في النحو، له «المقدمة» (وتُعرفُ أيضاً باسم الكُرّاسة والقانون والاعتاد)، ألّفها في مِصرَ، وقد نُبِجَتْ له من الأسئلة التي كان هو يُلقِيها على ابن بَرِّي في أثناء قِراءة كتاب «الجمل» ومن الأسئلة التي كان يُلقِيها غيره من الطّلاب. و«المقدمة» هذه شديدة الإيجاز مُجرّدة من الأمثلة والشواهد. من أجل ذلك كانت غامضةً عسيرة الفهم فشرّحها جماعة، ولكن ظلت قليلة الفائدة العملية. ومع ذلك فالناس كثيرون الاهتم بها.

وللجُزوليِّ أيضاً: أمال (في النحو) - مُختصر الفِسر لابن جِنِّي (في شرح ديوان المتنبي) * - شرح أصول ابن السراج - شرح بانث سعاد

- شرح قصيدة «بانث سعاد»

* * انباه الرواة ٢: ٣٧٨ - ٣٨٠ الوافي بالوفيات ٥: ٦٣٣، التكملة ٦٩٠ (رقم ١٩٣٢)،
وفيات الأعيان ٣: ٤٨٨ - ٤٩١ صلة الصلة ٥٣ - ٥٤ (رقم ٩٥)، ابن قنفذ ٣٠٧ -
٤٣٠٨ بغية الوعاة ٣٦٩ - ٣٧٠، شذرات الذهب ٥: ٢٦، دائرة المعارف الإسلامية ٢:
١ بروكلمن ١: ٣٧٦، الملحق ١: ٥٤١ - ٥٤٢، الأعلام للزركلي ٥: ٢٨٨ (١٠٤)، النبوغ
المغربي ١٥٢ - ١٥٣.

أبو جعفر الحِميرِي المؤدّب

١- هو أبو جعفر أحدُ بنِ مُحَمَّدِ بنِ يحيى الحِميرِيّ الوزغي. وُلِدَ سَنَةَ ٥١٤ هـ (١١٢٠ - ١١٢١ م) من أهل قَرْطَبَةَ، أذَرَكَ جَماعَةً من كبارِ المُلماءِ في الأندلس فأخَذَ عنهُمُ القُرآنَ والحديثَ والآداب. ثم إنّه جَلَسَ للتأديب والإقراء يقرأ على الطالبين ديوانَ الحماسة وديوانَ المتنبي من حفظه. وكانت وفاته في صَفَرٍ من سَنَةِ ٦١٠ (صيف ١٢١٣ م).

٢- كان أبو جعفر الحِميرِيّ المؤدّبُ مُحبّاً للعلم واسع الرواية للأدب من شعرٍ ونثرٍ وأمثالٍ وما يتعلّقُ بها من أخبارٍ وأسبابٍ وأحوالٍ، حَسَنَ التحديث. وكان خطيب جامع قرطبة.

٣- مختارات من آثاره:

- كان عبد الواحد المراكشي يدرسُ على أبي جعفر الحنفي، فأنشد المراكشي شيئاً من شعره أمامَ أبي جعفر - وكان عصامُ بن أبي جعفر حاضراً - فالتفت أبو جعفر إلى ابنه وقال له:

هذا - والله - الشعر، لا ما كنتُ تُصدِّعني به طولَ نهارك. إن كنتَ تقولُ مثلَ هذا (الذي قاله عبد الواحد المراكشي) وإلاً فاسكُت.

فلما كان من الغدِ قال (أبو جعفر لعبد الواحد): أعلِمتَ ما صنَعَ عصامُ أمسَ كان كما قالوا في المثل: «سَكَتَ أَلْفًا...»، لم يزلْ أمسُ يُعْمِلُ فِكْرَتَهُ، فيغدِ الجُهْدَ الشَّدِيدَ أَخْذَ مَعْنَى بَيْتِكَ فَسَلَبَهُ رُوحَهُ وَأَعَدَمَهُ رَوْقَهُ وَمَسَخَهُ جُمْلَةً فَقَالَ.... ما زاد فيه أكثرَ من المَجازِ والحَقِيقَةِ.

فقلتُ أنا (أي عبد الواحد): هذا، والله، أحسنُ من شعري. فتغيَّر لي وقال: يا بُني، دَغَ عنك هذه العادة، فإنَّ أسوأَ ما تَخَلَّقَ به الإنسانُ المَلَقُ وتزْيِينُ الباطلِ، سيِّئاً إذا أضافَ إلى ذلكَ الحَلْفَ الكاذِبَ. والله، إنك لتَعْلَمُ أنَّ هذا ليسَ بشيءٍ، وإلَّا فقدِ اخْتَلَّ مِيزُكَ وساءَ اختيَارُكَ. وما أظُنُّ هذا هكذا.

- كان أبو جعفر أحمدُ بن يحيى يُحِبُّ أن يتملَّحَ في الشعر. قرأ عليه غلامٌ اسمه عيسى ثمَّ اتَّفَقَ أن قرأ عليه غلامٌ آخرُ اسمه مُحَمَّدٌ، فقال:

تَبَدَّلْتُ مِنْ عَيْسَى بِحُبِّ مُحَمَّدٍ: هُدَيْتُ. ولولا الله ما كُنْتُ أَهْتَدِي.
وما عَن مَلالِ كَالِ ذاكِ، وَإِنَّا شَرِيعَةُ عَيْسَى عَطَلْتُ بِمُحَمَّدٍ.

٤- ** المغرب ١: ٢١٥، المعجب ٢١٩ - ٢٢٣، الأعلام للزركلي ١: ٢٠٩ (٢١٧).

ابن أبي البقاء البلنسي

١- هو الأستاذ أبو عبد الله محمد بن محمد بن سليمان البلنسي المعروف بابن أبي البقاء من أهل سرقسطة، تعلَّم العربية (النحو) ثمَّ تصدَّر للتعليم فيها. وكانت وفاته

٢- كان ابنُ أبي البقاء البلنسيُّ بارعاً في العربية وقد اعتنى بتقْييد الآثَارِ (الحديث!)، كما كان شاعراً مُجوداً مُحسناً في الوصفِ والفزلِ والرثاءِ .

٣- مختارات من شعره:

- قال ابنُ أبي البقاء البلنسيُّ يَصِفُ السِّيفَ:

وذي رَوْنَقٍ كالبرقِ، لكنَّ وَعَدَه صدوقٌ ووعدُ البرقِ كِذْبٌ، ورُبِّيَا^(١) .
عَدْتُ نِجَادِيهِ لِحَلِّ تَائِمِي، وَقُلْتُ لَهُ: كُنْ لِلْمَكَارِمِ سَلْمًا^(٢)!
وساءَ الأَعَادِي إِذْ بَكَتْ شَفْرَاتُهُ، وَسَرَّ وِلَاةَ الوُدِّ حِينَ تَبَسَّا^(٣) .

- وقال في الفزل:

غَيْرُ خَافٍ عَلَى بَصِيرِ الْغَرَامِ أَنْ يَوْمَ الْفِرَاقِ يَوْمُ حِجَامِ^(٤) :
عَبْرَاتُ تَصُدُّ عَنْ نَظَرَاتِي، وَنَشِيحٌ يَحُولُ دُونَ الْكَلَامِ^(٥) ؛
وِدْمَاءُ تُرَاقٍ بِاسْمِ دُمُوعِ، وَنُفُوسٌ تُؤَدِي^(٦) بِرِسْمِ سَلَامِ .
شَرِبْتَ بَعْدَكَ اللَّيَالِي حِيَاقِي غَيْرَ أَوْشَالِ لَوْعَتِي وَسَقَامِي^(٧) .

- (١) الرونق: الحُسْنُ والجمال، و(في السيف) صفاؤه ولونه. وعده صدوق: إذا هَزَّ (بصمَّ الماء) ولع فيل أن يضرب به حامله كان صدوقاً (قاتلاً، مصيباً). أما برق السماء فقد يلمع ولكن يكذب (لا يعفه مطر). - ورُبِّيَا أعقبه مطر أحياناً.
- (٢) النجاد: جملة (بكسر الماء) السيف. لِحَلِّ (عند فكِّ أو خلع) تَائِمِي (النميمة حرز يعلق في عنق الصبي الصغير): منذ طفولتي فمررت على القتال بالسيف.
- (٣) حيناً يبكي حد سيمي (يسيل عليه الدم) يكون قد قتل به عدوً لقومي. تَسَّ السيف: لمع (وهو يهتز في يد المحارب). يَسَّرَ به الولاية (الأصدقاء - لأنه سسرهم على خصومهم).
- (٤) بصير الغرام: العارف بأموال الحب. الحِجَامِ (بكسر الماء): الموت.
- (٥) عبرات (دموع) تصدُّ (تمنع، تحول دون) نظرات (الرؤية). النشيج: البكاء بصوت خافت في الصدر.
- (٦) كذا في الأصل. ولعلها - يودي - بلا همز (تهلك).
- (٧) الوشل (يفتح ففتح): بقية الماء في المحوض ونحوه.

- وله مَرَيَّةٌ منها:

قد عَلَّمْتَنِي اللَّيَالِي أَنْ رِيَقَتَهَا
إِنَّ الَّذِي كَانَتْ الْأَمَالُ مُشْرِقَةً
أَصَابَ صَرْفُ اللَّيَالِي مِنْهُ قُطْبَ جَبِّي
وَهْدٌ لِلجَلِيمِ طَوْدًا شَامِخًا عَلَاءً.
وضاق وجهُ الدُّجَى عن نورِ بَهْجَتِهِ،
صَابٌ، وَإِنْ قَالَ قَوْمٌ إِنَّهَا عَسَلٌ^(١).
به وَعَيْشُ الْأَمَانِي بِرُذُهَا خَصِيلٌ^(٢)
يَا مَنْ رَأَى الشُّهْبَ قَدْ أَعْيَتَ بِهَا السُّبُلُ^(٣)
يَا لِلَّيَالِي تَشْكُو صَرْفَهَا الجَيْلُ^(٤)!
فكيف توسمها إشرافها الأصيل^(٥)؟

٤-★★ الوافي بالوفيات ١: ٢١٥.

ابن خروف

١- تشير المصادرُ، في هذه الحِقْبَةِ، إلى اثْنَيْنِ بِأَسْمِ «ابنِ خَروْفِ»: (أبي الحسنِ عليِّ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عليِّ، ثمَّ أبي الحسنِ عليِّ بنِ مُحَمَّدِ بنِ يوسُفَ). وكِلاهُمَا قالَ شعراً وألَّفَ في النحو. وكِلاهُمَا رَحَلَ إلى المشرقِ وحجَّ وزارَ مِصرَ وسكنَ حَلَبَ (في شِاليِّ الشامِ: سورية) مدَّةً. ولكنَّ هُنالكِ خِلافاً سِيراً في تاريخِ وفاتَيْهِما (بين ٦٠٥ و ٦٢٠ للهجرة وما بينهما) وفي مكانِ موتِها وصورةِ موتِها - أحَدُها ماتَ في إشبيلية (الأندلس)، والآخَرُ ماتَ في حَلَبَ، أو ماتَ في حَلَبَ مُتَرَدِّياً (ساقطاً) في بئرِ.

(١) صاب: شجر مر.

(٢) بردها، في الأصل بفتح الباء: (ضد الحر)، ولعلها بضم الباء: الثوب الجميل من الحرير. المحضل: المبتل (اللين، الجديد).

(٣) القطب: المحور الذي تدور عليه الأرض، الطاحون الخ (الرجل الركن في قومه). الحجى: العقل. الشهاب: النجم. (مع أن للنجوم مداراً معروفاً معيناً محدداً، فإن النجوم أصبحت - بعد موت المرثي - لا تنهدى في سيرها). صرف الليالي: الخطب، المصيبة.

(٤) الحلم: سعة الصدر والأناة (التفكير بهدوء)، العقل. الطود: الجبل. الشامخ: العالي. العلم: المشهور الظاهر من مكان بعيد. الشطر الثاني ورد هكذا. ربها الجبل (بالجم) مكان «الحيل» (بالهاء والياء).

(٥) كان الليل الدامس لا يستطيع أن يمجج نور وجه فلان المرثي، فكيف أظلم الأصيل (ما بين الحصر والمغرب: غروب الشمس) عند مونه (أو دفنه)؟

وفي تَرْجَمَتِي أَنبِيَّ خُرُوفِ هَذَيْنِ، في المصادر (معجم الأدباء - وفيات الأعيان - صلة الصلة - نفع الطيب وغيرها) تداخلٌ شديد. نَبه عليه إحسانُ عباس (وفيات الأعيان ٣: ٣٣٥ ثم في نفع الطيب ٢: ٦٤٠) في حاشيَّتين على شيء من التفصيل، ولكنَّ تَيْنَكَ الحاشيتين أَكْتَفَتَا بالإشارة الدالَّة الواضحة ولكنَّ لم تُفصِّلَا في الأمر. ومن الغريب أن قصَّة واحدة وأبيات شعرٍ واحدة ورسالة واحدة تأتي كُلُّهَا مُنسوبة إلى الآسمن في وفيات الأعيان (٧: ٩٤ - ٩٥، من القسم المرقم بالأرقام الهندية) وفي نفع الطيب (٢: ٦٤٠ - ٦٤٢).

والمفروض أن ابن خُرُوفِ المترجم هنا هو نظامُ الدين أبو الحسن عليُّ بنُ محمد بن عليِّ الأندلسيِّ النَّحْوِيُّ (بغية الوعاة ٣٥٤) والذي هو ضياء الدين أو نظام الدين.... القيسيُّ القرطبيُّ القبذاقي^(١) الشاعرُ، عند المَقْرِي (نفع الطيب ٢: ٦٤٠ - ٦٤٢)، بدليل عددٍ من التاذجِ المنسوبة إليه بأعيانها في المصدرين. ولعلَّ شيئاً من التداخل قد وَقَعَ أيضاً في الترجمة المُثَبَّتة على هذه الصَّفحات. وكان مؤلِّدُ ابن خُرُوفِ هذا نحو سَنَةِ ٥٢٥ للهجرة (١١٣١ م).

تَخَرَّجَ ابنُ خُرُوفِ في النحو على أبي الحسن بن طاهر الأندلسي المعروف بالحدب^(٢). وقد كان في أثناء ذلك كَلَّه رجلاً رقيقاً الحاشية يعملُ خياطاً. ثم إنه جعلَ يَتعرَّضُ بالمدحِ للأمرء والأعيان: مدحَ إدريس بن يوسف بن عبد المؤمن في سَنَتِهِ، ومدح الوزيرَ أبا سعيد بن جامع في مَرَاكُش، ولكن يبدو أنه لم يَنَلْ حُطوةً عند المدوحين. ثم مدحَ أبا عبد الله محمد بن عيَّاش - وكان كاتباً ليعقوب المنصور الموحدِي (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ) ولابنهِ الناصر (٥٩٥ - ٦١١ هـ) فلم يُسرَّ منه قطُّ فعزم

(١) القبذاقي (نفع الطيب ٢: ٦٤٠). وفي العصون البانمة (ص ١٣٨): القبذاق حصن بين غرناطة وقرطبة وهو القبذاق (اعمال الأعلام ٣٣٤، السطر التاسع، ٣٦٥، اسم الأماكن: الاطاحة ٥٦٩).

(٢) الحدب (بكر ففتح فتشده) هو أبو بكر محمد بن أحمد بن طاهر الأنصاري (ت ٥٨٠ هـ) مقرئ للقرآن وحافظ للحديث ونحوي مشهور (راجع الوافي بالوفيات ٢: ١١٣ - ١١٤، بغية الوعاة ١٢). والحدب هو الرجل الطويل (بغية الوعاة ١٢). والحدب في تاج العروس (الكويت ٢: ٣٣٧): الشيخ العظيم الجافي الضخم.

على ترك المغرب فرَحَلَ إلى مِصرَ ثم إلى حَلَبَ وأقام فيها مُدَّة. ثم إنه عاد إلى الأندلس وتُوِّفِيَ في إشبيلية، سنة ٦١٠ هـ (١٢١٣ م) في الأغلب^(١).

٢- كان ابنُ خروفٍ نحوياً مُحيطاً بعلوم العربية له مُصَنَّفَاتُ بارعة: شَرَحَ كتابَ سيبويه شَرَحاً جَيِّداً وشرح كتابَ الجُمَلِ للزجاجي. وهو شاعرٌ مُحِينٌ أيضاً في شعره لَفَتَاتٌ قائمة على التأنقِ البلاغي.

٣- مختارات من آثاره:

- كَتَبَ ابنُ خروفٍ النحويُّ إلى قاضي القضاة مُحمي الدين بن الزكي يَسْتَقِيلُه من مُشارَقَةِ مارِستانِ نورِ الدين، وكانَ بَوَابُ المارِستانِ يُسَمَّى السيد (بكسر السين: الذئب):

مولايَ مولاي، أجزني فَقَـذْ أَصْبَحْتُ في دارِ الأسي والمُتَوَفِّ^(٢)؛

وليس لي صبرٌ على مَنْزِلِ بَوَابِهِ السيدِ وَجَدِّي خَرُوفِ!

- وكتب إلى القاضي بهاء الدين بن شدادٍ يَطْلُبُ منه فَرُوءَ خَرُوفِ:

بِهَاءِ الدِّينِ والدُّنْيَا وَيَحْرَ الحَمْدِ والحَسْبِ^(٣)،

طلبتُ مَخَافَةَ الأنوَا ءِ من جَدِّوَاكَ جِلْدَ أَي^(٤).

وَقَضَّلْتُكَ عَالِمٌ أَنِّي خَرُوفٌ بِسَارِعِ الأَدَبِ:

حَلَبْتُ الدهرَ أَشْطَرُهُ؛ وفي حَلَبِ صفا حَلِّي^(٥)!

- وقال في نهر النيل وفيضانه:

(١) في الذيل والتكملة (٥: ٣٩٩): توفي بجلب متردياً في بئر في «نحو» العشرين وستائة.

(٢) الأسي: الحزن. الحنف: الهلاك.

(٣) الحسب: الأصل الكريم، الفعل التكرم.

(٤) النوء: حال الجؤ (وتطلق في كلام الناس عادة على هبوب الريح وزيادة البرد).

(٥) حلب أشطر الدهر (كان ذا اختبار واسع). وكان ابن خروف قد أقام في حلب (مدينة في شمالي الشام:

سورية) مُدَّة.

ما أعجبَ النيلَ، ما أحلى شائِلَه
 مِن جَنَةِ الخُلْدِ فَيَاضُ على تُرَعِ
 تَهَبُ فيها هُبُوبَ الرِيحِ أرواحُ^(١)
 لَيْسَتْ زِيادَتُه ماءً، كما زَعَمُوا؛
 وَإِنَّا هِيَ أَرْزَاقُ وَأرواحُ^(٢)

- وقال في صَيِّ مَلِيحٍ حَبِسَهُ القَاضِي (لأنَّهُ سَرَقَ مالاً):

أقاضي المسلمِينَ، حَكَمْتَ حُكْمًا
 أَتَى وَجَهَ الزَمَانِ بِهِ عَبُوسًا:
 حَبَسْتَ على الدِراهِمِ ذَا جِمالِ،
 وَلَمْ تَحْبِسْهُ إِذْ سَلَبَ النُّفُوسَا!
 - وكان ابن خَرُوفٍ يُكثِرُ من هِجاءِ نَجْمِ الدِّينِ بنِ اللَّهِيبيِّ؛ من ذلك قولُه:

لَا بِنِ اللَّهِيبيِّ مَذْهَبٌ
 فِي كَلِّ عَيٍّْ قَدْ ذَهَبَ^(٣)؛
 يَتَلَوُ لِمَنْ يُبْصِرُهُ:
 «تَبَّتْ يَدَا أَيِّ لَهَبٍ!»^(٤)

- وقال أبياتاً فيها شيء من الغزل الصريح:

وَمُنَوَّعِ الحَرَكَاتِ يَلْعَبُ بالنُّهْيِ
 لَيْسَ الحَاسِنَ عِنْدَ خَلْعِ لِبَاسِهِ^(٥)
 مُتَأَوِّدٌ كَالنُّضْنِ بَيْنَ رِياضِهِ،
 مُتَلَفَّتٌ كَالظَّنِيِّ عِنْدَ كِنَاسِهِ^(٦)
 بالعقلِ يَلْعَبُ مُقْبِلًا أو مُدْبِرًا،
 كالدَّهْرِ يَلْعَبُ كَيْفَ شاءَ بِنَاسِهِ!

- ولا بِنِ خَرُوفٍ رِسالَةٌ (وفيات الأعيان: ٧: ٩٤ - ٩٥، نفع الطيب: ٢: ٦٤١ -

٦٤٢) يقول فيها بعد الأبيات «بهاء الدين والدنيا» (راجع فوق في المختارات):

(١) السائل: الصفات الحميدة. الأرواح جمع ريح.

(٢) أرواح (هنا) جمع روح (بالفتح): رحمة.

(٣) أرواح جمع روح (بالضم): نفس (بفتح فسكون)، حياة.

(٤) العي: الضلال.

(٥) «تبت يدا أي لعب» تضمين من القرآن الكريم (١١١: ١). أبو لهب هو عبد العزى بن عبد المطلب

(عم الرسول) وكان يؤذي الرسول. (التضمين كناية عن العذاب: من رأى ابن اللهيب فكأنه (لقيح

ابن اللهيب وجفائه) يعاقب عذاب جهنم.

(٦) النهي: العقل.

(٧) متأوّد: متاهل. الكناس: المكان الذي يأوي إليه الطي (الغزال).

ذو الحَسْبِ الباهر والنسب الزاهر^(١) يسحبُ ذُيولَ سِراءِ السَّراءِ^(٢) ويُحبُّ^٣
 النُّحاةَ من أجلِّ الفَرَاءِ^(٤)، ويَمِينُ^(٥) على الحُرُوفِ النَّبِيَّةِ بِجِلْدِ أَبِيهِ: قاني الصباغ
 قريبَ عهدٍ بالدِّباغِ^(٦)، ما ضَلَّ طالِبُ قَرَطِيهِ ولا ضاعَ، بل ذاعَ ثناءُ صانِعِهِ وضاعَ^(٧).
 أثبتُ خنائِلَ الصوفِ، يهزأُ من الرياحِ بكلِّ هَوْجاءِ عَصُوفِ^(٨). إذا طَهَّرَ إهابه بِخافه
 البَرْدُ ونهَّابه^(٩). ما في الثيابِ له ضريبٌ إذا نَزَلَ الجَلِيدُ والضريبُ^(١٠)، ولا في
 اللباسِ له نظيرٌ إذا عَرِيَ من وَرَقِهِ الغُصْنُ النَّضِيرُ لا كَطَبْلَسَانَ ابنِ حَرْبٍ^(١١). ولا
 جِلْدِ عمروِ المَعزِقِ بالضربِ^(١٢)...

٤- ** زاد المسافر ٦٢ - ١٦٤ المغرب ١٣٦: ١ - ١٣٩ الفصول الياضعة ١٣٨ - ١٤٤
 معجم الأدياء ١٥: ٧٥ - ١٧٦ برنامج الرعي ٨١ - ١٨٢ وفيات الأعيان ٣:
 ١٣٣٥ فوات الوفيات ٢: ١٠٠ - ١٠١ التكملة، رقم ١١٨٨٤ الذيل والتكملة
 ٣١٩ - ٣٢٣ صلة الصلة ١١٤ - ١١٥ (رقم ٢٣٢)، راجع ١٢٢ - ١٢٣
 (رقم ٢٤٥)؛ وفيات ابن قنفذ ١٣٠٤ بغية الوعاة ١٣٥٤ نفع الطيب، راجع ٢:

- (١) الحسب: العمل الحميد. الزاهر: اللامع، (المشهور).
 (٢) يسحب ذيول (طويل يحسن أن يسير لابه متبختراً مفتخراً). السراء: ثوب حرير فيه خيوط صفر.
 السراء: النعمة والمسة (٢).
 (٣) الفراء هو يحيى بن زهاد (ت ٢٠٧ هـ) إمام علماء النحو الكوفيين وأكثرهم معرفة بالنحو.
 (٤) من عليه: أنعم عليه وأكرمه بغطاء جزيل (كثير، غني) بلا مقابل.
 (٥) قان: دم (أحمر). قريب عهد بالصباغ (جديد).
 (٦) القرط: شجر عظام يؤخذ منها مادة يصنع بها. القارط: الذي يجمع القرط. ضاع (الأولى): ضلَّ
 طريقه، فُقد (بالبناء للمجهول)، هلك. وفي المثل: حتى يؤوب (يرجع) القارطان (كتابة عن الذي
 يذهب في طلب شيء ثم تضع آثاره). - ضاع (الثانية): انتشر (اشتهر).
 (٧) الأثيث: الكثيف. الخنيلة: الشجر الكثير اللثغ (هو يريده هنا الجلد كثير الصوف).
 (٨) الإهاب: الجلد. هاب: خاف. طَهَّرَ (كذا: شكولة - وفيات الأعيان ٧: ٩٥) وطهر (بلا شكل - نفع
 الطيب ٢: ٦٤١). ولعلها طهر: انكشف (للبرد).
 (٩) ضريب (الأولى): نظير، شبه، مثل. ضريب (الثانية): الصقيع (الجليد المتجمد على الأرض) كناية
 عن شدة البرد.
 (١٠) إشارة إلى قول ابن الرومي (ت ٢٨٣ هـ): «يا ابن حرب، كسوتني طيلساناً»، وكان هذا الطيلسان
 (ثوب سابع من الحرير) قديماً مشهوراً.
 (١١) إشارة إلى المثل المألوف في الكتب القديمة في النحو (على الفاعل والمفعول به): ضرب زيدٌ عمراً.

١٦٦، ٦٤٠ - ٣، ٦٤٤، ١٨٤: ٢٠٤، ٤٦٣، ٤: ١٨٩ بروكلمن ٣: ٦٢٠، يشار
إلى أن اسمه يرد في ١: ١٠٢ و ١١٠ من الطبعة الأولى (أي ١٠٠ - ١٠١
و ١٠٠ - ١١١ من الطبعة الثانية، ولكن لم أعر على اسمه في هذه الصفحات)،
الأعلام للزركلي ٥: ١٥٠ - ١٥١ (٤: ٣٢٠).

أبو محمد بن الحسن القرطبي

١ - هو أبو محمد عبد الله بن الحسن بن أحمد بن يحيى بن عبد الله الأنصاري المالقي
القرطبي أصله من قرطبة، وأبوه هو الذي انتقل منها إلى مالقة.

وُلد أبو محمد بن الحسن القرطبي في مالقة في ٢١ من ذي القعدة من سنة ٥٥٦
١١٦١/١١/١١ م). دَرَسَ في مالقة على أبيه وعلى نَفَرٍ، منهم أبو زيد السهيلي
والقاسم بن دحان وأبو عبد الله بن الفخار وأبو إسحاق بن قرقول، ثم تصدَّرَ
للتدريس قبل أن يُجاوِزَ العشرين. وتحوَّلَ في الأندلس لِقَاءَ المشايخ وزارَ إشبيليةَ

فلقيَ أبا بكر بن الجَدِّ وأبا بكر بن صافي وجعفر بن مضاء، كما زارَ غرناطةَ ومُرسيةَ
ورحَلَ إلى سبْتَةَ. وخطبَ مُدَّةً بجامع مالقة ثم قُطِعَ عن الخطبة. وقد كان له، في
جامع مالقة الأعظم، مَجْلِسٌ عامٌّ للحديث غير مَجْلِسٍ تدريسه. وكانت وفاته في
سابع ربيع الثاني من سنة ٦١١ (١٢١٤/٨/١٦ م).

٢ - كان أبو محمد بن الحسن القرطبي صَدْرًا في المُقرئين في زَمَنِهِ، وقد غَلَبَ عليه
علم الحديث. وكان أديباً ناثراً ناظماً. وشعره صحيحٌ ولكنه قليلُ الطلاوة. غير أن
أهمَّ ما له في النظم أبياتٌ جعلها موازين للشعر نظمها في بحور الشعر وأدخلَ في أوَّل
العَجَز من كلِّ بيتِ اسمَ البحر الذي نظمَ ذلك البيتَ عليه (كي يحفظَ هذه الأبياتِ
من لا يستطيعُ معرفةَ بحور الشعر من تلقاء نفسه، فيستمعُ بهذه الأبياتِ على
الاستدلال على ما يُريد من بحور القصائد). وكان له مُصنَّفاتٌ منها: مجموعٌ في قِراءةِ
نافع - تلخيص أسانيد الموطأ - مختصر في علم العروض.

٣ - مختارات من شعره:

- قال أبو محمد بن الحسن القرطبي في التجنيس:

لَعَمْرُكَ، ما الدنيا بِسُرْعَةٍ سَيَّرَهَا بَسُكَّانَهَا إِلَّا طَرِيقُ مَجَازٍ^(١).
حَقِيقَتُهَا أَنَّ الْمَقَامَ بَغِيرَهَا، وَلَكِنَّهُمْ قَدِ أُولِعُوا بِمَجَازٍ^(٢)!

★★ سَهَرَتْ أَعْيُنٌ وَنَامَتْ عُيُونٌ فِي أُمُورٍ تَكُونُ أَوْ لَا تَكُونُ.
فَاطْرُدْ أَلْهَمَ مَا اسْتَطَعْتَ عَنِ النَّفْسِ، فَجِئِلَانُكَ أَلْهَمُومٌ جُنُونُ.
إِنَّ رَبًّا كَفَاكَ بِالْأُسْرِ مَا كَا نَ سَيِّكْفِيكَ فِي غَدٍ مَا يَكُونُ.
★★ وَهَلْ نَافِعِي أَنْ أَخْطَأَ الشَّيْبُ مَفْرَقِي وَقَدْ شَابَ أَتْرَابِي وَشَابَ لِدَاتِي^(٣).
لَيْنٌ كَانَ خَطْبُ الشَّيْبِ يُوجَدُ عَيْنُهُ بِيْرَبِي فَمَعْنَاهُ يَقُومُ بِنَدَاتِي^(٤).

- وله من الأبيات التي جعلها موازين للشعر:

★★ قَدُمٌ دَائِبًا تُسَيِّ وَتُدْنِي أَمَانِيَا (طويل) الأيادي ما تُسَامِي مَعَالِيكَا.
★★ نَبَا نَبِيًّا أَشَادَ بِهِ رَسُولٌ (بوافر) نَعْمَةٍ شَمِيلَ الْجَمِيْمَا.
★★ أَخِي رَاعِي أَمَادِيحِي وَ (تهزيجي) وَرَاعَاكَا.

٤-★★ برنامج الرعيبي ١٤٤١؛ الذيل والتكملة ٤: ١٩١ - ٢١٧ (رقم ٣٦٣)؛ بغية الوعاة ٢٢٨، نفع الطيب ٣: ٢٢٧؛ الأعلام للزركلي ٤: ٢٠٧ (٧٨).

عبد البر بن فرسان

١ - هو أبو محمد عبد البر بن فرسان بن إبراهيم بن عبد الرحمن العسائي من أهل

-
- (١) المجاز: العبور، المرور من جانب إلى جانب (في الطريق، في النهر، في البحر، الخ).
(٢) المقام (الدائم) بغيرها (في الآخرة). المجاز: ضد الحقيقة.
(٣) الترب (بكسر التاء) واللداء (بكسر اللام وفتح الدال): من ولد معك في وقت واحد.
(٤) إذا كان خطب الشيب (الضعف والدنو من الموت) يوجد عنده (أي ظاهره: اللون الأبيض) فمعناه (ففعله) يقوم بذاتي (أشعرأنا به في نفسي).

وادي آس، لعلّ مؤلده كان نحو ٥٣٠ هـ (١١٣٥ م). اتصل بعليّ بن إسحاق بن غانية الثائر على الموحدين في الجزائر الشرقية وشرقهم الأندلس. وقد أرسله عليّ سفيراً له في بعض الأمور إلى بغداد لأنّ عليّاً كان يريد الاستعانة بالعباسيين على الموحدين لتثبيت حكمه هو. ولما مات عليّ (٥٨٥ هـ ١١٦٠ م) خلفه أخوه يحيى فأُسند جميع أموره إلى عبد البرّ بن فرسان.

وفي سنة ٥٩٩ خسر يحيى سلطته على جزيرة ميورقة فنقل نشاطه إلى إفريقية واستولى على كثير من بلادها (فيما يُعرف اليوم بالجزائر خاصة)، وذلك سنة ٦٠١. وقد انتقل عبد البرّ بن فرسان إلى إفريقية واستمرّ في تولّي الكتابة ليحيى بن إسحاق.

وكان عبد البرّ من الرجال الأقوياء الشجعان والبارعين في أمور الحرب، فكان يخوض المعارك مع يحيى. ثمّ لما تقدّمت به السنّ كثيراً ملّ ذلك. وكانت وفاته سنة ٦١١ هـ (١٢١٤ م) وقد عمّر طويلاً.

٢- كان عبد البرّ بن فرسان من جلة الأدباء وفحول الشعراء ومن الكتاب البارعين. وهو متين الأسلوب عالي النفس في نثره وشعره، إلاّ أنّه في نثره أميل إلى التكلف. وفي شعره وصف وفخر وعتاب.

٣- مختارات من آثاره:

- قال عبد البرّ بن فرسان الفسافي بعد معركة انتصر فيها مخدومه:

ولما تلاقينا مع القوم الذين دعاهم شيطان الفتنه إلى أن يسجدوا للشفار ويخيلهم
سئل المحنة إلى دار البوار^(١)، أقبلنا إقبال «الريح العقيم ما تذرّ من شيء أتت
عليه إلاّ جعلته كالرميم»^(٢). فأنجلت الحرب عن تمزيق الأعداء كلّ ممزق،

(١) الشفار جمع شفرة: يصل السيف والسكين، الخ. المحنة: الابتلاء، الليبة، المصيبة. دار البوار (الهلاك): جهنم.

(٢) الريح العقيم: الحارة التي تفضي على أسباب الحياة. تذر: تبقى. الرميم: المهالك، المتهرىء. =

وأبصرناهم كَصَرَعى السُّكارى من مُدام السيوف . وَخَفَقَتْ بنودُنا . وَسَعِيَهُمْ أَخْفَقَ .
 - ولَمَّا طَعَنَ في البِنِّ وَضَعَفَ عن مُتابعة القِتالِ أَرادَ اعتزالَ الحِياةِ السِّياسيةِ
 وَالذَّهابَ إلى الحجِّ فَكَتَبَ إلى يحيى بنِ إِسحاق بنِ غانِيَةَ:

امُنُّنْ بِتسْرِيحِ عَليٍّ فَعَلَّهُ سَببُ الزِيارَةِ لِلعَظيمِ وَبِثَرِبِ (١) .
 وَلَئِنَّ تَقوَلَ كاشِحَ أَنَّ الهوى دَرَسَتْ مِعالِمُهُ وَأَنكَرَ مَذهَبِي (٢) ،
 فَمقالَتِي: ما إِنْ مَلَلْتُ ، وَإِنَّا عُمري أَمي حَمَلِ النِجادِ بِمَنكَبِي (٣) ،
 وَعَجَزْتُ عَن أَنَّ اسْتَشِيرَ كَمِينِها وَأُشِقُّ بِالصَّمصامِ صَدَرَ المَوَكِبِ (٤) !
 - وَسَمِعَ طائِراً (حِمامة) تَسجَعُ عَلى غُصنٍ فَقالَ:

نَدَى مُخضِلاً ذاكَ الجِناحِ النَّمَنَنا وَسَقِيًّا وَإِنْ لَمْ تَشكُ ، يا ساجِماً ، ظَمًا (٥) !
 أَعِدْهُنَّ أَلْهاناً عَلى سَمعِ مُعَرِبِ يُطارِحُ مُرتاحاً عَلى المُقْضِبِ مُنْجِها (٦) .
 وَطِيزَ غَيرَ مَقْصُوصِ الجِناحِ مُرْفَهاً مُسَوِّغَ أَشْواتِ الحُبوبِ مُنْجِها (٧) ،
 مُعَلِّسِي وَأُفْراخاً بوكَرِكَ نُومًا ، أَلَا لَيتَ أُفْراخِي مَعِي كُنُّ نُومًا (٨) !

- في القِطعةِ التالِيةِ أَسلوبُ طَبِيعِيٍّ لَعَبِدِ البَرِّ بِنِ قِرْسانِ مُخْتَلَفٍ مِنِ أَسلوبِهِ
 المُسَمَّقِ . جاءَ في نَفحِ الطِيبِ (٢ : ٦١٣ - ٦١٤) :

= القرآن الكريم (٥١ : ٤١ - ٤٢ ، الذاريات) : « وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ما تذر من شيء، أتت عليه إلا جعلته كالرميم . »
 (١) الحطيم (في مكة) ، أي الحجج ، يثرِب: المدينة .
 (٢) تقول: قال قولاً كاذباً . الكاشح: المبعوض .
 (٣) النجاد: سير من جلد يحمل به السيف . المنكب: الكتف .
 (٤) الكمين: العدو المترص في مكان مغفَى .
 (٥) ندى مخضلاً (بالنصب) أسأل الله لك ندى (بلل الليل - كناية عن النوم الهادئ الآمن) أحضل: بلل .
 الساجع: المترنم (حمامة) . الطمأ: العطش .
 (٦) المعرب (المري: المبيّن في كلامه) : الإنسان . يطارح: يبادل . مرتاح: مسرور . المعجم (العجمي): الذي لا يبين في كلامه) : طائر ، حيوان .
 (٧) مرقة: عائش في رفاهةٍ وخصب . مسوغ: معطى ، مرزوقاً .
 (٨) مغلّى: متروكاً في أمن .

- تشاجر له (لعبد البر بن فرسان) ولد صغير مع ترب له من أولاد أميره أبي زكريا (يحيى بن اسحاق). فنال منه ولد الأمير وقال: «وما قدرُ أبيك؟» فلما بلغ ذلك أباه (أي عبد البر بن فرسان) خرج مُغضباً^(١) لِحِينِهِ وَلَقِيَّ وَلَدَ الْأَمِيرِ الْمُخَاطِبِ لَوْلَدِهِ وَقَالَ: «حَفِظَكَ اللَّهُ تَعَالَى. لَسْتُ أَشْكُ فِي أَنْتِي خَدِيمٌ»^(٢) أَيْبِكَ، وَلَكِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَعْرِفَكَ بِنَفْسِي وَمِقْدَارِي وَ (ب) حِقْدَارِ أَيْبِكَ. اَعْلَمْ أَنَّ أَبَاكَ وَجَهَنِي رَسُولًا إِلَى دَارِ الْخِلَافَةِ بِبَغْدَادِ بَكْتَابٍ عَنِ نَفْسِهِ. فَلَمَّا بَلَغْتَ بَغْدَادَ أَنْزَلْتُ فِي دَارِ الْكُتْرِيَّتِ لِي بِسَبْعَةِ دَرَاهِمٍ فِي الشَّهْرِ، وَأَجْرِي عَلَيَّ سَبْعَةُ دَرَاهِمٍ فِي الْيَوْمِ. وَطَوْلَعُ بِكِتَابِي، وَقِيلَ: مَنْ الْمِيرْقِيُّ الَّذِي وَجَّهَهُ^(٣)؟ فَقَالَ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ: هُوَ رَجُلٌ مَغْرِبِيٌّ نَائِرٌ عَلَى أَسْتَاذِهِ. فَأَقَمْتُ شَهْرًا، ثُمَّ اسْتُدْعِيْتُ. فَلَمَّا دَخَلْتُ دَارَ الْخِلَافَةِ وَتَكَلَّمْتُ مَعَ مَنْ بَهَا مِنَ الْفُضَلَاءِ وَأَرْبَابِ الْمَعَارِفِ وَالْآدَابِ اعْتَذَرُوا إِلَيَّ وَقَالُوا لِلْخَلِيفَةِ: هَذَا رَجُلٌ جُهَلٌ بِمِقْدَارِهِ. فَأَعِدْتُ إِلَى مَحَلِّ الْكُتْرِيَّتِ لِي بِسَبْعِينَ دِرْهَمًا، وَأَجْرِي عَلَيَّ مِثْلَهَا فِي الْيَوْمِ. ثُمَّ اسْتُدْعِيْتُ فَوَدَّعْتُ الْخَلِيفَةَ وَاقْتَضَيْتُ مَا تَبَسَّرَ^(٤) مِنْ حَوَائِجِهِ وَصَدَّرَ لِي شَيْءًا لَهُ حِظٌّ مِنْ صِلَتِهِ^(٥). وَأَنْصَرَفْتُ إِلَى أَيْبِكَ. فَالْعَامِلَةُ الْأُولَى كَانَتْ عَلَى قَدْرِ أَيْبِكَ عِنْدَ مَنْ يَعْرِفُ الْأَقْدَارَ. وَالثَّانِيَةُ كَانَتْ عَلَى قَدْرِي! «.

٤-١١ * * * المغرب ١٤٣: ٢ - ١٤٤٣ - المقتضب من تحفة القادم ١١١٥، نفع الطيب ١١١: ٢ - ٦١٤، ٣: ٤٩٩، ١٥٦٣، الأعلام للزركلي ٤٧: ٤ (٣: ٢٧٣).

ابن حوط الله الحارثي

هو أبو محمد عبد الله بن سليمان بن داوود بن عبد الرحمن بن سليمان بن عمر بن

- (١) المنضب (بضم فسكون) تمتح: الذي أغضبه من آخرين مجانبية الحق فغضب للاعتداء على حقوق الله (لا لنفسه ولا لشيء مادي).
- (٢) الخديم (ليست في القاموس): الخادم.
- (٣) يحيى بن اسحاق بن محمد بن علي السوفي المعروف بابن غانية (ت ٦٣٣ هـ) كان لأمرته الحكم على جزيرة ميورقة.
- (٤) اقتضيت ما تبسّر (تفطت ما قدرت عليه عما طلب مني).
- (٥) صدر لي (أمر الأمير لي) شيء (بشيء). حظ: نصيب. صليته: عطائه.

حَوْطٍ^(١) الله الحارثي الأنصاري الأندلسي، وُلِدَ في أُنْدَلَةَ (قُرْبَ بَلَنْسِيَةَ)، في رَجَبٍ من سَنَةِ ٥٤٩ (مطلع الحريف من عام ١١٥٤ م).

إنَّ الحياة لم تَمُنحْ أبا محمد بن حَوْطٍ آسْتِقْرَارًا، فقد قضى حياته في التَّطَوُّافِ في الأندلس وفي المَغْرِبِ - وكان في أثناء ذلك يَسْمَعُ من العُلَمَاءِ - سَمِعَ من أبي جعفر أحمد بن عبد الملك بن عُمَيْرَةَ^(٢) الضَّبِّيِّ (نحو ٤٨٠ - ٥٧٧ هـ) وغيره. ثم إنَّه وَلِيَ القضاء في إشبيلية وقُرْبُطَةَ ومُرْسِيَةَ وجزيرة مَيورْقَة (في الأندلس) وفي سَلَا وسَبْتَةَ (المغرب) وكان - في أثناء ذلك كَلِّه يتصدَّرُ للتدريس، فقد كان يُدرِّسُ الحديثَ (في المغرب)، سَنَةَ ٥٩٧ للهجرة (نفع الطيب ٣ : ٩٨)، كما كان يدرِّسُ المُوَطَّأَ (نفع الطيب ٢ : ٦٠٤).

وكانت وفاة ابن حَوْطٍ الله في غَرْنَاطَةَ، في ثاني ربيع الأوَّل من سَنَةِ ٦١٢ (١٢١٥/٧/١ م).

كان ابن حَوْطٍ الله الحارثي حافِظًا للحديث عارفاً بالفقه والأصول (على مذهب أهل الظاهر)، ونَحْوِيًّا وأديباً كاتباً وشاعراً. وكانت له تصانيفُ ضاعت في أثناء أسفاره المُضْطَّرِّبة. فمن تصانيفه هذه كتابُ تَسْمِيَةِ شيوخِ البُخاريِّ ومُسَلِّمِ وأبي داوودَ والنَّسائيِّ والتِّرْمِذِيِّ^(٣) (ولم يُتِمَّه).

*** التكملة ٥٠٦؛ بغية الوعاة ٢٨٣؛ شذرات الذهب ٥ : ١٥٠؛ نفع الطيب ٤ : ٣٣٤ - ٣٣٥؛ الأعلام للزركلي ٤ : ٢٢٤ (٩١)؛ بالنشأ ٣٩٩ - ٤٠٠، راجع ٢٣٨.

(١) أصله حَوْطَلَه، مصغر حوت (بضمّ الهاء : سمكة) مؤنث على لغة شرقي الأندلس، فإنَّهم يفتحون أوَّل الكلمة من نحو الحوت والسود (وهما في الأصل بالضمّ) وينطقون بالناء طاء ثم يلحقون آخر المصغر لاما مشددة مفتوحة في المؤنث مضمومة في الذكر وهاء ساكنة، فيقولون : حوطَلَة وحوطَلَه. وبأبي هذا كتابة الأفاضل إياه سلفاً عن خلف (كذا في بغية الوعاة ٢٨٣). وهذه اللام المُشَدَّدة في آخر الاسم هي علامة التصغير في اللغة الإسبانية.

(٢) نفع الطيب ٢ : ٦٠١.

(٣) هؤلاء من كبار المؤلِّفين في الحديث لهم مجاميع معتمدة : صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن أبي داوود وسنن النسائي والمجاميع الصحيحة للترمذي.

ابن جبير

١- هو أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير بن سعيد بن جبير بن محمد بن عبد السلام الكِنَافِيُّ دخل جَدَّهُ عبدُ السلام إلى الأندلس في ولاية بلج بن بشر القشيري، سنة ١٢٣ هـ ونزل في شدونة. ثم إن أهله انتقلوا فيما بعد إلى شاطبة ثم سكنوا بَلَنْسِيَةَ.

وُلِدَ ابنُ جبير في العاشر من ربيع الأول من سنة ٥٤٠ هـ (١١٤٥/٩/١ م) في مدينة بلنسية ودرس الحديث والفقہ على أبيه وتلقى علوم الأدب والشعر في شاطبة. ومن شيوخه، غير والده: أبو عبد الله الأصيلي، وأبو الحسن علي بن محمد بن أبي العيش (ت ٥٦٠ هـ)؛ وقد سمع في دمشق من أبي الطاهر بركات بن إبراهيم الخشوعي (ت ٥٩٨ هـ)، ومن فقيه الشام قاضي القضاة أبي محمد بن أبي عمرو الموصلي (٤٩٢ - ٥٨٥ هـ) والحافظ أبي محمد القاسم بن عساكر (ت ٦٠٠ هـ).

وكان ابن جبير قد سكن غرناطة وكتب فيها لوالها السيد أبي سعيد بن عبد المؤمن الموحي.

ورحل ابن جبير إلى المشرق مرتين أو ثلاثاً: بدأ رحلته الأولى في الثامن من شوال من سنة ٥٧٨ (١١٨٣/٢/٣ م) من جزيرة طريف إلى سبتة فالمدينة فمكة ثم زار العراق والشام. بعدئذ أبحر من عكاة إلى جزيرة صقلية فإلى قرطاجنة الخلفاء من الساحل الجنوبي الشرقي من الأندلس (جنوب مرسية) وحل في غرناطة في أوائل ٥٨١ هـ (نيسان - أبريل ١١٨٥). ثم إنه عاد إلى المشرق في مطلع سنة ٥٨٥ هـ (أوائل آذار - مارس ١١٨٩ م) وحضر استرداد القدس من الإفرنج الصليبيين على يد صلاح الدين الأيوبي (٢٧ رجب من سنة ٥٨٣). ويبدو أنه رحل رحلة ثالثة بقصد الحج، سنة ٦١٣ هـ فتوفي في أثناء رجوعه، في الإسكندرية، في التاسع من شعبان ٦١٤ (١٢١٧/١١/١٣ م) في الأغلب.

٢- برع ابن جبير في صناعة القريض والكتابة، وكان شاعراً مكثراً، على شعره نفاحة من زهد وتصوف، وكان له أيضاً مدح في صلاح الدين الأيوبي. على أن شهرته

إِنَّمَا هِيَ فِي رَحْلَتِهِ الْمَعْرُوفَةِ بِرَحْلَةِ ابْنِ جَبْرِ. وَأَسْلُوبُهُ فِي رَحْلَتِهِ نَثْرٌ رَصِينٌ جَزَلٌ
الْأَلْفَاظِ سَهْلُ التَّرَكِيبِ بَارِعُ السَّبْكِ مُوجِزٌ بَلِيجٌ يَصْدُرُّ عَنْ شَعْرِ بِمَا يَرَى وَيَتَأَثَّرُ بِهِ،
وَالْجَانِبُ الْقَصَصِيُّ فِي رَحْلَتِهِ بَارِعٌ جَدًّا كَمَا أَنَّ أَوْصَافَهُ طَرِيفَةٌ نَاطِقَةٌ بِمَا تُعَبِّرُّ عَنْهُ.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال ابن جبير في النسيب:

طَوْلٌ أَغْتَرَابٍ وَبَرْحُ شَوْقٍ، لَا صَبْرَ - وَاللَّهِ - لِي عَلَيْهِ (١).
إِلَيْكَ أَشْكُو السَّذِي الْأَقْيَمِ يَا خَيْرَ مَنْ يُشْتَكَى إِلَيْهِ (٢).
وَلِي بِفَرْنَاطِيَّةٍ حَبِيبٌ قَدْ غَلِقَ الرَّهْنُ فِي يَدَيْهِ (٣).

- لَمَّا كَانَ ابْنُ جُبَيْرٍ فِي بَغْدَادَ اتَّفَقَ لَهُ أَنْ قَطَعَ غُصْنًا نَضِيرًا مِنْ أَحَدِ بَسَاتِينِهَا
فَذَوَى الْغُصْنَ (جَفَّ وَبَسَّ) فِي يَدِهِ وَشَيْكَاً، فَقَالَ يُوَازِنُ بَيْنَ الْغُصْنِ الْمَقْطُوعِ مِنْ
شَجَرَتِهِ وَبَيْنَ الْمُتَغَرَّبِ عَنْ وَطَنِهِ:

لَا تَغْتَرِبْ عَنْ وَطَنِ وَادْكُرْ تَصَارِيفَ النَّوَى (١)؛
أَمَّا تَرَى الْغُصْنَ إِذَا مَا فَارَقَ الْأَصْلَ ذَوَى!

- وقال في تذكّر الأوطان:

غَرِيبٌ تَذَكَّرَ أَوْطَانَهُ فَهَيَّجَ بِالذِّكْرِ أَشْجَانَهُ (٢)؛
يَحُلُّ عُرَى صَبْرِهِ بِالْأَسَى وَيَعْقِدُ بِالنَّجْمِ أَجْفَانَهُ (٣)!

(١) البرج: العذاب.

(٢) يا خير من يشتكى إليه (الله).

(٣) غلق الرهن: ضاع (إذا لم يستطع أن يؤدي الرهن دونه إلى الدائن في مقابل شيء مرتين، سقط حق الرهن في الشيء المرتين).

(٤) التصاريف: تغلب الأحوال وسيرها. النوى: البعاد.

(٥) الأشجان جمع شجن (بفتح ففتح): الحزن.

(٦) العرى جمع عروة (بضم العين): ما تمسك به الدلو (والعروة أخت الزر تمسك مع الزر جانبيين من الثوب). الأسى: الحزن. يعقد بالنجم أجفانه: يدم التطلع إلى النجم (بدم السهر، لا بنام).

- وقال في تزيه نفسه ولسانه عن المَوْرَاء (الكلمة القبيحة):

تَنَزَّهَ عَنِ الْمَوْرَاءِ مِمَّا سَمِعْتَهَا صِيَانَةً نَفْسٍ ، فَهَوَّ بِالْحُرِّ أَشْبَهَ^(١) .
إِذَا أَنْتَ جَاوَبْتَ السَّفِيهَةَ مِثْلًا ؛ فَمَنْ يَتَلَقَى الشَّمَّ بِالشَّمِّ أَسْفَهًا !

- وقال في طبائع الناس:

النَّاسُ يَمِثُلُ ظُرُوفَ حَسْوِهَا صَبْرٌ ، وَفَوْقَ أَفْوَاهِهَا شَيْءٌ مِنَ الْعَسَلِ^(٢) .
تَعْرِفُ ذَائِقَهَا حَتَّى إِذَا كُشِفَتْ لَهُ تَبَيَّنَ مَا تَحْوِيهِ مِنْ دَخَلِ^(٣) .

- وابن جبير مُفْرَمٌ بالبديع في شعره وخصوصاً في لزوم ما لا يلزم (في القافية)،

من ذلك قوله:

إِذَا بَلَغَ الْعَبْدُ أَرْضَ الْحِجَازِ فَقَدْ نَالَ أَفْضَلَ مَا أُمَّ لَهُ^(٤) .
فَإِنْ زَارَ قَبْرَ نَبِيِّ الْهُدَى فَقَدْ أَكْمَلَ اللَّهُ مَا أَمَّلَهُ !

- ومن شعر ابن جبير ذي النِّفْحَةِ الدِّينِيَّةِ يَتَشَوَّقُ فِيهِ إِلَى مَنَاسِكِ الْحَجِّ فِي

الحجاز:

يَا وَفودَ اللَّهِ ، فُرُتْمٌ بِالنُّسَى ؛ فَهَيْئًا لَكُمْ ، أَهْلَ مِينِي^(٥) !
قَدْ عَرَفْنَا عَرَافَاتِ بَعْدَكُمْ ، فَلِهَذَا بَرَحَ الشُّوقُ بِنَا^(٦) .
نَحْنُ فِي الْقَرْبِ ، وَبِجْرِي ذِكْرُكُمْ بِغُرُوبِ الدَّمْعِ تَجْرِي هَتْنَا^(٧) .

(١) مِمَّا سَمِعْتَهَا (مِمَّا كَرَّ سَمَاعُكَ لَهَا) . فَهَوَّ ... (فَذَلِكَ) .

(٢) الطَّرْفُ (يَفْتَحُ الطَّاءُ) : الْوَعَاءُ . الصَّبْرُ (يَفْتَحُ فَكْسَرُ) : عَصَاؤُهُ (بَعَثَ الْعَيْنَ) شَعْرَ مَرَّةٍ .

(٣) كُنِمَتْ لَهُ : ظَهَرَتْ لَهُ حَقِيقَتُهَا . الدَّخَلُ : الْفَسَادُ ، الْعَيْبُ .

(٤) أُمَّ لَهُ : قَصَدَ إِلَيْهِ . أَمَّلَهُ : تَمَنَّاهُ .

(٥) وَفودَ اللَّهِ : الْحِجَاجُ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ (الْكَعْبَةِ فِي مَكَّةَ) . النَّسَى جَمْعُ مَنِيَّةٍ : الْمَنِيَّةُ . النَّسَى الْمُرَادُ : مَنِي

(بَكْرَ الْمَاءِ وَبَلَا تَنْوِينُ) : مَنَسِكٌ مِنْ مَنَاسِكِ الْحَجِّ (مَكَانٌ بَيْتٌ فِيهِ الْحِجَاجُ بَعْدَ تَزْوِيلِهِمْ مِنْ عَرَافَاتِ) .

هَيْئًا لَكُمْ يَا أَهْلَ مَنِي لِأَنَّكُمْ فِي حَجِّ دَائِمٍ .

(٦) عَرَفَةٌ أَوْ عَرَافَاتُ : هَضْبَةٌ يَجْمَعُ عَلَيْهَا الْحِجَاجُ . وَالْاجْتِمَاعُ فِي عَرَافَاتِ هُوَ الْمَنَسِكُ الْأَسْطَحِيُّ فِي الْحَجِّ لَا

يَصِحُّ الْحَجُّ إِلَّا بِالْوُفُوفِ فِي عَرَفَةَ . - حَجَّ عَرَافَاتِ بَعْدَكُمْ (مُدَّةَ بَيْتِةٍ) وَلِذَلِكَ يَكْتَرُ تَوَقُّفًا إِلَيْهِ .

(٧) فِي الْفَرَسِ : فِي الْأَنْدَلُسِ . عُرُوبُ الدَّمْعِ : أَطْرَافُ الْعَيْسِ الَّتِي يَسِيلُ مِنْهَا الدَّمْعُ . هُنَا (جَمْعٌ هَاتِنُ) وَهُوَ

الَّذِي يَسِيلُ كَثْرَةً .

سِرُّ بِنَا، يَا حَادِي الرَّكْبِ، عَسَى
 شِمُّ لَنَا الْبَرْقَ إِذَا لَاحَ وَقُلْ:
 جَمَعَ اللَّهُ بِجَمْعِ شَمَلْنَا^(١)؛
 بَلْدِيذِ الذِّكْرِ وَهَنَا، عَلْنَا^(٢).
 لَوْ حَنَا الدَّهْرُ عَلَيْنَا لَقَضَى
 بَاجِئَاعِ بِكُمْ بِالْمِنْحَسَى^(٣).
 لَاحَ بَرْقٌ مَوْهِنَاً مِنْ نَحْوِكُمْ؛
 فَلَقَمْرِي مَا هَنَا الْعَيْشُ هُنَا^(٤)!
 أَنْتُمْ الْأَحْبَابُ نَشْكُو بُعْدَكُمْ؛
 هَلْ شَكْوَتُمْ بَعْدَنَا مِنْ بُعْدِنَا؟^(٥)

- من رحلة ابن جبير: حال الفرجة الصليبيين بين المسلمين.

ثم عدنا إلى عكة في البحر وحللناها صبيحة يوم الاثنين الثالث والعشرين من
 جُمادى المذكورة^(١٦) وأول يوم من شهر أكتوبر. واكثرنا في مركب كبير^(١٧) نريد
 الإقلاع إلى مَسِينَةَ من بلاد جزيرة صقلية^(١٨)....

ومنهم * من استهواه حبُّ الوطن فدعاه إلى الرجوع والسكنى بينهم * * ، بعد أمان
 كُتِبَ^(١٩) لهم في ذلك بشروط اشترطوها. والله غالب على أمره - سبحانه جلت قدرته
 ونفذت في البرية مشيئته - وليست له عند الله معذرة في حلول بلدة من بلاد الكفر
 إلا مجتازاً وهو يجد مندوحة في بلاد المسلمين^(٢٠) لمشقات وأهوال يُعانيها في بلادهم

(١) حادي (مائق) الركب (القافلة التي يسافر الجماعة فيها. الركب: الجماعة يسافرون معاً). جمع = يوم

جمع: يوم الوقوف في عرفة. سِرُّنا: قطيعنا (جماعتنا).

(٢) شام يشم البرق: نظر إليه. جمع (راجع الحاشية السابقة).

(٣) وهناً: بعد منتصف الليل.

(٤) المنحس: القلعة المستديرة من الرمل (مكان في الحجاز تغزل به الشعراء).

(٥) الموهن: الوقت بعد منتصف الليل. ما هنا (هنا: لذة) العيش هنا (عندنا، في غير مكة).

(٦) جادى الثانية.

(٧) واكثرنا «مكاناً» في مركب كبير.

(٨) الإقلاع: السفر في البحر. مَسِينَةَ: مدينة في أقصى الشمال الشرقي من جزيرة صقلية (جزيرة كبيرة في

جنوب شبه جزيرة إيطاليا).

(٩) بينهم (بين النصارى، بين الإفرنج الصليبيين).... معاهدة أمان...

(١٠) ... لا يجوز لمسلم أن يسكن في بلاد أهلها من الكفار إذا كان يستطيع السكنى في بلد إسلامي (إلا إذا

كان مسافراً ومراً في ذلك البلد ثم بقي فيه وقتاً ما حتى يتيسر له متابعة السفر).

منها المذلة والمسكنة الذميمة^(١)، ومنها سماع ما يُفجع الأفئدة من ذكر من قدس الله ذكره^(٢) وأعلى خطره لا سيما من أراد لهم وأسافلهم؛ ومنها عدم الطهارة والتصرف بين الخنازير وجميع الهرمات إلى غير ذلك مما لا ينحصر ذكره ولا تعداده.

- من الحياة الاجتماعية في أثناء الحروب الصليبية:

ومن العجب أن النصارى المجاورين لجبل لبنان إذا رأوا به أحد المنتقمين من المسلمين جلبوا لهم^(٣) القوت وأحسنوا إليهم، ويقولون: هؤلاء ممن أنقطع إلى الله عز وجل فتجب مشاركتهم. وهذا الجبل من أخصب جبال الدنيا فيه أنواع الفواكه وفيه المياه الطردة والظلال الوارفة^(٤). وقلما يخلو من التبتل والزهادة^(٥). وإذا كانت هذه معاملة النصارى لضد ملتيم هذه المعاملة، فما ظنك بالمسلمين بعضهم مع بعض. ومن أعجب ما يحدث به أن نيران الفتنة تشتعل بين الفشتين مسلمين ونصارى. وربما يلتقي الجمعان ويقع بينهم المصاف^(٦) ورفاق المسلمين والنصارى تختلف بينهم^(٧) دون اعتراض، شاهدنا في هذا الوقت - الذي هو شهر جهادى الأولى^(٨) - من ذلك خروج صلاح الدين بجميع عسكر المسلمين لمنازلة حصن الكرك، وهو أعظم حصون النصارى، وهو المعرض في طريق الحجاز والمانع لسبيل المسلمين على البر - بينه وبين القدس مسيرة يوم أو أشف قليلا^(٩).... فنازله هذا السلطان وضيق عليه

(١) يعانها: بقاسيها، يخضع لها. المسكنة الذميمة (الخضوع لغير المسلمين).

(٢) يفجع (يؤلم) الأفئدة: (القلوب) من ذكر من قدس الله ذكره (الرسول).

(٣) النصارى الذين كانوا (في مطلع القرن السابع للهجرة = الثالث عشر للميلاد) يسكنون جوانب من الساحل.

(٤) المطردة: (الأهبار) التي يتتابع جريان مائها. الوارف: المتسع.

(٥) التبتل: ترك الزواج، الانقطاع إلى عبادة الله. الزهادة (بالفتح): الزهد (بالضم): ترك الرغبة في أمور الدنيا).

(٦) الجمعان: الفريقان المتعاديان. المصاف: الوقوف في موقف المستعد للقتال.

(٧) ورفاق المسلمين والنصارى (من الذين لا يتقاتلون) تختلف (بمختلفون): يتنقلون (بين الذين يتقاتلون) من مكان إلى آخر.

(٨) من سنة ٥٨٠ هـ (صيف ١١٨٤ م).

(٩) صلاح الدين الأيوبي.... الكرك (بلدة عند الطرف الجنوبي الشرقي من البحر الميت). أشفأ (أعلى).

وطال حصاره، واختلاف القوافل من بصرى إلى دمشق على بلاد الإفرنج غير منقطع. واختلاف المسلمين من دمشق إلى عكة كذلك. وتجار النصارى أيضاً لا يمنع أحد منهم ولا يعترض. وللنصارى على المسلمين ضريبة يؤدونها في بلادهم^(١)، وهي من الأمانة على غاية. وتجار النصارى أيضاً يؤدون في بلاد المسلمين على سلبهم^(٢). والاتفاق بينهم والاعتدال في جميع الأحوال. وأهل الحرب مشتغلون بحربهم، والناس في عافية. والدنيا لمن غلب.

٤ - رحلة ابن جبير (رايت)، ليدن (بريل) ١٨٥٢ م، الطبعة الثانية (ده خويه)، ليدن (بريل) ١٩٠٧ م، القاهرة (مطبعة السادة) ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م)؛ (تحقيق حسين نصار، القاهرة (مكتبة مصر) ١٣٧٤ هـ = ١٩٥٥ م، بيروت (دار صادر ودار بيروت) ١٩٥٩ م، القاهرة (دار التحرير والنشر) ١٩٦٨ م.

★★ زاد المسافر ١١٤ - ١١٥؛ المغرب ٢: ٣٨٤ - ٣٨٥؛ التكملة رقم ٥٩٨؛ الذيل والتكملة ٥: ٥٩٥ وما بعد؛ الإحاطة (القاهرة ١٣١٩ هـ) ٢: ١٦٨ - ١٧٤؛ شذرات الذهب ٤: ١٦٠؛ نفع الطيب ٢: ٣٨٠ - ٣٨٩، ٤٨٥ - ٤٩٧؛ دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الأولى) ٤: ٧٥٥؛ بروكلمن ١: ٦٢٩، الملحق ١: ١٨٧٩؛ نيكل ١٩٣ - ١١٩٤؛ الأعلام للزركلي ٦: ٢١٤ (٥: ٣١٩ - ٣٢٠)؛ سركيس ٦١ - ٦٢؛ بالنشيا ٣١٦ - ٦١٨؛ المكتبة العربية الصقلية ٧٦ - ١٠٤؛ تراجم اسلامية ٣٢٨ - ٣٣٧.

ابن حزمون المرسي

١ - هو أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن حزمون كان متصلاً بالموحدين وله مدائح جليلة في المنصور الموحدى. ويبدو أنه كان يرافقه في عدد من الغزوات. وفي سنة ٦١٤ هـ (١٢١٧ - ١٢١٨ م) كان في مرسية فلقي فيها عبد الواحد المراكشى (ت نحو ٦٤٧ هـ) ولعل ابن حزمون توفى في تلك السنة (أي ٦١٤ هـ) أو بعدها بقليل.

(١) في بلادهم (بلاد النصارى: البلاد التي استولى عليها الإفرنج الصليبيون).

(٢) السلة: الحاجة المروضة للبيح.

٢ - كان أبو الحسن بن حزمون متسع القول في أنواع الشعر يقول القصيدَ ويغلبُ عليه القولُ في الموشح . وفنونه المديحُ والهجاء والغزل . وكان كثيرَ الميلِ إلى الهجاء يُقدِّعُ فيه جدًّا . ثم هو لم يترك موشحةً سارت على ألسنِ الناسِ إلا عارضها فقلَّبا هجاءً مُقدِّعاً . وكان ابنُ حزمونٍ ناقدًا بصيرًا . قال : ما الموشحُ بموشحٍ حتى يكون عارياً من التكلفِ . فقيل له : على مثلِ ماذا ؟ فقال : على مثلِ قولي :

يا هاجري ، هلْ إلى الوصالِ مِنْكَ سبيلُ ؟
أو هلْ يُرى عن هواكَ سألُ* قلبُ العليلِ ؟

٣ - مختارات من شعره :

- لما رجَعَ المنصورُ الموحدِيُّ من غزوةِ الأرك، سنةَ ٥٩١ للهجرة (وقد انتصرَ فيها نصراً عظيماً) قال ابنُ حزمونٍ يمدِّحه :

حَيْثُكَ مُعْطَرَةَ النَّفْسِ	فَفَحَاتُ الْفَتْحِ بَأَنْدَلُسِ ؛
فَذَرِ الْكُفَّارَ وَمَاتَمَهُمْ ؛	إِنَّ الْإِسْلَامَ لَنِي عُرْسِ .
أَمَامَ الْحَقِّ وَنَاصِرِهِ ،	طَهَّرْتَ الْأَرْضَ مِنَ الدَّنَسِ ،
وَمَلَأْتَ قُلُوبَ النَّاسِ هُدًى	فَدَنَا التَّوْفِيقُ لِلتَّمَسِ .
وَرَفَعْتَ مَنَارَ الدِّينِ عَلَى	عَمِيدِ شَمِّ وَعِصَى أُسِّ (١) .
وَصَدَّغْتَ رِدَاءَ الْكُفْرِ كَمَا	صَدَّغَ الدِّيَجُورَ سَنَا قَبَسِ (٢) .
جَاءُوكَ تَضِيقُ الْأَرْضُ بِهِمْ	عَدَدًا لَمْ يُحْصَى وَلَمْ يُقَسِّ .
خَرَجُوا بَطْرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ	سِ لِيَخْتَلِسُوا مَعَ مُخْتَلَسِ (٣) .

(*) السالي: الناسي

(١) عمد جمع عمود: أسطوانة . شَمُّ جمع أشم: عال .

(٢) صدع: شق . الديجور: الظلام (مفعول به مقدم) . سنا: نور (فاعل « صدع » الثانية) .

(٣) « خرجوا بطرا وريثاء الناس » اقتباس من قوله تعالى « ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا وريثاء الناس » (٤٦: ٨ ، سورة الأنفال) ، إشارة إلى قريش الذين جاءوا ، في سنة ٥ للهجرة (٦٢٧ م) بجيوش كبيرة لحصار المدينة (في غزوة الخندق أو الأحزاب) .

وَمَضَيْتَ لِأَمْرِ اللَّهِ عَسَى . تِقْنَسِي بِاللهِ وَلَمْ تَخِسْ^(١) .
ثم يصف الخيل وهزيمة الأذفنش (القب للملك الإسبان) ثم يخاطب الأندلس:
مَلَأَ التَّوْحِيدُ أَعْيُنَهَا وَأَغَارَ بِهَا رُوحَ الْقُدُسِ^(٢) .
جَاسَتْ جَنَبَاتِ الْكُفْرِ فَلَمْ تَتْرُكْ لَهُمْ مَا لَمْ يُجَسْ^(٣) .
لَمْ يَبْقَ بِهَا مَثْوَى رَجُلٍ إِلَّا وَعَلَيْهِ شَذَا فَرَسٍ^(٤) .
لَحِقُوا بِقُرُونِ الشَّمِّ فَلَا سُقِيَا لَطْلُولِهِمُ الدُّرُسُ^(٥) .
إِنْ كَانَ نَجْمًا أَذْفَنُوهُمْ فَسِإِلَى عَيْشٍ نَكِيدُ نَعَسٍ
فَمَضَى لَمْ يُلَوْ عَلَى أَحَدٍ، وَرَمَى بِالْبِدْرِعِ وَبِالْتُرْسِ
لَصَلِيلِ الْمُنَادِ بِمَفْرِقِهِ لَا يَسْمَعُ صَلْصَلَةَ الْحَرَسِ^(٦) .
أَجْزِيرَةَ أَنْدَلُسَ، اعْتَصِمِي بِأَمَامِ الْأُمَّةِ وَاخْتَرِسِي .
أَرْعَاكِ حِرَاسَتَهُ مَلِكُ جَبْرِئِلُ لَهُ أَحَدُ الْحَرَسِ .

- وله من موشحة^(٧) وهي تُروى لأبي الحسن بن نزار (ت قبل ٥٧٥ هـ) راجع فوق .

اشربْ على نعمةِ المثاني ثمان^(٨)

- (١) خاس يحبس: ذل، نقض المهد، خان .
- (٢) ملأ التوحيد (الإسلام) أعنة الخيل (خرجت للجهاد في سبيل الله) . وأغار: هجم . روح القدس: جبريل . - ما أنت الذي قادها إلى النصر، بل جبريل قادها إلى النصر بإذن الله .
- (٣) جاست (دارت وترددت) الخيل في جوانب بلادهم (بالحرب) . ما لم يحس (بالبناء للمجهول): بقعة لم تصل إليها بالحرب .
- (٤) مثنوى (مقام) رجل (بقعة بمقدار بكفي لمعد رجل واحد) . الشذا: الرائحة الطيبة (٤) .
- (٥) لحقوا بقرون الشم: وصلوا، هربوا (من الخوف) إلى الجبال العالية . فلا سقيا (لا سقى الله، لا بارك الله) في طولهم (بقايا بيوتهم التي تهدمت بالحرب) الدُّرس (جمع دارس: الذي بحيث آثاره) .
- (٦) إن صوت وقع السيوف في مفارقتهم (مقدم رؤوسهم) كان شديداً حتى لو أنهم - لو قرعت الأجراس على مقربة منهم لا سمعوا .
- (٧) لاحظ أن القافية في كل شطر هي الجزء الأخير من القافية الأولى .
- (٨) المثنى: وتر من أوتار العود (المثاني هنا: الآلات الموسيقية) . ثمان (ثانياً) مرة ثانية!

ولا تَكُنْ في هَوَى الغواني وان^(١)
 وَقُلْ لِمَنْ لَامَ في مُعَانٍ: عان^(٢)
 ماذا من الحُسْنِ في بُرُودٍ: رود^(٣).

* * *

يَهِيحُ وَجَدَى إذا الأَنَامُ ناموا^(٤)
 قومٌ إذا عَنَّسَ الظُّلَامُ لاموا^(٥)
 وما به هَامٌ مُسْتَهَامٌ هاموا^(٦)
 فُكُلٌ لِعَيْنٍ بلا هُجُودٍ: جودي^(٧)

- وقال يهجو نفسه ثم يَسْتَطَرِدُ إلى هِجَاءِ شخص يسميه مُحَمَّدَ بنَ عيسى:
 تَأَمَّلْتُ في المِرآةِ وَجْهِي فَخِلْتُهُ كَوَجْهِ عَجُوزٍ قَدْ أَشَارَتْ إلى اللُّهُوِ^(٨)
 فلو كُنْتُ مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ لم أَكُنْ من الراتِقِ الباهي ولا الطيبِ الحُلُوِ
 وأقْبَحُ من مِرْآيَ بَطْنِي، فَإِنَّهُ يُقَرِّقُرُ مثلَ الرعدِ قَرَقَرَ في الجَمُودِ،
 وإِلَّا كَقَلْبِ بَيْنَ جَنَّبَيْ مُحَمَّدٍ سليلِ ابنِ عيسى حينَ قَرَّ ولم يُلَوِ^(٩)
 يَوَدُّ بَأَن لو كان في بَطْنِ أُمِّهِ جَنِيناً ولم يَسْمَعْ حديثاً عن الفَزْوِ.

- (١) الغانية: المرأة التي تستغي بجهاها عن التزوي بالخلى. وان (وانياً) تب.
 (٢) المعاني (بضم الميم): الذي عرف الحب ولقي فيه عذاباً. عان (فعل أمر): قبل أن تلومه على حب
 أحسب أولاً مثله. (عان = تحتاج إلى مفعول به هو «ماذا» في الشطر التالي).
 (٣) ... ما تنطوي عليه برود (ثياب حرير) رود (امرأة بضء الجسم ناعمة).
 (٤) الوجد: الحب.
 (٥) عسس الليل: أتى بظلامه.
 (٦) هام: تحير، أحب حباً شديداً. هاموا: أحيوا.
 (٧) هجود: نوم. جودي بالكاء: ابكي كثيراً.
 (٨) أشارت إلى اللهُو: أرادت اللهُو والغزل (وهذا قبيح من المجازات).
 (٩) ألوى: التفت، مال. - فر ولم يلو: هرب ثم لم يلتفت إلى ورائه (من الخوف).

تَمِيلُ وَلَكِنْ عَقْلُهُ مِثْلُ رِيثَةٍ تَطِيرُ بِهَا الْأَرْوَاحُ فِي مَهْمِهِ دَوًّا (١)
تَمِيلُ بِشِدْقِيهِ إِلَى الْأَرْضِ لِحَيْةٍ تُظَنُّ بِهَا مَاءٌ يُفَرِّغُ مِنْ دَلْوَا

*** ٤ زاذ المسافر ١٠٦ - ١١٠٨ المغرب ٢: ١٤٧، ٢١٤ - ٢١٦، ٢١٥ - ٢١٨ المعجب
٢١٣ - ٢١٦ الذليل والتكلمة ٥: ٢٤٠ - ٢٤٦ نفع الطيب ٣: ٤٦٥ - ٤٦٦، ٧:
٩ - ١٠ نيكل ١٣٤٢ الأعلام للزركلي ٥: ٧٨ - ٧٩ (٤: ٢٧١).

ابن المُرْخَى المَغْرِبِي

١ - هو أبو بكر محمد بن علي بن محمد بن عبد الملك بن عبد العزيز اللخمي^(٢١)
تَلَقَّى العِلْمَ عَلَى أَبِيهِ أَبِي الحَكَمِ عَلِيٍّ، وَقَدْ أَجَازَ لَهُ أَبُوهُ فِي سَوَالٍ مِنْ سَنَةِ ٥٧٩ هـ، كَمَا
تَلَقَّى أَشْيَاءَ مِنَ العِلْمِ أَيْضاً عَلَى اللِّصِّ (أحمد بن علي بن سيد الكِنَانِي المَتَوَفَى ٥٧٧ هـ)
وَمِنْ غَيْرِهِ. وَكَانَتْ وَفَاةُ ابْنِ المُرْخَى المَغْرِبِي سَنَةَ ٦١٦ (١٢١٩ - ١٢٢٠ م).

٢ - كَانَ ابْنُ المُرْخَى المَغْرِبِي مِنْ بَيْتِ عِلْمٍ وَأَدَبٍ وَوَجَاهَةٍ وَرِوَايَةٍ وَكِتَابَةٍ: كَانَ
أَبُوهُ أَبُو الحَكَمِ عَلِيٌّ كَاتِباً، وَكَانَ جَدُّهُ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدٌ مِنْ أَهْلِ البَيَانِ وَالبَلَاغَةِ. وَابْنُ
المُرْخَى صَاحِبُ هَذِهِ التَّرْجُمَةِ لِعُوفِي وَأَدِيبٌ كَاتِبٌ بَارِعٌ وَشَاعِرٌ مُخَسَّنٌ. ثُمَّ هُوَ
مُصَنِّفٌ: اخْتَصَرَ كِتَابَ «الغريب المصنّف» (لأبي عُبَيْدِ بْنِ سَلَامِ المَرْوِيِّ المَتَوَفَى نَحْوَ
٢٢٣ هـ) وَسَمَّاهُ «حِلْيَةَ الأَدِيبِ». وَهُوَ أَيْضاً مِنَ المَصْنُفَاتِ «ذِرْوَةَ المُنْتَقَطِ فِي خُلُقِ
الخَيْلِ» وَغَيْرُ ذَلِكَ.

٣ - مَخْتَارَاتٌ مِنْ شِعْرِهِ:

- كَتَبَ ابْنُ المُرْخَى المَغْرِبِي إِلَى أَسْتَاذِهِ ابْنِ سَيِّدِ اللِّصِّ يُخَاطِبُهُ بِالأَبْيَاتِ التَّالِيَةِ:

- (١) المَهْمَةُ (الصَّحْرَاءُ الوَاسِعَةُ) الدَّوَّ (العَلَاةُ الوَاسِعَةُ). الْأَرْوَاحُ جَمْعُ رِيحٍ.
(٢) رَاجِعُ صِلَةِ الصَّلَةِ ص ١٠٦. فِي الوَاقِعِ بِالوَفِيَّاتِ (٤: ١٥٧): مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ العَزِيزِ. وَفِي
بَغِيَةِ الوَعَاةِ (ص ٧٥): مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ المَلِكِ بْنِ عَبْدِ العَزِيزِ. رَاجِعُ أَيْضاً حَاشِيَةَ
مُفِيدَةٍ فِي الْأَعْلَامِ لِلزَّرْكَلِيِّ (٧: ١٦٨) فِيهَا أَنَّ مَصْدَرًا ذَكَرَهُ بِاسْمِ ابْنِ المَرْجِي (بِالْجِيمِ) وَأَنَّ مَصْدَرًا آخَرَ
لَمْ يَذْكُرْهُ لِأَنَّ بَاسْمِ ابْنِ المَرْجِي (بِالْجِيمِ)، لَا ابْنَ المُرْخَى (بِالْهَاءِ).

سَاهَجَرُ الْعِلْمِ لَا بُغْضًا وَلَا كَسَلًا،
 وَلَا أَمْرٌ بَبِيْسٍ فِيهِ مَسْكَنُهُ
 إِذَا ظَمِئْتُ، وَكَانَ الْعَذْبُ مُتَتَبِعًا،
 إِذَا طُرِدْتُ قَصِيًّا عَنْ حِيَاضِكُمْ
 قَدْ كَانَ عِنْدِي زَعِيمَ الْقَوْمِ عَالِمُهُمْ،
 مَا إِنْ رَأَيْتُ الَّذِي يَزِدَادُ مَعْرِفَةً
 وَآيَةَ الصِّدْقِ فِي قَوْلِي وَتَجْرِبَتِي
 حَتَّى يُقَالَ ارْعَوَى عَنْ حُبِّهِ وَسَلَا^(١)،
 كَيْلَا يُمَثَّلُ شَوْقِي حَيْثَا مَثَلًا^(٢).
 فَلَسْتُ عَنْ غَيْرِ ذَلِكَ الْعَذْبِ مَعْتَرِلًا^(٣).
 فَإِنَّ نَفْسِي مِمَّا تَكَرَّرَ النَّهْلًا^(٤).
 فَالْيَوْمَ عِنْدِي زَعِيمُ الْقَوْمِ مَنْ جِهَلًا.
 إِلَّا يَزِيدُ انْتِقَاصًا كُلَّمَا كَمَلَا.
 أَنَّ الْجَوَادَ عَلَى الْعَلَاتِ مَا وَالَا^(٥)!

٤-★★ المطرب، راجع ٢٠٨ - ٢٠٩، الوافي بالوفيات ٤: ١٥٧، راجع صلة الصلة ١٠٦ (رقم ٢١٦)، بغية الوعاة ١٧٥، الأعلام للزركلي ٧: ١٦٨ (٦: ٢٨٠).

أبو القاسم بن سعيد

١- هو أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن سعيد العنسي من أسرة مُصَنَّفِي كتاب «المُفْرَب». كان شابًا قَلْبًا طَمُوحًا. ولَمَّا اسْتَوَى الْمُؤَحِّدُونَ عَلَى الْأَنْدَلُسِ كَانَ الْوَالِيَّ مِنْهُمْ عَلَى غَرْنَاطَةَ السَّيِّدُ أَبُو سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ فَاتَّخَذَ أَبَا جَعْفَرٍ أَحَدَ بَنِي عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ سَعِيدِ كَاتِبًا لَهُ. وَكَانَ أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعِيدِ مَعَهُ. وَحَدَّثَتْ نَفْرَةً بَيْنَ أَبِي سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ وَأَبِي جَعْفَرِ بْنِ سَعِيدِ. ثُمَّ كَانَ أَنْ فَرَّ

(١) ارعوى... عن حبه للعلم: رجوع. سلا: نسي ونفسى.

(٢) ... مسكن العلم. مثل (يفتح ففتح أو يفتح فضم): قام منتصباً (وُجِدَ). كَيْلَا يُمَثَّلُ شَوْقِي حَيْثَا مَثَلُ: كَيْلَا أَشْرَ بِاحْتِرَامِ ذَلِكَ الْمَكَانِ فَأَقْفَ (أَوْ أَبْقَى) فِيهِ عَلَى مَقْدَارِ حَبِّي (الْأَوَّلُ) لِلْعِلْمِ.

(٣) الواضح: إذا لم أنل نصيبي في الحياة من العلم أحاول أن أتاله عن غير طريق العلم. ولكن الملموح وبالمقارنة بالبيت التالي يقتضي حذف كلمة «غير» فيصبح المعنى: إذا لم أجد ماء عذبا (خلوا، أي علما صحيحا)، فلئن لا أرضى شيئا دون (أدنى من) ذلك.

(٤) قصيًّا: بعيداً. الحوض: جمع الماء. النهل: الشرب الأول (المقدار اليسير من حاجة العطشان).

(٥) آية: علامة. الجواد: الحصان. الملة: الشربة الأولى. - أن الحصان إذا بدأ يشرب فإنه لا يئيل (يرجع) عن الشرب حتى يستوفي حاجته من الماء (وأنا- مع كل ما أصابني على يد الجهال- إذا رأيت مجلس علم فلا أغادر مكانه حتى أستوفي حظي منه).

عبد الرحمن إلى محمد بن مردنیش ملك شرقي الأندلس (٥٤٢ - ٥٦٦ هـ).
أي سعيد بن عبد المؤمن فيها فقتل أبا جعفر.

رحل عبد الرحمن عن الأندلس إلى المغرب ثم تابع الرحلة شرقاً إلى م
فالشام فالجزيرة فالمعراق فبلاد العجم إلى ما وراء النهر وسكن في بخارى. وقتل
عبد الرحمن في بخارى يوم دخلها التتار وقتلوا أهلها بعد أن كانوا قد آمنوهم،
وذلك في المحرم من سنة ٦١٧ (آذار - مارس ١٢٢٠ م) (راجع نفع الطيب ٢: ٣٧٣
ثم ابن الأثير ١٢: ٣٨٩، شذرات الذهب ٥: ٧٢).

٢ - كان أبو القاسم عبد الرحمن بن سعيد أديباً مفطوراً سلس الشعر عذب الشعر
ينكشف نثره خاصة عن إمامه بعدد من العلوم، ويبدو أنه أكثر القراءة في الجغرافية
والتاريخ. في نثره سجع قليل وصناعة خفيفة سائغة. وشعره وجدائي تغلب عليه
الشكوى. وهو حسن السرد.

٣ - مختارات من آثاره:

- كتب أبو القاسم عبد الرحمن بن سعيد من سمرقند^(١) إلى أهله بالأندلس
يصف شقاه في أسفاره ويبيدي بأساً من الإياب (العودة) إلى الأندلس:

مَنْ لَصَبٌ يَرعى النجومَ صَبَابَةً	ضَيَّحَ السَّيْرُ في المومِ صَبَابَةً ^(٢)
زِدْتُ بُعْدًا فَزِدْتُ فِيهِ اقْتِرَابًا	يُودَادِي، كَهذِك حُكْمُ القَرَابَةِ ^(٣) .
مَنْزِلِي الآنَ سَمَرَقَنْدُ، وَبِالْقَدِّ	حَمَّةٌ رَبِيعٌ وَطَيْتُ طِفْلاً تُرَابَهُ ^(٤) .
شَدَّ مَا أْبَعَدَ الفِرَاقُ انتزاحي!	هكذا الليثُ ليس يذري اغترابه ^(٥) .

(١) سمرقند من أمهات مدن ما وراء النهر (التركستان).

(٢) الصب: الحب. والصبابة: شوق، رقة الشوق أو حرارته. رعى النجوم: راقبها (قضى الليل ساهراً).

(٣) حكم (قانون، عادة) القرابة أن الإنسان إذا اغترب زاد اشتياقه إلى أهله.

(٤) قلمة بني سعيد أو قلمة بحصب (نفع الطيب ٢: ٣٣٠) من عمل إبيرة (المغرب ٢: ١٥٩) من نواحي
غرناطة.

(٥) شد: ما: ما أشد! ما أكثر. الانتزاح: الابتعاد. والليث: الاسد (الرجل المقدم ليس يذري اغترابه: لا
يشمر أنه يقطع المسافات).

لا ولا أرتجي الإيابَ لأمرٍ
- وكتب إلى أهله من بخارى:

إذا هبت رياحُ القربِ طارت
وأحسبُ مَنْ تَرَكْتُ به يلاقي،
إلها مُهجتني نحوَ التلاقي^(١) .
إذا هبت صباحاً، ما ألاتي^(٢) .
فما لَيْتَ التفرُّقَ كان عدلاً
وليتَ العُمُرَ لم يبرحَ وصالاً
فحملَ ما يُطيقُ مِن اشتياقي^(٣)
ولم يُختمَ علينا بالفراق .

إذا كانَ الشوقُ فوقَ كلِّ صِفةٍ فكيفَ تُعبِّرُ عنه الشِّعْرُ؟ ولكنَّ العُنوانَ دَلالةٌ على بعضِ ما في الصَّحيفة. والحاجبُ قد ينوب في بعضِ الأمورِ مَنابَ الخليفة^(٤). وما ظنُّكم بِشوقِ طريحٍ في يدِ الأشواقِ طليح^(٥)؟ يقطعُ مساحاتِ الأرضِ ذاتِ الطولِ والعرضِ، ويحُوبُ أهويةَ الأقاليمِ السَّبع^(٦)، خارجاً بما أدخله فيه اللُّجوجِ عنِ الشرع^(٧). فكانَ خليفةَ الإسكندر^(٨)، لكنَّ ما يجيشُ من همومِ العُربةِ بفكري قائمةً مقامَ الجيشِ والمسكر^(٩). جُزْتُ إلى برِّ المُدوةِ من القُربِ الأقصى^(١٠)،

(١) رياح الغرب (من جهة الغرب) المهجة: دم القلب (القلب).

(٢) الصبا: ربح الشرق. - أظنُّ أن أهلي يحبُّون ربح الشرق كما أحبُّ أنا ربح الغرب.

(٣) ... لعل الشاعر يهول أهله لأنهم كانوا هم سبب الابتعاد عنهم ثم يدعو الله أن يحملوا من ألم الفراق مثل ما يحمله هو.

(٤) الحاجب (في الأندلس): رئيس الوزراء (الكتابة غامضة، إلا إذا كان المقصود أن العنوان أحياناً يمكن أن يدل على كلِّ ما في الصحيفة).

(٥) الطليح: الذي بلغ منه المزال (بالضم: التحول) والإعباء (بالكسر: التعب) مبلغاً عظيماً.

(٦) محبوب: يقطع (بطوف). أهوية جمع هواء (مناخ، بالضم). الأقاليم السبعة كان القدماء قد جعلوا القسم المسكون من الأرض - شال خط الاستواء - سبعة أقاليم، أي سبع درجات من المناخ. - يريد أن يقول: إنَّه قاسى الحياة في جميع الأحوال.

(٧) اللجوج (بفتح اللام؟): الشدائد الحصومة. خارجاً بما الشرع (٤): القانون المألوف.

(٨) خليفة الإسكندر (ذو القرنين) الذي قطع البلاد من جانب إلى جانب حتى وصل إلى منقطع الأرض (إلى مكان ليس وراءه بشر في ظنه).

(٩) - لكن الإسكندر المقدوني كان معه جيوش يستأنس بها ويعتمد عليها في دفع الأعداء، أما أنا فلم يكن معي سوى هموم العربة (كنت وحدي وتساوري المخاوف). قائمة (٤)، لعلها: «كان قائماً. مثلاً، حاضراً».

فَطَمَحَتْ نَفْسِي إِلَى مُشَاهَدَةِ الْغَرْبِ الْأَوْسَطِ فَلَاقَيْتُ فِيهَا بَيْنَهَا مِنَ الْمَسَافَةِ مِنَ الْمَسَاقِ مَا لَا يُحْصَرُ. ثُمَّ تَشَوَّقْتُ إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ دَرْبِ بِلَادِ الشَّرْقِ^(١)، فَاسْتَشْرَمْتُ مِنْ هُنَالِكَ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ بِلَادِي مِنَ الْفَرْقِ. وَاخْتَطَيْتُ مِنْ عَيْنِي تِلْكَ الْبِلَاوَةَ^(٢) وَأَنْتَرَعْتُ مِنْ قَلْبِي تِلْكَ الْحَلَاوَةَ..... ثُمَّ نَازَعْتَنِي نَفْسِي التَّوَاقُّةُ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ.... وَجُرْتُ بِمَجْرَجِدَّةٍ وَذُقْتُ تَبَارِجَهُ^(٣). وَقَضَيْتُ الْحَجَّ وَالزِّيَارَةَ^(٤)، وَبَلَيْتُ إِلَى الشَّامِ دِمَشْقَ وَالنَّفْسُ بِالسُّوءِ أَمَّارَةٌ^(٥). فَهِنَالِكَ بَعَثْتُ الزِّيَارَةَ بِالْأَوْزَارِ^(٦)، وَأَلَيْتُ تِلْكَ التِّجَارَةَ إِلَى مَا حَكَمْتُ بِهِ الْأَقْدَارَ^(٧).... فَلِلَّهِ مَا تَضَمَّنَ دَاخِلُهَا مِنَ الْحُورِ وَالْوُلْدَانِ^(٨) وَمَا زَيْنَ بِهِ خَارِجُهَا^(٩) مِنَ الْأَنْهَارِ وَالْجِنَانِ..... وَلَمْ أَزَلْ أَسْمَعُ عَنْ حَلَبَ أَنَّهَا دَارُ الْكَرَمِ وَالْأَدَبِ، فَأَرَدْتُ أَنْ يَحْطِيَ^(١٠) بَصْرِي بِمَا حَظِي بِهِ سَمْعِي. وَرَحَلْتُ إِلَيْهَا وَأَقَمْتُ فِيهَا جَابِراً بِالْمُذَاكِرَةِ وَالْمُعْطَايَةِ صَدْعِي^(١١). ثُمَّ رَحَلْتُ إِلَى الْمَوْصِلِ فَأَلْفَيْتُهَا مَدِينَةً عَلَيْهَا رَوْتُقُ الْأَنْدَلُسِ،

(١٠) جزت (قطعت بحر الزقاق، بين الأندلس وقارة إفريقية) إلى برّ العدوة (الجانب الجنوبي من بحر الزقاق: شمالي إفريقية).

(١١) الغرب (المغرب) الأوسط: القطر الجزائري. إفريقية: (هنا) القطر التونسي. درب بلاد الشرق (الطريق التي تصل بالأسافر من الأندلس إلى الشرق: مصر والشام والحجاز وما وراءها شرقاً).

(٢) استنعر: أضمر (الخوف)، والمقصود (هنا): شعر، أحسن. البلاوة (بالفتح وبالكسر وبالضم) الحسن والرويق (ما يبرّ العين).

(٣) جدّة: مرفأ مكة (على البحر). بحر جدّة: البحر الأحمر. التباريح: الشائد.

(٤) الحجّ: القيام بتماسك الحجّ في الموسم (من الثامن إلى العاشر من شهر ذي الحجّة: الشهر الثاني عشر من السنة الهجرية). الزيارة: زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة.

(٥) بالسوء (بالصل التبيح). «إِنَّ النَّفْسَ لِأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ» (سورة يوسف).

(٦) الوزر (بالكسر): الإثم، الذنب. بعث الزيارة بالأوزار: ارتكبت (في دمشق) ذنباً ذهب بالחסنات التي كنت قد نلتها من زيارة المدينة المنورة.

(٧) آل: صار، رجع. التجارة (هنا): القيام بأعمال قبيحة بعدما قمت بتماسك الحجّ وزيارة المدينة (ما رجعت من الحسنات في الحجّ والزيارة خسرت في ارتكاب الذنوب في دمشق الشام). ما حكمت عليّ به الأقدار (ما كان مكتوباً عليّ أن أعمله من الذنوب).

(٨) الحور جمع حوراء (المرأة الجميلة).

(٩) خارجها (خارج دمشق): ضواحيها (الغوطة ودمر والهامة، الخ).

(١٠) أردت أن يحظى بصري (ينال بصري حظاً) بما حظي به سمي: أردت أن أشاهد ما كنت قد سمعت به (عن حلب).

(١١) جابراً صدي (شقي، كسري): مصلحاً ما فسد من أمري. المذاكرة (ليست في القاموس): مراجعة =

وفيهما لطافة وفي مبانيها طلاوة تروح إليها الأنفس. ثم دخلت إلى مقرّ الخلافة ببغداد فعانت من العظم والضعامة ما لا يفي به الكتب ولو أنّ البحر يمداد^(١). ثم تغلّقت في بلاد المعجم بلداً بلداً، غير مقتنع بغاية ولا قاصداً أمداً^(٢)، إلى أن حلّت ببخارى قبة الإسلام وجمع الأنام. فألقت عصا التسيار^(٣) وعكفت على طلب العلم واصلًا في اجتهاده سواد الليل وبياض النهار.

٤- ** المغرب ٢: ١٧٢ نوح الطيب ٢: ٣٧٠ - ٣٧٤، ٤: ١٨١.

ابن طلحة الإشبيلي

١- هو أبو بكر محمد بن طلحة بن محمد بن عبد الملك بن خلف بن أحمد بن الأسعد ابن حزم الأموي الإشبيلي، ولد في بآبرة في ذي الحجة^(١) من سنة ٥٤٥ (ربيع ١١٥١ م). أخذ القراءة السبع عن أبي بكر بن صاف، وأخذ النحو عن أبي إسحاق ابن ملكون وأبي الوليد جابر بن محمد بن نام. وقد تصدرّ باكراً للتدريس وبقي أستاذاً

-
- أشياء من الجذ (بالكسر) كأنواع العلوم والأخبار التاريخية مع نفر من الناس. المطاوعة: الخوض مع نفر من الناس في شيء من المزج والقصص الخفيف (ثمّ أسر به النفس من غير فائدة عملية).
- (١) مداد: حبر (سائل أسود يستخدم في الكتابة). لو كان عندي حبر بمقدار ما في البحر من الماء ثم كتبت في أحوال بغداد لفرغ (بفتح ففتح فكسر) البحر من مائه قبل أن أفرغ (بضمّ الراء) أنا من تدوين وصف بغداد على الورق. راجع القرآن الكريم (١٨: ١٠٩، سورة الكهف): «قل: لو كان البحر مداداً (بالكسر) لكلمات (بفتح الكاف وكسر اللام) ربّي، لنفد (بفتح ففتح فكسر) البحر قبل أن تنفذ (بفتح العاء) كلمات ربّي.....». فرغ (بكسر الراء) يفرغ (بفتح الراء): خلا، أصبح (الإناء) فارغاً. خالياً. ثم فرغ (بفتح الراء) يفرغ (بضمّ الراء): انتهى (الرجل من عمله).
- (٢) بلاد المعجم (الذين لا يتكلمون اللغة العربية): البلاد الواقعة وراء العراق شرقاً. ولا قاصداً أمداً (غاية): لم أقصد أن أسير في بلاد المعجم مسافة معيّنة.
- (٣) بخارى: عاصمة بلاد ما وراء النهر (جيجون) في أواسط قارة آسيا. ألقت عصا التسيار (المسير): استقررت. سكنت.
- (٤) في بغية الوعاة (ص ٥٠): ولد في منتصف صفر سنة ٥٤٥ ومات بإشبيلية في منتصف صفر سنة

إشبيلية أكثر من خمسين سنة. وكانت وفاته في مُتَّصِفِ صَفَرٍ من سَنَةِ ٦١٨ (٨ / ٤ / م ١٢٢١).

٢- كان ابنُ طلحةَ الإشبيليُّ يُقرئ اللغة والنحو والأدب. وكان يقرئ كُتُباً منها (برنامج الرعيبي ٧٩): الأشعارُ السِّتَّةُ (المعلقات) - كتاب سيبويه (ت ١٨٠ هـ) - شعرُ حبيب (أبي تمام، ت ٢٣٢ هـ) - كتاب الحماسة (لأبي تمام) - إصلاح المنطق (لابن السكيت، ت ٢٤٤ هـ) - الأمثال (كتاب الأمثال لابن السكيت؟) - الكامل (للمبرد، ت ٢٧٦ هـ) - فصيحُ ثعلب (ت ٢٨٦ هـ) - الجُمل (للزجاجي، ت ٣٤٠ هـ) - الإيضاح (في علل النحو للزجاجي؟) - أدب الكُتَّاب (للصولي، ت ٣٣٥ هـ) - النوادر لأبي علي القالي (ت ٣٥٦ هـ) - المقامات (؟ للحريري، ت ٥١٦ هـ)، وكان يُقرئ «على طريقة التفقه والتعلم» (برنامج الرعيبي ٧٩). ولابن طلحةَ شِعْرٌ رقيقٌ خارجٌ عن شعر النُّحاة (نفع الطيب ٣: ٤٧٦).

٣- مختارات من شعره:

- قال ابنُ طلحةَ الإشبيليُّ في غلامٍ كان له شعرٌ وافرٌ ثم قصَّ شيئاً منه:

بدا الهلالُ، فلَمَّا بدا نَقَصْتُ وتَمَّ (١).
كأن جِسمي «فِعْلٌ» وسِحْرُ عَيْنَيْهِ «لَمَّا» (٢).

- وله في الوصف:

إلى أيِّ يومٍ بعده يُرْفَعُ الحَمْرُ؟ وللورقِ تغريدٌ وقد خَفَقَ النَّهْرُ (٣).

(١) يشبه وجه الغلام بالهلال (حينما كان شعره وافرأ ولا يرى إلا جانب صغير من وجهه). فلما قصَّ الغلام شيئاً من شعره بدا جانب أكبر من وجهه (فكأنه أصبح بديراً). نقصت (نقصت قوتي بتقدم السن عن التمتع بشمرات الجمال).

(٢) فعل: فعل مضارع معتل، و«لَمَّا» (من أحرف الجزم) ينقص بها الفعل المعتل (يقول، ينمو: لم يقل، لم ينم).

(٣) - إلى متى يؤجّل شرب الحمر؟ الورقاء: الحماسة. خفق النهر: زاد ماؤه (يكون ذلك في الربيع).

وقد صَقَلَتْ كَفَّ الغزَالَةِ أَقْفَهَا، وفوق مُتَوْنِ الرُّوضِ أُرْدِيَةٌ خُضْرٌ^(١).
وَأَمَّ قَدْ بَكَتْ عَيْنُ السَّمَاءِ بِدَمْعِهَا عليها! ولولا ذاك ما ابْتَسَمَ الزَّهْرُ.

***-٤ برنامج الرعيثي ٧٩- ١٨٠ المغرب ١: ١٢٥٣ بغية الوعاة ٤٩- ١٥٠ نفع الطيب
٤٧٦: ٣- ٤٧٧.

الشريشي

١- هو كمال الدين أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن بن موسى بن عيسى بن عبد المؤمن القيسي الشريشي، وُلِدَ في شريش سنة ٥٥٧ (١١٦٢ م).

تطوَّفَ أبو العباس الشريشي بالأندلس وتلقَى العلمَ على نَفَرٍ، منهم: القاضي أبو الحسن علي بن لبَّال الشريشي (ت ٥٨٣ هـ) والفقير محمد بن سعيد بن زرقون الشريشي (٥٠٢- ٥٨٦ هـ) وأبو بكر بن زهر (ت ٥٩٦ هـ) والقاضي مُصَنَّبُ بن أبي ركب الحُشَني الجبَّائي (ت ٦٠٤ هـ) وعلي بن محمد بن خروف النحوي (٥٢٤- ٦٠٤ هـ) وغيرهم. ورحَلَ الشريشي فزار مِصرَ والشَّامَ.

وتصدَّرَ الشريشي للتدريس في شريش وبلنسية لإقراء اللُغة والنحو والعروض والأدب، كما كان الأديباء يقرأون عليه «شَرَحَه» لمقامات الحريري. وقد كانت وفاته في شريش في ذي الحِجَّة من سنة ٦١٩ (أوائل ١٢٢٣ م).

٢- كان أبو العباس الشريشي واسع المعرفة بعلوم اللغة عارفاً باللغات (لهجات العرب) وبنون النحو والشعر والأدب. وكان مُصَنِّفاً بارعاً له: مُختصر نوادر القالي (ت ٣٥٦ هـ) - شرح الجَمَل للزجاجي (ت ٣٣٩ هـ) - شرح الإيضاح لأبي علي الفارسي (ت ٣٧٧ هـ) - شرح عروض الشعر - علل القوافي - وغيرها. غير أن شهرته تقوم على شرح «المقامات» للحريري (٥١٦ هـ) صنع منه ثلاث نسخ: شرحاً كبيراً وشرحاً وسيطاً وشرحاً صغيراً. وذاع شرح الشريشي للمقامات في أيامه ذيوماً

(١) صقلت كف الغزاة (الشمس) أقفاها (أزالت منه العيون). يرفع (اقرأ: نرفع) فالخمر مؤنثة.

عظيماً، قيل إنّه أجاز سَبْعِمِائَةَ نُسخَةٍ منه، وقد أُقبلَ عليه النصارى واليهودُ ونقلوه إلى عددٍ من لهجاتهم. ذلك لأنّ مقاماتِ الحريريّ نفسها كانت قد وصلت إلى الأندلس ولَقِيَتْ رَواجاً كبيراً ونَسَجَ على ميّزاتها نفرٌ كثيرون. والشريشيُّ قد جَمَعَ شرحه للمقامات من عددٍ من الشروح عليها وأضافَ إليها أشياء كثيرةً من معرفته الواسعة بفنون العلم.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال الشريشيُّ في مُقدِّمة « شرح المقامات الحريريّة » (*):

الحمدُ لله الذي آخَصرَ هذه الأُمَّةَ بأفصحِ الألسنةِ وأفسحِ الأذهانِ وشَرَّفَ علماها بالافتنانِ في أفانين^(١) البلاغةِ والبيانِ....

أما بعدُ: فإنّ العلمُ أربحُ المكاسبِ وأرجحُ المناصبِ وأرفعُ المراتبِ وأنصعُ المناقبِ^(٢)، وجرفةُ أهلِ الهممِ من الأُمَّمِ، ونخلةُ أهلِ الشرفِ من السلفِ^(٣)، لم يَتَقَلَّدْ سِلْكَهُ إِلَّا جَيِّدٌ ماجِدٍ^(٤)، ولم يَتَوَسَّخْ بُرْدَهُ إِلَّا عِطْفُ جادٍ في طلبِ الكمالِ جاهدٍ^(٥)، ولم يَسْتَحِقْ أَسْمَهُ إِلَّا الواحدُ الفَذْلُ^(٦) بعدَ الواحدِ. وهو وإن تَشَبَّهَتْ أفانينُهُ وتَنَوَّعَتْ دواوينُهُ^(٧) فَعِلْمُ الأَدبِ عِلْمُهُ والأُسُّ الذي يُبنى عليه كَلِمُهُ، والرُوحُ الذي يَخِبُ في

(*) راجع ٣: ٢٣٨.

(١) اقْتَرَفَ افتتافاً: تَفَنَّنَ (أكثر أوجه الصناعة، نَوْعَ البحث). أفانين جمع أفنان (جمع فنن - بفتح ففتح: غصن): أنواع.

(٢) الراجح: الثَّقِيلُ، الرِّزِينُ، الوَقُورُ، الكامِلُ العَقْلُ. النَّاصِعُ: الصَّافِي، الواضِحُ. النَّقْبَةُ: الفَعْلُ الكَرِيمُ، المَفْخَرَةُ.

(٣) النخلة: العمل الذي يكسب الإنسان به معاشه.

(٤) تَقَلَّدَ الشيءَ: عَلَّقَهُ في عَنَقِهِ. السِّلْكُ: الحَيْطُ الذي تَنْظُمُ فِيهِ حَبَّاتِ العَقْدِ. المَجِيدُ: العَنُقُ. المَاجِدُ: الذي له مجد (نبل وشرف).

(٥) تَوَسَّخَ بالشيءِ: لَفَّه على أعلى جِده. البُرْدُ: الثَّوبُ من حرير. المِطْفُ (بكسر العين): الجانب الأعلى من الجسم. المَجاهِدُ: الذي يبذل أقصى ما في وسعه.

(٦) الفَذْلُ: الفرد، المتفرد (الذي لا يدهانيه أحد في صفاته الحميدة).

(٧) الأفانون (بضمّ الهمزة): العِصْنُ. الديوان: المجموع من فنّ من النشاط الإنساني (الميدان).

ميدان الطرس قلّمه^(١). ولذلك كان أوّل ما تَقَرَّحُه القرائحُ وأعلى ما تَجَحُّ إليه الجوانح^(٢)..... ولم يَزَلْ في كلِّ عَصْرِ من حَمَلَتِهِ بدرٌ طالعٌ، وزَهْرُ غُصْنِ يانِعٍ، وعَلَمٌ ترنو إليه أبصارٌ وتومئُ إليه أصابع^(٣)؛ وصِنَاعَةُ البراعةِ بَيْنَهُم تَمَكَّنُ وتَنَاصَلُ وتَنوِيعُ البديعِ يَنْضَبُ ويَتَحَصَّلُ، والأخر^(٤) يَكِدُّ ذَهْنَهُ في تَنَمِيمِ ما غادَرَهُ الأوَّلُ، إلى أنْ أعتدلتْ كِفَتاهُ وامتلأتْ صِفَتاهُ وراقَ مُجْتَلاهُ ومُجْتَناهُ وتَناهى^(٥) في الحُسنِ والإحسانِ لَفْظُهُ ومعناه. وكان آخِرَ البُلْغاءِ وخاتمةَ الأدياءِ أوْلُهُمُ بالاستحقاقِ وأوْلَاهُمُ بِسِمَةِ السِّياقِ^(٦)..... أبو مُحَمَّدٍ القاسمُ بنُ عليٍّ الحريريُّ..... قَبَسَطَ لِسَانَ الإحسانِ ومدَّ أفتانَ الافتنانِ^(٧)، ومهدَّ جادَةَ الإِجادَةِ وقَوَى مادَّةَ الإِفاذَةِ، ولم يَبْقُ في البلاغةِ مُتَعَمِّبًا ولا للزِيادَةِ مُتَرَقِّبًا^(٨)، لا سِيما في المقاماتِ التي اِبْتَدَعَهَا والحِكاياتِ التي نَوَّعَهَا وفرَعَهَا^(٩) والمُلَحِّ التي وَشَحَّها بِدُرِّ الفَقْرِ ورَصَّعَهَا^(١٠)، فَإنَّهُ بَرَزَ فيها سابِقًا وبَرَزَ البُلْغاءُ فائِثًا^(١١)..... ولَمَّا كانتْ من البراعةِ بهذا المَحَلِّ الشَهِيرِ وسارتْ مَسِيرَ النَيِّرَيْنِ بَيْنَ مَشايرِ الجَهايرِ^(١٢)، جَمَلتْ الاعْتناءُ بِها سَهْمَ فَهْمِي، والمعكوفَ عليها حَزَمَ عَزْمِي^(١٣) والدووبَ في ضَبَطِ لُغائِها وفَكِّ مُخَبَّاتِها أُمَّ هَمِّي^(١٤)..... فكان أوَّلَ

(١) حَبَّ الفرس: عدا، ركض (أسرع). الطرس: الورقة.

(٢) جنح: مال. الجانحة: الضلع (القلب).

(٣) اليانغ: الناضج؛ ذو اللون الزاهي الجميل. رنا: تطلع. أوماً: أثار.

(٤) الآخر (الذي يأتي فيها بعد).

(٥) الكفة (بكر الكاف): وعاء في كلِّ جانب من جانبي الميزان. الضفة (بكر الصاد): جانب النهر.

راق: حسن. المجتلى: المنظر. المجتسى: القطف، الثمر. تَناهى: بلغ النهاية.

(٦) السمة: العلامة.

(٧) الفتن: النصن. الافتنان: التفتن، الهيمه بالشيه على أشكال مختلفة.

(٨) تعَبَّ الرجل الشيء: تَنَبَّه ليُبصر ما فيه من نقص. ترَقَّب: انتظر.

(٩) - الحريري لم يبتدع (يبتدع) فنَّ المقامات، وإن كان قد توسَّع في موضوعاتها.

(١٠) الملحّة: الكلمة (أو الفتحة) البارعة الحلوة. الدرّة: الجوهرة، اللؤلؤة. الفقرة (بكر الفاء): العظمة في

العمود الفقري (بكر ففتح)، الجملة أو جزء منها. رَصَّعَ: زَيَّنَ.

(١١) بَرَزَ: غلب. الفائق: المتفوق، الذي يزيد في الإحسان على الآخرين.

(١٢) النيران: الشمس والقمر. مشاير الجهاير: المشاير عند الجهاير (٤).

(١٣) سهم فهمي (أوجهٌ إليها كلُّ تشكيري). المعكوف على الشيء: الإقبال عليه والنظر فيه. حزم عزمي

(تأكيد قوِّي = الإصرار بجميع مقدرتي).

(١٤) الدووب: الثابرة. اللغات: الكلمات المختلفة التي تتعارف في المعاني. أُمَّ هَمِّي: أصل اهتمامي ورغبتني.

مَنْ أَخَذَتْ عَنْهُ رَوَايَتَهَا وَتَلَقَّيْتُ مِنْهُ دِرَايَتَهَا بِبَيْلَيْهِ الْفَقِيهِ الْقُرَيْبِيِّ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَزْهَرَ
 الْحِجْرِيِّ^(١) ثُمَّ لَمْ أَدْعُ كِتَاباً أَلْفَ فِي شَرْحِ الْفَاظِهَا وَإِبْضَاحِ أَعْرَاضِهَا... إِلَّا
 أَوْعَيْتُهُ نَظْراً وَتَحَقَّقْتُهُ مُعْتَبِراً وَمُخْتَبِراً^(٢).... وَلَمْ أَتْرُكْ فِي كِتَابِهَا فَائِدَةً إِلَّا
 اسْتَخَرْتُهَا وَلَا فَرِيدَةً إِلَّا اسْتَدْرَجْتُهَا وَلَا غَرِيبَةً إِلَّا اسْتَلْحَقْتُهَا^(٣).... فَاجْتَمَعَ مِنْ
 ذَلِكَ حِفْظاً وَخَطأً أَعْلَاقُ جَمَّةٍ^(٤) وَفَوَائِدُ لَمْ تَهْتَمَّ بِهَا قَبْلِي هِمَّةٌ. ثُمَّ لَمْ أَقْنَعْ بِتَبْيِينِ
 الدَّوَابِّ وَلَا اقْتَصَرْتُ عَلَى تَوْقِيفِ التَّصَانِيفِ حَتَّى لَقَيْتُ بِهَا صُدُورَ الْأَمْصَارِ^(٥)
 وَعُلَمَاءَ هَذِهِ الْأَعْصَارِ، فَبَاحَثْتُ وَنَاقَشْتُ وَتَأَوَّلْتُ وَتَدَاوَلْتُ.... وَأَنَا فِي خِلَالِ
 ذَلِكَ أَلْتَمِسُ مَزِيداً وَلَا أَسْأَلُ بَحْثاً وَلَا تَقْيِيداً، إِلَى أَنْ عَثَرْتُ عَلَى شَرْحِ الْفَنْجَدِيِّ
 لِلْمَقَامَاتِ وَالْفَنْجَدِيِّ هُوَ الشَّيْخُ الْحَافِظُ أَبُو سَعْدٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ
 الْمَسْعُودِيِّ^(٦) مِنْ قَرْيَةِ فَنْجَدِيَّةٍ مِنْ أَعْمَالِ خُرَاسَانَ، فَرَأَيْتُ فِي شَرْحِهِ الْغَايَةَ الْمَطْلُوبَةَ
 وَالْبَغْيَةَ الْمَرْغُوبَةَ.... فَاسْتَأْنَفْتُ النَّظَرَ ثَانِياً، وَشَمَّرْتُ عَنْ سَاعِدِ الْجَدِّ لَا مِتْكَاسَلاً وَلَا
 مَتُوناً^(٧)، وَعَايَنْتُ نَوْرَ الْمَعْنَى فِي نَوْرِ اللَّفْظِ فَاصْبَحْتُ مُجْتَلِياً جَانِياً فَاسْتَوْعَيْتُهُ
 أَيْضاً أُبْلَغَ اسْتِيْعَابِ^(٨) وَقَيَّدْتُ مِنْ فَوَائِدِهِ مَا لَمْ أَجِدْ قَبْلَهُ فِي كِتَابٍ.... فَاسْتَخَرْتُ
 اللَّهَ فِي ضَمِّ مَا انْتَشَرَ مِنْ فَوَائِدِهَا وَنَظَمِ مَا انْتَشَرَ مِنْ فَرَائِدِهَا وَالاعْتِنَاءِ بِتَأْلِيفِ فِي
 الْمَقَامَاتِ يُغْنِي عَنْ كُلِّ شَرْحٍ تَقَدَّمَ فِيهَا وَلَا يُخَوِّجُ إِلَى سِوَاهِ فِي لَفْظٍ مِنْ أَلْفَاظِهَا وَلَا

- (١) القرقي: الذي يقريه القرآن. في نفع الطيب (٢: ١١٥): الشريفي أخذ عن أبي بكر بن أزهر.
 (٢) أوعيته (حفظته) نظراً (جملت فيه كل نظري ودرسي). الاعتبار: التأمل في الشيء.
 (٣) الفريدة (في الأصل): اللؤلؤة، فكرة جميلة. استدراجها: احتلت حتى جعلتها تأتي إلي.
 (٤) حنظلاً (ما كنت قد تلتقته من أفواه الرجال) وخطأً (ما هو مدون في الكتب). العلق (بكسر العين):
 الشيء النفيس الثمين.
 (٥) صدور (كبار العلماء). الأمصار: جمع مصر (بكسر الميم): المدن الكبيرة في المقاطعات (بضداد قاعدة أو
 عاصمة. الكوفة مصر، والبصرة مصر، الخ).
 (٦) هو محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مسعود.... البندمي (أو البنجدبي: نسبة إلى قرية بنج ده) من
 أهل الفضل والأدب والفقه (٥٢٢ - ٥٨٤ هـ)، شَرَحَ مقامات الحريري (راجع بنية الوعاة ٦٦ -
 ٦٧).
 (٧) التواني: التامل والتكاسل.
 (٨) مجتلياً جانياً (راجع، فوق، ص ٢٦٦، الحاشية ٥). استوعب فلان الشيء: أدخله كله في شيء
 آخر.

مَعْنَى مِنْ مَعَانِيهَا . فَتَمَّ مِنْ ذَلِكَ مَجْمُوعٌ جَامِعٌ وَمَوْضُوعٌ بَارِعٌ وَאוَدَعْتَهَا مِنَ اللُّغَاتِ (١)
أَصَحَّهَا وَأَوْضَحَّهَا .

وَكُلُّ ذَلِكَ بِلُطْفِ اللَّهِ تَعَالَى وَبِسَعْدِ مَنْ شَرَفَتْ كِتَابِي بِمُجِدِّمَتِهِ وَبَنَيْتُ تَأْلِيْفِي عَلَى
أَدَاءِ شُكْرِ نِعْمَتِهِ عِمَادُ الْأَنْامِ وَالظُّلْمُ الْمُدَوَّدُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَالْإِسْلَامُ سَيِّدُنَا
الْخَلِيفَةُ الْإِمَامُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ابْنُ إِمَامِ الْأُمَّةِ الرَّاشِدِينَ وَوَلِيُّ عَهْدِهِ سَيِّدُنَا
الْأَمِيرُ الْأَجَلُّ أَبُو يَعْقُوبَ (٢) .

- مَطْلَعُ الْمَقَامَةِ الْأُولَى (الصَّنْعَانِيَّة) لِلْحَرِيرِيِّ:

حَدَّثَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ: لَمَّا أَقْتَمَدْتُ غَارِبَ الْاِغْتِرَابِ، وَأَنَا تَهِي الْمَتْرَبَةَ عَنِ
الْأَنْرَابِ، طَوَّحْتُ بِي طَوَائِحُ الزَّمَنِ إِلَى صَنْعَاءِ الْيَمَنِ، فَدَخَلْتُهَا خَاوِي الْوِفَاضِ
بَادِي الْأَنْفَاضِ، لَا أَمْلِكُ بَلْعَةً وَلَا أَجِدُ فِي جِرَابِي مُضْغَةً .

*** مِنْ شَرْحِ الشَّرِيشِيِّ:

إِنْ قِيلَ: لِأَيِّ مَعْنَى اخْتَارَ الْحَرِيرِيُّ حَارِثًا وَهَمَّامًا وَأَبَا زَيْدٍ دُونَ غَيْرِهِمْ مِنَ
الْأَسْمَاءِ؟ فَالْجَوَابُ أَنَّهُ إِنَّمَا قَضَدَ ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ أَصْدَقُ الْأَسْمَاءِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ: « تَسَمَّوْا بِأَسْمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ . وَأَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللَّهِ عَبْدُ
اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَأَصْدَقُهَا الْحَارِثُ وَهَمَّامٌ، وَأَقْبَحُهَا حَرْبٌ وَمُرَّةٌ » (٣) . وَصِدْقُهَا أَنَّهُ
لَيْسَ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ يَحْرُثُ، أَيْ يُحَاوِلُ الْكَسْبَ أَوْ يَهْمُ بِمَاجِرَتِهِ . وَأَمَّا أَبُو زَيْدٍ، فَإِنَّ
صِدْقَ أَنَّهُ إِنْسَانٌ بَعِيْنُهُ (٤) - كَمَا تَقَدَّمَ فِي الصَّدْرِ (٥) - وَقَعَ الْاِكْتِفَاءُ بِهِ (٦)، وَإِنْ لَمْ
يَصْدُقْ فَقَدْ حَكَى أَهْلُ اللُّغَةِ أَنَّهُ كُنْيَةُ الْكَبِيرِ وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: يُقَالُ لِلشَّيْخِ
الْكَبِيرِ أَبُو زَيْدٍ وَأَبُو سَعِيدٍ؛ وَالسَّرُّوْحِيُّ فِي الْغَالِبِ إِنَّمَا يَصِفُهُ بِالْكَبِيرِ وَالْهَرَمِ . وَإِنَّمَا

(١) اللغات: الألفاظ (المتخلفة والمستعملة في القبائل المتخلفة أو الاماكن المتخلفة).

(٢) أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن ثاني سلاطين الموحدين (٥٥٨ - ٥٨٠ هـ).

(٣) أبو مرة كنية ابليس.

(٤) إذا كان الاسم «أبو زيد» يدل على رجل معين...

(٥) الصدر: التصدير (شبه مقدمة للكتاب). بدأ الشريشي شرح «الصدر» على الصفحة السادسة.

(٦) - لم نحتاج إلى أن نتلصق مقصد الحريري من اختياره.

عَنِي بِالْحَارِثِ بْنِ هَمَّامٍ نَفْسَهُ ^(١) لِأَنَّهُ مِمَّنْ يَحْرُثُ وَيَهْمُ. وَلِذَلِكَ نَسَبُهُ إِلَى الْبَصْرَةِ وَهِيَ بَلَدُ الْحَرِيرِيِّ. وَإِنَّمَا وَضَعَ أَبُو زَيْدٍ كُنْيَةَ لِلدَّهْرِ لِأَنَّ (الْحَرِيرِيَّ) يَصِفُهُ بِأَشْيَاءَ لَا تَلِيْقُ إِلَّا بِالدَّهْرِ.

قوله (اقتعدت) أي ركبته، وأصله اتَّخَذْتُ قُمْدَةً أَوْ قَعُوداً وَهِيَ اسْمَانِ لِلْبَعِيرِ يَقْعُدُ عَلَيْهِ صَاحِبِيهِ. وَ(الْفَارِبُ) مُقَدَّمُ سِنَامِ الْبَعِيرِ. وَ(الْإِغْتِرَابُ) وَالْفُرْبَةُ التَّجَوُّلُ فِي الْبُلْدَانِ وَالْبُعْدُ عَنِ الْأَوْطَانِ.... وَأَرَادَ: لَمَّا اتَّخَذْتُ ظَهَرَ الْفُرْبَةَ قَعُوداً. (أَنَا تَنِي) أَبْعَدْتَنِي. (الْمُتْرَبَةُ) الْفَقْرُ. (الْأَتْرَابُ) الْأَصْحَابُ عَلَى سِنٍّ وَاحِدَةٍ. (طَوَّحْتُ) رَمَيْتُ. وَ(طَوَائِحُ) نَوَائِبُ. وَتَقُولُ: طَوَّحْتُ بِالرَّجُلِ إِذَا رَمَيْتُ بِهِ إِلَى الْهَلَاكِ. وَقِيَاسُ الطَّوَائِحِ الْمَطَاوِحُ...

- قال أبو العباس الشريشي (وهو في مِصْرَ) يتشوق إلى الشام:

يا جيرة الشام، هل من تحوكم خبر؟
 فإن قلبي بنار الشوق يستمر ^(٢).
 بعدت عنكم. فلا، والله، بعدكم،
 ما لذ للعين لا نوم ولا سهر.
 كأنني لم أكن بالنيريين ضحى
 والغيم يبكي، ومنه يضحك الزهر ^(٣)؛
 والورق تشيد، والأغصان راقصة؛
 والدوخ يطرب بالتصفيق والنهر ^(٤).
 والسفح، أين عشيأتي التي ذهبت
 لي فيه؟ فهي، لعمري، عندي العمر!

- وكتب، وهو في الشام (في حلب؟) إلى بدر الدين بن الدقاق ناظر أوقاف

حلب (وفي البيتين جناس بين « كمال الدين » لقب الشريشي و« البدر عند الكمال »
 - التورية في « عند الكمال »):

-
- (١) الحارث بن همّام إشارة إلى الحريري نفسه.
 (٢) استمر: توفد (اشتدّ اشتغاله وكثرت حرارته).
 (٣) النيرب: قرية قرب دمشق على نصف فرسخ منها بين البسائين، وهي أنزه المواضع في دمشق (تاج العروس - الكويت ٤: ٢٥٩). وترد في الشعر مثناة « النيرين ». ويقال اليوم: باب النيرب. والنيرب أيضاً قرية قرب حلب أو ناحية بها. ضحى: أول النهار (بعد ارتفاع الشمس قليلاً).
 (٤) الورقاء: الهامة. الدوحة (بالفتح): الشجرة الكبيرة.

مولاي بدر الدين، صِلْ مُدْنَفًا صَيَّرَهُ حُبُّكَ مِثْلَ الْحِلَالِ^(١).
لا تَخْشَ مِنْ عَارٍ إِذَا زُرْتَنِي. فَمَا يُعَابُ الْبَدْرُ عِنْدَ الْكَمَالِ^(٢).

- ٤ - شرح مقامات الحريري (المقامات الحريرية، المقامات الأدبية، بولاق ١٢٨٤ هـ، القاهرة ١٣٠٠، القاهرة (الطبعة الخيرية) ١٣٠٦ هـ، مصر ١٣١٢، ١٣١٤ هـ.
- ★ فوات الوفيات ١: ١٧٦، الوافي بالوفيات ٧: ١٥٨، برنامج الرعيبي ٩٠ - ٩١، التكملة ١٣٧ - ١٣٨، (رقم ٢٨١)، الذيل والتكملة ١: ٢٦٨ - ٢٧٠، بنية الوعاة ١٤٣، نفع الطيب ٢: ١١٥ - ١١٦، ٣٩٢، ٣: ٤٤٦ - ٤٤٧، النهل الصافي ١: ٣٥٤، بروكلمن (في ترجمة الحريري) ١: ٣٢٧، الملحق ١: ٤٨٧، ٥٤٤، دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الأولى) ٤: ٣٣١، الأعلام للزركلي ١: ١٥٨ (١٦٤)، الداية ٢١٧ - ٢٣٠، سركيس ١٢٢١ - ١٢٢٢.

ابن عبد ربّه المالتقي

- ١ - هو أبو عبد الله محمد بن عبد ربّه المالتقي من أهل الجزيرة الخضراء، له رحلة إلى مِصْرَ تَلَبَّى فيها ابن سناء الملك (ت ٦٥٨). وقد كان كاتباً لأبي الربيع سليمان بن عبد المؤمن (ت ٦٠٤)، كما كان صديقاً لعبد الواحد المراكشي^(٣).
- ويبدو أنّ شهرته بالشعر كانت سنة ٥٩١. أمّا وفاته فلعلمها كانت قريباً من^(٤) ٦٢٠ (١٢٢٣ م).

٢ - كان ابن عبد ربّه المالتقي أديباً ناثراً مترسلاً وشاعراً مُحْسِنًا مُجِيداً له مدحٌ

- (١) الدنف: الشديد المرض والذي قرب من الموت. الحلال (بالكسر) وجمعها أخلة (بفتح الهزرة وكسر الحاء وتشديد اللام): عود رفيع يتخلل به الناس (يخرجون به بقايا الطعام من بين أسنانهم).
- (٢) البدر (قمر السماء - بدر الدين الدقّان). الكمال (كمال القمر: امتلاؤه - وكمال الدين الشريف).
- (٣) قال عبد الواحد المراكشي: «فقال في ذلك صديق لي من الكتاب اسمه محمد بن عبد ربّه (المعجب ٢٩٧، السطر ٨، راجع أيضاً ٢٩٨ - ٣٠٠).
- (٤) قال سعيد العريان (١٣٢٣ - ١٣٨٤ هـ): عبد الواحد المراكشي ألف كتاب «المعجب» في نحو الأربعمين من عمره.... وكان مولده سنة ٥٨١ (فكان تأليف المعجب اذن نحو سنة ٦٢١). وعبد الواحد المراكشي نفسه يقول (المعجب ٢٩٨): «وأنشدته - رحمه الله - يوماً.....»

ورثاه ، ووصفه بارعٌ جداً ، وله مقامَةٌ . وكان مُشاركاً في أشياء من علومِ التعاليم (الرياضيات) والمنطقِ والفلسفة . ثم إنه كان مُصنفاً جمعَ ديوانِ أبي الربيعِ سُلَيْمانَ بنِ عبدِ المؤمنِ ، وله رسالةٌ في صِغَلِيَّةَ ذَكَرَ فيها ما جَرى عليه في مِصْرَ وحَدَرَ من الأسفارِ لِما كان قد قاسى في أثنائها . ويبدو أَنَّهُ لم يَرَوْ له شِعْرٌ كثيرٌ . قال عبدُ الواحدِ المَرَاكشيُّ (المعجب ص ٢٩٩ - ٣٠٠) : « ولأبي عبدِ الله هذا اتساعٌ في صِناعَةِ الشعرِ . إلَّا أَنَّهُ نَحَلَ كثيراً من شِعْرِهِ السَيِّدِ الأَجَلُ أبا الربيعِ سُلَيْمانَ بنَ عبدِ الله بنِ عبدِ المؤمنِ ، أيامَ كِتابَتِهِ له . ولم يَدَعْ بعدَ ذلك في شيءٍ مِمَّا نَحَلَهُ إِياهُ من شِعْرِهِ ، ولا ذَكَرَ أَنَّهُ له . فكان أَكثَرُ شِعْرِهِ يُنشدُ لأبي الربيعِ وتروِيهِ الرِوَاةُ له (لأبي الربيعِ) . عَرَفْتُ ذلكَ بعدَ مُفارقتِهِ إِياهُ (١) ، لأنِّي فَقدْتُ شِعْرَ السَيِّدِ أبي الربيعِ واختَلَفَ عَلَيَّ كِلامُهُ . ورأيتُ بِحَظِّهِ أَشْماراً نازلةً عن رُتْبَةِ الشِعْرِ جداً . فَعَلِمْتُ أَنَّ ذلكَ الأوَّلَ ليس من نَسْجِهِ » .

٣ - مختارات من شعره :

- لابن عبد ربّه المألقي مَقَطَمَاتٌ منها :

- ★ ★ وفي جَنَباتِ الرِوضِ نَهْرٌ ودَوْحَةٌ يَرِوقُكَ منها سُنْدُسٌ ونُضارٌ (٢) .
تقول - وضوءُ البدرِ فيه مُعَرَّبٌ - :
★ ★ ما كُلُّ إنسانٍ أخٌ مُنصِفٌ ولا الليلي أبدأ تُسَيفُ .
فلا تُضِغْ إن أَمَكَنْتَ فِرْصَةً واصحبْ من الإخْوانِ من يُنصِفُ (٣) .
وانتِيفُ من الدهرِ ولو ريشةً ؛ فإننا حَظُّك ما تَنصِفُ .
★ ★ بينَ الرِياضِ وبينَ الجِوِّ مُعْتَرِكٌ بيضٌ من البرقِ أو سُمُرٌ من السُمُرِ (٤) .

(١) كذا في الأصل ، والملموح : مفارقتُهُ ابن عبد ربّه لأبي الربيع سليمان . ولعلّ الأصوب « مفارقتي إياه » (مفارقة المراكشي لابن عبد ربّه) .

(٢) الدوحة : الشجرة العظيمة . يروقك : يعجبك . سندس : أخضر (ورق) . نضار : ذهب (زهر) ، ثمر . والملموح أن ضوء البدر جعل منها جانباً أحر (ككيف يمكن ، إذن أن يرى اللون الأخضر ليلاً) .

(٣) يمكن أن نقرأ : فلا تضغ - أن أمكنت ، فرصة (بالنصب على أنها مفعول به من « تضغ ») .

(٤) راجع الأبيات كلها في ترجمة أبي الربيع سليمان الموحدي (ت ٦٠٤) . هذه الأبيات موجودة في ديوان =

★★ لَمَّا رَأَتْهُ الشَّمْسُ يَفْعَلُ فِعْلَهَا فِي الْعَالَمِينَ مُقَاسِمًا وَمُسَاهِمًا^(١)،
خَافَتْ تَوَالِي الْجُودِ يُنْفِدُ مَالَهُ نَثَرَتْ عَلَيْهِ دَنَانِيرًا وَدَرَاهِمًا^(٢)!

★★-٤ تحفة القادم ٩٤ (رقم ٦٠)، المعجب ٢٩٧ - ٣٠٠، الوافي بالوفيات ٣: ٢٠٣ -
١٢٠٥، المغرب ١: ١٤٢٧، نفع الطيب ٢: ٩٧ - ٩٩، ١١٨ - ١١٩، ٦: ٢٥١ -
٣٥٦.

أبو عبد الله محمد بن أصبغ (ابن المناصف)

١- هو أبو عبد الله محمد بن عيسى بن محمد بن أصبغ الأزدي القرطبي المعروف بابن المناصف. كان أهله من ساكني الأندلس، ولكن والده عيسى غادر الأندلس في أثناء الفتننة التي تلت انقضاء عهد المرابطين (٥٤٣ هـ). ولعل هذه الفتننة قد دامت إلى سنة ٥٥٧ هـ (١١٦٢ م) حينما استطاع السلطان عبد المؤمن بن علي من استخلاص غرناطة.

وأنقل عيسى إلى إفريقية (القطر التونسي) وسكن مدينة المهديّة، وفيها ولد أبنته محمد (صاحب هذه الترجمة)، في رجب (في سنة ٥٦٣ هـ) ونشأ.

وولي أبو عبد الله محمد بن عيسى في الأندلس قضاء مدينة بلنسية ثم قضاء مدينة مرسية. بعدئذ صرف عن القضاء فسكن حيناً في قرطبة. ثم بدا له أن يرحل عن الأندلس فانتقل إلى مصر وسكنها مدة يسيرة عاد بعدها (في الأغلب) إلى قرطبة. وأخيراً أنتقل إلى المغرب ونزل في مدينة مراكش إلى أن توفى سنة ٦٢٠ هـ (١٢٢٣ م).

= أبي الربيع (راجع نفع الطيب ٢: ٩٨، الحاشية ٣ - في الوقت الحاضر ٤/ ١٩٧٦ لم أستطع الحصول على الديوان للأحوال الحاضرة). ولكنها في نفع الطيب والمعجب تروى لابن عبد ربه المالتي.

- (١) يمم الناس كلهم مجوده كما تمم الشمس جميع الأرض بنورها.
(٢) دنانير (جمع دينار على مفاعل. والشهور جمعه على مفاعيل: دنانير). نثرت (الشمس) عليه دنانير ودراهم: وقع عليه نورها أبيض وأصفر (كالدرهم والدنانير).

٢- كان أبو عبد الله محمد بن أَسْبَغَ فقيهاً متينَ العِلْمِ فيها يتعلَّقُ بالأصول والفروع، كما كان لغوياً وأديباً وشاعراً. ولكن يبدو - من الأبيات القليلة التي وصلت إلينا من شعره - أن شعره عاديٌّ. ثم إنه كان مُصنِّفاً له: السيرة النبوية - تنبيه الحكام في الأحكام (تنبيه الحكام في سيرة القضاة وقبول الشهادات وتنفيذ الأحكام والحسبة ٢) - مُذهبة في نظم الصفات من الحلى والشيات (أرجوزة، نحو ألف بيت، في اللغة) - مُعقِّبة (تعقيب أو ملحق للمذهبة) - أصول الدين.

٣- مختارات من شعره:

- قال أبو عبد الله بن المَنَاصِف (نفع الطيب ٤ : ٣٠٥):

أَلْزَمْتُ نَفْسِي خُمُولًا عَنِ رُتْبَةِ الْأَعْلَامِ (١)؛
لَا يُخَفُّ الْبَدْرُ إِلَّا ظُهُورَهُ فِي تَامِ (٢).

- وقال (المغرب ١ : ١٠٦):

تَغِيَّبَ عَنِّي وَقَلْبِي لَدَيْكَ رَهْنٌ مُعَذَّبٌ (٣)؛
فَرَدَّهُ لِي وَبِنَ حَيْدِ مَا تَشَاءُ وَتَقَيَّبُ (٤)؛
أَلَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي طُولَ الدُّجَى أَتَقَلَّبُ (٥)؛
فَجُذِّعْتَنِي بِطَيْفٍ، إِنْ كُنْتَ فِي الْوَصْلِ تَرْغَبُ؛
إِنْ لَمْ تَلْجُحْ لِي بِدْرًا، فَلَجَحْ - فَذُبْتُكَ - كوكب (٦).

(١) الأعلام جمع علم (بفتح ففتح): الرجل البارز في قومه المشهور.

(٢) خسوف القمر لا يكون إلا إذا صار القمر بدرًا (عند قامه).

(٣) رهن: مرهون (عميس).

(٤) بن (فعل أمر من « بان »: ابتعد).

(٥) طول الدجى = طول الليل.

(٦) تلوح: تظهر (تأتي لزيارتي). تلوح بدرًا (كناية عن امتلاء القمر وقامه): كثيرًا. لج لي كوكبًا (قليلًا). - كان القدماء يعتقدون أن القمر أكبر من النجوم (ولم يعرفوا أن النجوم تظهر صغيرة لبعدها - ثم عرفوا هذه الحقيقة. ولكن الأدباء ظلوا يأخذون بالنظرة القديمة لموافقها للخيال والشمس).

٤- ** التكملة ٣٢٥ - ٣٢٦ المغرب ١: ١٠٥ - ١٠٦ الوافي بالوفيات نيل الابتهاج
 ٢٢٨ - ٢٢٩ نفع الطيب ٤: ٣٠٥ بروكلمن ١: ٤٨٠ - ٤٨١ الأعلام للزركلي
 ٢١٤ : ٧ - ٢١٥ (٦ : ٣٢٢ - ٣٢٣) معجم المؤلفين ١١ : ١٠٧ - ١٠٨ .

ابن سالم الملقبي

١ - هو أبو عمرو سالم بن صالح بن علي بن صالح بن سالم الهمداني الملقبي، وُلِدَ نحو سَنَةِ ٥٥٧ للهجرة (١١٧٠ م) وتلقَى العلمَ على أبيه وعلى جماعةٍ كبيرة. ويبدو أنه لم يرحلْ ولكنه راسلَ نَفرًا من علماء المشرق في مِصرَ والحِجاز فكتبوا إليه بإجازتهم له. وكانت وفاته في ثامنِ عَشَرَ رَمَضانَ من سَنَةِ ٦٢٠ (١٢٢٣ م).

٢ - كان ابنُ سالمِ الملقبي طيبَ النفسِ سليمَ الصدرِ جميلَ الصُحبةِ متواضعاً مائلاً إلى الزُّهد. وكان متسعَ الرواية (في الحديث) مُعْتَنياً بالتقيد (بتدوين الروايات) جيدَ الضبطِ لِمَا يُدَوِّنُ. ثم كان أديباً حافلاً حاشداً (يكثُرُ الناسُ في مجالسه) حَسَنَ الحديثِ كثيرَ الإمتاعِ ناظماً ناثراً يُنسَبُ إليه شعرٌ قليلٌ جيدٌ.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال ابنُ سالمِ الملقبي (راجع الذيل والتكملة ٤: ٥)^(١):

عَزَّ مَنْ لَا يَمُوتُ، يَا مَنْ يَمُوتُ، وَتَعَالَى فَلَمْ تَنْلُهُ التُّعُوتُ^(٢).
 إِنَّ دُنْيَاكَ هَذِهِ غُرَّةٌ، مَا لِثَبَاتِ الْأَنَامِ فِيهَا ثُبُوتُ^(٣).

(١) قال مؤلف «الذيل والتكملة»، محمد بن محمد بن عبد الملك المراكشي (٦٣٤ - ٧٠٣ هـ): «ومن شعره (شعر ابن سالم الملقبي) ما أنشدته على شيخنا أبي الحسن الرعيني (٥٩٢ - ٦٦٦ هـ)». ويقول الرعيني نفسه في برنامج شيوخه (ص ١٠٧): «وجدت منسوباً لشيخنا أبي عمرو (ابن سالم الملقبي) المذكور (يقصد الأبيات: عز من لا يموت، يا من يموت)، ولا أحققها له».

(٢) من لا يموت: الله تعالى. من يموت = الإنسان. التمتع: الوصف (إن الله لا يمكن أن يوصف بصفة يعرفها البشر). تعالى: ارتفع عن مشابهة المخلوقين وتزهد عن صفاتهم (عن أن يشبه أحداً من خلقه أو يشبه أحد من خلقه).

(٣) غرّة - بقصد: غرور (بفتح) وضمّ بلا شدّة - أو غرارة (بالشدّيد): خداعة (تخدع الإنسان الغافل =

فَأَثَرُكُنْهَا فَإِنَّهَا أُمُّ دَفْرِ لِبَيْنِيهَا غَرَارَةٌ خَلْبُوتٌ^(١).

٤-★★ برنامج الرعيبي ١٠٥-١١٠٧ الذيل والتكملة ٤: ٢-٦.

أبو الحسن بن حريق

١- هو أبو الحسن عليُّ بنُ محمدِ بنِ سَلَمَةَ بنِ حريقِ المخروميِّ البَلَنْسِيِّ، وُلِدَ في بَلَنْسِيَّةَ سَنَةَ ٥٥١ هـ (١١٥٣ م).

تَكَسَّبَ أَبُو الْحَسَنِ بنُ حريقِ بِالشُّعْرِ، رَأَيْنَاهُ بُعِيدَ ٦٠٠ هـ (١٢٠٣ م) فِي جَيَّانَ يَدْحُ إِبْرَاهِيمَ بنِ مُحَمَّدِ بنِ صَنانِيدَ - وَكَانَ أَبُوهُ وَالْيَا عَلَى جَيَّانَ. ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى سَبْتَةَ فِي أَيَّامِ الْمُسْتَنْصِرِ الْمُوَحَّدِيِّ (٦١١ - ٦٢٠ هـ) لِيَمْدَحَ وَالْيَا ابْنَ عَبْدِ الصَّمَدِ. وَكَانَتْ وَفَاةُ أَبِي الْحَسَنِ بنِ حريقِ فِي بَلَنْسِيَّةَ سَنَةَ ٦٢٢ هـ (١٢٢٥ م).

٢- كَانَ أَبُو الْحَسَنِ بنُ حريقِ مُتَّبِعِرًا فِي اللُّغَةِ وَالْأَدَبِ، حَافِظًا لِأَشْعَارِ الْعَرَبِ وَأَيَّامِهِمْ. وَكَانَ شَاعِرًا ذَا بَدِيهَةٍ، مُتَصَرِّفًا فِي الْمَدْحِ وَالْوَصْفِ وَالنَّسَبِ، وَلَهُ هَجَاءٌ لَطِيفٌ وَمَوْشَحَاتٌ. وَقَدْ أَلَّفَ عَدَدًا مِنْ كُتُبِ الْأَدَبِ.

٣- مَخْتَارَاتٌ مِنْ شِعْرِهِ:

- قَالَ أَبُو الْحَسَنِ بنُ حريقِ يُفَضِّلُ سُكْنَى بَلَنْسِيَّةَ مَعَ مَا كَانَ يَنْزِلُ فِيهَا مِنْ مِصَابِيحِ الْجَمُوعِ وَالْحَوَافِ عَلَى أَيْدِي الْإِسْبَانِ فِي أَوَاخِرِ أَيَّامِهَا:
بَلَنْسِيَّةَ قَرَارَةٌ كُلُّ حُسْنٍ حَدِيثٌ صَحَّ فِي شَرْقٍ وَغَرْبٍ.

= القليل التجربة). ثبوت: دوام (ثبات الأنام فيها ثبوت - لا وجه لاستعمال ثبات وثبوت في تركيب واحد). ولكن إذا نحن أخذنا صيغة «ثبيت» (العاقل) من المصدر «ثبات»، وضع المعنى قليلاً: «ثبات الأنام (الناس)، أي صحة عقولهم (تأما يدل على سلوكهم في الدنيا) لا ثبوت له (لا يقوم عليه عندنا دليل».

(١) أم دفر: الداهية، العصيبة الكبيرة - وبها سببت الدنيا: أم دفر (لكثرة المصائب فيها)، راجع تاج العروس - الكويت ١١: ٣٠٤. وفيه أيضاً (٢: ٣٧٨) رجل خلبوت: خذاع، كذاب.

فإن قالوا: مَحَلُّ غَلَاءِ سِفْرِ
فَقُلْ: هِيَ جَنَّةٌ حُفَّتْ رُبَاهَا
ومسقط ديتي طغني وضرب؛
بمكروهين من جوع وحرب.

- قال في الوقوف على أطلال الأحيّة:

يا صاحبيّ - وما البخيلُ بصاحبي -
أتمرُّ بالعرصاتِ لا تبكي بها،
هيهات! لا ربحُ اللواعجِ بَعْدَهُمْ
يا سعدُ، ما هذا المقامُ وقد مضوا؟
جاروا على قلبي بسحرِ جفونهم؛
وأبى الهوى إلا الحلولَ يَلْعَلُ.
لم يدبرِ أين ثووا فلم يسألِ بهم
وكأنهم في كلِّ مدرجٍ ناسم؛
فإذا منحتمهم السلامَ تبادرت
هذي الديارُ، فأين تلك الأدمعُ^(١)؟
وهي المعاهدُ منهم والأربعُ^(٢).
رهُو، ولا طيرُ الصبابةِ وقَعُ^(٣).
أتقيمُ من بعدِ القلوبِ الأضلعُ^(٤)!
لا زال يشعبه الأسي ويصدعُ^(٥).
ويح المطايا، أين منها لعلُّ^(٦)!
ريحاً تهبُّ ولا بُرَيْقاً يَلْمَعُ^(٧).
فعلَيْهِ مِنْهُمْ رِقَّةٌ تَتَضَوُّعُ^(٨)
تبليغُه عني الرياحُ الأربعُ!

- وقال في فناء اللذاتِ إلا قليلاً منها:

وما بقيت من اللذاتِ إلا
ولثمك وجنتي قمرٍ منير
مُحَادَثَةُ الرِّجَالِ عَلَى الشَّرَابِ،
يَجُولُ بِخَدِّهِ مَاءَ الشَّبَابِ.

- (١) هذه ديار الأحيّة (ومن عادة الزائر أن يبكي إذا لم يجد أحبابه في ديارهم)، فأين الأدمع (أدمعي أنا: لماذا لا أبكي).
- (٢) العرصة: الفسحة أمام الدار. المعهد والربيع: المكان المهد للكن.
- (٣) اللاعج: النار المتوقّدة (نار الحب في القلب). رهو: ساكن، هادي. الصبابة: الحب. وقَع جمع واقع: موجود على غصن أو في وكره. - سيكون حزني بعد فراقهم شديداً، ولن أتمتع بجي.
- (٤) يا سعد (الشاعر يخاطب رفيق سفره)، لماذا نظل واقفين وأهل الدار قد رحلوا؟
- (٥) سب وصدع: شق. الأسي: الحزن.
- (٦) الهوى: الحب، المحبوب. لعلع اسم مكان (بكني به الشاعر عن البعد).
- (٧) ثوى: استقر، أقام، سكن.
- (٨) مدرج: ناسم: المكان الذي تهب عليه الريح فتترك عليه علامات من هبوبها. - كأنهم يسكنون في كل مكان، ففي كل مكان تجد رائحتهم الطيبة رفة (كدا في الحرب ٢: ٣١٩).

٤-★★ زاد المسافر ٦٤ - ٦٩ (رقم ٧)؛ المغرب ٢ : ٣١٨ - ٣٢٠ ، ٣٣٩ - ٣٤١ (موشحة)؛ فوات الوفيات ٢ : ٨٨ - ٨٩ التكملة، ٦٧٩ (رقم ١٨٩٥)؛ الذيل والتكملة رقم ٥٥٣ (١ : ٢٧٥ - ٢٧٧)؛ صلة الصلة ١٢٩٩ بغية الوعاة ٣٤٦ نفع الطيب ٢ : ١١٦ ، ٣ : ٤٠٩ - ٤١١ ؛ نيكل ٣٣١ مختارات نيكل ١٨٩ - ١٩٠ ؛ الأعلام للزركلي ٥ : ١٥٢ (٤ : ٣٣١).

ابن الفكون

١- هو أبو علي حسن بن علي بن عمر القسطيني^(١)، ويُعرف بابن الفكون، من أهل قسطنطينة. اتصل ابن الفكون بولادة بني عبد المؤمن (الموحدين) في بجاية ومدحهم. وفي سنة ٦٠٢ هـ جاء الخليفة الموحدي محمد الناصر إلى قسطنطينة فمدحه أيضاً. ثم كانت لابن الفكون رحلة إلى مدينة مراكش (لعلها متأخرة). وكانت وفاته في أوائل القرن السابع للهجرة (أوائل القرن الثالث عشر للميلاد)*.

٢- ابن الفكون فقيه وأديب وشاعر. كانت شهرته في الشعر، إذ كان شاعراً مكثرًا بارعاً في التوشيح. «وهو من الأدباء الذين تُستظرف أخبارهم وتروق أشعارهم»^(٢)، ولكن عليه ما أخذ كثيرة في شعره، فإن عدداً من أبيات شعره مختل الوزن وفي عدد منها لحن^(٣) (أخطاء في النحو). ولما رحل ابن الفكون إلى مراكش نظم قصيدة ذكر فيها البلدان التي مر بها بين قسطنطينة ومراكش. والأوصاف التي جعلها ابن الفكون للمدن التي مر بها أوصاف عامة، وفي أكثر الأحيان غير مناسبة للموضوع لأن تلك الأوصاف تدور على أغراض من الغزل (وفي هذه القصيدة ما أخذ كثيرة من اللغة والنحو والعروض).

(١) في نفع الطيب (٢ : ٤٨٣ ، السطر الأول) : القسطيني (بالميم مكان النون الأولى).

(٢) سنة ٦١٩ (٥).

(٢) «عنوان الدراية» : ٢٨٠.

(٣) راجع «عنوان الدراية» : ٢٨٤ - ٢٨٦.

- قال أبو عليّ حسنٌ بنُ الفكَونِ يَصِفُ قَصْرَ الرَّبيعِ^(١):

عَشَوْنَا إِلَى نَارِ الرَّبيعِ ، وَإِنَّمَا عَشَوْنَا إِلَى نَارِ النَّدى وَالْمَحَلِّقِ^(٢) .
رَكِبْنَا بُواديهِ جِيادَ زوارِقِ نَزَلْنَا إِلَيْهَا عَن ضَوامِرِ سُبُوقِ^(٣) .
وَحُضْنَا حِشاهُ وَالأَصيْلُ كَأَنَّهُ بَصَفَحْتَهُ تَبدي مَروقِ زَنْبِقِ^(٤) .
وَسَيَدُنَا قَد سار فِيهِ لِأَنَّهُ بِرُورِقِهِ إِنسانٌ مُقَلَّةِ أَرْزِقِ^(٥) .
فَقَلتِ وَطَرْفِي يَحْتَلِي كُلَّ عَيْبَرَةٍ وَزورِقُهُ يَهوي بِنا ثمَّ يَرْتَمِي:
أيا عَجَباً لِلبحرِ عَبَّ عُبَابُهُ تَجَمَّعَ حَتَّى صارَ فِي بَطْنِ زُورِقِ^(٦) .
وَلَمَّا نَزَلْنَا ساحةَ القَصْرِ راعِنًا بِكُلِّ جِبالٍ مُنْجِحِ الطَّرْفِ مَرْتَقِ
فما شِئتَ مِن ظِلِّ وَرِيفٍ وَجَدُولِ وَرِوضِ مَتى تَلَمِّمُ بِهِ الرِّيحُ يَعْبِقِ^(٧) .
وَشادٍ مَعانِي!! الحُسْنِ فِي نَعْماتِهِ يُطارِحُهُ هَدْرُ الحَمَامِ المُطَوِّقِ^(٨) .

- (١) في عنوان الدراية (ص ٢٨١، الحاشية الأولى): الأنسب أن يقال: قصر الرفيع، والرفيع قصر بناه الموحّدون في مجاية، ووصفه الشاعر لما زار مجاية ومدح واليها من سادات بني عبد المؤمن (الموحّدن).
- (٢) عشى الرجل النار يشوها: رآها من بعيد فقصدها. الندى: الكرم. المحلق: والمحلّق بن حنم كان رجلاً مثناً (نسله كلّه بنات)، وكان من عوامّ الناس. جاء مرّة إلى الشاعر الأعشى في المجاهلية (ومنحه شيئاً سيراً) وطلب منه أن ينوّه بيناته. فأنشد الأعشى فيه، في عكاظ أبياتاً منها:
لعمرى، لقد لاحت عيون كثيرة إلى ضوء نـار بالينـاع تحرق،
تنبّ لقرورين يصطليانها، وبنات على النار الندى والمحلّق.
- فتزوّجت بنات المحلق كلهن.
- (٣) يشبه الزوارق بالمجاد (الخيل). الضامر: الحصان الخفيف البطن (ويكون سريعاً). السبق جمع سابق.
- (٤) إذا سكنا الباء في « تبدي » وشدنا الواو في « مروق » يستقيم الوزن، ولكن يطلّ المعنى غامضاً.
- (٥) فيه (في البحر أو النهر). إنسان مقلة أزرق (بؤبو العين: أكرم الناس). أزرق (البحر!).
- (٦) عبّ عبابه: نماظم موجه. تجمّع حتّى صار... اجتمع البحر كلّه (العلم والكرم) في الخليفة محمّد الناصر وهو راكب زورقاً. فالبحر (محمّد الناصر) يركب في زورق يسبح في بحر (مجتمع من الماء).
- (٧) وريف (مصدر « ورف »): أتسع. ويجوز وصف الاسم بالصدر. تلمم: تمرّ به مرّاً خفيفاً. يعبق: تنتشر منه رائحة طيبة.
- (٨) في الأصول: وشادي منافي. هدر الحمام: ردّد صوته، غتّى. المطوق: الحمام ذوات الطوق (ريش مغاير للون العام في الحمامة يكون حول عنقها كالطوق أو كالمقد).

فيا حسنَ ذاكِ القصرِ لا زالَ أهلاً، ويا طيبَ ربِّها نَشْرهُ المُتَشَقُّ.
 رَتْنَا بهِ في رَوْضَةِ الأَنْسِ بعدَما هَصَرْنَا بهِ غُصْنَ المَسْرَةِ مورقاً^(١)
 وبُضْحِكُنَا طُولُ الوِصَالِ، وربِّها يَمُرُّ على الأوهامِ ذِكْرُ التَفَرِّقِ،
 فَتُضْحِي مَصُونَاتُ الدُمُوعِ مُدَالَّةً ونحنَ على طِرْفِ من الدهرِ أبلقاً^(٢).
 لِيُثْلِحَها من مَنزَرِهِ ونَزَاهِةً يُجَرِّرُ ذَيْلَ الدَّلِّ كُلُّ مُوقِّقٍ^(٣).
 فَلِلَّهِ سَاعَاتٌ مَضَيْنَ صَوَالِحُ عليهنَّ من رَقِّ الصبَا أي رَوْتوقاً^(٤).
 خَلَعْنَا عَلَيْهَا النُّسْكَ إِلا أَقْلَهُ، وإن عَاوَدَتْ نَخْلَعُ عَلَيْهَا الَّذِي بَقِيَ.

- وله، نثراً، مِمَّا أَلْحَقَهُ بِقَصِيدَتِهِ القَافِيَةَ:

ولَمَّا نَضَبَ ماءُ الأَصِيلِ ورَقَّ نَسِيمُهُ العَلِيلُ، وَهَمَّ العَشِيُّ بِانْصِرَامِ وودَعَ النَهَارُ
 بِسَلامٍ، وأرْخَى اللَيْلُ لَوَقْنَا سُدُولَهُ وَجَرَّرَ على الأُفُقِ ذُيُولَهُ، عُدْنَا إلى زَوْرُقِنَا ذلكِ
 وَمُحَيَّا الجَوَّغِ غيرَ مُحتَجِبِ ووجهُ الأُفُقِ غيرَ مُتَلَفِّعٍ بِثُوبِ النِّعَامِ ولا مُنْتَقِبِ.

- من قصيدته في السفر إلى مَرَاكُش:

وَجِئْتُ بِجَايَةِ فَجَلَّتْ بُدُوراً يَصِيقُ بِوصفِهَا حَرْفُ الرَّوِيِّ^(٥).
 وفي أرضِ الجزائرِ هَامَ قلبي بِمَسْئولِ المَراشِفِ كوثريّ.
 وفي مِلْيَانَةِ قَدِ ذُبْتُ شَوْقاً بِلِينِ العِطْفِ والقَلْبِ القَسيّ^(٦).

(١) هصر الغصن: شدَّ به ليقطف ما عليه من الثمر. مورق (حقها النصب على أنها « حال »). ولكن يجوز أن تكون: هصرنا بغصن للمسرة مورق فتستقيم القافية والوزن أيضاً.

(٢) مدالة: مهانة (مرسلة بكثرة). في الأصل « هدالة » (ولا معنى لها، لعلها خطأ مطبعي). الطرف (بالكسر): الكريم من الناس ومن الخيل (وأكثر ورودها متصلة بالخيل). الأبلق: ما كان فيه سواد وبياض. « ونحن على طرف من الدهر أبلق » (فيه بياض وسواد: في حياتنا سرور وحزن؟).

(٣) الدل: الدلال، أو الإدلال (جرأة المحبوب على المحب في المطالب وفي المعاملة)، وحسن الحديث (مع الإعجاب بالنفس ومع الثقة بإعجاب الآخرين).

(٤) الروتوق: الحسن، المبال الذي يعجب العين. أي روتوق: روتوق كثير.

(٥) حرف الروي: الحرف الأصيل في القافية (وهي الياء المشددة، في هذه المقطوعة). لا يفي الشعر بوصفها.

(٦) العطف: الجانب الأعلى من الجسد. القسي: القاسي.

وأبدت لي تِلْمَسَانُ قُدوداً جَلَبَنَ الشَّوْقَ للقلْبِ الحَلْبِي^(١) .
وأطْلَعَ قَطْرُ فاسٍ لي شُوساً مَفَارِبُهُنَّ في قَلْبِي الشَّجِي^(٢) .
وفي مَرَاكُشٍ، يا ويحَ قَلْبِي، أتَى الوادي فَطَمَ على القَرِي^(٣) :
بدورٌ بل شُوسٌ بل صباح بَيْهِي في بَيْهِي في بَيْهِي^(٤) .
فها أنا قد تَخِذْتُ القَرَبَ داراً وأذعَى اليوم بالْمَرَاكُشِي .
فلي قلبٌ بأرضِ الشرقِ عانٍ، وجسْمٌ حلَّ بالقَرَبِ القَصِي^(٥) .

٤- ** عنوان الدراية ٢٨٠ - ١٢٨٦ نفع الطيب ٢ : ٤٨٣ - ٤٨٤ معجم أعلام الجزائر
٦٦ - ٦٧ الطهار ٧٧ - ١٨٠ الأصالة ٤ : ١٩ (ص ١٠٦).

أبو القاسم بن هشام القرطبي

١ - كان لأبي الوليدِ هشامِ الأزديِّ القرطبيِّ أبنان: عامرٌ (ت ٦٢٣) وكُنيتُهُ أبو القاسم ثم أبو بكر (٦٣٥) وكُنيتُهُ أبو يحيى . وكانا كلاهما شاعرين . وربّما اختلطتْ حقائقُ حياتِهما ومُفرداتُ آثارِهما في عددٍ من المصادر .

وصاحبُ هذه التَرْجَمَةِ هو أبو القاسمِ عامرُ بنُ هشامِ القرطبيِّ كان مشهوراً بالبَطَالَةِ والمُنَادِمَةِ مُفْرَماً بِشُربِ الخمرِ مُسْتَهْتِراً بأنواعِ اللّهُو ثم صَلَّحَتْ حالُهُ بعد ذلك وأقبلَ على النُّسْكِ . وكانت وفاته سنة ٦٢٣ (١٢٢٦ م) .

٢ - كان أبو القاسمِ بنُ هشامِ القرطبيِّ أديباً مُحَسَّناً في النثر والشعر، في القصائد والمُقطَّعات . وأغراضُ شعره الخمر واللّهُو والمُجون . وكان إذا أراد الجِدَّ أتى

(١) الحَلْبِي: الذي لم يعرف الحبَّ بعد .

(٢) الشَّجِي: الذي اجتمع عليه المَهْمُ والحزن .

(٣) طَمَ الوادي على القَرِي، مثل: الوادي: النهر، السيل . القَرِي: سيل ماء - يقصد: مَرَاكُشِ تفوق كلِّ البلدان في الجبال .

(٤) هذا البيت ضعيف جداً .

(٥) عانٍ: أسير . القَرَبِ القَصِي (البعيد بالإضافة إلى القطر الجزائري والقطر التونسي) .

بالشعر الجزل المتين (كما نرى في المقطوعة الضادية). ويبرز في شعره الأدب (الحكمة) والمعنصر الشخصي (كما نرى في قصيدته النونية الطويلة). وقيل: كانت له موشحات.

٣ - مختارات من آثاره:

- رقت حال أبي القاسم بن هشام القرطبي فنصح بعض إخوانه بأن يذهب إلى بلاط الموحدين في سراكش (للتكسب) فأبى وقال قصيدة يذكر فيها ذلك ويتغزل بقرطبة. من هذه القصيدة:

يا هبةً باكرت من نحو دارين،	وأفتت إلي على بُعد تحيبي ^(١) ،
سرت على صفحات النهر ناشرة	جناحها بين خيرتي ونسرين ^(٢) .
رددت إلى جسدي روح الحياة، وما	خلت النسيم إذا ما مبت يحييني.
أهدت إلي أرجياً من شائلكم	فقلت: قربي من كان يقصيني ^(٤) !
يا من يزين لي الترحال عن بلدي،	كم ذا تحاول نسلأ عند عيني ^(٥) !
واين يعدل عن أرجاء قرطبة	من شاء يظفر بالدنيا وبالدين ^(٦) :
قطر فسيح، ونهر ما به كدر	حمت بشطيه ألفاف البساتين ^(٧) .
يا ليت لي عمر نوح في إقامتها،	وأن مالي فيها كنز قارون ^(٨) :
كلاهما كنت أفيه على نشوا	ت الراح نهبا وصل الحررد العين ^(٩) .
وإننا أسني أنني أهيم بها	وأن حظي منها حظ مغبون.
أرى بعيني ما لا تستطيل يدي	منه، وقد حازه من قدره دوني ^(١٠) .

(١) دارين بلد في البحرين وفي الشام مشهور بالطيب (المسك).

(٢) الحيري: نبت له زهر طيب الرائحة. النسرين: ورد أبيض اللون (له رائحة طيبة).

(٤) الأريج: الرائحة الطيبة. الشائل (جمع شال بالفتح): الصفات. أقصاه: أبده.

(٥) العينين: الذي لا يقوى على الجماع.

(٦) يعدل: يميل (يجر).

(٧) ألفاف جمع ليف: مجموع من الشجر يقرب بعضها من بعض.

(٨) قارون: رجل كان غنياً جداً.

(٩) الراح: الحمر. الحرردة (الجميلة) العين (جمع عيناه: واسعة العينين).

(١٠) استطال مستمثلة في غير المعنى القاموسي (بمقصد: نال، وصل إلى).

وَأُنكِدُ النَّاسَ عَيْشًا مِنْ تَكُونُ لَهُ
لَا تُجَنِّتِي رَاحَةً إِلَّا عَلَى تَعَبٍ،
وَصَاحِبُ الْعَقْلِ فِي الدُّنْيَا أَحْوَكُ كَدْرٍ؛
يَا أَمِيرِي أَنْ أَحُثَّ الْعَيْسَ عَنْ وَطَنِي
نَصَحْتُ؛ لَكِنَّ لِي قَلْبًا يُنَازِعُنِي.
لَأَلْزَمَنَّ وَطَنِي - طَوْرًا تُطَاوِعُنِي
مُدَّلًّا بَيْنَ عِرْفَانِي، وَأَضْرِبُ عَنْ
هَذَا يَقُولُ: غَرِيبٌ سَاقَهُ طَمَعٌ؛
لَأَضْبِرَنَّ عَلَى مَا كَانَ مِنْ كَدْرٍ

- وَهِيَ مَقْطَعَاتٌ مِنْهَا:

★★ وَمَا زَادَ فِي شَجْوِي وَأَبْكِي
تَعَوَّضَ بِالْحِجَارَةِ عَنْ حُجُورِي،
★★ الْفَقِيهُ ابْنُ نَصِيرٍ
صَغِيرُ السِّنِّ مُقْتَبِلُ الشَّبَابِ (٧)،
وَصَارَ عَنِ التَّرَائِبِ لِلتُّرَابِ (٨).
خَطُّهُ خَطُّ نَبِيلٍ:

(١) العيس جمع عيساء: الناقة.

(٢) لو رحلت عن وطني لا تمتدت عنه مجسمي وبقي قلبي فيه.

(٣) القوداء: (الفرس) الطويلة العنق والظهر، دليل أصالتها وقدرتها على السير وسرعتها.

(٤) العرفان: (مصدر) المعرفة. والشاعر يستعملها بمعنى المعارف (المعروفين) الذين يعرفونك وتعرفهم (الأصدقاء). أضرب عن الأمر. أعرض عنه، التفت عنه، أهمله، رفضه.

(٥) البر: الطاعة للقبيل (لأهل الرجل). جفاه: عاداه وابتعد عنه.

(٦) من عطاياه...: الله. الكاف والنون (فعل أمر): كن. اقتباس من قوله تعالى (٣: ٤٧، آل عمران): «إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ».

(٧) يبدو أن هذين البيتين في طفلي له مات. الشجو: الحزن. مقتبل الشباب: مرجو له شباب مقبل.

(٨) الحجر: الحصى الترائب جمع تريبة (هنا): جانب الصدر يقابل الشاعر بين ما حدث لطفله - إذ مات - وما كان سيحدث له - لو عاش - -: مات فقدم تحت الحجارة (القبر) - ولو عاش لوضع في الحبور: حجر أمه وأبيه وعبيه - مات فصار للترباب - ولو عاش لصار بين الترائب - يقصد الأتراب - اللذات.

أَفْسَاتٌ كَرَمَاحٍ بَيْنَهَا الْمَغْنَى قَتِيلٌ^(١)
 * * * وَأَيُّ الْمُدَامَةِ، مَا أُرِيدُ بِشُرْبِهَا صَلَفَ الرَّقِيعِ وَلَا انْهَاكَ اللّاهِي^(٢)
 لَمْ يَبْقَ مِنْ عَهْدِ الشَّبَابِ وَطَيْبِهِ شَيْءٌ، كَعَهْدِي لَمْ يَحُلْ، إِلَّا هِيَ^(٣)
 إِنْ كُنْتُ أَشْرَبُهَا لِغَيْرِ وَفَائِهَا فَتَرَكْتُهَا لِلنَّاسِ لَا لِلَّهِ^(٤)

- وَسَكِرَ فِي لَيْلَةِ مُطْرَةٍ ثُمَّ أَحَبُّ أَنْ يَرْفُدَ فِي غُرُضِ الشَّارِعِ. فَرَأَهُ بَعْضُ الْحُرَّاسِ وَعَرَفَهُ فَرَفَعَهُ وَجَرَّدَهُ مِنْ ثِيَابِهِ الْمُبَلَّلَةِ وَأَلْبَسَهُ شَيْئاً مِنْ مَلَابِسِهِ هُوَ ثُمَّ حَلَّهُ إِلَى مَنْزِلِهِ. فَلَمَّا أَفَاقَ وَعَرَفَ صُورَةَ الْحَالِ قَالَ:

أَقُولُ وَقَدْ أَوْرَدْتُ نَفْسِي مَوْرِدًا
 أَبْخَتُ بِهِ مَا شَاءَ السُّكْرُ مِنْ عِرْضِي^(٥)،
 وَقَدْ صِرْتُ سَدًّا بِالطَّرِيقِ لِسَائِلِ
 مِنَ الْقَطْرِ، إِذْ لَا بُسْطَ تَحْتِي سِوَى الْأَرْضِ^(٦)،

(١) - خَطَهُ حَسَنٌ وَمَعَانِيهِ سَقِيمَةٌ.

(٢) المدامة: الخمر. وأي المدامة (يقسم بالخمر لِحَبَّتِهِ لَهَا). الصلف: التكبر. الرقيع: الأحمق. انهاك (انفاس، إسراف) اللاهي (طالب اللهو، الذي همه في الحياة اللهو). - ويجوز: وأي، المدامة ما أريد بشربها (يقسم بأبيه)، وتكون « المدامة » مرفوعة على الابتداء. والأول أبلغ. ويبدو أن هذه الأبيات متنازعة بين نفر من الشعراء. في الواقي بالوقيات (٨: ٥١) عن ابن الأبار: « وهذه الأبيات قد أنشدنيها بعض الأعلام لأبي القاسم عامر بن هشام، وأتأ هي لأبي جعفر (أحمد بن عبد الرحمن اللخمي الكاتب) من أهل قرطبة ويعرف بالربضي لسكنائه الرض الشرمي منها. كتب أبو جعفر هذا للولادة حيناً، وكانت وفاته في أول شوال من سنة ٦١٦ (١٠٠ / ١٢ / ١٢١٩ م). ورويت أيضاً لأبي سليمان داوود بن أحمد الطبيب الملقب.

(٣) حال: تغيير وتبدل (أشياء كثيرة اختلفت في اليوم عما كانت في أيام شباني - ما عدا الخمر، فإني ما زلت أجد فيها ما كنت أجد من قبل).

(٤) أشرب الخمر في أيام مشيبي لأنها وفيّة لي منذ أيام شباني. فلو أنني تركتها الآن لكان تركي لها رياء للناس....

(٥) العرض: شرف الأسرة. - العمل الذي عملته الآن (ولو كان في السكر) لا يليق بي!

(٦) السائل (الجارّي) على وجه الأرض. من القطر (المطر). البسط: ما يسط على الأرض (وطاء، بكسر الطاء): الحصير (ما يقال له: سجادة).

وقد هَزَنِي فِي آخِرِ اللَّيْلِ مَرَسَلٌ
مِنَ اللَّهِ أُخْيَانِي وَأَلْعَقَ بِي غَمَضِي^(١):

سَأَنْتِي عَلَيْكَ الدَّهْرَ فِي كُلِّ مَحْفَلٍ؛ وَمَا كُلٌّ مِنْ أَوْلِيَّتِهِ نِعْمَةً يَقْضِي^(٢).
(وَلَمْ أَذِرْ مِنْ أَلْقَى عَلَيْهِ رِداً هـ خَلا أَنَّهُ قَدْ سَلَّ عَنْ مَا جِدَّ مَحْضُ)^(٣).

- وَمِنْ قَوْلِهِ فِي مُخَاطَبَةِ أَحَدِ الرُّؤَسَاءِ:

... وَإِنِّي لَكَالْأَرْضِ الْكَرِيمَةِ إِنْ نَظَرْتَ مِنْهَا^(٤) وَسُقِيَتْ أَنْبَتَتْ وَأَزْهَرَتْ وَأَوْدَعَتْ
لِسَانَ النَّسِيمِ مَا يُعْبَرُ بِهِ فِي الْآفَاقِ عَنْ شُكْرِ الْخَيْرِ الْجَسِيمِ. وَإِنْ أَهْمِلْتَ صَوَّحَتْ^(٥)
وَأَوْدَعَتْ السَّوَابِي مَا يُعْمَى الْعَيْنَ وَيُرْغِمُ الْأَنْفَ^(٦). وَإِنَّ لِسَيْدِي كَبِيرَ حَقٍّ،
وَلِمُعْظَمِيهِ^(٧) صَفِيرَ حَقٍّ. وَرَغِي أَحَدِيهَا مَنْوُطٌ بِالْآخِرِ^(٨).

٤-٢٠٢ * * زاد المسافر ١٠٤ - ١٠٥ (رقم ٢٨)، المغرب ١: ٧٥ - ١٧٦ الذيل والتكملة رقم
٢٠٢ (١٠٦: ٥ - ١١٠)^(٩)؛ نفع الطيب ١: ٤٧٣، ٥٤٢ - ٥٤٤، راجع ٣:

- (١) هَزَنِي (رَدَّنِي إِلَى نَفْسِي). أَلْحَقَ بِهِ غَمَضِي (جَعَلَنِي أَنَامَ نَوْمًا طَبِيعِيًّا).
- (٢) هَذَا مِنْ قَوْلِ بَشَّارِ بْنِ يَرْدٍ (ت ١٦٧) يمدح خالد بن برمك (٩٠ - ١٦٣ هـ):
لعمري، لقد أجدى عليّ ابن برمك، وما كلٌّ من كان الغنى عنده يجدي.
أجدى عليّ: أعطى.
- (٣) هَذَا الْبَيْتُ لِأَبِي خِرَاشِ الْمَذَلِيِّ (ت فِي أَيَّامِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، بَيْنَ ١٣ وَ ٢٣ هـ) قَالَهُ مِنْ مَقْطُوعَةٍ ثَمَّ
وَجَدَ أَخَاهُ عُرْوَةَ مَقْتُولًا وَقَدْ أَلْتَمَى عَلَيْهِ رِداً هـ. سَلَّ: نَزَعَ. الْمَحْضُ: الْخَالِصُ.
- (٤) نَظَرَ فِيهَا
- (٥) صَوَّحَ: بَيَّسَ.
- (٦) السَّافِيَةُ: الرِّيحُ الَّتِي تَحْمِلُ التُّرَابَ. يَرْغِمُ الْأَنْفَ: يَجْعَلُ فِي الْأَنْفِ رِغَامًا (بَضْمَ الرَّاءِ: تَرَابًا)، أَوْ أَلْصَقَهُ
بِالتُّرَابِ.
- (٧) مَعْظَمُهُ: يَقْصِدُ الْكَاتِبُ (أَبُو الْقَاسِمِ بْنِ هِشَامٍ) نَفْسَهُ.
- (٨) مَنْوُطٌ: مَتَمَلَّقٌ، مَرْتَبِطٌ.
- (٩) فِي حَاشِيَةِ الذَّيْلِ وَالتَّكْمَلَةِ (١٠٦: ٥): تَرَجَّعْتُ فِي صَلَةِ الصَّلَةِ ١٥٣، وَالتَّكْمَلَةُ رَقْمٌ ٢٤٣٩. وَبِالرُّجُوعِ
إِلَى صَلَةِ الصَّلَةِ (ص ١٥٣، رَقْمٌ ٣٠٢) نَجِدُ تَرْجَمَةَ أَبِي الْحَسَنِ عَامِرِ بْنِ مُحَمَّدٍ (ت ٥٤٠)، أَيَّ قَبْلَ ثَمَانِينَ
سَنَةً مِنْ أَبِي الْقَاسِمِ عَامِرِ بْنِ هِشَامٍ. وَليست التكملة بين يدي الآن.

٢٢٨، ٤: ٨٩ قطعان منسوبان في «القدح المملّى» (أسفل ص ٩١ وأعلى ص ٩٢) لأخيه أبي يحيى، راجع برنامج الرعيبي ١٧٥، الأعلام للزركلي ٤: ٢٥ (٣): (٢٥٥).

عبد السلام بن مشيش

١- هو الشيخ العارف الكامل أبو محمد (أو أبو عبد الله) عبد السلام بن مشيش (أبو بشيش) بن أبي بكر بن علي بن حُرْمَةَ بن عيسى بن سَلَامِ بن المِزْوَارِ بن حيدرَة ابن محمد بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المنثى بن الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب (راجع النبوغ المغربي ١٥١). كان مولده في بني العروس في جبل العلم (قرب تطوان - شمالي المغرب)، رحل (إلى الشرق) ثم عاد وتلمذ على أبي مدين في بجاية. بعدئذ رجّع إلى موطنه. وهو أستاذ أبي الحسن الشاذلي.

وقتل ابن مشيش شهيداً في رباط جبل العلم، نحو سنة ٦٢٥ (١٢٢٨ م)، في مقاومة ابن أبي الطواجين الكُتاميّ الساحر، ودُفن في قنة جبل العلم.

٢- كان عبد السلام بن مشيش من رجال التصوّف المعتدل القائم على حسن العمل لا على الكلام في المُفَيَّيات. وقد كان متشدداً في القيام بفروض الإسلام وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ومكانته في المغرب كمكانة الشافعي في المشرق. ويُعدُّ ابن مشيش أحد الأقطاب الأربعة في المغرب.

وله: كتاب إعانة الراغبين في الصلاة والسلام على أفضل المرسلين (ويُعرف اختصاراً بصلوات ابن مشيش). وعلى هذه «الصلوات» عدد من الشروح منها (راجع بروكلمان، الملحق ١: ٧٨٨): كتاب الصلاة على النبي لعمد بن علي الحرّوي المتوفى سنة ٩٦٣ - اللّمحات الرافعات - التدهيش عن معاني صلاة ابن مشيش لمصطفى بن كمال الدين البكري المتوفى سنة ١١٦٢ - النّفحات القدسية لعبد السلام ابن حمدون البنّاني - الروضة العرشية في الكلام على الصلوات المشيشية، وغيرها.

- الصلاة المشيشية (دعاء لأبن مشيش):

اللَّهُمَّ، صَلِّ عَلَى مَنْ مِنْهُ انْشَبَتِ الْأَسْرَارُ وَاَنْفَلَقَتِ الْأَنْوَارُ، وَفِيهِ ارْتَقَتِ الْحَقَائِقُ وَتَزَلَّتْ عُلُومُ آدَمَ فَأَعْجَزُ^(١) الْخَلَائِقُ؛ وَهُوَ تَضَاءَلَتْ الْفُهُومُ فَلَمْ يُدْرِكْهُ مِنَّا سَابِقٌ وَلَا لَاحِقٌ.... اللَّهُمَّ، إِنَّهُ سِيرَكَ الْجَامِعُ الدَّالُّ عَلَيْكَ وَحِجَابُكَ الْأَعْظَمُ الْقَائِمُ لَكَ بَيْنَ يَدَيْكَ. اللَّهُمَّ، الْحَقِيقِي بِنَسَبِهِ وَحَقَّقِي بِحَسَبِهِ^(٢)، وَعَرَّفَنِي بِهِ مَعْرِفَةً أَسْلَمَ بِهَا مِنْ مَوَارِدِ الْمَجْهِلِ وَأَكْرَعُ بِهَا مِنْ مَوَارِدِ الْفَضْلِ^(٣) وَاحْمِلْنِي عَلَى سَبِيلِهِ إِلَى حَضْرَتِكَ حَمَلًا مَحْفُوفًا بِنُصْرَتِكَ....

(ثم يقول، وفي قوله تطرّف مخالف لما ذكّر عنه من الاعتدال):

.... رُجِّي فِي بَحَارِ الْأَحْدِيَةِ وَاَنْشِلْنِي مِنْ أَوْحَالِ التَّوْحِيدِ وَأَعْرِفْنِي فِي عَيْنِ بَحْرِ الْوَحْدَةِ^(٤) حَتَّى لَا أَرَى وَلَا أَسْمَعُ وَلَا أَجِدَ وَلَا أُحِسَّ إِلَّا بِهَا^(٥)، وَاجْمَلِي الْحِجَابَ الْأَعْظَمَ حَيَاةَ رُوحِي، وَرُوحَهُ سِرَّ حَقِيقَتِي، وَحَقِيقَتَهُ جَامِعَ عَوَالِي بَتَحْقِيقِ الْحَقِّ الْأَوَّلِ....

- قال عبد السلام بن مشيش:

انظُرْ بِبَصَرِ الْإِيمَانِ تَجِدِ اللَّهَ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَعِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ وَمَعَ كُلِّ شَيْءٍ، وَقَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ وَبَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ، وَفَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ وَتَحْتَ كُلِّ شَيْءٍ، وَقَرِيباً مِنْ كُلِّ شَيْءٍ

(١) أعجز يجوز فيها البناء للمجهول حتى تكون الخلائق مرفوعة لنسابة السجع مع «الحقائق». ويجوز أن تكون مبنية للمعلوم وفاعلها عائد على «من» (أي محمد رسول الله). ويجوز أن تكون «أعجزت» والضمير فيها راجع إلى «العلوم».

(٢) النسب: القرابة. والحسب: العمل النبيل الحميد.

(٣) الموارد (الأولى) من «ورد» (أشرف على، وصل إلى). والمورد (الثانية) من «ورد» (ذهب إلى الماء).

(٤) الأحدية: الاعتقاد بأن الله واحد. التوحيد: الاعتقاد بأن الله غير العالم (وهذا في التصوّف المنطرف غير مقبول، لأنه يجعل العالم غير الله فيخرج العالم من الوجود الإلهي). الوحدة: الاتّحاد الاعتقاد بأن المتصوّف يبر في حال يصبح فيها مع الله «واحداً» بالعدد).

(٥) بها = بالوحدة (أي لا أرى الخ إلا أنّ وجودي قد فني في وجود الله: فنيت أنا عن الوجود، وبقي الله الموجود الوحيد).

ومُحِيطاً بِكُلِّ شَيْءٍ: بِقُرْبٍ هُوَ وَصْنُهُ وَبِحَيْطَةِ هِيَ نَعْتُهُ. وَعَدَّ عَنِ النَّظْرِ فِيهِ وَالْحَدَّ وَعَنِ الْأَمَاكِنِ، وَعَنِ الصُّحْبَةِ وَالقُرْبِ وَالْمَسَافَاتِ وَعَنِ الدَّوْرِ بِالْمَحْلُوقَاتِ. وَامْحُ الْكُلِّ بِوَصْنِهِ الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ وَالظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ. وَهُوَ: هُوَ: هُوَ هُوَ. كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ، وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا كَانَ.

- وقال ابن مشيش:

أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ أَرْبَعَةٌ بَعْدَ أَرْبَعَةٍ: الْحَبَّةُ لِلَّهِ، وَالرِّضَا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَالزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا وَالتَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ. هَذِهِ أَرْبَعَةٌ. وَأَمَّا الْأَرْبَعَةُ الْأُخْرَى فَالْقِيَامُ بِفَرَائِضِ اللَّهِ وَالاجْتِنَابُ لِمَحَارِمِ اللَّهِ وَالصَّبْرُ عَلَى مَا لَا يَبْغِي وَالْوَرَعُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُلْهِمِي.

٤ - إعيانة الراغبين (مع شرح لها)، استانبول ١٢٥٦ هـ.

- اللامحات الرافعات، فاس (طبع حجر) بلا تاريخ.

- النفحات القدسية، بوميبي (طبع حجر) ١٣١١ هـ.

- (مطبوع في) «دبقية المشتاق لأصول الديانة والمعارف والأذواق، الخ» لمبد القادر بن عبد

الكرام الوردبني، بولاق ١٢٩٨ هـ (ص ١٤٦ - ١٥٩).

* * النبوغ المغربي ١٥١ - ١٥٢، ٣٥٦ - ٣٥٧ (١٢ و ١٣ قبل ٣٥٨ من النقلة الأولى)؛

دائرة المعارف الإسلامية ١: ٩١؛ بروكلمان ١: ٥٦٩، الملحق ١: ٧٨٧ - ٧٨٨

الطبقات الكبرى للشعراني (القاهرة ١٣٢٩) ٢: ٦؛ الاستقصا ١: ٢١؛ الأعلام للزركلي

(٩: ٤).

أبو إسحاق بن أصبغ القرطبي

١ - هو الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن عيسى بن محمد بن أصبغ الأزدي من أهل قرطبة ومن بيوتاتها الأصبيلة، وكان أهله يُعرفون ببني المناصف.

وولي أبو إسحاق بن أصبغ قضاء دانية ثم صُرفَ عنها، سنة ٦٢١ هـ. وفي هذه السنة نفسها - وفي صدر الفتنة المنبثثة فيها - كان أبو إسحاق يُعَلِّمُ في دانية. وكان قد سَكَنَ بَلَنْسِيَّةَ أَشْهُرًا ثُمَّ أَنْتَقَلَ عنها. ثم إنه تولَّى القضاء في سِجْلَاسَةَ (في المغرب الأقصى) إلى حين وفاته في سنة ٦٢٧ هـ (١٢٢٩ - ١٢٣٠ م) في الأغلب.

٢- يَرِدُ ذِكْرُ أَبِي إِسْحَاقَ هَذَا يَنْسَبُهُ الْكَامِلُ فِي «بُغْيَةِ الوَعَاةِ» عَلَى أَنَّهُ نَحْوِيُّ. وَأَمَّا الصَّفَدِيُّ فَيَذْكُرُ أَنَّهُ مِنْ كِبَارِ الْفُقَهَاءِ الْمَالِكِيَّةِ ثُمَّ يُورِدُ لَهُ بَعْضَةَ آيَاتٍ تَدَلُّ عَلَى أَنَّهُ شَاعِرٌ رَقِيقٌ أَيْضاً. وَيَبْدُو أَنَّ بَرَاعَتَهُ الْأُولَى قَدْ كَانَتْ فِي النَّحْوِ فَكَانَ شَيْخَ الْعَرَبِيَّةِ (النحو) وَوَاحِدَ زَمَانِهِ فِيهَا، أَمْلى فِي قَوْلِ سَيَّبُونِيهِ «هَذَا عَلِمَ مَا الْكَلِمُ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ» عِشْرِينَ كَرَّاساً بَسَطَ الْقَوْلَ فِيهَا فِي مِائَةٍ وَثَلَاثِينَ وَجْهًا (نَفْحِ الطَّيِّبِ ٤: ١٤١).

٣- مختارات من آثاره:

- قال ابن المناصِفِ النَّحْوِيُّ فِي الْخَيَالِ:

وزائري زارني وَهناً فَقَلْتُ لَهُ: أُنِّي اهْتَدَيْتَ وَسَجَفَ اللَّيْلُ مَسْدُولٌ^(١)
 فَقَالَ: أَنْتَ نَاراً مِنْ جِوَانِحِكُمْ أَضَاءَ مِنْهَا لَدَى السَّارِينَ قِنْدِيلٌ^(٢).
 فَقَلْتُ: نَارُ الْهَوَى مَعْنَى، وَليْسَ لَهَا نُورٌ يَبِينُ. فَمَا ذَا مِنْكَ مَقْبُولُ.
 فَقَالَ: نَسَبْتَنَا مِنْ ذَاكَ وَاحِدَةً: أَنَا الْخَيَالُ وَنَارُ الْحُبِّ تَخْيِيلُ!

٤- * * الوافي بالوفيات ٦: ٧٦ - ٧٧؛ بغية الوعاة ١٨٤؛ الأعلام للزركلي ١: ٥٠ (٥٦)؛ تحفة القادم ١٣٢.

أبو الحسن بن الفضل المَعَارِفِيُّ

١- هو أبو الحسن مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ الْمَعَارِفِيُّ أَصْلُهُ مِنْ أَوْرِبُولَةَ، وَوُلِدَ سَنَةَ ٥٦٣ هـ (١١٦٧ - ١١٦٨ م). لَزِمَ أَبُو الْحَسَنِ بْنَ الْفَضْلِ سُكْنَى إِشْبِيلِيَّةَ فَصَارَ مَعْدُوداً فِي أَعْيَانِهَا، وَقَدْ سَكَنَ غَرْنَاطَةَ مَدَّةً ثُمَّ خَرَجَ عَنْهَا لِأَنَّ سُكْنَى إِشْبِيلِيَّةَ كَانَ أَحَبَّ إِلَيْهِ. وَكَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ صَفْوَانَ بْنِ إِدْرِيسَ (ت ٥٩٨ هـ) صِدَاقَةٌ وَمُكَاتَبَاتٌ وَمُسَاجَلَاتٌ، وَلَعَلَّهُ كَانَ يمدِّحُه تَكْسِباً. وَقَدْ تَكَسَّبَ بِالشَّعْرِ: سَارَ إِلَى مَرَاكُشَ وَمَدَحَ السُّتَنْصِرَ

(١) وهنا: بمد نصف الليل. السجف (بالفتح أو بالكسر): السجاف (بالكسر: الستر، الستار، الستارة). مسدول: مرخي. أنس: أحسن (علم، رأى).
 (٢) الجوانح جمع جانحة: عظم بجانب الصدر (يقصد: من قلبك المشتعل بالحب). الساري: السائر في الليل.

المَوْحِدِيَّ (٦١١ - ٦٢٠ هـ) وطلبَ أن يتولَّى في إشبيلية خُطَّةَ الزكاةِ والموارِيثِ فظفِرَ بذلك. ومدحَ مُحَمَّدَ بْنَ يوسُفَ بْنَ هودِ صاحبَ مُرْسِيَّةَ (٦٢١ - ٦٣٥ هـ).
وكانت وفاته سنة ٦٢٧ هـ (١٢٢٩ - ١٢٣٠ م).

٢- أبو الحسن بن الفضل ناثرٌ شاعرٌ وشاحٌ فصيحٌ الألفاظِ سهلُ التراكيبِ عذبُ الأسلوبِ صحيحُ السبكِ يُجيدُ القصائدَ والمقطعاتِ وينكشف شعرُهُ عن تسلسلِ منطِقَتِي. وأغراضه الوجدانيةُ يمتزجُ فيها الجِدُّ والمزَلُّ، ورُبَّما مال في عددٍ منها إلى المُجون. وهو بارعٌ في المدحِ والوصفِ والقزل.

٣- مختارات من آثاره:

- اجتمع مرّةً في أحدٍ مُتَنَزَّهاتِ إشبيليةِ جماعةٌ فيهم أبو بحرٍ صَفْوَانُ بْنُ إِدْرِيسَ (ت ٥٩٨ هـ) وأبو الحسن بن الفضلِ ورجلٌ يدعى أَنه يُحسِنُ الرَّمِيَّ بالقوسِ وهو لا يُحسِنُهُ. وأرادَ الجماعةُ أن يتندروا بهذا المدعى فطلبوا منه أن يُصيبَ طائراً كان واقفاً على غصنِ شجرةٍ قريبةٍ. فرماه بسهمٍ فلم يفعل شيئاً. فقال صَفْوَانُ في ذلك قصيدةً مطلعها:

أعِذْ عَلَى سَمْعِي أَحَادِيثَ الْمُنَى؛ فما قبيحٌ أن تُعيدَ الحسنَا.
فأجابَهُ أبو الحسن بن الفضلُ المَعافِرِيُّ بقوله من قصيدةٍ طويلةٍ:
أفْضَلُ ما حازَ الفَتَى قَناعَةً وَعِفَّةٌ تُنْبِئُهُ عَن سُبُلِ الحِنا^(١).
انظر إلى أجدائِهِم مُعْتَبِراً، هلْ تَمَّ فَرَقٌ بَيْنَ فَقْرٍ وَغِنَى^(٢)؟
وليسَ لِلإنسانِ إِلا ما سَمَى، وَأَنَّ خَيْرَ السَّمَى تَحْلِيدُ الثِنا^(٣).
لولا ابنُ إِدْرِيسَ وَقَاضِلُ خَلْقِهِ لَمَّا بَدَأَ مِن مَذْحِهِ ما بَطَنا:

(١) تنبيه: ترده. الحنا: القول أو العمل القبيح.

(٢) الجدت (بفتح ففتح) القبر.

(٣) في القرآن الكريم: «وَأَنَّ لَيْسَ لِلإنسانِ إِلا ما سَمَى، وَأَنَّ سَمِعَهُ سَوْفَ يَرى، ثُمَّ يُجْزَأُ الجِزاءَ الأَوْفَى»، (٥٣: ٣٩ - ٤١، سورة النجم).

شَقِيقُ نَفْسِي تُرْبَةٌ وَغُرْبَةٌ
تَلَوْنَ الدَّهْرَ عَلَى عَادَاتِهِ،
مُهَذَّبُ الْفِكْرَةِ مَصْقُولُ النُّهَى
أَشْهُرُ مِنْ نُورِ الصَّبَاحِ الْمُجْتَلَى،
إِيهِ أَبَا بَحْرٍ، وَعِنْدِي مِقْوَلُ
أَلَسْتَ مِنْ سَيْرِهَا غَرَائِباً
أَصْفَتْ لَهَا بَعْدَانُ حَتَّى اسْتَضَعْرَتْ
أَتَذَكَّرُ الْعَهْدَ الَّذِي مَرَّ بِنَا
أَيَّامَ ظِلِّ الدَّهْرِ عَنَا غَافِلاً
وَلَا كِيَوْمٍ شَرِبْتَ أَرْوَاحُنَا
فِي فِتْنَةٍ - أَوْ فِتْنَةٍ - تَنْظَمُوا
كُنْتَ أَذْمُ زَمَنِي مِنْ قَبْلِهِمْ،
.....
وَصَاحِبِ حُلُوِّ الْمَزَاجِ مُنْتَبِعِ
خَادَعَنَا لَمَّا مَشَى مَا بَيْنَنَا

وَأَدْباً وَمَذْهَباً وَسَنّاً^(١).
وَهُوَ كَمَا أَذْرِيهِ مَا تَلَوْنَا.
مُسْتَعْدَبُ الْخَبْرَةِ مَعْسُولُ الْجَنَى^(٢).
أَنْضَرُ مِنْ نُورِ الْأَفَاحِ الْمُجْتَنَى^(٣).
يُحْسِنُ أَنْ يَشْكُرَ تِلْكَ الْمِنَا^(٤)،
تُتَوَّجُ الشَّامَ وَتَكْسُو الْيَمْنَ^(٥)!
حَبِيبَهَا وَمُسْلِماً وَالْحَسْنَ^(٦).
يَذِي النَّقَا حَيْثُ طَبَاءُ الْمُنْحَى^(٧)؟
حَتَّى جَنَيْنَا الْعَيْشَ غَضًّا لَيْنَا.
رَاحَ الْهَوَى فِيهِ بِكَاسَاتِ الْمُنَى،
سِمْطاً. أَأَبْصَرْتَ النُّجُومَ مَوْهِنَا؟
فِيَوْمٍ صَافَوْنِي حَيْدَتُ الزَّمَانِ!
.....
يُصْفِي السَّرُورَ وَيَقْدُّ الشَّجْنَ^(٨)،
مُحْتَجِجاً لِقَوِيهِ مُضْطَبِنَا^(٩).

- (١) تربة: في الوطن. السنن: الطريقة، المنهج.
(٢) النهى: العقل. الجنى: التمر (الحديث، الكلام). الخيرة (الخير): ما تعرفه من الإنسان بعد اختياره.
(٣) المجتلى: المنظور (الذي يجذب الناس أن ينظروا إليه). النور (بالتفتح) الزهر الأبيض. الأفاح جمع أقحوان. المجتنى: المقطوف حديثاً.
(٤) المقول: اللسان. المنّة: المعروف (العطية).
(٥) سيرها: سير القصائد (جعلها مشهورة). تتوج الشام (مع أن الشام كانت مصدر الملوك!) وتكسو اليمن (مع أن اليمن مشهورة بصناعة النسيج).
(٦) أصفى: استمع. بعدان = بغداد. حبيب بن أوس أبو تمام ومسلم بن الوليد صريح الغواني والحسن بن هاني أبو نواس.
(٧) النقا: الرمل الأبيض. المنحى: تلة من الرمل مستديرة.
(٨) الشجن: الهم والحزن. قدّ: شقّ (٤). في الغرب (٢: ٢٨٧): «يجي السرور ويميت الحزن».
(٩) احتجن الشيء: ضمه إلى نفسه (يحمل قوسه ولا يستخدمها). اضطبن الشيء: حمله بجانبه.

يحكي لنا ما شاء تَطْرُفًا
ويُدعي التصميمَ في أغراضِهِ .
حتَّى تدلِّي طائرٌ من أُنكبةِ
قلنا له: قد أكتبَ الصيدُ، فقمُ
فقام كسلانَ يمطُ حاجباً
وبينا أوترها، وبيننا
وعندما رمى حمَامَ فتنِ
أستغفرُ اللهَ له. إن لم يكنُ
لو أن رَضوى مثلتُ من كُتِّبِ
والمرءُ مغرورٌ يبادي رأيه .
ويَزدهي برميهِ تمجُّناً^(١).
ولو رمى بقدانٍ أصمى عدنا^(٢).
لم يبقَ إلَّا أن يقولَ: ها أنا!
فأرنا من بعضِ ما حدَّثتنا^(٣).
ويتمطِّي بينَ أينِ وونى^(٤).
كانتُ تشطِّي في يديهِ إحنا^(٥)،
أخطأه وما أصابَ الفنا^(٦).
أطعمنا الصيدَ فقد أضحكنا.
لِسهمِهِ لصافَ عنها وانثنى^(٧).
ويظهرُ الحقُّ إذا ما أمتجنا^(٨)!

- ولأبي الحسنِ بنِ الفضلِ من موشحةِ (المغرب ٢: ٢٩١):

في طَرْفٍ من أهواةٍ سيــــــــــــــــفُ النونِ^(٩).

- (١) يزدهي: يفتخر. الرمي: اطلاق النبل عن القوس. التاجن: خلط الجذَّ بالزح.
- (٢) التصميم: إصابة الشيء مباشرة وفي وسطه. الغرض: الهدف. بقدان = بقداد. أصمى أصاب المقتل (ولكن في عدن: بعيداً جداً عن بقداد، عن الهدف الذي أراد أن يصيبه).
- (٣) أكتب: اقترب.
- (٤) الأين: التعب. الوني: فتور الهمة والضعف.
- (٥) أوتر الرجل القوس: وضع السهم في وترها ليطلقه. تشطِّي: تشتمت (ينصل منها قطع). الإحنة (بكر الهمزة): الحقد. - تشطِّي في يديه (يتمرزى بين يديه لأنه لا يعرف أن يمك بها فضلاً عن أن يعرف الرمي بها).
- (٦) الفتن: الفتن.
- (٧) رضى: جبل في بلاد العرب (يؤثر عن الشعراء القدماء بأنه كبير). مثل: انتصب، وقف منتصباً. من كتب: من قرب. صاف السهم: حاد عن الهدف.
- (٨) بادي الرأي: الرأي الذي يحظر للإنسان لأول مرة فيقبله من غير تفكير. وهو تضمين (راجع ١١: ٢٧، سورة هود).
- (٩) الطرف: النظر، العين. النون: الموت.

والقلبُ في بلواه يا قدَّ غُصنِ البانِ
 مِمَّنْ يَخونُ^(١) إذا آتَنبى^(٢)،
 الراحُ والرَّيحان بلِ الْمُنَى^(٣)
 في ذلكِ الوَسنانِ إذا رننا^(٤).
 يا ربُّ، ما أقصاهُ! تُرى يَهونُ^(٥)؟
 والصبُّ ما أَرْجَاهُ ما لا يكونُ^(٦)!

- وله من مطلعِ موشحة:

ألا هلْ إلى ما تَقضى سبيلُ فيُشفي الغليلُ وتوسى الكلومُ^(٧)؟

* * *

رعى اللهُ أهلَ اللوى واللوى ولا راعَ بالبينِ أهلَ الهوى^(٨).
 فواللهِ، ما الموتُ إلا النوى؛ عَرَفْتُ النوى بتوالي الجوى^(٩)،
 ومِمَّا تَحَلَّلَ جِسمي النحيلُ لقد كِدْتُ أَنْكُرُ حَضَرَ الجُومِ^(١٠).

* * *

(١) - فلي في بلوى (مصيبة، شقاء) ثم يخون (من المحبوب الخائن الذي يعد ولا يهي أو الذي يبغك مدة، فإذا تملقت به تركك وانصرف إلى غيرك).

(٢) قوامه كغصن البان (وللبان أغصان طوال مستقيمة رشيقة). انتنى (تقابل في شبيه).

(٣) الراح: الخمر. الریحان: نبات طيب الرائحة. المنى جمع منية (بالضم): أمل، غاية. الوسنان: النعاس، الفانر (صفة للعين). رنا تطلع. - النظر إلى هذا المحبوب كشراب الخمر (يسكر) وكشم الریحان (ينعش).

(٤) ترى يهون: هل يصعب الوصول إليه عليّ أهون (٤).

(٥) الصب: الشديد الحب. ما أَرْجَاهُ ما لا يكون: ما أشدَّ رجاءه (أمله، تملّقه) بما لا يكون (بالمستحيل).

(٦) الغليل: العطش. توسى: تؤسى (!) تداوى. الكلم (بالفتح): الجرح.

(٧) اللوى الرمل المستدير (جانِب التلّة): كناية عن مساكن العرب. البين: البعاد والفرق.

(٨) النوى: البعد. الجوى: ألم الحب.

(٩) دخن في جسمي أمراض كثيرة فأفسدته إلى حدّ أنّه يصعب إحيائه.

فواحسرتنا لِمَ زَمَانٍ مَضَى عَشِيَّةً بَانَ الْهَوَى وَانْقَضَى
وَأَفْرَدْتُ بِالرُّغْمِ لَا بِالرُّضَا وَبِتَّ عَلَى جَمَرَاتِ الْقَضَا^(١)
أَعَانَقُ بِالْفِكْرِ تِلْكَ الطُّلُوبَ وَالنِّيمُ بِالْوَهْمِ تِلْكَ الرُّسُومَ.

- كَتَبَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الْفَضْلِ مِنْ مَدِينَةِ مَرَاكُشَ إِلَى مُوسَى بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ سَعِيدٍ^(٢)
رِسَالَةً فِيهَا شَيْءٌ مِنْ أَدَبِ الرِّحْلَةِ وَشَيْءٌ مِنَ الْمَجُونِ:

.... وَأَمَّا مَا نَشَأُ مِنْ عَجَائِبِ هَذِهِ السَّفَرَةِ الَّتِي أَطْرَبْتُ نَوَادِرُهَا وَأَضْحَكْتُ مَوَارِدُهَا
وَمَصَادِرُهَا^(٣): حِكَايَةُ شَيْخِنَا الْقَلْطِيِّ^(٤) مَعَ خَدِيمِهِ الْمُرَاهِقِ الْأَسْمَرَ الْفَاتِقِ ذِي
الطَّرْفِ الْكَحِيلِ وَالْحَدِّ الْأَسِيلِ^(٥) وَالرِّدْفِ الثَّقِيلِ وَالْحَضْرِ النَحِيلِ:

ذَاكَ الَّذِي بِتُّ مِنْ وَجْدِهِ، وَغَدَّتْ فِيهِ أَحَادِيثُ جُلَّاسِي وَسُمَّارِي^(٦).
نَشْوَانٌ مِنْ خَمْرَةِ الدَّلِّ الَّتِي شَغَلَتْ مِنْ ظِلِّ يَمَشُقُهُ عَنْ كُلِّ خَمَّارٍ^(٧).

يَا لَهَا أَعْجُوبَةٌ طَرِيفَةٌ أَطْرَفَ مِنْ فِقْهِ أَبِي حَنِيفَةَ:

أَعْجُوبَةٌ مَا سَعِينَا بِأَخْتِهَا فِي أَوَانٍ^(٨).
قَدْ صَارَ شَيْخُكَ مِنْهَا أَضْحُوكَةً فِي الزَّمَانِ.

وَذَلِكَ أَنَا لَمَّا خَرَجْنَا مِنْ عَيْنِ الْقَدَحِ قَاصِدِينَ قَصْرَ كِتَابَةِ^(٩)، ظَهَرَ مِنْ هَذَا الشَّيْخِ

(١) القضا شجر جزل (كثيف المادّة) تكون ناره شديدة.

(٢) زار أبو الحسن بن الفضل مراكش مراراً. وموسى بن محمد سار إلى الحج سنة ٦٣٩ هـ وتوفي وشيكاً في الإسكندرية، سنة ٦٤٠ هـ (١٢٤٣ - ١٢٤٣ م).

(٣) الموارد والمصادر (الذهاب إلى الماء والرجوع عنه): الأسباب والنتائج، الأحوال المختلفة.

(٤) القلطي، إذا لم تكن علماً أو نسبة، فهي (بفتح ففتح): القصير، الحبيث.

(٥) الأسيل: الأملس.

(٦) الوجد: الحب، الشوق، الميل. السامر: الذي يجادتك في الليالي. - هذا المحبوب أصبح حديث الناس (لجماله).

(٧) النشوان: السكران. الدلّ: الثقة بالنفس والطمع بالناس الذين يمجبون بصاحب هذا الدلّ. الخمار: بائع الخمر. - اكتفى الناس من السكر بالنظر إليه فاستغنوا (بفتح النون) عن شرب الخمر.

(٨) الأوان: الزمان.

(٩) قصر كتابة (في معجم البلدان): مدينة بالجزيرة الخضراء من أرض الاندلس (جنوبي الاندلس). ولعل المقصود (هنا) مكان في المغرب.

في هذا الأسمِ ما لم يظهر من الذي تَمَنَى أن يكونَ هامةً^(١). وصار يَغَارُ عليه من الألفاظ ولا يَبْرَحُ متى كَلَّمَ أو نَظَرَ يَنتَاطُ، إلى أن وَصَلْنَا إلى وادي المَازن، والسَّيْلُ قد ضاقت^(٢) بطلائمه صدره، وهو أبدأً يَزِيدُ مَدَّهُ ولا يُلِمُّ به جَزْرُهُ^(٣). ولم يسع الوقتُ جوازَ الشيخِ والفلامِ، بل بادَرَ بِتَجْوِيزِهِ^(٤) وقد أَقْبَلْتُ كِتَابَ الظلامِ. فلَمَّا أن دَخَلَ الشيخُ في ذلك الجانبِ، بعد اللَّتْيَا والتي^(٥) من خَوْضِ ذلك العُبابِ مَنَعَ الوادي نفسه بِمِزَاحَةِ المِياهِ^(٦). وَبَقِيَ الشيخُ في أعْظَمِ مُصَابٍ. وكنتُ، يا أخي، في مَنَ ظَفِيرِ بِالْمَجَازِ وحصلت له الحقيقة بعد المَجَازِ^(٧):

فباتَ الشيخُ في هَمٍّ وغمٍّ ضجيعَ الفِكْرِ والحُزَنِ الطويلِ.
وَبِتُّ ضجيعَ أَسْمِرِهِ أنادي بحِجِّي على التواصِلِ والوُصُولِ^(٨).
فلا تَسألُ - فديتكَ - عن مَبِيتي هناك؛ وَسَلْ صِحابَكَ عن مَقِيلِي^(٩).

ثمَّ إِنَّهُ لَمَّا وَضَحَ النَهارُ وأصبحَ الشيخُ كالمَوْلَى لَفَقَدَ الجِوارِ^(١٠)، اكْتَرَى الشيخُ مَنْ سَبَّحَ به إلينا، وأرْسَلَ اللهُ منه نِعمَةً علينا. وَجُمْلَةُ الأمرِ: أَنَا ظَفِيرُنا ليلَةٌ بِرَبِّ هِوَاهُ، وَصَفَعْنَا نَهارَهُ جَميعَ قَفاهُ!

- (١) أن يكون هامة: أن يموت (٢).
- (٢) كذا في الأصل. والصواب: ضاق بطلائمه (أوائله) صدره وادي المازن مكان قرب القصر الكبير (شمال شرقي الرباط وجنوب شرقي العرائش) في المغرب.
- (٣) الجزر: تراجع مياه البحر. والمدّ علو ماء البحر عند الشطّ. لا يلمّ به جزره: لا يحدث انخفاض في مائه.
- (٤) الجواز: الانتقال عبر الماء من جانب إلى جانب. التجويز: جعل الآخرين يجوزون.
- (٥) بعد مصاب كثيرة.
- (٦) العباب: الموج. منع الوادي (النهر) نفسه (منع الناس من الجواز عبره).
- (٧) الحقيقة: دلالة الكلمة على المعنى الذي وضع لها في القاموس (الشمس: الجسم المشتعل الذي يضيء الأرض). والمجاز: دلالة الكلمة على غير المعنى الوضحي لها (الشمس: المرأة الجميلة) حصلت له الحقيقة بعد المَجاز: ظفر بالهبوب بعد أن كان يتمنى الظفر به (٢).
- (٨) التواصل والوصل: نيل الرغبة من المبوب.
- (٩) لا تسأل عن مبيتي (نومي) في تلك الليلة (لأنني لم أتم فيها) أسأل عن مقيلي: النوم في النهار (لأنني كنت في الليل ساهراً مع المبوب).
- (١٠) المولء: الذي اشتدّ حزنه حتى كاد عقله يذهب. لفقد الجوار (جوار محبوبه).

٤ - * * * زاد المسافر ١٠٦ (رقم ٣١)؛ المغرب ٢: ٢٨٦ - ٢٩١؛ القدر الملقى ١٠٨ -
١١١؛ الذيل والتكملة رقم ٦٥١ (٣٧٦: ٤ - ٣٨٧)؛ ازهار الرياض ٢: ٢١١.

أبو زيد الفاززي

١ - هو أبو زيد عبد الرحمن بن يَخْلَقْتَن بن أحدَ الْبَجَشِي، وُلِدَ بُعِيدَ سَنَةٍ
٥٥٠ هـ (١١٥٥ م) في قُرْطَبَةَ ونشأ فيها. ثمَّ إنَّه سكن تِلْمَسانَ وغيرها.

سَمِعَ أبو زيدَ الفاززيَّ من جماعةٍ فيهم الحافظُ عبدُ الرحمنِ السُّهيليُّ (٥٨١ هـ)،
فيما قيل، والحافظُ أبو الوليدِ يزيدُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ بَقِيٍّ القاضي وأبو الحسنِ جابرُ
ابنِ أحمدَ القُرشيُّ التاريخيُّ وأبو عبد الله بنِ الفَخَّارِ النُّجَيبِي.

وقد كَتَبَ أبو زيدُ الفاززيُّ دهرًا طويلًا في الأندلسِ لِوِلاَةِ الموحِّدين. وفي سَنَةِ
٦٢٦ للهجرة - في مَطْلَعِ حُكْمِ السُّلْطَانِ الموحِّديِّ المأمونِ أبي العلاءِ إدريسَ (٦٢٦ -
آخر ٦٢٩ هـ) - نالتهُ جَفْوَةٌ على يَدَيِ الوالي في قُرْطَبَةَ وإشبيلية (٢)، فألزمتهُ
السُّلْطَانُ داره ثمَّ نفاه عن الأندلسِ فأتقَلَ إلى العُدوة. وفي شَعْبَانَ من سَنَةِ ٦٢٧
(أيلول - سبتمبر ١٢٣٠ م) زار أبو زيدُ الفاززيُّ مَرَاكشَ وترضى السُّلْطَانُ المأمونَ،
فَرَضِي السُّلْطَانُ عنه. ولكنَّ أبا زيدٍ لم يَعمشْ بعد ذلك طويلًا فكانت وفاتهُ في مَرَاكشَ
في ذي القَعْدَةِ من سَنَةِ ٦٢٧ نفسها (أيلول - تشرين ١٢٣٠ م).

٢ - كان أبو زيدُ الفاززيُّ مُشاركًا في عددٍ من فنونِ العلمِ من الفقهِ والتاريخِ
وعلمِ الكلامِ (وكانتْ بضاعتهُ من الحديثِ قليلةً)، وكان أديبًا ناثراً مُترسِّلاً وشاعراً
يَعلَبُ على شعره مدحُ الرسولِ وأشياءُ من الزهدِ والتصوِّفِ والحِكْمَةِ، وربَّما جاء في
شعره بُلزومٌ ما لا يَلزَمُ.

ثمَّ إنَّه مُصنِّفٌ له: سفينَةُ السعادةِ لأهلِ الضَّعْفِ والنِجادةِ (مجموعُ قصائد) -
ديوانِ الوسائلِ المُتقبَّلةِ - القصائدِ العشرينيَّاتِ (وهي قصائدٌ تتألفُ كلَّ قصيدةٍ منها
من عشرين بيتاً) في مدحِ رسولِ الله محمدٍ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم. وهذه القصائدُ شائعةٌ
جدًّا ومُحبَّبةٌ إلى النفسِ، وخصوصاً في السودانِ الغربيِّ (غربيِّ إفريقيا). وربَّما أوردَ

فَرَّ من المؤلفين أسماء هذه المجموعة بِعناوينٍ مختلفةٍ: العَشْرَاتُ في مدح النبي - القصائدُ العشرِيَّات (العشرِيَّاتُ في النصائحِ الدينية والحِكَمِ الزُّهْدِيَّة - المنظومات العَشْرَاتُ الزهْدِيَّة والمَعَشْرَاتُ الحُبِّيَّة والنَّفَحَاتُ القَلْبِيَّة التي كلُّ قصيدةٍ (منها) عَشْرُونَ بيتاً في المدائح النبويَّة.

٣ - مختارات من آثاره:

- قال أبو زيد الغازي في مديح الرسول:

كَمَلَّتْ بِنَعْتِ مُحَمَّدٍ خَيْرِ الْوَرَى غُرَّرُ الْقَصَائِدِ كُلُّهَا وَحَجْوُهَا (١)،
وَأَخْتَصَّ دُونَ الْأَنْبِيَاءِ بِدَعْوَةٍ وَسِعَ الْعِبَادَ عُمُومُهَا وَشُمُولُهَا.
فَاضَتْ عَلَى الثَّقَلَيْنِ مِنْهُ أَشْعَةٌ طَلَمَتْ وَمَا عَقَبَ الطَّلُوعَ أَفْوَلُهَا (٢).
فَالْإِنْسُ تَعْلَمُ أَنَّهُ مَقْصُودُهَا، وَالْجِنَّ تُوَقِّنُ أَنَّهُ مَأْمُولُهَا.

- وقال في الرسول أيضاً (وهو من لزوم ما لا يلزم):

أَتَى وَالْوَرَى أُسْرَى، فَكَانَ غِيَابُهُمْ بِنُورِ سِمْلَةٍ يَنْقُلُوهُ عَنِ الْإِسْرَاءِ (٣)
وَعَفَى رُسُومَ الْكَافِرِينَ وَأَهْلَهَا، فَلَا قَيْصِرٌ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَلَا كَيْسِرِي (٤).

(١) القصائد الغرر جمع غرة (بالضمّ فيها): البياض في جبهة الفرس، أوّل كلّ شيء وأكرمه. كلّها، لمّته يقصد كلّها جمع كلّ (بالكسر فيها): ستر رقيق ينصب على خدر المرأة ونحو ذلك. والمجول جمع حجل (بالكسر) الخخال (بالفتح). - يريد أن يقول إنّ هذه القصائد أصبحت خير القصائد لأنّ فيها مدحا لمحمد رسول الله.

(٢) الثقلان: عالم الإنس وعالم الجنّ (بالكسر فيها). عقب وأعقب فلان فلاناً: خلفه وجاء بعده. الأفول: الغياب.

(٣) أتى (محمد رسول الله). الورى (جميع الناس). الغيات (نزول المطر، كناية عن إنقاذ الناس من الضلال والبلاء والتقط، الخ). ينقلوه (كذا في الأصل. ويجب أن تكون « ينقلونه »). الإسراء: انتقال محمد رسول الله من مكّة إلى القدس فإلى السماء ثمّ رجوعه إلى مكّة (ليلاً). وكان ذلك في آخر الدور المكّي، قبل الهجرة من مكّة إلى المدينة. واختلفت الرواة في هذا الإسراء: أكان بالروح فقط أم بالروح والجسم معاً؟.

(٤) عفى: محا. الرسوم جمع رسم: النظام المألوف في المعاملات، الطريقة (هنا: الشرائع). قيصر (لقب ملوك الروم: اليونان) وكسرى (لقب ملوك الفرس).

تقدّم كلّ العالمين إلى مدَى تظَلُّ به الأوهامُ ظالمةً حَسْرَى^(١)
 فبِحُجْرَانٍ مَنْ أُسْرَى إِلَيْهِ بِعَبْدِهِ،
 وَبُورِكَ فِي السَّارِي وَبُورِكَ فِي الْمَسْرَى^(٢).

- ٤- سفينة السعادة لأهل الضعف والنجادة، القاهرة ١٣٢٠ هـ.
 - الوسائل المتقبّلة (مع سابقات الجياد ليوسف بن اسماعيل النبهاني)، القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٢٢ هـ.
 - القوائد العشرينيّات^(٣) في مدح سيدنا محمد، القاهرة (دار الكتب الكبرى) ١٣٣٤ هـ.
 ** التكملة ٢: ٥٨٥ - ٥٨٦ بغية الوعاة ١٣٠٤ نيل الابتهاج ١١٦٣ نفع الطبيب ٢:
 ١١٩، ٤: ١٢٢، ٤٦٨ - ٤٦٩، ٧: ٥٠٧ - ٥١٢ بروكلن ١: ٣٢٢، الملحق ١:
 ٤٨٢ - ٤٨٣ الأعلام للزركلي ٤: ١١٨ (٣: ٣٤٢)، معجم المؤلفين ٥: ١١٩١ سركيس
 ١٤٢٧ - ١٤٢٨ تحفة القادم ١٣٣ - ١٣٤.

أبو الحجاج التادليّ ابن الزيّات

١- هو أبو الحجاج أبو يعقوب يُوسُفُ بنُ يحيى بن عيسى بن عبد الرحمن التادليّ^٤
 (نسبة إلى تادلة في المغرب، بين مدينة مَرَاكُشَ ومدينة فاس)، ويُعرفُ بابن الزيّات.
 وقد كانت وفاته سنة ٦٢٧ أو ٦٢٨ هـ (١٢٢٩ - ١٢٣٠ م).

٢- كان أبو الحجاج التادليّ من أئمّة اللغة والنحو والأدب، ويبدو أنّه اتّجه
 اتّجهاً قوياً إلى التصوّف في أواخر حياته وأصبح شديد الإيمان بالكرامات الحارقة

(١) إلى مدى (سافة بعيدة). الظالم: الذي يفرج (يفتح الرام) في مشيه، لا يستطيع الجري بيرة أو
 يسير (بضمّ الياء). حسرى جمع حسير (للمؤث والمذكّر): الكليل، الحائر القوى، الضعيف، العاجز
 (راجع تاج العروس - الكويت ١١: ١٢ - ١٣).

(٢) « سبحان الذي أسرى بعبده ليلامن المسجد الحرام (مكة) إلى المسجد الأقصى (القدس) » آية من القرآن
 الكريم (١٧: ١، سورة الإسراء). الساري: محمد رسول الله. المرى: الانتقال (برسول الله) من مكة
 إلى بيت المقدس.

(٣) راجع عناوين لها مختلفة (في خصائص الفازازي، رقم ٢)، وعليها شرح لحدّ الزهري الصمراوي.

للعادة والطبيعة من المشي على الماء (التشوّف، ص ٩٨، ١٩٢، ٣٢٥، ٣٦٥) والطيران في الهواء (ص ٢٥٢) ويجعل ماء البحر عذبا حلواً (ص ٢٨٠) وتكليم الموتى في قبورهم (ص ٢٨٧، وغيره). ثم هو مُصنّف، له: نهاية المقامات في دراية المقامات (شرح لمقامات الحريري المتوفى ٥١٦ هـ) - مناقبُ أحمدَ السبّعيّ دفينِ مرّاكشَ - التشوّف إلى رجال التصوّف (بدأ بتأليفه ٦١٧ هـ). في هذا الكتاب تراجمٌ للذين سبقوا عصره، إذ لم يترجم للأحياء. والكتابُ مملوءٌ بأفعالٍ منسوبة إلى المتصوّفين أشبه شيء بالخرافات. وفي الكتاب شعرٌ كثيرٌ، يبدو أن قليلاً لأصحاب التراجم التي يردُّ ذلك الشعرُ في أثنائها، ويبدو أن أكثره غيرُ ذلك^(١). وهو يُوردُ ذلك الشعرَ مقطوعاً مُغفلاً لا يَنسبُهُ إلى أصحابِ التراجم ولا إلى غيرهم، إلّا في النادرِ الشاذِّ.

٣ - مختارات من آثاره:

- من مقدّمة كتاب «التشوّف إلى رجال التصوّف»:

.... لم يَخُلْ زمانٌ من ولى من أولياء الله تعالى يَحْفَظُ اللهَ به. البلادَ والعباد. وكانت طائفةٌ منهم عظيمةٌ بأقصى المغرب أهُمِلَت أخبارُهُم وجُهِلَت آثارُهُم حتّى ظنَّ مَنْ لا علمَ له بهم أنّه لم يكن منهم بأقصى المغرب أحدٌ.... وما زال كثيرٌ من الصالحين يَكْرَهُونَ الإقامَةَ في قواعدِ البلادِ خيفةً من الفتنِ^(٢)، ومنهم من كان مُقيماً بها على وجهِ الاضطرار..... ولَمَّا خَفِيَ عن كثيرٍ علمُ مَنْ كان بحضرةِ مرّاكشِ^(٣) من الصالحين ومن قَدِمَها من أكابرِ الفضلاء رأيتُ أن أفرُغَ لذلك وقتاً^(٤) أجمعُ فيه طائفةً

(١) هو يورد مثلاً أبيات القاضي المرجاني (٣٩٢ هـ):

يقولون لي: فيك انقباض! وإنّا رأوا رجلاً عن موقف النذل أحجبا.

في ترجمة أبي الربيع سليمان الصنهاجي التلمساني (ت ٥٧٩ هـ). راجع ص ٢٧٣.

(٢) خيفة من الفتن: خوفاً من أن يشتهروا فيكثر الناس من احترامهم والتبرك بهم فيدخل على نفوسهم شيء من الغرور يفسد تصوّفهم.

(٣) حضرة مرّاكش: المدينة التي هي العاصمة (يحضر فيها الملك).

(٤) أفرغ: اتخلّى عن كلّ شيء وأهمّ بشيء واحد. وقتاً (مدةً من الزمن) - وهي هنا ظرف مفعول فيه منصوب.

أَدَوْنَ أَخْبَارِهِمْ..... وَتَحَرَّيْتُ فِي نَقْلِ ذَلِكَ عَنْ أَهْلِ الثِّقَةِ وَالْأَمَانَةِ وَالْحَبْرِ وَالصَّلَاحِ
وَالْمُسْتَوْرِينَ^(١) مَا اسْتَطَعْتُ..... وَسَمَّيْتُ هَذَا الْكِتَابَ بِالتَّشَوُّفِ إِلَى رِجَالِ التَّصَوُّفِ،
وَإِنْ كَانَ مُشْتَمِلاً عَلَى أَضْرَابٍ مِنْ أَفْضَلِ الْعُلَمَاءِ وَالْفُقَهَاءِ وَالْعِبَادِ وَالزُّهَادِ
وَالوَرَعِينَ... فَإِنَّ اسْمَ الصَّوْفِيِّ يَصْدُقُ عَلَى جَمِيعِهِمْ..... وَالَّذِي يُعْوَلُ عَلَيْهِ أَنَّ الصَّوْفِيَّ
هُوَ الْمُنْقَطِعُ بِهَيْبَتِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، الْمُنْتَصِرُ فِي طَاعَتِهِ.....

وَجَرَدْتُ هَذَا الْكِتَابَ مِنْ عُلُومِ التَّصَوُّفِ وَاقْتَصَرْتُ عَلَى إيرادِ أَخْبَارِ الرِّجَالِ،
فَإِنَّ «إِحْيَاءَ عُلُومِ الدِّينِ»..... لِلْفِرْزَالِيِّ..... هُوَ الْمُنْتَهَى فِي ذَلِكَ.....

٤ - التَّشَوُّفُ إِلَى رِجَالِ التَّصَوُّفِ (اعتنى بشره وتصحيحه أدولف فور) الرِّبَاطُ (مطبوعات
أفريقية الشمالية الفنيّة) ١٩٥٨. (مطبوعات معهد الأبحاث العليا المغربية ١٢).
* نيل الابتهاج (بهاشم الديقاح المذهب) ١٣٥٢ بغية الوعاة ٤٢٢٥ البلغة ٢٩٤ بروكلمن،
الملحق ١: ٥٥٨ - ٥٥٩ الأعلام للزركلي ٩: ٣٣٩ - ٣٤٠ (٨: ٢٥٧).

أبو عبد الله محمد بن حماد الصنهاجي

١ - هو أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد (أو حمادو أو حمادة) - وكلها
بتخفيف الميم: بلا شدة عليها - من أهل قلعة بني حماد^(٢). وُلِدَ نَحْوَ سَنَةِ ٥٤٥ هـ
(١١٥٠ م) فِي قَرْيَةِ بُرْجِ حِمَزَةَ مِنْ حَوْزِ قَلْعَةِ بَنِي حَمَادِ (البويرة - دائرة البيبان)،
شَرْقَ مَدِينَةِ الْجَزَائِرِ، وَفِيهَا نَشَأَ.

بَدَأَ ابْنُ حَمَادِ الصَّنْهَاجِيُّ تَلْقَى الْعِلْمَ فِي بَلَدِهِ قَلْعَةَ بَنِي حَمَادِ (وَكَانَتْ حَاضِرَةً مِنْ
حَوَاضِرِ الْعِلْمِ) ثُمَّ فِي بَجَايَةِ، ثُمَّ فِي عَدِيبٍ مِنْ مَدَنِ الْمَغْرِبِ، وَفِي الْأَنْدَلُسِ أَيْضاً. وَقَدْ كَانَ
مِنْ شُيُوخِهِ الْفَقِيهُ أَبُو عَلِيٍّ حَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْمَسِيلِيُّ (ت نَحْوَ ٥٨٠ هـ) مِنْ أَهْلِ بَجَايَةِ،

(١) المستورون: الذين لا يتظاهرون بالتصوف ولا يريدون أن يُعرف عنهم أنهم متصوفون.
(٢) المشهور في قلعة بني حماد وفي بني حماد من الأسر الحاكمة في المغرب أنها بتشديد الميم. وفي تاج العروس
(الكويت): حمادة، كحمأة (بلا شدة على الميم) ناحية بالهامة (٨: ٤١). ولقد سمى العرب حماداً بتشديد
الميم (٨: ٤٠، راجع ٤٥).

وكان يُلقَّبُ «أبا حامد الصغير» تشبيهاً له بأبي حامد الغزاليّ (ت ٥٠٥ هـ). ثمّ الحدّث عبدُ الحقِّ بنُ عبدِ الرحمن الأشبيليّ المعروفُ بابنِ الخراطِ الأزديّ الإشبيليّ (ت ٥٨١ هـ) ثمّ أبو تميمٍ ميمونُ بنُ جُبارةَ بنِ خلفونِ الفرداديّ (ت ٥٨٤ هـ) من أهلِ بجايةَ (القَطْرَ الجزائريّ) ثمّ الصوفيّ المشهورُ أبو مَدِينِ شَعِيبُ بنُ الحسنِ (ت ٥٩٤ هـ) ثمّ أبو العباسِ بنِ مبشَرٍ (؟). ولقد تلقّى ابنُ حمادِ الصنْهَاجِيّ العِلْمَ على هؤلاء وعلى غيرهم أيضاً في عددٍ من مُدُنِ القَطْرِ الجزائريّ والقَطْرِ المُغْرِبِيّ وفي الأندلسِ.

وتولّى ابنُ حمادِ القضاءَ في الجزيرة الخضراء (جنوبيّ الأندلس) إلى سنة ٦١٣ هـ. ثمّ نُقلَ إلى مدينة سَلا (قرب الرباط - المغرب) فتولّى فيها القضاءَ إلى أن توفّيَ فيها، سنةَ ٦٢٨ هـ (١٢٣٠ - ١٢٣١ م).

٢- يُعدُّ ابنُ حمادِ الصنْهَاجِيّ من أئمةِ العِلْمِ في زَمَنِهِ فهو أديبٌ شاعرٌ ومؤرِّخٌ وفقهٌ وراويَةٌ للحديث. وشِعْرُهُ الباقي لنا، وهو قليلٌ، أكثرُهُ في الوصف، ثمّ هو على شيءٍ من العُدوبةِ والطلاوةِ. وابنُ حمادِ مُصنِّفٌ، له: برنامُجٌ (لشيوخه: فيه أسماؤهم وما أخذ عنهم من فنونِ العِلْمِ وما قرأ عليهم من الكتب) - ديوان شعر - شرح مقصورة ابنِ دُرَيْدٍ (ت ٣٢١ هـ) - عُجالة المودّعِ وعُجالة المُشيعِ (في الأدب والشعر) - شرح الأربعمين حديثاً (للنووي؟) - شرح كتاب الإعلامِ بفوائد الأحكام لعبدِ الحقِّ الإشبيليّ (بن الخراط؟) - أخبارُ ملوكِ بني عُبيدِ (الفاطميين) - الديباجة أو النُبْدُ المُحتاجة^(١) في أخبارِ صنهاجةَ بإفريقيّةَ وبجايةَ - نُبْدَةٌ في أخبارِ البربر - تلخيص كتاب ابنِ جرير الطبري.

٣- مختارات من آثاره:

- قال أبو عبدِ الله بنُ حمادِ الصنْهَاجِيّ (رحلة التجاني ١١٧):

على عينِ السلامِ سَلامٌ صبُّ غِذاءِ ماؤها العَذْبُ النَّمِيرُ^(٢).

(١) المقصود: المحتاج إليها (ولكن حينئذ يطل السجع).

(٢) النار (المنارة): بناء مرتفع يوقد في أعلاه نار لهداية المسافرين في البحر وفي غير ذلك. وعين سلام عين بالوادي المعروف بوادي جراوة، والمروسان مبنى بناه الناصر بن علناس (من حكام بني حماد في قلعة =

تَأوَّدَ أُنْكَهَما وَجَرَّتْ صَبَها
 وَأَبْرَدُ ما يَكُونُ المائِ فيها
 وما أَدْرِي: أَيَجْرِي فَوْقَ دُرِّ
 وَقَد قامَ المَنارِ عَلى ذُرَها
 بِناءِ يُزْدَرى إِيوانُ كِرى،
 وَشأَلُها كَما فَتِيقَ العَبرِ^(١).
 وَأندى حَينَ يَحْتَدُمُ المَهِجِرِ^(٢).
 أمِ أبْتَسَمْتَ بِمَنبَهِها الثُّمُورِ؟
 كَما قامَ العَروسُ أوِ الأَميرِ^(٣).
 لَدَيبِ، وَالخَوَزَنَتِ وَالسَدِيرِ^(٤).

- وقال أيضاً في الوصف (رحلة التجاني ١١٦):

ألا لَيتَ شِعْري هَلْ أبيتَنَ ليلَةَ
 وَهَلْ أَسَمَعَنَ تلكَ الطيورِ غُدِيَّةً
 وَهَلْ أَرَدَنَ عَينَ السَلامِ عَلى الصَّدى
 وَأَنظَرُ طَيطانَ المَنارِ مُطَلَّةً
 كَأَنَّ القِبابَ المُشْرِفاتِ بِأَفقِهِ
 يُوادي المَجوَى ما بَينَ تلكَ الجَدَاولِ؟
 تَجابُوبُ في تلكَ الفُصونِ المَوائِلِ^(٥)؟
 فَأَبْرِدَ مِن حَرِّ الضُّلُوعِ التَّواهِلِ^(٦)،
 عَلى الوَجَناتِ الزَهاراتِ المَناهِلِ^(٧)؟
 نَجومٌ تَبَدَّتْ في سُعودِ المَنازِلِ^(٨).

بني حماد، من سنة ٤٥٤ هـ إلى سنة ٤٨١ هـ). وكلّ هذه الأماكن مبان في قلعة بني حماد (رحلة التجاني ١١٥ - ١١٦). النعير: الطيب الذي يروي (ينع العطش).

(١) تأوّد: تقابل. الأبكة: مكان فيه شعر كثيف (الصورة البلاغية غير صحيحة، فإن الأشياء لا تتأبل: تتحرك بينما وشالاً في مجال واسع إلا إذا كانت متباعدة). الصبا: ربح الشرق. الشمال = الشمال (ريح الشمال). العبر = الرائحة الطيبة. كما فتق العبر (كما فتق أو شق أو فتح إناء العبر للمرّة الأولى فتنبعث منه رائحة قويّة).

(٢) وأندى (ما تكون الريح): أكثر بللا. المهجير: اشتداد الحرّ في نصف النهار.

(٣) الذرى أو الذرا (بالضمّ فيها) جمع ذروة (بالكسر أو بالضمّ): أعلى الشيء. العروس أو الأمير بناء في قلعة بني حماد (راجع الحاشية التي قبل حاشيتين هنا).

(٤) إيوان كسرى: بناء ضخم عال شرق بغداد (بناء الفرس). الخوزنق والسدير بناءان في العراق (عربيان). ازدرى فلان شيئاً: احتقره. يقصد بناء العروس أو الأمير أعظم من إيوان كسرى ومن قصر الخوزنق وقصر السدير.

(٥) غديّة: في الصباح. تجابوب = تجابوب (بجيب بعضها بعضاً): كأنها تفتني على اشتراك فيما بينها.

(٦) ورد الماء: ذهب إليه ليشرب منه. الصدى: العطش. الناهلة: الدائبة) الذاهبة إلى المنهل (الشرب) لأنها عطشى.

(٧) الطيطان جمع طاق: فتحة في الجدار شبه الشباك يشرف منها الإنسان على ما تحتها. الحميلة: بقعة فيها زهر كثير يحمل بعضه بعضاً. الوجنات (٤).

(٨) المشرف: العالي المطلق على غيره. الأفق: الناحية من الأرض (في اصطلاح المفاربة). - في علم الفلك =

فإن تَنَتِ الأَيَّامُ عنها أَعْنَتِي وَأَنْزَلْتَنِي فِي غَيْرِ تِلْكَ الْمَنَازِلِ ،
فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ، غَيْرَ أَنَّ صَبَابَتِي سَتَبَقِي بَقَاءَ الطَّالِمَاتِ الأَوَافِلِ ^(١) .

- من كتاب « نبذة المحتاجة في أخبار ملوك صنهاجة » (المكتبة العربية
الصقلية، ص ٣٦٧):

(من الفصل الأول)... وَالْمِظَلَّةُ الَّتِي آخِطَصُوا بِهَا ^(٢) مِنْ دُونَ سَائِرِ الْمُلُوكِ شِبْهُ
دَرَقَةِ فِي رَأْسِ رُمَحٍ ^(٣) مُحَكَّمَةٌ الصَّنْعَةَ رَائِقَةُ الْمَنْظَرَةِ صُرْفٌ فِيهَا مِنْ ^(٤) الصَّنَاعَةِ فِي
الصِّيَاغَةِ وَنَظْمِ الأَحْجَارِ الْعَالِيَةِ الْغَالِيَةِ مَا يَرُوقُ ^(٥) مَرَّاهُ وَيُدْهِسُ مَنْ رَأَاهُ ، يُنْسِكُهَا
فَارِسٌ مِنَ الْفُرْسَانِ يُعْرَفُ بِهَا - فيقال: صَاحِبُ الْمِظَلَّةِ - . وَكَانَتْ عِنْدَهُمْ خَطَّةً يَتَدَاوَلُهَا
مَنْ يُوَهَّلُ ^(٦) فَيُحَازِي بِهَا الْمَلِكُ مِنْ حَيْثُ كَانَتْ الشَّمْسُ يَتَّقِيهِ حَرَّهَا بِظِلِّهَا ^(٧) . وَفِيهِ
يَقُولُ عَمَّادُ بْنُ هَانِي ^(٨) مِنْ قَصِيدَةٍ يَمْدَحُ بِهَا مَعَدَّ الْمُعِزِّ الَّذِي يَأْتِي ذِكْرَهُ ^(٩) .

وَلَا يُعْلَمُ أَحَدٌ مِنَ الْمُلُوكِ آتَخَذَ هَذِهِ الْمِظَلَّةَ إِلاَّ بَنُو عُبَيْدِ بْنِ مَلِكِ الرَّوْمِ

القديم أن الشمس والقمر ينزلان (في أثناء جريهما) بمنازل (بمواقع في السماء) منها ما يدل على السمد
ومنها ما يدل على النحاس.

(١) الصبابة: الشوق أو الشوق الشديد. الطالِمَاتِ الأَوَافِلِ (العاربات): النجوم. سَتَبَقِي بَقَاءَ الطَّالِمَاتِ
الأَوَافِلِ: ستدوم.

(٢) كانت مخصصة (أو خاصة) ببني عبيد الله المهدي (ملوك الفاطميين). بها (بهذه المظلة).

(٣) درقة: ترس من جلد. في رأس رمح (محمولة على رمح).

(٤) المنظر والمنظرة: ما نظرت إليه فأعجبك (تاج العروس - الكويت ١٤ : ٢٤٦). صرف (بالبناء
للسجول): بضم الصاد وكسر الراء - مشددة أو غير مشددة) فيها (غير موجودة في الأصل).

(٥) الأحجار أي الحجارة الكريمة كالزمرّد والماس (ولا تقل الألماس، فإنه من لحن العامة، راجع تاج
العروس - الكويت، ١٦ : ٥٢٦). يروق: يبرق. يبرق.

(٦) الخطة (بالضم): المنصب (الوظيفة). يُوَهَّلُ (في الأصل: يزهل): يمدّها، يكون لها أهلا (مستحقاً).

(٧) يتقيه: يمنعه، يحميه. حرّها (حرّ الشمس). ظلّها (ظلّ المظلة). حاذى - حازاه: وازاه، قاربه.

(٨) عمّد بن هاني الأندلسي الشاعر (ت ٣٦٢، راجع ترجمته في الجزء الرابع).

(٩) المعزّ لدين الله الفاطمي عمّد بن اسماعيل (رابع الأئمة الفاطميين ٣٤١ - ٣٦٥ هـ)، وفي أيامه استولى
الفاطميون على مصر. «بأني ذكره» (سيذكره ابن حماد في كتابه).

باصقيلية^(١). وأحسب^(٢) أنهم أهدوها إليه في بعض هداياهم. وكأني سمعتُ هذا.

٤ - أخبار ملوك بني عبيد (فان در هايدن)، الجزائر (منشورات جامعة الجزائر - السلسلة الثالثة، رقم ١٢) ١٣٤٦ هـ (١٩٢٧ م).

★ التكملة (رقم ١٦٣٧)، رحلة التجاني ١١٦ - ١١٧، عنوان الدراية (نشره عادل نويض) ١٢٨ - ١٢٩، (نشره راجع بونار) ١٩٩٢، ابن قنفذ ٣١١، راجع دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٨٢ تاريخ الجزائر العام ١: ٣٩٨ - ٣٩٩، الطمار ٧٥ - ٧٧، الأعلام للزركلي ٦: ١٦٩ (٢٨٠)، المكتبة العربية الصقلية ٣١٧ - ٣١٨.

ابن مُعْطِرِ الزَّوَاوِيِّ

١ - هُوَ زَيْنُ الدِّينِ أَبُو زَكَرِيَّا مَحْيِي بْنُ عَبْدِ الْمُعْطِيِّ بْنِ عَبْدِ النُّورِ الزَّوَاوِيِّ الْجَزَوِيُّ النَّحْوِيُّ الْحَنْفِيُّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ مُعْطِرٍ، وُلِدَ سَنَةَ ٥٦٤ هـ (١١٦٨ - ١١٦٩ م)، ودرس في الجزائر على أبي موسى الجَزَوِيِّ (ت ٦٠٧ هـ). ثم إنَّه رَحَلَ إلى مِصْرَ ثمَّ أُنْتَقَلَ إلى دِمَشْقَ وَسَكَنَ فِيهَا مُدَّةً طَوِيلَةً وَدَرَسَ عَلَى الْحَافِظِ ابْنِ عَسَاكِرَ.

وَعَمِلَ ابْنُ مُعْطِرٍ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ، فِي دِمَشْقَ، «شَاهِدًا» لِيَكْسِبَ قُوَّتَهُ. ثُمَّ ظَهَرَ مَكَانَتُهُ وَعَظُمَتْ شُهْرَتُهُ فَوَلَّاهُ الْمَلِكُ الْمُعْظَمَ (٦١٥ - ٦٢٤ هـ) مَصَالِحَ الْمَسَاجِدِ فِي دِمَشْقَ. ثُمَّ إِنَّ الْمَلِكَ الْكَامِلَ (٦١٥ - ٦٣٥ هـ) سُلْطَانَ مِصْرَ رَعَبَهُ فِي الْأَنْتِقَالِ إِلَى مِصْرَ فَسَافَرَ إِلَيْهَا وَتَصَدَّرَ لِتَدْرِيسِ الْأَدَبِ فِي الْجَامِعِ الْعَتِيقِ (جَامِعِ عَمْرٍو بِالْقُسْطَاطِ: مِصْرَ الْقَدِيمَةِ) وَجَعَلَ لَهُ رَاتِبًا جَارِيًا. وَاسْتَمَرَّ عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ فِي ٣٠ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ سَنَةِ ٦٢٨ (٢٩ / ٩ / ١٢٣١ م).

٢ - ابْنُ مُعْطِرِ الزَّوَاوِيِّ أَحَدُ أُمَّةِ اللُّغَةِ وَالنَّحْوِ فِي عَصْرِهِ: مَاهِرٌ فِي الْعَرَبِيَّةِ (النَّحْوِ) مَبْرُزٌ فِي عِلْمِ الْأَدَبِ قَادِرٌ فِي النِّظْمِ وَالتَّنْثِيرِ. وَهُوَ مُؤَلِّفٌ، لَهُ: قَصِيدَةٌ فِي

(١) باصقيلية = بصقلية (في صقلية). وهذه المظلة لا تزال إلى الآن مستخدمة في المغرب: يركب ملك المغرب حصاناً ثم يسير بجانبه رجل يحمل مظلة (من نسيج) يدفع بها حرَّ الشمس عن الملك.

(٢) في الأصل: حسب.

القراءات السبع - نَظْمُ الجوهرة لابن دُرَيْدٍ - الأرجوزة الألفية (ولعلها أولُ أَلْفِيَّةٍ في النحو) - الفصول الخمسون (في النحو) - البديع في صناعة الشعر - ديوان شعر - ديوان خُطَب - حواشي على أصول ابن السراج - نظم الصحاح للجوهري (لم يُكْمَلْه) - المثلث في اللغة (وهي قصيدة في العروض؛ راجع معجم الأدباء ٢٠: ٣٥).

والمُنَوَّنُ الكاملُ لألْفِيَّةِ ابنِ مُعْطِرٍ هو: «الدَّرَّةُ الأَلْفِيَّةُ في عِلْمِ العربية»، وهي - في الحقيقة - أَلْفٌ وواحدٌ وعشرون بيتاً من مشطور بَعْرِ الرَّجَزِ (راجع البيت الثالث عَشَرَ منها):

لِعَلِمِهِمْ بَأَنَّ جَفِظَ النَّظْمِ وَفَسَقُ الذِّكْيِ وَالبَعِيدِ الفَهْمِ^(١)،

لا سِيَّاً مشطورٌ بجرِ الرَّجَزِ إِذَا بُنِيَ على ازدواجٍ مُوجَزٍ^(٢).

وَأَلْفِيَّةُ ابنِ مُعْطِرٍ جافَّةٌ شديدةُ الإيجازِ لا تُفهمُ إلاّ بشرحٍ طويلٍ. ولعلها مفيدةٌ لِمَنْ يُتَمَنُّ النحو والصرف. أمَّا الذي يبتدئُهُ تَعَلُّمُ النحوِ بِحِفْظِهَا فلا يستطيعُ أَنْ يستفيدَ منها (ولا مِنْ أمثالها) شيئاً. وفي هذه الأرجوزة جَوَازَاتٌ شاذَّةٌ (لا أعلمُ إِذَا كانتْ من صاحبها أو من النَّسَاحِ).

٣ - مختارات من آثاره:

- من الدرَّة الألفية في علم العربية^(*):

* من مبدأ الألفية:

يقولُ راجي رَبِّهِ العَفْورِ يَخْيِى بِنُ مُعْطِرِ ابنِ عبدِ النورِ:

(١) راجع تفسير هذا البيت في «المختارات».

(٢) في تاج العروس (الكويت): والمشطور من الرجز والسريع ما ذهب شطره (نصفه) وذلك إذا نقص ثلاثة أجزاء من سنته (١٢: ١٧٢). وهذا التعريف لا ينطبق هنا على أَلْفِيَّةِ ابنِ مُعْطِرٍ، فإنه قد التزم فيها الازدواج (مستفعلن ستّ مرات). والازدواج (في البيت المشار إليه يعني ازدواج القافية) محي، كل شطرين على رويٍّ واحدٍ مستقلّ، بدلاً من أن تكون جميع أشرطة الأرجوزة على رويٍّ واحدٍ.

(*) لن أتناول الأبيات بشرح مفصّل لأن ذلك سيكون استمراضاً لقواعد النحو وشواذه أيضاً.

الحمْدُ لله الذي هدانا
 فلم يَزَلْ يَمْسِي به الإسلامُ
 مُؤَيِّدًا منه بِخَيْرِ الكُتُبِ
 لِكُونِهِ أَشْرَفَ ما بِهِ نَطِيقُ،
 صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ ثُمَّ سَلَّمَ
 وبَعْدُ، فَالْعِلْمُ جَلِيلُ القَدْرِ
 فابْدَأْ بما هُوَ الأهمُّ فالأهمُّ،
 فَإِنَّ مَنْ يُتَقَنُ بِمَضِّ الفَنِّ
 وَذا حَدًّا إِخوانَ صِدْقِي لي على
 أَرْجوزةَ وَجِيزةَ في النَّحْوِ
 لِعِلْمِهِم بِأَنَّ حِفْظَ النِّظْمِ
 فَقَلْتُ غَيْرَ آمِنٍ مِنْ حاسِدِ
 * القَوْلُ في الإِعْرابِ والبِناءِ،
 وَحَسَدُهُ تَغْيِيرٌ في الآخِرِ
 بالرَّفْعِ أو بالنَّصْبِ أو بالجَرِّ
 والجَزْمُ من ألقابه، كـ «لَمْ يَرَمْ».

بأحدٍ ديناً له آرْتضانا^(١).
 حتّى استَبانَتْ للهُدى أعلامُ؛
 وَحَيًّا إِلَيْهِ يِلسانِ عَرَبِي،
 كما الرسولُ خَيْرُ مخلوقِ خَلِقِ.
 وآلِهِ وَصَحْبِهِ وَكَرَمًا.
 وفي قَليلِهِ نَفادُ العُمُرِ.
 فالهَازِمُ البادئُ فيما يُسْتَمُّ^(٢).
 يُضْطَرُّ للباقي ولا يَسْتغْنِي.
 أنِ اقْتَضَوْا مِنِّي لِمَ أنِ أَجَمَلًا^(٣)
 عِدَّتْها أَلْفٌ خَلَّتْ من حَشْوِ؛
 وَفَقُّ الذِّكْيِ وَالبَعِيدِ الفَهِمِ^(٤).
 أو جاهِلِ أو عالمِ مُعانِدِ^(٥)؛
 الأَصْلُ في الإِعْرابِ للأَسْماءِ؛
 بِعامِلِ مَقْدَرٍ أو ظاهِرِ^(٦)؛
 كـ «حَرَ زَيْدٌ راکِباً بِعَمْرٍو».
 وليس في الأَسْماءِ شيءٌ يَنْجِزُ^(٧).

-
- (١) أحمد من أسماء محمد رسول الله.
 (٢) إن العاقل يبدأ بالقيام بالأمور التي يستطيع أن يتيها.
 (٣) حدا: دفع. اقتضى فلان فلاناً حقاً: طلبه منه.
 (٤) النظم (التمر) أهون في الحفظ على الذكي وعلى بعيد (قليل) الفهم. وفق: قدر (أي يوافق ويساوي).
 (٥) ... وأنا أخشى أن ينهض لي رجل جاهل أو رجل عالم ولكنه محب للعناد (المجدال) مجسدي على ما
 أفضله فينتقدي ويخطئني ظلاً في عدد من الأمور.
 (٦) العامل (السبب في الإعراب). جاء زيد (زيد فاعل مرفوع بالفعل «جاء» - عامل ظاهر). ريد غائب
 (زيد مبتدأ مرفوع بالابتداء - عامل مقدر).
 (٧) من ألقابه (من خصائص الفعل). رام الرجل مكانه يريه: برحه (غادره، تركه). - الجزم خاص
 بالأفعال وليس من خصائص الأسماء.

وليس في الأفعال ما يَنْجَرُّ والحرفُ مَبْنِيٌّ بكلِّ حالٍ، فالْمَعْرَبُ الاسمُ الذي تَمَكَّنَّا
 * القول في إعرابِ الأسمِ الواحدِ: فَرَفَعَهُ بضمِّه تَبِينُ والنصبُ فيه بانفتاحِ الآخرِ، وإن يكنْ آخِرُهُ مُعْتَلًّا سُمِّيَ مقصوراً بِهِ تَقَدَّرُ: وإن يكنْ ياءً وكسراً قَبْلَهُ نحو: الشَّجِي. والنصبُ فيه يَظْهَرُ؛ والواوُ والياءُ إذا ما كانا أو كان مَهْمُوزاً كَيْسَلِ الشاءِ والعَدُوِّ والعَدُوِّ والكُرْسِيِّ وَيَتَّهَى بالواوِ رفعاً إن تُضَيَّفَ أَخْ أَبٌ حَمٌّ هَنَّ وَفُوهُ؛ وكلُّ ما لم يَنْصَرَفْ تَفْتَحُهُ

فَمُوَضَّتْ جزمًا بها يُقَرُّ^(١). والأصلُ في البناءِ للأفعالِ: ثم مضارعٌ سيأتي بيْنَا^(٢). كلُّ صحيحٍ بانصرافِ وارِدِ^(٣). وَيَتَّبِعُ الحَرَكَةَ التَّنوينِ. والجرُّ فيه بانكسارِ ظاهرِ بِأَلِفٍ، نحو: الفَتَى وَحُبْلَى الحَرَكَاتُ كُلُّهَا لا تَظْهَرُ. سُمِّيَ منقوصاً لِنَقْصِ حَلِّهِ^(٤)، والرفعُ كالجرِّ بِهِ يُقَدَّرُ. في اسمِ حَوَى قَبْلَهَا إِسْكَاناً، والطَّبِي والآيِ والكِسَاءِ جُسِستَ بإعرابِها جَلِيٌّ. والياءُ في الجَرِّ، وفي النصبِ الأَلِفُ: ذو المالِ قُلْنَ، ولا يَجُوزُ ذُوهُ. جَرًّا - كإِسْحاقَ - ويأتي شَرْحُهُ.

- (١) الفعل لا يجزأ (لا تظهر على آخره كسرة، إلا في مثل قولنا: لم يَشُدَّ - إذ يتعذر ظهور السكون على الشدة فيصبح الحرف الواحد عليه سكونان، ذلك لأن الشدة في الحقيقة تمثل حرفين متماثلين أولهما ساكن وثانيهما متحرك. فإذا نحن سكتنا آخر الكلمة أصبح على آخرها سكونان، وهذا متعذر في اللفظ) لم يَشُدَّ (يجوز أن تظهر على آخرها الضمة أو الفتحة أو الكسرة).
- (٢) الاسم المتمكن: المنتهي بحرف صحيح كالجيم والنون مثلا. لا يجرّف علة، أي بألف طويلة (مثل العصا) أو ألف مقصورة (مثل الفتى) أو ياء معلولة (مثل القاضي). أما الواو والياء في مثل العدو والسمي فتعامل في الإعراب معاملة الحرف الصحيح.
- (٣) كل اسم صحيح الآخر يرد (يأتي) مصروفاً (تظهر عليه الحركات الثلاث). وغير المنصرف أو غير المصروف. تكون الفتحة علامة جره.
- (٤) الاسم المنقوص ما ختم بياء قبلها كسرة، نحو: القاضي - لأن الياء تنقص منه إذا نكّرناه (تركناه نعرهه باللام): قاض ...

• - وروى ياقوت الحموي لابن عبد المعطي مقطوعتين هما (معجم الأدباء ٢٠ : ٣٦) :

★ قالوا: تَلَقَّبَ «زَيْنَ الدِّينِ»، فَهَوَّلَهُ
فَقُلْتُ: لَا تَغْبُطُوهُ. إِنَّهُ لَقَبٌ
★ وَإِذَا طَلَبْتَ الْعِلْمَ، فَأَعْلَمُ أَنَّهُ
وَإِذَا عَلِمْتَ بِأَنَّهُ مُتَفَاوِلٌ فَاشْتَغَلْ فَوَادَكَ بِالَّذِي هُوَ أَفْضَلُ^(١).

٤ - الفصول الخمسون (سيوغرن)، ليبسيك ١٨٩٩ م.

- الأرجوزة الألفية في علم العربية (تشرشتاين)، ليبسيك ١٩٠٠ م. *

★★ معجم الأدباء ٢٠ : ٣٥ - ٣٦ تعريف الخلف ٢ : ٥٨٧ - ٥٨٨ ؛ وفيات الأعيان ٦ : ١١٩٧ المعبر للذهبي ٥ : ١١٢ ؛ بغية الوعاة ٤١٦ ؛ شذرات الذهب ٥ : ١٢٩ ؛ نفع الطيب ، راجع ٢ : ٢٣٢ ؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ١٨٩٣ ؛ بروكلمن ١ : ٣٦٦ - ٣٦٧ ، الملحق ١ : ٥٣٠ - ٥٣١ ؛ الأعلام للزركلي ٩ : ١٩٢ - ١٩٣ (٨ : ١٥٥) ؛ أعلام الجزائر ٢٠١ - ٢٠٢ ؛ تاريخ الجزائر العام ٢ : ٥٥ - ٥٦ ؛ سركيس ٢٤٥ - ٢٤٦ ؛ الطمار ٩١ - ٩٢ ؛ سركيس ٢٤٥ - ٢٤٦ .

أبو الوليد الشقندي

١ - هو أبو الوليد اسماعيل بن محمد الشقندي، وُلِدَ في سُقُنْدَةَ^(٢). تَطَوَّفَ حِينًا فِي الْمَغْرِبِ، وَكَانَتْ صِلَتُهُ بِالْمَوْحِضِينَ وَثِيْقَةً. جَالَسَ أَبَا يُوْسُفَ يَعْقُوبَ الْمَنْصُورَ (٥٨١ - ٥٩٥ هـ)؛ وَوَلَّاهُ الْمَنْصُورُ الْقَضَاءَ فِي الْأَنْدَلُسِ: فِي بِيَّاسَةَ ثُمَّ فِي لُورِقَةَ وَفِي أُبْدَةَ مِنْ

(١) متفاصل: بعضه أفضل من بعض.

(*) لا شك في أن هذه الألفية قد طبعت في عدد من البلاد العربية مرارا، ولكن لم أقم، بالوسائل التي بين يدي، على مثل هذه الطبقات.

(٢) سُقُنْدَةَ قرية من قرى قرطبة إلى الغرب من الرَبَضِ (الضاحية الجنوبية من قرطبة) جنوب الضفة الجنوبية لنهر الوادي الكبير.

أعمال جَيَّان. ورأيناهُ مرَّةً في المَغْرِبِ عندَ أبي يحيى بن أبي زكريا والي سَبْتَةَ^(١). وكانت وفاته في إِشْبِيلِيَّةَ، سَنَةَ ٦٢٩ هـ (١٢٣١ - ١٢٣٢ م).

٢ - كان أبو الوليد الشُّقْنَدِيُّ جامعاً لفنونٍ كثيرةٍ من العلوم الحديثة والعلوم القديمة^(٢) (نفع الطيب ٣: ٢٢٣) حافظاً للحديث أديباً وناثراً بارعاً. وكان شِعْرُهُ عادياً، وفي شِعْرِهِ شيءٌ من المَجُونِ (نفع الطيب ٣: ٢٢٤). وله من الكتب: الطرف (نفع الطيب ١: ٣٩٩، ٢: ٢٧، ٣: ٣٦٩) أو طرف الظرفاء (بروكلمان، الملحق ١: ٤٨٣).

٣ - مختارات من آثاره:

- من رسالة الشُّقْنَدِيِّ (نفع الطيب ٣: ١٨٦ وما بعد):

كان الشُّقْنَدِيُّ عندَ أبي يحيى بن أبي زكريا والي سَبْتَةَ، فَجَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي يَحْيَى ابْنِ الْمُعَلِّمِ الطَّنْجِيِّ^(٣) نزاعٌ في التفضيل بين البرِّينِ (بين الأندلسِ والمَغْرِبِ). ولَمَّا طال النزاعُ قال والي سَبْتَةَ: الرَّأْيُ عِنْدِي أَنْ يَمْعَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمَا رِسَالَةً فِي تَفْضِيلِ بَرَّةٍ (راجع نفع الطيب ٣: ١٨٦ وما بعد). فَعَمِلَ الشُّقْنَدِيُّ رِسَالَةً فِي فَضْلِ الأَنْدَلُسِ جَاءَتْ قِطْعَةً بَارِعَةً مِنَ النِّشْرِ الأَصِيلِ السَّهْلِ المُتَبِنِ المُتَمَنِّعِ بِرُوحِ الفِكَاهَةِ خَاصَّةً. وهي تنكشف عن علمٍ كثيرٍ، كما تدلُّ على ذَوْقِ الشُّقْنَدِيِّ فِي اخْتِيَارِ نَمَازِجِ الشِّعْرِ الَّتِي جَاءَ بِهَا فِي ثَنَائِهَا تِلْكَ الرِّسَالَةَ:

- ص ١٨٧:

الحمد لله الذي جعل لمن يفخرُ بجزيرة الأندلس أن يتكلمَ مِلَّةً فيه، ويُطنَّبَ ما شاء فلا يجد من يثنيه^(٤)؛ إذ لا يُقالُ للنهار: يا مُظْلِمُ، ولا لوجهِ النعم: يا قبيحُ!....

(١) كان أبو يحيى صهر الناصر الموحدي (٥٩٥ - ٦١١).

(٢) العلوم القديمة (العلوم الدخيلة): الفلسفة والفلك الخ. العلوم الحديثة علوم السنن والعربية (٤).

(٣) أبو يحيى بن المعلم الطنجي (لم أهد إلى صاحب هذا الاسم إلا في هذا النص. ولم يرد هذا الاسم في مكان من الفهرس الهجائي لنفع الطيب).

(٤) أطنب: بالغ، أكثر الكلام في موضوع ما. ثناء بثنيه: رده، منعه.

أما بعد، فإنه حرك^(١) مني ساكناً وملأ مني فارغاً - فخرجت عن سَجَّتي في الإغضاء مُكرهاً إلى الحمية والإباء^(٢) - مُنازع (فاعل حرك) في فضل الأندلس أراد أن يخرق الإجماع ويأتي بما لا تقبله النواظر والأسماع..... رام أن يفضل برّ العُدوة على برّ الأندلس فرام أن يفضل على اليمين اليسار، ويقول: الليل أضوأ من النهار...

- ص ١٨٨ :

.... اقرن حياءك أثيراً المُغرّد بالنحيب^(٣)، المتزين بالخلق المتحجب إلى الفواني بالمشيب الخضب^(٤).... أبلغت العصبية من قلبك أن تطيس على نورني بصرك ولُبك^(٥)؟ أما قولك: « الملوك منا »؛ فقد كان الملوك منا أيضاً^(٦). وما نحن إلا كما قال الشاعر:

فيومٌ علينا ويومٌ لنا، ويوم نساء ويوم نسر.

إن كان كرسي جميع بلاد المغرب^(٧) عندكم بخلافة بني عبد المؤمن - أدامها الله تعالى - فقد كانت عندنا بخلافة المُشرقين الذين يقول مشرقهم^(٨):

وإني من قوم كرام أعزّة لأقدامهم صبيغت رؤوس المنابر.

(١) فاعل (حرك) « منازع » (في السطر التالي).

(٢) السجية: الطبيعة. الإغضاء: غص البصر، السكوت عن أمر من الأمور. الحمية: الحاسة، شدة المدافعة عن أمر ما (حقاً أو باطلاً). الإباء: الرفض، الامتناع عن عمل ما.

(٣) المُغرّد (المغني) بالنحيب (رفع الصوت بالبكاء).

(٤) المتزين بالخلق (بفتح فتح): المتهرىء من الثياب. الغانية: المرأة المستغنية بجهاها عن الحل. بالمشيب الخضب (الخضوب: المصبوغ باللون الأسود) - في هذه التناقضات التي تقال هنا هزواً وقاعدة أساسية من قواعد الشعر الحديث (وإن كان الشعر الحديث لا يأتي بمثل هذا الوضوح والتهمك العاقل).

(٥) اللب: العقل.

(٦) ان مدينة مراكش الآن (في أيام الشقندي) كانت عاصمة المغرب الإسلامي (في إفريقية والأندلس). وقد كانت قرطبة من قبل (في أيام بني مروان في الأندلس) عاصمة للبلاد.

(٧) هذا الشعر للعتي (بالضم) وهو أبو عبد الرحمن بن محمد، وينتهي نسبه إلى عتبة بن أبي سفيان بن حرب. وأبو سفيان كان في الجاهلية رأس البيت الأموي. وكانت وفاة العتي سنة ٢٢٨ هـ (راجع وفيات الأعيان ٤: ٣٩٩).

خلائف في الإسلام، في الشرك قادة. ٣٣ وإليهم فخر كل مُفاخر:
ويقول مغربيهم^(١):

ألسنا بني مروان كيف تبدلت
إذا ولد المولود منا تهللت
بنا الحال أو دارت علينا الدوائر.
له الأرض واهتزت إليه المنابر.

- ص ١٩٢ :

.... وإنك إذ تعرّضت للمفاضلة بالعلماء فأخبرني: هل لكم في الفقه^(٢) مثل عبد الملك بن حبيب الذي يُعمل بأقواله إلى الآن، ومثل أبي الوليد الباجي، ومثل أبي بكر بن العربي، ومثل أبي الوليد بن رشد الأكبر، ومثل أبي الوليد بن رشد الأصغر - ابن ابن رشد الأكبر - نجوم الإسلام ومصابيح شريعة محمد عليه السلام. وهل لكم في الحفظ^(٣) مثل أبي محمد بن حزم الذي زهد في الوزارة والمال ومال إلى رتبة العلم ورأها فوق كل رتبة ثم قال وقد أحرقت كُتُبُه:

دعوني من إحراق رقّ وكاغيد
فإن تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي
وقولوا بعلم، كي يرى الناس من يدري.
تضمّنه القرطاس؛ إذ هو في صدري!

- ص ١٩٣ :

... وهل لكم في علم اللّحون والفلسفة كابن باجّه، وهل لكم في علم النجوم والفلسفة والهندسة ملك كالمقتدر بن هود صاحب سرقسطة، فإنه كان في ذلك آية^(٤)؟ وهل لكم في الطب مثل ابن طفيل صاحب رسالة حي بن يقظان المُتقدّم في علم الفلسفة، ومثل بني زهر أبي العلاء ثم ابنه عبد الملك ثم (ابن) ابنه أبي بكر^(٥): ثلاثة في نسقي؟

- (١) البيتان التاليان للأمير محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر في أواخر أيام المروانيين في قرطبة (راجع الحلة السراء ١: ٢٠٨ - ٢١٠، وراجع نفع الطيب ٣: ١٨٨، الحاشية الرابعة).
- (٢) فيما يلي أمثلة علماء وأدباء يحسن أن ترجع إلى شيء من أخبارهم وأحوالهم في الصفحات السابقة من هذا الجزء أو في الجزء السابق.
- (٣) في حفظ الحديث.
- (٤) كان في ذلك آية (عظم البراعة).
- (٥) أبو بكر بن زهر (ت ٥٩٥ هـ) والذي كان أيضاً وشاحاً.

... وهل لكم في بلاغة النثر كالفتح بن عبّيد الله^(١) الذي إن مدح رَفَع وان ذمَّ وَضَع^(٢). وقد ظهَرَ له من ذلك في كتاب « القلائد » ما هو أعدلُ شاهدٍ، ومثلُ ابنِ أبي الجِصالِ في تَرْسِيهِه^(٣) ومثلُ أبي الحسنِ سهلِ بنِ مالكِ الذي (هو) بَيْنَ أَظْهَرِنَا الْآنَ فِي خُطْبَيْهِ؟ وهل لكم في الشعرِ مثلُ الْمُعْتَمِدِ بنِ عَبَّادٍ في قوله:

وَلَيْلِي بِسُدِّ النَّهْرِ أَنْسًا قَطَعْتُهُ بذاتِ سِوَارٍ مِثْلِ مُنْعَطِفِ النَّهْرِ^(٤).
نَضَّتْ بُرْدَهَا عَنْ غُصْنِ بَانٍ مُنَمَّمٍ ، فَيَا حُسْنَ مَا انشَقَّ الْكِيَامُ عَنِ الزَّهْرِ^(٥)!
..... ومثلُ ابْنِهِ الرَّاضِي فِي قَوْلِهِ:

مَرَّوْا بِنَا أَصْلًا مِنْ غَيْرِ مِيعَادٍ فَأَوْقَدُوا نَارَ قَلْبِي أَيَّ إِيقَادِ^(٦).
لَا غَرَّوْا إِنْ زَادَ فِي وَجْدِي مُرُورُهُمْ ، فَرُؤْيَا الْمَاءِ تُذَكِّي غَلَّةَ الصَّادِي^(٧)!

..... وهل لكم مِلْكُ آلَفٍ فِي فَنُونِ الْآدَابِ كِتَابًا فِي نَحْوِ مَائَةِ مَجْلِدَةٍ مِثْلُ الْمُظْفَرِ بنِ الْأَفْطَسِ مَلِكِ بَطْلَيْنُوسَ وَلَمْ تَشْغَلْهُ الْحُرُوبُ وَلَا الْمَمْلَكَةُ عَنْ هِمَّةِ الْأَدَبِ؟ وهل لكم من الوزراءِ مثلُ ابنِ عِمَّارٍ فِي قَصِيدَتِهِ الَّتِي سَارَتْ أَشْرَدَ مِنْ مَثَلٍ وَأَحَبَّ إِلَى الْأَسْمَاعِ مِنْ لِقَاءِ حَبِيبٍ وَصَلَّ، وَهِيَ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا -

- ص ١٩٤ :

أُتْمَرَتْ رُمَحَكَ مِنْ رُؤُوسِ مَلُوكِهِمْ لَمَّا رَأَيْتَ الْغُصْنَ يُنَشَقُّ مُثْمِرًا.
وَصَبَفَتْ دِرْعَكَ مِنْ دِمَاءِ كُبَاتِهِمْ لَمَّا رَأَيْتَ الْحُسْنَ يُلْبَسُ أَحْمَرًا^(٨)!

(١) هو الفتح بن خاقان.

(٢) وضع فلان مكانة فلان: خفضها، أنزلها (أذله).

(٣) الترسيل: كتابة الرسائل.

(٤) ذات سوار: المرأة (وفي المثل: لو غير ذات سوار لطنني!).

(٥) نضت (خلعت) بردها (ثوبها الحريري) عن غصن بان (قامه طوبولة رشيقة) منمَّم (لينه، جميلة). الكيامة (بالكسر): الأوراق الخضراء التي تحتوي الأوراق الملونة في الزهرة.

(٦) الأصيل: ما بين المصير وغروب الشمس.

(٧) الظلة: المطش. الصادي: العطشان.

(٨) الكمي: الفارس (الشجاع) الكامل السلاح.

..... وهل منكم شاعرٌ رأى الناسَ قد ضجّوا من سَاعِ تشبيهِ الثغرِ بالأفاح^(١)،
وتشبيهِ الزَّهرِ بالنجومِ، وتشبيهِ الحُدودِ بالشقائق^(٢)؛ فتَلَطَّفَ لذلكِ في أن يأتي به في
منزِعٍ يُصَيِّرُ خَلَقَهُ^(٣) في الأسماعِ جديداً، وكليلاً في الأفكارِ حديداً^(٤)؛ فأغربَ أحسنَ
إغرابٍ وأغربَ^(٥) عن فهمِهِ بحسنِ تَخَيُّلِهِ أنبلَ إغرابٍ، وهو ابنُ الرَّقَاقِي:

- ص ٢٠٠ :

وأغيدُ طافاً بالكؤوسِ ضحَى
والروضُ أهدى لنا شقائقه،
قلنا: وابنَ الأفاحِ؟ قال لنا:
فظلَّ ساقِي المدامِ يَجْحَدُ ما
وَحَثُّها والصبحُ قد وَضَعَا^(٦)،
وَأَسُّهُ المَنسَبِيُّ قد نَفَعَا،
أودَعْتُهُ ثَغْرَ من سَقَى القدحا^(٧).
قال، فلمَّا تَبَسَّمَ افتضحَا^(٨)!
وقال:

ورياضِ من الشقائقِ أَضَحَّتْ يَتَهَادَى بها نَسِيمُ الرِّياحِ^(٩)،

- (١) تشبيه الثغر (الفم): يقصد الأسنان. الأفعوان (بضم الهمزة والحاء وفتح الواو) وجمعه أفاح وأفاحي: زهر بتلاته بيض ووسطه أصفر.
- (٢) شقائق النمان (حمره اللون).
- (٣) منزع تأتي في القاموس بفتح فسكون ففتح أو بكسر فسكون ففتح (ولا توافق المقصود من الجملة) - المقصود من الجملة «الاتجاه، الطريقة». الخَلَقُ (بفتح فتح): البالي، المتهرىء.
- (٤) الكليل: الضعيف (السيف الذي لا يقطع). حديد: حاد، قوي، قاطع.
- (٥) أغرب: أتى بالفريه (البعيد، النادر، المستغرب، الجميل). أغرب: أوضح، بين.
- (٦) الأغيد: الناعم، المثني (الجميل). حثَّ الرجل رفيقه: استمجهله، سأله موالاة العمل بسرعة.
- (٧) الأفاح (يقصد بتلات الأفعوان، وتكون شبيهة بالأسنان الأمامية) (إذا كانت تلك الأسنان سليمة نظيفة). في البيت السابق يذكر الشاعر شقائق النمان (الأحمر) والآس (الأخضر). فيسأله سائل عن الأفعوان (ذي البتلات البيض والوسط الأصفر)، فيقول الشاعر إنَّ الروض قد خصَّ ثغر (فم) الساقى (ساقى الخمر، النديم الجميل) بالأفعوان، إذ منحه الأفعوان أسناناً.
- (٨) وسئل الساقى عن ذلك فجده (أنكره). ولكن لسا أتفق أن ابتم الساقى وبانت أسنانه، ظهرت أسنانه كبتلات الأفاحي.
- (٩) شقائق النمان (زهر أحر اللون). تهادى: سار وهو يتأمل.

زُرْتُمَا وَالغَمَامُ يَجْلِدُ مِنْهَا زَهْرَاتِ تَرَوْقُ لَوْنَ الرَّاحِ^(١).
 قُلْتُ: مَا ذَنْبُهُمَا؟ فَقَالَ مُجِيبًا: سَرَقَتْ حُمْرَةَ الْحُدُودِ الْمِلَاحِ
 فَاظْفَرُ كَيْفَ زَاخَمَ بِهَذَا الْاِخْتِيَالِ الْمُخْتَرَعِينَ وَكَيْفَ سَابِقَ بِهَذَا الْفَلْظِ الْمُبْتَدِعِينَ...
 - ص ٢٠٩ :

... وقد أَطْلُتُ عِنَانَ^(٢) النَّظْمِ، عَلَى أَتْنِي اِكْتَفَيْتُ مِنَ الْاِسْتِدْلَالِ عَلَى النَّهَارِ
 بِالصَّبَاحِ. فَبِاللَّهِ، إِلَّا مَا أَخْبَرْتَنِي: مَنْ شَاعِرُكُمْ الَّذِي تَقَابِلُونَ بِهِ شَاعِرًا مِمَّنْ ذَكَرْتُ؟ لَا
 أَعْرِفُ لَكُمْ أَشْهَرَ ذِكْرًا وَأَضْخَمَ شِعْرًا مِنْ أَبِي الْعَبَّاسِ الْجِرَاوِيِّ. وَأَوْلَى لَكُمْ^(٣) أَنْ
 تَجْحَدُوا فَخْرَهُ وَتَنْسُوا ذِكْرَهُ. فَقَدْ كَفَاكُمْ مَا جَرَى مِنَ الْفَضِيحَةِ عَلَيْكُمْ فِي قَوْلِهِ مِنْ
 قَصِيدَةٍ يمدحُ بِهَا خَلِيفَةَ:

إِذَا كَانَ أَمْلَاكُ الزَّمَانِ أَرَاقِمًا، فَإِنَّكَ فِيهِمْ - دَائِمُ الدَّهْرِ - تُعْبَانُ^(٤)!
 فَمَا أَقْبِحَ مَا وَقَعَ تُعْبَانُ، وَمَا أَضْعَفَ مَا جَاءَ دَائِمُ الدَّهْرِ! وَلَقَدْ أَنْشَدْتُ أَحَدَ
 ظُرْفَاءِ الْأَنْدَلُسِ هَذَا الْبَيْتَ فَقَالَ: لَا يُنْكَرُ هَذَا عَلَى مِثْلِ الْجِرَاوِيِّ. فَسُبْحَانَ مَنْ
 جَعَلَ نَسَبَهُ وَرُوحَهُ وَشِعْرَهُ تَنْتَاسِبُ فِي الثَّقَالَةِ...

وَأَمَّا غَرْنَاطَةٌ فَإِنَّهَا دِمَشْقُ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ مَسْرَحُ الْأَبْصَارِ وَمَطْمَحُ الْأَنْفُسِ، هَا
 الْقَصَبَةُ الْمُنْبَعَةُ ذَاتُ الْأَسْوَارِ الشَّامِخَةِ^(٥) وَالْمَبَانِي الرَّفِيعَةِ.... وَزَانَتَا اللَّهُ تَعَالَى بَأَنْ
 جَعَلَهَا مُرْتَبَةً عَلَى بَسِيطِهَا^(٦) الْمُنْتَدِّ الَّذِي تَفَرَّعَتْ فِيهِ سَبَائِكُ الْأَنْهَارِ بَيْنَ زَبْرَجَدِ^(٧)
 الْأَشْجَارِ...

- (١) جلد: ضرب. مجلد زهرات (مجعلها تتأيل). راق: أعجب. وفي القاموس (٣: ٢٣٨ س) راق عليه: زاد عليه فضلاً. لون الراح (الخمرة): الحمرة.
 (٢) العنان: الرمن. أطلت عنان النظم (تكلمت كثيراً في الشعر والشعراء).
 (٣) أولى لك: أليق بك، خير لك.
 (٤) الأرقم: حية خبيثة. الثعبان: حية ضخمة. دائم الدهر: دائماً، طوال (بفتح الطاء) الدهر.
 (٥) القصبة: المدينة (الرئيسة) المنبعا (المحصنة) التي يتنوع على المسوا اقتحامها. الشامخة: العالية.
 (٦) البسيط: السهل، الأرض المستوية.
 (٧) سبيكة: قطعة مسبوكة. سبكا على شكل مستطيل (من النفضة: كناية عن النهر بجائه الأبيض). الزبرجد: حجر كريم أخضر اللون.

- قال أبو الوليد الشُّقْدِيُّ في النسيب:

عَلَّلَانِي بِذِكْرٍ مِنْ هِمَّتْ فِيهِ، وَعِدَانِي عَنْهُ بِمَا أُرْتَجِيهِ^(١).
وَإِذَا مَسَا طَرَبْتُهَا لِارْتِيَا حِي، فَاجْعَلَا خَمْرِي مُدَامَةً فِيهِ^(٢).
لَيْتَ شِعْرِي - وَكَمْ أَطِيلُ الْأَمَانِي - أَيَّ يَوْمٍ فِي خَلْوَةِ التَّقْيِيسِ؟
وَإِذَا مَا ظَهَرْتُ يَوْمًا بِشَكْوَى، قَالَ لِي: أَيْنَ كُلُّ مَا تَدْعِيهِ؟
لَا دَمَوْعٌ وَلَا سَقَامٌ، فَإِذَا شَاهَدْتُ عَنْكَ بِالذِّي تُخْفِيهِ؟
قُلْتُ: دَعْنِي أُمَّتَ بَدَائِي فَإِنِّي، لَوْ بَرَانِي الْغَرَامَ لَا أَبْدِيهِ^(٣).

- ٤ - رسالة المفاضلة بين الأندلس وبر العدو (تحقيق إحسان عباس)، بيروت ١٩٦٨، (تحقيق صلاح الدين المنجد) بيروت (دار الكتاب الجديد) ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٨ م.
* * المغرب ١: ٢١٣ - ٢١٤، اختصار القدر الممل ١٣٨ - ١٣٩؛ الفصول اليازمة ٣٦ - ٣٧
١٣٧ نفع الطبيب ١: ١٤٧ - ١٤٨، ١٥٦ - ١٥٧، ١٧٦، ١٨٦: ٣، وما بعد، ٢٢٢ - ٢٢٤
١٢٢٤ بروكلمن، الملحق ١: ١٣٨٤ نيكل ٣٣٠ - ٣٣١؛ الأعلام للزركلي ١: ٣٢٣ - ٣٢٤ (٣٢٤ - ٣٢٣).

أبو الروح عيسى بن عبد الله النفزي

١ - هو أبو الروح عيسى بن عبد الله بن محمد بن موسى بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن خليل النفزي الحيميري التاكروني، وُلِدَ في تاكرونا، على مقرية من قرطبة، سنة ٥٩٠ هـ (١١٩٤ م). ترك عيسى بن عبد الله النفزي الأندلس باكراً فمرَّ بمصرَ ولقي عمرَ بنَ الفارض^(١) ثمَّ إنَّه تَابَعَ رِحْلَتَهُ إلى الشام والعراق فوصلَ إلى

- (١) علّ السامي شخصاً (وعلّه): سقاه الماء شيئاً بعد شيء. وعلّله (أيضاً): داواه من علة فيه.
هام فلان بفلاة: أحبها حباً شديداً. عد (بكسر فسكون) فعل أمر من «وعد». (٢) الارتياح: السرور والاطمئنان والنشوة. المدامة: الخمر (ولا تقل: خرة). فيه (فه). (٣) برى يوري: نحت (أنحل، أمرض). أبدى: أظهر. (٤) الشاعر الصوفي (ت ٦٣٢ هـ) راجع ٣: ٥٢٠.

إِرْبِيلَ (جنوبَ شرقِ الموصل)، سَنَةَ ٦٢٧ هـ. ثمَّ وَصَلَ إلى آمِدَ، ومن آمِدَ عادَ إلى أَرزُنَ من دِيَارِ بَكْرِ (جنوبَ شرقيِّ تُرْكِيَّةِ اليَوْمِ) فَتَوُفِّيَ فِيهَا سَنَةَ ٦٢٩ هـ (١٢٣١ - ١٢٣٢ م).

٢- كان عيسى بن عبد الله شاباً متأدباً فاضلاً يقول الشعر تبييناً وارتجالاً وله شعرٌ حسنٌ. وشعره وجدانيٌّ فيه وصفٌ وغزلٌ.

٣- مختارات من شعره:

- مقطعات لعيسى بن عبد الله النّفري:

★★ يا قلبه، مالك لا تفيقُ من الهوى أوما يقرُّ بك، الزمان، قرار^(١)؟
 الكُلُّ ذي وجهٍ جميلٍ حنّةً ولكلُّ عهدٍ سالفٍ تذكّار^(٢)؟
 ★★ إن أودعَ الطرسَ ما وشأه خاطِرُهُ أبدى لبعينيك أزهاراً وأشجاراً^(٣).
 وإن تهدّدَ فيه، أو يعمدَ كرمًا: بثّ البريةَ آجالاً وأعماراً^(٤).
 ★★ أوصيتُ قلبي أن يفرّ عن الصبا ظناً بأنّي قد دعوتُ سميماً.
 فأجابني: لا تخشَ مني بعدما أقلتُ من شركِ الغرامِ وقوعاً^(٥).
 حتّى إذا نادى الحبيبُ رأيتَه آوى إليه ملبياً ومطيماً^(٦).
 كذّابةٍ أخدمتها، فإذا دنا منها الضرامُ تعلّقته سريعاً^(٧).

★★-٤ نفع الطيب ٢: ٦٠٦ - ٦٠٨.

-
- (١) الزمان (منصوبة لأنها ظرف مفعول فيه): طول الزمان، طول حياقي.
 (٢) حنّة: حنين (شوق). سالف: ماض.
 (٣) وشأه: طرزه. الطرس: الورق (إن كتب نائراً أو ناظماً).
 (٤) البرية: الخلق كلّهم. آجالاً (انتهاء الأعمار: قتل الناس). أعماراً (امتداد الحياة: وهب الناس أعماراً جديدة).
 (٥) في نفع الطيب (٢: ٦٠٨) أقلتُ (بفتح التاء).
 (٦) آوى: لجأ (ذهب إليه).
 (٧) الذبالة: فتيلة السراج. الضرام: النار المشتعلة بلهب. تعلّقته: جعلت (النار) تتعلّق بها (اشتعلت).

المأمون الموحدِي

١ - هو أمير المؤمنين المأمون إدريس بن يعقوب (المنصور) بن يوسف بن عبد المؤمن أول سلاطين الموحدين. كان المأمون الموحدي في أول أمره والياً في الأندلس على مالقة ثم على قرطبة ثم على إشبيلية. في ذلك الحين كان أمر المسلمين في الأندلس قد أصبح ضعيفاً جداً، استبد بنو هود بما كان قد بقي للمسلمين في الجانب الشرقي الجنوبي في الأندلس، وكان يُنازعهم بنو نصر الذين استبدوا فيما بعد بقرنطة وما حولها. وكانت سلطة الموحدين لا تزال مبسوطة على عدد من المدن كقرطبة وإشبيلية ومالقة، فكان المأمون الموحدي بشجاعته وبمقدرته في القتال يحول بين الإسبان والمدن الأندلسية ما أمكن، كما كان يحول بين الثائرين المسلمين (من أمثال بني هود) وتقليص سلطة الموحدين في الأندلس.

وكذلك كان أمر المغرب مضطرباً بتنازع رجال الموحدين على الحكم. لما توفي السلطان أبو محمد عبد الله العادل (٦٢٤ هـ) أخذت البيعة للمأمون في مراكش وفي الأندلس. ثم رأى جماعة من أهل المغرب أن يعيدوا عن بيعة المأمون إلى بيعة ابن أخيه يحيى بن العادل - وكان صغير السن، ورجا الناكثون للبيعة أن يستبدوا بالأمر في أيامه -. نسي المأمون الموحدي (مع الأسف) كل شيء إلا حقه الشخصي في الملك ففرض مدة جمع في أثنائها جيشاً كبيراً ضم إليه اثني عشر ألفاً من فرسان الإسبان (النصارى) وجاء بذلك الجيش إلى المغرب. وانتصر المأمون على ابن أخيه يحيى وأباد الجانب الأكبر من جيشه ثم تتبع الناكثين لبيعتهم بالقتل. وكان المأمون الموحدي بعمله هذا قد زاد أمر المغرب والموحدين اضطراباً، كما كان قد ترك الجو في الأندلس خالياً للإسبان يخرجون منها المسلمين شيئاً فشيئاً.

وكانت وفاة إدريس بن يعقوب المأمون الموحدي في ذي الحجة من سنة ٦٢٩ (خريف ١٢٣٢ م) بعيداً عن مراكش.

٢ - كان المأمون الموحدي رجلاً ذكياً عاقلاً وشجاعاً حازماً وجواداً كريماً. وكان أيضاً مفرماً بالبناء عارفاً بوجوهه حتى أن عرفاء البنائين كانوا لا يتصرفون إلا

بِنَظَرِهِ (برأيه وإرشاده). وكذلك كانت له مشاركة في عددٍ من فنون المعرفة. وفي رسائله وأشعاره ما يدلُّ على معرفة بالقرآن والحديث والفقه. ثمَّ إنَّه كان أديباً وكاتباً فصيحاً وناظماً للشعر.

٣- مختارات من آثاره:

- رسالة للمأمون الموحدي بإبطال دعوى المهدي (ابن تومرت) وعصمته^(١):

.... للحقِّ لسانٌ ساطعٌ وحُكْمٌ قاطعٌ، وقضاءٌ لا يُردُّ وبابٌ لا يُسدُّ، وظلالٌ على الآفاق تحمو النفاق. والذي نوصيكمُ به تقوى الله والاستعانةُ به والتوكُّلُ عليه، ولتعلّموا أنّنا نبذنا الباطلَ وأظهرنا الحقَّ، وأنَّ لا مهديَّ إلاَّ عيسى بنُ مريمَ^(٢) الناطقُ بالصدق. وتلك^(٣) بدعةٌ قد أرزأناها، واللهُ يُعيننا على القلادة التي تقلدناها^(٤)؛ كما أرزأنا لفظَ العصمة^(٥) عمّن لا تثبتُ له، وأسقطنا عنه وصفهُ ورسمهُ. وقد كان سيّدنا المنصور^(٦)، رضيَ اللهُ عنه، همَّ أن يصدعَ بما به الآن قد صدعنا^(٧)، وأن يرقعَ للأمةَ الخرقَ الذي رقعنا. فلم يساعدهُ لذلك أمَلُهُ، ولا أجلُهُ إليه أجلُهُ^(٨). فقدمَ على ربِّه بصدقِ نيّةٍ وخالصِ طويّةٍ^(٩). وإذا كانتِ العصمةُ لم تثبتْ عند العلماء للصحابة^(١٠)، فما الظنُّ بمن لا يدري بأيِّ يدٍ يأخذُ كتابه^(١١). أف لهم، قد ضلّوا

(١) النبوغ المغربي ٣٤٧ (الترقيم الثاني: يصل الكتاب إلى ص ٤٤٠، ثم يبدأ ٣٤١ الخ - راجع في باب المصادر والمراجع: النبوغ المغربي).

(٢) حينما ينزل في آخر الزمان.

(٣) أي دعوى المهدي بن تومرت.

(٤) القلادة: سلسلة توضع في العنق (هنا: التهمة التي تقلدناها أي أخذنا أنفسنا بحملها).

(٥) العصمة: التزّه عن الذنب والخطأ (وهذا المعنى ليست في الإسلام إلا لله).

(٦) أبو يوسف يعقوب المنصور (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ) ثالث سلاطين الموحدين ووالد المأمون (لكن المأمون تأخّر في المهيم إلى العرش).

(٧) صدع بالأمر: أعلنه.

(٨) أجله (آخره) إليه (إلى إعلان الإبطال لدعوى المهدي بن تومرت) أجله (انتهاء عمره).

(٩) - توفي وقصده أن يفعل ذلك (راجع الحاشية السابقة).

(١٠) الصحابة: الذين عاشوا في عصر الرسول واتصلوا به وصحبوه.

(١١) لا يعلم إذا كان يوم القيامة سيأخذ كتابه يمينه (يستحقّ الجنة بأعماله الصالحة) أو شماله - بكسر الشين - (يستحقّ النار بأعماله السيئة).

وأصلوا، وسقطوا في ذلك وزلوا. اللهم، اشهد أننا تبرأنا منهم تبرئة أهل الجنة من أهل النار. ونعوذ بك من أمرهم الرئيب^(١١) وفعلهم الخبيث، لأنهم في المعتق كفار. والسلام على من اتبع الهدى واستقام.

- وقال المأمون الموحدي لما قتل جنده ابن أخت له:

ما آبنُ أختي مِمَّنْ بَيْرَ عَلَى رُو حَي، وَإِنْ كَانَ قَوْمُهُ أَعْدَائِي^(١٢).
لَا تُشَلُّ الْيَدُ الَّتِي جَرَّعْتَهُ حَتْفَهُ! فَهُوَ زَائِدٌ فِي الدَّاءِ^(١٣)!

- ولما بلغه قولُ الناس عنه إنه حجَّاجُ المَغْرِبِ لكثرةِ قَتْلِهِ، قال:

أَنَا الْحَجَّاجُ؛ لَكِنِّي صَبُورٌ مُقَرَّرٌ بِالْحِسَابِ وَبِالْعِقَابِ^(١٤).
وَأَعْلَمُ أَنَّ لِي بِنَفْسَاءِ قَوْمٍ عَمُوا عَنْ رُشْدِهِمْ - ذُخْرَ الثَّوَابِ^(١٥)!

٤- ** الوافي بالوفيات ٨: ٣٢٠-٣٢٣؛ الإحاطة ١: ٤١٧-٤٢٦؛ شذرات الذهب ٥: ٤١٣٥؛ الاستقصا ١: ١٩٧؛ وما بعد؛ دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الأولى) ٣: ٢٢٣-٢٢٤؛ الأعلام للزركلي ١: ٢٦٩-٢٧٠ (٢٨١-٢٨٢)؛ النبوغ المغربي ٣٤٧-٣٥٠.

ابن إدريس التُّجِيبِي

١- هو أبو عمرو إبراهيم بن إدريس التُّجِيبِي من أهل مُرْسِيَّةَ، تولى قضاء

(١١) الرئيب: الجريح الذي لا يزال به رمق؛ بقية من حياة (وهو يقصد: الرث: رديء المتاع، والنسيج المتهرك).

(١٢) لا أفضل ابن أختي على نفسي.....

(١٣) المحتف: الهلاك. فهو زائد في الداء (كان ابن أختي في حياته سبباً من أسباب شقائي).

(١٤) الحجَّاج بن يوسف الثقفى والى الأمويين على العراق من سنة ٧٥ إلى سنة ٩٥ للهجرة (سنة وفاته). وأنهم الحجَّاج بالظلم وبإكثار القتل في الناس. لقد كان الحجَّاج بن يوسف حازماً شديداً وعنيفاً أيضاً (والظالم التي تنسب إليه مبالغ فيها كثيراً). والحجَّاج هو الذي أقر الأمن في العراق وأقر الملك لبني أمية في الشرق. الحساب والمقاب (يوم القيامة).

(١٥) بفساء (هلاك) قوم (من أعداء المأمون الموحدي). عموا عن رشدهم (لم يعرفوا الصواب). الذخر: ما يهبط للإنسان في المستقبل. الثواب (يوم القيامة).

مُرْسِيَّةً وَالْمُخْطَبَةَ فِي جَامِعِيهَا. وَكَانَتْ وَفَاتَهُ فِي أَوَّلِ سَنَةِ ٦٣٠ هـ (١٢٣٢ م).

٢- كان ابنُ إدريسَ التُّجِيبِيِّ شاعراً فَحَلَّامًا مَتِينًا التَّرْكِيبِ سَهْلَ التَّعْبِيرِ، مِنْ فُنُونِهِ الْمَدْحُ وَوَصْفُ الْحَرْبِ وَالطَّبِيعَةِ.

٣- مَخْتَارَاتٌ مِنْ شِعْرِهِ:

- قَالَ ابْنُ إِدْرِيسَ التُّجِيبِيِّ يَمْدَحُ مَلِكًا (لَعَلَّهُ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ هُوْدٍ) غَزَا الرُّومَ (الإسبان):

شِيمُ الصَّوَارِمِ أَنْ تُقَرَّبَ مَا نَأَى لَكِنْ عَلَى مَنْ عَزَمَهُ كَطَّبَاتِهَا^(١).
أَخْلَصْتَ لِلرَّحْمَنِ نِيَّةً عَالِمٍ أَنَّ النَّفْسَ لَهُ عَلَى نِيَّاتِهَا^(٢).
أَوْطَأْتَ أَرْضَ الْمُشْرِكِينَ كِتَابِيًّا كَادَتْ تُمِيدُ الْأَرْضَ مِنْ وَطَائِيهَا؛
كَالْبَحْرِ يَطْفَحُ مَوْجُهُ جَرِيًّا إِذَا هَبَّتْ رِيَّاحُ النَّصْرِ فِي رَايَاتِهَا.
ظَنُّوكَ لَا تَسْطِيعُ دَفْعَ كُنَاهِهَا إِذْ لَمْ تُطَلِّقْ بِالْجُودِ رَدَّ عُنَاتِهَا^(٣).

٤-★★ تحفة القادم ١٣٣٨، الوافي بالوفيات ٥: ٣١٧ - ١٣١٨ الأعلام للزركلي ١: ٢٤. (٣١).

أبو القاسم البلويّ الإشبيليّ

١- هو أبو القاسم أحمدُ بنُ محمدَ البلويّ الإشبيليّ، من أهلِ إشبيلية، كان في أوَّلِ أمرِهِ يَكْتُبُ لِتَقْرِيرِ مِنْ وِلَاةِ الْمُؤَحِّدِينَ فِي الْأَنْدَلُسِ. ثُمَّ لَجِئَهُ مَا جَعَلَ النَّاسَ يَتَشَاءُونَ بِصُحْبَتِهِ وَبِرُؤْيَيْتِهِ «لَا يَتَعَرَّضُ لِرَأْسِ فَيْسَكْتَيْبِهِ (يَجْمَعُهُ كَاتِبًا فِي الدَّوْلَةِ)

(١) شيم (صفات) الصوارم (السيوف). نأى (ابتعد). الظبية (بضمّ ففتح بلا تشديد): حدّ السيف.

(٢) «أَنْ» = بفتح الهزرة - لأنّ الجملة المأولة من «أَنْ وما بعدها» في محلّ نصب مفعول به من «عالم» -

أَنَّ النَّفْسَ تَلَاتِي مِنَ الْخَيْرِ بِقَدْرِ مَا تَكُونُ نَائِيَةً أَنْ تَفْعَلَ مِنَ الْخَيْرِ.

(٣) الكميّ: الفارس (الشجاع) الكامل السلاح. ظنوك لا تستطيع ردّه (هزم) أعدائك لأنك لم تستطع

من قبل أن تردّ عنائك (طالبي معروفك) خائنين (بلا عطاء).

ولا يأخذُ (بحاول) في صُحبة نبيلي فيصحبه ، (؟) - إلا حدث لهذا النبيل أو لذلك الرئيس حادثٌ مؤلمٌ أو أمرٌ مؤذٍ). فانقطعَ رزقهُ وسُدَّت أبوابُ الرزق في وجهه وعاش مُعتزلاً في منزله يشكو غَدَرَ الزمانِ وخيانةَ الإخوانِ حتَّى قال عليُّ بنُ موسى بنُ سعيدٍ (٦١٠ - ٦٨٥ هـ)، صاحبُ كتاب «القدح المَعلى» : صيرتُ أتراوغُ (أتحاشى) عن لِقائه وأدعو الله ألا يُعذِّبه بطولِ بقائه (كان يرجو له ألا تطولَ حياته). وكانت وفاته في سنَّة ٦٣٢ هـ (١٢٣٤ - ١٢٣٥ م) بعدما أصابه وسواسٌ شديدٌ كاد يذهبُ بعقله كلَّه.

٢- كان أبو القاسمِ البلويُّ أديباً شاعراً ناثراً مشهوراً بصناعةِ الكتابةِ مُكثراً من النثر والشعر. وأوسع فنونه - فيما يبدو - الأدبُ. ولما جَلَسَ أبو العلاءِ إدريسُ الموحِّدي الوالي على إشبيليةَ للهناء بقتلِ السيِّدِ أبي محمَّدِ البياسيِ النَّاثِرِ عليه (والبياسي من الموحِّدين أيضاً)، وذلك سنَّة ٦٢٣ هـ، قال أبو القاسمِ البلويُّ قصيدةً مطلعها: « يا قُبَّةَ السَمِدِ هُرِّي قَبَّةَ الوادي » كان لها سَيَرورةٌ على الألسنةِ واسعةٌ حتَّى قال ابنُ سعيدٍ أبو الحسنِ عليُّ بنُ موسى (ت ٦٨٥ هـ): « لم ألقَ بإشبيليةَ من الأدباءِ والشعراءِ إلا من يحفظُها ويلهجُّ بذِكْرِها، ثم لا يحفظون ما بعدها » (القدح المَعلى ١٢٠).

وكذلك كان أبو القاسمِ البَلَوِيُّ مُصَنِّفاً، صَنَّفَ كتاباً في رسائلِ كُتَّابِ عصره.

٣- مختارات من آثاره:

- قال أبو القاسمِ البَلَوِيُّ الإشبيليُّ، لما أنزوى في بيته بعد أن هجره الناسُ (نفع الطيب ٣: ٣٢٥):

لَمَنْ أَشْكُو مُصَابِي فِي الْبَرَايَا	ولا أَلْتَقَى سِوَى رَجُلٍ مُصَابٍ!
أَمُورٌ لَوْ تَدَبَّرَهَا حَكِيمٌ	لَعاشَ مَدَى الزمانِ أخوا أَكْتئابِ.
أما في الدهرِ من أَفْضَى إِلَيْهِ	بأسراري فيؤنَسَ بالجوابِ
يَسْتُ من الأنامِ فما جليسٌ	سرى عنيَ الهمومِ سِوَى كِتابي ^(١) .

(١) سرى (فعل متعدي) عني الهموم (سار بها، أذهما). يقال سرى فلان نوبه: نزع عنه.

- ويبدو أنّ أبا القاسم البلّويّ الإشبيليّ كان في أثناء ميّخته القاسية يكتبُ إلى نَفَرٍ من إخوانه يسألهم ما يَسْتَمِعُ به على شَفاهِ الحياة. من ذلك:

* وما كتبتُ إليك، يا أخي المُشَفِّقَ الحَدب^(١)، هذا الكتابُ إلّا وأنا مؤلِّهُ العَقلِ تَمَّ حَلِّي بِمِنِّ اعتداءِ الزمانِ وخِذلانِ الأصحاب. وأشدُّ من ذلك اختلالُ أحوالِ رَبِّهِ الدارِ وكونُها جارتِ في أفعالها وأقوالها وجَرَّتْ على غيرِ الاختيارِ:

عِندي مِنَ الحُزَنِ ما لو أَنَّ أيسرَهُ بُلِقى على الفَلَكِ الدَوَّارِ لم يَدِرْ.
وكيف يَهِنُ العيشُ مَعَ سوءِ الحَالِ باطناً وظاهراً ووارداً وصادراً. أحياني اللهُ بالهِيامِ وحياتي مجلّول دارِ السلام^(٢).

* لا مُشْتَكِي، يا أخي، إلّا إِلَيْكَ - وإن كنتُ أوردُ من ذلك ما يَشُقُّ عليك. لكنِّي أَعْلَمُ حَسَنَ مُشارَكَتِكَ في السراءِ والضراءِ^(٣) ومُحافظَتِكَ على شروطِ الودادِ والإخاء.

- وكتب في وَصْفِ الفِتنة التي كانت في أيامه (حينما كان الإسبانُ يَسْتَوْلون على المُدُنِ الأندلسية):

ولو شاهدتُ ما نحن فيه مِن اشتعالِ الفِتنةِ واشتغالِ أصنافِ الناسِ بأنواعِ المِحنةِ، لَدَهَلتَ عن تَلْفِيحِ كَلِمَتَيْنِ، وَحَمِدتُ اللهُ فيها^(٤) حَراكَ به عن هذا المَوطىءِ المَسخوطِ عليه مِنَ البَينِ^(٥): سَيْفٌ مَجْرَدٌ وَخَيْفٌ مَحْدَدٌ، وَحِقْدٌ لا يَقْتَصِرُ على النفوسِ، وَغِلٌّ^(٦) لا يُشْفِي إلّا بِقطفِ الرؤوسِ.

٤- ** القِدح المَعْلَى ١٢٠ - ١١٣٢ نفع الطيب ٣: ٣٢٥.

- (١) الحَدب: الرجل والمرأة إذا حدبا (عطفوا على ولديها). المؤلِّهُ: الذي ولَّه الحب أو الحزن (ذهب بعقله).
- (٢) الهيام: الموت. أحياني اللهُ بالهِيامِ (أنقذني اللهُ من شقاءِ حياتي في الدنيا بالموت). وحياتي (استقبلي رضوان: خازن الجنة) مجلّول (عند حلول: دخول) دارِ السلام (الجنة).
- (٣) السراء: النعمة والرخاء. الضراء: الشدة، المرض الدائم.
- (٤) كذا في الأصل. اقرأ: على ما.
- (٥) الموطىء: المكان الذي يطأ (يدعس، يمشي) الناس فيه (المكان الذي يكثر فيه الناس). المسخوط: المكروه. السين: العراق. البعاد.
- (٦) الغلّ: الحقد.

ابن طلحة الأنصاري

١ - هو أبو جعفرٍ أحدُ بنِ طلحةِ الأنصاريِّ من أهلِ جزيرةِ شُفَرٍ من أعمالِ بَلَنْسِيَّةَ، كان يكتبُ عندَ ولاةِ الموحِّدين في الأندلس. فلما نازَ محمدُ بنُ يوسفَ بنِ هودٍ بالصُّخيرات (من عملِ مُرسية)، سنةَ ٦٢٥ للهجرة، واستقلَّ عن الموحِّدين اتَّخذَ ابنُ طلحةَ كاتباً. وأصبحَ لابنِ طلحةَ في دولةِ بني هودٍ مكانةٌ حتَّى إنَّه كان ينوبُ عن الوزيرِ إذا غاب. ثمَّ غَضِبَ ابنُ هودٍ على ابنِ طلحةَ (لزندقه ابنِ طلحةَ واستهتاره وتعرُّضه بالهجاء لرجالِ الدولة) ففرَّ ابنُ طلحةَ إلى سَبْتَةَ (ساحلِ المغرب). فأحسنَ إليه أبو العباسِ السبتيُّ (القائمُ بأمرِ سبتة). ولكنَّ ابنَ طلحةَ أوغَرَ صَدْرَ أبي العباسِ (في حديثِ طويل) فدبَّرَ أبو العباسِ مقتله في رَمَضَانَ (وقيل في ثامنِ شوالٍ) من سنةَ ٦٣٢ (ربيعِ عامِ ١٢٣٥ م).

٢ - كانَ أبو جعفرِ بنُ طلحةَ فاسقاً مُتَهَتِكاً مُسْتَهْتِراً بالخمرِ والغزلِ مُتَوَتِّباً على الناسِ وكان كثيرَ الإعجابِ بنفسه وبشعره يُحطِّ من قَدْرِ جميعِ الشعراءِ، وشعراءِ المشرقِ خاصَّةً حتَّى أبو تمامٍ والبحرِيُّ والمنبِيُّ. وأكثرُ شِعره الوصفُ للطبيعةِ وله فيه جَوْدَةٌ. وله هجاءٌ وغزلٌ ومُجونٌ.

٣ - مختارات من شعره:

- من أوصافه في الطبيعة والخمر:

★ يا هل ترى أظرفَ من يَومِنا
قَلَدَ جِيدِ الأَفقِ طَووقَ العَقِيقِ^(١).
وأنطَقَ الوُرُقَ بعيدينا
مُرْفِصَةً كلَّ قُضيبِ وَرِيقِ^(٢).
والشمسُ لا تشربُ خمرَ الندى
في الرُّوضِ إلَّا بَكُوسِ الشَّقِيقِ^(٣)!

(١) قَلَدَ: جمل قلادة (عقدأ - بالكسر) جيد (عنق). العقيق: حجر كريم أحمر - كتابة عن احمرار الأفق الشرقي بالفجر (قبل طلوع الشمس).

(٢) الورق جمع ورقاء: حمامة. العيدان جمع عود (الألة التي يعزف عليها) كتابة عن هديل (غناء) الحمام. قضيب: غصن. وريق (عليه ورق أخضر).

(٣) الشقيق (أزهار شقائق النمان: بتلاتها حمراء) الشمس لا تشرب خمر الندى (لا تبخر الندى الذي يسقط في الليل على الأغصان والأوراق والأزهار.....)

- * أَدْرَهَا فَالسَّمَاءُ بَدَتْ عَرُوساً
وَحَدُّ الرُّوْضِ خَفَرَهُ أَصِيلٌ،
وَجِدُّ النُّصْنِ يُشْرِفُ فِي لَيْلٍ
تُضِيءُ بَيْنَ أَكْنَافِ اللَّيَالِي (١).
* هَاتِ الْمُدَامَ إِذَا رَأَيْتَ شَبِيهَهَا
فَالصُّبْحُ قَدْ ذَبَحَ الظَّلَامَ بِنَصْلِهِ
فَدَدَتْ تَخَاصُمَهُ الْحَمَامُ فِيهِ (٢).
* أَلْفَتْ الْحَرْبَ حَتَّى عَلَّمْتَنِي
وَلَمْ أَكُ عَالِماً، وَأَيْبِكَ، حَرْباً
فَهَا أَنَا بَيْنَ تِلْكَ وَبَيْنَ هَذِي
مُضَمَّخَةَ الْمَلَابِسِ بِالْفَوَالِي (١)،
وَجَفَنُ النَّهْرِ كَحَلِّ بِالظِّلَالِ (٢)،
تُضِيءُ بَيْنَ أَكْنَافِ اللَّيَالِي (٣)،
فِي الْأَفْقِ، يَا فَرْدَا بَغِيرِ شَبِيهِ (٤)!
فَدَدَتْ تَخَاصُمَهُ الْحَمَامُ فِيهِ (٥).
مُقَارَعَةُ الْحَوَادِثِ وَالْمُخْطُوبِ (٦).
بَغِيرِ لَوْاحِظِ الرَّشَاءِ الرَّيْبِيِّ (٧).
مُصَابٌ مِنْ عَدُوٍّ أَوْ حَبِيبٍ.

٤- ** - المغرب ٢: ٣٦٤ - ٣٦٥، المقتضب ١١٥٧، القدح الملقى ١١٤ - ١١٧: ٨٤٦ - ٤٦ -
٤٧ الوافي بالوفيات ٨: ٤٦ - ٤٧، الإحاطة ١: ٢٤٣ - ٢٤٧.

- (١) أدراها (طف علينا بها: بالهمز). مضمخة الملابس (في ملابسها أشياء من الطيب). الفوالي جمع غالية: نوع من الطيب يعمل من أخلاط طيبة الرائحة.
(٢) خفره (جمعه بجعل فيحمر). الأصيل: بعد العصر وحينما تبدأ الشمس بالانحدار إلى المغرب (فيبدأ الأفق الغربي بالاحمرار). وجفن النهر (جانبه، ساحله) كحل بالظلال: ظهر على جانبه (شاطئه) لون أسود لأن الأشجار على ضفتيه (بالكسر) تمنع عنه نور الشمس.
(٣) جيد: عنق. اللال: جمع لؤلؤة. الكنف (بفتح ففتح): الناحية، الطرف. - الصورة بعيدة. إذا قصد الشاعر بالآتي «الندى»، فإن الندى لا يسقط على الأعصان إلا بعد نصف الليل. يشرف (٢).
(٤) المدام: الحمر التي أدم طبخها بالنار. شبيهه الحمر في الأفق (اللون الأحمر على الأفق الشرقي قبل طلوع الشمس - راجع البيت التالي). يا فردا: أيها الساقم الجميل (الذي لا يشبهه أحد في جماله).
(٥) ينصله (بطرف الأفق - لأن الليل ينكشف أولاً عند الأفق ثم يملو الضوء في الصباح شيئاً فشيئاً). وعلامة ذبح الظلام اللون الاحمر (الفجر) على طرفه (على الأفق). تخاصمه الحمام = الحمام تخاصم الصبح في ذبح الظلام (الليل) لأنها كلها تتفنن بأصوات كثيرة مختلط بعضها ببعض.
(٦) المقارعة: ضرب الأبطال بعضهم بعضاً في الحرب بالسيوف. الخطوب جمع خطب (بفتح فسكون): المصيبة).
(٧) لم أكن عالماً حربياً (لم أكن أعرف من أمور الحرب شيئاً). الرشاء: ابن الغزال (الغلام الجميل). الريب (الصغير الذي لا يزال يحتاج إلى عناية أمه).

ابن دحية الكلبي

١ - هو الحافظُ محمدُ الدينِ أبو الخطابِ عمرُ بنُ الحسنِ بنِ عليِّ بنِ محمدِ بنِ الجميلِ ابنِ فرحِ بنِ خلفِ بنِ قويسِ بنِ مزالَ بنِ ملالٍ^(١) بنِ بدرِ بنِ أحمدِ بنِ دحيةِ بنِ خليفةِ ابنِ فروةِ الكلبيِّ - المعروفُ بذِي النَّسَبِينِ^(٢) - الأندلسيُّ البَلَنْسِيُّ. قال ابنُ خَلْكَانَ (٣: ٤٤٨): «نَقَلْتُ نَسَبَهُ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ مِنْ خَطِّهِ، وَكَانَ قَدْ قَيَّدَهُ وَضَبَطَهُ كَمَا هُوَ هُنَا».

وُلِدَ ابْنُ دِحْيَةَ الْكَلْبِيُّ فِي سَنَةِ، فِي الْأَغْلَبِ، فِي مُسْتَهَلِّ ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ سَنَةِ ٥٤٤^(٣) (آذَارٍ - مَارَس ١١٥٠ م). وَقَدْ اسْتغَلَّ بِطَلَبِ الْحَدِيثِ فِي أَكْثَرِ الْمَدِينِ الْأَنْدَلِسِيَّةِ فَسَمِعَ مِنْ ابْنِ بَشْكَوَالٍ (ت ٥٧٨ هـ) وَابْنِ زَرْقُونٍ (ت ٦٣١ هـ). وَيَبْدُو أَنَّهُ سَكَنَ بَلَنْسِيَّةً طَوِيلًا حَتَّى عُرِفَ أَيْضًا بِالْبَلَنْسِيِّ.

وَتَوَلَّى ابْنُ دِحْيَةَ الْقَضَاءَ مَرَّتَيْنِ فِي مَدِينَةِ دَانِيَّةٍ ثُمَّ صُرِفَ عَنْهُ لِسِيرَةِ نُعَيْمَتِ^(٤) عَلَيْهِ، فَرَحَلَ إِلَى بَرِّ الْعُدْوَةِ وَتَطَوَّفَ فِي الْمَغْرِبِ وَإِفْرِيقِيَّةِ فزَارَ مَدِينَةَ مَرَاكُشَ وَبِجَايَةَ ثُمَّ جَاءَ إِلَى تُونِسَ، سَنَةَ ٥٩٥ هـ (١١٩٨ م) أَوْ قُبَيْلَ ذَلِكَ، وَدَرَسَ الْحَدِيثَ.

بَعْدَ ذَلِكَ رَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ فَمَرَّ بِمِصْرَ فِي طَرِيقِهِ إِلَى الْحَجِّ، وَتَطَوَّفَ فِي الشَّامِ وَالْعِرَاقِ وَفَارَسَ وَمَازَنْدَرَانَ فَسَمِعَ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْمُحَدِّثِينَ فِيهَا. وَبِذِكْرِ الْمَقْرِيِّ (نَفْحِ الطَّيِّبِ ٦: ٢٧٣ - ٢٧٥) أَنَّ ابْنَ دِحْيَةَ سَمِعَ فِي بَغْدَادَ مِنَ الْحَافِظِ أَبِي الْفَرَجِ بْنِ الْجَوْزِيِّ (ت ٥٩٧ هـ)، وَفِي أَصْفَهَانَ مِنْ أَبِي جَعْفَرِ الصَّيْدَلَانِيِّ (ت ٦٠٣ هـ)، وَفِي نَيْسَابُورَ مِنْ أَبِي سَمِيدِ بْنِ الصَّفَّارِ (ت ٦٠٠ هـ) وَمَنْصُورَ بْنِ الْفَرَاوِيِّ (ت ٦٠٨ هـ) وَالْمَوْثِقِ

(١) قويس أو القوس (بفتح القاف أو بضمها) لقب فرنجي، حاكم. وبنو ملال بلدة بين مدينة مراكش ومدينة فاس (٤٤).

(٢) ذو النسيين أو ذو النسيتين لأنَّ جدَّه لأبيه دحية كان من أصحاب رسول الله ولأنَّ أمَّه أمة الرحمن كانت من نسل الحسين بن عليِّ. وينكر بعض النسابين على ابن دحية صحَّةَ هذا النسبِ وينسبونه حيناً إلى جدِّ من البربر وحيناً آخر إلى جدِّ من الموالِي. (راجع الحاشية السابقة).

(٣) وروى أَنَّهُ وُلِدَ فِي سَنَةِ ٥٤٦، ٥٤٧، أَوْ ٥٤٨ هـ.

(٤) لسلك معيب عرف عنه.

الطوسي (ت ٦١٧ هـ). فإذا نحن تأملنا تاريخ وفيات هؤلاء، ثم علمنا أن ابن دحية كان في تونس سنة ٥٩٥ هـ، استنبهنا أن يكون قد جاء من تونس إلى مصر فمكث فيها مدة ثم ذهب إلى الحج، وبعد ذلك أذكر ابن الجوزي وابن الصفار والصيدلاني.

وفي أوائل سنة ٦٠٤ هـ (صيف ١٢٠٧ م) كان ابن دحية في إربل متوجهاً إلى خراسان (وفيات الأعيان ٣: ٤٤٩)، وكان أميرها الملك العظيم كوكبوري يستعد للاحتفال بمولد الرسول فعيل له ابن دحية كتاباً سماه «التنوير في مولد السراج المنير» وقرأه عليه بنفسه فأعطاه الملك العظيم ألف دينار.

ثم رجع ابن دحية إلى مصر فعهد إليه الملك العادل (الأول) بتأديب ولده محمد. فلما رمي محمد هذا العرش باسم «الملك الكامل» (سنة ٦١٥ هـ) أكرم ابن دحية وبنى له المدرسة الكاملة لعلوم الحديث. ثم تغير قلب الملك الكامل عليه فعزله عن المدرسة.

وكانت وفاة ابن دحية في القاهرة، في رابع عشر ربيع الأول من سنة ٦٣٣ (١٢٣٥/١٠/٣٠ م).

٢ - كان ابن دحية الكلبي على المذهب الظاهري^(١)، وكان محدثاً ثقة (وإن كان نفر من العلماء يُجرّحونه) عارفاً باللغة فصيحاً وحوشياً^(٢) وبالنحو وبأيام العرب وأشعارها. وقد نشر كثيراً من علم الأندلس في المشرق. غير أن شهرته الصحيحة كانت في رواية الحديث وعلومه.

ولابن دحية شيء من الشعر ومن النثر في قصائد ورسائل ومخاطبات، ولكن هذه كلها ليست من الطبقة العالية. ثم هو مُصنّفٌ كثيرٌ، فمن مُصنّفاتِه: الابتهاج في المعراج - استيفان المطلوب في تصبير الحروب - أنوار المشرقين في تنقيح

(١) المذهب الظاهري مذهب ياند (بطل العمل به). محمود على الأخذ بظاهر ألفاظ القرآن الكريم والمحدث الشريف، وضمه هاوود بن علي بن خلف الأصفهاني (ت ٢٧٠ هـ)، وكان أكبر أنصاره في الأندلس أبو محمد علي بن حزم (ت ٤٥٦ هـ).

(٢) الحوشي والحوشي من الألفاظ الغريب القبيح اللفظ القليل الاستعمال.

الصحيحين^(١) المُشْرِقِينَ - تاريخ الأمم في أنساب العرب والمعجم - سلسلة الذهب في نسب سيد المعجم والعرب - التحقيق في مناقب أبي بكر الصديق - التنوير على (في) مولد السراج المنير - عصمة الأنبياء - العلم المشهور في فضائل الأيام والشهور - مَرْجُ البحْرَيْنِ في فضائل المُشْرِقِينَ والمَغْرِبِينَ - المُتَوَفَى من أسماء المُصْطَفَى - النبراس في خلفاء بني العباس - نهاية السؤل في خصائص الرسول - الجمر في تحريم الخمر - المطرب من أشعار أهل المغرب - كتاب الاعتبار.

ومن خصائص ابن دحية في كتابه «المطرب» أنه يُحَسِّي التراجم فيُورِدُ في كل ترجمة ما يعجبه فلا تكون تلك الترجمة خاصة بصاحبها، بل يكون فيها أجزاء من عدد من التراجم ومن المختارات المختلفة.

ثم هو يعتمد في محاولاته النقدية الذوق ولا يلجأ إلى أسس أو قواعد. وتجد في ترجمته نماذج من هذه المحاولات. أما محاولة دفاعه عن شعراء الأندلس فتراه في مثل النموذج التالي (المطرب ١٤٥):

« وهذا الشعر^(٢) لُو رُوِي لِعَمْرَ بنِ أَبِي رَبِيعَةَ أَوْ لِبِشَارِ بنِ بُرْدٍ أَوْ لِعَبَّاسِ بنِ الْأَحْنَفِ^(٣) وَمَنْ سَلَكَ هَذَا الْمَسْلَكَ مِنَ الشُّعْرَاءِ الْحَسَنِينَ لَا سَتَغْرِبَ لَهُ. وَإِنْ مَا أَوْجَبَ أَنْ يَكُونَ ذَكَرَهُ مَنْسِيًّا أَنْ كَانَ أُنْدَلِسِيًّا، وَإِلَّا فَمَا لَهُ أُخْمِلَ وَمَا حَقَّ مِثْلُهُ أَنْ يُهْمَلَ. وَهَلْ وَصَفُهُ إِلَّا الدَّرُّ الْمُنْتَظَمُ^(٤)؟ وَهَلْ نَحْنُ إِلَّا (أَنْ) نُظَلِّمَ فِي حَقِّنَا وَنُهْتَضِمَ؟ يَا لَهِ لِأَهْلِ الْمَشْرِقِ قَوْلَةٌ غَاصَتْ بِهَا شَرْقٌ^(٥): «أَلَا نَظَرُوا إِلَى الْإِحْسَانِ بِعَيْنِ الْإِسْتِحْسَانِ وَأَقْصَرُوا عَنِ اسْتِهْجَانِ الْكَرِيمِ الْهَيْجَانِ^(٦)، لَمْ يُخْرِجَهُمُ الْإِزْرَاءُ بِالْمَكَانِ عَنِ حَدِّ الْإِمْكَانِ ».

(١) الصحيحين: صحيح البخاري وصحيح مسلم (وهما مجموعان من أحاديث رسول الله).

(٢) وهذا الشعر الرقيق الجيد.

(٣) بشار بن برد والعباس بن الأحنف من الشعراء المحدثين (المحدثين). ومثلها عمر بن أبي ربيعة (وان كان من العصر الأموي، فإن كثيرا من خصائص شعره تشبه خصائص الشعر العباسي المحدث).

(٤) الدرر (الثلوث) المنتظم (المنظوم في عقد: على نسق معين جميل).

(٥) الغصة: ما يعترض في الحلق ويمع الطعام أو الشراب من المرور. الشرق: الذي يفض (بفتح العين) بريقه.

(٦) الاستهجان: عذ الأشياء قبيحة. الهجان (هنا): الجيد. الكريم الأصل.

ولابن دحية الكلبي أحكام تنحونحو النقد يُريد أن يدافع بها في الأكثر عن شعراء الأندلس ويلتمس المُدْر في قلة شهرتهم بالإضافة إلى شعراء المشرق. وربما ساق أحكامه هذه مساق الفتح بن خاقان^(١) في جمل عامية لا «توجب حكماً صحيحاً» (راجع المطرب ١٦٤ و١٧٢):

«في قصائده التي ضربت في الإبداع بسهم، وطلعت في كل خاطر ووهم، ونزعت منزعاً قصر عنه حبيب وأبن الجهم^(٢) - وهذه القصيدة من غرر القصائد ودُرر القلائد، وكل بيت منها بيت قصيد وواسطة سلك فريد^(٣)».

وربما أتكا في نقده على النحو وأبدى في ذلك براعة (المطرب ٢٣٤ - ٢٣٥):

- قال أبو القاسم السهيلي (ت ٥٨١ هـ) أبياتاً في الأبتاهال منها:

يَا مَنْ خَزَائِنُ رِزْقِهِ فِي قَوْلٍ: «كُنْ»،

أُمْنُنْ، فَإِنَّ الْخَيْرَ عِنْدَكَ أَجْمَعُ^(٤).

فعلق ابن دحية على هذا البيت بقوله (المطرب ٢٣٤ - ٢٣٥):

أما رفع «أجمع» في هذا البيت فيجوز أن يكون توكيداً لمكان «إن» الأبتدائية، إذ موضعها الأبتداء. وهي مؤكدة للجُملة لم تُغَيَّر معناها وإن غيَّرت لفظها. ألا تراهم قد عطفوا على اسمها بالرفع - وهو إذا استوتفت خبرها، نحو: إن زيدا قائمٌ وعمرو^(٥). وإذا لم تستوتف خبرها، فلا يُجيز البصريون ذلك. وذلك أنك إذا قلت: إنك وزيد قائمان، وجب أن يكون «زيد» مرفوعاً بالأبتداء، ويكون

(١) الفتح بن خاقان (ت ٥٢٩ هـ) صاحب كتاب «قلائد العقيان» (راجع ترجمته).

(٢) حبيب هو أبو تمام الشاعر المباسي (ت ٢٣٢ هـ). وعلي بن الجهم (ت ٢٤٩ هـ) شاعر عباسي.

(٣) بيت القصيد أو بيت قصيد هو أربع الأبيات في القصيدة (والمقصود من قولها). الفريد (جمع فريدة: لؤلؤة). السلك: الحيط الذي ينظم فيه عقد اللؤلؤ. الواسطة (أكبر حبات المقد: وتكون في وسطه - ولذلك سميت الواسطة).

(٤) الأصل أن تكون «أجمع» (مبنية على الفتح في محل نصب حال: مجموعاً معاً).

(٥) «إن - تنصب (بكر الصاد) الاسم وترفع الخبر. وقد استوتفت هنا اسمها وخبرها (إن زيدا قائم)،

بقيت «عمرو» فتخريج إعرابها هنا: إن زيدا قائم، وعمرو قائم.

عاملاً في خبر زيد وإنَّ عامله في خبر الكاف^(١). ولا يجوزُ اجتماع عاملين على معمولٍ واحدٍ^(٢). وأما الكوفيون فأختلفوا، فذهب الكِسائي إلى جواز ذلك مُطلقاً، سواء تبيّنَ عملُ «إنَّ» أو لم يتبيّن^(٣). نحو: إنَّ زيدا وعمراً قائمان، وإنَّه وبكرٌ مُنطلقان. وأستدلَّ بقوله جلَّ وعلا: «إنَّ الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون^(٤)»، ففُطِفَ ورفع^(٥). وذهب الفراء إلى أنه لا يجوزُ العطفُ إلا على ما يبيّنُ فيه العملُ، نحو: إنَّك وزيد ذاهبان، لأنَّه بعمدِ التأثيرِ ضُمَّتْ، فجاز العطفُ كما لو كان على المبتدأ. وإذا كان (ذلك) كذلك، جاز أيضاً توكيدُ الموضعِ بالرفع. والله أعلم.

٣ - مختارات من آثاره:

- من مقدّمة «المطربِ من أشعارِ أهلِ المغرب»:

..... أمّا بعدُ، فإنَّ مولانا سلطان العربِ والعجمِ، عزَّ الملوكِ المصريةِ ومالكَ فضيلتي السيفِ والقلمِ، وملكَ اليمنِ والشامِ والديارِ المصريةِ: أبا المعالي أبا المظفرِ عمداً الكاملَ الكاملِ الأوصافِ - لا يبرحتُ يبقائه المالكُ مهترّةَ الأعطافِ مُعتزّةَ الأطرافِ^(١) - تقدّمَ إليَّ أمره المُطاعُ، الواجبُ له عليّ من الجهدِ غايةً ما يُستطاعُ، أنْ أجمَعُ له ما اجتمعَ عندي من الأناشيدِ التي رويَتها عن شعراءِ الأندلسِ وسائرِ

(١) في خبر «الكاف» من «أنك» (الكاف في محل نصب اسم «إن»). أمّا «زيد» (هنا) فيجوز أن يقال فيها: أنك وزيدا (معطوفة على الكاف) قائمان. ويجوز أن يقال: أنك وزيد (بالرفع في خبر الكاف)، أي تقول (في الأصل): أنت قائم وهو (أي زيد) قائم، فلما أدخلت «إن» على الجملة، عملت (أثرت) «إن» في الكاف ولم تؤثر في «زيد» (إذ فصلت الكاف بين «إن» و«زيد»).

(٢) المقصود اجتماع عاملين يملان عملين مختلفين.....

(٣) سواء أتيّن عمل «إنَّه» أم لم يتبيّن.

(٤) القرآن الكريم (٥: ٦٩، سورة المائدة).

(٥) «الذين هادوا» (اليهود) معطوفة على «الذين آمنوا» وفي محل نصب. أمّا «الصابئون» فليست (هنا) معطوفة بل مبتدأ بها (هي مبتدأ على الاستئناف).

(٦) لا يبرحت: بقيت، دامت. المطف (بكسر العين) الجانب الأعلى من الجضم. مهترّة الأعطاف: فرحة مزهوّة (مفتخرة). الأطراف: المناطق البعيدة عن العاصمة. معتزّة الأطراف: قويّة وثيقة الاتصال بالعاصمة أو بأهل الملك (والعادة أن البلاد البعيدة عن العاصمة تكون مهملة معرّضة لهجمات العدو وقبيلة الولاء للعاصمة في أحيان كثيرة).

المغرب بأقرب الأسانيد^(١). فجمعتُ منها لخدمته مقامه العالي ما يُوكَل بالضمير ويُشرب، ويُنترز عند سماعه ويُطرب، في الغزل والنسيب والوصف والتشبيب، إلى غير ذلك من مُستطَرَفَاتِ التَّشْبِيهَاتِ المُسْتَعْدِيَةِ ومُبْتَكِرَاتِ بَدَائِعِ بَدَائِهِ^(٢) الخواطر المُسْتَفْرِيَةِ، ولمح سِيرِ ملوكِ المغرب وملح أخبارِ أدبائه، ورتقى معاني كتابه، وجزل ألفاظِ خطبائه.

وبالجملة، فقد نثتُ في هذا المجموع كِنَانَةَ محفوظاتي في المعارف الأدبية، ولم أخله^(٣) من أخايرِ ذخائِرِ ما التَّقَطُّتُهُ من أفواهِ مشايخي من مُشْكِلِ عِلْمِي الغريبِ والعَرَبِيَةِ^(٤). إلا أنني لم أقصِدْ جمعَ ذلك على الترتيب، ولا سَلَكْتُ فيه مَسَلَكِي المهودَ في التَّبْوِيهِ والتَّهْذِيبِ، بل استرسلتُ فيه معَ الحَاطِرِ على ما يجودُ به وبسَمَحٍ وبِئْنٍ له ويسنح^(٥). فالناظرُ فيه يسرحُ في بساتينَ ويمرحُ في ميادينَ ويخرجُ من فنٍّ إلى فنونٍ، والحديثُ ذو شجون^(٦).

- وقال (المطرب، ص ٢٤) في استيلاء الإسبان على بعض بلاد الأندلس:

قال ذو النسيب^(٧): وقد أخذ الآن هذه البلاد ابنُ الرقيق^(٨) اللعين، وحان لها يومٌ شرٌّ ما كان أحدٌ يظنُّ أنه يحين. فتملكتُ شترينَ والأشبونة^(٩) لما خاف أهلها من

- (١) الإسناد: رواية الخبر عن رجل رجل. الخبر القريب الإسناد هو القريب من زمننا يرويه رجل أو رجلان أو ثلاثة، بينما الخبر البعيد الإسناد يرويه نفر كثيرون حتى يصلوا به إلى قائله الأول.
- (٢) البدايه ما قيل من الشعر على البدايه (بلا استعداد سابق).
- (٣) نث: استخرج، سجب من وعاء، الخ. الكنانة: وعاء مستطيل توضع فيه السهام. أخل فلان قلبه من الهم: أفرغه. لم أخله: لم أجمله خالياً.
- (٤) العربية: النحو.
- (٥) عن: ظهر، بان. سنح: مرَّ في الحاطر.
- (٦) الشجن (يبتحفتح) الفصن المشعب. الحديث ذو شجون: يبدأ الحديث على نسق واحد ثم يتشعب (يتناول أشياء كثيرة).
- (٧) قال ذو النسيب: ابن دحية الكلبي (هو يقول ذلك عن نفسه).
- (٨) ابن الرقيق: أنريك هانريك. وهو هنا بيدرو الثاني ملك أرغون بن ألفونسو أنريكيز (وقد فقدت اللغة الإسبانية صوت الماء فهم يقولون في هنركو أنريكو).
- (٩) شترين والأشبونة (لشبونة اليوم) ثمران على الشاطيء الغربي (في البرتغال اليوم).

القتل، ورأوا أن الأسر دونه^(١)، لكثرة من جاءهم في البر والبحر و (ل) حَمُود
المسلمين عن الحياة لهم والنصر، حتى ملك الكفار معاقلمهم المنتنعة وحصونهم
المرتفعة.

- وله من مقدمة قصيدة يمدح بها الملك الكامل (وفيها معان صوفية):

أمنازل الأحباب، أين أجبتي؟ فهم إذا جنّ الظلام الأنجم^(٢).
ولقد وقفت بربع عزة منشدًا: يا ربع، أين ترى الأحبة يَمُموا^(٣)؟
ناديتهم، وهم النسي يميني وقد ضربوا بها حمر القباب وخيموا^(٤).
هم في السواد، وفي السويدا خيموا: ما أعرقوا، ما أئمنوا، ما أشأموا^(٥)!
وهم الذين إذا سُئِلت: من الذي تهاهم؟ قلت: الذين هم هم^(٦)!
أحبابنا، طال المطال بوعدكم لي بالوصال، وطال لي لي فيكم^(٧).
حكمتكم في مهجتي فحكمتهم فيها بما شاء الغرام وشتت^(٨).

(١) رأوا أن الأسر دونه: دون (أهون من) القتل.

(٢) جنّ الظلام: غطى (كل شيء)، اشتد. هم الأليم: هم الذين أستأنس بهم وأهتدي بهم في أيام الشدة.

(٣) الربع: المكان السكون. العزة: بنت الطيبة. وعزة محبوبة كثير (بضم الكاف وكسر الياء المشددة) بن عبد الرحمن الضري الأموي (ويكنى بمرّة عن كل محبوبة). يم: قصد، ذهب.

(٤) المنى (بضم الميم) جمع منية (بضم فسكون): مراد، غاية. منى (بكسر الميم) منسك في مكة بيت فيه الحجّاج (ويكنى بها عن التقرب إلى العزة - بكسر العين - الإلهية). ضربوا (نصبوا) حر الخيام: الخيام الحمر الكبيرة المصنوعة من جلد، (وتكون عادة خيام الملوك). وخيموا: نزلوا، سكنوا.

(٥) هم في السواد (سواد عيني): هم قريبيون مني جداً. وفي السويدا (السويداء: سويداء القلب)، وفي الكلمة تورية (لأنّ السويداء أيضاً اسم لعدد من البلدان أحدها قرب المدينة بالحجاز، وأحدها في حوران بالشام وثالثة في أعلى المراق وراية في شمالي الشاطيء السوري) في السويداء خيموا (هم في قلبي - كتابة عن العزة الألهية)، ما أعرقوا (ما ذهبوا إلى العراق) ما أئمنوا (ما ذهبوا إلى اليمن) ما أشأموا (ما ذهبوا إلى الشام: سورية).

(٦) من الذي (يقصد الذين، وهو خطأ استعمله الشاعر لضرورة الوزن). الذين هم هم: المقصودون المعروفون لدى جميع الناس (الله).

(٧) المطال (بكسر الميم) الماطلة، تأخير الوفاء بالوعد، الإخلاف بالوعد. الوصال: اللقاء. وقد تكون المطال (بفتح الميم) من الطول: طول المدّة (أي وعدتم وعداً بعيد الأجل جداً). طال لي لي فيكم (طال سهري وعذابي في انتظار لقايتكم). طاوله: ماطله (القاموس ٤: ٩).

(٨) المهجة: دم القلب. - جعلتكم حكماً في قلبي (أعزّ شيء عندي، نفسي، حبي) فحكمت عليّ بقسوة (بعدم عني).

وَرَحَلْتُمْ بِالْقَلْبِ يَوْمَ رَحَلْتُمْ، وَظَعَنْتُمْ بِالصَّبْرِ يَوْمَ ظَعَنْتُمْ.

- ٤ - التبراس في خلفاء بني العباس (حققه عباس المزراوي)، بغداد ١٣٦٥ هـ = ١٩٤٦ م.
- المطرب من أشعار أهل المغرب (بتحقيق إبراهيم الإبياري، حامد عبد المجيد، أحمد أحد بدوي، - بإشراف وزارة التربية والتعليم، الإدارة العامة: إدارة نشر التراث القديم)، القاهرة (المطبعة الأميرية) ١٩٥٤ م؛ (تحرير مصطفى عوض الكريم)، الخرطوم ١٩٥٤ .
- * * * التكملة (رقم ١٨٣٢)، وفيات الأعيان ٣: ٤٤٨ - ٤٥٠، صلة الصلة ٧٣ - ٧٤، العبر (للذهبي) ٥: ١٣٤ - ١٣٥، عنوان الدراية ٢٢٨ - ٢٣٨، بغية الوعاة ٣٦٠، شذرات الذهب ٥: ١٦٠، نوح الطيب ٢: ٩٩ - ١٠٤، ٣: ١٣٦ - ١٣٨؛ (الاختلاف في أمره)، ٥: ١١٥ - ١١٨؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ١٧٤٧، بروكلمن ١: ٣٧٨ - ٣٨٠، الملحق ١: ٥٤٤ - ٥٤٥، نيكل ٣٢٥، الأعلام للزركلي ٥: ٢٠١ - ٢٠٢ (٤٤).

مَرْجُ الكُحْلِ

- ١ - هو أبو عبد الله محمد بن إدريس بن علي بن عبد الله الجزيري الأندلسي المعروف بمرج الكحل أو ابن مرج الكحل نسبة إلى مرج الكحل على مقربة من بلدة جزيرة شقر قرب بنسية.
- وُلِدَ مَرْجُ الكُحْلِ سَنَةَ ٥٥٤ هـ (١١٥٩ م) فِي مَرْجِ الكُحْلِ (وفايات الأعيان ١: ٣٧٨) وَنَشَأَ يَتَمَعِّشُ بِنَيْعِ السَّمَكِ يُنَادِي عَلَى بَضَاعَتِهِ فِي الْأَسْوَاقِ، وَقِيلَ كَانَ أُمِّيًّا. وَكَذَلِكَ كَانَ يَتَزَيَّا بِزَيِّ أَهْلِ الْبَادِيَةِ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي جَزِيرَةِ شُقْرٍ ثَانِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ ٦٣٤ (١٢٣٦/١١/٣ م).
- ٢ - كَانَ مَرْجُ الكُحْلِ أَدِيبًا بَارِعًا فِي النَثْرِ وَالتَّنْظِمِ، وَهُوَ شَاعِرٌ وَجِدَانِيٌّ رَفِيقٌ حَسَنُ التَّوْلِيدِ، وَأَكْثَرُ شِعْرِهِ الْوَصْفُ وَالنَّسِيبُ وَالعِتَابُ.

٣ - مختارات من شعره:

- قَالَ مَرْجُ الكُحْلِ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ:
مَثَلُ الرِّزْقِ الَّذِي تَطْلُبُهُ مَثَلُ الظِّلِّ الَّذِي يَمْشِي مَعَكَ.
أَنْتَ لَا تَذَرِكُهُ مُتَبِعًا، وَإِذَا وَلَّيْتَ عَنْهُ تَبِعَكَ!

- وقال في الغزل والنسيب على النهج القديم :

وعندي من مراشئها حديثٌ يُخبرُ أن ريقَها مُدامٌ^(١).
وفي أجنانها السكرى دليلٌ؛ وما ذُقنا، ولا زَعَمَ الهام^(٢).
تعالى الله، ما أجرى دُموعي إذا عَنَّتْ لُفْلُفِي الخِيَام^(٣)،
وأشجاني إذا لاحت بُروقٌ وأطرَبَسني إذا غَنَّتْ حَمَام.

- وله قصيدة طويلة في وصف الطبيعة منها:

نَهْرٌ يَهْمُ بِجُنَيْهِ من لم يَهْمُ وَيُجِيدُ فِيهِ الشمرَ مَنْ لم يَشْعُر^(٤).
ما أَصْفَرَ وَجْهَ الشمسِ عندَ غُرُوبِها إِلا لفرْقَةِ حُسْنِ ذاك المنظر.
أرأتِ جُفونَكَ مِثْلَهُ من مَنظَرٍ: ظلٌّ وشمسٌ فوقَ خَدِّ مُعْذِر^(٥)؟
وجداولٌ كأرقامِ حَصَبائِها كَبُطونِها وَحَبائِها كالأظْهر^(٦).
أَمَلٌ بَلَّغناه بِهَضْبِ حَدِيقَةٍ قد طَرَّرَتْهُ يدُ الغمامِ المُنْطَرِ،
فكأنه - والزهرُ تاجٌ فوقَه - مَلِكٌ تَجَلَّى في بساطِ أخضر.

٤- ** زاد المسافر ٦٩ - ٧١؛ المحمدون من الشعراء ١٤٦ - ١٤٧؛ المغرب ٢: ٣٧٣ -
٣٧٤؛ وفيات الأعيان ٢: ٣٩٦ - ٣٩٧؛ الوافي بالوفيات ٢: ١٨١؛ برنامج
الرعيي ٢٠٨ - ٢١١؛ التكملة ٣٤٤ (رقم ١٠٠٥)؛ الذيل والتكملة ٦: ١١٠ -
١١٧ (رقم ٢٩٧)؛ الإحاطة (القاهرة) ٢: ٢٥٢ - ٢٥٦؛ أعمال الأعلام ٢٧٨
(أبيات)؛ نفع الطيب ٥: ٥٠ - ٦٢ (متقطعاً)؛ أزهار الرياض ٢: ٣١٥ - ٣١٦؛
الأعلام للزركلي ٦: ٢٥١ (٢٧).

- (١) مدام: خمر.
- (٢) في هذا البيت اقتباس من قول النابغة الذبياني عن أبي قابوس النعمان بن النذر في القصيدة زعم الهام ولم أذقه، أنه...
- (٣) ما أجرى دموعي: ما أكثر بكائي. إذا عنت لفلقي الخيام: إذا رأيت مسكن الميحب..
- (٤) هام به: أحبه إلى درجة الجنون.
- (٥) خد مُعْذِر: بدأ نبات الشعر فيه.
- (٦) الجدول: النهر الصغير. الأرقم: الحية. في قاع الجدول حصياء (حصى صفار) بيضاء تجعل القاع مستوياً كبطن الحية. أما الحباب (الفقايع على وجه الجدول) فنشبه ما على ظهر الحية.

أبو الربيع بن سالم الكِلاعي الأندلسي

١- هو أبو الربيع سليمان^(١) بن موسى بن سالم بن حسان بن سالم (وقيل: سليمان) ابن أحمد بن عبد السلام الحِميري الكِلاعي (نسبة إلى ذي الكلاع أحد ملوك اليمن القدماء) الأندلسي، وُلِدَ في خارج مدينة بَلَنْسِيَّة (وقيل: مُرْسِيَّة) - في مُسْتَهَلِّ رَمَضانَ من سَنَةِ ٥٦٥ هـ (١١٨ / ٥ / ١١٧٠ م) - ثم حُيِّلَ إلى بَلَنْسِيَّة وَعُمِّرَهُ سَتَانِ فَنشَأَ فيها.

سَمِعَ أبو الربيع بن سالم الحديثَ في بلدِه من أبي العطاء بن نذير وأبي عبد الله ابن نوح وأبي الخطاب بن واجب. ثم إنَّه تَجَوَّلَ في الأندلس وفي المَغْرِبِ وتلقى أشياء من العلم على جماعَةٍ منهم: أبو عبد الله بن الفَخَّار وعبدُ المُنعمِ بن الفَرَسِ وأبو الوليدِ ابنُ رُشدٍ وأبو القاسمِ بن حُبَيْشٍ وأبو بكر بن الجَدِّ وأبو عبد الله بن زَرْقُونِ.

وتولَّى أبو الربيع الحُطْبَةَ بالمسجدِ الجامعِ في بَلَنْسِيَّةِ في أوقاتٍ مُتفرِّقةٍ وتولَّى القضاءَ أيضاً. ولقد كان في أثناء ذلك كُلِّه يذهبُ في الفِرَواتِ ويُبايِهُ القِتالَ بنفسِه ويُبلي فيه البلاءَ الحَسَنَ.

ولما شَدَّدَ الإسبانُ الحصارَ على بَلَنْسِيَّةِ خرج أبو الربيع على رأس جيش من المسلمين مُجاهداً وخاض معركة أنيعة، وكان يصيح إذا رأى تراخياً خلفه: «أمن الجَنَّةِ تَفَرُّون!» حتى سَقَطَ شهيداً، في ١٨ من ذي الحِجَّةِ من سَنَةِ ٦٣٤ (١٢ / ٨ / ١٢٣٧ م).

٢- كان أبو الربيع سليمان الكِلاعي حافظاً للحديث، مُعدَّناً وفقهياً مُحيطاً بعلوم اللغة والأدب، يُحِبُّ العِلْمَ والأدبَ ويَجْمَعُ حوله العلماءَ والأدباءَ حينما كان في ولايته. وكذلك كان ناثراً ناظماً. وهو شاعرٌ مُكثِّرٌ ضاع مُعْظَمُ شِعْرِهِ. وشعرُه الباقي لنا يدلُّ على أنه قديرٌ في النظم مَيَّالٌ إلى تَكَلُّفِ البديع؛ ونحن نجدُ على شعره نفحةً دينيةً صوفيةً شديدةً. وفي شِعْرِهِ اعتذارٌ وعزْلٌ ونسيبٌ.

(١) هو غير أبي الربيع سليمان بن عبد الواحد المتوفى سنة ٦٠٤ (راجع الديباج الذهب ١٢٢ - ١٢٣).

وكانت لأبي الربيع بن سالم الكلاعي تصانيف في الحديث والتاريخ والأدب منها: تحفة الرواد ونجمة الوراد (وقيل: تحية الرواد وتحفة الوراد) في العمالي البدئية^(١) الإسناد - الاكتفاء في مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومغازي الثلاثة الخلفاء - الإعلام بأخبار البخاري الإمام - المعجم في مشيخة أبي القاسم بن حبش. وله في الأدب: جني الرطب في سني الخطيب (ثمانون من خطبه في أيام الجمع والأعياد وغيرها) - نكتة الأمثال ونقطة السحر الحلال (بنى فيه الكلام على التوشيح بما تضمنه كتاب أبي عبيد من أمثال العرب واضطرار العرب من الخطباء والأدباء) إليها (إلى الاستشهاد بها) - جهد النصيح وحظ المنيع في معارضة المعري في خطبة الفصح - الامتثال لمثال المبهج في ابتداع الحكم واختراع الأمثال - مفاوضة القلب العليل ومنازلة الأمل الطويل بطريقة المعري في ملقى السبيل - مائة مسألة ملغزة - نتيجة الحب الصميم وزكاة الشور والمنظوم (؟) النشير والتنظيم) في مثال النمل النبوية على لابسها الصلاة والسلام (؟) أفضل الصلاة والتسليم) - الصحف المنشرة في القطع المعثرة - ديوان رسائله - ديوان شعر.

٣ - مختارات من آثاره:

غَضِبَ والي بلنسية على أبي الربيع فأقصاه (سنة ٥٨٧ هـ ٢)، فكتب إليه أبو الربيع يعتذر إليه ويستعطفه (إعتاب الكتاب ٢٤٩ - ٢٥١):

وبعدُ فكتبَ الذي قَصَرَ ثم عاينَ قِصْدَهُ وأبْصَرَ، واقتَرَفَ فأعْتَرَفَ^(٢) وأجْتَرَحَ فلمْ يَرِ أجدى من أن قرَعَ بابَ المَغْفِرَةِ واستَفْتَحَ^(٣). وفي عِلْمِ المَوْلَى أن العبيدَ أهلُ الخطأِ ومَظَنَّةُ السَّيِّئِ المُسْتَبِطِ^(٤).... ومَن نوقِشوا الحسابَ على كلِّ زَلَّةٍ وعُوقِبوا في

(١) راجع «الاكتفاء» لأبي الربيع بن سالم، الصفحة: ي.

(٢) عاين قصده: رأى بعينه الغاية المقصودة. اقترف: اكتسب ذنباً.

(٣) أجدى: أنفع. استفتح: طلب أن يفتح له (باب المغفرة).

(٤) المولى: السيد المتفضل المسيطر. مظنة: مكان. المستبطن: الذي يجيء بطنياً (يفصل بعد نوات الأوان). مظنة السي المستبطن (من عادتهم أن يتأخروا في إصلاح الخطأ).

كُلَّ ضَلَّةٍ أَفْنَاهُمْ الْعِقَابُ سَرِيحاً وَأَهْلَكَهُمُ التَّأْدِيبُ جَمِيعاً. وَإِنَّا بَقَاؤُهُمْ فِي أَنْ يُسْبَلَ
الموالي على هَفَوَاتِهِمْ سِتْرَ الإِغْضَاءِ وَيُقَرَّبُوا عَلَيْهِمْ مَدَارِكُ الإِرْضَاءِ (١).....

- كتب أبو الربيع بن سالم الكلاعي إلى بحر بن صفوان بن إدريس سنة (٥٨٧هـ) عَقَبَ انْفِصَالِهِ (خروجه) من بَلَنْسِيَّةَ:

أَجْرٌ إِلَى نَجْدٍ وَمِنْ حَلٍّ فِي نَجْدٍ؛ وَمَا الَّذِي يُغْنِي حَنِينِي أَوْ يُجِدِي (٢)؟
وَقَدْ أَوْطَنُوهَا وَادَعَيْنَ، وَخَلَفُوا مُجِيبُهُمْ رَهْنَ الصَّبَابَةِ وَالوَجْدِ (٣).
تَبَيَّنَ بِالْبَيِّنِ اشْتِيَاقِي إِلَيْهِمْ
وَوَجَدِي، فَسَاوَى مَا أَجْرُ الَّذِي أَبْدِي (٤).

وَضَاقَتْ عَلَيَّ الأَرْضُ حَتَّى كَانَتْهَا وَشَاحَ بِخَضِرٍ أَوْ سِوَارٍ عَلَى زَنْدِ.
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مَا أَلَاتِي مِنَ المَجْوَى، وَبَغْضُ الَّذِي لَاقَيْتَهُ مِن رُذِي (٥)
فِي أَلِيَّتِ شِعْرِي، هَلْ تَعُودُنَا المَنْسَى وَعَيْشٌ كَمَا تَمَنَّمْتَ حَاشِيَّتِي بُرْدٍ (٦).

- قال أبو الربيع الكلاعي لما بدأ شبابه يفارقه والشيب يخطئ شعره:

تَوَلَّيْتُ لَيْلَالٍ لِلْعَوَايَةِ جُونٌ وَوَأْفَى صَبَاحٍ لِلرِّشَادِ مُبِينٌ (٧)؛
رِكَابُ شَبَابٍ أَزَمَّتْ عَنكَ رَحْلَةٌ، وَجَيْشٌ مُشِيبٌ جَهَّزْتَهُ مَنُونٌ (٨)؛
وَلَا أَكْذِبُ الرَّحْمَنَ فِي مَا أَجْنَهُ، وَكَيْفَ؟ وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ جَنِينٌ (٩).

(١) يسبل: يمدل، يغطي. الهفوة: النلطة الصغيرة (غير المقصودة). الإغضاء: إغاض العين عن تقصير الآخرين. المدارك: أسباب الوصول إلى.

(٢) أغنى، كفى، نفع. أجدى: نفع.

(٣) وادع: ساكن، هادي، مطمئن. الصبابة: الشوق. الوجد: الحزن.

(٤) البين: الفراق، البعاد. جن: كم. أبدى: أظهر.

(٥) المجوى: اشتداد المرض من عشق أو حزن. أردى: أهلك.

(٦) البرد: الثوب من حرير. فم: طرز الثوب تطريزاً ناعماً (صغير الزركشة).

(٧) تولت: راحت، ذهبت، انقضت. العواية (بفتح العين): البطالة، الضلال. جون: سود. وافي: وصل،

حل. صباح: (شيب، هرم). مبين: واضح، ظاهر، أبيض (شيب أبيض).

(٨) الركاب: المطايا، ما يركب للسفر أو للحرب. أزمع: نوى، قصد. المنون: الموت.

(٩) أجنه: أكنمه، أخفيه. الجنين: المكتوم، الخفي.

وَمَنْ لَمْ يَخَلْ أَنْ الرِّبَاءَ يَشِينُهُ،
لَقَدْ رِيعَ قَلْبِي لِلشَّبَابِ وَقَدَّه،
وَأَلْمَنِي وَخَطُّ الشَّيْبِ يَلْمَنِي
وَلَيْلُ شَبَابِي كَانَ أَنْضَرَ مَنْظَرًا
فَاهَا عَلَى عَيْشٍ تَكَدَّرَ صَفْوُهُ
وَمَا وَهَجَ فُؤُودِي أَوْ فُؤَادِي كُلَّمَا
حَرَامٌ عَلَى قَلْبِي سُكُونٌ بِغُرَّةٍ؛
وَقَالُوا: شَبَابُ الْمَرْءِ شُعْبَةٌ جَنَّةٍ؛
وَقَالُوا: شَجَاكَ الشَّيْبُ حَدَثَانٌ مَا أَتَى،
فَمِنْ مَذْهَبِي أَنْ الرِّبَاءَ يَشِينُ (١)؛
كَمَا رِيعَ بِالْعَلْقِ الْفَقِيدِ صَنِينٌ (٢)؛
فَخَطَّتْ بَقْلِي لِلشُّجُونِ فُنُونٌ (٣)؛
وَأَتَقَ مَهْمَا لَحَظْتَهُ عَيُونٌ (٤)؛
وَأُنْسٌ خَلَا مِنْهُ صَفَاً وَحَجُونٌ (٥)؛
تَزَيَّدَ شَيْبِي، كَيْفَ بَعْدُ يَكُونُ (٦)؟
وَكَيْفَ مَعَ الشَّيْبِ الْمِضُّ سُكُونٌ (٧)؟
فَمَا لِي عَرَانِي لِلْمُسَيْبِ جُنُونٌ (٨)؟
وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الْحَدِيثَ شُجُونٌ (٩)؛

- (١) خال: ظن: يشين: يعيب، يَصِمُ الإنسان بالنقص والعيب.
(٢) ريع (المجهول من راع): أخيف، خاف، جزع. العلق: الشيء النفيس الذي يحرص الإنسان على الاحتفاظ به. الفقيد: المفقود، الذي فقده صاحبه. الضنين: البخيل.
(٣) وخطه الشيب: اختلط الشيب بسواد شعره (قليلاً أو كثيراً). اللَّمَّة: الشعر في مقدم الرأس. خطت: كتبت (بالباء للمجهول). الشجون: الأحزان. ثم فنون: أنواع، أصناف.
(٤) كان ليل الشباب (سواد الشعر) أنضر (أحسن، ألين، أزهى). أتق: أجل. مهما لاحظته عيون: مهما يكن عدد الذين يرونه (يقصد: جميع الناس يقولون ذلك).
(٥) الأُنس: السرور. خلا منه صفًا (مكان بسفح جبل أي قبيس بمكة) وحجون (جبل فوق مكة)، يقصد: إذا نزل الشيب بالإنسان انتفى السرور حتى في الأماكن التي يكثر فيها السرور، وهو يشير بذلك إلى البيت القديم:
كَانَ لَمْ يَكُنْ بَنِينَ الْحَجُونَ إِلَى الصَّفَا أَنَيْسٌ وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرًا
(٦) الفود: الشعر على جانبي الرأس.
(٧) لا يجوز لقلبي أن يطمئن. بغرة: في غفلة (عن نتيجة تزايد الشيب في الرأس). الميضم: المؤلم (لأنه يذكر يقرب انتهاء الحياة).
(٨) شعبة جنة: نوع من الجنون. عراني: أصابني. (في الشباب يكون جنون الإنسان - إتيانه بما لا يعقل - من الفرح. أمّا في الشيخوخة فيكون جنونه من الحزن).
(٩) شجاك الشيب حدثان ما أتى (الإعراب والمعنى غامضان): شجاك (حزنك أو أحزرك) الشيب (فاعل) حدثان (بدل: الأحداث التي جاءت مع الشيب هي التي حزنك أو أحزنتك). والحدثان (بالكسر) جمع حدث (الناتبة، المصيبة). و «الحديث ذو شجون» (فنون، أنواع) مثل

- وله من شعره ذي لَنَفْحَةِ الدِّينِيَّةِ :

أَمْوَالِي الْمَوَالِي، لَيْسَ غَيْرُكَ لِي مَوْلَى؛
تَبَارَكَ وَجْهٌ وَجَّهَتْ نَحْوَهُ الْمُنَى
وَمَا هُوَ إِلَّا وَجْهَكَ الدَّائِمُ الَّذِي
تَبَرَّأْتُ مِنْ حَوْلِي إِلَيْكَ وَقُوَّتِي،
وَهَبْ لِي رِضًا - مَالِي سِوَى ذَلِكَ مُبْتَنَى
وَمَا أَحَدٌ سِوَاكَ، مِنْكَ بِذَا أَوْلَى (١)
فَأُوزِعَهَا شُكْرًا وَأُوسِعَهَا طَوْلًا (٢)
أَقْلُ حُلَى حَلِيَّائِهِ يُخْرِسُ الْقَوْلَا (٣)
فَكُنْ قُوَّتِي فِي مَطْلَبِي وَكُنِ الْحَوْلَا (٤)؛
وَلَوْ لَقَيْتَ نَفْسِي عَلَى نَيْلِهِ الْمَوْلَا!

- من مقدّمة كتاب «الاكتفاء» :

.... هذا كتابٌ ذهبْتُ فيه إلى إيقاع الإقناع وإمتاع النفوس والأسماع، باتّساق الخبر عن سيرة رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذِكْرِ نَسَبِهِ وَمَوْلَدِهِ وَصِفَتِهِ وَمَبْعَثِهِ وَكَثِيرٍ مِنْ خِصَائِصِهِ وَأَعْلَامِ نُبُوَّتِهِ (٥) وَأَيَّامِهِ، مِنْ لَدُنْ مَوْلَدِهِ إِلَى أَنْ اسْتَأْثَرَ اللهُ بِهِ وَقَبَضَ رُوحَهُ الطَّيِّبَةَ إِلَيْهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَرَكَاتِهِ عَلَيْهِ؛ مُقَدِّمًا لِذَلِكَ مَا يَجِبُ تَقْدِيمُهُ، وَمُتَمِّمًا - مِنْ ذِكْرِ أَوْلِيَّتِهِ الْمُبَارَكَةِ بِلَدَا وَمَحْتَدًا (٦) - بِمَا يَحْسُنُ عِلْمُهُ وَتَعْلِيمُهُ، مُلْخَصًا جَمِيعَهُ مِنْ كُتُبِ أَيْمَةِ هَذَا الشَّانِ، (أُولَئِكَ) الَّذِينَ صَرَفُوا إِلَيْهِ اعْتِنَاءَهُمْ وَاسْتَنْفَدُوا (٧) فِيهِ آثَاءَهُمْ (٨).... وَلَكِنْ عَظَّمَ الْمَوْلَى كَانَ، مُحْكَمِ الْخِطَابِ الْأَوَّلِ، عَلَى كِتَابِ (مُحَمَّدٍ) بْنِ إِسْحَاقَ (٩)؛ إِيَّاهُ أَرَدْتُ، وَتَجَرِيدَهُ مِنَ اللَّغَاتِ وَكَثِيرٍ مِنَ الْأَنْسَابِ

(١) مولى الموالي: سيّد الأسياد (الله). أولى: أحقّ.

(٢) المنى: الأمانيّ، الرغبات. أوزعها شكرًا: أعانها على أن تشكر (المنعم عليها). أوسعها طولًا (القوة، القدرة): جعلها أقدر على بلوغ أمانيتها.

(٣) الحلى جمع حلية (بكسر الهاء): الزينة، الجلال.

(٤) الحول: القوة، القدرة على التصرف، نفوذ البصر في الأمور. تبرأت إليك من حولي وقوتي (استسلمت إليك واعتمدت عليك).

(٥) الاعلام: الدلائل، العلامات.

(٦) اختلف: الأصل الكرم.

(٧) استنفدوا (في الأصل: بالذال أخت الدال). اقرأ: استنفدوا (بالدال المهملة).

(٨) الآثاء جمع آفة (بفتح فسكون أو بكسر فسكون): الساعة، الجزء من الوقت. استنفدوا آثاءهم: أنفقوا جميع أوقاتهم.

(٩) محمد بن إسحاق (ت ١٥١ هـ) صاحب «السيرة النبوية» (وهي مفقودة)، ولكن نجد معظمها في «السيرة» (لابن هشام) وفي تاريخ الطبري.

والأشعار قصدت^(١)، وعلى ترتيبه غالباً جَرَيْتُ، وَمَنْزَعَهُ^(٢) في أكثر ما يَخُصُّ الْمَغَازِيَّ
تَحْرَيْتُ..... ثم بدا لي أن أزيد على هذا المقدار ما يحسن في هذا المضمار، و(أن)
أَعُوْضَ ما حذفْتُ منه من اللُّغَاتِ وَالْأَنْسَابِ وَالْأَشْعَارِ، بما يكون - إن شاء الله -
مَرْيَةً الاختيارِ وَيُرْوَقُ عليه رَوْنُقُ الإِيثارِ^(٣) مُنْتَقِيًا ذلك من الدواوين التي طار لها في
الناس طائرُ الاشتهار، ومُتَخَيِّرًا له من الأماكن التي لا يَسْتَقِلُّ بِمَحْضِرِ فوائدها
وانتقاء فرائدها^(٤) كلُّ مُختار..... ثم القصدُ الثاني مُتَوَفَّرٌ على إيناسِ الناسِ
بأخبارِ نَبِيِّهِمْ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعمارةِ خَوَاطِرِهِمْ بما يكونُ لهم في العاجلِ
وَالْآجِلِ^(٥) أَنْفَعُ وَأَسْلَمُ. وقد عمَّ عليه الصلاة والسلام بِبِرْكَةِ دُعَائِهِ سَامِعَ حَدِيثِهِ
وَمُبَلِّغَهُ. وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « ما أفادَ المُسْلِمُ أخاهُ المُسْلِمَ أَفْضَلَ من حديثِ
حَسَنِ بَلَّغَهُ قَبْلَهُهُ ».

٤ - الاكتفاء في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء (تحقيق مصطفى عبد الواحد)، القاهرة
(مكتبة الخانجي) ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٨ م؛ بيروت (مكتبة الهلال) ١٣٨٩ هـ = ١٩٧٠ م.

♦ ♦ تحفة القادم ١٣٩ - ١٤٤٢، التكملة ٧٠٨ (رقم ١٩٩١)، اعباب الكتاب ٢٤٩ - ٢٥٣؛
برنامج الرعيبي ٦٦ - ١٧٢، المغرب ٢: ٣١٦ - ٣١٧؛ فوات الوفيات ١: ٢٣٠؛ الذيل
والتكملة ٤: ٨٣ - ٩٥ (رقم ٢٠٣)؛ المرقبة العليا ١١٩ - ١٢٢؛ الديباج المذهب
١٢٢ - ١٢٣؛ شذرات الذهب ٥: ١٦٤؛ نفع الطيب ٤: ٤٧٣ - ٤٧٦؛ ثم اشارات
مختلفة (راجع الفهرس - والرقم ٤: ٣٢٢ في الفهرس خطأ وصوابه ٣٣٢ - ٣٣٣)؛
الأعلام للزركلي ٣: ١٩٩ (١٣٦).

(١) تجريده من اللغات (ذكر الأوجه المختلفة من اللفظة الواحدة) وكثير من الأنساب والأشعار
(باختصارها).

(٢) المنزع: الغاية، الأنحاء، المقصد.

(٣) راق: حسن، صار حسناً. الرونق: الجمال المعجب للمعين. الإيثار: التفضيل.

(٤) الفريدة: اللؤلؤة النفيسة (الثمينة، الغالية).

(٥) الزمن: العاجل (الدنيا) والآجل المتأخر (الآخرة).

أبو يحيى بن هشام القرطبي

١- هو أبو يحيى (كُنِيَّتُهُ) أبو بكر (اسْمُهُ) بنُ هشامِ القُرْطُبِيِّ (أخو أبي القاسمِ المُتوفى سَنَةَ ٦٣٢ - انظر ترجمته) قال فيه عليُّ بنُ موسى بنِ سعيدِ المُغْرَبِيِّ (المغرب ٧٤ : ٧٥) :

هُوَ مِمَّنْ قَرَأْتُ عَلَيْهِ، وَأَذْرَكْتُهُ يَكْتُبُ عَنِ الْبَاجِيِّ مَلِكِ إِشْبِيلِيَّةَ^(١). وكتب عن المأمون^(٢) أيامَ ولايته على قرطبة. ثم لحقَ بالبياسيِّ النَّائِرِ^(٣) وكتب عنه. ثم قُتِلَ البياسيُّ فاستخفى (أبو يحيى) حيناً ثم لحقَ بإشبيلية. بعدئذٍ حاول أن يترضى المأمونَ فدخلَ عليه مُعتذراً وأنشدَه قصيدَةً مَطْلَعُهَا :

مولاي، إنَّ بليّتي معَ خِدْمَتِي خَصَانِ؛ فاحْكُمْ للتي هيَ أقدمُ.
ولكن المأمونَ لم يَرْضَ عنه.

وكانت وفاة أبي يحيى أبي بكر بالجزيرة الخضراء، سنة ٦٣٥ هـ (١٢٣٧ - ١٢٣٨ م).

٢- أبو يحيى أبو بكر بن هشام أديبٌ شاعرٌ نائرٌ مُترسِّلٌ. وشعره مُقطَّعاتٌ وُجدانيةٌ في الخمر والغزل والوصف، وفي عددٍ منها لَفَتَاتٌ بارعة. وهو شيخُ كُتَّابِ الأندلس (في وقته)، وكان سهلَ الطريقة.

٣- مختارات من آثاره:

- لأبي يحيى أبي بكر بن هشام مقطعات منها:

★ * لاموا على حبِّ الصبا والكاس لما بدا وَضَحُ المشيبِ براسي^(٤).

- (١) الباجي (ولم أفع على اسمه كاملاً في نفع الطيب) نائر انتزع إشبيلية من ابن هود، ثم قتله ابن الأحمر (نفع الطيب ١ : ٢١٦).
- (٢) يبدو أنه إدريس بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن، كان يلي قرطبة قبل أن يتولى الملك (٦٢٦ - ٦٣٠ هـ).
- (٣) لعله السيد أبو محمد من أمراء الموحدين، ثار بالأندلس، سنة ٦٢٢ أو ٦٢٣ ووصل يده بيد الإسبان. وفي تعليق إبراهيم الإيباري على «الفتح المعلن» (ص ٨٩): هو أبو العلاء إدريس بن منصور.
- (٤) وضح: بياض.

والفُصْنُ أَحْوَجُ ما يَكُونُ لِسَاقِهِ
 ★★ أَمسى الفِراشُ يَطُوفُ حَوْلَ كُؤُوسِنَا
 ما زال يَخْفِقُ حَوْلَهَا بِجَنَاحِهِ
 ★★ وَأَعْيَدَ وَاغْنَى يَطْفِئُ السِكْرُ قَدَّهُ؛
 ... طَلَعَ لِلأَبْصارِ فِي نَرْجِسِيَّةِ
 وَفِي يَدِهِ الِئْمْنَى شَبِيهُ عِذارِهِ،
 أَيَّانَ يَبْدُو بِالأَزْهارِ كاسِي^(١).
 إِذْ خالَها تَحْتَ الدَجى قِنْدِيلاً^(٢).
 حَتَّى رَمَتْهُ عَلى الفِراشِ قَتِيلاً^(٣)!
 وَأَيُّ قَضِيبٍ يَنْثِي مِثْلَ قَدِّهِ^(٤)؟
 كَلَّوْنَ الَّذِي يَشْكو مَرارَةَ صَدِّهِ^(٥)؛
 وَفِي يَدِهِ الِئْمْنَى شَبِيهُ عَدَارِهِ،^(٦)

- وله من جوابٍ على كتابٍ جاءه من صديقي طَلَبَ إليه أن يقوم بإسداء صنيعة في سبيل صاحبِ حاجة:

وإلى هذا فَإِنَّا كَتَبْنَا إِلَيْكُمْ - كَتَبَ اللهُ لَكُمْ مِنَ النِّعْماءِ ما يَهْطِلُ غَمامُهُ، وَمِنَ المِرَّةِ القَعْساءِ ما تَتَفَتَّحُ عَن زَهْرِ المِرَّةِ أَكْمامُهُ^(٧)، مِن قُرْطَبَةِ حَرَسَها اللهُ، وَالخَيْراتُ تَزْدَجِمُ عَلينا، وَالسَّراتُ تَسابِقُ إِلينا. وَالَّذي بَيَّنَّنا لا يَحْتَاجُ إِلى وَساطَةِ الأَقلامِ، وَلا يُخافُ عَلَيْهِ تَغْيِيرُ اللَّيالي وَالأيامِ. وَلَمَّا وَصَلَ بِكُتابِكُمْ المَرْجِيَّ المَهِووظِ المَقْبُولِ المَلْعوظِ الفَقِيهَ أَبُو فلانٍ وَجَدَ مِنْهُ فِيا التُّميسِ ضِدًّا ما وَجَدَ المُتَلَمِّسُ. وَعادَ مِن قِضاءِ

- (١) هذا مخالف لما يعرفه الفلاحون: إنَّ الأشجار والنباتات التي تنمقد أزهارها ثمراً تعطش في زمن إزهارها.
 (٢) خالها: ظنَّها.
 (٣) خفق الطائر: طار. خفق (الفراش): اضطرب وتحرك.
 (٤) الأعيد: الجميل. وافي: أتي (إلينا). قدَّه: قامت (جاء بتأهل من كثرة سكره). القضييب: الفصن. وأيُّ قضييب ينثي مثل قدِّه؟ أيُّ الأغصان يكون قابلها محبباً إلى النفس مثل قابلها
 (٥) الحرف الأول من الكلمة الأولى ساخط. لعلَّ الكلمة: «تطلع» (طلع، طلع علينا: جاء إلينا).
 نرجسية (يبدو أنها نوع من الثياب، أو ثياب بلون قلب الترجس، أي صفراء). الصد: الإعراض والهجر. كلون: أصفر اللون.
 (٦) العذار: الشعر النابت في الوجه. - لو قال: «وفي كفه (مرتين) لتلاني الزحاف (يفتح الزاي، بلا تشديد للهاء) «خطف المد» (حذف السكون). - كان يحمل في يده اليمنى قضييب آس وفي يده اليسرى وردة.
 (٧) القعساء: العالية (المنبوعة). الكم: الكأس (الأوراق الخضراء التي تضم الزهرة قبل تفتُّحها).

غَرَضُهُ عَوْدَ الْمَبَاكِرِ الْمُغْلَسِ^(١). وهو لَعَمْرُ اللَّهِ أَهْلٌ لِأَنْ تَتَحَقَّقَ أَعْرَاضُهُ وَلَا تَتَّصِحَ^(٢) بِالْإِهْمَالِ رِيَاضَهُ. وَمِثْلُهُ مِنْ تُشْفَعُ فِيهِ وَتُطَلَّبُ لَهُ مَا يَكْفِيهِ.

٤- ** المغرب ١: ٧٤ - ١٧٥ تحفة القادم ١٦٥٩ القدح المملئي ٨٩ - ١٩٣ نفع الطيب ٤ : ٢٠ - ٢١ (٨٩)، قطعتان ترويان لابن القاسم بن هشام، وهما مرويتان في القدح المملئي لصاحب هذه الترجمة).

أبو بكر بن الصابوقيّ الإشبيلي

١- هو أبو بكر محمد بن الفقيه أبي العباس أحمد بن محمد الصابوقيّ الصديقي الإشبيلي، وكان أبو بكر بن الصابوقيّ يُلقَّب بالحمار، لقَّبه به أبو علي بن الشلوبين فلزَّمه هذا اللقب؛ وكان هو يلقُّ منه ويكرهه (الذيل والتكملة ٦: ٥٩؛ نفع الطيب ٣: ٥١٩؛ القدح المملئي ٧٠).

وأبو بكر بن الصابوقيّ من أهل إشبيلية، روى عن أبي الحسن الدباج وأبي الحسين ابن زرقون وأبي علي بن الشلوبين (الذيل والتذكرة ٦: ٥٩). أمَّا أبو الحسن علي بن جابر الدباج فقد وُلِدَ سَنَةَ ٥٦٦ للهجرة وتُوفِّيَ سَنَةَ ٦٤٦ (صلة الصلة، ص ١٣٧). وأمَّا أبو علي عمر بن محمد المعروف بالشلوبين (صلة الصلة، ص ٧٠) أو بآبن الشلوبين فقد وُلِدَ سَنَةَ ٥٦٢ للهجرة وتُوفِّيَ سَنَةَ ٦٤٥. وأمَّا أبو الحسين بن زرقون (الذيل والتكملة ٦: ٥٩) فلم أهُتَدِ إلى شيء من تفاصيل حياته، ولكنَّ القرينة تدلُّ على أنَّه كان مُعاصراً للشلوبين وللدباج. ومن الغريب أن يكون أبو بكر بن الصابوقيّ قد رَوَى عن جماعة تُوفُّوا بعده بِبِضْعِ عَشْرَةِ سَنَةٍ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ هُوَ أَصْغَرَ سِنًا وَلَكِنْ

(١) التلمس: شاعر جاهلي (خال طرفة بن العبد) كتب له عمرو بن هند (أحد المناذرة من حكام الحيرة) صحيفة (رسالة) إلى عامله على البحرين. وكان عمرو بن هند قد أوهم التلمس أن في الصحيفة أمراً إلى العامل بطبيعة له، مع أنه كان قد أمر العامل فيها بقتل التلمس. المغلس: (ظلام آخر الليل): باكراً جداً.

(٢) صَوِّحَ وَنَصَّوْحَ: بس.

أَعْتَبَتْ - مات شاباً - قبلهم، وأنا أَرْجِعُ ذلك لِمَا ستراه في قِسمِ خصائصه (رقم ٢، من هذه الترجمة).

وَاتَّصَلَ أَبُو بَكْرٍ بْنِ الصَّابِقِيِّ بِرِجَالِ الدَّوْلَتَيْنِ المُوَحَّدِيَّةِ وَالْحَفْصِيَّةِ: تَقَدَّسَتْ مَكَانَتُهُ عِنْدَ أَبِي العَلَاءِ إِدْرِيسَ بْنِ يَعْقُوبَ المُلَقَّبِ بِالمَأْمُونِ المُوَحَّدِيِّ، تاسعِ سُلْطَانِيْنَ المُوَحَّدِيْنَ (٦٢٦ إلى آخِرِ ٦٢٩ هـ). ثُمَّ رَأَى أَنَّهُ يُقَصِّدُ سُلْطَانَ إِفْرِيقِيَّةَ (القَطْرِ التُونِسِيِّ) أَبَا زَكَرِيَّا يَحْيَى الأَوَّلَ مُؤَسِّسَ الدَّوْلَةِ الحَفْصِيَّةِ وَأَوَّلَ سُلْطَانِيْنِهَا (٦٢٥ - ٦٤٧ هـ) فَلَقِيَهِ فِي مِلْيَانَةَ (القَطْرِ الجَزَائِرِيِّ) وَمَدَحَهُ بِقَصِيدَةٍ مَطْلَعُهَا (المغرب ١: ٢٦٣):

اللهُ جَارُكَ فِي حِلِّ مُرْتَحَلٍ، يَا مُغْلِباً مِلَّةَ الإِسْلَامِ فِي المِلَلِ.

ويبدو أَنَّهُ لَمْ يَنْلَمْ مَا يُؤَمِّلُهُ فَزَمَّ عَلَى الرِّحْلَةِ إِلَى المَشْرِقِ. فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى مِصْرَ لَمْ يَجِدْ مِنْ قَدَرَةٍ قَدَرَةٌ^(١)، و«عَاجَلَتْهُ مَنِيَّتُهُ» فَاتَ فِي الإِسْكَانْدَرِيَّةِ قَبْلَ سَنَةِ ٦٣٨ للهجرة (المغرب ١: ٢٦٣). أَوْ فِي طَرِيقِهِ بَيْنَ القَاهِرَةِ وَالإِسْكَانْدَرِيَّةِ (يُرِيدُ مُعَادَرَةَ مِصْرَ، سَنَةَ ٦٠٤ (أربعٌ وَسِتِّمِائَةٍ)، كَمَا وَرَدَ فِي قَوَاتِ الوَفَايَاتِ (٢: ٢٠٩) وَفِي «اِخْتِصَارِ القَدَحِ المَعْلِيِّ» (ص ٧٠) وَفِي الوَاقِي بِالْوَفَايَاتِ (٢: ٩٩). أَمَّا سَنَةُ ٦٠٤، فَلَا رَيْبَ فِي أَنَّهَا خَطَأٌ مَطْبَعِيٌّ، مِمَّا نَرَى مِنْ اتِّصَالِهِ بِالمَأْمُونِ المُوَحَّدِيِّ (جاءَ إِلَى الحُكْمِ سَنَةَ ٦٢٦) وَبِيحْيَى الحَفْصِيِّ (جاءَ إِلَى الحُكْمِ سَنَةَ ٦٢٥). وَفِي «المُغْرِبِ» أَنَّهُ تُؤْفَى قَبْلَ ٦٣٨ (ثَمَانِ وَثَلَاثِينَ وَسِتِّمِائَةٍ). وَلَعَلَّ التَّارِيخَ الَّذِي اقْتَرَحَهُ خَيْرُ الدِّينِ الزَّرِكَلِيُّ (الأعلام ٦: ٢١٥، الطبعه الرابعة ٥: ٣٢٠) قَرِيبٌ مِنَ الصَّوَابِ، أَيْ ٦٣٤ هـ (١٢٣٧ م). وَقَبْلَ إِحْسَانِ عَبَّاسٍ (نَفْحِ الطَّيِّبِ ٣: ٥١٨، الحَاشِيَةُ الأُولَى) سَنَةَ ٦٣٦ للهجرة.

٢ - يبدو أَنَّهُ أَبَا بَكْرٍ بْنِ الصَّابِقِيِّ لَمْ يَكُنْ سَلِيمَ الأَعْصَابِ، بَلْ كَانَ مَرِيضَها. فَقَدْ كَانَ ضَيْقَ الصَّدْرِ شَدِيدَ الأَحْرَافِ عَنِ المَسَلِّكَ الاجْتِمَاعِيِّ السَّوِيِّ، سَيِّئَ التَّصَرُّفِ. وَالأَغْلَبُ أَنَّ أَسَازَهُ أَبَا عَلِيٍّ الشُّلُوبِيَّيْنِيَّ قَدْ لَقَّبَهُ بِأَسْمِ «الحِجَارِ» مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كُلِّهِ. وَفِي نَفْحِ

(١) قَدَرُ الإِنْسَانِ النِّهْيُ قَدْرًا: بَيْنَ مَقْدَارِهِ، عَرَفَ مَكَانَتَهُ وَقِيَمَتَهُ.

الطيب (٣: ٥١٨) حِكَايَةٌ تَشْرَحُ شَيْئاً مِنْ هَذَا:

كَانَ ابْنُ الصَّابِقِيِّ فِي مَجْلِسِ أَحَدِ الْفُضَلَاءِ فِي إِشْبِيلِيَّةَ فَقَدَّمَ - فِيهَا قُدِّمَ (فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ) - خِيَارٌ. فَجَعَلَ أَحَدُ الْأَدْبَاءِ يُقَشِّرُ (وَاحِدَةً مِنْهَا) بَيْكَيْنِ. فَخَطِيفَ ابْنِ الصَّابِقِيِّ السِّكِّينَ مِنْ يَدِهِ. فَالْحَ عَلَيْهِ (ذَلِكَ الْأَدِيبُ) فِي (رَدِّهَا إِلَيْهِ). فَقَالَ لَهُ ابْنُ الصَّابِقِيِّ: «كَفَّ عَنِّي وَإِلَّا جَرَحْتُكَ بِهَا». فَقَالَ صَاحِبُ الْمَنْزِلِ (لِذَلِكَ الْأَدِيبِ): «أَكْفُفْ عَنْهُ لِئَلَّا يَجْرَحَكَ وَيَكُونَ جُرْحُكَ جُبَاراً، تَعْرِضاً بِقَوْلِ النَّبِيِّ (إِشَارَةً إِلَى قَوْلِ النَّبِيِّ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «جُرْحُ الْعِجَاءِ جُبَارٌ»^(١). فَاعْتَاطَ ابْنُ الصَّابِقِيِّ، وَخَرَجَ مِنَ الْأَعْتَدَالِ، وَأَخْطَأَ بِلِسَانِهِ. وَمَا كَفَّ إِلَّا بَعْدَ الرَّغْبَةِ وَالتَّضَرُّعِ.

أَمَّا فِي الشَّعْرِ فَكَانَ جَيِّدَ الْمَعَانِي مَتِينَ السَّبْكِ جَزَلَ الْقَوْلِ. وَفَنُونَهُ الْمَدْحُ وَالْمُهْجَاءُ وَالرِّثَاءُ وَالْحِمَاةُ (وَصِفَ الْحَرْبِ) وَالْوَصْفُ وَالْفَزْلُ وَالْحِكْمَةُ. وَلَهُ مَوْشَحَاتٌ أَيْضاً ثُمَّ هُوَ شَاعِرٌ مَجِيدٌ مَشْهُورٌ، وَلَكِنْ تَطَرَّفَهُ فِي الْإِعْجَابِ بِنَفْسِهِ (وَقَدْ وَرَّثَ ذَلِكَ عَنْ أَبِيهِ) قَدْ كَسَبَهُ عِدَاوَاتٌ كَثِيرَةٌ وَأَلْقَى سِتَاراً عَلَى شُهْرَتِهِ.

٣- مختارات من شعره:

- لأبي بكر بن الصابقي الإشبيلي شعرٌ كثيرٌ في الحماسة (وصف الحرب)، راجع «الوافي بالوفيات» (٢: ٩٩)، منها:

أَلْقَيْتَ إِلَى الْهَرَبِ الْأَعْدَاءَ أَنْفُسَهَا وَمَا عَبَّيْتُ لَهَا جَيْشاً سِوَى الرَّهَبِ^(٢).

(١) جبار (بالضَّم): هدر (بفتح فسكون)، لا قصاص فيه ولا ضامن لما تلتفه العجاء (أي الدابة، الحيوان). وهذا الحديث قد أصبح المادة الرابعة والتسمين من المواد الكلية في مجلَّة الأحكام العدية. غير أن هذه المادة ليست مطلقة، ولكنها مشروطة بشروط وأحوال. إذا جنت العجاء جنابة من عند نفسها (كأن خطف ثعلب دجاجة أو أكل ذئب خروفاً أو كانت دابة ترعى في مرعى عام ثم اتفق أن دعست طفلاً) فجنابتها تلك لا تعاقب هي عليها (لأنَّ العقاب أو القصاص لا يكون إلا مع التكليف، والتكليف لا يكون إلا للإنسان العاقل الراشد المميز). ولكن إذا كان رجل يركب دابة في السوق أو في مكان يجتمع فيه الناس ثم دعست تلك الدابة طفلاً فراكب تلك الدابة (أو صاحبها إذا كان راكبها قاصراً، وكان يركبها بإذنه أو بغبلة وتقصير منه) ضامن للضرر الحاصل منها ومعاقب عليه.

(٢) كذا في الأصل: عبيت. والصواب: عبأ الأمير الجيش يعبأه (بفتح الباء) أو عباه بعبوه أو عبأه (بالتشديد): حشده وجهزه. الرهب: الخوف.

خَيْرِ الْكَتَائِبِ مَا لَمْ يُغْنِ غَائِبُهُ ، وَأَفْضَلُ الْفَتْحِ مَا وَغَى بِلَا تَعَبٍ ^(١) .
 * وَالْبَيْضُ تُسَكِّنُ أَوْصَالَ الْكَلِمَاءِ ، وَقَدْ شَحَا لَهُ الضَّرْبُ كَالْأَفْوَاهِ لِلجَدَلِ ^(٢) .
 إِذَا الْمُقَاتِلُ عَنْ قَصْدِ الرَّدَى كَهَمَتْ سَوَى لَهَا الطَّعْنَ مِثْلَ الْأَعْيُنِ النَّجْلِ ^(٣) .
 وَلِلشِّفَارِ شُرُوعٌ فِي الدَّرُوعِ كَمَا تَوَاتَرَ الطَّيْرُ فِي الْفُؤَادِ لِلنَّهْلِ ^(٤) .

- ولأبي بكر بن الصابوني في الغزل أيضاً أشياء كثيرة (فوات الوفيات ٢: ٤١٠)

الوافي بالوفيات ٣٤١٠٠: ٤، ٥١٨: ٤، ١٦٠):

أَمَا وَعِذَارٍ فَوْقَ خَدِّكَ، إِنَّهُ لِأَنْتَكَ فِعْلِي مَقْلَتِيكَ لِفَاعِلٍ ^(٥) .
 وَمَا خَيَّلْتَ نَفْسِي إِلَيَّ بِأَنَّهُ سَتَفَعَلَ أَعْمَالُ السِّيُوفِ الْجَاهِلِ ^(٦) .

(١) الكتيبة: الجيش. ما لم يغن غائبه (ما لم تكن محتاجاً معه إلى نجدة). - خير الجيوش ذلك الجيش الذي ملك وهو قادر وحده على إحراز النصر.

(٢) البيض جمع أبيض: سيف. تسكن (كذا في الأصل)، اقرأ: تمكن (تساعد، تمين). أوصال جمع وصل (بالكسر أو بالضم): عظم مستقل في الجسم، عضو (يد، ذراع). الكمي: الشجاع الكامل. عدّة الحرب من السلاح. شحا القتال يشحو (أتسع مجال القتال فيه - بمدت فيه المسافة بين المتقابلين)، من أجل ذلك يستطيع المقاتل أن يجمل السيف صلة لذراعه ثم يدها فيصل بالسيف إلى خصمه. الضرب: القتال بالسيف. كالأفواه للجدل (للجدال والخصومة)..... التشبيه «كالأفواه للجدل» غامض (إلا أن يكون المقصود: عند اشتداد القتال). هذه الأبيات من قصيدة في مدح أبي زكريا يحيى الأول الحنفي.

(٣) المقتل: المكان في الجسم إذا أصيب مات صاحبه (كالمعنى والقلب). الردى: الموت. كهم: أبطأ. العين النجلاء (الواسعة). - يقول: إذا كانت الجراح بالسيوف والتي تصيب المقاتل (من الخصوم) لم تكن كافية لتميت الخصم الذي أصيب في مقتله، فإنّ الطعن (بالرمح) حينئذ يصل إلى جسم الخصم (لأنّ الرمح أطول من السيف) ويحدث فيه جراحاً واسعة (كبيرة) تتيه.

(٤) الشفرة: السيف. شروع: بدء. تواتر: توالى وتتابع بسرعة. الفدير: فرع يخرج من النهر. النهل: الشرب. - يقول: تبدأ السيوف أولاً تنقطع دروع الخصوم في أماكن مختلفة يستطيع الرمح أن ينفذ (بعض الفاء) منها إلى جسم الخصم.

(٥) وعذار (الواو للقسمة. العذار: الشعر النابت على جانبي الحنّين والذي يؤلّف فيها بعد اللحية). نكأ الرجل خصمه: جرحه وقتله. المقلة العين. يشبه الشاعر عيني المحبوب بالسيف، ويشبه عذاره (بالمثنى) بمجاة (بكسر الهاء): علاقة (بكسر العين) السيف. ثم يقول: المألوف أن السيف (هنا عيني المحبوب) هو الذي يقتل، ولكن أرى الآن أن حالة السيف (الشعر على خدي المحبوب) هو الذي يقتلني (بمعنى متبياً بحب صاحبها). فلا مقتلتيك (عينيك): إيقاع الناظر في حبك ثم قتل الناظر إليك.

- * رأيتُ في خدّه عذاراً
قد كتّبتُ الحُسنُ فيه سَطراً:
خَلَعْتُ في حُبّه عِذارِي^(١).
(ويُوجعُ اللَّيْلَ في النَّهارِ)^(٢).
* أقبلَ في حُلّةٍ مُورَدَةٍ
تَحسُبُـهُ كَلِّمًا أراقَ دمي
كالبدرِ في حِلّةٍ من الشَّفَقِ^(٣).
يَمسَحُ في ثُوبِهِ طَبِيّ الحَدَقِ^(٤).
* بعثتُ بِمِرآةٍ إليكَ بديمةً
لتنظُرَ فيها حُسنَ وجْهِكَ منصفاً
فأرسلَ بِذاك الحَدِّ لَحظَكَ بُرهةً
مثالِكَ فيها منك أَقربُ مَلَمَساً
فأطلَعُ بِسامي أَفقيها قَمَرَ السعدِ^(٥)،
وتعذُرُني فيها أَكُنَّ من الوجدِ^(٦).
لتَجنيَ منه ما جَناهُ من الوردِ^(٧).
وأكثرُ إِحساناً وأبقى على العَهْدِ^(٨).

- كانَ أَحَدُ الفُقهاءِ قد سألَ أبا بكرِ الصابوئيَّ الإشبيليَّ أن يَنظِمَ له شيئاً يتعلّقُ
بما يجوزُ مِنَ البَيعِ وبما يُعدُّ مِنَ البَيعِ رباً^(٩). فقال أبو بكرِ الصابوئيُّ (الذيّل والتكملة
: ٦٠ : ٦):

- (١) عذار (راجع الحاشية السابقة). خلع فلان العذار (الرسن): اندفع في طلب الشهوات جهراً بلا حياء.
(٢) في القرآن الكريم (١٣: ٦١، سورة الحج): «ذلك بأن الله يوليح الليل في النهار ويوليح النهار في الليل
وأن الله سبحانه بصير». يوليح: يدخل أحدهما في الآخر كلياً زاد ضوء النهار نقص ظلام الليل، وكلياً
راد ظلام الليل نقص ضوء النهار. يشبه الشاعر وجه المحبوب بالنهار لبياضه، ويشبه عذار المحبوب
بالليل لشدة سواده.
(٣) حلّة: ثوب. موردة (ذات لون أحمر). الشفق: اللون الأحمر على الأفق الغربي بعد غياب الشمس.
(٤) أراق: سفك، أسال، أجرى - كلياً جرحني المحبوب وهو ينظر إليّ. الطبة (بضمّ ففتح بلا تشديد):
حدّ السيف. الحدقة: العين. - إن اللون الأحمر في ثوبه من كثرة ما مسح أجفانه بثوبه بعد تكرار
النظر إلى المحبين وجرحهم بسيوف عينيه.
(٥) فاطلع بسامي أفقيها (في الجزء الأعلى من المرأة) قمر السعد (وجهك).
(٦) كن الرجل الشيء وأكته: ستره. الوجد: الحزن (والمحبة).
(٧) برهة: مدة. لتجني: تطفئ (تستريح). منه (من خدك). ما جناه: ما أجرم فيه (ارتكب جناية) من
اكتسائه بدماء العاشقين.
(٨) فيها (في المرأة). أقرب ملامساً (أكثر ثباتاً، لا يتغير) وأكثر إحساناً (إلى الناس لأنّ خيالها في المرأة لا
يستطيع أن يؤدي أحداً، إذ لا يراه أحد غيرك). وأبقى على العهد (٤).
(٩) الربا: استبدال عرض (سلعة) بمرض مثله (مال بمال، حنطة بحنطة، تمر بتمر، الخ) بنسيئة (بتأخير
في ردّ الدين) وبزيادة في المقدار (مائة دينار مكان سبعين ديناراً أو ستّة أرطال تمر مكان خمسة
أرطال تمر).

إِمَّا أَرَدْتَ صَحِيحَ الْبَيْعِ تَعَلَّمَهُ
 مِنْ جِنْسٍ فَاسِدِهِ فَاسْتَفْتِنِي وَسَلْ^(١)
 إِنْ وَافَقَ الثَّمَنُ الثَّمُونَ فَاجْتَمَعَا
 فِي الْجِنْسِ كَانَا عَلَى قَسْمَيْنِ فِي الْعَمَلِ^(٢) :
 فَإِنْ يَكُنْ رَبَوِيًّا لَمْ يَجْزُ أَبَدًا
 - إِذَا تَفَاضَلَ مَنِيًّا إِلَى أَجَلِ^(٣) - ،
 وَإِنْ يَكُنْ ضِدًّا هَذَا، فَلْتَكُنْ أَبَدًا
 مِنْ أَنْ يُبَاعَ بِتَأْخِيرٍ عَلَى وَجْهِ^(٤) .
 وَبَعْدَهُ تَقْدِيمًا بَفَضْلٍ أَوْ مُثَلَّةً،
 وَأَسْأَلُكَ سَبِيلِي؛ فَهَذَا أَوْضَحُ السَّبِيلِ^(٥) .
 وَإِنْ هُمَا أَفْتَرَقَا فِي الْجِنْسِ وَأَخْتَلَفَا
 لَمْ يَعْطُوا أَنْ يَكُونَا سَاعَةً الْبَسَدِ^(٦) .
 إِمَّا طَعَامَيْنِ أَوْ عَيْنَيْنِ قَدْ حَضَرَا
 أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، هَذَا الرَّأْيُ لَمْ يَغْلِبْ^(٧) .
 فَإِنْ يَكُنْ ذَاكَ عَيْنًا لَمْ يَكُنْ أَبَدًا
 فِيهِ النِّسَاءُ بِوَجْهِ فَاعْتَقَلَ هَمَلِ^(٨)

(١) البيع الصحيح: الجاري على قواعد الشرع الإسلامي (تفصيل ذلك في الأبيات التالية).

(٢) إذا وقع الاتفاق على ثمن بضاعة وكان الثمن والبضاعة من جنس واحد (أي بيع نوع من التمر بنوع آخر من التمر) فلذلك وجهان.

(٣) البيع الربوي (راجع الحاشية بمقدمة هذه المقتوعة). تفاضل الشيطان: زاد أحدهما على الآخر. المنوي (اقرأ: النسوء: المؤجل، المؤخر). لا يجوز بيع بضاعة بسم أعلى من سعرها الحاضر احتجاجاً بأن ثمنها سيقبض بعد مدة.

(٤) وإذا لم يكن المقصود من البيع ربا (دينياً لعجز المشتري عن دفع الثمن فوراً) فاحرص على ألا تقبل بذلك (التأجيل في الدفع).

٤٥١. بيع البضاعة نقداً بفضل (بزيادة في الثمن: ربحاً صافياً) أو مائلة (بمثل ثمنها).

٦١. وإذا كانت البضاعة مختلفة (في النوع من الثمن..... (راجع البيت التالي).

(٧) و٨) إِمَّا أَنْ يَكُونَ الثَّمَنُ وَالْبِضَاعَةُ طَعَامَيْنِ (قَمْحاً وَقَرّاً أَوْ جَوْزاً وَلِهَا، الخ) أَوْ عَيْنَيْنِ (مَعْدِنَيْنِ مِنْ مَعَادِنٍ =

- وَمِثْلُهُ كُلُّ مَطْمُومٍ سَمِعَتْ بِهِ،
 فَلَنتَرِ فِي أَثَرِي تَأْمَنُ مِنَ الزَّلْزَلِ (١)
 وَمَا عَدَا ذَئِبٍ كَانَ الْبَيْعُ أَجْمَعُ
 فِيهِ يَجُوزُ، فَلَا تَرَكَنَّ إِلَى الْعَلَلِ (٢)
 إِلَّا إِذَا كَانَ مَا تُعْطِي إِلَى أَجَلٍ
 مِنْ جِنْسٍ مَا يَفْتَى، فَأَحْذَرِ ذَاكَ وَأَمْتَنِي (٣)
 أَوْ كَانَ أَكْلًا، وَلَمْ يَقْبِضْهُ مِنْكَ فَلَا
 تَزِدْهُ أَكْلًا نَسِيئًا. خُذْ بِنَا وَقُلْ (٤)
 وَإِنْ يَكُنْ ذَاكَ مَطْمُومًا وَيَقْبِضُ
 فَلَا تَرُدُّ طَعَامًا مُنْسَأً تُجِلُّ (٥)
 وَإِنْ يَكُنْ رَبَّوِيًّا فِي الطَّعَامِ فَلَا
 تَزِدْهُ مِنْ جِنْسِهِ، حِيَّيْتِ مِنْ رَجُلٍ (٦)

- التقدي أو العملة: ذهباً وفضةً) فيجوز تبادلها (بزيادة أحدها على الآخر؟) ولكن بلا تأجيل في الاستيفاء. فاعتقل همل (٩). اقرأ: اعتقد همل (تركي للوجه الآخر: بيع فضة بذهب مع فضل - زيادة مقدار أحدها على الآخر - نقداً وفوراً جائز (٩). قال الرأي يفتل: أخطأ.
- (١) ومن باب الاحتياط كل مطموم (مادة للطعام) تعامل معاملة القمع والتمر (راجع الحاشية السابقة). يرى نفر من الفقهاء أن كل طعام يبيع بطعام آخر مع فضل أو بزيادة أحدها على الآخر في المقدار فهو ربا. ويرى آخرون أن الربا خاص بالمواد الأساسية (لا تدخل فيها الفاكهة مثلاً).
- (٢) ما عدا ذئب (هذين): الطعام والنسقد أو العملة فالبيع فيه جائز (متلاً وفضلاً: بشن المثل أو بربح أكبر، ونقداً أو ديناً). لا تترك (تطمن، تلجأ) إلى العلل (تخريج الأسباب).
- (٣) إلا إذا كان الثمن المؤجل من جنس البضاعة مع زيادة في مقدار أحدها (فهذا ربا): أربعة أرتال فصح بخمسة أرتال فصح بعد مدة.
- (٤) وكذلك إذا كانت البضاعة مما يؤكل، ولم يقبض منه فوراً، فلا يجوز أن تزيد في مقدار البدل (إذا كان ذلك البدل من جنس تلك البضاعة المأكولة ثم كان ذلك البدل أيضاً موجلاً إلى زمن لاحق).
- (٥) وإذا كانت البضاعة طعاماً وقبضته فوراً، فلا تردّ بدله طعاماً مثله منسأً (موجلاً) محل (يكن ذلك منك حيلة؟)، فهذا أيضاً ربا.
- (٦) وإذا استدان رجل طعاماً على أن يؤدي فيها بعد بدله طعاماً مثله فلا يجوز أن يكون في البدل زيادة في المقدار.

وفي الزيدِ على البتاعِ تَقْبِضُهُ

على الإقالةِ أضلُّ غيرُ ذي دَخَلٍ^(١).

- ولأبي بكر بن الصابوني مؤشحةٌ حَسَنَةٌ مَطْلَمُهَا والبيتُ الأوَّلُ منها (نفع الطيب

: ١٠ : ٧)

قسماً بالهوى لِـذِي حِجْرِ ما لِلَّيْلِ المُشَوِّقِ من فَجْرِ^(٢).

* * *

خَمَدَ الصُّبْحُ لَيْسَ يُطْرَدُ.

ما لِلَّيْلِ فِيهَا أَظُنُّ غَدُ.

صَحَّ، يَا لَيْلُ، أَنْكَ الْأَبْدُ.

أو تَقَضَّتْ قَوَادِمُ النَّسْرِ فَنُجُومُ السَّمَاءِ لَا تَسْرِي^(٣).

- وله مؤشحةٌ غيرُ هذهٍ منها (نفع الطيب : ٧ : ١١):

ما حَالُ صَبِّ ذِي ضَنْيٍ وَأَكْتِنَابٍ أَمْرَضَهُ، يَا وَيْلَتَاهُ، الطَّيِّبُ^(٤)

عَامَلَهُ مَحْبُوبُهُ بِاجْتِنَابٍ ثُمَّ أَقْتَدَى فِيهِ الْكُرَى بِالْحَبِيبِ^(٥)

* * *

(١) الإقالة: الرجوع عن البيع (أو الشراء). الدخل: الفساد، والعيب والريبة. - إذا اتَّفَقَ بائعٌ ومشتري

على ثمن بضاعةٍ ثم رأى أحدهما أن يرجع عمَّا كانا قد اتَّفَقا عليه، فلا مانع من أن يدفع الناكِل

(الراجع عن الاتِّفاق) مبلغاً هو تعويض أو غرامة.

(٢) الحجر (بالكسر): العقل. في القرآن الكريم (٥ : ٨٩) : «هل في ذلك قسم لذي حجر».

(٣) خمد: سكن، هدأ (لم يتحرك). تقضت: انقطعت. القوادم: الريش الكبار في جناح الطائر. النسر:

مجموعتان من النجوم (النسر الطائر والنسر الواقع). تسري (هنا): تجري. يقول الشاعر: لعلَّ الريش

الكبار في جناح النسر (الذي في السماء) قد قصت فهو لا يتحرك (ولا تتحرك النجوم معه)، ولذلك

استمر الليل نازلاً لا يطلع صباحه.

(٤) الصب: المحب (الذي صبا: مال إلى المحبوب). الضنى: المرض الذي يمتشى معه الملاك. أمرضه

الطبيب (أي الحبيب الذي يملك شفاؤه، إذا عطف حبيبه عليه).

(٥) الاجتناب: الهجران. الكرى: النوم. اقتدى الكرى بالحبيب (النوم هجر المحب الماشق كما هجره

المحبوب).

جفا جُفوفي النومُ لكَسني «لم أبكِه إلا لِفَقْدِ الحَيَالِ»^(١).
 وذو الوصالِ اليومَ قد غرّني منه كما شاء وشاء الوصالِ»^(٢).
 فلستُ بالسلامِ من صدني بصورةِ الحقِّ ولا بالمُحالِ»^(٣).

٤-★★ المغرب ١: ٢٦٣، تحفة القادم ١٦٦، القدح الملقى ٦٩ - ٧٢، الذيل والتكملة ٦:
 ٥٩ - ٦٠ (رقم ١٢٩)، فوات الوفيات ٢: ٢٠٩ - ٢١٠، الوافي بالوفيات ٢:
 ٩٩ - ١٠٠، نفع الطيب ٣: ٥١٨ - ٥١٩، ٤: ١٥٩ - ١٦٠، ٧: ١٠ - ١١،
 الأعلام للزركلي ٦: ٢١٥ (٥: ٣٢٠).

ابن نعيم الحضرمي

١- هو أبو محمد عبد الله بن نعيم الحضرمي القرطبي، وُلِدَ بُعِيدَ ٥٥٠ هـ (١١٥٥ م) في تونس. وفيها نشأ وتصدّر للتدريس. كان مُشرفاً في بجاية أيامَ واليها السيد ابن عمران الموحدي. ثم إن يحيى بن عابنة^(١) استولى على بجاية (٥٨٠ هـ). وفي شهر صفر من العام التالي (أيار - مايو ١١٨٥ م) استردّ المنصور الموحدي بجاية وأخذ من أنصار ابن غانية أسرى كان فيهم السيد ابن عمران والشاعر ابن نعيم الحضرمي. وقد اتفق لابن نعيم - وهو أسير في سجنه - أن يُخمس القصيدة المنفرجة^(٥). فيقال إن المنصور الموحدي^(٦) رأى في منامه الرسول يطلبُ

(١) الحيال: المنام، الرؤيا. لم أحرز لأن النوم جفافي (فارقي)، ولكن حزنت لأن مفارقة النوم لي منعتني من أن أرى حبيبي في منامي.

(٢) ذو الوصال (المحبوب الذي يملك أن يعطف عليّ) قد غرّني (تظاهر بأنه يعطف عليّ).

(٣) لا ألوم الذي صدني (ردّني عن وصال الحبيب)..... (٤).

(٤) يحيى بن عليّ بن يوسف الموسوي المعروف بابن غانية (ت ٥٤٣ هـ). وغانية أمه، وكانت إحدى قريبات يوسف ابن تاشفين أوّل سلاطين المرابطين. ولآه المرابطون، في أيام دولتهم على عدد من المدن في المغرب وفي الأندلس. ولما سقطت دولة المرابطين وجاءت دولة الموحدين ظلّ على ولائه للمرابطين وقاوم الموحدين.

(٥) القصيدة المنفرجة لابن التوزري النحوي (٤٥٣ - ٥٤٣ هـ راجع ترجمته).

(٦) المنصور الموحدي أبو يوسف يعقوب ثالث سلاطين الموحدين (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ).

منه إطلاق سراح ابن نعيم . وأستيقظ المنصور من منامه في جوف الليل وأمر بإطلاق ابن نعيم مكرماً .

وكانت وفاة ابن نعيم الحضرمي في قسطنطينة في سنة ٦٣٦ هـ (١٢٣٨ - ١٢٣٩ م) .

٢- كان ابن نعيم الحضرمي أديباً ناثراً وناظماً، كما كان من الفقهاء . وقد اشتهر بتخميس القصيدة المنفرجة . ومع أن التخميس أقل طلاوة من القصيدة الأصلية، فإن الروح الديني والسهولة في التعبير ظاهران عليه .

٣- مختارات من شعره:

- من تخميس المنفرجة:

لا بُدَّ لِضَيْقِي مِنْ فَرَجٍ وَالصَّبْرُ مَطِيَّةٌ كُلُّ شَيْخٍ (١)
وَبِدْعُوَةِ أَحَدٍ فَأَبْتَهَجُ (أَشْتَدِّي، أَرْمَةٌ، تَنْفَرِجِي) (٢)
قَدْ آذَنَ لَيْلُكَ بِالْبَلَجِ (٣) .

يَا نَفْسُ، رُوَيْدِكَ: لَا حَرْجٌ وَثِقِي بِاللَّهِ . عَسَى فَرَجٌ (٤) .
وَكَذَا مَا ضَاقَ لَهُ فُرْجٌ، (وِظْلَامُ اللَّيْلِ لَهُ سُرُجٌ
حَتَّى يَغْشَاهُ أَبُو السُّرُجِ) (٥) .

فَلِكُلِّ مُحَاوَلَةٍ قَدْرٌ وَقَضَا لَا يَدْفَعُهُ حَذَرٌ

- (١) مطيئة: دابة للركوب (وسيلة). النجى (بلا تشديد أو بتشديد): الحزين والذي أنقله الهم.
- (٢) أحد = محمد رسول الله. ابتهج: فرح. أزمة: شدة. وحق = أزمة = هنا) البناء على الضم (لأنها منادى مقصود بالنداء)، والرواية بالنصب.
- (٣) البلج (بفتح ففتح) مصدر من بلج (بفتح فكسر) وجهه: أشرق سروراً. والشاعر يقصد ظهور النور في الصباح (بعد انقضاء الليل)، وهذا هو البلوج من الفعل بلج (بفتح فكسر).
- (٤) رويدك: مهلا. المرحج: الضيق.
- (٥) السرج (جمع سراج)، هنا: كناية عن النجوم. أبو السرج: الشمس. - يظل في الليل (في أيام الشدة) نجوم (أمل بالنور وبالفرج) حتى يطلع أبو السرج أو الشمس (الفرج الكامل).

وَرُجُوعُكَ عَنْ هَذَا غَرَّرَ. (وَسَحَابُ الْخَيْرِ لَهُ مَطَرٌ
فَإِذَا جَاءَ الْإِبَانُ يَجِي) (١).

تَفْوِيضُكَ لِلرَّحْمَنِ رَجَاءٌ. كَمَا جَاءَ صَبَاحٌ بَعْدَ دُجَى (٢)!
وَيَكُونُ الصَّبْرُ لَهُ دَرَجَاتٌ: (وَرِضًا بِقَضَاءِ اللَّهِ حِجَى (٣)
فَعَلَى مَرْكُوزَتِهِ نَفْحٌ) (٤)

فَتَحَرَّرَ بِمَا تَلَقَى رَشْدًا لَا يَمْضِي عَمْرُكَ عَنْكَ سُدَى (٥)،
وَاقْطَعْ أَيَامَكَ مُجْتَهِدًا (وَإِذَا انْفَتَحَتْ أَبْوَابُ هُدَى
فَاعْجَلْ لِخَزَائِنِهَا وَلِجِ) (٦).

٤- ** عنوان الدراية ٢٧١ - ٢٧٨.

أبو الحجاج الإشبيلي الطيب

١- هو أبو الحجاج يوسف بن عتبة الإشبيلي، من أهل إشبيلية، رحل إلى
بصرى، لما اضطربت الأندلس بثورة ابن هود، سنة ٦٢٥ هـ، ولكنه لم يلق نجاحاً.
عطف عليه جمال الدين موسى بن يغمور بن جلدك (١) المغربي فجعله مشاركاً مع أطبه
المارستان (المستشفى). كانت وفاته في القاهرة سنة ٦٣٦ هـ (١٢٣٨ - ١٢٣٩ م).

٢- كان أبو الحجاج الإشبيلي طبيباً. ويبدو أن اهتمامه بالأدب كان أكثر من
اهتمامه بالطب. كانت له قصائد وموشحات. وكان شعره سهلاً واضح المعاني عليه

(١) الإبان: الزمن، الوقت (كل شيء يأتي في وقته).

(٢) الرحمن: الله تعالى. الدجى جمع دجية (بالضم): الظلمة (بالضم).

(٣) درج: تدرج (وسيلة إلى الارتقاء أو إلى الوصول). الحجى (والأصوب الحجا): العقل.

(٤) المركوزة (الثابت من الاعتدال على قضاء الله). عاج على المكان: عطف، مال إليه (التجأ).

(٥) تحرى في الأمور: قصد أفضلها ودقق فيها.

(٦) الخزائن (هنا): الثروات (بفتح ففتح) الروحية. ولج: دخل.

(٧) جمال الدين بن يغمور رئيس الديار المصرية (نفع الطيب ٢: ٣٦٨) وهو الأمير جمال الدين أبو الفتح

موسى بن يغمور بن جلدك (نفع الطيب ٢: ١١٢).

مسحة من المرح. وكان مُصنفاً لعددٍ من الكتب.

٣- مختارات من شعره:

- قال أبو الحجاج الإشبيليُّ في الغزل الصريح:

أُنْجَزَتْ وَعَدِي عَلَى غَرَرٍ فَقَطَمْنَا اللَّيْلَ بِالسَّهَرِ^(١)
فِي حَدِيثٍ لَا يُكْدِرُهُ مَرُّهُ وَسَوَاسٍ مِنَ الْفِكْرِ^(٢).
وَكَأَنِّي إِذْ أَضَاجِمُهُمَا بَتُّ فِي رَوْضِ النَّدى الْعَطِرِ^(٣)،
فِي خِتَامٍ مِنْ تَعَانِقِهَا خَلَّتْهُ مِنْ نَسْمَةِ السَّحَرِ^(٤).
فَدَعَتْنِي لِلوَدَاعِ فَلَمْ تُبْقِ مِنْ نَفْسِي وَلَمْ تَذَرِ^(٥).
قُلْتُ: مَاذَا السَّيْرِ فِي عَجَلِي وَغَرَابُ اللَّيْلِ لِمَ يَطِيرُ^(٦)؟
فَانْتَشْتُ كَالْفُضْنِ مُشْتَبِلًا بِفُنُونِ النَّوْرِ وَالزَّهْرِ^(٧).
ثُمَّ قَالَتْ قَوْلَ ذِي غَنَجٍ وَدَلَالٍ غَيْرِ مُعْتَذِرِ^(٨)؛
قُمْ قَوْدَعٌ غَيْرِ مُنْتَقِدٍ قَبْلَ شَوْبِ الصَّفْوِ بِالْكَدْرِ^(٩).
فَتَعَانَقْنَا لِفُرْقَتِنَا ثُمَّ لَا تَسْأَلُ عَنِ الْخَبْرِ!

- وقال في مصرٍ لِقَلَّةِ نَجَاحِهِ فِيهَا:

-
- (١) الفرر: التمرض للهلاك (والخطر).
(٢) الوسواس: الفكرة (التي تنذر بوقوع السوء: الخوف من مجهول).
(٣) بات: قضى الليل. الندى: الليل، النض، الطري.
(٤) ؟
(٥) يذر (بفتح ففتح): يترك (ولا يقال من هذا الفعل وذر ولا يقال واذر). - أتلفت نفسي لما طلبت مني فراقها (أن أذهب كيلا تحدث فضيحة).
(٦) غراب الليل (سواد الليل) لم يطر (لم يذهب) - لا يزال الليل مظلمًا والصبح بعيداً.
(٧) انتشت: التفتت، مالت (إليّ). النور (بالفتح): الزهر الأبيض.
(٨) قول ذي غنج غير معتذر (ممتنع عمّا طلبت منها).
(٩) قم قودع (قبل ذهابك.... مرّة ثانية). قبل شوب (خلط) الصفو بالكدر (قبل أن يراك أحد فيحدث ما لا تحمد عقباه لي ولك).

أصبحت في بصرٍ مُستضاماً
واضيعةَ العُمرِ في أخير
بالجدِّ رزقُ الأنامِ فيهم
لا تُبصِرُ الدهرَ من يُراعي
أودٌ من لؤمِهِم رُجوعاً
للقرْبِ في دولَةِ ابنِ هود^(٥).
أرقصُ في دولَةِ القروذ^(١).
معَ النصارى أو اليهود^(٢)!
لا بذواتٍ ولا جُود^(٣).
معنى قصيدٍ ولا قُصود^(٤).

- وله من موشحة:

فَقَمَّ نُبَاكِزَهَا لِلْاصْطِبَاحِ^(١)
وَالشُّهْبُ تَنْثُرُ مِنْ خَيْطِ الصَّبَاحِ^(٧)

- (١) استضام فلان فلاناً: ضامه (ظلمه ونقصه شيئاً من حقّه). أرقص في دولة القروذ (أخدم أناماً أقلّ منّي قيمة ومكانة).
- (٢) في أخير (في آخر العمر). مع النصارى أو اليهود (كان النصارى واليهود كثيرين في المارستانات (المستشفيات حيث كان الشاعر يعمل).
- (٣) الجدِّ (بالفتح): الخطِّ. الذات جمع ذات (شخص الإنسان): قيمة الفرد بالنظر إلى الفرد نفسه. الجود جمع جدّ (بالفتح) أبو الأب (أي بالنسب الشريف).
- (٤) لا يراعي معنى قصيد (لا يفهم شعراً) ولا قصود (٤): جمع مقصد (بكر الصاد) وقصد (بالفتح): المعنى، الغاية (ولا يفهم معنى الكلام العادي).
- (٥) للغرب (إلى الأندلس) في دولة ابن هود - المتوكل محمد بن يوسف بن هود المستبد بأمر مرسية (٦٢١ - ٦٣٥ هـ) تم استولى على عدد كبير من المدن الأندلسية ووقعت في أيامه حروب كثيرة مع الموحدين ومع عدد من الأمراء المستبدين. وجاء في «نفع الطيب» (١: ٢١٥):
- «..... إلى أن ثار ابن هود وتلقب بالمتوكل، ووجد قلوباً منحرفة عن دولة برّ العدو (بضمّ العين أو بكسرهما: المغرب، دولة الموحدين) مهتأة للاستبداد فملكها بأبهر محاولة، مع الجهل المفرط وضعف الرأي. وكان مع العامة كأنه صاحب شعوذة: يثني في الأسواق ويضحك في وجوههم ويباردهم بالسؤال. وجاء للناس منه ما لم يعتادوه (اقرأ: يتمودوه) من سلطان. فأعجب ذلك سفهاء الناس وعامتهم العمياء..... قال ذلك إلى تلف القواعد (المدن) العظيمة... وخروجها من يد الإسلام.»
- وفي نفع الطيب أيضاً (٤: ٤٦٥ - ٤٦٦): «ودخل العدو كورة ماردة (وقد أخذها) من يد محمد بن هود سنة ست وعشرين وستائة، وكانت مفتتح المصائب على يده.....»
- (٦) نباكرها (نباكر الخمر) نشرها باكرأ. الاصطباح: شرب الخمر في الصباح.
- (٧) الشهب (والشاعر يقصد النجوم) تنثر من خيط الصباح (يشبه الشاعر الصباح بملك أو شبكة تجمع فيها النجوم ثم تنسب نجماً فنجماً مع انتشار الضوء بعد طلوع الفجر - ولكن الصورة الطبيعية غير صحيحة. كان يجب أن يقول: «والشهب يخفيها ضياء الصباح.»

والقُضْبُ تَرْقُصُ في أيدي الرياح^(١)
 على غناه الهَمَامُ والكأسُ ذاتُ ابتسامٍ
 والظلامُ قَتِيلٌ والصبحُ دامي الحسام^(٢).

٤-★★ المغرب ١: ٢٥٨ - ٢٥٩، ٢٧٦ - ٢٧٧ القدح الملقى ١٦٦ - ١٦٤ نوح الطيب ٢:
 ١١١ - ١١٢، ٦٦٣ - ٦٦٤ الأعلام للزركلي (٨: ٢٤١).

ابن خبّازة الخطّابي

١- هو أبو عمرو ميمون بن علي بن عبد الخالق الخطّابي المعروف بابن خبّازة، أصله من قبائل صنهاجة. كان مولده في فاس، نحو ٥٧٠ هـ (١١٧٥ م). وقد تولى، في أواخر أيامه، حِسْبَةَ الطَّعامِ في مدينة مراكش. وكانت وفاته في الرباط، سنة ٦٣٧ هـ (١٢٣٢ - ١٢٣٣ م).

٢- كان ابن خبّازة الخطّابي شاعراً كثيراً مطبلاً سهل القول متين التعبير سريع البديهة في النظم والنثر. وأبرز فنونه المدائح النبوية. فبديعته الياثبة « حقيق علينا أن نجيب المعاليا » مائة وثمانية وأربعون بيتاً مضمّن. وله شيء من الرثاء والتصوّف والوعظ، وله ترسل أيضاً.

٣- مختارات من آثاره:

- قال ميمون ابن خبّازة الخطّابي في مديح الرسول:

حقيق علينا أن نجيب المعاليا لنفني في مدح الحبيب المعانيا.
 فأسن أرباب البيان صوارم مضاربها تنسي السيوف المواضيا^(٣)!

(١) القضب (جمع قضيب): أغصان الأشجار.

(٢) الحسام (السيف). يقول الشاعر: إن الصبح قتل الليل فظهر دم الليل (الفجر) على حمام الصبح (الأفق الشرقي).

(٣) أرباب (أصحاب) البيان (المقدرة على قول الشعر والنثر الواضحين الجليين). الصارم: السيف. مضرب السيف. السيوف المواضيا (هنا) سيوف الأبطال الماضين (٤).

لِنُطْلِعَ مِنْ أَمْدَاحِ أَحَدٍ أَجْمَأٍ .
فَلَا مَدَحَ إِلَّا لِلَّذِي بِمَدِيحِهِ
رَسُولُ بَرَاهُ اللهُ مِنْ صَفْوِ نُوْرِهِ
وَمَا زَالَ ذَاكَ النُّوْرُ مِنْ عَهْدِ آدَمِ .
وَأَيَّاتُهُ جَلَّتْ عَنِ الْعَدِّ كَثْرَةً
وَأَعْظَمُهَا الْوَحْيُ الَّذِي خَصَّهُ بِهِ
تَحَدَّى بِهِ أَهْلَ الْبَيَانِ بِأَسْرِهِمْ
وَجَاءَ بِهِ وَخِيَاءً صَرِيحاً يَزِيدُهُ
تَضَمَّنَ أَحْكَامَ الْوُجُودِ بِأَسْرِهَا
وَأَخْبَرَ عَمَّا كَانَ أَوْ هُوَ كَائِنٌ :
وَوَافَقَ أَخْبَارَ النَّبِيِّينَ كُلَّهُمْ
وَمَا كَتَبْتَ يُمْنَاهُ يَوْمًا صَحِيفَةً

تَلُوْحُ فِتْجَلُوْ مِنْ سَنَاهِ الدِّيَاجِيَا (١) .
تَطِيْعُ إِذَا مَا كُنْتَ بِالْمَدْحِ عَاصِيَا (٢) .
وَأَلْبَسَهُ بُرْدًا مِنَ النُّوْرِ صَافِيَا (٣) .
يُنْسِرُ بِهِ اللهُ الْعَصُوْرَ الْخَوَالِيَا (٤) .
فَمَا تَبْلُغُ الْأَقْوَالُ مِنْهَا تَنَاهِيَا .
فَبَلَّغَ عَنْهُ أَمْرًا فِيهِ نَاهِيَا (٥) .
فَكَلَّمَهُمْ أَلْفَاهُ بِالْعَجْزِ وَإِنِيَا (٦) .
مَرُوْرُ اللَّيَالِي جِدَّةٌ وَتَعَالِيَا .
وَعَمَّ الْقَضَايَا مُثَبَّتَا فِيهِ نَافِيَا (٧) .
يُرِي مَاضِيَا أَوْ مَا يُرِي بَعْدَ آتِيَا :
وَتَمَّمَ بِالغَايَاتِ مِنْهُ الْمَبَادِيَا .
وَلَا رِيءَ يَوْمًا لِلصَّحَافِي تَالِيَا (٨) .

٤- ** أزهار الرياض ٢ : ٢٧٩ - ٢٩٢ : الأدب المغربي ١٩٩ وما بعد؛ النبوغ المغربي ١٧٠ ، ٤٠٦ - ٤١٢ (التعداد الثاني) وما بعد، ٨٥٨ - ٨٦٨ ، ٩١٢ ، ٩٢٩ - ٩٣٣ : الأعلام للزركلي ٨ : ٣٠٠ . (٧ : ٣٤١) .

- (١) أحد = محمد رسول الله . السنن : النور . الدياجي : الظلمات .
- (٢) لا مدح ذو قيمة إلا بمدح تطيع الله به (تكون به صادقاً = مدح رسول الله) ، إذا أنت كنت يوماً عاصياً بمدح نفر من الناس (وكذبت في مدحهم) .
- (٣) براه الله (خلقه) . البرد : الثوب .
- (٤) في الخبر أن النور كان قد قسم بين آدم وحواء ثم افترق في أجيال البشر . بعدئذ وصل الجانب الذي كان في آدم من النور إلى عبد الله بن عبد المطلب ، ووصل الجانب الآخر الذي كان في حواء إلى أمته بنت وهب . فلما تزوج عبد الله بن عبد المطلب أمته بنت وهب ثم كانت ولادة محمد (صلى الله عليه وسلم) من هذا الزواج اجتمع ذلك النور في محمد .
- (٥) الوحي الذي خصَّ الله محمدًا به (القرآن الكريم) . عنه (عن الله) .
- (٦) ألفى : وجد . الوافي : الضميف ، التنب (يفتح فكس) .
- (٧) مثبتاً (أمراً بالقيام بما يجب عمله) ونافياً (ناهماً عن فعل ما لا يجوز فعله) .
- (٨) الصحيفة : الورقة المكتوبة (الكتاب) . ريه (رئي) : رأى « مبنية للمجهول) . التالي : القاريه .

عبي الدين بن عربي

١- لهي الدين بن عربي تَرْجَمَةٌ مُفَصَّلَةٌ في الجزء الثالث من هذه السلسلة، وأُحْبِبْتُ أَنْ آتِيَ له بترجمة ثانية هنا لأنه ابن الأندلس برغم رحلته وأستقراره في المشرق^(١).

هو أبو بكر محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي من نسل عبد الله بن حاتم أخي أحمد بن حاتم البصري (ت ٢٣١ هـ) راوية الأصمعي.

وُلِدَ في مُرْسِيَّةَ في سابعِ عَشَرَ رَمَضانَ من سَنَةِ ٥٦٠ (١١٦٥/٧/٢٧ م) في الأُغلب. وكان يُعْرَفُ بِأَسْمِ «ابن العربي» (بلام التعريف) وبأَسْمِ آيِنِ سُرَاقَةَ (عنوان الدراية). (٥٦).

وَأَنْتَقَلَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ من مُرْسِيَّةَ، سَنَةَ ٥٦٨ ونَزَلَ في إِسْبيليةَ وَبَقِيَ فيها إلى سَنَةِ ٥٩٨ للهجرة. ولا شك في أنه كان في تلك الأثناء يزور البلدان التي حوله، فقد سَمِعَ في قُرْبَةِ من أبي القاسم بن بشكوال (ت ٥٧٨ هـ) وغيره. ودخل بجاية (في القطر الجزائري) في رَمَضانَ من سَنَةِ ٥٩٧.

ويبدو أنه بدأ حياته بالاتصال برجال الدولة، فقد كَتَبَ في الأندلس لبعض الأمراء ثم إنه تزوج مريم بنت محمد بن عبدون بن عبد الرحمن الباجي^(٢). وعند ذلك بدأ مجرى حياته يتغير، وكان سبب هذا التغير ما كان يسمعه من مواظي زوجه^(٣) التي ضربت له المثل الصالح في الورع. وكذلك أُلْحِتْ عليه أمه بالإقلاع عما

(١) لقد اقتضى هذا النظر أن يكون لأبي علي القالي (ت ٣٥٦ هـ) ترجمة منفردة في الجزء الثاني من هذه السلسلة ثم ذكر على شيء من التفصيل في الجزء الرابع منها.

(٢) هذا المقطع مأخوذ برمته (بضم الراء) من «تاريخ الفكر الأندلسي»، تأليف أغزل خنثالت بالنبيا (نقله إلى العربية حسين مؤنس). وكان الناقل قد أهمل (في الطبعة الأولى) جميع الحواشي التي تذكر المصادر، بعد أن كان قد وضع لتلك الحواشي أرقاماً في المتن. وقد رأيت الناقل من عهد قريب وقال لي إنه أعد طبعة ثانية وأنه قد أثبت الحواشي كلها، وأن الطبعة الثانية ستظهر قريباً جداً. ولكنني لم أر هذه الطبعة الثانية.

(٣) الزوج تقال للرجل وللمرأة.

هو فيه. ثم أصابه مرضٌ فلَزِمَ الفراشَ مدَّةَ تراحتَ له في أثنائها مناماتٌ تَمَثَّلُ له فيها عذاب جهنم^(١). وتُوَفِّيَ أبوه - عليُّ بنُ العربي - في أعقاب ذلك، وكان (هو) قد أخبر أباه بيوم وفاته قبل حلول أجله بِخَمْسَةِ عَشَرَ يوماً. وتجمعت هذه العوامل كلها ودفعت بمُحِبِّي الدين بنِ عربيٍّ في طريق الرُّهْدِ والتصوِّفِ. (من أجل ذلك كلُّه) نراه، قبلَ سنَّةِ ٥٧٩ للهجرة (١١٨٤ م) - أي قبلَ وفاةِ أبيه - قد سَلَكَ الطريقَ (طريق التصوِّفِ)^(٢).

ومنذُ ذلك الحينَ تَرَكَ ابنُ عربيٍّ مناصبَ الدولة والإقبالَ على زهرة الحياةِ كُرْهاً بهذا المسلكِ في الحياةِ وزُهداً في الدنيا (راجع الذيل والتكملة ٦ : ٤٩٤).

وفي سنَّةِ ٥٩٨ للهجرة بدأ رحلته إلى المشرق (ولا نعلمُ إذا كان قد عادَ من بجايةِ إلى إشبيليةِ أو أنه استأنفَ الرحلةَ من بجايةِ). ودخل، في أثناء طريقه، بصَرَ ثم تابعَ سيرَه إلى الحِجازِ لأداءِ فريضةِ الحجِّ. ومكثَ في مكَّةَ سنتين. وفي سنَّةِ ٦٠٠ للهجرة (١٢٠٤ م) لَقِيَ نِعْراً من حُجاجِ الأناضولِ (آسية الصغرى) الأتراكِ فرافقهم إلى بلادهم، بطريقِ بَغدَادَ والمُوصِلِ، فوصَلَ إلى مَلطِيَّةِ في ذي القعدةِ من سنَّةِ ٦٠١ (تموز - يوليو ١٢٠٥ م).

وتردَّدَ ابنُ عربيٍّ في المشرق: حجَّ (٦٠٢ هـ = ١٢٠٦ م) ثم وجدناه في قونيةِ في الجنُوبِ الغربيِّ من آسيةِ الصغرى (سنَّةِ ٦٠٦) ثم في بَغدَادَ بعدَ سنتين (نفع الطيب ٢ : ١٦٣) ثم في حَلَبَ (سنَّةِ ٦٠٩) ثم في الأناضولِ أيضاً (سنَّةِ ٦١٢)، في بلدةِ آق سَراي، من أواسطِ آسيةِ الصغرى، شَرَقَ بحيرةِ طوز، وفي سيواس، على نحوِ أربعينَ كيلو مترٍ شَرَقَ أنقرةَ (سنَّةِ ٦١٢). ثم سكنَ مَلطِيَّةَ (في الجنُوبِ الشرقيِّ من آسيةِ الصغرى)، وفيها وُلِدَ ابنُه سعدُ الدينِ محمدٌ، في رَمَضانَ من سنَّةِ ٦١٨ (نفع الطيب ٢ : ١٧٠) ولعلَّ إقامتهِ في مَلطِيَّةِ لم تَطُلْ، فلقدِ انْتَقَلَ إلى دِمَشقَ (سنَّةِ ٦٢٠، في الأغلب)؛ إلاَّ أنه، على كلِّ حالٍ، كان مُستقراً فيها سنَّةَ ٦٢٧.

(١) نجد أشياء من هذه المنامات، ومن منامات أخرى، في «الفتوحات» ٤ : ٥٥٢ وفي «عنوان الدراية» ١٥٨ وفي «نفع الطيب» (٢ : ١٧٣ - ١٧٤، ١٨٠).

(٢) بالنشأ ٣٧١ - ٣٧٢.

ولم تكن إقامة مُحيي الدين بن عربي في دِمَشق هادئة مُطمئنة، فإن أهل دِمَشق كانوا على سيرة السلف، بينما هو كان صوفياً متطرفاً مُجانِباً لسيرة السلف في تفكيره وفي كثير من جوانب حياته الشخصية.

وفي دِمَشق عُرِف ابنُ عربي (نفع الطيب ٢: ١٥٧) بلقب « سيدي مُحيي الدين » وبِنسبته « ابن عربي »، بإسقاط لام التعريف، تمييزاً له من أبي بكر بن العربي الفقيه (ت ٥٤٣ هـ).

ثم بدا على حياته شيء من الهدوء والتفٍّ حوله نفرٌ من الناس. وكانت وفاته ليلة الجمعة (يوم الخميس مساءً) في الثامن والعشرين من ربيع الآخر من سنة ٦٣٨ (١١/١٥/١٢٤٠ م) ودُفِنَ في سَفْح جبل قاسيون (في الغرب الشَّامِي من المدينة). وقبرة قائمٌ هناك إلى اليوم في مقام يُزار. ولا يزالُ الحَيُّ حوله يُعرفُ باسم « سيدي مُحيي الدين ».

٢ - اختلفَ الناسُ في مُحيي الدين بن عربي: منهم من عدّه في الأتقياء والأولياء، ومنهم من جعله في المُلحدِين المارقين. وإذا نحن رجَعْنَا إلى ما قاله هو في نثره وفي شعره رأينا في نثره وفي شعره « شطْحاً » كثيراً. والشطْحُ قولٌ يدلُّ ظاهره على الانحراف عن الشريعة ولا يسلّمُ باطنه مع التأويل. من ذلك مثلاً قوله: إِنَّ إِيمَانَ فِرْعَوْنَ كان إيماناً صحيحاً، ذلك لأنَّ فِرْعَوْنَ قد آمَنَ لما أيقنَ بالهلاك وبدا له وجهُ الحقِّ. وقيل إنَّ ابن عربي كان يَرمِزُ بكلمةِ فرعونَ إلى « النفس »، إلى نفسه، ثم يستشهدون على ذلك بقوله (نفع الطيب ٢: ١٦٩)، وهو مما نسبَه إليه غيرُ واحدٍ (أي أكثرُ من واحد):

قلبي قُطبي وقالبي أجناني، سِرِّي خِضري، وعَيْنُهُ عِرْفاني^(١).

(١) الحضر (يفتح فكسراً) أو بكسر فسكون - وقيل بفتح وسكون. والعامّة يقولون: « خضر » (بضمّ ضمّ): قيل فيه رجل صالح عاصر موسى عليه السلام، وأنكر آخرون وجوده (راجع تاج العروس - الكويت ١١: ١٨٣ - ١٨٥). ومن الأسلم ألا نهتّر هذين البيتين.

روحي هرون، وكليمي موسى، نفسي فرعون، والهوى هاماني^(١).

ففي هذين البيتين يُمكن أن يتأتى الدفاع عن جميع التعبيرات إلا عن تعبير واحد: «كليمي موسى». إن موسى كلم الله، ولا يجوز لأحد أن يدعي مثل هذا التعبير، مها ينتج لنفسه من الأعدار البلاغية والرمزية.

ولا ريب في أن محيي الدين بن عربي كان من الذين لا يأمنون على أنفسهم في الدولة الإسلامية التي تُقيم شرائع الإسلام وحدوده، وكان ابن عربي أشد خوفاً على نفسه من جميع هؤلاء. من أجل ذلك لم تكن رحلة ابن عربي إلى المشرق حباً بالرحلة فقط، بل خوفاً على النفس أيضاً. أورد ابن خلكان (ت ٦٨١ هـ) في كتابه «وفيات الأعيان» (٧: ١١) هذا المقطع:

«وكان الأمير أبو يوسف يعقوب المذكور^(٢) يُشدد في إلزام الرعية بإقامة الصلوات الخمس؛ وقتل في بعض الأحيان^(٣) على شرب الخمر، وقتل العمال^(٤) الذين تشكو الرعايا منهم. وأمر برفض فروع الفقه^(٥) وبأن العلماء لا يفتون إلا بالكتاب والسنة ولا يُقلدون أحداً من الأئمة المجتهدين المتقدمين، بل تكون أحكامهم مما يؤدي إليه أجتهدهم من استنباطهم القضايا من الكتاب والحديث والإجماع والقياس^(٦). ولقد أذركنا جماعة من مشايخ المغرب^(٧) وصلوا إلينا، إلى

(١) هرون أخو موسى بن عمران. وهامان: وزير فرعون.

(٢) هو يعقوب المنصور ثالث سلاطين الموحدين (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ).

(٣) في بعض الأحيان (يقصد في عدد من المرات).

(٤) العامل، في الأصل، هو المكلف بجمع الزكاة (وجميع أموال الضرائب).

(٥) في هذه الجملة «وأمر برفض فروع الفقه» نقص أدنى إلى غموض (إذ فروع الفقه: الصلاة والصوم، الخ). وهذا الغموض تبيته الجملة التالية: «وأن العلماء لا يفتون إلا بالكتاب (القرآن الكريم) والسنة (أقوال رسول الله وأعماله) ولا يُقلدون أحداً من الأئمة المجتهدين المتقدمين». فعنى ذلك: الرجوع في فروع الفقه (المبادئ والمعاملات) إلى القرآن والحديث فقط من غير تقييد في ذلك بما قاله أصحاب المذاهب (أبو حنيفة ومالك الخ) مما هو آراءهم.

(٦) مصادر التشريع في الإسلام أربعة: الكتاب (القرآن الكريم) والسنة (أقوال رسول الله وأعماله) والإجماع (اتفاق أهل الحل والعقد على أمر لم يرد في القرآن والحديث خلافاً). القياس: النظر بالعقل والمنطق من مسلم كلفه في أمر (لم يرد فيه حكم في الكتاب والسنة ثم لم يتم فيه إجماع) بالتظهير بين ذلك

البلاد، وهم على ذلك الطريق^(١): مثل أبي الخطاب بن دحية وأخيه أبي عمر^(٢) ومُحَيِّي الدين بن عربي نزيل دمشق وغيرهم. و (كذلك) كان (أبو يوسف يعقوب) يُعاقبُ على ترك الصلاة ويأمرُ بالنداء في الأسواق بالمبادرة إليها، فمن غفل عنها أو اشتغل (في وقتها) بمعيشته عزَّره تعزيراً شديداً^(٣).

ولا شك في أن ابن خلكان قد عنى بقوله: «وهم على ذلك الطريق» (ولم يقل على هذا الطريق)، الطريق المخالف للطريق الذي أتبعه الأمير أبو يوسف يعقوب.

والشطح في آثار ابن عربي كثيرٌ جداً، كقوله مثلاً: الوليُّ خيرٌ من النبي. أو كقوله أيضاً: «من قال: «لا إله إلا الله فقد كفر» (وكان الواجب أن يقول: «لا موجود إلا الله»)). وكلُّ هذا الشطح مخالفٌ للإسلام ومخالفٌ للعقل والمنطق ومُفسدٌ للوِازع الاجتماعي (مُقلِّقٌ لاطمئنان الجماعات).

وكان ابن عربي مُصنفاً كثيراً، قيل بلغت تصانيفه نيفاً وأربعمائة (نفع الطيب ٢: ١٧٧) أوردَ ابن عبد الملك المراكشي (ت ٧٠٣ هـ) عدداً كبيراً منها (الذيل والتكملة ٦: ٤٩٤ - ٤٩٦). وأكثرُ عناوين هذه الكتب تجرِي مجرى الرمز، منها: مفتاح السعادة في المدخل إلى طريق الإرادة - الجلا في استئزال رُوحانيات الملأ الأعلى - كشف المعنى عن سير الأسماء الحسنى - إنزال الغيوب على مراتب القلوب - مشاهدات الأسرار القدسيّة - مفتاح أقفال الإلهام الوحيد - الفتوحات

الأمر وأمر آخر يشبهه أو يعرِّبه وورد فيه حكم في الكتاب أو في السنة (هناك شروط لهذه كلها، راجع موجزاً لها في كتاب «فلسفة التشريع في الإسلام» للدكتور صبحي المحصاني، بيروت - دار العلم للملايين، الطبعة الثالثة مثلاً - ١٣٨ هـ = ١٩٦٦ م، ص ١٤٤ - ١٨١).

- (١) من المشتغلين بالأمر الشرعية.
- (٢) على الاهتمام بآراء أصحاب المذاهب والأخذ بأحكامهم ومراعاة خلافاتهم.
- (٣) ابن دحية: أبو الخطاب عمر بن الحسن بن دحية الكلبي (ت ٦٣٣ هـ) محدث فقيه ومؤرخ وأديب كان كثير البحث في الخلاف الفقهي بين الأئمة. وهو صاحب كتاب «المطرب» (راجع ترجمته في هذا الجزء). ثم يأتي أخوه أبو عمر عثمان بن الحسن بن دحية (ت ٦٣٤ هـ) - وكان أسن من أخيه أبي الخطاب (راجع وفيات الأعيان ٣: ٤٥٠).
- (٤) عزَّره: أذبه، وبَّعه وعاقبه عقاباً أقل من الحدِّ الشرعي (أقل من القتل أو الجلد).

المَكِّيَّة - التَّسَمُّ الإِلَهِيَّ بِالاسْمِ الرَّبَّانِي - الجداول والدوائر - تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ^(١) - أَلَهُوَ
(هُوَ مُحَلَّاةٌ بِلَاِمِ التَّعْرِيفِ) - القَدِيم - القَدِيم - الرَّقِيم - العَيْن - الرَّمز - كُنْ^(٢) -
الثَّوَابِي - الخَزَائِن - النَّمَل - الْمُؤْمِن وَالْمُسْلِم وَالْحَسَن - الأَنْفَاس - الرِّوَاثِح -
الأرواح - زِيَادَةُ الكِبْد - العَرش - الهِبَاء - التَّسْعَةَ عَشَرَ^(٣) - الإِنْسَان
الكامل.....

ويبدو بوضوح أَنَّ مُخَيِّي الدِّينِ بِنَ عَرَبِيٍّ كَانَ أَكْثَرَ التَّصَوِّفِ المُسْلِمِينَ أَطْلَاعاً
على أَشْيَاءٍ مِنَ الفِلسَفَةِ القَدِيمَةِ (اليونانيةِ خَاصَّةً). من أَجْلِ ذلك، فَمَا يَبْدُو أَيضاً،
عُرِفَ بِأَلْقَابٍ مِنْهَا: الشَّيْخُ الأَكْبَرُ والكَبْرِيَّةُ الأَحْمَرُ^(٤) وابن أَفْلَاطُون. غيرَ أَنَّ الذي
في آراءِ ابنِ عَرَبِيٍّ مِنَ الفِلسَفَةِ القَدِيمَةِ إِنَّمَا هُوَ لَفَتَاتٌ عَلَى غَيْرِ مِناهِجٍ، فليسَ مِنَ
المألُوفِ في المُتَّصِفِ أَن يَخْطُ نَهْجاً وَاضِحاً ثَابِتاً في شَيْءٍ من أُمُورِ الحَيَاةِ.

وإذا كَانَتْ أَشْيَاءٌ مِنَ فِلسَفَةِ أَفْلَاطُونِ^(٥) قَدْ أُعْجِبَتْ ابنَ عَرَبِيٍّ فَإِنَّ اتِّجَاهَهُ كَانَ
أَكْثَرَ تَأَثُّراً بِآراءِ أَفْلُوطِينِ^(٦). وَمِنَ المُنْتَظَرِ أَن يَكُونَ قَدْ مَالَ إِلَى شَيْءٍ مِنَ فِلسَفَةِ

(١) تسعة وتسعون (أسلمه الله الحسنى).

(٢) في القرآن الكريم: « إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ: كُنْ، فَيَكُونُ » (٣٦: ٨٢، يس: ١٦ راجع ٤٠: ١٩، النحل: ١٩: ٣٥، مريم: ٦١: ٧٣، الأنعام).

(٣) في القرآن الكريم: « وما أدراك ما سقر (جهنم)؟ لا تبقي ولا تذر. لَوْاحَةٌ لِلبَشَرِ، عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشْرَ
وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ (المؤكَلِّينَ بِجَهَنَّمَ) إِلَّا مَلَائِكَةً، وَمَا جَعَلْنَا عَدُوِّهِمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا (٧٤: ٢٧ - المذثر).

(٤) الكبريت الأحمر معدن نادر (يقصدون: كان أمثال ابن عربي قليلين).

(٥) أفلاطون فيلسوف يوناني (ت ٣٤٧ ق.م.) كانت فلسفته مثالية نظرية خيالية، وكان هو قديراً في
الجدل المتسق الذي لم يكن قد أصبح علماً هو المنطق. واعتقد أفلاطون أن جميع الأشياء الموجودة في
عالمنا موجودة صورها (أو مثالاتها) في المُلأ الأعلى (العالم الإلهي) وأن صورة الشيء يمكن أن تكون
موجودة قائمة بنفسها غير متصلة بمادة. واعتقد أن النفوس كلها موجودة في المُلأ الأعلى تتأمل في الله.
فإذا غفلت نفس عن ذلك سقطت وانصلت بجسد في الأرض حتى تعاقب على خطيئتها في المُلأ
الأعلى. وأشهر كتب أفلاطون كتاب « السياسة » (بولوتيا) والناس يسمونه « الجمهورية » (وذلك نقل
لفظي خاطيء للكلمة اللاتينية: رس بوبليكا (الشؤون العامة)).

(٦) أفلوطين (ت ٣٦٩ للميلاد) من أهل أسبوط (في مصر) تعلم في الاسكندرية تلقى مذهبه عن فيلون
اليهودي (ت ٥٠ م.). وقد حرص فيلون على التوفيق بين التوراة والفلسفة اليونانية بأن فسّر قصص =

أرسطوطاليس^(١) أيضاً، ولكنَّ الغالبَ عليه أنَّه كان يُلقَقُ بينَ الآراءِ : بأخذ ما يظنُّ أنَّه ينصُرُ رأيه هو ويُساعده على « أن يجعلَ مِنَ الإنسانِ كائناً قريباً من الملائِ الأعلَى »^(٢)، وهذا يَجِدُهُ ابنُ عَرَبِيٍّ عِنْدَ فلوطنَ (أو أفلوطينَ) أَكْثَرَ مِمَّا يَجِدُهُ عِنْدَ أفلاطونَ، ثمَّ هو لا يَجِدُ شيئاً منه عِنْدَ أرسطو.

ومعَ كلِّ هذا التشويه الذي يُمكنُ أن يُلحَقَ بالنُظْمِ الفِلسَفيَّةِ حينما تَمَرُّ تلكَ النُظْمُ - أو يُمرُّ عددٌ من أوجُهها وآرائها في الحَيَالِ الصوفيِّ - فإنَّ هذا الاتِّجاهُ المُشَوِّهَ قد لَقِيَ شيئاً من القَبولِ عِنْدَ نَفَرٍ من المتصوِّفةِ في الإسلامِ وعِنْدَ نَفَرٍ من المفكرين في أوربَةِ النَّصْرانيَّةِ في العصورِ الوُسطى ومَطْلَعِ العصورِ الحديثِةِ^(٣).

٣ - مختارات من آثاره:

- مقاطعٌ لمُحِبِّي الدينِ بنِ عربيٍّ سَليمةً الظاهرِ والباطنِ: (نفتح الطيب ٢: ١٨٤):

يا حَبَّذا المَسجِدُ من مَسجِدٍ وحَبَّذا الرِوضَةُ من مَشهَدٍ^(٤).

التوراة وآراء التوراة تفسيراً رمزياً (حواء كناية عن الحسن المادّي، والحية كناية عن اللذة). وأفلوطين فعل في النصرانية ما كان فيليون قد فعله في اليهودية. وقال أفلوطين (توسيعاً لقول أفلاطون) إنّ العالم فاض من الله، ثم جعل المادة تفيض من الله الذي هو روح حتّى يسوّغ القول بمجيء عيسى المسيح من الله (على مذهب النصارى في ذلك). وتكلّم أفلوطين على «الإشراق» (وصول المعرفة إلى الإنسان من الملائِ الأعلَى من غير حاجة إلى توسّط الحواس أو توسّط العقل الإنساني).

(١) أرسطوطاليس أو أرسطو (ت ٣٢٢ ق.م). تلميذ أفلاطون ومخالف له في اتجاهه الفلّسفي. إنّ فلسفة أرسطو واقعية عملية ماديّة. وأرسطو مننّظ علم المنطق ومفرّع فنون المعرفة الانسانية (علم الحيوان - علم النفس - السياسة - الاخلاق، الخ). ثمَّ هو يبحث في العالم الواقِع لأنَّ العقل الإنساني لا سلطة له على ما وراء الحسن. وكلُّ كائِن ماديٍّ في الحياة له سبب ماديٌّ، ولا يفهم الوجود بغير ذلك. والمادة عند أرسطو سابقة على كلِّ شيءٍ..... والسياسة عنده واقعيّة: الغاية من الدولة أن يكون حكم الوالي على الرعيّة حكماً صالحاً جيّلاً، وبمدد فليسمَّ الوالي حكمه ما شاء من الأسما: ملكاً، جمهورية، استبداداً، سلطاناً عسكرياً).

(٢) الملائِ الأعلَى: العالم الإلهي.

(٣) راجع «تاريخ الفكر الأندلسي» (بالشيا) ص ٣٧٩ - ٣٨٦.

(٤) المسجد = المسجد الحرام في مكّة المكرّمة. الروضة = المكان الذي فيه قبر رسول الله في المدينة.

المشهد: المكان الذي يشهده (يحضر فيه) عدد كبير من الناس.

وَجَبَّذَا طَبِيبَةً مِنْ بَلَدَةِ صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مِنْ سَيِّدٍ
 قَدْ قَرَنَ اللَّهُ بِهِ ذِكْرَهُ عَشْرٌ خَفِيَّاتٌ، وَعَشْرٌ إِذَا
 فِيهَا ضَرِيحُ الْمُصْطَفَى أَحَدٍ^(١). لَوْلَاهُ لَمْ تُفْلِحْ وَلَمْ نَهْتَدِ.
 فِي كُلِّ يَوْمٍ فَأَعْتَبِرْ تَرْشِدِ^(٢) أَعْلَنَ بِالتَّأَذِينِ فِي الْمَسْجِدِ^(٣).
 فَهَذِهِ عِشْرُونَ مَقْرُونَةً بِأَفْضَلِ الذِّكْرِ إِلَى الْمَوْعِدِ^(٤).

★ قال الشيخ سيدي محيي الدين بن عربي، رضي الله تعالى عنه: رأيتُ بعضَ الفقهاء في النوم - في رؤياً طويلة - فسألني: كيف حالك مع أهلك؟ فقلتُ (نفع الطيب ٢: ١٦٧):

إِذَا رَأَتْ أَهْلُ بَيْتِي الْكَيْسَ مُمْتَلِئًا تَبَسَّمْتُ وَدَنَّتْ مِنِّي تَهَازِحِي^(٥).
 وَإِنْ رَأَتْهُ خَلِيًّا مِنْ دَرَاهِمِهِ، تَجَهَّمْتُ وَأَتَشَنَّتْ عَنِّي تُقَابِحِي^(٦).
 فقال لي: صدقت! كلنا ذلك الرجل.

★ إِذَا حَلَلَّ ذِكْرُكُمْ خَاطِرِي فَرَشْتُ خُدُودِي مَكَانَ التُّرَابِ^(٧).
 وَأَقَعَدْتَنِي الذَّلَّ عَلَى بَابِكُمْ قَعُودَ الْأَسَارَى لَضَرْبِ الرَّقَابِ^(٨).

(١) طيبة = المدينة المنورة. أحد = محمد رسول الله.

(٢) به (بالله)، ذكره (ذكر محمد رسول الله). في كل يوم (في الأذان وفي إقامة الصلاة). اعتبر الرجل بأمر (وجد فيه عبرة، حكمة، مغزى). واعتبر (هنا): فكر في الأمر. رشد (بفتح فكسر) يرشد (بفتح فسكون ففتح): بلغ الرشد وكان ناضج الحكم. قرن الله به ذكره (قد جمع في الأذان وإقامة الصلاة بين اسم الله تعالى واسم محمد رسول الله: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله).

(٣) عشر (لأن كل واحدة تقال خمس مرات في اليوم - في النهار والليل - وتكرر في كل مرة دفعتين). خفيات (في إقامة الصلاة لأنها تقال في قلب المسجد أو في بيت الرجل المصلي) وعشر معلنة (لأنها تقال من رؤوس المآذن ليسمعا جميع الناس).

(٤) أفضل الذكر (ذكر الله تعالى). إلى الموعد (إلى يوم القيامة).

(٥) الأهل: الزوج (المرأة) - لأن الزوج تقال على الرجل والمرأة، ولذلك قال الشاعر إذا رأت، أهل بيتي. الكيس (كيس المال).

(٦) تجهم وجه الرجل: عبس، أظهر التكره. اتشنت: مالت عني، ابتعدت. قايح فلان فلاناً: شامه (سأبه): قابله بالشتم والسب ونسب إليه أحوالاً ساقطة).

(٧) ذكركم (ذكر الله). فرشت خدودي مكان التراب (تذللنا لله). قعود الأسارى.... (بمضوع وذلة) - في هذين البيتين معنى صوفي في التوجه إلى الله تعالى.

★ لَيْسَتْ شِعْرِي هَلْ ذَرَوَا أَيَّ قَلْبٍ سَلَكُوا،
 وَفُؤَادِي لَوْ ذَرَى أَيَّ شَيْءٍ سَلَكُوا^(١١)؟
 أَتَرَاهُمْ سَلِمُوا أَمْ تَرَاهُمْ هَلَكُوا؟
 حَارَّ أَرْبَابُ الْهَوَى فِي الْهَسْوَى وَارْتَبَكُوا.

- من كتاب «محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار» (١: ٥ - ٦):

أما بعد، فأني أودعتُ في هذا الكتابِ الذي سَمَّيته «محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار» ضروباً من الآدابِ وفنوناً من المواعظِ والأمثالِ والحِكَايَاتِ النادرةِ والأخبارِ السائرةِ وسير^(١٢) الأولين من الأنبياء - صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهم - والأممِ وأخبارِ ملوكِ العربِ والمعجمِ ومكارمِ الأخلاقِ وعجائبِ الاتِّفَاقِ وما رَوَيْنَاهُ من الأحاديثِ النَّبَوِيَّةِ في ابتداءِ الأمرِ وإنشاءِ العالمِ^(١٣) وما أودَعَ اللهُ من عجائبِ الصَّنْعِ وبدائعِ الحِكْمَةِ وحكَايَاتِ مُضْحَكَةٍ مُسَلِّيَةٍ - ما لم تكنْ مُفسِدةً - مِمَّا تستريحُ النفوسُ إليها عند إيرادها مِمَّا لا أجرَ فيه ولا وِزْرَ^(١٤).

ونزهتُ كتابي هذا عن كلِّ هجاءٍ ومثليةٍ، وضمنتهُ كلَّ ثناءٍ ومنقبةٍ^(١٥). وإذا كانتِ الحِكَايَاتُ المُضْحَكَةُ في رجلٍ مُعْتَبَرٍ مشهورٍ من أهلِ السننِ أو العلمِ لَهْفُوةً صَدَرَتْ منه ضِحْكٌ لها الحاضرون، أو فِعْلَةٌ بدت منهم^(١٦) من غير قصد منه إليها فأذُكِرُهَا لِمَا فيها من الراحةِ للنفسِ ولا أُسَمِّي الشخصَ الذي ظهرَ عليه ذلك حتى تتوفَّرَ حُرْمَتُهُ ولا تزدرِي لقدره^(١٧) من بعدِ شهرتهِ وتعظيمه.

(١١) النعب (بالكسر): الفرع من الطريق.

(١٢) السيرة: تاريخ حياة شخص واحد.

(١٣) ابتداء الأمر: (أمر الله بوجود العالم) وإنشاء العالم (خلقه).

(١٤) كما تسرَّ به النفس من الأعمال المباحة التي لا أجر (ثواب في الآخرة) عليها) ولا وِزْر (ذنب يقتضي عقاباً في الآخرة) فيه.

(١٥) المثلية: الميب. المنفية: الفعل الكريم، المفخرة.

(١٦) منهم: لا حاجة إليها.

(١٧) ولا تزدرِي (تحتقر) لقدره: اقرأ: ولا بردري (بالبناء للمجهول) قدره.... أو: لا تزدرِي أنت قدره.

- ومن كتاب « محاضرة الأبرار » (٥ : ١١ - ١٤) :

وكلُّ ما سَطَّرْتُهُ في كتابي هذا، فمنه ما شاهدتُهُ أَوْ حَدَّثْتَنِي بِهِ مَنْ شاهدُهُ، ومنه ما نقلتُهُ من كُتُبٍ مشهورةٍ رَوَيْتُهَا سَمَاعاً أَوْ مُداولةً أَوْ كِتَابَةً^(١)، مثل: كتاب « الإمتاع والمؤانسة » للفاضل الأديب النحريين أبي حَيَّانَ التُّوحِيدِي^(٢)، رَحِمَهُ اللهُ.....، وجعلتُهُ مجالس^(٣)

وقد قَدِّمْتُ في صدرِ هذا الكتابِ أسانيدَ^(٤) إلى الذين أقولُ عنهم، ورَوَيْنا من حديثِ فلانٍ متصلاً^(٥). وقد أسوقُ إسنَادَ ذلكِ المذكورِ إلى الحَبْرِ، وقد لا أسوقُهُ، على حَسَبِ ما يَتَّفِقُ. وأودَعْتُهُ أيضاً بما لنا من منظومٍ في فنونٍ مختلفةٍ من أدبٍ ونَسِيبٍ ومَعْرِفَةٍ وحِكْمَةٍ ومُفَاخَرَةٍ بِحَسَبِ^(٦) وحَاسَةِ^(٧)، وغير ذلك، بما تَقَفُّ عليه - إن شاء اللهُ تعالى - واللهُ أعلمُ وبِهِ نستعين.

..... وإذا قُلْتُ: رَوَيْنا من حديثِ أبنِ هِشامٍ^(٨)، فَهُوَ ما حَدَّثَنَا بِهِ عبدُ الواحدِ ابنُ إِسْماعِيلَ عن أبي حفصِ عُمَرَ بنِ عبدِ الحميدِ بنِ عُمَرَ بنِ الحُسَيْنِ بنِ عُمَرَ بنِ أَحْمَدَ القُرَشِيِّ الدَّارِمِيِّ ثمَّ الرِياشِيِّ إِجازةً^(٩)، قال: حَدَّثَنَا أبو مُحَمَّدٍ عبدُ الْمُعْطِيِّ بنُ المَناذِرِ

-
- (١) سماعاً: اصفاء إلى متكلم. مداولة: مبادلة للحديث ومناقشة. كتابة: استملاء (تدوين النصوص والآراء المجموعة).
 - (٢) أبو حَيَّانَ عَلِيُّ بنِ مُحَمَّدِ التُّوحِيدِي (ت نحو ٤٠٠ هـ) أديب واسع المعرفة ومفكّر. والباقي لنا من كتبه يدلُّ على مقدرة في الفلسفة والعلم والأدب وفي فنون التحديث في المجالس.
 - (٣) المجالس (هنا) جمع مجلس: مقدار من الزمن يجتمع فيه الناس لتداول أمر من الأمور.
 - (٤) الاستاد: السلسلة من الأشخاص المتوالين في الزمن والذين نقلوا لنا الخبر عن قائله الأوّل.
 - (٥) الحديث المتصل: ما كان اسناده متصلاً لا فرق كبيراً في الزمن بين ناقل وناقل عنه (يجب أن يكون كلُّ ناقل قد اتَّصل بالذي نقل عنه).
 - (٦) الحسب: العسل الشريف.
 - (٧) الهجاسة: الشجاعة والحرب.
 - (٨) ابن هشام هو الذي سيأتي في آخر هذا الحديث. وهو عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (يكسر الحاء وسكون الميم) الماعفري (ت ٢١٣ هـ = ٨٢٨ م) كان عالماً بالأنساب واللغة وأخبار العرب، ولد في البصرة ونشأ فيها ثم سكن مصر وتوفّي فيها.
 - (٩) إجازة (إفادة، شهادة): السماح لطالب العلم أن يروي ما تلقّاه عن شيخه (استاذة).

بالإسكندرية قال: ثنا^(١) أبو إسحاق إبراهيم بن سعيد الحبال، أنبا^(٢) أبو محمد عبد الرحمن بن عمر النحاس، أنبا عبد الله بن جعفر بن الوردية عن أبي محمد عبد الرحيم بن عبد الله البرقي^(٣) عن أبي محمد عبد الملك بن هشام.....

- قصة آتفت لابن عربي نفسه (محاضرة الأبرار ١: ٣٠٨ - ٣٠٩):

... آتفت في بلدنا، بإشبيلية (أن) كان عندنا رجل من سقلة الناس يقال له^(٤) له جمعة يبيع الخبز. وكان يتحاكم إليه أطراف الناس^(٥)..... أختصم إليه مرة، في إشبيلية، رجل طبّاح يطلب حق إدايمه^(٦) من رجل آخر. فقال (جمعة للطبّاح) فكيف ترتب لي^(٧) ما تدعيه على هذا الرجل؟ فقال: إني رجل طبّاح أبيع في الدكان ما أطبخه. فجاء هذا الرجل وبیده قرصة^(٨) من خبز، فجعل يأخذ اللقمة ويعرضها على بخار القدر الصاعد ويأكل حتى فرغت^(٩). فطلبت منه حق بخار القدر. فقال جمعة (للرجل الآخر): وجب عليك (الثلث)، يا هذا. أ عندك قطعة فضة^(١٠)؟ قال: نعم (ثم) أخرج المدعى عليه قطعة فضة. فقال جمعة للطبّاح: أصغ بأذنك. ورمي القطعة على الحجر^(١١) فسمع لها طنين. فقال: يا طبّاح، خذ هذا الطنين في حق بخارك، ورد القطعة الفضة لخصمك^(١٢). فقال الطبّاح: ما نقصت شيئا. فقال جمعة: ولا (هو) أخذ من قدرك شيئا.

(١) ثنا = حدثنا (هكذا تكتب اختصاراً).

(٢) أنبا = أنبانا، أخبرنا (هكذا تكتبان اختصاراً).

(٣) البرقي (برقة بلدة في فارس). وهناك أيضاً مقاطعة «برقة» (شرقي ليبيا اليوم).

(٤) سقلة الناس = أراذلهم من الذين لا يريدون أن يحملوا تبعه في الحياة.

(٥) أطراف الناس (يبدو أن لكلمة «أطراف» معنيين: الأشراف من الآباء والأمهات ثم البعيدين عن مجتمع القوم، أولئك الذين لا قيمة لهم في المجتمع الذي يعيشون فيه).

(٦) إدايم (بالكسر): ما يأتد به: يفسس به الأكل قطعة الخبز).

(٧) كيف ترتب لي ذلك = كيف تعرض أمرك عليّ وتفهمني إياه.

(٨) القرصة (الرغيف).

(٩) فرغ (بفتح ففتح): انتهى، تلاشى. فرغ (بفتح فكسر): خلا من الأشياء التي كانت فيه.

(١٠) قطعة فضة: قطعة من العملة الفضية.

(١١) على الحجر (على الأرض المقاسية، أو على صخر، الخ).

(١٢) تناول القطعة من الأرض ثم ردها إلى الزبون الذي تنازع.

- ٤- التعريفات^(١) (فلوغل)، ليبزج (فوغل) ١٨٤٥ م.
- فصوص الحكم، الاستانة ١٢٥٣، مصر (مطبعة الترجان والمطبعة الشرفية) ١٣٠٤ هـ، ١٣٢٣ هـ.
- ديوان (ابن عربي)، القاهرة (دار الطباعة الباهرة) ١٢٧١ هـ؛ نسخة مصورة بالأوفست (بلا مكان طبع ولا تاريخ).
- ردّ معاني الآيات المتشابهة إلى معاني الآيات المحكمة، بيروت (نادي الكتب العربية) ١٩١١ م.
- شجرة الكون، بولاق ١٢٩٢ هـ.
- ذخائر الأعلام في شرح ترجمان الأشواق (في مجموعة: التحفة البهية)، الاستانة (مطبعة الجوانب) ١٣٠٢ هـ = ١٨٨٥ م.
- الأمر المحكم المربوط فيما يلزم أهل الطريق من الشروط (في مجموعة التحفة البهية)، الاستانة (مطبعة الجوانب) ١٣٠٢ هـ = ١٨٨٥ م.
- قصيدة المعشرة (وشرحها: مأوى الرغائب في مجد النصائح للشيخ عثمان عبد المنان)، الاستانة ١٣٠٦ هـ.
- مجموع الرسائل الألهية، مصر، مصر ١٣٢٥ هـ = ١٩٠٧ م.
- مجموع رسائل: الرسالة الألهية - القدسية - الاتحادية - السريانية - المشهدة - الفردوسية - العنصرية - الوجودية، القاهرة (مطبعة كردستان) ١٣٢٨ هـ.
- تاج الرسائل ومنهاج الوسائل في إيضاح المعاني الألهية المودعة في المعاني الروحية (في مجموع)، القاهرة (مطبعة كردستان) ١٣٢٨ هـ.
- الأخلاق، القاهرة (مطبعة التتقم) بلا تاريخ.
- الدور الأعلى (في مجموع الهي؟) القاهرة ١٢٨٢ هـ.
- الوصايا، بيروت (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات) بلا تاريخ.
- رسائل محي الدين بن عربي، حيدر آباد (دائرة المعارف العثمانية) ١٩٤٨ م.
- العقيدة النظامية (محمد زاهد الكوثري)، القاهرة (مطبعة الأنوار) ١٩٤٨ م.
- مجموعة ساعة الخبير^(٢) (علي محمد الضباع)، القاهرة (مصطفى الباي الحلبي) ١٩٤٩ م.
- المواسم من القواصم (محبّ الدين الخطيب)، القاهرة (لجنة الشباب المسلم) ١٣٧١ هـ.
- أحكام القرآ - (علي محمد الجاوي)، القاهرة (الباي) ١٩٥٧ - ١٩٥٨.

(١) الكتب الواردة هنا لم ترد في ترجمة ابن عربي في الجزء الثالث.

(٢) في التنجيم.

- ترجمان الأشواق (حرّره نكلسن)، لندن ١٩١١ م؛ بيروت (دار صادر) ١٩٦١ م ثم ١٩٦٦ م.
- تفسير القرآن الكريم، القاهرة (بولاق) ١٢٨٣ هـ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣١٧ هـ بيروت (دار اليقظة العربية) ١٩٦٨ م.
- محاضرات الأبرار، بيروت (دار اليقظة العربية) ١٩٦٨ م.
- رسالة القدس أوروبح القدس (عزّة حصرية)، دمشق (مطبعة العلم)، ١٩٦٤ و ١٩٧٠ م.
- الفتوحات المكيّة (عثمان مجي)، القاهرة (الهيئة العامّة المصرية للكتاب) ١٩٧٢ - ١٩٧٨.
- *- الفتح المبين في ردّ اعتراض المتعرض على مجي الدين، تأليف عمر العطار الدمشقي، القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٥ هـ.
- تنبيه النفي إلى تكفير ابن عربي: تحذير العباد من أهل العناد، تأليف برهان الدين البقاعي^(١).
- شروح رسالة الشيخ أرسلان في علوم التوحيد والتصوّف، تأليف وتحقيق^(٢) عزّة حصرية، دمشق (مطبعة العلم) ١٩٦٥.
- ابن عربي: حياته ومذهبه، تأليف ميخيل آسين بلاثيوس (ترجمة عبد الرحمن بدوي)، القاهرة (مكتبة الأنجلو المصرية) ١٩٦٥ م.
- فهرست مؤلفات مجي الدين بن عربي، عني بجمعه كوركيس عوّاد^(٣).
- التكلمة (رقم ٦٥٢)؛ الذيل والتكملة ٦: ٤٩٣ - ٤٩٨؛ عنوان الدراية ١٥٨ - ١٦٠؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣: ٧٠٧ - ٧١١؛ الأعلام للزركلي (٦: ٢٨١ - ٢٨٢)؛ سركيس ١٧٥ - ١٧٩؛ بالنشأ ٣٧١ - ٣٨٦، تمّ في أماكن أخرى (راجع الفهرس الهجائي) فيها أشياء مفيدة؛ نيكل ٣٥١ - ٣٥٢؛ مختارات نيكل ١٧٢ - ١٧٣؛ سركيس ١٧٥ - ١٨٠.

سهل بن محمد الأزدي الفرناطي

١- هو أبو الحسن سهل بن الحاجّ أبي عبد الله محمد بن سهل بن مالك الأزديّ

-
- (١) تحقيق وتعليق عبد الرحمن الوكيل (راجع نقده في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ٣١: ١٣٠).
 - (٢) كذا على غلاف الكتاب. ويبدو أن الكتاب رسالة جامعية (٤) يمتزج فيها التأليف بالنصوص.
 - (٣) راجع مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ٣٠: ٥١.

الغَرْنَاطِيُّ^(١)، وُلِدَ بَغْرَاطَةَ سَنَةَ ٥٥٩ لِلهِجْرَةِ (١١٦٣ - ١١٦٤ م) وَتَلَقَّى الْعِلْمَ عَلَى نَفَرٍ كَثِيرِينَ^(٢) مِنْهُمْ فِي (غَرْنَاطَةَ): خَالَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَرُوسٍ وَأَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْمُنْعَمِ ابْنُ الْفَرَسِ (٥٢٤ - ٥٩٩ هـ) وَ (فِي مَالِقَةَ) أَبُو الْقَاسِمِ السُّهَيْلِيُّ (ت ٥٨١ هـ) وَعَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْفَخَّارِ (ت ٦٤١ هـ) وَأَبُو الْقَاسِمِ بْنِ حُبَيْشٍ وَ (فِي إِسْبِيلِيَّة) أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْمَجْدِ وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَرْقُونٍ (ت ٥٨٦ هـ). ثُمَّ إِنَّهُ تَبَدَّرَ لِلإِقْرَاءِ فِي غَرْنَاطَةَ وَإِسْبِيلِيَّةٍ ثُمَّ فِي مُرْسِيَّةٍ أَيَّامَ مَنْفَاهُ فِيهَا^(٣). وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي مُنْتَصَفِ ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ سَنَةِ ٦٣٩ (١٢٤٢/٥/١٧ م).

٢ - كان سهلٌ بنُ مُحَمَّدٍ الأَزْدِيُّ الغَرْنَاطِيُّ بارعاً في عددٍ من فنونِ المعرفة: الإِقْرَاءِ وَالْحَدِيثِ وَالْفِقْهَ وَاللُّغَةَ وَالنَّحْوَ وَالْأَدَبَ، وَكَانَ لَهُ نَظْمٌ وَنَثْرٌ وَتَرْسُلٌ وَخُطْبٌ. وَكَانَ مُصَنِّفًا، لَهُ كِتَابٌ فِي الْعَرَبِيَّةِ (النَّحْوِ) مُرْتَبٌّ عَلَى نَسَبِ كِتَابِ سَيِّبَوَيْهِ^(٤) (وَلَكِنْ لَمْ يُتِمَّهُ) ثُمَّ لَهُ تَعَالِيقٌ عَلَى كِتَابِ الْمُتَصَفِيِّ فِي أُصُولِ الْفِقْهِ (لِلغَزَالِيِّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٥٠٥ هـ).

٣ - مختارات من شعره:

- قال سهل بن مُحَمَّدٍ الأَزْدِيُّ الغَرْنَاطِيُّ فِي أَخْلَاقِ النَّاسِ:

نَهَارَكَ فِي بَحْرِ السَّفَاهَةِ تَسْبَحُ، وَلَيْلِكَ عَنِ نَوْمِ الرِّفَاهَةِ يَصْبِحُ^(٥).

-
- (١) هذا النسب مأخوذ من برنامج الرعيبي (ص ٥٩) لأنَّ الرعيبي تلميذه. وفي التكملة والذيل (٤: ١٠١): سهل بن أحمد بن سهل بن أحمد بن مالك ...
- (٢) راجع أسماء شيوخ الرعيبي والمعارف التي كانوا يقرئونها في برنامج شيوخ الرعيبي وفي الذيل والتكملة.
- (٣) نفي من غرناطة إلى مرسية، في أيام المتوكل بن هود المستبد بجنوب الأندلس (٦٢١ - ٦٣٥ هـ) قبل بني الأحرار.
- (٤) هو سيبويه عمرو بن عثمان (محو ١٤٠ - ١٨٠ هـ) إمام انحاة المصريين، له كتاب في النحو جامع مشهور جيّد يعرف بكتاب سيبويه أو بالكتاب فقط.
- (٥) نهارك (بالصب) ظرف مفعول فيه، أي «تبقى طول نهارك». وليلك مثلها. يصبح: يدخل في الصباح - إذا ذهب الليل وطلع الصبح كنت قد نمت نوماً هادئاً هانئاً.

وفي لَفْظِكَ الدَّعْوَى، وليس إزاءها
 إذا لم تُوافق قَوْلَةَ منك فَعَلَةٌ،
 تَنَحَّ عن الغاياتِ، لست بأهلها.
 إذا كُنْتَ في سِنِّ النُّهَى^(٣١) غيرَ صالحٍ،

- وقال في الاضطراب والاطمئنان:

مُنْفَعُ العيشِ لا يَأوي إلى دَعَةٍ
 والساكِنُ النفسِ من لم تَرْضَ هِمَّتَهُ
 من كان ذا بليدٍ أو كان ذا وَدٍ^(٣٢)
 سَكَنِي مكانٍ ولم يركنْ إلى أَحَدٍ^(٣٣)!

- وله في الحماسة (وصف صلابة نفسه): من «برنامج الرعيبي»:

أدافعُ هَمِّي عن جوانبِ هِمَّتِي،
 وألْتَمِسُ العُتْبَى وحيداً، وعائِي
 وإِنِّي - من عَزَمِي وحَزَمِي وهِمَّتِي
 لَفِي مُنْصِبِ تَعْلُو السَّمَاءِ سَهْمَتَهُ
 وتَأبِي هُمومُ العارفينَ على الدَفْعِ^(٣٤)
 وَصَرَفُ اللَّيالي والحِوادثِ في جَمْعِ^(٣٥)
 وما رَزَقْتَهُ النفسُ من كَرَمِ الطَّبْعِ -
 فَتَشَبَّتُ نوراً في كواكِبِها السَّبْعِ^(٣٦)

- (١) الدعوى: الادعاء (ادعاء المرء ما ليس فيه). إزاءها: إلى جانبها، معها. الزاكي: الطاهر، الصالح. مصحح: صحيح (مؤيد بأفعالك الصالحة الدالة على كلامك وادعائك).
- (٢) تنح: ابتعد، اترك. الغاية: علامة منصوبة يستيق الناس (يسابق الناس بعضهم بعضاً في الوصول إليها. بأهلها = بأهل لها (لا تلتق بك لأنك غير قادر عليها). الهوينا: التأتي والبطء. - إن الذي يراقبك يدرك أنك تفضل الحياة التي لا كفاح فيها.
- (٣) النهى: العقل.
- (٤) - (اجمل النظر الثاني في اجتلاء المعنى قبل الشطر الأول). من كان ذا بلد (صاحب دار أو بيت) البلد: الدار (لفظة يمانية، تاج العروس، الكويت ٧: ٤٤٤). وسهل بن محمد أزددي (أصله من أزد اليمن). - من كان ذا بلد وذا ولد (يحمل تبعة).
- (٥) - من أراد أن يعيش هادئاً فلا يسكن في مكان لا يثق بأحد من أهله.
- (٦) - أحاول أن أبعد الهوم عني، ولكن علمي العميق بمخاطر الحياة لا يمكنني من نسيان تلك الهوموم.
- (٧) العتبي: الرضا، وإرضاء العاتب (اللائم، المنتقد). - المصابب والأحداث تسوغ أن يظل العاتب عاتباً.
- (٨) سماته (؟) لعلها جمع سمة (بكر فتحج): علامة (صفة، فضيلة). - فضلي يملح نوراً على النجوم.

تُرَابٌ لِنَعْلِي أَوْ غِبَارٌ عَلَى سَنَمِي^(١) .
صُرُوفُ اللَّيَالِي كَمِي تُمَزَّقٌ مِنْ ذِرْعِي -
وَلَا نَحْتَتُ أَصْلِي وَلَا هَصْرَتُ فِرْعِي^(٢) .
وَإِنْ رَجَعْتَ لِي لَا يَضِيقُ بِهَا ذِرْعِي^(٣) .

غَلا صَرَفُ دَهْرِي إِذْ عَلَا، فَإِذَا بِهِ
تَدَرَعْتُ بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ - وَأَجَلَبَتُ
فَمَا مَلَأْتُ قَلْبِي وَلَا قَبِضْتُ يَدِي
فَإِنْ عَرَضْتَ لِي لَا يَفْوُهُ بِهَا قَمِي،

- وَقَالَ يَصِفُ شَمْعَةً:

مَذْهَبِ أَثْنَاءِ الْمُرُوجِ صَقِيلِ^(١) ،
بَسِيرِ صَحِيحِ وَاصْفِرَارِ عَلِيلِ^(٢) .
وَأَذْنَ بَاقِي نَوْرِهَا بِرَحِيلِ^(٣) ،
كَقَلْبِي مُسَوِّدًا لَفَقْدِ خَلِيلِي،
فَمَزَّقَ سِرْبَالَ الدُّجَى بِفَتِيلِ^(٤) .
جُشْبِيهِ شَمْسٍ فِي شَبِيهِ أَصِيلِ^(٥) ۱

وَلَا مِثْلَ يَوْمٍ قَدْ نَعِمْنَا بِجُسْنِهِ،
إِلَى أَنْ بَدَتِ شَمْسُ النَّهَارِ تَرُوعُنَا
وَلَمَّا تَوَارَتْ شَمْسُهُ بِجِجَابِهَا،
وَعَابَتْ فَكَانَ الْأَفْقُ عِنْدَ مَغِيبِهَا
أَتَانَا بِهَا صَفْرَاءُ يَسْطَعُ نَوْرُهَا
فَرَدَّتْ عَلَيْنَا شَمْسَنَا وَأَصِيلَنَا

- (١) - لَمَّا عَظُمَتْ مَصَائِبُ دَهْرِي عَلَيَّ غَلَتْ (أَفْرَطَتْ، الْفَتَّ فِي مَعَاوَلَةٍ إِذْ لَاقِي فَلَمْ تَلِ مَنِّي غَايِبَهَا). الشَّع: سِيرَ تَرَبُّطٌ بِهِ النَّعْلُ.
- (٢) مَلَأْتُ قَلْبِي: أَخَافَتُنِي. قَبِضْتُ يَدِي: مَنَعَتُنِي التَّصَرُّفَ الْعَاقِلَ فِي الْأُمُورِ. نَحْتَتُ أَصْلِي: عَابَتُنِي، نَقَصْتُ مِنْ شَرَفِي. هَصْرَتُ (خَفَضْتُ) فِرْعِي (غَضَبِي): لَمْ تَدَلَّنِي، لَمْ تَخْضَعْنِي لِمَلْهَا: نَحْتَتُ أَتْلِي (الْأَتْلُ نَوْعٌ مِنَ الشَّجَرِ). وَفِي الْقَامُوسِ (٣: ٣٢٧): وَهُوَ يَنْحَتُ فِي أَتْلَتِنَا (يَطْمُنُ فِي حَسْبِنَا).
- (٣) - لَا أَشْكُو مِنْهَا وَلَا يَضِيقُ ذِرْعِي (صَدْرِي): أَغْضَبَ.
- (٤) - لَمْ نَسْرَبْ بِحَسَنٍ يَوْمٍ مِنْ قَبْلِ كَمَا سَرَرْنَا بِيَوْمِنَا هَذَا. أَثْنَاءُ الْمُرُوجِ: صَفُوفُ النَّبَاتِ فِيهَا (٢). مَذْهَبَةٌ (بِالزَّهْرِ أَوْ بِنُورِ الشَّمْسِ!).
- (٥) رَاعَهُ: أَعْجَبَهُ مَعَ شَيْءٍ مِنَ الْهَيْبَةِ وَالخَوْفِ. - تَسِيرُ فِي الْفَلَكَ كَالرَّجُلِ الصَّحِيحِ (مُسْتَقِيمَةِ السَّرِيرِ دَائِبَةً) وَلَكِنْ كَالرَّجُلِ الْعَلِيلِ (صَفْرَاءُ اللَّوْنِ) - لَمَلَّ ذَلِكَ كَانَ فِي أَوَائِلِ الرَّبِيعِ!
- (٦) تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ: غَايَبَتْ، اقْتَبَسَ مِنْهُ حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (٣٨: ٣٢ سورة ص). أَذْنَ بِهِ: أَعْلَمُ (أَوْشَكَ، اقْتَرَبَ). بَاقِي نَوْرِهَا: الْفَسْقُ (اللُّوْنُ الْبَاقِي عَلَى الْأَفْقِ الْغَرْبِيِّ بَعْدَ غِيَابِ الشَّمْسِ).
- (٧) بِهَا (بِشَمْعَةٍ). سِرْبَالٌ: ثَوْبٌ. فَتِيلٌ: خَيْطٌ مَفْتُولٌ يَكُونُ فِي الشَّمْعَةِ وَتَضَاءُ بَوَاسِطَتِهِ.
- (٨) رَدَّتْ شَمْسَنَا: أَضَاءَتْ لَنَا (فِي اللَّيْلِ). أَصِيلُنَا (الْوَقْتُ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْمَغْرَبِ)، أَيِ جَمَلَتْ النُّورُ فِي اللَّيْلِ مِثْلَهُ قَرِيبَ الْغُرُوبِ لَا عِنْدَ الظُّهْرِ (كَانَ ضَوْؤُهَا قَلِيلًا). فِي شَبِيهِ أَصِيلٍ: لَوْنُ الشَّمْعَةِ كَانَ أَحْفَرَ مِثْلَ لَوْنِ الْمَوْءِ عِنْدَ الْأَصِيلِ.

- وله أيضاً (نفع الطيب ٣ : ٦٠٠ - ٦٠١) :

وَرُبَّ يَوْمٍ وَرَدْنَا فِيهِ كُلَّ مِثْي، وَقَلَّ فِي مِثْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ أَنْ نُرِدَا^(٣)،
فِي رَوْضَتَيْنِ بِشَطْطِي سُلْسَلِي سِيمِ، كَمَا اجْتَلَيْتَ مِنَ الْمَحْبُوبِ مُفْتَقِدًا^(٤)،
يُبَدِّدُ الْقَطْرُ فِي أَثْنَائِهِ حَلَقًا، فَتَنْظِمُ الرِّيحُ مِنْهَا فَوْقَهُ زَرْدًا^(٥)،
- وَيُرَوَّى لَهُ (المغرب ٢ : ١٠٥) :

كُلُّ وَجْدٍ سَبَعْتُمْ دُونَ وَجْدِي، لِأَصِيلِي يَفُوتُ طَرْفِي بِنَجْدِي^(٦)،
حَيْثُ جَرَزْتُ ذَيْلَ كُلِّ مُجُونٍ، بَيْنَ حُورٍ تَمِيسُ فِيهِ وَرَنْدِي^(٧)،
وَسَوَاقِي كَأَنَّهُنَّ سِيُوفٌ، جُرِدَّتْ فِي الرِّيَاضِ مِنْ كُلِّ غَمْدِي.

- (من نفع الطيب ٧ : ٩ - ١٠)^(٨) :

قال ابن سعيدي^(٩) : سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ سَهْلَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ : إِنَّهُ دَخَلَ عَلَى ابْنِ زُهْرٍ^(١٠) ، وَقَدْ أَسْنَى (ابن زهر) وَعَلَيْهِ زِيُّ الْبَادِيَةِ - إِذْ كَانَ يَسْكُنُ بَعْضَ سَبْتَةِ - فَجَلَسَ حَيْثُ انْتَهَى بِهِ الْمَجْلِسُ . وَجَرَّتِ الْمُحَاضِرَةُ أَنْ أُنشِدَ (أبو الحسن سهل بن مالك) مُوشِحَةً وَقَعَ فِيهَا :

- (٣) النية : المشتى ، الغاية . ورد : شرب (تمتع) .
- (٤) السلسل : الماء العذب (الخفيف) الذي يمر في الحلق بسهولة . شم : بارد . - كما لو رجع إليك محبوبك الذي كان قد هجرك .
- (٥) القطر : المطر . في أثناؤه : في أثناء النهر . - يجري النهر فيندفع ماؤه في شبه حلقات متفرقة ، فإذا هبت الرياح على النهر قربت بعض تلك الحلقات من بعض فتبدو كأنها زرد درع .
- (٦) وجد : حب ، شوق . دون : تحت (أقل) لأصيل إلخ (٢) .
- (٧) تمتت بكل هو . الحور جمع حوراء : بيضاء (امرأة جميلة) . الرند شجر طيب الرائحة . ماس : تأهيل . ويجوز : الحور (بالفتح) : نوع من الشجر الكبير العالي .
- (٨) يبدو المقطع التالي وكأنه غريب عن حياة صاحب الترجمة ، ولكنه يوافق أحداث حياة صاحب الترجمة في المكان والزمان والاسم . فيحسن التفطن إلى ذلك .
- (٩) ابن سعيدي = علي بن موسى بن عبد الملك بن سعيدي (ت ٦٨٥ هـ) أحد مؤلفي كتاب «المغرب في حلى المغرب» .
- (١٠) ابن زهر = أبو بكر محمد بن عبد الملك بن زهر (ت ٥٩٥ هـ) طبيب موفق وشاعر مجيد ووشاح بارع .

كُحِلُّ الدُّجَى بِجَرِي مِنْ مَقَلَّةِ النَّهْرِ عَلَى الصَّبَاحِ،
وَمِغْصَمُ النَّهْرِ فِي حَلْسِ خُضْرٍ مِنَ الْبَطَاحِ.

فتحرك ابن زهر وقال: أنت تقول هذا؟ قال: اختبر. قال (ابن زهر): ومن تكون؟ فأخبره فقال (ابن زهر): ارتفع، فوالله، ما عرفتك.....
(وَمِنْ اشْتَهَرَ بِالتَّوَشِيحِ) أَبُو الْحَسَنِ سَهْلُ بْنُ مَالِكٍ بَغْرَنَاطَةَ. قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ: كَانَ وَالِدِي يُعْجَبُ بِقَوْلِهِ:

إِنَّ سَبِيلَ الصَّبَاحِ فِي الشَّرْقِ عَادَ بَحْرًا فِي أَجْمَعِ الْأُفُقِ (١)
فَتَدَاعَتْ نَوَادِبُ الْوَرَقِ (٢) أَتْرَاهَا خَافَتْ مِنَ الْفَرْقِ
فَبَكَتْ سَحْرَةً عَلَى الْوَرَقِ (٣)!

٤- ** زاد المسافر ٩٦-٩٧ (رقم ٢٣): برنامج الرعيبي ٥٩-٦٣ المغرب ٢: ١١٠٥،
الذيل والتكملة ٤: ٢٢٩ (ص ١٠١-١٢٤)، الديباج المذهب ١٢٥ بغية الوعاة
٢٦٤-٢٦٥ نوح الطيب ٢: ١١٢، ٣: ١٩٣، ٣٧٢، ٦٠٠-٦٠١، ٤: ٨،
٣١١، ٧: ٩-١٠، الأعلام للزركلي (٣: ١٤٣).

أبو بكر بن قسوم

١- هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله بن قسوم (١) بن أصبغ بن مهني

-
- (١) سيل الصباح: عمود النور الذي يرى فوق الأفق الشرقي بعد الفجر. عاد بجرأ: انتشر.
(٢) تداعت: دعا بعضها بعضاً. النوادب جمع نادبة (اشتهر صوت الحمام بأنه يوحى بالفرح والمزج في وقت واحد). الورق جمع ورقاء: الحمامة.
(٣) سحرة: في الصباح الباكر. على الورق: على الأغصان (المكتسية بالورق).
(١) لعل « قسوم » تصغير « قاسم ». « مهني » ضبطت بفتح فسكون ثم كسرة من غير شدة على الهاء (برنامج الرعيبي ٩٢). وضبطت في الذيل والتكملة (٦: ٢٤٣) « بضم الميم وفتحة حائرة بين الهاء والنون وبالف مقصورة: هاء بلا نقطتين). وفي تاج العروس (الكويت ١: ٥١٤): « المهنا (بضم ففتح فتح على بنون مشددة ثم همزة) اسم رجل.

الأندلسي اللخمي الإشبيلي، وُلد لثلاثِ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ رَجَبِ سَنَةِ ٥٦٣^(١) (١١٦٨/٤/٢٥ م).

روى أبو بكر بن قسوم عن نفرٍ من العلماء منهم ابنُ عمران المارتنِي (ت ٦٠٤ هـ؛ راجع ترجمته)، لآزَمَهُ مُدَّةٌ طَوِيلَةٌ وَأَخَذَ عَنْهُ طَرِيقَةَ التَّصَوُّفِ. ثُمَّ كَانَ مِنْهُمْ: أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ مَلَكُونِ الْحَضْرَمِيِّ الْإِشْبِيلِيِّ النَّحْوِيِّ (ت ٥٨١ هـ) وَالْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْجَدِّ، وَقَدْ أَجَازَ لَهُ؛ وَمِنْهُمْ أَيْضاً أَبُو الْعَبَّاسِ بْنِ سَيْدٍ، وَكَانَ كَثِيرَ الرِّوَايَةِ عَنْهُ ثُمَّ أَبُو إِسْحَاقَ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ سَيْدِ أَبِيهِ^(٢).

ودخل أبو بكر بن قسوم - في أوّل أمره - في خِدْمَةِ أَحَدِ أَمْرَاءِ وَقْتِهِ وَنَالَ مَعَهُ دُنْيَاً وَاسِعَةً وَجَاهاً عَرِيضاً. ثُمَّ إِنَّهُ زَهَدَ وَتَرَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ وَأَشْتَغَلَ مُدَّةً بِإِقْرَاءِ الْقُرْآنِ وَنَسَخِ الْمَصَاحِفِ. ثُمَّ كَفَّ بَصْرَهُ فِي آخِرِ عُمُرِهِ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي رَابِعِ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ سَنَةِ ٦٣٩ (١٢٤٢/٦/٦ م).

٢- كان أبو بكر بن قسوم ورعاً زاهداً، وقد أشتهر بذلك. وكذلك كان يقضي كثيراً من أيامه صائماً مع الإقلال من الطعام. وهو أديبٌ بارع وناظمٌ وناثر، سهل اللغة واضح المعاني قليل التكلف، ولكن أكثر معانيه مأخوذة من الأمثال ومن الأشعار.

من ذلك مثلاً:

قد قلتُ قولاً للخليفة ناصحاً قول المحقّق والنصيح المُشْفِقِ:
لا تُصَحِّبَنَّ، مَا عِشْتَ، قَارِيءَ مَنْطِقِي؛ «إِنَّ الْبَلَاءَ مَوْكَلٌ بِالْمَنْطِقِ».
وكذلك قوله:

(١) في برنامج الرعيبي (ص ٩٤): ثلاثة (١) وخمسون وخمسة. (٢) أبو العباس بن سيد لم يرد في فهرس برنامج الرعيبي (ولم أهدأ أنا إلى شيء عنه). ابن سيد أبيه هو (برنامج الرعيبي ١٢٠) إبراهيم بن أحمد بن محمد الزهري من أهل إشبيلية ومن القراء (للقرآن) والحفاظ (للحديث).

★ أصبحتُ لا أنا في الزَّهَادِ مُنْقَطِعٌ
 مثلُ النَّعَامَةِ لا طَيْرٌ فَتَلْحَقَهَا
 ★ دَفَعْتُ إلى الزَّمَانِ غُرَابَ بَيْنِ
 فَإِنْ يَكُنُ الْغُرَابُ جَنَى آغْتَرَابًا،
 حَقًّا، ولا كَاسِبٌ أَغْدُو إلى السُّوقِ (١) :
 مَعَ الطَّيُورِ ولا تُحْدِي مَعَ النَّوْقِ (٢) .
 فَمَوْضِي الزَّمَانُ بِهِ حَامَا (٣) .
 فَقَدْ جَلَبَ الحَمَامُ لَنَا حَامَا (٤) .

صَحِيحْنَا، وكان الضَّحْكُ مَنَّا سَفَاهَةً .
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ المَوْتَ حَقًّا وَأَنَّنا
 هَلِ المَرءُ إِلَّا كالزُّجَاجَةِ كُلِّها
 وَحَقُّ لَنَا، أَهْلَ البَسيطَةِ، أَنْ نَبْكِي،
 سَخِيًّا لِمَلِكٍ أَوْ سَخِيًّا إلى هُلْكَ (٥) ؟
 تَخَلَّلَها صَدْعٌ أُعِيدَتْ إلى السَّبِكِ (٦) ؟

أَمَّا فَنُونُهُ فَيَعِي الزَّهْدُ والحِكمةَ والرِّثاءَ . ويبدو أَنَّهُ كان مُكثِرًا من النظم والنثر
 والترسل (في أيامِ خِدْمَتِهِ في ديوانِ أَحَدِ الأُمراءِ) ولكنَّهُ أَتَلَفَ ما كان قد أَنشأ من
 الرسائل ونظم من الشعر . ومع ذلك فقد حُفِظَ من شعره جانبٌ غيرٌ قليل .

وكذلك كان أَبُو بَكْرِ بْنُ قَسُومٍ مُصَنِّفًا في الزهدِ والتصوِّفِ ورجالِها، له: محاسنُ
 الأبرارِ في مُعامَلَةِ الجَبَّارِ (٧) - النَبْذَةُ المُشْتَمِلَةُ على سُذُورِ المنظومِ والنشورِ (لعلَّ هذه
 النَبْذَةُ هِيَ التي كان أَبْنُ قَسُومٍ قد أَتَلَفَها) .

-
- (١) منقطع (لا يعمل عملاً آخر). الكاسب: الذي يمسى لكسب رزقه. غدا: ذهب في الصباح.
 (٢) تلحقها (أنت): تنسبها إلى الطير، تعدها في الطيور. تحدى (تساق). النوق جمع ناقة.
 (٣) غراب بين (فراق): شعر أسود كالغراب من المعروف أنه سيبين (سيبتد): سيصبح بعد سواده
 أبيض. حام (كناية عن الشعر الأبيض).
 (٤) إذا كان الشعر الأسود لما جاء إلى رأسي جاء ومعه التهديد بالاغتراب (بالهجر، بالذهاب)، فإن الحمام
 (بفتح الحاء: اللون الأبيض في الشعر) جاء ومعه نذير بالحمام (بكسر الحاء: الموت).
 (٥) البيتان الأول والثالث تزييف لبيبي أبي العلاء المعري:

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة
 يحطمننا ريب الزمان كأننا
 * وللسبك عاد كبير الزجاج
 ولا بسبك السدر إذ ينكسر، الخ.

- (٦) الهلك: الهلاك. سخييا ملك (٢).
 (٧) الصدع: الشق (بالفتح).
 (٨) الأبرار جمع بار: الرجل العابد الزاهد (والكثير الطاعة لله والرحيم بأهله). الجبار (من أسماء الله
 الحسنى). راجع تاج العروس (الكويت ١٠: ١٥٤).

- لأبي بكر بن قسوم مثنان:

- تَجَنَّبَ مَا اسْتَطَمْتَ إِخَاءَ قَوْمٍ
فَظَاهِرُهُمْ، إِذَا نَظَرُوا، يُسَابُ؛
★ عِلْمُ الشَّرِيعَةِ قَدْ عَفَتْ آثَارُهُ،
وَمَضَى الْحَلَالُ، فَمَا بَقِيَ مِنْهُ سِوَى
★ أَقُولُ، وَحُكْمُ اللَّهِ يَنْغُذُ فِي الْوَرَى،
أَلَا لَيْتَ عَيْنِي أَذْهَبَ الدَّمْعَ نَوْرَهَا،
★ لَا ذَنْبَ لِي عِنْدَ الْغَوَانِي، إِنْ بَدَأَ
كَرَهُ الْغَوَانِي مِنْ بِيَاضِ مَفَارِقِي
★ إِذَا كُنْتُ ذَا مَالٍ فَكُنْ ذَا مَحَامِدٍ،
هَلِ الْمَالُ إِلَّا عَارَةٌ مُسْتَرْدَّةٌ؟
★ إِذَا شِئْتَ يَوْمًا أَنْ تَعْفَ عَلَى الْوَرَى
فَأَعْطِهِمْ مَا كَانَ عِنْدَكَ وَافِرًا،

- حَدِيثُهُمْ، إِذَا اعْتَبَرُوا، عُجَابٌ^(١)؛
وَبَاطِنُهُمْ، إِذَا خَبِرُوا، ذُئَابُ.
فَالْكُلُّ يَخْطِطُ مِنْهُ فِي عَمِيَاهُ^(٢).
خَبَّرَ كَمَا وَصَفُوا عَنِ الْعَنْقَاءِ^(٣).
وَقَدْ عَلِمَ الرَّحْمَنُ صِدْقَ مُرَادِي:
وَيَا لَيْتَ خَوْفَ النَّارِ فَتَّ فُؤَادِي.
مِنِّي الْمَشِيبُ فَعِضَنَ مَا قَدْ عَفَيْتَهُ^(٤).
مَا لَوْ بَدَأَ بِرُؤُوسِهِنَّ كَرِهَتَهُ^(٥).
فَمَا خَيْرُ مَالٍ لَا يُؤْتَلُ بِالْحَمْدِ^(٦)؟
فَجُدَّ كَرَمًا؛ إِنَّ الْعَوَارِيَّ لِلرَّدِّ^(٧).
وَتُخْرِزُ مِنْ أَهْلِ الْمَوَدَّاتِ وَدُهُمَّ،
وَوَفَّرَ عَلَيْهِمْ كُلَّ مَا كَانَ عِنْدَهُمْ.

- (١) العجَابُ (بالضَّمِّ): ما يدعو إلى العجب الشديد.
(٢) عفا أثره (أمحى، زال). خبط: سار على غير هدى. العمياء (أرض عمياء لا يرى السائر فيها علامة تدلّه على الطريق).
(٣) الحلال (الكسب من وجوه مشروعة). كما وصفوا (كذا في الأصل)، لعلها: كما ذكروا (وهذا أصح في المعنى). العنقاء: طائر خرافي.
(٤) عاف: كره، هجر، ترك.
(٥) ان الغواني (جمع غانية: المرأة الجميلة والمستغنية بجهاها الطبيعي عن التزّين بالحلي) تكره الشيب في رأس الرجل كما يكره الرجل الشيب في رأس المرأة.
(٦) أتّل الحمد: تّمّاه (زاد في قيمته).
(٧) العارة والعارية: ما تطهيه لفورك على شرط أن يرده إليك (أو يرده إليك مثله) فيما بعد. والعواري (بتشديد الياء جمع عارية). وجمع عارة عوار. وهذان البيتان أتكاه على قول بشر بن برد في مدح خالد بن برمك. والبيت الأخير من مدحة بشر:
فأطعم وكل من عارة مستردة ولا تبقيها، إن العواري للرد.

- وقال أبو بكر بن قسوم يرثي ابناً له تُوفِّيَ وله مِنَ العُمُرِ ثلاثٌ عَشْرَةَ سَنَةً
(ويبدو أنه كان ابناً وحيداً):

يُرُّ الحَبِيبُ بِقَبْرِ الحَبِيبِ فِلا ذَا يُنادِي، وَلا ذَا يُجِيبُ.
وَكَيفَ يُجِيبُ رَهينُ الثَّرَى رَمَاهُ الحِمامُ بِسَهْمٍ مُصِيبِ^(١)
تُنوسِي لَمَّا نَأى عَهْدُهُ، وَأَقْفَرَ مِنْهُ اللّوى وَالكَثِيبُ^(٢).
إِذا أودِعَ المَيِّتُ في لَحْدِهِ، فليس لَهُ - وَنَحَهُ، مِنْ حَبِيبِ.
* شَطَّتْ بَيْنَ نَهْوَاهِ عَنكَ الدارُ، وَقَضَّتْ عَلَيْكَ بِحُكْمِها الأَقدارُ^(٣).
بَرِّدْ لَهيبَ الشُّوقِ مِنْكَ بِعَبْرَةٍ تَنقَعُ ضُلُوعَكَ، لِأَنها لَحِيارُ^(٤).
رَحَلَ الحَبِيبُ عَنِ الحَبِيبِ، فَدَمَعُهُ عَندَ التَذَكُّرِ وَاكَفٌ مِدرارُ^(٥).
في الجَفْنِ مِنْهُ عَبرَةٌ سَيَّالَةٌ تَسْقِي المَحدودَ، وَفي حَشاها نارُ.
يا حُرْقَةً، يا فَجْعَةً، يا لَوْعَةً سَكَنْتَ فُوادي ما لَها مِقدارُ^(٦).
يا ظانِعاً حَطَّ الرِكابَ بِمَعرِشِ عَمِيتَ عَلينا مِنْهُمُ الأَخبارُ^(٧)،
لَهُ مِنْكَ هِلالٌ عَشْرٌ قُورِنَتِ بثلاثَةِ لو بِمَكمُلِ الإِبدارُ^(٨)!
أُنسَتِ بِرِزْوَرَتِكَ القُبورُ، وَأَصبَحَتِ مِنْكَ الدِيارُ كَأَنَّهُنَّ قِفارُ^(٩).

- (١) الرهين: المرهون (المحبوس). الحمام (بالكسر): الموت. الثرى: التراب.
- (٢) نأى: ابتعد. نأى عهده (طال الزمان بعد انقضاء حياته). اللوى (الرمال المستدير) والكثيب (الرمال المستطيل المحدوب) كتابة عن الأماكن التي يسكنها البدو (أو يسكنها الناس عامة).
- (٣) شطت: أصبح بعيداً.
- (٤) العبرة: الدمعة (البكاء). نفع الماء غلتي (حرارة جوفية): أذهبها. والأصل: نفع الماء العطش (أذهبه). حرار جمع حرى: شديدة العطش أو الحزن (أو الحرارة).
- (٥) دمعه (الهاه ضمير يرجع إلى «الحبيب» الثاني). واكف: سائل. مدرار: كثير السقوط (كالطرر).
- (٦) الفجعة: فقد عزيز (كموت قريب أو حبيب أو نسيب) أو خسارة ثمين (كالمال). واللوعة: الحرقه والألم من حباً أو حزن. مال ها مقدار (ما لها مقدار معروف = عظيمة جداً).
- (٧) الظان: الراحل. حط الرحال (جمع رحل بالفتح): السرح على الجمل أو الفرس) كتابة عن السكنى الدائمة.
- (٨) عشر = عشر ليال. بثلاثة (كذا في الأصل. والصواب بثلاث = مع ثلاث ليال). لم يكمل الإبدار (بلوغ القمر تمامه حتى يصبح بديراً (ليلة أربع عشرة). - يقول فقد ابنه، وعمر ابنه ثلاث عشرة سنة (ولم يبلغ بعد أربع عشرة سنة) يشبيهاً بالبدر الذي يبلغ تمامه في الليلة الرابعة عشرة.
- (٩) القفار (بالكسر) جمع قفر (بالفتح): أرض خالية.

ولقد أردتُك أن تعيشَ لكبري
ولقد تراكضنا الحياةَ لغايةٍ:
ما إن وجدتُ على مُصابك ناصرًا
- وقال أبو بكرٍ بنُ قسومٍ يذمُّ
(الفلاسفة) ثم هم يُعملون علومَ الشريعة:

ألا قَبِحَ الرحمنُ شرَّ عِصَابِي
تُصَدِّقُ ما قالَ ابنُ سيناَ ضِلَّةً،
أقاويلُ إفكٍ ما لها من حَقِيقَةٍ
ألا غَضِبَةُ اللهِ في نَصْرِ دِينِهِ
* عذيري، عذيري مِنْ فُرْقَةٍ
تَدِينُ بما قالَهُ فاسقُ
تُصَدِّقُ قولَ ابنِ سيناها

تَدِينُ بأقوالِ الفُؤادِ، وتَقْتَدِي^(١)
وتُكذِبُ قولَ الهاشميِّ مُحَمَّدٍ^(٢)
تُفيدُ سيوى الكُفْرِ الصريحِ المُجرَّدِ^(٣)
تَقْدُ طُلَاهُمُ بِالْحَسامِ المُهَنْدِ^(٤)
عَدَّتْ للشريعةِ أَعْدَى المِدى^(٥)
تَزَنِّدُ في قولِهِ وأَعْتَدِي^(٦)
وتُكذِبُ قولَ نبيِّ المهدى^(٧)

- (١) الكبرة التَقَمَ في السَّنِ كثيراً (حتَّى يعجز الإنسان عن قضاء حاجاته) والزمانة: المرض الدائم المتعد.
- أرادك (فضل أن يأخذك مني) الجيلر (الله).
- (٢) تراكضنا: ركضنا معاً (تسابقنا). يقال تراكضنا خيلنا (ينصب خيل على أنها مفعول به) جمعناها تركض في السباق. تراكضنا الحياة (بالنصب): جرت حياتي وحياتك في سباق (وكان المنتظر أن أسبقك أنا إلى الموت لأنني أبوك وأكبر منك سناً. فسبقت أنت (متى قبلي). وخانني أنا المضل، أي الحلبة - بفتح ففتح - التي تتسابق فيها الخيل. أنا عجزت عن أن أسرع في السباق).
- (٣) لم أجد ناصرًا (من الناس) يحنف من حزني. فكانت الدموع وحدها أنصاري. (تعيني على تحمل الصيبة). ولله بقصد أن يقول: أنصار جما لنصر (بالفتح) ونصرة (بالضم) بمعنى المظر (تاج العروس - الكويت ١٤: ٢٢٤ و ٢٢٤ و ٢٢٤) وحسن الموندة (ص ٢٢٥).
- (٤) الفؤادة جمع غاوة: الممن (المبالغ) في الضلال (في الهدى عن الصواب).
- (٥) ابن سينا (ت ٤٢٨ هـ) طبيب عالم بارع وفيلسوف. ضلة (بالكسر): أتباع غير الرشاد وغير الصواب.
- (٦) الأفك: الكذب.
- (٧) ألا غضبة لله (من حاكم قادر). تقد: تقطع. الطلا جمع طلاة (بالضم فيها): الرقبة، المنق. الحسام: السيف الذي يحسم (يقطع اللحم والعظم) المهند (صنع الهند) ويكون جيد الحديد جيد الصنع.
- (٨) العذير: العاذر والناصر والمساعد. عذيري من فلان: من يميني على (تقال) فلان؟
- (٩) دان: خضع وذل. اعتقد، عمل بقاعدة ما. الفاسق: الذي خرج عن طاعة الله، الجاهر بالمعصية.
- (١٠) ابن سينا (راجع حاشية تابعة للمقطوعة السابقة). نبي الهدى: محمد رسول الله.

مَتَى يَأْذَنُ اللَّهُ فِي حَنِيهَا بِضَرْبِ الْحُسَامِ وَحَزِّ الْمُدَى؟^(١)

٤- ** التكملة ٢: ٧٥٤ (رقم ٢١٢٧)؛ الذيل والتكملة ٦: ٢٤٢ - ٢٥٢ (رقم ٧٠٥)؛
برنامج الرعي ٩٢ - ٩٥؛ الأعلام للزركلي (٦: ٢٣٢).



(١) حسمها: قطعها (إبادته تلك الفرقة الفاسقة). الحسام: السيف القاطع. المديّة (بالضمّ): السكين.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

فهرس أعلام الأشخاص

- * وفيه عدد يسير من المدارك العامة.
- * ثم يرد في المقدمة عدد من الأعلام أخذتها من كتب أخرى أمثلة فلم أذخها في هذا الفهرس، وكذلك الأسماء الواردة في قائمة المصادر والمراجع.
- ح = في الحاشية؛ م = مكرّر.
- * والنسبة «ابن فلان» مقدمة على الكنية «أبو فلان»، إلا إذا كانت الكنية مشهورة جداً أو إذا كانت النسبة مجهولة.
- * واللقب: الصديقي، الصيرفي، الحجاري مقدمة على الكنية عموماً.

آ - أ

- | | |
|------------------------------------|-----------------------------------|
| إبراهيم بن وزمر (شخصان) ٣١٣ ح. | آدم ١٣٧، ٣١٠، ٣٢٥، ٣٤٧، ٣٨٧، |
| أبرويز الثاني ١٩٦ م. | ٤٢٤، ٦٤٦، ٧١٥ ح م. |
| أبقراط = بقراط. | آل زهر ٤٠ - ٤١. |
| أبليس ٣٢٥ ح، ٥١٧ م، ٦٢٨ ح. | الأمير الفاطمي - منصور بن أحمد |
| ابن الأبار - محمد بن عبد الله ٢٣٧، | ١٨٠. |
| ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٨ م، ٦٤٢ ح. | آمنة بنت وهب ٧١٥ م. |
| ابن الأبار (شخص مقامات) ٤٤٧. | إبراهيم (اسم) ٥٠٨ ح. |
| ابن الأبرش ٢٨٩. | إبراهيم الخليل ٤١٢ م. |
| ابن أبي بزّة = البرّي. | إبراهيم بن أبي بكر التلمساني ٣٦٨. |
| ابن أبي البقاء البلسي (٥٩٥ - | إبراهيم بن تاشفين = ابن تاشفين. |
| ٥٩٧). | إبراهيم بن محمد الاشبيلي ٣٦٦. |
| ابن أبي خازم ١٧٣ ح. | |

- ابن أبي الخصال - محمد بن مسعود (٢٦١ - ٢٦٤)، ٤٤، ٦٢، ٣٣٠، ٣٨٢، ٣٨٦، ٦٧١.
- ابن أبي الربيع - عبد الله بن احمد ٣٧٨.
- ابن أبي الركب = أبو ذرّ، محمد بن مسعود.
- ابن أبي رندقة = أبو بكر الطرطوشي.
- ابن أبي زمنين - عبد الله ١٧٠.
- ابن أبي زيد - أبو عليّ ٤٢٧.
- ابن أبي زيد القيرواني - أبو محمد ١٤٦.
- ابن أبي الصقر الخزرجي - ابو العباس أحمد بن عبد الرحمن (٤٠٧ - ٤١٠)، ٣٧٢.
- ابن أبي الصقر الخزرجي = عبد الرحمن ابن محمد.
- ابن أبي صواب ٢٣٧.
- ابن أبي الطواجين ٦٤٥.
- ابن أبي العافية ٢٧٩، ٢٨٠، ٣٠٧، ٣٠٩.
- ابن أبي عامر = المنصور.
- ابن أبي عامر (صاحب منية بلنسية) ٣١٨ ح.
- ابن أبي عمرو ٣٩٨، ٦٠٨.
- ابن أبي العيش - علي ٣٥٣، ٦٠٨.
- ابن الأبيض = ابو بكر.
- ابن الأثير ٧٣ ح.
- ابن أحلي (ذكر في شعر) ٥٨٢ م.
- ابن أحد القرشي التاريخي - جابر ٦٥٥.
- ابن الأحمر
- ابن أخت غانم - محمد بن معمر (١٥٩ - ١٦١)، ٢٣٧، ٣٥٣.
- ابن الأخضر الاشبيلي - علي ٢٣٧، ٢٨٩، ٣٠٧.
- ابن إدريس التجيبي - إبراهيم (٦٧٨ - ٦٧٩).
- ابن أرفع رأسه - علي ٣٧٦.
- ابن أزهر الحجري - أبو بكر ٦٢٧ م.
- ابن إسحاق (صاحب السيرة) ٤٦٨ م، ٥٦٨، ٥٦٩، ٦٩٧ م.
- ابن أسد الشاطبي (القاضي) ٢٥١.
- ابن أسد = ابن عتيق.
- ابن إسماعيل (الحافظ) ٢٨٠.
- ابن الأسود (ذكر في شعر) ٣١٠ م.
- ابن الأشركي = السرقطي.
- ابن أصبغ - عبد الجبار ٥٩.
- ابن أصبغ - عيسى ٣٦٨، ٦٣٢ م.
- ابن أصبغ = ابن المناصف

ابن باق الجذامي - محمد بن حكيم ٦٢ .
 ابن بحر الأسيدي ٢٦٨ .
 ابن بدر بن - عبد الملك (٥٨٢) -
 (٥٨٥)، ١٩٣ ح، ١٩٥ م .
 ابن براجان اللخمي - عبد السلام
 ، ٤٠ ، ٤٦٣ .
 ابن البراق - محمد بن علي
 (٥٣٠ - ٥٣٩) ، ٥٥٥ - ٥٥٦ .
 ابن برد - أبو حفص أحمد ٥١ م .
 ابن البرقي ٧٣٢ .
 ابن بركات = ابن هلال النحوي .
 ابن برنجال - محمد بن الحسن (٢٣٢) -
 (٢٣٣) .
 ابن برّي - محمد بن عبد الله ٦٢ ،
 ٥٩٣ .
 ابن بسام الشنتريني (٢٧٣ - ٢٨٠) ،
 ٣٩ ، ٥٠ ، ٥١ م ، ٦٣ ، ٦٤ م ،
 ٦٥ ، ٨٩ ، ١٨٧ م ، ٣٣١ ، ٣٨١ .
 ابن بشكوال (٤٥٦ - ٤٥٨) ، ٦٠ ،
 ٣٧٢ ، ٥١٢ ، ٥٥٠ ، ٥٦٨ ، ٦٨٤ ،
 ٧١٦ .
 ابن بشير = محمد بن بشير
 ابن بصّال ٤٧٨ .
 ابن بقنة ٤٨ .

ابن الأصم = عبد الوهاب القيسي
 المنيشي .
 ابن أضحى - عليّ (القاضي) ٢٧١ -
 ٢٧٢ .
 ابن الأعرابي ٦٢٨ .
 ابن الأفطس - الفضل بن عمر ١٩٢ ،
 ١٩٨ .
 ابن الأفطس = المعتصم ، المتوكل .
 ابن الأفطس المنصور - عبد الله بن
 مسلمة .
 ابن الأفطس المنصور - يحيى بن محمد
 ٨٠ ، ١١٥ ، ١٩٢ م .
 ابن أفلاطون = ابن عربي .
 ابن أفلح = جابر
 ابن الاقليشي = ابن وكيل الاقليشي .
 ابن أريق ٤٠٥ م ، ٦٨٩ م .
 ابن الامام الشلي (٣٣١ - ٣٣٤) .
 ابن أمين السعدي - محمد بن أحمد ٦٢ .
 ابن باجّه (٢١٥ - ٢١٨) ، ١٦ ، ٤٠ ،
 ٤١ م ، ٤٣ ، ٥٣ ، ٥٨ ، ٥٩ ،
 ٦١ م ، ١٥٤ ، ١٨٧ ، ٢١٣ ،
 ٣٧٩ م ، ٤١٦ ، ٤١٩ ، ٦٧٠ .
 ابن الباذش - أحمد بن خلف ٣٩ .
 ابن الباذش - عليّ بن أحمد (١٧٠) -
 (١٧٢) ، ٢١٣ ، ٢٣٧ ، ٢٦٨ ،
 ٤١١ .

ابن تاشفين - مجيى (والي فاس)
٣٣٥، م ٣٣٧ .

ابن تاشفين - يوسف = يوسف .

ابن تاويت التطواني - محمد ٥٧٤ .

ابن تاويت الطنجي - محمد ٥٧٤ .

ابن تليد الشاطبي - موسى ٢١٨ ،
٢٣٧ ، ٤٨٢ .

ابن التوزري النحوي ٧٠٩ ح .

ابن تيسيت - عبد المنعم ٤١١ .

ابن تيفلويت - أبو بكر بن إبراهيم
٢١٥ ، ٢١٦ .

ابن ثابت - أبو محمد ٢٣٧ .

ابن جامع - أبو سعيد ٥٩٨ .

ابن جبر القيرواني ١٥٢ .

ابن جبير (٦٠٨ - ٦١٣) ، ٣٧٤ .

ابن الجدّ - أبو بكر محمد بن عبد الله
١١٠ ح .

ابن الجدّ - أبو بكر ٣٦٧ - ٣٦٨ ،
٣٨١ ، ٦٠٢ ، ٦٦٣ ، ٧٢٩ ، ٧٣٤ .

ابن الجدّ - أبو القاسم (١٠٩ - ١١٢) ،
٥٣ ، ٣٧٨ .

ابن الجلابّ الفهري - أبو عبد الله محمد
٣٧٨ .

ابن جلدك - موسى بن يغمور ٧١١ .

ابن الجنّان - أبو بكر (٢٥١ - ٢٥٤) .

ابن بقيّ الأندلسي - أبو بكر مجيى
(٢٥٦ - ٢٦١) ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٦٨ ،

١٦٢ .

ابن بقيّ - يزيد (القاضي) ٦٥٥ .

ابن بليمة القيرواني - الحسن ٤٥٨ .

ابن البنيّ ٥٤ - ٥٥ ، راجع ٢٩٦ ح .

ابن بونة - أبو بكر ٣٣٤ .

ابن بيش (بيش) ٤٨٥ م .

ابن البيطار ٣٧٧ م .

ابن تاشفين - إبراهيم بن عليّ ١٢٨ .

ابن تاشفين - إبراهيم بن يوسف ١٩٠ ،
١٩٢ .

ابن تاشفين - أبو حامد ٣٩ م .

ابن تاشفين - إسحاق بن عليّ ٢٨١ ،
٣٢٤ .

ابن تاشفين - تاشفين بن عليّ ٢٨١ ،
٣٢٤ .

ابن تاشفين = سير بن أبي بكر

ابن تاشفين - علي بن إسحاق ٢٨١ م .
ابن تاشفين - علي بن يوسف ٤٢ ، ٦٨ ،

١١٠ م ، ١١١ ، ١٣١ ، ١٣٢ ،

١٧٢ ، ١٨٧ م ، ١٩٣ ، ٢٠٠ ،

٢٣٠ م ، ٢٦١ ، ٢٧٤ ، ٣٠١ ،

٣٢٤ ، ٣١٤ .

ابن تاشفين - محمد (والي غرناطة)
٣٣٤ .

ابن الجنان - أبو العلاء عبد الحق
(٢٤٩ - ٢٥١).

ابن جنّي ١٧٠.

ابن الجنّي (له كتاب المحتسب) ٥٤٥.

ابن لجهم ٦٨٧ م.

ابن جهور - أبو الوليد ١٤٢.

ابن جودي - أبو الحسن عليّ (٢١٣ -
٢١٥).

ابن الجوزي - أبو الفرج ٦٨٤، ٦٨٥.

ابن الحاجّ (ناثر) ٣٣٢ م.

ابن الحاجّ - بدر بن إبراهيم (١٠٠ -
١٠٢).

ابن الحاجّ - عبد الرحمن بن جعفر
(٣٢٧ - ٣٢٨).

ابن الحاجّ - محمد بن جعفر (وزير)
١٠٠ ح.

ابن الحبال - إبراهيم ٧٢٦.

ابن حبّوس (٤٢٢ - ٤٢٥).

ابن حبيب - عبد الملك ٣٦٧.

ابن حبيش - عبد الرحمن ٣٧٢،
٦٦٩، ٦٩٣، ٦٩٤، ٧٢٩.

ابن حجر - (؟) ١٠٩.

ابن الحدّاد الوادياشي (الشاعر) - محمد
٨٠.

ابن حرب (ذكر في شعر) ٦٠١ م.

ابن حزم - عليّ ٣٧٠.

ابن حريق - أبو الحسن عليّ بن محمد
(٦٣٥ - ٦٣٧).

ابن حزم الكبير (٣٨١، ٦٧٠،
٦٨٥ ح).

ابن حزم = اليسع بن عيسى

ابن حزمون المرسّي - عليّ بن عبد
الرحمن (٦١٣ - ٦١٧)، ٤٣٨.

ابن حسداي - يوسف ١٠٢ - ١٠٤.

ابن حسّون - أبو الحكم ٣٥٣ م، ٣٥٥.

ابن الحشّاء التونسي - أحمد ٣٧٤.

ابن حمّاد الصنهاجي - محمد بن عليّ
(٦٥٩ - ٦٦٣)، ٣٧٢.

ابن الحمارة = أبو الحسين، أبو عامر.

ابن حمدون - عليّ بن أحمد ١٥٢.

ابن حمديس - عبد الجبار (٢٠١ -
٢١١)، ٦٨.

ابن حمدين (القاضي) ٥٤، ٩٦.

ابن حمدين (آخر) ٩٦ م.

ابن حميد - أبو عبد الله ٥٥٨.

ابن حوط الله الحارثي (٦٠٦ - ٦٠٧).

ابن حيّان - حيّان بن خلف ٣٨١.

ابن حيّان - عبد الله بن جعفر ١٤٥.

ابن خاقان = الفتح بن خاقان

ابن خبّازة الخطّابي - ميمون بن عليّ
(٧١٤ - ٧١٥).

ابن خليفة الاشبيلي - محمد بن خير
٣٧٤.

ابن خليل العشاب ٣٦٦.

ابن خيشمة القيسي - محمد ٦٢.

ابن خير الاشبيلي - أبو بكر محمد
(٤٤٢ - ٤٤٣)، ٣٧٢.

ابن خيرة المواعيني - محمد بن إبراهيم
(٣٨٦ - ٣٨٩)، ٥٢ م.

ابن خيرة - محمد بن عبد الله ٤٢٨.

ابن الدبّاغ - أبو الوليد ٤٢٨، ٤٨٠.

ابن دحان - القاسم ٥٤٧، ٥٨١ م،
٦٠٢.

ابن دحية الكلبي - أبو الخطاب
(٦٨٤ - ٦٩٠)، ٣٨٣، ٣٨٤،

٣٧٨، ٣٨٦ م، ٤٨٠، ٧٢٦ م.

ابن دحية الكلبي - أبو عمر ٧٢٠ م.

ابن درّاج القسطلّي ٣٨٢.

ابن دريد ٦٩، ٦٦٠، ٦٦٤.

ابن الدقاق - بدر الدين ٦٢٩ - ٦٣٠.

ابن ذكوان - عبد الله بن أحمد ٤٩٨ م.

ابن ذي النون - إسماعيل (؟) ١٤٢.

ابن رايوند = ريموند الرابع

ابن رحيم = أبو بكر محمد بن أحمد
(١٢٨ - ١٣١).

ابن الحرّاط الاشبيلي - عبد الحق
البجائي (٤٦٢ - ٤٦٥)، ٣٦٧،
٥٧٤، ٦٦٠ م.

ابن خروف - علي بن محمد (٥٩٧ -
٦٠٢)، راجع ٥٩٧ - ٥٩٨،
٦٢٤.

ابن خضر الاشبيلي الملاء - عمر ٣٩١.
ابن خفاجة (٢١٨ - ٢٢٥)، ٢٤، ٤٣،
٤٥، ٥١ م، ٦٨ م، ٦٩، ١٧٤،

١٧٥، ٢٤٩، ٣١٦ - ٣١٧،

٣٢٩، ٣٣٩، ٤٣٠، ٤٨٠،

٤٥١ م.

ابن خلدون ١٦ م، ٣٤، ٣٩، ٥٩،
١٦٢، ٢٣٢ ح، ٢٩٦ ح.

ابن خلصة - محمد بن عبد الله
(ت ٥١٩ هـ) ٦١ - ٦٢.

ابن خلصة - محمد بن عبد الله الضرير
(ت ٥٠٣ هـ) ١٥٤.

ابن خلصة - محمد بن مسعود = ابن أبي
الحصان.

ابن خلف الأنصاري الاشبيلي - عبد
الله ٤٢.

ابن خلف الرائي - عبد الله ١٥٢.

ابن خلفون

ابن خلكان ٢٥٧، ٤٤٦، ٦٨٤،
٧١٩ - ٧٢٠.

- ابن رشد (الجند) ٣٩، ٥٦، ٣٨١ م،
٤١٠، ٤٥٦ (٩)، ٥٣٠، ٦٧٠ م،
٦٩٣ (٩).
- ابن رشد (الحفيد: الفيلسوف) (٥٢٤) -
٥٣٠، ١٦، ٣٩، ٣٦٩ م،
٣٧٠ م، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٨٠ م،
٣٨١ م، ٥٥٠، ٥٦٠ م، ٦٧٠،
٦٩٣ (٩).
- ابن رشيقي القيرواني - الحسن ٥١،
٣٠٨.
- ابن رشيقي - عبد الرحمن ٨٨ - ٨٩،
ابن الرمّك ٤٢٣، ٤٥٣، ٥١٢،
ابن الرنك = ابن الرّيق (بالمهزة)
ابن الرومي ٣١٥، ٤٣٠، ٦٠١ ح،
ابن الرومية - أحمد بن محمد ٣٧٧،
ابن الرّيق = ابن الرّيق (بالمهزة)
ابن ريموند = ريموند الرابع
ابن زرقون - أبو الحسين ٦٨٤،
٧٠١ م.
- ابن زرقون - محمد بن سعيد (٤٨٢) -
(٤٨٤)، ٦٢٤، ٦٩٣، ٧٢٩،
ابن زغبية - أبو عبد الله ٤٤٣،
ابن الزقاق البلنسي (١٧٤ - ١٨٠)،
٤٢، ٤٣، ٦٨ م، ١٧٤، ٣١٦،
٣٣٩، ٥٣١ م، ٦٧٢ - ٦٧٣.
- ابن الزكيّ - محيي الدين ٥٩٩،
ابن زمرك ٣٢١ ح،
ابن زهر - أبو بكر محمد بن عبد الملك
(٥٣٩ - ٥٤٤)، ٤١، ٣٧٧،
٣٧٨، ٣٨١، ٥٧١، ٦٢٤،
٦٧٠ م، ٧٣٢ - ٧٣٣،
ابن زهر - أبو العلاء زهر بن عبد
الملك ٤١، ٥٧ - ٥٨، ١١٦،
١٦٧، ٢١٣ م، ٣٠٣، ٣٨١،
٦٧٠.
- ابن زهر - أبو مروان عبد الملك ٤٠ -
٤١، ٥٨ م، ٣٧٧، ٣٨١، ٥٣٩،
٦٧٠.
- ابن الزيّات = أبو الحجّاج التادلي
ابن زيد (وزير) ٢٩٩،
ابن زيدون ١٩١، ٣٨٢، ٤٩١،
ابن سالم المالقي (٦٣٤ - ٦٣٥)،
ابن سبعين ٣٧١،
ابن سحنون - محمد ٥١٢،
ابن سراج - أبو الحسين سراج بن عبد
الملك (٩٥ - ٩٦)، ٤٤ م،
ابن سراج - أبو مروان عبد الملك
١٧٢، ٩٥،
ابن السّراج - محمد بن السريّ ١٧٠،
ابن السّراج الشنتريني - أبو بكر محمد

ابن سعيد العنسي - سعيد بن خلف
م ٣٣٨ .

ابن سعيد العنسي - عبد الرحمن بن
عبد الملك (٦١٨ - ٦٢٢)،
م ٣٤٠ .

ابن سعيد العنسي - عبد الملك ٣١٥ ،
٣٢٠ ، ٣٢١ - ٣٢٢ ، ٣٣٨ م ،
٣٣٩ .

ابن سعيد العنسي - علي بن موسى ٥٠ ،
٣٣١ ، ٣٧٤ ، ٣٧٨ ، ٣٨٥ -
٣٨٦ ، ٦٨٠ م ، ٦٩٩ ، ٧٣٢ .

ابن سعيد العنسي - محمد بن عبد الملك
٤٣٠ .

ابن سعيد العنسي - موسى بن محمد
٥٣٢ ح ، ٦٥٣ .

ابن سفيان - أبو محمد ١٩٠ - ١٩١ .

ابن سكرة الصدي = الصدي

ابن السكيت - يعقوب ٦٢٣ م .

ابن سلام الباهلي - أبو الحسن سلام
٦١ .

ابن سلام المالقي (٣٨٩ - ٣٩٠) .

ابن سلام الهروي - أبو عبيد ٤٦٤ م ،
٦١٧ ، ٦٩٤ .

ابن سلنكا = مزدلي

ابن سناء الملك ٦٣٠ .

ابن عبد الملك (٣٠٧ - ٣٠٩) ،
٦٢ .

ابن سراقه = يحيى الدين بن عربي

ابن سعادة - محمد بن عبد العزيز
٤٩٣ م .

ابن سعادة - محمد بن يوسف ٤٩٣ م .

ابن سعد (الأمير ؟) ٥٣٠ م .

ابن سعد الخير البلسي * (٤٢٨ -
٤٢٩) .

ابن سعدون - يحيى بن عمر القرطي
٥٦ .

ابن سعيد = أبو بكر بن سعيد

ابن سعيد العنسي - أبو جعفر أحمد

(٣٣٨ - ٣٥٠) ، ٣٠ ، ٤٥٤ ،

٤٩٠ ، ٤٩١ - ٤٩٣ ، ٦١٨ -

٦١٩ .

ابن سعيد العنسي - خلف بن محمد

٣٣٨ م .

ابن سعيد العنسي - سعيد بن الحسن

٣٣٨ .

* في الأصل: ابن سعد الخير البلسي (ولد نحو
سنة ٥١٠ هـ) وتلقى العلم على ابن السيد
البطليوسي (ت ٥٢١) وأختص به (وهذا
موضع نظر - إلا إذا كان مولد أبي الخير
البلسي أسبق في التاريخ).

- ابن سهل الاشبيلي - إبراهيم ٣٧٨ .
ابن سورة - أبو عبد الله ٥٧٤ .
ابن السيد (؟)
ابن سيد اللص الاشبيلي - أبو العباس
أحمد (٤٥٣ - ٤٥٥) ، ٣٥٢ ح ،
٥٤٧ ، ٧٣٤ (؟) ، ٦١٧ - ٦١٨ .
ابن سيد - أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد
٧٣٤ م .
ابن سيد - أبو العباس ٧٣٤ م .
ابن السيد البطليوسي - أبو الحسن علي
ابن محمد ١٥٢ .
ابن السيد البطليوسي - أبو محمد عبد
الله بن محمد (١٥٢ - ١٥٩) ، ٣٩ ،
٤١ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ٦١ ، ٦٢ ، ١٧٤ م ،
١٧٨ ، ٢٣٧ ، ٣٠٥ ، ٣٥٢ ح ، ٣٨١ ،
٤٢٨ .
ابن سيدالة التجيبي - محمد ٣٧٢ .
ابن سيدراي - عبد الله بن محمد ٥٨٧ .
ابن سيدراي - محمد (٥٨٧ - ٥٨٩) .
ابن سيده ٣٨١ .
ابن سينا ٤٧٣ ، ٥٢٥ ، ٥٢٩ ، ٧٣٨ م .
ابن شاهين ٥٤٥ .
ابن شداد - بهاء الدين ٥٩٩ م ، ٦٠٠ .
ابن شرف - أبو الفضل جعفر (٢٢٥ -
٢٣٠) ، ٤٤ ، ٦٨ ، ١٦٠ - ١٦١ ،
٥٣١ م .
- ابن شرف - أبو عبد الله محمد ٢٢٥ ،
٢٢٦ ح ، ٣١٦ .
ابن شريح - أبو الحسن شريح ٤٢٣ ،
٤٥٣ ، ٤٦٣ .
ابن شفيع ٢٨٩ .
ابن شقرون - أحمد ٢٧٠ .
ابن شقرون - عباس بن عبد السلام
٤٦٩ .
ابن شكر - يحيى بن محمد ٣٧٦ .
ابن شكيل الصدي (٥٧٩ - ٥٨٠) .
ابن شلبون ١٨ - ١٩ .
ابن الشلوبين = الشلوبين
ابن شهيد - أبو عامر ٥٠ - ٥١ ،
٦٤ م .
ابن الشيخ = أبو الحجاج
ابن الصائغ = ابن باجه
ابن الصائغ - عبد الحميد بن محمد
٢٣٤ م .
ابن الصابوني الصدي الاشبيلي - ابو
بكر (٧٠١ - ٧٠٩) .
ابن صاحب الصلاة - عبد الملك بن
محمد (٥٢١ - ٥٢٤) .
ابن صارة الشنتريني (١١٥ - ١٢١) ،
٦٨ ، ... ، ٢٩٦ .
ابن صاف - أبو بكر ٦٠٢ ، ٦٢٢ .
ابن الصفار - أبو سعيد ٦٨٤ ، ٦٨٥ .

ابن طلحة الأنصاري - أبو جعفر
أحد (٦٨٨ - ٦٨٩).

ابن طملوس ٣٦٩ م.

ابن ظفر الصقلّي (٣٩٨ - ٤٠٢).

ابن عات النفزي - أحد ٣٧٢.

ابن عامر اليحصبي - عبد الله ٤٩٨ م،

٤٩٩ ح، ٥٠٠ م.

ابن عباس - عبد الله ٥٢٨ م.

ابن عبد البر - محمد ١١٢.

ابن عبد البر - يوسف بن عمر ٣٨،

٣٦٦ م، ٣٦٧ ح، ٣٨١، ٤٨٣،

٤٩٤.

ابن عبد ربّه - أحد ٣٨١.

ابن عبد ربّه المالقي - محمد (٦٣٠ -

٦٣٢)، ٥٧٢.

ابن عبد الصمد (والي سبتة) ٦٣٥.

ابن عبد الصمد = محمد بن بشير

ابن عبد الرحيم - أبو عبد الله ١٧٠.

ابن عبد الغفور* - أبو القاسم محمد

(٢٨٠ - ٢٨٣)، ٤٤، ٥١، ٥٢،

٦٠، راجع ٤٢٣، ٤٥٣.

ابن عبد الغفور - أبو محمد ٧٠،

٢٨٣ ح.

ابن الصقر - أحمد بن عبد الرحمن
٣٧٢.

ابن صادق = المعتصم بن صادق

ابن الصيرفي = أبو بكر بن الصيرفي

ابن ضابط النحوي ١٩٢.

ابن طاهر (صاحب مرسية) ٢٧٤.

ابن طاهر الأندلسي = الخدب

ابن طاهر بن عيسى = أحمد بن طاهر

ابن طاهر - أبو بكر أحد ٨٨ م.

ابن طاهر القيسي - محمد بن أحد

(٨٨ - ٩١).

ابن الطحان - عبد العزيز بن علي

٤٦٣، ٥٣١ م.

ابن الطراز الفرناطي - محمد بن سعيد

٣٧٣.

ابن الطراوة - سليمان (١٧٢ - ١٧٤)،

٣٥٣، ٣٨١.

ابن الطراوة - أبو عبد الله ٥٤٧.

ابن طريف ١١٣.

ابن طفيل (٤٧٠ - ٤٧٣)، ١٦،

٢٤٣ ح، ٣٦٩، ٣٧١، ٣٧٤،

٣٧٥ م، ٣٧٦ م، ٣٧٩ م، ٣٨١،

٤٠٨، ٥٢٤، ٦٧٠.

ابن طلحة الاشيلي - أبو بكر

(٦٢٢ - ٦٢٤).

* راجع الصفحة ٢٨٣ (الحاشية السابقة).

- ابن عبد الغفور - محمد بن عبد الغفور
٢٨٣ ح .
- ابن عبد الملك = المراكشي
ابن عبد المؤمن - أبو الربيع ٤٨٤ .
ابن عبد المؤمن إدريس ٥٩٨ .
- ابن عبد المؤمن - أبو سعيد عثمان
٣٢٤ ، ٣٣٩ م ، ٣٤٠ - ٣٤١ ،
٣٤٤ - ٣٤٥ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ،
٤٧٧ ، ٤٨٦ ، ٤٩٠ ، ٦٠٨ .
- ابن عبد المؤمن - علي (٥٦٠) ...
ابن عبد المؤمن - أبو حفص عمر
٣٨٦ ، ٣٨٧ - ٣٨٨ .
- ابن عبد المؤمن - محمد = محمد بن عبد
المؤمن
ابن عبدون - عبد الحميد (١٩٢) -
(٢٠١) ، ٣٧ ، ٤٢ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ،
١٨٧ ، ٤٨٢ ، ٥٨٣ - ٥٨٥ .
- ابن عتاب - عبد الرحمن ٢٣٧ ، ٢٦٨ ،
٤٥٨ ، ٤٨٢ .
- ابن عتيق بن أسد - أبو بكر ٢١٨ .
ابن عتيق الذهبي - أحمد (٥٦٠) -
(٥٦٢) .
- ابن عذاري ٧٣ ح .
ابن عربي = سعد الدين
ابن عربي - محيي الدين (٧١٦) -
(٧٢٢) ، ٣٧١ .
- ابن العربي = أبو بكر ، ابن عربي
ابن العربي - أبو عبد الله ٥٨١ م .
ابن العربي - علي (والد محيي الدين بن
عربي) ٧١٧ .
- ابن عروس - أبو عبد الله = (مقرئ)
٥٥٧ ح ، ٧٢٩ .
- ابن العريف - أبو العباس أحمد
(٢٣٠ - ٢٣٢) ، ٣٩ ، ٥٩ ، ٣٠٥ ،
٣٣٣ م .
- ابن عساكر ٤٦٣ ، ٦٠٠ ، ٦٦٣ .
ابن العشرة - أبو العباس بن القاسم
٤١٧ .
- ابن العشرة - محيي بن علي بن القاسم
٢٥٧ م .
- ابن عصام - أبو أمية ١١٦ .
ابن عصفور - علي ٣٧٨ .
- ابن العطار - محمد بن أحمد ١٠٧ .
ابن عطية - أبو جعفر أحمد بن محمد
(٣٢٤ - ٣٢٦) .
- ابن عطية - طاهر ٤٦٣ .
ابن عطية - عبد الحق بن غالب
(٢٦٨ - ٢٧٠) ، ٣٧ - ٣٨ ،
١٧٠ ، ٢٣٧ ، ٣٠٥ .
- ابن عطية - عقيل ٣٧٨ - ٣٧٩ .
ابن عطية - غالب بن عبد الرحمن
(١٢١ - ١٢٢) ، ٢٦٨ .

- ابن عيشون - أبو عمرو محمد
(ت ٦١٤ هـ) ٣٧٢ .
- ابن غالب - أبو الحسن ٥١٩ .
- ابن غالب = الفسّاني
- ابن غالب الفرناطي - محمد بن أيوب
(٤٧٧ - ٤٨٠) .
- ابن غالب السراقّي - عبد السلام
٣٦٨ .
- ابن غانية - علي بن إسحاق ٤٦٣ ،
٦٠٤ م .
- ابن غانية - علي بن يحيى ٥٧١ .
- ابن غانية - يحيى بن إسحاق ٣٢٩ ،
٣٥٤ ، ٣٦٣ ، ٦٠٤ م ، ٦٠٥ ،
٦٠٦ ، ٧٠٩ م .
- ابن غانية - يحيى بن علي ٧٠٩ م .
- ابن غلاب = ابن غالب السراقّي
- ابن غرسيه ٥٥٥ ، ٥٤٥ .
- ابن غرّون ٣٥٤ .
- ابن غلبون - أبو رجال ٥٥٠ .
- ابن غلندة (غلندو) - عبيد الله
(٤٧٣ - ٤٧٥) .
- ابن فاطمة = أبو محمد
- ابن فتحون الأوريوتّي - محمد ٣٨ .
- ابن الفحام الصقلّي ٤٥٨ .
- ابن الفخّار - أبو عبد الله محمد بن
الحسن الحضرمي المالقي (٢٤٥ -
- ابن عفيون الشاطبي - محمد ٣٧٢ ،
٣٧٤ .
- ابن علقمة الصديقي - محمد ٥٩ .
- ابن عمّار - أبو بكر محمد ٨٩ م ،
٢١١ ، ٢٧٤ ، ٣٨٢ ، ٦٧١ .
- ابن عمّار العبدي = رزين بن معاوية
- ابن عمّار الكلاعي - محمد ٢٨٤ .
- ابن عمّار المهدي - أحد ١٦٠ .
- ابن عمّار (القارئ) = هشام
- ابن عمران المارتلي ٧٣٤ .
- ابن عمران الموحدّي ٧٠٩ م .
- ابن عميرة الضبي - أحمد بن عبد الملك
٦٠٧ .
- ابن عميرة الضبي - أحمد بن يحيى
(٥٥٣ - ٥٥٥) .
- ابن عميرة الخزومي - أبو المطرف أحد
٣٧٣ ، ٣٧٨ .
- ابن العوام - يحيى ٥٧ .
- ابن عوف - أبو الطاهر ٥٥٨ .
- ابن عياش - أبو بكر بن سالم ٤٩٨ م .
- ابن عياش - أبو بكر المرشافي ١٧٢ .
- ابن عياش - عبد الملك بن فرج
(٤١٣ - ٤١٦) .
- ابن عياش - أبو عبد الله محمد ٥٩٨ .
- ابن عيشون (المقرئ) - المتوفى
٥٣١ هـ) ٤٢٣ ، ٤٥٣ .

- ابن القادر العبّاسي ١٣٤ .
 ابن القاسم - عبد الرحمن العتقي
 م ٥٥ ، م ٢٩٦ .
 ابن القاسم = أبو محمّد
 ابن القاصح - عليّ بن عثمان ٥١١ .
 ابن القبطرونه = بنو القبطرونه
 ابن قتيبة ١٥ ، م ١٥٣ ، م ١٩٦ ،
 م ٤٦٠ .
 ابن قرقول (قرقل) إبراهيم ٣٦٦ ،
 م ٥٧٤ ، م ٦٠٢ .
 ابن القزاز - الحكم بن سعيد ١٤٢ م .
 ابن قزمان (الأكبر) (٩٦ - ١٠٠)
 م ٣٢٩ ، م ٣٣١ ح .
 ابن قزمان (الأصغر) (٢٢٨ - ٣٣١) ،
 م ٣٥٠ ، م ٣٥١ ، م ٩٦ ،
 ابن قسوم - محمّد بن عبد الله (٧٣٣ -
 م ٧٣٩) .
 ابن قسي - أبو العبّاس أحد
 م ٥٢٢ ح .
 ابن قسي الشلي - أبو القاسم أحد
 م ٤٠ .
 ابن القصيرة الولي - أبو بكر محمّد
 م ٩٣ ، (٩٥ - ٥٤) .
 ابن القطّاع - عليّ بن جعفر (١١٣ -
 م ١١٥) ، م ٦٢ ، م ٦٥ .
- (٢٤٩) ، م ٣٦٥ ، م ٦٠٢ ، م ٦٥٥ (٢) ،
 م ٦٩٣ ، م ٧٢٩ .
 ابن الفخّار التجيبي (٢) ٦٥٥ .
 ابن الفخّار الملقب - عليّ بن إبراهيم
 م ٧٢٩ .
 ابن الفراء = الأخفش بن ميمون
 ابن الفراء الضرير - محمّد بن عبد الله
 (٤٦١ - ٤٦٢) .
 ابن الفراوي = منصور
 ابن الفرّج = اصبغ
 ابن فرج الجياني - ٢٧٧ .
 ابن فرح الاشيلي - أحد ٣٦٦ .
 ابن الفرس (المهر) الفرناطي - عبد
 الرحيم (٥٥٧ - ٥٦٠) .
 ابن الفرس - عبد المنعم (٥٤٤ -
 م ٥٤٦) ، م ٥٧٧ ، م ٦٩٣ ، م ٧٢٨ .
 ابن فرسان - عبد البرّ (٦٠٣ - ٦٠٦) .
 ابن الفرضي - عبد الله بن محمّد
 م ٣٠٦ ، م ٣٧٢ ، م ٤٥٧ .
 ابن الفضل المعافري - محمّد (٦٤٨ -
 م ٦٥٥) .
 ابن الفكّون - حسن بن عليّ (٦٣٧ -
 م ٦٤٠) .
 ابن فيّره = الصديقي
 ابن القابلة الشلطي - محمّد ٣٣٣ م .

- ابن القوطيّة - أبو بكر محمد ١١٣ ،
١١٤ م ، ١١٥ .
- ابن قوقل / قرقل ٥٦٨ .
- ابن كادش - أحمد بن عبد الله ٣٩٠ .
- ابن كشير - أبو معبد عبد الله
(القاريء) ٤٩٧ م ، ٥٠٠ ح م ،
٥٠١ ح .
- ابن لبّال - علي بن أحمد (٤٧٥ -
٤٧٧) ، ٦٢٤ .
- ابن اللبّانة - محمد بن عيسى (٨٠ -
٨٨) ، ٧٧ - ٧٨ ، ٢٦٥ .
- ابن لبّون - أبو عيسى ١٩١ م .
- ابن اللهب - نجم الدين ٦٠ م .
- ابن ماجة - محمد بن يزيد ٣٨ ح ،
٤٦٤ .
- ابن مالك - أحمد السرقسطي (٤٢٥ -
٤٢٨) .
- ابن مالك الأزدي - أبو الحسن سهل
٣٨٢ ، ٦٧١ .
- ابن مالك الأزدي الفرناطي - سهل بن
محمد (٧٢٨ - ٧٣٣) .
- ابن مالك - محمد بن عبد الله (النحوي)
١٦ .
- ابن مالك البعمري - أبو الحسن ٢٦١ .
- ابن مبشر = أبو العباس ٦٦٠ .
- ابن مجبر الصقلّي - مجبر بن محمد
(٢٥٤ - ٢٥٦) .
- ابن مجبر - عبد الملك: ٥٤٧ .
- ابن مجبر - يحيى بن عبد الجليل
(٤٨٦ - ٤٩٠) .
- ابن محرز = الوهراني
- ابن محصرة - محمد بن عليّ (٥٤٦ -
٥٤٧) .
- ابن مدير ٥٩ .
- ابن مرج الكحل = مرج الكحل
- ابن المرجي = ابن المرخي
- ابن المرخي - علي بن محمد ٦١٧ م .
- ابن المرخي - محمد بن عبد الملك ٦١٧ .
- ابن المرخي المغربي - محمد بن علي
(٦١٧ - ٦١٨) .
- ابن مردنيش - محمد بن سعد ٣٤٠ م ،
٣٥٥ م ، ٤١٤ ، ٤١٦ ، ٤٣٧ م ،
٥٢٣ ، ٦١٩ .
- ابن مرزوق الخطيب - محمد بن عبد الله
٤٦٤ .
- ابن مزدلي - أبو بكر ٤٥٤ .
- ابن مزدلي - أبو عبد الله ٢٧٠ .
- ابن المسافر - عبد المعطي ٧٣١ .
- ابن مسدى الفرناطي - محمد بن محمد
٣٦٧ .

- ابن مسرة - أبو عبد الله محمد ٤٩ .
- ابن مسعدة (٩) (مقرئ) ٥٥٧ ح .
- ابن مسعود الاشيلي ٤٠ .
- ابن مسعود - أبو عبد الله محمد ٤٧ - ٤٩ .
- ابن مسلم - أبو عبد الله محمد ٤٦ - ٤٧ .
- ابن مسلمة - أبو عامر ٣٩ .
- ابن مسلمة الشاطبي - أبو عبد الله محمد ٣٠٤ .
- ابن مشيش = عبد السلام
- ابن مضاء - أبو العباس أحمد (٥١٢) - (٥١٥) ، ٥٦٠ (٩) .
- ابن مضاء - أبو العباس جعفر ٥٥٠ ، ٥٦٠ (٩) ، ٦٠٢ .
- ابن مطاهر - أبو جعفر ٤٥٧ .
- ابن مطروح - يحيى ٢٦٥ ، ٢٦٧ ، ٣٤٠ .
- ابن المظفر الباهلي - عبيد الله ٦٩ .
- ابن معاذ الجبائي - أبو محمد ٣٧٤ .
- ابن معط الزواوي - يحيى (٦٦٣) - (٦٦٧) .
- ابن المعلم الطنجي - أبو يحيى ٣٨٠ ، ٦٦٨ م .
- ابن مغاور - أبو بكر عبد الرحمن بن محمد (٤٨٤ - ٤٨٦) ، ٥٥٠ .
- ابن مغيث = الحسن
- ابن المغيرة = أبو الوليد
- ابن المقفع ٣٩٨ .
- ابن مقلة (الخطاط) ٣٢٩ .
- ابن الملاح = ابن الملح
- ابن ملجم - عبد الرحمن
- ابن الملح - أبو القاسم أحمد ٧٢ .
- ابن الملح - أبو بكر محمد بن إسحاق (٧٠) - (٧٣) .
- ابن ملكون الحضرمي - ابراهيم بن محمد ٦٢٢ ، ٧٣٤ .
- ابن المناصف - ابراهيم بن عيسى بن أصبغ القرطبي (٦٤٧ - ٦٤٨) .
- ابن المناصف - محمد بن أصبغ (٦٣٢) - (٦٣٤) .
- ابن المنخل الشلي (٤٠٣ - ٤٠٧) .
- ابن موسك = عز الدين
- ابن مياد السدراتي - يوسف بن ابراهيم ٣٦٨ .
- ابن ميمون القرطبي (٤١١ - ٤١٣) .
- ابن ميمون = الأخفش بن ميمون
- ابن نام - جابر بن محمد ٦٢٢ .
- ابن نباتة الفارقي - عبد الرحيم ٤٤ .
- ابن النحاس (أو النحاس) - أحمد بن محمد ١٧٠ .

- ابن النحاس - عبد الرحمن بن عمر . ٧٢٦
- ابن النحاس - ٤ (قراءات) ٢٨٩ .
- ابن النحوي التوزري - يوسف (١٠٦ - ١٠٩) .
- ابن نذير - أبو العطاء ٦٩٣ .
- ابن نزار - أبو الحسن
- (٤٣٧ - ٤٣٩) .
- ابن نزار - أبو علي ٦١٥ .
- ابن نصف الربض = ابن الفخار المالقي .
- ابن النعمة - علي بن عبد الله ٤٢٨ ، ٤٩٣ .
- ابن نعيم الحضرمي - عبد الله (٧٠٩ - ٧١١) .
- ابن النخيلة (النجدلة) ٣٦٥ .
- ابن النقاس الزرقالي - ابراهيم ٥٦ - ٥٧ .
- ابن نوح - أبو عبد الله ٦٩٣ .
- ابن هافي الاندلسي ٦٦٢ م .
- ابن هبيرة - يحيى (الوزير) ٣٩٠ م .
- ابن هذيل - محمد بن علي ٤٩٣ .
- ابن هردوس - أحمد بن علي (٤٣٦ - ٤٣٧) .
- ابن هشام القرطي - أبو بكر (٦٩٩ - ٧٠١) ، ٦٤٠ .
- ابن هشام = طاهر .
- ابن هشام القرطي - عامر (٦٤٠ - ٦٤٥) ، ٦٩٩ .
- ابن هشام - عبد الملك ٤٦٦ ، ٤٦٨ م ، ٦٩٧ ح ، ٧٢٥ - ٧٢٦ .
- ابن هشام - أبو الوليد هشام ٣٦٨ .
- ابن هلال الصابي - ابراهيم ٢٧٦ م .
- ابن هلال النحوي - أبو عبد الله بن بركات ٣٩٠ .
- ابن همشك ٤٣٠ ، ٤٣٩ - ٤٤٠ ، ٥٢٣ .
- ابن هند = معاوية
- ابن هود الماسي - محمد بن عبد الله (الثائر) ٣٢٦ ، ٣٢٤ م .
- ابن هود - أحمد بن يوسف (المستعين) ١٥٣ ، ١٥٥ - ١٥٦ .
- ابن هود - محمد بن يوسف (المتوكل صاحب مرسية) ٦٤٩ ، ٦٧٩ ، ٦٨٢ ، ٦٩٩ ح ، ٧١١ ، ٧١٣ م ، ٧٢٩ ح .
- ابن واجب - أبو الخطاب ٦٩٣ .
- ابن الوحيددي - عبد الله بن عمر ٣٥٣ م .

- ابن الوردی - عبد الله بن جعفر ۷۲۶ .
ابن وکیل الاقلیشی - أحمد بن معدّ
(۳۰۵ - ۳۰۷) ، ۵۶ .
- ابن وهبون - عبد الجلیل ۲۷۴ ،
۳۸۲ ، ۳۸۵ .
- ابن یاسین الجیانی ۵۶ .
ابن یحیی الحمیری - أحمد بن محمد
۳۷۹ - ۳۸۰ .
- ابن یحیی - سعید بن عبد العزیز
ابن یشکر = ابن شکر .
ابن یربوع - محمد (۵۸۱ - ۵۸۲) .
ابن یمیش - أحمد = ابن شکیل
الصدفی .
ابن یمیش (نائر) ۱۴۲ .
ابن یمیش - طارق بن موسی ۳۰۵ ،
۴۶۳ ،
ابن یغمور = ابن جلدک
ابن یلبخت - عیسی ۳۷۷ .
ابن ینق - محمد بن یحیی (۳۰۳ -
(۳۰۵) ، ۳۹ ، ۵۹ .
ابن یونس -- ۳۶۷ ، ۳۶۸ .
ابنة أبي بكر (اسم) ۴۴۷ .
ابنة العمري (ذکرها ابن العربي) ۲۸۷ .
أبو الأصغ - ابن الطحّان
أبو بحر = صفوان ابن ادريس .
- أبو بحر ۲۳۷ .
أبو البقاء الرندي - صالح بن شريف
۳۶۸ ، ۳۷۸ .
أبو بكر ۳۲۵ ح ، ۳۳۲ ح ، ۳۵۲ م ،
۴۵۰ م ، ۴۶۶ ح ، ۵۲۲ ح ، ۵۳۶ م ،
۵۳۸ ح ، ۶۸۶ .
أبو بكر (في شعر) ۲۵۲ - ۲۵۴ .
أبو بكر بن ابراهيم (والي غرناطة)
۵۳ ، ۱۱۶ - ۱۱۹ ، ۲۷۴ .
أبو بكر (بن) الأبيض (۲۹۵ - ۳۰۰) ،
۵۴ ، ۶۸ .
أبو بكر بن خير = ابن خير
أبو بكر بن سعيد (صاحب غرناطة)
۳۵۰ ، ۳۵۱ ، ۳۵۲ .
أبو بكر الطرطوشي - محمد بن الوليد
(۱۴۴ - ۱۵۲) ، ۳۹ ، ۵۹ م .
أبو بكر بن العربي - محمد بن عبد الله
(۲۸۴ - ۲۸۹) ، ۵۶ ، ۱۶۶ ،
۱۵۴ م ، ۱۵۷ ، ۲۳۷ ، ۲۸۴ م ،
۲۸۵ ، ۳۰۵ ، ۳۳۱ ، ۳۳۴ ، ۳۸۱ ،
۳۸۶ ، ۴۱۰ ، ۴۵۶ م ، ۴۶۶ ،
۴۸۰ ، ۶۷۰ ، ۷۱۸ .
أبو بكر الغرناطي - يحيى بن محمد
۵۹ .
أبو بكر بن مغاور = ابن مغاور .

- أبو بكر اليكبي - يحيى بن سهل ٦٨ ،
٣١٥ .
- أبو بكر اليكبي - يحيى بن عبد الجليل
(٣٥٧ - ٣٥٨) ، ٦٨ .
- أبو تمام - حبيب بن أوس ٩٢ ، ٩٣ ح ،
٢٢١ ح ، ٤١٩ ، ٥٧٧ ح ، ٥٩٠ ،
٦٢٣ م ، ٦٥٠ م ، ٦٨٢ ، ٦٨٧ م .
- أبو تمام الحجاج = غالب بن رباح
أبو جعفر (ذكر: علي بن موسى الجبائي)
٥١٨ .
- أبو جعفر (عامل على جمع الضرائب)
١٠٤ .
- أبو جعفر الصيدلاني ٦٨٤ ، ٦٨٥ .
- أبو جعفر الحميري (٥٩٤ - ٥٩٥) .
- أبو جعفر بن عبد الحق الخزرجي
(الفتية) ٤٧٧ .
- أبو جعفر بن عطية = ابن عطية (وزير
عبد المؤمن) ٣٥٥ م ، ٤٢٤ -
٤٢٥ .
- أبو جعفر المنصور ٤٢ ، ١٤٠ .
- أبو جعفر الوقتي - أحمد بن عبد
الرحمن (٤٣٩ - ٤٤٢) ، ٤٣١ -
٤٣٢ .
- أبو حامد الغرناطي - محمد بن عبد
الرحيم (٣٩٠ - ٣٩٨) ، ٧٥ ،
٣٧٤ .
- أبو الحجاج الاشبيلي (الطبيب) -
يوسف بن عتبة (٧١١ - ٧١٤) .
- أبو الحجاج الأعم ١٧٢ .
- أبو الحجاج البلوي - يوسف بن محمد
(٥٧٤ - ٥٧٩) ، ٣٧٧ .
- أبو الحجاج التادلي - يوسف بن يحيى
(٦٥٧ - ٦٥٩) .
- أبو الحجاج بن الشيخ ٥٤٨ - ٥٤٩ .
- أبو الحزم جمهور بن محمد ١٤٢ م .
- أبو حسن (في شعر) ٢٤٦ - ٢٤٧ ،
٢٥١ ، ٢٤٨ .
- أبو الحسن الجبائي = علي بن موسى
أبو الحسن الشاذلي ٦٤٥ .
- أبو الحسن المريني ٣٦٢ م .
- أبو الحسين بن الهجارة ٤١٦ ح .
- أبو حفص الهنتاقي = عمر بن يحيى
أبو حنيفة ٦٥٣ ، ٧١٩ ح .
- أبو حيّان - أثير الدين ٥١ م .
- أبو حيّان التوحيدي ٧٢٥ م .
- أبو الخطاب عمر = ابن دحية
أبو خراش الهذلي ٥٤٨ ح ، ٦٤٤ ح .
- أبو داود السجستاني - سليمان بن
الأشعث ٣٨ ح ، ١٦٠ ، ٢٦١ ،
٣٦٨ ، ٤٦٤ ، ٤٨٣ ، ٦٠٧ م .
- أبو دؤبوس المريني - أبو العلاء ادريس
٣٦٢ .

- أبو ذرّ الخثني - مصعب (٦٥٨ - ٦٥٩)، ٦٢٤.
- أبو الربيع بن سالم الكلاعي - سليمان بن موسى (٦٩٣ - ٦٩٨)، ٣٦٧.
- أبو الربيع سليمان الصنهاجي التلمساني . ٦٥٨
- أبو الربيع الموحّدي - سليمان بن عبد المؤمن (٥٧١ - ٥٧٤)، ٦٣٠، ٦٣١ - ٦٣٢، ٦٩٣ ح.
- أبو الروح عيسى = النفزي
- أبو زيد (اسم) ٦٢٨ م، ٦٢٩.
- أبو زيد (بطل مقامات) ٦٢٨.
- أبو زيد الأنصاري - سعيد بن أوس . ٣٦٧
- أبو زيد الفازازي - عبد الرحمن (٦٥٥ - ٦٥٧).
- أبو سعيد (اسم) ٦٢٨.
- أبو شامة - عبد الرحمن بن اسماعيل . ٥١١
- أبو شعيب السوسي = السوسي
- أبو شعيب = صالح بن زياد
- أبو صادق المدني = مرشد بن يحيى
- أبو الصلت أمية بن عبد العزيز (١٨٠ - ١٨٦)، ١٨، ٤٠، ٥٧، ٢٨٠.
- أبو طالب ٣٢٥، ٤٥٠ ح.
- أبو الطاهر التميمي = السرقطي الاشتراكي
- أبو الطاهر بن عوف - ابن عوف
- ابن طلحة الأنصاري (٦٨٢ - ٦٨٣).
- أبو الطيب = المتني
- أبو الطيب المسيلي = المسيلي
- أبو العاصي حكيم = حكيم بن الوليد
- أبو عامر (في شعر) ٢٦٦.
- أبو عامر بن الحمارة (٤١٦ - ٤١٩).
- أبو عامر الشنتريني ٦١ م.
- أبو عامر = ابن مسلمة
- أبو العباس = ابن العريف، الجراوي، السبقي
- أبو العباس السفاح (العباسي) ١٩٧ م.
- أبو عبد الله محمد (جدّ ابن الفراء الضرير) ٤٦١ م.
- أبو عبيد الهروي = ابن سلام
- أبو عبيدة - عامر بن الجراح ٥٣٧ م، ٥٣٨ ح.
- أبو عبيدة - معمر بن المثني ١٩٦، ٢٤٤ م.
- أبو العتاهية ٩٨ ح، ٥٧٣ ح.
- أبو العرب مصعب بن محمد (٩١ - ٩٣).

- أبو العلاء (في شعر) ٢٦٦ .
- أبو العلاء ادريس = المأمون الموحدى
- أبو العلاء = المعري
- أبو عليّ بن أبي زيد = ابن ابي زيد
- أبو عليّ الفسّاني = الفسّاني
- أبو عليّ الفارسي ١٧١ م ، ١٧٢ ، ٦٢٤ .
- أبو عليّ القالي = القالي
- أبو عمران المارثلي - موسى (٥٧٠ - ٥٧١) .
- أبو عمران الموحّدي ٧٠٩ م .
- أبو عمرو الأندى - أحمد بن خليل (١٦٨ - ١٧٠) .
- أبو عمرو الداني ٣٦٦ ، ٥٠٣ .
- أبو عمرو بن العلاء = المازني
- أبو فارس عزّوز ٣٦٢ م .
- أبو فراس ١٨٣ .
- أبو فلان ٧٠٠
- أبو قابوس = النعمان بن المنذر
- أبو القاسم (شخص مقامات) ٤٤٧ .
- أبو القاسم البلوي = البلوي
- أبو القاسم = ابن الجدّ، السهيلي، القالمي، الكلاعي، المغربي (الوزير)
- أبو قصبه الجزولي ٥٧٩ م .
- أبو الكرم جودي ٥٣٢ م .
- أبو لهب ٦٠٠ م .
- أبو لؤلؤة ٣٢٥ .
- أبو محمّد عبد الوهاب ٥٧٤ .
- أبو محمّد بن فاطمة ٥٣ .
- أبو محمّد بن القاسم ٦٥ .
- أبو محمد الموحدي = البياسي الثائر
- أبو مدين - شعيب بن الحسن (٥١٨ - ٥٢١) ، ٣٧٠ - ٣٧١ ، ٦٤٥ ، ٦٦٠ .
- أبو مرّة = ابليس
- أبو مروان بن سراج = ابن سراج
- أبن مروان الطبني ١٧٢ .
- أبو المعالي الكتبي ٤٤٨ م .
- أبو المغيرة = أبو الوليد
- أبو مكرم = الشاشي
- أبو منصور ظافر بن الحسين ٥٩٣ .
- أبو موسى الأشعري ٥٤ .
- أبو موسى الجزولي = الجزولي
- أبو لمي محمّد بن علي ٣٦٥ .
- أبو نواس ٩١ ح ، ١٣٢ ، ١٣٧ ، ٤٦٧ ح ، ٦٥٠ م .
- أبو الوليد الباجي ١٤٥ ، ٣٨١ ، ٦٧٠ .
- أبو الوليد بن جهور = ابن جهور
- أبو الوليد القرطبي (بطل مقامات) ٤٤٧ م .

- أبو الوليد بن المغيرة ٤٧ ح .
أبو الوليد الوقشي ١٦٠ ، ١٨٠ .
أبو يحيى بن ابي زكريا (أمير سبته)
٣٨٠ ، ٦٦٨ م .
أبو (يمزة) يمزي = الحرميزي
الابيارى - ابراهيم ٢٩٥ ، ٦٩١ ،
٦٩٩ ح .
الأبيض = أبو بكر (بن) الأبيض
أنير الدين = أبو حيان
أحمد = محمد رسول الله
أحمد بن ابراهيم = النميري
أحمد بن جعفر = السبكي
أحمد بن حاتم = البصري
أحمد بن الحسين = المسيلي
أحمد بن طاهر بن عيسى ٣٠٥ .
أحمد بن طلحة = ابن طلحة الأنصاري
أحمد بن عبد الرحمن = أبو الصقر
الخرزجي .
أحمد بن عبد الرحمن اللخمي الكاتب
٦٤٣ ح .
أحمد بن عبد الملك بن سعيد = ابن
سعيد العنسي - أبو جعفر أحمد
أحمد بن عتيق = ابن عتيق الذهبي
أحمد بن عمر القرطبي = القرطبي
أحمد القيسي - أبو القاسم ٥٩ .
أحمد بن محمد الخولاني ٤٨٤ .
المستعين التجيبي = ابن هود
الأخفش بن ميمون ٢٦٥ م .
اخوان الصفا ٢٣٤ .
أخيل بن ادريس الرندي (٣٥٤ -
٣٥٧) ، ٣٤٠ .
الأدب ٤٢ .
ادريس المريني = أبو دبوس
ادريس بن يعقوب = المأمون الموحدى
ادريس بن يوسف = ابن عبد المؤمن
إلادريسي - الشريف محمد بن محمد
٣٧٤ ، ٣٥٧ م .
الأدفتش: الأذفتش ٥٩٠ - ٥٩١ ،
٦١٥ م .
الأذفونش: ألفونسو السادس
أرسطو ٤١ ، ٦١ ، ٣٦٩ ، ٣٧١ ، ٣٨٠ ،
٣٥٢٥ ، ٥٢٩ ، ٧٢٢ م .
ارسلان (الشيخ) ٧٢٨ .
الأزدي - أبو محمد عبد الله ٣٧٨ .
الاستجي - أبو عبد الله ٥٤٧ .
اسحاق بن أبي ابراهيم ٣٦٢ م .
الاسكندر المقدوني ١٩٦ ح ، ٦٢٠ م .
اسماعيل - شعبان محمد ٥١١ .
الاشتركوني: الاشتركوني = السرقسطي
أشهب بن عبد العزيز القيسي ٢٩٧٠ م ٥٥٥

- أصبغ بن الفرج المصري ٥٥ م ،
 م ٢٩٧ .
- الاصفهاني = داوود بن علي ٦٨٥ ح .
 الأصفهاني - محمد بن سليمان ٢٧٧ .
 الأصم الروافي (٤١٩ - ٤٢٢) .
 الأصمعي ٧١٦ .
- الأصيلي - أبو عبد الله ٦٠٨ .
 اعتاد الرميكية ٢١١ .
 اعراب - سعيد ٥٧٤ .
 أعشن - أحمد بن عبد القادر ٥٢١ .
 الأعشى ٢٧٦ م ، ٦٣٨ ح م .
 الأعلم الشتمري - يوسف بن سليمان
 ١٩٢ ، ٣٠٠ ح .
- الأعمى التطيلي - أحمد بن عبد الله
 (١٦١ - ١٦٨) ، ٤٢ ، ٦٦ - ٦٧ ،
 ٦٨ ، ٦٩ ، ٢٥٧ .
- الأعمى الخزومي = الخزومي
 الأفشين ١٤٠ م .
 الأفضل - أحمد بن بدر الجواليقي ١١٢ ،
 ١٤٥ م ، ١٨٠ م .
- أفلاطون ٤١ م ، ٥٨ م ، ٦١ ، ١٣٦ ح ،
 ٣٧١ ، ٥٢٥ م ، ٧٢١ - ٧٢٢ .
 أفلوطين ٧٢١ - ٧٢٢ .
 اقليدس ٣٧٥ .
 الاقليشي = ابن الوكيل
- الإلبيري - محمد بن علي ٣٧٧ .
 ألفونسو أنريكويز = ابن ألبريق
 ألفونسو الأول (ملك أرغونة) ٢١٥ م .
 ألفونسو الثامن (ملك قشتالة) ٣٦٠ ،
 ٥٩١ .
- ألفونسو السادس ٣٣ م ، ١٤٤ م .
 ألفونسو (صاحب طليطلة) ٦٨ .
 ألكساندر دوماس (الابن) ٢٨ .
 أم الخشيف (في شعر) ٤٢٤ .
 أم الفضل (امرأة طلحة بن القبطرناه)
 ١٢٤ - ١٢٥ .
- أم مالك (في شعر) ٢١٤ ، ٥٤٨ ح .
 أماري - ميخائيل ٤٠٢ .
 الإمام المهدي (المنصور الموحد)
 ٣٦٩ .
- امرؤ القيس ١٩٦ م ، ٢٤٤ م ، ٥٠٣ ح .
 أمغار = المهدي بن تومرت
 أمة الرحمن (أم ابن دحية الكلبي)
 ٦٨٤ ح .
- أمير المسلمين ٣٣ .
 أمير المسلمين (المنصور الموحد) ٦٠ م .
 أمين - أحمد ٤٧٣ .
 أمية بن عبد العزيز = أبو الصلت .
 الأندى = أبو عمر .
 أنريك = ابن ألبريق .

البخاري - محمد بن اسماعيل ٣٨ م،

١٥٩، ٢٦١، ٢٩١، ٣٦٧، ٤٤٣،

٤٦٤ م، ٥٥٤، ٦٠٧ م، ٦٨٦ ح،

٦٩٤.

بدوي - أحمد أحد ٦٩١.

بدوي - عبد الرحمن ٥٢٩ م، ٧٣٤.

بديع الزمان الهمداني ٤٥ م، ٢٧٦ م،

٤٤٦ م.

البراذعي - خلف بن أبي القاسم ٣٦٧.

البراق ٣١٠.

البربر ٣٦.

البرجي - أبو الحسن ٦١.

البرقي - عبد الرحمن

البرك - الحجاج بن عبد الله ٥٨٤.

بركات بن ابراهيم = الخشوعي.

البرزنجي ١٠٩.

بروكلمن ٦١، ٣٠٨.

البرزاق - أحمد بن عمرو ٤٦٤.

البرزاق - خلف بن هشام ٤٩٩ م.

البرزي - أحمد بن محمد ٤٩٧ م.

البيستاني - ألفريد ٥٢٩.

البيستاني - عبد الله ١٥٨.

البيستاني - كرم ٢٢٤.

بشار الأندلس = الخنزومي الأعمى

بشار بن برد ٣١٩ ح، ٦٤٤ ح،

٦٨٦ م.

الأنصاري - أبو يحيى زكريا ١٠٩.

أنطون - فرح ٥٢٩.

الأهواني - أحمد فؤاد ٢١٨.

الأهواني - عبد العزيز ٤٤٦.

أين (في شعر) ٣٥٨ م.

أيوب ٣٤٧، ٤٧٥ م.

أيوب بن سليمان السهلي ٣٣١ - ٣٣٢.

ب

بابك الخرمي ١٤٠ ح.

الباجي (المستبد باشييلية) ٦٩٩ م.

الباجي = أبو الوليد

باديس بن حبوس ١٤٣.

باديس بن المنصور بن بلكين ٨٤ -

٨٥.

البادش = ابن البادش

الباكوري - أبو عبد الله ٤٤٤.

بالاثيوس - ميغيسل آسين ٢١٧ م،

٢٣٢، ٣٦٩، ٧٢٨.

بالنشيا آنخل ٦٦، ١٦٩ ح، ٧١٦ ح.

بشينة (محبوبة جميل) ٤٩٢ م.

البيجائي - عبد الرحمن بن يوسف ٣٧١.

البيجاوي - علي محمد ٧٢٧.

البيحري ١٦٠ م، راجع ١٦٧ (وليد)،

٤٦٠، ٦٨٢.

البصري - أحمد بن حاتم ٧١٦ .
 البطائحي - محمد ١٤٥ .
 البطروجي - نور الدين ٣٧٥ -
 ٣٧٦ ح .
 بطليموس ٣٧٥ - ٣٧٦ ح .
 البطلبوسي = ابن السيد، عاصم بن
 أيوب
 البقاعي - برهان الدين ٧٣٤ .
 بقراط ١٨٥ م .
 بكر (اسم) ٦٨٨ م .
 البكري - مصطفى بن كمال الدين
 ٦٤٥ .

بلج بن بشر القشيري ٦٠٨ .
 البلوي - أبو القاسم أحمد بن محمد
 (٦٧٩ - ٦٨١) ، ٥٩ .
 البلوي - خالد بن عيسى ١٩ - ٢١ .
 البلوي - عبد الرحيم بن يوسف ٥٧٥ ،
 ٥٧٦ ، ٥٧٧ .
 البلوي - يوسف = أبو الحجاج .
 البنا - محمد ابراهيم ٤٦٩ .
 البناني - عبد السلام بن حمدون ...
 البنجديبي: البندهي: الفنجديبي
 بنو سليم ٣٤ ، ٧٣ .
 بنو القبطرونه (١٢٢ - ١٢٦) ، ٦٨ .
 بنو هلال ٣٤ ، ٧٣ .

بهاء الدين = ابن شداد
 بورله - بولس ٥٦٨ .
 بوكوك ٤٧٣ .
 بونار - رابع ٦٦٣ .
 بويج - موريس ٥٢٨ ، ٥٢٩ .
 البياسي - أبو الحجاج - يوسف (المؤرخ)
 ٣٧٣ ، ٣٧٨ .
 البياسي - السيد أبو محمد ادريس بن
 منصور الموحي (الثائر) ٦٨٠ م ،
 ٦٩٩ م .
 بيسار - محمد بن عبد الرحمن ٥٢٩ .

ت

تاج المعالي ١٨٠ م .
 التاريخي - جابر بن أحمد ٦٥٥ .
 التازي - عبد الهادي ٤٠٣ ح ، ٥٢٤ .
 تاشفين بن علي - أبو يوسف ١٨٧ .
 التبريزي - أبو زكريا ٢٨٤ .
 الترمذي - محمد بن عيسى ٣٨ م ، ٢٦١ ،
 ٤٦٤ ، ٤٨٣ ، ٦٠٧ م .
 الترمذي الحكيم (ت ٣٢٠ هـ) ٢٨٦ ح .
 تشرستانين ٦٦٧ .
 التستري - أبو علي ١٤٥ .
 التطيلي الضريد القرطبي (الأصغر) -
 أبو اسحاق ابراهيم ١٦١ ح م .

التطيلي الضريز (الأكبر) = الأعمى
التطيلي.

التعليقة ١٤٦.

تميم بن المعز الصنهاجي - أبو يحيى
(٧٣ - ٧٧).

التوحيدي = أبو حيان

تود (ملكة الدنمارك) ٣٨٤.

التوقيع ١٤٩.

التيفاشي - أبو العباس أحمد بن يوسف
٣٧٦.

ث

ثابت بن سليمان ٣٧٦.

الثعالي - أبو منصور عبد الملك
٣٨٢ م.

ثعلب - أحمد بن يحيى ٦٢٣.

الثعلبي النيسابوري - أحمد بن محمد
١٤٥.

الثعلبي - عبد الوهاب بن علي ٢٣٤.

ج

جابر بن أفلح ٤٠.

جابر بن يوسف (بن عبد الواد) ٣٦١.

الجاحظ ٥١، ٦٢، ٢١٧، ح، ٣٨٧.

جاحظ الأندلس: جاحظ المغرب =

الحجاري.

جالينوس ٣٧٧، ٥٢٨ م.

جانا (جد زناتة) ٣٦٤.

جيريل ٦١٥.

الجراري - عباس ٥٧٤.

الجرابي - أبو العباس أحمد بن حسن
(٣٥٢ - ٣٥٤)، ٦٧٣ م.

الجرابي - أبو العباس أحمد بن عبد
السلام (٥٨٩ - ٥٩٣)، ٦٧٣ م.

الجرجاني - علي بن عبد العزيز
(القاضي) ٦٥٨ ح.

جرول = الخطيئة

جيرير بن عطية ٢٣٨ - ٢٣٩.

الجزار السرقسطي - أبو بكر يحيى
(١٠٢ - ١٠٦).

الجزولي = أبو قصبه

الجزولي - أبو موسى ٦٦٣.

الجزولي النحوي - عيسى بن عبد
العزيز (٥٩٣ - ٥٩٤).

الجزيري (الثائر) - محمد بن عبد الله
٤٨٩ م.

جساس بن مرة ١٩٦ ح.

جعفر بن ابراهيم = ابن الحاج

جعفر (الطيبار) بن أبي طالب ١٩٦،
٤٥٠ م.

جعفر بن عثمان المصنفي ٥٠ م.

جعفر بن محمد الشنمري (٣٠٠ -
٣٠٣).

جعفر بن يحيى اليرمكي ١٩٧ م.

جمعة (بائع خبز) ٧٢٦ م.

جميل بن معمر ٤٩٢ م.

الجنووي - يحيى ٣٦٨ م.

جهم بن صفوان ١٣٥ م.

جودي = أبو الكرم

جودي بن عبد الرحمن ٥٥٦ ح.

الجوهري - اسماعيل بن حماد ١١٢ ،

٦٦٣ .

الجويني - عبد الملك بن محمد ٢٣٤ .

الجيباني = ابن ياسين

الجيباني - محمد بن علي ٣٦٦ .

الجبساني = علي بن موسى

الجيلالي - عبد الرحمن ٣٦٤ .

الجيلاني - عبد القادر ٥١٩ م .

ح

الحائك: الحكم بن سعيد = ابن القزاز

حاتم الطائي ١٠٥ م ، ١٦٧ ، ٢٢٨ .

الحارث بن هشام (في المقامات) ٦٢٨ م ،

٦٢٩ م .

الحازمي الحمداني - محمد ٥٨٦ ح .

الحباب بن المنذر ٣٣٢ ح .

الحبال = ابن الحبال

حبّوس ١٤٣ .

حبيب (اسم) ٢٣٨ ، ٢٤٠ - ٢٤١ .

حبيب = أبو تمام

الحبيب = محمد رسول الله .

الحجاج بن عبد الله = البرك

الحجاج بن يوسف الثقفي ١٩٧ ح ،

٣٤١ م ، ٦٧٨ م .

الحجاري - عبد الله بن ابراهيم

(صاحب المسهب) (٣١٣ - ٣٢٤) ،

٣٩ ، ٥٠ ، ٣٣٨ ، ٣٥٠ ح ، ٣٨٥ ،

٣٨٦ .

الحجاري - أبو عبد الله ٥٤٧ .

الحجاري - ابراهيم ٣١٣ ح .

الحجاري - أبو محمد عبد الله (عم

صاحب المسهب) ٣١٥ ح .

حجر (والد امرئ القيس) ١٥٦ م .

الحداد المهدي - علي بن محمد الخولاني

٢٨٤ .

الحرائري - عبده سليمان ١٩١ .

الحراي - علي بن أحمد ٣٦٦ .

حرب (اسم) ٦٢٨ .

الحرميزي - أبو يعزى ٣٧٠ ، ٥١٨ .

الحروب الصليبية ٣٤ ، ٥٢ .

الحرون (حصان) ٣٠١ ح .

الحريري - القاسم بن علي ٤٤ ، ٤٥ م ،

٢٣٨ ، ٣٣٩ م ، ٣٧٨ م ، ٤١١ ،

٤٤٦ م ، ٤٧٦ ، ٦٢٣ ، ٦٢٤ م ؛

٦٢٥ - ٦٢٩ ، ٦٥٨ .

- حسام الدولة أبو مروان عبد الملك (من
 بني رزين) ١٥٣ م .
 حسان (جامع حسان) ٣٦٤ .
 حسان بن ثابت ٢٢٨ م .
 حسن (في شعر) ٣٨٧ م .
 الحسن السائح = السائح
 حسن - عزة ١٧٣ ح .
- الحسن بن عليّ ١٣٨ م ، ٣٥٩ ، ٤٥٠ م ،
 ٥٣٧ ح .
 الحسن المراكشي - أبو علي ٣٧٥ .
 الحسن بن مغيث ٣٣٤ .
 الحسين بن أحمد (الموقت: الميقاتي)
 ٣٧٦ .
 الحسين بن عليّ ١٣٨ ، ١٣٩ م ، ١٩٧ م ،
 ٤٥٠ م ، ٥٣٧ ح ، ٥٥٠ ، ٥٥٣ م .
 ٦٨٤ ح .
 الحسين بن محمد النسائي الجياني (٤٩٨) ،
 ١٥٣ - ١٥٢ ، ٥٦ .
 الحصري - أبو الحسن ١٧٢ .
 حصريّة - عزة ٧٢٨ م .
 الخطيئة ٢٧٦ م ، ٣١٩ م .
 حفص - أبو عمر بن سليمان ٤٩٨ م ،
 ٥٠٠ م .
 حفصة الركونية (٤٩٠ - ٤٩٣) ،
 ٣٣٩ - ٣٤٠ ، ٣٤٣ - ٤٥٣
- الحكم الجلياني - عبد المنعم (٥٦٤) -
 ٥٦٨ .
 الحكم بن سعيد = ابن القزّاز
 الحكم المستنصر ٥٠ م ، ١٤١ م .
 الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل
 ٣٣٤ م .
 حكم بن الوليد - أبو العاصي (الوزير)
 ٤٩ .
 الحكيم الترمذي = الترمذي الحكيم .
 الحلّاج ٣٤١ م .
 الحلو (عبد) ٥٢٩ .
 حمادة: حمادو (بلا تشديد) ٦٥٩ .
 حمدة (حدونة) بنت زياد (٥٥٥) -
 ٥٥٧ ، ٣٤٠ ، ٥٣١ م .
 حمدان بن محمد (المستبد بقرطبة)
 ٣٥٤ م .
 حمزة بن حبيب الزيات ٤٩٨ م ،
 ٥٠٠ م ، ٥٠١ ح ، ٥٠٧ .
 حمزة بن عبد المطلب ١٩٦ م ، ٢٦٢ ،
 ٤٥٠ م .
 حميد بن ثور ٤٨١ م .
 الحميدي - محمد بن فتوح ٣٧٢ ،
 ٥٥٤ - ٥٥٥ .
 الحميري - عصام ٥٩٥ م .
 الحميري = أبو جعفر

- حواء ٧١٥ ح .
 خوراني - فضلو ٥٢٨ .
 خلاد بن خالد - أبو عيسى ٤٩٩ م .
 الخلمي - علي بن الحسن ٢٨٤ .
 الخليل = ابراهيم
 الخليل بن أحمد ٣٢٠ م .
 خنساء المغرب = حدة بنت زياد .
 الخولاني = أحمد بن محمد
 خولة (في شعر) ٦٣ م ، ٢٧٧ .
 خيران العامري ١٤٣ .

خ

- د
 داخس (حصان) ١٩٦ م ، ٣٠١ ح م .
 الداخل = عبد الرحمن
 دادويه = زادويه
 دارا الأول ١٩٥ م .
 دارا الثالث ١٩٦ ح .
 دارا الثاني ١٩٥ ح - ١٩٦ ح .
 الدارقطني - علي بن عمر ٣٨ م .
 الدارمي = أبو حفص عمر ٧٢٥ .
 الداني = أبو عمرو
 داوود بن أحمد الملقب ٦٤٣ ح .
 داوود بن أحمد - أبو سليمان الطبيب
 ٦٤٣ ح .
 داوود بن غلي = الأصفهاني
 الداية - محمد رضوان ٢٢٤ ، ٢٨٣ ،
 ٣٠٩ .
 الدباج - علي بن عامر ٧٠١ م .
- خارجة بن حذاقة ١٩٧ م ،
 ٥٨٤ - ٥٨٥ .
 خالد بن برمك ٦٤٤ م ، ٧٣٦ ح .
 خالد بن الوليد ١٦٧ م .
 الخباز البلدي ٣٠٩ .
 الخبز أرزي - نصر بن أحمد ٣٠٩ م .
 الخدب - محمد بن أحمد ٥٩٨ م .
 الخزوي - محمد علي ٦٤٥ .
 خروف (في شعر) ٥٩٩ .
 الخزرجي الصقلي - عثمان بن علي
 (٤٥٨ - ٤٦١) .
 الخشي = أبو ذر .
 الخشي - أبو بكر محمد بن مسمود ٤٨٠ .
 (٢٨٩) ، ٤٨٠ .
 الخشوعي - أبو الطاهر بركات ٦٠٨ .
 خضر (الخضر) ٧٢٧ م .
 الخطيب - محب الدين ٧٢٧ .

ر
 الرازي - أبو بكر محمد بن زكريا
 ٣٧٤ ح .
 الرازي - أبو محمد ٣٩٠ .
 الراضي يزيد بن المعتمد بن عباد
 ١٠٩ - ١١٠ ، ٣٨٢ ، ٦٧١ .
 رايت - وليم ٦١٢ .
 رايوندو الثاني (صاحب برشلونة) ٨٨ .
 رايوندو = ريموندو
 ربارا وطرأغو ٣٧٤ ، ٤٤٣ .
 الربضي = أحمد بن عبد الرحمن
 اللخمي
 الربيعي - علي بن محمد ٢٣٤ .
 الربيع بن حبيب الفراهيدي ٣٦٩ .
 رثاء المدن ٦٨ .
 رزين بن معاوية بن عمار العبدي ٣٨ ،
 ٥٦ .
 رسلان (الشيخ) ٧٣٤ .
 الرسول = محمد رسول الله
 الرشاطي - عبد الله بن علي اللخمي
 ٤٦٤ ، ٥٦ ، ٣٨ م .
 الرشيد بن المعتمد بن عباد
 (٢١١ - ٢١٣) .
 الرصافي الرقاء البلنسي - محمد بن
 غالب (٤٣٠ - ٤٣٦) ، ٣٨٥ .

الدرجيني - أحمد بن سعيد ٣٧٣ .
 الدقاق (الصوفي شيخ أبي مدين) ٣٧٠ .
 الدلائي - أحمد بن عمر ١٥٩ م .
 الدمستق ٤٠٧ ح م .
 دنلوب - م . د . ٢١٧ .
 ده خويه ٢٧ م ، ٦١٣ .
 ده فوه - دانيال ٤٧٠ ح .
 الدوري - أبو عمر حفص (القاريء)
 ٤٩٨ م ، ٤٩٩ م .
 دوزي ١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢٠١ م ، ٥٨٥ .
 دولة بني حماد ٣٤ .
 دولة بني زيري ٣٤ .
 ديراني - عفيفة محمود ١٨٠ .
 ديستوريدس ٣٧٧ .

ذ

ذكوان بن ثعلبة ٥٨٦ ح .
 الذكي - محمد بن الفرج ٦١ .
 ذو الكلاع ٦٩٣ .
 ذو رعين ٤٩٣ .
 ذو النسبين = ابن دحية الكلبي
 ذو نواس ٥٣٥ .
 ذو النون (النبي) ٤٧٥ م .
 ذو يزن ٥٣٥ .

الزرقالي = ابن النقاش
 الزركلي - خير الدين ٣١٥، ٧٠٢ .
 زرياب ٣١ .
 الزريزير ٤٤ .
 الزريزيرات ٤٤ .
 زعيتر - عادل ٥٢٩ .
 الزنجاني - أبو القاسم ٢٨٠ .
 زهر = ابن زهر - أبو العلاء
 الزهراوي = الغمراوي - محمد
 الزهري = الغمراوي
 زهير بن أبي سلمى ٢٤٤ .
 زهير العامري ١٤٣ .
 الزواوي - أبو زكريا ٥١٩ .
 زيادة - معن ٢١٧ .
 زيد (اسم) ٦٧، ٥١٤ م، ٥٧٥،
 ٦٠١ ح، ٦٦٥، ٦٨٧ - ٦٨٨ .
 زينب (في شعر) ١٧٥ .

س

السائب بن تمام (اسم في المقامات)
 ٢٣٨ م .
 السائح - الحسن بن محمد ١٩ - ٢١ .
 سابور (صاحب بطليوس) ١٤٢ .
 سالم بن صالح المالقي = ابن سالم
 سالم الكرنكوي = كرنكو - فريتز
 سالم - محمد سليم ٥٢٩ .

الرعيبي - أبو الحسن ٦٣٤ ح م .
 الرعيبي - أبو الحسن علي ٧٢٩ ح م .
 الرقاء البلنسي = الرصافي
 رفيع الدولة الصمادحي (٢٦٤ - ٢٦٧) .
 الركلي - أبو محمد ٢٣٧ .
 الرمادي ٣٨٣ .
 الرميكية = اعتاد
 الرندي = أبو البقاء ، أخيل
 روجار الثاني ٣٧٤ .
 روح القدس = جبريل
 الرياشي = عمر بن عبد الحميد
 ربييرا = ربارا وطرأغو
 ريموندو: راجع رايوندو
 ريموندو الثالث ٤٠٦ ح .
 ريموندو الرابع ٤٠٦ - ٤٠٧ .
 رينان - أرنست ٥٢٩ .

ز

زادويه (مولي بني الضنبر) ٥٨٤ - ٥٨٥ .
 الزبير بن عمرو المثلث ٢٩٥، ٢٩٧ م،
 ٢٩٨، ٣٨٨، ٥٣١ .
 الزبير بن العوام ١٣٧ ح، ١٩٦ م،
 ٥٣٨ ح .
 الزجّاجي - عبد الرحمن بن اسحاق
 ٤٢٨ م، ٥٩٣، ٥٩٨، ٦٢٣ م،
 ٦٢٤ .

سكيا باربلي ٢١٠ .
 سلام بن سلام الباهلي = ابن لام
 سلام بن عبد الله = ابن سلام المالقي
 السِّلْفِي - أبو طاهر أحمد بن محمد
 . ٥٧٤ ، ٤٩٣ ، ٤٤٤
 سُلَيْم بن عيسى ٤٩٩ م .
 سليمان بن الحكم = المستعين المرواني
 سليمان بن عبد الرحم داخل ٣٣٤ م .
 سليمان بن محمد المالقي = ابن الطراوة
 سليمان (جدّ المستعين بن هود) ١٥٦ م .
 سليمان الصنهاجي = أبو الربيع
 سليمان بن عبد الواحد = أبو الربيع
 الموحّدي
 سليمان بن موسى = أبو الربيع الكلاعي
 سليمي (في شعر) ١٢٥ ، ٢٥٤ ، ٥٤٢ م .
 السمرائي - ابراهيم ١٥٩ .
 السنوسي - ابراهيم ٤٦٩ .
 السنوسي - زين العابدين ٢١٠ م .
 السهوردي - يحيى بن حبش ٤٧٣ .
 سهل بن محمد الأزدي = ابن مالك
 الأزدي .
 سهيل بن عبد العزيز ٣٣٢ .
 السهيلي - عبد الرحمن بن عبد الله (أبو
 القاسم أبو زيد) (٤٦٥ - ٤٧٠) ،
 ٣٧٧ ، ٥٧٤ ، ٥٨١ م ، ٦٠٢ ، ٦٥٥ ،
 ٧٢٩ ، ٦٨٧ .

السبي - أبو العباس أحمد بن جعفر
 (٥٦٢ - ٥٦٤) ، ٦٥٨ .
 السبي - أبو العباس (والي سبتة)
 ٦٨٢ ، ٦٥٨ م .
 السبي = العزفي السبي
 سحنون - عبد السلام بن سعيد ٥٥ ح ،
 ٢٣٤ ، ٢٩٦ ح ، ٣٦٧ .
 سدرائي ، سرراي = سيدرأي
 السرقسطي الاشتركوي - أبو
 الطاهر (٢٣٧ - ٢٤٥) ،
 ٤٥ ، ٥١ ، ٦٢ م ، ٣٧٨ .
 السرقسطي - أبو عبد الله ٢٨٤ .
 السريّ الرفاء ٤٩١ - ٤٩٢ .
 سعاد (في شعر) ٥٩٤ .
 سعد (في شعر) ٤٣٠ م ، ٦٣٦ .
 سعد بن أبي وقاص ٥٣٧ م ، ٥٣٨ ح .
 سعد - عبد الرؤوف ٤٦٩ .
 سعد (والد ابن مردنيش) ٣٥٥ .
 سعد الدين محمد بن عربي ٧١٧ .
 سعدى (في شعر) ١١٣ .
 سعيد بن زيد ٥٣٨ ح .
 سعيد بن عبد العزيز بن يحيى ١٢٢ ح .
 سعيد بن عثمان = ورش
 السفاح = أبو العباس (العباسي)
 السقا - مصطفى ٢١٠ ، ٢٩٥ .

الشميلي = أيوب بن سليمان
السوسي - صالح بن زياد ٤٩٨ م.
سيبويه ١٧٠، ١٧١، ١٧٢ م، ٢٨٩،
٤٥٣، ٦٢٣، ٦٤٨، ٧٢٩ م.
السيد (في شعر) ٥٩٩ م.
سيدي محي الدين = ابن عربي.
سير بن أبي بكر (ابن تاشفين) ٥٣،
١٩٢.

الشريف الإدريسي = الإدريسي
الشريف الرضي ٦٩، ٣٣٠ ح،
٥٣٠ ح.
الشريف الغرناطي ٤١٩ ح.
الشطبي - شوكت ٤٧٣.
شعبة بن الحجاج - أبو بسطام ٤٩٨ م،
٥٠٠ م.
الشعر ٦٥، ٢٢٣، ٣٠٨.
شعيب بن الحسن = أبو مدين
شعلان - إبراهيم ٤٤٦، ٤٥١.
شعلة الموصلبي الحنبلي ٥١١.
شعرون - عبد السلام = ابن شعرون
الشقندي - أبو الوليد اسماعيل بن محمد
(٦٦٧ - ٦٧٤)، ٧٨، ٣٨٠،
٣٨١.

الشاطبي = ابن القابلة
شلي - عبد الحفيظ ٢٩٥.
الشلوبين: الشلوبيني - أبو علي ٣٨١،
٧٠١ م، ٧٠٢.
شمر بن ذي الجوشن ١٩٧ م.
الشنتريني = ابن بسام
الشنتمري = جعفر بن محمد
الشيال - جمال الدين ١٥٢.
الشيخ أبو حبيب (في المقامات) ٢٣٨،
٢٤٠ ح.

سيف الدولة الحمداني ١٨٨، ٣٨٢ م،
٤٠٣، ٤٠٧ م ح.
سيف بن ذي يزن ١٨٨ م.
السيوطي - جلال الدين ٦١، ٣٠٨.
سيوغرن ٦٦٧.

ش

الشاذلي = أبو الحسن
الشاوي - مكرم محمد بن أحمد ١٤٥،
٢٨٤ - ٢٨٥.
الشاطبي - القاسم بن فيره (٤٩٣ -
٥١٢)، ١٦، ٣٦٦ م.
الشافعي ٦٤٥.
شريح ٤١٠ (٢).
الشريشي - أبو العباس أحمد بن عبد
المؤمن (٦٢٤ - ٦٣٠)، ٣٧١،
٣٧٩.

الصولي - محمد بن يحيى ٦٣٢ .
الصيدلاني = أبو جعفر
الصيرفي - يحيى بن محمد (٣٣٤) -
٣٣٧ ، ٣٩٠ م .

ض

الضباع - علي محمد ٥١٢ ، ٧٣٣ .
ضبلر ٣٩٨ .
الضبي - أحمد بن يحيى ٣٧٢ .
الضليل = امرؤ القيس

ط

الطائي = حاتم
طارق بن زياد ١٣٩ ، ٤٢٠ ، ٥٢٢ م .
طارق بن موسى = ابن يعيش
الطالي - محمد ١٥٢ .
طاهر بن هشام (?) ٢٣٢ .
الطبّ ٤٠ .
الطبري ٢٧ م ، ٤٦٨ ، ٦٦٠ ، ٦٩٧ ح .
الطبي = أبو مروان
طرّاغو = رباره
الطرطوشي = أبو بكر
طرفة ٦٢ ح ، ٢٧٧ ح ، ٧٠١ ح .
الطرمّاح بن حكيم ١٧٣ ح .
طلحة بن عبيد الله ١٣٧ ح ، ٥٣٨ ح .

شيخ الأرض - تيسير ٢١٨ ، ٤٧٣ .
الشيخ الأكبر = ابن عربي

ص

صاعد البغدادي ٣١٦ .
صالح بن زياد = السوسي
الصباغ - علي محمد ٧٢٧ .
صبري - عبي الدين ٢٠١ ، ٥٨٥ .
الصدفي: ابن سكرة - أبو عليّ الحسين بن
محمد بن فيّره ٥٩ ، ١٠٠ ، ١٧٠ ،
٢١٣ ، ٢١٨ ، ٢٣٧ ، ٢٦١ ، ٢٦٨ ،
٢٨٤ ، ٢٨٩ ، ٣٠٣ ، ٣٢٧ .
الصدفي - محمد = ابن علقمة
صريع الغواني = مسلم بن الوليد
الصفدي - خليل بن أيّك ٦٤٨ .
صفوان بن ادريس (٥٥٠ - ٥٥٣) ،
٣٧٨ ، ٦٤٨ ، ٦٤٩ - ٦٥٠ ،
٦٩٥ .
صلاح الدين الأيوبي ٣٦٠ م ، ٣٧١ ،
٤٤٣ م ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٩٤ ،
٥٦٤ ، ٥٦٥ م ، ٥٦٦ - ٥٦٧ ،
٥٧٤ ، ٦٠٨ م ، ٦١٢ م .
صليبا - جميل ٤٧٣ .
صنانيد - ابراهيم بن محمد ٦٣٥ .
الصوفي - عبد الله بن عبد العزيز
١٠٩ .

العباس بن عمر بن الافطس ١٩٢ ،
١٩٨ .

عبد الإله (في شعر) ٤٠ ، ٤٣٢ .
عبد الله (اسم) ٦٢٨ .

عبد الله بن حاتم البصري ٧١٦ .
عبد الله بن الحسن القرطبي (٦٠٢) -
٦٠٣ .

عبد الله بن الزبير ١٩٧ م .
عبد الله بن السيد = ابن السيد
البطليوسي

عبد الله بن عامر = ابن عامر
عبد الله (البنسي) بن عبد الرحمن
الداخل ٣٣٣ - ٣٣٤ .

عبد الله بن عبد العزيز = الصوفي
عبد الله بن عبد المطلب ٧١٥ ح م .
عبد الله بن عبد الواحد الحفصي ٣٦١ ،
٣٦٥ .

عبد الله بن عليّ اللخمي = الرشايطي
عبد الله بن محمد المعتصم بن صادق = عز
الدولة

عبد الله بن المعتمد = الرشيد العبادي
عبد الله بن نعيم = ابن نعيم الحضرمي
عبد الله بن موسى بن عياض ٢٩١ م .
عبد الله بن وزمر (عمّ الحجاري)
٣١٣ ح ، ٣١٥ ح .

صلحة بن القبطرونه - أبو محمد ١٢٣ -
١٢٤ ، ١٢٦ .

الطليق الروافي ٤١٩ .
الطوسي = المؤيد
الطيلسان - أبو القاسم ٣٧٣ .

ظ

ظافر بن الحسين = أبو منصور

ع

العادل الموحد - عبد الله ٦٧٦ م .
عاصم بن أبي النجود - أبو بكر
٤٩٨ م ، ٥٠٠ م ، ٥٠١ ح .

عاصم بن أيوب البطليوسي ١٥٢ م .
عاصم بن عمر بن الخطاب ١٣٩ ح .

العامري = مجنون ليلى
العامرية = ليلى

عبّاد (سلف المعتمد بن عباد) ٨٥ .
عبّاد = المعتضد بن عبّاد .

عبّاس - احسان ، ٤٤ ، ٦٦ ،
١٦٨ ، ٢١٠ ، ٢٣٨ ح ، ٢٨٠ ،
٣٨٧ ، ٤٣٦ ، ٥٤٨ ح ، ٥٨٢ ح ،
٥٨٩ ، ٦٧١ ، ٧٠٢ .

العبّاس بن الأحنف ٣٨٤ ، ٦٨٦ م .
العبّاس بن عبد المطلب ٢٦٢ ، ٤٥٠ م .

- عبد البديع - لطفي ٤٧٧ ، ٤٨٠ .
عبد البر بن فرسان = ابن فرسان .
عبد الجبار = ابن حمديس ، المتسي
الجزيري
عبد الجليل = ابن وهبون
عبد الجواد - محمد ٢٤٥ .
عبد الحق الاشبيلي = ابن الخراط
عبد الحق بن غالي = ابن عطية
عبد الحق بن يحيى ٣٦١ .
عبد الدائم = ابن جبر القيرواني
عبد الرحمن (اسم) ٦٢٨ .
عبد الرحمن (الأوسط) بن الحكم بن عبد
الرحمن (الداخل) ٣٣٤ م .
عبد الرحمن الداخل ١٤١ م ، ٢٧٧ ح ،
٣٢٣ ، ٣٣٣ ، ٣٣٨ م .
عبد الرحمن العذري = كثير عزة
عبد الرحمن بن عوف ١٣٨ ح ، ٥٣٧ م ،
٥٣٨ م .
عبد الرحمن بن محمد بن الصقر ٤٠٧
عبد الرحمن بن ملجم ١٣٨ ، ١٩٧ ،
٥٨٤ ح .
عبد الرحمن الناصر ٥٠ ح ، ١٤١ م ،
٣١٧ ح ، ٤٧٨ - ٤٨٠ .
عبد الرحمن بن عبد الواحد الحفصي
٣٦١ ، ٣٦٥ .
- عبد الرحيم = ابن الفرس
عبد السلام الكناني ٦٠٨ .
عبد السلام بن مشيش (٦٤٥ - ٦٤٧) ،
٣٧١ .
عبد العزى بن عبد المطلب = أبو نهب
عبد العزيز (والد أبي بكر بن عبد
العزيز) ١٧٦ .
عبد العزيز بن القبطرونه ١٢٣ ،
١٢٥ ، ١٢٦ .
عبد القاهر البغدادي ١٣٥ ح .
عبد المجيد - حامد ١٥٩ ، ٦٩١ .
عبد المجيد = ابن عبدون
عبد المجيد بن عمر = المياشي
عبد المطلب بن هاشم ٤٥٠ ح .
عبد المعطي بن مسافر ٧٢٥ .
عبد الملك بن حبيب ٣٨١ ، ٦٧٠ .
عبد الملك (من بني رزين) = حسام
الدولة
عبد الملك الحضرمي = ابن يدرون
عبد الملك بن زهر = ابن زهر
عبد الملك بن سراج = ابن سراج
عبد الملك بن سعيد = ابن سعيد
الغنسي - عبد الملك
عبد الملك بن مروان ١٣٩ م .
عبد الملك بن محمد = ابن صاحب الصلاة

عبد الوهاب بن عليّ (٥٤٧ -

٥٤٩)، ٥٧٤، ٥٧٦.

العبدري = رزين بن معاوية بن عمّار

عبّو = عبد الله بن عبد الواحد الحفصي

عبيد الله بن محمّد = الرشيد العبّادي

عتبة بن أبي سفيان ٦٦٩ ح.

العتبي - عبد الرحمن بن محمد ٦٦٩ ح م.

العتقي = ابن القاسم

عثان بن عفان ١٣٧ ح، ١٣٨ م،

١٩٦ م، ٤٥٠ م، ٤٥١ م، ٥٢٢ ح،

٥٤٧ م، ٥٣٨ ح.

عثان بن سعيد المصري = ورش

عثان بن عبد المؤمن = ابن عبد المؤمن

عثان بن عليّ = ابن الامام الشلي،

الخرزجي الصقلي

العرب (البدو) ٣٤.

عروة بن حزام ٥٥٩ م.

عروة بن مسعود الثقفي ٤٧ ح.

عروة المسذلي (أخو أبي خراش)

٦٤٤ ح.

الريان - سعيد ٦٤٠ ح.

عزّ الدين الصادحي - أبو مروان عبد

الله بن محمّد (٧٧ - ٨٠).

عزّ الدين بن موسك ٤٩٤ م.

المرّاي - عباس ٦٩١.

عبد الملك بن هشام = ابن هشام

(صاحب السيرة)

عبد المنان - عثمان ٧٢٧.

عبد المنعم الجلياني = الحكيم الجلياني.

عبد المنعم بن الفرس = ابن الفرس

عبد المؤمن بن عليّ ٣٢٤، ٣٢٦،

٣٣٩ م، ٣٤٠ - ٣٤١، ٣٤٩،

٣٥٣ م، ٣٥٥ م، ٣٥٦، ٣٥٩،

٣٦٠ م، ٣٦٣، ٤٠٣، ٤٠٦ ح م،

٤٠٧ ح، ٤١١ م، ٤١٢ م، ٤١٩ -

٤٢٢، ٤٢٣ م، ٤٣٠، ٤٤٩ -

٤٥٠، ٤٥١ - ٤٥٢، ٤٥٣،

٤٦٨، ٤٧٣، ٤٧٧، ٤٩٠ م،

٥٢٢ ح، ٥٥٩ م، ٥٨٩، ٦٣٢.

عبد المؤمن - أبو سعيد ٦١٨ م.

عبد المؤمن بن عمر ٣٧١ م.

عبد الواحد بن اسماعيل ٧٢٥.

عبد الواحد الحفصي ٣٦١، ٣٦٥.

عبد الواحد المراكشي ٦٠، ٣٦٧،

٣٧٣، ٣٧٩، ٣٨٤ - ٣٨٥،

٥٩٥ م، ٦١٣، ٦٣٠ م، ٦٣١.

عبد الواحد - مصطفى ٦٩٨.

عبد الوهاب - حسن حسني ٢٢٥ ح،

٢٣٣، ٢٣٦.

عبد الوهاب القيسي النشي - أبو محمّد

علي بن محمد الخولاني = الحداد المهدي
 علي بن موسى الجبائي (٥١٥ - ٥١٨).
 علي بن يحيى بن تميم الصنهاجي
 ١٢٧ م، ١٨٣ - ١٨٤.
 العاد الكاتب الاصفهاني ١٨١، ٣٩٩،
 ٤٤٥، ٤٤٦ م.
 عمر بن أبي ربيعة ٣٨٤، ٦٨٦ م.
 عمر بن أيوب ٤٦٣.
 عمر بن حفصون ٥٢٢ ح.
 عمر بن الخطاب ٥٤، ١٣٧ م،
 ١٣٨ ح، ١٣٩، ١٩٦ م، ٣٢٥ ح،
 ٣٧٣، ٣٩٢ م، ٤٥٠ م، ٤٨١ ح،
 ٥٢٢ ح، ٥٣٦ م، ٥٣٨ ح،
 ٥٤٨ ح، ٦٤٤ ح.
 عمر بن عبد الحميد الدارمي الرباني
 ٧٢٥، ٧٣١.
 عمر بن عبد العزيز ١٣٩ م.
 عمر بن الفارض ٦٧٤ م.
 عمر بن الأفطس = المتوكل
 عمر بن محمد = معين الدين أبو حفص
 ٣٩٢ - ٣٩٣.
 عمر بن يحيى الهنتاقي ٣٦٥.
 عمران (اسم) ٥٠٨ ح.
 عمرو (اسم) ٥١٤ م، ٦٠١ م، ٦٦٥،
 ٦٩٢ - ٦٨٧ م، ٦٨٨ م.

العزفي السبي - محمد بن أحمد ٣٧٣.
 عزّة (محبوبة كثير) ٦٩٠ م.
 عزّوز = أبو فارس عبد العزيز
 العزّي = الخللاقي - علي
 عصام بن أحمد = الحميري
 العطار الحسيني = عزّت ١٥٩، ٤٥٨.
 العطار - عمر ٧٢٨.
 العقاد - عباس محمود ٥٢٩.
 علي بن (ابراهيم) عطية - ابن الزقاق
 البنسي.
 علي بن أبي طالب ١٣٧ ح، ١٣٨ م،
 ١٩٦ ح، ١٩٧ م، ٣٣٦،
 ٤٥٠ ح م، ٤٥١، ٥٢٢ ح،
 ٥٣٧ م، ٥٣٨ ح، ٥٨٤ م.
 علي بن ابراهيم = ابن سعد الخير
 البنسي
 علي بن بسام = ابن بسام الشنتريني
 علي بن حود (المستبد بقرطبة) ١٤١ م،
 ١٤٢.
 علي بن السيد - أبو الحسن ١٥٢.
 علي بن عبد الرحمن = ابن جودي
 علي بن عبد المؤمن = ابن عبد المؤمن
 علي بن العربي = ابن العربي
 علي بن محمد بن العربي ٧٢٣.
 علي بن محمد بن المرخي = ابن المرخي

عمرو (في شعر) ٤٧٦ .

عمرو بن حريث ٢٨٧ ح .

عمرو بن العاص ١٣٨ م ، ١٩٧ م ،

٣٣٦ م ، ٥٨٤ - ٥٨٥ .

عمرو بن عوف ٢٨٧ ح .

عمرو بن موسى ٢٩٠ م .

عمرو بن هند ٧٠١ ح م .

عمرون بن موسى = عمرو

الغنائي - محمد ١٩١ .

عنقرة ٢٤٥ ، ٤٤٩ ح .

عنيد (?) ٧٦ .

عواد - كوركيس ٧٢٨ .

عوض الكريم - مصطفى ٦٩١ .

عياد - كامل ٤٧٣ .

عياض بن موسى (٢٩٥ - ٣٩٥) ، ٣٩ ،

٥٦ م ، ١٧٠ ، ٢٣٠ ، ٤٨٢ ، ٥١٢ ،

٥٦٣ .

عيسى (في شعر) ٥٩٥ م .

عيسى بن عبد العزيز = الجزولي

النحوي

عيسى بن محمد اللخمي (والد ابن

اللبانة) ٨٠ .

عيسى بن مريم (المسيح) ٢٩٨ م ، ٦٧٧ ،

٧٣٢ .

عيسى بن مينا = قالون

عيسى النفزي = أبو الروح

غ

غازي - مصطفى ٢٢٤ .

الغافقي - أحمد بن محمد ٤١ ، ٥٨ .

الغافقي - محمد بن القاسم بن أسلم ٥٨ .

غالب (أبو لؤي) ٢٤٤ م .

غالب بن رباح - أبو تمام الهجاج ٣١٦ .

غالب بن عبد الرحمن = ابن عطية -

أبو بكر

غالب بن الوليد الخزومي ١٥٩ م .

غانية المسوية ٢٥٠ ح ، ٧٠٩ ح .

الغبراء (اسم فرس) ١٩٦ ح ، ٣٠١ م .

غريب (اسم) ٢٣٨ ، ٢٤٠ .

الغرناطي = أبو بكر الغرناطي .

الغزالي - أبو حامد ٣٨ ، ٤٢ ، ٥٦ م ،

٦٠ ، ١٤٦ م ، ٢٨٥ م ، ٣٦٩ م ،

٣٧٠ م ، ٣٧٨ ، ٣٩٩ ح ، ٥١٩ ،

٦٥٩ ، ٦٦٠ ، ٧٢٩ .

الغساني - أبو علي الحسين بن محمد

١٢١ ، ١٥٢ - ١٥٣ ، ٢٦٨ .

الغساني - محمد بن أحمد بن خلف ٣٥٠ .

الغصراوي - محمد الزهراوي ٦٥٧ ح .

غوتيه - ليون ٤٧٣ ، ٥٢٨ .

غومس - غارثيا ١٨٠ .

غويدي ٢٧ .

ف

- الفارابي ٦١ ، ٣٦٩ ، ٥٢٩ .
 الفارسي = أبو علي
 الفاروق = عمر بن الخطاب
 الفازازي = أبو زيد
 الفاسي - الطاهر ٢٧٠ .
 الفاسي - محمد بن الحسن ٥١١ .
 فاطمة ٥٣٧ ح .
 فان درهايدن ٦٦٣ .
 فايزر - هـ ١٩١ .
 فتح (في شعر) ٣٨٠ م .
 الفتح بن خاقان الاشبيلي - أبو نصر
 محمد (١٨٦ - ١٩٢) ، ٣٩ ، ٤٥ ،
 ٤٩ - ٥٠ ، ٥١ ، ٦٤ - ٦٥ ، ٦٩ ،
 ٩٤ ، ١٠٠ ح ، ١١٠ ، ١٢٢ -
 ١٢٣ ، ٢٦٢ - ٢٦٣ ، ٣٢٨ ،
 ٣٣١ م ، ٣٨٢ ، ٣٨٦ ، ٦٧١ م ،
 ٦٨٧ م .
 فتح بن أمية بن اسحاق القرشي =
 لبال
 فتح الله - زهير ٤٤٣ .
 فتوح الخشمي السهيلي ٤٦٦ .
 الفخار
 الفراء - يحيى بن زياد ٦٠١ م ، ٦٨٨ .
 الفراء - أبو الحسن علي بن الحسين
 (ت ٣٥٢ هـ) ، ٣٩٠ ، ٦٨٨ .
- فران - غابريال ٣٩٧ .
 الفردادي = ابن خلفون - ميمون
 الفرزدق ٢٣٨ - ٢٣٩ .
 فرعون (اسم) ٥٠٨ ح .
 فرعون ٧١٨ م ، ٧١٩ م .
 فروخ - عمر ٢١٨ ، ٤٧٣ .
 الفضل بن عمر بن الأفتس = ابن
 الأفتس
 الفضل بن يحيى البرمكي ١٩٧ م .
 فلان (في شعر) ٢٧٢ م .
 الفكر: الفلسفة ٤١ ، ٦٠ .
 فلوطرخس ٥٢٩ .
 فلوطن = أفلوطين
 فلوجل ٧٢٧ .
 الفنجديبي محمد بن عبد الرحمن ٦٢٧ م ،
 ٦٧٠ .
 فور - أدولف ٦٥٩ .
 فيلون ٧٢١ ح - ٧٢٢ ح .
- ق
- القائم العباسي ١٣٤ م .
 القادر بن ذي النون - يحيى بن
 اسماعيل ١٥٣ .
 القارظان ٦٠١ ح .
 قارون ٦٤١ م .
 قاسم - محمود ٥٢٨ ، ٥٢٩ .

- القاضي ٥٤ .
- القاضي - عبد الفتاح ٥١٢ .
- القاضي عياض = عياض بن موسى .
- القاضي الفاضل ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٩٣ .
- القالبي - أبو القاسم ٥٤٦ م .
- قالون - عيسى بن مينا ٤٩٧ م ،
- ٥٠٠ م .
- القالبي - أبو علي ٦٢٣ ، ٦٢٤ ،
- ٧١٦ ح .
- القبّاج - محمد ٥٧٤ .
- قباذ بن ابرويز ١٩٦ ح .
- القبّاني - مصطفى بن محمد ٤٠٢ .
- القحطاني ٥٥٨ .
- الكتندي = الكتندي
- قتادة بن دعامة ٦٣ م ، ٢٧٦ م .
- قذاره ٤٤٢ .
- القرطبي - أحمد بن عمر ٣٦٨ .
- القرطبي - هشام الأزدي ٦٤٠ .
- قسطا بن لوقا البلبكي ٥١٨ م .
- القسطلّي = ابن درّاج ، يونس بن محمد
- قسّوم (اسم) ٧٣٣ .
- القصبي - أبو العبّاس ٤٤٣ .
- قلفاط ١٥٨ .
- قمير - يوحنا ٤٧٣ ، ٥٢٩ .
- قنبل - أبو عمر محمد بن عبد الرحمن
- ٤٩٧ م .
- قيس (جدّ عربي) ٣٩٠ ح .
- قيس بن زهير العبسي ٣٠١ ح .
- القيسي = أحمد القيسي ، عبد الوهاب
- محمد المنشيء
- قيصر ٦٥٦ م .
- ك
- الكانفي الأسود - ابراهيم بن يعقوب
- (٥٨٥ - ٥٨٧) .
- الكبريت الأحمر = ابن عربي (محيي
- الدين) .
- الكتندي - أبو بكر محمد بن عبد الله
- (٤٨٠ - ٤٨٢) ، ٣٠٩ ، ٣٥١ م ،
- ٥٣٢ ح .
- كثير عزة ٢٧٦ م ، ٦٩٠ ح .
- كرنكو - فريتز ١١٥ .
- الكسائي - عليّ بن حمزة ٤٩٩ م ،
- ٥٠٠ م ، ٥٠١ ح ، ٦٨٨ .
- كسرى ٦٥٦ م ، ٦٦١ .
- كعب بن مامة ١٠٥ م .
- الكلاعي = ابن القصيرة الولي .
- كليب وائل ١٩٦ م .
- الكليم = موسى
- كيال الدين = الشريشي - أبو العبّاس
- الكتاني = ابن جبير ثمّ عبد السلام
- كنون - عبد الله ١٧ .

الكوثري - محمد زاهد ١٥٩ ، ٧٢٧ .
كوديرا ٣٧٤ ح ، ٤٥٨ . راجع قدارة
كوكيبوري ٦٦٣ ، ٦٨٥ .
كولومبوس ٦ .

ل

لازينيو ٥٢٩ .
لبال بن أمية القرشي ٤٧٥ .
لبيب العامري ١٤٣ ؟ .
لبيني (في شعر) ٢٢٠ .
اللري - يوسف بن أبي زيد ٣٧٢ .
لسان الدين بن الخطيب ٥٠ ، ٨٨ ،
٣٧٨ ، ٣٠٩ .
اللص الاشبيلي = ابن سيد
اللفة ٦١ .
اللوشي (القاضي) - أبو عبد الله محمد
٣٢١ م .
اللوشي - أبو عبد الله (آخر) ٣٢١ ح .
لوقا البعلبكي ٥١٨ م .
لوي بن غالب ٢٤٤ م .
لويس التاسع ٣٦٢ م .
الليث - أبو الحارث بن خالد ٤٩٩ م .
ليفني بروفنسال ٥٤٧ .
ليلي (في شعر) ٢٥٠ .
ليلي العامرية ٢١٣ ، ٢١٤ م .

م

ماء السماء (أم المنذر) ٨٦ ح .
ماجد (ذكر في شعر) ٥٨١ ، ٥٨٢ .
المارتي = ابن عمران
ماروت ٣٢٨ م .
المازري - محمد بن علي (٢٢٣ - ٢٢٦) ،
٥٦ .
المازني - أبو عمرو بن العلاء ٤٩٨ م ،
٤٩٩ ح ، ٥٠٠ م .
مالسك بن أنس ٥٥ م ، ٦٠ ، ٦٧ ،
٢٨٦ م ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ،
٣٠٧ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٤٥٧ ، ٥١٩ ،
٥٩٣ ، ٧١٩ ح .
المأمون بن ذي النون ٨٩ - ٩٠ .
المأمون العباسي ١٤٠ م .
المأمون الموحد - ادريس بن يعقوب
(٦٧٦ - ٦٧٨) ، ٦٥٥ ، ٦٩٩ م ،
٧٠٢ م .
الماوردي - علي بن محمد (٢) ٥٤٥ .
المبرد ٤٢٨ ، ٦٢٣ .
مبشر بن سليمان - ناصر الدولة
(صاحب ميورقة) ٨١ م ، ٨٣ -
٨٤ ، ٩١ .
المتلّس ٧٠٠ - ٧٠١ .
المتني - أبو الطيب ١٨ ، ٤٣ ، ٦٤ ،

٥٠٩ ح، ٥١١ م، ٥٢٨ م، ٥٣١ م،

٥٣٢ ، ٥٣٣ ، ٥٣٥ - ٥٣٨ ،

٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٥٠ - ٥٥١ ،

٥٥٤ ، ٥٥٦٣ م، ٥٦٥ ، ٥٦٦ ،

٥٦٨ - ٥٦٩ ، ٦١٠ ٦٢١ ح،

٦٢٨ ، ٦٤٥ ، ٦٤٦ م، ٦٥٥ م،

٦٥٦ - ٦٥٧ ، ٦٦٥ م، ٦٧٠ ،

٦٧٧ ح، ٦٨٤ ، ٦٨٥ ، ٦٨٦ م،

٦٩٤ م، ٦٩٧ ، ٦٩٨ م، ٧٠٣ ،

٧٠٩ - ٧١٠ ، ٧١٤ ، ٧١٥ م،

٧١٩ ح م، ٧٢٢ ح، ٧٢٣ م،

٧٣٨ م.

محمد (ذكر في شعر) ٢٤٨ ، ٥٩٥ م.

محمد بن اسحاق = ابن اسحاق

محمد بن ادريس = مرج الكحل

محمد بن اسحاق = ابن اسحاق، ابن

الملح

محمد بن الأعم ١٧٢ .

محمد بن بشير بن محمد بن عبد الصمد

(١٢٧ - ١٢٧)

محمد بن تومرت = المهدي .

محمد بن الحسن = ابن برنجال

محمد بن الحسن الحسيني المصري ٣٧٣

محمد بن خير = ابن خير

محمد بن زكريا الحفصي ٣٧٣ .

٢٢٦ ، ٢٨١ ، ٢٨٧ ، ٣٨٣ م،

٤٠٣ ، ٤٠٤ ح، ٤٠٦ ح، ٥٧٨ ،

٥٩٤ ، ٦٨٢ .

المتنبي الجزيري - عبد الجبار (١٣٢) -

(١٤٤) ، ٦٨ ، ١٥٤ ، ١٦٦ .

المتوكل بن الأفضس - عمر المظفر

٨٠ ، ٨٣ ح، ٩٦ ، ١١٥ م، ١٢٢ ،

١٢٥ ، ١٩٢ ، ١٩٣ - ١٩٤ ،

١٩٨ م، ١٩٩ ح.

المتوكل بن هود - ابن هود .

مجاهد العامري ١٤٣ .

مجبر بن محمد - ابن مجبر الصقلي .

مجنون ليلى ٢١٣ ، ٢١٤ م .

مجداد - عبد القادر ٥٥٣ .

المحلّق بن حنم ٢٧٦ م، ٦٣٨ م .

محمد رسول الله ٣٨ ح، ٤٥ م، ٥٩ ،

٦٠ ، ٧٧ م، ١١٣ ، ١١٨ م،

١٣٨ ح، ١٤٥ ، ١٩٧ ، ٢١٣ ،

٢٢٦ ، ٢٣١ م، ٢٤٢ ، ٢٦٢ ،

٢٧٥ ، ٢٩١ ، ٢٩٥ م، ٣٠٥ ،

٣٠٦ م، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣١٠ م،

٣٢٥ ح م، ٣٧٣ ، ٣٨١ ، ٣٩٢ م،

٤١٠ م، ٤٣٩ ح، ٤٥٠ - ٤٥١ ،

٤٦٤ م، ٤٦٦ م، ٤٦٨ ، ٤٧٦ ،

٤٩٥ ، ٥٠٦ ح م، ٥٠٨ ح،

محمد بن أبي القاسم القرشي، ٣٩٩،
٤٠٠ - ٤٠١.

محمد بن القبطر نوّه = ابن القبطر نوّه

محمد بن مالك = ابن مالك

محمد بن مسعود = أبو بكر الحنثي، ابن
أبي الحنصالح

محمد بن عيسى (ذكر في شعر) ٦١٦ م.
محمد المستكفي = المستكفي الروائي

محمد بن المعتمد بن عباد ٢١٢.

محمد بن معن = المعتصم بن صادق

محمد بن هشام = المهدي الروائي

محمد بن يحيى الشلطي = ابن القابلة

محمد بن يوسف التميمي = أبو الطاهر

محمد بن يوسف = ابن هود

الحمصاني - أجد عمر ١٥٩.

الحمصاني - صبحي ٧٢٠ ح.

محمود - أحد بكير ٢٩٥.

محمود - حسن أحد ٦٧.

محيي الدين بن عربي = ابن عربي

المختار = محمد رسول الله

الخزومي الأعمى الفرناطي - أبو بكر

محمد (٢٧١ - ٢٧٣)، ١٦، ٣١٩،

٣٥٠ م، ٣٥١ م.

الخللاقي - علي ٤٠٢.

مذكور - إبراهيم ٢٦.

محمد بن سعد = ابن مرديش

محمد بن سليمان بن معمر = ابن أخت
غانم

محمد صغير حسن = المصومي

محمد بن عبد الله القرطي ٣٦٧.

محمد بن عبد الله المرسي ٣٧٧.

محمد بن عبد الله بن موسى بن عياض
٢٩١ م.

محمد بن عبد الرحمن = قنبل

محمد بن عبد الرحمن التجيبي ٣٧٢.

محمد بن عبد الرحيم - أبو عبد الله
٤٩٣.

محمد بن عبد الصمد = محمد بن بشير

محمد بن عبد العزيز المعلم ٤٥ - ٤٦.

محمد بن عبد الملك = ابن السراج
الشنتريني

محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن
الناصر ٦٧٠ ح.

محمد بن عبد المؤمن ٥٢٢.

محمد بن علي = ابن عربي، ابن غمي

محمد علي باشا ٢٥ ح م.

محمد بن علي المالقي ٣٧٣.

محمد بن عمر البنسي ٣٧٥.

محمد بن غالب = الرصافي

محمد بن الفرج الكتاني = البذكي

المرابطون ٣٣ وما بعد .
 المراكشي - محمد بن محمد بن عبد الملك
 ٦٣٤ ح ، ٧٢٠ .
 المرأة الأندلسية ٣٦ ، ٥٥ ح .
 مرج الكحل - م بن إدريس (٦٩١ -
 ٦٩٢) .
 مرشد بن يحيى المدني ٣٩٠ .
 مرقس (مركوش) = ابن ميمون
 القرطبي
 مروة (اسم) ٦٢٨ م .
 مروان بن الحكم ١٣٨ م ، ١٣٩ ح .
 مروان بن محمد ١٩٧ م .
 مريم بنت محمد بن عبدون الباجي
 ٧١٦ .
 المرية ٣٦ .
 المزالي - محمد بن موسى بن النعمان ٣٦٨ .
 مزدلي بن سلنكا - أبو بكر ٣٦٥ م .
 المستظهر الروافي - عبد الرحمن ١٤١ ،
 ٣١٦ .
 المستمين الروافي ١٤١ م -
 المستمين = ابن هود
 المستكفي الروافي ١٤٢ .
 المستنصر الحفصي ٣٦٥ م .
 المستنصر = الحكم المستنصر
 المستنصر الموحيدي ٦٣٥ ، ٦٤٨ -
 ٦٤٩ .

المستنصر بن هود ٣١٤ - ٣١٥ .
 مسعود (في نسب عبد الله بن مسعود)
 ٤٨ .
 المسعودي - علي بن الحسين ١٣٢ ،
 ١٣٤ .
 المسعودي = الفنجديهي
 المسعودي - محمد بن عبد الرحمن
 ٦٢٧ م .
 مسلم بن الحجاج ٣٨ م ، ١٥٩ ، ٢٣٤ م ،
 ٢٦١ ، ٢٩١ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٤٤٣ ،
 ٤٦٤ م ، ٥٥٠ ، ٥٥٤ ، ٦٠٧ م ،
 ٦٨٦ ح .
 مسلم بن عقبة المري ١٣٩ ح .
 مسلم بن الوليد ٦٥٠ م .
 المسيح = عيسى
 المسيلي - أبو الطيب أحمد بن الحسين
 (٤٥٥ - ٤٥٦) .
 المسيلي - حسن بن علي ٦٥٩ .
 المصحفي = جعفر بن عثمان
 المصراقي - علي مصطفى ٢١٠ .
 المصطفى = محمد رسول الله
 مصعب بن محمد = أبو ذر الحثثي ، أبو
 العرب
 المطرزي - أبو عمر محمد بن عبد
 الواحد ٢٤٣ م .
 المطيع العباسي ١٣٣ م .

- المظفر بن الأفضس ٦٧١، ٣٨٢.
- معاوية ١٣٨ - ١٣٩، ١٩٧ م، ٥٣١ م، ٥٨٤.
- المعتد هشام المرواني ١٤٢ م.
- المعتصم بن الأفضس ٨٠.
- المعتصم بن صادق ٧٧ م، ٨٠ م، ١٦٠، ١٧٢، ٢٢٥، ٢٢٦ - ٢٢٨، ٢٢٩، ٣١٦، ٤٦١ ح م.
- المعتصم العباسي ١٤٠ م.
- المعتضد بن عباد ٧٠، ١٤٣ م.
- المعتلي بن حمود ١٤٢.
- المعتد بن عباد ٤٢ - ٤٣، ٧٠، ٧١ - ٧٢، ٨١ م، ٨٣ ح، ٨٥ - ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٢ م، ٩٣، ٩٥، ١٠٩ م، ١٧٤، ١٨١ - ٢٨٢، ١٨٨، ١٨٩، ٢٠١ - ٢٠٢، ٢١١ - ٢١٢، ٢٧٤، ٢٨٣ ح، ٢٨٤ م، ٣٨٢ م، ٤٤٤، ٦٧١.
- معد = المعز الفاطمي
- معركة الزلاقة ٣٣.
- المعري ٤٣، ٤٤ م، ٦٢، ١٥٣، ١٥٧ - ١٥٨، ١٥٩ م، ٢٣٨، ٤٤٦، ٤٤٩ - ٤٥٠، ٦٩٤ م، ٧٣٥ ح.
- المعز (اسم) ٧٣ ح.
- المعز بن باديس الصنهاجي ٣٤، ٧٣ م.
- المعز الفاطمي - معد ٦٦٢ م.
- المصومي - محمد صغير حسن ٢١٧، ٢١٨.
- المعلم = محمد بن عبد العزيز.
- المعلّى بن الرشيد العبادي ٢١٢ م.
- المعيدي ٢٦٣.
- المغربي - أبو القاسم الحسين بن عليّ (الوزير) ٣٨٩ م.
- مفيث (فاتح الاندلس) ٣٢٣.
- المقامات ٤٥.
- المقتدر بن هود ٣٨١، ٦٧٠.
- المقدسي - نصر بن ابراهيم ٢٨٤.
- المقري (صاحب نفع الطيب) ٢١٥، ٢٩٠ ح، ٢٩٥، ٣٢٣ م، ٣٥٠ ح، ٤٦١، ٤٨٦، ٦٨٤.
- الملاء = ابن خضر الاشبيلي
- الملك العادل (الأول) ٦٨٥.
- الملك الكامل - محمد ٦٦٣، ٦٨٨ - ٦٩٠، ٦٩١ م، ٦٩٤ - ٦٩٥.
- الملك المعظم = كوكبوري ملر ٥٢٨ م.
- المنازي - احمد بن يوسف ٥٥٦ م.
- المنتصر الحفصي ٣٦١.
- المنتصر الموحدوي ٣٦٠ م.

- المنجد - صلاح الدين ٦٧٤ .
- المنذر بن امرئ القيس ٨٦ ح .
- المنذر بن حمام (اسم مرتجل) ٢٣٨ .
- منذر بن سعيد البلوطي ٤٧٩ - ٤٨٠ .
- المنشأوي - عبد الغني ٢١٠ .
- المنشيء = عبد الوهاب بن علي القيسي
- المنصور (اسم) ٧٣ ح .
- المنصور بن أبي عامر ٤٨ م ، ١٤١ ح م ،
- ١٤٣ ح ، ٢٧٧ م ، ٣١٧ .
- المنصور العباسي = أبو جعفر
- المنصور بن الفراوي ٦٨٤ .
- المنصور المريسي - يعقوب ٣٦١ م ،
- ٣٦٢ .
- المنصور الموحددي - يعقوب ٦٠ ،
- ٣٦٠ م ، ٣٦٢ - ٣٦٤ ، ٣٦٧ -
- ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ - ٣٧١ ،
- ٣٧٨ م ، ٤٦٣ ، ٤٦٦ م ، ٤٨٦ م ،
- ٤٨٧ - ٤٨٩ ، ٤٩٠ م ، ٥١٢ ،
- ٥١٩ ، ٥٣٩ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦ ،
- ٥٥٧ م ، ٥٦٠ م ، ٥٦٨ ، ٥٧١ -
- ٥٧٣ ، ٥٧٤ ، ٥٧٥ ، ٥٨٧ ،
- ٥٩٠ - ٥٩٢ ، ٥٩٨ ، ٦١٣ ،
- ٦١٤ - ٦١٥ ، ٦٦٧ م ، ٦٧٧ م ،
- ٧٠٩ - ٧١٠ ، ٧١٩ - ٧٢٠ .
- المنصور بجي (صاحب بطليوس) ٨٠ .
- المنقتل (الشاعر) ٢٦٥ .
- المهدي بن تومرت ٣١٧ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ،
- ٣٥٩ - ٣٦٠ ، ٣٦٢ م ، ٤٢٣ ،
- ٥٢٢ ح م ، ٦٧٧ - ٦٧٨ .
- المهدي العباسي - محمد ٩٨ ح .
- المهدي الروائي - محمد ١٤١ م .
- المهدي المنتظر ٥٥٨ .
- المهر = ابن الفرس
- مهلهل ١٩٦ م .
- المهتأ ، مهتأ ، مهتأ ٧٣٣ م .
- المهدوي = الحداد المهدوي
- المواعيني = ابن خيرة
- الموالي ١٤٩ .
- الموحدون ٣٥٩ ، ٣٦٢ .
- موسى (اسم) ٥٠٢ .
- موسى ٢٧٣ ، ٤١٢ ، ٤٢٠ ، ٥١٦ م ،
- ٧١٨ ح ، ٧١٩ م .
- موسى بن نصير ١٣٩ .
- موسى الهادي = الهادي
- موسى - محمد يوسف ٥٢٩ .
- موسى بن يغمور = ابن جلدك
- مؤنس - حسين ١٩٦ ح ، ٣٩٠ ح ،
- ٥٨٧ ح ، ٧١٦ ح .
- مونكادا ٢١٠ ، ٣٩٨ .
- المؤيد الطوسي ٦٨٤ - ٦٨٥ .

- المؤيد هشام المرواني ١٤١ م، ١٤٣ .
 المياشي - عبد الحميد بن عمر .
 المياشي - محمد بن عبد الحميد ٥٦ ،
 ٣٦٧ - ٣٦٦ .
 ميداني ١٥٨ .
 الميرقي ، الميورقي = ابن غانية - يحيى
 ميمون بن خبازة = ابن خبازة الخطابي
 ميمون الفردادي ٦٦٠ .
 مية (ذكرت في شعر) ٦٣ م، ١١٢ ،
 ٢٧٧ .
- ن
- النايفة الذبياني ١٩ م، ٦٣ ح ،
 ٦٩٢ ح .
 نابليون ٢٥ ح .
 نادر - البير ٥٢٩ .
 ناصر الدولة = مبشر بن سليمان
 الناصر العباسي ٣٦٣ .
 الناصر الموحدي ٣٦٠ م، ٥٥٨ ،
 ٥٦٠ م، ٥٩٨ ، ٦٣٧ - ٦٣٨ ،
 ٦٦٨ ح .
 نافع بن أبي نعيم (القاري) ٤٩٧ م ،
 ٥٠٠ م، ٥٠١ م، ٦٠٢ .
 النبھاني - يوسف ٦٥٦ .
 النبي = محمد رسول الله
 النثر ٦٣ .
- نجاتي - أحمد يوسف ٥١٢ .
 النحاس = ابن النحاس
 زهون بنت القلاعي (٣٥٠ - ٣٥٢) ،
 ٢٧٣ م، ٥٥٦ .
 النسائي ٣٨ م، ٤٦٤ ، ٦٠٧ م .
 نصار - حسين ٦١٣ .
 نصر بن ابراهيم المقدسي - أبو الفتح
 ٢٣٢ .
 نعم (ذكرت في شعر) ١١٣ .
 نعم الخلف بن محمد ١٧٠ .
 النعمان بن المنذر ٣٠١ ح ، ٦٩٢ ح .
 نفس - محمد ٤٤٦ ، ٤٥١ .
 النفزي - أبو علي بن محمد ٤٩٣ .
 النفزي - أبو الروح عيسى (٦٧٤ -
 ٦٧٥) .
 النفطي - أبو القاسم ٣٠٧ م .
 النقد ٥٠ ، ٦٣ .
 نكلسن ٧٢٨ .
 النميري - أحمد بن ابراهيم ٦٩ .
 نوح ١٣٢ ، ٣١٠ ، ٣٧٨ ، ٦٤١ .
 نور الدين زنكي ٤٤٥ ، ٥٩٩ .
 النورمان (في صقلية) ٣٥ .
 نولدكه ٢٧ .
 النووي ٦٦٠ .
 نويهض - عادل ٦٦٣ .

نيقوماخس الجرشى ٦١ .

نيكل - عبد الرحمن ٦٦ م ، ١٩٣ ح ،

١٩٥ ، ٣١٥ ح ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ح ،

٤٩١ .

هولاكو ٣٦٥ .

و

وايزر = فايزر

الورديني - عبد القادر ٦٤٧ .

ورش - أبو سعيد عثمان بن سعيد

٤٩٧ م ، ٥٠٧ م ، ٥٠٨ م .

وزمر الحجاري ٣١٣ م .

الوقشي = أبو جعفر ، أبو الوليد

الوكيل - عبد الرحمن ٧٣٨ ح .

ولادة بنت المستكفي ٤٩١ .

وليد (البحري) ؟ ١٦٧ .

الوليد بن عبد الملك ١٣٩ .

وهي - مصطفى ٥٧٩ .

الوهراني - محمد بن محرز (٤٤٥ -

٤٥١) .

ي

ياقوت الحموي ٢٥٧ ، ٦٦٧ .

اليحوموم ٣٠١ م

يجي بن أبي بكر (الأمير) ٧٨ - ٧٩ .

يجي بن اسماعيل = المأمون بن ذي

النون

يجي بن الأفتس = ابن الأفتس

يجي بن تميم بن باديس - أبو طاهر

١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ .

ه

الهادي المباسي - محمد ١٤٠ .

هاروت ٣٢٨ م .

هارون - عبد السلام محمد ١٨٦ .

هامان ٧١٩ م .

هانريك = أنريك ، ابن ألبريك

هرون ٧١٩ م .

هرون الرشيد ١٤٠ ، ٢١١ ، ٣٧٣ .

الهروي = ابن سلام

هشام بن عبد الرحمن الداخل ٣٣٣ -

٣٣٤ .

هشام بن عمار (القاري) ٤٩٨ م .

هشام = المعتد الرواني

هشام = المؤيد الرواني

هلال بن عامر ٤١٤ م .

هشام (اسم) ٢٣٩ ، ٦٢٨ .

الهنتاتي = عمر بن يحيى

هند (ذكرت في شعر) ٣٠٤ ، ٤٨٢ .

هوتسا ٢٧ .

الهوزيني ٢٥ - ٢٦ .

الهوزني - حسن بن عمر ٢٨٤ .

بجبي بن حكم الفزال ٣٨٤ .

بجبي بن خالد البرمكي ١٩٧ م .

بجبي بن عبد الجليل = ابن مجبر

بجبي بن عبد العزيز ٤٢٣ - ٤٢٤ .

بجبي بن عبد الواحد الحفصي أبو

زكريا ٣٦١ م ، ٣٦٥ م ، ٣٧٤ ،

٧٠٢ م .

بجبي - عثمان ٧٢٨ .

بجبي (من بني العشرة) = ابن العشرة

بجبي بن عمر القرطبي = ابن سعدون

بجبي بن المبارك = اليزيدي

بجبي بن محمد المعتصم - رفيع الدولة .

بجبي المعتصم الموحد ٦٧٦ م .

يزدجرد ١٩٦ م .

يزيد بن معاوية ١٣٩ .

يزيد بن المعتمد بن عباد = الراضي

اليزيدي - بجبي بن المبارك ٤٩٨ م .

اليسع بن عيسى بن حزم ٤٤٣ -

٤٤٥ ، ٦٠ .

يعقوب بن عبد الحق = المنصور المريني

اليعمري = ابن مالك

يغمراسن بن زيان ٣٦١ .

يقظان (اسم) ٤٧٢ .

اليكي = أبو بكر اليكي

يوسف (في شعر) ٣٥٤ .

يوسف بن تاشفين ٣٣ - ٣٤ ، ٣٧ ،

٤٢٢ م ، ٥٢٢ م ، ٥٤ ، ٥٥٦ م ، ٦٦ م ،

٦٧ - ٦٨ ، ٧٧ م ، ٨١ ، ٩٣ ، ٩٤ ،

١١٠ م ، ١٣٤ ، ١٤٤ م ، ١٤٦ ،

٧٠٩ ح .

يوسف بن سليمان (بن هود) ١٥٦ م .

يوسف بن عبد الرحمن الفهري ٣٣٨ م .

يوسف بن عبد المؤمن ٤٤٠ - ٤٤١ ،

٤٤٩ ح ، ٤٧٠ ، ٤٩٠ ، ٥١٢ ،

٥٤٦ - ٥٤٧ ، ٥٨٢ ، ٦٢٨ .

يوسف بن عتبة = أبو الحجّاج

الاشبيلي

يوسف بن يعقوب ٢٩٤ ، ٣٨٦ ،

٤٩١ ح م ، ٥٢٣ م .

يوشع ٨٣ م .

يونس ٢٩٤ .

يونس بن عيسى المرسي (٣٠٩ -

٣١٣) .

يونس بن محمد القسطلي (٤٥٠ -

٤٥٢) .



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

فهرس بأسماء الكتب

يدخل في هذا الفهرس تلك الكتب التي عرّفت في هذا الجزء أو وصفت أو ذكرت في تراجم أصحابها (وكانت مطبوعة) ثم الكتب التي أخذ منها نصوص:

- أ
- أحكام القرآن ٧٢٧ .
 أخبار بني عبّيد ٦٦٣ .
 الأخلاق ٧٢٧ .
 إرشاد المريّد إلى مقصود التصيد
 ٥١٢ .
 أزهار الرياض في أخبار عياض ٢٩٥ .
 إصلاح الخلل الواقع في كتاب الجمل
 ١٥٤ .
 الأضواء البهجة في إبراز معاني
 المنفرجة ١٠٩ .
 إعانة الطالبين في الصلاة والسلام على
 أفضل المرسلين ٦٤٥ ، ٦٤٦ ،
 ٦٤٧ .
 الاعلام والحروب والوقائع في صدر
 الإسلام ٣٧٣ .
 كتاب الافعال ١١٣ ، ١١٤ .
 اقتباس الأنوار والتاس الأزهار إلخ
 ٤٦٤ ح .
- إبراز المعاني من حيز الأماي ٥١١ .
 ابن باجّه ٢١٨ .
 ابن باجّه والفلسفة المغربية ٢١٨ .
 ابن حديس الصقلّي ٢١٠ .
 ابن خفاجة ٢٢٤ .
 ابن رشد ٥٢٩ م .
 ابن رشد والرشدية ٥٢٩ .
 ابن رشد وفلسفته ٥٢٩ .
 ابن رشد الفيلسوف ٥٢٩ .
 ابن رشد فيلسوف العرب ٥٢٩ .
 ابن طُفيل ٤٧٣ م .
 ابن طفيل وقصة حيّ بن يقظان ٤٧٣ .
 ابن عربي: حياته ومذهبه ٧٢٨ .
 أبو بكر الطرطوشي العالم الزاهد
 الثائر ١٥٢ .
 إحكام صنعة الكلام ٥١ - ٥٢ .

الاعتضاب ١٥٨ .

البشامة بأطواق الحمامة ٥٨٣ ، ٥٨٥ .
بُغية المشتاق لأصول الديانات والمعارف
والأذواق ٦٤٧ .

الاكتفاء في مغازي الرسول والثلاثة
الخلفاء ٦٩٤ ، ٦٩٧ ، ٦٩٨ .

بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس
٣٧٢ ، ٥٥٤ .

ألفاً با ٥٧٥ ، ٥٧٩ .

أفّية ابن مطر = الدرّة الألفية .

البيان والمزبد المشتمل على معاني
التزييه وحقائق التوحيد ٥٢١ .

الإلماع إلى معرفة أصول الرواية
وتقييد السّاع ٢٩٥ .

البيان الواضح في الملمّ الفادح ٥٩ .

الإمام المازري ٢٣٦ .

أمالى السّهيلي ٤٦٦ ، ٤٦٩ .

ت

الأمر المُحكّم المربوط فيما يلزم أهل
الطريقة من الشروط ٧٢٧ .

تاج الرسائل ومنهاج الوسائل في
إيضاح المعاني الآلهية المُودّعة في

الأمير الشاعر أبو الربيع سليمان
المُوحّدي ٥٧٤ .

المعاني الروحية ٧٢٧ .

أنباء نجباء الأبناء ٤٠٢ .

تاريخ المنّ بالإمامة على المُستضعفين
إلخ ٥٢٢ ، ٥٢٤ .

الانتصار ١٥٧ .

تحذير العباد من أهل العناد = تنبيه
النبيّ

أنس الوحيد ونُزهة المُريد ٥٢١ .
الإنصاف ١٥٩ .

تُحفّة الأبواب ٣٩١ - ٣٩٧ .

أُمُودَج تحليلي.... من ابن خاقان
١٩١ .

التحفّة البهية ٧٢٧ م .

تخميس القصيدة العينية في المناجاة
٤٦٩ .

إيضاح الحصول من برهان الأصول
٢٣٤ .

تخميس المنفرجة ١٠٩ ، ٧١٥ ، ٧١٧ .
تدبير المُتوحّد ٢١٧ .

ب

ترجمان الأشواق ٧٢٨ .

الباه في رجوع الشيخ إلى صباه ٣٧٦ .
بداية المجتهد ونهاية المقتصد ٥٢٩ .

ترجمة ابن حمديس الصقلّي ٢١٠ .

البشامة: البشامة ١٩٣ .

جهد النصيح وحظ المنيح في معارضة
المعري في خطبة الفصيح ٦٩٤ .
الجوهرة الخطيرة ١١٢ - ١١٣ .

ح خ

الحاسّ والمحسوس ٥٢٩ .
الحدائق ٥٨ ، ٦١ ، ١٥٩ ، ٢٧٧ .
جزر الأمافي ووجه التهامي ٣٦٦ ،
٤٩٤ ، ٤٩٥ - ٥١٢ .
الحروف الخمسة ١٥٣ .
الحوادث والبدع ١٥٢ .
خير البشر بخير البشر ٣٩٩ ، ٤٠٢ .

د

الدّر المنظّم في الاختيار المُعظّم ٥٣١ .
الدرة الألفية في علم العربية ٦٦٣ -
٦٦٧ .

الدور الأعلى ٧٣٣ .

الديباجة = النبد المحتاجة .

ديوان ابن حديس ٢١٠ .

ديوان ابن حديس الأزدي السيراكوسي
٢١٠ .

ديوان ابن خفاجة ٢١٩ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

ديوان ابن الرقاق البلنسي ١٨٠ .

ديوان ابن عربي ٧٢٧ .

ديوان ابن قُرمان (الأصفر) ٣٣٠ .

التشوّف إلى رجال التصوّف ٦٥٨ -
٦٥٩ .

التعريف والإعلام في ما أهبّهم في القرآن
من أسماء الأعلام ٤٦٦ .

التعريفات ٧٢٧ .

تفسير القرآن الكريم ٧٢٨ .

تفسير ما بعد الطبيعة ٥٢٩ .

تكميل الأبيات وتضم الحكايات
٥٧٦ ، ٥٧٥ .

تلخيص الخطابة ٥٢٩ .

تلخيص كتاب النفس ٢١٨ ، ٥٢٩ .

تلقين الوليد ٤٦٤ .

تنبيه النبيّ إلى تكفير ابن عربي ٧٢٨ .

التنوير في مولد السراج المنير ٦٩١ ،
٦٩٢ .

تهافت التهافت ٥٢٨ .

ث

ثورة المریدین ٥٢٢ .

ج

الجامع لمفردات الأغذية والأدوية
٣٧٧ .

جليس كلّ ظريف ٤٤٦ .

الجمع بين الصحيحين

جنبي الرطب في سني الخطب ٦٩٤ .

- ديوان أبي الربيع سليمان الموحد ٥٧٤ .
ديوان الأعمى التطيلي ١٦٨ .
ديوان ترسل ومُخاطبات ٥٦٥ .
ديوان تميم بن المعز ٧٧ .
ديوان الحكم وميدان الكلم ٥٦٤ .
ديوان الديباج ٣٧١ .
- ذ
- ذخائر الأعلاق في شرح ترجمان الأشواق ٧٢٧ .
الذخائر والأعلاق في أدب النفوس ومكارم الأخلاق ٢٩٠ .
الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ٥١ ، ٢٨٠ ، ٢٧٤ ، ٦٣ .
ذيل جالية الكدر ١٠٩ .
ذيل لفصل المقال ٥٢٨ .
- رز
- رجوع الشيخ = الباء
رحلة ابن جبير ٦١٣ .
الرد على النحاة ٥١٢ - ٥١٥ .
رد معاني الآيات المتشابهة إلى الآيات المحكمة ٧٢٧ .
رسائل ابن باجه الآلمية ٢١٨ .
رسائل ابن رشد ٥٢٩ م .
رسائل إخوان الصفا ٢٣٤ .
- رسائل في اللغة ١٥٩ .
رسائل محي الدين بن عربي ٧٢٧ .
رسالة الاتصال ٢١٨ .
رسالة التوحيد والفلسفة ٥٢٨ .
رسالة... الطرطوشي إلى... ابن تاشفين ١٥٢ .
رسالة (روح) القدس ٧٢٨ .
الرسالة المصرية ١٨٢ ، ١٨٦ .
رسالة المفاضلة بين الأندلس وبر العُدوة ٦٧٤ .
الرقائق والأنيس في الأمثال والمواعظ إلخ ٤٦٤ .
الروض الأنف ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٩ .
روضة المآثر والمفاخر من خصائص الملك الناصر صلاح الدين ٥٦٥ .
روبنسون كروزو ٤٧٠ ح .
رعيان الألباب ورعيان الشباب في مراتب الآداب ٣٨٦ .
الريحان والريعان ٥٢ .
زاد المسافر ٥٥٠ ، ٥٥٣ .
- س
- سابقات الجياد ٦٥٦ .
سراج القاريء المتبدي وتذكارة المقرئ المنتهي ٥١١ .

الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ٢٩٥ .

ص

الصلاة ٣٧٢ ، ٤٦٧ ، ٤٥٨ .

صلوات ابن مشيش = اعانة الراغبين

ع غ

العشرينيّات = القوائد العشريّات
عقيلة أتراب القوائد في أسنى

المقاصد ٤٩٤ ، ٥١١ .

العقيدة النظامية ٧٢٧ .

المواصم من القواصم ٧٢٧ .

العَرَبِيّين (كتاب الغريبين: غريب اللغة
وغريب الحديث) ٤٦٤ .

ف

الفتح المبين في ردّ اعتراض المترض

على محيي الدين ٧٢٨ .

الفتوحات المكيّة ٧٢٨ .

الفرج بعد الشدّة = المنفرة

فرحة الانفس..... الأندلس ٤٧٧ -

٤٨٠ .

فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة

والحكمة من الاتصال ٥٢٥ ،

٥٢٨ .

فلسفة ابن رشد ٥٢٨ .

سراج الملوك ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ،
١٥١ .

سفينة السعادة لأهل الضعف والنّجاة
٦٥٧ .

سُلوان المُطاع وُعدوان الاتباع ٣٩٩ ،
٤٠٠ .

السّاع الطّبيعي ٢١٨ .

سِمط الجُمان وسَمَط اللّال وسَمَط
المِرْجان ٣٣١ .

سيرة رسول الله ٤٦٨ .

ش

الشاطبية = حرز الأمافي...

شجرة الكون ٧٢٧ .

شرح البسامة (البشامة) ٥٨٥ .

شرح سَمَط الزُّند ١٥٧ ، ١٥٩ .

شرح السيرة النبويّة ٥٦٩ .

شرح قصيدة «بانّت سعادُ» ٥٩٤ .

شرح قصيدة ابن عبدون ٢٠١ ، ٥٨٥ .

شرح المختار من لزوميّات أبي العلاء
١٥٩ .

شرح مقامات الحريري (المقامات
الحريرية) ٦٢٥ ، ٦٣٠ .

شروح رسالة الشيخ رسلان في علوم

التوحيد والتصوّف ٧٢٨ .

شروحات السّاع الطّبيعي ٢١٨ .

الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد
الملّة ٥٢٨ .

الكليات (في الطب) ٥٢٩ .

كأمة الزهر...: شرح قصيدة ابن
عبدون ٢٠١ .

كأمة الزهر وصدفة الدرر = شرح
البشامة

كنز المعاني ٥١١ .

الكوكب الدرّي المستخرج من كلام
النبيّ العربي ٣٠٥ .

الكون والفساد ٢١٨ .

ل

اللمحات الرافعات ٦٤٧ .

م

مأوى الرغائب في مجد النصائح ٧٢٧ .

المبشرات والقدسيات ٥٦٥ .

متن الشاطبية ٥١١ .

مجموع آلهي ٧٣٣ .

مجموع رسائل ٧٢٧ .

مجموع الرسائل الالهية ٧٢٧ .

مجموع ساعة الخبر ٧٢٧ .

محاسن المجالس ٢٣٢ .

محاضرة (محاضرات) الأبرار ومسامرة

(مسامرات) الأخيار ٧٢٤، ٧٢٥،

٧٢٨، ٧٢٦ .

فصوص الحكم ٧٢٧ .

الفصول الخمسون ٦٦٧ .

فنّ الشعر ٥٢٩ .

فهرسة ما رواه عن شيوخه... أبو
بكر بن خير ٤٤٢ .

فهرست مؤلفات محيي الدين بن عربي
٧٢٨ .

في الأدب العربي وابن حمديس ٢١٠ .

في فلسفة ابن رشد ٥٢٩ .

الفوائد المنتخبة والحكايات المستغربة
٤٥٧ .

ق

القرارة اليربسية المخصوصة بشرف
الأحناء القدسية ٥٣٢-٥٣٣ .

القصائد العشرينيات ٦٥٥ - ٦٥٦ ،
٦٥٧ .

قصة حيّ بن يقظان ٤٧٠، ٤٧٢ ،
٤٧٣ م .

القصيدة العينية في المناجاة ٤٦٩ .

قصيدة المعشّرة ٧٢٧ .

القصيدة النظامية ٧٣٣ .

قلائد العقيان ٤٩ - ٥٠، ١٨٧ ،
١٨٩، ١٩١ .

ك

الكافي في علم القوافي ٣٠٩ .

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز
٢٧٠.

المداخل - المداخلات ٢٣٨، ٢٤٣.
المدارك ٢٩٥

المسلسل ٢٣٨، ٢٤٢، ٢٤٤، ٢٤٥.
المُسهب ٣٢٢.

مشارك الأنوار إلى صحيح الآثار
٢٩٥، ٢٩١.

المطرب من أشعار أهل المغرب ٦٩١.
مطلع الأنوار لصحيح الآثار ٥٥٤.

مطمح الأنفس ٤٩ - ٥٠، ١٨٨.
١٩١.

المُغرب عن بعض عجائب البلدان
٣٩٨.

المغرب في آداب المغرب ٤٤٤م.

المُعترّات = القصائد العشرينيات.
المُعَلِّم بفوائد مسلم ٢٣٤.

المِيعَار في أوزان الأشعار ٣٠٩.

المعين على التلقين ٣٣٤.

المُغرب في حلّ المغرب ٣٢٢ - ٣٢٣.

مُفيد العلوم ومُبيد الهموم ٣٧٤.

المقامات اللزومية ٢٣٨، ٢٤٠.

المقدمة (في النحو) ٥٩٤.

المنّ بالإمامة... = تاريخ المنّ بالإمامة.

مناسات الوهرافي ومقاماته ٤٤٦،

٤٥١.

مُنَبّهات ابن حجر ١٠٩.

المنفرجة ١٠٦ - ١٠٧، ١٠٩، ٧١٥.

٧١٦ - ٧١٧. الموطأ ٣٨ح.

ن

النبات (كتاب) ٥٢٩.

النَّبْد المحتاجة بأخبار صنهاجة
بأفريقية وبجاية ٦٦٠، ٦٦٢.

النَّبْرَاس في خلفاء بني العباس ٦٩١.
النجم من كلام سيّد العرب والمعم

٣٠٥، ٣٠٧.

نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ٧٥،
٣٧٤.

نصّ أندلسي جديد ٤٨٠.

نظرات في طب ابن الطفيل (كذا)
٤٧٣.

نظم الفرائد في علم العقائد ٢٣٤.

نظيمة الزهر ٤٩٤.

النفحات القدسية ٦٤٧.

النفس (كتاب) ٥٢٩.

نكتة الأمثال ونفثة السحر الحلال
٦٩٤.

نوادير الوحي ٥٦٥.

و

الوافي في شرح الشاطبية ٥١٢.

الوسائل المتقبلة ٦٥٦ .

وصف رومية ٣٩٨ .

الوصايا ٧٢٧ .

الوقوف ٤٩٤ .

الوطنية في شعر ابن حديس ٢١٠ .

ثاني ذي القعدة ١٤٠١

١٩٨١ / ٨ / ٣١ .